الموسوعة الكبرى الرابعة

من

كليات رسائل النور

مجموعة الشعاعات

تأليف

الإمام الجليل العلامة الشهير مولانا الإمام بديع الزمان

سعيد النورسي ذي النور والفيض القدسي

رضي الله تعالى عنه

١٢٩٢-١٣٧٩هـ/ ١٨٧٣-١٩٦٠م

عني بترجمتها عن التركية وبتبييضها وتصحيحها

الملا محمد زاهد الملازگردي

عفا الله تعالى عنه

١٣٥٤-١٤٢٩هـ/ ١٩٣٦-٢٠٠٨م

شركة رسائل النور ناشرون

مَجْمُوعَةُ الشُّعَاعَاتِ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ﴾

إِنَّ هٰذِهِ الْمَوْسُوعَاتِ النَّيِّرَةَ ، مُتَرْجَمَةٌ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالىٰ ، عَلىٰ نَصِّ كَلامِ الْإِمَامِ الْمُؤَلِّفِ ؛ (رضي الله تعالى عنه) ، بِدُونِ تَغْيِيرٍ وَتَصَرُّفٍ ، إِلّا مَا تَقْتَضِيهِ ضَرُورَةُ النَّقْلِ مِنْ لُغَةٍ أَعْجَمِيَّةٍ ، إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ النَّحْوِيَّةِ . .

اَلْمُتَرْجِمُ ، (عفا الله تعالى عنه) . .

نَعَمْ . . نَعَمْ . . نَعَمْ . . نَعَمْ . . نَعَمْ . .

مُحَمَّدُ زَاهِدُ ـ مُحَمَّدُ غَالِبُ ـ عُمَرُ عِرَاجِي ـ عَبْدُ اللهِ الْخَطِيبُ ـ أَحْمَدُ زَيْدُ

اَلنَّاشِرُونَ :

شَرِكَةُ رَسَائِلِ النُّورِ . .

اَلْعَنَاوِينُ :

- اَلْكِتَابُ : مَجْمُوعَةُ الشُّعَاعَاتِ مِنْ كُلِّيَّاتِ رَسَائِلِ النُّورِ . .
- اَلْمُؤَلِّفُ : اَلْإِمَامُ بَدِيعُ الزَّمَانِ سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ؛ (رضي الله تعالى عنه) . .
- اَلْمُتَرْجِمُ وَالْمُحَقِّقُ وَالْمُدَقِّقُ : اَلْمُلَّا مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلَازْكِرْدِيُّ ؛ (غفر الله تعالى عنه) . .
- كَاتِبُ الصَّفِّ : مُعَمَّرٌ سَعْدُ الدِّينِ حَبَّالٌ . .
- مُحَرِّكُ الْكَلِمَاتِ : أَحْمَدُ زَيْدٌ . .
- اَلْمُنَسِّقُ : مُحَمَّدٌ غَالِبٌ الْفَارِسُ . .
- اَلْمُرَاقِبُ وَالْمُرَاجِعُ : حُسَامٌ وَاكِدٌ . .
- اَلْمُسَاعِدُونَ : أَحْمَدُ الْحَاجُّ ، مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ . . (وَفَّقَهُمُ اللهُ تَعَالَى لِمَرْضَاتِهِ ؛ وَغَفَرَ لَهُمْ) . .
- نَوْعُ الْخَطِّ : اَلْعَرَبِيُّ النَّسْخِيُّ الْمُعَدَّلُ بِحُرُوفِ النُّورِ . .
- عَدَدُ السِّلْسِلَةِ : ــ ٤ ــ
- اَلطَّبْعَةُ الْأُولَى الْمُشَكَّلَةُ : سَنَةَ / ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م . .

- اَلْعُنْوَانُ[١] : كَامِدُ اللَّوْزِ ــ اَلْبِقَاعُ ــ لُبْنَانُ . . اَلْهَاتِفُ : ٠٠٩٦١/٧٠/٤٧١٨٣١
- اَلْعُنْوَانُ[٢] : شُرَحْبِيلُ ــ صَيْدَا ــ لُبْنَانُ . . اَلْهَاتِفُ : ٠٠٩٦١/٧٠/٧٦٨٧٧٤
- اَلْمَوْقِعُ الْإِلِكْتُرُونِيُّ : www.nour-arabic.com
- اَلْبَرِيدُ الْإِلِكْتُرُونِيُّ : nour@nour-arabic.com

- اَلطِّبَاعَةُ : مَطْبَعَةُ دَارِ الْكُتُبِ ــ بَيْرُوتَ . .
- اَلتَّجْلِيدُ : شَرِكَةُ فُؤَادٍ بَعَيْنُو لِلتَّجْلِيدِ ــ بَيْرُوتَ . .

اَلْمَوْسُوعَةُ الْكُبْرَى الرَّابِعَةُ
مِنْ
كُلِّيَّاتِ رَسَائِلِ النُّورِ

﴿ مَجْمُوعَةُ الشُّعَاعَاتِ ﴾

تَأْلِيفُ

الْإِمَامِ الْجَلِيلِ، الْعَلَّامَةِ الشَّهِيرِ، مَوْلَانَا الْإِمَامِ بَدِيعِ الزَّمَانِ،
سَعِيدٍ النُّورْسِيِّ، ذِي النُّورِ وَالْفَيْضِ الْقُدْسِيِّ؛
رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ.

١٢٩٢ ـ ١٣٧٩هـ / ١٨٧٣ ـ ١٩٦٠م.

عُنِيَ بِتَرْجَمَتِهَا عَنِ التُّرْكِيَّةِ، وَبِتَبْيِيضِهَا وَتَصْحِيحِهَا،
الْمَلَّا مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلَازْكِرْدِيُّ؛
عَفَا عَنْهُ اللهُ الْمُبْدِئُ.

١٣٥٤ ـ ١٤٢٩هـ / ١٩٣٦ ـ ٢٠٠٨م.

مُحْتَوَيَاتُ هٰذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الرَّابِعَةِ اللّٰامِعَةِ :

خَمْسَةَ عَشَرَ شُعَاعاً نُورَانِيّاً ، فِيهَا أَبْحَاثٌ لَطِيفَةٌ ، مِنْهَا :

١ ـ أَسْرَارٌ وَرُمُوزٌ غَيْبِيَّةٌ ، مِنْ إِشَارَاتِ بَعْضِ آيَاتٍ قُرْآنِيَّةٍ ، مَعَ بَعْضِ حُجَجٍ إِيمَانِيَّةٍ عَالِيَةٍ . .

٢ ـ بَعْضُ أَحَاسِيسَ وَمَشَاعِرَ إِيمَانِيَّةٍ ، مَعَ تَأْوِيلاتِ بَعْضِ أَحَادِيثَ نَبَوِيَّةٍ ، فِي أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَآخِرِ الزَّمَانِ . .

٣ ـ بَرَاهِينُ قَاطِعَةٌ ، وَدَلَائِلُ سَاطِعَةٌ ، عَلَىٰ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ ، مُلَخَّصَةٌ مِنْ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ وَالْأَكْوَانِ وَرَسَائِلِ النُّورِ . .

٤ ـ أَنْوَارٌ إِيمَانِيَّةٌ ، وَدِفَاعَاتٌ نُورَانِيَّةٌ ، فِي الْمَدَارِسِ الْيُوسُفِيَّةِ السِّجْنِيَّةِ ، ضِدَّ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ وَالضَّلَالَةِ الْمُطْلَقَةِ . .

٥ ـ دُرُوسٌ إِيمَانِيَّةٌ ، وَتَلْخِيصَاتٌ نُورَانِيَّةٌ ، لِأَجْلِ طُلّابِ النُّورِ الْجُدُدِ فِي السُّجُونِ الْيُوسُفِيَّةِ . .

الْمُتَرْجِمُ ، (عفا الله عنه) . .

اَلشُّعَاعُ الْأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ . .

جوَابٌ غَرِيبٌ وَرَدَ عَلَى الْخَاطِرِ دفْعَةً ، إِزَاءَ سُؤَالَيْنِ عَجِيبَيْنِ[١] . .

. . . .

. . . .

(١) أُدْرِجَ هٰذَا الشُّعَاعُ الْأَوَّلُ ، فِي مَجْمُوعَةِ «سِكَّةِ التَّصْدِيقِ الْغَيْبِيِّ» ؛ فَلَمْ يُدْرَجْ هُنَا . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (رحمه الله) . .

اَلشُّعَاعُ الثَّانِي

اَلثَّمَرَةُ الْأَخِيرَةُ لِسِجْنِ (أَسْكِيشَهِرَ) ؛ وَالشُّعَاعُ الثَّانِي مِنَ اللَّمْعَةِ الْحَادِيَةِ وَالثَّلاثِينَ . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

لَقَدْ رَأَيْتُ هٰذَا الشُّعَاعَ قَيِّماً وَقَوِيّاً ، وَذَا أَهَمِّيَّةٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً ، فِي نُقْطَةِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ ، إِذْ صَحَّحْتُهُ فِي هٰذِهِ الْأَيَّامِ ، مَعَ كَوْنِهِ غَيْرَ مُنْتَظِمٍ بِدَرَجَةٍ مَا ؛ لِأَنَّهُ أُلِّفَ بِغَايَةِ السُّرْعَةِ ، وَبِقَلَمِي النَّاقِصِ جِدّاً ، فِي زَمَنٍ مِنْ الِانْقِبَاضِ وَالْمَرَضِ ، حِينَمَا بَقِيتُ وَحِيداً بِتَسْرِيحِ أَصْحَابِي ، فِي سِجْنِ (أَسْكِيشَهِر) ، قَبْلَ سِتَّةَ عَشَرَ عَاماً . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

اَلنُّكْتَةُ السَّابِعَةُ الْعُظْمَى : الدَّائِرَةُ حَوْلَ (اَللّٰهُ أَحَدٌ) ، ذٰلِكَ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ . .

وَالنُّكْتَةُ السَّابِعَةُ : لِلنِّكَاتِ السِّتِّ ، لِلْأَسْمَاءِ السِّتَّةِ الْعُظْمَى . .

إِخْطَارٌ :

إِنَّ هٰذِهِ الرِّسَالَةَ مُهِمَّةٌ جِدّاً فِي نَظَرِي ؛ إِذْ تَنْكَشِفُ فِيهَا أَسْرَارٌ إِيمَانِيَّةٌ مُهِمَّةٌ وَدَقِيقَةٌ جِدّاً . وَمَنْ قَرَأَ هٰذِهِ الرِّسَالَةَ مُتَفَهِّماً ؛ أَنْقَذَ إِيمَانَهُ ، إِنْ شَاءَ اللّٰهُ . وَإِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَكْتُبَهَا مُبَيِّضاً لِنَفْسِي ، لِعَدَمِ اتِّصَالِي بِأَحَدٍ هُنَا مَعَ التَّأَسُّفِ . فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَفْهَمَ قِيمَةَ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ؛ فَاقْرَأْ أَوَّلاً بِالْإِمْعَانِ ، الثَّمَرَتَيْنِ الثَّانِيَةَ

وَالثَّالِثَةَ الْمَوْجُودَتَيْنِ فِي الصَّدْرِ ، وَمَا فِي الْآخِرِ مِنَ الْخَاتِمَةِ ، وَالْمَسْأَلَةَ الَّتِي قَبْلَهَا بِصَحِيفَتَيْنِ ؛ ثُمَّ طَالِعْ تَمَامَهَا بِالتَّأَنِّي . .

اَلنُّكْتَةُ السَّابِعَةُ الْعُظْمَى : حَوْلَ (اَللّٰهُ أَحَدٌ) ، لِلنِّكَاتِ السِّتِّ ، لِلْأَسْمَاءِ السِّتَّةِ الْعُظْمَى . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ . .

نُكْتَةٌ مُحْتَشِمَةٌ لِآيَةِ : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ ، مَعَ نُكْتَةٍ دَائِرَةٍ حَوْلَ ثَلَاثِ حُجَجٍ ، وَثَلَاثَةِ مُقْتَضِيَاتٍ ، وَثَلَاثِ ثَمَرَاتٍ لِلتَّوْحِيدِ ، جَمِيلَةٌ لِلْغَايَةِ وَحُلْوَةٌ جِدّاً ، وَلَطِيفَةٌ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ أَحْسَسْتُهَا بِإِشَارَةِ قَسَمٍ نَبَوِيٍّ مَشْهُورٍ ، وَبِإِلْهَامِهِ . .

هٰذَا ، فَإِنَّ أَكْثَرَ مَا كَانَ «الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، يَسْتَعْمِلُهُ ؛ وَيَذْكُرُهُ كُلَّ وَقْتٍ بِتَكْرَارٍ ، إِذْ كَانَ يَحْلِفُ ، هُوَ قَسَمُهُ هٰذَا : ﴿وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ﴾ . .

وَهٰذَا الْقَسَمُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَوْسَعَ دَوَائِرِ شَجَرَةِ الْكَائِنَاتِ ، وَآخِرَهَا وَنِهَايَاتِهَا وَتَفَرُّعَاتِهَا ، هِيَ أَيْضاً بِقُدْرَةِ الذَّاتِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، وَبِإِرَادَتِهِ ؛ لِأَنَّ نَفْسَ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، الْمُنْتَخَبِ وَالْمُخْتَارِ مِنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، الْمُنْتَخَبِ وَالْمُمْتَازِ اخْتِيَاراً بَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُهُ مَالِكَةً لِنَفْسِهَا ؛ وَلَمْ تَكُنْ مُطْلَقَةً فِي أَفْعَالِهَا ؛ وَكَانَتْ حَرَكَاتُهَا مُرْتَبِطَةً بِاقْتِدَارٍ وَاخْتِيَارِ آخَرِيْنَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَيَّ شَيْءٍ وَأَيَّ شَأْنٍ وَأَيَّ حَالٍ وَأَيَّةَ كَيْفِيَّةٍ ، جُزْئِيّاً كَانَ أَوْ كُلِّيّاً ، أَنْ يَكُونَ فِي خَارِجِ دَائِرَةِ تَصَرُّفِ ذٰلِكَ الْاِقْتِدَارِ الْمُحِيطِ ، وَذٰلِكَ الْاِخْتِيَارِ الشَّامِلِ . نَعَمْ : إِنَّ مَا يُفِيدُهُ هٰذَا الْقَسَمُ الْمُحَمَّدِيُّ الْمُفِيدُ جِدّاً ، هُوَ تَوْحِيدُ رُبُوبِيَّةٍ مُعَظَّمٌ وَمُحِيطٌ لِلْغَايَةِ . وَقَدْ بُيِّنَتْ مِئَةٌ ، بَلْ أَلْفُ بُرْهَانٍ بَاهِرٍ ، حَوْلَ

إِثْبَاتِ هٰذَا التَّوْحِيدِ ، فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» الَّتِي هِيَ «سِرَاجُ النُّورِ» ؛ فَلِذٰلِكَ نُحِيلُ تَفَاصِيلَ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْعَالِيَةِ وَإِثْبَاتَهَا ، عَلَىٰ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَتُبَيِّنُ فِي هٰذَا «الشُّعَاعِ الثَّانِي» ، خِلَالَ ثَلَاثَةِ مَقَامَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ ، فِي صُورَةٍ مُخْتَصَرَةٍ لِلْغَايَةِ ، ثَلَاثُ ثَمَرَاتٍ كُلِّيَّةٍ لِهٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْإِيمَانِيَّةِ ، ذَاتِ الْأَهَمِّيَّةِ جِدّاً ، مِنْ ثَمَرَاتِهَا اللَّطِيفَةِ الْحُلْوَةِ لِلْغَايَةِ ، وَالنَّيِّرَةِ الْقَيِّمَةِ جِدّاً ، الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ؛ مَعَ الْإِشَارَةِ فِي مَقَامِهَا الْأَوَّلِ ، إِلَىٰ أَذْوَاقِي وَمَشَاعِرِي الَّتِي سَاقَتْ قَلْبِي إِلَىٰ تِلْكَ الثَّمَرَاتِ . .

أَمَّا فِي الْمَقَامِ الثَّانِي : فَتُبَيِّنُ ثَلَاثَةُ مُقْتَضِيَاتٍ كُلِّيَّةٍ وَأَسْبَابٍ مُوجِبَةٍ ، لِهٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْقُدْسِيَّةِ. وَإِنَّ تِلْكَ الْمُقْتَضِيَاتِ الثَّلَاثَةَ ، فِي قُوَّةِ ثَلَاثَةِ آلَافِ مُقْتَضِيَاتٍ . .

وَفِي الْمَقَامِ الثَّالِثِ : تُذْكَرُ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ لِتِلْكَ الْحَقِيقَةِ التَّوْحِيدِيَّةِ . وَإِنَّ تِلْكَ الْعَلَامَاتِ الثَّلَاثَ ، فِي قُوَّةِ ثَلَاثِمِئَةِ عَلَامَةٍ وَأَمَارَةٍ وَدَلِيلٍ . .

اَلثَّمَرَةُ الْأُولَىٰ مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ :

أَنَّ الْجَمَالَ الْإِلٰهِيَّ وَالْكَمَالَ الرَّبَّانِيَّ ، يَتَظَاهَرَانِ فِي التَّوْحِيدِ وَالْوَحْدَةِ . فَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْوَحْدَةُ ؛ تَبْقَىٰ تِلْكَ الْخَزِينَةُ الْأَزَلِيَّةُ مَخْفِيَّةً . . نَعَمْ : إِنَّ مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنَ الْكَمَالَاتِ وَالْجَمَالِ الْإِلٰهِيِّ ، وَمَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنَ الْمَحَاسِنِ وَالْحُسْنِ الرَّبَّانِيِّ ، وَمَا لَا حِسَابَ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانَاتِ وَالْبَهَاءِ الرَّحْمَانِيِّ ، وَمَا لَا غَايَةَ لَهُ مِنَ الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ الصَّمَدَانِيِّ ، إِنَّمَا تُشَاهَدُ فِي مِرْآةِ الْوَحْدَةِ ، وَفِي جِلْوَةِ الْأَسْمَاءِ الْمُرْتَكِزَةِ فِي سِيمَا الْجُزْئِيَّاتِ ، الَّتِي فِي نِهَايَةِ شَجَرَةِ الْخِلْقَةِ ، بِوَاسِطَةِ الْوَحْدَةِ . .

مَثَلاً : إِنَّ الْفِعْلَ الْجُزْئِيَّ ، الَّذِي هُوَ إِرْسَالُ لَبَنٍ خَالِصٍ صَافٍ أَبْيَضَ ، مِنْ حَيْثُ لَا يُحْتَسَبُ : ـ أَيْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ـ لِإِمْدَادِ طِفْلٍ بِلَا اقْتِدَارٍ وَلَا اخْتِيَارٍ ، إِذَا نُظِرَ إِلَيْهِ بِنَظَرِ التَّوْحِيدِ ؛ يُشَاهَدُ دَفْعَةً بِكَمَالِ الْإِشْرَاقِ ، الْجَمَالُ الْأَزَلِيُّ ، جَمَالُ رَحْمَةِ الرَّحْمٰنِ ، بِإِعَاشَةِ جَمِيعِ الْأَطْفَالِ ، الْعُمُومِيَّةِ الْكُلِّيَّةِ وَالْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ جِدّاً ، وَالْمُشْفِقَةِ كَثِيراً جِدّاً ، وَبِتَسْخِيرِ وَالِدَاتِهَا لَهَا . . وَإِنْ لَمْ يُنْظَرْ نَظْرَةَ التَّوْحِيدِ ؛ يَخْتَفِي ذٰلِكَ الْجَمَالُ الْجُزْئِيُّ ؛ وَتُحَالُ تِلْكَ الْإِعَاشَةُ الْجُزْئِيَّةُ ، عَلَى الْأَسْبَابِ وَالتَّصَادُفِ وَالطَّبِيعَةِ ؛ فَتَفْقِدُ قِيمَتَهَا ، بَلْ مَاهِيَّتَهَا أَيْضاً كُلِّيّاً . .

وَكَذَا إِنَّ الشِّفَاءَ مِنْ مَرَضٍ هَائِلٍ مَثَلاً ، إِنْ نُظِرَ إِلَيْهِ نَظَرَ التَّوْحِيدِ ؛ يُشَاهَدُ دَفْعَةً فِي صُورَةٍ كُلِّيَّةٍ وَمُشْرِقَةٍ ، جَمَالُ شَفَقَةِ الرَّحِيمِ الْمُطْلَقِ ، وَمَحَاسِنُ رَحِيمِيَّتِهِ ، فِي وَجْهِ الْإِحْسَانِ بِالشِّفَاءِ لِجَمِيعِ ذَوِي الْعِلَلِ الْمَوْجُودِينَ فِي الْمُسْتَشْفَى الْأَكْبَرِ الْمُسَمّٰى بِالْأَرْضِ ، بِعِلاجِهِمْ وَأَدْوِيَتِهِمْ مِنَ الصَّيْدَلَةِ الْكُبْرَى الْمُسَمَّاةِ بِالْعَالَمِ . . وَإِنْ لَمْ يُنْظَرْ نَظْرَةَ التَّوْحِيدِ ؛ فَإِنَّ إِعْطَاءَ ذٰلِكَ الشِّفَاءِ الْجُزْئِيِّ ـ وَلٰكِنْ عَلٰى عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَشُعُورٍ ـ يُسْنَدُ إِلٰى خَاصِّيَّاتِ الْأَدْوِيَةِ الْجَامِدَةِ ، وَإِلَى الْقُوَّةِ الْعَمْيَاءِ ، وَالطَّبِيعَةِ بِلا شُعُورٍ ؛ فَيَفْقِدُ مَاهِيَّتَهُ وَحِكْمَتَهُ وَقِيمَتَهُ كُلِّيّاً . .

وَأُبَيِّنُ نُكْتَةً لِصَلاةٍ ، وَرَدَتْ عَلَى الْخَاطِرِ بِمُنَاسَبَةِ هٰذَا الْمَقَامِ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ ﴿اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلٰى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، بِعَدَدِ كُلِّ دَاءٍ وَدَوَاءٍ ؛ وَبَارِكْ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ كَثِيراً كَثِيراً﴾ ، الَّتِي هِيَ صَلاةٌ مُسْتَعْمَلَةٌ وَمَشْهُورَةٌ لِلْغَايَةِ بَيْنَ الشَّافِعِيَّةِ ، فِي آخِرِ تَسْبِيحَاتِ الصَّلاةِ ، صَارَتْ هٰذِهِ الصَّلاةُ الشَّرِيفَةُ ، مُشَرَّفَةً وَمُفِيدَةً لِلْغَايَةِ ، مِنْ أَجْلِ أَهَمِّيَّتِهَا . فَإِنَّ حِكْمَةَ خِلْقَةِ الْإِنْسَانِ ، وَسِرَّ جَامِعِيَّتِهِ ، هُوَ أَنْ يَلْتَجِئَ إِلٰى خَالِقِهِ ؛ وَيَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ ؛ وَأَنْ يَحْمَدَهُ فَيَشْكُرَهُ كُلَّ وَقْتٍ وَكُلَّ زَمَانٍ ؛ فَلِذٰلِكَ كَانَتِ الْأَمْرَاضُ السَّائِقَ الْمُؤَثِّرَ وَالْأَقْطَعَ الَّذِي يَسُوطُ الْإِنْسَانَ ؛ فَيَسُوقُهُ إِلَى الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ ؛ كَمَا أَنَّ النِّعَمَ الْحُلْوَةَ ، الَّتِي تَسُوقُ الْإِنْسَانَ بِكَمَالِ الشَّوْقِ ، إِلَى الشُّكْرِ ؛ وَتَجْعَلُهُ ذَا امْتِنَانٍ ؛ فَتُؤَدِّي بِهِ الْحَمْدَ بِكُلِّ مَعْنَاهُ ، هِيَ أَوَّلاً الشَّفَايَا وَالْأَدْوِيَةُ وَالْعَوَافِي . وَإِنِّي حِينَمَا أَقُولُ : ﴿بِعَدَدِ كُلِّ دَاءٍ وَدَوَاءٍ﴾ ؛ أُحِسُّ أَحْيَاناً بِكُرَةِ الْأَرْضِ فِي صُورَةِ مُسْتَشْفًى ، وَبِمَوْجُودِيَّةٍ عَلَنِيَّةٍ جِدّاً ، وَشَفَقَةٍ كُلِّيَّةٍ ، وَرَحِيمِيَّةٍ قُدُسِيَّةٍ وَاسِعَةٍ ، لِلشَّافِي الْحَقِيقِيِّ الَّذِي يُحْسِنُ بِأَدْوِيَةِ جَمِيعِ الْعِلَلِ وَالْحَوَائِجِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ . .

وَكَذَا إِنَّ إِحْسَانَ الْهِدَايَةِ بِالْإِيمَانِ مَثَلاً ، إِلٰى إِنْسَانٍ أَحَسَّ بِأَلَمِ الضَّلالَةِ الْمَعْنَوِيِّ الْفَزِيعِ لِلْغَايَةِ ، إِنْ نُظِرَ إِلَيْهِ نَظَرَ التَّوْحِيدِ ؛ يُشَاهَدُ دَفْعَةً ، فِي وَجْهِ وَسِيمَا هٰذَا الْإِحْسَانِ الْأَكْبَرِ ـ وَهُوَ صَيْرُورَةُ ذٰلِكَ الْإِنْسَانِ الْجُزْئِيِّ الْعَاجِزِ الْفَانِي ، عَبْداً مُخَاطَباً لِمَعْبُودِهِ ، خَالِقِ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ وَسُلْطَانِهَا ؛ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِ بِسَعَادَةٍ أَبَدِيَّةٍ ، وَبِدُنْيَا بَاقِيَةٍ ، وَمُلْكٍ بَاقٍ مَلَكِيٍّ وَمُشْرِقٍ وَاسِعٍ جِدّاً ، بِوَاسِطَةِ الْإِيمَانِ ؛ وَجَعْلُ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ مَظْهَراً لِذٰلِكَ اللُّطْفِ أَيْضاً مِثْلَهُ ، حَسَبَ دَرَجَاتِهِمْ ـ

يُشَاهَدُ حُسْنٌ أَزَلِيٌّ ، وَجَمَالٌ دَائِمِيٌّ ، لِذَاتٍ كَرِيمٍ وَمُحْسِنٍ ؛ بِحَيْثُ يَجْعَلُ بِلَمْعَةٍ مِنْهُ ، جَمِيعَ أَهْلِ الْإِيمَانِ أَخِلّاءَ لَهُ ، وَالْقِسْمَ الْخَاصَّ مِنْهُمْ عَاشِقاً لَهُ .. وَإِنْ لَمْ يُنْظَرْ نَظْرَةَ التَّوْحِيدِ ، فَإِمَّا يُحِيلُ ذٰلِكَ الْإِيمَانَ الْجُزْئِيَّ عَلَى نَفْسِهِ ، كَالْمُعْتَزِلَةِ الْمُتَحَكِّمَةِ وَالْمُغْتَرَّةِ ، أَوْ عَلَى بَعْضِ الْأَسْبَابِ ؛ فَتَنْزِلُ تِلْكَ الدُّرَّةُ الرَّحْمَانِيَّةُ ، الَّتِي ثَمَنُهَا وَقِيمَتُهَا الْجَنَّةُ ، إِلَى دَرَجَةِ قِطْعَةِ زُجَاجٍ ؛ فَتَفْقِدُ لَمْعَةَ الْجَمَالِ الْقُدُسِيِّ الَّذِي كَانَتْ تَعْكِسُهَا ..

فَقِيَاساً عَلَى هٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ الثَّلاثَةِ ، تُشَاهَدُ آلافُ أَنْوَاعٍ ، وَمِئَاتُ آلافِ أَصْنَافٍ ، مِنَ الْجَمَالِ الْإِلٰهِيِّ وَالْكَمَالِ الرَّبَّانِيِّ ؛ وَتُفْهَمُ وَتُعْلَمُ ؛ وَيُثْبَتُ تَحَقُّقُهَا ، فِي جُزْئِيَّاتِ أَحْوَالِ الْجُزْئِيَّاتِ ، الَّتِي هِيَ فِي مُنْتَهَى دَائِرَةِ الْكَثْرَةِ ، فِي نُقْطَةِ التَّوْحِيدِ ، بِجِهَةِ ارْتِكَازِهَا فِيهَا ..

هٰذَا ، فَلِأَنَّ الْجَمَالَ وَالْكَمَالَ الْإِلٰهِيَّيْنِ يُشَاهَدَانِ قَلْباً ؛ وَيُحَسُّ بِهِمَا رُوحاً ، فِي التَّوْحِيدِ ، يَجِدُ جَمِيعُ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ ، أَحْلَى أَذْوَاقِهِمْ وَأَعْذَبَ أَرْزَاقِهِمُ الْمَعْنَوِيَّةِ ، فِي ذِكْرِ : «لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ» الَّتِي هِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ ، وَفِي تَكْرَارِهَا .. وَأَيْضاً لِأَنَّ عَظَمَةَ الْكِبْرِيَاءِ ، وَالْجَلالَ السُّبْحَانِيَّ ، وَالسَّلْطَنَةَ الْمُطْلَقَةَ لِلرُّبُوبِيَّةِ الصَّمَدَانِيَّةِ ، تَتَحَقَّقُ فِي كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ ، قَالَ «الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) : ﴿أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : «لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ»﴾ ؛ يَعْنِي : أَنَّ أَفْضَلَ أَقْوَالِي فَضِيلَةً وَقِيمَةً ، وَأَقْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَتَوْا مِنْ قَبْلِي ، هُوَ كَلامُ : «لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ» ..

نَعَمْ : إِنَّ إِحْسَاناً مَّا ، وَنِعْمَةً وَرِزْقاً مَّا ، كَثَمَرَةٍ وَزَهْرَةٍ وَلَمْعَةٍ ، بَيْنَمَا كَانَتْ مَرَايَا صَغِيرَةً ، فَإِذَا بِهَا تَتَكَاثَفُ بِسِرِّ التَّوْحِيدِ ؛ فَتَتَّصِلُ بِجَمِيعِ أَمْثَالِهَا ؛ فَلِذٰلِكَ تَعُودُ تِلْكَ الْأَنْوَاعُ مَرَايَا كَبِيرَةً ؛ فَتُظْهِرُ نَوْعاً مِنْ جَمَالٍ إِلٰهِيٍّ مُتَلَأْلِئٍ مَخْصُوصٍ بِتِلْكَ الْأَنْوَاعِ ؛ وَتُرِي نَوْعاً بَاقِياً مِنْ حُسْنٍ سَرْمَدِيٍّ ، بِالْحُسْنِ الْفَانِي الْمُؤَقَّتِ ؛ وَتَصِيرُ مِرْآةَ جَمَالٍ إِلٰهِيٍّ ، بِسِرِّ : «أَنَّ تِلْكَ الْخَيَالِيَّاتِ الَّتِي هِيَ شَبَكَةُ الْأَوْلِيَاءِ ، هِيَ صُوَرُ حِسَانِ الْوُجُوهِ فِي حَدِيقَةِ اللهِ»(١) ، كَمَا قَالَ مَوْلانَا جَلالُ

---

(١) أَصْلُ الْبَيْتِ الْفَارِسِيِّ : «آنْ خَيَالاتِي كِه دَامِ أَوْلِيَاسْت ❁ عَكْسِ مَهْرُويَانِ بُوسْتَانِ خُدَاسْت ❁» ..
وَمَوْلانَا الْمَذْكُورُ هُوَ الشَّيْخُ جَلالُ الدِّينِ الرُّومِيُّ الشَّهِيرُ ، مُؤَسِّسُ الطَّرِيقَةِ الْمَوْلَوِيَّةِ .. اَلْمُتَرْجِمُ ، (رَحِمَهُ اللهُ) ..

الدِّينِ . . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ سِرُّ التَّوْحِيدِ ؛ تَبْقَى تِلْكَ الثَّمَرَةُ الْجُزْئِيَّةُ عَلٰى حِدَتِهَا ؛ فَلَا تُظْهِرُ ذٰلِكَ الْجَمَالَ الْقُدُسِيَّ ، وَلَا ذٰلِكَ الْكَمَالَ الْعُلْوِيَّ ؛ وَيَنْطَفِئُ مَا فِيهَا مِنْ لَمْعَةٍ جُزْئِيَّةٍ ؛ وَتَغِيبُ أَيْضاً ؛ كَأَنَّهَا تَصِيرُ مُنْتَكِسَةً ؛ فَتَعُودُ مِنَ الْأَلْمَاسِ إِلَى الزُّجَاجِ . .

وَكَذَا يَتَظَاهَرُ بِسِرِّ التَّوْحِيدِ ، فِي ذَوَاتِ الْحَيَاةِ ، الَّتِي هِيَ ثَمَرَاتُ شَجَرَةِ الْخِلْقَةِ ، ذَاتِيَّةٌ إِلٰهِيَّةٌ ، وَأَحَدِيَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ ، وَسِيمَا رَحْمَانِيَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ ، وَتَمَرْكُزٌ أَسْمَائِيٌّ حَسَبَ الصِّفَاتِ السَّبْعِ ، وَجَلْوَةُ تَعَيُّنٍ وَتَشَخُّصٍ لِلذَّاتِ الْمُخَاطَبِ لِلْخِطَابِ فِي : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ؛ وَإِلَّا تَنْبَسِطُ جَلْوَةُ تِلْكَ الذَّاتِيَّةِ وَالْأَحَدِيَّةِ ، وَتِلْكَ السِّيمَا وَذٰلِكَ التَّعَيُّنِ ؛ وَتَتَوَسَّعُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكَائِنَاتِ ؛ فَتَنْتَشِرُ وَتَخْتَفِي ؛ وَإِنَّمَا تُرٰى لِلْأَبْصَارِ الْقَلْبِيَّةِ الْكَبِيرَةِ وَالْمُحِيطَةِ جِدّاً ؛ لِأَنَّ الْعَظَمَةَ وَالْكِبْرِيَاءَ تَصِيرُ حِجَاباً ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ قَلْبُ كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَرَاهَا . .

وَكَذَا يُفْهَمُ فِي تِلْكَ الْجُزْئِيَّاتِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ ، فِي صُورَةٍ ظَاهِرَةٍ جِدّاً : أَنَّ صَانِعَهَا يَرَاهَا وَيَعْلَمُهَا وَيَسْمَعُهَا وَيَصْنَعُهَا كَمَا يَشَاءُ ؛ فَيَتَرَاءٰى لِلْإِيمَانِ عَادَةً ، وَرَاءَ صُنْعِ ذٰلِكَ الْحَيِّ ، تَشَخُّصٌ وَتَعَيُّنٌ مَعْنَوِيٌّ لِذَاتٍ مُقْتَدِرٍ مُخْتَارٍ ، سَمِيعٍ عَلِيمٍ بَصِيرٍ ؛ وَلَاسِيَّمَا أَنَّ ذٰلِكَ التَّشَخُّصَ الْمَعْنَوِيَّ ، وَذَاكَ التَّعَيُّنَ الْقُدُسِيَّ ، يُشَاهَدَانِ بِسِرِّ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ ، بِوَجْهٍ عَلَنِيٍّ لِلْغَايَةِ ، وَرَاءَ خِلْقَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ لِأَنَّ فِي الْإِنْسَانِ نَمَاذِجَ الْمَعَانِي الَّتِي هِيَ أُسُسُ ذٰلِكَ التَّشَخُّصِ الْأَحَدِيِّ ، مِثْلُ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْحَيَاةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ ؛ وَيُشِيرُ الْإِنْسَانُ إِلَيْهَا بِتِلْكَ النَّمَاذِجِ ؛ لِأَنَّ مَنْ يُعْطِي الْبَصَرَ مَثَلاً ، يَرَى الْبَصَرَ ؛ وَيَرٰى رُؤْيَةَ الْبَصَرِ أَيْضاً ذٰلِكَ الْمَعْنَى الدَّقِيقَ ؛ ثُمَّ يُعْطِيهِ . نَعَمْ : إِنَّ صَانِعَ النَّظَّارَاتِ الَّذِي يَصْنَعُ لِعَيْنِكَ نَظَّارَةً ، يَرٰى مُنَاسَبَةَ النَّظَّارَةِ لِلْعَيْنِ ؛ ثُمَّ يَصْنَعُهَا . وَأَيْضاً إِنَّ مَنْ يُعْطِي السَّمْعَ ، يَسْمَعُ سَمَاعَ ذٰلِكَ السَّمْعِ قَطْعاً ؛ ثُمَّ يَصْنَعُهُ فَيُعْطِيهِ . فَلْيُقَسْ سَائِرُ الصِّفَاتِ عَلٰى هٰذَا . وَأَيْضاً إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ نُقُوشَ الْأَسْمَاءِ وَجِلْوَاتِهَا ؛ فَيَشْهَدُ بِهَا عَلٰى تِلْكَ الْمَعَانِي الْقُدُسِيَّةِ . وَأَيْضاً إِنَّ الْإِنْسَانَ يَعْكِسُ بِوَجْهٍ آخَرَ ، بِضَعْفِهِ وَعَجْزِهِ ، وَبِفَقْرِهِ وَجَهْلِهِ ؛ فَيَشْهَدُ بِهَا أَيْضاً ، عَلٰى قُدْرَةِ مَنْ يَرْحَمُهُ وَيَمُدُّ ضَعْفَهُ وَفَقْرَهُ ، وَعَلٰى عِلْمِهِ وَإِرَادَتِهِ ؛ وَهٰكَذَا سَائِرُ صِفَاتِهِ . .

هٰذَا، فَإِنَّ الْأَسْمَاءَ الْإِلٰهِيَّةَ الْأَلْف وَالْوَاحِدَ، تَرْتَكِزُ بِسِرِّ الْوَحْدَةِ، فِي مُنْتَهٰى دَائِرَةِ الْكَثْرَةِ، وَفِي جُزْئِيَّاتِهَا الْأَكْثَرِ انْتِشَاراً؛ فَتُقْرَأُ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ وَاضِحَةً، فِي الْمَكْتُوبَاتِ الصَّغِيرَةِ الْمُسَمَّاةِ بِذَوَاتِ الْحَيَاةِ؛ فَلِذٰلِكَ يُكْثِرُ ذٰلِكَ الصَّانِعُ الْحَكِيمُ، نُسَخَ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ كَثِيراً؛ وَلَاسِيَّمَا أَنَّهُ يُكْثِرُ نُسَخَ طَوَائِفِ الصِّغَارِ مِنْ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ، عَلٰى أَنْمَاطٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً؛ وَيَنْشُرُهَا إِلٰى كُلِّ جَانِبٍ..

وَإِنَّ مَا أَوْصَلَنِي وَسَاقَنِي إِلٰى حَقِيقَةِ هٰذِهِ الثَّمَرَةِ الْأُولٰى، هُوَ حِسٌّ ذَوْقِيٌّ لِي. وَذٰلِكَ: أَنَّ أَحْوَالَ ذَوِي الْحَيَاةِ، وَلَاسِيَّمَا ذَوِي الشُّعُورِ مِنْهُمْ، وَخَاصَّةً الْإِنْسَانَ، وَخُصُوصاً الْمَظْلُومِينَ وَالْمُبْتَلَيْنَ بِالْمُصِيبَةِ، كَانَتْ فِي زَمَنٍ مَّا، تَمَسُّ رِقَّتِي وَشَفَقَتِي وَقَلْبِي كَثِيراً جِدّاً، مِنْ زِيَادَةِ رِقَّتِي وَكَثْرَةِ شَفَقَتِي، وَمِنْ حِسِّ التَّأَلُّمِ؛ فَكُنْتُ أَقُولُ قَلْباً: إِنَّ هٰذِهِ الْقَوَانِينَ الْمُتَنَاسِقَةَ الْحَاكِمَةَ فِي الْعَالَمِ، لَا تَسْتَمِعُ إِلٰى شَكَاوٰى هٰؤُلَاءِ الْبَائِسِينَ الْعَجَزَةِ الضُّعَفَاءِ؛ كَمَا أَنَّ الْحَوَادِثَ وَالْعَنَاصِرَ الْمُسْتَوْلِيَةَ الصَّمَّاءَ، لَا تَسْمَعُهَا أَيْضاً؛ أَفَلَا يُوجَدُ مَنْ يَرْحَمُ بِأَحْوَالِهَا الذَّلِيلَةِ هٰذِهِ؛ فَيَتَدَخَّلُ فِي شُؤُونِهَا الْخَاصَّةِ؟. هٰكَذَا كَانَتْ رُوحِي تَسْتَغِيثُ مِنْ عُمْقٍ عَمِيقٍ. أَوَلَا يُوجَدُ لِأُولَائِكَ الْمَمَالِيكِ الْجَمِيلَةِ جِدّاً، وَلِتِلْكَ الْأَمْوَالِ الْقَيِّمَةِ كَثِيراً، وَلِأُولَائِكَ الْأَصْدِقَاءِ ذَوِي الِامْتِنَانِ وَالْمُشْتَاقِينَ كَثِيراً، مَالِكٌ وَصَاحِبٌ وَصَدِيقٌ حَقِيقِيٌّ لَهُمْ، يَعْتَنِي بِشُؤُونِهِمْ؛ وَيُصَاحِبُهُمْ فَيَحْمِيهِمْ؟. هٰكَذَا كَانَ قَلْبِي يَصْرُخُ بِكُلِّ قُوَّتِهِ..

أَمَّا الْجَوَابُ الْوَافِي وَالْكَافِي، الْمُسَكِّنُ وَالْمُقْنِعُ لِغِيَاثِ رُوحِي، وَلِصُرَاخِ قَلْبِي: فَإِنِّي عَلِمْتُ بِسِرِّ الْقُرْآنِ، وَبِنُورِ الْإِيمَانِ: أَنَّ الذَّاتَ ذَا الْجَلَالِ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيمَ، لَهُ إِحْسَانَاتٌ خُصُوصِيَّةٌ، وَإِمْدَادَاتٌ خَاصَّةٌ فَوْقَ الْقَوَانِينِ، لِمَمَالِيكِهِ أُولَائِكَ الْمَحْبُوبِينَ الْبَاكِينَ وَالْمُرْتَجِفِينَ تَحْتَ تَضْيِيقَاتِ الْقَوَانِينِ الْعَامَّةِ، وَتَهَاجُمَاتِ الْحَادِثَاتِ؛ وَلَهُ رُبُوبِيَّةٌ خُصُوصِيَّةٌ تِجَاهَ كُلِّ شَيْءٍ مُبَاشَرَةً؛ وَهُوَ نَفْسُهُ يُؤَدِّي بِالذَّاتِ تَدْبِيرَ كُلِّ شَيْءٍ؛ وَيَسْتَمِعُ بِالذَّاتِ إِلٰى شَكَاوٰى كُلِّ شَيْءٍ؛ وَهُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ، وَصَاحِبُهُ وَحَامِيهِ الْحَقِيقِيُّ، بِسِرِّ التَّوْحِيدِ. فَأَحْسَسْتُ بِسُرُورٍ لَا نِهَايَةَ لَهُ، مَكَانَ ذٰلِكَ الْيَأْسِ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ؛ وَاكْتَسَبَ كُلُّ ذِي حَيَاةٍ، قِيمَةً وَأَهَمِّيَّةً بِآلَافِ دَرَجَةٍ

فِي نَظَرِي ، بِجِهَةِ كَوْنِهِ مَنْسُوباً وَمَمْلُوكاً لِمَالِكٍ ذِي جَلاَلٍ كَذٰلِكَ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كُلُّ أَحَدٍ يَفْتَخِرُ بِشَرَفِ سَيِّدِهِ ؛ وَيَحْصُلُ عَلٰى عِزَّةٍ بِمَقَامِ مَنْ هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ وَبِشُهْرَتِهِ ؛ فَلاَ رَيْبَ أَنَّ نَمْلَةً تَغْلِبُ فِرْعَوْناً بِقُوَّةِ ذٰلِكَ الاِنْتِسَابِ ، فِي صُورَةِ انْكِشَافِ هٰذَا الاِنْتِسَابِ وَالْمُلْكِيَّةِ بِنُورِ الْإِيمَانِ ؛ كَمَا أَنَّ تِلْكَ النَّمْلَةَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْتَخِرَ بِشَرَفِ ذٰلِكَ الاِنْتِسَابِ أَيْضاً ، بِقَدَرِ أَلْفِ فِرْعَوْنٍ غَافِلٍ يَظُنُّ نَفْسَهُ مَالِكَةً لِنَفْسِهِ ، وَمُطْلَقَةَ الرَّأْسِ ؛ وَيَفْتَخِرُ بِأَجْدَادِهِ وَبِمُلْكِ مِصْرَ ؛ وَيَنْطَفِئُ افْتِخَارُهُ ذٰلِكَ فِي بَابِ الْقَبْرِ ؛ وَأَنَّ الذُّبَابَةَ تُرِي شَرَفَ انْتِسَابِهَا ، مُقَابِلَ افْتِخَارِ نُمْرُودٍ ، الْمُنْقَلِبِ إِلَى الْعَذَابِ وَالْعَارِ ، فِي وَقْتِ السَّكَرَاتِ ؛ فَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُسْقِطَ افْتِخَارَهُ إِلَى الْعَدَمِ . .

هٰذَا ، فَإِنَّ آيَةَ : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ، تُعْلِمُ بِهٰذِهِ الْإِفَادَةِ : أَنَّ فِي الشِّرْكِ ظُلْماً عَظِيماً جِدّاً لَا حَدَّ لَهُ ؛ وَأَنَّ الشِّرْكَ جُرْمٌ يَكُونُ اعْتِدَاءً عَلٰى حَقِّ كُلِّ مَخْلُوقٍ ، وَعَلٰى شَرَفِهِ وَكَرَامَتِهِ ؛ فَلاَ يُنَظِّفُهُ إِلَّا جَهَنَّمُ . .

اَلثَّمَرَةُ الثَّانِيَةُ لِلتَّوْحِيدِ :

فَكَمَا أَنَّ الثَّمَرَةَ الْأُولٰى ، تَنْظُرُ إِلَى الذَّاتِ الْأَقْدَسِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَإِنَّ هٰذِهِ الثَّمَرَةَ أَيْضاً ، تَنْظُرُ إِلٰى ذَاتِ الْكَائِنَاتِ وَمَاهِيَّتِهَا . نَعَمْ : بِسِرِّ الْوَحْدَةِ ، تَتَحَقَّقُ كَمَالاَتُ الْكَائِنَاتِ ؛ وَتُفْهَمُ عُلْوِيَّاتُ وَظَائِفِ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَتَتَقَرَّرُ نَتِيجَةُ خِلْقَةِ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ وَتُعْلَمُ قِيمَةُ الْمَصْنُوعَاتِ ؛ وَتَجِدُ الْمَقَاصِدُ الْإِلٰهِيَّةُ الْوُجُودَ فِي هٰذَا الْعَالَمِ ؛ وَتَتَظَاهَرُ حِكْمَةُ خِلْقَةِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ وَذَوِي الشُّعُورِ ، وَسِرُّ إِيجَادِهَا ؛ وَيُرٰى وَجْهُ الرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ الْجَمِيلُ الْمُتَبَسِّمُ ، وَرَاءَ سِيمَا الْعَوَاصِفِ الْقَهَّارَةِ ، سِيمَاهَا الْعَبُوسَةِ الْغَاضِبَةِ ، بَيْنَ هٰذِهِ التَّحَوُّلاَتِ الْمُورِثَةِ لِلدَّهْشَةِ ؛ وَيُعْلَمُ أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ الْآفِلَةَ فِي الْفَنَاءِ وَالزَّوَالِ ، تَتْرُكُ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ ، وُجُودَاتٍ كَثِيرَةً لَهَا ، فِي مَكَانِهَا ، مِثْلَ نَتَائِجِهَا وَهُوِيَّاتِهَا وَمَاهِيَّاتِهَا وَأَرْوَاحِهَا وَتَسْبِيحَاتِهَا ؛ ثُمَّ تَذْهَبُ هِيَ . وَإِنَّ الْعِلْمَ بِأَنَّ الْكَائِنَاتِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلٰى آخِرِهَا ، كِتَابٌ صَمَدَانِيٌّ مُفِيدٌ لِلْغَايَةِ ؛ وَأَنَّ الْمَوْجُودَاتِ مِنَ الْفَرْشِ إِلَى الْعَرْشِ ، مَجْمُوعَةُ مَكْتُوبَاتٍ سُبْحَانِيَّةٍ مُعْجِزَةٍ لِلْغَايَةِ ؛ وَأَنَّ جَمِيعَ طَوَائِفِ الْمَخْلُوقَاتِ ، جَيْشٌ رَبَّانِيٌّ مُنْتَظَمٌ وَمُحْتَشِمٌ لِلْغَايَةِ ؛ وَأَنَّ جَمِيعَ

قَبائِلِ الْمَصْنُوعَاتِ ، مِنَ الْجُرْثُومَةِ وَالنَّمْلَةِ ، إِلَى الْكَرْكَدَّنِ وَالْجَوارِحِ وَالْكَواكِبِ السَّيَّارَةِ ، مُوَظَّفُو السُّلْطَانِ الْأَزَلِيِّ الْمُلْتَزِمُونَ لِلْغايَةِ ؛ وَأَنَّ اتِّخاذَ كُلِّ شَيْءٍ ، قِيمَةً أَعْلَى مِنْ قِيمَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ آلافَ دَرَجَةٍ ، بِجِهَةِ الِانْعِكاسِ وَالِانْتِسابِ ؛ وَأَنَّ انْكِشافَ مُعَمَّى الْأَسْئِلَةِ لَهُ ، الْمُطَلْسَمَةِ الَّتِي لا تُحَلُّ ، وَهِيَ : «مِنْ أَيْنَ يَأْتِي سَيْلُ الْمَوْجُوداتِ ، وَقافِلَةُ الْمَخْلُوقاتِ ؛ وَإِلَى أَيْنَ سَتَذْهَبُ ؛ وَلِماذا أَتَتْ ؛ وَماذا تَفْعَلُ ؟» ، إِنَّما هُوَ بِسِرِّ التَّوْحِيدِ فَقَطْ ؛ وَإِلّا تَنْطَفِئُ كَمالاتُ الْكائِنَاتِ ، هٰذِهِ الْكَمالاتُ الْعالِيَةُ الْمَذْكُورَةُ ؛ وَتَنْقَلِبُ حَقائِقُها الْعُلْوِيَّةُ الْقُدُسِيَّةُ تِلْكَ ، بِأَضْدادِها . .

هٰذا ، فَجِنايَةُ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ ، بِجِهَةِ كَوْنِها اعْتِداءً عَلَى كَمالاتِ الْكائِناتِ ، وَعَلَى حُقُوقِها الْعُلْوِيَّةِ ، وَعَلَى حَقائِقِها الْقُدُسِيَّةِ كُلِّها ، تُغْضِبُ الْكائِناتِ ؛ وَتُسْخِطُ الْأَرْضَ وَالسَّماواتِ ، عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ ؛ وَتَتَّفِقُ الْعَناصِرُ لِإِهْلاكِهِمْ ؛ فَتُغْرِقُ وَتَخْنُقُ أَهْلَ الشِّرْكِ ، مِثْلَ قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ ؛ وَتَغِيظُ جَهَنَّمُ أَيْضاً عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ ؛ وَتَحْتَدُّ بِحَيْثُ تَأْتِي إِلَى دَرَجَةِ التَّمَزُّقِ ، بِسِرِّ آيَةِ : ﴿تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ . نَعَمْ : إِنَّ الشِّرْكَ احْتِقارٌ كَبِيرٌ ، وَاعْتِداءٌ عَظِيمٌ ، عَلَى الْكائِناتِ ؛ وَإِنَّهُ يَهْضِمُ شَرَفَ الْكائِناتِ ، بِإِنْكارِ وَظائِفِها الْقُدُسِيَّةِ ، وَحِكَمِ الْخِلْقَةِ . .

فَنُشِيرُ عَلَى سَبِيلِ الْمِثالِ ، إِلَى مِثالٍ واحِدٍ فَقَطْ مِنْ آلافِ أَمْثِلَتِهِ . . مَثَلاً : إِنَّ الْكائِناتِ تَكُونُ بِسِرِّ الْوَحْدَةِ ، فِي حُكْمِ مَلَكٍ جَسِيمٍ وَجِسْمانِيٍّ ، لَهُ مِئاتُ آلافِ الرُّؤُوسِ ، بِعَدَدِ أَنْواعِ الْمَوْجُوداتِ ؛ وَفِي كُلِّ رَأْسٍ ، لَهُ مِئاتُ آلافِ الْأَفْواهِ ، بِعَدَدِ الْأَفْرادِ الْمَوْجُودَةِ فِي ذٰلِكَ النَّوْعِ ؛ وَفِي كُلِّ فَمٍ ، لَهُ مِئاتُ آلافِ الْأَلْسِنَةِ ، بِمِقْدارِ أَجْهِزَةِ ذٰلِكَ الْفَرْدِ ، وَأَجْزائِهِ وَأَعْضائِهِ وَخَلاياهُ ؛ فَتَكُونَ عَجِيبَةً مِنْ عَجائِبِ الْمَخْلُوقاتِ ، صاحِبَةَ مَقامٍ عالٍ فِي الْعُبُودِيَّةِ مِثْلَ «إِسْرافِيلَ» ، تُقَدِّسُ صانِعَها ؛ فَتُسَبِّحُ لَهُ بِتِلْكَ الْأَلْسِنَةِ ؛ وَإِنَّها تَكُونُ بِسِرِّ التَّوْحِيدِ ، مَزْرَعَةً تُنْتِجُ مَحاصِيلَ كَثِيرَةً لِعَوالِمِ الْآخِرَةِ وَمَنازِلِها ؛ وَمَصْنَعاً يُحَصِّلُ لَوازِمَ لِطَبَقاتِ دارِ السَّعادَةِ ، بِحاصِلاتِهِ الْكَثِيرَةِ ، كَالْأَعْمالِ الْبَشَرِيَّةِ ؛ وَآلَةً مُصَوِّرَةً لَها مِئاتُ آلافِ وُجُوهٍ سِينَمائِيَّةٍ ، تَعْمَلُ دائِماً لِإِراءَةِ مَناظِرَ سَرْمَدِيَّةٍ مَنْقُولَةٍ مِنَ الدُّنْيا لِأَهْلِ التَّفَرُّجِ فِي عالَمِ الْبَقاءِ ، وَلاسِيَّما فِي الْجَنَّةِ الْعُلْيا . فَإِذا بِالشِّرْكِ

يُحَوِّلُ هٰذَا الْمَلَكَ الْجِسْمَانِيَّ الْحَيَّ ، الْمُطِيعَ تَمَاماً ، وَالْعَجِيبَ جِدّاً ، إِلىٰ صُورَةِ مَجْمُوعَةٍ وَاهِيَةٍ ذَلِيلَةٍ ، جَامِدَةٍ بِلَا رُوحٍ ، فَانِيَةٍ بِلَا وَظِيفَةٍ ، هَالِكَةٍ بِلَا مَعْنًى ، تَتَدَحْرَجُ فِي ظُلُمَاتِ الْعَدَمِ ، تَحْتَ هَرْجٍ وَمَرْجِ الْحَادِثَاتِ ، وَبَيْنَ عَوَاصِفِ الِانْقِلَابَاتِ ؛ وَيُحَوِّلُ هٰذَا الْمَصْنَعَ النَّافِعَ ، الْمُنْتَظِمَ تَمَاماً ، وَالْغَرِيبَ كَثِيراً ، إِلىٰ صُورَةِ مَلْهَى التَّصَادُفَاتِ بِلَا شُعُورٍ ، وَمَلْعَبِ الطَّبِيعَةِ الصَّمَّاءِ وَالْقُوَّةِ الْعَمْيَاءِ ، وَمَأْتَمِ عُمُومِ ذَوِي الشُّعُورِ ، وَمَجْزَرَةِ جَمِيعِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ وَمَخْزَنِهَا ، عَاطِلاً فَاسِداً بِلَا مَحْصُولٍ ، وَبِدُونِ نَتِيجَةٍ ، وَبِغَيْرِ عَمَلٍ . هٰذَا ، فَكَمْ يَكُونُ الشِّرْكُ مَدَاراً لِجِنَايَاتٍ كَثِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ ؛ وَهُوَ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ ؛ فَيَجْعَلُ أَهْلَ الشِّرْكِ مُسْتَحِقاً بِعَذَابٍ بِلَا حَدٍّ فِي جَهَنَّمَ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالىٰ : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ؟ .

وَمَهْمَا كَانَ ، فَقَدْ تَرَكْنَا هٰذِهِ الْقِصَّةَ الطَّوِيلَةَ مُخْتَصَرَةً ، لِأَنَّ إِيضَاحَاتِ هٰذِهِ الثَّمَرَةِ الثَّانِيَةِ وَحُجَجِهَا ، قَدْ بُيِّنَتْ فِي «سِرَاجِ النُّورِ» مُكَرَّرَةً . .

وَإِنَّ مَا سَاقَنِي وَأَوْصَلَنِي إِلىٰ هٰذِهِ الثَّمَرَةِ الثَّانِيَةِ ، حِسٌّ عَجِيبٌ ، وَذَوْقٌ غَرِيبٌ . وَذٰلِكَ : أَنِّي بَيْنَمَا كُنْتُ أَتَفَرَّجُ فِي زَمَنٍ مَا فِي مَوْسِمِ الرَّبِيعِ ، رَأَيْتُ أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ ، وَلَاسِيَّمَا الْمَخْلُوقَاتِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ ، وَخُصُوصاً ذَوَاتِ الْحَيَاةِ الصَّغِيرَةِ جِدّاً ، الْآتِيَةَ وَالرَّاحِلَةَ قَافِلَةً وَرَاءَ قَافِلَةٍ ، بَيْنَ سَيَرَانٍ وَسَيَلَانٍ ، يُظْهِرُ مِئَاتِ آلَافِ مِثَالٍ لِلْحَشْرِ وَالنَّشْرِ الْأَعْظَمِ ، فِي وَجْهِ الْأَرْضِ ، تَتَرَاءَىٰ فِي زَمَنٍ قَصِيرٍ ؛ فَتَغِيبُ عَقِيبَ ذٰلِكَ ؛ وَأَنَّ أَلْوَاحَ الْمَوْتِ وَالزَّوَالِ ، بَيْنَ فَعَّالِيَّةٍ مُدْهِشَةٍ دَائِمَةٍ ، كَانَتْ تَتَظَاهَرُ لِي حَزِينَةً جِدّاً ؛ فَتَمَسُّ رِقَّتِي بِشِدَّةٍ ؛ فَتُبْكِينِي . وَكَانَ قَلْبِي يَتَأَلَّمُ كُلَّمَا أَرَىٰ وَفَاةَ تِلْكَ الْحُوَيْنَاتِ الْجَمِيلَةِ ؛ وَكُنْتُ أَقُولُ : آهْ وَاأَسَفَاهْ ! . وَاهْ يَا لَلْأَسَفِ ! . فَأُحِسُّ بِعَوِيلٍ رُوحِيٍّ مِنْ عُمْقٍ عَمِيقٍ ، تَحْتَ هٰذِهِ الْآهَاتِ وَالْوَاهَاتِ . فَرَأَيْتُ الْحَيَاةَ الْمُلَاقِيَةَ لِهٰذِهِ الْعَاقِبَةِ ، عَذَاباً أَبْتَرَ مِنَ الْمَوْتِ . وَكَذَا إِنَّ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ ، الْجَمِيلَةَ الْمَحْبُوبَةَ لِلْغَايَةِ ، وَالْقَيِّمَةَ الْمُصَنَّعَةَ كَثِيراً ، فِي عَالَمِ النَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، تَفْتَحُ عُيُونَهَا ؛ فَتَنْظُرُ إِلىٰ مُتَنَزَّهِ الْكَائِنَاتِ هٰذَا ، فِي دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ فَتَفْنَىٰ وَتَذْهَبُ لِحِينِهَا . فَكُنْتُ كُلَّمَا أَتَفَرَّجُ عَلَىٰ هٰذَا الْحَالِ ، تَرْتَعِدُ أَكْبَادِي ؛ وَتُرِيدُ أَنْ تَشْتَكِيَ بِالْبُكَاءِ ؛ فَلِمَاذَا يَأْتِينَ ؟ وَلِمَ لَا يَتَوَقَّفْنَ ؛ فَيَذْهَبْنَ ؟ . هٰكَذَا كَانَ قَلْبِي يَسْأَلُ أَسْئِلَةً هَائِلَةً ، تِجَاهَ

الْفَلَكِ . وَكُنْتُ كُلَّمَا أَرى هٰذِهِ الْمَصْنُوعَاتِ الصَّغِيرَةَ جِدّاً ، الَّتِي تُعْدَمُ هٰكَذَا فَوْراً ، بِلا فَائِدَةٍ وَلا غَايَةٍ وَبِدُونِ نَتِيجَةٍ ، تُمَزِّقُ مِثْلَ الْجَرَدَاتِ الَّتِي لا أَهَمِّيَّةَ لَهَا لِلْغَايَةِ ؛ فَتُلْقى فِي ظُلُمَاتِ الْعَدَمِ ، بَعْدَمَا تُخْلَقُ فِي صُورَةٍ قَيِّمَةٍ بِاهْتِمَامٍ وَدِقَّةٍ ، وَبِصَنْعَةٍ وَأَجْهِزَةٍ ، وَبِتَرْبِيَةٍ وَتَدْبِيرٍ بِهٰذَا الْقَدَرِ ، أَمَامَ أَعْيُنِنَا ، كَانَتْ جَمِيعُ لَطَائِفِي وَحَوَاسِّي ، الْمَفْتُونَةِ بِالْكَمَالاتِ ، وَالْمُبْتَلاةِ بِالْمَحَاسِنِ ، وَالْعَاشِقَةِ لِلْأَشْيَاءِ الْقَيِّمَةِ ، تَسْتَغِيثُ فَتَصْرُخُ : لِمَاذَا لا يُرْحَمُ عَلى هٰؤُلاءِ ؟ أَلَيْسَتْ جَدِيرَةً بِالتَّأَسُّفِ عَلَيْهَا ؟ وَمِنْ أَيْنَ جَاءَ الْفَنَاءُ وَالزَّوَالُ ، فِي هٰذَا الدَّوَرَانِ الدَّوَّاخِ لِلرَّأْسِ ؛ فَتَسَلَّطَ عَلى هٰؤُلاءِ الْبَائِسِينَ ؟ . فَحِينَمَا شَرَعَتْ هٰكَذَا الاِعْتِرَاضَاتُ الْهَائِلَةُ ضِدَّ الْقَدَرِ ، بِالْكَيْفِيَّاتِ الْأَلِيمَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْوَجْهِ الظَّاهِرِ لِلْمُقَدَّرَاتِ الْحَيَوِيَّةِ ، أَدْرَكَ التَّوْحِيدُ بَغْتَةً لِإِمْدَادِي ، بِنُورِ الْقُرْآنِ وَسِرِّ الْإِيمَانِ وَلُطْفِ الرَّحْمٰنِ ؛ فَنَوَّرَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ ؛ وَحَوَّلَ جَمِيعَ آهَاتِي وَحَسَرَاتِي إِلَى الْفَرَحَاتِ ، وَبُكَايَايَ إِلَى الْمَسَرَّاتِ ، وَأَقْوَالِي بِذٰلِكَ الْأَسَفِ ، إِلى قَوْلِي : «مَا شَاءَ اللّٰهُ ؛ بَارَكَ اللّٰهُ» ؛ وَأَنْطَقَنِي بِقَوْلِ : «اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلى نُورِ الْإِيمَانِ» ؛ لِأَنِّي رَأَيْتُ بِسِرِّ الْوَحْدَةِ : أَنَّ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ ، وَلاسِيَّمَا لِكُلِّ ذِي حَيَاةٍ ، نَتَائِجَ عَظِيمَةً جِدّاً ، وَفَوَائِدَ عُمُومِيَّةً ، بِسِرِّ التَّوْحِيدِ . .

فَمِنْهَا : أَنَّ كُلَّ ذِي حَيَاةٍ ، مِثْلَ هٰذِهِ الزَّهْرَةِ الْمُتَزَيِّنَةِ ، وَهٰذِهِ الذُّبَابَةِ الْمُسْتَحْلِيَةِ مَثَلاً ، قَصِيدَةٌ مَنْظُومَةٌ إِلٰهِيَّةٌ مُفِيدَةٌ ، يُطَالِعُهَا مَنْ لا حَدَّ لَهُمْ مِنْ ذَوِي الشُّعُورِ بِكَمَالِ اللَّذَّةِ ، وَمُعْجِزَةٌ قَيِّمَةٌ لِلْقُدْرَةِ ، وَفِي حُكْمِ إِعْلانٍ يُشَهِّرُ صَنْعَةَ صَانِعِهَا لِمَنْ لا نِهَايَةَ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ التَّقْدِيرِ ، تَشْهِيراً جَاذِباً . . وَأَيْضاً إِنَّ الْمُشَاهَدَةَ وَالْمَظْهَرِيَّةَ ، لِنَظَرِ مُشَاهَدَةِ الْفَاطِرِ ذِي الْجَلالِ ، الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَتَفَرَّجَ هُوَ عَلى صَنْعَةِ نَفْسِهِ ؛ وَأَنْ يُشَاهِدَ هُوَ نَفْسُهُ جَمَالَ فِطْرَتِهِ ؛ وَأَنْ يَتَنَزَّهَ هُوَ نَفْسُهُ عَلى مَحَاسِنِ جَلَوَاتِ أَسْمَائِهِ ، فِي صِغَارِ الْمَرَايَا ، هِيَ نَتِيجَةٌ لِخِلْقَتِهَا عَالِيَةٌ لِلْغَايَةِ . .

وَأَيْضاً إِنَّ خِدْمَتَهَا بِخَمْسَةِ وُجُوهٍ ، كَمَا بُيِّنَ فِي الْمَكْتُوبِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ ، لِتَظَاهُرِ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَتَبَارُزِ الْكَمَالاتِ الْإِلٰهِيَّةِ ، الْمُقْتَضِيَيْنِ لِلْفَعَّالِيَّةِ بِلا حَدٍّ فِي الْكَائِنَاتِ ، هِيَ أَيْضاً وَظِيفَةٌ عُلْوِيَّةٌ لِفِطْرَتِهَا ؛ وَإِنَّهَا تُورِثُ فَوَائِدَ وَنَتَائِجَ هٰكَذَا ؛ مَعَ أَنَّهَا تَتْرُكُ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ هٰذَا ، رُوحَهَا إِنْ كَانَتْ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ ، وَصُورَتَهَا وَهُوِيَّتَهَا ، فِي قُوًى حَافِظَةٍ لا حَدَّ لَهَا ، وَفِي سَائِرِ أَلْوَاحِ

مَحْفُوظَةٍ ، وَقَوَانِينَ مَاهِيَّتِهَا ، وَنَوْعاً مَّا مِنْ حَيَاتِهَا الْمُسْتَقْبَلَةِ ، فِي بُذُورِهَا وَبُيَيْضَاتِهَا ، بَدَلاً عَنْهَا ؛ وَتَتْرُكُ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ وَفِي دَوَائِرِ الْأَسْمَاءِ ، الْكَمَالَاتِ وَالْمَحَاسِنَ الَّتِي صَارَتْ مِرْآةً لَهَا ؛ فَتَدْخُلُ تَحْتَ حِجَابٍ مِنَ الزَّوَالِ ، بِمَوْتٍ ظَاهِرِيٍّ فِي مَعْنَى التَّسْرِيحِ ؛ وَإِنَّمَا تَخْتَفِي عَنِ الْأَعْيُنِ الدُّنْيَوِيَّةِ . هٰكَذَا رَأَيْتُهَا فِي مَاهِيَّتِهَا تِلْكَ ؛ فَقُلْتُ : «بَخٍ ؛ الْحَمْدُ لِلّٰهِ» . .

نَعَمْ : إِنَّ هٰذِهِ الْمَزَايَا وَالْمَحَاسِنَ ، الْأَسَاسِيَّةَ لِلْغَايَةِ ، وَالْقَوِيَّةَ جِدّاً ، الَّتِي لَا قُصُورَ لَهَا ، الْمُشْرِقَةَ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، وَالْمَشْهُودَةَ بِالْأَعْيُنِ فِي جَمِيعِ طَبَقَاتِ الْكَائِنَاتِ ، وَفِي عُمُومِ أَنْوَاعِهَا ، وَالَّتِي بَثَّتِ الْجُذُورَ فِي كُلِّ جَانِبٍ ، تَدُلُّ قَطْعاً عَلٰى أَنَّ الْكَيْفِيَّةَ الْأُولَى الْقَبِيحَةَ كَثِيراً ، وَالْخَشِنَةَ جِدّاً ، وَالْمَنْفُورَةَ لِلْغَايَةِ ، وَالْمُخْتَلَّةَ جِدّاً ، الَّتِي يَقْتَضِيهَا الشِّرْكُ ، هِيَ مُسْتَحِيلَةٌ وَمَوْهُومَةٌ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ هٰذَا الْقُبْحُ الْهَائِلُ ؛ وَيَخْتَفِيَ تَحْتَ حِجَابٍ مِثْلِ هٰذَا الْجَمَالِ الْأَسَاسِيِّ جِدّاً . فَإِنْ وُجِدَ ؛ صَارَ ذٰلِكَ الْجَمَالُ الْحَقِيقِيُّ ، أَمْراً وَاهِياً وَوَهْمِيّاً ، بِلَا حَقِيقَةٍ وَلَا أَصْلٍ . إِذاً فَلَا حَقِيقَةَ لِلشِّرْكِ ؛ وَطَرِيقُهُ مَسْدُودٌ ، يَغُورُ فِي الْوَحَلِ ؛ وَحُكْمُهُ مُحَالٌ وَمُمْتَنِعٌ . .

وَقَدِ اكْتَفَيْنَا هُنَا بِهٰذِهِ الْإِشَارَةِ الْمُخْتَصَرَةِ ؛ لِأَنَّ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ الْإِيمَانِيَّةَ الْحِسِّيَّةَ الْمَذْكُورَةَ ، بُيِّنَتْ بِتَفَاصِيلِهَا وَبَرَاهِينِهَا الْقَطْعِيَّةِ ، فِي رَسَائِلَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ «سِرَاجِ النُّورِ» . .

اَلثَّمَرَةُ الثَّالِثَةُ :

تَنْظُرُ إِلٰى ذَوِي الشُّعُورِ ، وَلَاسِيَّمَا إِلَى الْإِنْسَانِ . نَعَمْ : إِنَّ الْإِنْسَانَ يَصْلُحُ بِسِرِّ الْوَحْدَةِ ، أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ كَمَالٍ عَظِيمٍ بَيْنَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَأَغْلٰى ثَمَرَةِ الْكَائِنَاتِ ، وَأَلْطَفَ وأَكْمَلَ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَأَسْعَدَ وَأَحَظَّ ذَوِي الْحَيَاةِ ، وَمُخَاطَبَ خَالِقِ الْعَالَمِ وَخَلِيلَهُ ؛ حَتّٰى إِنَّ جَمِيعَ الْكَمَالَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَجَمِيعَ مَقَاصِدِ الْبَشَرِ الْعُلْوِيَّةِ ، مُرْتَبِطَةٌ بِالتَّوْحِيدِ ؛ وَتُوجَدُ بِسِرِّ الْوَحْدَةِ . وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْوَحْدَةُ ؛ يَصِيرُ الْإِنْسَانُ أَشْقَى الْمَخْلُوقَاتِ ، وَأَدْنَى الْمَوْجُودَاتِ ، وَأَذَلَّ الْحَيَوَانَاتِ ، وَأَحْزَنَ ذَوِي الشُّعُورِ ، وَأَكْثَرَهُمْ عَذَاباً ، وَأَشَدَّهُمْ غَمّاً ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَهُ عَجْزٌ بِلَا نِهَايَةٍ ، وَأَعْدَاءٌ بِلَا نِهَايَةٍ ، وَفَقْرٌ بِلَا حَدٍّ ، وَاحْتِيَاجَاتٌ بِلَا حَدٍّ ؛ مَعَ أَنَّ مَاهِيَّتَهُ قَدْ جُهِّزَتْ بِآلَاتٍ وَبِحِسِّيَّاتٍ

مُتَنَوِّعَةٍ وَكَثِيرَةٍ ، يُحِسُّ مِئَاتِ الْآلافِ مِنْ أَنْوَاعِ الْآلامِ ؛ وَيَطْلُبُ مُتَذَوِّقاً اللَّذَائِذَ عَلىٰ مِئَاتِ آلافِ الْأَنْمَاطِ ؛ وَلَهُ مَقَاصِدُ وَآمَالٌ ، لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوفِيَ بِتِلْكَ الْآمَالِ ، مَنْ لا يُمْضِي حُكْمَهُ فِي جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَإِنَّ فِي الْإِنْسَانِ أَمَلَ بَقَاءٍ شَدِيداً لِلْغَايَةِ مَثَلاً . فَهٰذَا الْمَقْصَدُ الْإِنْسَانِيُّ ، يُمْكِنُ أَنْ يُعْطِيَهُ مَنْ يَتَصَرَّفُ فِي جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ بِمَثَابَةِ قَصْرٍ ؛ وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَسُدَّ بَابَ الدُّنْيَا ؛ فَيَفْتَحَ بَابَ الْآخِرَةِ ، بِصُورَةٍ هَيِّنَةٍ كَأَنْ يَسُدَّ بَابَ غُرْفَةٍ ؛ فَيَفْتَحَ بَابَ مَنْزِلٍ آخَرَ . فَلِلْبَشَرِ آلافُ آمَالٍ إِيجَابِيَّةٍ وَسَلْبِيَّةٍ امْتَدَّتْ إِلىٰ جَانِبِ الْأَبَدِ ؛ وَانْتَشَرَتْ إِلىٰ أَقْطَارِ الْعَالَمِ ، مِثْلَ أَمَلِ الْبَقَاءِ هٰذَا ؛ فَالَّذِي يُدَاوِي عَجْزَ الْبَشَرِ وَفَقْرَهُ ، اللَّذَيْنِ هُمَا جُرْحَاهُ الْهَائِلانِ ، يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الذَّاتَ الْأَحَدَ الَّذِي يُمْسِكُ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ فِي قَبْضَتِهِ بِسِرِّ الْوَحْدَةِ . .

وَأَيْضاً إِنَّ فِي الْبَشَرِ مَطَالِبَ جُزْئِيَّةً خَفِيَّةً وَدَقِيقَةً ، عَائِدَةً إِلىٰ سَلامَةِ قَلْبِهِ وَاسْتِرَاحَتِهِ ؛ وَمَقَاصِدَ كُلِّيَّةً وَمُحِيطَةً وَعَظِيمَةً ، هِيَ مَدَارٌ لِبَقَاءِ رُوحِهِ وَسَعَادَتِهِ ، يُمْكِنُ أَنْ يُعْطِيَهَا مَنْ يَرَى أَدَقَّ حُجُبِ الْقَلْبِ وَأَخْفَاهَا ؛ فَلا يُهْمِلُهَا ؛ وَيَسْمَعُ أَهْمَسَ الْأَصْوَاتِ وَأَخْفَاهَا ؛ فَلا يَتْرُكُهَا بِدُونِ جَوَابٍ ؛ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُقْتَدِراً فِي دَرَجَةٍ يُسَخِّرُ لِأَمْرِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ؛ فَيَسْتَخْدِمُهُمَا فِي خَدَمَاتٍ كُلِّيَّةٍ ، مِثْلَ جُنْدِيَّيْنِ مُطِيعَيْنِ . .

وَأَيْضاً إِنَّ جَمِيعَ أَجْهِزَةِ الْإِنْسَانِ وَحِسِّيَّاتِهِ ، تَتَّخِذُ قِيمَةً عَالِيَةً لِلْغَايَةِ بِسِرِّ الْوَحْدَةِ ؛ وَتَسْقُطُ فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ بِالشِّرْكِ وَالْكُفْرِ ؛ فَإِنَّ أَغْلىٰ جِهَازِ الْإِنْسَانِ ، هُوَ عَقْلُهُ مَثَلاً ؛ فَإِنْ كَانَ بِسِرِّ التَّوْحِيدِ ؛ يَكُونُ ذٰلِكَ الْعَقْلُ مِفْتَاحاً لَهُ مِثْلَ الدُّرِّ ، يَفْتَحُ دَفَائِنَ إِلٰهِيَّةً قُدُسِيَّةً ، وَآلافَ خَزَائِنَ كَوْنِيَّةٍ ؛ وَإِنْ سَقَطَ فِي الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ ؛ صَارَ ذٰلِكَ الْعَقْلُ عِنْدَئِذٍ ، آلَةَ بَلاءٍ مَشْؤُومَةً ، وَسَبَباً لِلتَّعْجِيزِ ، تَجْمَعُ عَلىٰ رَأْسِ الْإِنْسَانِ ، أَحْزَانَ الزَّمَانِ الْمَاضِي الْأَلِيمَةَ ، وَأَهْوَالَ الزَّمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ الْوَحْشِيَّةَ . .

وَأَيْضاً إِنَّ الشَّفَقَةَ مَثَلاً ، الَّتِي هِيَ أَلْطَفُ وَأَحْلىٰ سَجِيَّةٍ لِلْإِنْسَانِ ، إِنْ لَمْ يُدْرِكْ سِرُّ التَّوْحِيدِ مَعُونَتَهَا ؛ تَصِيرُ حُرْقَةً وَفُرْقَةً وَرِقَّةً ، وَمُصِيبَةً هَائِلَةً ، تَنْزِلُ بِالْإِنْسَانِ إِلىٰ أَشْقَى الدَّرَجَةِ . وَإِنَّ وَالِدَةً غَافِلَةً فَقَدَتْ طِفْلَهَا الْجَمِيلَ الْوَحِيدَ أَبَدِيّاً ، تُحِسُّ بِهٰذِهِ الْحُرْقَةِ تَمَاماً . .

وَأَيْضاً إِنَّ الْمَحَبَّةَ مَثَلاً ، الَّتِي هِيَ أَلَذُّ وَأَحْلَى وَأَغْلَى حِسٍّ لِلْإِنْسَانِ ، إِنْ أَعَانَهَا سِرُّ التَّوْحِيدِ ؛ تُكَبِّرُ هٰذَا الْإِنْسَانَ الصَّغِيرَ ؛ وَتُعْطِيهِ اتِّسَاعاً بِقَدَرِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَتَجْعَلُهُ سُلْطَاناً لَطِيفاً لِلْمَخْلُوقَاتِ ؛ وَإِنْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ ـ الْعِيَاذُ بِاللهِ ـ تَصِيرُ مُصِيبَةً تُمَزِّقُ الْقَلْبَ الْإِنْسَانِيَّ الْبَائِسَ كُلَّ دَقِيقَةٍ ، بِالْفِرَاقِ الْأَبَدِيِّ ، فِرَاقِ مَنْ لَا حَدَّ لَهُ مِنْ مَحْبُوبَاتِهِ الْهَالِكَةِ فِي الزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ دَائِماً ؛ وَلٰكِنَّ اللَّهْوِيَّاتِ الْمُورِثَةَ لِلْغَفْلَةِ ، تُبْطِلُ الْحِسَّ مُؤَقَّتاً ؛ فَلَا تَسْمَحُ بِالتَّحَسُّسِ ظَاهِراً . .

هٰذَا ، فَإِنْ قِسْتَ عَلَى هٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ الثَّلَاثَةِ ، مِئَاتِ الْجِهَازَاتِ وَالْحِسِّيَّاتِ الْبَشَرِيَّةِ ؛ تَفْهَمُ مَدَى كَوْنِ الْوَحْدَةِ وَالتَّوْحِيدِ ، مَدَاراً لِلْكَمَالَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ . . وَنَكْتَفِي بِهٰذِهِ الْإِشَارَةِ الْمُخْتَصَرَةِ هُنَا ؛ لِأَنَّ هٰذِهِ الثَّمَرَةَ الثَّالِثَةَ أَيْضاً ، بُيِّنَتْ بِتَفْصِيلٍ جَمِيلٍ لِلْغَايَةِ ، وَفِي صُورَةٍ ذَاتِ حُجَّةٍ ، فِي عِشْرِينَ رِسَالَةً عَلَى الِاحْتِمَالِ ، مِنْ سِرَاجِ النُّورِ . .

وَإِنَّ مَا سَاقَنِي وَأَوْصَلَنِي إِلَى هٰذِهِ الثَّمَرَةِ ، حِسٌّ هٰكَذَا : وَهُوَ أَنِّي كُنْتُ فِي زَمَنٍ مَّا ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ عَالٍ ؛ فَانْكَشَفَ لِيَ الْقَبْرُ بِتَمَامِ مَعْنَاهُ ، وَالْمَوْتُ بِكُلِّ تَجَرُّدِهِ ، وَالزَّوَالُ وَالْفَنَاءُ بِأَلْوَاحِهِمَا الْمُبْكِيَةِ ، بِوَاسِطَةِ انْتِبَاهٍ رُوحِيٍّ مُفَرِّقٍ لِلْغَفْلَةِ ؛ فَهَاجَ فَجْأَةً مَا فِي فِطْرَتِي مِنْ عِشْقِ الْبَقَاءِ الْفِطْرِيِّ ، كَكُلِّ أَحَدٍ ، عَاصِياً ضِدَّ الزَّوَالِ ؛ وَفَارَ مَا فِي مَاهِيَّتِي مِنَ الرِّقَّةِ الْجِنْسِيَّةِ ، وَالشَّفَقَةِ النَّوْعِيَّةِ أَيْضاً ، طَاغِياً ضِدَّ الْقَبْرِ ، وَضِدَّ هَلَاكِ وَانْطِفَاءِ الْمَشَاهِيرِ وَأَهْلِ الْكَمَالَاتِ ، وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ ، الَّذِينَ لِي بِهِمْ صِلَةٌ كَثِيرَةٌ جِدّاً ، بِالْمَحَبَّةِ وَالتَّقْدِيرِ ؛ وَنَظَرْتُ إِلَى الْجِهَاتِ السِّتِّ ، نَظْرَةَ الِاسْتِمْدَادِ ؛ فَلَمْ أَرَ تَسَلِّياً وَمَدَداً مِنْ أَيَّةِ جِهَةٍ أَصْلاً ؛ لِأَنِّي رَأَيْتُ جَانِبَ الزَّمَانِ الْمَاضِي قَبْراً أَكْبَرَ ؛ وَالْمُسْتَقْبَلَ ظَلَاماً ؛ وَالْجَانِبَ الْأَعْلَى دَهْشَةً ؛ وَرَأَيْتُ مِنْ جَوَانِبِ الْأَسْفَلِ وَالْيَمِينِ وَالشِّمَالِ ، أَحْوَالاً أَلِيمَةً وَحَزِينَةً ، وَتَهَاجُمَاتِ مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ أَشْيَاءٍ ضَارَّةٍ ؛ فَإِذَا بِسِرِّ التَّوْحِيدِ أَمَدَّنِي وَفَتَحَ الْحِجَابَ ؛ وَأَظْهَرَ وَجْهَ حَقِيقَةِ الْحَالِ ؛ فَقَالَ : انْظُرْ .

فَأَوَّلاً نَظَرْتُ إِلَى وَجْهِ الْمَوْتِ الَّذِي كَانَ يُفْزِعُنِي كَثِيراً ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ الْمَوْتَ تَسْرِيحٌ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ؛ وَالْأَجَلَ تَذْكِرَةُ تَسْرِيحٍ ، وَتَبْدِيلُ مَكَانٍ ، وَمُقَدِّمَةُ وَبَابُ حَيَاةٍ بَاقِيَةٍ ، وَخُرُوجٌ عَنْ

سِجْنِ الدُّنْيَا ، وَطَيَرَانٌ إِلَىٰ رَوْضَةِ الْجِنَانِ ، وَنَوْبَةٌ لِلدُّخُولِ فِي حُضُورِ الرَّحْمٰنِ لِأَخْذِ أُجْرَةِ الْخِدْمَةِ ، وَدَعْوَةٌ لِلذَّهَابِ إِلَىٰ دَارِ السَّعَادَةِ . هٰكَذَا فَهِمْتُ قَطْعاً ؛ فَلِذٰلِكَ بَاشَرْتُ بِحُبِّ الْمَوْتِ وَالْوَفَاةِ . ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى الزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّهُ تَجَدُّدُ أَمْثَالٍ ، مُورِثٌ لِلَّذَّةِ ، كَأَسْتَارِ السِّينَمَا ، وَمِثْلِ الْفَوَاقِعِ الْجَارِيَةِ تِجَاهَ الشَّمْسِ ؛ وَسَيَرَانٌ وَجَوَلاَنٌ تَوْظِيفِيٌّ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ ، وَارِداً مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ ، لِتَجْدِيدِ جَلَوَاتِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنٰى ، جَلَوَاتِهَا الْحَسْنَاءِ الْجَمِيلَةِ جِدّاً ؛ وَتَظَاهُرَاتٌ حَكِيمَةٌ لِجَمَالِ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ وَانْعِكَاسٌ لِلْمَوْجُودَاتِ تِجَاهَ الْحُسْنِ السَّرْمَدِيِّ ؛ وَعَلِمْتُ ذٰلِكَ يَقِيناً . ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى الْجِهَاتِ السِّتِّ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّهَا مُنِيرَةٌ بِسِرِّ التَّوْحِيدِ ، تُفَرِّقُ ضَوْءَ الْعَيْنِ ؛ وَرَأَيْتُ أَنَّ الزَّمَانَ الْمَاضِيَ لَيْسَ قَبْراً أَكْبَرَ ؛ بَلْ إِنَّهُ آلاَفُ مَجَالِسَ مُنَوَّرَةٍ ، وَمَجَامِعَ أَحْبَابٍ ، وَمَنَاظِرُ نَيِّرَةٌ انْقَلَبَتْ إِلَى الزَّمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ . وَهٰكَذَا نَظَرْتُ إِلَى الْوُجُوهِ الْحَقِيقِيَّةِ لِآلاَفِ الْمَوَادِّ ، مِثْلِ هَاتَيْنِ الْمَادَّتَيْنِ ؛ فَرَأَيْتُهَا لاَ تُورِثُ تَأْثِيراً وَكَيْفِيَّةً سِوَى الشُّكْرِ وَالسُّرُورِ . .

وَقَدْ بَيَّنَتْ ذَوْقِي وَحِسِّي هٰذَا ، الْعَائِدَ إِلَى هٰذِهِ الثَّمَرَةِ الثَّالِثَةِ ، بِدَلاَئِلَ جُزْئِيَّةٍ وَكُلِّيَّةٍ ، فِي مِقْدَارِ أَرْبَعِينَ رِسَالَةً عَلَى الاِحْتِمَالِ ، مِنْ «سِرَاجِ النُّورِ» ؛ وَلاَسِيَّمَا أَنَّهُ أُوضِحَ فِي الرَّجَايَا الثَّلاَثَةَ عَشَرَ مِنْ رِسَالَةِ الشَّيْبِ ، الَّتِي هِيَ «اللَّمْعَةُ السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ» ، إِيضَاحاً قَاطِعاً وَجَمِيلاً ، لاَ يُمْكِنُ فَوْقَهُ الْإِيضَاحُ بَعْدُ ؛ فَلِذٰلِكَ اخْتَصَرْتُ فِي هٰذَا الْمَقَامِ ، هٰذِهِ الْقِصَّةَ الطَّوِيلَةَ جِدّاً ، اخْتِصَاراً كَثِيراً جِدّاً . .

اَلْمَقَامُ الثَّانِي :

إِنَّ مَا يَقْتَضِي التَّوْحِيدَ وَالْوَحْدَانِيَّةَ وَالْوَحْدَةَ ؛ وَيَسْتَلْزِمُهَا وَيَسْتَدْعِيهَا فِي صُورَةٍ قَاطِعَةٍ ؛ وَلاَ يَقْبَلُ الشِّرْكَ وَالاِشْتِرَاكَ ؛ وَلاَ يَسْمَحُ لَهُمَا ، مِنَ الدَّلاَئِلِ ، لاَ حَدَّ لَهَا . وَقَدْ أَثْبَتَتْ مِئَاتُ الْبَرَاهِينِ ، بَلْ آلاَفٌ مِنْهَا ، فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» تَفْصِيلاً ؛ فَلِذٰلِكَ نُشِيرُ هُنَا ، إِلَىٰ ثَلاَثَةِ مُقْتَضِيَاتٍ إِجْمَالاً . .

اَلْمُقْتَضِي الْأَوَّلُ لِلتَّوْحِيدِ :

إِنَّ هٰذِهِ الْمَصْنُوعَاتِ ، تُصْنَعُ وَتُخْلَقُ بِصِفَاتِ حَاكِمٍ حَكِيمٍ ، وَبِأَسْمَاءِ كَامِلٍ كَبِيرٍ ، الَّتِي لَا حُدُودَ لَهَا ، وَبِمَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنْ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ الْمُطْلَقَتَيْنِ ، بِشَهَادَةِ الْأَفْعَالِ الْحَكِيمَةِ ، وَالتَّصَرُّفَاتِ الْبَصِيرَةِ ، الْمَشْهُودَتَيْنِ بِالْعَيْنِ فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ . نَعَمْ : يُفْهَمُ بِحَدْسٍ قَطْعِيٍّ ؛ وَيُعْلَمُ قَطْعاً ؛ بَلْ يُشَاهَدُ مِنْ هٰذِهِ الْآثَارِ : أَنَّ لِذٰلِكَ الصَّانِعِ ، حَاكِمِيَّةً وَآمِرِيَّةً فِي دَرَجَةِ الرُّبُوبِيَّةِ الْعَامَّةِ ؛ وَلَهُ كِبْرِيَاءٌ وَعَظَمَةٌ فِي دَرَجَةِ الْجَبَرُوتِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ وَكَمَالٌ وَاسْتِغْنَاءٌ فِي دَرَجَةِ الْأُلُوهِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ وَفَعَّالِيَّةٌ وَسَلْطَنَةٌ لَا تَدْخُلَانِ تَحْتَ أَيِّ قَيْدٍ ؛ وَلَا يُوجَدُ لَهُمَا حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ أَصْلاً . فَالْحَاكِمِيَّةُ وَالْكِبْرِيَاءُ ، وَالْكَمَالُ وَالِاسْتِغْنَاءُ ، وَالْإِطْلَاقُ وَالْإِحَاطَةُ ، وَعَدَمُ التَّنَاهِي وَعَدَمُ التَّحَدُّدِ ، مُضَادَّةٌ لِلِاشْتِرَاكِ ، تَسْتَلْزِمُ الْوَحْدَةَ . .

أَمَّا شَهَادَةُ الْحَاكِمِيَّةِ وَالْآمِرِيَّةِ ، عَلَى الْوَحْدَةِ : فَقَدْ أُثْبِتَتْ فِي صُورَةٍ قَاطِعَةٍ لِلْغَايَةِ ، فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» . وَخُلَاصَةُ خُلَاصَتِهَا : أَنَّ شَأْنَ الْحَاكِمِيَّةِ وَمُقْتَضَاهَا ، هُوَ الِاسْتِقْلَالُ وَالِانْفِرَادُ ، وَرَدُّ تَدَخُّلِ الْغَيْرِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ لَا يُوجَدُ مَلِكَانِ فِي مَمْلَكَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَوَالِيَانِ فِي وِلَايَةٍ ، وَمُدِيرَانِ فِي نَاحِيَةٍ ، بَلْ مُخْتَارَانِ فِي مَحَلَّةٍ ، لِأَجْلِ رَدِّ مُدَاخَلَةِ غَيْرِهِ ، وَمُحَافَظَةِ اسْتِقْلَالِهِ ، بِجِهَةِ وُجُودِ ظِلٍّ لِتِلْكَ الْحَاكِمِيَّةِ ، فِي النَّاسِ أَيْضاً ، الْمُحْتَاجِينَ فِطْرَةً إِلَى الْمُعَاوَنَةِ لِأَجْلِ عَجْزِهِمْ . فَإِنْ وُجِدَا ؛ حَصَلَ الْهَرْجُ وَالْمَرْجُ ؛ وَبَدَأَ الِاخْتِلَالُ ؛ وَفَسَدَ الِانْتِظَامُ . فَإِذَا كَانَ ظِلٌّ لِلْحَاكِمِيَّةِ ، يَرُدُّ الِاشْتِرَاكَ وَتَدَخُّلَ الْغَيْرِ ؛ فَلَا يَقْبَلُهُمَا بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ ، فِي النَّاسِ الْعَجَزَةِ وَالْمُحْتَاجِينَ إِلَى الْمُعَاوَنَةِ ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّ الْحَاكِمِيَّةَ فِي صُورَةِ الرُّبُوبِيَّةِ ، فِي قَدِيرٍ مُطْلَقٍ مُنَزَّهٍ عَنِ الْعَجْزِ ، لَا تَقْبَلُ الِاشْتِرَاكَ وَتَدَخُّلَ الْغَيْرِ ، بِأَيَّةِ جِهَةٍ ؛ بَلْ تَرُدُّهُمَا بِغَايَةِ الشِّدَّةِ ؛ وَتَطْرُدُ الَّذِينَ يَتَوَهَّمُونَ الشِّرْكَ وَيَعْتَقِدُونَهُ ، عَنْ بَابِهَا ، بِغَايَةِ الْحِدَّةِ . هٰذَا ، فَبَيَانَاتُ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، فِي زَجْرِ أَهْلِ الشِّرْكِ ، بِغَايَةِ الشِّدَّةِ وَالْحِدَّةِ ، تَنْشَأُ عَنْ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْمَذْكُورَةِ . .

وَأَمَّا شَهَادَةُ الْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ ، عَلَى الْوَحْدَةِ : فَقَدْ بُيِّنَتْ هِيَ أَيْضاً فِي «رِسَالَةِ

النُّورِ» ، بِبَرَاهِينَ سَاطِعَةٍ . وَيُشَارُ هُنَا ، إِلٰى فَحْوٰى مِنْهَا مُخْتَصَرَةٍ لِلْغَايَةِ . . فَكَمَا أَنَّ عَظَمَةَ نُورِ الشَّمْسِ مَثَلاً ، وَكِبْرِيَاءَ ضِيَائِهَا ، لا تَتْرُكَانِ الاِحْتِيَاجَ ؛ وَلا تُعْطِيَانِ تَأْثِيراً بِأَيَّةِ جِهَةٍ ، لِأَنْوَارٍ ضَعِيفَةٍ أُخْرٰى فِي قُرْبِهَا ، وَبِدُونِ حِجَابٍ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ عَظَمَةَ الْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَكِبْرِيَاءَهَا أَيْضاً ، لا تَتْرُكَانِ احْتِيَاجاً إِلٰى أَيِّ قُوَّةٍ ، وَإِلٰى أَيَّةِ قُدْرَةٍ ؛ كَمَا لا تُعْطِيَانِهِمَا أَيَّ إِيجَادٍ ، وَأَيَّ تَأْثِيرٍ حَقِيقِيٍّ أَصْلاً ؛ وَلاسِيَّمَا أَنَّ إِحَالَتَهُ لِذَوَاتِ الْحَيَاةِ وَذَوَاتِ الشُّعُورِ ، الَّتِي هِيَ مَوَاضِعُ وَمَدَارَاتٌ ارْتَكَزَتْ فِيهَا جَمِيعُ الْمَقَاصِدِ الرَّبَّانِيَّةِ فِي الْكَائِنَاتِ ، غَيْرُ قَابِلَةٍ إِحَالَتُهَا عَلَى الْآخَرِينَ . وَأَيْضاً إِنَّ إِحَالَةَ الْأَحْوَالِ وَالثَّمَرَاتِ وَالنَّتَائِجِ ، فِي جُزْئِيَّاتِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ ، الَّتِي هِيَ مَوَاضِعُ وَمَنَاشِئُ تَتَظَاهَرُ فِيهَا الْغَايَاتُ فِي إِيجَادِ الْخِلْقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَمَا لا حَدَّ لَهُ مِنْ أَنْوَاعِ النِّعْمَةِ ، عَلٰى أَيْدٍ أُخْرٰى ، لا تُوجَدُ أَيَّةُ جِهَةِ إِمْكَانٍ لَهَا ؛ فَإِنَّ امْتِنَانَ ذِي حَيَاةٍ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى ، امْتِنَاناً حَقِيقِيّاً ، وَامْتِدَاحَهُ وَثَنَاءَهُ عَلٰى غَيْرِهِ تَعَالَى ، امْتِدَاحاً تَعَبُّدِيّاً ، لِأَجْلِ شِفَاءٍ جُزْئِيٍّ ، أَوْ رِزْقٍ ، أَوْ هِدَايَةٍ لَهُ مَثَلاً ، يَمَسُّ عَظَمَةَ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ وَيَطْعَنُ فِي كِبْرِيَاءِ الْأُلُوهِيَّةِ ؛ وَيَقْدَحُ فِي عِزَّةِ الْمَعْبُودِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ وَيُؤَثِّرُ فِي جَلالِهَا . .

وَأَمَّا إِشَارَةُ الْكَمَالِ ، إِلٰى سِرِّ الْوَحْدَةِ : فَقَدْ بُيِّنَتْ فِي «رَسَائِلِ النُّورِ» أَيْضاً ، بِبَرَاهِينَ كَثِيرَةٍ مُشْرِقَةٍ . وَفَحْوٰى مِنْهَا مُخْتَصَرَةٌ لِلْغَايَةِ ، هِيَ : أَنَّ خِلْقَةَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، تَقْتَضِي بِالْبَدَاهَةِ ، قُدْرَةً مُطْلَقَةً فِي غَايَةِ الْكَمَالِ ؛ بَلْ إِنَّ عَجَائِبَ أَجْهِزَةِ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ ، تَقْتَضِي أَيْضاً ، قُدْرَةً فِي الْكَمَالِ الْمُطْلَقِ ؛ وَإِنَّ الْكَمَالَ فِي قُدْرَةٍ مُطْلَقَةٍ ، مُنَزَّهَةٍ عَنِ الْعَجْزِ ، وَمُبَرَّأَةٍ مِنَ الْقَيْدِ ، يَسْتَلْزِمُ الْوَحْدَةَ قَطْعاً ؛ وَإِلّا يَلْزَمُ تَوَضُّعُ النَّقِيصَةِ عَلٰى كَمَالِهِ ، وَالْقَيْدِ عَلٰى إِطْلاقِهِ ؛ وَإِنْهَاءُ عَدَمِ تَنَاهِيهِ ، وَإِسْقَاطُ أَقْوٰى قُدْرَةٍ إِلٰى أَضْعَفِ عَجْزٍ ؛ وَإِنْهَاءُ قُدْرَةٍ بِلا نِهَايَةٍ ، بِمُتَنَاهٍ ، فِي وَقْتٍ تَكُونُ غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ . وَمَا هٰذَا إِلّا مُحَالٌ فِي مُحَالٍ بِخَمْسَةِ أَوْجُهٍ . .

وَأَمَّا شَهَادَةُ الْإِطْلاقِ وَالْإِحَاطَةِ وَعَدَمِ التَّنَاهِي ، عَلَى الْوَحْدَةِ : فَهِيَ أَيْضاً ، ذُكِرَتْ تَفْصِيلاً فِي رَسَائِلِ «سِرَاجِ النُّورِ» . وَفَحْوٰى مُخْتَصَرَةٌ مِنْهَا ، هِيَ : أَنَّهُ إِذَا كَانَ كُلُّ فِعْلٍ مِنَ الْأَفْعَالِ فِي الْكَائِنَاتِ ، يَدُلُّ بِانْتِشَارِهِ حَوْلَ أَثَرِهِ انْتِشَاراً مُسْتَوْلِياً ، يَدُلُّ عَلٰى إِحَاطَةِ كُلِّ فِعْلٍ ،

وَعَلٰى إِطْلاقِهِ ، وَكَوْنِهِ بِلا حَدٍّ وَلا قَيْدٍ ؛ وَإِذَا كَانَ الاِشْتِرَاكُ وَالشِّرْكُ ، يُقَيِّدُ تِلْكَ الإِحَاطَةَ تَحْتَ الاِنْحِصَارِ ؛ وَيُقَيِّدُ ذٰلِكَ الإِطْلاقَ تَحْتَ الْقَيْدِ ؛ وَيُقَيِّدُ عَدَمَ الْحَدِّ ذٰلِكَ ، تَحْتَ الْحَدِّ ؛ فَيُفْسِدُ حَقِيقَةَ الْإِطْلاقِ ، وَمَاهِيَّةَ الْإِحَاطَةِ ؛ فَلا رَيْبَ أَنَّ الاِشْتِرَاكَ مُسْتَحِيلٌ ، لا إِمْكَانَ لَهُ فِي تِلْكَ الْأَفْعَالِ الْمُطْلَقَةِ وَالْمُحِيطَةِ . نَعَمْ : إِنَّ مَاهِيَّةَ الْإِطْلاقِ ، مُضَادَّةٌ لِلاِشْتِرَاكِ ؛ لِأَنَّ مَعْنَى الْإِطْلاقِ ـ وَلَوْ كَانَ فِي شَيْءٍ مُتَنَاهٍ مَادِّيٍّ وَمَحْدُودٍ أَيْضاً ـ هُوَ الاِنْتِشَارُ وَالتَّوَزُّعُ إِلَى الْجَوَانِبِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، عَلٰى وَجْهِ الاِسْتِيلآءِ وَالاِسْتِقْلالِ أَيْضاً ؛ فَإِنَّ الْهَوَاءَ وَالضِّيَاءَ وَالنُّورَ وَالْحَرَارَةَ ، حَتَّى الْمَاءَ مَثَلاً ، إِذَا صَارَتْ مَظْهَراً لِلْإِطْلاقِ ؛ تَنْتَشِرُ إِلٰى كُلِّ جَانِبٍ . فَإِذَا كَانَتْ جِهَةُ الْإِطْلاقِ ـ وَإِنْ كَانَتْ فِي الْجُزْئِيِّ أَيْضاً ـ تَجْعَلُ الْمَادِّيَّاتِ وَالْمَحْدُودَاتِ مُسْتَوْلِيَةً هٰكَذَا ؛ فَلا شَكَّ أَنَّ إِطْلاقاً حَقِيقِيّاً كُلِّيّاً ، يُورِثُ صِفَاتٍ غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ ، وَمُنَزَّهَةً عَنِ الْمَادَّةِ ، وَغَيْرَ مَحْدُودَةٍ ، وَمُبَرَّأَةً عَنِ النَّقْصِ مِثْلَهَا ، يُورِثُهَا اسْتِيلآءً وَإِحَاطَةً ، لا يُمْكِنُ لِلشِّرْكِ وَالاِشْتِرَاكِ ، جِهَةُ إِمْكَانٍ وَاحْتِمَالٍ أَصْلاً . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَفْعَالِ الْعَامَّةِ الْمَشْهُودَةِ بِالْآلافِ ، وَمِنْ مِئَاتِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ الْمَرْئِيَّةِ جِلْوَاتُهَا فِي الْكَائِنَاتِ ، حَاكِيَتُهَا وَكِبْرِيَاؤُهَا ، وَكَمَالُهَا وَإِحَاطَتُهَا ، وَإِطْلاقُهَا وَعَدَمُ تَنَاهِيهَا ، بَرَاهِينُ الْوَحْدَةِ وَالتَّوْحِيدِ الْقَوِيَّةُ لِلْغَايَةِ . وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ قُوَّةً فَائِقَةً عَلَى الْعَادَةِ ، تُرِيدُ الاِسْتِيلاءَ ؛ وَتَبَدُّدُ الْقُوَى الْأُخْرٰى ، لِتَدْخُلَ فِي الْفَعَّالِيَّةِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ كُلَّ فِعْلٍ مِنْ أَفْعَالِ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَكُلَّ جِلْوَةٍ لِأَسْمَاءِ الْأُلُوهِيَّةِ ، تُشَاهَدُ قُوَّتُهَا فِي آثَارِهَا ، بِدَرَجَةٍ فَوْقَ الْعَادَةِ ، بِحَيْثُ لَوْ لَمْ تَكُنِ الْحِكْمَةُ الْعَامَّةُ ، وَالْعَدَالَةُ الْمُطْلَقَةُ ؛ وَلَمْ تُوقِفَاهَا ؛ لَاسْتَوْلَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَلٰى عُمُومِ الْمَوْجُودَاتِ ؛ فَإِنَّ قُوَّةً تَخْلُقُ شَجَرَةَ الْبَانِ مَثَلاً ؛ وَتُؤَدِّي تَدْبِيرَهَا فِي كُلِّ الْأَرْضِ ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ لا تَضْبِطَ تَحْتَ قُوَّتِهَا الْكُلِّيَّةِ ، الضَّابِطَةِ لِتَمَامِ نَوْعِ ذٰلِكَ الْبَانِ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، الْأَفْرَادَ الْجُزْئِيَّةَ الْمُتَّصِلَةَ بِشَجَرَةِ الْبَانِ ، مِنْ أَفْرَادِ الْأَشْجَارِ الَّتِي عِنْدَهَا ، الْمُخْتَلِطَةِ بِهَا ، وَالْمُنْتَشِرَةِ بَيْنَ أَفْرَادِهَا ، مِثْلَ شَجَرَةِ الْجَوْزِ وَالتُّفَّاحِ وَالْمِشْمِشِ ؛ وَأَنْ لا تَجْعَلَهَا فِي دَاخِلِ تَدْبِيرِهَا ؛ وَلا تَسْتَوْلِيَ عَلَيْهَا ؛ وَأَنْ تَتْرُكَهَا لِاغْتِصَابِ قُوًى أُخْرٰى ؟ . نَعَمْ : يُحَسُّ بِقُدْرَةٍ وَقُوَّةٍ تَتَصَرَّفُ فِي كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ، بَلْ فِي كُلِّ فَرْدٍ ؛ فَتُرَى فِي مَاهِيَّةٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْتَوْلِيَ عَلٰى جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ؛

وَتضْبِطَ كُلَّ الْأَشْيَاءِ ؛ وَتحْصُرَ كَافَّةَ الْمَوْجُودَاتِ تَحْتَ حُكْمِهَا ؛ فَلا رَيْبَ أَنَّ قُوَّةً هٰكَذَا ، لا تَقْبَلُ الِاشْتِرَاكَ بِأَيِّ جِهَةٍ ؛ وَلا تَفْسَحُ الْمَجَالَ لِلشِّرْكِ أَصْلاً . .

وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ أَكْثَرَ مَا يَهْتَمُّ بِهِ صَاحِبُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ ؛ وَيُظْهِرُ لَهَا الْعَلاقَةَ ، مِنَ الْجِهَةِ وَالْمَادَّةِ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، هِيَ ثَمَرَاتُ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، وَمَا عَلَى رُؤُوسِ أَغْصَانِهَا مِنْ فَوَاكِهِهَا ، وَمَا فِي قُلُوبِ الْأَثْمَارِ مِنَ النَّوَى لِتَكُونَ بَذْراً ، وَالَّتِي هِيَ قُلُوبُهَا بِالذَّاتِ ؛ وَإِنْ كَانَ لِمَالِكِهَا عَقْلٌ ؛ لا يُمَلِّكُ غَيْرَهُ دَائِماً ، مَا فِي تِلْكَ الْأَغْصَانِ مِنَ الثَّمَرَاتِ ؛ فَلا يُفْسِدُ مَالِكِيَّتَهُ عَبَثاً ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ الْعَنَاصِرَ الَّتِي هِيَ أَغْصَانُ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُسَمَّاةِ بِالْكَائِنَاتِ ، وَالنَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ الَّتِي هِيَ فِي رُؤُوسِ الْعَنَاصِرِ ، وَفِي حُكْمِ أَزْهَارِهَا وَأَوْرَاقِهَا ، وَالْإِنْسَ الَّذِينَ هُمْ أَثْمَارُ تِلْكَ الْأَوْرَاقِ وَالْأَزْهَارِ فِي أَعْلاهَا ، وَعُبُودِيَّتَهُمْ وَشُكُورَهُمُ الَّتِي هِيَ أَهَمُّ فَوَاكِهِ وَثَمَرَاتِ تِلْكَ الْأَثْمَارِ وَنَتَائِجِ خِلْقَتِهَا ، وَلاسِيَّمَا قُلُوبِهِمُ الَّتِي هِيَ النَّوَى الْجَامِعَةُ لِتِلْكَ الْأَثْمَارِ ، وَقُوَاهُمُ الْحَافِظَةِ الَّتِي تُسَمَّى بِظَهْرِ الْقَلْبِ ، لا يَتْرُكُهَا اللهُ بِأَيِّ جِهَةٍ ، لِاخْتِطَافِ قُوَّاتٍ أُخْرَى ؛ وَلا يَنْقُضُ سَلْطَنَةَ رُبُوبِيَّتِهِ بِالِاخْتِطَافِ ؛ وَلا يُفْسِدُ مَعْبُودِيَّتَهُ بِالِانْتِقَاضِ . .

وَأَيْضاً إِنَّ مَقَاصِدَ الرُّبُوبِيَّةِ ، ارْتَكَزَتْ فِي الْجُزْئِيَّاتِ ، الَّتِي هِيَ فِي أُخْرَيَاتِ دَائِرَةِ الْكَثْرَةِ وَالْمُمْكِنَاتِ ، بَل وَفِي جُزْئِيَّاتِ أَحْوَالِ وَكَيْفِيَّاتِ تِلْكَ الْجُزْئِيَّاتِ ؛ وَأَيْضاً إِنَّهَا مَنْشَأُ الِامْتِنَانِ وَالشُّكْرِ وَالْعُبُودِيَّةِ النَّاظِرَةِ إِلَى الْمَعْبُودِ ، وَالْمُمْتَدَّةِ إِلَى الْمَعْبُودِيَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ لا يُسْنِدُهَا إِلَى أَيْدٍ أُخْرَى ؛ وَلا يُبْطِلُ حِكْمَتَهُ بِالْإِسْنَادِ ؛ وَلا يُسْقِطُ أُلُوهِيَّتَهُ قَطْعاً بِإِبْطَالِ حِكْمَتِهِ ؛ لِأَنَّ أَهَمَّ الْمَقَاصِدِ الرَّبَّانِيَّةِ فِي إِيجَادِ الْمَوْجُودَاتِ ، هُوَ تَعَرُّفُهُ وَتَحَبُّبُهُ إِلَى ذَوِي الشُّعُورِ ، وَتَأْدِيَةُ مَدْحِهِ وَثَنَائِهِ ، وَاجْتِلابُ امْتِنَانِهِمْ إِلَيْهِ . فَلِهٰذَا السِّرِّ الدَّقِيقِ ، يُسْنِدُ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ بِتَكْرَارٍ ، الرِّزْقَ[1] وَالْهُدَى وَالشِّفَاءَ ، إِلَى الذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ؛ وَيَقُولُ : إِنَّ الْإِحْسَانَ بِهَا ، مَخْصُوصٌ بِهِ ، وَمُنْحَصِرٌ فِيهِ تَعَالَى ؛ وَيَرُدُّ تَدَخُّلَ غَيْرِهِ بِغَايَةِ الشِّدَّةِ ، لِلْإِعْلانِ بِأَنَّ أَمْثَالَ هٰذِهِ الْأَفْعَالِ

---

(١) كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ مَثَلاً . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (ﷺ) . .

وَالْإِنْعَامَاتِ الْجُزْئِيَّةِ وَالْكُلِّيَّةِ فِي آخِرِ دَائِرَةِ الْكَثْرَةِ ، كَالرِّزْقِ وَالشِّفَاءِ ، وَلَاسِيَّمَا الْهُدٰى وَالْإِيمَانِ ، الَّتِي تُنْتِجُ الشُّكْرَ وَالتَّعَبُّدَ وَالِامْتِنَانَ ، وَالْمَحَبَّةَ وَالْمَدْحَ وَالْعُبُودِيَّةَ ، هِيَ آثَارُ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ ، وَسُلْطَانِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَإِحْسَانُهُ وَإِنْعَامُهُ ، وَهَدَايَاهُ وَأَفْعَالُهُ مُبَاشَرَةً . . نَعَمْ : إِنَّ نِعْمَةَ الْإِيمَانِ الَّتِي تُحَصِّلُ دَارَ سَعَادَةٍ أَبَدِيَّةٍ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ نِعْمَةَ ذَاتٍ ذِي جَلَالٍ ، خَلَقَ دَارَ السَّعَادَةِ تِلْكَ ؛ وَجَعَلَ الْإِيمَانَ مِفْتَاحاً لِتِلْكَ الدَّارِ قَطْعاً وَعَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ وَإِنَّ غَيْرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسُدَّ أَكْبَرَ نَافِذَةِ الْمَعْبُودِيَّةِ ؛ فَيَغْتَصِبَ وَيَسْرِقَ أَهَمَّ وَسِيلَةِ الْمَعْبُودِيَّةِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مُنْعِمُ نِعْمَةٍ عَظِيمَةٍ بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ أَصْغَرَ جُزْئِيَّاتِ الْأَحْوَالِ وَالثَّمَرَاتِ ، فِي آخِرِ مُنْتَهٰى شَجَرَةِ الْخِلْقَةِ ، تُشِيرُ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْوَحْدَةِ ؛ وَتَشْهَدُ عَلَيْهِمَا بِجِهَتَيْنِ . .

اَلْأُولٰى : أَنَّ مَقَاصِدَ الرُّبُوبِيَّةِ فِي الْكَائِنَاتِ ، تَجْتَمِعُ فِي تِلْكَ الْجُزْئِيَّاتِ ؛ وَأَنَّ غَايَاتِهَا ، تَرْتَكِزُ فِيهَا ؛ وَأَنَّ جَلَوَاتِ أَكْثَرِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنٰى ، وَظُهُورَهَا وَتَعَيُّنَهَا ، وَنَتَائِجَ خِلْقَةِ الْمَوْجُودَاتِ وَفَوَائِدَهَا ، تَجْتَمِعُ فِيهَا ؛ فَلِذٰلِكَ تَقُولُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، مِنْ نُقْطَةِ التَّمَرْكُزِ هٰذِهِ : إِنِّي مُلْكُ مَنْ خَلَقَ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ ، وَفِعْلُهُ وَأَثَرُهُ . .

أَمَّا الْجِهَةُ الثَّانِيَةُ : فَإِنَّ كَوْنَ قَلْبِ تِلْكَ الثَّمَرَةِ الْجُزْئِيَّةِ ، وَذَاكِرَةِ الْإِنْسَانِ ، الْمُسَمَّاةِ فِي الْحَدِيثِ بِظَهْرِ الْقَلْبِ ، نَوْعاً مُخْتَصَراً مِنْ فِهْرِسِ أَكْثَرِ الْأَنْوَاعِ ، وَمِثَالاً صَغِيراً مِنْ خَرِيطَتِهَا ، وَنَوَاةً مَعْنَوِيَّةً لِشَجَرَةِ الْكَائِنَاتِ ، وَمِرْآةً رَقِيقَةً لِأَكْثَرِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَإِنَّ انْتِشَارَ جَمِيعِ الْقُلُوبِ وَالْقُوَى الْحَافِظَةِ ، الَّتِي هِيَ أَمْثَالُ ذٰلِكَ الْقَلْبِ وَالْحَافِظَةِ ، وَالَّتِي خَوَاتِمُهَا عَلٰى نَمَطٍ وَاحِدٍ ، انْتِشَاراً مُسْتَوْلِياً عَلٰى وَجْهِ الْكَائِنَاتِ ، إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلٰى مَنْ تَكُونُ جَمِيعُ الْكَائِنَاتِ ، فِي قَبْضَةِ تَصَرُّفِهِ ؛ وَإِنَّهَا تَقُولُ : إِنِّي أَثَرُهُ وَصُنْعُهُ فَقَطْ . .

اَلْحَاصِلُ : كَمَا أَنَّ ثَمَرَةً تَنْظُرُ إِلٰى مَالِكِ شَجَرَتِهَا التَّامَّةِ ، بِجِهَةِ فَائِدَتِهَا ؛ وَتَنْظُرُ إِلٰى أَجْزَاءِ جَمِيعِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، وَإِلٰى أَعْضَائِهَا وَمَاهِيَّتِهَا ، بِجِهَةِ نَوَاتِهَا ؛ وَتَتَفَرَّجُ عَلٰى جَمِيعِ ثَمَرَاتِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، بِجِهَةِ سِكَّتِهَا الَّتِي عَلٰى وَجْهِهَا ، الْمَوْجُودَةِ بِعَيْنِهَا فِي جَمِيعِ أَمْثَالِهَا ؛ وَتَقُولُ : إِنَّنَا

مُتَّحِدُونَ ؛ وَقَدْ خَرَجْنَا عَنْ يَدٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَنَحْنُ مُلْكُ ذَاتٍ وَاحِدٍ ؛ وَمَنْ صَنَعَ وَاحِدَةً مِنَّا ؛ فَإِنَّهُ يَصْنَعُ جَمِيعَنَا ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ مَا فِي نِهَايَاتِ دَائِرَةِ الْكَثْرَةِ ، مِنْ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ ، تَنْظُرُ إِلَىٰ مَنْ يُمْسِكُ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ ، فِي قَبْضَةِ رُبُوبِيَّتِهِ ؛ وَتَشْهَدُ لِوَحْدَتِهِ مُبَاشَرَةً ، بِجِهَةِ مَا فِي وَجْهِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، وَلَاسِيَّمَا الْإِنْسَانِ ، مِنَ السِّكَّةِ ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الْفِهْرِسَةِ ، وَمَا فِي مَاهِيَّتِهِ مِنَ النَّتِيجَةِ وَالثَّمَرَةِ . .

اَلْمُقْتَضِي الثَّانِي لِلْوَحْدَانِيَّةِ :

هُوَ وُجُودُ يُسْرٍ وَسُهُولَةٍ ، فِي دَرَجَةِ الْوُجُوبِ ، فِي الْوَحْدَةِ ؛ وَوُجُودُ صُعُوبَةٍ وَمَشَاكِلَ ، فِي دَرَجَةِ الِامْتِنَاعِ ، فِي الشِّرْكِ . .

وَإِنَّ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ، قَدْ أُثْبِتَتْ وَأُوضِحَتْ ، فِي صُورَةٍ قَاطِعَةٍ وَمُشْرِقَةٍ ؛ وَأُظْهِرَتْ بِبَرَاهِينَ قَوِيَّةٍ لِلْغَايَةِ ، فِي رَسَائِلَ كَثِيرَةٍ مِنْ «سِرَاجِ النُّورِ» ــ حَسَبَ تَعْبِيرِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ (رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ) ــ وَلَاسِيَّمَا فِي الْمَكْتُوبِ الْعِشْرِينَ تَفْصِيلاً ، وَفِي النُّكْتَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ اللَّمْعَةِ الثَّلَاثِينَ إِجْمَالاً : بِأَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ ، إِذَا أُسْنِدَتْ إِلَىٰ ذَاتٍ وَاحِدٍ ، يَهِينُ إِيجَادُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ وَتَدْبِيرُهَا ، بِقَدَرِ شَجَرَةٍ ؛ وَيَسْهُلُ خَلْقُ شَجَرَةٍ وَإِنْشَاؤُهَا ، بِقَدَرِ ثَمَرَةٍ ؛ وَيَخِفُّ إِبْدَاعُ رَبِيعٍ وَإِدَارَتُهُ ، بِقَدَرِ زَهْرَةٍ ؛ وَتَصِيرُ تَرْبِيَةُ وَتَدْبِيرُ نَوْعٍ ، لَهُ أَفْرَادٌ بِلَا حَدٍّ ، غَيْرَ مُشْكِلٍ بِقَدَرِ فَرْدٍ وَاحِدٍ . وَإِنْ أُسْنِدَتْ إِلَى الْأَسْبَابِ وَالطَّبِيعَةِ ، فِي طَرِيقِ الشِّرْكِ ، يُشْكِلُ إِيجَادُ فَرْدٍ وَاحِدٍ ، بِقَدَرِ نَوْعٍ ، بَلْ أَنْوَاعٍ ؛ وَإِيجَادُ نَوَاةٍ وَاحِدَةٍ ، بِقَدَرِ شَجَرَةٍ ، بَلْ مِئَةِ شَجَرَةٍ ؛ وَإِيجَادُ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَإِنْشَاؤُهَا وَإِحْيَاؤُهَا ، وَإِدَارَتُهَا وَتَرْبِيَتُهَا وَتَدْبِيرُهَا ، بِقَدَرِ الْكَائِنَاتِ ، بَلْ أَزْيَدَ إِشْكَالاً . .

فَإِذَا كَانَتْ حَقِيقَةُ الْحَالِ قَدْ أُثْبِتَتْ هٰكَذَا فِي «سِرَاجِ النُّورِ» ؛ وَإِذَا كُنَّا نَرَى بِالْمُشَاهَدَةِ أَمَامَ أَبْصَارِنَا : أَنَّ ابْتِذَالاً فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، يُوجَدُ مَعَ كَوْنِهِ ذَا صَنْعَةٍ وَقِيمَةٍ فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ وَأَنَّ كُلَّ ذِي حَيَاةٍ ، يَأْتِي إِلَى الْوُجُودِ فِي سَخَاوَةٍ مُطْلَقَةٍ ، وَبِسُرْعَةٍ خَارِقَةٍ كَإِيقَادِ ثِقَابٍ ، وَبِيُسْرٍ وَسُهُولَةٍ فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ ، وَفِي صُورَةٍ بِدُونِ كُلْفَةٍ ؛ فَيَدُلُّ بِالضَّرُورَةِ وَبِالْبَدَاهَةِ قَطْعاً ، عَلَىٰ أَنَّ

ذٰلِكَ الاِبْتِذَالَ ، وَتِلْكَ السُّهُولَةَ ، يَنْشَآنِ عَنِ الْوَحْدَةِ ، وَعَنْ كَوْنِهِمَا شُؤُونَ ذَاتٍ وَاحِدٍ ؛ وَإِلّا فَلَمْ يَكُنْ يُوجَدُ الاِبْتِذَالُ وَالْكَثْرَةُ ، وَالسُّهُولَةُ وَالسُّرْعَةُ وَالْقِيمَةُ ؛ بَلْ كَانَتْ ثَمَرَةٌ تُشْتَرَى الْآنَ بِخَمْسَةِ فُلُوسٍ ، نَادِرَةً فِي دَرَجَةٍ لا تُشْتَرَى بِخَمْسِمِئَةِ لِيَرَةٍ ، بَلْ لَمْ تَكُنْ تُوجَدُ ؛ وَصَارَتِ الْأَشْيَاءُ ذَاتُ الْحَيَاةِ ، السَّهْلَةُ الْوُجُودِ ، وَالْمَيْسُورَةُ الْإِيجَادِ ، كَتَعْبِئَةِ السَّاعَةِ ، وَالْأَجْهِزَةِ الْمُنْتَظِمَةِ ، الَّتِي تَعْمَلُ بِمَسِّ أَزْرَارِ الْكَهْرَبَاءِ الْآنَ ، ذَاتَ صُعُوبَةٍ وَمَشَاكِلَ ، فِي دَرَجَةِ الاِمْتِنَاعِ ؛ وَلَمْ يَكُنْ قِسْمٌ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ، الْآتِيَةِ إِلَى الْوُجُودِ بِجَمِيعِ أَجْهِزَتِهَا وَشَرَائِطِ حَيَاتِهَا ، فِي يَوْمٍ وَفِي سَاعَةٍ وَفِي دَقِيقَةٍ ، يَأْتِي إِلَى الْوُجُودِ فِي سَنَةٍ ، بَلْ فِي عَصْرٍ ؛ بَلْ لَمْ يَكُنْ يَأْتِي أَصْلاً . .

وَقَدْ أُثْبِتَ فِي مِئَةِ مَوْضِعٍ مِنْ «سِرَاجِ النُّورِ» ، بِقَطْعٍ يُفْحِمُ مُنْكِراً أَشَدَّ عِنَاداً أَيْضاً : أَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ ، إِذَا أُسْنِدَتْ إِلَى ذَاتٍ وَاحِدٍ أَحَدٍ فَرْدٍ ؛ تَسْهُلُ وَتَصِيرُ سَرِيعَةً وَرَخِيصَةً كَشَيْءٍ وَاحِدٍ ؛ وَإِنْ أُعْطِيَتِ الْأَسْبَابُ وَالطَّبِيعَةُ حِصَّةً أَيْضاً ؛ صَارَ إِيجَادُ شَيْءٍ وَاحِدٍ ، صَعْباً بِقَدَرِ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ، وَبَطِيئاً وَتَافِهاً وَغَالِياً . فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَرَى بَرَاهِينَ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ؛ فَنَظَرْتَ فِي الْمَكْتُوبَيْنِ : الْعِشْرِينَ وَالثَّالِثِ وَالثَّلاثِينَ ، وَفِي الْمَقَالَتَيْنِ : الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ وَالثَّانِيَةِ وَالثَّلاثِينَ ، وَفِي اللَّمْعَتَيْنِ : الثَّالِثَةِ وَالْعِشْرِينَ الدَّائِرَةِ حَوْلَ الطَّبِيعَةِ ، وَالثَّلاثِينَ الدَّائِرَةِ حَوْلَ الاِسْمِ الْأَعْظَمِ ، وَلاسِيَّمَا النُّكْتَتَيْنِ الرَّابِعَةِ وَالسَّادِسَةِ مِنَ اللَّمْعَةِ الثَّلاثِينَ ، الدَّائِرَتَيْنِ حَوْلَ اسْمِ الْفَرْدِ وَاسْمِ الْقَيُّومِ ؛ فَسَتَرَى أَنَّ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ، قَدْ أُثْبِتَتْ بِقَطْعِيَّةِ كَوْنِ الاِثْنَيْنِ فِي الاِثْنَيْنِ أَرْبَعَةً . .

وَهُنَا سَيُشَارُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْ مِئَاتِ تِلْكَ الْبَرَاهِينِ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ إِيجَادَ الْأَشْيَاءِ ، إِمَّا يَكُونُ مِنَ الْعَدَمِ ؛ وَإِمَّا أَنَّهَا تُجْمَعُ عَنْ سَائِرِ الْعَنَاصِرِ وَالْمَوْجُودَاتِ ، فِي صُورَةِ التَّرْكِيبِ . فَإِنْ أُسْنِدَ إِلَى ذَاتٍ وَاحِدٍ ؛ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ لِذٰلِكَ الذَّاتِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، عِلْمٌ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَقُدْرَةٌ مُسْتَوْلِيَةٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْوُجُودِ الْخَارِجِيِّ لِأَشْيَاءٍ يُوجَدُ فِي عِلْمِهِ صُوَرُهَا وَوُجُودُهَا الْعِلْمِيُّ ؛ وَإِنَّ إِخْرَاجَهَا عَنْ عَدَمٍ ظَاهِرِيٍّ ، يَكُونُ كَاقْتِدَاحِ ثِقَابٍ ، أَوْ كَتَمْوِيهِ مَادَّةٍ مُظْهِرَةٍ ، وَتَمْسِيحِهَا عَلَى خَطٍّ مَكْتُوبٍ بِكِتَابَةٍ غَيْرِ مَرْئِيَّةٍ لِلْعَيْنِ ، لِإِظْهَارِهِ لِلْعَيْنِ ، أَوْ كَعَمَلِيَّةٍ سَهْلَةٍ ، تَنْقُلُ مَا فِي مِرْآةِ الْمُصَوِّرَةِ مِنَ الصُّورَةِ إِلَى سَطْحِ الْوَرَقَةِ ؛ فَيُخْرِجُ الصَّانِعُ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تُوجَدُ

فِي عِلْمِهِ خُطَطُهَا وَمَنَاهِجُهَا وَمَقَادِيرُهَا الْمَعْنَوِيَّةُ ، مِنَ الْعَدَمِ الظَّاهِرِيِّ ، إِلَى الْوُجُودِ الْخَارِجِيِّ ، بِأَمْرِ : ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ فِي صُورَةٍ هَيِّنَةٍ لِلْغَايَةِ . وَإِنْ كَانَ فِي صُورَةِ الْإِنْشَاءِ وَالتَّرْكِيبِ ؛ وَلَمْ يَخْلُقْهَا مِنَ الْفَنَاءِ وَالْعَدَمِ ؛ بَلْ يَصْنَعُهَا فِي صُورَةِ الْجَمْعِ مِنَ الْعَنَاصِرِ وَالْأَقْطَارِ ؛ فَذٰلِكَ أَيْضاً ، كَمَا أَنَّ جَمِيعَ الْجَيْشِ ، فِي حُكْمِ قُوَّةِ قَائِدِهِ ، وَقَانُونِهِ وَبَصَرِهِ ، فِي خُصُوصِ اجْتِمَاعِ أَفْرَادِ كَتِيبَةٍ انْتَشَرُوا إِلَى كُلِّ جَانِبٍ لِلِاسْتِرَاحَةِ ، وَانْخِرَاطِهِمْ فِي وَضْعٍ مُنْتَظِمٍ بِصَيْحَةِ بُوقٍ ، وَفِي خُصُوصِ تَسْهِيلِ ذٰلِكَ السَّوْقِ ، وَمُحَافَظَةِ ذٰلِكَ الْوَضْعِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ إِنَّ الذَّرَّاتِ الَّتِي هِيَ تَحْتَ قِيَادَةِ سُلْطَانِ الْكَائِنَاتِ ، تُسَاقُ فَتَأْتِي بِدَسَاتِيرِهِ الْقَدَرِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ ، وَبِقَوَانِينِ قُدْرَتِهِ الْمُسْتَوْلِيَةِ ؛ وَتَكُونُ سَائِرُ الْمَوْجُودَاتِ أَيْضاً ، الَّتِي تُبَاشِرُهَا تِلْكَ الذَّرَّاتُ ، مُسَهِّلَةً كَقُوَّةِ ذٰلِكَ السُّلْطَانِ ، وَقَانُونِهِ وَمُوَظَّفِيهِ ؛ فَتَدْخُلُ تِلْكَ الذَّرَّاتُ ، فِي مِقْدَارٍ مُعَيَّنٍ ، هُوَ فِي حُكْمِ قَالَبٍ مَعْنَوِيٍّ عِلْمِيٍّ وَقَدَرِيٍّ ؛ فَتَقِفُ فِيهِ لِتَشْكِيلِ وُجُودِ ذِي حَيَاةٍ . وَإِنْ أُحِيلَتِ الْأَشْيَاءُ عَلَى أَيْدٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَأَشْيَاءٍ مِثْلِ الْأَسْبَابِ وَالطَّبِيعَةِ ، فَحِينَئِذٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَيُّ سَبَبٍ ، أَنْ يَخْلُقَ مِنَ الْفَنَاءِ وَالْعَدَمِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ ، بِاتِّفَاقِ جَمِيعِ أَهْلِ الْعَقْلِ ؛ لِأَنَّ ذٰلِكَ الْعَدَمَ ، لَا يَكُونُ عَدَماً ظَاهِرِيّاً وَخَارِجِيّاً ؛ بَلْ يَكُونُ عَدَماً مُطْلَقاً ؛ لِأَنَّ ذٰلِكَ السَّبَبَ ، لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ مُحِيطٌ ، وَقُدْرَةٌ مُسْتَوْلِيَةٌ . أَمَّا الْعَدَمُ الْمُطْلَقُ ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَنْشَأَ الْوُجُودِ بِأَيِّ جِهَةٍ . إِذاً فَإِنَّهُ يُرَكِّبُهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ ؛ مَعَ أَنَّ تِلْكَ الذَّرَّاتِ الْمَخْصُوصَةَ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ تَأْتِيَ بِآلَافِ الْمُشْكِلَاتِ ، بَعْدَ أَنْ يَجْمَعَ جَسَدَ ذُبَابَةٍ ، وَجِسْمَ زَهْرَةٍ ، مِنْ سَطْحِ الْأَرْضِ ؛ وَأَنْ يَنْخُلَهُ بِمُنْخُلٍ دَقِيقٍ ، فِي صُورَةِ الْإِنْشَاءِ وَالتَّرْكِيبِ . وَبَعْدَمَا تَأْتِي ، يَلْزَمُ أَيْضاً ، قَالَبٌ مَادِّيٌّ وَطَبِيعِيٌّ ، بَلْ قَوَالِبُ بِعَدَدِ أَعْضَائِهَا ؛ لِتُشَكِّلَ تِلْكَ الذَّرَّاتُ الْآتِيَةُ ، جِسْمَ ذٰلِكَ الْحَيِّ ، إِذْ لَا تُوجَدُ لَهَا قَوَالِبُ مَعْنَوِيَّةٌ وَعِلْمِيَّةٌ ، لِحِفْظِ وَضْعٍ مُنْتَظِمٍ ، عَنِ التَّشَتُّتِ فِي ذٰلِكَ الْجِسْمِ . .

هٰذَا ، فَإِسْنَادُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ إِلَى ذَاتٍ وَاحِدٍ ، فِيهِ يُسْرٌ فِي دَرَجَةِ الْوُجُوبِ وَاللُّزُومِ ؛ وَإِسْنَادُهَا إِلَى أَسْبَابٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، يُوجَدُ فِيهِ مُشْكِلَاتٌ فِي دَرَجَةِ الِامْتِنَاعِ وَالْمُحَالِ ؛ كَمَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، إِذَا أُسْنِدَ إِلَى الذَّاتِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ؛ يَصِيرُ قَوِيّاً لِلْغَايَةِ ، وَمُفِيداً جِدّاً ، وَمُصَنَّعاً

فَوْقَ الْعَادَةِ ، وَقَيِّماً فِي غَايَةِ الدَّرجَةِ ، مَعَ الرُّخْصِ فِي نِهَايَةِ الدَّرجَةِ . وَإِنْ أُحِيلَتْ عَلَى الطَّبِيعَةِ وَالْأَسْبَابِ الْمُتَعَدِّدَةِ ، فِي طَرِيقِ الشِّرْكِ ؛ تَكُونُ غَيْرَ قَوِيَّةٍ ، وَغَيْرَ مُفِيدَةٍ ، وَغَيْرَ مُصَنَّعَةٍ ، وَغَيْرَ مُهِمَّةٍ ، فِي غَايَةِ الدَّرجَةِ ، بَيْنَ الْغَلاءِ فِي نِهَايَةِ الدَّرجَةِ ؛ إِذْ كَمَا أَنَّ إِنْسَاناً يَفُوزُ بِقُوَّةٍ مَعْنَوِيَّةٍ ، مِن انْتِسَابِهِ وَاسْتِنَادِهِ بِجِهَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ إِلَىٰ قَائِدٍ أَعْظَمَ ؛ وَيُمْكِنُ أَنْ يُحْشَدَ جَيْشٌ وَرَاءَهُ ، إِنْ حَصَلَ لُزُومٌ ؛ وَيَفُوزُ بِقُدْرَةٍ مَادِّيَّةٍ أَزْيَدَ مِنْ قُوَّتِهِ الشَّخْصِيَّةِ آلافَ الْمَرَّاتِ ، بِكَوْنِ قُوَّةِ ذٰلِكَ السُّلْطَانِ وَالْجَيْشِ ، قُوَّتَهُ الاحْتِيَاطِيَّةَ ، وَبِاقْتِدَارٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ أَعْمَالاً تَفُوقُ الْعَادَةَ ، مِنْ عَدَمِ اضْطِرَارِهِ إِلَىٰ حَمْلِ مَنَابِعِ وَمُعَدَّاتِ قُوَّتِهِ الْمُهِمَّةِ تِلْكَ ، لِحَمْلِ الْجَيْشِ إِيَّاهَا ؛ فَلِذٰلِكَ يَسْتَطِيعُ ذٰلِكَ الْفَرْدُ الْوَاحِدُ ، أَنْ يَأْسِرَ مُشِيراً عَدُوّاً ؛ وَيُهَجِّرَ بَلَداً ؛ وَيُسَخِّرَ حِصْناً ؛ وَتَصِيرُ آثَارُهُ خَارِقَةً وَقَيِّمَةً ؛ فَإِنْ تَرَكَ التَّجَنُّدَ ؛ فَبَقِيَ هُوَ وَنَفْسَهُ ؛ يَفْقِدُ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، تِلْكَ الْقُوَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ ، وَتِلْكَ الْقُدْرَةَ الْفَائِقَةَ عَلَى الْعَادَةِ ، وَذٰلِكَ الِاقْتِدَارَ الْمُعْجِزَ ؛ فَيُمْكِنُ أَنْ يُؤَدِّيَ أَعْمَالاً جُزْئِيَّةً ، بِدُونِ قِيمَةٍ وَلا أَهَمِّيَّةٍ ، حَسَبَ قُوَّتِهِ الشَّخْصِيَّةِ ، مِثْلَ عَادِيٍّ غَيْرِ نِظَامِيٍّ ؛ وَتَتَصَاغَرُ آثَارُهُ بِتِلْكَ النِّسْبَةِ . كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ نَمْلَةً تَغْلِبُ فِرْعَوْناً ؛ وَذُبَابَةً تَغْلِبُ نُمْرُوداً ؛ وَجُرْثُومَةً تَغْلِبُ جَبَّاراً ؛ كَمَا أَنَّ نَوَاةً كَظُفْرَةٍ ، تَحْمِلُ عَلَىٰ كَاهِلِهَا شَجَرَةً مِثْلَ جَبَلٍ ؛ فَتَصِيرُ تِلْكَ النَّوَاةُ مَعْمَلاً ، يَكُونُ مَنْشَأً وَمَخْزَناً لِجَمِيعِ آلاتِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَجِهَازَاتِهَا ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، يَنْتَسِبُ إِلَى الْقَدِيرِ ذِي الْجَلَالِ ؛ وَيَسْتَنِدُ إِلَيْهِ ، فِي طَرِيقِ التَّوْحِيدِ ؛ مَعَ أَنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ أَيْضاً ، تَسْتَطِيعُ بِذٰلِكَ الِانْتِسَابِ وَالِاسْتِنَادِ ، أَنْ تُؤَدِّيَ وَظَائِفَ بِلا حَدٍّ ؛ وَهِيَ التَّوَاجُدُ فِي خِدْمَةِ تَشْكِيلِ أَجْسَامٍ وَصُوَرٍ ، تُوجَدُ فِي مِئَةِ أَلْفِ صَنَائِعَ وَأَنْمَاطٍ ؛ وَأَنَّ آثَاراً ، يَصِيرُ أُولائِكَ الْمُوَظَّفُونَ الصِّغَارُ ، وَهٰؤُلاءِ الْجُنُودُ الرِّقَاقُ ، مَظَاهِرَ لَهَا ، تَكُونُ مُكَمَّلَةً وَمُصَنَّعَةً وَقَيِّمَةً لِلْغَايَةِ ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَصْنَعُ تِلْكَ الْآثَارَ ، هُوَ الْقَدِيرُ ذُو الْجَلَالِ ؛ فَأَعْطَاهَا لِيَدِهَا ؛ وَجَعَلَهَا حِجَاباً . وَإِنْ أُحِيلَتْ عَلَى الْأَسْبَابِ ، فِي طَرِيقِ الشِّرْكِ ؛ كَانَ أَثَرُ النَّمْلَةِ ، بِلا أَهَمِّيَّةٍ كَالنَّمْلَةِ ؛ وَلَمْ تَكُنْ صَنْعَةُ الذَّرَّةِ تَبْقَى قِيمَتُهَا ، بِقَدَرِ الذَّرَّةِ ؛ وَسَقَطَ كُلُّ شَيْءٍ مَعْنًى ، كَمَا كَانَ يَسْقُطُ مَادَّةً أَيْضاً ، بِدَرَجَةٍ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَشْتَرِي الدُّنْيَا الْجَسِيمَةَ ، بِخَمْسَةِ فُلُوسٍ . .

فَإِذَا كَانَتِ الْحَقِيقَةُ هِيَ هٰذِهِ ؛ وَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ يُرَى ذَا قِيمَةٍ وَصَنْعَةٍ ، وَذَا مَعْنًى وَقُوَّةٍ ؛ وَنَرَاهَا بِأَبْصَارِنَا ؛ فَلاَ يُوجَدُ الطَّرِيقُ ؛ وَلاَ يُمْكِنُ قَطْعاً ، مِنْ دُونِ طَرِيقِ التَّوْحِيدِ . وَإِنْ وُجِدَ ؛ لَزِمَ تَبْدِيلُ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَتَفْرِيغُ الدُّنْيَا فِي الْعَدَمِ ؛ فَمَلْؤُهَا مِنْ جَدِيدٍ بِمُزَخْرَفَاتٍ بِلاَ أَهَمِّيَّةٍ ؛ حَتّٰى يُمْكِنَ فَتْحُ الطَّرِيقِ لِلشِّرْكِ . .

هٰذَا ، فَقَدْ سَمِعْتَ إِجْمَالَ بُرْهَانٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ، مِنْ مِئَاتِ بَرَاهِينَ بُيِّنَتْ وَأُوضِحَتْ حَوْلَ التَّوْحِيدِ ، فِي «رَسَائِلِ النُّورِ» الَّتِي هِيَ (سِرَاجُ النُّورِ ، وَسِرَاجُ السُّرُجِ) ، حَسَبَ تَعْبِيرِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) ؛ فَلَكَ أَنْ تَقِيسَ عَلَيْهِ الْأُخْرَيَاتِ . .

اَلْمُقْتَضِي الثَّالِثُ لِلتَّوْحِيدِ :

أَنَّ الْخِلْقَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَلاَسِيَّمَا فِي الْمَصْنُوعَاتِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ ، مُصَنَّعَةٌ فَوْقَ الْعَادَةِ ؛ مَعَ أَنَّ نَوَاةً ، نَمُوذَجٌ صَغِيرٌ لِثَمَرَةٍ ؛ وَالثَّمَرَةُ مِثَالٌ مُصَغَّرٌ لِشَجَرَةٍ ؛ وَالشَّجَرَةُ فِهْرِسٌ مُخْتَصَرٌ لِنَوْعٍ ؛ وَالنَّوْعُ خَرِيطَةٌ مُجْمَلَةٌ ، وَنَوَاةٌ مَعْنَوِيَّةٌ لِعَالَمٍ ؛ وَأَنَّهَا نِقَاطٌ جَامِعَةٌ ، وَقَطَرَاتٌ رَائِبَةٌ ، اسْتُخْلِصَتْ وَاحْتُلِبَتْ وَاسْتُجْمِعَتْ مِنَ الْكَائِنَاتِ ، بِالدَّسَاتِيرِ الْعِلْمِيَّةِ ، وَبِمَوَازِينِ الْحِكْمَةِ . .

فَمِنْ ثَمَّةَ ، كَانَ الذَّاتُ الْمُوجِدُ لِوَاحِدٍ مِنْهَا ، عَيْنَ الذَّاتِ الْمُوجِدِ لِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ . نَعَمْ : إِنَّ الَّذِي خَلَقَ نَوَاةَ الْبَطِّيخَةِ ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْبِطِّيخَةَ بِالْبَدَاهَةِ ؛ وَلاَ يُمْكِنُ غَيْرُهُ ؛ وَإِمْكَانُ غَيْرِهِ مُحَالٌ وَمُمْتَنِعٌ . .

نَعَمْ : نَحْنُ نَنْظُرُ ؛ فَنَرَى أَنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ فِي الدَّمِ ، تُؤَدِّي وَظَائِفَ مُنْتَظِمَةً وَكَثِيرَةً ؛ فَلاَ تَتَخَلَّفُ عَنِ النُّجُومِ ؛ وَأَنَّ كُلَّ كُرَيْوَةٍ حَمْرَاءَ وَبَيْضَاءَ مَوْجُودَةٍ فِي الدَّمِ ، تُؤَدِّي أَعْمَالاً شُعُورِيَّةً ، فِي خُصُوصِ الْمُحَافَظَةِ وَالْإِعَاشَةِ لِلْجَسَدِ ؛ فَتَكُونُ أَكْمَلَ مِنْ أَكْمَلِ مُوَظَّفِي الْأَرْزَاقِ وَجُنُودِ الْمُحَافَظَةِ ؛ وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْخَلاَيَا فِي الْجِسْمِ ، مَظْهَرٌ لِمُعَامَلاَتٍ وَوَارِدَاتٍ وَصَرْفِيَّاتٍ مُنْتَظِمَةٍ ؛ فَتُدَارُ أَكْمَلَ مِنْ أَكْمَلِ جَسَدٍ وَقَصْرٍ ؛ وَأَنَّ كُلَّ فَرْدٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ ، يَتَضَمَّنُ سِكَّةً فِي سِيمَاهُ ، وَجِهَازاً فِي بَاطِنِهِ وَصَدْرِهِ ؛ فَمَنْ أَوْجَدَ جَمِيعَ الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ ،

فَهُوَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَصْنَعَ تِلْكَ السِّكَّةَ، فِي تِلْكَ السِّيما، وَذٰلِكَ الْجِهَازَ، فِي بَاطِنِ ذٰلِكَ الصَّدْرِ؛ وَأَنَّ كُلَّ نَوْعٍ مِنْ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ، صُنِعَ مُنْتَظِماً؛ وَخُلِطَ مُتَنَاسِباً بِسَائِرِ الْأَنْوَاعِ فِي وَجْهِ الْأَرْضِ؛ فَمَنْ لَمْ يَخْلُقْ وَيُدِرْ؛ وَلَمْ يُدَبِّرْ وَيُرَبِّ دَفْعَةً وَاحِدَةً، جَمِيعَ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ؛ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُنْشِئَ وَيَنْسِجَ طِنْفِسَةً ذَاتَ حَيَاةٍ وَصَنْعَةٍ وَنَقْشٍ لِلْغَايَةِ، سَاتِرَةً لِوَجْهِ الْأَرْضِ، وَمَنْسُوجَةً بِأَرْبَعِمِئَةِ أَلْفِ وَشَائِجَ نَبَاتِيَّةٍ وَحَيَوَانِيَّةٍ؛ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْشِئَ وَيُدِيرَ ذٰلِكَ النَّوْعَ الْوَاحِدَ. فَإِذَا قِيسَتْ أَشْيَاءُ أُخْرَى، عَلَى هٰؤُلَاءِ؛ يُفْهَمُ أَنَّ مَجْمُوعَةَ الْكَائِنَاتِ، كُلٌّ لَا يَقْبَلُ تَجَزُّؤاً، فِي جِهَةِ الْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ، وَكُلِّيٌّ لَا يُمْكِنُ انْقِسَامُهُ، فِي جِهَةِ التَّدْبِيرِ وَالرُّبُوبِيَّةِ..

وَإِنَّ هٰذَا الْمُقْتَضِيَ الثَّالِثَ، قَدْ أُوضِحَ وَأُثْبِتَ قَاطِعاً وَلَامِعاً، فِي رَسَائِلَ كَثِيرَةٍ مِنْ «سِرَاجِ النُّورِ»، وَلَاسِيَّمَا فِي الْمَوْقِفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ؛ فَيَتَمَثَّلُ فِي مِرْآةِ كُلِّ شَيْءٍ، بُرْهَانُ وَحْدَةٍ؛ وَتَنْعَكِسُ فِيهَا حُجَّةُ تَوْحِيدٍ، كَعُكُوسِ الشَّمْسِ..

فَنَحْنُ اخْتَصَرْنَا هُنَا، تِلْكَ الْقِصَّةَ الْمُسْهَبَةَ، اكْتِفَاءً بِذٰلِكَ الْإِيضَاحِ..

اَلْمَقَامُ الثَّالِثُ:

إِنَّ هٰذَا الْمَقَامَ يُبَيِّنُ إِجْمَالاً، ثَلَاثَ عَلَامَاتٍ كُلِّيَّةٍ لِلتَّوْحِيدِ؛ وَإِنَّ الدَّلَائِلَ وَالْعَلَامَاتِ وَالْحُجَجَ، الدَّالَّةَ عَلَى تَحَقُّقِ الْوَحْدَةِ وَوُجُودِهَا، لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى؛ وَإِنَّ آلَافَ الْبَرَاهِينِ مِنْهَا، بُيِّنَتْ تَفْصِيلاً، فِي «سِرَاجِ النُّورِ»؛ فَلِذٰلِكَ اكْتُفِيَ فِي هٰذَا الْمَقَامِ الثَّالِثِ، بِبَيَانِ ثَلَاثِ حُجَجٍ كُلِّيَّةٍ إِجْمَالاً فَقَطْ..

اَلْعَلَامَةُ وَالْحُجَّةُ الْأُولَى:

وَهِيَ الَّتِي تَكُونُ كَلِمَةُ (وَحْدَهُ) نَتِيجَتَهَا؛ فَإِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَحْدَةً؛ وَالْوَحْدَةُ تَدُلُّ عَلَى وَاحِدٍ؛ وَتُشِيرُ إِلَيْهِ. نَعَمْ: إِنَّ أَثَراً وَاحِداً، يَصْدُرُ عَنْ صَانِعٍ وَاحِدٍ بِالْبَدَاهَةِ؛ وَإِنَّ الْوَاحِدَ، يَنْشَأُ عَنِ الْوَاحِدِ قَطْعاً. وَإِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَحْدَةً؛ فَلِذٰلِكَ يَدُلُّ قَطْعاً، عَلَى أَنَّهُ أَثَرُ وَصُنْعُ ذَاتٍ

وَاحِدٍ. نَعَمْ: إنَّ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ، كَنَوْرَةِ وَرْدَةٍ لُفَّتْ فِي أَلْفٍ وَوَاحِدٍ مِنْ أَغْطِيَةِ الْوَحَدَاتِ، بَلْ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ أَكْبَرُ، لَبِسَ الْوَحَدَاتِ عَدَدَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ الْعَامَّةِ الإِلٰهِيَّةِ، وَشَجَرَةُ خِلْقَةٍ طُوبَائِيَّةٌ، تَعَلَّقَتْ بِأَغْصَانِهَا الْوَحَدَاتُ عَدَدَ أَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ..

نَعَمْ: إِنَّ إِدَارَةَ الْكَائِنَاتِ وَاحِدَةٌ؛ وَتَدْبِيرَهَا وَاحِدٌ؛ وَسَلْطَنَتَهَا وَاحِدَةٌ؛ وَسِكَّتَهَا وَاحِدَةٌ؛ وَهٰكَذَا إِلَى أَلْفٍ وَوَاحِدَةٍ مِنَ الْوَحَدَاتِ. وَأَيْضاً إِنَّ الْأَسْمَاءَ وَالْأَفْعَالَ الَّتِي تُدِيرُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ، يُحِيطُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِالْكَائِنَاتِ أَوْ بِأَكْثَرِهَا؛ وَهِيَ وَاحِدَةٌ: أَيْ إِنَّ حِكْمَتَهَا الَّتِي تَعْمَلُ فِيهَا وَاحِدَةٌ؛ وَعِنَايَتَهَا وَاحِدَةٌ؛ وَتَنْظِيمَاتِهَا وَاحِدَةٌ؛ وَإِعَاشَتَهَا وَاحِدَةٌ؛ وَالرَّحْمَةَ الْعَادِيَةَ إِلَى إِمْدَادِ الْمُحْتَاجِينَ وَاحِدَةٌ؛ وَالْغَيْثَ الَّذِي هُوَ سَاقِيَةٌ مِنْ سَوَاقِي تِلْكَ الرَّحْمَةِ وَاحِدٌ؛ وَهٰكَذَا إِلَى آلَافِ الْوَحَدَاتِ. وَأَيْضاً إِنَّ الشَّمْسَ الَّتِي هِيَ دَفَّاءَةُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ وَاحِدَةٌ؛ وَالْقَمَرَ الَّذِي هُوَ سِرَاجُهَا وَاحِدٌ؛ وَالنَّارَ الَّتِي هِيَ طَبَّاخَتُهَا وَاحِدَةٌ؛ وَالْجَبَلَ الَّذِي هُوَ مَخْزَنُ لَوَازِمِهَا، وَوَتَدُهَا الْمُتَخَزِّنُ وَاحِدٌ؛ وَسَاقِيَهَا وَرَوِيَّهَا وَاحِدٌ؛ وَإِسْفِنْجَهَا السَّاقِيَ لِلْحَدَائِقِ وَاحِدٌ؛ وَهٰكَذَا إِلَى آلَافِ الْوَحَدَاتِ. هٰذَا، فَهٰذَا الْقَدَرُ مِنْ وَحَدَاتِ الْعَالَمِ، حُجَّةٌ بَاهِرَةٌ، تُشِيرُ إِلَى وَاحِدٍ أَحَدٍ فَرْدٍ ظَاهِرٍ كَالشَّمْسِ؛ وَتَدُلُّ عَلَيْهِ. وَأَيْضاً إِنَّ إِحَاطَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ عَنَاصِرِ الْكَائِنَاتِ وَمِنْ أَنْوَاعِهَا، بِوَجْهِ الْأَرْضِ، مَعَ كَوْنِهَا وَاحِدَةً، وَتَدَاخُلَ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ، وَاتِّحَادَهَا مُتَنَاسِبَةً بَلْ مُتَعَاوِنَةً، عَلَامَةٌ ظَاهِرَةٌ، عَلَى أَنَّ مَالِكَهَا وَصَاحِبَهَا وَصَانِعَهَا، وَاحِدٌ قَطْعاً..

اَلْعَلَامَةُ وَالْحُجَّةُ الثَّانِيَةُ:

وَهِيَ الَّتِي تُنْتِجُ كَلِمَةَ (لَا شَرِيكَ لَهُ): هِيَ وُجُودُ انْتِظَامٍ أَكْمَلَ بِلَا قُصُورٍ، وَانْسِجَامٍ أَجْمَلَ بِدُونِ نَقْصٍ، وَمِيزَانٍ أَعْدَلَ بِغَيْرِ ظُلْمٍ، فِي كُلِّ شَيْءٍ، مِنَ الذَّرَّاتِ إِلَى السَّيَّارَاتِ، فِي جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ. نَعَمْ: إِنَّ كَمَالَ الانْتِظَامِ وَالانْسِجَامِ وَالْمِيزَانِ، إِنَّمَا يُمْكِنُ بِالْوَحْدَةِ؛ فَإِنَّ أَيْدِياً مُتَعَدِّدَةً، إِذَا خَالَطَتْ شَيْئاً وَاحِداً؛ تَخْلِطُهُ..

تَعَالَ فَانْظُرْ إِلَى حِشْمَةِ هٰذَا الانْتِظَامِ؛ فَإِنَّهُ جَعَلَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ، قَصْراً مُكَمَّلاً لِلْغَايَةِ؛

فَإِنَّ كُلَّ حَجَرٍ مِنْهُ ، مُصَنَّعٌ بِقَدَرِ قَصْرٍ ؛ وَجَعَلَهَا بَلَداً مُحْتَشِماً لِلْغَايَةِ ؛ فَإِنَّ وَارِدَاتِهَا وَ صَرْفِيَّاتِهَا الَّتِي لا حَدَّ لَهَا ، وَأَرْزَاقَهَا وَأَمْوَالَهَا الْقَيِّمَةَ بِلا نِهَايَةٍ ، تَرِدُ مِنْ جِهَاتٍ غَيْبِيٍّ بِكَمَالِ الانْتِظَامِ ، فِي وَقْتِهَا الْمَوْقُوتِ ، مِنْ أَمَاكِنَ لا تُؤْمَلُ ؛ وَحَوَّلَهَا إِلَىٰ كِتَابٍ مُعْجِزٍ مُفِيدٍ لِلْغَايَةِ ؛ فَإِنَّهُ يُفِيدُ كُلُّ حَرْفٍ مِنْهُ ، مَعَانِيَ بِقَدَرِ مِئَةِ سَطْرٍ ؛ وَكُلُّ سَطْرٍ مِنْهُ ، بِقَدَرِ مِئَةِ صَحِيفَةٍ ؛ وَكُلُّ صَحِيفَةٍ مِنْهُ ، بِقَدَرِ مِئَةِ بَابٍ ؛ وَكُلُّ بَابٍ ، بِقَدَرِ مِئَةِ كِتَابٍ ؛ وَإِنَّ جَمِيعَ أَبْوَابِهَا وَصَحَائِفِهَا وَسُطُورِهَا وَكَلِمَاتِهَا وَحُرُوفِهَا ، يَنْظُرُ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ ؛ وَيُشِيرُ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ . .

وَتَعَالَ أَيْضاً ؛ فَانْظُرْ إِلَىٰ كَمَالِ هٰذَا التَّنْظِيفِ ، فِي هٰذَا الانْتِظَامِ الْأَعْجَبِ ؛ فَإِنَّ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ الْجَسِيمَةَ ، نَظِيفَةٌ كَبَلَدٍ حَضَارِيٍّ ، بَلْ كَقَصْرٍ جَمِيلٍ يُعْتَنَىٰ بِنَظَافَتِهِ لِلْغَايَةِ ، بَلْ حُورِيَّةٍ حَوْرَاءَ لَبِسَتْ سَبْعِينَ حُلَّةً مُتَزَيِّنَةً بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، بَلْ نَزِيهَةٌ وَنَظِيفَةٌ مِثْلُ نَوْرَةِ وَرْدَةٍ لُفَّتْ عَلَيْهَا سَبْعُونَ غِطَاءَةً لَطِيفَةً مُزْدَانَةً . .

وَتَعَالَ أَيْضاً ؛ فَانْظُرْ إِلَىٰ كَمَالِ عَدَالَةِ هٰذَا الْمِيزَانِ ، فِي هٰذَا الانْتِظَامِ وَالنَّظَافَةِ ؛ فَإِنَّ حُوَيْنَاتِهَا وَمَخْلُوقَاتِهَا الصَّغِيرَةَ الرَّقِيقَةَ جِدّاً ، الَّتِي لا يُمْكِنُ أَنْ تُرَىٰ إِلَّا بِتَكْبِيرِهَا أَلْفَ دَرَجَةٍ ، وَنُجُومَهَا وَشُمُوسَهَا الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ أَلْفَ مَرَّةٍ ، تُوزَنُ بِوَزْنِ ذٰلِكَ الْمِيزَانِ ، وَبِقِيَاسِ ذٰلِكَ الْقِسْطَاسِ ؛ وَتُعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ لازِمٍ لَهَا بِدُونِ نُقْصَانٍ ؛ وَإِنَّ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ الصِّغَارَ ، مُتَكَاتِفَةٌ مَعَ أُولٰئِكَ الْمَصْنُوعَاتِ الْعَظِيمَةِ فَوْقَ الْعَادَةِ ، تُجَاهَ ذٰلِكَ الْمِيزَانِ الْعَدْلِيِّ ؛ مَعَ أَنَّ مِنْ أُولٰئِكَ الْعُظَمَاءِ ، مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُؤَثِّرَ تَأْثِيراً بِقَدَرِ مَا يُفْسِدُ مُوَازَنَةَ الْعَالَمِ ؛ وَيُقِيمُ قِيَامَةً ؛ إِنْ فَقَدَ مُوَازَنَتَهُ بِقَدَرِ ثَانِيَةٍ . .

وَتَعَالَ أَيْضاً ؛ فَانْظُرْ إِلَىٰ هٰذَا الْجَمَالِ وَالْحُسْنِ الْجَذَّابِ فَوْقَ الْعَادَةِ ، فِي هٰذَا الانْتِظَامِ وَالنَّظَافَةِ وَالْمِيزَانِ ؛ فَإِنَّهُ مَنَحَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ الْجَسِيمَةَ ، شَكْلَ عِيدٍ بَهِيجٍ لِلْغَايَةِ ، وَمَشْهَرٍ مُتَزَيِّنٍ لِلْغَايَةِ ، وَرَبِيعٍ تَفَتَّحَتْ أَزْهَارُهُ مِنْ جَدِيدٍ ؛ وَجَعَلَ الرَّبِيعَ الْجَسِيمَ مَزْهَرَةً ، وَقَبْضَةَ وَرْدٍ جَمِيلَةً لِلْغَايَةِ ؛ فَمَنَحَ كُلَّ رَبِيعٍ ، صُورَةَ زَهْرَةٍ مُحْتَشِمَةٍ ، لَهُ مِئَاتُ آلافِ نَقْشٍ ، تَنْفَتِحُ مَوْسِماً فَمَوْسِماً عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ وَزَيَّنَ كُلَّ زَهْرَةٍ ، بِمَحَاسِنَ مُتَنَوِّعَةٍ فِي ذٰلِكَ الرَّبِيعِ . نَعَمْ : إِنَّ كُلَّ نَوْعٍ مِنَ

الْكَائِنَاتِ ، بَلْ كُلَّ فَرْدٍ مِنْهَا ، صَارَ حَسَبَ قَابِلِيَّتِهِ ، مَظْهَراً لِحُسْنٍ مَّا ، بِالْجَلَوَاتِ الْجَمِيلَةِ لِلْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ، الَّتِي لَهَا حُسْنٌ وَجَمَالٌ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ فَقَالَ حُجَّةُ الْإِسْلامِ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ : «لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ أَبْدَعُ مِمَّا كَانَ» ؛ يَعْنِي : لَيْسَ فِي دَائِرَةِ الْإِمْكَانِ ، أَبْدَعُ وَأَجْمَلُ مِنْ هٰؤُلاءِ الْمُكَوَّنَاتِ . .

هٰذَا ، فَهٰذَا الْحُسْنُ الْمُحِيطُ الْجَذَّابُ ، وَهٰذِهِ النَّظَافَةُ الْعُمُومِيَّةُ الْخَارِقَةُ لِلْعَادَةِ ، وَهٰذَا الْمِيزَانُ الْمُسْتَوْلِي الشَّامِلُ وَالْحَسَّاسُ لِلْغَايَةِ ، وَهٰذَا الانْتِظَامُ وَالانْسِجَامُ الْمُحِيطَانِ الْمُعْجِزَانِ بِكُلِّ جِهَةٍ ، حُجَّةٌ وَعَلامَةٌ لِلْوَحْدَةِ وَالتَّوْحِيدِ ، أَشْرَقُ مِنْ إِشَارَةِ الضِّيَاءِ إِلَى الشَّمْسِ فِي وَسَطِ النَّهَارِ . .

جَوَابٌ قَوِيٌّ وَمُخْتَصَرٌ لِلْغَايَةِ ، عَلَى سُؤَالٍ ذِي شِقَّيْنِ ، مُهِمٍّ لِلْغَايَةِ ، وَعَائِدٍ إِلَى هٰذَا الْمَقَامِ :

﴿اَلشِّقُّ الْأَوَّلُ مِنَ السُّؤَالِ :﴾ أَنَّكَ تَقُولُ فِي هٰذَا الْمَقَامِ : إِنَّ الْحُسْنَ وَالْجَمَالَ وَالْعَدَالَةَ أَحَاطَتْ بِالْكَائِنَاتِ ؛ مَعَ أَنَّكَ مَاذَا تَقُولُ لِهٰذَا الْقَدَرِ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَالْمَصَائِبِ وَالْأَمْرَاضِ وَالْبَلايَا وَالْوَفَيَاتِ ، أَمَامَ أَبْصَارِنَا ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ قُبْحاً يُنْتِجُ أَوْ يُظْهِرُ مَحَاسِنَ كَثِيرَةً ، فَهُوَ حُسْنٌ بِالتَّبَعِ ؛ وَأَنَّ انْعِدَامَ قُبْحٍ ، وَعَدَمَ تَظَاهُرِهِ ، الَّذِي هُوَ سَبَبٌ لِعَدَمِ تَظَاهُرِ مَحَاسِنَ كَثِيرَةٍ وَلِاخْتِفَائِهَا ، لَيْسَ قُبْحاً وَاحِداً ، بَلْ قُبْحٌ مُتَعَدِّدٌ مَرَّاتٍ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُوجَدْ قُبْحٌ وَاحِدٌ ، مِثْلُ وَاحِدٍ قِيَاسِيٍّ مَثَلاً ، تَصِيرُ حَقِيقَةُ الْحُسْنِ نَوْعاً وَاحِداً ؛ فَتَبْقَى مَرَاتِبُهُ الْكَثِيرَةُ جِدّاً مَخْفِيَّةً ؛ وَإِنَّ مَرَاتِبَ الْحُسْنِ تَنْكَشِفُ بِتَدَاخُلِ الْقُبْحِ ؛ فَكَمَا أَنَّ مَرَاتِبَ الْحَرَارَةِ ، تَتَظَاهَرُ بِوُجُودِ الْبُرُودَةِ ؛ وَدَرَجَاتِ الضِّيَاءِ ، تَتَظَاهَرُ بِوُجُودِ الظَّلامِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ خَيْرَاتٍ كُلِّيَّةً ، وَمَنَافِعَ كُلِّيَّةً ، وَنِعَماً كُلِّيَّةً ، وَمَحَاسِنَ كُلِّيَّةً ، تَتَظَاهَرُ بِوُجُودِ الشَّرِّ وَالضَّرَرِ وَالْقُبْحِ وَالْمُصِيبَةِ الْجُزْئِيَّةِ . إِذاً فَإِنَّ إِيجَادَ الْقَبِيحِ حَسَنٌ ، وَلَيْسَ بِقَبِيحٍ ؛

لِأَنَّ أَكْثَرَ نَتَائِجِهِ حَسَنٌ . نَعَمْ : إِنَّ إِنْسَاناً كَسْلاناً يَرَى الضَّرَرَ عَنِ الْمَطَرِ ، لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسْقِطَ نَتَائِجَهُ الْخَيِّرَةَ عَنِ الْحُكْمِ ، الَّتِي أَدَّتْ إِلىٰ تَسْمِيَةِ الْمَطَرِ بِالرَّحْمَةِ ؛ وَلا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَوِّلَ الرَّحْمَةَ إِلَى الْمِحْنَةِ . أَمَّا الْفَنَاءُ وَالزَّوَالُ وَالْمَوْتُ ، فَقَدْ أُثْبِتَ فِي الْمَكْتُوبِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ ، بِبَرَاهِينَ قَوِيَّةٍ وَقَاطِعَةٍ لِلْغَايَةِ : أَنَّهَا لَيْسَتْ مُنَافِيَةً لِلرَّحْمَةِ الْعَامَّةِ ، وَالْحُسْنِ الْمُحِيطِ ، وَالْخَيْرِ الشَّامِلِ ؛ بَلْ مُقْتَضِيَةٌ لَهَا ؛ حَتّٰى إِنَّ الشَّيْطَانَ أَيْضاً ، سَبَبٌ لِلْمُسَابَقَةِ وَالْمُجَاهَدَةِ ، الَّتِي هِيَ نَابِضَةُ الرُّقِيِّ الْبَشَرِيِّ الْمَعْنَوِيِّ ؛ فَلِذٰلِكَ يَكُونُ إِيجَادُ ذٰلِكَ النَّوْعِ أَيْضاً ، خَيْراً وَحَسَناً فِي تِلْكَ الْجِهَةِ ؛ وَحَتّٰى إِنَّ تَعْذِيبَ الْكَافِرِ بِجَهَنَّمَ حَسَنٌ ؛ لِأَنَّهُ يَعْتَدِي بِكُفْرِهِ عَلىٰ حُقُوقِ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيَحْتَقِرُ بِشَرَفِهَا . .

وَإِنَّ هَاتَيْنِ النُّقْطَتَيْنِ ، قَدْ فُصِّلَتَا تَمَاماً فِي رَسَائِلَ أُخْرىٰ ؛ فَلِذٰلِكَ نَكْتَفِي هُنَا بِإِشَارَةٍ مُخْتَصَرَةٍ . .

﴿اَلشِّقُّ الثَّانِي مِنَ السُّؤَالِ[١] :﴾ فَلْنَقْبَلْ هٰذَا الْجَوَابَ الْعَائِدَ إِلَى الشَّيْطَانِ وَالْكَافِرِ ، فِي نُقْطَةِ الْعُمُومِ ؛ وَلٰكِنْ كَيْفَ يَصْلُحُ أَنْ يَجْعَلَ الذَّاتُ الْغَنِيُّ عَلَى الْإِطْلاقِ ، الْجَمِيلُ الْمُطْلَقُ ، وَالرَّحِيمُ الْمُطْلَقُ ، وَالْخَيْرُ الْمُطْلَقُ ، أَفْرَاداً جُزْئِيَّةً ، وَأَشْخَاصاً بَائِسَةً ، مُبْتَلاةً بِالْمُصِيبَةِ وَالشَّرِّ وَالْقُبْحِ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ كُلَّ مَا يُوجَدُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْحُسْنِ وَالنِّعْمَةِ ، فَإِنَّمَا يَرِدُ مِنْ خَزِينَةِ رَحْمَةِ ذٰلِكَ الْجَمِيلِ وَالرَّحِيمِ الْمُطْلَقِ ، وَمِنْ إِحْسَانَاتِهِ الْخُصُوصِيَّةِ مُبَاشَرَةً . وَأَمَّا الْمَصَائِبُ وَالشُّرُورُ ، فَهِيَ نَتَائِجُ جُزْئِيَّةٌ مَحْدُودَةٌ ، مِنْ نَتَائِجَ كَثِيرَةٍ لِقَوَانِينِ سَلْطَنَةِ الرُّبُوبِيَّةِ ، تِلْكَ الْقَوَانِينِ الْعُمُومِيَّةِ الْكُلِّيَّةِ تَحْتَ اسْمِ عَادَاتِ اللهِ ، وَالْمُمَثِّلَةِ لِلْإِرَادَاتِ الْكُلِّيَّةِ ؛ فَتَكُونُ مُقْتَضَيَاتٍ جُزْئِيَّةً لِجَرَيَانِ تِلْكَ الْقَوَانِينِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَخْلُقُ تِلْكَ النَّتَائِجَ الْجُزْئِيَّةَ الشَّرِّيَّةَ أَيْضاً ، لِلرِّعَايَةِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلىٰ تِلْكَ الْقَوَانِينِ الَّتِي هِيَ مَدَارٌ لِلْمَصَالِحِ الْكُلِّيَّةِ قَطْعاً ؛ وَلٰكِنَّهُ يُدْرِكُ تَضَرُّعَ الْأَفْرَادِ الْوَاقِعَةِ فِي الْمُصِيبَةِ ،

---

(١) إِنَّ جَوَابَ هٰذَا الشِّقِّ الثَّانِي مُهِمٌّ جِدّاً ، يُزِيلُ أَوْهَاماً كَثِيرَةً . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (ﷺ) . .

وَاسْتِغَاثَةَ الْأَشْخَاصِ الْمُبْتَلاةِ بِالْبَلايَا ، بِالْإِمْدَادَاتِ الْخَاصَّةِ الرَّحْمَانِيَّةِ ، وَالْإِحْسَانَاتِ الْخُصُوصِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، تِجَاهَ تِلْكَ النَّتَائِجِ الْجُزْئِيَّةِ الْأَلِيمَةِ . وَقَدْ فَتَحَ أَبْوَابَ الْإِحْسَانَاتِ الْخُصُوصِيَّةِ، وَالتَّوَدُّدَاتِ الْخَاصَّةِ ، وَالتَّجَلِّيَاتِ الْخُصُوصِيَّةِ ، بِشُذُوذَاتِ دَسَاتِيرِ تِلْكَ الْعَادَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ الْكُلِّيَّةِ ، وَالْقَوَانِينِ الْعُمُومِيَّةِ ، وَبِنَتَائِجِهَا الشَّرِّيَّةِ ، لِفَتْحِ مَيْدَانٍ لِجَلْوَاتِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ، الَّتِي لا قَيْدَ وَلا حَدَّ لِجَلَوَاتِهَا ، بِإِظْهَارِ أَنَّهُ فَاعِلٌ مُخْتَارٌ ؛ وَأَنَّ كُلَّ شَأْنِ كُلِّ شَيْءٍ ، مُرْتَبِطٌ بِمَشِيئَتِهِ ؛ وَأَنَّ قَوَانِينَهُ الْعُمُومِيَّةَ أَيْضاً ، تَابِعَةٌ لِإِرَادَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ دَائِماً ؛ وَأَنَّ رَبّاً رَحِيماً يَسْتَمِعُ إِلَى أَفْرَادٍ يَسْتَغِيثُونَ مِنْ تَضْيِيقِ تِلْكَ الْقَوَانِينِ ؛ وَأَنَّهُ يُدْرِكُ إِمْدَادَهُمْ بِإِحْسَانِهِ . .

وَإِنَّ هٰذِهِ الْعَلامَةَ الثَّانِيَةَ لِلتَّوْحِيدِ ، يُحْتَمَلُ أَنَّهَا بُيِّنَتْ فِي مِئَةِ مَوْضِعٍ مِنْ «سِرَاجِ النُّورِ» ؛ فَلِذٰلِكَ اكْتَفَيْنَا هُنَا بِإِشَارَةٍ خَفِيفَةٍ . .

اَلْحُجَّةُ وَالْعَلامَةُ الثَّالِثَةُ :

هِيَ سِكَكُ التَّوْحِيدِ الَّتِي لا تَنْحَصِرُ فِي الْحَدِّ وَالْحِسَابِ ، الْمُشَارُ إِلَيْهَا بِـ : ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ . نَعَمْ : إِنَّ فِي وَجْهِ كُلِّ شَيْءٍ ، جُزْئِيّاً كَانَ أَوْ كُلِّيّاً ، مِنَ الذَّرَّاتِ إِلَى السَّيَّارَاتِ ، سِكَّةً ؛ فَكَمَا أَنَّ جِلْوَةَ الشَّمْسِ فِي الْمِرْآةِ تَدُلُّ عَلَى الشَّمْسِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ مِرْآةَ تِلْكَ السِّكَّةِ أَيْضاً ، تُشِيرُ إِلَى شَمْسِ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ ؛ وَتَشْهَدُ لِوَحْدَتِهَا . .

وَإِنَّ سِكَكاً كَثِيرَةً جِدّاً مِنْ تِلْكَ السِّكَكِ الَّتِي لا حَدَّ لَهَا ، بُيِّنَتْ تَفْصِيلاً فِي «سِرَاجِ النُّورِ» ؛ فَلِذٰلِكَ نَنْظُرُ هُنَا إِلَى ثَلاثٍ مِنْهَا بِإِشَارَةٍ مُخْتَصَرَةٍ فَقَطْ . .

وَذٰلِكَ : أَنَّ سِكَّةَ وَحْدَةٍ وَاسِعَةً وَمُرَكَّبَةً مِنَ التَّعَاوُنِ وَالتَّسَانُدِ ، وَالتَّشَابُهِ وَالتَّدَاخُلِ ، الَّتِي تُظْهِرُهَا الْأَنْوَاعُ بَعْضُهَا تِجَاهَ بَعْضٍ ، وُضِعَتْ عَلَى وَجْهِ مَجْمُوعِ الْكَائِنَاتِ ؛ كَمَا أَنَّهُ وَضَعَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَيْضاً ، تِلْكَ السِّكَّةَ التَّوْحِيدِيَّةَ ، فِي جِهَةِ الْأَرْزَاقِ وَالْأَسْلِحَةِ وَالْأَلْبِسَةِ ، وَالتَّدْرِيبَاتِ وَالتَّسْرِيحَاتِ ، لِجَيْشٍ سُبْحَانِيٍّ مُؤَلَّفٍ مِنْ أَرْبَعِمِئَةِ أَلْفِ طَائِفَةٍ حَيَوَانِيَّةٍ وَنَبَاتِيَّةٍ ، بِإِعْطَائِهَا فِي وَقْتِهَا الْمَوْقُوتِ ، بِغَايَةِ الانْتِظَامِ ، دُونَ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهَا ؛ كَذٰلِكَ إِنَّهُ وَضَعَ

عَلٰى وَجْهِ الْإِنْسَانِ أَيْضاً ، سِكَّةَ الْوَحْدَانِيَّةِ ، بِوُجُودِ عَلامَاتٍ فَارِقَةٍ لِكُلِّ وَجْهٍ ، تِجَاهَ جَمِيعِ الْوُجُوهِ ؛ كَمَا أَنَّهُ تُشَاهَدُ عَلٰى وَجْهِ كُلِّ مَصْنُوعٍ أَيْضاً ، جُزْئِيّاً كَانَ أَوْ كُلِّيّاً ، سِكَكُ التَّوْحِيدِ ، وَعَلٰى رَأْسِ كُلِّ مَخْلُوقٍ ، صَغِيراً كَانَ أَوْ كَبِيراً ، قَلِيلاً كَانَ أَوْ كَثِيراً ، خَوَاتِمُ الْأَحَدِيَّةِ ؛ وَلاسِيَّمَا أَنَّ سِكَكَ الْمَخْلُوقَاتِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ ، أَكْثَرُ إِشْرَاقاً ؛ بَلْ إِنَّ كُلَّ ذِي حَيَاةٍ ، هُوَ نَفْسُهُ أَيْضاً ، سِكَّةُ تَوْحِيدٍ ، وَخَاتَمُ وَحْدَةٍ ، وَطُغْرَاءُ أَحَدِيَّةٍ ، وَطُرَّةُ صَمَدِيَّةٍ . نَعَمْ : إِنَّ كُلَّ زَهْرَةٍ ، وَكُلَّ ثَمَرَةٍ ، وَكُلَّ وَرَقَةٍ ، وَكُلَّ نَبَاتٍ ، وَكُلَّ حَيَوَانٍ ، هِيَ مُهْرَةُ الْأَحَدِيَّةِ ، وَخَوَاتِمُ الصَّمَدِيَّةِ ؛ فَحَوَّلَتْ كُلَّ شَجَرَةٍ إِلٰى صُورَةِ مَكْتُوبٍ رَبَّانِيٍّ ، وَكُلَّ طَائِفَةٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ إِلٰى كِتَابٍ رَحْمَانِيٍّ ، وَكُلَّ حَدِيقَةٍ إِلٰى مَنْشُورٍ سُبْحَانِيٍّ ؛ فَخُتِمَتْ عَلٰى مَكْتُوبِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، مُهْرَةٌ عَدَدَ أَزْهَارِهَا ، وَإِمْضَاءَاتٌ عَدَدَ أَثْمَارِهَا ، وَطُرَّاتٌ مِقْدَارَ أَوْرَاقِهَا ؛ وَخُتِمَتْ عَلٰى كِتَابِ ذٰلِكَ النَّوْعِ وَالطَّائِفَةِ أَيْضاً ، خَوَاتِمُ بِعَدَدِ أَفْرَادِهِ ، لِلْإِظْهَارِ وَالْإِعْلامِ بِكَاتِبِهِ ؛ وَسُكَّتْ عَلٰى مَنْشُورِ تِلْكَ الْحَدِيقَةِ ، سِكَكٌ بِعَدَدِ مَا يُوجَدُ فِي دَاخِلِ تِلْكَ الْحَدِيقَةِ مِنَ النَّبَاتَاتِ وَالْأَشْجَارِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّعْرِيفِ بِسُلْطَانِهَا ؛ حَتّٰى إِنَّ فِي مَبْدَأِ كُلِّ شَجَرَةٍ ، وَفِي مُنْتَهَاهَا ، وَفَوْقَهَا ، وَفِي بَاطِنِهَا ، أَرْبَعَ سِكَكٍ تَوْحِيدِيَّةٍ ، يُشِيرُ إِلَيْهَا اسْمُ : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ . .

نَعَمْ : إِنَّ نَوَاةَ(١) كُلِّ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ ، الَّتِي هِيَ مَنْشَأُهَا الْأَصْلِيُّ ، هِيَ صُنَيْدِقَةٌ تَتَضَمَّنُ مَنْهَجَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَفِهْرِسَهَا وَخُطَّتَهَا ، وَمَعْمَلٌ يَحْتَوِي أَجْهِزَتَهَا وَلَوَازِمَهَا وَتَشْكِيلاتِهَا ، وَجِهَازٌ يَحْمِلُ مَا فِي الْبِدَايَةِ مِنْ مَوَارِدِهَا الرَّقِيقَةِ ، وَمَصَارِفِهَا وَتَنْظِيمَاتِهَا اللَّطِيفَةِ ؛ كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ بِاسْمِ (الْأَوَّلِ) . .

---

(١) إِنَّ هٰذَا الْقَوْلَ السَّائِرَ مَثَلاً عَلٰى أَلْسِنَةِ الْعَامَّةِ وَأَلْسِنَةِ النَّاسِ ، مُنْذُ قَدِيمِ الزَّمَانِ ، وَهُوَ : (إِنَّهُ مَنْتُوجٌ عَنِ النَّوَاةِ) ، يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّهُ إِشَارَةٌ غَيْبِيَّةٌ عُرْفِيَّةٌ إِلٰى مُؤَلِّفِ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ؛ لِأَنَّ الشَّخْصَ الْخَادِمَ لِرِسَالَةِ النُّورِ ، اكْتَشَفَ بِفَيْضِ الْقُرْآنِ ، مِعْرَاجَيْ مَعْرِفَةٍ لِلتَّوْحِيدِ ، فِي النَّوَاةِ وَالزَّهْرَةِ ؛ فَوَجَدَ مَاءَ الْحَيَاةِ ، فِي عَيْنِ الْمَكَانِ الَّذِي أَغْرَقَ الطَّبِيعِيِّينَ ؛ وَبَلَغَ مِنَ النَّوَاةِ ، إِلَى الْحَقِيقَةِ وَنُورِ الْمَعْرِفَةِ . وَإِنَّ زِيَادَةَ تَكْرَارِ هٰذَيْنِ الشَّيْئَيْنِ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ، مَبْنِيَّةٌ عَلٰى هٰذِهِ الْحِكْمَةِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

وَإِنَّ نَتِيجَةَ كُلِّ شَجَرَةٍ وَثَمَرَتَهَا ، هِيَ تَعْرِفَةٌ ، تُعَرِّفُ أَشْكَالَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، وَأَحْوالَهَا وَأَوْصَافَهَا ؛ وَبَيَانٌ ، يُبَيِّنُ وَظَائِفَهَا وَمَنَافِعَهَا وَخَوَاصَّهَا ؛ وَفَذْلَكَةٌ ، تُدَرِّسُ أَمْثَالَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَنْسَالَهَا وَأَجْيَالَهَا الْقَادِمَةَ ، بِمَا فِي قَلْبِ تِلْكَ الثَّمَرَةِ مِنْ نَوَاهَا ؛ كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ بِاسْمِ (الْآخِرُ) . .

وَإِنَّ مَا يَلْبَسُهُ كُلُّ شَجَرَةٍ مِنَ الصُّورَةِ وَالشَّكْلِ ، لِبَاسٌ وَحُلَّةٌ مُصَنَّعَةٌ وَمُنَقَّشَةٌ ، قُصَّتْ وَقُطِّعَتْ وَزُيِّنَتْ ، حَسَبَ قَامَةِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ تَمَاماً ، بِأَغْصَانِهَا وَأَفْنَانِهَا ، وَبِأَعْضَائِهَا وَأَجْزَائِهَا ؛ وَإِنَّهَا حَسَّاسَةٌ وَمُتَّزِنَةٌ وَمُفِيدَةٌ ؛ فَحَوَّلَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةَ ، إِلَىٰ صُورَةِ كِتَابٍ وَمَكْتُوبٍ وَقَصِيدَةٍ ؛ كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ بِاسْمِ (الظَّاهِرُ) . .

وَإِنَّ الْمَعْمَلَ الَّذِي يَعْمَلُ فِي بَاطِنِ كُلِّ شَجَرَةٍ ، هُوَ مَصْنَعٌ يَقِيسُ بِالْمِيزَانِ الْحَسَّاسِ لِلْغَايَةِ ، تَشْكِيلَ جَمِيعِ أَجْزَاءِ وَأَعْضَاءِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، وَتَدْوِيرَهَا وَتَدْبِيرَهَا ، مَعَ السَّوْقِ وَالتَّقْسِيمِ وَالتَّوْزِيعِ ، لِلْمَوَادِّ وَالْأَرْزَاقِ اللَّازِمَةِ لِجَمِيعِ أَعْضَائِهَا الْمُخْتَلِفَةِ ، تَحْتَ انْتِظَامٍ مُكَمَّلٍ لِلْغَايَةِ ؛ كَمَا يَعْمَلُ ذٰلِكَ الْمَصْنَعُ الْخَارِقُ ، بِسُرْعَةٍ كَلَمَعَانِ الْبَرْقِ ، وَبِسُهُولَةٍ كَتَعْبِئَةِ السَّاعَةِ ، وَبِوَحْدَةٍ وَاتِّحَادٍ كَالْأَمْرِ بِالْهُجُومِ لِجَيْشٍ ، تَتْرُكُ الْعُقُولَ فِي الْحَيْرَةِ ؛ كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ بِاسْمِ (الْبَاطِنُ) . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ أَوَّلَ كُلِّ شَجَرَةٍ صُنْدُوقَةٌ وَمَنْهَجٌ ؛ وَآخِرَهَا تَعْرِفَةٌ وَنَمُوذَجٌ ؛ وَظَاهِرَهَا حُلَّةٌ مُصَنَّعَةٌ وَلِبَاسٌ مُنَقَّشٌ ؛ وَبَاطِنَهَا مَصْنَعٌ وَمَعْمَلٌ ؛ فَتَنْظُرُ هٰذِهِ الْجِهَاتُ الْأَرْبَعُ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ ؛ وَيَتَظَاهَرُ مِنْ مَجْمُوعِ هٰؤُلَاءِ الْأَرْبَعِ سِكَّةٌ عُظْمَىٰ ، بَلِ اسْمٌ أَعْظَمُ ؛ فَلَا يُمْكِنُ بِالْبَدَاهَةِ أَنْ يَعْمَلَ تِلْكَ الْأَعْمَالَ ، غَيْرُ صَانِعٍ وَاحِدٍ أَحَدٍ ، يُدِيرُ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ . وَإِنَّ أَوَّلَ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ وَآخِرَهُ ، وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ ، تَتَضَمَّنُ كَالشَّجَرِ ، سِكَكَ التَّوْحِيدِ ، وَخَوَاتِمَ الْوَحْدَةِ ، وَمُهْرَةَ الْأَحَدِيَّةِ ، وَطُرَرَ الْوَحْدَانِيَّةِ . .

هٰذَا ، فَقِيَاساً عَلَىٰ مَا فِي هٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ؛ فَإِنَّ الرَّبِيعَ أَيْضاً ، شَجَرَةٌ ذَاتُ أَزْهَارٍ كَثِيرَةٍ ؛ فَالْبُذُورُ وَالنَّوَىٰ وَالْجُذُورُ ، الَّتِي أُودِعَتْ إِلَىٰ يَدِ الرَّبِيعِ ، تَتَضَمَّنُ سِكَّةَ اسْمِ (الْأَوَّلِ) ؛ وَالثَّمَرَاتُ وَالْحُبُوبُ وَالْخُضَارُ ، الَّتِي تُصَبُّ فِي حِضْنِ فَصْلِ الصَّيْفِ ؛ وَتَمْلَأُ إِزَارَهُ ، تَحْمِلُ خَاتَمَ اسْمِ (الْآخِرِ) ؛ وَالْحُلَلُ الشَّبِيهَةُ بِالسُّنْدُسِ ، وَالْمَلَابِسُ الْفِطْرِيَّةُ الْمُتَزَيِّنَةُ بِمِئَةِ

أَلْفِ نَقْشٍ ، الَّتِي يَلْبَسُهَا فَصْلُ الرَّبِيعِ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، كَالْحُورِ الْعِينِ ، تَتَضَمَّنُ مُهْرَ اسْمِ (الظَّاهِرِ) ؛ وَالْمَصَانِعُ الصَّمَدَانِيَّةُ الَّتِي تَعْمَلُ ، وَالْجِفَانُ الرَّحْمَانِيَّةُ الَّتِي تَغْلِي ، وَالْمَطَابِخُ الرَّبَّانِيَّةُ الَّتِي تَطْبُخُ الْأَطْعِمَةَ ، فِي بَاطِنِ الرَّبِيعِ وَفِي بَطْنِ الْأَرْضِ ، تَتَضَمَّنُ طُرَّةَ اسْمِ (الْبَاطِنِ) ؛ حَتّٰى إِنَّ كُلَّ نَوْعٍ كَنَوْعِ الْبَشَرِ مَثَلاً ، شَجَرَةٌ أَيْضاً ؛ فَإِنَّ وُجُودَ قَوَانِينَ مُنْتَظِمَةٍ لِلْغَايَةِ ، فِي الْحَيَاةِ الْجِنْسِيَّةِ وَالْبَقَاءِ النَّوْعِيِّ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّ أَصْلَهُ وَنَوَاتَهُ فِي الْمَاضِي ، وَثَمَرَاتِهِ وَنَتَائِجَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، كَوَضْعِهِ الْحَالِيِّ الْحَاضِرِ أَيْضاً ، يَتَضَمَّنُ سِكَّةَ تَوْحِيدٍ ، تَحْتَ حُكْمِ دَسَاتِيرِ الْحَيَاةِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَخَاتَمَ وَحْدَةٍ مُنْتَظِماً وَمَخْفِيّاً ، تَحْتَ الِاخْتِلاطَاتِ الظَّاهِرِيَّةِ ، وَمُهْرَ وَحْدَانِيَّةٍ ، تَحْتَ حُكْمِ دَسَاتِيرِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، الْمُسَمَّاةِ بِالْمُقَدَّرَاتِ الْحَيَوِيَّةِ ، تَحْتَ الْأَحْوَالِ الْبَشَرِيَّةِ الْمُشَوَّشَةِ . .

خَاتِمَةٌ :

إِشَارَةٌ مُخْتَصَرَةٌ جِدّاً ، بِعِدَّةِ كَلِمَاتٍ ، إِلَىٰ سَائِرِ الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ ، فِي دَاخِلِ سِرِّ التَّوْحِيدِ . .

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْغَافِلُ ! تَعَالَ فَكِّرْ مَرَّةً ؛ وَاتَّخِذْ لِلنَّظَرِ ، الثَّمَرَاتِ الثَّلَاثَ ، وَالْمُقْتَضِيَاتِ الثَّلَاثَةَ ، وَالْحُجَجَ الثَّلَاثَ ، الَّتِي بُيِّنَتْ فِي الْمَقَامَاتِ الثَّلَاثَةِ مِنْ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ؛ فَانْظُرْ أَنَّ صَانِعاً قَدِيراً حَكِيماً رَحِيماً عَلِيماً ، يَتَصَرَّفُ فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيَتَّخِذُ لِلنَّظَرِ أَقَلَّ شِفَاءٍ وَأَصْغَرَ شُكْرٍ أَيْضاً ؛ وَلَا يُحِيلُ عَلَىٰ غَيْرِهِ وَلَا يُعْطِيهِ أَقَلَّ صَنْعَةٍ مِثْلَ جَنَاحِ الْبَعُوضَةِ ؛ وَلَا يَبْقَىٰ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِهِ ؛ وَيُعَلِّقُ بِأَبْسَطِ بَذْرَةٍ ، وَظَائِفَ وَحِكَماً بِقَدْرِ شَجَرَةٍ ؛ وَيُشْعِرُ بِرَحْمَانِيَّتِهِ وَرَحِيمِيَّتِهِ وَحَكِيمِيَّتِهِ ، بِكُلِّ صَنْعَةٍ لَهُ ؛ وَيُعَرِّفُ نَفْسَهُ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ ؛ وَيُحَبِّبُهَا بِكُلِّ نِعْمَةٍ ؛ فَهَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ ، وَهَلْ مِنَ الْقَابِلِ بِأَيِّ جِهَةٍ ، أَنْ يَبْقَىٰ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ، تِجَاهَ مَحَاسِنِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَالتَّسْبِيحَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، وَالْأَنْوَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؟ وَأَنَّ الرِّسَالَةَ الْأَحْمَدِيَّةَ الَّتِي ذَهَّبَتْ جَمِيعَ مَصْنُوعَاتِهِ ؛ وَفَرَّحَتْ جَمِيعَ مَخْلُوقَاتِهِ ؛ وَأَضَاءَتِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَأَضْرَحَتِ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ ؛

وَاتَّخَذَتْ نِصْفَ كُرَةِ الْأَرْضِ، وَخُمُسَ نَوْعِ الْبَشَرِ، تَحْتَ سَلْطَنَتِهَا الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَصْراً بِلَا فَاصِلَةٍ؛ وَاقْتَادَتْ تِلْكَ السَّلْطَنَةَ الْمُحْتَشِمَةَ دَائِماً، بِاسْمِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ وَبِحِسَابِهِ: فَهَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ، أَنْ لَا تَكُونَ أَهَمَّ مَقْصَدٍ لِذٰلِكَ الصَّانِعِ، وَنُوراً وَمِرْآةً لَهُ؟ وَأَنْ لَا يَكُونَ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ خَدَمُوا نَفْسَ الْحَقِيقَةِ، مِثْلَ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)، رُسُلَهُ وَأَخِلَّاءَهُ وَمُوَظَّفِيهِ أَيْضاً؟ حَاشَا حَاشَا وَكَلَّا، عَدَدَ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ..

وَأَنَّ خَالِقاً حَكِيماً وَرَحِيماً، يُعَلِّقُ مِئَاتِ الْحِكَمِ وَالثِّمَارِ، بِأَصْغَرِ شَيْءٍ جُزْئِيٍّ، كَالْفَرْعِ وَالْغُصْنِ؛ وَيُعَرِّفُ رُبُوبِيَّتَهُ؛ وَيُحَبِّبُهَا بِرَحْمَانِيَّتِهِ الْعَامَّةِ، وَبِحِكَمِهِ الْفَائِقَةِ عَلَى الْعَادَةِ: فَهَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ، أَنْ لَا يَأْتِيَ بِالْحَشْرِ، الْهَيِّنِ بِقَدَرِ رَبِيعٍ بِالنِّسْبَةِ لِقُدْرَتِهِ؛ فَلَا يَفْتَحَ دَارَ سَعَادَةٍ وَمَنْزِلَ بَقَاءٍ؛ فَيُنْكِرَ جَمِيعَ حِكَمِهِ وَرَحَمَاتِهِ، حَتَّى رُبُوبِيَّتَهُ وَكَمَالَاتِهِ؛ وَيَسْتَنْكِرَهَا؛ وَأَنْ يُعْدِمَ فِي صُورَةٍ أَبَدِيَّةٍ، جَمِيعَ مَخْلُوقَاتِهِ الْمَحْبُوبَةِ الَّتِي يُحِبُّهَا كَثِيراً؟ حَاشَا حَاشَا مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ الْجَمَالَ الْمُطْلَقَ، مُنَزَّهٌ وَمُقَدَّسٌ عَنْ مِثْلِ هٰذَا الْقُبْحِ الْمُطْلَقِ، مِئَاتِ آلَافِ الدَّرَجَاتِ..

وَأَيْضاً أَنَّ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ، الَّذِي هُوَ التَّرْجُمَانُ الْبَلِيغُ لِجَمِيعِ حَقَائِقِ الْكَائِنَاتِ الْعَالِيَةِ وَالْحَقِيقِيَّةِ، وَاللِّسَانُ الْمُعْجِزُ لِجَمِيعِ كَمَالَاتِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ: فَهَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ، أَنْ لَا يَكُونَ كَلَامَ ذٰلِكَ الْخَالِقِ؟ حَاشَا حَاشَا، عَدَدَ أَسْرَارِ آيَاتِهِ..

حَاشِيَةٌ طَوِيلَةٌ:

﴿سُؤَالٌ بِمُنَاسَبَةِ الْحَشْرِ:﴾ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً.. وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ مُكَرَّراً فِي الْقُرْآنِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَشْرَ الْأَعْظَمَ، يَأْتِي لِلْوُجُودِ فِي آنٍ وَاحِدٍ، بِلَا زَمَانٍ. فَالْعَقْلُ الضَّيِّقُ، يَطْلُبُ مِثَالاً مَشْهُوداً، يَكُونُ مَدَاراً لِلْقَبُولِ بِالْإِذْعَانِ، لِهٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي لَا مِثْلَ لَهَا، الْخَارِقَةِ بِدَرَجَةٍ لَا حَدَّ لَهَا..

اَلْجَوَابُ : أَنَّ فِي الْحَشْرِ ، مَجِيءَ الْأَرْوَاحِ إِلَى الْأَجْسَادِ ، وَإِحْيَاءَ الْأَجْسَادِ ، وَإِنْشَاءَ الْأَجْسَادِ ؛ فَهِيَ ثَلَاثُ مَسَائِلَ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولَى : أَنَّ الْمِثَالَ لِمَجِيءِ الْأَرْوَاحِ إِلَى أَجْسَادِهَا : هُوَ اجْتِمَاعُ أَفْرَادِ جَيْشٍ مُنْتَظِمٍ لِلْغَايَةِ ، بِصَيْحَةِ نَاقُورٍ عَالِي الصَّوْتِ ، إِذْ كَانُوا مُنْتَشِرِينَ إِلَى كُلِّ جَانِبٍ لِلِاسْتِرَاحَةِ . نَعَمْ : إِنَّ صُورَ إِسْرَافِيلَ الَّذِي هُوَ بُوقُهُ ، لَا يَتَخَلَّفُ عَنْ بَوَّاقِ الْجَيْشِ ؛ كَمَا أَنَّ الْأَرْوَاحَ الَّتِي سَمِعَتْ خِطَابَ : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ، الْوَارِدَ مِنْ جَانِبِ الْأَزَلِ ؛ وَأَجَابَتْ بِـ : ﴿قَالُوا بَلَى﴾ ، إِذْ كَانُوا فِي جَانِبِ الْآبَادِ ، وَفِي عَالَمِ الذَّرَّاتِ ، هِيَ مُسَخَّرَةٌ وَمُنْتَظِمَةٌ وَمُطِيعَةٌ قَطْعاً ، أَكْثَرَ مِنْ أَفْرَادِ الْجَيْشِ ، آلَافَ الدَّرَجَاتِ . وَأَيْضاً إِنَّ «الْمَقَالَةَ الثَّلَاثِينَ» ، أَثْبَتَتْ بِبَرَاهِينَ قَاطِعَةٍ لِلْغَايَةِ : أَنْ لَيْسَتِ الْأَرْوَاحُ فَقَطْ ؛ بَلْ جَمِيعُ الذَّرَّاتِ أَيْضاً ، جَيْشٌ سُبْحَانِيٌّ ، وَأَفْرَادٌ مُطِيعَةٌ لِلْأَمْرِ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ مِثَالَ إِحْيَاءِ الْأَجْسَادِ : هُوَ تَوَقُّدُ وَتَنَوُّرُ مِئَةِ أَلْفِ سُرُجٍ كَهْرَبَائِيَّةٍ ، فِي آنٍ بِلَا زَمَانٍ عَادَةً ، مِنْ مَرْكَزٍ وَاحِدٍ ، فِي لَيْلَةِ ابْتِهَاجٍ ، فِي مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ جِدّاً ؛ كَمَا أَنَّ تَنْوِيرَ مِئَةِ مِلْيُونِ سِرَاجٍ ، مِنْ مَرْكَزٍ وَاحِدٍ ، فِي سَطْحِ جَمِيعِ كُرَةِ الْأَرْضِ أَيْضاً ، مُمْكِنٌ . فَإِذَا كَانَ مَخْلُوقٌ لِلّٰهِ تَعَالَىٰ مِثْلُ الْكَهْرَبَاءِ ، وَخَادِمٌ وَشَمْعَةٌ لَهُ فِي مَضِيفَةٍ لَهُ ، يَصِيرُ مَظْهَراً لِهٰذِهِ الْكَيْفِيَّةِ ، بِمَا يَتَلَقَّى عَنْ خَالِقِهِ مِنْ دَرْسِ التَّرْبِيَةِ وَالِانْتِظَامِ ؛ فَإِنَّ الْحَشْرَ الْأَعْظَمَ ، يُمْكِنُ قَطْعاً أَنْ يَأْتِيَ إِلَى الْوُجُودِ فِي طَرْفَةِ الْعَيْنِ ، فِي دَائِرَةِ الْقَوَانِينِ الْمُنْتَظِمَةِ لِلْحِكْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، الَّتِي تُمَثِّلُهَا الْآلَافُ مِنْ خُدَّامَةِ النَّيِّرَةِ مِثْلِ الْكَهْرَبَاءِ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ مِثَالَ إِنْشَاءِ الْأَجْسَادِ دَفْعَةً : هُوَ الْإِنْشَاءُ الْمُكَمَّلُ دَفْعَةً ، لِجَمِيعِ الْأَشْجَارِ الَّتِي هِيَ أَزْيَدُ أَلْفَ دَرَجَةٍ ، مِنْ جَمِيعِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، مَعَ جَمِيعِ أَوْرَاقِهَا ، خِلَالَ بِضْعَةِ أَيَّامٍ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ ، مِثْلَ الرَّبِيعِ الْأَوَّلِ عَيْنِهِ ؛ وَالْإِيجَادُ بِسُرْعَةٍ كَالْبَرْقِ ، لِجَمِيعِ أَزْهَارِ كُلِّ الْأَشْجَارِ أَيْضاً ، وَأَثْمَارِهَا وَأَوْرَاقِهَا ، مِثْلَ مَحَاصِيلِ الرَّبِيعِ السَّابِقِ ؛ وَانْتِبَاهُ بُذَيْرَاتٍ وَنَوًى وَعُرُوقٍ بِلَا حَدٍّ ، الَّتِي هِيَ مَبَادِئُ ذٰلِكَ الرَّبِيعِ ؛ وَانْكِشَافُهَا وَإِحْيَاؤُهَا مَعاً دَفْعَةً وَاحِدَةً ؛ وَنَشْرُ جَنَائِزَ

جَمِيعِ الْأَشْجَارِ الشَّبِيهَةِ بِأَمْوَاتٍ قَائِمِينَ عَلَى الْأَقْدَامِ ، الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الْعِظَامِ ، وَمَظْهَرِيَّتُهَا لِسِرِّ (الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ) دَفْعَةً وَاحِدَةً ، بِأَمْرٍ وَاحِدٍ ؛ وَإِحْيَاءُ مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ أَفْرَادِ طَوَائِفِ الْحُوَيْنَاتِ الصَّغِيرَةِ ، فِي صُورَةٍ مُصَنَّعَةٍ فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ وَلَاسِيَّمَا حَشْرِ قَبَائِلِ الذِّبَّانِ ؛ وَخَاصَّةً إِنْشَاءَ الْقَبِيلَةِ الَّتِي أَمَامَ أَبْصَارِنَا ، وَالَّتِي تُلَطِّفُ وُجُوهَنَا ؛ وَتُذَكِّرُنَا بِالْوُضُوءِ وَالنَّظَافَةِ ، بِتَنْظِيفِ وَجْهِهَا وَعَيْنِهَا وَجَنَاحِهَا ؛ وَإِحْيَاءَ تِلْكَ الْقَبِيلَةِ وَحَشْرَهَا خِلَالَ عِدَّةِ أَيَّامٍ ، مَعَ سَائِرِ الْقَبَائِلِ فِي كُلِّ رَبِيعٍ ؛ مَعَ أَنَّ أَفْرَادَهَا الْمَنْشُورَةَ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، أَزْيَدُ مِنْ جَمِيعِ أَفْرَادِ بَنِي آدَمَ الْوَارِدَةِ مُنْذُ زَمَنِ آدَمَ ؛ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِثَالاً وَاحِداً ، بَلْ آلَافُ أَمْثِلَةٍ لِإِنْشَاءِ الْأَجْسَادِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي الْقِيَامَةِ . .

نَعَمْ : إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ الْحِكْمَةِ ؛ وَالْآخِرَةُ دَارُ الْقُدْرَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ كَانَ إِيجَادُ الْأَشْيَاءِ فِي الدُّنْيَا ، بِالزَّمَانِ وَتَدْرِيجِيّاً ، بِدَرَجَةٍ مَّا ، حَاصِلاً بِمُقْتَضَى الْحِكْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ فِي الدُّنْيَا ، بِاقْتِضَاءِ أَسْمَاءٍ كَثِيرَةٍ مِثْلِ : (الْحَكِيمِ وَالْمُرَتِّبِ وَالْمُدَبِّرِ وَالْمُرَبِّي) . أَمَّا فِي الْآخِرَةِ ، فَتُنْشَأُ الْأَشْيَاءُ دَفْعَةً ، دُونَ احْتِيَاجٍ إِلَى الْمَادَّةِ وَالْمُدَّةِ ، وَالزَّمَانِ وَالِانْتِظَارِ ، لِتَظَاهُرِ الْقُدْرَةِ وَالرَّحْمَةِ فِيهَا ، أَكْثَرَ مِنَ الْحِكْمَةِ . فَلِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْأُمُورَ الَّتِي تُصْنَعُ هُنَا فِي الدُّنْيَا ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَفِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، تُنْشَأُ فِي الْآخِرَةِ فِي آنٍ وَاحِدٍ ، وَفِي لَمْحَةٍ وَاحِدَةٍ ، يَقُولُ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ : ﴿وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ . .

فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَفْهَمَ فِي صُورَةٍ قَاطِعَةٍ ، مَجِيءَ الْحَشْرِ مِثْلَ مَجِيءِ الرَّبِيعِ الْآتِي ، فَانْظُرْ بِإِمْعَانٍ ، إِلَى الْمَقَالَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ ، مَعَ الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ ، الدَّائِرَةِ حَوْلَ الْحَشْرِ ؛ وَأَبْصِرْ . فَإِنْ لَمْ تَعْتَقِدْ مَجِيءَ الْحَشْرِ مِثْلَ مَجِيءِ الرَّبِيعِ ؛ فَأْتِ وَأَدْخِلْ إِصْبَعَكَ فِي عَيْنِي . .

أَمَّا مَوْتُ الدُّنْيَا ، وَقِيَامُ السَّاعَةِ ، الَّذِي هُوَ مَسْأَلَةٌ رَابِعَةٌ : هُوَ أَنَّ اصْطِدَامَ كَوْكَبَةٍ سَيَّارَةٍ ، أَوْ نَجْمٍ مُذَنَّبٍ ، بِكُرَتِنَا وَمَضْيفَتِنَا ، فِي آنٍ وَاحِدٍ ، بِالْأَمْرِ الرَّبَّانِيِّ ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْدِمَ دَارَنَا هٰذِهِ ، كَانْهِدَامِ قَصْرٍ فِي دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ، بُنِيَ فِي عَشْرِ سِنِينَ . .

وَالْآنَ يَكْفِي إِجْمَالُ هٰذِهِ الْمَسَائِلِ الْأَرْبَعِ لِلْحَشْرِ ؛ فَنَعُودُ إِلَى صَدَدِنَا أَيْضاً . .

وَأَيْضاً هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يُنْطِقَ صَانِعٌ حَكِيمٌ ، جَمِيعَ مَصْنُوعَاتِهِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ ، وَذَوَاتِ الشُّعُورِ ، بَعْضَهَا مَعَ بَعْضٍ ؛ وَأَنْ يَسْتَنْطِقَهَا بَعْضَهَا مَعَ بَعْضٍ ، بِآلافِ أَنْوَاعِ أَلْسِنَتِهَا ؛ وَأَنْ يَعْلَمَ وَيَسْمَعَ أَصْوَاتَهَا وَأَقْوَالَهَا ؛ وَأَنْ يُجِيبَهَا فِي صُورَةٍ ظَاهِرَةٍ ، بِأَفْعَالِهِ وَإِنْعَامِهِ ؛ وَلٰكِنْ لَا يَتَكَلَّمُ هُوَ نَفْسُهُ ؛ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ ذٰلِكَ وَيُحْتَمَلُ أَصْلاً ؟ . فَإِذَا كَانَ يَتَكَلَّمُ بِالْبَدَاهَةِ ؛ وَكَانَ الْمُخَاطَبُ الْمُتَفَهِّمُ تَمَاماً تِجَاهَ كَلَامِهِ ، هُوَ الْإِنْسَانَ أَوَّلاً ؛ فَإِنَّ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ الْمَشْهُورَةَ ، وَفِي الْمُقَدِّمَةِ الْقُرْآنُ ، هِيَ كَلَامُهُ . .

وَأَيْضاً إِنَّ صَانِعاً حَكِيماً جَعَلَ الْكَائِنَاتِ الْجَسِيمَةَ ، بِأَنْوَاعِهَا وَأَرْكَانِهَا ، خَادِماً مُسَخَّراً ، وَمَسْكَناً وَمَشْهَراً وَمَضِيفاً لِذَوِي الْحَيَاةِ ، لِتَعَرُّفِ نَفْسِهِ وَتَوَدُّدِهَا ، وَتَأْدِيَةِ مَدْحِهَا وَثَنَائِهَا ، وَلِتَصْيِيرِ امْتِنَانِ ذَوِي الْحَيَاةِ وَشُكْرِهِمْ ، بِتَفْرِيحِهِمْ وَسُرُورِهِمْ بِأَنْوَاعِ إِحْسَانَاتِهِ ، مَدَاراً مُهِمّاً لِرُبُوبِيَّتِهِ ؛ ثُمَّ يُرِيدُ تَكْثِيرَ نُسَخِ آلَافِ أَنْوَاعِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ الْمُتَنَوِّعَةِ ؛ فَيَجْعَلُ كُلَّ وَرَقَةٍ مِنْ أَوْرَاقِ بَعْضِ الْأَشْجَارِ غَيْرِ الْمُثْمِرَةِ ، كَالْبَانِ وَالشَّجَرِ الْأَسْوَدِ ، مَهْداً وَرَحِماً وَمَخْزَنَ أَرْزَاقٍ ، لِكَتِيبَةٍ مِنَ الذِّبَّانِ ـ أَيْ لِذَوِي الْحَيَاةِ الذَّاكِرِينَ فِي الْهَوَاءِ ـ فَهَلْ يُمْكِنُ مَعَ ذٰلِكَ ، أَنْ يَتْرُكَ السَّمَاوَاتِ الْمُتَزَيِّنَةَ ، وَالنُّجُومَ الْمُتَنَوِّرَةَ ، بِدُونِ صَاحِبٍ وَلَا حَيَاةٍ ، وَبِغَيْرِ رُوحٍ وَلَا سُكَّانٍ ، وَفَارِغَةً خَالِيَةً بِدُونِ فَائِدَةٍ ـ أَيْ بِلَا مَلَائِكَةٍ وَلَا رُوحَانِيَّاتٍ ـ حَاشَا حَاشَا وَكَلَّا ، عَدَدَ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ . .

وَأَيْضاً إِنَّ صَانِعاً حَكِيماً مُدَبِّراً ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكْتُبَ مَبْدَأَ أَحْقَرِ نَبَاتٍ وَأَصْغَرِ شَجَرٍ وَمُنْتَهَاهُمَا ، فِي كَمَالِ الْاِنْتِظَامِ ، وَمُقَدَّرَاتِهِمَا الْحَيَوِيَّةَ فِي نَوَاتِهِمَا وَثَمَرَتِهِمَا بِقَلَمِ الْقَدَرِ ؛ مَعَ أَنَّهُ يَكْتُبُ مُقَدِّمَاتِ الرَّبِيعِ الْجَسِيمِ وَنَتَائِجَهُ ، بِكَمَالِ الْاِمْتِيَازِ وَالْاِنْتِظَامِ ، كَشَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَلَا يَبْقَى غَيْرَ مُبَالٍ بِأَحْقَرِ الْأَشْيَاءِ أَيْضاً ؛ وَلٰكِنَّهُ لَا يَكْتُبُ أَفْعَالَ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ نَتِيجَةُ الْكَائِنَاتِ ، وَخَلِيفَةُ الْأَرْضِ ، وَنَاظِرُ أَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَضَابِطُهَا ؛ وَلَا يَكْتُبُ حَرَكَاتِهِ ذَاتَ الْأَهَمِّيَّةِ جِدّاً ؛ وَلَا يَجْعَلُهَا فِي دَائِرَةِ قَدَرِهِ ؛ وَيَبْقَى غَيْرَ مُبَالٍ بِهَا ؟ حَاشَا حَاشَا وَكَلَّا ، عَدَدَ أَعْمَالِ النَّاسِ الَّتِي تَدْخُلُ الْمِيزَانَ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ الْكَائِنَاتِ بِجَمِيعِ حَقَائِقِهَا ، تَقُولُ صَارِخَةً : ﴿آمَنْتُ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى ؛ وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ . أَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلّا اللهُ ؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَإِخْوانِهِ وَسَلَّمَ . آمِينَ﴾ . .

مُنَاجَاةٌ تَوْحِيدِيَّةٌ ، وَمُقَدِّمَةٌ لَهَا :

لَقَدْ وَسَّعْنَا بِدَرَجَتَيْنِ ، أَهَمَّ مُنَاجَاةٍ لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ (رضي الله عنه) ، فِي آخِرِ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ، بِجِهَةِ أَنَّ الْإِمَامَ عَلِيّاً (رضي الله عنه و كرم الله وجهه) ، سَمّى رِسَالَةَ النُّورِ ، بِاسْمِ (سِرَاجِ النُّورِ وَسِرَاجِ السُّرُجِ) ؛ فَأَلْحَقَ اسْمَيْنِ بِأَسْمَاءِ رِسَالَةِ النُّورِ الثَّلَاثَةِ ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْ رِسَالَةِ النُّورِ ، عَلىٰ وَجْهِ الْكَرَامَةِ ، فِي قَصِيدَتِهِ الْجَلْجَلُوتِيَّةِ ، وَبِمُنَاسَبَةِ تَكْرَارِ اسْمِ (سِرَاجِ النُّورِ) ، فِي هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ؛ فَنَسْتَعْمِلُ لِسَانَنَا بِحِسَابِ لِسَانٍ لَهُ ؛ وَنُقَدِّمُ بِلِسَانِهِ الْعُلْوِيِّ ، هٰذِهِ الْمُنَاجَاةَ ، إِلَى بَابِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ . .

اَلْمُنَاجَاةُ :

اَللّٰهُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ فِي السَّمَاوَاتِ دَوْرَاتٌ وَنُجُومٌ وَمُحَرَّكَاتٌ سَيَّارَاتٍ ؛ وَلا فِي الْجَوِّ سَحَابَاتٌ وَبُرُوقٌ وَمُسَبِّحَاتٌ رَعَدَاتٍ ؛ وَلا فِي الْأَرْضِ غَمَرَاتٌ وَحَيَوَانَاتٌ وَعَجَائِبُ مَصْنُوعَاتٍ ؛ وَلا فِي الْبِحَارِ قَطَرَاتٌ وَسَمَكَاتٌ وَغَرَائِبُ مَخْلُوقَاتٍ ؛ وَلا فِي الْجِبَالِ حَجَرَاتٌ وَنَبَاتَاتٌ وَمُدَّخَرَاتُ مَعْدِنِيَّاتٍ ؛ وَلا فِي الْأَشْجَارِ وَرَقَاتٌ وَزَهَرَاتٌ وَمُزَيَّنَاتُ ثَمَرَاتٍ ؛ وَلا فِي الْأَجْسَامِ حَرَكَاتٌ وَآلاتٌ وَمُنَظَّمَاتُ جِهَازَاتٍ ؛ وَلا فِي الْقُلُوبِ خَطَرَاتٌ وَإِلْهَامَاتٌ وَمُنَوَّرَاتُ اعْتِقَادَاتٍ ، إِلّا وَهِيَ كُلُّهَا عَلَى وُجُوبِ وُجُودِكَ شَاهِدَاتٌ ، وَعَلىٰ وَحْدَانِيَّتِكَ دَالّاتٌ ، وَفِي مُلْكِكَ مُسَخَّرَاتٌ . . فَبِالْقُدْرَةِ الَّتِي سَخَّرْتَ بِهَا الْأَرَضِينَ وَالسَّمَاوَاتِ ،

سَخِّرْ لِي نَفْسِي ؛ وَسَخِّرْ لِي مَطْلُوبِي ؛ وَسَخِّرْ لِرَسَائِلِ النُّورِ لِخِدْمَةِ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ ، قُلُوبَ عِبَادِكَ ، وَقُلُوبَ الْمَخْلُوقَاتِ الرُّوحَانِيَّاتِ ، مِنَ الْعُلْوِيَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ ، يَا سَمِيعُ يَا قَرِيبُ يَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ . آمِينَ . . وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞﴾ . .

اَلسَّبْتَ { رَبِيعاً الثَّانِي / ١٣ / ١٤٠٥هـ . .
كَانُونَ الثَّانِي / ٥ / ١٩٨٥م . . }

مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلَازْكِرْدِيُّ ، وَفَّقَهُ اللهُ لِنَشْرِ الْأَنْوَارِ الْقُرْآنِيَّةِ ، آمِينَ . .

عَرَمُونَ – مَبْنَى أَزْهَرِ لُبْنَانَ ، عَمَّرَهُ اللهُ بِالطُّلَّابِ وَالْخُلَّانِ ، آمِينَ . .

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ ، وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ ؛
وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . .

اَلشُّعَاعُ الثَّالِثُ

﴿ رِسَالَةُ الْمُنَاجَاةِ ﴾

اَلْمُقَدِّمَةُ :

إِنَّ هٰذِهِ الْحُجَّةَ الْإِيمَانِيَّةَ الثَّامِنَةَ ، الَّتِي هِيَ رِسَالَةُ الشُّعَاعِ الثَّالِثِ ، تَدُلُّ عَلٰى وُجُوبِ الْوُجُودِ ، وَعَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ ؛ كَمَا تَدُلُّ أَيْضاً عَلٰى إِحَاطَةِ رُبُوبِيَّتِهِ ، وَعَلٰى عَظَمَةِ قُدْرَتِهِ ، بِدَلَائِلَ قَاطِعَةٍ ؛ وَتَدُلُّ عَلٰى إِحَاطَةِ حَاكِمِيَّتِهِ ، وَعَلٰى شُمُولِ رَحْمَتِهِ ؛ وَتُثْبِتُهُمَا ؛ وَتُثْبِتُ إِحَاطَةَ حِكْمَتِهِ ، وَشُمُولَ عِلْمِهِ ، لِجَمِيعِ أَجْزَاءِ الْكَائِنَاتِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ لِكُلِّ مُقَدِّمَةٍ مِنْ هٰذِهِ الْحُجَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ الثَّامِنَةِ ، ثَمَانِيَ نَتَائِجَ ؛ وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ هٰذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ الثَّمَانِيَةِ ، تُثْبِتُ النَّتَائِجَ الثَّمَانِيَةَ بِدَلَائِلِهَا ؛ فَفِي هٰذِهِ الْجِهَةِ ، تُوجَدُ فِي هٰذِهِ الْحُجَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ الثَّامِنَةِ ، مَزَايَا عَالِيَةٌ . .

إِنَّ رِسَالَةَ الْمُنَاجَاةِ هٰذِهِ ، تُثْبِتُ أَهَمَّ أُسُسٍ إِيمَانِيَّةٍ ، مِثْلِ وُجُوبِ الْوُجُودِ ، وَالْوَحْدَةِ ، وَالْأَحَدِيَّةِ ، وَحِشْمَةِ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَعَظَمَةِ الْقُدْرَةِ ، وَسِعَةِ الرَّحْمَةِ ، وَعُمُومِ الْحَاكِمِيَّةِ ، وَإِحَاطَةِ الْعِلْمِ ، وَشُمُولِ الْحِكْمَةِ ، فِي إِيجَازٍ خَارِقٍ ، وَبِقَطْعٍ وَخُلُوصٍ وَيَقِينٍ فَوْقَ الْعَادَةِ . وَإِنَّ إِشَارَاتِهَا إِلَى الْحَشْرِ ، وَلَاسِيَّمَا إِشَارَاتِهَا الشَّدِيدَةِ فِي الْآخِرِ ، قَوِيَّةٌ جِدّاً . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله عنه) . .

اَلْمُنَاجَاةُ :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَآ أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَآءِ مِنْ مَآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ . .

إِنَّ رِسَالَةَ الْمُنَاجَاةِ هٰذِهِ ، الَّتِي هِيَ الشُّعَاعُ الثَّالِثُ ، نَوْعٌ مِنْ تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ . .

يَا إِلٰهِي وَيَا رَبِّي ! أَرَى بِعَيْنِ الْإِيمَانِ ، وَبِتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَنُورِهِ ، وَبِدَرْسِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، وَبِإِرَاءَةِ اسْمِ الْحَكِيمِ : أَنَّهُ لَيْسَ فِي السَّمَاوَاتِ دَوَرَانٌ وَحَرَكَةٌ لَا تُشِيرُ إِلَى وُجُودِكَ ؛ وَلَا تَدُلُّ عَلَيْهِ ، بِانْتِظَامِهَا هٰكَذَا ؛ وَلَا جِرْمٌ مِنَ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ لَا يَشْهَدُ لِرُبُوبِيَّتِكَ وَوَحْدَتِكَ ؛ وَلَا يُشِيرُ إِلَيْهِمَا ، بِسُكُوتِهِ وَبِسُكُونِهَا بِلَا عَمَدٍ ، مُؤَدِّيَةً الْوَظِيفَةَ بِلَا لَغَطٍ ؛ وَلَا نَجْمَةٌ لَا تَكُونُ فِي الْإِشَارَةِ وَالشَّهَادَةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِكَ وَحِشْمَةِ أُلُوهِيَّتِكَ ، بِخِلْقَتِهَا الْمَوْزُونَةِ ، وَبِوَضْعِيَّتِهَا الْمُنْتَظِمَةِ ، وَابْتِسَامَتِهِ الْمُتَنَوِّرَةِ ، وَبِسِكَّةِ الْمُمَاثَلَةِ وَالْمُشَابَهَةِ لِجَمِيعِ النُّجُومِ ؛ وَلَا وَاحِدَةٌ مِنَ السَّيَّارَاتِ الِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ ، لَا تَشْهَدُ عَلَى وُجُوبِ وُجُودِكَ ؛ وَلَا تُشِيرُ إِلَى سَلْطَنَةِ أُلُوهِيَّتِكَ ، بِحَرَكَتِهَا الْحَكِيمَةِ ، وَبِتَسْخِيرِهَا الْمُطِيعَةِ ، وَبِوَظِيفَتِهَا الْمُنْتَظِمَةِ ، وَبِأَقْمَارِهَا الْمُهِمَّةِ . .

نَعَمْ : إِنَّ السَّمَاوَاتِ بِسُكْنَتِهَا ، وَكُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَلَى حِدَتِهَا ، تَشْهَدُ ؛ كَمَا أَنَّهَا بِهَيْئَتِهَا الْمَجْمُوعَةِ ، تَشْهَدُ فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ ، عَلَى وُجُوبِ وُجُودِكَ ــ أَيُّهَا الْخَالِقُ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ ! ــ شَهَادَةً ظَاهِرَةً ، وَعَلَى وَحْدَتِكَ وَأَحَدِيَّتِكَ ــ يَا مَنْ يُدَبِّرُ الذَّرَّاتِ

وَيُدِيرُهَا بِمُرَكَّبَاتِهَا الْمُنْتَظِمَةِ ؛ وَيُدَوِّرُ هٰذِهِ الْكَوَاكِبَ السَّيَّارَةَ ؛ وَيُسَخِّرُهَا لِأَمْرِهِ ، بِأَقْمَارِهَا الْمَنْظُومَةِ ! ـ شَهَادَةً قَوِيَّةً تُصَدِّقُهَا بَرَاهِينُ مُنِيرَةٌ ، وَدَلَائِلُ مُشْرِقَةٌ ، عَدَدَ النُّجُومِ الْمَوْجُودَةِ فِي وَجْهِ السَّمَاءِ . .

وَأَيْضاً إِنَّ هٰذِهِ السَّمَاوَاتِ الصَّافِيَةَ النَّظِيفَةَ الْجَمِيلَةَ ، تَدُلُّ دَلَالَةً ظَاهِرَةً ، عَلٰى حَشْمَةِ رُبُوبِيَّتِكَ ، وَعَلٰى عَظَمَةِ قُدْرَتِكَ الَّتِي تُنْشِئُ كُلَّ شَيْءٍ ؛ وَتُشِيرُ إِشَارَةً قَوِيَّةً ، إِلٰى مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ سِعَةِ حَاكِمِيَّتِكَ الَّتِي أَحَاطَتْ بِالسَّمَاوَاتِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، وَسِعَةِ رَحْمَتِكَ الَّتِي احْتَضَنَتْ كُلَّ ذِي حَيَاةٍ ؛ وَتَشْهَدُ بِلَا شُبْهَةٍ ، عَلٰى إِحَاطَةِ عِلْمِكَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَعَلٰى شُمُولِ حِكْمَتِكَ لِكُلِّ شَيْءٍ ، اللَّذَيْنِ يَتَعَلَّقَانِ بِجَمِيعِ شُؤُونِ وَكَيْفِيَّاتِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ السَّمَاوِيَّةِ ؛ وَيَقْتَبِضَانِهَا وَيُنَظِّمَانِهَا ؛ وَذٰلِكَ بِجِهَةِ إِظْهَارِهَا وَضْعَ جَيْشٍ مُنْتَظِمٍ ، بِأَجْرَامِهَا الْعَظِيمَةِ فَوْقَ الْعَادَةِ ، وَالسَّرِيعَةِ فَوْقَ الْعَادَةِ ، وَوَضْعَ بَحْرِيَّةِ سَلْطَنَةٍ تَزَيَّنَتْ بِمَصَابِيحِهَا الْكَهْرَبَائِيَّةِ . وَإِنَّ تِلْكَ الشَّهَادَةَ وَالدَّلَالَةَ ظَاهِرَتَانِ ، كَأَنَّ النُّجُومَ كَلِمَاتُ شَهَادَةِ السَّمَاوَاتِ الشَّاهِدَةِ ، وَدَلَائِلُهَا الْمُنِيرَةُ الْمُتَجَسِّمَةُ . وَأَيْضاً إِنَّ مَا فِي مَيْدَانِ السَّمَاوَاتِ ، وَفِي بَحْرِهَا وَفَضَائِهَا مِنَ النُّجُومِ ، تَدُلُّ عَلٰى إِشْرَاقِ سَلْطَنَةِ أُلُوهِيَّتِكَ ، بِوَضْعِيَّتِهَا الشَّبِيهَةِ بِجُنُودٍ مُطِيعَةٍ ، وَسُفُنٍ مُنْتَظِمَةٍ ، وَطَائِرَاتٍ بَدِيعَةٍ ، وَمَصَابِيحَ عَجِيبَةٍ ؛ وَإِنَّ قِسْماً مِنْ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ الَّتِي هِيَ رُفَقَاءُ الشَّمْسِ ، تَنْظُرُ إِلٰى عَوَالِمِ الْآخِرَةِ ؛ وَلَيْسَتْ غَيْرَ مُوَظَّفَةٍ ؛ بَلْ هِيَ شُمُوسُ عَوَالِمَ بَاقِيَةٍ ، بِدَلَالَةِ وَإِخْطَارِ مَا فِي أَرْضِنَا ، وَفِي سَيَّارَاتِ شَمْسِنَا ، الَّتِي هِيَ مِنْ أَفْرَادِ ذٰلِكَ الْجَيْشِ ، مِنْ وَظَائِفِهَا . .

فَيَا وَاجِبَ الْوُجُودِ ! وَيَا أَيُّهَا الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ! إِنَّ هٰذِهِ النُّجُومَ الْبَدِيعَةَ ، وَهٰؤُلَاءِ الشُّمُوسَ وَالْأَقْمَارَ الْعَجِيبَةَ ، سُخِّرَتْ وَنُظِّمَتْ وَوُظِّفَتْ فِي مُلْكِكَ وَفِي سَمَاوَاتِكَ ، بِأَمْرِكَ وَبِقُوَّتِكَ وَقُدْرَتِكَ ، وَبِإِدَارَتِكَ وَتَدْبِيرِكَ ؛ وَإِنَّ جَمِيعَ هٰؤُلَاءِ الْأَجْرَامِ الْعُلْوِيَّةِ ، تُسَبِّحُ وَتُكَبِّرُ لِخَالِقٍ وَاحِدٍ أَحَدٍ ، يَخْلُقُهَا وَيُدَوِّرُهَا وَيُدِيرُهَا ؛ وَإِنَّهَا تَقُولُ بِلِسَانِ حَالِهَا : «سُبْحَانَ اللّٰهِ ، اَللّٰهُ أَكْبَرُ» . فَأُقَدِّسُكَ أَنَا أَيْضاً بِجَمِيعِ تَسْبِيحَاتِهَا ، أَيُّهَا الْقَدِيرُ ذَا الْجَلَالِ الَّذِي اخْتَفٰى مِنْ شِدَّةِ ظُهُورِهِ ؛ وَاسْتَتَرَ مِنْ عَظَمَةِ كِبْرِيَائِهِ . .

أَيُّهَا الْقَادِرُ الْمُطْلَقُ ! لَقَدْ فَهِمْتُ بِدَرْسِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، وَبِتَعْلِيمِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) : كَمَا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالنُّجُومَ تَشْهَدُ لِوُجُودِكَ وَلِوَحْدَتِكَ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ جَوَّ السَّمَاءِ يَشْهَدُ لِوُجُوبِ وُجُودِكَ وَلِوَحْدَتِكَ ، بِسُحُبِهِ وَبِبُرُوقِهِ وَرُعُودِهِ ، وَبِرِيَاحِهِ وَأَمْطَارِهِ . نَعَمْ : إِنَّ إِرْسَالَ السَّحَابِ الْجَامِدِ بِلَا شُعُورٍ ، الْغَيْثَ الَّذِي هُوَ مَاءُ الْحَيَاةِ ، لِإِمْدَادِ الْمُحْتَاجِينَ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ، إِنَّمَا هُوَ بِرَحْمَتِكَ وَحِكْمَتِكَ ؛ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُخَالِطَهُ التَّصَادُفُ الْمَخْلُوطُ . وَأَيْضاً إِنَّ الْبَرْقَ الَّذِي هُوَ الْكَهْرَبَاءُ الْكُبْرٰى ؛ وَيُشِيرُ إِلٰى فَوَائِدِهَا التَّنْوِيرِيَّةِ ؛ فَيُشَوِّقُ إِلٰى الِاسْتِفَادَةِ مِنْهَا ، يُنَوِّرُ مَا فِي الْفَضَاءِ مِنْ قُدْرَتِكَ ، تَنْوِيراً جَمِيلاً . وَإِنَّ الرَّعَدَاتِ أَيْضاً الَّتِي تُبَشِّرُ بِمَجِيءِ الْمَطَرِ ؛ وَتُنْطِقُ الْفَضَاءَ الْفَسِيحَةَ ؛ وَتُطَنِّنُ السَّمَاوَاتِ بِدَوِيِّ تَسْبِيحَاتِهَا ، تَنْطِقُ بِلِسَانِ الْقَالِ ؛ فَتُقَدِّسُكَ وَتَشْهَدُ لِرُبُوبِيَّتِكَ . وَإِنَّ الرِّيَاحَ أَيْضاً الَّتِي هِيَ أَلْزَمُ رِزْقٍ وَأَسْهَلُهُ اسْتِفَادَةً لِتَعَيُّشِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، وَالْمُوَظَّفَةَ بِوَظَائِفَ كَثِيرَةٍ مِثْلِ تَنْفِيسِ الْأَنْفَاسِ ، وَتَرْوِيحِ النُّفُوسِ ، تُشِيرُ إِلٰى فَعَّالِيَّةِ قُدْرَتِكَ ؛ وَتَشْهَدُ عَلٰى وُجُودِكَ ، بِتَحْوِيلِهَا الْجَوَّ عَادَةً ، بِنَاءً عَلٰى حِكْمَةٍ مَا ، إِلٰى صُورَةِ لَوْحِ الْمَحْوِ وَالْإِثْبَاتِ ، وَاللَّوْحَةِ الَّتِي تَكْتُبُ فَتُفِيدُ ؛ ثُمَّ تَمْحُو ؛ كَمَا أَنَّ الرَّحْمَةَ أَيْضاً الَّتِي تُحْلَبُ مِنَ السُّحُبِ ؛ فَتُرْسَلُ إِلٰى ذَوِي الْحَيَاةِ بِمَرْحَمَتِكَ ، تَشْهَدُ عَلٰى سِعَةِ رَحْمَتِكَ ، وَعَلٰى شَفَقَتِكَ الْوَاسِعَةِ ، بِكَلِمَاتِ قَطَرَاتِهَا الْمَوْزُونَةِ الْمُنْتَظِمَةِ . .

فَيَا أَيُّهَا الْمُتَصَرِّفُ الْفَعَّالُ ! وَأَيُّهَا الْفَيَّاضُ الْمُتَعَالِ ! إِنَّ السَّحَابَ وَالْبَرْقَ وَالرَّعْدَ ، وَالرِّيحَ وَالْمَطَرَ ، الشَّاهِدَةَ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِكَ ، تَشْهَدُ فَرْداً فَرْداً ؛ كَمَا تُشِيرُ بِهَيْئَتِهَا الْمَجْمُوعَةِ ، إِلٰى وَحْدَتِكَ وَأَحَدِيَّتِكَ ، إِشَارَةً قَوِيَّةً لِلْغَايَةِ ، بِحَيْثِيَّةِ الْوَحْدَةِ وَالِاتِّحَادِ وَالتَّدَاخُلِ ، وَإِعَانَةِ بَعْضٍ لِوَظِيفَةِ بَعْضٍ ، مَعَ كَوْنِهَا مُتَبَاعِدَةً حَسَبَ الْكَيْفِيَّةِ ، وَمُتَخَالِفَةً حَسَبَ الْمَاهِيَّةِ ؛ وَتَشْهَدُ أَيْضاً عَلٰى حِشْمَةِ رُبُوبِيَّتِكَ الَّتِي جَعَلَتِ الْفَضَاءَ الْفَسِيحَةَ مَحْشَرَةَ الْعَجَائِبِ ؛ وَتَمْلَؤُهَا فَتُفْرِغُهَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، وَعَلٰى عَظَمَةِ قُدْرَتِكَ الَّتِي تَتَصَرَّفُ فِي ذٰلِكَ الْجَوِّ الْوَاسِعِ ، مِثْلَ لَوْحَةٍ تُكْتَبُ فَتُبَدَّلُ ، وَمِثْلَ إِسْفِنْجَةٍ تَعْصِرُهَا وَتَسْقِي بِهَا حَدِيقَةَ الْأَرْضِ ، وَعَلٰى شُمُولِ تِلْكَ الْقُدْرَةِ لِكُلِّ شَيْءٍ ؛ كَمَا أَنَّهَا تَدُلُّ عَلٰى مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ سِعَةِ رَحْمَتِكَ وَحَاكِمِيَّتِكَ ، وَعَلٰى وُصُولِهَا إِلٰى كُلِّ

شَيْءٍ ، اللَّتَيْنِ تَنْظُرَانِ إِلىٰ عُمُومِ الْأَرْضِ وَجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ وَتُدِيرَانِهَا تَحْتَ غِطَاءِ الْجَوِّ ؛ وَأَيْضاً إِنَّ مَا فِي الْفَضَاءِ مِنَ الْهَوَاءِ ، يُسْتَخْدَمُ فِي وَظَائِفَ حَكِيمَةٍ ؛ وَالسَّحَابِ وَالْمَطَرِ ، يُسْتَعْمَلاَنِ فِي فَوَائِدَ عَلِيمَةٍ ، بِحَيْثُ لَوْ لَمْ يَكُنْ عِلْمٌ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَحِكْمَةٌ شَامِلَةٌ لِكُلِّ شَيْءٍ ، لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ الاِسْتِعْمَالُ وَالاِسْتِخْدَامُ . .

فَيَا أَيُّهَا الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ ! إِنَّ قُدْرَتَكَ الَّتِي تُوجَدُ فِي شُؤُونَاتٍ ، مِثْلِ عَرْضِ مِثَالٍ لِلْحَشْرِ وَالْقِيَامَةِ كُلَّ وَقْتٍ ، وَتَحْوِيلِ الصَّيْفِ إِلَى الشِّتَاءِ ، وَالشِّتَاءِ إِلَى الصَّيْفِ ، وَالْإِتْيَانِ بِعَالَمٍ ، وَإِرْسَالِ عَالَمٍ إِلَى الْغَيْبِ ، فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، بِفَعَّالِيَّتِكَ فِي جَوِّ الْفَضَاءِ ، تُعْطِي الْإِشَارَةَ بِأَنَّهَا سَتُحَوِّلُ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ ؛ وَسَتَعْرِضُ شُؤُونَاتٍ سَرْمَدِيَّةً فِي الْآخِرَةِ . .

أَيُّهَا الْقَدِيرُ ذَا الْجَلاَلِ ! إِنَّ الْهَوَاءَ وَالسَّحَابَ وَالْمَطَرَ وَالْبَرْقَ وَالرَّعْدَ ، فِي جَوِّ الْفَضَاءِ ، مُسَخَّرَةٌ وَمُوَظَّفَةٌ فِي مُلْكِكَ ، بِأَمْرِكَ وَحَوْلِكَ ، وَبِقُوَّتِكَ وَقُدْرَتِكَ ؛ وَإِنَّ مَخْلُوقَاتِ هٰذِهِ الْفَضَاءِ ، الْمُتَبَاعِدَةَ حَسَبَ الْمَاهِيَّةِ ، تُقَدِّسُ آمِرَهَا وَحَاكِمَهَا ؛ فَتَمْدَحُ رَحْمَتَهُ وَتُثْنِي عَلَيْهَا ، الَّذِي سَخَّرَهَا لِلْأَوَامِرِ الْآنِيَّةِ السَّرِيعَةِ لِلْغَايَةِ ، وَالْأَوَامِرِ الْفَوْرِيَّةِ الْعَاجِلَةِ . .

يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ذَا الْجَلاَلِ ! لَقَدْ آمَنْتُ وَعَلِمْتُ بِتَعْلِيمِ قُرْآنِكَ الْحَكِيمِ ، وَبِدَرْسِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عليه الصلاة والسلام) : بِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ السَّمَاوَاتِ بِنُجُومِهَا ، وَجَوَّ الْفَضَاءِ بِمُشْتَمَلاَتِهِ ، تَشْهَدُ لِوُجُوبِ وُجُودِكَ ، وَلِوَحْدَتِكَ وَأَحَدِيَّتِكَ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ الْأَرْضَ بِجَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهَا وَأَحْوَالِهَا ، تَشْهَدُ وَتُشِيرُ إِلَى وُجُودِكَ وَوَحْدَتِكَ ، عَدَدَ مَوْجُودَاتِهَا . نَعَمْ : لَيْسَ فِي الْأَرْضِ تَحَوُّلٌ ، وَفِي الْأَشْجَارِ وَالْحَيَوَانَاتِ تَبَدُّلٌ ـ جُزْئِيّاً كَانَ أَوْ كُلِّيّاً ـ كَتَبْدِيلِ ثَوْبِهَا كُلَّ عَامٍ ، لاَ يُشِيرُ بِانْتِظَامِهِ إِلَى وُجُودِكَ وَوَحْدَتِكَ ؛ وَلاَ حَيَوَانٌ لاَ يَكُونُ لَهُ شَهَادَةٌ لِوُجُودِكَ وَوَحْدَتِكَ ، بِرِزْقِهِ عَلَىٰ وَجْهِ الرَّحْمَةِ ، الَّذِي يُرْزَقُ لَهُ حَسَبَ دَرَجَةِ ضَعْفِهِ وَاحْتِيَاجِهِ ، وَبِالْإِعْطَاءِ لَهُ عَلَىٰ وَجْهِ الْحِكْمَةِ ، أَجْهِزَةً لاَزِمَةً لِحَيَاتِهِ ؛ وَلاَ وَاحِدٌ مِنَ النَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، الَّتِي تُخْلَقُ أَمَامَ أَعْيُنِنَا فِي كُلِّ رَبِيعٍ ، لاَ يُعْلِمُكَ بِصَنْعَتِهِ الْعَجِيبَةِ ، وَزِينَتِهِ اللَّطِيفَةِ ، وَبِتَمَيُّزِهِ وَانْتِظَامِهِ ، وَاتِّزَانِهِ التَّامِّ ؛ وَإِنَّ خَوَارِقَ قُدْرَتِكَ ، وَمُعْجِزَاتِهَا الْمَالِئَةَ لِوَجْهِ الْأَرْضِ ، وَالْمُسَمَّاةَ بِالنَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ ،

خِلْقَتُهَا مُكَمَّلَةً وَمُزَيَّنَةً ، وَذَاتَ عَلاَمَاتٍ فَارِقَةٍ ، وَبِدُونِ خَطَأٍ ، مِنْ بَيْضٍ وَبُيَيْضَاتٍ ، وَمِنْ قَطَرَاتٍ ، وَمِنْ حُبُوبٍ وَحُبَيْبَاتٍ ، وَمِنْ نَوًى مَحْدُودَاتٍ مُتَشَابِهَاتٍ وَمُتَّحِدَاتِ الْمَوَادِّ ، شَهَادَةٌ عَلٰى وُجُودِ صَانِعِهَا الْحَكِيمِ ، وَعَلٰى وَحْدَتِهِ وَحِكْمَتِهِ ، وَعَلٰى مَا لاَ حَدَّ لَهُ مِنْ قُدْرَتِهِ ، أَقْوٰى وَأَجْلٰى مِنْ شَهَادَةِ الضِّيَاءِ عَلَى الشَّمْسِ ؛ وَلاَ عُنْصُرٌ مِثْلُ الْهَوَاءِ وَالْمَاءِ وَالنُّورِ وَالنَّارِ وَالتُّرَابِ ، لاَ يُوجَدُ لَهُ شَهَادَةٌ عَلٰى وَحْدَتِكَ وَوُجُودِكَ ، بِأَدَائِهِ وَظَائِفَ مُكَمَّلَةً ذَاتَ شُعُورٍ ، مَعَ كَوْنِهِ بِغَيْرِ شُعُورٍ ، وَبِإِتْيَانِهِ بِثَمَرَاتٍ وَمَحْصُولاَتٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَمُنْتَظِمَةٍ لِلْغَايَةِ ، مِنْ خَزِينَةِ الْغَيْبِ ، مَعَ كَوْنِهِ بَسِيطاً وَمُسْتَوْلِياً وَبِدُونِ انْتِظَامٍ ، وَالاِنْتِشَارِ إِلٰى كُلِّ مَكَانٍ . .

أَيُّهَا الْفَاطِرُ الْقَادِرُ ! وَأَيُّهَا الْفَتَّاحُ الْعَلاَّمُ ! وَأَيُّهَا الْفَعَّالُ الْخَلاَّقُ ! كَمَا أَنَّ الْأَرْضَ بِجَمِيعِ سَكَنَتِهَا ، تَشْهَدُ عَلٰى أَنَّ خَالِقَهَا وَاجِبُ الْوُجُودِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّهَا تَشْهَدُ عَلٰى وَحْدَتِكَ وَأَحَدِيَّتِكَ – أَيُّهَا الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، وَأَيُّهَا الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ ، وَأَيُّهَا الْوَهَّابُ الرَّزَّاقُ ! – شَهَادَةً ، بَلْ شَهَادَاتٍ بِعَدَدِ الْمَوْجُودَاتِ ، عَلٰى وَحْدَتِكَ وَأَحَدِيَّتِكَ ، فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ ، بِسِكَّتِهَا الَّتِي فِي وَجْهِهَا ، وَبِسِكَكِ سُكَّانِهَا الَّتِي فِي وُجُوهِهِمْ ، وَبِجِهَةِ الْوَحْدَةِ وَالاِتِّحَادِ ، وَالتَّدَاخُلِ وَالتَّعَاوُنِ ، وَاتِّحَادِ أَسْمَاءِ الرُّبُوبِيَّةِ وَأَفْعَالِهَا النَّاظِرَةِ إِلَيْهَا . وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ الْأَرْضَ بِوَضْعِ كَوْنِهَا مُعَسْكَراً وَمَشْهَراً وَمُتَدَرَّباً ، وَبِإِعْطَاءِ الْأَجْهِزَةِ الْمُخْتَلِفَةِ مُنْتَظِماً ، لِأَرْبَعِمِئَةِ أَلْفِ مِلَلٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فِي فِرَقِ النَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، تَدُلُّ عَلٰى حَشْمَةِ رُبُوبِيَّتِكَ ، وَعَلٰى إِدْرَاكِ قُدْرَتِكَ إِلٰى كُلِّ شَيْءٍ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ إِعْطَاءَ الْأَرْزَاقِ الْمُخْتَلِفَةِ ، أَرْزَاقِ جَمِيعِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ الَّتِي لاَ حَدَّ لَهَا ، عَلٰى وَجْهِ الرَّحْمَةِ وَالْكَرَمِ ، فِي وَقْتِهَا الْمُحَدَّدِ ، مِنْ تُرَابٍ يَابِسٍ وَبَسِيطٍ ، وَإِطَاعَةَ تِلْكَ الْأَفْرَادِ الَّتِي لاَ حَدَّ لَهَا ، لِلْأَوَامِرِ الرَّبَّانِيَّةِ ، بِكَمَالِ التَّسْخِيرِ ، يَدُلاَّنِ عَلٰى شُمُولِ رَحْمَتِكَ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَعَلٰى إِحَاطَةِ حَاكِمِيَّتِكَ بِكُلِّ شَيْءٍ . وَأَيْضاً إِنَّ سَوْقَ وَإِدَارَةَ قَوَافِلِ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُتَبَدِّلَةِ فِي الْأَرْضِ ، وَمُنَاوَبَةَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ ، وَإِدَارَةَ وَتَدْبِيرَ الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ ، يَدُلُّ إِمْكَانُ حُصُولِهَا بِعِلْمٍ يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَبِحِكْمَةٍ بِلاَ نِهَايَةٍ ، تَحْكُمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، عَلٰى إِحَاطَةِ عِلْمِكَ وَحِكْمَتِكَ . وَأَيْضاً إِنَّ هٰذَا الْقَدْرَ مِنَ الاِهْتِمَامِ ، وَهٰذَا الْإِنْفَاقَ بِلاَ حَدٍّ ، وَهٰذِهِ التَّجَلِّيَاتِ الرَّبَّانِيَّةَ بِلاَ نِهَايَةٍ ، وَهٰذِهِ

الْخِطَابَاتِ السُّبْحَانِيَّةَ بِلا حَدٍّ، وَهٰذِهِ الْإِحْسَانَاتِ الْإِلٰهِيَّةَ بِلا غَايَةٍ، فِي مَيْدَانِ هٰذِهِ الدُّنْيَا، وَفِي مُعَسْكَرِ هٰذِهِ الْأَرْضِ الْمُؤَقَّتَةِ، وَفِي هٰذَا الْمَشْهَرِ الْمَوْقُوتِ، لِأَجْلِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يُؤَدِّي فِي الْأَرْضِ وَظَائِفَ بِلا حَدٍّ، فِي زَمَانٍ قَصِيرٍ؛ وَيُجَهَّزُ بِاسْتِعْدَادٍ وَأَجْهِزَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ كَأَنَّهُ يَعِيشُ زَمَنًا بِلا حَدٍّ؛ وَالَّذِي يَتَصَرَّفُ فِي مَوْجُودَاتِ الْأَرْضِ، تُشِيرُ؛ بَلْ تَشْهَدُ عَلَى الْإِحْسَانَاتِ الْأُخْرَوِيَّةِ فِي عَالَمِ الْبَقَاءِ، مِنْ جِهَةِ أَنَّهَا لا يَسَعُهَا قَطْعاً وَعَلىٰ كُلِّ حَالٍ، هٰذَا الْعُمُرُ الْقَصِيرُ الْحَزِينُ، وَهٰذِهِ الْحَيَاةُ الْمُخْتَلِطَةُ الْمُتَكَدِّرَةُ، وَهٰذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةُ الْبَالِيَةُ؛ بَلْ إِنَّمَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ لِأَجْلِ عُمُرٍ أَبَدِيٍّ آخَرَ، وَدَارِ سَعَادَةٍ بَاقِيَةٍ..

فَيَا خَالِقَ كُلِّ شَيْءٍ! إِنَّ جَمِيعَ مَخْلُوقَاتِ الْأَرْضِ، مُسَخَّرَةٌ فِي مُلْكِكَ وَأَرْضِكَ، تُدَارُ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، وَبِقُدْرَتِكَ وَإِرَادَتِكَ، وَبِعِلْمِكَ وَحِكْمَتِكَ؛ وَإِنَّ رُبُوبِيَّةً تُشَاهَدُ فَعَّالِيَّتُهَا عَلىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، تُظْهِرُ إِحَاطَةً وَشُمُولاً؛ وَإِنَّ إِدَارَتَهَا وَتَدْبِيرَهَا وَتَرْبِيَتَهَا، مُتَكَامِلَةٌ وَحَسَّاسَةٌ؛ وَإِنَّ إِجْرَاءَاتِهَا فِي كُلِّ جَانِبٍ، هِيَ فِي وَحْدَةٍ وَاتِّحَادٍ وَتَشَابُهٍ، تُعْلِمُ أَنَّهَا رُبُوبِيَّةٌ وَتَصَرُّفٌ فِي حُكْمِ «كُلٍّ» لا يَقْبَلُ التَّجَزُّؤَ، وَ«كُلِّيٍّ» لا يُمْكِنُ انْقِسَامُهُ. وَأَيْضاً إِنَّ الْأَرْضَ مَعَ جَمِيعِ سُكَّانِهَا، تُقَدِّسُ خَالِقَهَا وَتُسَبِّحُ لَهُ، بِأَلْسِنَةٍ لا حَدَّ لَهَا، أَظْهَرَ مِنْ لِسَانِ الْقَالِ؛ وَتَحْمَدُ رَزَّاقَهَا ذَا الْجَلالِ؛ وَتَمْدَحُهُ وَتُثْنِي عَلَيْهِ، بِأَلْسِنَةِ أَحْوَالِ نِعَمِهِ الَّتِي لا نِهَايَةَ لَهَا..

فَيَا أَيُّهَا الذَّاتُ الْأَقْدَسُ الَّذِي اخْتَفىٰ مِنْ شِدَّةِ ظُهُورِهِ! وَيَا مَنِ اسْتَتَرَ مِنْ عَظَمَةِ كِبْرِيَائِهِ! أُقَدِّسُكَ عَنِ الْقُصُورِ وَالْعَجْزِ وَالشَّرِيكِ، بِجَمِيعِ تَقْدِيسَاتِ الْأَرْضِ وَتَسْبِيحَاتِهَا؛ وَأَحْمَدُكَ وَأَشْكُرُ لَكَ، بِجَمِيعِ أَثْنِيَتِهَا وَتَحْمِيدَاتِهَا..

يَا رَبَّ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ! لَقَدْ فَهِمْتُ بِدَرْسِ الْقُرْآنِ، وَبِتَعْلِيمِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عليه الصلاة والسلام﴾: كَمَا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْفَضَاءَ وَالْأَرْضَ، تَشْهَدُ لِوَحْدَتِكَ وَوُجُودِكَ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ الْبِحَارَ وَالْأَنْهَارَ، وَالْعُيُونَ وَالسَّوَاقِيَ، تَشْهَدُ فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ، عَلىٰ وُجُوبِ وُجُودِكَ، وَعَلىٰ وَحْدَتِكَ. نَعَمْ: لَيْسَ فِي الْبِحَارِ الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ مَنْبَعِ الْعَجَائِبِ، وَخِزَانَاتِ الْبُخَارِ لِدُنْيَانَا هٰذِهِ، مَوْجُودٌ بَلْ قَطْرَةُ مَاءٍ، لا تُعْلِمُ خَالِقَهَا بِوُجُودِهَا وَانْتِظَامِهَا، وَبِنَفْعِهَا وَوَضْعِهَا؛ وَلا وَاحِدَةٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ

الْغَرِيبَةِ ، وَمِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِيَّةِ الْمُنْتَظِمَةِ الْخِلْقَةِ لِلْغَايَةِ ، وَالْمَرْزُوقَةِ فِي صُورَةٍ مُتَكَامِلَةٍ ، فِي رَمْلَةٍ بَسِيطَةٍ ، وَفِي مَاءٍ بَسِيطٍ ، وَلاسِيَّمَا مِنَ الْأَسْمَاكِ الَّتِي تَعْمُرُ وَاحِدَةٌ مِنْهَا الْبِحَارَ ، بِمِلْيُونٍ مِنْ بُيَيْضَاتِهَا ، لا تُشِيرُ إِلَىٰ خَالِقِهَا ؛ وَلا تَشْهَدُ لِرَزَّاقِهَا ، بِخِلْقَتِهَا وَوَظِيفَتِهَا ، وَبِإِدَارَتِهَا وَإِعَاشَتِهَا ، وَبِتَدْبِيرِهَا وَتَرْبِيَتِهَا ؛ **وَلا جَوْهَرَةٌ** مِنَ الْجَوَاهِرِ الْقَيِّمَةِ ذَاتِ الْخَاصِّيَّةِ وَالزِّينَةِ فِي الْبِحَارِ ، لا تُعَرِّفُكَ وَلا تُعْلِمُكَ ، بِخِلْقَتِهَا الْجَمِيلَةِ ، وَبِفِطْرَتِهَا الْجَاذِبَةِ ، وَبِخَاصِّيَّتِهَا النَّافِعَةِ . .

نَعَمْ : إِنَّهَا تَشْهَدُ فَرْداً فَرْداً ؛ كَمَا تَشْهَدُ بِهَيْئَتِهَا الْمَجْمُوعَةِ ، عَلَىٰ وَحْدَتِكَ ، مِنْ نِقَاطِ الِاتِّحَادِ وَالِاخْتِلاطِ ، وَالْوَحْدَةِ فِي سِكَّةِ الْخِلْقَةِ ، وَغَايَةِ السُّهُولَةِ إِيجَاداً ، وَغَايَةِ الْكَثْرَةِ أَفْرَاداً ؛ كَمَا أَنَّهَا تَشْهَدُ مُشِيرَةً عَدَدَ مَوْجُودَاتِهَا ، إِلَىٰ وُجُودِكَ ، وَإِلَىٰ كَوْنِكَ وَاجِبَ الْوُجُودِ ؛ وَتَدُلُّ دَلالَةً ظَاهِرَةً ، عَلَىٰ حِشْمَةِ سَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِكَ ، وَعَلَىٰ عَظَمَةِ قُدْرَتِكَ الْمُحِيطَةِ بِكُلِّ شَيْءٍ ، مِنْ نِقَاطِ إِمْسَاكِ الْأَرْضِ مَعَ تُرَابِهَا وَبِحَارِهَا الْمُحِيطَةِ بِكُرَةِ الْأَرْضِ هٰذِهِ فِي الْهَوَاءِ ، وَتَسْيِيرِهَا حَوْلَ الشَّمْسِ دُونَ صَبٍّ وَتَمْزِيقٍ ، وَعَدَمِ السَّمَاحِ بِالِاسْتِيلاءِ عَلَىٰ التُّرَابِ ، وَخَلْقِ حَيَوَانَاتِهَا وَجَوَاهِرِهَا الْمُنْتَظِمَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ مِنْ رَمْلِهَا وَمَائِهَا ، وَإِدَارَةِ أَرْزَاقِهَا وَسَائِرِ أُمُورِهَا ، وَأَدَاءِ تَدَابِيرِهَا فِي صُورَةٍ تَامَّةٍ وَكُلِّيَّةٍ ، وَعَدَمِ تَوَاجُدِ وَاحِدَةٍ أَصْلاً مِنْ جَنَائِزِهَا بِلا حَدٍّ ، الَّتِي يَلْزَمُ أَنْ تُوجَدَ عَلَىٰ وَجْهِهَا ؛ كَمَا تَدُلُّ عَلَىٰ مَا لا حَدَّ لَهُ مِنْ سَعَةِ رَحْمَتِكَ وَحَاكِمِيَّتِكَ ، اللَّتَيْنِ تُدْرِكَانِ كُلَّ شَيْءٍ ؛ وَتَحْكُمَانِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ، مِنَ النُّجُومِ الْمُنْتَظِمَةِ الْكَبِيرَةِ لِلْغَايَةِ ، فَوْقَ السَّمَاوَاتِ ، إِلَىٰ السِّمَاكِ الصَّغِيرَةِ لِلْغَايَةِ ، وَالْمُعَاشَةِ بِالِانْتِظَامِ ، الْمَوْجُودَةِ فِي قَعْرِ الْبِحَارِ ؛ وَتُشِيرُ بِانْتِظَامِهَا وَبِفَوَائِدِهَا وَحِكَمِهَا ، وَبِمِيزَانِهَا وَاتِّزَانِهَا ، إِلَىٰ عِلْمِكَ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَإِلَىٰ حِكْمَتِكَ الشَّامِلَةِ لِكُلِّ شَيْءٍ . وَإِنَّ وُجُودَ أَحْوَاضِ رَحْمَتِكَ هٰكَذَا لِلضُّيُوفِ ، فِي مَضْيَفَةِ هٰذِهِ الدُّنْيَا ، وَتَسَخُّرَهَا لِسَيْرِ الْإِنْسَانِ وَسِيَاحَتِهِ ، وَلِسَفِينَتِهِ وَاسْتِفَادَتِهِ ، يُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّ مَنْ أَكْرَمَ ضُيُوفَهُ بِهٰذَا الْقَدَرِ مِنْ هَدَايَا الْبَحْرِ ، فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، فِي خَانٍ بُنِيَ عَلَى الطَّرِيقِ ؛ فَإِنَّهُ أَوْجَدَ قَطْعاً ، فِي مَقَرِّ سَلْطَنَتِهِ الْأَبَدِيَّةِ ، بِحَارَ الرَّحْمَةِ الْأَبَدِيَّةَ ، الَّتِي تَكُونُ هٰؤُلاءِ ، نَمَاذِجَ فَانِيَةً وَصَغِيرَةً لِأُولٰئِكَ . .

هٰذَا ، فَوُجُودُ الْبِحَارِ بِوَضْعِيَّتِهَا الْعَجِيبَةِ حَوْلَ الْأَرْضِ ، فِي نَمَطٍ خَارِقٍ لِلْغَايَةِ هٰكَذَا ،

وَإِدارَةُ مَخْلُوقَاتِ الْبِحارِ ، وَتَرْبِيَتُها مُنْتَظِمَةً لِلْغايَةِ أَيْضاً ، تَدُلُّ بِالْبَدَاهَةِ ، عَلىٰ أَنَّهَا مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِكَ فِي مُلْكِكَ ، بِقُوَّتِكَ وَقُدْرَتِكَ ، وَبِإِدَارَتِكَ وَتَدْبِيرِكَ فَقَطْ ؛ وَتُقَدِّسُ خَالِقَهَا ؛ فَتَقُولُ : «اَللّٰهُ أَكْبَرُ» ، بِلِسَانِ حَالِهَا . .

أَيُّهَا الْقَدِيرُ ذَا الْجَلالِ ، الَّذِي جَعَلَ الْجِبالَ أَوْتَاداً خَازِنَةً لِسَفِينَةِ الْأَرْضِ ! لَقَدْ فَهِمْتُ بِتَعْلِيمِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، وَبِدَرْسِ قُرْآنِكَ الْحَكِيمِ : كَمَا أَنَّ الْبِحارَ بِعَجَائِبِهَا ، تَعْرِفُكَ وَتُعَرِّفُكَ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ الْجِبَالَ أَيْضاً ، تَعْرِفُكَ وَتُعَرِّفُكَ ، بِحِكَمِهَا وَخِدَمَاتِهَا الَّتِي تَفْعَلُهَا لِسُكُونَةِ الْأَرْضِ مِنْ تَأْثِيرَاتِ الزَّلْزَلَةِ ، وَلِسُكُوتِهَا مِنْ عَوَاصِفِ الْاِنْقِلابَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ فِي بَاطِنِهَا ، وَلِنَجَاتِهَا عَنِ اسْتِيلاءِ الْبِحارِ ، وَلِتَصْفِيَةِ الْهَوَاءِ عَنِ الْغَازَاتِ الضَّارَّةِ ، وَلِادِّخَارِ الْمَاءِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ ، وَلِتَخَزُّنِ الْمَعَادِنِ اللّازِمَةِ لِذَوِي الْحَيَاةِ . نَعَمْ : لَيْسَ وَاحِدٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْحِجَارَةِ فِي الْجِبَالِ ، وَمِنْ أَقْسَامِ الْمَوَادِّ الَّتِي هِيَ عِلاجٌ لِأَمْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَمِنْ أَجْنَاسِ الْمَعْدِنِيَّاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ جِدّاً ، وَاللّازِمَةِ كَثِيراً لِذَوِي الْحَيَاةِ وَخَاصَّةً لِلْإِنْسَانِ ، وَمِنْ أَصْنَافِ النَّبَاتَاتِ الْمُزَيَّنَةِ بِأَزْهَارِهَا ، وَالْعَامِرَةِ بِأَثْمَارِهَا لِلْجِبَالِ وَالصَّحَارَىٰ ، إِلّا وَهِيَ تَشْهَدُ بِالْبَدَاهَةِ ، عَلىٰ وُجُوبِ وُجُودِ صَانِعٍ قَدِيرٍ بِلا نِهَايَةٍ ، وَحَكِيمٍ بِلا نِهَايَةٍ ، وَرَحِيمٍ وَكَرِيمٍ بِلا نِهَايَةٍ ، بِحِكَمِهَا وَانْتِظَامَاتِهَا ، وَبِحُسْنِ خِلْقَتِهَا ، وَبِفَوَائِدِهَا ، وَلاسِيَّمَا بِشِدَّةِ مُخَالَفَةِ طُعُومِ الْمَعْدِنِيَّاتِ ، مِثْلِ (الْمِلْحِ ، وَمِلْحِ اللَّيْمُونِ ، وَصُولْفَاتُو ، وَصُودْيُوم) ، مَعَ تَشَابُهِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ صُورَةً ، وَلاسِيَّمَا بِأَنْوَاعِ النَّبَاتَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ ، وَبِأَزْهَارِهَا وَأَثْمَارِهَا الْمُخْتَلِفَةِ ، مِنْ تُرَابٍ بَسِيطٍ ، الَّتِي لا يُمْكِنُ إِحَالَتُهَا عَلَى التَّصَادُفِ ؛ كَمَا أَنَّهَا تَشْهَدُ عَلىٰ وَحْدَةِ الصَّانِعِ وَأَحَدِيَّتِهِ ، مِنْ نِقَاطِ وَحْدَةِ الْإِدَارَةِ ، وَوَحْدَةِ التَّدْبِيرِ ، وَالْاِتِّفَاقِ وَالْاِتِّحَادِ ، وَالرُّخْصِ وَالْيُسْرِ وَالْكَثْرَةِ ، مَنْشَأً وَمَسْكَناً ، خِلْقَةً وَصَنْعَةً ، وَالسُّرْعَةِ فِي الْإِيجَادِ ، فِي هَيْئَتِهَا الْمَجْمُوعَةِ . وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ الْمَصْنُوعَاتِ عَلىٰ وَجْهِ الْجِبَالِ وَفِي بَطْنِهَا ، يَدُلُّ صُنْعُ كُلِّ نَوْعٍ ، فِي عَيْنِ الزَّمَانِ ، وَفِي عَيْنِ النَّمَطِ ، مُكَمَّلاً وَسَرِيعاً لِلْغَايَةِ بِلا خَطَأٍ ، وَإِيجَادُهَا مَعَ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ بِلا اخْتِلاطٍ وَهِيَ مُخْتَلِطَةٌ ، دُونَ أَنْ يَكُونَ أَمْرٌ مَانِعاً لِأَمْرٍ ، يَدُلُّ عَلىٰ حِشْمَةِ رُبُوبِيَّتِكَ ، وَعَلىٰ عَظَمَةِ قُدْرَتِكَ الَّتِي لا يَثْقُلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ أَصْلاً ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلىٰ مَا لا حَدَّ لَهُ مِنِ اتِّسَاعِ

رَحْمَتِكَ ، وَعَلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنْ سِعَةِ حَاكِمِيَّتِكَ ، بِجِهَةِ مَلْءِ وُجُوهِ الْجِبَالِ وَبُطُونِهَا ، بِالْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ وَالْمَعْدِنِيَّاتِ الْمُنْتَظِمَةِ ، وَتَسْخِيرِهَا لِلْمُحْتَاجِينَ ، فِي صُورَةٍ تُؤَمِّنُ مَا لَا حَدَّ لَهُ ، مِنْ حَاجَاتِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ فِي وَجْهِ الْأَرْضِ ، حَتَّى أَمْرَاضِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ ، وَحَتَّى أَذْوَاقِهَا الْمُخْتَلِفَةِ ، وَاشْتِهَاءَاتِهَا الْمُتَخَالِفَةِ ؛ وَتُشِيرُ وَتَدُلُّ فِي صُورَةٍ ظَاهِرَةٍ جِدّاً ، عَلَى إِحَاطَةِ عِلْمِكَ الْمُتَعَلِّقِ بِكُلِّ شَيْءٍ ؛ وَعَلَى شُمُولِ حِكْمَتِكَ الْمُنَظِّمَةِ لِكُلِّ شَيْءٍ ، عَلَى جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ، بِإِحْضَارِهَا حَسَبَ الْحَوَائِجِ بِالِانْتِظَامِ ، عَلَى عِلْمٍ وَرُؤْيَةٍ دُونَ أَنْ تُخْطَأَ ، مَعَ كَوْنِهَا مَخْفِيَّةً وَمُظْلِمَةً وَمُخْتَلِطَةً فِي طَبَقَاتِ التُّرَابِ ، وَعَلَى مَحَاسِنِ تَدَابِيرِ رُبُوبِيَّتِكَ الرَّحِيمَةِ وَالْكَرِيمَةِ ، وَعَلَى لَطَائِفِ عِنَايَتِكَ الِاحْتِيَاطِيَّةِ ، بِإِحْضَارِ الْأَدْوِيَةِ ، وَادِّخَارِ الْمَوَادِّ الْمَعْدِنِيَّةِ . وَأَيْضاً إِنَّهَا تُشِيرُ بَلْ تَدُلُّ بَلْ تَشْهَدُ ، فِي جِهَةِ صَيْرُورَةِ جِبَالِهَا الْجَسِيمَةِ أَنْبَارَ الْأَجْهِزَةِ ، وَالْمَخْزَنَ الْمُكَمَّلَ لِدَفَائِنَ كَثِيرَةٍ لَازِمَةٍ لِلْحَيَاةِ ، وَالْمُسْتَوْدَعَ الِاحْتِيَاطِيَّ الْمُنْتَظِمَ ، لِأَجْلِ الضُّيُوفِ الْمُسَافِرِينَ فِي خَانِ هٰذِهِ الدُّنْيَا ، لِلَوَازِمِهِمْ وَلِاحْتِيَاجَاتِهِمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، عَلَى أَنَّ صَانِعاً كَرِيماً وَمُكْرِماً بِهٰذَا الْقَدَرِ ، وَحَكِيماً وَمُشْفِقاً بِهٰذَا الْقَدَرِ ، وَقَدِيراً وَمُرَبِّياً بِهٰذَا الْقَدَرِ ، لَهُ خَزَائِنُ أَبَدِيَّةٌ لِإِحْسَانَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ ، فِي عَالَمٍ أَبَدِيٍّ ، قَطْعاً وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ، لِضُيُوفِهِ أُولَائِكَ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ كَثِيراً ؛ وَأَنَّ الْكَوَاكِبَ هُنَاكَ ، تُؤَدِّي تِلْكَ الْوَظِيفَةَ ، فِي مَكَانِ الْجِبَالِ هُنَا . .

فَيَا أَيُّهَا الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ! إِنَّ الْجِبَالَ وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ، مُسَخَّرَةٌ وَمُدَخَّرَةٌ فِي مُلْكِكَ ، بِقُوَّتِكَ وَقُدْرَتِكَ ، وَبِعِلْمِكَ وَحِكْمَتِكَ ؛ وَإِنَّهَا تُقَدِّسُ وَتُسَبِّحُ لِخَالِقِهَا الَّذِي وَظَّفَهَا وَسَخَّرَهَا عَلَى هٰذَا الْوَجْهِ . .

أَيُّهَا الْخَالِقُ الرَّحْمٰنُ ! وَأَيُّهَا الرَّبُّ الرَّحِيمُ ! لَقَدْ فَهِمْتُ بِتَعْلِيمِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، وَبِدَرْسِ قُرْآنِكَ الْحَكِيمِ : كَمَا أَنَّ السَّمَاءَ وَالْفَضَاءَ وَالْأَرْضَ ، وَالْبَحْرَ وَالْجَبَلَ ، مَعَ مُشْتَمَلَاتِهَا وَمَخْلُوقَاتِهَا ، تَعْرِفُكَ وَتُعَرِّفُكَ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ جَمِيعَ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ فِي الْأَرْضِ ، بِأَوْرَاقِهَا وَأَزْهَارِهَا وَأَثْمَارِهَا ، تُعَرِّفُكَ وَتَعْرِفُكَ فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ ؛ وَإِنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ أَوْرَاقِ جَمِيعِ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ الْكَائِنَةِ فِي الْحَرَكَةِ الذِّكْرِيَّةِ الْجَاذِبَةِ ، وَمِنْ أَزْهَارِهَا الْوَاصِفَةِ وَالْمُعَرِّفَةِ

بِزِينَتِهَا لِأَسْمَاءِ صَانِعِهَا ، وَمِنْ أَثْمَارِهَا الْمُتَبَسِّمَةِ مِنْ لَطَافَتِهَا وَجَلَوَاتِ رَحْمَتِهَا ، تَشْهَدُ فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِ صَانِعٍ رَحِيمٍ وَكَرِيمٍ بِلَا نِهَايَةٍ ، بِالنِّظَامِ فِي الصَّنْعَةِ الْخَارِقَةِ ، وَبِالْمِيزَانِ فِي النِّظَامِ ، وَبِالزِّينَةِ فِي الْمِيزَانِ ، وَبِالنُّقُوشِ فِي الزِّينَةِ ، وَبِالرَّوَائِحِ الطَّيِّبَةِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي النُّقُوشِ ، وَبِمُخْتَلِفِ طُعُومِ الثَّمَرَاتِ فِي الرَّوَائِحِ ، الَّتِي لَيْسَ لِإِحَالَتِهَا عَلَى التَّصَادُفِ ، جِهَةُ إِمْكَانٍ أَصْلاً ؛ كَمَا أَنَّهَا تَشْهَدُ أَيْضاً بِهَيْئَتِهَا الْمَجْمُوعَةِ ، عَلٰى وَحْدَةِ ذٰلِكَ الصَّانِعِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، وَعَلٰى أَحَدِيَّتِهِ بِالْبَدَاهَةِ ، بِنِقَاطِ أَمْثَالِ الْوَحْدَةِ وَالِاتِّحَادِ فِي وَجْهِ الْأَرْضِ كُلِّهَا ، وَتَشَابُهِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ، وَالْمُشَابَهَةِ فِي سِكَّةِ الْخِلْقَةِ ، وَالْمُنَاسَبَةِ فِي التَّدْبِيرِ وَالْإِدَارَةِ ، وَالْمُوَافَقَةِ فِي أَفْعَالِ الْإِيجَادِ وَالْأَسْمَاءِ الرَّبَّانِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا ، وَإِدَارَةِ مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ أَفْرَادِ مِئَاتِ الْآلَافِ مِنْ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، مُتَدَاخِلَةً دُونَ أَنْ تُخْطَأَ . وَأَيْضاً كَمَا أَنَّهَا تَشْهَدُ لِوُجُوبِ وُجُودِكَ وَلِوَحْدَتِكَ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنَ الْأَفْرَادِ ، فِي جَيْشِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، الْمُتَشَكِّلِ مِنْ أَرْبَعِمِئَةِ أَلْفِ مِلَّةٍ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، تَدُلُّ بِأَدَاءِ إِعَاشَتِهَا وَإِدَارَتِهَا عَلٰى مِئَاتِ آلَافِ وَجْهٍ ، مُكَمَّلَةً دُونَ أَنْ تُخْطَأَ وَتُخْلَطَ ، تَدُلُّ عَلٰى حِشْمَةِ رُبُوبِيَّتِكَ فِي الْوَاحِدِيَّةِ ، وَعَلٰى عَظَمَةِ قُدْرَتِكَ ، وَعَلٰى تَعَلُّقِهَا بِكُلِّ شَيْءٍ ، الَّتِي تُنْشِئُ رَبِيعاً هَيِّناً بِقَدَرِ زَهْرَةٍ ؛ كَمَا تَدُلُّ عَلٰى مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ سِعَةِ رَحْمَتِكَ ، الَّتِي تُعِدُّ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنَ الْأَرْضِ الْجَسِيمَةِ ، أَقْسَاماً مُتَنَوِّعَةً مِنْ أَطْعِمَةٍ بِلَا حَدٍّ ، لِلْإِنْسَانِ ، وَلِمَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ حَيَوَانَاتِهَا ؛ وَتَدُلُّ قَطْعاً تِلْكَ الْأَعْمَالُ وَالْإِنْعَامَاتُ وَالْإِدَارَاتُ ، وَالْإِعَاشَاتُ وَالْإِجْرَاءَاتُ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، بِجَرَيَانِهَا بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الذَّرَّاتُ ، بِإِطَاعَتِهَا وَتَسْخِيرِهَا لِتِلْكَ الْأَوَامِرِ وَالْإِجْرَاءَاتِ ، عَلٰى مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ سِعَةِ حَاكِمِيَّتِكَ ؛ مَعَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ ، وَكُلَّ وَرَقَةٍ وَزَهْرَةٍ وَثَمَرَةٍ ، وَجِذْرٍ وَفَرْعٍ وَغُصْنٍ ، وَأَمْثَالِهَا ، تَدُلُّ فِي صُورَةٍ ظَاهِرَةٍ جِدّاً ، عَلٰى إِحَاطَةِ عِلْمِكَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَعَلٰى شُمُولِ حِكْمَتِكَ لِكُلِّ شَيْءٍ ؛ وَتُشِيرُ إِلَيْهِمَا بِأَصَابِعِهَا الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، بِصُنْعِ كُلِّ شَيْءٍ وَكُلِّ شَأْنٍ لَهَا ، عَلٰى عِلْمٍ وَرُؤْيَةٍ ، حَسَبَ الْفَوَائِدِ وَالْمَصَالِحِ وَالْحِكَمِ ؛ وَتُثْنِي عَلٰى جَمَالِ صَنْعَتِكَ فِي غَايَةِ الْكَمَالِ ، وَعَلٰى كَمَالِ نِعْمَتِكَ فِي نِهَايَةِ الْجَمَالِ ؛ وَتَمْدَحُهُمَا بِأَلْسِنَتِهَا الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا . وَأَيْضاً إِنَّ هٰذَا الْقَدَرَ مِنَ الْإِحْسَانَاتِ وَالنِّعَمِ

الْقَيِّمَة ، وَهٰذَا الْقَدَرَ مِنَ التَّفَقَاتِ وَالْإِكْرَامَاتِ فَوْقَ الْعَادَةِ ، بِأَيْدِي الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ ، فِي هٰذَا الْخَانِ الْمُؤَقَّتِ ، وَفِي هٰذَا الْمَضِيفِ الْفَانِي ، وَفِي زَمَنٍ قَصِيرٍ ، وَفِي عُمُرٍ قَلِيلٍ ، تُشِيرُ بَلْ تَشْهَدُ ، عَلَىٰ أَنَّ الذَّاتَ الرَّحِيمَ ذَا الْقُدْرَةِ وَصَاحِبَ الْكَرَمِ ، الَّذِي يَرْحَمُ مِثْلَ هٰذِهِ الرَّحَمَاتِ هُنَا عَلَىٰ ضُيُوفِهِ ، أَعَدَّ قَطْعاً وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ ، أَشْجَاراً مُثْمِرَةً وَنَبَاتَاتٍ مُزْهِرَةً ، فِي صُورَةٍ أَبَدِيَّةٍ وَلَائِقَةٍ بِالْجَنَّةِ ، فِي جِنَانِهِ الْأَبَدِيَّةِ ، مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ الْأَبَدِيَّةِ ، لِعِبَادِهِ الَّذِينَ سَيَجْعَلُهُمْ خَالِدِينَ فِي عَالَمٍ أَبَدِيٍّ ، وَفِي مَمْلَكَةٍ أَبَدِيَّةٍ ، وَذٰلِكَ مِنْ نِقَاطٍ هِيَ بِعَكْسِ نَتِيجَةِ التَّحَبُّبِ وَالتَّعَرُّفِ عَلَىٰ نَفْسِهِ ، بِمَا فَعَلَهُ مِنْ كُلِّ الْإِنْفَاقِ وَالْإِحْسَانِ : أَيْ بِأَنْ لَا يُقَالَ ؛ وَلَا يُسْمَحَ بِالْقَوْلِ مِنْ جَانِبِ الْمَخْلُوقَاتِ : «إِنَّهُ أَذَاقَنَا ؛ وَلٰكِنَّهُ أَعْدَمَنَا دُونَ أَنْ يُطْعِمَنَا» ؛ وَأَنْ لَا يُسْقِطَ سَلْطَنَةَ أُلُوهِيَّتِهِ ؛ وَلَا يُنْكِرَ وَلَا يَسْتَنْكِرَ رَحْمَتَهُ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا ؛ وَلَا يُحَوِّلَ جَمِيعَ أَحْبَابِهِ الْمُشْتَاقِينَ ، إِلَى الْأَعْدَاءِ ، فِي جِهَةِ الْحِرْمَانِ . وَأَمَّا مَا هُنَا ، فَهِيَ نَمَاذِجُ لِأَجْلِ الْعَرْضِ عَلَى الزَّبَائِنِ . وَأَيْضاً إِنَّ الْأَشْجَارَ وَالنَّبَاتَاتِ عَامَّةً ، تُقَدِّسُكَ وَتُسَبِّحُ لَكَ وَتَحْمَدُكَ ، بِكَلِمَاتِ أَوْرَاقِهَا وَأَزْهَارِهَا وَأَثْمَارِهَا ؛ كَمَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ ، تُقَدِّسُكَ مُنْفَرِدَةً أَيْضاً ؛ وَلَاسِيَّمَا أَنَّ تَسْبِيحَاتِ الْأَثْمَارِ بِلِسَانِ الْحَالِ ، تَطْلَعُ إِلَىٰ دَرَجَةِ لِسَانِ الْقَالِ ظُهُوراً ، فِي جِهَةِ كَوْنِهَا تُصْنَعُ فِي صُورَةٍ بَدِيعَةٍ ، لُحُومُهَا مُخْتَلِفَةٌ جِدّاً ؛ وَصَنَائِعُهَا عَجِيبَةٌ جِدّاً ؛ وَنَوَاهَا خَارِقَةٌ جِدّاً ؛ فَتُعْطَىٰ مَوَائِدُ الطَّعَامِ تِلْكَ ، لِأَيْدِي الْأَشْجَارِ ؛ وَتُوضَعُ عَلَىٰ رُؤُوسِ النَّبَاتَاتِ ؛ فَتُرْسَلُ إِلَىٰ ضُيُوفِهِ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ فَإِنَّهَا جَمِيعاً مُطِيعَةٌ لِكُلِّ أَمْرٍ لَكَ ، وَمُسَخَّرَةٌ فِي مُلْكِكَ ، بِقُوَّتِكَ وَقُدْرَتِكَ ، وَبِإِرَادَتِكَ وَإِحْسَانَاتِكَ ، وَبِرَحْمَتِكَ وَحِكْمَتِكَ . .

فَيَا أَيُّهَا الصَّانِعُ الْحَكِيمُ ؛ وَيَا أَيُّهَا الْخَالِقُ الرَّحِيمُ الَّذِي اخْتَفَىٰ مِنْ شِدَّةِ ظُهُورِهِ ؛ وَاسْتَتَرَ مِنْ عَظَمَةِ كِبْرِيَائِهِ ! إِنِّي أَحْمَدُكَ وَأُثْنِي عَلَيْكَ ، مُقَدِّساً لَكَ عَنِ التَّقْصِيرِ وَالْعَجْزِ وَالشَّرِيكِ ، بِأَلْسِنَةِ وَأَعْدَادِ جَمِيعِ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ ، وَجَمِيعِ الْأَوْرَاقِ وَالْأَزْهَارِ وَالْأَثْمَارِ . .

أَيُّهَا الْفَاطِرُ الْقَدِيرُ ! أَيُّهَا الْمُدَبِّرُ الْحَكِيمُ ! وَأَيُّهَا الْمُرَبِّي الرَّحِيمُ ! لَقَدْ عَلِمْتُ بِتَعْلِيمِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عليه الصلاة والسلام» ، وَبِدَرْسِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ وَآمَنْتُ : بِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ النَّبَاتَاتِ وَالْأَشْجَارَ

تَعْرِفُكَ ؛ وَتُعْلِمُ صِفَاتِكَ الْقُدُسِيَّةَ وَأَسْمَاءَكَ الْحُسْنٰى ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّهُ لَا يُوجَدُ وَاحِدٌ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، الَّتِي هِيَ قِسْمٌ ذُو رُوحٍ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ، لَا يَشْهَدُ لِوُجُوبِ وُجُودِكَ ، وَلِتَحَقُّقِ صِفَاتِكَ ، بِأَعْضَائِهِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالْخَارِجِيَّةِ ، الَّتِي تَعْمَلُ وَتُسْتَعْمَلُ فِي جِسْمِهِ كَسَاعَاتٍ مُنْتَظِمَةٍ لِلْغَايَةِ ، وَبِآلَاتِهِ وَحَوَاسِّهِ ، الَّتِي مُكِّنَتْ فِي بَدَنِهِ بِنِظَامٍ دَقِيقٍ لِلْغَايَةِ ، وَمِيزَانٍ حَسَّاسٍ لِلْغَايَةِ ، وَفَوَائِدَ مُهِمَّةٍ لِلْغَايَةِ ، وَبِجِهَازَاتِهِ الْبَدَنِيَّةِ ، الَّتِي وُضِعَتْ فِي جَسَدِهِ ، فِي صُنْعٍ مُصَنَّعٍ لِلْغَايَةِ ، وَتَفْرِيشٍ حَكِيمٍ لِلْغَايَةِ ، وَمُوَازَنَةٍ دَقِيقَةٍ لِلْغَايَةِ ؛ لِأَنَّ هٰذَا الْقَدَرَ مِنَ الصَّنْعَةِ اللَّطِيفَةِ الْبَصِيرَةِ ، وَالْحِكْمَةِ الدَّقِيقَةِ الشُّعُورِيَّةِ ، وَالْمُوَازَنَةِ التَّامَّةِ الْمُدَبِّرَةِ ، لَا يُمْكِنُ أَنْ تُخَالِطَهَا الْقُوَّةُ الْعَمْيَاءُ ، وَالطَّبِيعَةُ غَيْرُ الْمُدْرِكَةِ ، وَالتَّصَادُفُ الطَّائِشُ ؛ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هِيَ مِنْ شُؤُونِهَا ؛ وَلَيْسَ ذٰلِكَ مُمْكِناً قَطْعاً ؛ وَأَمَّا حُصُولُهَا كَذٰلِكَ مُتَشَكِّلَةً بِنَفْسِهَا ، فَمُحَالٌ فِي مِئَةِ دَرَجَةٍ مِنَ الْمُحَالِ ، إِذْ لَا بُدَّ فِي ذٰلِكَ الْحَالِ ، أَنْ تَعْلَمَ كُلُّ ذَرَّةٍ مِنْهَا ، كُلَّ أَمْرٍ لَهَا ، وَتَشَكُّلَ جَسَدِهَا ، بَلْ كُلَّ شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِهَا الَّتِي لَهَا عَلَاقَةٌ بِهَا فِي الدُّنْيَا ؛ وَأَنْ تَرَاهَا وَتَسْتَطِيعَ أَنْ تَصْنَعَهَا ؛ وَيَكُونَ لَهَا عِلْمٌ وَقُدْرَةٌ مُحِيطَتَانِ كَالْإِلٰهِ عَادَةً ؛ ثُمَّ يُحَالُ تَشْكِيلُ الْجَسَدِ عَلَيْهَا ؛ وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّهَا تَشَكَّلَتْ بِنَفْسِهَا ؛ وَإِنَّهُ لَا تُوجَدُ وَاحِدَةٌ مِنْ كَيْفِيَّاتِهَا فِي هَيْئَتِهَا الْمَجْمُوعَةِ ، كَوَحْدَةِ التَّدْبِيرِ ، وَوَحْدَةِ الْإِدَارَةِ ، وَالْوَحْدَةِ النَّوْعِيَّةِ ، وَالْوَحْدَةِ الْجِنْسِيَّةِ ، وَالِاتِّحَادِ فِي سِكَّةِ الْفِطْرَةِ الْمَشْهُودَةِ فِي جِهَةِ الِاتِّفَاقِ فِي نِقَاطٍ مِثْلِ الْبَصَرِ وَالسَّمْعِ وَالْفَمِ ، فِي وُجُوهِ الْعُمُومِ ، وَالِاتِّحَادِ فِي سِكَّةِ الْحِكْمَةِ الْمَرْئِيَّةِ فِي سِيمَا أَفْرَادِ كُلِّ نَوْعٍ ، وَالْمُصَاحَبَةِ فِي الْإِعَاشَةِ وَالْإِيجَادِ ، وَتَوَاجُدِ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ ، لَا تُوجَدُ فِي الشَّهَادَةِ الْقَطْعِيَّةِ عَلٰى وَحْدَتِكَ ؛ وَلَا تَكُونُ لَهَا إِشَارَةٌ إِلٰى أَحَدِيَّتِكَ فِي الْوَاحِدِيَّةِ ، بِوُجُودِ جَلَوَاتِ جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ النَّاظِرَةِ إِلَى الْكَائِنَاتِ ، فِي كُلِّ فَرْدٍ مِنْهَا . وَأَيْضاً إِنَّ مِئَاتِ آلَافِ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ ، الَّتِي تُصْنَعُ مَعَ الْإِنْسَانِ فِي وَجْهِ الْأَرْضِ كُلِّهَا ، تَدُلُّ بِالتَّجْهِيزِ وَالتَّدْرِيبِ ، وَالْإِطَاعَةِ وَالتَّسْخِيرِ ، وَبِجَرَيَانِ أَوَامِرِ الرُّبُوبِيَّةِ فِيهَا بِالِانْتِظَامِ ، مِنْ أَصْغَرِهَا إِلٰى أَكْبَرِهَا ، كَجَيْشٍ مُنْتَظِمٍ ، عَلٰى دَرَجَةِ حَشْمَةِ رُبُوبِيَّتِكَ تِلْكَ ، وَبِصَنْعَتِهَا قَيِّمَةً لِلْغَايَةِ مَعَ غَايَةِ الْكَثْرَةِ ، وَسَرِيعَةً لِلْغَايَةِ مَعَ كَوْنِهَا مُكَمَّلَةً لِلْغَايَةِ ، وَصُنْعِهَا هَيِّنَةً لِلْغَايَةِ مَعَ كَوْنِهَا مُصَنَّعَةً لِلْغَايَةِ ، عَلٰى دَرَجَةِ

عَظَمَةِ قُدْرَتِكَ ؛ كَمَا تَدُلُّ قَطْعاً ، عَلى مَا لا حَدَّ لَهُ مِنْ سَعَةِ رَحْمَتِكَ ، الَّتِي تُوصِلُ أَرْزَاقَ جَمِيعِ أُولائِكَ ، مِنَ الجُرْثُومِ إِلَى الْكَرْكَدَّنِ ، وَمِنْ أَصْغَرِ الذُّبَابِ إِلى أَكْبَرِ الطَّائِرِ ، الْمُنْتَشِرَةِ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ ، وَمِنَ الشِّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ ، وَعَلى مَا لا نِهَايَةَ لَهُ مِن اتِّسَاعِ حَاكِمِيَّتِكَ ، بِجِهَةِ أَدَاءِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا ، وَظِيفَتَهُ الْفِطْرِيَّةَ كَجُنْدِيٍّ مُطِيعٍ ، وَصَيْرُورَةِ وَجْهِ الْأَرْضِ مُعَسْكَراً فِي كُلِّ رَبِيعٍ ، لِجَيْشٍ أُخِذَ تَحْتَ السِّلاحِ مِنْ جَدِيدٍ ، مَكَانَ الْمُسَرَّحِينَ فِي مَوْسِمِ الْخَرِيفِ .

وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ يُشِيرُ بِعَدَدِهَا إِلىٰ إِحَاطَةِ عِلْمِكَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَإِلىٰ شُمُولِ حِكْمَتِكَ لِكُلِّ شَيْءٍ ، بِصُنْعِهَا فِي حُكْمِ نُسْخَةٍ صَغِيرَةٍ ، وَمِثَالٍ مُصَغَّرٍ لِلْكَائِنَاتِ ، بِعِلْمٍ عَمِيقٍ لِلْغَايَةِ ، وَحِكْمَةٍ دَقِيقَةٍ لِلْغَايَةِ ، دُونَ أَنْ يَخْلِطَ أَجْزَاءَهَا الْمُخْتَلِطَةَ ، وَبِصُنْعِ مُخْتَلَفِ صُوَرِ الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا ، بِلا خَطَأٍ وَبِغَيْرِ سَهْوٍ وَلا نُقْصَانٍ ، دُونَ أَنْ تَلْتَبِسَ عَلَيْهِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّهَا تُشِيرُ بِصُنْعِهَا جَمِيلَةً وَمُصَنَّعَةً ، بِقَدَرِ مَا يَصِيرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا ، مُعْجِزَةَ صَنْعَةٍ ، وَخَارِقَةَ حِكْمَةٍ ، إِلىٰ كَمَالِ حُسْنِ صَنْعَتِكَ الرَّبَّانِيَّةِ وَجَمَالِهَا فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ ، الَّتِي تُحِبُّهَا كَثِيراً وَتُرِيدُ تَشْهِيرَهَا ؛ وَإِنَّهَا تُشِيرُ بِلا حَدٍّ ، إِلىٰ جَمَالِ عِنَايَتِكَ الحُلْوِ لِلْغَايَةِ ، بِتَرْبِيَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا ، وَلاسِيَّمَا الْأَطْفَالِ ، فِي صُورَةٍ لَطِيفَةٍ وَرَقِيقَةٍ لِلْغَايَةِ ، وَبِجِهَةِ تَأْمِينِ أَهْوَائِهَا وَمَطَالِبِهَا . .

أَيُّهَا الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ! يَا صَادِقَ الْوَعْدِ الْأَمِينَ ! وَيَا مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ ! لَقَدْ فَهِمْتُ بِتَعْلِيمِ «رَسُولِكَ الْأَكْرَمِ» (عليه الصلاة والسلام) ، وَبِإِرْشَادِ قُرْآنِكَ الْحَكِيمِ : أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ أَعْلىٰ نَتَائِجِ الْكَائِنَاتِ انْتِخَاباً ، هِيَ الْحَيَاةَ ؛ وَكَانَتْ خُلاصَةُ الْحَيَاةِ الْأَعْلَىٰ انْتِخَاباً ، هِيَ الرُّوحَ ؛ وَكَانَ الْقِسْمُ الْأَعْلَىٰ انْتِخَاباً مِنْ أَقْسَامِ ذَوِي الْأَرْوَاحِ ، هُمْ ذَوِي الشُّعُورِ ؛ وَكَانَ أَجْمَعُ ذَوِي الشُّعُورِ ، هُوَ الْإِنْسَانَ ؛ وَكَانَتْ جَمِيعُ الْكَائِنَاتِ مُسَخَّرَةً لِلْحَيَاةِ ؛ وَتَسْعَى لِأَجْلِ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ وَكَانَتْ ذَوُو الْحَيَاةِ مُسَخَّرَةً لِذَوِي الْأَرْوَاحِ ؛ تُبْعَثُ لِأَجْلِهِمْ إِلَى الدُّنْيَا ؛ وَكَانَتْ ذَوُو الْأَرْوَاحِ مُسَخَّرَةً لِلْإِنْسَانِ ؛ وَتُعِينُهُمْ ؛ وَكَانَ النَّاسُ يُحِبُّونَ فِطْرَةً خَالِقَهُمْ جِدّاً جِدّاً ؛ وَيُحِبُّهُمْ خَالِقُهُمْ ؛ وَيُحَبِّبُ إِلَيْهِمْ نَفْسَهُ ، بِكُلِّ وَسِيلَةٍ ؛ وَكَانَ اسْتِعْدَادُ الْإِنْسَانِ وَأَجْهِزَتُهُ الْمَعْنَوِيَّةُ ، تَنْظُرُ إِلَى عَالَمٍ بَاقٍ ، وَحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ أُخْرَى ؛ وَكَانَ قَلْبُ الْإِنْسَانِ وَشُعُورُهُ يَطْلُبُ الْبَقَاءَ بِكُلِّ قُوَّتِهِ ؛ وَكَانَ لِسَانُهُ

يَتضَرَّعُ إلىٰ خَالِقِهِ لِأَجْلِ الْبَقَاءِ، بِمَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ دُعَائِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ إغْضَابُ الْإِنْسِ الْمَحْبُوبِينَ وَالْمُحِبِّينَ، وَالَّذِينَ يُحِبُّونَ وَيُحَبَّبُونَ كَثِيراً، بِعَدَاوَةٍ أَبَدِيَّةٍ، وَقَدْ خُلِقُوا لِمَحَبَّةٍ أَبَدِيَّةٍ، بِالْإِمَاتَةِ دُونَ رَجْعَةٍ؛ وَلَيْسَ ذٰلِكَ مُمْكِناً قَطْعاً وَعَلىٰ كُلِّ حَالٍ؛ بَلْ بُعِثُوا لِلسَّعْيِ وَالْكَسْبِ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا، بِحِكْمَةِ عَيْشِهِمْ سُعَدَاءَ فِي عَالَمٍ أَبَدِيٍّ آخَرَ؛ وَإِنَّ الْأَسْمَاءَ الْمُتَجَلِّيَةَ عَلَى الْإِنْسَانِ، تُشِيرُ بِجَلَوَاتِهَا فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ الْقَصِيرَةِ، إلىٰ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي هُوَ مِرْآتُهَا، سَيَصِيرُ مَظْهَراً لِجَلَوَاتِهَا الْأَبَدِيَّةِ، فِي عَالَمِ الْبَقَاءِ. نَعَمْ: إنَّ الصَّدِيقَ الصَّادِقَ لِلْأَبَدِيِّ، يَصِيرُ أَبَدِيّاً؛ وَإِنَّ مِرْآةَ الْبَاقِي ذَاتَ الشُّعُورِ، يَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ بَاقِيَةً. وَيُفْهَمُ مِنَ الرِّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ: أَنَّ أَرْوَاحَ الْحَيَوَانَاتِ سَتَبْقَى خَالِدَةً؛ وَأَنَّ بَعْضَ أَفْرَادٍ مَخْصُوصَةٍ، مِثْلَ هُدْهُدِ سُلَيْمَانَ وَنَمْلَتِهِ، وَنَاقَةِ صَالِحٍ، وَكَلْبِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، سَتَذْهَبُ إلَى الْعَالَمِ الْبَاقِي، بِرُوحِهَا وَجَسَدِهَا؛ وَأَنَّ كُلَّ نَوْعٍ، سَيَكُونُ لَهُ جَسَدٌ وَاحِدٌ فَقَطْ، لِلِاسْتِعْمَالِ أَحْيَاناً؛ مَعَ أَنَّ الْحِكْمَةَ وَالْحَقِيقَةَ، وَالرَّحْمَةَ وَالرُّبُوبِيَّةَ، تَقْتَضِي كَذٰلِكَ..

فَيَا أَيُّهَا الْقَادِرُ الْقَيُّومُ! إنَّ جَمِيعَ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ، وَذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ، وَذَوِي الشُّعُورِ، سُخِّرَتْ لِأَوَامِرِ رُبُوبِيَّتِكَ؛ وَوُظِّفَتْ بِوَظَائِفَ فِطْرِيَّةٍ، فِي مُلْكِكَ، بِقُوَّتِكَ وَقُدْرَتِكَ فَقَطْ، وَبِإِرَادَتِكَ وَتَدْبِيرِكَ، وَبِرَحْمَتِكَ وَحِكْمَتِكَ فَقَطْ؛ وَإِنَّ قِسْماً مِنْهَا صَارَ مُسَخَّراً لِلْإِنْسَانِ مِنْ جَانِبِ الرَّحْمَةِ، لَا لِقُوَّةِ الْإِنْسَانِ وَغَلَبَتِهِ، بَلْ لِضَعْفِهِ وَعَجْزِهِ الْفِطْرِيِّ؛ وَإِنَّهَا تُقَدِّسُ صَانِعَهَا وَمَعْبُودَهَا، عَنِ التَّقْصِيرِ وَالشَّرِيكِ؛ وَتَشْكُرُهُ وَتَحْمَدُ لَهُ عَلىٰ نِعَمِهِ، بِلِسَانِ الْحَالِ، وَلِسَانِ الْقَالِ؛ فَيَعْبُدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا، عِبَادَتَهُ الْمَخْصُوصَةَ...

فَيَا أَيُّهَا الذَّاتُ الْأَقْدَسُ الَّذِي اخْتَفَى مِنْ شِدَّةِ ظُهُورِهِ؛ وَاحْتَجَبَ مِنْ عَظَمَةِ كِبْرِيَائِهِ! إنِّي أَنْوِي وَأُقَدِّسُكَ بِتَسَابِيحِ جَمِيعِ ذَوِي الْأَرْوَاحِ؛ فَأَقُولُ: «سُبْحَانَكَ يَا مَنْ جَعَلَ مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ»..

يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ! يَا إلٰهَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ! يَا رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ! لَقَدْ فَهِمْتُ وَآمَنْتُ بِتَعْلِيمِ (الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ)، وَبِدَرْسِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ: بِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ

السَّمَاءَ وَالْفَضَاءَ وَالْأَرْضَ ، وَالْبَرَّ وَالْبَحْرَ وَالشَّجَرَ ، وَالنَّبَاتَ وَالْحَيوَانَ ، بِأَفْرَادِهَا وَأَجْزَائِهَا وَذَرَّاتِهَا ، تَعْلَمُكَ وَتَعْرِفُكَ ؛ وَتَشْهَدُ وَتَدُلُّ وَتُشِيرُ إِلَىٰ وُجُودِكَ وَوَحْدَتِكَ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ وَالْأَصْفِيَاءَ ، الَّذِينَ هُمْ خُلَاصَةُ الْإِنْسَانِ ، الَّذِي هُوَ خُلَاصَةُ ذَوِي الْحَيَاةِ ، الَّذِينَ هُمْ خُلَاصَةُ الْكَائِنَاتِ ، يَشْهَدُونَ بِمُشَاهَدَاتٍ وَكَشْفِيَّاتٍ وَإِلْهَامَاتٍ وَاسْتِخْرَاجَاتِ قُلُوبِهِمْ وَعُقُولِهِمُ الَّتِي هِيَ خُلَاصَتُهُمْ ، عَلَىٰ وُجُوبِ وُجُودِكَ ، وَعَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِكَ وَأَحَدِيَّتِكَ ؛ فَيُخْبِرُونَ عَنْهَا بِقَطْعٍ ، فِي قُوَّةِ مِئَاتِ الْإِجْمَاعِ وَمِئَاتِ التَّوَاتُرِ ؛ وَيُثْبِتُونَ أَخْبَارَهُمْ ، بِمُعْجِزَاتِهِمْ وَكَرَامَاتِهِمْ وَبَرَاهِينِهِمُ الْيَقِينِيَّةِ . نَعَمْ : لَا تُوجَدُ فِي الْقُلُوبِ خَاطِرَةٌ غَيْبِيَّةٌ نَاظِرَةٌ إِلَىٰ ذَاتٍ مُخْطِرٍ ، فِي حِجَابِ الْغَيْبِ ، وَإِلْهَامَةٌ صَادِقَةٌ مُنْظِرَةٌ إِلَىٰ ذَاتٍ مُلْهِمٍ ، وَاعْتِقَادَةٌ يَقِينِيَّةٌ كَاشِفَةٌ لِصِفَاتِكَ الْقُدُسِيَّةِ وَأَسْمَائِكَ الْحُسْنَىٰ ، فِي صُورَةِ حَقِّ الْيَقِينِ ، وَقَلْبٌ نُورَانِيٌّ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ ، مُشَاهِدٌ بِعَيْنِ الْيَقِينِ ، لِأَنْوَارِ وَاجِبِ وُجُودٍ ، وَعَقْلٌ مُنَوَّرٌ فِي الْأَصْفِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ ، مُصَدِّقٌ وَمُثْبِتٌ بِعِلْمِ الْيَقِينِ ، لِآيَاتِ وُجُوبِ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَلِبَرَاهِينِ وَحْدَتِهِ ، لَا تَشْهَدُ عَلَىٰ وُجُوبِ وُجُودِكَ ، وَصِفَاتِكَ الْقُدُسِيَّةِ ، وَعَلَىٰ وَحْدَتِكَ وَأَحَدِيَّتِكَ ، وَأَسْمَائِكَ الْحُسْنَىٰ ؛ وَلَا تُوجَدُ لَهَا دَلَالَةٌ عَلَيْهَا ؛ وَلَا تَكُونُ لَهَا إِشَارَةٌ إِلَيْهَا ؛ وَلَاسِيَّمَا أَنَّهُ لَا تُوجَدُ مُعْجِزَةٌ بَاهِرَةٌ تُصَدِّقُ أَخْبَارَ (الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ) ، الَّذِي هُوَ إِمَامُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ ، وَرَئِيسُهُمْ وَخُلَاصَتُهُمْ ، وَحَقِيقَةٌ عَالِيَةٌ لَهُ تُظْهِرُ حَقَّانِيَّتَهُ ، وَلَا آيَةٌ تَوْحِيدِيَّةٌ قَاطِعَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، الَّذِي هُوَ خُلَاصَةُ خُلَاصَاتِ جَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ ذَاتِ الْحَقِيقَةِ ، وَمَسْأَلَةٌ قُدُسِيَّةٌ مِنَ الْمَسَائِلِ الْإِيمَانِيَّةِ ، لَا تَشْهَدُ عَلَىٰ وُجُوبِ وُجُودِكَ ، وَصِفَاتِكَ الْقُدُسِيَّةِ ، وَعَلَىٰ وَحْدَتِكَ وَأَحَدِيَّتِكَ ، وَأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ ؛ وَلَا تَكُونُ لَهَا دَلَالَةٌ عَلَيْهَا ؛ وَلَا تُوجَدُ لَهَا إِشَارَةٌ إِلَيْهَا . وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ مِئَاتِ الْآلَافِ مِنْ جَمِيعِ أُولَائِكَ الْمُخْبِرِينَ الصَّادِقِينَ ، يَشْهَدُونَ عَلَىٰ وُجُودِكَ وَوَحْدَتِكَ ، مُسْتَنِدِينَ إِلَىٰ مُعْجِزَاتِهِمْ وَكَرَامَاتِهِمْ وَحُجَجِهِمْ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّهُمْ يُعْلِنُونَ وَيُخْبِرُونَ وَيُثْبِتُونَ بِالْإِجْمَاعِ وَالِاتِّفَاقِ ، دَرَجَةَ حِشْمَةِ رُبُوبِيَّتِكَ الْجَارِيَةِ مِنْ إِدَارَةِ كُلِّيَّاتِ أُمُورِ الْعَرْشِ الْأَعْظَمِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ ، إِلَىٰ إِدَارَةِ خَوَاطِرِ الْقَلْبِ ، وَمَآرِبِهِ وَدَعَوَاتِهِ الْخَفِيَّةِ الْجُزْئِيَّةِ

لِلْغَايَةِ، وَإِلَى الْعِلْمِ بِهَا وَالاِسْتِمَاعِ إِلَيْهَا؛ وَدَرَجَةَ عَظَمَةِ قُدْرَتِكَ الَّتِي تَخْلُقُ دَفْعَةً وَاحِدَةً، أَشْيَاءَ مُخْتَلِفَةً بِلاَ حَدٍّ، أَمَامَ أَعْيُنِنَا؛ وَتَصْنَعُ هَيِّناً، أَكْبَرَ شَيْءٍ، كَأَصْغَرِ ذُبَابَةٍ، دُونَ أَنْ يَمْنَعَ فِعْلٌ فِعْلاً، وَأَمْرٌ أَمْراً. وَأَيْضاً كَمَا أَنَّهُمْ يُخْبِرُونَ فَيُثْبِتُونَ بِمُعْجِزَاتِهِمْ وَحُجَجِهِمْ، مَا لاَ حَدَّ لَهُ مِنِ اتِّسَاعِ رَحْمَتِكَ الَّتِي جَعَلَتْ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ، فِي حُكْمِ قَصْرٍ مُكَمَّلٍ لِذَوِي الْأَرْوَاحِ، وَلاَسِيَّمَا لِلْإِنْسَانِ؛ وَأَعَدَّتِ الْجَنَّةَ وَالسَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ؛ وَلاَ تَنْسَى أَصْغَرَ ذِي حَيَاةٍ؛ وَتَسْعَى لِتَأْمِينِ وَتَلْطِيفِ أَعْجَزِ قَلْبٍ، وَمَا لاَ نِهَايَةَ لَهُ مِنْ سَعَةِ حَاكِمِيَّتِكَ الَّتِي طَوَّعَتْ لِأَوَامِرِهَا جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ وَسَخَّرَتْهَا وَوَظَّفَتْهَا مِنَ الذَّرَّاتِ إِلَى السَّيَّارَاتِ؛ كَذٰلِكَ يَشْهَدُونَ وَيَدُلُّونَ وَيُشِيرُونَ بِالْإِجْمَاعِ وَالاِتِّفَاقِ، إِلَى إِحَاطَةِ عِلْمِكَ بِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي جَعَلَ الْكَائِنَاتِ فِي حُكْمِ كِتَابٍ كَبِيرٍ، فِيهِ رَسَائِلُ عَدَدَ أَجْزَائِهَا؛ وَقَيَّدَ وَكَتَبَ جَمِيعَ تَرَاجِمِ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا، فِي «الْإِمَامِ الْمُبِينِ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ»، اللَّذَيْنِ هُمَا دَفْتَرَا اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ؛ وَاسْتَنْسَخَ مُنْتَظِماً دُونَ خَطَإٍ، فَهَارِسَ جَمِيعِ الْأَشْجَارِ وَمَنَاهِجِهَا، فِي جَمِيعِ النَّوَى، وَتَرْجَمَةَ حَيَاةِ ذَوِي الشُّعُورِ وَأَصْحَابِ الْقُوَى الْحَافِظَةِ، فِي رُؤُوسِهِمْ وَفِي جَمِيعِ الذَّوَاكِرِ؛ وَإِلَى شُمُولِ حِكْمَتِكَ الْقُدْسِيَّةِ لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّتِي عَلَّقَتْ بِكُلِّ مَوْجُودٍ، حِكَماً كَثِيرَةً؛ بَلْ حَصَّلَتْ لِكُلِّ شَجَرَةٍ، نَتَائِجَ عَدَدَ ثَمَرَاتِهَا؛ وَتَعَقَّبَتْ فِي كُلِّ ذَاتِ حَيَاةٍ، مَصَالِحَ عَدَدَ أَعْضَائِهَا وَأَجْزَائِهَا وَخَلاَيَاهَا؛ بَلْ جَهَّزَتْ لِسَانَ الْإِنْسَانِ، بِمُوَيْزِينَاتٍ ذَوْقِيَّةٍ، عَدَدَ طُعُومِ الْأَطْعِمَةِ، وَإِلَى أَنَّ تَجَلِّيَاتِ أَسْمَائِكَ الْجَلاَلِيَّةِ وَالْجَمَالِيَّةِ الْمَرْئِيَّةِ نَمَاذِجُهَا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا، سَتَدُومُ فِي أَشْرَقِ صُورَةٍ، فِي أَبَدِ الْآبَادِ، وَإِلَى اسْتِمْرَارِ الْإِحْسَانَاتِ الْمَشْهُودَةِ أَمْثِلَتُهَا فِي هٰذَا الْعَالَمِ الْفَانِي، وَإِلَى بَقَائِهَا فِي صُورَةٍ أَلْمَعَ، فِي دَارِ السَّعَادَةِ، وَإِلَى مُرَافَقَةِ الْمُشْتَاقِينَ الَّذِينَ شَهِدُوهَا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا، وَمُصَاحَبَتِهِمْ إِيَّاهَا فِي الْأَبَدِ أَيْضاً. وَكَذَا إِنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ أَصْحَابِ الْأَرْوَاحِ النَّيِّرَةِ، وَالْأَوْلِيَاءِ أَقْطَابِ الْقُلُوبِ النُّورَانِيَّةِ، وَالْأَصْفِيَاءِ أَرْبَابِ الْعُقُولِ الْمُنَوَّرَةِ، وَفِي الْمُقَدِّمَةِ «الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ)، وَقُرْآنُكَ الْحَكِيمُ، اسْتِنَاداً إِلَى مِئَاتٍ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ الْبَاهِرَةِ، وَآيَاتِهِ الْقَاطِعَةِ، يُبَشِّرُونَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ؛ وَيُخْبِرُونَ بِوُجُودِ جَهَنَّمَ لِأَهْلِ الضَّلاَلَةِ؛ فَيُعْلِنُونَهُ؛ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ؛

فَيَشْهَدُونَ عَلَيْهِ ، بِالْكَشْفِيَّاتِ وَالْمُشَاهَدَاتِ ، وَبِاعْتِقَادِهِمْ عِلْمَ الْيَقِينِ ، اسْتِنَاداً إِلَى وُعُودِكَ وَتَهْدِيدَاتِكَ الَّتِي وَعَدْتَهَا وَهَدَّدْتَهَا بِتَكْرَارٍ كَثِيرٍ ، فِي جَمِيعِ الصُّحُفِ وَالْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَاعْتِمَاداً عَلَى صِفَاتِكَ وَشُؤُونِكَ الْقُدْسِيَّةِ ، مِثْلِ الْقُدْرَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَالْعِنَايَةِ وَالْحِكْمَةِ ، وَالْجَلاَلِ وَالْجَمَالِ ، وَعَلَى عِزَّةِ جَلاَلِكَ ، وَسَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِكَ . .

فَيَا أَيُّهَا الْقَادِرُ الْحَكِيمُ ! وَأَيُّهَا الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ! وَيَا صَادِقَ الْوَعْدِ الْكَرِيمِ ! وَأَيُّهَا الْقَهَّارُ ذَا الْجَلاَلِ ، صَاحِبَ الْعِزَّةِ وَالْعَظَمَةِ وَالْجَلاَلِ ! إِنَّكَ مُقَدَّسٌ مِئَةَ أَلْفِ دَرَجَةٍ ، وَمُنَزَّهٌ وَعَالٍ بِمَا لاَ حَدَّ لَهُ مِنْ دَرَجَةٍ ، عَنْ أَنْ تُكَذِّبَ هٰذَا الْقَدَرَ مِنْ أَحْبَابِكَ الصَّادِقِينَ ، وَهٰذَا الْقَدَرَ مِنْ وُعُودِكَ ، وَهٰذَا الْقَدَرَ مِنْ صِفَاتِكَ وَشُؤُونَاتِكَ ؛ فَتَرُدَّ مُقْتَضَيَاتِ سَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِكَ ، الْمُقْتَضَيَاتِ الْقَطْعِيَّةَ ، وَمَا لاَ حَدَّ لَهُ مِنْ أَدْعِيَةِ وَدَعَاوَى مَنْ لاَ حَدَّ لَهُمْ مِنْ عِبَادِكَ الْمَقْبُولِينَ الَّذِينَ تُحِبُّهُمْ ؛ وَهُمْ أَيْضاً يُحَبِّبُونَ إِلَيْكَ أَنْفُسَهُمْ ، بِتَصْدِيقِكَ وَالْإِطَاعَةِ لَكَ ؛ وَتُصَدِّقَ أَهْلَ الضَّلاَلَةِ ، وَأَهْلَ الْكُفْرِ ، فِي إِنْكَارِ الْحَشْرِ ، الَّذِينَ يَمَسُّونَ عَظَمَةَ كِبْرِيَائِكَ ؛ وَيَطْعَنُونَ فِي عِزَّةِ جَلاَلِكَ ؛ وَيَقْدَحُونَ فِي حَيْثِيَّةِ أُلُوهِيَّتِكَ ؛ وَيُشَاقُّونَ شَفَقَةَ رُبُوبِيَّتِكَ ، بِالْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ ، وَبِتَكْذِيبِكَ فِي وَعْدِكَ . فَأُقَدِّسُ عَدَالَتَكَ وَجَمَالَكَ وَرَحْمَتَكَ بِلاَ نِهَايَةٍ ، عَنْ ظُلْمٍ وَقُبْحٍ بِلاَ نِهَايَةٍ هٰكَذَا ؛ وَأُرِيدُ أَنْ أَذْكُرَ عَدَدَ جَمِيعِ ذَرَّاتِ بَدَنِي ، آيَةَ : ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً﴾ ؛ بَلْ إِنَّ أُولاَئِكَ الصَّادِقِينَ مِنْ رُسُلِكَ ، وَأُولاَئِكَ الْمُسْتَقِيمِينَ مِنْ دَلاَّلِي سَلْطَنَتِكَ ، يَشْهَدُونَ وَيُشِيرُونَ وَيُبَشِّرُونَ فِي صُورَةِ حَقِّ الْيَقِينِ ، وَعَيْنِ الْيَقِينِ ، وَعِلْمِ الْيَقِينِ ، بِخَزَائِنِ رَحْمَتِكَ الْأُخْرَوِيَّةِ ، وَبِدَفَائِنِ إِحْسَانَاتِكَ فِي عَالَمِ الْبَقَاءِ ، وَبِالْجَلَوَاتِ الْجَمِيلَةِ الْخَارِقَةِ ، مِنْ جَلَوَاتِ أَسْمَائِكَ الْحُسْنَى الَّتِي تَظْهَرُ بِتَمَامِهَا فِي دَارِ السَّعَادَةِ ؛ وَيُدَرِّسُونَ عِبَادَكَ ، مُؤْمِنِينَ بِأَنَّ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ الْكُبْرَى الْحَشْرِيَّةَ ، هِيَ أَكْبَرُ شُعَاعٍ لِاسْمِكَ (الْحَقِّ) ، الَّذِي هُوَ مَرْجِعُ جَمِيعِ الْحَقَائِقِ ، وَشَمْسُهَا وَحَامِيهَا . .

فَيَا رَبَّ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ ! إِنَّ جَمِيعَ أُولاَئِكَ ، مُسَخَّرُونَ وَمُوَظَّفُونَ فِي مُلْكِكَ ، بِأَمْرِكَ وَقُدْرَتِكَ ، وَبِإِرَادَتِكَ وَتَدْبِيرِكَ ، وَبِعِلْمِكَ وَحِكْمَتِكَ ؛ وَقَدْ أَظْهَرُوا كُرَةَ الْأَرْضِ ، وَهٰذِهِ

الْكَائِنَاتِ ، فِي حُكْمِ مَعْبَدٍ أَعْظَمَ ، وَمَسْجِدٍ أَكْبَرَ ، بِالتَّقْدِيسِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ . .

يَا رَبِّي وَيَا رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ ! يَا خَالِقِي وَيَا خَالِقَ كُلِّ شَيْءٍ ! بِحَقِّ قُدْرَتِكَ وَإِرَادَتِكَ وَحِكْمَتِكَ وَحَاكِمِيَّتِكَ وَرَحْمَتِكَ ، الَّتِي سَخَّرَتِ السَّمَاوَاتِ بِنُجُومِهَا ، وَالْأَرْضَ بِمُشْتَمَلَاتِهَا ، وَجَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ بِجَمِيعِ كَيْفِيَّاتِهَا ، سَخِّرْ لِي نَفْسِي ؛ وَسَخِّرْ لِي مَطْلُوبِي ؛ وَسَخِّرْ لِرِسَالَةِ النُّورِ ، قُلُوبَ النَّاسِ ، لِخِدْمَةِ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ ؛ وَأَعْطِنِي وَإِخْوَانِي ، الْإِيمَانَ الْكَامِلَ ، وَحُسْنَ الْخَاتِمَةِ ؛ وَسَخِّرِ الْقُلُوبَ وَالْعُقُولَ ، لِرِسَالَةِ النُّورِ ؛ كَمَا سَخَّرْتَ الْبَحْرَ لِمُوسَى (عليه السلام) ، وَالنَّارَ لِإِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) ، وَالْجَبَلَ وَالْحَدِيدَ لِدَاوُودَ (عليه السلام) ، وَالْجِنَّ وَالْإِنْسَ لِسُلَيْمَانَ (عليه السلام) ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِحَضْرَةِ مُحَمَّدٍ (عليه الصلاة والسلام) ؛ وَاحْفَظْنِي وَطَلَبَةَ رِسَالَةِ النُّورِ ، مِنْ شَرِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ؛ وَاجْعَلْنِي وَإِيَّاهُمْ مَسْعُودِينَ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ . آمِينَ آمِينَ آمِينَ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

﴿وَآخِرُ دَعْوٰيهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . .

وَلَئِنْ قَصَّرْتُ فِي عَرْضِ دَرْسِي هٰذَا الَّذِي تَلَقَّيْتُهُ مِنَ (الْقُرْآنِ) ، وَمِنَ (الْجَوْشَنِ الْكَبِيرِ) ، الَّذِي هُوَ الْمُنَاجَاةُ النَّبَوِيَّةُ ، عَلَى بَابِ رَبِّيَ الرَّحِيمِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ عِبَادَةٌ تَفَكُّرِيَّةٌ ، فَأَجْعَلُ (الْقُرْآنَ وَالْجَوْشَنَ الْكَبِيرَ) ، شَفِيعاً لِعَفْوِ تَقْصِيرِي ؛ فَأَرْجُو عَفْوِي ، مِنْ رَحْمَتِهِ تَعَالَى . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

اَلشُّعَاعُ الرَّابِعُ

وَهُوَ «اللَّمْعَةُ الْخَامِسَةُ» مَعْنًى وَرُتْبَةً ، وَ«الشُّعَاعُ الرَّابِعُ» الْقَيِّمُ ، مِنَ «اللَّمْعَةِ الْحَادِيَةِ وَالثَّلاثِينَ» ، مِنَ «الْمَكْتُوبِ الْحَادِي وَالثَّلاثِينَ» ، صُورَةً وَمَقَاماً ؛ وَنُكْتَةٌ مُهِمَّةٌ مِنَ الْآيَةِ الْحَسْبِيَّةِ . .

﴿إِخْطَارٌ :﴾ أَنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» تَسْلُكُ فِي الْبِدَايَةِ غَامِضَةً ؛ فَتَنْكَشِفُ مُتَدَرِّجَةً ، بِخِلافِ سَائِرِ الْكُتُبِ ؛ وَلاسِيَّمَا أَنَّ الْمَرْتَبَةَ الْأُولَى فِي هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ، دَقِيقَةٌ وَعَمِيقَةٌ جِدّاً ، مَعَ كَوْنِهَا حَقِيقَةً قَيِّمَةً جِدّاً . وَإِنَّ هٰذِهِ الْمَرْتَبَةَ الْأُولَى ، تَظَاهَرَتْ شِفَاءً لِعِلَلِي الْمُتَنَوِّعَةِ وَالْعَمِيقَةِ ، فِي صُورَةِ مُحَاكَمَةٍ حِسِّيَّةٍ ذَاتِ أَهَمِّيَّةٍ لِلْغَايَةِ ، وَمُعَامَلَةٍ إِيمَانِيَّةٍ ذَاتِ رُوحِيَّةٍ لِلْغَايَةِ ، وَمُكَالَمَةٍ قَلْبِيَّةٍ خَفِيَّةٍ لِلْغَايَةِ ، مَخْصُوصَةٍ بِي . فَمَنْ وَافَقَنِي تَمَاماً ؛ يُمْكِنُ أَنْ يُحِسَّ بِهَا تَمَاماً ؛ وَإِلَّا فَلا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَذُوقَهَا تَمَاماً . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ . .

كُنْتُ فِي زَمَنٍ مَا ، وَقَعْتُ فِي خَمْسَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْغُرْبَةِ ، مِنْ تَجْرِيدِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِيَّايَ ، عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَابْتُلِيتُ فِي عَهْدِي مِنَ الشَّيْبِ ، بِخَمْسَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْمَرَضِ النَّاشِئِ بَعْضُهُ عَنِ التَّأَثُّرَاتِ ؛ فَنَظَرْتُ إِلَىٰ قَلْبِي ؛ وَتَحَرَّيْتُ رُوحِي مُبَاشَرَةً ، دُونَ أَنْ أَنْظُرَ إِلَىٰ أَنْوَارِ «رِسَالَةِ النُّورِ» الْمُسَلِّيَةِ وَالْمُمِدَّةِ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ عِشْقَ بَقَاءٍ قَوِيّاً ، وَحُبَّ وُجُودٍ شَدِيداً ، وَاشْتِيَاقَ حَيَاةٍ عَظِيماً

لِلْغَايَةِ ، وَعَجزاً بِلا حَدٍّ ، وَفَقْراً بِغَيْرِ نِهَايَةٍ ، تَحْكُمُ فِيَّ ؛ وَالْحَالُ : أَنَّ فَنَاءً رَهِيباً يُطْفِئُ ذٰلِكَ الْبَقَاءَ ؛ فَقُلْتُ فِي حَالَتِي تِلْكَ ، كَمَا قَالَ شَاعِرٌ مُحْتَرِقٌ(١) : «إِنَّ الْقَلْبَ يَطْلُبُ بَقَاءَ مُلْكِ بَدَنِي ؛ وَالْحَقَّ تَعَالٰى يُرِيدُ فَنَاءَهُ ؛ فَوَقَعْتُ فِي دَاءٍ بِلا دَوَاءٍ ؛ فَآهاً ! لا خَبَرَ لِلُقْمَانَ» ؛ فَأَحْنَيْتُ رَأْسِي آيِساً ؛ فَإِذَا بِـ : ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ، أَتٰى لِإِمْدَادِي ؛ فَقَالَ : «اقْرَأْنِي بِدِقَّةٍ» ؛ فَقَرَأْتُهُ فِي الْيَوْمِ خَمْسَمِئَةِ مَرَّةٍ . . فَأَكْتُبُ إِجْمَالاً ، قِسْماً مِنْ أَنْوَارِهِ الْقَيِّمَةِ جِدّاً ، الْمُنْكَشِفَةِ لِأَجْلِي فِي صُورَةِ عَيْنِ الْيَقِينِ ، وَتِسْعَةَ أَنْوَارٍ وَمَرَاتِبَ مِنْهَا فَقَطْ ؛ فَأُحِيلُ عَلٰى «رِسَالَةِ النُّورِ» ، تَفَاصِيلَهَا الْمَعْلُومَةَ مِنْ قَدِيمٍ ، لا بِعَيْنِ الْيَقِينِ ، بَلْ بِعِلْمِ الْيَقِينِ . .

اَلْمَرْتَبَةُ النُّورِيَّةُ الْحَسْبِيَّةُ الْأُولٰى :

أَنَّ مَا فِيَّ مِنْ عِشْقِ الْبَقَاءِ ، لَيْس لِمَا فِيَّ مِنَ الْبَقَاءِ ؛ بَلْ إِنَّ جَلْوَةَ اسْمٍ لِلذَّاتِ ذِي الْكَمَالِ وَذِي الْجَمَالِ ، صَاحِبِ الْكَمَالِ الْمُطْلَقِ ، الْمَحْبُوبِ بِالذَّاتِ وَبِدُونِ سَبَبٍ ، يُوجَدُ فِي مَاهِيَّتِي ظِلٌّ مِنْهَا ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ كَانَتِ الْمَحَبَّةُ الْفِطْرِيَّةُ الْمُتَوَجِّهَةُ فِي فِطْرَتِي ، إِلٰى وُجُودِ ذٰلِكَ الْكَامِلِ الْمُطْلَقِ ، وَإِلٰى كَمَالِهِ وَبَقَائِهِ ، ضَلَّتْ طَرِيقَهَا ؛ فَتَعَلَّقَتْ بِالظِّلِّ ؛ وَصَارَتْ عَاشِقَةً لِبَقَاءِ الْمِرْآةِ ، مِنْ أَجْلِ الْغَفْلَةِ ؛ فَأَتٰى : ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ وَرَفَعَ الْحِجَابَ ؛ فَرَأَيْتُ وأَحْسَسْتُ وَذُقْتُ حَقَّ الْيَقِينِ : بِأَنَّ لَذَّةَ بَقَائِي وَسَعَادَتَهُ ، تُوجَدُ بِعَيْنِهَا وَبِوَجْهٍ أَكْمَلَ ، فِي إِيمَانِي وَإِذْعَانِي وَإِيقَانِي بِبَقَاءِ الْبَاقِي ذِي الْكَمَالِ ، وَبِكَوْنِهِ رَبِّي وَإِلٰهِي ؛ لِأَنَّهُ تَتَحَقَّقُ بِبَقَائِهِ حَقِيقَةٌ لا تَمُوتُ لِأَجْلِي ؛ إِذْ تَصِيرُ مَاهِيَّتِي ظِلّاً لِاسْمٍ بَاقٍ وَسَرْمَدِيٍّ ؛ فَلا تَمُوتُ بَعْدُ ؛ هٰكَذَا يَتَقَرَّرُ بِالشُّعُورِ الْإِيمَانِيِّ . .

وَكَذَا أَنَّ الْمَحَبَّةَ الذَّاتِيَّةَ الشَّدِيدَةَ وَالْفِطْرِيَّةَ ، تُسَكَّنُ بِالْعِلْمِ بِوُجُودِ الْكَمَالِ الْمُطْلَقِ الْمَحْبُوبِ الْمُطْلَقِ ، بِشُعُورِ الْإِيمَانِ ذٰلِكَ . وَأَيْضاً أَنَّ كَمَالاتِ الْكَائِنَاتِ وَنَوْعِ الْبَشَرِ ، تُعْلَمُ

---

(١) قَالَهُ نِيَازِيٌّ الْمِصْرِيُّ . وَنَصُّ الْبَيْتِ التُّرْكِيِّ : «دِلْ بَقَاسِي ؛ حَقْ فَنَاسِي ، اِيسْتَدِي مُلْكِ تَنِمْ ❁ بِرْ دَوَاسِزْ دَرْدَه دُوشْدُمْ ؛ آهْ ! كِه لُقْمَانْ ، بِي خَبَرْ» . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللّٰهُ عَنْهُ) . .

وَتُوجَدُ ؛ وَأَنَّ الافْتِتَانَ الْفِطْرِيَّ تِجَاهَ الْكَمَالاتِ ، يَنْجُو عَنْ آلامٍ بِلا حَدٍّ ؛ فَيَتَلَقّىٰ ذَوْقَهُ وَلَذَّتَهُ ، بِذٰلِكَ الشُّعُورِ الْإِيمَانِيِّ الْعَائِدِ إِلىٰ وُجُودِ الْبَاقِي السَّرْمَدِيِّ ، وَإِلىٰ بَقَائِهِ . .

وَكَذَا أَنَّهُ يَحْصُلُ بِذٰلِكَ الشُّعُورِ الْإِيمَانِيِّ ، وَبِانْتِسَابٍ مَّا إِلىٰ ذٰلِكَ الْبَاقِي السَّرْمَدِيِّ ، وَبِإِيمَانِ ذٰلِكَ الانْتِسَابِ ، تَحْصُلُ مُنَاسَبَةٌ بِجَمِيعِ مُلْكِهِ ؛ وَيَنْظُرُ بِعَيْنِ الْإِيمَانِ إِلىٰ مُلْكٍ بِلا حَدٍّ ، كَنَوْعِ تَمَلُّكٍ لَهُ ؛ فَيَسْتَفِيدُ مِنْهُ مَعْنًى ، بِتِلْكَ الْمُنَاسَبَةِ الانْتِسَابِيَّةِ . .

وَكَذَا تَحْصُلُ عَلاقَةٌ وَنَوْعُ اتِّصَالٍ بِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، بِذٰلِكَ الشُّعُورِ الْإِيمَانِيِّ ، وَبِالانْتِسَابِ وَالْمُنَاسَبَةِ ؛ فَحِينَئِذٍ يَصِيرُ مَوْجُوداً كَأَنَّ وُجُوداً بِلا حَدٍّ ، غَيْرَ وُجُودِهِ الشَّخْصِيِّ ، نَوْعُ وُجُودٍ لَهُ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ ، فِي جِهَةِ ذٰلِكَ الشُّعُورِ الْإِيمَانِيِّ ، وَالانْتِسَابِ وَالْمُنَاسَبَةِ ، وَالْعَلاقَةِ وَالاتِّصَالِ ؛ فَيُسَكِّنُ الْعِشْقَ الْفِطْرِيَّ ، تِجَاهَ الْوُجُودِ . .

وَكَذَا تَحْصُلُ أُخُوَّةٌ مَّا ، تِجَاهَ جَمِيعِ أَهْلِ الْكَمَالاتِ ، بِجِهَةِ ذٰلِكَ الشُّعُورِ الْإِيمَانِيِّ ، وَالانْتِسَابِ وَالْمُنَاسَبَةِ وَتَعَلُّقِهِ ؛ فَحِينَئِذٍ يُورِثُ بَقَاءُ مَنْ لا حَدَّ لَهُمْ مِنْ أَحْبَابِهِ ، وَدَوَامُ كَمَالاتِهِمْ ، الَّذِينَ صَارَ هُوَ مَرْبُوطاً بِهِمْ ، وَصَدِيقاً لَهُمْ ، بِالتَّقْدِيرِ وَالتَّحْسِينِ ، يُورِثُ صَاحِبَ ذٰلِكَ الشُّعُورِ الْإِيمَانِيِّ ، ذَوْقاً عُلْوِيّاً ، بِعِلْمِهِ بِأَنَّ أُولٰئِكَ الَّذِينَ لا حَدَّ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكَمَالِ ، لَمْ يَفْنَوْا فَلَمْ يَضِيعُوا ، بِوُجُودِ الْبَاقِي السَّرْمَدِيِّ وَبِبَقَائِهِ . .

وَكَذَا رَأَيْتُ أَنِّي أَسْتَطِيعُ بِوَاسِطَةِ ذٰلِكَ الشُّعُورِ الْإِيمَانِيِّ ، وَالانْتِسَابِ وَالْمُنَاسَبَةِ وَالْعَلاقَةِ وَالْأُخُوَّةِ ، أَنْ أُحِسَّ فِي نَفْسِي بِسَعَادَةٍ لا حَدَّ لَهَا ، بِسَعَادَةِ جَمِيعِ أَحْبَابِيَ الَّذِينَ أَفْدِي سَعَادَتَهُمْ بِحَيَاتِي وَبَقَائِي ، مَعَ الامْتِنَانِ ؛ لِأَنَّ صَدِيقاً مُخْلِصاً يَسْتَسْعِدُ صَدِيقُهُ الْمُشْفِقُ ؛ وَيَسْتَلِذُّ بِسَعَادَتِهِ أَيْضاً . فَأَحْسَسْتُ فِي هٰذَا الْحَالِ ، بِذٰلِكَ الشُّعُورِ الْإِيمَانِيِّ ، بِنَجَاةِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ الَّذِينَ هُمْ سَادَاتِي وَأَحْبَابِي ، وَسَائِرِ مَنْ لا حَدَّ لَهُمْ مِنْ جَمِيعِ أَحْبَابِي – وَفِي الْمُقَدِّمَةِ «الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» (عليه الصلاة والسلام) ، وَآلُهُ وَأَصْحَابُهُ – عَنِ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ، وَبِمَظْهَرِيَّتِهِمْ لِسَعَادَةٍ سَرْمَدِيَّةٍ ، بِبَقَاءِ الْبَاقِي ذِي الْكَمَالِ ، وَبِوُجُودِهِ ؛ وَذُقْتُ أَنَّ سَعَادَتَهُمْ تَنْعَكِسُ إِلَيَّ ؛ فَتُسْعِدُنِي ، بِسِرِّ الْمُنَاسَبَةِ وَالْعَلاقَةِ وَالْأُخُوَّةِ وَالصَّدَاقَةِ . .

وَكَذَا نَجَوْتُ بِذٰلِكَ الشُّعُورِ الإِيمَانِيِّ ، عَنْ تَأَلُّمَاتٍ لا حَدَّ لَهَا تَنْشَأُ عَنِ الرِّقَّةِ الْجِنْسِيَّةِ ، وَشَفَقَةِ الأَقَارِبِ ؛ فَأَحْسَسْتُ بِذَوْقٍ رُوحَانِيٍّ لا حَدَّ لَهُ ؛ لِأَنِّي أَحْسَسْتُ بِأَنَّ جَمِيعَ أَقَارِبِيَ النَّسْلِيِّينَ وَالنَّسَبِيِّينَ وَالْمَعْنَوِيِّينَ ـ وَفِي الْمُقَدِّمَةِ آبَائِي وَأُمَّهَاتِي ـ الَّذِينَ أَتَمَنَّى فِطْرَةً أَنْ أَفْدِيَ نَجَاتَهُمْ عَنِ الْمَهَالِكِ ، بِحَيَاتِي وَبَقَائِي ، مَعَ الافْتِخَارِ ، يَنْجُونَ عَنِ الْفَنَاءِ وَالْعَدَمِ وَالإِعْدَامِ ، وَعَنْ آلامٍ لا حَدَّ لَهَا ، بِبَقَاءِ الْبَاقِي الْحَقِيقِيِّ وَبِوُجُودِهِ ؛ فَأَحْسَسْتُ بِذٰلِكَ الشُّعُورِ الإِيمَانِيِّ ، بِمَظْهَرِيَّتِهِمْ لِرَحْمَتِهِ تِلْكَ الَّتِي لا حَدَّ لَهَا ؛ وَشَعَرْتُ وَأَحْسَسْتُ بِأَنَّ رَحْمَةً بِلا نِهَايَةٍ تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَتَحْمِيهِمْ ، بَدَلاً عَنْ شَفَقَتِيَ الْجُزْئِيَّةِ وَغَيْرِ الْمُؤَثِّرَةِ ، الَّتِي هِيَ مَدَارُ الْغَمِّ وَالأَلَمِ . فَكَمَا تَتَذَوَّقُ وَالِدَةٌ بِلَذَّةِ وَلَدِهَا وَبِذَوْقِهِ وَرَاحَتِهِ ؛ فَإِنِّي أَيْضاً تَذَوَّقْتُ وَفَرِحْتُ بِنَجَاةِ جَمِيعِ أُولٰئِكَ الْكِرَامِ الَّذِينَ أُشْفِقُ عَلَيْهِمْ ، وَبِاسْتِرَاحَتِهِمْ تَحْتَ حِمَايَةِ تِلْكَ الرَّحْمَةِ ؛ وَشَكَرْتُ شُكْراً عَمِيقاً جِدّاً . .

وَكَذَا عَلِمْتُ وَأَحْسَسْتُ وَاقْتَنَعْتُ ، بِذٰلِكَ الانْتِسَابِ الإِيمَانِيِّ : بِأَنَّ «رَسَائِلَ النُّورِ» أَيْضاً ، الَّتِي هِيَ نَتِيجَةُ حَيَاتِي ، وَسَبَبُ سَعَادَتِي ، وَوَظِيفَةُ فِطْرَتِي ، تَنْجُو عَنِ الضَّيَاعِ وَالْفَنَاءِ ، وَعَنْ بَقَائِهَا بِلا فَائِدَةٍ ، وَعَنِ الْجَفَافِ الْمَعْنَوِيِّ ؛ وَتَبْقَى مُثْمِرَةً خَالِدَةً ؛ فَشَعَرْتُ وَأَحْسَسْتُ تَمَاماً ، بِذٰلِكَ الشُّعُورِ الإِيمَانِيِّ ، بِلَذَّةٍ مَعْنَوِيَّةٍ أَكْثَرَ جِدّاً مِنْ لَذَّةِ بَقَائِي نَفْسِهِ ؛ لِأَنِّي آمَنْتُ بِأَنَّ «رَسَائِلَ النُّورِ» ، لا تَنْتَقِشُ فِي حَوَافِظِ النَّاسِ وَفِي قُلُوبِهِمْ فَقَطْ ؛ بَلْ إِنَّهَا تَصِيرُ مُطَالَعَةً لِلرُّوحَانِيَّاتِ وَالْمَخْلُوقَاتِ ذَاتِ الشُّعُورِ بِلا حَدٍّ ؛ مَعَ أَنَّهَا تَرْتَسِمُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ، وَفِي الأَلْوَاحِ الْمَحْفُوظَةِ ؛ فَتَتَزَيَّنُ بِثَمَرَاتِ الثَّوَابِ ، إِنْ كَانَتْ مَظْهَراً لِلرِّضَا الإِلٰهِيِّ ؛ وَعَلِمْتُ أَنَّ وُجُودَهَا وَمَظْهَرِيَّتَهَا لِلنَّظَرِ الرَّبَّانِيِّ ، فِي آنٍ وَاحِدٍ ، وَلاسِيَّمَا بِجِهَةِ انْتِسَابِهَا إِلَى الْقُرْآنِ ، وَالْقَبُولِ النَّبَوِيِّ لَهَا ، وَالرِّضَا الإِلٰهِيِّ بِهَا ، إِنْ شَاءَ اللهُ ، أَزْيَدُ قِيمَةً مِنْ تَقْدِيرِ جَمِيعِ أَهْلِ الدُّنْيَا . هٰذَا ، فَإِنِّي مُسْتَعِدٌّ كُلَّ وَقْتٍ ، لِلْفِدَاءِ بِحَيَاتِي وَبَقَائِي ، لِبَقَاءِ كُلِّ رِسَالَةٍ تُثْبِتُ الْحَقَائِقَ الإِيمَانِيَّةَ ، مِنْ تِلْكَ الرَّسَائِلِ ، وَلِدَوَامِهَا وَإِفَادَتِهَا وَقَبُولِهَا ؛ وَعَلِمْتُ سَعَادَتِي ، فِي خِدْمَتِهَا لِلْقُرْآنِ ؛ وَفَهِمْتُ بِذٰلِكَ الانْتِسَابِ الإِيمَانِيِّ ، مَظْهَرِيَّتَهَا لِتَقْدِيرٍ أَزْيَدَ مِنْ تَحْسِينِ النَّاسِ ، مِئَةَ دَرَجَةٍ ، فِي ذٰلِكَ الْحَالِ ، بِالْبَقَاءِ الإِلٰهِيِّ ؛ فَقُلْتُ بِكُلِّ قُوَّتِي : ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ . .

وَكَذَا عَلِمْتُ بِالشُّعُورِ الإِيمَانِيِّ : أَنَّ الْإِيمَانَ بِبَقَاءِ وَوُجُودِ الْبَاقِي ذِي الْجَلَالِ ، الَّذِي يَمْنَحُ بَقَاءً أَبَدِيّاً وَحَيَاةً دَائِمَةً ؛ وَأَنَّ نَتَائِجَ الْإِيمَانِ كَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، هِيَ ثَمَرَاتٌ بَاقِيَةٌ ، لِهٰذِهِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ ، وَوَسَائِلُ لِبَقَاءٍ أَبَدِيٍّ ؛ فَأَقْنَعْتُ نَفْسِي بِأَنْ أَتْرُكَ أَنَا أَيْضاً ، قِشْرَةَ هٰذَا الْبَقَاءِ الدُّنْيَوِيِّ ، لِإِيتَاءِ تِلْكَ الثَّمَرَاتِ الْبَاقِيَةِ ، كَنَوَاةٍ تَتْرُكُ قِشْرَهَا لِلانْقِلَابِ إِلىٰ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ ؛ فَقُلْتُ مَعَ نَفْسِي : ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ وَحَسْبُنَا بَقَاؤُهُ . .

وَكَذَا عَلِمْتُ بِعِلْمِ الْيَقِينِ ، بِذٰلِكَ الشُّعُورِ الإِيمَانِيِّ ، وَانْتِسَابِ الْعُبُودِيَّةِ : أَنَّ مَا وَرَاءَ حِجَابِ التُّرَابِ ، تَتَنَوَّرُ ؛ وَأَنَّ الطَّبَقَةَ التُّرَابِيَّةَ الثَّقِيلَةَ أَيْضاً ، تَرْتَفِعُ مِنْ فَوْقِ الْأَمْوَاتِ ؛ وَأَنَّ مَا تَحْتَ التُّرَابِ أَيْضاً ، الْمَدْخُولِ فِيهِ بِبَابِ الْقَبْرِ ، لَيْسَ ظُلُمَاتٍ مَمْزُوجَةً بِالْعَدَمِ ؛ فَقُلْتُ بِكُلِّ قُوَّتِي : ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ . .

وَكَذَا أَحْسَسْتُ فِي صُورَةٍ قَطْعِيَّةٍ لِلْغَايَةِ ؛ وَعَلِمْتُ حَقَّ الْيَقِينِ بِذٰلِكَ الشُّعُورِ الْإِيمَانِيِّ : أَنَّ عِشْقَ الْبَقَاءِ الشَّدِيدَ جِدّاً ، فِي فِطْرَتِي ، كَانَ يَنْظُرُ بِجِهَتَيْنِ ، إِلىٰ بَقَاءِ الْبَاقِي ذِي الْكَمَالِ ، وَإِلىٰ وُجُودِهِ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّهُ تَحَوَّلَ إِلىٰ هَائِمٍ فَوَّتَ مَحْبُوبَهُ ، وَتَعَبَّدَ مِرْآتَهُ ، بِسَدِّ الْأَنَانِيَّةِ الْحِجَابَ أَمَامَهُ ؛ وَأَحْسَسْتُ أَنَّ عِشْقَ الْبَقَاءِ ذٰلِكَ الْعَمِيقَ جِدّاً ، وَالْقَوِيَّ كَثِيراً ، كَانَ الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ الْمَحْبُوبُ وَالْمَعْبُودُ فِطْرَةً بِالذَّاتِ وَبِدُونِ سَبَبٍ ، يَحْكُمُ فِي مَاهِيَّتِي ، بِوَاسِطَةِ ظِلِّ اسْمٍ لَهُ ؛ فَأَوْرَثَ ذٰلِكَ الْعِشْقَ الْبَقَائِيَّ ؛ وَأَنَّ الْكَمَالَ الذَّاتِيَّ الَّذِي لَا يَقْتَضِي عِلَّةً وَغَرَضاً أَصْلاً لِلْمَحَبَّةِ ، وَلَا سَبَباً غَيْرَ ذَاتِهِ ، كَانَ كَافِياً لِلتَّعَبُّدِ وَوَافِياً بِهِ ؛ فَشَدَّدَ ذٰلِكَ الْعِشْقَ الْفِطْرِيَّ ؛ مَعَ أَنَّهُ أَحْسَنَ أَيْضاً بِالثَّمَرَاتِ الْبَاقِيَةِ الْمَذْكُورَةِ اللَّائِقَةِ ــ لَا بِالْفِدَاءِ بِحَيَاةٍ وَاحِدَةٍ وَبَقَاءٍ وَاحِدٍ ، لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ــ بَلْ بِآلَافِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَآلَافِ الْبَقَاءِ ، إِنْ أَمْكَنَ ، وَالَّتِي بَيَّنَّاهَا سَابِقاً . فَلَوْ تَأَتّىٰ مِنْ يَدِي ؛ لَقُلْتُ بِجَمِيعِ ذَرَّاتِ وُجُودِي : ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ وَقُلْتُ بِتِلْكَ النِّيَّةِ .

وَإِنَّ ذٰلِكَ الشُّعُورَ الْإِيمَانِيَّ الَّذِي طَلَبَ بَقَاءَهُ ؛ وَوَجَدَ الْبَقَاءَ الْإِلٰهِيَّ ، وَالَّذِي أَشَرْتُ سَابِقاً إِلىٰ بَعْضِ ثَمَرَاتِهِ ، بِـ «وَكَذَا وَكَذَا وَكَذَا» ، أَوْرَثَنِي ذَوْقاً وَشَوْقاً ؛ فَقُلْتُ بِكُلِّ رُوحِي ، وَبِجَمِيعِ قُوَّتِي ، مِنْ أَعْمَقِ قَلْبِي ، مَعَ نَفْسِي : ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ . .

اَلْمَرْتَبَةُ النُّورِيَّةُ الْحَسْبِيَّةُ الثَّانِيَةُ :

إِنِّي لَمَّا هَاجَمَنِي أَهْلُ الدُّنْيَا بِدَسَائِسِهِمْ وَجَوَاسِيسِهِمْ ، بَيْنَ الشَّيْبِ وَالْغُرْبَةِ وَالْوَحْدَةِ وَتَجْرِيدِي ، مَعَ مَا فِي فِطْرَتِي مِنْ عَجْزِي بِلَا حَدٍّ ؛ قُلْتُ فِي قَلْبِي : إِنَّ الْجُيُوشَ تَتَعَرَّضُ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ ضَعِيفٍ وَمَرِيضٍ مَكْبُولِ الْيَدَيْنِ ؛ أَفَلَا تُوجَدُ نُقْطَةُ اسْتِنَادٍ لِذٰلِكَ الْبَائِسِ ؟ ـ أَعْنِي لِي ـ فَرَاجَعْتُ آيَةَ ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ فَأَعْلَمَتْنِي بِأَنَّكَ تَسْتَنِدُ بِتَذْكِرَةِ الِانْتِسَابِ الْإِيمَانِيِّ ، إِلَىٰ سُلْطَانٍ قَدِيرٍ مُطْلَقٍ ، يُعْطِي بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ ، أَجْهِزَةَ جُيُوشِ النَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، الْمُؤَلَّفَةِ مِنْ أَرْبَعِمِئَةِ أَلْفِ مِلَّةٍ ، فِي وَجْهِ الْأَرْضِ ، فِي كُلِّ رَبِيعٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ يُجَدِّدُ أَلْبِسَةَ ذَيْنِكَ الْجَيْشَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ الْمَدْعُوَّيْنِ بِالْأَشْجَارِ وَالطُّيُورِ ؛ وَيُلْبِسُ عَلَيْهِمْ مَلَابِسَ جَدِيدَةً ؛ وَيُبَدِّلُ أَزْيَاءَهُمْ وَأَوْسَامَهُمْ ؛ وَيُجَدِّدُ فُسْتَانَ الدَّجَاجِ وَالطَّائِرِ وَرِدَاءَهُمَا كُلَّ سَنَةٍ ؛ كَمَا يُبَدِّلُ لِبَاسَ الْجَبَلِ ، وَمُلَاءَةَ الصَّحْرَاءِ ؛ وَيَضَعُ جَمِيعَ أَرْزَاقِ جَيْشِ الْحَيَوَانَاتِ الْعَظِيمِ ـ وَفِي الْمُقَدِّمَةِ الْإِنْسَانُ ـ فِي خُلَاصَاتٍ رَحْمَانِيَّةٍ تُدْعَىٰ بِالْبُذُورِ وَالنَّوَىٰ ، مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِ جَمِيعِ الْأَطْعِمَةِ ، وَالَّتِي لَيْسَتْ كَخُلَاصَاتِ اللَّحْمِ وَالسُّكَّرِ ، وَسَائِرِ الْأَطْعِمَةِ الَّتِي اكْتَشَفَهَا الْمُتَمَدِّنُونَ مِنَ النَّاسِ ، فِي الزَّمَانِ الْأَخِيرِ ، بَلْ أَكْمَلُ مِنْ تِلْكَ الْخُلَاصَاتِ الْحَضَارِيَّةِ ، مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ وَيَلُفُّ تِلْكَ الْخُلَاصَاتِ أَيْضاً ، فِي تَعْرِفَاتٍ قَدَرِيَّةٍ دَائِرَةٍ حَوْلَ طَبْخِهَا وَانْبِسَاطِهَا ؛ فَيَضَعُهَا فِي صُنَيْدِقَاتٍ صَغِيرَةٍ ؛ وَيُودِعُهَا إِلَيْهَا لِلْمُحَافَظَةِ ؛ وَإِنَّ إِيجَادَ تِلْكَ الصُّنَيْدِقَاتِ ، سَهْلٌ وَبِكَثْرَةٍ فِي مَصْنَعِ (الْكَافِ وَالنُّونِ) ، بِحَيْثُ يَقُولُ الْقُرْآنُ : إِنَّهَا تُصْنَعُ بِأَمْرٍ وَاحِدٍ . وَأَيْضاً إِنَّ جَمِيعَ تِلْكَ الْخُلَاصَاتِ لَا تَمْلَأُ مَدِينَةً ؛ وَهِيَ مُتَشَابِهَةٌ وَعَيْنُ الْمَادَّةِ نَفْسِهَا ؛ مَعَ أَنَّ الْأَطْعِمَةَ اللَّذِيذَةَ وَالْمُتَنَوِّعَةَ لِلْغَايَةِ ، الَّتِي يَطْبُخُهَا الرَّزَّاقُ الْكَرِيمُ مِنْهَا ، فِي فَصْلِ صَيْفٍ ، يُمْكِنُ أَنْ تَمْلَأَ جَمِيعَ مُدُنِ الْأَرْضِ ، فِي جِهَةٍ مَّا . .

هٰذَا ، فَإِنَّكَ تَسْتَطِيعُ بِتَذْكِرَةِ الِانْتِسَابِ الْإِيمَانِيِّ ، أَنْ تَجِدَ نُقْطَةَ اسْتِنَادٍ هٰكَذَا ؛ فَلِذٰلِكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْتَنِدَ إِلَىٰ قُوَّةٍ وَقُدْرَةٍ بِلَا حَدٍّ . وَإِنِّي كُلَّمَا تَلَقَّيْتُ دَرْسِي هٰذَا مِنَ الْآيَةِ ؛ وَجَدْتُ قُوَّةً مَعْنَوِيَّةً ؛ فَشَعَرْتُ بِاقْتِدَارٍ إِيمَانِيٍّ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَدَّى الدُّنْيَا ، لَا أَعْدَائِيَ الْحَاضِرِينَ ؛

فَقُلْتُ بِكُلِّ رُوحِي : ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ . وَرَاجَعْتُ إِلٰى تِلْكَ الْآيَةِ أَيْضاً ، لِأَجْلِ نُقْطَةِ اسْتِمْدَادٍ ، فِي جِهَةِ فَقْرِي وَاحْتِيَاجِي بِلاَ حَدٍّ أَيْضاً ؛ فَقَالَتْ لِي : إِنَّكَ مَنْسُوبٌ إِلٰى مَالِكٍ كَرِيمٍ ، وَمُقَيَّدٌ فِي دَفْتَرِ إِعَاشَتِهِ ، بِانْتِسَابِ الرِّقِّ وَالْعُبُودِيَّةِ ؛ فَيَبْسُطُ مَائِدَةَ الْأَرْضِ ؛ وَيُزَيِّنُهَا بِأَطْعِمَتِهِ الْمُخْتَلِفَةِ ، مِئَةَ مَرَّةٍ فِي كُلِّ رَبِيعٍ وَصَيْفٍ ، عَلٰى وَجْهٍ يَضَعُهَا وَيَرْفَعُهَا مِنَ الْغَيْبِ وَمِنَ الْعَدَمِ وَمِنَ التُّرَابِ الْيَابِسِ ، وَمِنْ حَيْثُ لاَ يُحْتَسَبُ ؛ فَكَأَنَّ أَعْوَامَ الزَّمَانِ ، وَأَيَّامَ كُلِّ عَامٍ ، هِيَ أَوَانٍ لِمَا يَتَوَارَدُ بَعْضُهَا وَرَاءَ بَعْضٍ ، مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِحْسَانِ ، وَأَطْعِمَةِ الرَّحْمَةِ ؛ وَمَعَارِضُ لِمَرَاتِبِ إِحْسَانَاتِ رَزَّاقٍ رَحِيمٍ ، مِنْ إِحْسَانَاتِهِ الْكُلِّيَّةِ وَالْجُزْئِيَّةِ . هٰذَا ، فَإِنَّكَ عَبْدٌ لِغَنِيٍّ مُطْلَقٍ هٰكَذَا ؛ فَإِنْ كَانَ لَكَ شُعُورٌ بِعَبْدِيَّتِكَ ؛ صَارَ فَقْرُكَ الْأَلِيمُ اشْتِهَاءً لَذِيذاً . وَإِنِّي تَلَقَّيْتُ دَرْسِي ذٰلِكَ ؛ فَقُلْتُ : «نَعَمْ نَعَمْ ، حَقٌّ» ؛ وَقُلْتُ مُتَوَكِّلاً : ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ . .

اَلْمَرْتَبَةُ النُّورِيَّةُ الْحَسْبِيَّةُ الثَّالِثَةُ :

إِنِّي لَمَّا وَجَدْتُ عَلاَقَتِي قُطِعَتْ عَنِ الدُّنْيَا ، بِتَضْيِيقِ تِلْكَ الْغُرُبَاتِ وَالْأَمْرَاضِ وَالْمَظَالِمِ ؛ فَلَقَّنَ الْإِيمَانُ بِأَنِّي مُرَشَّحٌ لِسَعَادَةٍ دَائِمَةٍ ، فِي دُنْيَا أَبَدِيَّةٍ ، وَفِي مَمْلَكَةٍ بَاقِيَةٍ ؛ أَعْرَضْتُ عَنِ التَّأَفُّفِ ؛ وَقُلْتُ : «بَخٍ بَخٍ» ؛ وَلٰكِنْ فَكَّرْتُ أَنَّ تَحَقُّقَ غَايَةِ الْخَيَالِ ، وَهَدَفَ الرُّوحِ ، وَنَتِيجَةَ الْفِطْرَةِ هٰذِهِ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْصُلَ ، بِمَا لاَ حَدَّ لَهُ مِنْ قُدْرَةِ قَدِيرٍ مُطْلَقٍ ، يَعْلَمُ جَمِيعَ حَرَكَاتِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَسَكَنَاتِهَا ، وَأَحْوَالَهَا وَأَعْمَالَهَا ؛ وَيُسَجِّلُهَا قَوْلاً وَفِعْلاً ؛ وَيَجْعَلُ هٰذَا الْإِنْسَانَ الصَّغِيرَ وَالْعَاجِزَ الْمُطْلَقَ ، خَلِيلاً وَمُخَاطَباً لِنَفْسِهِ ؛ وَيُعْطِيهِ مَقَاماً فَوْقَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَبِإِعْطَائِهِ عِنَايَةً وَأَهَمِّيَّةً بِلاَ نِهَايَةٍ لِلْإِنْسَانِ ؛ فَطَلَبْتُ إِيضَاحاً يُورِثُ انْكِشَافَ الْإِيمَانِ ، وَاطْمِئْنَانَ الْجَنَانِ ، فِي هَاتَيْنِ النُّقْطَتَيْنِ : أَيْ فِي حَقِّ فَعَّالِيَّةِ مِثْلِ هٰذِهِ الْقُدْرَةِ ، وَالْأَهَمِّيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ لِهٰذَا الْإِنْسَانِ الَّذِي لاَ أَهَمِّيَّةَ لَهُ ظَاهِراً ؛ فَرَاجَعْتُ تِلْكَ الْآيَةَ أَيْضاً ؛ فَقَالَتْ : تَأَمَّلْ فِي «نَا» فِي (حَسْبُنَا) ؛ فَاسْتَمِعْ مَنْ هُمُ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ (حَسْبُنَا) مَعَكَ ، بِلِسَانِ الْحَالِ وَلِسَانِ الْقَالِ ؛ فَأَمَرَتْ بِذٰلِكَ . فَنَظَرْتُ فَجْأَةً ؛ فَإِذَا بِالطُّيُورِ وَالطُّوَيْرَاتِ وَالذِّبَّانِ الَّتِي لاَ حَدَّ لَهَا ، وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْحُوَيْنَاتِ الَّتِي لاَ حِسَابَ لَهَا ،

وَالْأَشْجَارِ وَالشُّجَيْرَاتِ الَّتِي لا نِهَايَةَ لَهَا، يَذْكُرْنَ أَيْضاً مَعْنًى: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، بِلِسَانِ الْحَالِ مِثْلِي؛ وَيَجْذِبْنَ إِلَى الذِّكْرِ؛ فَإِنَّ لَهُنَّ وَكِيلاً يَتَكَفَّلُ جَمِيعَ شَرَائِطِهِنَّ الْحَيَوِيَّةِ؛ فَيَخْلُقُ مِنْ بَيْضَاتٍ مُتَشَابِهَةٍ وَمُتَّحِدَةِ الْمَادَّةِ، وَقَطَرَاتٍ كَأَنَّهَا مُتَمَاثِلَةٌ، وَحَبَّاتٍ كَأَنَّ بَعْضَهَا عَيْنُ بَعْضٍ، وَنَوًى مُتَشَابِهَةٍ، مِئَةَ أَلْفِ نَوْعٍ مِنَ الطُّيُورِ، وَمِئَةَ أَلْفِ شَكْلٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ، وَمِئَةَ أَلْفِ نَوْعٍ مِنَ النَّبَاتَاتِ، وَمِئَةَ أَلْفِ صِنْفٍ مِنَ الْأَشْجَارِ؛ وَيَصْنَعُهَا بِدُونِ خَطَأٍ وَلَا نُقْصَانٍ وَبِغَيْرِ الْتِبَاسٍ، فِي صُورَةٍ مُزَيَّنَةٍ مَوْزُونَةٍ مُنْتَظِمَةٍ مُتَمَايِزَةٍ وَمُتَفَارِقَةٍ، أَمَامَ أَعْيُنِنَا، خُصُوصاً فِي كُلِّ رَبِيعٍ، بِغَايَةِ السُّرْعَةِ وَغَايَةِ السُّهُولَةِ، وَفِي دَائِرَةٍ وَاسِعَةٍ لِلْغَايَةِ، بِغَايَةِ الْكَثْرَةِ؛ فَصُنْعُهَا فِي اتِّحَادٍ وَتَشَابُهٍ وَتَدَاخُلٍ، وَعَلَى نَمَطٍ وَاحِدٍ، بَيْنَ عَظَمَةِ وَحِشْمَةِ قُدْرَتِهِ، يُرِينَا وَحْدَتَهُ وَأَحَدِيَّتَهُ؛ وَيُعْلِنُ أَنَّ التَّدَخُّلَ وَالِاشْتِرَاكَ فِي فِعْلِ رُبُوبِيَّةٍ، وَتَصَرُّفِ خَلَّاقِيَّةٍ، يُبْرِزَانِ مِثْلَ هٰذِهِ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا، غَيْرُ مُمْكِنٍ؛ هٰكَذَا عَلِمْتُ..

ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى «أَنَا» ـ أَيْ نَفْسِي ـ الْمَوْجُودِ فِي «نَا» فِي (حَسْبُنَا)؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ الْخَالِقَ خَلَقَنِي أَيْضاً بَيْنَ الْحَيَوَانَاتِ، مِنْ قَطْرَةِ مَاءٍ، هِيَ مَنْشَأِي؛ وَصَنَعَنِي صُنْعاً مُعْجِزاً؛ فَفَتَحَ سَمْعِي؛ وَعَلَّقَ بَصَرِي؛ وَوَضَعَ فِي رَأْسِي دِمَاغاً، وَفِي صَدْرِي فُؤَاداً، وَفِي فَمِي لِسَاناً؛ فَخَلَقَ وَصَنَعَ وَكَتَبَ، فِي ذٰلِكَ الدِّمَاغِ وَالْفُؤَادِ وَاللِّسَانِ، مِئَاتِ مُوَيْزِينَاتٍ وَمُقَيْسِيَاتٍ، تَزِنُ وَتَعْلَمُ جَمِيعَ الْهَدَايَا وَالْعَطَايَا الرَّحْمَانِيَّةِ الْمُدَّخَرَةِ فِي جَمِيعِ خَزَائِنِ الرَّحْمَةِ، وَآلَافَ آلَاتٍ، تَفْتَحُ وَتَفْهَمُ دَقَائِقَ مَا لَا نِهَايَةَ لَهَا مِنْ جِلْوَاتِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى؛ وَقَدَّمَ تَعَرُّفَاتٍ عَدَدَ الرَّوَائِحِ وَالطُّعُومِ وَالْأَلْوَانِ، مُعَاوِنَةً لِتِلْكَ الْآلَاتِ. وَكَذَا أَنَّهُ أَدْرَجَ فِي جِسْمِي هٰذَا، بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ، هٰذَا الْقَدَرَ مِنَ الْحَوَاسِّ وَالْمَشَاعِرِ الْحَسَّاسَةِ، وَهٰذِهِ اللَّطَائِفِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَالْحَوَاسِّ الْبَاطِنِيَّةِ الْمُنْتَظِمَةِ لِلْغَايَةِ؛ مَعَ أَنَّهُ صَنَعَ فِي وُجُودِي هٰذَا، بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ، هٰذِهِ الْأَجْهِزَةَ وَالْجَوَارِحَ الْمُصَنَّعَةَ لِلْغَايَةِ، وَهٰذَا الْقَدَرَ مِنَ الْأَعْضَاءِ وَالْآلَاتِ الْمُكَمِّلَةِ وَاللَّازِمَةِ لِلْغَايَةِ، حَسَبَ الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، لِيُذِيقَنِي وَيُشْعِرَنِي، بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ، وَكُلِّ أَصْنَافِ نِعَمِهِ؛ وَيُعْلِمَنِي وَيُذِيقَنِي بِتِلْكَ الْحَوَاسِّ، وَالْمَشَاعِرِ وَالْحَسَّاسِيَّةِ، ظُهُورَاتٍ مُخْتَلِفَةً لِتَجَلِّيَاتِ أَسْمَائِهِ بِلَا حَدٍّ؛ وَخَلَقَ وُجُودِي الْحَقِيرَ

الْفَقِيرَ هٰذَا الَّذِي يُرى بِدُونِ أَهَمِّيَّةٍ ، تَقْوِيماً وَرُوزْنَامَةً جَمِيلَةً لِلْكَائِنَاتِ ، وَأَنْوَرَ نُسْخَةٍ مُخْتَصَرَةٍ لِلْعَالَمِ الْأَكْبَرِ ، وَمِثَالاً مُصَغَّراً لِهٰذِهِ الدُّنْيَا ، وَأَظْهَرَ مُعْجِزَةٍ لِمَصْنُوعَاتِهَا ، وَمَدَاراً وَمُشْتَرِياً طَالِباً لِكُلِّ أَنْوَاعِ نِعَمِهِ ، وَمَظْهَراً مِثْلَ الْمَرْكَزِ ، لِقَوَانِينِ وَإِجْرَاءَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ ، وَقَائِمَةً وَفِهْرِسَةً شِبْهَ حَدِيقَةِ النَّمَاذِجِ ، لِعَطَايَا وَأَزْهَارِ الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَمُخَاطَباً فَهِيماً لِلْخِطَابَاتِ السُّبْحَانِيَّةِ ، كَوُجُودِ كُلِّ مُؤْمِنٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ وَهَبَ الْحَيَاةَ ، لِتَكْبِيرِ الْوُجُودِ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ نِعْمَةٍ ، وَلِتَكْثِيرِهِ فِي وُجُودِي ؛ فَيُمْكِنُ أَنْ تَنْبَسِطَ نِعْمَةُ وُجُودِي تِلْكَ ، بِقَدَرِ عَالَمِ الشَّهَادَةِ ، بِتِلْكَ الْحَيَاةِ ؛ وَأَعْطَى الْإِنْسَانِيَّةَ ؛ فَتَنْكَشِفُ نِعْمَةُ الْوُجُودِ تِلْكَ ، فِي الْعَوَالِمِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْمَادِّيَّةِ ، بِتِلْكَ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ فَفَتَحَ طَرِيقَ الِاسْتِفَادَةِ مِنْ تِلْكَ الْمَوَائِدِ الْوَاسِعَةِ ، بِالْحَوَاسِّ الْمَخْصُوصَةِ بِالْإِنْسَانِ ؛ وَأَحْسَنَ بِالْإِسْلَامِيَّةِ ؛ فَتَوَسَّعَتْ نِعْمَةُ الْوُجُودِ تِلْكَ ، بِقَدَرِ عَالَمِ الْغَيْبِ وَعَالَمِ الشَّهَادَةِ ، بِتِلْكَ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ وَأَنْعَمَ بِالْإِيمَانِ التَّحْقِيقِيِّ ؛ فَاحْتَوَتْ نِعْمَةُ الْوُجُودِ تِلْكَ ، الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، بِذٰلِكَ الْإِيمَانِ ؛ وَمَنَحَ مَعْرِفَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ فِي ذٰلِكَ الْإِيمَانِ ؛ فَأَحْسَنَ بِمَرْتَبَةٍ يُمْكِنُ أَنْ يَبْسُطَ يَدَيْهِ لِلِاسْتِفَادَةِ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ ، مِنْ دَائِرَةِ الْمُمْكِنَاتِ ، إِلَى عَالَمِ الْوُجُوبِ ، وَدَائِرَةِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، فِي نِعْمَةِ الْوُجُودِ تِلْكَ ، بِالْمَعْرِفَةِ وَالْمَحَبَّةِ ؛ وَوَهَبَ عِلْماً قُرْآنِيّاً ، وَحِكْمَةً إِيمَانِيَّةً عَلَى الْخُصُوصِ ؛ وَأَعْطَى تَفَوُّقاً عَلَى مَخْلُوقَاتٍ كَثِيرَةٍ ، بِإِحْسَانِهِ ذٰلِكَ ؛ وَأَعْطَى جَامِعِيَّةً بِجِهَاتٍ كَثِيرَةٍ ، كَالنِّقَاطِ السَّابِقَةِ ، هِيَ مِرْآةٌ مُتَكَامِلَةٌ لِأَحَدِيَّتِهِ وَصَمَدِيَّتِهِ ؛ فَأَعْطَى اسْتِعْدَاداً يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَابِلَ رُبُوبِيَّتَهُ الْكُلِّيَّةَ وَالْقُدُسِيَّةَ ، بِعُبُودِيَّةٍ وَاسِعَةٍ وَكُلِّيَّةٍ ؛ وَإِنَّهُ يَشْتَرِي مِنِّي ، بِنَصِّ الْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وُجُودِي وَحَيَاتِي وَنَفْسِي هٰذِهِ الَّتِي هِيَ أَمَانَتُهُ وَهَدِيَّتُهُ وَعَطِيَّتُهُ عِنْدِي ، بِإِجْمَاعِ جَمِيعِ الْكُتُبِ وَالصُّحُفِ وَالْعُهُودِ الْمُقَدَّسَةِ ، الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَى النَّاسِ ، مَعَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَبِاتِّفَاقِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ ؛ كَيْلَا تَضِيعَ فِي يَدِي بِدُونِ فَائِدَةٍ ؛ وَوَعَدَ وَعَهِدَ بِتَكْرَارٍ كَثِيرٍ ، فِي صُورَةٍ قَطْعِيَّةٍ : بِأَنَّهُ يَحْفَظُهَا عَلَى أَنْ يُعِيدَهَا ؛ وَسَيَدْفَعُ ثَمَنَ شِرَائِهَا ، الْجَنَّةَ وَالسَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ ؛ هٰكَذَا فَهِمْتُ بِعِلْمِ الْيَقِينِ ، وَالْإِيمَانِ التَّامِّ ؛ وَدَرَسْتُ مِنْ هٰذِهِ الْآيَةِ الْحَسْبِيَّةِ : أَنَّ لِي رَبّاً ، هُوَ ذَاتٌ ذُو جَلَالٍ وَإِكْرَامٍ ؛ يَفْتَحُ صُوَرَ مِئَاتِ آلَافِ الْأَنْوَاعِ وَالْأَصْنَافِ ، مِنْ أَمْثَالِ هٰذِهِ الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ الَّتِي لَا حَدَّ

لَهَا ، بِاسْمِهِ الْفَتَّاحِ ، سَهْلَةً وَسَرِيعَةً وَمُكَمَّلَةً لِلْغَايَةِ ، مِنْ قَطَرَاتٍ وَحُبُوبٍ مَحْدُودَةٍ وَمُتَشَابِهَةٍ ؛ وَيُعْطِي الْإِنْسَانَ هٰذَا الْقَدَرَ مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ الْمُحَيِّرَةِ ؛ كَمَا بَيَّنَّا سَابِقاً ؛ وَيَجْعَلُهُ مَدَاراً لِأَهَمِّ شُؤُونِ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ وَأَنَّهُ سَيُنْشِئُ الْحَشْرَ ؛ وَيُحْسِنُ بِالْجَنَّةِ ؛ وَيَخْلُقُ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ ، فِي صُورَةٍ سَهْلَةٍ وَقَطْعِيَّةٍ وَمُحَقَّقَةٍ ، كَإِيجَادِ الرَّبِيعِ الْآتِي ؛ فَقُلْتُ : ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ، بِأَلْسِنَةِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، بِالنِّيَّةِ وَبِالتَّصَوُّرِ وَبِالْخَيَالِ ، لِعَدَمِ التَّمَكُّنِ ؛ وَلَوْ تَمَكَّنْتُ لَقُلْتُهَا بِالْفِعْلِ ؛ وَأُرِيدُ تَكْرَارَهَا دَائِماً أَبَدَ الْآبِدِينَ . .

اَلْمَرْتَبَةُ النُّورِيَّةُ الْحَسْبِيَّةُ الرَّابِعَةُ :

إِنَّ عَوَارِضَ كَانَتْ تَهُزُّ وُجُودِي ، مِثْلَ الْكُهُولَةِ وَالْغُرْبَةِ ، وَالْمَرَضِ وَالذُّلِّ ، صَادَفَتْ فِي وَقْتٍ مَّا ، عَهْداً مِنْ زَمَانِ غَفْلَتِي ؛ فَكَانَتْ تُورِثُنِي خَوْفاً أَلِيماً ، بِأَنَّ وُجُودِيَ الَّذِي كُنْتُ ذَا عَلَاقَةٍ شَدِيدَةٍ ، وَمَفْتُوناً بِهِ ، بَلْ وَوُجُودَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، يَصِيرُ إِلَى الْعَدَمِ ؛ فَرَاجَعْتُ الْآيَةَ الْحَسْبِيَّةَ أَيْضاً ؛ فَقَالَتْ : تَأَمَّلْ فِي مَعْنَايَ ؛ وَانْظُرْ بِنَظَّارَةِ الْإِيمَانِ . فَنَظَرْتُ وَرَأَيْتُ بِعَيْنِ الْإِيمَانِ : أَنَّ وُجُودِيَ الذَّرِّيَّ الصَّغِيرَ هٰذَا ، مِرْآةُ وُجُودٍ لَا حَدَّ لَهُ ، وَوَسِيلَةٌ لِكَسْبِ وُجُودَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا ، بِانْبِسَاطٍ لَا نِهَايَةَ لَهُ ، وَفِي حُكْمِ كَلِمَةٍ حِكْمَةٍ ، تُثْمِرُ وُجُودَاتٍ بَاقِيَةً مُتَعَدِّدَةً أَقْوَمَ مِنْ نَفْسِهَا ؛ وَأَنَّ حَيَاتَهُ آناً وَاحِداً ، قَيِّمَةٌ بِقَدَرِ وُجُودٍ أَبَدِيٍّ ؛ هٰكَذَا عَلِمْتُ بِعِلْمِ الْيَقِينِ ؛ لِأَنِّي عَلِمْتُ بِشُعُورِ الْإِيمَانِ : أَنَّ وُجُودِي هٰذَا يَنْجُو عَمَّا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ ظُلُمَاتِ الْأَوْهَامِ الْوَحْشِيَّةِ ، وَعَنْ آلَامٍ مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنَ الْمُفَارَقَةِ وَالْفِرَاقِ ، بِالْفَهْمِ بِأَنَّهُ أَثَرُ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، وَصَنْعَتُهُ وَجِلْوَتُهُ ؛ فَيُوجَدُ وِصَالٌ دَائِمٌ فِي فِرَاقٍ مُؤَقَّتٍ ، بِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي أُحِبُّهَا وَأَتَنَاسَبُ مَعَهَا بِرَوَابِطِ الْأُخُوَّةِ عَدَدَ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ فِي الْأَفْعَالِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْمَوْجُودَاتِ ، وَخَاصَّةً بِذَوِي الْحَيَاةِ .

وَمَعْلُومٌ : أَنَّ أَشْخَاصاً مُتَّحِدَةَ الرَّوَابِطِ ، كَقَرْيَتِهِمْ وَبَلْدَتِهِمْ وَمَمْلَكَتِهِمْ ، أَوْ كَتِيبَتِهِمْ وَقَائِدِهِمْ وَأُسْتَاذِهِمْ ، يُحِسُّونَ بِأُخُوَّةٍ مَحْبُوبَةٍ ، وَرِفَاقَةٍ صَدِيقَةٍ ؛ وَأَنَّ الْمَحْرُومِينَ مِنْ أَمْثَالِ هٰذِهِ الرَّوَابِطِ ، يُعَانُونَ الْعَذَابَ ، بَيْنَ ظُلُمَاتٍ أَلِيمَةٍ دَائِمَةٍ . وَأَيْضاً أَنَّ ثَمَرَاتِ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ ، إِنْ كَانَ لَهَا شُعُورٌ ؛

تَشْعُرُ بِأَنَّ بَعْضَهَا أَخٌ لِبَعْضٍ ؛ وَأَنَّ بَعْضَهَا بَدِيلُ بَعْضٍ ، وَمُصَاحِبُهُ وَنَاظِرُهُ ؛ وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الشَّجَرَةُ ؛ أَوِ اقْتُطِفَتْ عَنْهَا ؛ تَشْعُرُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، بِالْفِرَاقِ ، عَدَدَ تِلْكَ الثَّمَرَاتِ . .

هٰذَا ، فَوُجُودِي هٰذَا أَيْضاً ، يَفُوزُ كَكُلِّ مُؤْمِنٍ ، بِأَنْوَارِ وُجُودَاتٍ بِلا فِرَاقٍ ، لا حَدَّ لَهَا ، بِالْإِيمَانِ ، وَبِمَا فِي الْإِيمَانِ مِنَ الانْتِسَابِ . فَإِنِ ارْتَحَلَ هُوَ نَفْسُهُ ، يَفْرَحُ كَأَنَّهُ بَقِيَ هُوَ نَفْسُهُ ، لِأَنَّهَا تَبْقَى وَرَاءَهُ . وَمَعَ هٰذَا ، فَكَمَا أَنَّ وُجُودَ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ ، وَلاسِيَّمَا ذِي رُوحٍ ، هُوَ مِثْلُ كَلِمَةٍ تُقَالُ وَتُكْتَبُ ؛ ثُمَّ تَغِيبُ ؛ وَلٰكِنَّهُ يَتْرُكُ وُجُودَاتٍ كَثِيرَةً لَهُ ، مِثْلَ مَعْنَاهُ ، وَهُوِيَّتِهِ الْمِثَالِيَّةِ ، وَصُورَتِهِ ، وَنَتَائِجِهِ وَثَوَابِهِ ، إِنْ كَانَ مُبَارَكاً ، وَحَقِيقَتِهِ ، الَّتِي تُعَدُّ وُجُودَاتِهِ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ ، بَدَلاً عَنْ وُجُودِهِ نَفْسِهِ ؛ ثُمَّ يَدْخُلُ تَحْتَ الْغِطَاءِ ؛ كَمَا أُثْبِتَ قَطْعاً وَتَفْصِيلاً ، فِي «الْمَكْتُوبِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ» ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ وُجُودِي هٰذَا ، وَوُجُودَ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ ، إِذَا ذَهَبَ عَنِ الْوُجُودِ الظَّاهِرِيِّ ؛ يَتْرُكُ فِي مَكَانِهِ رُوحَهُ ، إِنْ كَانَ ذَا رُوحٍ ، وَمَعْنَاهُ وَحَقِيقَتَهُ وَمِثَالَهُ ، وَنَتَائِجَ مَاهِيَّتِهِ الشَّخْصِيَّةِ مِنْ نَتَائِجِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَثَمَرَاتِهِ الْأُخْرَوِيَّةِ ، وَهُوِيَّتَهُ وَصُورَتَهُ ، فِي الْقُوَى الْحَافِظَةِ ، وَفِي الْأَلْوَاحِ الْمَحْفُوظَةِ ، وَفِي أَشْرِطَةِ أَفْلامِ الْمَنَاظِرِ السَّرْمَدِيَّةِ ، وَفِي مَشَاهِرِ الْعِلْمِ الْأَزَلِيِّ ، وَتَسْبِيحَاتِهِ الْفِطْرِيَّةَ الَّتِي تُمَثِّلُ نَفْسَهُ وَتُبْقِيهِ ، فِي دَفَاتِرِ أَعْمَالِهِ ، وَمُقَابَلاتِهِ الْفِطْرِيَّةَ ، وَانْعِكَاسَاتِهِ الْوُجُودِيَّةَ ، لِجَلَوَاتِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ وَلِمُقْتَضَيَاتِهَا ، فِي دَائِرَةِ الْأَسْمَاءِ ، وَهٰكَذَا أَمْثَالُ هٰؤُلاءِ مِنْ وُجُودَاتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ الْمُتَعَدِّدَةِ ، الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ مِنْ وُجُودِهِ الظَّاهِرِيِّ ، يَتْرُكُهَا فِي مَكَانِهِ ؛ ثُمَّ يَذْهَبُ ؛ هٰكَذَا عَلِمْتُ فِي صُورَةِ عِلْمِ الْيَقِينِ . . هٰذَا ، فَيُمْكِنُ بِالْإِيمَانِ ، وَبِمَا فِي الْإِيمَانِ مِنَ الشُّعُورِ وَالانْتِسَابِ ، أَنْ يَكُونَ صَاحِباً لِهٰذِهِ الْوُجُودَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ الْبَاقِيَةِ الْمَذْكُورَةِ . وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْإِيمَانُ ، يَصِيرُ مَحْرُوماً عَنْ جَمِيعِ تِلْكَ الْوُجُودَاتِ ؛ مَعَ أَنَّ وُجُودَهُ الظَّاهِرِيَّ أَيْضاً ، يَضِيعُ فِي حَقِّهِ ؛ كَأَنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى الْعَدَمِ وَالْفَنَاءِ . .

وَفِي زَمَنٍ مَّا ، كَانَ يَعْتَرِينِي الْأَسَفُ كَثِيراً ، لِسُرْعَةِ فَنَاءِ أَزْهَارِ الرَّبِيعِ ؛ حَتّٰى كُنْتُ أَتَأَلَّمُ لِأُولائِكَ الرَّقَائِقِ . فَأَظْهَرَتِ الْحَقِيقَةُ الْإِيمَانِيَّةُ الْمُبَيَّنَةُ هُنَا : أَنَّ تِلْكَ الْأَزْهَارَ ، هِيَ نَوًى فِي عَالَمِ الْمَعْنَى ؛ فَإِنَّهَا فِي حُكْمِ أَشْجَارٍ وَسَنَابِلَ ، تُثْمِرُ جَمِيعَ تِلْكَ الْوُجُودَاتِ مَا عَدَا الرُّوحَ ، الَّتِي بَيَّنَّاهَا

سَابِقاً ؛ فَرِبْحُهَا مِئَةٌ لِلْوَاحِدِ ، فِي نُقْطَةِ نُورِ الْوُجُودِ ؛ وَإِنَّ وُجُودَاتِهَا الظَّاهِرِيَّةَ ، تَخْتَفِي ؛ وَلَا تَفْنٰى ؛ وَإِنَّهَا صُوَرٌ مُتَجَدِّدَةٌ ، لِحَقِيقَتِهَا النَّوْعِيَّةِ الْبَاقِيَةِ ؛ فَإِنَّ مَا فِي الرَّبِيعِ الْمَاضِي مِنْ مَوْجُودَاتِهِ ، مِثْلِ الْأَوْرَاقِ وَالْأَزْهَارِ وَالْأَثْمَارِ ، هِيَ مِثْلُ مَا فِي هٰذَا الرَّبِيعِ ؛ وَالْفَرْقُ اعْتِبَارِيٌّ فَقَطْ ؛ وَإِنَّ ذٰلِكَ الْفَرْقَ الاِعْتِبَارِيَّ أَيْضاً ، هُوَ لِاسْتِحْصَالِ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، لِكَلِمَاتِ الْحِكْمَةِ ، وَأَقْوَالِ الرَّحْمَةِ ، وَحُرُوفِ الْقُدْرَةِ هٰذِهِ ؛ هٰكَذَا عَلِمْتُ ؛ فَقُلْتُ : «مَا شَاءَ اللّٰهُ ، بَارَكَ اللّٰهُ» ، بَدَلاً عَنِ التَّأَسُّفَاتِ . .

هٰذَا ، فَأَحْسَسْتُ مِنْ بَعِيدٍ : بِأَنَّ صَيْرُورَةَ الشَّيْءِ ، أَثَرَ صَنْعَةِ صَانِعٍ يُظْهِرُ مِئَاتِ الْمُعْجِزَاتِ ، فِي كُلِّ صَنْعَةٍ هٰكَذَا ، وَصُنْعَ صَانِعٍ ذِي خَوَارِقَ بِلَا حَدٍّ هٰكَذَا ، الَّذِي صَنَعَ وَزَيَّنَ السَّمَاوَاتِ بِالنُّجُومِ ، وَالْأَرْضَ بِالْأَزْهَارِ وَبِالْمَخْلُوقَاتِ الْجَمِيلَةِ ، كَمْ تَكُونُ بَدِيعَةً وَقَيِّمَةً ، فِي نُقْطَةِ الاِنْتِسَابِ إِلٰى صَانِعِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ، بِشُعُورِ الْإِيمَانِ ، وَبِرَابِطَةِ الْإِيمَانِ ؛ وَكَمْ يَفْتَخِرُ وَيَتَشَرَّفُ ، إِنْ كَانَ لَهُ شُعُورٌ ؛ وَلَاسِيَّمَا إِذَا كَتَبَ ذٰلِكَ الصَّانِعُ الْمُعْجِزُ بِلَا نِهَايَةٍ ، كِتَابَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْجَسِيمَةِ ، ذٰلِكَ الْكِتَابَ الْكَبِيرَ ، فِي نُسْخَةٍ صَغِيرَةٍ مِثْلِ الْإِنْسَانِ ؛ بَلْ يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ خُلَاصَةً مُنْتَخَبَةً وَمُكَمِّلَةً ، لِذٰلِكَ الْكِتَابِ ؛ فَكَمْ يَصِيرُ ذٰلِكَ الْإِنْسَانُ ، مَدَاراً لِشَرَفٍ وَكَمَالٍ وَقِيمَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَمَظْهَراً لَهَا بِالْإِيمَانِ ، وَصَاحِباً لِذٰلِكَ الشَّرَفِ ، بِالشُّعُورِ وَالاِنْتِسَابِ ؛ هٰكَذَا تَلَقَّيْتُ الدَّرْسَ مِنْ هٰذِهِ الْآيَةِ ؛ فَقُلْتُ : ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ، بِأَلْسِنَةِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، فِي جِهَةِ النِّيَّةِ وَالتَّصَوُّرِ . .

اَلْمَرْتَبَةُ النُّورِيَّةُ الْحَسْبِيَّةُ الْخَامِسَةُ :

إِنَّ حَيَاتِي اهْتَزَّتْ فِي وَقْتٍ مَّا أَيْضاً ، بِشَرَائِطَ ثَقِيلَةٍ جِدّاً ؛ فَحَوَّلَتْ نَظَرَ دِقَّتِي ، إِلَى الْعُمُرِ وَالْحَيَاةِ ؛ فَرَأَيْتُ عُمُرِي يَسِيرُ عَادِياً ؛ فَاقْتَرَبَ النِّهَايَةَ ؛ وَحَيَاتِي أَيْضاً ، تَوَجَّهَتْ إِلَى الاِنْطِفَاءِ تَحْتَ الاِضْطِهَادَاتِ ؛ وَالْحَالُ : أَنَّ وَظَائِفَ الْحَيَاةِ الْمُهِمَّةَ ، وَمَزَايَاهَا الْعَظِيمَةَ ، وَفَوَائِدَهَا الْقَيِّمَةَ ، الَّتِي أُوضِحَتْ فِي الرِّسَالَةِ الدَّائِرَةِ حَوْلَ اسْمِ «الْحَيِّ» ، لَيْسَتْ لَائِقَةً بِمِثْلِ

هٰذَا الاِنْطِفَاءِ السَّرِيعِ ، بَلْ لاَئِقَةٌ بِالْحَيَاةِ الطَّوِيلَةِ جِدّاً ؛ فَتَفَكَّرْتُ فِي ذٰلِكَ مُتَأَلِّماً ؛ فَرَاجَعْتُ أَيْضاً آيَةَ : ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ، الَّتِي هِيَ أُسْتَاذِي ؛ فَقَالَتْ : أُنْظُرْ إِلَى الْحَيَاةِ حَسَبَ الذَّاتِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، الَّذِي وَهَبَ لَكَ الْحَيَاةَ . فَنَظَرْتُ أَنَا ؛ وَرَأَيْتُ أَنَّ نَظَرَ حَيَاتِي إِلَيَّ ، إِنْ كَانَ وَاحِداً ؛ فَإِنَّ نَظَرَهَا إِلَى الذَّاتِ الْحَيِّ وَالْمُحْيِي ، مِئَةٌ ؛ وَأَنَّ نَتِيجَتَهَا الْعَائِدَةَ إِلَيَّ ، إِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً ؛ فَإِنَّ الْعَائِدَةَ إِلىٰ خَالِقِي ، أَلْفٌ ؛ فَتِلْكَ الْجِهَةُ لا تَقْتَضِي الزَّمَانَ الْمَدِيدَ ؛ بَلْ لا تَقْتَضِي الزَّمَانَ ؛ فَيَكْفِي آنٌ وَاحِدٌ مِنْ حَيَاتِهَا . وَقَدْ أُوضِحَتْ هٰذِهِ الْحَقِيقَةُ ، فِي رَسَائِلِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَلِذٰلِكَ تُبَيِّنُ خُلاصَةٌ مُخْتَصَرَةٌ مِنْهَا هُنَا ، فِي أَرْبَعِ مَسَائِلَ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولىٰ :﴾ نَظَرْتُ بِالْجِهَةِ الَّتِي تَنْظُرُ مَاهِيَّةُ الْحَيَاةِ وَحَقِيقَتُهَا ، إِلَى الْحَيِّ الْقَيُّومِ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ مَاهِيَّةَ حَيَاتِي ، مَخْزَنُ الْمَفَاتِيحِ الْفَاتِحَةِ لِدَفَائِنِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَخَرِيطَةٌ صَغِيرَةٌ لِنُقُوشِهَا ، وَفِهْرِسَةٌ لِجَلْوَاتِهَا ، وَمِقْيَاسٌ وَمِيزَانٌ دَقِيقٌ لِكِبَارِ حَقَائِقِ الْكَائِنَاتِ ، وَكَلِمَةُ حِكْمَةٍ مَكْتُوبَةٌ تَعْلَمُ وَتُعْلِمُ أَسْمَاءَ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ؛ وَتَفْهَمُ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ الْمُفِيدَةَ الْقَيِّمَةَ ؛ فَتُفْهِمُهَا ؛ هٰكَذَا فَهِمْتُ . . وَإِنَّ حَقِيقَةَ الْحَيَاةِ عَلىٰ هٰذَا الْوَجْهِ ، تَفُوزُ بِأَلْفِ دَرَجَةٍ مِنَ الْقِيمَةِ ؛ وَإِنَّ سَاعَةً مِنْ دَوَامِهَا ، تَتَّخِذُ أَهَمِّيَّةً بِقَدْرِ عُمُرٍ ؛ فَلا يُنْظَرُ إِلَى طُولِهَا وَقِصَرِهَا ، فِي جِهَةِ مُنَاسَبَتِهَا بِالذَّاتِ الْأَزَلِيِّ الَّذِي لَيْسَ لَهُ زَمَانٌ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ نَظَرْتُ إِلَى الْحُقُوقِ الْحَقِيقِيَّةِ لِحَيَاتِي ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ حَيَاتِي ، مَكْتُوبٌ رَبَّانِيٌّ ؛ وَمُطَالَعٌ يُقْرِئُ نَفْسَهُ ؛ وَيُعْلِمُ خَالِقَهُ ، لِلْمَخْلُوقَاتِ ذَوَاتِ الشُّعُورِ الَّتِي هِيَ إِخْوَانِي ؛ وَإِعْلانٌ يُشَهِّرُ كَمَالاتِ خَالِقِي ؛ وَعَرْضٌ عَلَى نَظَرِ سُلْطَانِهَا الَّذِي لا مِثَالَ لَهُ ، عَلىٰ وَجْهِ الْإِيمَانِ وَالشُّعُورِ وَالشُّكْرِ وَالاِمْتِنَانِ ، فِي الْعَرْضِ الرَّسْمِيِّ الْمُتَكَرِّرِ كُلَّ يَوْمٍ ، مُتَزَيِّنَةً عَلىٰ عِلْمٍ ، بِالْهَدَايَا وَالْأَوْسِمَةِ الْقَيِّمَةِ الَّتِي أَحْسَنَ بِهَا خَالِقُ الْحَيَاةِ بِالْحَيَاةِ ؛ وَفَهْمٌ وَمُشَاهَدَةٌ وَإِعْلانٌ بِالشَّهَادَةِ ، لِتَحِيَّاتِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ بِلا حَدٍّ ، وَلِهَدَايَا تَسْبِيحَاتِهَا لِخَالِقِهَا ، وَاصِفَةً وَشَاكِرَةً ؛ وَإِظْهَارٌ لِمَحَاسِنِ رُبُوبِيَّةِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، بِلِسَانِ الْحَالِ ، وَلِسَانِ الْقَالِ ، وَبِلِسَانِ الْعُبُودِيَّةِ . .

هٰذَا ، فَأَمْثَالُ هٰذِهِ الْحُقُوقِ الْعَالِيَةِ لِلْحَيَاةِ ، لا تَقْتَضِي زَمَاناً طَوِيلاً ؛ كَمَا تُعْلِي الْحَيَاةَ

أَلْفَ دَرَجَةٍ ؛ وَإِنَّهَا أَعْلىٰ قِيمَةً مِنَ الْحُقُوقِ الْحَيَوِيَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ هٰكَذَا عَلِمْتُ بِعِلْمِ الْيَقِينِ ؛ وَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللهِ ! كَمْ كَانَ الْإِيمَانُ ذَا قِيمَةٍ وَذَا حَيَاةٍ ، بِحَيْثُ إِذَا دَخَلَ أَيَّ شَيْءٍ يُحْيِيهِ ؛ وَإِنَّ شُعْلَةً مِنْهُ ، تُحْيِي مِثْلَ هٰذِهِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ بَاقِيَةً ؛ وَتَمْسَحُ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْفَنَاءِ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ نَظَرْتُ إِلىٰ وَظَائِفِ حَيَاتِيَ الْفِطْرِيَّةِ ، وَفَوَائِدِهَا الْمَعْنَوِيَّةِ ، النَّاظِرَةِ إِلىٰ خَالِقِي ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ حَيَاتِي تُؤَدِّي مُؤَدَّى الْمِرْآةِ ، بِثَلاثَةِ أَوْجُهٍ ، لِخَالِقِ الْحَيَاةِ . .

(اَلْوَجْهُ الْأَوَّلُ :) أَنَّ حَيَاتِي تَعْكِسُ بِعَجْزِهَا وَضَعْفِهَا ، وَبِفَقْرِهَا وَاحْتِيَاجِهَا ، قُدْرَةَ خَالِقِ الْحَيَاةِ وَقُوَّتَهُ ، وَغِنَاهُ وَرَحْمَتَهُ . نَعَمْ : فَكَمَا تُعْرَفُ دَرَجَاتُ لَذَّةِ الطَّعَامِ ، بِدَرَجَةِ الْجُوعِ ؛ وَمَرَاتِبُ الضِّيَاءِ ، بِمَرَاتِبِ الظَّلامِ ؛ وَدَرَجَاتُ مِيزَانِ الْحَرَارَةِ ، بِمِقْيَاسِ الْبُرُودَةِ ؛ كَذٰلِكَ عَلِمْتُ قُدْرَةَ خَالِقِي وَرَحْمَتَهُ بِلا حَدٍّ ، فِي نُقْطَةِ إِزَالَةِ احْتِيَاجَاتِي بِلا حَدٍّ ، وَدَفْعِ أَعْدَائِي بِلا حَدٍّ ، مَعَ مَا فِي حَيَاتِي مِنَ الْعَجْزِ وَالْفَقْرِ بِلا حَدٍّ ؛ فَفَهِمْتُ وَقَبِلْتُ وَظَائِفَ السُّؤَالِ وَالدُّعَاءِ ، وَالالْتِجَاءِ وَالتَّذَلُّلِ وَالْعُبُودِيَّةِ . .

(اَلْوَجْهُ الثَّانِي :) هُوَ انْعِكَاسُ حَيَاتِي ، بِمَعَانِي أَمْثَالِ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، الْجُزْئِيَّةِ فِي حَيَاتِي ، لِصِفَاتِ خَالِقِي وَشُؤُونَاتِهِ الْكُلِّيَّةِ وَالْمُحِيطَةِ . نَعَمْ : لَقَدْ عَلِمْتُ بِمَعَانٍ كَثِيرَةٍ ، كَالْعِلْمِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلامِ وَالطَّلَبِ ، فِي حَيَاةِ نَفْسِي ، وَفِي أَفْعَالِيَ الشُّعُورِيَّةِ ؛ وَفَهِمْتُ بِهَا عِلْمَ خَالِقِيَ الْمُحِيطَ ، وَإِرَادَتَهُ ، وَأَوْصَافَهُ مِثْلَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْقُدْرَةِ وَالْحَيَاةِ ، وَشُؤُونَاتِهِ كَالْمَحَبَّةِ وَالْغَضَبِ وَالشَّفَقَةِ ، فِي دَرَجَةِ عَظَمَةِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، عَلىٰ شَخْصِي ، وَفِي مِقْيَاسٍ أَكْبَرَ ؛ فَآمَنْتُ وَصَدَّقْتُ بِهَا ؛ وَاعْتَرَفْتُ بِهَا ؛ فَوَجَدْتُ طَرِيقاً آخَرَ لِلْمَعْرِفَةِ . .

(اَلْوَجْهُ الثَّالِثُ :) هُوَ الانْعِكَاسُ لِلْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، الْمَوْجُودَةِ نُقُوشُهَا وَجَلَوَاتُهَا فِي حَيَاتِي . نَعَمْ : كُلَّمَا أَنْظُرُ إِلىٰ حَيَاتِي وَجِسْمِي ؛ أَرىٰ آثَاراً وَنُقُوشاً وَصَنَائِعَ مُعْجِزَةً ، عَلىٰ مِئَاتِ الْأَنْمَاطِ ؛ مَعَ أَنِّي أُشَاهِدُ تَرْبِيَتِي عَلىٰ وَجْهِ الشَّفَقَةِ جِدّاً ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ عَلِمْتُ بِنُورِ الْإِيمَانِ : أَنَّ الَّذِي خَلَقَنِي وَيُحْيِينِي ، كَمْ كَانَ ذَا سَخَاءٍ وَرَحْمَةٍ ، وَصَاحِبَ صَنْعَةٍ وَلُطْفٍ ، فَوْقَ الْعَادَةِ ؛ وَكَمْ كَانَ ذَا مَهَارَةٍ وَصَاحِباً وَخَبِيراً ــ لا خَطَأَ فِي التَّعْبِيرِ ــ وَذَا اقْتِدَارٍ خَارِقٍ ؟

وَعَرَفْتُ مَا هِيَ وَظَائِفُ الْفِطْرَةِ، وَغَايَاتُ الْخِلْقَةِ، وَنَتَائِجُ الْحَيَاةِ، مِثْلُ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ، وَالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ، وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّعْظِيمِ، وَالتَّوْحِيدِ وَالتَّهْلِيلِ؛ وَفَهِمْتُ بِعِلْمِ الْيَقِينِ، سَبَبَ كَوْنِ الْحَيَاةِ، الْمَخْلُوقَ الْأَقْوَمَ فِي الْكَائِنَاتِ، وَسِرَّ تَسْخِيرِ كُلِّ شَيْءٍ لِلْحَيَاةِ، وَحِكْمَةَ وُجُودِ اشْتِيَاقٍ فِطْرِيٍّ، فِي كُلِّ أَحَدٍ، تِجَاهَ الْحَيَاةِ، وَكَوْنَ الْإِيمَانِ، حَيَاةَ الْحَيَاةِ..

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ:﴾ نَظَرْتُ إِلَى آيَةِ: ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ هٰذِهِ أَيْضاً، بِأَنَّهُ مَا هِيَ اللَّذَّةُ وَالسَّعَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِحَيَاتِي هٰذِهِ، فِي الدُّنْيَا؟. فَرَأَيْتُ أَنَّ أَصْفَى لَذَّةِ حَيَاتِي هٰذِهِ، وَأَخْلَصَ سَعَادَتِهَا، هِيَ فِي الْإِيمَانِ: أَعْنِي أَنَّ إِيمَانِيَ الْقَطْعِيَّ، بِأَنِّي مَخْلُوقُ رَبٍّ رَحِيمٍ خَلَقَنِي وَيُحْيِينِي؛ وَأَنِّي مَصْنُوعُهُ وَمَمْلُوكُهُ وَمَرْبُوبُهُ، وَتَحْتَ نَظَرِهِ، وَمُحْتَاجٌ إِلَيْهِ كُلَّ وَقْتٍ؛ وَأَنَّ ذٰلِكَ الرَّبَّ، هُوَ رَبِّي وَإِلٰهِي، وَذُو رَحْمَةٍ وَشَفَقَةٍ لِلْغَايَةِ تِجَاهِي، هِيَ لَذَّةٌ وَسَعَادَةٌ كَافِيَةٌ وَافِيَةٌ، وَبِدُونِ أَلَمٍ، وَدَائِمَةٌ، لَا تُعَرَّفُ؛ وَفَهِمْتُ مِنَ الْآيَةِ: أَنَّ (اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ)، كَمْ كَانَ فِي مَحَلِّهِ؟.

هٰذَا، فَهٰذِهِ الْمَسَائِلُ الْأَرْبَعُ الْعَائِدَةُ إِلَى حَقِيقَةِ الْحَيَاةِ، وَحُقُوقِهَا، وَوَظَائِفِهَا، وَلَذَّتِهَا الْمَعْنَوِيَّةِ، أَظْهَرَتْ أَنَّ الْحَيَاةَ كُلَّمَا نَظَرَتْ إِلَى الذَّاتِ الْبَاقِي الْحَيِّ الْقَيُّومِ؛ وَكُلَّمَا كَانَ الْإِيمَانُ حَيَاةً وَرُوحاً لِلْحَيَاةِ أَيْضاً؛ تَجِدُ الْبَقَاءَ؛ وَتُثْمِرُ ثَمَرَاتٍ بَاقِيَةً؛ وَتَرْقَى بِحَيْثُ تَتَّخِذُ جِلْوَةَ السَّرْمَدِيَّةِ؛ فَلَا تَنْظُرُ بَعْدُ إِلَى قِصَرِ الْعُمُرِ وَطُولِهِ؛ هٰكَذَا تَلَقَّيْتُ دَرْسِي مِنْ هٰذِهِ الْآيَةِ؛ فَقُلْتُ: ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، بِاسْمِ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ وَذَوِي الْحَيَاةِ، نِيَّةً وَتَصَوُّراً وَخَيَالاً..

اَلْمَرْتَبَةُ النُّورِيَّةُ الْحَسْبِيَّةُ السَّادِسَةُ:

فِي زَمَنٍ مَا، انْكَشَفَ مَا فِي فِطْرَتِي، مِنْ حُبِّ الْجَمَالِ، وَعِشْقِ الْحُسْنِ، وَمَشَاعِرِ الْإِفْتِتَانِ بِالْكَمَالَاتِ، بِحَسَّاسِيَّةٍ فَوْقَ الْعَادَةِ، فِي آخِرِ عُمُرِي، وَالشَّيْبِ الْمُخْطِرِ بِمُفَارَقَتِي الْخُصُوصِيَّةِ، بَيْنَ حَادِثَاتِ آخِرِ الزَّمَانِ الْمُخْبِرِ عَنْ خَرَابِ الدُّنْيَا، الَّذِي هُوَ مِيعَادُ الْمُفَارَقَةِ الْعُمُومِيَّةِ، رَأَيْتُ بِشُعُورٍ وَتَأَثُّرٍ فَوْقَ الْعَادَةِ: أَنَّ الزَّوَالَ وَالْفَنَاءَ الدَّائِمَيْنِ وَالْمُخَرِّبَيْنِ، وَالْمَوْتَ

وَالْعَدَمَ الْمُتَمَادِيَيْنِ وَالْمُفرِّقَيْنِ ، تَفْتِكُ بِهٰذِهِ الدُّنْيَا الْحَسْنَاءِ ، وَالْمَخْلُوقَاتِ الْجَمِيلَةِ ؛ وَتُمَزِّقُهَا إِرْباً إِرْباً ؛ وَتُفْسِدُ مَحَاسِنَهَا ، فِي صُورَةٍ هَائِلَةٍ . فَلَمَّا غَلىٰ مَا فِي فِطْرَتِي ، مِنَ الْعِشْقِ الْمَجَازِيِّ ، وَعَصىٰ أَمَامَ هٰذَا الْحَالِ ، عِصْيَاناً شَدِيداً ؛ رَاجَعْتُ هٰذِهِ الْآيَةَ الْحَسْبِيَّةَ أَيْضاً ؛ لِأَجِدَ مَدَارَ تَسْلِيَةٍ ؛ فَقَالَتْ : اِقْرَأْنِي وَانْظُرْ إِلىٰ مَعْنَايَ بِالدِّقَّةِ . فَدَخَلْتُ أَنَا مَرْصَدَ آيَةِ النُّورِ ، فِي سُورَةِ النُّورِ ؛ فَنَظَرْتُ بِنَظَّارَةِ الْإِيمَانِ ، إِلىٰ أَبْعَدِ طَبَقَاتِ الْآيَةِ الْحَسْبِيَّةِ ، وَبِمِجْهَرِ الشُّعُورِ الْإِيمَانِيِّ ، إِلىٰ أَدَقِّ أَسْرَارِهَا ؛ فَرَأَيْتُ : كَمَا أَنَّ الْمَرَايَا وَالزُّجَاجَاتِ وَالْأَشْيَاءَ الشَّفَّافَةَ ، حَتَّى الْفَوَاقِعَ ، تُرِي جَمَالَ ضِيَاءِ الشَّمْسِ الْخَفِيَّ وَالْمُتَنَوِّعَ ، وَالْمَحَاسِنَ الْمُتَنَوِّعَةَ لِأَلْوَانِ تِلْكَ الضِّيَاءِ الْمَدْعُوَّةِ بِالْأَلْوَانِ السَّبْعَةِ ؛ وَتُجَدِّدُ ذٰلِكَ الْجَمَالَ ، وَتِلْكَ الْمَحَاسِنَ ، بِتَجَدُّدِهَا وَتَحَرُّكِهَا ، وَبِقَابِلِيَّاتِهَا وَانْكِسَارَاتِهَا الْمُخْتَلِفَةِ ؛ وَتُظْهِرُ الْمَحَاسِنَ الْخَفِيَّةَ لِلشَّمْسِ ، وَضِيَائِهَا وَأَلْوَانِهَا السَّبْعَةِ ، بِانْكِسَارَاتِهَا ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ : فَإِنَّ هٰذِهِ الْمَصْنُوعَاتِ الْحَسَنَةَ ، وَهٰذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْحُلْوَةَ ، وَهٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ الْجَمِيلَةَ ، تَأْتِي وَتَذْهَبُ دُونَ أَنْ تَتَوَقَّفَ أَصْلاً ، لِتَعْكِسَ الْجَمَالَ الْقُدُسِيَّ ، لِلْجَمِيلِ ذِي الْجَلَالِ ، شَمْسِ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ ، وَالْمَحَاسِنَ السَّرْمَدِيَّةَ ، لِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الْجَمِيلَةِ بِلَا نِهَايَةٍ ؛ فَتُجَدِّدَ جِلْوَاتِهَا . وَقَدْ أُوضِحَ وَبُيِّنَ تَفْصِيلاً فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ، بِدَلَائِلِهِ الْقَوِيَّةِ كَثِيراً جِدّاً : أَنَّ مَا يُشَاهَدُ فِيهَا مِنَ الْمَجَامِلِ وَالْمَحَاسِنِ ، لَيْسَتْ مَالَهَا ؛ بَلْ إِنَّهَا إِشَارَاتٌ وَعَلَامَاتٌ ، وَلَمَعَاتٌ وَجِلْوَاتٌ ، لِجَمَالٍ سَرْمَدِيٍّ وَمُقَدَّسٍ يُرِيدُ التَّظَاهُرَ ، وَلِحُسْنٍ مُجَرَّدٍ وَمُنَزَّهٍ يَتَجَلّىٰ دَائِماً ؛ وَيَقْتَضِي الظُّهُورَ . .

فَيُشَارُ هُنَا مُخْتَصَراً ، إِلىٰ ثَلَاثَةٍ مِنْ تِلْكَ الْبَرَاهِينِ . .

﴿اَلْبُرْهَانُ الْأَوَّلُ :﴾ أَنَّهُ كَمَا يَدُلُّ حُسْنُ أَثَرٍ مَنْقُوشٍ ، عَلىٰ حُسْنِ نَقْشِهِ ؛ وَحُسْنُ النَّقْشِ ، عَلىٰ حُسْنِ عُنْوَانِ الصِّنَاعَةِ ، الْوَارِدِ عَنْ تِلْكَ الصَّنْعَةِ ؛ وَحُسْنُ عُنْوَانِ الصِّنَاعَةِ فِي الصَّانِعِ ، عَلىٰ حُسْنِ صِفَةِ ذٰلِكَ الصَّانِعِ ، الْعَائِدَةِ إِلىٰ تِلْكَ الصَّنْعَةِ ؛ وَحُسْنُ صِفَتِهِ ، عَلىٰ حُسْنِ قَابِلِيَّتِهِ وَاسْتِعْدَادِهِ ؛ وَحُسْنُ قَابِلِيَّتِهِ ، عَلىٰ حُسْنِ ذَاتِهِ وَحَقِيقَتِهِ ، فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ ، فِي صُورَةٍ قَاطِعَةٍ لِلْغَايَةِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ : فَإِنَّ الْحُسْنَ وَالْجَمَالَ ، فِي جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِ هٰذِهِ

الْكَائِنَاتِ الظَّرِيفَةِ، وَفِي عُمُومِ مَصْنُوعَاتِهَا الْجَمِيلَةِ الصُّنْعِ، مِنْ أَوَّلِهَا إِلىٰ آخِرِهَا، يَشْهَدُ قَطْعاً، عَلىٰ حُسْنِ وَجَمَالِ مَا فِي الصَّانِعِ ذِي الْجَلاَلِ، مِنْ أَفْعَالِهِ أَيْضاً؛ وَإِنَّ مَا فِي أَفْعَالِهِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ، يَدُلُّ بِلاَ شُبْهَةٍ، عَلىٰ حُسْنِ وَجَمَالِ الْعَنَاوِينِ ــ أَيِ الْأَسْمَاءِ ــ النَّاظِرَةِ إِلىٰ تِلْكَ الْأَفْعَالِ؛ وَإِنَّ حُسْنَ الْأَسْمَاءِ وَجَمَالَهَا، يَشْهَدُ قَطْعاً، عَلىٰ حُسْنِ وَجَمَالِ صِفَاتِهِ الْقُدُسِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَنْشَأُ الْأَسْمَاءِ؛ وَإِنَّ حُسْنَ الصِّفَاتِ وَجَمَالَهَا، يَشْهَدُ قَطْعاً، عَلىٰ حُسْنِ وَجَمَالِ الشُّؤُونَاتِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَبْدَأُ الصِّفَاتِ؛ وَإِنَّ حُسْنَ الشُّؤُونَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَجَمَالَهَا، يَشْهَدُ فِي صُورَةٍ قَاطِعَةٍ فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ، عَلىٰ حُسْنِ وَجَمَالِ ذَاتِهِ الَّذِي هُوَ الْفَاعِلُ وَالْمُسَمّٰى وَالْمَوْصُوفُ، وَعَلىٰ كَمَالِ مَاهِيَّتِهِ الْقُدُسِيِّ، وَحُسْنِ حَقِيقَتِهِ الْمُقَدَّسِ..

إِذاً فَإِنَّ لِلصَّانِعِ ذِي الْجَمَالِ، حُسْناً وَجَمَالاً بِلاَ حَدٍّ، لاَئِقاً بِذَاتِهِ الْأَقْدَسِ؛ فَجَمَّلَ ظِلٌّ مِنْهُ، جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلىٰ آخِرِهَا؛ وَحُسْناً مُنَزَّهاً وَمُقَدَّساً زَانَتْ جِلْوَةٌ مِنْهُ، الْكَائِنَاتِ بِأَسْرِهَا؛ وَزَيَّنَتْ جَمِيعَ دَائِرَةِ الْمُمْكِنَاتِ؛ فَنَوَّرَتْهَا بِلَمَعَاتِ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ. نَعَمْ: إِنَّ أَثَراً مَنْقُوشاً، لاَ يَكُونُ بِدُونِ فِعْلٍ؛ كَمَا أَنَّ الْفِعْلَ أَيْضاً، لاَ يُمْكِنُ بِدُونِ الْفَاعِلِ؛ وَإِنَّ وُجُودَ الْأَسْمَاءِ بِدُونِ الْمُسَمّٰى، مُحَالٌ؛ كَمَا أَنَّ وُجُودَ الصِّفَاتِ أَيْضاً بِدُونِ الْمَوْصُوفِ، لَيْس مُمْكِناً. فَإِذَا كَانَ وُجُودُ صَنْعَةٍ وَأَثَرٍ، يَدُلُّ بِالْبَدَاهَةِ عَلىٰ فِعْلِ نَاقِشِ ذٰلِكَ الْأَثَرِ، وَوُجُودُ ذٰلِكَ الْفِعْلِ، يَدُلُّ عَلىٰ وُجُودِ فَاعِلِهِ وَعُنْوَانِهِ، وَمَا أَنْتَجَ الْأَثَرَ مِنْ صِفَتِهِ وَاسْمِهِ؛ فَلاَ شَكَّ أَنَّ كَمَالَ أَثَرٍ وَجَمَالَهُ أَيْضاً، يَدُلُّ عَلىٰ كَمَالِ الْفِعْلِ وَجَمَالِهِ الْمَخْصُوصِ بِهِ؛ وَهُوَ أَيْضاً يَدُلُّ عَلىٰ حُسْنِ الِاسْمِ الْمُنَاسِبِ وَالْمُوَافِقِ هُوَ لَهُ؛ وَهُوَ أَيْضاً يَدُلُّ بِعِلْمِ الْيَقِينِ وَبِالْبَدَاهَةِ، عَلىٰ كَمَالِ وَجَمَالِ الذَّاتِ وَالْحَقِيقَةِ، وَلٰكِنْ لاَئِقَيْنِ وَمُوَافِقَيْنِ بِالذَّاتِ وَالْحَقِيقَةِ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ: إِنَّ الْفَعَّالِيَّةَ الدَّائِمَةَ تَحْتَ حِجَابِ هٰذِهِ الْآثَارِ، وُجُودُهَا بِدُونِ الْفَاعِلِ مُحَالٌ؛ كَمَا أَنَّ الْأَسْمَاءَ أَيْضاً الْمَشْهُودَةَ جِلْوَاتُهَا وَنُقُوشُهَا، بِالْبَصَرِ، عَلىٰ هٰذِهِ الْمَصْنُوعَاتِ، لاَ يَكُونُ وُجُودُهَا بِدُونِ الْمُسَمّٰى مُمْكِناً؛ وَأَنَّ الصِّفَاتِ أَيْضاً الْمَشْعُورَ بِهَا فِي دَرَجَةِ الْمُشَاهَدَةِ، مِثْلَ الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ، يَكُونُ وُجُودُهَا بِدُونِ الْمَوْصُوفِ مُحَالاً؛ فَمِنْ ثَمَّةَ تَدُلُّ جَمِيعُ الْآثَارِ وَالْمَخْلُوقَاتِ وَالْمَصْنُوعَاتِ، فِي هٰذِهِ

الْكَائِنَاتِ ، بِوُجُودِهَا بِلا حَدٍّ ، عَلىٰ وُجُودِ أَفْعَالِ خَالِقِهَا وَصانِعِهَا وَفَاعِلِهَا ، وَعَلىٰ وُجُودِ أَسْمَائِهِ ، وَعَلىٰ وُجُودِ أَوْصَافِهِ ، وَعَلىٰ وُجُودِ شُؤُونَاتِهِ الذَّاتِيَّةِ ، وَعَلىٰ وُجُوبِ وُجُودِ الذَّاتِ الْأَقْدَسِ ، فِي صُورَةٍ قَاطِعَةٍ ؛ كَمَا أَنَّ الْكَمَالاتِ الْمُخْتَلِفَةَ ، وَالْمَجَامِلَ الْمُتَخَالِفَةَ ، وَالْمَحَاسِنَ الْمُتَنَوِّعَةَ ، الْمَشْهُودَةَ فِي جَمِيعِ تِلْكَ الْمَصْنُوعَاتِ ، تَشْهَدُ شَهَادَةً صَرِيحَةً لِلْغَايَةِ ، وَتَدُلُّ دَلالَةً قَطْعِيَّةً لِلْغَايَةِ ، عَلىٰ مَا لا حَدَّ لَهُ مِنْ كَمَالاتِ الْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالشُّؤُونِ وَالذَّاتِ ، فِي الصَّانِعِ ذِي الْجَلالِ ، وَعَلىٰ مَا لا نِهَايَةَ لَهُ مِنْ مَجَامِلِهَا ، وَعَلىٰ مَحَاسِنِهَا الْمُخْتَلِفَةِ وَالْفَائِقَةِ عَلىٰ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ، عَلىٰ وَجْهٍ مَخْصُوصٍ وَمُنَاسِبٍ وَلائِقٍ بِهَا ، وَبِوُجُوبِهِ وَقُدُسِهِ . .

﴿اَلْبُرْهَانُ الثَّانِي :﴾ لَهُ خَمْسُ نِقَاطٍ . .

(اَلنُّقْطَةُ الْأُولىٰ :) أَنَّ رُؤَسَاءَ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ كُلَّهُمْ ، الْمُتَخَالِفِينَ وَالْمُتَبَاعِدِينَ فِي مَشَارِبِهِمْ وَمَسَالِكِهِمْ ، يَسْتَنِدُونَ إِلَى الذَّوْقِ وَالْكَشْفِ ؛ فَيُؤْمِنُونَ وَيَحْكُمُونَ بِالْإِجْمَاعِ وَالاتِّفَاقِ : بِأَنَّ الْحُسْنَ وَالْجَمَالَ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، ظِلُّ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ الْمُقَدَّسِ الْمَوْجُودِ فِي ذَاتِ وَاجِبِ الْوُجُودِ ، وَلَمَعَاتُهُ وَجِلْوَاتُهُ وَرَاءَ الْحُجُبِ . .

(اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ :) أَنَّ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ الْجَمِيلَةِ ، تَأْتِي فَتَذْهَبُ قَافِلَةً وَرَاءَ قَافِلَةٍ ؛ وَتَدْخُلُ الْفَنَاءَ ؛ فَتَغِيبُ دُونَ تَوَقُّفٍ ؛ وَلٰكِنَّ جَمَالاً عَالِياً لا يَتَبَدَّلُ ؛ وَيَتَجَلّٰى وَيُظْهِرُ نَفْسَهُ فَوْقَ تِلْكَ الْمَرَايَا ، يَدُومُ فِي تَجَلِّيهِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يَدُلُّ فِي صُورَةٍ قَاطِعَةٍ ، عَلىٰ أَنَّ تِلْكَ الْمَحَاسِنَ ، لَيْسَتْ مَالَ تِلْكَ الْجَمِيلاتِ ، وَلا جَمَالَ تِلْكَ الْمَرَايَا ؛ بَلْ إِنَّهَا أَشِعَّةُ جَمَالٍ سَرْمَدِيٍّ ؛ كَمَا يُرىٰ جَمَالُ شُعَاعَاتِ الشَّمْسِ ، فِي الْفَوَاقِعِ ، فَوْقَ الْمَاءِ الْجَارِي . .

(اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ :) كَمَا أَنَّ وُرُودَ النُّورِ يَكُونُ مِنَ النُّورَانِيِّ قَطْعاً ؛ وَإِعْطَاءَ الْوُجُودِ يَكُونُ مِنَ الْمَوْجُودِ ، عَلىٰ كُلِّ حَالٍ ؛ وَأَنَّ مَجِيءَ الْإِحْسَانِ مِنَ الْغِنىٰ ، وَالسَّخَاءِ مِنَ الثَّرْوَةِ ، وَالتَّعْلِيمِ مِنَ الْعِلْمِ ، بَدِيهِيٌّ ؛ فَإِنَّ إِعْطَاءَ الْحُسْنِ أَيْضاً ، إِنَّمَا يُمْكِنُ مِنَ الْحَسَنِ ؛ وَالتَّحْسِينَ يَكُونُ مِنَ الْحَسَنِ ؛ وَإِعْطَاءَ الْجَمَالِ يَكُونُ مِنَ الْجَمِيلِ ؛ وَلا يُمْكِنُ غَيْرُهُ . فَبِنَاءً عَلىٰ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، نُؤْمِنُ بِأَنَّ جَمِيعَ الْمَحَاسِنِ الْمَشْهُودَةِ فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، تَرِدُ مِنْ جَمِيلٍ تَصِفُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتُ الْمُتَبَدِّلَةُ

وَالْمُتَجَدِّدَةُ مُتَمَادِياً ، جَمَالَ ذٰلِكَ الْجَمِيلِ ؛ وَتُعَرِّفُهُ بِجَمِيعِ مَوْجُودَاتِهَا ، بِأَلْسِنَةِ انْعِكَاسَاتِهَا . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الرَّابِعَةُ :﴾ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ يَسْتَنِدُ إِلَى الرُّوحِ ؛ فَيَقِفُ عَلَى الْأَقْدَامِ ؛ وَيَحْيَا ؛ وَاللَّفْظَ يَنْظُرُ إِلَى الْمَعْنَى ؛ فَيَتَنَوَّرُ حَسَبَ ذٰلِكَ ؛ وَالصُّورَةَ تَسْتَنِدُ إِلَى الْحَقِيقَةِ ؛ فَتَسْتَمِدُّ مِنْهَا الْقِيمَةَ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ : فَإِنَّ عَالَمَ الشَّهَادَةِ الْمَادِّيَّ وَالْجِسْمَانِيَّ هٰذَا أَيْضاً ، جَسَدٌ وَلَفْظٌ وَصُورَةٌ تَسْتَنِدُ إِلَى الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَرَاءَ حِجَابِ عَالَمِ الْغَيْبِ ؛ فَتَحْيَا وَتَسْتَمِدُّ مِنْهَا الرُّوحَ ؛ وَتَنْظُرُ إِلَيْهَا فَتَتَجَمَّلُ ؛ وَإِنَّ جَمِيعَ الْمَحَاسِنِ الْمَادِّيَّةِ ، تَنْشَأُ عَنِ الْمَحَاسِنِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِحَقَائِقِهَا وَمَعَانِيهَا . وَأَمَّا حَقَائِقُهَا ، فَإِنَّهَا تَسْتَفِيضُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَإِنَّهَا نَوْعٌ مِنْ ظِلَالِهَا . وَهٰذِهِ الْحَقِيقَةُ أُثْبِتَتْ قَطْعاً فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» . .

إِذاً فَإِنَّ أَنْوَاعَ جَمِيعِ الْمَحَاسِنِ وَأَصْنَافَهَا ، الْمَوْجُودَةَ فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، هِيَ جَلَوَاتٌ وَإِشَارَاتٌ وَأَمَارَاتٌ ، بِوَاسِطَةِ الْأَسْمَاءِ ، لِجَمَالٍ مُجَرَّدٍ عَنِ الْمَادَّةِ ، وَمُقَدَّسٍ مِنَ النَّقْصِ ، يَتَجَلَّى وَرَاءَ عَالَمِ الْغَيْبِ ؛ وَلٰكِنْ كَمَا أَنَّ الذَّاتَ الْأَقْدَسَ ، لِلْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، لَا يُشْبِهُ الْآخَرِينَ فِي جِهَةٍ مَّا ؛ وَأَنَّ صِفَاتِهِ أَعْلَى مِنْ صِفَاتِ الْمُمْكِنَاتِ ، بِدَرَجَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ جَمَالَهُ الْقُدُسِيَّ ، لَا يُشْبِهُ حُسْنَ الْمُمْكِنَاتِ وَالْمَخْلُوقَاتِ ؛ وَإِنَّهُ أَعْلَى فِي دَرَجَاتٍ بِلَا حَدٍّ . نَعَمْ : إِنَّ جَمَالاً سَرْمَدِيّاً تَكُونُ الْجَنَّةُ الْعَظِيمَةُ بِكُلِّ حُسْنِهَا وَجَمَالِهَا ، جَلْوَةً مِنْهُ ؛ وَتُنْسِي سَاعَةٌ مِنْ مُشَاهَدَتِهِ ، أَهْلَ الْجَنَّةِ إِيَّاهَا ، فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ نِهَايَتُهُ وَشَبِيهُهُ وَنَظِيرُهُ وَمِثْلُهُ . وَمَعْلُومٌ : أَنَّ حُسْنَ كُلِّ شَيْءٍ ، يَكُونُ بِحَسَبِهِ ؛ وَيُوجَدُ فِي آلَافِ الْأَنْمَاطِ ؛ وَأَنَّ مَحَاسِنَ الْأَنْوَاعِ ، مُخْتَلِفَةٌ كَاخْتِلَافِهَا أَيْضاً . فَكَمَا أَنَّ حُسْناً يُحَسُّ بِهِ بِالْعَيْنِ مَثَلاً ، وَحُسْناً يُحَسُّ بِهِ بِالْأُذُنِ ، لَا يَتَسَاوَيَانِ ؛ وَأَنَّ حُسْناً عَقْلِيّاً يُفْهَمُ بِالْعَقْلِ ، وَحُسْنَ طَعَامٍ يُذَاقُ بِالْفَمِ ، لَا يَتَّحِدَانِ ؛ فَإِنَّ الْمَحَاسِنَ الَّتِي يَسْتَحْسِنُهَا الْقَلْبُ وَالرُّوحُ ، وَسَائِرُ الْحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ؛ وَتُحِسُّ بِهَا حَسَناً ، هِيَ مُخْتَلِفَةٌ مِثْلَ اخْتِلَافِهَا . وَكَمَا أَنَّ حُسْنَ الْإِيمَانِ ، وَحُسْنَ الْحَقِيقَةِ ، وَحُسْنَ النُّورِ ، وَحُسْنَ الزَّهْرَةِ ، وَجَمَالَ الرُّوحِ ، وَجَمَالَ الصُّورَةِ ، وَجَمَالَ الشَّفَقَةِ ، وَجَمَالَ الْعَدَالَةِ ، وَحُسْنَ الرَّحْمَةِ ، وَحُسْنَ الْحِكْمَةِ مَثَلاً ، تَكُونُ مُخْتَلِفَةً ؛ فَإِنَّ مَحَاسِنَ أَسْمَاءِ الْجَمِيلِ ذِي الْجَلَالِ ، الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى الْجَمِيلَةِ

فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، مُخْتَلِفَةٌ أَيْضاً ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ ، وَقَعَتِ الْمَحَاسِنُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْمَوْجُودَاتِ مُخْتَلِفَةً . .

فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُشَاهِدَ جِلْوَةً فِي مَرَايَا الْمَوْجُودَاتِ ، مِنَ الْمَحَاسِنِ فِي أَسْمَاءِ الْجَمِيلِ ذِي الْجَلَالِ ؛ فَانْظُرْ بِعَيْنٍ خَيَالِيَّةٍ وَاسِعَةٍ تَتَفَرَّجُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، كَرَوْضَةٍ صَغِيرَةٍ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ التَّعَابِيرَ مِثْلَ : (الرَّحْمَانِيَّةِ وَالرَّحِيمِيَّةِ وَالْحَكِيمِيَّةِ وَالْعَادِلِيَّةِ) ، تُشِيرُ إِلَى أَسْمَاءِ الْحَقِّ تَعَالَى ، وَأَفْعَالِهِ وَصِفَاتِهِ وَشُؤُونَاتِهِ . .

هٰذَا ، فَانْظُرْ إِلَى أَرْزَاقِ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ ـ وَفِي الْمُقَدِّمَةِ الْإِنْسَانُ ـ الْوَارِدَةِ مِنْ حِجَابِ الْغَيْبِ مُنْتَظِمَةً ؛ فَاشْهَدْ جَمَالَ الرَّحْمَانِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَكَذَا أَبْصِرْ جَمَالَ الرَّحِيمِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، ذٰلِكَ الْجَمَالَ الْجَذَّابَ ، بِالتَّفَرُّجِ عَلَى إِعَاشَةِ جَمِيعِ الْأَطْفَالِ إِعَاشَةً مُعْجِزَةً ، وَعَلَى وَطْبَيْنِ صَغِيرَيْنِ مُعَلَّقَيْنِ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، وَفِي صُدُورِ أُمَّهَاتِهِمْ ، مِنْ لَبَنٍ عَذْبٍ صَافٍ كَمَاءِ الْكَوْثَرِ . . وَانْظُرْ أَيْضاً ؛ فَأَبْصِرِ الْجَمَالَ بِلَا مِثَالٍ ، جَمَالَ الْحَكِيمِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ الَّتِي صَيَّرَتِ الْكَائِنَاتِ كُلَّهَا مَعَ أَنْوَاعِهَا ، كِتَاباً كَبِيراً مِنَ الْحِكْمَةِ ؛ وَجَعَلَتْ كُلَّ حَرْفٍ مِنْهُ ، فِي حُكْمِ مِئَاتِ الْكَلِمَاتِ ؛ وَكُلَّ كَلِمَةٍ مِنْهُ ، فِي حُكْمِ مِئَاتِ السُّطُورِ ؛ وَكُلَّ سَطْرٍ مِنْهُ ، فِي حُكْمِ أَلْفِ بَابٍ ؛ وَكُلَّ بَابٍ مِنْهُ ، فِي حُكْمِ آلَافِ كُتُبٍ صَغِيرَةٍ . . وَانْظُرْ أَيْضاً ؛ فَاشْهَدِ الْحُسْنَ الْمُحْتَشِمَ ، حُسْنَ الْعَادِلِيَّةِ الَّتِي اتَّخَذَتِ الْكَائِنَاتِ بِجَمِيعِ مَوْجُودَاتِهَا ، تَحْتَ مِيزَانِهَا ؛ وَتُدِيمُ مُوَازَنَةَ جَمِيعِ الْأَجْرَامِ الْعُلْوِيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ ؛ وَتُنْتِجُ التَّنَاسُبَ الَّذِي هُوَ أَهَمُّ أَسَاسٍ لِلْحُسْنِ ؛ وَتُورِثُ كُلَّ شَيْءٍ الْوَضْعَ الْأَحْسَنَ ؛ وَتُعْطِي كُلَّ ذِي حَيَاةٍ ، حَقَّ الْحَيَاةِ ؛ فَتُحِقُّ الْحَقَّ ؛ وَتُوقِفُ الْمُعْتَدِينَ وَتَجْزِيهِمْ . . وَانْظُرْ أَيْضاً إِلَى اسْتِنْسَاخِ تَرْجَمَةِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ الْمَاضِيَةِ ، فِي قُوَّتِهِ الْحَافِظَةِ الَّتِي هِيَ فِي صِغَرِ حَبَّةِ الْقَمْحِ ، وَإِلَى كِتَابَةِ تَرْجَمَةِ الْحَيَاةِ الثَّانِيَةِ الْآتِيَةِ ، لِكُلِّ نَبَاتٍ وَشَجَرٍ ، فِي نَوَاتِهِ ، وَإِلَى الْآلَاتِ وَالْجِهَازَاتِ اللَّازِمَةِ لِحِفْظِ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ ، كَأَجْنِحَةِ النَّحْلِ الصَّغِيرَةِ وَإِبْرَتِهَا السَّامَّةِ ، وَالْحِرَابِ الصِّغَارِ لِلْأَزْهَارِ الشَّائِكَةِ ، وَالْقُشُورِ الصَّلْبَةِ لِلنَّوَى مَثَلاً ؛ فَاشْهَدِ الْجَمَالَ ذَا اللَّطَافَةِ ، جَمَالَ الْحَفِيظِيَّةِ وَالْحَافِظِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ . وَانْظُرْ أَيْضاً إِلَى الرَّوَائِحِ الطَّيِّبَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ ، وَالْأَلْوَانِ الْمُتَزَيِّنَةِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَالطُّعُومِ اللَّذِيذَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ ، لِمَا لَا حَدَّ لَهَا مِنَ الْأَطْعِمَةِ الَّتِي أُعِدَّتْ مِنْ جَانِبِ الرَّحْمَةِ ، فِي

مَائِدَةِ الْأَرْضِ ، لِضُيُوفِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ الْكَرِيمِ الْمُطْلَقِ ، وَإِلىٰ أَجْهِزَةِ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ ، الَّتِي تُعِينُ ذَوْقَهُ وَهَوَاهُ ؛ فَأَبْصِرْ جَمَالَ الْإِكْرَامِ وَالْكَرِيمِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، جَمَالَهَا الْحُلْوَ لِلْغَايَةِ ، وَحُسْنَهَا الْعَذْبَ لِلْغَايَةِ . . وَانْظُرْ أَيْضاً إِلىٰ صُوَرِ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ ـ وَفِي الْمُقَدِّمَةِ الْإِنْسَانُ ـ تِلْكَ الصُّوَرِ الْمُفِيدَةِ كَثِيراً جِدّاً ، وَالْمُنْفَتِحَةِ مِنْ قَطَرَاتِ الْمَاءِ ، وَإِلىٰ سِيمَا أَزْهَارِ الرَّبِيعِ ، تِلْكَ السِّيمَا الْجَذَّابَةِ جِدّاً ، الْمُفَتَّحَةِ مِنْ حُبُوبِهَا وَذَرَّاتِهَا الصَّغِيرَةِ ، بِتَجَلِّيَاتِ اسْمَي الْفَتَّاحِ وَالْمُصَوِّرِ ؛ فَاشْهَدْ جَمَالَ الْفَتَّاحِيَّةِ وَالْمُصَوِّرِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، ذٰلِكَ الْجَمَالَ الْمُعْجِزَ . .

هٰذَا ، فَقِيَاساً عَلىٰ هٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ الْمَذْكُورَةِ ، يُوجَدُ جَمَالٌ قُدُسِيٌّ مَخْصُوصٌ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنىٰ ، تُزَيِّنُ جِلْوَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُ ، عَالَماً جَسِيماً ، وَنَوْعاً لَا حَدَّ لَهُ . فَكَمَا تَرىٰ جَمَالَ جِلْوَةِ اسْمٍ ، فِي زَهْرَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ فَإِنَّ الرَّبِيعَ زَهْرَةٌ أَيْضاً ؛ وَالْجَنَّةَ زَهْرَةٌ غَيْرُ مَشْهُودَةٍ أَيْضاً ؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَنْظُرَ إِلىٰ كُلِّ الرَّبِيعِ ؛ وَأَنْ تَرىٰ الْجَنَّةَ بِبَصَرِ الْإِيمَانِ ؛ فَانْظُرْ وَأَبْصِرْ ؛ وَافْهَمْ دَرَجَةَ حَشْمَةِ الْجَمَالِ السَّرْمَدِيِّ . فَإِنْ قَابَلْتَ ذٰلِكَ الْجَمَالَ ، بِحُسْنِ الْإِيمَانِ ، وَبِجَمَالِ الْعُبُودِيَّةِ ؛ تَصِيرُ مَخْلُوقاً جَمِيلاً جِدّاً . وَإِنْ قَابَلْتَ بِشَنَاعَةِ الضَّلَالَةِ بِلَا حَدٍّ ؛ وَاسْتَقْبَلْتَ بِقُبْحِ الْعِصْيَانِ الْمَنْفُورِ ؛ تَكُونُ أَقْبَحَ مَخْلُوقٍ ؛ مَعَ أَنَّكَ تَصِيرُ مَنْفُوراً مَعْنًى ، لِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ الْجَمِيلَةِ . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الْخَامِسَةُ :﴾ كَمَا أَنَّ شَخْصاً لَهُ مِئَاتٌ مِنَ الْآثَارِ وَالصَّنَائِعِ وَالْكَمَالَاتِ وَالْمَحَاسِنِ ، بَنىٰ قَصْراً خَارِقاً يُعَرِّفُ وَيُشَهِّرُ جَمِيعَ آثَارِهِ وَصَنَائِعِهِ وَكَمَالَاتِهِ وَمَحَاسِنِهِ الْخَفِيَّةِ ، بِقَاعِدَةِ : «أَنَّ كُلَّ أَثَرٍ ، يَقْتَضِي تَشْهِيرَهُ ؛ وَكُلَّ صَنْعَةٍ جَمِيلَةٍ ، تَقْتَضِي تَقْدِيرَهَا ؛ وَكُلَّ كَمَالٍ ، يُرِيدُ إِظْهَارَهُ ؛ وَكُلَّ جَمَالٍ ، يَطْلُبُ إِرَاءَتَهُ» ؛ فَكُلُّ مَنْ تَفَرَّجَ عَلىٰ ذٰلِكَ الْقَصْرِ الْمُعْجِزِ ، يَنْتَقِلُ مِنْهُ دَفْعَةً ، إِلىٰ آثَارِ صَانِعِهِ ، وَمَحَاسِنِ صَاحِبِهِ وَكَمَالَاتِهِ ؛ فَيَعْتَقِدُهَا وَيُصَدِّقُ بِهَا ؛ كَمَا يَرىٰ بِعَيْنِهِ ؛ وَيَقُولُ : إِنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ جَمِيلاً وَحَاذِقاً بِكُلِّ جِهَةٍ ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرَ مِثْلِ هٰذَا الْأَثَرِ الْجَمِيلِ بِكُلِّ جِهَةٍ ؛ وَأَنْ يَكُونَ مُوجِدَهُ وَمُخْتَرِعَهُ بِدُونِ تَقْلِيدٍ ؛ بَلْ يَحْكُمُ بِأَنَّ مَحَاسِنَهُ وَكَمَالَاتِهِ الْمَعْنَوِيَّةَ ، كَأَنَّهَا تَجَسَّمَتْ بِهٰذَا الْقَصْرِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ مَنْ شَاهَدَ مَحَاسِنَ هٰذَا الْقَصْرِ الْمُحْتَشِمِ وَمَشْهَرِ الْعَجَائِبِ ، مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا الْمَدْعُوَّةِ بِالْكَائِنَاتِ ؛ وَلَمْ يَكُنْ عَقْلُهُ رَمِيماً ، وَقَلْبُهُ فَاسِداً ، يَنْتَقِلُ

قَطْعاً إِلٰى أَنَّ هٰذَا الْقَصْرَ مِرْآةٌ ؛ فَتَزَيَّنَتْ هٰكَذَا ، لِإِظْهَارِ جَمَالِ غَيْرِهِ وَكَمَالِهِ . نَعَمْ : لَمَّا لَمْ يَكُنْ لِقَصْرِ الْعَالَمِ هٰذَا ، مِثْلٌ آخَرُ ، فَتُقْتَبَسَ مِنْهُ مَحَاسِنُهُ ؛ وَيُقَلَّدَ ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّ لِصَانِعِهِ مَحَاسِنَ لَائِقَةً بِهِ ، فِي ذَاتِهِ ، وَفِي أَسْمَائِهِ ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ فَتَقْتَبِسُ الْكَائِنَاتُ مِنْهَا ؛ وَصُنِعَتْ حَسَبَ ذٰلِكَ ؛ وَكُتِبَتْ مِثْلَ كِتَابٍ ، لِأَجْلِ إِفَادَتِهَا . .

﴿اَلْبُرْهَانُ الثَّالِثُ :﴾ لَهُ ثَلَاثُ نِكَاتٍ . .

(اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى :) هِيَ حَقِيقَةٌ بُيِّنَتْ فِي الْمَوْقِفِ الثَّالِثِ مِنَ «الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ» ، بِتَفْصِيلٍ جَمِيلٍ ، وَحُجَجٍ قَوِيَّةٍ لِلْغَايَةِ . فَنُحِيلُ تَفْصِيلَهَا عَلَيْهِ ؛ فَنَنْظُرُ إِلَيْهَا هُنَا بِإِشَارَةٍ مُخْتَصَرَةٍ . .

وَهِيَ : أَنَّنَا نَنْظُرُ إِلَى الْمَصْنُوعَاتِ ، خُصُوصاً إِلَى الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ ؛ فَنَرٰى أَنَّ تَزْيِيناً وَزَخْرَفَةً دَائِمَةً ، تُظْهِرُ الْقَصْدَ وَالْإِرَادَةَ ؛ وَتُعْلِمُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ ، وَتَنْظِيماً وَتَحْسِيناً غَيْرَ مُمْكِنٍ حَمْلُهُ عَلَى التَّصَادُفِ ، تَحَكُّمُ فِيهَا . وَكَذَا يُشَاهَدُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، صَنْعَةٌ رَقِيقَةٌ ، وَحِكْمَةٌ دَقِيقَةٌ ، وَزِينَةٌ عَالِيَةٌ ، وَتَرْبِيَةٌ مُشْفِقَةٌ ، وَكَيْفِيَّةٌ حُلْوَةٌ ، لِأَجْلِ تَقْدِيرِ صَنْعَتِهِ ، وَاجْتِلَابِ نَظَرِ الدِّقَّةِ ، وَإِرْضَاءِ مَصْنُوعَاتِهِ وَمُتَفَرِّجِيهِ ؛ فَيُفْهَمُ فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ : أَنَّ وَرَاءَ حِجَابِ الْغَيْبِ ، صَانِعاً يُرِيدُ إِعْلَامَ نَفْسِهِ وَتَعْرِيفَهَا ، لِذَوِي الشُّعُورِ ؛ فَيَطْلُبُ تَحَبُّبَ نَفْسِهِ ، وَتَمَدُّحَهَا ، وَالْإِثْنَاءَ عَلَيْهَا ، بِتَشْهِيرِ آثَارِهِ وَكَمَالَاتِهِ الْكَثِيرَةِ ، بِكُلِّ صَنْعَةٍ لَهُ . وَكَذَا يُحْسِنُ إِلَى الْمَخْلُوقَاتِ ذَوَاتِ الشُّعُورِ ، بِكُلِّ أَنْوَاعِ نِعَمِهِ اللَّذِيذَةِ الَّتِي تَكُونُ مِنْ حَيْثُ لَا يُحْتَسَبُ ، وَالَّتِي تَكُونُ إِحَالَتُهَا عَلَى التَّصَادُفِ ، فِي خَارِجِ الْإِمْكَانِ ، وَذٰلِكَ لِإِرْضَائِهَا وَتَفْرِيحِهَا ، وَتَصْيِيرِهَا أَحْبَاباً لَهُ . وَكَذَا تُشَاهَدُ مُعَامَلَةٌ وَمُعَارَفَةٌ كَرِيمَةٌ وَمَعْنَوِيَّةٌ ، وَمُكَالَمَةٌ صَدِيقَةٌ بِلِسَانِ الْحَالِ ، وَمُقَابَلَةٌ رَحِيمَةٌ لِدَعَوَاتِهَا ، تُشْعِرُ بِشَفَقَةٍ عَمِيقَةٍ ، وَرَحْمَةٍ رَفِيعَةٍ . فَإِذاً إِنَّ الْإِكْرَامَ بِالتَّلْذِيذِ وَالتَّنْعِيمِ ، الْمُشَاهَدِ وَرَاءَ كَيْفِيَّةِ هٰذَا التَّعَرُّفِ وَالتَّحَبُّبِ الظَّاهِرِ كَالشَّمْسِ ، يَنْبَعِثُ عَنْ إِرَادَةِ شَفَقَةٍ أَسَاسِيَّةٍ لِلْغَايَةِ ، وَعَنْ مَشِيئَةِ رَحْمَةٍ قَوِيَّةٍ لِلْغَايَةِ ؛ وَإِنَّ مِثْلَ هٰذِهِ الْإِرَادَةِ الْقَوِيَّةِ لِلشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ ، تُوجَدُ فِي مُسْتَغْنٍ مُطْلَقٍ لَيْسَ لَهُ احْتِيَاجٌ فِي أَيِّ جِهَةٍ أَصْلاً ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يُوجَدُ جَمَالٌ بِلَا مِثَالٍ ، وَحُسْنٌ أَزَلِيٌّ لَا يَزَالُ ، وَظَرَافَةٌ سَرْمَدِيَّةٌ فِي نِهَايَةِ الْكَمَالِ ، تُرِيدُ مُشَاهَدَةَ نَفْسِهَا ، وَإِرَاءَتَهَا فِي الْمَرَايَا ؛ وَيَكُونُ

التَّظَاهُرُ مُقْتَضَى مَاهِيَّتِهَا ؛ وَالتَّبَارُزُ شَأْنُ حَقِيقَتِهَا ، عَلَى كُلِّ حَالٍ ؛ فَدَخَلَ ذٰلِكَ الْجَمَالُ ، فِي صُورَةِ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ ، لِمُشَاهَدَةِ نَفْسِهِ وَإِرَاءَتِهَا فِي الْمَرَايَا الْمُخْتَلِفَةِ ؛ ثُمَّ اتَّخَذَ وَضْعَ الْإِنْعَامِ وَالْإِحْسَانِ ، فِي مَرَايَا ذَوِي الشُّعُورِ ؛ ثُمَّ تَلَبَّسَ بِكَيْفِيَّةِ التَّحَبُّبِ وَالتَّعَرُّفِ : ــ أَيْ تَحَبُّبِ نَفْسِهِ وَتَعَرُّفِهَا ــ ؛ ثُمَّ أَضَاءَ ضَوْءَ التَّزْيِينِ وَالتَّحْسِينِ لِلْمَصْنُوعَاتِ . .

﴿اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ أَنَّ عِشْقاً لَاهُوتِيّاً شَدِيداً ، وَمَحَبَّةً رَبَّانِيَّةً قَوِيَّةً ، مَوْجُودَيْنِ فِي صُورَةٍ أَسَاسِيَّةٍ لِلْغَايَةِ ، فِي نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، وَخُصُوصاً فِي طَبَقَتِهِ الْعَالِيَةِ ، فِي أَشْخَاصٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ ، وَمَسَالِكُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ ، يُشِيرَانِ بَلْ يَشْهَدَانِ لِجَمَالٍ بِلَا مِثْلٍ بِالْبَدَاهَةِ . نَعَمْ : إِنَّ مِثْلَ هٰذَا الْعِشْقِ ، يَنْظُرُ إِلَى جَمَالٍ كَذٰلِكَ ؛ وَيَقْتَضِيهِ ؛ وَإِنَّ مَحَبَّةً كَذٰلِكَ ، تَقْتَضِي حُسْناً هٰكَذَا ؛ بَلْ إِنَّ جَمِيعَ الْمَحَامِدِ وَالْأَثْنِيَةِ الَّتِي تُؤَدَّى بِلِسَانِ الْحَالِ ، وَلِسَانِ الْقَالِ ، فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، تَنْظُرُ إِلَى ذٰلِكَ الْحُسْنِ الْأَزَلِيِّ ؛ وَتُشِيرُ إِلَيْهِ ؛ بَلْ إِنَّ جَمِيعَ الِانْجِذَابَاتِ وَالْجَذَبَاتِ وَالْجَاذِبَاتِ وَالْحَقَائِقِ الْجَذَّابَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ، هِيَ فِي نَظَرِ بَعْضِ الْعُشَّاقِ مِثْلِ «الشَّمْسِ التَّبْرِيزِيِّ» ، إِشَارَاتٌ إِلَى حَقِيقَةٍ جَذَّابَةٍ أَزَلِيَّةٍ وَأَبَدِيَّةٍ ؛ وَإِنَّ الْحَرَكَاتِ وَالدَّوْرَاتِ الْجَاذِبَةَ ، الَّتِي أَنْهَضَتِ الْأَجْرَامَ وَالْمَوْجُودَاتِ إِلَى الرَّقْصِ وَالسَّمَاعِ ، مِثْلَ الْمَوْلَوِيِّ ، وَشِبْهَ الْفَرَاشِ ، هِيَ مُقَابَلَةٌ عَلَى وَجْهِ الْعِشْقِ وَالْوَظِيفَةِ ، تِجَاهَ تَظَاهُرَاتٍ حَاكِمَةٍ ، مِنْ تَظَاهُرَاتِ الْجَمَالِ الْقُدُسِيِّ ، جَمَالِ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْجَذَّابَةِ . .

﴿اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ أَنَّ الْوُجُودَ ، خَيْرٌ مَحْضٌ وَنُورٌ ؛ وَالْعَدَمَ ، شَرٌّ مَحْضٌ وَظُلْمَةٌ ، بِإِجْمَاعِ جَمِيعِ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ؛ وَأَنَّ أَعَاظِمَ أَهْلِ الْعَقْلِ وَأَهْلِ الْقَلْبِ ، اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ جَمِيعَ الْخَيْرَاتِ وَالْحَسَنَاتِ ، وَالْمَحَاسِنِ وَاللَّذَائِذِ ، تَنْشَأُ عَنِ الْوُجُودِ ، فِي نَتِيجَةِ التَّحْلِيلِ ؛ وَأَنَّ جَمِيعَ السَّيِّئَاتِ وَالشُّرُورِ ، وَالْمَصَائِبِ وَالْآلَامِ ، حَتَّى الْمَعَاصِي ، رَاجِعَةٌ إِلَى الْعَدَمِ . .

فَإِنْ قُلْتَ : إِذَا كَانَ مَنْبَعُ جَمِيعِ الْمَحَاسِنِ ، هُوَ الْوُجُودَ ؛ فَإِنَّ فِي الْوُجُودِ ، الْكُفْرَ وَالْأَنَانِيَّةَ النَّفْسِيَّةَ أَيْضاً . .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ الْكُفْرَ عَدَمٌ ؛ لِأَنَّهُ إِنْكَارٌ وَنَفْيٌ لِلْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ وَأَنَّ وُجُودَ الْأَنَانِيَّةِ ،

عَدَمٌ اتَّخَذَ صِبْغَةَ الْوُجُودِ وَصُورَتَهُ ؛ لِأَنَّهُ نَشَأَ عَنِ التَّمَلُّكِ الْبَاطِلِ ، وَعَدَمِ الْعِلْمِ بِمِرْآتِيَّتِهَا ، وَعَنِ الْعِلْمِ بِالْمَوْهُومِ مُحَقَّقاً . فَإِذَا كَانَ مَنْبَعُ جَمِيعِ الْمَحَاسِنِ ، هُوَ الْوُجُودَ ؛ وَمَعْدِنُ جَمِيعِ الْقَبَائِحِ ، هُوَ الْعَدَمَ ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّ وُجُوداً وَاجِباً ، وَوُجُوداً أَزَلِيّاً وَأَبَدِيّاً ، الَّذِي هُوَ أَقْوَى الْوُجُودِ وَأَسْمَاهُ وَأَبْعَدُهُ مِنَ الْعَدَمِ ، يَقْتَضِي جَمَالاً أَقْوَى وَأَعْلَى وَأَشْرَقَ وَأَبْعَدَ عَنِ النَّقْصِ ؛ بَلْ يُفِيدُ جَمَالاً كَذٰلِكَ ؛ بَلْ يَصِيرُ جَمَالاً كَذٰلِكَ . وَكَمَا يَلْزَمُ لِلشَّمْسِ ضِيَاءٌ مُحِيطٌ ؛ يَسْتَلْزِمُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ أَيْضاً ، جَمَالاً سَرْمَدِيّاً ؛ فَيُضِيءُ بِهِ . .

﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ﴾ . .

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِنْ نَسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞﴾ . .

﴿ إِخْطَارٌ : ﴾

إِنَّ تِسْعَ مَرَاتِبَ مِنْ مَرَاتِبِ الْآيَةِ الْحَسْبِيَّةِ النُّورِيَّةِ ، كَانَتْ تُكْتَبُ ؛ وَلٰكِنْ أُخِّرَتِ الْآنَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ ، بِنَاءً عَلَى بَعْضِ الْأَسْبَابِ . .

﴿ تَنْبِيهٌ : ﴾

إِنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» ، تَفْسِيرٌ بُرْهَانِيٌّ لِلْقُرْآنِ ، وَنَابِعٌ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ فَلِذٰلِكَ تُوجَدُ لَهَا أَيْضاً تَكْرَارَاتٌ لَازِمَةٌ وَحَكِيمَةٌ ، بَلْ ضَرُورِيَّةٌ وَذَاتُ مَصْلَحَةٍ ، كَتَكْرَارَاتِ الْقُرْآنِ ، ذَاتِ النُّكْتَةِ ، وَذَاتِ الْحِكْمَةِ ، وَاللَّازِمَةِ الَّتِي لَا تُمَلُّ . وَأَيْضاً إِنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» ، هِيَ دَلَائِلُ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ الَّتِي لَا تُمَلُّ ؛ وَتُكَرَّرُ دَائِماً عَلَى الْأَلْسِنَةِ بِالذَّوْقِ وَالشَّوْقِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ لَا تَكُونُ تَكْرَارَاتُهَا الضَّرُورِيَّةُ نَقْصاً ؛ وَلَا تُمَلُّ ؛ وَلَا بُدَّ أَنْ لَا تُمَلَّ . .(١)

---

(١) وَقَدْ أُدْرِجَ بَابُهَا السَّادِسُ الْمُؤَلَّفُ بِالْعَرَبِيَّةِ ، فِي «اللَّمْعَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ» الْعَرَبِيَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ يُدْرَجْ هٰهُنَا . . يَجُوزُ لِلنَّاشِرِينَ أَنْ يَنْشُرُوا ذٰلِكَ الْبَابَ ؛ لِيَكْمُلَ الشُّعَاعُ الرَّابِعُ . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (ﷺ) . .

اَلشُّعَاعُ الْخَامِسُ

لَقَدْ كَانَتْ عِشْرُونَ مَسْأَلَةً مِنْ «سَدِّ ذِي الْقَرْنَيْنِ ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ» ، وَسَائِرِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، الَّتِي بُحِثَ عَنْهَا فِي «الْمُحَاكَمَاتِ الْبَدِيعِيَّةِ» الْمَطْبُوعَةِ ، الْمُؤَلَّفَةِ قَبْلَ ثَلاثِينَ سَنَةً ، كُتِبَ بَعْضُ مُسَوَّدَتِهَا قَبْلَ ثَلاثَةَ عَشَرَ عَاماً[١] ، تَتِمَّةً لِتِلْكَ «الْمُحَاكَمَاتِ» ؛ فَبُيِّضَتْ لِأَجْلِ صَدِيقٍ عَزِيزٍ لِي ؛ فَصَارَتِ «الشُّعَاعَ الْخَامِسَ» ، لِلَّمْعَةِ الْحَادِيَةِ وَالثَّلاثِينَ ، مِنَ الْمَكْتُوبِ الْحَادِي وَالثَّلاثِينَ . .

﴿إِخْطَارٌ :﴾ فَلْتُقْرَأْ أَوَّلاً الْمَسَائِلُ الْآتِيَةُ مِنْ بَعْدِ الْمُقَدِّمَةِ ؛ لِيُفْهَمَ مَا فِي الْمُقَدِّمَةِ مِنَ الْمَقْصِدِ . .

(وَأَيْضاً إِنَّ إِرَاءَةَ مَسَائِلِ هٰذَا الشُّعَاعِ لِكُلِّ أَحَدٍ ، لَيْسَتْ جَائِزَةً ؛ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ ، لَيْسَ لِي إِذْنٌ بِنَشْرِهَا ، كَيْلا تُتَلَقَّى خَطَأً . .)[٢]

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا . . .﴾

نُكْتَةُ هٰذِهِ الْآيَةِ ، كُتِبَتْ لِوِقَايَةِ عَقِيدَةِ عَوَامِّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَحِفْظِهَا عَنِ الشُّبُهَاتِ ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ . . إِنَّ بَعْضَ الْأَحَادِيثِ الدَّائِرَةِ حَوْلَ الْحَادِثَاتِ الَّتِي تَقَعُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ،

---

(١) وَالْآنَ مَضَى أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِينَ عَاماً . . الْمُؤَلِّفُ ، (ﷺ) . .

(٢) وَبَعْدَ تَبْرِئَةِ مَحَاكِمَ عَدِيدَةٍ لِهٰذَا الشُّعَاعِ ، أَذِنَ الْإِمَامُ النُّورْسِيُّ (ﷺ) ، بِنَشْرِهِ . . الْمُتَرْجِمُ ، (ﷺ) . .

لَهَا مَعَانٍ غَامِضَةٌ ، مِثْلَ الْمُتَشَابِهَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ فَلا تُفَسَّرُ كَالْمُحْكَمَاتِ ؛ وَلا يَسْتَطِيعُ كُلُّ أَحَدٍ أَنْ يَعْلَمَهَا ؛ بَلْ تُؤَوَّلُ بَدَلاً عَنِ التَّفْسِيرِ . وَيُفْهَمُ تَأْوِيلُهَا ؛ وَيُعْلَمُ مَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْهَا ، بَعْدَ وُقُوعِهَا ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ؛ فَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ : ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ ؛ فَيُظْهِرُونَ تِلْكَ الْحَقَائِقَ الْخَفِيَّةَ . .

وَلِهٰذَا الشُّعَاعِ الْخَامِسِ ، مُقَدِّمَةٌ ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ مَسْأَلَةً . .

اَلْمُقَدِّمَةُ : خَمْسُ نِقَاطٍ . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الْأُولَى :﴾ أَنَّ الْإِيمَانَ وَالتَّكْلِيفَ ، امْتِحَانٌ وَتَجْرِبَةٌ وَمُسَابَقَةٌ ، فِي دَائِرَةِ الِاخْتِيَارِ ؛ فَلِذٰلِكَ لا تَكُونُ مَسَائِلُهُ النَّظَرِيَّةُ الْمَسْتُورَةُ الْغَامِضَةُ ، وَالْمُحْتَاجَةُ إِلَى التَّدْقِيقِ وَالتَّجْرِبَةِ ، بَدِيهِيَّةً قَطْعاً ؛ وَلا تَكُونُ ضَرُورِيَّةً فِي الدَّرَجَةِ الَّتِي يُصَدِّقُ بِهَا كُلُّ أَحَدٍ ، طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ؛ لِيَطْلَعَ آبَاءُ بَكْرٍ إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ ؛ وَيَهْوِيَ آبَاءُ جَهْلٍ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ . فَإِنْ لَمْ يَبْقَ الِاخْتِيَارُ ، لا يُمْكِنُ التَّكْلِيفُ . وَلِهٰذَا السِّرِّ وَالْحِكْمَةِ ، تُمْنَحُ الْمُعْجِزَاتُ مُتَخَلِّلَةً وَنَادِرَةً ؛ وَتَكُونُ عَلامَاتُ الْقِيَامَةِ ، وَأَشْرَاطُ السَّاعَةِ ، الَّتِي تُرَى بِالْعَيْنِ فِي دَارِ التَّكْلِيفِ ، مُغْلَقَةً وَمُؤَوَّلَةً مِثْلَ بَعْضِ الْمُتَشَابِهَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ وَلٰكِنَّ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ ، فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ ؛ فَيُجْبِرُ كُلَّ أَحَدٍ عَلَى التَّصْدِيقِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُسَدُّ بَابُ التَّوْبَةِ ؛ فَلا تُقْبَلُ التَّوْبَةُ وَالْإِيمَانُ بَعْدُ ؛ لِأَنَّ آبَاءَ بَكْرٍ يَتَسَاوَوْنَ مَعَ آبَاءِ جَهْلٍ ، فِي التَّصْدِيقِ ؛ حَتَّى إِنَّ نُزُولَ عِيسَى (عليه السلام) أَيْضاً ، وَكَوْنَهُ عِيسَى (عليه السلام) ، يُعْلَمُ بِدِقَّةِ نُورِ الْإِيمَانِ ؛ فَلا يَعْلَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ ؛ وَحَتَّى إِنَّ الْأَشْخَاصَ الْمُدْهِشَةَ مِثْلَ السُّفْيَانِيِّ وَالدَّجَّالِ أَنْفُسِهِمْ ، لا يَعْلَمُونَ أَنْفُسَهُمْ أَيْضاً . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ أَنَّ الْأُمُورَ الْغَيْبِيَّةَ الَّتِي يُخْبِرُ بِهَا لِلنَّبِيِّ (عليه الصلاة والسلام) ، يُخْبَرُ قِسْمٌ مِنْهَا بِالتَّفْصِيلِ ؛ فَلا يُتَصَرَّفُ فِي هٰذَا الْقِسْمِ أَصْلاً ؛ وَلا يَتَدَخَّلُ فِيهِ ، مِثْلَ مُحْكَمَاتِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ ؛ وَقِسْمٌ آخَرُ مِنْهَا يُعْلَمُ لَهُ بِالْإِجْمَالِ ؛ فَتُحَالُ تَفْصِيلاتُهُ وَتَصْوِيرَاتُهُ ، عَلَى اجْتِهَادِهِ ، كَالْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي الْحَوَادِثِ الْكَوْنِيَّةِ ، وَالْوَقَائِعِ الِاسْتِقْبَالِيَّةِ ، الَّتِي لا تَدْخُلُ فِي

الْإِيمَانِ . فَيُفَصِّلُ النَّبِيُّ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) فِي هٰذَا الْقِسْمِ ؛ وَيُصَوِّرُهُ مُوَافِقاً لِحِكْمَةِ سِرِّ التَّكْلِيفِ ، بِبَلَاغَتِهِ فِي صُورَةِ التَّمْثِيلَاتِ . فَمَثَلاً : سُمِعَ فِي صُحْبَةٍ مَّا ، دَوِيٌّ غَائِرٌ ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّ هٰذَا الدَّوِيَّ ، دَوِيُّ سُقُوطِ صَخْرَةٍ كَانَتْ تَتَدَحْرَجُ إِلٰى نَحْوِ جَهَنَّمَ ، مُنْذُ سَبْعِينَ عَاماً ؛ فَوَصَلَتْ فِي هٰذِهِ الدَّقِيقَةِ ، إِلٰى قَعْرِ جَهَنَّمَ . فَبَعْدَ خَمْسٍ أَوْ سِتِّ دَقَائِقَ مِنْ هٰذَا الْخَبَرِ الْغَرِيبِ ، جَاءَ وَاحِدٌ ؛ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّ فُلَاناً الْمُنَافِقَ ، الَّذِي كَانَ فِي سَبْعِينَ مِنْ عُمُرِهِ ، مَاتَ وَسَارَ إِلٰى جَهَنَّمَ ؛ فَأَظْهَرَ تَأْوِيلَ كَلَامِ النَّبِيِّ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، الْبَلِيغِ الْعَالِي . .

إِخْطَارٌ : إِنَّ الْأَحْدَاثَ الِاسْتِقْبَالِيَّةَ الْجُزْئِيَّةَ الَّتِي لَا تَدْخُلُ فِي الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ، لَا أَهَمِّيَّةَ لَهَا فِي نَظَرِ النُّبُوَّةِ . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ نُكْتَتَانِ . .

اَلْأُولٰى : أَنَّ بَعْضَ الْأَحَادِيثِ الْمَرْوِيَّةِ فِي صُورَةِ التَّشْبِيهَاتِ وَالتَّمْثِيلَاتِ ، يُتَلَقّٰى حَقِيقَةً ، فِي نَظَرِ الْعَوَامِّ ، بِمُرُورِ الزَّمَانِ ؛ فَلَا يَظْهَرُ مُطَابِقاً لِلْوَاقِعِ ؛ وَقَدْ كَانَتْ عَيْنُ الْحَقِيقَةِ وَاقِعَةً ؛ مَعَ أَنَّهُ لَا يُرٰى مُطَابَقَتُهُ لِلْوَاقِعِ . فَمَثَلاً : إِنَّ مَلَكَيْنِ بِاسْمِ الثَّوْرِ وَالْحُوتِ ، وَفِي مِثَالِهِمَا ، مِنْ حَمَلَةِ الْأَرْضِ ، كَحَمَلَةِ الْعَرْشِ ، تُصُوِّرَا ثَوْراً جِسْمِيّاً ، وَحُوتاً عَظِيماً جِدّاً . .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّ قِسْماً مِنَ الْأَحَادِيثِ ، وَرَدَ فِي نُقْطَةِ أَكْثَرِيَّةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، أَوْ فِي نُقْطَةِ نَظَرِ الْحُكُومَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، أَوْ مَرْكَزِ الْخِلَافَةِ ؛ مَعَ أَنَّهُ ظُنَّ شَامِلاً لِعُمُومِ أَهْلِ الدُّنْيَا ؛ وَقَدْ كَانَ خُصُوصِيّاً فِي جِهَةٍ مَّا ؛ مَعَ أَنَّهُ تُلُقِّيَ كُلِّيّاً وَعَامّاً . فَمَثَلاً : يُوجَدُ فِي الرِّوَايَةِ : ﴿أَنَّهُ سَيَأْتِي زَمَانٌ لَا يَبْقٰى مَنْ يَقُولُ : «اَللّٰهُ اَللّٰهُ»﴾ . يَعْنِي : تَنْسَدُّ بُيُوتُ الذِّكْرِ ؛ وَيُقْرَأُ الْأَذَانُ وَالْإِقَامَةُ ، بِالتُّرْكِيَّةِ . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الرَّابِعَةُ :﴾ كَمَا أَنَّ أُمُوراً غَيْبِيَّةً مِثْلَ الْأَجَلِ وَالْمَوْتِ ، تَبْقٰى مَكْتُومَةً بِجِهَةِ مَصَالِحَ وَحِكَمٍ كَثِيرَةٍ ؛ فَإِنَّ الْقِيَامَةَ أَيْضاً الَّتِي هِيَ سَكَرَاتُ الدُّنْيَا وَمَوْتُهَا ، وَأَجَلُ نَوْعِ الْبَشَرِ وَجِنْسِ الْحَيَوَانَاتِ وَوَفَاتُهَا ، اخْتَفَتْ لِمَصَالِحَ كَثِيرَةٍ . نَعَمْ : لَوْ كَانَ وَقْتُ الْأَجَلِ مُعَيَّناً ؛ لَكَانَ نِصْفُ الْعُمُرِ ، فِي الْغَفْلَةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ وَكَانَ بَعْدَ النِّصْفِ ، فِي الدَّهْشَةِ الْمُطْلَقَةِ ، بِإِلْقَائِهِ كُلَّ يَوْمٍ ،

قَدَماً أُخْرٰى ، نَحْوَ الْمِشْنَقِ ، لِيُصْلَبَ عَلَيْهِ ؛ فَيَفْسُدُ مُوَازَنَةُ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ ، عَلٰى وَجْهِ الْمَصْلَحَةِ وَالْحِكْمَةِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ : لَوْ تَعَيَّنَ وَقْتُ الْقِيَامَةِ الَّتِي هِيَ أَجَلُ الدُّنْيَا وَسَكَرَاتُهَا ؛ لَتَأَثَّرَتِ الْقُرُونُ الْأُولٰى وَالْوُسْطٰى قَلِيلاً جِدّاً ، عَنْ فِكْرِ الْآخِرَةِ ؛ وَلَأَصْبَحَتِ الْقُرُونُ الْأُخْرٰى ، فِي الدَّهْشَةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ فَمَا بَقِيَتْ لَذَّةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَقِيمَتُهَا ؛ وَلَا وُجِدَتْ أَهَمِّيَّةُ الْعُبُودِيَّةِ وَحِكْمَتُهَا ، عَلٰى وَجْهِ الْإِطَاعَةِ بِالِاخْتِيَارِ ، بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ . وَأَيْضاً إِنْ كَانَ مُعَيَّناً ، يَدْخُلُ بَعْضُ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ، فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ ؛ فَيُصَدِّقُهُ كُلُّ أَحَدٍ طَوْعاً وَكَرْهاً ؛ فَيَفْسُدُ سِرُّ التَّكْلِيفِ ، وَحِكْمَةُ الْإِيمَانِ الْمَعْقُودِ بِالِاخْتِيَارِ وَالْإِيمَانِ . .

هٰذَا ، فَلِأَجْلِ مَصَالِحَ كَثِيرَةٍ مِثْلِ هٰذِهِ ، بَقِيَتِ الْأُمُورُ الْغَيْبِيَّةُ مَكْتُومَةً ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يَتَفَكَّرُ كُلُّ أَحَدٍ ، فِي كُلِّ دَقِيقَةٍ ، فِي أَجَلِهِ وَفِي بَقَائِهِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ لِلدُّنْيَا وَلِآخِرَتِهِ ؛ كَمَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي كُلِّ عَصْرٍ أَيْضاً ، فِي قِيَامِ السَّاعَةِ وَفِي دَوَامِ الدُّنْيَا ؛ فَلِذٰلِكَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْعٰى لِلْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ ، فِي فَنَاءِ الدُّنْيَا ، وَلِعِمَارَةِ الدُّنْيَا ؛ كَأَنَّهُ لَا يَمُوتُ أَصْلاً . وَأَيْضاً لَوْ كَانَ وَقْتُ الْمَصَائِبِ مُعَيَّناً ؛ لَقَاسَى الْمَرْءُ الْمُصَابُ ، فِي انْتِظَارِ الْمُصِيبَةِ ، مُصِيبَةً مَعْنَوِيَّةً ، رُبَّمَا تَكُونُ أَزْيَدَ مِنْ عَشَرَةِ أَمْثَالِ تِلْكَ الْمُصِيبَةِ الْوَارِدَةِ ؛ فَبَقِيَتْ خَفِيَّةً وَمَسْتُورَةً ؛ كَيْلَا يُقَاسِيَهَا مِنْ ذٰلِكَ الِانْتِظَارِ . وَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَادِثَاتِ الْكَوْنِيَّةِ الْغَيْبِيَّةِ ، يُوجَدُ لَهَا أَمْثَالُ هٰذِهِ الْحِكَمِ ؛ فَلِذٰلِكَ حُذِرَ الْإِخْبَارُ عَنِ الْغَيْبِ . وَإِنَّ الْمُخْبِرِينَ أَيْضاً بِالْإِذْنِ الرَّبَّانِيِّ ، عَنِ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ ، مَا عَدَا الْحَقَائِقَ الْإِيمَانِيَّةَ ، وَمَا هُوَ مَدَارُ التَّكْلِيفِ ، أَخْبَرُوا عَنْهَا مَسْتُورَةً وَمَسْدُودَةً ، فِي صُورَةِ الْإِشَارَةِ فَقَطْ ؛ كَيْلَا يَعْصِيَ وَيُسِيءَ الْأَدَبَ ، أَمَامَ دُسْتُورِ : ﴿لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ ؛ حَتّٰى إِنَّ الْبَشَائِرَ وَالْأَخْبَارَ الْوَارِدَةَ فِي حَقِّ نَبِيِّنَا ، فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ أَيْضاً ، وَرَدَتْ مُغَطَّاةً وَمُخَبَّأَةً بِدَرَجَةٍ مَا ؛ فَأَوَّلَهَا بَعْضُ أَتْبَاعِ تِلْكَ الْكُتُبِ ؛ فَلَمْ يُؤْمِنُوا ؛ وَلٰكِنَّ الْإِخْبَارَ عَنِ الْمَسَائِلِ الدَّاخِلَةِ فِي الِاعْتِقَادِ الْإِيمَانِيِّ ، بِالتَّصْرِيحِ وَالتَّكْرَارِ ، وَالتَّبْلِيغَ لَهَا فِي صُورَةٍ وَاضِحَةٍ ، هُوَ مُقْتَضٰى حِكْمَةِ التَّكْلِيفِ ؛ فَلِذٰلِكَ أَخْبَرَ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ ، وَتَرْجُمَانُهُ ذُو الشَّأْنِ ، (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، عَنِ الْأُمُورِ الْأُخْرَوِيَّةِ تَفْصِيلاً ، وَعَنِ الْحَادِثَاتِ الِاسْتِقْبَالِيَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ إِجْمَالاً . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الْخَامِسَةُ :﴾ أَنَّ الْخَوَارِقَ الْعَائِدَةَ إِلٰى عَصْرِ كِلَا الدَّجَّالَيْنِ ، رُوِيَتْ بِالْبَحْثِ عَنْهُمَا وَبِمُنَاسَبَتِهِمَا ؛ فَلِذٰلِكَ تُلُقِّيَ وَتُوُهِّمَ أَنَّهَا سَتَصْدُرُ عَنْ شَخْصِهِمَا ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ أَصْبَحَتْ تِلْكَ الرِّوَايَةُ مُتَشَابِهَةً ؛ وَاخْتَفٰى مَعْنَاهَا ؛ وَذٰلِكَ مِثْلُ سَيْرِهِ بِالطَّائِرَةِ وَالْقِطَارِ مَثَلاً . وَكَذَا اشْتَهَرَ مَثَلاً : أَنَّ دَجَّالَ الْإِسْلَامِ حِينَمَا يَمُوتُ ، يَصِيحُ الشَّيْطَانُ الْخَادِمُ لَهُ ، عَلَى الدُّنْيَا كُلِّهَا ، فِي الصَّخْرَةِ الْمَاثِلَةِ فِي إِسْطَنْبُولَ ؛ وَيَسْمَعُ كُلُّ أَحَدٍ ذٰلِكَ الصَّوْتَ بِأَنَّهُ مَاتَ . يَعْنِي : أَنَّهُ يُنَادٰى وَيُذَاعُ بِالرَّادِيُو الَّذِي هُوَ عَجِيبٌ جِدّاً ؛ وَيَتْرُكُ الشَّيَاطِينَ أَيْضاً فِي الْحَيْرَةِ . وَكَذَا أَنَّ أَحْوَالَ الدَّجَّالِ الْغَرِيبَةَ ، وَإِجْرَاءَاتِهِ الرَّهِيبَةَ الْعَائِدَةَ إِلٰى نِظَامِهِ ، وَمَا يُشَكِّلُهُ مِنْ قِيَادَتِهِ وَحُكُومَتِهِ ، رُوِيَتْ مُتَنَاسِبَةً مَعَ شَخْصِهِ ؛ فَاخْتَفٰى مَعْنَاهَا ، بِتِلْكَ الْجِهَةِ . فَقَدْ رُوِيَ مَثَلاً : أَنَّهُ قَوِيٌّ ؛ وَأَنَّهُ يَدُومُ بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقْتُلَهُ إِلَّا عِيسٰى (عليه السلام) ؛ فَلَا تَصْلُحُ وَسِيلَةٌ أُخْرٰى . يَعْنِي : أَنَّ مَا يُحَطِّمُ مَسْلَكَهُ ؛ وَيَقْتُلُ نِظَامَهُ الْفَتَّاكَ ، إِنَّمَا هُوَ دِينٌ سَمَاوِيٌّ وَعُلْوِيٌّ خَالِصٌ ، سَيَظْهَرُ بَيْنَ الْعِيسَوِيِّينَ ؛ وَيَقْتَدِي بِالْحَقِيقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ وَيَتَّحِدُ مَعَهَا . فَهٰذَا الدِّينُ الْعِيسَوِيُّ ، هُوَ الَّذِي يَهْلِكُ بِهِ ذٰلِكَ الْمَسْلَكُ الْمُلْحِدُ ؛ وَيَمُوتُ بِنُزُولِ عِيسٰى (عليه السلام) ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ شَخْصَهُ يُمْكِنُ أَنْ يُقْتَلَ بِجُرْثُومَةٍ وَنَزْلَةٍ . وَأَيْضاً أَنَّ تَفْسِيرَ بَعْضِ الرُّوَاةِ ، وَحُكْمَهُمُ الْحَاصِلَ بِاجْتِهَادِهِمُ الْقَابِلِ لِلْخَطَإِ ، اخْتَلَطَ بِكَلِمَاتِ الْحَدِيثِ ؛ فَيُظَنُّ حَدِيثاً ؛ وَيَخْتَفِي الْمَعْنٰى ؛ فَلَا يُرٰى مُطَابَقَتُهُ لِلْوَاقِعِ ؛ فَيَصِيرُ فِي حُكْمِ الْمُتَشَابِهِ . وَأَيْضاً أَنَّ الشَّخْصَ الْمَعْنَوِيَّ لِلْجَمَاعَةِ وَالْجَمْعِيَّةِ ، لَمْ يَنْكَشِفْ فِي الزَّمَانِ الْقَدِيمِ ، مِثْلَ هٰذَا الزَّمَانِ ؛ وَكَانَ الْفِكْرُ الِانْفِرَادِيُّ غَالِباً فِيهِ ؛ فَلِذٰلِكَ كَانَتِ الصِّفَاتُ الْعَظِيمَةُ ، وَالْحَرَكَاتُ الْكَبِيرَةُ لِلْجَمَاعَةِ ، تُسْنَدُ إِلَى الْأَشْخَاصِ الْمَوْجُودَةِ فِي رِئَاسَةِ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ ؛ فَيَلْزَمُ بِتِلْكَ الْجِهَةِ ، أَنْ يُوجَدَ جِسْمٌ أُعْجُوبَةٌ ، وَهَيْكَلٌ مُدْهِشٌ ، وَقُوَّةٌ وَاقْتِدَارٌ خَارِقٌ جِدّاً ، أَعْظَمُ مِنْ جِسْمِهِ وَقُوَّتِهِ ، مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ لِتَكُونَ تِلْكَ الْأَشْخَاصُ لَائِقَةً وَمُوَافِقَةً بِصِفَاتٍ خَارِقَةٍ وَكُلِّيَّةٍ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ صُوِّرَ كَذٰلِكَ ؛ فَلَا يُرٰى مُطَابَقَتُهُ لِلْوَاقِعِ ؛ وَتَصِيرُ تِلْكَ الرِّوَايَةُ مُتَشَابِهَةً . وَأَيْضاً أَنَّ صِفَاتِ الدَّجَّالَيْنِ وَأَحْوَالَهُمَا مُخْتَلِفَةٌ ؛ مَعَ أَنَّهُ يَحْصُلُ الِالْتِبَاسُ فِي الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةِ مُطْلَقَةً ؛ فَيُظَنُّ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ . وَأَيْضاً أَنَّ أَحْوَالَ الْمَهْدِيِّ الْكَبِيرِ ، لَا تَظْهَرُ مُطَابِقَةً لِلرِّوَايَاتِ الْمُشِيرَةِ

إِلَى الْمَهْدِيِّينَ السَّابِقِينَ ؛ فَيَظَلُّ الْحَدِيثُ فِي حُكْمِ الْمُتَشَابِهِ.. إِنَّ الْإِمَامَ عَلِيّاً (رضي الله عنه) ، يَبْحَثُ عَنْ دَجَّالِ الْإِسْلَامِ فَقَطْ..

اِنْتَهَتِ الْمُقَدِّمَةُ ؛ فَنَبْدَأُ بِالْمَسَائِلِ..

فَالْآنَ يُبَيِّنُ بِالتَّوْفِيقِ الرَّبَّانِيِّ ، فِي صُورَةٍ مُخْتَصَرَةٍ لِلْغَايَةِ ، ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ مَسْأَلَةً ، أُشِيعَتْ بِفِكْرَةِ إِفْسَادِ عَقِيدَةِ الْعَوَامِّ ، مِنْ جَانِبِ الْمُلْحِدِينَ ، مِنْ مِئَاتِ أَمْثِلَةِ تِلْكَ الْحَادِثَاتِ الْغَيْبِيَّةِ. وَأَطْلُبُ مِنْ رَبِّيَ الرَّحِيمِ ، أَنْ يَتَّخِذَ خَطِيئَاتِي وَغَلَطَاتِي ، تَحْتَ الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ ، رَاجِياً مِنَ الرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، أَنْ تَصِيرَ تِلْكَ الْمَسَائِلُ ، سَبَباً مُهِمّاً لِتَقْوِيَةِ عَقِيدَةِ الْعَوَامِّ ، بِالْمُشَاهَدَةِ بِأَنَّ كُلّاً مِنْهَا ، لَمْعَةُ إِعْجَازٍ نَبَوِيٍّ ، وَبِإِثْبَاتِ وَإِظْهَارِ تَأْوِيلِهَا الْحَقِيقِيِّ ، مَعَ عَدَمِ إِيرَاثِ الضَّرَرِ ؛ كَمَا يَتَوَهَّمُ الْمُلْحِدُونَ..

مَسَائِلُ الشُّعَاعِ الْخَامِسِ ، وَمَقَامُهُ الثَّانِي(١) :

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولَى :﴾ يُوجَدُ فِي الرِّوَايَةِ : ﴿أَنَّهُ تَنْقَبُ يَدُ السُّفْيَانِيِّ الَّذِي هُوَ مِنْ أَشْخَاصِ آخِرِ الزَّمَانِ الْمُهِمِّينَ﴾ ..

---

(١) إِنَّ حَادِثَةً ظَهَرَتْ بَعْدَ فَتْرَةٍ مِنْ كِتَابَةِ الْمَسْأَلَةِ الْأُولَى الَّتِي سَتَأْتِي فِي الْأَسْفَلِ ، أَظْهَرَتْ تَأْوِيلَهَا التَّامَّ. وَذَلِكَ : أَنَّهُ قِيلَ فِي الْحَدِيثِ : ﴿إِنَّ ذَلِكَ السُّفْيَانِيَّ يَشْرَبُ مَاءً ؛ فَتَنْقَبُ يَدُهُ﴾. يَعْنِي : أَنَّهُ يَشْرَبُ الْخَمْرَ الَّتِي هِيَ نَوْعٌ مِنَ الْمَاءِ ، يَشْرَبُهَا كَثِيراً مِثْلَ الْمَاءِ ؛ وَيَصِيرُ بَطْنُهُ كَشَنِّ الْمَاءِ ، مِنْ ذَلِكَ السَّبَبِ ؛ وَيَسِيلُ الْمَالُ بِالْمَلَايِينِ ، الَّذِي جَمَعَهُ بِالظُّلْمِ وَالْحِيلَةِ ، مِنْ يَدِهِ كَالْمَاءِ ؛ فَيَدْخُلُ فِي حَنَاجِرِ الْأَطِبَّاءِ الْأَجَانِبِ ، مِنْ أَجْلِ مَرَضِهِ ذَلِكَ.. لَقَدْ شُوهِدَ فِي عَصْرِنَا إِنْسَانٌ صَرَفَ بِغَايَةِ الْإِسْرَافِ لِمُعَالَجَتِهِ ، مَا يَقْرُبُ مِنْ ثَلَاثَةِ مَلَايِينِ لِيرَةٍ ، فِي ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ ــ نَظَراً إِلَى مَسْمُوعَاتِي ــ ؛ فَقَالَ بِلِسَانِ حَالِ حَيَاتِهِ : «اِشْهَدُوا فِيَّ ، تَأْوِيلَ هَذَا الْحَدِيثِ» ؛ وَأَعْلَمَ بِوَفَاتِهِ : أَنَّ الْكَلَامَ الْقُدْسِيَّ ، وَهُوَ : ﴿أَنَّهُ يَشْرَبُ مَاءً ؛ فَتَنْقَبُ يَدُهُ﴾ ، كَمْ كَانَ ذَا مَغْزًى وَمُعْجِزاً ، وَعَالِياً وَجَامِعاً ؟. فَارْتَحَلَ.. الْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه)..

اَللّٰهُ أَعْلَمُ : أَنَّ تَأْوِيلاً مَّا لِهٰذِهِ ، هُوَ : أَنَّ الْمَالَ لَا يَلْبَثُ فِي يَدِهِ ؛ فَيَسِيلُ إِلَى الْإِسْرَافَاتِ ، لِأَجْلِ السَّفَاهَاتِ وَاللَّهْوِيَّاتِ ؛ يُقَالُ فِي ضَرْبِ الْمَثَلِ : «يَدُ فُلَانٍ مَثْقُوبَةٌ» ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ مُسْرِفٌ جِدّاً . هٰذَا ، فَيُذَكِّرُ هٰذَا الْحَدِيثُ : بِأَنَّ السُّفْيَانِيَّ يُوقِظُ حِرْصاً وَطَمَعاً شَدِيداً(١) بِالتَّحْرِيضِ عَلَى الْإِسْرَافِ ؛ فَيَقْبِضُ عَلَى أَعْصَابِ النَّاسِ الضَّعِيفَةِ ؛ فَيُسَخِّرُهُ لِنَفْسِهِ ؛ وَيُخْبِرُ بِأَنَّ الْمُسْرِفَ يَصِيرُ أَسِيراً لَهُ ؛ فَيَقَعُ فِي فَخِّهِ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ يُوجَدُ فِي الرِّوَايَةِ : ﴿أَنَّ شَخْصاً رَهِيباً مِنْ أَشْخَاصِ آخِرِ الزَّمَانِ ، يُصْبِحُ ؛ فَيُوجَدُ فِي جَبْهَتِهِ «هٰذَا كَافِرٌ» ، مَكْتُوباً﴾ . .

اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ : أَنَّ تَأْوِيلَ هٰذِهِ ، هُوَ : أَنَّ ذٰلِكَ السُّفْيَانِيَّ يَضَعُ قَلَنْسُوَةَ الْإِفْرِنْجِ ، عَلَى رَأْسِهِ هُوَ ؛ وَيُجْبِرُ كُلَّ أَحَدٍ عَلَى لُبْسِهَا ؛ وَلٰكِنَّهَا تُعَمَّمُ بِالْجَبْرِ وَالْقَانُونِ ؛ فَلِذٰلِكَ تَهْتَدِي تِلْكَ الْقَلَنْسُوَةُ أَيْضاً ، إِنْ شَاءَ اللّٰهُ ، لِهُوِيِّهَا إِلَى السُّجُودِ ؛ فَلَا يَكْفُرُ كُلُّ أَحَدٍ بِلُبْسِهَا مُكْرَهاً فَقَطْ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ يُوجَدُ فِي الرِّوَايَةِ : ﴿أَنَّ لِحُكَّامِ آخِرِ الزَّمَانِ الْمُسْتَبِدِّينَ ، وَلِلدَّجَّالِ خُصُوصاً ، جَنَّةً وَجَهَنَّماً كَاذِبَتَيْنِ﴾ . .

اَلْعِلْمُ عِنْدَ اللّٰهِ : أَنَّ تَأْوِيلاً مَّا لِهٰذِهِ ، هُوَ : أَنَّهَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ السِّجْنَ وَالْمَدْرَسَةَ الثَّانَوِيَّةَ ، الْمُؤَسَّسَتَيْنِ الْمُتَقَابِلَتَيْنِ فِي دَائِرَةِ الْحُكُومَةِ ، وَالْكَائِنَتَيْنِ فِي وَضْعٍ تَنْظُرُ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرٰى ، تَتَمَثَّلُ إِحْدَاهُمَا ، فِي صُورَةِ تَمْثِيلٍ مُسْتَهْجَنٍ ، لِلْحُورِ وَالْغِلْمَانِ ؛ وَالْأُخْرٰى فِي صُورَةِ الْعَذَابِ وَالزَّنْزَانِ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ :﴾ يُوجَدُ فِي الرِّوَايَةِ : ﴿أَنَّهُ لَا يَبْقٰى فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، مَنْ يَقُولُ : «اَللّٰهُ ، اَللّٰهُ»﴾ . .

---

(١) نَعَمْ : إِنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ أَسَالَ فِي حُنْجُورِهِ ، بِالْحِرْصِ وَالطَّمَعِ ، سَبْعَةَ عَشَرَ مِلْيُونَ لِيْرَةٍ ، فِي خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ مِلْيُوناً مِنْ شَعْبٍ فَقِيرٍ . فَلْيُقَسْ عَلَيْهِ ، مَدٰى دَرَجَةِ تَهْيِيجِهِ الْحِرْصَ وَالطَّمَعَ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

لا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ : لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلٌ مّا لِهٰذِهِ ، هُوَ : أَنَّ التَّكايا وَبُيُوتَ الذِّكْرِ وَالْمَدارِسَ الَّتِي تَذْكُرُ قائِلَةً : «اَللّٰهُ اَللّٰهُ اَللّٰهُ» ، تَنْسَدُّ ؛ وَأَنَّ اسْماً آخَرَ ، يُوضَعُ مَوْضِعَ اسْمِ (اللّٰهِ) فِي شَعائِرَ مِثْلِ الْأَذانِ وَالْإِقامَةِ. وَإِلّا فَلَيْسَ الْمُرادُ أَنَّ جَمِيعَ النّاسِ يَقَعُونَ فِي الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ ؛ لِأَنَّ إِنْكارَ اللهِ بَعِيدٌ عَنِ الْعَقْلِ ، بِقَدَرِ إِنْكارِ الْكائِناتِ ؛ وَلا يَقْبَلُ الْعَقْلُ وُقُوعَهُ فِي الْجَمِيعِ ، بَلْ وَفِي أَكْثَرِ النّاسِ أَيْضاً . فَإِنَّ الْكُفّارَ لا يُنْكِرُونَ اللهَ ؛ وَإِنَّما يُخْطِئُونَ فِي صِفاتِهِ . .

وَتَأْوِيلٌ آخَرُ لَهُ ، هُوَ : أَنَّ أَرْواحَ الْمُؤْمِنِينَ تُقْبَضُ أَوَّلاً بِقَلِيلٍ ؛ لِئَلّا يُشاهِدُوا دَهْشَةَ قِيامِ السّاعَةِ ؛ فَتَنْفَجِرُ الْقِيامَةُ عَلٰى رُؤُوسِ الْكُفّارِ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الْخامِسَةُ :﴾ يُوجَدُ فِي الرِّوايَةِ : ﴿أَنَّ بَعْضَ أَشْخاصٍ مِثْلِ الدَّجّالِ ، يَدَّعُونَ الْأُلُوهِيَّةَ ؛ وَيَسْتَسْجِدُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ، فِي آخِرِ الزَّمانِ﴾ . .

اَللهُ أَعْلَمُ : أَنَّ تَأْوِيلاً مّا لِهٰذِهِ ، هُوَ : كَما أَنَّ قائِداً بَدَوِيّاً مُنْكِراً لِلسُّلْطانِ ، يَتَصَوَّرُ فِي نَفْسِهِ وَفِي قادَةٍ آخَرِينَ ، سُلْطَةً صَغِيرَةً ، فِي النِّسْبَةِ لِحاكِمِيَّتِهِمْ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ أُولائِكَ الْأَشْخاصَ الَّذِينَ يَرْأَسُونَ مَذْهَبَ الطَّبِيعِيِّينَ وَالْمادِّيِّينَ ، يَتَخَيَّلُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ، نَوْعاً مّا مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ ، فِي النِّسْبَةِ لِقُوَّتِهِمْ ؛ فَيُخْضِعُونَ رَعاياهُمْ ؛ وَيَسْتَرْكِعُونَهُمْ عَلٰى وَجْهِ الْعُبُودِيَّةِ ، لِأَنْفُسِهِمْ وَلِتَماثِيلِهِمْ ، لِأَجْلِ قُوَّتِهِمْ . هٰذا هُوَ الْمُرادُ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ السّادِسَةُ :﴾ يُوجَدُ فِي الرِّوايَةِ : ﴿أَنَّ فِتْنَةَ آخِرِ الزَّمانِ مُدْهِشَةٌ ، بِحَيْثُ لا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ حاكِماً لِنَفْسِهِ﴾ . فَلِهٰذا اسْتَعاذَتْ جَمِيعُ الْأُمَّةِ عَنْ تِلْكَ الْفِتْنَةِ ، بِالْأَمْرِ النَّبَوِيِّ ؛ وَصارَتِ الِاسْتِعاذَةُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجّالِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ آخِرِ الزَّمانِ ، بَعْدَ عَذابِ الْقَبْرِ ، وِرْدَ الْأُمَّةِ ، فِي غُضُونِ ثَلاثِمِئَةٍ وَأَلْفِ سَنَةٍ . .

اَللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوابِ : أَنَّ تَأْوِيلاً مّا لِهٰذِهِ ، هُوَ : أَنَّ تِلْكَ الْفِتَنَ تَجْذِبُ النُّفُوسَ إِلٰى نَفْسِها ؛ فَتَفْتِنُها بِها ؛ فَيَرْتَكِبُها النّاسُ بِاخْتِيارِهِمْ ، بَلْ بِالذَّوْقِ . فَفِي رُوسِيّا مَثَلاً ، تَدْخُلُ النِّساءُ وَالرِّجالُ الْحَمّاماتِ ، مَعاً عُراةً . فَالْمَرْأَةُ مَيّالَةٌ جِدّاً لِإِظْهارِ مَحاسِنِها فِطْرِيّاً ؛ فَتُلْقِي فِي تِلْكَ الْفِتْنَةِ عَلٰى

حُبِّهَا ؛ وَتَفْقِدُ وَعْيَهَا . وَإِنَّ الرِّجَالَ أَيْضاً الَّذِينَ هُمْ عُشَّاقُ الْجَمَالِ فِطْرَةً ، يُغْلَبُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ؛ فَيَسْقُطُونَ فِي تِلْكَ النَّارِ ؛ وَيَحْتَرِقُونَ فِيهَا بِسُرُورٍ سُكْرِيٍّ . هٰذَا ، فَلَهْوِيَّاتُ ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، وَكَبَائِرُهُ وَبِدَعُهُ ، مِثْلُ الرَّقْصِ وَالتَّمْثِيلِ ، تَجْمَعُ عُبَّادَ النَّفْسِ حَوْلَهَا مِثْلَ الْفَرَاشِ ؛ وَتَغْشَاهُمْ بِبَعْضِ الْجَاذِبِيَّاتِ . وَإِلَّا فَإِنْ كَانَ بِالْجَبْرِ الْمُطْلَقِ ؛ فَلَا يَبْقَى الاِخْتِيَارُ ؛ وَلَا يَحْصُلُ الذَّنْبُ أَيْضاً . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ :﴾ يُوجَدُ فِي الرِّوَايَةِ : ﴿أَنَّ السُّفْيَانِيَّ سَيَكُونُ عَالِماً كَبِيراً ؛ فَيَقَعُ فِي الضَّلَالَةِ بِالْعِلْمِ ؛ وَيَتْبَعُهُ كَثِيرُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ﴾ . .

وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ : أَنَّ تَأْوِيلاً مَّا لِهٰذِهِ ، هُوَ : أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ وَسَائِطُ السَّلْطَنَةِ ، كَالْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ ، أَوِ الْقَبِيلَةِ وَالْعَشِيرَةِ ، أَوِ الْجُرْأَةِ وَالثَّرْوَةِ ، مِثْلَ سَائِرِ السَّلَاطِينِ ؛ مَعَ أَنَّهُ يَفُوزُ بِذٰلِكَ الْمَوْقِعِ ، بِذَكَائِهِ وَفَنِّهِ وَعِلْمِهِ السِّيَاسِيِّ ؛ وَيُسَخِّرُ بِعَقْلِهِ ، عُقُولَ الْكَثِيرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ ؛ فَيَجْعَلُهُمْ أَهْلَ الْفَتْوَى حَوْلَهُ ؛ وَيَجْعَلُ كَثِيرِينَ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ مُوَالِينَ لِنَفْسِهِ ؛ وَيَتَّخِذُ الْمَعَارِفَ الْمُتَجَرِّدَةَ عَنْ دُرُوسِ الدِّينِ رَائِداً ؛ فَيَسْعٰى بِالشِّدَّةِ لِتَعْمِيمِهَا . هٰذَا هُوَ الْمُرَادُ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ :﴾ أَنَّ الرِّوَايَاتِ تَدُلُّ عَلَى ﴿أَنَّ فِتْنَةَ الدَّجَّالِ الْمُدْهِشَةَ ، سَتَكُونُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَلِذَا اسْتَعَاذَتِ الْأُمَّةُ مِنْهَا﴾ . .

لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ : أَنَّ تَأْوِيلاً مَّا لِهٰذِهِ ، هُوَ : أَنَّ دَجَّالَ الْإِسْلَامِيِّينَ ، غَيْرُهُ . حَتَّىٰ إِنَّ قِسْماً مِنْ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ، قَالُوا كَمَا قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ (رضي الله عنه) : إِنَّ دَجَّالَهُمْ هُوَ السُّفْيَانِيُّ ؛ فَيَظْهَرُ بَيْنَ الْإِسْلَامِيِّينَ ؛ وَيُؤَدِّي الْعَمَلَ بِالْخُدْعَةِ ؛ وَإِنَّ دَجَّالَ الْكُفَّارِ الْكَبِيرَ ، هُوَ غَيْرُهُ . وَإِلَّا فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُطِعْ تِجَاهَ جَبْرِ الدَّجَّالِ الْكَبِيرِ ، وَجَبَرُوتِهِ الْمُطْلَقَةِ ، يُصْبِحُ شَهِيداً ؛ وَمَنْ أَطَاعَهُ مُكْرَهاً ، لَا يَصِيرُ كَافِراً ؛ بَلْ وَلَا يَصِيرُ مُذْنِباً أَيْضاً . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ :﴾ ﴿صُوِّرَتِ الْوَقَائِعُ السُّفْيَانِيَّةُ ، وَالْحَادِثَاتُ الاِسْتِقْبَالِيَّةُ ، فِي الرِّوَايَاتِ ، حَوْلَ الشَّامِ ، وَفِي بِلَادِ الْعَرَبِ﴾ . .

اَللهُ أَعْلَمُ : أَنَّ تَأْوِيلاً مَّا لِهٰذِهِ ، هُوَ : أَنَّ مَرْكَزَ الْخِلافَةِ كَانَ فِي الْعِرَاقِ وَالشَّامِ ، وَفِي الْمَدِينَةِ ، فِي الزَّمَانِ الْقَدِيمِ ؛ فَلِذٰلِكَ شَرَحَهَا الرُّوَاةُ بِاجْتِهَادِهِمْ ؛ كَأَنَّهُ سَيَبْقَى كَذٰلِكَ دَائماً ؛ فَصَوَّرُوهَا فِي جِوَارِ مَرْكَزِ الْحُكُومَةِ الإِسْلامِيَّةِ ؛ فَذَكَرُوا حَلَباً وَالشَّامَ ؛ فَفَصَّلُوا بِاجْتِهَادِهِمْ ، أَخْبَارَ الْحَدِيثِ الْمُجْمَلَةَ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الْعَاشِرَةُ :﴾ بُحِثَ فِي الرِّوَايَاتِ : ﴿عَنِ اقْتِدَارِ أَشْخَاصِ آخِرِ الزَّمَانِ ، اقْتِدَاراً فَوْقَ الْعَادَةِ﴾ . .

وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ : أَنَّ تَأْوِيلَ هٰذِهِ ، هُوَ : أَنَّهَا كِنَايَةٌ عَنْ عَظَمَةِ الشَّخْصِيَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي تُمَثِّلُهَا أُولائِكَ الأَشْخَاصُ . فَكَمَا أَنَّ صُورَةَ الْقَائِدِ الأَعْلَى الْيَابَانِيِّ الَّذِي غَلَبَ عَلَى رُوسِيَّا فِي زَمَنٍ مَّا ، صُوِّرَتْ حَيْثُ كَانَتْ إِحْدَى رِجْلَيْهِ ، فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ ؛ وَرِجْلُهُ الأُخْرَى ، عَلَى قَلْعَةِ «پُورْتَ – آرْتُور» ؛ فَإِنَّ الْعَظَمَةَ الْهَائِلَةَ لِلشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ ، تُصَوِّرُ فِي مُمَثِّلِ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةِ ، وَفِي تَمَاثِيلِ ذٰلِكَ الْمُمَثِّلِ الْعَظِيمَةِ . وَأَمَّا اقْتِدَارُهُمُ الْفَائِقُ عَلَى الْعَادَةِ : فَإِنَّ أَكْثَرَ إِجْرَاءَاتِهِمْ ، هِيَ التَّخْرِيبَاتُ وَالْمُشْتَهَيَاتُ ؛ فَلِذٰلِكَ يَتَظَاهَرُ اقْتِدَارٌ فَوْقَ الْعَادَةِ ؛ لِأَنَّ التَّخْرِيبَ سَهْلٌ ؛ فَإِنَّ ثِقَاباً مَّا يُحْرِقُ قَرْيَةً . وَأَمَّا الْمُشْتَهَيَاتُ ، فَإِنَّ النُّفُوسَ مَائِلَةٌ إِلَيْهَا ؛ فَلِذٰلِكَ تَسْرِي إِلَيْهَا فَوْراً . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ :﴾ يُوجَدُ فِي الرِّوَايَةِ : ﴿أَنَّ رَجُلاً وَاحِداً يَتَكَفَّلُ أَرْبَعِينَ امْرَأَةً ، فِي آخِرِ الزَّمَانِ﴾ . .

اَللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ : أَنَّ لِهٰذِهِ تَأْوِيلَيْنِ . .

أَحَدُهُمَا : أَنَّ النِّكَاحَ الْمَشْرُوعَ يَنْدُرُ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ؛ أَوْ يَزُولُ كَمَا فِي رُوسِيَّا . فَيَهْرُبُ عَنْ الارْتِبَاطِ بِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ فَيَصِيرُ رَاعِياً لِأَرْبَعِينَ امْرَأَةً شَقِيَّةً بَقِيَتْ مُطْلَقَةً . .

وَتَأْوِيلُهَا الثَّانِي : أَنَّهَا كِنَايَةٌ عَنْ تَلَفِ أَكْثَرِ الرِّجَالِ فِي الْحُرُوبِ ، وَعَنْ وُجُودِ أَكْثَرِ التَّوَلُّدَاتِ بَنَاتٍ ، بِنَاءً عَلَى حِكْمَةٍ مَّا ، فِي زَمَانِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ ؛ بَلْ إِنَّ حُرِّيَّةَ النِّسْوَانِ ، وَتَحَرُّرَهُنَّ التَّامَّ ، يُشْعِلُ شَهْوَةَ الأُنُوثَةِ بِشِدَّةٍ ؛ فَلِذٰلِكَ تَغْلِبُ زَوْجَهَا فِطْرَةً ؛ فَتُسَبِّبُ لِاجْتِلابِ الْوَلَدِ ،

إِلىٰ صُورَتِهَا هِيَ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ تَكْثُرُ الْبَنَاتُ جِدّاً ، بِالْأَمْرِ الْإِلٰهِيِّ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ :﴾ يُوجَدُ فِي الرِّوَايَاتِ : ﴿أَنَّ يَوْمَ الدَّجَّالِ الْأَوَّلَ سَنَةٌ ؛ وَيَوْمَهُ الثَّانِيَ شَهْرٌ ؛ وَيَوْمَهُ الثَّالِثَ أُسْبُوعٌ ؛ وَيَوْمَهُ الرَّابِعَ يَوْمٌ وَاحِدٌ﴾ . .

لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ : أَنَّ لِهٰذِهِ تَأْوِيلَيْنِ . .

أَحَدُهُمَا : أَنَّهَا كِنَايَةٌ وَإِشَارَةٌ إِلىٰ أَنَّ الدَّجَّالَ الْكَبِيرَ ، سَيَظْهَرُ فِي نَاحِيَةِ الشِّمَالِ ، وَفِي دَائِرَةِ الْقُطْبِ الشِّمَالِيِّ ؛ لِأَنَّ مَجْمُوعَ السَّنَةِ فِي مَوْقِعِ الْقُطْبِ الشِّمَالِيِّ ، لَيْلَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَيَوْمٌ وَاحِدٌ ؛ فَإِنْ سِيرَ إِلَى هٰذَا الْجَانِبِ بِالْقِطَارِ يَوْماً وَاحِداً ، لَا تَغْرُبُ الشَّمْسُ دَائِماً شَهْراً وَاحِداً ، فِي فَصْلِ الصَّيْفِ ؛ وَإِنْ سِيرَ بِالسَّيَّارَةِ يَوْماً آخَرَ ، تُرَى الشَّمْسُ دَائِماً فِي أُسْبُوعٍ . ـ فَكُنْتُ قَرِيباً مِنْ هٰذَا الْمَوْقِعِ ، فِي أَسَارَتِي بِرُوسِيَا . ـ فَإِذاً إِنَّهَا إِخْبَارٌ مُعْجِزٌ بِأَنَّ الدَّجَّالَ الْكَبِيرَ يَعْتَدِي مِنَ الشِّمَالِ ، عَلَى هٰذِهِ النَّاحِيَةِ . .

أَمَّا تَأْوِيلُهَا الثَّانِي ، فَهُوَ : أَنَّهُ تُوجَدُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ بِمَعْنىٰ ثَلَاثَةِ أَدْوَارٍ ، لِاسْتِبْدَادِ الدَّجَّالِ الْكَبِيرِ ، وَدَجَّالِ الْإِسْلَامِ . فَفِي يَوْمِهِ الْأَوَّلِ ـ أَيِ الدَّوْرَةِ الْأُولىٰ لِحُكُومَتِهِ ـ يَفْعَلُ إِجْرَاءَاتٍ عَظِيمَةً لَا تُفْعَلُ فِي ثَلَاثِمِئَةِ سَنَةٍ . وَيَوْمُهُ الثَّانِي ـ أَيْ دَوْرَتُهُ الثَّانِيَةُ ـ يُجْرِي فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، أَعْمَالاً لَا تُعْمَلُ فِي ثَلَاثِينَ عَاماً . وَيَوْمُهُ الثَّالِثُ ، وَدَوْرَتُهُ الثَّالِثَةُ ، لَا يُفْعَلُ فِي عَشْرِ سَنَوَاتٍ ، مَا يَفْعَلُهُ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، مِنَ التَّبْدِيلَاتِ . وَيَوْمُهُ الرَّابِعُ ، وَدَوْرَتُهُ الرَّابِعَةُ ، تُصْبِحُ عَادِيَّةً ؛ فَلَا يَفْعَلُ شَيْئاً ؛ وَإِنَّمَا يَسْعىٰ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَى الْوَضْعِ . هٰكَذَا أَخْبَرَ أُمَّتَهُ بِبَلَاغَةٍ عَالِيَةٍ لِلْغَايَةِ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ :﴾ يُوجَدُ فِي الرِّوَايَةِ الْقَطْعِيَّةِ وَالصَّحِيحَةِ : ﴿أَنَّ عِيسىٰ (عليه السلام) ، يَقْتُلُ الدَّجَّالَ الْكَبِيرَ﴾ . .

وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ : أَنَّ لِهٰذِهِ وَجْهَيْنِ أَيْضاً . .

فَأَحَدُ وَجْهَيْهَا ، هُوَ : أَنَّ ذٰلِكَ الدَّجَّالَ الْمُدْهِشَ الَّذِي يَحْفَظُ نَفْسَهُ ؛ وَيُسَخِّرُ كُلَّ أَحَدٍ ، بِخَوَارِقِهِ الِاسْتِدْرَاجِيَّةِ ، مِثْلِ السِّحْرِ وَالْمَغْنَاطِيسِيَّةِ وَالسِّبِرْطِيسِيَّةِ ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقْتُلَهُ إِلَّا الَّذِي

يَكُونُ شَخْصاً خارِقاً وَمُعْجِزاً وَمَقْبُولَ الْعُمُومِ. وَذٰلِكَ الشَّخْصُ هُوَ عِيسٰى (عليه السلام)، الَّذي هُوَ نَبِيُّ أَكْثَرِ النّاسِ، وَأَزْيَدُهُمْ صِلَةً بِهِ..

وَوَجْهُها الثّاني، هُوَ: أَنَّ الَّذينَ يَقْتُلُونَ التِّمْثالَ الْعَظيمَ، وَالشَّخْصَ الْمَعْنَوِيَّ، لِلزَّنْدَقَةِ وَالْمادِّيَّةِ الْمُدْهِشَةِ، الَّتي شَكَّلَها شَخْصُ الدَّجّالِ، الْمَقْتُولِ بِسَيْفِ شَخْصِ عيسٰى (عليه السلام)؛ وَيَمْسَحُونَ فِكْرَهُ الْكُفْرِيَّ الَّذي هُوَ إِنْكارُ الْأُلُوهِيَّةِ، إِنَّما هُمُ الرُّوحانِيُّونَ الْعيسَوِيُّونَ؛ فَإِنَّ أُولائِكَ الرُّوحانِيّينَ، يَمْزُجُونَ حَقيقَةَ الدِّينِ الْعيسَوِيِّ، بِالْحَقيقَةِ الْإِسْلامِيَّةِ؛ فَيُبَدِّدُونَهُ وَيَقْتُلُونَهُ مَعْنًى، بِتِلْكَ الْقُوَّةِ؛ حَتّٰى إِنَّ الرِّوايَةَ: ﴿بِأَنَّ عيسٰى (عليه السلام) يَأْتي؛ فَيَقْتَدي بِالْمَهْدِيِّ وَيَتْبَعُهُ فِي الصَّلاةِ﴾، تُشيرُ إِلٰى هٰذَا الْاِتِّفاقِ، وَإِلٰى مَتْبُوعِيَّةِ الْحَقيقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَحاكِمِيَّتِها..

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الرّابِعَةَ عَشْرَةَ:﴾ يُوجَدُ فِي الرِّوايَةِ: ﴿أَنَّ قُوَّةَ الدَّجّالِ الْمُهِمَّةَ، هِيَ الْيَهُودُ؛ وَأَنَّ الْيَهُودَ يَتْبَعُونَ الدَّجّالَ طَوْعاً﴾..

اَللّٰهُ أَعْلَمُ: نَسْتَطيعُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ جُزْءاً مِنْ تَأْويلِ هٰذِهِ الرِّوايَةِ، ظَهَرَ في رُوسِيّا؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ الَّذينَ لاقَوْا ظُلْمَ كُلِّ حُكُومَةٍ، اجْتَمَعُوا في بِلادِ «أَلْمانيا» بِكَثْرَةٍ؛ فَأَفْضَوْا بِشَخْصٍ هائِلٍ اسْمُهُ «تِرُوشْكي» مِنْ شَعْبِ الْيَهُودِ، إِلَى الْقِيادَةِ الْعُلْيا لِرُوسِيّا، وَإِلٰى رِئاسَةِ حُكُومَةِ الرُّوسِ، بَعْدَ «لينينَ» الْمَشْهُورِ الَّذي هُوَ مُرَبِّيهِ، ذٰلِكَ بِدَوْرٍ مُهِمٍّ في تَأْسيسِ الْجَمْعِيَّةِ الشُّيُوعِيَّةِ، لِأَخْذِ ثَأْرِهِمْ؛ فَفَجَّرُوا رَأْسَ رُوسِيّا؛ فَأَحْرَقُوا مَنْتُوجاتِهِمُ الَّتي هِيَ مَحاصيلُ أَلْفِ سَنَةٍ؛ فَأَبْدَوْا جَمْعِيَّةَ الدَّجّالِ الْكَبيرِ، وَقِسْماً مِنْ إِجْراءاتِهِ؛ وَأَوْرَثُوا هَزّاتٍ أَهَمَّ في سائِرِ الْحُكُوماتِ؛ فَخَلَطُوها أَيْضاً..

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الْخامِسَةَ عَشْرَةَ:﴾ كَما يُوجَدُ فِي الْقُرْآنِ إِجْمالُ أَحْداثِ «يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ»، يُوجَدُ فِي الرِّوايَةِ بَعْضُ التَّفاصيلِ؛ وَإِنَّ تِلْكَ التَّفْصيلاتِ، لَيْسَتْ مُحْكَمَةً مِثْلَ إِجْمالِ الْقُرْآنِ، الَّذي هُوَ مِنْ مُحْكَماتِهِ؛ بَلْ تُعَدُّ مُتَشابِهَةً بِدَرَجَةٍ مّا؛ فَإِنَّها تَقْتَضِي التَّأْويلَ؛ بَلْ تَقْتَضِي التَّعْبيرَ، بِاخْتِلاطِ اجْتِهادِ الرُّواةِ بِها..

نَعَمْ: (لا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللّٰهُ)؛ إِنَّ تَأْويلاً مّا لِهٰذِهِ، هُوَ: كَما أَنَّ قَبائِلَ الْمَنْشُورِ وَالْمُوغُولِ

الْمُسَمَّاةِ «يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ» فِي لِسَانِ الْقُرْآنِ السَّمَاوِيِّ ، أَخَذُوا مَعَهُمْ بَعْضَ قَبَائِلَ أُخْرٰى ، مِنَ «الصِّينِ وَالْمَاصِينِ» ، فَهَدَّمُوا وَدَمَّرُوا آسِيَا وَأُورُوبَّا ، عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، فِي الزَّمَانِ الْقَدِيمِ ؛ فَإِنَّهَا كِنَايَةٌ وَإِشَارَةٌ إِلٰى أَنَّهُمْ سَيُخَرِّبُونَ الدُّنْيَا أَيْضاً ، فِي الْأَزْمِنَةِ الْآتِيَةِ ؛ حَتّٰى إِنَّ أَهَمَّ أَفْرَادِ الْفَوْضَوِيِّينَ فِي الشُّيُوعِيَّةِ الْآنَ ، هُمْ مِنْهُمْ أَيْضاً . .

نَعَمْ : حَدَثَتْ الِاشْتِرَاكِيَّةُ وَتَوَلَّدَتْ فِي الِاخْتِلَالِ الْفَرَنْسِيِّ ، بِبَذْرِ التَّحَرُّرِ وَبِتَلْقِيحِهِ ؛ وَإِنَّ الِاشْتِرَاكِيَّةَ خَرَّبَتْ بَعْضَ الْمُقَدَّسَاتِ ؛ فَلِذٰلِكَ انْقَلَبَ مَا لَقَّحَتْهُ مِنَ الْفِكْرِ ، إِلَى الْبَلْشَفَةِ أَخِيراً ؛ وَإِنَّ الْبَلْشَفَةَ أَيْضاً ، أَفْسَدَتْ كَثِيراً مِنَ الْمُقَدَّسَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْقَلْبِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ سَيُنْتِجُ مَا زَرَعَتْهُ مِنَ الْبُذُورِ ، مَحْصُولَ الْفَوْضٰى قَطْعاً ، الَّتِي لَا تَعْرِفُ قَيْداً وَحُرْمَةً أَصْلاً ؛ لِأَنَّهُ إِذَا خَرَجَتِ الْحُرْمَةُ وَالرَّحْمَةُ ، عَنِ الْقَلْبِ الْإِنْسَانِيِّ ، يَجْعَلُ الْعَقْلُ وَالذَّكَاءُ ، أُولٰئِكَ النَّاسَ ، فِي حُكْمِ ضَوَارٍ غَدَّارَةٍ وَرَهِيبَةٍ لِلْغَايَةِ ؛ فَلَا يُدَارُونَ بِالسِّيَاسَةِ بَعْدُ . وَإِنَّ الْمَكَانَ الْمُتَكَامِلَ لِفِكْرِ الْفَوْضٰى ، سَيَكُونُ قَبَائِلَ غَوْغَاءَ مَظْلُومَةً وَمُتَزَاحِمَةً وَمُتَخَلِّفَةً فِي الْحَضَارَةِ وَالسِّيَادَةِ . وَأَمَّا النَّاسُ الْمُوَافِقُونَ لِتِلْكَ الشَّرَائِطِ : فَهُمْ قَبَائِلُ الْمَنْشُورِ وَالْمُوغُولِ ، وَقِسْمٌ مِنَ الْقِرْغِزِ وَالتَّاتَارِ الَّذِينَ سَبَّبُوا لِبِنَاءِ السَّدِّ الصِّينِيِّ ، الَّذِي هُوَ إِحْدٰى عَجَائِبِ الْعَالَمِ السَّبْعِ ، وَالْمَبْنِيِّ فِي مَسَافَةِ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، فِي الصِّينِ وَالْمَاصِينِ ؛ فَإِنَّ الْجَنَابَ الْأَحْمَدِيَّ (عليه الصلاة والسلام) ، الْمُفَسِّرَ لِمُجْمَلِ خَبَرِ الْقُرْآنِ ، أَخْبَرَ بِذٰلِكَ إِخْبَاراً مُعْجِزاً وَمُحَقِّقاً . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ :﴾ يُوجَدُ فِي الرِّوَايَةِ مَا يَدُلُّ بِمُنَاسَبَةِ قَتْلِ عِيسٰى (عليه السلام) لِلدَّجَّالِ ، عَلٰى ﴿أَنَّ الدَّجَّالَ يَكُونُ فِي عَظَمَةِ هَيْكَلٍ كَبِيرٍ فَوْقَ الْعَادَةِ ، وَأَعْلٰى مِنَ الْمِئْذَنَةِ ؛ وَأَنَّ عِيسٰى (عليه السلام) ، يَكُونُ صَغِيراً جِدّاً بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ﴾ . .

لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللّٰهُ : أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلٌ مَا لِهٰذِهِ ، هُوَ : أَنَّهَا كِنَايَةٌ وَإِشَارَةٌ إِلٰى أَنَّ كَمِّيَّةَ جَمَاعَةِ الرُّوحَانِيِّينَ الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ عِيسٰى (عليه السلام) ، بِنُورِ الْإِيمَانِ ؛ وَيَتْبَعُونَهُ ، قَلِيلَةٌ وَصَغِيرَةٌ جِدّاً ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى جُيُوشِ الدَّجَّالِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْمَادِّيَّةِ مَدْرَسِيّاً وَعَسْكَرِيّاً . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ :﴾ يُوجَدُ فِي الرِّوَايَةِ : ﴿أَنَّ الْيَوْمَ الَّذِي يَخْرُجُ الدَّجَّالُ ،

تَسْمَعُ الدُّنْيَا كُلُّهَا ؛ وَيَطُوفُ الدُّنْيَا فِي أَرْبَعِينَ يَوْماً ؛ وَلَهُ حِمَارٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ﴾ . .

اَللّٰهُ أَعْلَمُ : أَنَّ تَأْوِيلَ هٰذِهِ الرِّوَايَاتِ ــ بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ صَحِيحَةً تَمَاماً ــ ، هُوَ : أَنَّ هٰذِهِ الرِّوَايَاتِ تُخْبِرُ إِخْبَاراً مُعْجِزاً : بِأَنَّ وَاسِطَةَ الْمُخَابَرَةِ وَالسِّيَاحَةِ ، تَرْتَقِي إِلَىٰ دَرَجَةٍ تُسْمَعُ حَادِثَةٌ مَّا فِي عُمُومِ الدُّنْيَا ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ . فَيُنَادِي بِالرَّادِيُو ؛ فَيَسْمَعُ الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ ؛ وَتُقْرَأُ فِي جَمِيعِ جَرَائِدِهَا ؛ وَيَدُورُ إِنْسَانٌ مَّا بِالدُّنْيَا ؛ وَيُشَاهِدُ قَارَّاتِهَا السَّبْعَ ، وَحُكُومَاتِهَا السَّبْعِينَ ؛ وَيَسِيحُ فِيهَا فِي أَرْبَعِينَ يَوْماً . هٰكَذَا يُخْبِرُ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِعْجَازِ ، عَنِ الْبَرْقِ وَالْهَاتِفِ وَالْمِذْيَاعِ وَالْقِطَارِ وَالطَّائِرَةِ ، قَبْلَ عَشَرَةِ عُصُورٍ . وَأَيْضاً ، إِنَّ الدَّجَّالَ لَا يُسْمَعُ بِحَيْثِيَّةِ الدَّجَّالِيَّةِ ؛ بَلْ بِصِفَةِ إِمْبَرَاطُورٍ مُسْتَبِدٍّ لِلْغَايَةِ ؛ وَإِنَّ سِيَاحَتَهُ أَيْضاً ، لَيْسَتْ لِلاسْتِيلَاءِ عَلَىٰ كُلِّ مَكَانٍ ؛ بَلْ لِإِيقَاظِ الْفِتْنَةِ ، وَإِضْلَالِ النَّاسِ ؛ وَأَمَّا مَرْكُوبُهُ وَحِمَارُهُ الَّذِي يَرْكَبُهُ ، فَهُوَ إِمَّا الْقِطَارُ ؛ فَإِنَّ أُذُناً وَرَأْساً مِنْهُ ، مَوْقِدُ النَّارِ مِثْلَ جَهَنَّمَ ؛ وَأُذُنَهُ الْأُخْرَىٰ زُيِّنَتْ وَفُرِشَتْ جَيِّداً كَالْجَنَّةِ ؛ فَيَبْعَثُ بِأَعْدَائِهِ إِلَىٰ طَرَفِهِ الْمُشْتَعِلِ ، وَبِأَصْدِقَائِهِ إِلَىٰ طَرَفِهِ الْمُضِيفِ ؛ وَإِمَّا أَنَّ حِمَارَهُ وَمَرْكَبَهُ ، سَيَّارَةٌ هَائِلَةٌ ؛ أَوْ أَنَّهُ طَائِرَةٌ ؛ أَوْ يَلْزَمُ السُّكُوتُ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ :﴾ يُوجَدُ فِي الرِّوَايَةِ : ﴿إِنِ اسْتَقَامَتْ أُمَّتِي ، فَلَهَا يَوْمٌ﴾ ؛ يَعْنِي : أَنَّهَا تَعِيشُ حَاكِمَةً وَمُتَكَامِلَةً أَلْفَ سَنَةٍ ، بِسِرِّ آيَةِ : ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ؛ ﴿وَإِنْ لَمْ تَسْتَقِمْ ، فَلَهَا نِصْفُ يَوْمٍ﴾ ؛ يَعْنِي : أَنَّهَا لَا تُحَافِظُ عَلَىٰ سِيَادَتِهَا وَغَلَبَتِهَا ، إِلَّا مِقْدَارَ خَمْسِمِئَةِ عَامٍ . .

اَللّٰهُ أَعْلَمُ : أَنَّ هٰذِهِ الرِّوَايَةَ ، لَيْسَتْ إِخْبَاراً عَنِ الْقِيَامَةِ ؛ بَلْ تَبْحَثُ عَنْ غَلَبَةِ حَاكِمِيَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَسَلْطَنَةِ الْخِلَافَةِ ؛ فَظَهَرَتْ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ، مُعْجِزَةً غَيْبِيَّةً ، وَعَيْنَ الْحَقِيقَةِ ؛ لِأَنَّ أَهْلَ سِيَاسَةِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، فَقَدُوا الِاسْتِقَامَةَ فِي أَوَاخِرِهَا ؛ فَلِذٰلِكَ عَاشَتْ مِقْدَارَ خَمْسِمِئَةِ سَنَةٍ ؛ وَلٰكِنَّ هَيْئَةَ مَجْمُوعِ الْأُمَّةِ لَمْ تَفْقِدِ الِاسْتِقَامَةَ ؛ فَلِذٰلِكَ أَمَدَّتِ الْخِلَافَةُ الْعُثْمَانِيَّةُ ؛ فَأَدَامَتِ الْحَاكِمِيَّةَ إِلَىٰ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةِ سَنَةٍ . ثُمَّ إِنَّ السِّيَاسِيِّينَ الْعُثْمَانِيِّينَ ، لَمْ يُحَافِظُوا عَلَى الِاسْتِقَامَةِ أَيْضاً ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ يَعِيشُوا هُمْ أَيْضاً بِالْخِلَافَةِ ، إِلَّا خَمْسَمِئَةِ عَامٍ . فَقَدْ صَدَّقَتِ

الْخِلَافَةُ الْعُثْمَانِيَّةُ بِوَفَاتِهَا ، إِخْبَارَ هٰذَا الْحَدِيث ، عَلَىٰ وَجْهِ الْإِعْجَازِ . وَقَدْ بَحَثْنَا عَنْ هٰذَا الْحَدِيثِ فِي رَسَائِلَ أُخْرَىٰ أَيْضاً ؛ فَلِذٰلِكَ نَخْتَصِرُهُ هُنَا . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ :﴾ أَنَّ فِي الرِّوَايَاتِ أَخْبَاراً مُخْتَلِفَةً ، فِي حَقِّ حَضْرَةِ الْمَهْدِيِّ الَّذِي هُوَ مِنْ آلِ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ ، وَمِنْ عَلَامَاتِ آخِرِ الزَّمَانِ ؛ حَتَّىٰ إِنَّ قِسْماً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِ الْوِلَايَةِ ، حَكَمُوا بِظُهُورِهِ قَدِيماً . .

اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ : أَنَّ تَأْوِيلاً مَّا لِهٰذِهِ الرِّوَايَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ، هُوَ : أَنَّ لِلْمَهْدِيِّ الْكَبِيرِ ، وَظَائِفَ كَثِيرَةً ؛ وَلَهُ إِجْرَاءَاتٌ فِي دَوَائِرَ كَثِيرَةٍ ، فِي عَالَمِ السِّيَاسَةِ ، وَفِي عَالَمِ الدِّيَانَةِ ، وَفِي عَالَمِ السَّلْطَنَةِ ، وَفِي عَالَمِ الْجِهَادِ ؛ كَمَا أَنَّ كُلَّ عَصْرٍ ، يَحْتَاجُ إِلَىٰ نَوْعٍ مَّا مِنْ مَهْدِيٍّ يُؤَيِّدُ قُوَّتَهُ الْمَعْنَوِيَّةَ ، فِي وَقْتِ الْيَأْسِ ، أَوْ إِلَى احْتِمَالِ مَجِيءِ الْمَهْدِيِّ لِإِمْدَادِهِمْ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ ؛ فَلِذٰلِكَ ظَهَرَ مِنْ آلِ الْبَيْتِ مَهْدِيٌّ مَّا ، فِي كُلِّ دَوْرٍ ، بَلْ فِي كُلِّ عَصْرٍ ، بِالرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ فَحَفِظَ شَرِيعَةَ جَدِّهِ ؛ وَأَحْيَا سُنَّتَهُ . . فَالسَّادَاتُ الَّذِينَ أَجْرَوْا قِسْماً مِنْ وَظَائِفِ الْمَهْدِيِّ الْكَبِيرِ ، كَالْمَهْدِيِّ الْعَبَّاسِيِّ فِي عَالَمِ السِّيَاسَةِ ، وَالْغَوْثِ الْأَعْظَمِ ، وَالشَّاهِ النَّقْشَبَنْدِيِّ ، وَالْأَئِمَّةِ الِاثْنَيْ عَشَرَ ، فِي عَالَمِ الدِّيَانَةِ مَثَلاً ، هُمْ أَيْضاً صَارُوا مَدَارَ النَّظَرِ الْمُحَمَّدِيِّ ، فِي الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةِ فِي حَقِّ الْمَهْدِيِّ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ ؛ فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ : إِنَّهُ ظَهَرَ مُنْذُ الْقَدِيمِ . .

فَمَهْمَا كَانَ ، فَقَدْ بُيِّنَتْ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَلِذٰلِكَ نَقُولُ هُنَا ، مَعَ إِحَالَتِهَا عَلَيْهَا ، هٰذَا الْقَدْرَ ؛ وَهُوَ : أَنَّهُ لَا تُوجَدُ فِي الدُّنْيَا ، أُسْرَةٌ مُتَسَانِدَةٌ ، وَقَبِيلَةٌ مُتَوَافِقَةٌ ، وَجَمْعِيَّةٌ وَجَمَاعَةٌ مُتَنَوِّرَةٌ ، تَسْتَطِيعُ أَنْ تَبْلُغَ أُسْرَةَ آلِ الْبَيْتِ ، وَقَبِيلَتَهُ وَجَمْعِيَّتَهُ وَجَمَاعَتَهُ . نَعَمْ : إِنَّ آلَ الْبَيْتِ الَّذِي أَنْجَبَ مِئَاتِ الْأَبْطَالِ الْقُدْسِيِّينَ ؛ وَأَفْضَوْا بِآلَافِ الْقَادَةِ وَالْأَبْطَالِ الْمَعْنَوِيِّينَ ، إِلَىٰ رِئَاسَةِ الْأُمَّةِ ؛ وَتَغَذَّىٰ وَتَكَمَّلَ بِرُؤْيَةِ الْحَقِيقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَبِنُورِ الْإِيمَانِ ، وَبِشَرَفِ الْإِسْلَامِ ، فَلَا رَيْبَ أَنَّ إِظْهَارَ الْمَهْدِيِّ الْكَبِيرِ الَّذِي هُوَ قَائِدُهُمُ الْأَعْلَىٰ ، كَمَالَ عَدَالَتِهِ وَحَقَّانِيَّتِهِ ، لِلْعَالَمِ ، بِإِحْيَاءِ الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَالْحَقِيقَةِ الْفُرْقَانِيَّةِ ، وَالسُّنَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، وَبِإِعْلَانِهَا وَبِإِجْرَائِهَا

فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، مَعْقُولٌ لِلْغَايَةِ ؛ مَعَ أَنَّهُ لاَزِمٌ وَضَرُورِيٌّ لِلْغَايَةِ ، وَمُقْتَضَى الدَّسَاتِيرِ فِي الْحَيَاةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ الإِنْسَانِيَّةِ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الْعِشْرُونَ :﴾ هِيَ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ ، وَظُهُورُ الدَّابَّةِ مِنَ الأَرْضِ . .

فَأَمَّا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ : فَهُوَ عَلاَمَةٌ لِلْقِيَامَةِ فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ ، وَحَادِثَةٌ سَمَاوِيَّةٌ تَسُدُّ لِبَدَاهَتِهَا بَابَ التَّوْبَةِ الْمَعْقُودَةِ بِاخْتِيَارِ الْعَقْلِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يَكُونُ تَفْسِيرُهَا وَمَعْنَاهَا ظَاهِراً ؛ فَلاَ حَاجَةَ لَهَا إِلَى التَّأْوِيلِ ، إِلاَّ هٰذَا الْقَدَرَ ؛ وَهُوَ : أَنَّ السَّبَبَ الظَّاهِرِيَّ لِذٰلِكَ الطُّلُوعِ ـ وَاللهُ أَعْلَمُ ـ هُوَ : أَنَّ الأَرْضَ تُجَنُّ بِخُرُوجِ الْقُرْآنِ عَنْ رَأْسِ كُرَةِ الأَرْضِ ، الَّذِي هُوَ فِي حُكْمِ عَقْلِ هَامَتِهَا ؛ فَتَعُودُ عَنْ حَرَكَتِهَا ، بِاصْطِدَامِ رَأْسِهَا بِسَيَّارَةٍ أُخْرَى ، بِالإِذْنِ الإِلٰهِيِّ ؛ فَتَبْدَأُ الشَّمْسُ بِالطُّلُوعِ مِنَ الْمَغْرِبِ ، بِتَبْدِيلِ سِيَاحَتِهَا ، مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ ، بِالإِرَادَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، الَّتِي كَانَتْ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ . نَعَمْ : إِنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي هُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ ، الَّذِي يَرْبِطُ الأَرْضَ بِالشَّمْسِ ، وَالْفَرْشَ بِالْعَرْشِ قَوِيّاً ، إِذَا انْقَطَعَتْ جَاذِبَتُهُ ؛ يَنْحَلُّ حَبْلُ كُرَةِ الأَرْضِ ؛ فَتَصِيرُ هَائِمَةً مُطْلَقَةً ؛ فَتَطْلُعُ الشَّمْسُ مِنَ الْغَرْبِ ، بِعَكْسِهَا ، وَمِنْ حَرَكَتِهَا بِدُونِ انْتِظَامٍ ؛ وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ بِالأَمْرِ الإِلٰهِيِّ ، فِي نَتِيجَةِ الْمُصَادَمَةِ . هٰكَذَا يُوجَدُ لَهُ تَأْوِيلٌ مَّا . .

وَأَمَّا دَابَّةُ الأَرْضِ : فَفِي الْقُرْآنِ إِشَارَةٌ مُجْمَلَةٌ لِلْغَايَةِ ، وَإِفَادَةٌ وَتَكَلُّمٌ مُخْتَصَرٌ جِدّاً ، مِنْ لِسَانِ حَالِهَا ؛ وَأَمَّا تَفْصِيلُهَا فَلاَ أَعْلَمُهُ الآنَ بِقَنَاعَةٍ قَطْعِيَّةٍ ، كَسَائِرِ الْمَسَائِلِ ؛ وَإِنَّمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ هٰذَا الْقَدَرَ ـ لاَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ ـ ؛ وَهُوَ : كَمَا أَنَّهُ تَسَلَّطَتْ آفَةُ الْجَرَادِ ، وَبَلِيَّةُ الْقُمَّلِ ، عَلَى قَوْمِ فِرْعَوْنَ ؛ وَطُيُورُ أَبَابِيلَ ، عَلَى قَوْمِ أَبْرَهَةَ الَّذِي سَعَى لِهَدْمِ الْكَعْبَةِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ دَابَّةً مَّا سَتَخْرُجُ عَنِ الأَرْضِ ، بِحِكْمَةِ إِعَادَةِ عُقُولِ النَّاسِ ، إِلَى رُؤُوسِهِمْ ، الَّذِينَ يَسْلُكُونَ الْعِصْيَانَ وَالطُّغْيَانَ ، عَلَى عِلْمٍ وَحُبٍّ مِنْهُمْ ، بِفِتَنِ السُّفْيَانِيِّ وَالدَّجَّالِينَ ؛ وَيَسْلُكُونَ الْفَتْكَ وَالْفَسَادَ ، بِفَوْضَى يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ؛ وَيَقَعُونَ فِي الإِلْحَادِ وَالْكُفْرِ وَالْكُفْرَانِ ؛ فَتُسَلَّطُ عَلَيْهِمْ ؛ وَتُبِيدُهُمْ . وَاللهُ أَعْلَمُ : أَنَّ تِلْكَ الدَّابَّةَ نَوْعٌ ؛ لِأَنَّهَا إِنْ كَانَتْ شَخْصاً وَاحِداً كَبِيراً لِلْغَايَةِ ، لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَصِلَ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ ، وَكُلِّ أَحَدٍ . فَإِذاً إِنَّهَا تَكُونُ طَائِفَةً حَيَوَانِيَّةً هَائِلَةً ؛ بَلْ إِنَّ ذٰلِكَ

الْحَيَوَانَ ، هُوَ دِيدَانُ الْأَشْجَارِ ، الْمُسَمَّاةُ بِدَابَّةِ الْأَرْضِ ؛ بِإِشَارَةِ الْآيَةِ : ﴿إِلَّا دَآبَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ ؛ فَتَطْحَنُ عِظَامَ النَّاسِ كَالشَّجَرِ ؛ وَتَتَمَكَّنُ فِي جِسْمِ الْإِنْسَانِ ، مِنْ ضِرْسِهِ حَتَّى ظُفْرِهِ ؛ وَسَيَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ بِبَرَكَةِ الْإِيمَانِ ، وَبِتَجَنُّبِهِمْ عَنِ السَّفَاهَاتِ وَسُوءِ الِاسْتِعْمَالَاتِ . فَلِلْإِشَارَةِ إِلَىٰ ذٰلِكَ ، أَنْطَقَتِ الْآيَةُ ذٰلِكَ الْحَيْوَانَ ، فِي خُصُوصِ الْإِيمَانِ . .

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

ثَلَاثُ مَسَائِلَ صَغِيرَةٍ ، تَكُونُ تَتِمَّةً لِلْمَسَائِلِ الْعِشْرِينَ السَّابِقَةِ :

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولَى :﴾ كَمَا يُسَمَّى عِيسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، بِاسْمِ الْمَسِيحِ ؛ سُمِّيَ كِلَا الدَّجَّالَيْنِ أَيْضاً بِاسْمِ الْمَسِيحِ ، فِي الرِّوَايَاتِ ؛ وَقِيلَ فِي جَمِيعِ الرِّوَايَاتِ : ﴿مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ﴾ . فَمَا هُوَ حِكْمَةُ هٰذِهِ ، وَتَأْوِيلُهَا ؟ .

اَلْجَوَابُ : ـ اَللّٰهُ أَعْلَمُ ـ أَنَّ حِكْمَةَ هٰذِهِ ، هِيَ : كَمَا أَنَّ عِيسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، أَزَالَ بِالْأَمْرِ الْإِلٰهِيِّ ، قِسْماً مِنَ التَّكَالِيفِ الثَّقِيلَةِ ، فِي الشَّرِيعَةِ الْمُوسَوِيَّةِ ؛ فَأَحَلَّ بَعْضَ الْمُشْتَهَيَاتِ مِثْلَ الْخَمْرِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ الدَّجَّالَ الْكَبِيرَ ، يُزِيلُ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ الْعِيسَوِيَّةِ ، بِإِغْوَاءِ الشَّيْطَانِ وَحُكْمِهِ ؛ فَيُفْسِدُ رَوَابِطَ النَّصَارَىٰ الَّتِي تُدِيرُ حَيَاتَهُمُ الِاجْتِمَاعِيَّةَ ؛ فَيُهَيِّئُ الْمَكَانَ لِلْفَوْضَىٰ ، وَلِيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ؛ وَإِنَّ السُّفْيَانِيَّ الَّذِي هُوَ دَجَّالُ الْإِسْلَامِ ، يَسْعَىٰ هُوَ أَيْضاً ، لِإِزَالَةِ قِسْمٍ أَبَدِيٍّ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، بِدَسَائِسِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ ؛ فَيُفْسِدُ الرَّوَابِطَ الْمَادِّيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ لِلْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ ؛ فَيَتْرُكُ النُّفُوسَ الْجَامِحَةَ الْهَائِمَةَ السَّكْرَانَةَ ، مُطْلَقَةً ؛ فَيَحُلُّ السَّلَاسِلَ النَّيِّرَةَ مِثْلَ الْحُرْمَةِ وَالرَّحْمَةِ ؛ وَيَفْتَحُ الْمَجَالَ لِفَوْضَىٰ رَهِيبَةٍ ، بِتَقْدِيمِهِ تَحَرُّراً جَبْرِيّاً ، وَحُرِّيَّةً هِيَ عَيْنُ الِاسْتِبْدَادِ ، لِصِيَالِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً فِي وَحَلِ الْهَوَسَاتِ الْمُتَعَفِّنَةِ ؛

فَحِينَئِذٍ لا يُمْكِنُ أَنْ يُحْصَرَ أُولٰئِكَ النَّاسُ تَحْتَ الضَّبْطِ ، مِنْ دُونِ اسْتِبْدَادٍ شَدِيدٍ لِلْغَايَةِ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ بُحِثَ فِي الرِّوَايَاتِ ، عَنْ إِجْرَاءَاتِ كِلَا الدَّجَّالَيْنِ ، الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ ، وَعَنِ اقْتِدَارِهِمَا وَهَيْبَتِهِمَا الْفَائِقَةِ عَلَى الْعَادَةِ جِدّاً ؛ حَتّٰى إِنَّ قِسْماً مِنْ أَشْقِيَاءِ النَّاسِ ، يُسْنِدُونَ إِلَيْهِمَا نَوْعاً مَّا مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ هٰكَذَا أُخْبِرَ ؛ فَمَا هُوَ سَبَبُ هٰذَا ؟ .

اَلْجَوَابُ : ـ اَلْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ ـ أَنَّ كَوْنَ إِجْرَاءَاتِهِمَا عَظِيمَةً وَخَارِقَةً لِلْعَادَةِ ، هُوَ : أَنَّ أَكْثَرَهَا تَخْرِيبَاتٌ وَسَوْقٌ إِلَى الْهَوَسَاتِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَعْمَلانِ بِسُهُولَةٍ ، أَعْمَالاً خَارِقَةً لِلْعَادَةِ ؛ فَقِيلَ فِي رِوَايَةٍ : إِنَّ أَحَدَ أَيَّامِهِمَا سَنَةٌ . يَعْنِي : أَنَّ أَعْمَالَهُمَا الَّتِي يَعْمَلانِهَا فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، لا تُعْمَلُ فِي ثَلاثِمِئَةِ سَنَةٍ . .

وَأَمَّا تَظَاهُرُ اقْتِدَارِهِمَا فَوْقَ الْعَادَةِ جِدّاً ، فَلَهُ أَرْبَعُ جِهَاتٍ وَأَسْبَابٍ . .

اَلْأُولٰى : أَنَّ التَّرَقِّيَاتِ وَالْحَسَنَاتِ الَّتِي تَحْصُلُ بِقُوَّةِ الْجُيُوشِ الشُّجَاعَةِ ، وَالْأُمَّةِ الْفَعَّالَةِ ، فِي حُكُومَتِهِمَا الْجَسِيمَةِ الْمُسْتَبِدَّةِ ، أَثَراً لِلاسْتِدْرَاجِ ، تَصِيرُ سَبَباً لِتَوَهُّمِ اقْتِدَارٍ فِي شَخْصِهِمَا بِقَدَرِ آلافِ الرِّجَالِ ، بِإِسْنَادِهَا إِلَيْهِمَا بِدُونِ حَقٍّ . وَالْحَالُ أَنَّ الْمَحَاسِنَ الْإِيجَابِيَّةَ ، وَالشَّرَفَ وَالْغَنِيمَةَ ، الْوَارِدَةَ إِلَى الْوُجُودِ ، بِحَرَكَةِ جَمَاعَةٍ مَّا ، تُقَسَّمُ عَلٰى تِلْكَ الْجَمَاعَةِ ؛ وَتُعْطَى لِأَفْرَادِهَا ، حَسَبَ الْحَقِيقَةِ وَالْقَاعِدَةِ . وَأَمَّا السَّيِّئَاتُ وَالتَّخْرِيبَاتُ وَالضَّائِعَاتُ ، فَتُسْنَدُ إِلَى تَقْصِيرِ الرَّئِيسِ ، وَعَدَمِ تَدْبِيرِهِ ؛ فَإِنَّ فَوْجاً إِذَا فَتَحَ قَلْعَةً مَثَلاً ، فَالْغَنِيمَةُ وَالشَّرَفُ عَائِدَانِ إِلَى حِرَابِهِمْ ؛ وَإِذَا وَقَعَتِ الضَّائِعَاتُ بِتَدَابِيرَ سَلْبِيَّةٍ ، تَكُونُ عَائِدَةً إِلَى قَائِدِهِمْ . هٰذَا ، فَأُولٰئِكَ الْأَشْخَاصُ اللاّئِقُونَ بِكَرَاهَةِ الْعَامَّةِ ، يَصِيرُونَ مَظْهَراً لِمَحَبَّةٍ عُمُومِيَّةٍ مِنْ جَانِبِ أَهْلِ الْغَفْلَةِ ، بِجِهَةِ الاسْتِدْرَاجِ ، بِإِسْنَادِ الْحَسَنَاتِ وَالتَّرَقِّيَاتِ الْإِيجَابِيَّةِ ، إِلَى أُولٰئِكَ الرُّؤَسَاءِ الرَّهِيبَةِ ، وَالسَّيِّئَاتِ وَالْإِجْرَاءَاتِ السَّلْبِيَّةِ إِلَى شُعُوبِهِمُ الْبَائِسَةِ ، عَلٰى خِلافِ دُسْتُورِ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ ، هٰذَا الدُّسْتُورِ الْأَسَاسِيِّ ، خِلافاً كُلِّيّاً . .

اَلسَّبَبُ الثَّانِي ، وَالْجِهَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ كِلَا الدَّجَّالَيْنِ ، يَتَحَرَّكَانِ بِأَعْظَمِ اسْتِبْدَادٍ ، وَأَعْظَمِ

ظُلْمٍ ، وَأَعْظَمِ شِدَّةٍ وَدَهْشَةٍ ؛ فَلِذٰلِكَ يَتَظَاهَرُ أَعْظَمُ اقْتِدَارٍ . نَعَمْ : إِنَّهُ اسْتِبْدَادٌ عَجِيبٌ بِحَيْثُ يَتَدَخَّلاَنِ فِي وِجْدَانِ كُلِّ أَحَدٍ ، وَفِي مُقَدَّسَاتِهِ ، حَتّٰى مَلاَبِسِهِ ، تَحْتَ غِطَاءِ الْقَوَانِينِ . .

وَأَظُنُّ أَنَّ مُتَحَرِّرِي الْإِسْلاَمِ وَالتُّرْكِ ، أَحَسُّوا بِهٰذَا الِاسْتِبْدَادِ الرَّهِيبِ ، حِسّاً مُقَدَّماً عَلَى الْوُقُوعِ ؛ فَرَمَوْهُ بِالسِّهَامِ ؛ وَهَجَمُوا عَلَيْهِ فِي الْعَصْرِ الْأَخِيرِ ؛ وَلٰكِنِ انْخَدَعُوا كَثِيراً ؛ فَأَبْدَوُا الْهُجُومَ فِي هَدَفٍ خَاطِئٍ ، وَجَبْهَةٍ خَاطِئَةٍ . وَأَيْضاً إِنَّهُ ظُلْمٌ وَجَبْرٌ ، بِحَيْثُ يُخْرِبُ مِئَةَ قَرْيَةٍ ؛ وَيُعَاقِبُ مِئَاتِ الْأَبْرِيَاءِ ؛ وَيَنْفِيهِمْ فَيُشَتِّتُهُمْ مِنْ أَجْلِ شَخْصٍ وَاحِدٍ . .

اَلسَّبَبُ الثَّالِثُ ، وَالْجِهَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ كِلاَ الدَّجَّالَيْنِ ، يَفُوزَانِ بِمَعُونَةِ جَمْعِيَّةِ الْيَهُودِ السِّرِّيَّةِ ، الَّتِي تُضْمِرُ انْتِقَاماً شَدِيداً ضِدَّ الْإِسْلاَمِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ ، وَبِإِعَانَةِ جَمْعِيَّةٍ رَهِيبَةٍ أُخْرٰى تَحْتَ غِطَاءِ حُرِّيَّةِ الْمَرْأَةِ ؛ حَتّٰى إِنَّ دَجَّالَ الْإِسْلاَمِ ، يَخْدَعُ جَمْعِيَّةَ الْمَاسُونِيِّينَ ؛ فَيَفُوزُ بِمُظَاهَرَتِهِمْ ؛ فَلِذٰلِكَ يُظَنُّ اقْتِدَارٌ هَائِلٌ . وَكَذَا يُفْهَمُ بِاسْتِخْرَاجَاتِ بَعْضِ أَهْلِ الْوِلاَيَةِ : أَنَّ الدَّجَّالَ السُّفْيَانِيَّ الَّذِي يَرْأَسُ دَوْلَةَ الْإِسْلاَمِ ، يَجِدُ صَدْراً أَعْظَمَ مُقْتَدِراً وَدَاهِيَةً وَفَعَّالاً لِلْغَايَةِ ، لاَ يَطْلُبُ الرِّيَاءَ ؛ وَلاَ يَهْتَمُّ بِالْعِزِّ وَالشَّرَفِ الشَّخْصِيِّ ؛ وَيَجِدُ قَائِداً أَعْلٰى شُجَاعاً ذَا اقْتِدَارٍ وَمَتِيناً وَجَوَّالاً لِلْغَايَةِ ، لاَ يَتَنَازَلُ إِلَى الاشْتِهَارِ ؛ فَيُسَخِّرُهُمَا وَيُسْنِدُ إِلٰى شَخْصِهِ ، إِجْرَاءَاتِهِمَا الدَّاهِيَةَ وَالْفَائِقَةَ عَلَى الْعَادَةِ ، بِالِاسْتِفَادَةِ مِنْ عَدَمِ مُرَاءَاتِهِمَا ؛ وَيُسْنِدُ إِلٰى شَخْصِهِ بِتِلْكَ الْوَاسِطَةِ ، التَّرَقِّيَاتِ الَّتِي تَعْمَلُهَا الْحُكُومَةُ وَالْجَيْشُ الْعَظِيمُ ، بِسَوْقِ شِدَّةِ الِاحْتِيَاجِ النَّاشِئِ عَنِ التَّجَدُّدِ وَالِانْقِلاَبِ ، وَعَنِ انْقِلاَبِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ ؛ فَيَشِيعُ مِنْ جَانِبِ الْمَدَّاحِينَ ، أَنَّ لَهُ اقْتِدَاراً عَجِيباً وَخَارِقاً جِدّاً . .

اَلسَّبَبُ الرَّابِعُ ، وَالْجِهَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّ لِلدَّجَّالِ الْكَبِيرِ ، خَوَاصَّ مُسَخِّرَةً ، مِنْ نَوْعِ السِّبِرْطِيسِيَّةِ ؛ وَأَنَّ فِي إِحْدٰى عَيْنَيْ دَجَّالِ الْإِسْلاَمِ أَيْضاً ، الْمَغْنَاطِيسِيَّةَ الْمُسَخِّرَةَ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يُشِيرُ الْحَدِيثُ ، إِلٰى أَنَّ لَهُمَا عَيْناً وَاحِدَةً تُبْصِرُ هٰذِهِ الدُّنْيَا مُنْحَصِرَةً فِيهَا فَقَطْ ؛ وَلَيْسَتْ لَهُمَا عَيْنٌ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَى الْعَاقِبَةَ وَالْآخِرَةَ ، لِكَوْنِهِمَا كَافِرَيْنِ مُطْلَقَيْنِ ، بِالتَّقْيِيدِ فِي الْحَدِيثِ ، بِأَنَّ إِحْدٰى عَيْنَيِ الدَّجَّالِ الْكَبِيرِ ، عَوْرَاءُ ؛ وَأَنَّ إِحْدٰى عَيْنَيِ الْآخَرِ ، فِي حُكْمِ الْعَمْيَاءِ ، بِالنِّسْبَةِ

إِلَى الْعَيْنِ الْأُخْرٰى ، صَارِفاً لِنَظَرِ الْإِمْعَانِ ، إِلٰى عَيْنِهِ ، بِالْقَوْلِ فِي الرِّوَايَاتِ ، بِأَنَّ إِحْدٰى عَيْنَيِ الدَّجَّالِ عَوْرَاءُ . .

وَإِنِّي رَأَيْتُ دَجَّالَ الْإِسْلَامِ فِي عَالَمٍ مَعْنَوِيٍّ ؛ فَشَاهَدْتُ بِعَيْنِي ، مَغْنَاطِيسِيَّةً مُسَخِّرَةً ، فِي إِحْدٰى عَيْنَيْهِ فَقَطْ ؛ وَعَلِمْتُهُ مُنْكِراً كُلِّيّاً . .

هٰذَا ، فَإِنَّهُ يَهْجُمُ عَلَى الْمُقَدَّسَاتِ ، بِجُرْأَةٍ وَجَسَارَةٍ تَنْشَأُ عَنْ هٰذَا الْإِنْكَارِ الْمُطْلَقِ ؛ فَيَظُنُّهَا عَوَامُّ النَّاسِ ، اقْتِدَاراً وَجَسَارَةً خَارِقَةً لِلْعَادَةِ ، لِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ . وَأَيْضاً إِنَّهُ يُوجَدُ قَائِداً ذَا اسْتِدْرَاجٍ وَشَأْنٍ ، وَصَاحِبَ حَظٍّ وَنَجَاحٍ ، وَمُحْتَالاً مِثْلَهُ ، لِشَعْبٍ بَطَلٍ ذِي شَأْنٍ ، فِي فَتْرَةِ هَزِيمَتِهِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ لَا يَنْظُرُ إِلٰى مَاهِيَّتِهِ الْخَفِيَّةِ وَالرَّهِيبَةِ ؛ فَيُقَدِّرُهُ بِعَصَبِ الْبُطُولَةِ ؛ وَيَضَعُهُ عَلٰى رَأْسِهِ ؛ فَيُرِيدُ سَتْرَ سَيِّئَاتِهِ ؛ وَلٰكِنْ يُفْهَمُ مِنَ الرِّوَايَاتِ : أَنَّ الْجَيْشَ الْبَطَلَ الْمُجَاهِدَ ، وَالشَّعْبَ الْمُتَدَيِّنَ ، سَيَرَوْنَ حَقِيقَةَ الْحَالِ ، بِمَا فِي رُوحِهِمْ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ ، وَضِيَاءِ الْقُرْآنِ ؛ وَسَيَجْتَهِدُونَ لِتَعْمِيرِ تَخْرِيبَاتِ ذٰلِكَ الْقَائِدِ ، الرَّهِيبَةِ جِدّاً . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الصَّغِيرَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ ثَلَاثُ حَوَادِثَ مَدَارٍ لِلْعِبْرَةِ . .

اَلْحَادِثَةُ الْأُولٰى : أَنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، أَرٰى فِي زَمَنٍ مَّا ، عُمَرَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) ، وَاحِداً بَيْنَ صِبْيَانِ الْيَهُودِ ؛ فَقَالَ : هَاكَ صُورَتَهُ . فَقَالَ عُمَرُ : إِذاً أَقْتُلُهُ . فَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، مَا مَعْنَاهُ : إِنْ يَكُنْ هٰذَا ، هُوَ السُّفْيَانِيَّ وَدَجَّالَ الْإِسْلَامِ ؛ فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقْتُلَهُ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ إِيَّاهُ ؛ فَلَا يُقْتَلُ بِصُورَتِهِ . فَهٰذِهِ الرِّوَايَةُ تُشِيرُ إِلٰى أَنَّ صُورَتَهُ سَتُشَاهَدُ فِي أَشْيَاءٍ كَثِيرَةٍ ، فِي عَهْدِ حَاكِمِيَّتِهِ ؛ كَمَا أَنَّهُ هُوَ سَيُولَدُ بَيْنَ الْيَهُودِ . وَغَرِيبٌ : أَنَّ عُمَرَ الَّذِي غَضِبَ عَلَيْهِ وَعَادَاهُ ، فِي دَرَجَةٍ كَادَ يَقْتُلُ صَبِيّاً عَلٰى صُورَتِهِ ، أَصْبَحَ مَمْدُوحاً لِذٰلِكَ السُّفْيَانِيِّ أَكْثَرَ مَا يُعْجِبُهُ وَيُقَدِّرُهُ وَيَبْحَثُ عَنْهُ عَلٰى وَجْهِ الثَّنَاءِ مِرَاراً كَثِيرَةً . .

اَلْحَادِثَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ دَجَّالَ الْإِسْلَامِ ذٰلِكَ ، يَتَطَلَّعُ لِمَعْنٰى سُورَةِ : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ؛ فَيَسْأَلُ عَنْهُ ؛ هٰكَذَا نَقَلَ الْكَثِيرُونَ . وَغَرِيبٌ : أَنَّ جُمْلَةَ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغٰى﴾ ، فِي سُورَةِ

«الْعَلَقِ» ، تُشِيرُ بِالْجَفْرِ وَبِمَعْنَاهَا ، إِلَى عَيْنِ زَمَانِهِ وَشَخْصِهِ ؛ كَمَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ سَيَعْتَدِي عَلَى أَهْلِ الصَّلَاةِ ، وَعَلَى الْجَوَامِعِ ، اعْتِدَاءً طَاغِياً. فَإِذاً إِنَّ ذٰلِكَ الرَّجُلَ ذَا الِاسْتِدْرَاجِ ، يُحِسُّ بِسُورَةٍ صَغِيرَةٍ ذَاتِ عَلَاقَةٍ بِهِ ؛ وَلٰكِنَّهُ يُخْطِئُ ؛ فَيَقْرَعُ بَابَ جَارَتِهَا . .

اَلْحَادِثَةُ الثَّالِثَةُ : قِيلَ فِي رِوَايَةٍ مَّا : «إِنَّ دَجَّالَ الْإِسْلَامِ سَيَظْهَرُ مِنْ نَوَاحِي خُرَاسَانَ» . .

لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ : أَنَّ تَأْوِيلاً مَّا لِهٰذِهِ ، هُوَ : أَنَّ الشَّعْبَ التُّرْكِيَّ الَّذِي هُوَ أَشْجَعُ وَأَقْوَى وَأَكْثَرُ أَقْوَامِ الشَّرْقِ ، وَأَبْطَلُ جُيُوشِ الْإِسْلَامِ ، كَانَ فِي زَمَنِ تِلْكَ الرِّوَايَةِ ، فِي نَوَاحِي خُرَاسَانَ ؛ فَلَمْ يَجْعَلِ الْأَنَاضُولَ وَطَناً بَعْدُ ؛ فَلِذٰلِكَ تُشِيرُ بِذِكْرِ مَسْكَنِهِ فِي ذٰلِكَ الْعَهْدِ ، إِلَى أَنَّ الدَّجَّالَ السُّفْيَانِيَّ سَيَظْهَرُ بَيْنَهُمْ . غَرِيبٌ ، وَغَرِيبٌ جِدّاً : أَنَّهُ يَسْعَى أَنْ يَسْتَعْمِلَ الشَّعْبَ التُّرْكِيَّ الَّذِي هُوَ سَيْفٌ أَلْمَاسِيٌّ ، شِعَارُ الشَّرَفِ وَشِبْهُ الْبَارِقَةِ ، بِيَدِ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ ، فِي مُدَّةِ سَبْعِمِئَةِ سَنَةٍ ؛ وَأَنْ يَسْتَعْمِلَ الْقَوْمِيَّةَ التُّرْكِيَّةَ ، ضِدَّ قِسْمٍ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ مُؤَقَّتاً ؛ وَلٰكِنَّهُ لَا يَنْجَحُ ؛ فَيَنْسَحِبُ إِلَى الْوَرَاءِ ؛ وَإِنَّ الْجَيْشَ الْبَطَلَ يُنْقِذُ زِمَامَهُ مِنْ يَدِهِ ؛ هٰكَذَا يُفْهَمُ مِنَ الرِّوَايَاتِ . .

وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ . . لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ . .

اَلشُّعَاعُ السَّادِسُ

﴿نُكْتَتَانِ فَقَطْ . .﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

جَوابَانِ عَلٰى سُؤَالَيْنِ ، وَرَدَا عَلٰى نُقْطَتَيْنِ ، لِكَلِمَاتِ : ﴿اَلتَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلّٰهِ﴾ إِلٰى آخِرِهَا ، الْمَوْجُودَةِ فِي التَّشَهُّدِ فِي الصَّلاةِ . وَيُعَلَّقُ بَيَانُ سَائِرِ حَقَائِقِ التَّشَهُّدِ ، إِلٰى وَقْتٍ آخَرَ ؛ فَيُبَيَّنُ فِي هٰذَا الشُّعَاعِ السَّادِسِ ، نُكْتَتَانِ فَقَطْ ، مِنْ مِئَاتِ نِكَاتِهِ ، فِي صُورَةٍ مُخْتَصَرَةٍ . .

﴿اَلسُّؤَالُ الْأَوَّلُ :﴾ مَا هِيَ حِكْمَةُ قِرَاءَةِ التَّشَهُّدِ فِي الصَّلاةِ ؛ مَعَ أَنَّ كَلِمَاتِهِ الْمُبَارَكَةَ ، مُكَالَمَةٌ لِلّٰهِ تَعَالٰى وَرَسُولِهِ فِي لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ صَلاةَ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، هِيَ فِي حُكْمِ نَوْعٍ مَّا مِنْ مِعْرَاجِهِ ؛ وَأَنَّ الْكَلِمَاتِ اللَّائِقَةَ بِذٰلِكَ الْحُضُورِ ، هِيَ الْأَقْوَالُ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي الْمِعْرَاجِ الْأَكْبَرِ الْمُحَمَّدِيِّ ؛ فَتَذَكُّرُ تِلْكَ الصُّحْبَةِ الْقُدْسِيَّةِ ، بِذِكْرِهَا ؛ فَتَطَّلِعُ مَعَانِي تِلْكَ الْكَلِمَاتِ الْمُبَارَكَةِ ، مِنَ الْجُزْئِيَّةِ ، إِلَى الْكُلِّيَّةِ ، بِذٰلِكَ التَّذَكُّرِ ؛ وَتُتَصَوَّرُ تِلْكَ الْمَعَانِي الْقُدْسِيَّةُ الْمُحِيطَةُ ؛ أَوْ يُمْكِنُ أَنْ تُتَصَوَّرَ بِهِ ؛ وَتَتَعَالٰى قِيمَتُهَا وَنُورُهَا ؛ فَتَتَوَسَّعُ بِذٰلِكَ التَّصَوُّرِ . .

فَمَثَلاً : إِنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ) ، قَالَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، أَمَامَ الْحَقِّ تَعَالٰى : ﴿اَلتَّحِيَّاتُ لِلّٰهِ﴾ بَدَلَ السَّلامِ . يَعْنِي : أَنَّ التَّسْبِيحَاتِ الْحَيَوِيَّةَ الَّتِي تُظْهِرُهَا جَمِيعُ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ ، بِحَيَاتِهَا ؛ وَالْهَدَايَا الْفِطْرِيَّةَ الَّتِي تُقَدِّمُهَا لِصَانِعِهَا ، هِيَ مَخْصُوصَةٌ بِكَ ، يَا رَبِّي ! وَإِنِّي أَيْضاً أُقَدِّمُ إِلَيْكَ ، جَمِيعَ أُولٰئِكَ ، بِتَصَوُّرِي وَبِإِيمَانِي . .

نَعَمْ : فكَمَا أَنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (ﷺ) ، يَنْوِي عِبَادَاتِ جَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ الْفِطْرِيَّةَ ؛ فَيُقَدِّمُهَا بِكَلِمَةِ ﴿التَّحِيَّاتِ﴾ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّهُ يُمَثِّلُ بِكَلِمَةِ ﴿الْمُبَارَكَاتُ﴾ أَيْضاً ، الَّتِي هِيَ خُلاصَةُ التَّحِيَّاتِ ، مُبَارَكَةَ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا ، وَخُصُوصاً الْبُذُورَ وَالنَّوٰى وَالْحُبُوبَ وَالْبَيْضَاتِ ــ الَّتِي هِيَ مَدَارُ الْبَرَكَةِ وَالتَّبْرِيكِ ؛ وَتُنْطِقُ بِـ : (بَارَكَ اللهُ) ؛ وَيُقَالُ لَهَا : (الْمُبَارَكَةُ) ، وَالَّتِي هِيَ خُلاصَةُ الْحَيَاةِ ، وَذَوِي الْحَيَاةِ ــ ؛ وَيُمَثِّلُ بَرَكَاتِهَا وَعُبُودِيَّاتِهَا الْفِطْرِيَّةَ ؛ فَيَذْكُرُهَا بِذٰلِكَ الْمَعْنَى الْوَاسِعِ ؛ وَإِنَّهُ يَتَصَوَّرُ بِكَلِمَةِ ﴿الصَّلَوَاتُ﴾ أَيْضاً ، الَّتِي هِيَ خُلاصَةُ الْمُبَارَكَاتِ ، عِبَادَاتِ جَمِيعِ ذَوِي الْأَرْوَاحِ ، الْمَخْصُوصَةَ بِهِمُ ، الَّذِينَ هُمْ خُلاصَةُ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ فَيَعْرِضُهَا عَلَى الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ ، بِمَعْنَاهَا الْمُحِيطِ ذٰلِكَ ؛ وَإِنَّهُ يُرِيدُ بِكَلِمَةِ ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ أَيْضاً ، عِبَادَاتِ الْإِنْسِ الْكَامِلِينَ ، وَالْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ ، النَّيِّرَةَ وَالرَّفِيعَةَ ، الَّذِينَ هُمْ خُلاصَاتُ ذَوِي الْأَرْوَاحِ ؛ فَيُخَصِّصُهَا بِمَعْبُودِهِ ؛ وَيُقَدِّمُهَا إِلَيْهِ بِالطَّيِّبَاتِ الَّتِي هِيَ خُلاصَةُ الصَّلَوَاتِ . .

وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالىٰ : ﴿اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ، فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ تَعَالىٰ ، يُشْعِرُ عَلىٰ وَجْهِ الْأَمْرِ ، بِقَوْلِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ مِئَاتِ مَلايِينِ النَّاسِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ : ﴿اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ، كُلَّ يَوْمٍ ، عَشْرَ مَرَّاتٍ عَلَى الْأَقَلِّ ، وَأَنَّ ذٰلِكَ السَّلامَ الْإِلٰهِيَّ ، يُورِثُ تِلْكَ الْكَلِمَةَ ، نُوراً وَاسِعاً ، وَمَعْنًى عَالِياً ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ قَوْلَ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ (ﷺ) : ﴿اَلسَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلىٰ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ﴾ ، مُقَابِلَ ذٰلِكَ السَّلامِ ، يُفِيدُ وَيُذَكِّرُ بِأَنَّهُ يَطْلُبُ مِنْ خَالِقِهِ ، رَاجِياً وَدَاعِياً : أَنْ تَصِيرَ أُمَّتُهُ الْمُعَظَّمَةُ ، وَصُلَحَاءُ أُمَّتِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، مَظْهَراً لِلْإِسْلامِ الَّذِي يُمَثِّلُ السَّلامَ الْإِلٰهِيَّ ؛ وَأَنْ تَقُولَ جَمِيعُ أُمَّتِهِ : ﴿اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ . . وَعَلَيْكَ السَّلامُ﴾ ، الْمُتَدَاوَلَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، الَّذِي هُوَ شِعَارٌ عُمُومِيٌّ لِلْإِسْلامِ . . وَإِنَّ قَوْلَ جَبْرَائِيلَ (عليه السلام) ، الْمُتَحَصِّصِ فِي تِلْكَ الصُّحْبَةِ : ﴿أَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ﴾ ، تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، بِالْأَمْرِ الْإِلٰهِيِّ ، يُخْبِرُ مُبَشِّراً بِأَنَّ جَمِيعَ الْأُمَّةِ سَتَشْهَدُ هٰكَذَا ؛ وَتَقُولُ هٰكَذَا ، إِلىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَإِنَّ مَعَانِيَ الْكَلِمَاتِ تَتَلَمَّعُ وَتَتَّسِعُ ، بِتَخَطُّرِ تِلْكَ الْمُكَالَمَةِ الْقُدُسِيَّةِ . .

وَالَّذِي أَعَانَنِي فِي انْكِشَافِ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْمَذْكُورَةِ ، هُوَ حَالَةٌ رُوحِيَّةٌ غَرِيبَةٌ . فَفِي

زَمَنٍ مَّا ، تَرَاءَتْ هٰذِهِ الْكَائِنَاتُ الْجَسِيمَةُ فِي الْحَالِ الْحَاضِرِ ، لِخَيَالِي ، فِي غُرْبَةٍ مُظْلِمَةٍ ، فِي لَيْلَةٍ حَالِكَةٍ ، بَيْنَ غَفْلَةٍ مُظْلِمَةٍ ، جَنَازَةً جَامِدَةً بِلا رُوحٍ ، مَيِّتَةً فَارِغَةً وَخَالِيَةً هَائِلَةً ؛ وَتُخُيِّلَ الزَّمَانُ الْمَاضِي أَيْضاً ، مَيِّتاً وَخَالِياً وَمُدْهِشاً تَمَاماً ؛ فَاتَّخَذَ ذٰلِكَ الْمَكَانُ الَّذِي لا حَدَّ لَهُ ، وَذٰلِكَ الزَّمَانُ الَّذِي لا حُدُودَ لَهُ ، صُورَةَ مَوْطِنٍ وَحْشَةٍ مُظْلِمَةٍ ؛ فَالْتَجَأْتُ إِلَى الصَّلاةِ ، لِلنَّجَاةِ عَنْ تِلْكَ الْحَالَةِ . فَلَمَّا قُلْتُ فِي التَّشَهُّدِ : ﴿التَّحِيَّاتُ﴾ ، فَإِذَا بِالْكَائِنَاتِ انْتَعَشَتْ ؛ وَاتَّخَذَتْ شَكْلاً حَيّاً وَنَيِّراً ؛ فَحَيِيَتْ ؛ وَأَصْبَحَتْ مِرْآةً مُشْرِقَةً ، لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ؛ فَرَأَيْتُ وَعَلِمْتُ عِلْمَ الْيَقِينِ ، بَلْ حَقَّ الْيَقِينِ : أَنَّهَا مَعَ جَمِيعِ أَجْزَائِهَا الْحَيَّةِ ، تُقَدِّمُ تَحِيَّاتِ حَيَاتِهَا ، وَهَدَايَاهَا الْحَيَوِيَّةَ ، إِلَى الذَّاتِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، فِي صُورَةٍ دَائِمَةٍ . ثُمَّ لَمَّا قُلْتُ : ﴿اَلسَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ؛ فَإِذَا بِذٰلِكَ الزَّمَانِ الْخَالِي ، الَّذِي لا حُدُودَ لَهُ ، انْقَلَبَ مِنْ صُورَةِ مَوْطِنِ الْوَحْشَةِ ، إِلٰى صُورَةِ مَسِيرَةٍ أَنِيسَةٍ ، بِأَرْوَاحٍ ذَاتِ حَيَاةٍ ، تَحْتَ رِئَاسَةِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عليه الصلاة والسلام) . .

﴿اَلسُّؤَالُ الثَّانِي :﴾ أَنَّ التَّشْبِيهَ فِي : ﴿اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ ، وَعَلٰى آلِ مُحَمَّدٍ ؛ كَمَا صَلَّيْتَ عَلٰى إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلٰى آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، فِي آخِرِ التَّشَهُّدِ ، لا يُوَافِقُ قَاعِدَةَ التَّشْبِيهَاتِ ؛ لِأَنَّ مُحَمَّداً (عليه الصلاة والسلام) ، أَفْضَلُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) ، وَأَزْيَدُ مِنْهُ مَظْهَرِيَّةً لِلرَّحْمَةِ ؛ فَمَا هُوَ سِرُّ هٰذَا ؟ وَمَا هِيَ حِكْمَةُ تَخْصِيصِ الصَّلَوَاتِ عَلٰى هٰذَا الْوَجْهِ ، بِالتَّشَهُّدِ ؟ . وَأَيْضاً إِنَّ تَكْرَارَ جَمِيعِ الْأُمَّةِ ، عَيْنَ الدُّعَاءِ ، فِي كُلِّ صَلاةٍ ، مُنْذُ الزَّمَنِ الْقَدِيمِ ؛ مَعَ أَنَّ دُعَاءً مَّا إِذَا أَصْبَحَ مَظْهَراً لِلْقَبُولِ ، مَرَّةً وَاحِدَةً ، كَفٰى ؛ وَإِنَّ دُعَاءَ الْفُضَلاءِ الْمَقْبُولَةِ الدَّعَوَاتِ ، بِالْمَلايِينِ عَلٰى وَجْهِ الْإِصْرَارِ ؛ وَلاسِيَّمَا إِذَا اقْتَرَنَ ذٰلِكَ الشَّيْءُ بِالْوَعْدِ الْإِلٰهِيِّ ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ الْحَقَّ تَعَالٰى وَعَدَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿عَسٰى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ ؛ مَعَ أَنَّهُ يُقَالُ فِي الدُّعَاءِ الْمَرْوِيِّ ، الْمَعْمُولِ بِهِ بَعْدَ كُلِّ أَذَانٍ وَإِقَامَةٍ : (وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ) ؛ وَأَنَّ جَمِيعَ الْأُمَّةِ يَدْعُونَ لِأَجْلِ الْإِيفَاءِ بِذٰلِكَ الْوَعْدِ ؛ فَمَا هُوَ سِرُّ حِكْمَةِ هٰذَا ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ فِي هٰذَا السُّؤَالِ ، ثَلاثَ جِهَاتٍ ، وَثَلاثَةَ أَسْئِلَةٍ . .

اَلْجِهَةُ الْأُولٰى : أَنَّ حَضْرَةَ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً (عليه الصلاة والسلام) ،

وَلٰكِنَّ آلَهُ أَنْبِيَاءُ ؛ وَآلُ مُحَمَّدٍ (عليه الصلاة والسلام) أَوْلِيَاءُ ؛ فَالْأَوْلِيَاءُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُدْرِكُوا الْأَنْبِيَاءَ . وَالدَّلِيلُ عَلٰى قَبُولِ هٰذَا الدُّعَاءِ الَّذِي هُوَ فِي حَقِّ الْآلِ ، فِي صُورَةٍ مُشْرِقَةٍ ، هُوَ : أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ الْوَارِدِينَ مِنْ نَسْلِ سَيِّدَيْنِ فَقَطْ ـ : أَيِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ (رضي الله عنهما) ـ ، مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ (عليه الصلاة والسلام) ، بَيْنَ ثَلَاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ مِلْيُوناً ، هُمُ الْكُبَرَاءُ وَالْمُرْشِدُونَ لِلطَّرَائِقِ وَمَسَالِكِ الْحَقِيقَةِ ، عَلَى الْأَكْثَرِ الْمُطْلَقِ ؛ وَأَنَّهُمْ مَظَاهِرُ حَدِيثِ : (عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ) . وَإِنَّ الَّذِينَ أَرْشَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، قِسْماً أَعْظَمَ ، مِنَ الْأُمَّةِ ، إِلٰى طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ ، وَإِلٰى حَقِيقَةِ الْإِسْلَامِ ـ وَفِي الْمُقَدِّمَةِ جَعْفَرٌ الصَّادِقُ ، وَالْغَوْثُ الْأَعْظَمُ ، وَالشَّاهُ النَّقْشَبَنْدُ ـ هُمْ ثِمَارُ قَبُولِ هٰذَا الدُّعَاءِ الَّذِي هُوَ فِي حَقِّ الْآلِ . .

اَلْجِهَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ حِكْمَةَ تَخْصِيصِ الصَّلَوَاتِ عَلٰى هٰذَا الْوَجْهِ ، بِالصَّلَاةِ ، هِيَ : التَّذَكُّرُ بِأَنَّهُ هُوَ أَيْضاً ، رَافَقَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي فَتَحَهُ وَسَلَكَهُ الْقَافِلَةُ الْكُبْرٰى مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَنْوَرُ مَشَاهِيرِ النَّاسِ ، وَأَكْمَلُهُمْ وَأَقْوَمُهُمْ ؛ وَالتَّحَقَ فِي ذٰلِكَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، بِتِلْكَ الْجَمَاعَةِ الْعُظْمَى الَّتِي هِيَ فِي قُوَّةِ مِئَاتِ الْإِجْمَاعِ ، وَمِئَاتِ التَّوَاتُرِ ، وَالَّتِي لَا يُمْكِنُ ضَلَالُهَا ؛ وَالنَّجَاةُ مِنَ الشُّبُهَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ ، وَمِنَ الْأَوْهَامِ السَّيِّئَةِ ، بِذٰلِكَ التَّذَكُّرِ . .

وَالدَّلِيلُ عَلٰى أَنَّ هٰذِهِ الْقَافِلَةَ ، هُمْ أَحِبَّاءُ صَاحِبِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، وَهُمْ مَصْنُوعَاتُهُ الْمَقْبُولَةُ ؛ وَأَنَّ مُعَارِضِيهِمْ ، هُمْ أَعْدَاؤُهُ وَمَخْلُوقَاتُهُ الْمَرْدُودَةُ ، هُوَ : وُرُودُ الْمَعُونَةِ الْغَيْبِيَّةِ دَائِماً ، إِلٰى تِلْكَ الْقَافِلَةِ ؛ وَنُزُولُ الْمُصِيبَةِ السَّمَاوِيَّةِ كُلَّ وَقْتٍ ، عَلٰى مُعَارِضِيهِمْ ، مُنْذُ زَمَنِ آدَمَ . نَعَمْ : إِنَّ جَمِيعَ الْمُعَارِضِينَ ، مِثْلَ قَوْمِ نُوحٍ وَثَمُودَ ، وَعَادٍ وَفِرْعَوْنَ وَنُمْرُوذَ ، ذَاقُوا الصَّفَعَاتِ ، عَلٰى وَجْهٍ يُشْعِرُ بِالْعَذَابِ وَالْغَضَبِ الْإِلٰهِيِّ ؛ كَمَا أَنَّ جَمِيعَ أَبْطَالِ الْقَافِلَةِ الْكُبْرٰى الْقُدْسِيِّينَ ، مِثْلَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسٰى وَمُحَمَّدٍ (عليهم الصلاة والسلام) ، أَيْضاً صَارُوا مَظْهَراً لِلْمُعْجِزَاتِ وَالْإِحْسَانَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ ، فِي صُورَةٍ خَارِقَةٍ وَمُعْجِزَةٍ وَغَيْبِيَّةٍ . وَإِذَا دَلَّتِ الصَّفْعَةُ الْوَاحِدَةُ ، عَلَى الْحِدَّةِ ؛ وَالْإِكْرَامُ الْوَاحِدُ ، عَلَى الْمَحَبَّةِ ؛ فَإِنَّ وُرُودَ أُلُوفِ الصَّفَعَاتِ ، عَلَى الْمُعَارِضِينَ ، وَآلَافِ الْإِكْرَامِ وَالْمَعُونَاتِ ، إِلَى الْقَافِلَةِ ، يَشْهَدُ وَيَدُلُّ عَلٰى حَقَّانِيَّةِ تِلْكَ

الْقَافِلَةِ ، وَعَلَى سُلُوكِهَا فِي الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ ، وَبِوَجْهٍ ظَاهِرٍ كَالنَّهَارِ . وَيَنْظُرُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْفَاتِحَةِ : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ، إِلَى تِلْكَ الْقَافِلَةِ ؛ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ، إِلَى مُعَارِضِيهِمْ . وَإِنَّ النُّكْتَةَ الَّتِي بَيَّنَّاهَا هُنَا ، أَظْهَرُ فِي آخِرِ الْفَاتِحَةِ . .

اَلْجِهَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ سِرَّ حِكْمَةِ الطَّلَبِ بِهٰذَا الْقَدَرِ مِنَ التَّكْرَارِ ، لِإِعْطَاءِ شَيْءٍ يُعْطَى قَطْعاً ، هُوَ : أَنَّ الشَّيْءَ الْمَطْلُوبَ ، كَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ مَثَلاً ، سِنٌّ وَغُصْنُ حَقِيقَةٍ عُظْمَى تَحْتَوِي آلَافَ حَقَائِقَ مُهِمَّةٍ ، كَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ ، وَعَظِيمَةٍ جِدّاً ، وَثَمَرَةٌ لِأَعْظَمِ نَتِيجَةِ خِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ . وَإِنَّ طَلَبَ ذٰلِكَ السِّنِّ ، وَذٰلِكَ الْغُصْنِ ، وَتِلْكَ الثَّمَرَةِ ، بِالدُّعَاءِ ، هُوَ طَلَبٌ بِالتَّبَعِ ، بِتَحَقُّقِ وَتَوَاجُدِ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْعُمُومِيَّةِ الْعُظْمَى ، وَبِمَجِيءِ وَتَحَقُّقِ عَالَمِ الْبَقَاءِ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ غُصْنِ شَجَرَةِ الْخِلْقَةِ تِلْكَ ، وَبِتَحَقُّقِ الْحَشْرِ وَالْقِيَامَةِ ، وَفَتْحِ دَارِ السَّعَادَةِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ نَتِيجَةِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَإِنَّهُ اشْتِرَاكٌ لَهُ أَيْضاً بِذٰلِكَ الطَّلَبِ ، فِي الْعُبُودِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَالدَّعَوَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ أَهَمُّ سَبَبٍ لِوُجُودِ الْجَنَّةِ وَدَارِ السَّعَادَةِ . وَإِنَّ هٰذِهِ الدَّعَوَاتِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، قَلِيلَةٌ أَيْضاً ، لِأَجْلِ مَقْصَدٍ عَظِيمٍ فِي الدَّرَجَةِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا بِهٰذَا الْقَدَرِ . وَأَيْضاً إِنَّ إِعْطَاءَ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ ، لِحَضْرَةِ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، إِشَارَةٌ إِلَى شَفَاعَتِهِ الْكُبْرَى الَّتِي يَشْفَعُهَا لِجَمِيعِ أُمَّتِهِ . وَأَيْضاً إِنَّ ذٰلِكَ الْجَنَابَ ، ذُو عَلَاقَةٍ بِسَعَادَةِ جَمِيعِ أُمَّتِهِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَكُونُ طَلَبُهُ مِنْ جَمِيعِ أُمَّتِهِ ، مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنَ الصَّلَوَاتِ وَدَعَوَاتِ الرَّحْمَةِ ، عَيْنَ الْحِكْمَةِ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

لَيْلَةَ الْخَمِيسِ { جُمَادَى الْأُولَى / ١٧ / ١٤٠٥هـ . . مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلَازْكَرْدِيُّ ، وَفَّقَهُ اللهُ لِنَشْرِ جَمِيعِ الْأَنْوَارِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ آمِين . .
شُبَاط / ٧ / ١٩٨٥م . . عَرَمُونَ ــ أَزْهَرَ لُبْنَانَ ، عَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى ، بِالْأَصْدِقَاءِ وَالْخُلَّانِ ؛ آمِين . .

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ؛ آمِين آمِين . .

اَلشُّعَاعُ السَّابِعُ

رِسالَةُ الْآيَةِ الْكُبْرٰى . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ تَقْدِيمَ مَحْكَمَةِ «دنِزْلِي» الْجَزَائِيَّةِ ، مَعَ مَحْكَمَةِ «أَنقَرَة» الْجَزَائِيَّةِ ، بِالْقَرَارِ عَلَى تَبرِئَةِ خَمْسِمِئَةِ نُسْخَةٍ مِنْ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ مَعَ ذَيْلِهَا ، وَعَلٰى إِعَادَتِهَا إِلَيْنَا بِالاتِّفَاقِ ، بَعْدَ تَدْقِيقِهَا سَنَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ ، قَبْلَ عَشَرَةِ أَعْوَامٍ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هٰذَا التَّأْلِيفَ ، حَقِيقَةٌ قُرْآنِيَّةٌ ، وَسَدٌّ أَعْظَمُ ، ضِدَّ التَّخْرِيبَاتِ الرَّهِيبَةِ الْحَاضِرَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ نُقَدِّمُ هٰذَا التَّأْلِيفَ ، إِلٰى عَدْلِيَّةِ هٰذِهِ الْمَدِينَةِ الْمُبَارَكَةِ ، وَإِلٰى مَقَامِ وِلايَتِهَا ، وَدَائِرَتِهَا الْأَمْنِيَّةِ . فَإِنْ رَأَوْهُ مُنَاسِباً ؛ فَلْيُنْشَرْ بِالْحُرُوفِ الْجَدِيدَةِ ؛ لِيَكُونَ وَسِيلَةً مَّا ، لِإِنْقَاذِ الْمُوَاطِنِينَ ، عَنِ الْمَخَاطِرِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، الْوَارِدَةِ مِنَ الْخَارِجِ . .

وَإِنِّي طَالَعْتُ هٰذِهِ الرِّسَالَةَ ، هٰذِهِ الْمَرَّةَ ، بِالتَّأَمُّلِ ؛ فَالْحَقُّ عَلِمْتُ فِي دَرَجَةِ عَيْنِ الْيَقِينِ : أَنَّ هٰذِهِ الرِّسَالَةَ ، لائِقَةٌ تَمَاماً ، بِتَوْقِيعِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ وَالْأَوْلِيَاءِ ، عَلٰى كَوْنِهَا مَقْبُولَةً ، بِإِشَارَاتِهِمُ الْغَيْبِيَّةِ ؛ وَقُلْتُ : إِنَّ مُضَايَقَتَنَا الْحَاضِرَةَ ، وَإِنْ تَزَايَدَتْ مِئَةَ دَرَجَةٍ ، فَهِيَ رَخِيصَةٌ أَيْضاً ؛ فَيَلْزَمُ الْمُقَابَلَةُ ، لا بِالْغَمِّ وَالْحُزْنِ وَالشَّكْوٰى ، بَلْ بِالْفَرَحِ وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

إِخْطارٌ مُهِمٌّ ، وَإِفادَةُ مَرام :

إِنَّ هٰذِهِ الرِّسالَةَ ذاتَ الْأَهَمِّيَّةِ ، لا يَفْهَمُ كُلُّ أَحَدٍ ، كُلَّ مَسْأَلَةٍ مِنْهَا ؛ وَلٰكِنْ لا يَبْقٰى بِدُونِ حِصَّةٍ ؛ فَإِنَّ مَنْ دَخَلَ حَدِيقَةً عَظِيمَةً ، لا تَنَالُ يَدَاهُ ، جَمِيعَ ثَمَرَاتِ تِلْكَ الْحَدِيقَةِ ؛ وَلٰكِنْ يَكْفِي الْمِقْدارُ الَّذِي يَقَعُ فِي يَدِهِ ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الْحَدِيقَةَ ، لَيْسَتْ لَهُ وَحْدَهُ ؛ بَلْ إِنَّ طِوالَ الْأَيْدِي ، لَهُمْ حِصَصٌ أَيْضاً . .

وَتُوجَدُ خَمْسَةُ أَسْبَابٍ أَشْكَلَتْ فَهْمَ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ . .

اَلْأَوَّلُ : أَنِّي كَتَبْتُ مُشَاهَدَاتِي ، لِنَفْسِي وَحَسَبَ فَهْمِي ؛ وَلَمْ أَكْتُبْهَا حَسَبَ فَهْمِ الْآخَرِينَ وَتَلَقِّيهِمْ ، كَسَائِرِ الْكُتُبِ . .

اَلثَّانِي : أَنَّ التَّوْحِيدَ الْحَقِيقِيَّ ، كُتِبَ فِي صُورَةٍ عُظْمٰى ، بِجَلْوَةِ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ ؛ فَلِذٰلِكَ صَارَتْ مَسَائِلُهَا وَاسِعَةً لِلْغَايَةِ ، وَغَامِضَةً لِلْغَايَةِ ، وَطَوِيلَةً جِدّاً أَحْيَاناً ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ لا يُمْكِنُ أَنْ يُحِيطَ بِهَا كُلُّ أَحَدٍ ، دَفْعَةً وَاحِدَةً . .

اَلثَّالِثُ : أَنَّ كُلَّ مَسْأَلَةٍ ، حَقِيقَةٌ عَظِيمَةٌ وَطَوِيلَةٌ ؛ فَبِسَبَبِ ذٰلِكَ تَصِيرُ صَحِيفَةٌ أَوْ وَرَقَةٌ ، جُمْلَةً وَاحِدَةً أَحْيَاناً ؛ لِئَلّا تُجَزَّأَ الْحَقِيقَةُ ؛ فَتُوجَدُ مُقَدَّمَاتٌ كَثِيرَةٌ ، فِي حُكْمِ دَلِيلٍ وَاحِدٍ . .

اَلرَّابِعُ : أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ أَكْثَرِ مَسَائِلِهَا ، لَهَا أَدِلَّةٌ وَحُجَجٌ كَثِيرَةٌ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ تُجْعَلُ عَشَرَةُ دَلائِلَ أَحْيَاناً ، وَعِشْرُونَ دَلِيلاً مِنْهَا أَحْيَاناً ، بُرْهَاناً وَاحِداً ؛ فَتَطُولُ الْمَسْأَلَةُ بِتِلْكَ الْجِهَةِ ؛ فَلا تَسْتَوْعِبُهَا الْأَفْهَامُ الْقَاصِرَةُ . .

اَلْخَامِسُ : أَنِّي ، إِذْ صِرْتُ مَظْهَراً لِأَنْوَارِ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ، بِفَيْضِ «رَمَضَانَ» ؛ مَعَ أَنَّ حَالِي كَانَ مُشَتَّتاً فِي عِدَّةِ جِهَاتٍ ؛ وَاهْتَزَّ جِسْمِي بِبِضْعَةِ أَمْرَاضٍ ، أُلِّفَتْ سَرِيعاً ؛ فَاكْتُفِيَ بِالْمُسَوَّدَةِ الْأُولٰى . وَأَيْضاً شَعَرْتُ حِينَ التَّأْلِيفِ ، بِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِإِرَادَتِي وَاخْتِيَارِي ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ لَمْ أَرَ تَنْظِيمَهَا أَوْ إِصْلاحَهَا بِفِكْرِي ، مُوَافِقاً ؛ فَلِذٰلِكَ اتَّخَذَتْ وَضْعاً يُشْكِلُ الْفَهْمَ شَيْئاً مَا . وَأَيْضاً دَخَلَتْ فِيهَا الْفِقْرَاتُ الْعَرَبِيَّةُ كَثِيراً ؛ حَتّٰى أَصْبَحَ الْمَقَامُ الْأَوَّلُ عَرَبِيّاً مِنْ أَوَّلِهِ إِلٰى آخِرِهِ ؛ فَلِذٰلِكَ أُخْرِجَ

مِنْ ضِمْنِهَا ؛ وَكُتِبَ مُسْتَقِلّاً . فَمَعَ هٰذِهِ الْأَسْبَابِ الْخَمْسَةِ الَّتِي هِيَ مَدَارُ التَّقْصِيرِ وَالْإِشْكَالِ ، تُوجَدُ لِهٰذِهِ الرِّسَالَةِ أَهَمِّيَّةٌ كَذٰلِكَ ؛ فَمَنَحَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ (رضي الله عنه) ، هٰذِهِ الرِّسَالَةَ ، اسْمَ «الْآيَةِ الْكُبْرٰى» وَ «عَصَا مُوسٰى» ، فِي كَرَامَتِهِ الْغَيْبِيَّةِ ؛ وَنَظَرَ إِلٰى هٰذِهِ خَاصَّةً ؛ فَاجْتَلَبَ نَظَرَ الدِّقَّةِ إِلَيْهَا ، بَيْنَ رَسَائِلِ «رِسَالَةِ النُّورِ»(١) . .

إِنَّ رِسَالَةَ «الْآيَةِ الْكُبْرٰى» هٰذِهِ ، الَّتِي هِيَ تَفْسِيرٌ حَقِيقِيٌّ لِلْآيَةِ الْكُبْرٰى ، هِيَ كِتَابُ «الشُّعَاعِ السَّابِعِ» ، الْمُسَمّٰى «عَصَا مُوسٰى» ، حَسَبَ تَعْبِيرِ حَضْرَةِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ (رضي الله عنه) . .

وَإِنَّ هٰذَا الشُّعَاعَ السَّابِعَ : ﴿مُقَدِّمَةٌ ، وَمَقَامَانِ﴾ . .

فَتُبَيِّنُ مُقَدِّمَتُهُ أَرْبَعَ مَسَائِلَ مُهِمَّةٍ ؛ وَمَقَامُهُ الْأَوَّلُ ، يُبَيِّنُ قِسْمَهُ الْعَرَبِيَّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْكُبْرٰى ؛ وَمَقَامُهُ الثَّانِي ، يُبَيِّنُ بَرَاهِينَهُ وَتَرْجَمَتَهُ وَمَآلَهُ . .

وَإِنَّ إِطْنَابَ هٰذِهِ الْمُقَدِّمَةِ الْآتِيَةِ ، بِدَرَجَةٍ مَّا ، مَعَ إِيضَاحِهَا أَكْثَرَ مِنْ لُزُومِهِ ، حَصَلَ بِدُونِ اخْتِيَارٍ . فَإِذاً يُوجَدُ الِاحْتِيَاجُ ؛ فَاكْتُتِبَتْ كَذٰلِكَ ؛ بَلْ إِنَّ قِسْماً مِنَ النَّاسِ ، يَرَوْنَ هٰذَا الْمُطْنِبَ مُخْتَصَراً . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

---

(١) نَعَمْ : إِنَّ الْخَبَرَ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ الْإِمَامُ عَلِيٌّ (رضي الله عنه) ، صَدَّقَتْهُ حَادِثَةُ «دَنِزْلِي» بِتَمَامِهِ ؛ لِأَنَّ طَبْعَ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ سِرّاً ، صَارَ وَسِيلَةً لِحَبْسِنَا ؛ وَأَنَّ غَلَبَةَ حَقِيقَتِهَا الْقُدْسِيَّةِ وَالْقَوِيَّةِ جِدّاً ، أَصْبَحَتْ سَبَباً أَهَمَّ لِبَرَاءَتِنَا وَنَجَاتِنَا ؛ وَأَرَتِ الْعُيُونَ ، كَرَامَةَ «الْإِمَامِ عَلِيٍّ» الْغَيْبِيَّةَ ، (رضي الله عنه) ؛ وَأَثْبَتَتْ قَبُولَ دُعَائِهِ فِي حَقِّنَا ؛ وَهُوَ : (وَبِالْآيَةِ الْكُبْرٰى أَمِنِّي مِنَ الْفَجْعَةِ) . . الْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

اَلْمُقَدِّمَةُ :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

إِنَّ حِكْمَةَ وَغَايَةَ إِرْسَالِ الْإِنْسَانِ إِلٰى هٰذِهِ الدُّنْيَا ، هِيَ مَعْرِفَةُ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ ، وَأَنْ يُؤْمِنَ بِهِ ؛ فَيَعْبُدَهُ . وَإِنَّ وَظِيفَةَ فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ ، وَفَرِيضَةَ ذِمَّتِهِ ، هِيَ مَعْرِفَةُ اللّٰهِ ، وَالْإِيمَانُ بِاللّٰهِ ، وَالتَّصْدِيقُ بِوُجُودِهِ وَوَحْدَتِهِ ، بِالْإِذْعَانِ وَالْيَقِينِ ، بِسِرِّ هٰذِهِ الْآيَةِ الْعُظْمٰى . .

نَعَمْ : إِنَّ الْإِنْسَانَ الْبَائِسَ الَّذِي يَطْلُبُ حَيَاةً دَائِمَةً ، وَعِيشَةً أَبَدِيَّةً ؛ وَلَهُ آمَالٌ بِلَا حَدٍّ ، وَآلَامٌ بِلَا نِهَايَةٍ ، حَسَبَ الْفِطْرَةِ ، لَا رَيْبَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ وَالْكَمَالَاتِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ الْإِيمَانِ بِاللّٰهِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِاللّٰهِ ، وَوَسَائِلِهَا الَّتِي هِيَ مِفْتَاحُ تِلْكَ الْحَيَاةِ ، وَأُسُّ أَسَاسِهَا ، هِيَ أَدْنٰى بِالنِّسْبَةِ إِلٰى ذٰلِكَ الْإِنْسَانِ ، بَلْ لَا قِيمَةَ لِأَكْثَرِهَا . .

وَإِنَّ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ، قَدْ أُثْبِتَتْ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ، بِبَرَاهِينَ قَوِيَّةٍ ؛ فَلِذٰلِكَ نُحِيلُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ، عَلٰى «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ وَإِنَّمَا نُبَيِّنُ فِي ضِمْنِ أَرْبَعِ مَسَائِلَ ، وَرْطَتَيْنِ هَزَّتَا ذٰلِكَ الْيَقِينَ الْإِيمَانِيَّ ؛ وَأَوْرَثَتَاهُ تَرَدُّداً فِي هٰذَا الْعَصْرِ . .

فَوَسِيلَةُ النَّجَاةِ مِنَ الْوَرْطَةِ الْأُولٰى ، مَسْأَلَتَانِ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولٰى :﴾ أَنَّهُ لَا قِيمَةَ لِلنَّفْيِ ؛ وَأَنَّ قُوَّتَهُ قَلِيلَةٌ جِدّاً ، أَمَامَ الْإِثْبَاتِ ، فِي الْمَسَائِلِ الْعُمُومِيَّةِ . فَمَثَلاً : إِذَا أَثْبَتَ شَاهِدَانِ عَامِّيَّانِ ، الْهِلَالَ ، فِي أَوَّلِ رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، فِي خُصُوصِ رُؤْيَةِ الْهِلَالِ ؛ وَنَفَاهُ الْأَشْرَافُ وَالْعُلَمَاءُ بِالْآلَافِ ، قَائِلِينَ : لَمْ نَرَهُ ، فَلَا قِيمَةَ وَلَا قُوَّةَ لِنَفْيِهِمْ ؛ لِأَنَّ فِي الْإِثْبَاتِ يُقَوِّي بَعْضُهُمْ بَعْضاً ؛ وَيُوجَدُ التَّسَانُدُ وَالْإِجْمَاعُ فِي بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ ؛ أَمَّا فِي النَّفْيِ ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ وَاحِداً ، أَوْ كَانَ أَلْفاً ؛ فَيَبْقٰى كُلُّ أَحَدٍ عَلٰى حِدَتِهِ ؛ وَيَكُونُ انْفِرَادِيّاً ؛ لِأَنَّ الْمُثْبِتَ يَنْظُرُ إِلَى الْخَارِجِ ؛ وَيَحْكُمُ حَسَبَ نَفْسِ الْأَمْرِ ؛ فَإِذَا قَالَ

وَاحِدٌ : يُوجَدُ الْهِلَالُ فِي السَّمَاءِ مَثَلاً ، يَضَعُ صَاحِبُهُ الْآخَرُ إِصْبَعَهُ عَلَيْهِ ؛ فَيَتَّحِدَانِ وَيَتَقَوَّيَانِ كَمَا كَانَ فِي مِثَالِنَا ؛ أَمَّا فِي النَّفْيِ وَالْإِنْكَارِ : فَلَا يَنْظُرُ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى نَفْسِ الْأَمْرِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُثْبَتُ النَّفْيُ الَّذِي لَا يَكُونُ خَاصّاً ؛ وَلَا يَنْظُرُ إِلَى مَكَانٍ خَاصٍّ ؛ وَذٰلِكَ دُسْتُورٌ مَشْهُورٌ . فَإِنَّ شَيْئاً مَا مَثَلاً ، إِذَا أَثْبَتُّ أَنَّهُ يُوجَدُ فِي الدُّنْيَا ؛ وَقُلْتَ أَنْتَ : إِنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي الدُّنْيَا ؛ يَلْزَمُ تَحَرِّي جَمِيعِ الدُّنْيَا ، وَتَمْشِيطُهَا وَإِرَاءَتُهَا ، بَلْ مُشَاهَدَةُ كُلِّ جَانِبٍ مِنَ الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ ؛ لِتُثْبِتَ نَفْيَ ذٰلِكَ الشَّيْءِ ــ أَيْ عَدَمَهُ ــ الَّذِي يُمْكِنُ إِثْبَاتُهُ بِسُهُولَةٍ ، بِإِحْدٰى إِشَارَتِي ؛ ثُمَّ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ : إِنَّهُ لَا يُوجَدُ ؛ وَلَمْ يَقَعْ . فَإِذَا كَانَ النَّافُونَ وَالْمُنْكِرُونَ ، لَا يَنْظُرُونَ إِلَى نَفْسِ الْأَمْرِ ؛ بَلْ يَنْظُرُونَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَعُقُولِهِمْ وَعُيُونِهِمْ ؛ فَيَحْكُمُونَ بِهَا ؛ فَلَا يُمْكِنُ قَطْعاً أَنْ يُقَوِّيَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ؛ وَلَا أَنْ يَصِيرَ ظَهِيراً لَهُ ؛ لِأَنَّ الْأَسْبَابَ وَالْأَسْتَارَ الْمَانِعَةَ لِلرُّؤْيَةِ وَالْمَعْرِفَةِ ، مُخْتَلِفَةٌ . فَلِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَقُولَ : إِنِّي لَا أَرٰى ؛ وَإِنَّهُ لَا يُوجَدُ عِنْدِي وَفِي اعْتِقَادِي ؛ وَإِلَّا فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقُولَ : إِنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي الْوَاقِعِ . فَإِنْ قَالَهُ ؛ صَارَ كِذْبَةً كَبِيرَةً بِقَدَرِ الدُّنْيَا ، خُصُوصاً فِي مَسَائِلِ الْإِيمَانِ النَّاظِرَةِ إِلَى عُمُومِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَصْدُقَهَا ؛ وَلَا يُمْكِنُ تَصْدِيقُهَا ؛ كَمَا أُثْبِتَ مُفَصَّلاً فِي «اللَّمْعَةِ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ» مِنَ الْمَكْتُوبِ الْحَادِي وَالثَّلَاثِينَ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ النَّتِيجَةَ وَاحِدَةٌ وَمُتَّحِدَةٌ فِي الْإِثْبَاتِ ؛ فَيَحْصُلُ التَّسَانُدُ . أَمَّا فِي النَّفْيِ ، فَمُتَعَدِّدَةٌ ؛ وَلَيْسَتْ مُتَّحِدَةً ؛ فَيَتَعَدَّدُ الْقُيُودُ حَسَبَ كُلِّ أَحَدٍ ، كَقَوْلِهِ : «عِنْدِي وَفِي نَظَرِي ، أَوْ فِي اعْتِقَادِي» ، تَتَعَدَّدُ النَّتَائِجُ أَيْضاً ؛ فَلَا يَحْصُلُ التَّسَانُدُ بَعْدُ . .

هٰذَا ، فَفِي نُقْطَةِ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، لَا قِيمَةَ لِكَثْرَةِ الْكُفَّارِ وَالْمُنْكِرِينَ الْمُعَارِضِينَ لِلْإِيمَانِ ، وَلَا لِتَكَثُّرِهِمُ الظَّاهِرِيِّ . وَقَدْ كَانَ اللَّازِمُ عَدَمَ إِيرَاثِ التَّرَدُّدِ أَصْلاً ، لِيَقِينِ الْمُؤْمِنِ وَإِيمَانِهِ ؛ فَقَدْ أَوْرَثَ نَفْيُ فَلَاسِفَةِ أُورُوبَّا ، وَإِنْكَارُهُمْ ، فِي هٰذَا الْعَصْرِ ، قِسْماً مِنَ الْأَشْقِيَاءِ الْمَفْتُونِينَ بِهِمْ ، التَّرَدُّدَ ؛ فَأَزَالَ يَقِينَهُمْ ؛ وَأَفْنٰى سَعَادَتَهُمُ الْأَبَدِيَّةَ ؛ وَأَخْرَجَ الْمَوْتَ وَالْأَجَلَ الَّذِي يُصِيبُ مِنَ النَّاسِ كُلَّ يَوْمٍ ، ثَلَاثِينَ أَلْفَ إِنْسَانٍ ، أَخْرَجَهُ عَنْ مَعْنٰى تَسْرِيحٍ مَّا ؛ فَحَوَّلَهُ إِلَى صُورَةِ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ . فَالْقَبْرُ الَّذِي لَا يُسَدُّ بَابُهُ ، يُسَمِّمُ حَيَاةَ ذٰلِكَ الْمُنْكِرِ اللَّذِيذَةَ ، بِآلَامٍ أَلِيمَةٍ ، بِإِخْطَارِ

إِعْدَامِهِ لَهُ دَائِماً . فَافْهَمْ كَمْ كَانَ الْإِيمَانُ نِعْمَةً عَظِيمَةً ، وَحَيَاةَ الْحَيَاةِ . .

﴿ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ أَنَّ أَشْخَاصاً فِي خَارِجِ فَنٍّ ، أَوْ صَنْعَةٍ مَا ، مَهْمَا كَانُوا عُلَمَاءَ ، وَصُنَّاعاً كِبَاراً ، لا تَمْضِي أَقْوَالُهُمْ ، فِي مَسْأَلَةٍ صَارَتْ مَدَارَ الْمُنَاقَشَةِ مِنْ ذٰلِكَ الْفَنِّ ، أَوْ تِلْكَ الصَّنْعَةِ ؛ وَلا يَصِيرُ حُكْمُهُمْ حُجَّةً فِيهَا ؛ وَلا يُعَدُّونَ دَاخِلِينَ فِي إِجْمَاعِ عُلَمَاءِ ذٰلِكَ الْفَنِّ . فَإِنَّ مُهَنْدِساً كَبِيراً مَثَلاً ، لا يَمْضِي حُكْمُهُ بِقَدَرِ طَبِيبٍ صَغِيرٍ ، فِي كَشْفِ مَرَضٍ وَفِي تَدَاوِيهِ ؛ وَلاسِيَّمَا أَنَّ أَكْبَرَ فَيْلَسُوفٍ ، يَتَوَغَّلُ كَثِيراً فِي الْمَادِّيَّاتِ ؛ وَيَتَبَاعَدُ مُتَمَادِياً عَنِ الْمَعْنَوِيَّاتِ ؛ وَيَتَغَبّى وَيَتَغَلَّظُ أَمَامَ النُّورِ ؛ وَيَهْبِطُ عَقْلُهُ إِلٰى بَصَرِهِ ؛ لا يُتَّخَذُ لِلنَّظَرِ قَوْلُهُ الْمُنْكِرُ ؛ وَلا قِيمَةَ لَهُ فِي الْمَعْنَوِيَّاتِ . .

فَيَا عَجَباً ! كَمْ دِرْهَماً تُسَاوِي ، أَقْوَالُ فَلاسِفَةٍ خَاضُوا وَهَامُوا وَغَرِقُوا فِي أَشَدِّ فَرْعِيَّاتِ الْمَادِّيَّاتِ ، وَجُزْئِيَّاتِ الْكَثْرَةِ ، انْتِشَاراً وَتَفَرُّعاً ، فِي مَسَائِلَ تَوْحِيدِيَّةٍ وَقُدُسِيَّةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ ، اتَّفَقَ فِيهَا مِئَاتُ آلافٍ مِنْ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ ، أَمْثَالِ الشَّيْخِ الْكِيلانِيِّ ، (قدس سره) ، الَّذِي كَانَ يَتَفَرَّجُ عَلَى الْعَرْشِ الْأَعْظَمِ ، وَهُوَ فِي الْأَرْضِ ؛ وَكَانَ صَاحِبَ دَهَاءٍ قُدُسِيٍّ خَارِقٍ ؛ وَاجْتَهَدَ فَارْتَقٰى فِي الْمَعْنَوِيَّاتِ تِسْعِينَ عَاماً ؛ وَاكْتَشَفَ الْحَقَائِقَ الْإِيمَانِيَّةَ فِي صُورَةِ عِلْمِ الْيَقِينِ ، وَعَيْنِ الْيَقِينِ ، بَلْ حَقِّ الْيَقِينِ ؟ أَوَلا يَكُونُ إِنْكَارُهُمْ وَاعْتِرَاضُهُمْ خَامِداً ، مِثْلَ طَنِينِ الْبَعُوضَةِ تِجَاهَ الرَّعْدِ ؟ .

وَإِنَّ الْكُفْرَ الَّذِي يُبْدِي التَّضَادَّ لِلْحَقَائِقِ الْإِسْلامِيَّةِ ، فَيُبَارِزُهَا ، مَاهِيَّتُهُ إِنْكَارٌ وَجَهْلٌ وَنَفْيٌ ؛ وَإِنَّهُ وَإِنْ شُوهِدَ إِثْبَاتاً وَوُجُودِيّاً صُورَةً ؛ فَمَعْنَاهُ عَدَمٌ وَنَفْيٌ . أَمَّا الْإِيمَانُ : فَإِنَّهُ عِلْمٌ وَوُجُودٌ وَإِثْبَاتٌ وَحُكْمٌ ؛ وَإِنَّ كُلَّ مَسْأَلَةٍ مَنْفِيَّةٍ مِنْهُ أَيْضاً ، عِنْوَانُ حَقِيقَةٍ مُثْبَتَةٍ ، وَحِجَابُهَا . فَإِنْ سَعَى أَهْلُ الْكُفْرِ الَّذِينَ يُبَارِزُونَ ضِدَّ الْإِيمَانِ ، لِإِثْبَاتِ اعْتِقَادَاتِهِمُ الْمَنْفِيَّةِ وَلِقَبُولِهَا ، فِي صُورَةِ قَبُولِ الْعَدَمِ ، وَتَصْدِيقِ الْعَدَمِ ، بِغَايَةِ الْمُشْكِلاتِ ، يُمْكِنُ أَنْ يُعَدَّ ذٰلِكَ الْكُفْرُ فِي جِهَةٍ مَا ، عِلْماً ضَالاًّ ، وَحُكْماً خَاطِئاً . وَإِلَّا فَإِنَّ مُجَرَّدَ الْإِنْكَارِ ، وَعَدَمِ الْقَبُولِ ، وَعَدَمِ التَّصْدِيقِ ، الَّذِي يَسْهُلُ جِدّاً ارْتِكَابُهُ ، فَهُوَ جَهْلٌ مُطْلَقٌ ، وَعَدَمُ حُكْمٍ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ الِاعْتِقَادَ الْكُفْرِيَّ قِسْمَانِ . . أَحَدُهُمَا : لَا يَنْظُرُ إِلَى الْحَقَائِقِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ وَهُوَ تَصْدِيقٌ ضَالٌّ ، وَاعْتِقَادٌ بَاطِلٌ ، وَقَبُولٌ خَاطِئٌ ، وَحُكْمٌ ظَالِمٌ ، مَخْصُوصٌ بِنَفْسِهِ . وَهٰذَا الْقِسْمُ خَارِجٌ عَنْ بَحْثِنَا ؛ وَهُوَ لَا يَمَسُّنَا ؛ وَنَحْنُ لَا نَمَسُّهُ أَيْضاً . .

وَثَانِيهِمَا : يُبَارِزُ الْحَقَائِقَ الْإِيمَانِيَّةَ ؛ وَيُعَارِضُهَا . وَهٰذَا أَيْضاً قِسْمَانِ . . أَحَدُهُمَا : عَدَمُ الْقَبُولِ ، وَعَدَمُ تَصْدِيقِ الْإِثْبَاتِ فَقَطْ . فَهٰذَا جَهْلٌ ، وعَدَمُ حُكْمٍ ، وَسَهْلٌ . وهٰذَا أَيْضاً خَارِجٌ عَنْ بَحْثِنَا . .

وَثَانِيهِمَا : قَبُولُ الْعَدَمِ ، وَتَصْدِيقُ الْعَدَمِ قَلْباً . فَهٰذَا الْقِسْمُ حُكْمٌ ، وَاعْتِقَادٌ ، وَالْتِزَامٌ . وَهُوَ مُضْطَرٌّ لِإِثْبَاتِ نَفْيِهِ ، لِأَجْلِ الْتِزَامِهِ . .

وَإِنَّ النَّفْيَ أَيْضاً قِسْمَانِ . . فَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ : يَقُولُ فِي مَوْقِعَةٍ خَاصَّةٍ ، وَفِي جِهَةٍ خُصُوصِيَّةٍ : إِنَّهُ لَا يُوجَدُ . فَهٰذَا الْقِسْمُ يُمْكِنُ أَنْ يُثْبَتَ . وَهٰذَا الْقِسْمُ أَيْضاً خَارِجٌ عَنْ بَحْثِنَا . .

أَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي : فَهُوَ نَفْيٌ وَإِنْكَارٌ لِمَسَائِلَ إِيمَانِيَّةٍ وَقُدُسِيَّةٍ ، عَامَّةٍ وَمُحِيطَةٍ ، تَنْظُرُ إِلَى الدُّنْيَا وَالْكَائِنَاتِ ، وَإِلَى الْآخِرَةِ وَالْأَعْصَارِ . فَهٰذَا النَّفْيُ ، لَا يُثْبَتُ بِجِهَةٍ مَّا أَصْلاً ؛ كَمَا بَيَّنَّا فِي الْمَسْأَلَةِ الْأُولَى ؛ بَلْ يَلْزَمُ نَظَرٌ يُحِيطُ بِالْكَائِنَاتِ ؛ وَيُشَاهِدُ الْآخِرَةَ ؛ وَيَطَّلِعُ عَلَى كُلِّ جَوَانِبِ الزَّمَانِ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ ؛ حَتَّى يُمْكِنَ أَنْ تُثْبَتَ أَمْثَالُ ذٰلِكَ النَّفْيِ . .

اَلْوَرْطَةُ الثَّانِيَةُ ، وَوَسِيلَةُ النَّجَاةِ مِنْهَا : وَهٰذِهِ أَيْضاً مَسْأَلَتَانِ . .

اَلْأُولَى : أَنَّ الْعُقُولَ الْمُتَضَيِّقَةَ بِسَبَبِ التَّوَغُّلِ فِي الْغَفْلَةِ ، أَوِ الْمَعْصِيَةِ ، أَوِ الْمَادِّيَّاتِ ، لَا تُحِيطُ بِمَسَائِلَ عَظِيمَةٍ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يَرِيغُونَ إِلَى الْإِنْكَارِ ؛ وَيَنْفُونَهَا بِغُرُورٍ عِلْمِيٍّ . نَعَمْ : إِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُوَسِّعُوا عُقُولَهُمْ ، تِلْكَ الَّتِي تَقَلَّصَتْ وَتَجَفَّفَتْ مَعْنًى ، وَقُلُوبَهُمُ الَّتِي فَسَدَتْ وَمَاتَتْ فِي الْمَعْنَوِيَّاتِ ، لِلْمَسَائِلِ الْإِيمَانِيَّةِ الْوَاسِعَةِ جِدّاً ، وَالْعَمِيقَةِ وَالْمُحِيطَةِ جِدّاً ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يُلْقُونَ بِأَنْفُسِهِمْ ، فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ ؛ فَيَغْرَقُونَ فِيهِ . فَإِنِ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَنْظُرُوا بِإِمْعَانٍ ، إِلَى بَاطِنِ كُفْرِهِمْ ، وَإِلَى مَاهِيَّةِ ضَلَالَتِهِمْ ، فَسَيَرَوْنَ أَنَّ مِئَةَ دَرَجَةٍ مِنَ الْمُحَالِ وَالِامْتِنَاعِ ، وَعَدَمِ

الْإِمْكَانِ، هِيَ تَحْتَ ذٰلِكَ الْكُفْرِ، وَفِي بَاطِنِهِ، مُقَابِلَ مَا فِي الْإِيمَانِ مِنَ الْعَظَمَةِ الْمَعْقُولَةِ اللَّائِقَةِ وَاللَّازِمَةِ..

وَقَدْ أَثْبَتَتْ «رِسَالَةُ النُّورِ»، هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ، بِمِئَاتٍ مِنَ الْمَوَازِينِ وَالْمُوَازَنَاتِ، إِثْبَاتاً قَاطِعاً، فِي دَرَجَةِ كَوْنِ الِاثْنَيْنِ فِي الِاثْنَيْنِ أَرْبَعَةً. فَمَثَلاً: إِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْبَلَ وُجُوبَ وُجُودِ الْحَقِّ تَعَالٰى، وَأَزَلِيَّتَهُ، وَصِفَاتِهِ الْمُحِيطَةَ، لِأَجْلِ عَظَمَتِهَا، يُمْكِنُ أَنْ يَعْتَقِدَ كُفْرَهُ، إِمَّا بِإِسْنَادِ وُجُوبِ الْوُجُودِ، وَأَزَلِيَّتِهِ، وَصِفَاتِ الْأُلُوهِيَّةِ، إِلٰى مَوْجُودَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا، بَلْ إِلٰى ذَرَّاتٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا؛ أَوْ لَا بُدَّ أَنْ يَسْتَقِيلَ عَنِ الْعَقْلِ، بِإِنْكَارِ نَفْسِهِ، وَنَفْيِ الْكَائِنَاتِ، كَالسُّوفَسْطَائِيَّةِ الْحَمْقٰى..

هٰذَا، فَجَمِيعُ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ، مِثْلِ هٰذِهِ، تَسْتَنِدُ شُؤُونَ نَفْسِهَا، إِلَى الْعَظَمَةِ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَاهَا؛ فَتُنْقِذُهَا عَنِ الْمُحَالَاتِ الْمُرْعِبَةِ، وَالْخُرَافَاتِ الْمُوحِشَةِ، وَالْجَهَالَاتِ الْمُظْلِمَةِ، لِلْكُفْرِ الَّذِي فِي جَبْهَتِهَا؛ فَتُمَكِّنُهَا فِي الْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ، وَفِي الْعُقُولِ الْمُسْتَقِيمَةِ، بِكَمَالِ الْإِذْعَانِ وَالتَّسْلِيمِ. نَعَمْ: إِنَّ إِعْلَانَ ﴿اَللّٰهُ أَكْبَرُ، اَللّٰهُ أَكْبَرُ، اَللّٰهُ أَكْبَرُ، اَللّٰهُ أَكْبَرُ﴾ بِكَثْرَةٍ، فِي أَكْثَرِ الشَّعَائِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ، مِثْلِ الْأَذَانِ وَالصَّلَاةِ، لِعَظَمَةِ كِبْرِيَائِهِ، كُلَّ وَقْتٍ؛ وَإِنَّ تِبْيَانَ الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ: ﴿اَلْعَظَمَةُ إِزَارِي؛ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي﴾؛ وَإِنَّ بَيَانَ الْمُنَاجَاةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ذَاتِ الْمَعْرِفَةِ لِلْغَايَةِ، فِي الْعُقْدَةِ السَّادِسَةِ وَالثَّمَانِينَ مِنْ مُنَاجَاةِ «الْجَوْشَنِ الْكَبِيرِ»، وَهُوَ: ﴿يَا مَنْ لَا مُلْكَ إِلَّا مُلْكُهُ؛ يَا مَنْ لَا يُحْصِي الْعِبَادُ ثَنَاءَهُ.. يَا مَنْ لَا تَصِفُ الْخَلَائِقُ جَلَالَهُ؛ يَا مَنْ لَا تَنَالُ الْأَوْهَامُ كُنْهَهُ.. يَا مَنْ لَا يُدْرِكُ الْأَبْصَارُ كَمَالَهُ؛ يَا مَنْ لَا يَبْلُغُ الْأَفْهَامُ صِفَاتِهِ.. يَا مَنْ لَا يَنَالُ الْأَفْكَارُ كِبْرِيَاءَهُ؛ يَا مَنْ لَا يُحْسِنُ الْإِنْسَانُ نُعُوتَهُ.. يَا مَنْ لَا يَرُدُّ الْعِبَادُ قَضَاءَهُ؛ يَا مَنْ ظَهَرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ آيَاتُهُ.. سُبْحَانَكَ يَا لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ؛ الْأَمَانُ الْأَمَانُ نَجِّنَا مِنَ النَّارِ﴾، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ الْعَظَمَةَ وَالْكِبْرِيَاءَ، حِجَابٌ لَازِمٌ..

اَلْمَقَامُ الْأَوَّلُ الْعَرَبِيُّ (١)

مِنَ «الْآيَةِ الْكُبْرٰى» :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلٰى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ۞ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً ۞ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ۞﴾ . .

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ . .

آمَنَّا بِأَنَّهُ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ ، الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، وَعَلٰى عَظَمَةِ قُدْرَتِهِ فِي حَشْمَةِ سَلْطَنَتِهِ ، «السَّمَاوَاتُ» الشَّاهِدَاتُ بِكَلِمَاتِ النُّجُومِ وَالشُّمُوسِ وَالْأَقْمَارِ وَالسَّيَارَاتِ ، الْمُحَرَّكَاتِ الْمُسَخَّرَاتِ بِالْإِرَادَةِ ، الْمُدَوَّرَاتِ الْمُدَبَّرَاتِ بِالْمَشِيئَةِ ، الْمُوَظَّفَاتِ الْمُنَظَّمَاتِ بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ وَالْاِنْتِظَامِ ، وَالْمُسْتَخْدَمَاتِ الْمُسْتَوْقَدَاتِ بِغَايَةِ الْمُحَافَظَةِ وَالْمِيزَانِ . .

فَالْأَجْرَامُ الْعُلْوِيَّةُ وَالْكَوَاكِبُ الدُّرِّيَّةُ فِي قُبَّةِ الْفَلَكِ ، بِكَمَالِ ظُهُورِ شَهَادَاتِهَا ، مُجَسَّمَاتُ نَيِّرَاتِ بَرَاهِينِ أُلُوهِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ ؛ وَبِغَايَةِ وُضُوحِ دَلَالَتِهَا ، شُعَاعَاتُ شَوَاهِدِ رُبُوبِيَّتِهِ وَعِزَّتِهِ ، تَشْهَدُ عَلٰى شَعْشَعَةِ سَلْطَنَةِ أُلُوهِيَّتِهِ ؛ وَتُنَادِي عَلٰى وُسْعَةِ حَاكِمِيَّتِهِ فِي إِحَاطَةِ رُبُوبِيَّتِهِ بِجَمِيعِ

---

(١) أَدْرَجْنَا الْمَقَامَ الْأَوَّلَ الْعَرَبِيَّ الْمَطْوِيَّ سَابِقاً ، فِي رِسَالَةِ «الْآيَةِ الْكُبْرٰى» ، بِمُنَاسَبَةِ نَشْرِهَا بِتَوْفِيقِ اللّٰهِ تَعَالٰى ، بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ كَمَا أُدْرِجَ فِي «ذِي الْفَقَارِ» ، الْمَنْشُورِ بِالتُّرْكِيَّةِ وَبِالْعَرَبِيَّةِ أَيْضاً . . الْمُتَرْجِمُ ، (ﷻ) . .

الْعَوَالِمِ وَالْأَشْيَآءِ . .

فَاسْتَمِعْ إِلٰى آيَةِ : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوآ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ . .

ثُمَّ انْظُرْ إِلٰى وَجْهِ السَّمَآءِ ، كَيْفَ تَرٰى سُكُوتاً فِي سُكُونَةٍ ؛ حَرَكَةً فِي حِكْمَةٍ ؛ تَلَأْلُؤاً فِي حَشْمَةٍ ؛ تَبَسُّماً فِي زِينَةٍ ، مَعَ انْتِظَامِ الْخِلْقَةِ ، مَعَ اتِّزَانِ الصَّنْعَةِ . .

تَشَعْشُعُ سِرَاجِهَا لِتَبْدِيلِ الْمَوَاسِمِ ، وَلِتَحْوِيلِ صَحَآئِفِ الْفُصُولِ ، إِلٰى قَلَمِ الْقُدْرَةِ ، لِكِتَابَةِ سُطُورِ النَّبَاتَاتِ وَالْحَيْوَانَاتِ ؛ تَهَلْهُلُ مِصْبَاحِهَا لِتَنْوِيرِ الْمَنَازِلِ ، وَلِتَقْوِيمِ الْأَوْقَاتِ ، وَتَعْيِينِ السِّنِينَ ؛ تَلَأْلُؤُ نُجُومِهَا لِتَنْوِيرِ الْكَآئِنَاتِ وَتَزْيِينِ الْعَوَالِمِ ، تُعْلِنُ لِأَهْلِ النُّهٰى ، رُبُوبِيَّةً فِي سَلْطَنَةٍ بِلَا انْتِهَآءٍ ، لِتَدْبِيرِ هٰذَا الْعَالَمِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، وَعَلٰى غَايَةِ وُسْعَةِ رَحْمَتِهِ فِي سُرْعَةِ فَعَّالِيَّةِ قُدْرَتِهِ ، «الْجَوُّ» الشَّاهِدُ بِكَلِمَاتِ السَّحَابِ وَالرِّيَاحِ وَالرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ وَالْأَمْطَارِ الْمُسَخَّرَاتِ الْمُصَرَّفَاتِ الْمُدَبَّرَاتِ ، الْمُوَظَّفَاتِ بِإِيصَالِ هَدَايَا الرَّحْمٰنِ ، وَنَقْلِ لَطَآئِفِ الْمَوَادِّ وَالْأَصْوَاتِ ، إِلٰٓى أَنْوَاعِ ذَوِي الْحَيَاةِ وَالْإِنْسَانِ ، بِقَصْدِ الْإِحْسَانِ ، وَإِرَادَةِ الْإِنْعَامِ ، فِي تَحَوُّلَاتِهَا وَحَرَكَاتِهَا الْمُشَوَّشَةِ فِي الظَّاهِرِ ، الْمُنَظَّمَةِ فِي الْحَقِيقَةِ ، بِشَهَادَةِ حِكَمِهَا وَفَوَآئِدِهَا وَتَطَابُقِهَا لِمَظَانِّ حَاجَاتِ ذَوِي الْحَيَاةِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، وَعَلٰٓى إِحَاطَةِ حَاكِمِيَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَإِرَادَتِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ ، «جَمِيعُ الْعَنَاصِرِ» الشَّاهِدَاتِ بِكَلِمَاتِ مَوَالِيدِهَا الْمُصَنَّعَاتِ بِالْمَشِيئَةِ ، وَنَتَآئِجِهَا الْمُنَظَّمَاتِ بِالْإِرَادَةِ ، وَخَدَمَاتِهَا الْمُكَمَّلَاتِ بِالْحِكْمَةِ ، وَوَظَآئِفِهَا الْمُنْتَظَمَاتِ بِالْقَصْدِ ، بِكَمَالِ الْمُسَخَّرِيَّةِ وَالْاِنْقِيَادِ وَالْإِطَاعَةِ وَالْاِنْتِظَامِ ، فِي تُرَابِهَا وَحَدِيدِهَا ، وَمَآئِهَا وَهَوَآئِهَا ، مَعَ جُمُودِهَا وَجَهْلِهَا ، وَتَشَاكُسِهَا وَمُشَوَّشِيَّتِهَا ، وَتَشَابُهِهَا وَتَمَاثُلِهَا ، وَانْتِشَارِهَا وَاسْتِيلَآئِهَا بِلَا قَيْدٍ فِي ذَوَاتِهَا ، مَعَ كَمَالِ مَوْزُونِيَّةِ وَانْتِظَامِ مَا فِيٓ أَيَادِيهَا . .

نَعَمْ : تَلَأْلُؤُ الضِّيَآءِ مِنْ تَنْوِيرِهِ تَشْهِيرِهِ لِإِرَآءَةِ عَجَآئِبِ صَنْعَتِهِ ؛ تَمَوُّجُ الرِّيَاحِ مِنْ تَصْرِيفِهِ

تَوْظِيفِهِ بِقَصْدِ إِيصَالِ أَوَامِرِهِ إِلىٰ مَصْنُوعَاتِهِ ؛ تَفَجُّرُ الْأَنْهَارِ مِنْ تَدْخِيرِهِ تَسْخِيرِهِ ؛ تَزَيُّنُ الْأَحْجَارِ مِنْ تَجْهِيزِهِ تَدْبِيرِهِ لِمَنَافِعِ ذَوِي الْحَيَاةِ مِنْ عِبَادِهِ ؛ تَبَسُّمُ الْأَزْهَارِ مِنْ تَزْيِينِهِ تَحْسِينِهِ لِلتَّعَرُّفِ وَالتَّوَدُّدِ إِلىٰ مَخْلُوقَاتِهِ ؛ تَبَرُّجُ الْأَثْمَارِ مِنْ إِنْعَامِهِ إِكْرَامِهِ لِإِحْسَاسِ كَمَالِ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ ؛ تَسَجُّعُ الْأَطْيَارِ مِنْ إِنْطَاقِهِ إِرْفَاقِهِ لِإِشْعَارِ حُسْنِ إِدَارَتِهِ ، وَلُطْفِ رُبُوبِيَّتِهِ ؛ تَهَزُّجُ الْأَمْطَارِ مِنْ تَنْزِيلِهِ تَفْضِيلِهِ لِتَبْشِيرِ حَيَوَانَاتِهِ فِيٓ إِمْدَادَاتِ نَبَاتَاتِهِ ؛ تَحَرُّكُ الْأَقْمَارِ مِنْ تَقْدِيرِهِ تَدْوِيرِهِ لِتَعْيِينِ الْأَوْقَاتِ وَالسِّنِينَ لِذَوِي الشُّعُورِ مِنْ خَلْقِهِ . .

سُبْحَانَهُ مَآ أَنْوَرَ بُرْهَانَهُ ، مَآ أَبْهَرَ سُلْطَانَهُ . .

آمَنَّا بِأَنَّهُ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ الَّذِي دَلَّ عَلىٰ وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، وَعَلىٰ كَمَالِ رَحْمَانِيَّتِهِ فِي مَحَاسِنِ رُبُوبِيَّتِهِ ، «الْأَرْضُ» الشَّاهِدَةُ بِكَلِمَاتِ مَعَادِنِهَا الْمُدَّخَرَاتِ بِالْحِكْمَةِ لِلْحَاجَاتِ ، وَكَلِمَاتِ نَبَاتَاتِهَا الْمُتَسَنْبِلَاتِ بِالرَّحْمَةِ لِلْأَقْوَاتِ ، وَبِكَلِمَاتِ أَشْجَارِهَا الْمُثْمِرَاتِ بِالْعِنَايَةِ لِلْأَرْزَاقِ ، وَبِكَلِمَاتِ حَيَوَانَاتِهَا الْمُصَوَّرَاتِ الْمُدَبَّرَاتِ بِأَكْمَلِ تَدْبِيرٍ وَإِدَارَةٍ ، وَبِأَحْسَنِ تَرْبِيَةٍ وَإِعَاشَةٍ ، وَبِأَلْطَفِ إِطْعَامٍ وَمُحَافَظَةٍ ، بِدَقَآئِقِ الْحِكْمَةِ وَالْإِرَادَةِ ، وَبِلَطَآئِفِ الرَّحْمَةِ وَالْعِنَايَةِ ؛ جَلَّ جَلَالُهُ . .

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ حَدِيقَةَ أَرْضِهِ ، مَشْهَرَ صَنْعَتِهِ ، مَحْشَرَ فِطْرَتِهِ ، مَظْهَرَ قُدْرَتِهِ ، مَدَارَ حِكْمَتِهِ ، مَزْهَرَ رَحْمَتِهِ ، مَزْرَعَ جَنَّتِهِ ، مَمَرَّ الْمَخْلُوقَاتِ ، مَسِيرَ الْقَافِلَاتِ ، مَسِيلَ الْمَوْجُودَاتِ ، مَكِيلَ الْمَصْنُوعَاتِ ؛ فَجَمِيعُ تِلْكَ الْقَافِلَاتِ لَاسِيَّمَا مُزَيَّنُ الْحَيَوَانَاتِ ، مُنَقَّشُ الطُّيُورَاتِ ، مُثَمَّرُ الشَّجَرَاتِ ، مُزَهَّرُ النَّبَاتَاتِ ، مُعْجِزَاتُ عِلْمِهِ ، خَوَارِقُ صَنْعَتِهِ ، هَدَايَا جُودِهِ ، بَشَآئِرُ لُطْفِهِ . .

فَتَبَسُّمُ الْأَزْهَارِ مِنْ تَزَيُّنِ الْأَثْمَارِ ، وَتَهَزُّجُ الْأَمْطَارِ عَلىٰ خُدُودِ الْأَزْهَارِ ، وَتَسَجُّعُ الْأَطْيَارِ فِي نَسْمَةِ الْأَسْحَارِ ، وَتَرَحُّمُ الْوَالِدَاتِ عَلَى الْأَطْفَالِ الصِّغَارِ ، وَتَزَيُّنُ الْأَشْيَآءِ وَالْأَشْجَارِ ، وَتَبَرُّجُ الْأَزْهَارِ وَالْأَثْمَارِ ، مَا هِيَ إِلَّا تَعَرُّفُ صَانِعٍ وَدُودٍ ، وَتَوَدُّدُ خَالِقٍ رَحْمَانٍ ، وَتَرَحُّمُ مُنْعِمٍ حَنَّانٍ ، وَتَحَنُّنُ مُحْسِنٍ مَنَّانٍ ، لِلْجِنِّ وَالْإِنْسَانِ ، وَالرُّوحِ وَالْحَيَوَانِ ، وَالْمَلَكِ وَالْجَانِّ ، بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ ، بَلْ بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْعِيَانِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ اَلَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، وَعَلٰى عَظَمَةِ حَاكِمِيَّتِهِ فِي حَشْمَةِ رُبُوبِيَّتِهِ ، «جَمِيعُ الْبِحَارِ وَالْعُيُونِ وَالْأَنْهَارِ» بِكَلِمَاتِ جَوَاهِرِهَا الْمُزَيَّنَاتِ ، وَحَيَوَانَاتِهَا الْمُنْتَظَمَاتِ ، وَوَارِدَاتِهَا وَصَرْفِيَّاتِهَا بِالْمِيزَانِ ، وَادِّخَارِهَا وَمُحَافَظَتِهَا بِالْإِنْتِظَامِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ اَلَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، وَعَلٰى عَظَمَةِ سَلْطَنَةِ أُلُوهِيَّتِهِ فِي لَطَآئِفِ تَدَابِيرِ رُبُوبِيَّتِهِ ، «جَمِيعُ الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ وَالصَّحَارٰى» الشَّاهِدَاتِ بِكَلِمَاتِ مَعَادِنِهَا وَدَفَآئِنِهَا ، وَخَزَآئِنِهَا وَمَنَابِعِهَا الْمُدَّخَرَاتِ الْمُسَخَّرَاتِ ، الْمُهَيَّآتِ بِالتَّدَابِيرِ الْإِحْتِيَاطِيَّةِ لِأَنْوَاعِ حَاجَاتِ أَنْوَاعِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، وَبِكَلِمَاتِ نَبَاتَاتِهَا الْمُزَيَّنَاتِ الْمُتَزَهِّرَاتِ ، الْمُتَبَسِّمَاتِ الْمُتَسَنْبِلَاتِ الْمُرْسَلَاتِ لِإِطْعَامِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَبِكَلِمَاتِ أَشْجَارِهَا الْمُورِقَاتِ الْمُزْهِرَاتِ ، الْمُثْمِرَاتِ النَّاشِرَاتِ أَيَادِيَهَا بِالْأَثْمَارِ لِإِنْفَاقِ ذَوِي الْحَيَاةِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ اَلَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، وَعَلٰٓى أَنْوَاعِ نُقُوشِ جَلَوَاتِ أَسْمَآئِهِ وَمَحَاسِنِ صَنْعَتِهِ ، فِي لَطَآئِفِ دَقَآئِقِ حِكْمَتِهِ ، «إِجْمَاعُ جَمِيعِ أَنْوَاعِ النَّبَاتَاتِ وَجَمِيعِ أَصْنَافِ الْأَشْجَارِ» الشَّاهِدَاتِ بِكَلِمَاتِ الْأَوْرَاقِ وَالْأَزْهَارِ وَالْبُذُورِ وَالْأَثْمَارِ ، الْمَوْزُونَاتِ الْمَنْظُومَاتِ ، الْفَصِيحَاتِ الْبَلِيغَاتِ ، الْمُنْشِدَاتِ لِمَدَآئِحِ خَلَّاقِهَا وَمُصَوِّرِهَا وَمُزَيِّنِهَا ، بِشَهَادَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ تَبَارُزِ إِرَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالْإِنْعَامِ وَالْإِكْرَامِ وَالْإِمْتِنَانِ ، فِي الْكُلِّ عَلٰى ذَوِي الْحَيَاةِ ، بِإِهْدَآئِهَا لَهَا مُزَيَّنَةً بِلَطَآئِفِ الرَّحْمَةِ وَالْعِنَايَةِ ، وَتَظَاهُرِ حَقِيقَةِ التَّصْوِيرِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّمْيِيزِ وَالتَّزْيِينِ فِي كُلِّهَا ، بِدَقَآئِقِ الْحِكْمَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالزَّرْعِ وَالنَّشْرِ – لَاسِيَّمَا بِطَيَرَانِ الْبُذُورِ بِأَجْنِحَةِ الْأَشْعَارِ – وَبِمُشَاهَدَةِ حَقِيقَةِ فَتْحِ جَمِيعِ صُوَرِهَا الْمُتَبَايِنَةِ الْغَيْرِ الْمَحْدُودَةِ ، بِكَمَالِ الْإِنْتِظَامِ وَالْإِتِّزَانِ وَالْإِمْتِيَازِ ، عَلٰى مَرِّ الزَّمَانِ وَالْمَوَاسِمِ ، بِلَا سَهْوٍ وَلَا نِسْيَانٍ ، مِنْ بُذُورَاتٍ وَنَوَاتَاتٍ وَحَبَّاتٍ مُتَشَابِهَاتٍ مُخْتَلِطَاتٍ مُخْتَرَعَاتٍ دَفْعَةً مِنَ الْعَدَمِ ، مَحْدُودَاتٍ مَعْدُودَاتٍ ؛ حَتّٰى صَارَتِ الْبُذُورُ وَالْأَثْمَارُ ، وَالْحُبُوبُ وَالْأَزْهَارُ ، مُعْجِزَاتِ الْحِكْمَةِ ، خَوَارِقَ الصَّنْعَةِ ، هَدَايَا الرَّحْمَةِ ، خُلَاصَاتِ الْأَطْعِمَةِ ، بَرَاهِينَ الْوَحْدَةِ ، بَشَآئِرَ لُطْفِهِ فِي دَارِ الْآخِرَةِ ، شَوَاهِدَ صَادِقَةً بِأَنَّ خَلَّاقَهَا عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ؛ قَدْ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ بِالرَّحْمَةِ وَالْعِلْمِ وَالصُّنْعِ وَالتَّصْوِيرِ ؛ حَتّٰى كَأَنَّ

الشَّمْسَ فِي الْكَآئِنَاتِ ، كَالثَّمَرَةِ وَالسِّرَاجِ فِي الْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ ؛ وَالنُّجُومَ فِي السَّمَآءِ ، كَالْأَزْهَارِ وَالْأَثْمَارِ فِي الصُّنْعِ وَالتَّصْوِيرِ ؛ وَالْأَرْضَ فِي الْفَضَآءِ ، كَالْبَيْضَةِ وَالْحَبَّةِ ، لَا تَثْقُلُ عَلَيْهِ فِي الْخَلْقِ وَالتَّقْدِيرِ وَالصُّنْعِ وَالتَّصْوِيرِ . .

نَعَمْ : جَمِيعُ النَّبَاتَاتِ وَالْأَشْجَارِ شَاهِدَاتٌ عَلَىٰ وُجُوبِ مَوْجُودِيَّةِ صَانِعِهَا وَوَحْدَانِيَّتِهِ ، بِكَمَالِ الْوُضُوحِ وَالظُّهُورِ ، وَغَايَةِ الصَّرَاحَةِ وَالْبَيَانِ ، وَبِالْخَاصَّةِ عِنْدَ انْفِتَاحِ أَكْمَامِهَا ، وَانْكِشَافِ أَزْهَارِهَا ، وَتَزَايُدِ أَوْرَاقِهَا ، وَتَكَامُلِ ثِمَارِهَا ، وَرَقْصِ بَنَاتِهَا «أَيْ أَوْلَادِهَا» الْمُتَبَسِّمَةِ عَلَىٰ أَيَادِيَ أَغْصَانِهَا ، بِأَفْوَاهِ مُزَيَّنَاتِ أَزَاهِيرِهَا وَأَكْمَامِهَا ، وَبِأَلْسِنَةِ مُنْتَظَمَاتِ سَنَابِلِهَا وَعَنَاقِيدِهَا ، وَبِحُرُوفِ مَوْزُونَاتِ بُذُورِهَا وَنَوَاتَاتِهَا ، وَبِكَلِمَاتِ مَنْظُومَاتِ حَبَّاتِهَا وَثِمَارِهَا ، وَبِدَلَالَاتِ مَعَانِي مُصَنَّعَاتِ نِظَامِهَا ، فِي مِيزَانِهَا ، فِي تَنْظِيمِهَا ، فِي تَوْزِينِهَا ، فِي تَزْيِينِهَا ، فِي تَمْيِيزِهَا ، فِي صَنْعَتِهَا ، فِي صِبْغَتِهَا ، فِي زِينَتِهَا ، فِي نُقُوشِهَا ، فِي طُعُومِهَا ، فِي رَوَآئِحِهَا ، فِيٓ أَلْوَانِهَا ، فِيٓ أَشْكَالِهَا الْمُتَمَايِزَاتِ الْمُنْتَظَمَاتِ الْوَاصِفَاتِ لِتَجَلِّيَاتِ صِفَاتِ خَلَّاقِهَا ، وَالْمُفَسِّرَاتِ لِجَلَوَاتِ أَسْمَآئِهِ ، وَالْمُعَرِّفَاتِ لِتَوَدُّدَاتِهِ وَتَعَرُّفَاتِهِ إِلَىٰ مَخْلُوقَاتِهِ ، لَاسِيَّمَا تَوْصِيفِهَا لِخَلَّاقِهَا بِمَا يَتَقَطَّرُ مِنْ ظَرَافَةِ عُيُونِ أَزَاهِيرِهَا ؛ وَيَتَرَشَّحُ مِنْ طَرَاوَةِ أَسْنَانِ سَنَابِلِهَا ؛ وَيَتَحَلَّبُ مِنْ عُسَيْلَةِ شِفَاهِ ثِمَارِهَا ، مِنْ قَطَرَاتِ رَشَحَاتِ لَمَعَاتِ جَلَوَاتِ تَوَدُّدِهِ وَتَحَبُّبِهِ وَتَعَرُّفِهِ وَتَعَهُّدِهِ لِمَصْنُوعَاتِهِ . .

سُبْحَانَهُ مَآ أَزْيَنَ بُرْهَانَهُ ؛ وَمَآ أَظْهَرَهُ ، وَمَآ أَبْهَرَهُ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ الَّذِي دَلَّ عَلَىٰ وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ وَأَحَدِيَّتِهِ ، وَعَلَىٰ صِفَاتِهِ وَأَسْمَآئِهِ ، «إِجْمَاعُ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْحُوَيْنَاتِ ، وَجَمِيعِ أَقْسَامِ الطُّيُورِ وَالطُّوَيْرَاتِ» ، بِكَلِمَاتِ الْأَعْضَآءِ وَالْآلَاتِ الْمُنْتَظَمَةِ بِدِقَّةِ الْإِرَادَةِ وَالْحِكْمَةِ ، وَبِجُمَلِ الْجَوَارِحِ وَالْجِهَازَاتِ الْمُكَمَّلَةِ بِالْمَشِيئَةِ وَالْعِنَايَةِ ، وَبِمَعَانِي الْحَوَاسِّ وَالْحِسِّيَّاتِ الْمُنَظَّمَةِ بِقَصْدِ الْإِحْسَانِ وَالرَّحْمَةِ ، بِشَهَادَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ الصُّنْعِ وَالْإِبْدَاعِ وَالْخَلْقِ وَالْإِخْتِرَاعِ مِنَ الْعَدَمِ ، فِي الْكُلِّ ، بِدَقَآئِقِ الْحِكْمَةِ وَالْإِرَادَةِ ، وَبِشَهَادَةِ تَظَاهُرِ حَقِيقَةِ التَّصْوِيرِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَالتَّمْيِيزِ وَالتَّزْيِينِ ، وَالتَّرْبِيَةِ وَالْإِعَاشَةِ ، بِمَحَاسِنِ الرَّحْمَةِ وَالْعِنَايَةِ ، وَبِمُشَاهَدَةِ حَقِيقَةِ فَتْحِ جَمِيعِ صُوَرِهَا الْمُتَخَالِفَةِ الْغَيْرِ الْمَحْصُورَةِ ،

بِكَمَالِ الاِنْتِظَامِ وَالاِتِّزَانِ وَالاِمْتِيَازِ ، بِالدَّوَامِ فِي الْفُصُولِ وَالْأَزْمَانِ ، بِلَا سَهْوٍ وَلَا نِسْيَانٍ ، مِنْ قَطَرَاتٍ وَبَيْضَاتٍ مُتَمَاثِلَةٍ مُتَشَابِهَةٍ مُخْتَلِطَةٍ ، مُنْشَآتٍ مِنَ الْعَدَمِ ، مَحْصُورَاتٍ مَعْدُودَاتٍ . .

آمَنَّا بِأَنَّهُ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ وَأَحَدِيَّتِهِ ، وَعَلٰى صِفَاتِهِ وَأَسْمَآئِهِ وَشُؤُونِهِ وَأَفْعَالِهِ ، «إِجْمَاعُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَآءِ وَالْمُرْسَلِينَ مَعَ جَمِيعِ الْأَخْيَارِ» ، بِقُوَّةِ مَا لَا يُحْصٰى مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ الظَّاهِرَاتِ ، الْمُتَوَاتِرَاتِ الْمُصَدِّقَاتِ الْمُصَدَّقَاتِ ، وَمَا لَا يُحَدُّ مِنَ الْمُكَالَمَاتِ وَالْمُنَاجَيَاتِ وَالْمُشَاهَدَاتِ ، وَمِنَ الْمُقَابَلَاتِ وَالْإِمْدَادَاتِ وَالْإِعَانَاتِ الْغَيْبِيَّاتِ الْإِلٰهِيَّةِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، «إِجْمَاعُ الْأَصْفِيَآءِ وَالصِّدِّيقِينَ مَعَ الْأَبْرَارِ» ، بِقُوَّةِ مَا لَا يُحَدُّ مِنَ الْبَرَاهِينِ الزَّاهِرَاتِ الْوَاضِحَاتِ ، الْقَاطِعَاتِ الْمُحَقِّقَاتِ ، وَمِنَ الدَّلَآئِلِ النُّورَانِيَّةِ السَّاطِعَاتِ الْمُدَقِّقَاتِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، «إِجْمَاعُ الْأَوْلِيَآءِ وَالْأَقْطَابِ ذَوِي الْمَقَامَاتِ وَالْأَسْرَارِ» ، بِقُوَّةِ مَا لَا يُعَدُّ مِنَ الْكَشْفِيَّاتِ الْمَشْهُودَاتِ الصَّادِقَاتِ الْمُتَطَابِقَاتِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ الَّذِي دَلَّ عَلٰى مَوْجُودِيَّتِهِ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ ، «إِجْمَاعُ الْمَلَآئِكَةِ الْمُتَمَثِّلِينَ لِلْأَبْصَارِ ، وَاتِّفَاقُ الْأَرْوَاحِ الطَّيِّبِينَ الظَّاهِرِينَ لِلْأَنْظَارِ» ، بِقُوَّةِ تَطَابُقِ إِخْبَارَاتِهِمُ الْمُتَوَافِقَاتِ الْمُتَوَاتِرَاتِ الْمُشْتَهِرَاتِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، «إِجْمَاعُ الْعُقُولِ الْمُسْتَقِيمَةِ» ، بِقُوَّةِ يَقِينِيَّاتِهَا وَاعْتِقَادَاتِهَا الْمُتَوَافِقَاتِ عَلَى التَّوْحِيدِ مَعَ تَبَايُنِ الْمَذَاهِبِ ؛ وَكَذَا «إِجْمَاعُ الْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ» ، بِقُوَّةِ كَشْفِيَّاتِهَا وَمُشَاهَدَاتِهَا الْمُتَطَابِقَاتِ عَلَى الْوَحْدَةِ مَعَ تَخَالُفِ الْمَشَارِبِ . .

آمَنَّا بِأَنَّهُ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ

وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، وَعَلىٰ صِفَاتِهِ وَأَسْمَآئِهِ وَشُؤُونِهِ وَأَفْعَالِهِ ، «إِجْمَاعُ جَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَالصُّحُفِ السَّمَاوِيَّةِ مَعَ جَمِيعِ الْوَحْيَاتِ» فِي جَمِيعِ الْأَدْوَارِ ، الْمُتَضَمِّنَةِ تِلْكَ الْوَحْيَاتُ لِلتَّنَزُّلَاتِ وَالتَّعَرُّفَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ إِلىٰ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَالْإِمْدَادَاتِ وَالْمُقَابَلَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ لِمُنَاجَاةِ عِبَادِهِ ، وَالْإِشْعَارَاتِ الرَّحْمَانِيَّةِ لِوُجُودِهِ لِمَخْلُوقَاتِهِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ الَّذِي دَلَّ عَلىٰ وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، «إِجْمَاعُ الْإِلْهَامَاتِ الصَّادِقَةِ فِي كُتُبِ الْأَصْفِيَآءِ وَالصِّدِّيقِينَ» فِي عُمُومِ الْأَعْصَارِ ، الْمُتَضَمِّنَةِ تِلْكَ الْإِلْهَامَاتُ لِلتَّوَدُّدَاتِ وَالتَّعَرُّفَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَالْإِغَاثَاتِ وَالْإِجَابَاتِ الرَّحْمَانِيَّةِ ، فِي مُقَابَلَاتِ دَعَوَاتِ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَلِلْإِحْسَاسَاتِ السُّبْحَانِيَّةِ لِحُضُورِهِ لِمَصْنُوعَاتِهِ ، بِاقْتِضَآءِ شَأْنِ الرَّحْمَانِيَّةِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ ، الَّذِي دَلَّ وَشَهِدَ وَبَرْهَنَ عَلىٰ وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، وَعَلىٰٓ أَحَدِيَّتِهِ فِي صَمَدِيَّتِهِ ، وَعَلىٰ صِفَاتِهِ فِيٓ أَسْمَآئِهِ ، وَعَلىٰ شُؤُونِهِ فِيٓ أَفْعَالِهِ ، وَعَلىٰ جَمَالِهِ وَجَلَالِهِ فِي كَمَالِهِ ، «فَخْرُ الْعَالَمِ» بِحَشْمَةِ قُرْآنِهِ ، وَشَرَفُ نَوْعِ بَنِيٓ آدَمَ بِكَثْرَةِ كَمَالَاتِهِ ، «مُحَمَّدٌ» ، (صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰٓ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ) ، بِقُوَّةِ الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ الظَّاهِرَاتِ عَلىٰ يَدَيْهِ ، وَبِقُوَّةِ الْكَمَالَاتِ الْعَالِيَاتِ الْمَشْهُودَاتِ فِي ذَاتِهِ ، وَبِقُوَّةِ الْحَقَآئِقِ الْقَاطِعَاتِ السَّاطِعَاتِ فِي دِينِهِ ، وَبِقُوَّةِ إِجْمَاعِ آلِهِ الْأَطْهَارِ ، ذَوِي الْكَرَامَاتِ وَالْخَوَارِقِ وَالْأَنْوَارِ ، وَبِقُوَّةِ اتِّفَاقِ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ ، ذَوِي قُوَّةِ الْبَصَآئِرِ وَنُفُوذِ الْأَنْظَارِ وَاسْتِقَامَةِ الْأَفْكَارِ ، وَمَعَ تَوَافُقِ الْأَصْفِيَآءِ ذَوِي الْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ وَالتَّدْقِيقَاتِ السَّاطِعَةِ ، فِي عُمُومِ الْأَقْطَارِ وَالْأَعْصَارِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الَّذِي دَلَّ وَشَهِدَ وَبَرْهَنَ عَلىٰ وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، وَعَلىٰٓ أَحَدِيَّتِهِ وَصَمَدِيَّتِهِ ، وَعَلىٰ صِفَاتِهِ وَأَسْمَآئِهِ ، وَشُؤُونِهِ وَأَفْعَالِهِ ، وَجَمَالِهِ وَجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ ، «الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ» ، الْمُنَوِّرُ لِلْأَكْوَانِ وَالْأَزْمَانِ ، الْمَقْبُولُ الْمَرْغُوبُ لِأَنْوَاعِ الْمَلَكِ وَالْإِنْسِ وَالْجَانِّ ، الْمَقْرُوءُ كُلُّ آيَاتِهِ فِي كُلِّ دَقِيقَةٍ ، بِأَلْسِنَةِ مِئَاتِ مِلْيُونٍ مِنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، وَبِأَلْسِنَةِ مَا لَا يُحْصَى مِنَ الرُّوحَانِيَّاتِ وَالْمَخْلُوقَاتِ ذَوِي الْإِذْعَانِ ، الْجَارِي سَلْطَنَتُهُ

الْمُعَظَّمَةُ ، عَلٰى نِصْفِ الْأَرْضِ وَخُمُسِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، فِي أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَصْراً ، بِكَمَالِ الِاحْتِشَامِ وَالِاحْتِرَامِ ، الْمُقَرَّرُ حَقَآئِقُهُ بِالْحَقَآئِقِ الرَّاسِخَةِ السِّتِّ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ ، الْمُصَدَّقُ حَقَّانِيَّتُهُ مِنْ جَانِبِ الْمَقَامَاتِ السِّتَّةِ بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْعِيَانِ ، الْمُنَوَّرُ أَطْرَافُهُ مِنَ الْجِهَاتِ السِّتِّ بِالتَّحْقِيقِ وَالْإِذْعَانِ ، بِإِجْمَاعِ سُوَرِهِ وَآيَاتِهِ السَّمَاوِيَّةِ عَلَى التَّوْحِيدِ ، وَبِاتِّفَاقِ حَقَآئِقِهِ وَأَسْرَارِهِ الْقُدُسِيَّةِ عَلَى الْوَحْدَةِ ، وَبِتَوَافُقِ ثَمَرَاتِهِ وَآثَارِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ . .

آمَنَّا بِأَنَّهُ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ الْوَاجِبُ وُجُودُهُ ، الْمُمْتَنِعُ نَظِيرُهُ ، الْمُمْكِنُ كُلُّ مَا سِوَاهُ ، الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، وَعَلٰى صِفَاتِهِ وَأَسْمَآئِهِ ، وَشُؤُونِهِ وَأَفْعَالِهِ ، «هٰذِهِ الْكَآئِنَاتُ» الْكِتَابُ الْكَبِيرُ الْمُجَسَّمُ ، الْقُرْآنُ الْجِسْمَانِيُّ الْمُعَظَّمُ ، الْقَصْرُ الْمُزَيَّنُ الْمُنَظَّمُ ، الْبَلَدُ الْمُكَمَّلُ الْمُحْتَشَمُ ، بِإِجْمَاعِ أَبْوَابِهِ وَفُصُولِهِ ، وَصُحُفِهِ وَسُطُورِهِ ، وَآيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ ، وَحُرُوفِهِ وَنُقَطِهِ ، عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِ كَاتِبِهِ وَمُؤَلِّفِهِ الْأَزَلِيِّ الْأَبَدِيِّ ، وَبِاتِّفَاقِ أَرْكَانِهَا وَأَنْوَاعِهَا ، وَأَجْزَآئِهَا وَجُزْئِيَّاتِهَا ، وَسَكَنَتِهَا وَمُشْتَمَلاتِهَا ، وَتَجَدُّدَاتِهَا وَتَحَوُّلاتِهَا ، عَلٰى وَحْدَانِيَّةِ صَاحِبِهَا وَصَانِعِهَا السَّرْمَدِيِّ ، بِشَهَادَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ «الْحُدُوثِ وَالْإِمْكَانِ وَالتَّغَيُّرِ» فِي كُلِّهَا ، وَبِشَهَادَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ «التَّدَاخُلِ وَالتَّعَاوُنِ وَالتَّنَاسُبِ» فِي عُمُومِهَا بِالِانْتِظَامِ ، وَبِشَهَادَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ «التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ» تَحْتَ حِكْمَةٍ وَإِرَادَةٍ ، وَحَقِيقَةِ «التَّصْوِيرِ وَالتَّدْبِيرِ» تَحْتَ قَصْدٍ وَمَشِيَّةٍ ، وَحَقِيقَةِ «التَّرْبِيَةِ وَالْإِعَاشَةِ» تَحْتَ مُحَافَظَةٍ وَنِظَامٍ وَمِيزَانٍ . .

فَجَمِيعُ الْأَجْرَامِ الْعُلْوِيَّةِ ، وَالْمَوْجُودَاتِ الْأَرْضِيَّةِ فِي «بُسْتَانِ الْكَآئِنَاتِ» ، مُعْجِزَاتُ قُدْرَةِ خَلَّاقٍ عَلِيمٍ بِالضَّرُورَةِ ؛ وَجَمِيعُ هٰذِهِ النَّبَاتَاتِ الْمُتَلَوِّنَةِ ، وَالْحَيَوَانَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ الْمَنْثُورَةِ الْمَنْشُورَةِ فِي «حَدِيقَةِ الْأَرْضِ» ، خَوَارِقُ صَنْعَةِ صَانِعٍ حَكِيمٍ بِالْبَدَاهَةِ ؛ وَجَمِيعُ هٰذِهِ الْأَزْهَارِ وَالْأَثْمَارِ الْمُتَزَيِّنَةِ الْمُتَبَسِّمَةِ فِي «جِنَانِ الْكَآئِنَاتِ» ، هَدَايَا رَحْمٰنٍ رَحِيمٍ ، بِالْحَدْسِ الشُّهُودِيِّ ، بَلْ بِالْمُشَاهَدَةِ ؛ تَشْهَدُ هَاتِيكَ ؛ وَتُنَادِي تَاكَ ؛ وَتُعْلِنُ هٰذِهِ : بِأَنَّ خَلَّاقَهَا وَمُصَوِّرَهَا وَوَاهِبَهَا ، عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ؛ تَتَسَاوٰى بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ الذَّرَّاتُ وَالنُّجُومُ ، وَالْمُتَنَاهِي وَغَيْرُ الْمُتَنَاهِي ؛ فَكُلُّ الْوُقُوعَاتِ الْمَاضِيَةِ وَغَرَآئِبِهَا ، مُعْجِزَاتُ قُدْرَةِ ذٰلِكَ الصَّانِعِ الْحَكِيمِ ، تَشْهَدُ عَلَىٰٓ أَنَّهُ قَدِيرٌ عَلٰى

كُلِّ الْإِمْكَانَاتِ الِاسْتِقْبَالِيَّةِ وَعَجَآئِبِهَا . .

فَالْكَآئِنَاتُ : مِثْلُ الشَّجَرَةِ وَالْقَصْرِ ، تَدُلُّ بِالْقَطْعِ عَلٰى مَوْجُودِيَّةِ مَنْ أَسَّسَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، بُنْيَانَ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُحِيطَةِ ، وَالْقَصْرِ الْمُزَيَّنِ ؛ وَفَرَّشَ أَسَاسَاتِهَا بِأُصُولِ مَشِيَّئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ ؛ وَفَصَّلَهَا إِلَىٰٓ أَرْكَانِهَا بِدَسَاتِيرِ قَضَآئِهِ وَقَدَرِهِ ، وَنَظَّمَهَا بِقَوَانِينِ عَادَتِهِ وَسُنَّتِهِ ؛ وَزَيَّنَهَا بِنَوَامِيسِ عِنَايَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ؛ وَنَوَّرَهَا بِخُصُوصِيَّاتِ إِمْدَادَاتِ جَلَوَاتِ أَسْمَآئِهِ وَصِفَاتِهِ ، لِضُعَفَآءِ الْأَفْرَادِ وَشُذُوذَاتِ قَوَانِينِهِ . .

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ هٰذَا الْعَالَمَ الْكَبِيرَ ، كَهٰذَا الْإِنْسَانِ الصَّغِيرِ ، فِي الصُّنْعِ وَالتَّقْدِيرِ بِكَمَالِ الْيُسْرِ وَالسُّهُولَةِ ، وَالْإِبْدَاعِ وَالتَّدْبِيرِ بِأَحْسَنِ صُورَةٍ . .

نَعَمْ : ذَاكَ الْعَالَمُ الْكَبِيرُ ، كَهٰذَا الْعَالَمِ الصَّغِيرِ ، مَصْنُوعُ قُدْرَتِهِ ، مَكْتُوبُ قَدَرِهِ ۞ إِبْدَاعُهُ لِذَاكَ بِتَجَلِّي الْأُلُوهِيَّةِ صَيَّرَهُ مَسْجِداً ۞ إِيجَادُهُ لِهٰذَا بِالْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ صَيَّرَهُ سَاجِداً ۞ إِنْشَآؤُهُ لِذَاكَ مَزْرَعَةَ الْمَحْصُولاَتِ ، صَيَّرَ ذَاكَ مُلْكاً ۞ بِنَآؤُهُ لِهٰذَا ذَا الذَّوْقِ وَالِاحْتِيَاجِ صَيَّرَهُ مَمْلُوكاً ۞ صَنْعَتُهُ فِي ذَاكَ بِغَايَةِ الِانْتِظَامِ تَظَاهَرَتْ كِتَاباً ۞ صِبْغَتُهُ فِي هٰذَا بِأَكْمَلِيَّاتِهَا بِغَايَةِ الِاتِّزَانِ تَبَارَزَتْ خِطَاباً ۞ قُدْرَتُهُ فِي ذَاكَ تُظْهِرُ حَشْمَتَهُ وَتُبْرِزُ جَلاَلَهُ ۞ رَحْمَتُهُ فِي هٰذَا تَنْظِمُ نِعْمَتَهُ ؛ تَصِفُ جَمَالَهُ ۞ حَشْمَتُهُ فِي ذَاكَ تَشْهَدُ هُوَ الْوَاحِدُ الْفَرْدُ ، لاَ ضِدَّ وَلاَ شَرِيكَ وَلاَ نَظِيرَ لَهُ ۞ نِعْمَتُهُ فِي هٰذَا تُعْلِنُ هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ ، لاَ نِدَّ وَلاَ مُعِينَ وَلاَ وَزِيرَ لَهُ ۞ سِكَّتُهُ فِي ذَاكَ فِي الْكُلِّ وَالْأَجْزَآءِ سُكُوناً حَرَكَةً ۞ خَاتَمُهُ فِي هٰذَا فِي الْجِسْمِ وَالْأَعْضَآءِ حُجَيْرَةً ذَرَّةً . .

آمَنَّا بِأَنَّهُ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، لَهُ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنٰى ، وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ، الَّذِي دَلَّ بِذَاتِهِ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، وَعَلٰى صِفَاتِهِ وَأَسْمَآئِهِ ، وَشُؤُونِهِ وَأَفْعَالِهِ ، «الذَّاتُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ» بِإِجْمَاعِ تَجَلِّيَاتِ جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَآئِهِ ، وَأَفْعَالِهِ وَشُؤُونِهِ ، بِسِرِّ الْإِحَاطَةِ بِكُلِّ شَيْءٍ بِالْفَعَّالِيَّةِ فِي الْحِكْمَةِ ، وَإِشْعَارَاتِهَا بِوُجُودِهِ ، وَالِاسْتِيلَآءِ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ بِالتَّصَرُّفَاتِ فِي الرَّحْمَةِ ، وَإِحْسَاسَاتِهَا بِحُضُورِهِ عِنْدَهَا ، وَبِاتِّفَاقِ جَمِيعِ آثَارِهِ وَمَصْنُوعَاتِهِ ، بِسِرِّ التَّدْبِيرِ وَالْإِدَارَةِ بِغَايَةِ الِانْتِظَامِ وَالْمِيزَانِ ، وَبِسِرِّ التَّرْبِيَةِ وَالْإِعَاشَةِ بِغَايَةِ

الْإِحْسَانِ وَالْإِنْعَامِ ؛ وَكَذَا شَهِدَ عَلٰى وُجُوبِهِ وَوَحْدَتِهِ ، بِشَهَادَةِ مُشَاهَدَةِ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ تَبَارُزِ «الْأُلُوهِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ» الْمُحِيطَةِ لِأَقْطَارِ الْكَائِنَاتِ ، فِي تَظَاهُرِ «الرُّبُوبِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ» الْعَامَّةِ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، فِي مُشَاهَدَةِ «الْفَعَّالِيَّةِ الدَّآئِمَةِ» الشَّامِلَةِ لِجَمِيعِ الْمَصْنُوعَاتِ الْمُسْتَمِرَّةِ فِي كُلِّ آنٍ وَزَمَانٍ ، وَفِي كُلِّ كَوْنٍ وَمَكَانٍ ، «بِالصُّنْعِ وَالْإِبْدَاعِ ، وَالْخَلْقِ وَالتَّقْدِيرِ ، وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ ، وَالتَّرْبِيَةِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَالْمُحَافَظَةِ وَالْإِعَاشَةِ» ، بِكَمَالِ الاِنْتِظَامِ وَالاِتِّزَانِ ، وَالاِمْتِيَازِ وَالاِتِّقَانِ ، بِلَا قُصُورٍ وَلَا نُقْصَانٍ . .

نَعَمْ : فَمَا حَقِيقَةُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ كُلّاً وَأَجْزَآءً ، وَصَحَآئِفَ وَطَبَقَاتٍ ؛ وَمَا حَقَآئِقُ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّيّاً وَجُزْئِيّاً ، وَوُجُوداً وَبَقَآءً ، إِلَّا وَهِيَ ظِلَالُ أَنْوَارِهِ ، وَآثَارُ أَفْعَالِهِ ، وَأَنْوَاعُ نُقُوشِ أَنْوَاعِ جِلْوَاتِ أَسْمَآئِهِ ؛ وَإِلَّا خُطُوطُ قَلَمِ قَضَآئِهِ وَقَدَرِهِ ، وَتَنْظِيمِهِ وَتَقْدِيرِهِ ، بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ ؛ وَإِلَّا نُقُوشُ بِرْكَارِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ ، وَتَصْوِيرِهِ وَتَدْبِيرِهِ ، بِصُنْعٍ وَعِنَايَةٍ ؛ وَإِلَّا تَزْيِينَاتُ يَدِ بَيْضَآءِ صُنْعِهِ وَعِنَايَتِهِ ، وَتَحْسِينِهِ وَتَنْوِيرِهِ ، بِلُطْفٍ وَكَرَمٍ ؛ وَإِلَّا أَزَاهِيرُ عَيْنِ لُطْفِهِ وَكَرَمِهِ ، وَتَوَدُّدِهِ وَتَعَرُّفِهِ ، بِرَحْمَةٍ وَنِعْمَةٍ ؛ وَإِلَّا ثَمَرَاتُ فَيَّاضِ عَيْنِ رَحْمَتِهِ وَنِعْمَتِهِ ، وَتَرَحُّمِهِ وَتَحَنُّنِهِ ، بِجَمَالٍ وَكَمَالٍ ؛ وَإِلَّا لَمَعَاتُ جِلْوَاتِ جَمَالِهِ وَكَمَالِهِ ؛ فَكُلُّ مَا فِي الْمَوْجُودَاتِ مِنَ الْمَحَاسِنِ وَالْكَمَالَاتِ : مِنْ لَمَعَاتِ جِلْوَاتِ جَمَالِهِ وَكَمَالِهِ ، بِسِرِّ مُرُورِ الْمَرَايَا وَذَهَابِ الْمَظَاهِرِ ، مَعَ دَوَامِ التَّجَلِّي بِالاِسْتِمْرَارِ . .

نَعَمْ : تَفَانِي الْمِرْآةِ ، زَوَالُ الْمَوْجُودَاتِ ، مَعَ التَّجَلِّي الدَّآئِمِ ، مَعَ الْفَيْضِ الْمُلَازِمِ ، مِنْ أَظْهَرِ الظَّوَاهِرِ ، مِنْ أَبْهَرِ الْبَوَاهِرِ : أَنَّ الْجَمَالَ الظَّاهِرَ ؛ أَنَّ الْكَمَالَ الزَّاهِرَ ، لَيْسَا مُلْكَ الْمَظَاهِرِ ، مِنْ أَفْصَحِ تِبْيَانٍ ، مِنْ أَوْضَحِ بُرْهَانٍ ، عَلَى الْجَمَالِ الْمُجَرَّدِ ، وَالْإِحْسَانِ الْمُجَدَّدِ ، وَالْكَمَالِ الْمُسَرْمَدِ ، لِلْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، لِلْوَاحِدِ الْوَدُودِ . .

فَكَمَآ أَنَّ الْأَثَرَ الْمُصَنَّعَ الْمُنَظَّمَ الْمُكَمَّلَ ، يَدُلُّ بِالْبَدَاهَةِ عَلَى الْفِعْلِ الاِخْتِيَارِيِّ الْمُكَمَّلِ ؛ وَهُوَ عَلَى الاِسْمِ وَالْعُنْوَانِ ؛ وَهُوَ عَلَى الْوَصْفِ الْمَصْدَرِ لَهُ ؛ وَهُوَ عَلَى الاِسْتِعْدَادِ وَالشَّأْنِ الذَّاتِيِّ ؛ وَهُوَ عَلَى الذَّاتِ الْفَاعِلِ الصَّانِعِ ؛ كَذٰلِكَ جَمِيعُ هٰذِهِ الْآثَارِ الْمُكَمَّلَةِ ، شَاهِدَاتٌ عَلَى الْأَفْعَالِ الْإِلٰهِيَّةِ بِالْبَدَاهَةِ ؛ وَهِيَ عَلَى الْأَسْمَآءِ الْحُسْنٰى بِالضَّرُورَةِ ؛ وَهِيَ عَلَى الصِّفَاتِ الْقُدُسِيَّةِ بِعِلْمِ

الْيَقِينِ ؛ وَهِيَ عَلَى الشُّؤُونِ الذَّاتِيَّةِ بِعَيْنِ الْيَقِينِ ؛ وَهِيَ عَلَى الذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ وَأَحَدِيَّتِهِ ، فِي جَلاَلِهِ وَجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ ، بِعِلْمِ الْيَقِينِ ، وَعَيْنِ الْيَقِينِ ، وَحَقِّ الْيَقِينِ . وَتَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ اللهِ بِهٰذِهِ الشَّهَادَةِ السَّابِقَةِ آيَةُ : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلٰئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، ذُو الْكِبْرِيَآءِ وَالْعَظَمَةِ الْمُنَافِيَتَيْنِ لِلشِّرْكَةِ بِالضَّرُورَةِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ ذُو الْآمِرِيَّةِ الْعَامَّةِ وَالْحَاكِمِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ، الْمَانِعَتَيْنِ مِنَ الشِّرْكَةِ بِالْبَدَاهَةِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ ذُو الرُّبُوبِيَّةِ الشَّامِلَةِ ، وَالْأُلُوهِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ، الْمُسْتَلْزِمَتَيْنِ لِلْوَحْدَةِ ، بِسِرِّ تَوَقُّفِ غَايَاتِهِمَا وَكَمَالاَتِهِمَا عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ ذُو الْفَتَّاحِيَّةِ الْمُتَمَاثِلَةِ الْعَامَّةِ الْمُكَمَّلَةِ ، وَذُو الرَّحْمَانِيَّةِ الْوَاسِعَةِ الْمُتَشَابِهَةِ الْمُنْتَظَمَةِ ، الدَّالَّتَيْنِ بِسِرِّ الْإِحَاطَةِ وَبِسِرِّ التَّمَاثُلِ ، عَلَى الْوَحْدَةِ بِالضَّرُورَةِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ ذُو الْإِدَارَةِ الْمُحِيطَةِ مِنَ الذَّرَّاتِ إِلَى السَّيَّارَاتِ ، الْمُنْتَظَمَةِ ، وَالْإِعَاشَةِ الشَّامِلَةِ لِكُلِّ ذَوِي الْحَيَاةِ ، الْمُقَنَّنَةِ ، الشَّاهِدَتَيْنِ بِسِرِّ الْإِحَاطَةِ وَالتَّدَاخُلِ ، عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ بِالْبَدَاهَةِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ ذُو الْأَسْمَآءِ وَالْأَفْعَالِ الْمُحِيطَةِ ، وَصَانِعُ الْعَنَاصِرِ وَالْأَنْوَاعِ الْمُسْتَوْلِيَةِ ، الشَّاهِدَةِ بِإِحَاطَتِهَا وَاسْتِيلاَئِهَا ، عَلَى الْوَحْدَةِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ مُوجِدُ الْأَشْيَآءِ بِالْكَثْرَةِ الْمُطْلَقَةِ ، فِي السُّرْعَةِ الْمُطْلَقَةِ ، فِي السُّهُولَةِ الْمُطْلَقَةِ ، مَعَ الاِنْتِظَامِ الْمُطْلَقِ ، وَكَمَالِ حُسْنِ الصَّنْعَةِ وَغُلُوِّ الْقِيمَةِ ، الدَّالَّةِ هٰذِهِ الْكَيْفِيَّةُ عَلَى الْوَحْدَةِ بِالضَّرُورَةِ . .

نَعَمْ : فَانْظُرْ إِلٰٓى آثَارِهِ الْمُتَّسِقَةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، كَيْفَ تَرَى كَالْفَلَقِ سَخَاوَةً مُطْلَقَةً ، مَعَ انْتِظَامٍ مُطْلَقٍ ، فِي سُرْعَةٍ مُطْلَقَةٍ ، مَعَ اتِّزَانٍ مُطْلَقٍ ، فِي سُهُولَةٍ مُطْلَقَةٍ ، مَعَ اتِّقَانٍ مُطْلَقٍ ، فِي كَثْرَةٍ مُطْلَقَةٍ ، مَعَ كَمَالٍ مُطْلَقٍ ، فِي وُسْعَةٍ مُطْلَقَةٍ ، مَعَ حُسْنِ صُنْعٍ مُطْلَقٍ ، فِي بُعْدَةٍ مُطْلَقَةٍ ،

مَعَ اتِّفَاقٍ مُطْلَقٍ ، فِي تَوَافُقَاتٍ مُطْلَقَةٍ ؛ مَعَ تَمَايُزٍ مُطْلَقٍ ، فِي خِلْطَةٍ مُطْلَقَةٍ ، مَعَ امْتِيَازٍ مُطْلَقٍ ، فِي مَبْذُولِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ ، مَعَ غُلُوِّ الْقِيمَةِ ؛ فَهٰذِهِ الْكَيْفِيَّةُ الْمَشْهُودَةُ ، شَاهِدَةٌ لِلْعَاقِلِ الْمُحَقِّقِ ، وَمُجْبِرَةٌ لِلْأَحْمَقِ الْمُنَافِقِ ، عَلٰى قَبُولِ الْوَحْدَةِ وَالصَّنْعَةِ ، لِلْحَقِّ ذِي الْقُدْرَةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْمُطْلَقُ ، **إِذْ فِي الْوَحْدَةِ سُهُولَةٌ مُطْلَقَةٌ إِلٰى دَرَجَةِ الْوُجُوبِ وَاللُّزُومِ ؛ وَفِي الْكَثْرَةِ صُعُوبَةٌ مُنْغَلِقَةٌ إِلٰى دَرَجَةِ الِامْتِنَاعِ . .**

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الَّذِي تَزَاحَمَتْ خَوَاتِمُ وَحْدَتِهِ عَلٰى كُلِّ مَكْتُوبٍ مِنْ مَكْتُوبَاتِهِ ، فِي كُلِّ صَفْحَةٍ مِنْ صَفَحَاتِ مَوْجُودَاتِهِ ؛ حَتّٰى كَأَنَّ كُلَّ زَهْرَةٍ وَثَمَرَةٍ ، وَكُلَّ نَبَاتٍ وَشَجَرٍ ، بَلْ كُلَّ حَيْوَانٍ وَحَجَرٍ ، فِي كُلِّ وَادٍ وَجَبَلٍ ، وَكُلِّ بَادٍ وَقَفْرٍ ، خَاتَمٌ بَيِّنُ النَّقْشِ وَالْأَثَرِ ، يُظْهِرُ لِدِقَّةِ النَّظَرِ : بِأَنَّ ذَا ذَاكَ الْأَثَرِ ، هُوَ صَانِعُ نَوْعِهِ وَجِنْسِهِ ؛ فَهُوَ كَاتِبُ ذَاكَ الْمَكَانِ بِالْعِبَرِ ؛ فَهُوَ كَاتِبُ صَحَآئِفِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمِدَادِ النَّبَاتَاتِ ، وَذَوِي الْحَيَاةِ وَالشَّجَرِ ؛ فَهُوَ نَقَّاشُ صُحُفِ السَّمَاوَاتِ بِمِدَادِ النُّجُومِ ، وَبِمُرَصَّعَاتِ السَّيَّارَاتِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ ۞ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ صَادِقُ الْوَعْدِ الْأَمِينُ﴾

بِشَهَادَةِ ظُهُورِهِ دَفْعَةً مَعَ أُمِّيَّتِهِ ، بِأَكْمَلِ دِينٍ وَشَرِيعَةٍ ، وَبِأَقْوٰى إِيمَانٍ وَعِبَادَةٍ ، وَبِأَعْلٰى دَعَوَاتٍ وَدَعْوَةٍ ، وَبِأَعَمِّ تَبْلِيغٍ وَأَتَمِّ مَتَانَةٍ ، خَارِقَاتٍ مُثْمِرَاتٍ لَا مِثْلَ لَهَا ، تَدُلُّ عَلٰى غَايَةِ جِدِّيَّتِهِ وَاعْتِمَادِهِ ، وَعَلٰى غَايَةِ وُثُوقِهِ وَاطْمِئْنَانِهِ ، وَعَلٰى كَمَالِ صِدْقِهِ وَحَقَّانِيَّتِهِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ ۞ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ صَادِقُ الْوَعْدِ الْأَمِينُ﴾

بِشَهَادَةِ آلَافِ **الْمُعْجِزَاتِ الْمُحَمَّدِيَّةِ** ، **وَالْكَمَالَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ** ، وَبِشَهَادَةِ مَا لَا يُحَدُّ مِنَ **الْحَقَآئِقِ الْقُرْآنِيَّةِ** ، **وَالْبَرَاهِينِ الْفُرْقَانِيَّةِ** ، وَمِنْ إِشَارَاتِ **الْحَقَآئِقِ الْجَوْشَنِيَّةِ** ، وَمِنْ دَلَائِلِ **الرَّسَآئِلِ النُّورِيَّةِ** ، وَبِشَهَادَةِ مِئَاتِ **الْإِرْهَاصَاتِ** الْمُبَشِّرَاتِ الْمُتَوَاتِرَاتِ الْمَاضِيَةِ ، وَآلَافِ **الْحَادِثَاتِ** الْمَشْهُودَاتِ الْمُصَدِّقَاتِ الِاسْتِقْبَالِيَّةِ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ ۞ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَادِقُ الْوَعْدِ الْأَمِينُ﴾

بِشَهَادَةِ قُوَّةِ يَقِينِيَّاتِ آلِهِ الْأَطْهَارِ ، ذَوِي الْمَقَامَاتِ وَالْكَشْفِيَّاتِ وَالْأَنْوَارِ ، بِالتَّصْدِيقِ لَهُ وَالْإِيقَانِ بِدَرَجَاتِ حَقِّ الْيَقِينِ ؛ وَبِشَهَادَةِ كَمَالِ إِيمَانِ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ ، ذَوِي قُوَّةِ الْبَصَآئِرِ وَنُفُوذِ الْأَنْظَارِ ، وَاسْتِقَامَةِ الْأَفْكَارِ ، بِالتَّصْدِيقِ لَهُ وَالْإِيمَانِ فِي دَرَجَاتِ عَيْنِ الْيَقِينِ ؛ وَبِشَهَادَةِ قُوَّةِ تَحْقِيقَاتِ الْأَصْفِيَآءِ ذَوِي الْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ وَتَدْقِيقَاتِ الْأَنْظَارِ ، بِالتَّصْدِيقِ لَهُ وَالِاعْتِقَادِ فِي دَرَجَاتِ عِلْمِ الْيَقِينِ ؛ وَبِشَهَادَةِ تَطَابُقِ كَشْفِيَّاتِ الْأَقْطَابِ عَلٰى رِسَالَتِهِ ذَوِي الْمَرَاتِبِ وَالْأَسْرَارِ ، بِدَرَجَاتِ الْكَشْفِيَّاتِ وَالْمُشَاهَدَاتِ بِالتَّحْقِيقِ وَالْيَقِينِ ؛ وَبِشَهَادَةِ تَوَاتُرِ تَصْدِيقَاتِ الْأَنْبِيَآءِ لَهُ فِي الصُّحُفِ وَالْأَخْبَارِ ؛ وَبِشَهَادَةِ بِشَارَاتِ الرُّسُلِ بِرِسَالَتِهِ بِالْمُشَاهَدَةِ ، فِي الْكُتُبِ ذَاتِ الْأَنْوَارِ فِي الْأَزْمِنَةِ السَّالِفِينَ ؛ وَبِشَهَادَةِ تَوَاتُرِ بِشَارَاتِ الْكَوَاهِنِ وَالْهَوَاتِفِ وَالْعُرَفَآءِ السَّابِقِينَ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ ۞ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَادِقُ الْوَعْدِ الْأَمِينُ﴾

بِشَهَادَةِ الْكَآئِنَاتِ بِحَقَآئِقِهَا وَغَايَاتِهَا ، عَلٰى رِسَالَتِهِ ، بِسِرِّ تَوَقُّفِ حُصُولِ غَايَاتِ الْكَآئِنَاتِ ، وَتَوَقُّفِ ظُهُورِ الْمَقَاصِدِ الْإِلٰهِيَّةِ مِنْهَا ، وَتَوَقُّفِ تَقَرُّرِ قِيمَتِهَا وَوَظَآئِفِهَا ، وَتَوَقُّفِ تَبَارُزِ حُسْنِهَا وَكَمَالَاتِهَا ، بَلْ وَتَوَقُّفِ تَحَقُّقِ حِكَمِهَا وَحَقَآئِقِهَا ، عَلٰى سِرِّ الرِّسَالَةِ الْبَشَرِيَّةِ ، لَاسِيَّمَا الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ؛ إِذْ هِيَ الْكَاشِفَةُ الْمُظْهِرَةُ الْمَدَارُ الْأَتَمُّ لَهَا ؛ وَلَوْلَا الرِّسَالَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ ، لَاسِيَّمَا الرِّسَالَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ، لَصَارَتْ هٰذِهِ الْكَآئِنَاتُ الْمُكَمَّلَةُ ذَاتُ الْمَعَانِي السَّرْمَدِيَّةِ ، وَالْحَقَآئِقِ الرَّاسِخَةِ ، هَبَآءً مَنْثُوراً ، مُتَطَايِرَةَ الْمَعَانِي وَمُتَسَاقِطَةَ الْكَمَالَاتِ ؛ وَهُوَ مُحَالٌ مِنْ وُجُوهٍ وَجِهَاتٍ . .

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ ۞ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَادِقُ الْوَعْدِ الْأَمِينُ﴾

بِشَهَادَةِ صَاحِبِ الْكَآئِنَاتِ وَخَلَّاقِهَا وَمُدَبِّرِهَا وَمُتَصَرِّفِهَا ، بِأَفْعَالِهِ وَإِجْرَآءَاتِهِ عَلٰى رِسَالَتِهِ : أَيْ بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ عَلَيْهِ ، وَبِإِظْهَارِ أَنْوَاعِ الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ عَلٰى يَدَيْهِ ، وَبِتَوْفِيقِهِ وَحِمَايَتِهِ فِي كُلِّ حَالَاتِهِ ، وَبِإِدَامَةِ دِينِهِ وَإِعْلَآئِهِ بِكُلِّ حَقَآئِقِهِ ، وَبِإِعْلَآءِ مَقَامِ حُرْمَتِهِ وَشَرَفِهِ وَإِكْرَامِهِ عَلٰى جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْعِيَانِ ، وَبِجَعْلِ رِسَالَتِهِ شَمْساً مَعْنَوِيَّةً لِكَآئِنَاتِهِ ، وَبِجَعْلِ دِينِهِ فِهْرِسْتَةَ كَمَالَاتِ مَخْلُوقَاتِهِ وَعِبَادِهِ ، وَبِجَعْلِ حَقِيقَتِهِ مِرْآةً جَامِعَةً لِتَجَلِّيَاتِ الْأُلُوهِيَّةِ بِالْحُجَّةِ

وَالْبُرْهَانِ . .

نَعَمْ : فَالْأُلُوهِيَّةُ الْمُطْلَقَةُ ، مُسْتَلْزِمَةٌ بِسِرِّ التَّظَاهُرِ ، لِلرِّسَالَةِ فِي الْإِنْسِ وَالْجَانِّ ، لاسِيَّمَا الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ؛ إِذْ هِيَ الْمِرْآةُ الْجَامِعَةُ لِتَجَلِّيَاتِ الْكَمَالاتِ الْإِلٰهِيَّةِ . .

اَللّٰهُمَّ ! يَا مَنْ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ! نُشْهِدُكَ وَنُشْهِدُ جَمِيعَ مَا سَبَقَ : بِأَنَّا نَشْهَدُ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، الْقَدِيرُ الْعَلِيمُ ، الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ، الْخَلّاقُ الْحَكِيمُ ، لَكَ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنٰى ، لَآ إِلٰهَ إِلَّآ أَنْتَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ ؛ وَكَذَا نُشْهِدُكَ وَنُشْهِدُ الدَّلَآئِلَ السَّابِقَةَ : بِأَنَّا نَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ، وَصَفِيُّكَ وَخَلِيلُكَ ، وَجَمَالُ مُلْكِكَ ، وَمَلِيكُ صُنْعِكَ ، وَعَيْنُ عِنَايَتِكَ ، وَشَمْسُ هِدَايَتِكَ ، وَلِسَانُ حُجَّتِكَ وَمَحَبَّتِكَ ، وَمِثَالُ رَحْمَتِكَ ، وَنُورُ خَلْقِكَ ، وَشَرَفُ مَوْجُودَاتِكَ ، وَسِرَاجُ وَحْدَتِكَ فِي كَثْرَةِ مَخْلُوقَاتِكَ ، وَكَشَّافُ طِلْسِمِ كَائِنَاتِكَ «بِحَقِيقَتِهِ وَبِقُرْآنِهِ» ، وَدَلّالُ سَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِكَ ، وَمُبَلِّغُ مَرْضِيَّاتِكَ ، وَمُعَرِّفُ كُنُوزِ أَسْمَآئِكَ ، وَمُعَلِّمُ عِبَادِكَ ، وَتَرْجُمَانُ آيَاتِ كَائِنَاتِكَ ، وَمَدَارُ شُهُودِكَ وَإِشْهَادِكَ ، وَمِرْآةُ أَنْوَارِ مَحَبَّتِكَ لِجَمَالِكَ وَأَسْمَآئِكَ ، وَمَحَبَّتِكَ لِصَنْعَتِكَ وَمَحَاسِنِ مَخْلُوقَاتِكَ ، وَحَبِيبُكَ وَرَسُولُكَ الَّذِيَ أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَلِبَيَانِ مَحَاسِنِ سَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، بِحِكَمِيَّاتِ صَنْعَةِ صِبْغَةِ نُقُوشِ قَصْرِ الْعَالَمِينَ ، وَلِتَعْرِيفِ كُنُوزِ جِلَوَاتِ أَسْمَآئِكَ ، يَآ إِلٰهَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، بِإِشَارَاتِ مَعَانِي كَلِمَاتِ آيَاتِ سُطُورِ كِتَابِ الْعَالَمِينَ ، وَلِبَيَانِ مَرْضِيَّاتِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ . .

فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَعَلَىٓ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ ، بِعَدَدِ حَسَنَاتِ أُمَّتِهِ . .

وَنَسْتَوْدِعُ حِفْظَكَ وَحِمَايَتَكَ وَرَحْمَتَكَ ، هٰذِهِ الشَّهَادَاتِ الَّتِيَ أَنْعَمْتَهَا عَلَيْنَا فِي هٰذِهِ السَّاعَةِ ؛ فَاحْفَظْهَا بَعْدَ الْقَبُولِ مِنَّا بِأَحْسَنِ قَبُولٍ ، إِلٰى يَوْمِ الْحَشْرِ وَالْمِيزَانِ ؛ وَاجْعَلْهَا فِي صَحِيفَةِ حَسَنَاتِنَا ، وَحَسَنَاتِ إِمَامِنَا «بَدِيعِ الزَّمَانِ سَعِيدٍ النُّورْسِيِّ» ، (رضي الله تعالى عنه) ، وَفِي صَحَآئِفِ حَسَنَاتِ وَالِدِينَا ، وَفِي صَحَآئِفِ حَسَنَاتِ طَلَبَةِ رَسَآئِلِ النُّورِ الصَّادِقِينَ ، آمِينَ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ . .

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . .

﴿ مَسْأَلَةٌ دَقِيقَةٌ : ﴾

«لِأَمْرٍ مَا أُدْخِلَتْ هُنَا ؛ لا بَأْسَ بِعَدَمِ قِرَآءَتِهَا» . .

إِنْ أُسْنِدَ كُلُّ الْأَشْيَآءِ لِلْوَاحِدِ ؛ فَالْكَآئِنَاتُ كَالنَّخْلَةِ ؛ وَالنَّخْلَةُ كَالثَّمَرَةِ ، سُهُولَةً فِي الِابْتِدَاعِ . .

وَإِنْ أُسْنِدَ لِلْكَثْرَةِ ؛ فَالنَّخْلَةُ كَالْكَآئِنَاتِ ؛ وَالثَّمَرَةُ كَالشَّجَرَاتِ ، صُعُوبَةً فِي الِامْتِنَاعِ ؛ إِذِ الْوَاحِدُ بِالْفِعْلِ الْوَاحِدِ ، يُحَصِّلُ نَتِيجَةً وَوَضْعِيَّةً لِلْكَثِيرِ ، بِلا كُلْفَةٍ وَلا مُبَاشَرَةٍ ، لَوْ أُحِيلَتْ تِلْكَ الْوَضْعِيَّةُ وَالنَّتِيجَةُ ، إِلَى الْكَثْرَةِ ؛ لا يُمْكِنُ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهَآ ، إِلَّا بِتَكَلُّفَاتٍ ، وَمُبَاشَرَاتٍ ، وَمُشَاجَرَاتٍ ، «كَالْأَمِيرِ مَعَ النَّفَرَاتِ ؛ وَالْبَانِي مَعَ الْحَجَرَاتِ ؛ وَالْأَرْضِ مَعَ السَّيَّارَاتِ ؛ وَالْفَوَّارَةِ مَعَ الْقَطَرَاتِ ؛ وَنُقْطَةِ الْمَرْكَزِ مَعَ النُّقَطِ فِي الدَّآئِرَةِ» ، بِسِرِّ أَنَّ فِي الْوَحْدَةِ ، يَقُومُ الِانْتِسَابُ مَقَامَ قُدْرَةٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ ؛ وَلا يُضْطَرُّ السَّبَبُ لِحَمْلِ مَنَابِعِ قُوَّتِهِ ؛ وَيَتَعَاظَمُ الْأَثَرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ ؛ وَفِي الشِّرْكَةِ ، يُضْطَرُّ كُلُّ سَبَبٍ لِحَمْلِ مَنَابِعِ قُوَّتِهِ ؛ فَيَتَصَاغَرُ الْأَثَرُ بِنِسْبَةِ جِرْمِهِ ؛ وَمِنْ هُنَا غَلَبَتِ النَّمْلَةُ وَالذُّبَابَةُ عَلَى الْجَبَابِرَةِ ؛ وَحَمَلَتِ النَّوَاةُ الصَّغِيرَةُ شَجَرَةً عَظِيمَةً ؛ وَبِسِرِّ أَنَّ فِيٓ إِسْنَادِ كُلِّ الْأَشْيَآءِ إِلَى الْوَاحِدِ ، لا يَكُونُ الْإِيجَادُ مِنَ الْعَدَمِ الْمُطْلَقِ ؛ بَلْ يَكُونُ الْإِيجَادُ عَيْنَ نَقْلِ الْمَوْجُودِ الْعِلْمِيِّ إِلَى الْوُجُودِ الْخَارِجِيِّ ، كَنَقْلِ الصُّوَرِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي الْمِرْآةِ إِلَى الصَّحِيفَةِ الْفُطُوغْرَافِيَّةِ ، لِتَثْبِيتِ وُجُودٍ خَارِجِيٍّ لَهَا بِكَمَالِ السُّهُولَةِ ؛ وَإِظْهَارِ الْخَطِّ الْمَكْتُوبِ بِمِدَادٍ لا يُرَى ، بِوَاسِطَةِ مَادَّةٍ مُظْهِرَةٍ لِلْكِتَابَةِ الْمَسْتُورَةِ ؛ وَفِيٓ إِسْنَادِ الْأَشْيَآءِ إِلَى الْأَسْبَابِ وَالْكَثْرَةِ ، يَلْزَمُ الْإِيجَادُ مِنَ الْعَدَمِ الْمُطْلَقِ ؛ وَهُوَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَالاً ؛ يَكُونُ أَصْعَبَ الْأَشْيَآءِ ؛ فَالسُّهُولَةُ فِي الْوَحْدَةِ وَاصِلَةٌ إِلٰى دَرَجَةِ الْوُجُوبِ ؛ وَالصُّعُوبَةُ فِي الْكَثْرَةِ وَاصِلَةٌ إِلٰى دَرَجَةِ الِامْتِنَاعِ ؛ وَبِحِكْمَةِ أَنَّ فِي الْوَحْدَةِ ، يُمْكِنُ الْإِبْدَاعُ وَإِيجَادُ الْأَيْسِ مِنَ اللَّيْسِ – يَعْنِيٓ : إِبْدَاعَ الْمَوْجُودِ مِنَ الْعَدَمِ الصِّرْفِ ، بِلا مُدَّةٍ وَلا مَادَّةٍ ، وَإِفْرَاغَ الذَّرَّاتِ فِي الْقَالَبِ الْعِلْمِيِّ ، بِلا كُلْفَةٍ وَلا خِلْطَةٍ – ؛ وَفِي الشِّرْكَةِ وَالْكَثْرَةِ ، لا يُمْكِنُ الْإِبْدَاعُ مِنَ الْعَدَمِ ، بِاتِّفَاقِ كُلِّ أَهْلِ الْعَقْلِ ؛ فَلا بُدَّ لِوُجُودِ ذِي حَيَاةٍ ، جَمْعُ ذَرَّاتٍ مُنْتَشِرَةٍ فِي الْأَرْضِ وَالْعَنَاصِرِ ؛ وَبِعَدَمِ الْقَالَبِ

الْعِلْمِيِّ ، يَلْزَمُ لِمُحَافَظَةِ الذَّرَّاتِ فِي جِسْمٍ ذِي حَيَاةٍ ، وُجُودُ عِلْمٍ كُلِّيٍّ ، وَإِرَادَةٍ مُطْلَقَةٍ ، فِي كُلِّ ذَرَّةٍ ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ ، إِنَّ الشُّرَكَآءَ مُسْتَغْنًى عَنْهَا ، وَمُمْتَنِعَةٌ بِالذَّاتِ ، بِخَمْسَةِ وُجُوهٍ مُتَدَاخِلَةٍ ؛ وَالشُّرَكَآءُ الْمُسْتَغْنٰى عَنْهَا ، وَالْمُمْتَنِعَةُ بِالذَّاتِ ، تَحَكُّمِيَّةٌ مَحْضَةٌ لَآ أَمَارَةَ عَلَيْهَا ؛ وَلَآ إِشَارَةَ إِلَيْهَا ، فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ ؛ إِذْ خِلْقَةُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، تَسْتَلْزِمُ قُدْرَةً كَامِلَةً غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ بِالضَّرُورَةِ ؛ فَاسْتُغْنِيَ عَنِ الشُّرَكَاءِ ؛ وَإِلَّا لَزِمَ تَحْدِيدُ وَانْتِهَآءُ قُدْرَةٍ كَامِلَةٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ ، فِي وَقْتِ عَدَمِ التَّنَاهِي ، بِقُوَّةٍ مُتَنَاهِيَةٍ ، بِلَا ضَرُورَةٍ ، مَعَ الضَّرُورَةِ فِي عَكْسِهِ ؛ وَهُوَ مُحَالٌ فِي خَمْسَةِ وُجُوهٍ ؛ فَامْتَنَعَتِ الشُّرَكَآءُ ؛ مَعَ أَنَّ الشُّرَكَآءَ الْمُمْتَنِعَةَ بِتِلْكَ الْوُجُوهِ ، لَآ إِشَارَةَ إِلَىٰ وُجُودِهَا ؛ وَلَآ أَمَارَةَ عَلَىٰ تَحَقُّقِهَا ، فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ . .

فَقَدِ اسْتَفْسَرْنَا هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ ، فِي الْمَوْقِفِ الْأَوَّلِ مِنَ «الرِّسَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ» ، مِنَ الذَّرَّاتِ إِلَى السَّيَّارَاتِ ؛ وَفِي الْمَوْقِفِ الثَّانِي مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَى التَّشَخُّصَاتِ الْوَجْهِيَّةِ ؛ فَأَعْطَتْ جَمِيعُهَا جَوَابَ رَدِّ الشِّرْكِ ، بِإِرَآءَةِ سِكَّةِ التَّوْحِيدِ . .

فَكَمَا لَا شُرَكَآءَ لَهُ ؛ كَذٰلِكَ لَا مُعِينَ وَلَا وُزَرَآءَ لَهُ . وَمَا الْأَسْبَابُ إِلَّا حِجَابٌ رَقِيقٌ عَلَىٰ تَصَرُّفِ الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ ، لَيْسَ لَهَا تَأْثِيرٌ إِيجَادِيٌّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ؛ إِذْ أَشْرَفُ الْأَسْبَابِ وَأَوْسَعُهَا اخْتِيَاراً هُوَ الْإِنْسَانُ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي يَدِهِ ، مِنْ أَظْهَرِ أَفْعَالِهِ الِاخْتِيَارِيَّةِ ، كَالْأَكْلِ وَالْكَلَامِ وَالْفِكْرِ ، مِنْ مِئَاتِ أَجْزَآءٍ ، إِلَّا جُزْءٌ وَاحِدٌ مَشْكُوكٌ . . فَإِذَا كَانَ السَّبَبُ الْأَشْرَفُ وَالْأَوْسَعُ اخْتِيَاراً ، هٰكَذَا مَغْلُولَ الْأَيْدِي عَنِ التَّصَرُّفِ الْحَقِيقِيِّ – كَمَا تَرَى – ؛ فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْبَهِيمَاتُ وَالْجَمَادَاتُ ، شَرِيكاً فِي الْإِيجَادِ وَالرُّبُوبِيَّةِ ، لِخَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ؟ .

فَكَمَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الظَّرْفُ الَّذِي وَضَعَ السُّلْطَانُ فِيهِ الْهَدِيَّةَ ، أَوِ الْمِنْدِيلُ الَّذِي لَفَّ فِيهِ الْعَطِيَّةَ ، أَوِ النَّفَرُ الَّذِيَ أَرْسَلَ عَلَىٰ يَدِهِ النِّعْمَةَ إِلَيْكَ ، شُرَكَآءَ لِلسُّلْطَانِ فِي سَلْطَنَتِهِ ؛ كَذٰلِكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْأَسْبَابُ الْمُرْسَلَةُ عَلَىٰٓ أَيْدِيهِمُ النِّعَمُ إِلَيْنَا ، وَالظُّرُوفُ الَّتِي هِيَ صَنَادِيقُ لِلنِّعَمِ الْمُدَّخَرَةِ لَنَا ، وَالْأَسْبَابُ الَّتِي الْتَفَّتْ عَلَىٰ عَطَايَآ إِلٰهِيَّةٍ مُهْدَاةٍ إِلَيْنَا ، شُرَكَآءَ أَعْوَاناً ، أَوْ وَسَآئِطَ مُؤَثِّرَةً . .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾ . .

«اَللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْماً» ؛ إِذْ هُوَ الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، بِعِلْمٍ مُحِيطٍ لَازِمٍ ذَاتِيٍّ لِلذَّاتِ ، يَلْزَمُ الْأَشْيَآءَ ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْفَكَّ عَنْهُ شَيْءٌ ، بِسِرِّ الْحُضُورِ وَالشُّهُودِ وَالنُّفُوذِ وَالْإِحَاطَةِ النُّورَانِيَّةِ ، وَاسْتِلْزَامِ الْوُجُودِ لِإِحَاطَةِ نُورِ الْعِلْمِ بِعَالَمِ الْوُجُودِ . .

فَالْاِنْتِظَامَاتُ الْمَوْزُونَةُ ، وَالْاِتِّزَانَاتُ الْمَنْظُومَةُ ، وَالْحِكَمُ الْعَامَّةُ ، وَالْعِنَايَاتُ التَّامَّةُ ، وَالْأَقْضِيَةُ الْمُنْتَظَمَةُ ، وَالْأَقْدَارُ الْمُثْمِرَةُ ، وَالْآجَالُ الْمُعَيَّنَةُ ، وَالْأَرْزَاقُ الْمُقَنَّنَةُ ، وَالْاِتِّقَانَاتُ الْمُفَنَّنَةُ ، وَالْاِهْتِمَامَاتُ الْمُزَيَّنَةُ ، وَغَايَةُ كَمَالِ الْاِنْتِظَامِ وَالْاِتِّزَانِ وَالْاِتِّقَانِ ، وَالْاِمْتِيَازُ الْمُطْلَقُ وَالسُّهُولَةُ الْمُطْلَقَةُ ، يَدُلُّ كُلُّ ذٰلِكَ ، عَلَىٰ إِحَاطَةِ عِلْمِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ بِكُلِّ شَيْءٍ . .

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ . .

فَنِسْبَةُ دَلَالَةِ حُسْنِ صَنْعَةِ الْإِنْسَانِ ، عَلَىٰ شُعُورِ الْإِنْسَانِ ، إِلَىٰ نِسْبَةِ دَلَالَةِ حُسْنِ خِلْقَةِ الْإِنْسَانِ ، عَلَىٰ عِلْمِ خَالِقِ الْإِنْسَانِ ، كَنِسْبَةِ لُمَيْعَةِ نُجَيْمَةِ الذُّبَيْبَةِ فِي اللَّيْلَةِ الدَّهْمَآءِ ، إِلَىٰ شَعْشَعَةِ الشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ . .

«اَللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْماً» ؛ إِذْ هُوَ الْمُرِيدُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، مَا شَآءَ اللهُ كَانَ ؛ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ؛ إِذْ تَنْظِيمُ صَنْعَةِ هٰذِهِ الْمَصْنُوعَاتِ ، مِنْ بَيْنِ الْإِمْكَانَاتِ الْغَيْرِ الْمَحْدُودَةِ ، وَالطُّرُقِ الْعَقِيمَةِ ، وَالْاِحْتِمَالَاتِ الْمُشَوَّشَةِ ، وَالسُّيُولِ الْمُتَشَاكِسَةِ ، بِهٰذَا النِّظَامِ الْأَدَقِّ الْأَرَقِّ ، وَتَوْزِينُهَا بِهٰذَا الْمِيزَانِ الْحَسَّاسِ الْجَسَّاسِ ، وَتَمْيِيزُهَا بِهٰذِهِ التَّعَيُّنَاتِ الْمُزَيَّنَةِ الْمُنْتَظَمَةِ ، وَخَلْقُ الْأَشْيَآءِ الْمُنْتَظَمَةِ الْحَيَوِيَّةِ مِنَ الْبَسِيطِ الْجَامِدِ الْمَيِّتِ ، «كَالْإِنْسَانِ بِجِهَازَاتِهِ مِنَ النُّطْفَةِ ، وَالطَّيْرِ بِجَوَارِحِهِ مِنَ الْبَيْضَةِ ، وَالشَّجَرِ بِأَعْضَآئِهِ مِنَ الْحَبَّةِ» ، يَدُلُّ كُلُّ ذٰلِكَ ، عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مَصْنُوعٌ بِمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ ، وَتَخْصِيصِهِ وَتَرْجِيحِهِ . سُبْحَانَهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ . .

فَكَمَآ أَنَّ تَوَافُقَ ذَوِي الْحَيَاةِ فِيٓ أَسَاسَاتِ الْأَعْضَآءِ النَّوْعِيَّةِ وَالْجِنْسِيَّةِ ، يَدُلُّ عَلَىٓ أَنَّ صَانِعَ الْكُلِّ وَاحِدٌ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ تَمَايُزَهَا بِالتَّعَيُّنَاتِ الْمُنْتَظَمَةِ ، يَدُلُّ عَلَىٓ أَنَّ ذٰلِكَ الصَّانِعَ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ ، فَاعِلٌ مُخْتَارٌ ، يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ؛ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ . .

«اَللّٰهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْماً» ؛ إِذْ هُوَ الْقَدِيرُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ ، بِقُدْرَةٍ مُطْلَقَةٍ مُحِيطَةٍ ضَرُورِيَّةٍ نَاشِئَةٍ لَازِمَةٍ لِلذَّاتِ ؛ فَمُحَالٌ تَدَاخُلُ ضِدِّهَا ؛ فَلَا مَرَاتِبَ فِيهَا ؛ فَتَتَسَاوٰى بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا الذَّرَّاتُ وَالنُّجُومُ ، وَالْجُزْءُ وَالْكُلُّ ، وَالْجُزْئِيُّ وَالْكُلِّيُّ ، وَالْإِنْسَانُ وَالْعَالَمُ ، وَالنَّوَاةُ وَالشَّجَرُ ، بِشَهَادَةِ غَايَةِ كَمَالِ الِانْتِظَامِ الْمُطْلَقِ ، وَالِاتِّزَانِ الْمُطْلَقِ ، وَالِامْتِيَازِ الْمُطْلَقِ ، وَالِاتِّقَانِ الْمُطْلَقِ ، وَالِامْتِيَازِ الْأَتَمِّ ، فِي الْكَثْرَةِ وَالسُّرْعَةِ وَالْوُسْعَةِ وَالسُّهُولَةِ الْمُطْلَقَاتِ ؛ وَبِسِرِّ النُّورَانِيَّةِ ، وَالشَّفَّافِيَّةِ ، وَالْمُقَابَلَةِ ، وَالْمُوَازَنَةِ ، وَالِانْتِظَامِ ، وَالِامْتِثَالِ ؛ وَبِسِرِّ إِمْدَادِ الْوَاحِدِيَّةِ ، وَيُسْرِ الْوَحْدَةِ ، وَتَجَلِّي الْأَحَدِيَّةِ ؛ وَبِسِرِّ التَّجَرُّدِ ، وَالْوُجُوبِ ، وَمُبَايَنَةِ الْمَاهِيَّةِ ؛ وَبِسِرِّ عَدَمِ التَّقَيُّدِ ، وَعَدَمِ التَّحَيُّزِ ، وَعَدَمِ التَّجَزُّؤِ ؛ وَبِسِرِّ انْقِلَابِ الْعَوَآئِقِ وَالْمَوَانِعِ إِلٰى حُكْمِ الْوَسَآئِلِ الْمُسَهِّلَاتِ ؛ وَبِسِرِّ أَنَّ الذَّرَّةَ وَالْجُزْءَ وَالْجُزْئِيَّ وَالْإِنْسَانَ وَالنَّوَاةَ ، لَيْسَتْ بِأَقَلَّ جَزَالَةً وَصَنْعَةً ، مِنَ النَّجْمِ وَالْكُلِّ وَالْكُلِّيِّ وَالْعَالَمِ وَالشَّجَرِ ؛ فَخَالِقُ هَاتِيكَ ، هُوَ خَالِقُ هٰؤُلَآءِ ؛ وَبِسِرِّ أَنَّ الْمُحَاطَ كَالْأَمْثِلَةِ الْمَكْتُوبَةِ الْمُصَغَّرَةِ ، أَوْ كَالنُّقَطِ الْمَحْلُوبَةِ الْمُعَصَّرَةِ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمُحِيطُ فِي قَبْضَةِ خَالِقِهَا ؛ لِيُدْرِجَ مِثَالَهُ فِيهَا بِمَوَازِينِ عِلْمِهِ ؛ وَيَعْصِرَهَا مِنْهُ بِدَسَاتِيرِ حِكْمَتِهِ . .

فَكَمَآ أَنَّ «قُرْآنَ الْعِزَّةِ» الْمَكْتُوبَ عَلَى الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ «يَعْنِي : الذَّرَّةَ الْأَصْغَرَ» ، بِذَرَّاتِ الْأَثِيرِ ، لَيْسَ بِأَقَلَّ جَزَالَةً مِنْ «قُرْآنِ الْعَظَمَةِ» الْمَكْتُوبِ عَلٰى صُحُفِ السَّمَاوَاتِ ، بِمِدَادِ النُّجُومِ وَالشُّمُوسِ ؛ فَكَاتِبُ هٰذَا ، هُوَ كَاتِبُ ذَاكَ ؛ كَذٰلِكَ لَيْسَ وَرْدُ الزَّهْرَةِ ، بِأَقَلَّ جَزَالَةً مِنْ دُرِّيِّ نَجْمِ الزُّهَرَةِ ؛ وَلَا النَّمْلَةُ مِنَ الْفِيلَةِ ؛ وَلَا النَّحْلَةُ مِنَ النَّخْلَةِ . .

فَكَمَآ أَنَّ غَايَةَ كَمَالِ السُّرْعَةِ وَالسُّهُولَةِ ، أَوْقَعَ أَهْلَ الضَّلَالَةِ فِي الْتِبَاسِ التَّشْكِيلِ بِالتَّشَكُّلِ «الْمُسْتَلْزِمِ لِمُحَالَاتٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ تَمُجُّهُ الْأَوْهَامُ» ؛ كَذٰلِكَ أَثْبَتَ ذٰلِكَ الْكَمَالُ ، لِأَهْلِ الْهِدَايَةِ وَالْحَقِيقَةِ ، تَسَاوِيَ النُّجُومِ مَعَ الذَّرَّاتِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى قُدْرَةِ خَالِقِ الْكَآئِنَاتِ ؛ جَلَّ جَلَالُهُ ؛

اَللّٰهُ أَكْبَرُ . .

بَدِيعُ الزَّمَانِ سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

اَلْمَقَامُ الثَّانِي :

مِنَ «الْآيَةِ الْكُبْرٰى» . .

مُشَاهَدَةُ سَيَّاحٍ يَسْأَلُ الْكَائِنَاتِ عَنْ خَالِقِهِ . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ . .

إِنَّ هٰذَا «الْمَقَامَ الثَّانِي» ، يُفَسِّرُ هٰذِهِ الْآيَةَ الْمُعَظَّمَةَ ؛ مَعَ أَنَّهُ يُبَيِّنُ بَرَاهِينَ «الْمَقَامِ الْأَوَّلِ الْعَرَبِيِّ» الْمَطْوِيِّ[1]، وَحُجَجَهُ ، وَتَرْجَمَتَهُ ، وَفَحْوٰى مُخْتَصَرَةً مِنْهُ . .

وَذٰلِكَ : أَنَّ آيَاتٍ قُرْآنِيَّةً كَثِيرَةً جِدّاً مِثْلَ هٰذِهِ الْآيَةِ الْمُعَظَّمَةِ ، تَذْكُرُ فِي الْبِدَايَةِ السَّمَاوَاتِ الَّتِي هِيَ أَشْرَقُ صَحِيفَةٍ تَوْحِيدِيَّةٍ ، يَنْظُرُ فِيهَا كُلُّ أَحَدٍ بِأَزْيَدِ حَيْرَةٍ ؛ فَيُطَالِعُهَا بِالذَّوْقِ كُلَّ وَقْتٍ ، فِي جِهَةِ الْإِعْلَامِ بِخَالِقِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ كَانَ الشُّرُوعُ فِيهَا أَوَّلاً ، مُوَافِقاً . .

نَعَمْ : إِنَّ كُلَّ مُسَافِرٍ يَرِدُ مَمْلَكَةَ هٰذِهِ الدُّنْيَا وَمَضِيفَتَهَا ، كُلَّمَا فَتَحَ عَيْنَهُ فَنَظَرَ ؛ يَرَى : أَنَّهُ بَيْنَمَا كَانَ يَتَطَلَّعُ بِشِدَّةٍ لِأَجْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ بِصَاحِبِ هٰذِهِ الْمَضِيفَةِ الْجَمِيلَةِ ، وَبِمُؤَلِّفِ هٰذَا الْكِتَابِ الْكَبِيرِ ، وَبِسُلْطَانِ هٰذِهِ الْمَمْلَكَةِ الْمُحْتَشِمَةِ ، الَّتِي هِيَ مَضِيفَةٌ مُكْرِمَةٌ لِلْغَايَةِ ، وَمَشْهَرَةٌ

---

(١) لَقَدْ أُدْرِجَ الْمَقَامُ الْأَوَّلُ الْعَرَبِيُّ ، فِي «الْآيَةِ الْكُبْرٰى» الْعَرَبِيَّةِ . . وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى تَوْفِيقِهِ . . الْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللهُ عَنْهُ) . .

مُصَنَّعَةٌ لِلْغَايَةِ ، وَمُعَسْكَرَةٌ وَمُدَرَّبَةٌ مُحْتَشِمَةٌ لِلْغَايَةِ ، وَمَسِيرَةٌ وَمَنْظَرَةٌ مُحَيِّرَةٌ وَمُشَوِّقَةٌ لِلْغَايَةِ ، وَمُطَالَعَةٌ مُفِيدَةٌ وَحَكِيمَةٌ لِلْغَايَةِ ، يُشَاهِدُ أَوَّلاً وَجْهَ السَّمَاوَاتِ الْجَمِيلَ الْمَكْتُوبَ بِتَذْهِيبِ النُّورِ ؛ فَيَقُولُ : اُنْظُرْ إِلَيَّ ؛ فَسَأُعْلِمُكَ مَطْلُوبَكَ . فَيَنْظُرُ هُوَ ؛ فَيَرٰى : أَنَّ حَقِيقَةً مُرَكَّبَةً مِنَ التَّسْخِيرِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّدْوِيرِ ، وَالتَّنْظِيمِ وَالتَّنْظِيفِ وَالتَّوْظِيفِ ، الْمَشْهُودَةِ بَيْنَ تَظَاهُرِ وَفَعَّالِيَّةٍ رُبُوبِيَّةٍ تُدَوِّرُ تِلْكَ الرُّبُوبِيَّةُ ، مِئَاتِ آلاَفٍ مِنَ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ ، الَّتِي قِسْمٌ مِنْهَا أَكْبَرُ مِنْ أَرْضِنَا أَلْفَ مَرَّةٍ ؛ وَقِسْمٌ مِنْ أُولاَئِكَ الْكِبَارِ ، أَسْرَعُ مِنْ قَذِيفَةِ الْمِدْفَعِ سَبْعِينَ دَرَجَةً ؛ تُدَوِّرُهَا بِلاَ عَمَدٍ ، دُونَ أَنْ تُسْقِطَهَا ؛ وَتُسَيِّرُهَا مَعاً وَسَرِيعَةً فَوْقَ الْحَدِّ ، دُونَ أَنْ تُصَادِمَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ ؛ وَتُشْعِلُ مُتَمَادِياً ، تِلْكَ الْمَصَابِيحَ الَّتِي لاَ حَدَّ لَهَا ، بِلاَ زَيْتٍ ، دُونَ أَنْ تُطْفِئَهَا ؛ وَتُدِيرُ تِلْكَ الْكُتَلَ الْعَظِيمَةَ بِلاَ نِهَايَةٍ ، دُونَ أَنْ تُثِيرَ ضَجَّةً وَاخْتِلاَلاً أَصْلاً ؛ وَتَسْتَخْدِمُ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ الْكَبِيرَةَ جِدّاً ، بِوَظَائِفَ مِثْلِ وَظَائِفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، دُونَ أَنْ تَسْمَحَ لَهَا بِالْعِصْيَانِ ؛ وَتَتَصَرَّفُ فِيهَا مَعاً ، بِلاَ نَقْصٍ ، فِي عَيْنِ الزَّمَانِ ، وَعَيْنِ الْقُوَّةِ ، وَعَيْنِ النَّمَطِ ، وَعَيْنِ سِكَّةِ الْفِطْرَةِ ، وَفِي عَيْنِ الصُّورَةِ ، فِي بُعْدٍ بِلاَ نِهَايَةٍ ، لاَ تَسَعُهُ أَرْقَامُ الْحِسَابِ فِي دَائِرَةِ الْقُطْبَيْنِ ؛ وَتَجْعَلُ حَامِلاَتِ تِلْكَ الْقُوَى الْمُتَعَدِّيَةِ الْعَظِيمَةِ جِدّاً ، مُطِيعَةً لِقَانُونِهَا ، دُونَ أَنْ تَسْمَحَ لَهَا بِالتَّعَدِّي ؛ وَتُنَظِّفُ وَجْهَ السَّمَاءِ مُشْرِقاً جِدّاً ، وَجَمِيلاً حَقّاً ، دُونَ أَنْ تَفْسَحَ الْمَجَالَ لِكُنَاسَاتٍ مُلَوِّثَةٍ لِوَجْهِهَا ، مِثْلِ أَنْقَاضِ تِلْكَ الْمُتَزَاحِمَاتِ بِلاَ نِهَايَةٍ ؛ وَتُسَيِّرُهَا بِمُنَاوَرَةٍ شَبِيهَةٍ بِمُنَاوَرَةِ جَيْشٍ مُنْتَظِمٍ ؛ وَتُرِي مَخْلُوقَاتِهَا الْمُتَفَرِّجَةَ ، أَسَالِيبَ تِلْكَ الْمُنَاوَرَةِ ، الْحَقِيقِيَّةَ وَالْخَيَالِيَّةَ ، فِي صُورَةٍ أُخْرٰى ، كُلَّ لَيْلَةٍ وَكُلَّ سَنَةٍ ، كَأَلْوَاحِ السِّينَمَا ، بِتَدْوِيرِ الْأَرْضِ ، تَشْهَدُ تِلْكَ الْحَقِيقَةُ بِالْمُشَاهَدَةِ ، عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِ خَالِقِ تِلْكَ السَّمَاوَاتِ ، وَعَلٰى وَحْدَتِهِ ، وَعَلٰى أَنَّ وُجُودَهُ أَظْهَرُ مِنْ وُجُودِ السَّمَاوَاتِ ، بِعَظَمَتِهَا وَإِحَاطَتِهَا هٰذِهِ ؛ فَقِيلَ بِمَعْنَاهَا ، فِي الْمِرْقَاةِ الْأُولٰى مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ : ﴿لآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، السَّمَاوَاتُ بِجَمِيعِ مَا فِيهَا ، بِشَهَادَةِ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ التَّسْخِيرِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّدْوِيرِ ، وَالتَّنْظِيمِ وَالتَّنْظِيفِ وَالتَّوْظِيفِ ، الْوَاسِعَةِ الْمُكَمَّلَةِ بِالْمُشَاهَدَةِ﴾ . .

ثُمَّ إِنَّ الْفَضَاءَ الْمَدْعُوَّةَ بِجَوِّ السَّمَاءِ ، وَالَّتِي هِيَ مَحْشَرُ الْعَجَائِبِ ، تُنَادِي نَاطِقَةً بِالدَّوِيِّ ، ذٰلِكَ الرَّجُلَ الْمُسَافِرَ ، وَالضَّيْفَ الْوَارِدَ إِلَى الدُّنْيَا ؛ فَتَقُولُ : اُنْظُرْ إِلَيَّ ؛ فَإِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجِدَ بِي أَيْضاً ، مَنْ تَطْلُبُهُ بِتَطَلُّعٍ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ إِلَى هُنَا . فَيَنْظُرُ ذٰلِكَ الْمُسَافِرُ إِلَى وَجْهِهَا الْعَبُوسِ ، وَلٰكِنَّهُ رَحِيمٌ ؛ وَيَسْتَمِعُ إِلَى دَوِيِّهَا الْمُدْهِشِ ، وَلٰكِنَّهُ مُبَشِّرٌ ؛ فَيَرَى : أَنَّ السَّحَابَ الَّذِي أُوقِفَ مُعَلَّقاً بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، يَرْوِي حَدِيقَةَ الْأَرْضِ ، بِأُسْلُوبٍ حَكِيمٍ وَرَحِيمٍ لِلْغَايَةِ ؛ وَيَأْتِي بِمَاءِ الْحَيَاةِ لِأَهَالِي الْأَرْضِ ؛ وَيُعَدِّلُ الْحَرَارَةَ : أَيْ شِدَّةَ نَارِ الْحَيَاةِ ؛ وَيُدْرِكُ إِمْدَادَ كُلِّ مَكَانٍ حَسَبَ الِاحْتِيَاجِ ؛ وَيُؤَدِّي وَظَائِفَ كَثِيرَةً مِثْلَ هٰذِهِ الْوَظَائِفِ ؛ مَعَ أَنَّ ذٰلِكَ السَّحَابَ الْجَسِيمَ الْمَالِئَ لِلْجَوِّ ، يَخْتَفِي بَغْتَةً ؛ وَتَنْسَحِبُ جَمِيعُ أَجْزَائِهِ إِلَى الِاسْتِرَاحَةِ ؛ فَلَا يُرَى لَهُ أَثَرٌ أَصْلاً ، كَظُهُورِ جَيْشٍ مُنْتَظِمٍ وَاخْتِفَائِهِ ، حَسَبَ الْأَوَامِرِ الْفَوْرِيَّةِ أَيْضاً ؛ ثُمَّ حِينَمَا يَتَلَقَّى أَمْرَ التَّقَدُّمِ إِلَى مِهْنَةِ الْغَيْثِ ، يَجْتَمِعُ فَيَمْلَأُ الْجَوَّ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، بَلْ فِي غُضُونِ بِضْعِ دَقَائِقَ ؛ فَيَقِفُ كَأَنَّهُ يَنْتَظِرُ أَمْرَ قَائِدٍ . .

ثُمَّ يَنْظُرُ ذٰلِكَ الْمُسَافِرُ إِلَى الرِّيحِ فِي الْجَوِّ ؛ فَيَرَى : أَنَّ الْهَوَاءَ يُسْتَخْدَمُ اسْتِخْدَاماً حَكِيماً وَكَرِيماً لِلْغَايَةِ ، بِوَظَائِفَ كَثِيرَةٍ ؛ كَأَنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ ذٰلِكَ الْهَوَاءِ الْجَامِدِ ، الَّتِي لَا شُعُورَ لَهَا ، تَسْمَعُ وَتَعْلَمُ الْأَوَامِرَ الْوَارِدَةَ مِنْ سُلْطَانِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَلَا تُؤَخِّرُ وَاحِداً مِنْهَا أَصْلاً ؛ فَتَفْعَلُهَا بِقُوَّةِ ذٰلِكَ الْقَائِدِ ؛ وَتَقْضِيهَا بِالِانْتِظَامِ ؛ فَيُسْتَخْدَمُ بِوَضْعٍ كَذٰلِكَ ، اسْتِخْدَاماً شُعُورِيّاً وَعِلْمِيّاً وَحَيَوِيّاً لِلْغَايَةِ ، مِنْ جَانِبِ يَدٍ غَيْبِيَّةٍ ، فِي وَظَائِفَ وَخِدَمَاتٍ كُلِّيَّةٍ كَثِيرَةٍ ، مِثْلِ تَنْفِيسِ جَمِيعِ نُفُوسِ الْأَرْضِ ، وَنَقْلِ الْأَصْوَاتِ وَالْمَوَادِّ اللَّازِمَةِ لِذَوِي الْحَيَاةِ ، كَالْحَرَارَةِ وَالضِّيَاءِ وَالْكَهْرَبَاءِ ، وَصَيْرُورَتِهِ وَاسِطَةً لِتَلْقِيحِ النَّبَاتَاتِ . .

ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى الْغَيْثِ ؛ فَيَرَى : أَنَّ فِي تِلْكَ الْقَطَرَاتِ اللَّطِيفَةِ الْبَرَّاقَةِ الْحُلْوَةِ ، الْمُرْسَلَةِ مِنَ الْعَدَمِ ، وَمِنْ خَزِينَةِ رَحْمَةٍ غَيْبِيَّةٍ ، وَظَائِفَ وَهَدَايَا رَحْمَانِيَّةً ؛ كَأَنَّ الرَّحْمَةَ تَجَسَّمَتْ ؛ فَتَنْبُعُ مِنَ الْخَزِينَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، فِي صُورَةِ الْقَطَرَاتِ . فَمِنْ كَيْنُونَتِهَا فِي مَعْنَى ذٰلِكَ ، سُمِّيَ الْمَطَرُ بِالرَّحْمَةِ . .

ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى الْبَرْقِ ؛ وَيَسْتَمِعُ إِلَى الرَّعْدِ ؛ فَيُشَاهِدُ : أَنَّهُمَا يُسْتَخْدَمَانِ فِي خِدَمَاتٍ عَجِيبَةٍ

وَغَرِيبَةٍ جِدّاً . .

ثُمَّ يَسْحَبُ بَصَرَهُ ؛ فَيَنْظُرُ فِي عَقْلِهِ ؛ فَيَقُولُ لِنَفْسِهِ : إِنَّ هٰذَا السَّحَابَ الْجَامِدَ بِلَا شُعُورٍ ، كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ، لَا يَعْرِفُنَا قَطْعاً ؛ وَلَا يَعْدُو بِنَفْسِهِ ، لِإِمْدَادِنَا مُشْفِقاً عَلَيْنَا ؛ وَلَا يَخْرُجُ إِلَى الْمَيْدَانِ ؛ وَلَا يَخْتَفِي بِدُونِ أَمْرٍ ؛ بَلْ يَتَحَرَّكُ بِأَمْرِ قَائِدٍ قَدِيرٍ وَرَحِيمٍ لِلْغَايَةِ ؛ فَيَخْتَفِي دُونَ أَنْ يَتْرُكَ أَثَراً ؛ وَيَخْرُجُ إِلَى الْمَيْدَانِ ؛ وَيُبَاشِرُ الْعَمَلَ دَفْعَةً ؛ وَيَمْلَأُ عَالَمَ الْجَوِّ ؛ فَيُفْرِغُهُ وَقْتاً فَوَقْتاً ، بِأَمْرِ وَقُوَّةِ سُلْطَانٍ فَعَّالٍ وَمُتَعَالٍ لِلْغَايَةِ ، وَذِي جَلْوَةٍ ، وَصَاحِبِ حَشْمَةٍ لِلْغَايَةِ ؛ وَيُحَوِّلُهُ إِلَى صُورَةِ الْحَشْرِ وَالْقِيَامَةِ ، وَلَوْحَةِ الْمَحْوِ وَالْإِثْبَاتِ ، وَالصَّفِيحَةِ الَّتِي تُكْتَبُ بِالْحِكْمَةِ ؛ وَتُغَيَّرُ بِالْعُطْلَةِ مُتَمَادِياً ؛ وَيَرْكَبُ الرِّيحَ ؛ وَيَحْمِلُ عَلَيْهَا خَزِينَةَ الْغَيْثِ مِثْلَ الْجِبَالِ ، بِتَدْبِيرِ حَاكِمٍ مُدَبِّرٍ لَطِيفٍ وَمُحْسِنٍ لِلْغَايَةِ ، وَكَرِيمٍ وَمُرَبٍّ لِلْغَايَةِ ؛ فَيُدْرِكُ أَمَاكِنَ مُحْتَاجَةً ؛ فَكَأَنَّهُ يُشْفِقُ فَيَبْكِي عَلَيْهَا ؛ فَيُضْحِكُهَا بِالْأَزَاهِيرِ ، بِدُمُوعِ عَيْنِهِ ؛ وَيُبَرِّدُ شِدَّةَ نَارِ الشَّمْسِ ؛ وَيَنْثُرُ بِالْمَاءِ عَلَى حَدَائِقِهَا ، مِثْلَ الْإِسْفِنْجَةِ ؛ وَيَغْسِلُ وَيُنَظِّفُ وَجْهَ الْأَرْضِ . .

وَكَذَا أَنَّ ذٰلِكَ الْمُسَافِرَ الْمُتَطَلِّعَ ، يَقُولُ لِعَقْلِهِ : إِنَّ مِئَاتِ آلَافٍ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْإِحْسَانَاتِ وَالْإِمْدَادَاتِ ، الْحَكِيمَةِ الرَّحِيمَةِ الْمُصَنَّعَةِ ، الَّتِي تَأْتِي إِلَى الْوُجُودِ ، بِغِطَاءِ هٰذَا الْهَوَاءِ ، وَبِصُورَتِهِ الظَّاهِرِيَّةِ ، هٰذَا الْهَوَاءِ الْجَامِدِ بِلَا حَيَاةٍ وَبِغَيْرِ شُعُورٍ ، وَالْمُتَمَوِّجِ مُتَمَادِياً بِدُونِ قَرَارٍ ، وَالْعَاصِفِ الْمُتَقَلِّبِ بِلَا ثَبَاتٍ وَدُونَ هَدَفٍ ، تُثْبِتُ بِالْبَدَاهَةِ : أَنَّ هٰذِهِ الرِّيحَ الْفَعَّالَةَ ، وَهٰذِهِ الْخَادِمَةَ الْجَوَّالَةَ ، لَيْسَ لَهَا حَرَكَةٌ أَصْلاً عَلَى حِدَتِهَا ؛ وَإِنَّمَا تَتَحَرَّكُ بِأَمْرِ آمِرٍ قَدِيرٍ وَعَلِيمٍ لِلْغَايَةِ ، حَكِيمٍ وَكَرِيمٍ لِلْغَايَةِ ؛ فَكَأَنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنْهَا ، تَسْمَعُ وَتُطِيعُ كُلَّ أَمْرٍ رَبَّانِيٍّ يَجْرِي فِي دَاخِلِ الْهَوَاءِ ، كَمُجَنَّدٍ يَعْلَمُ كُلَّ عَمَلٍ ؛ وَيَفْهَمُ وَيَسْمَعُ كُلَّ أَمْرٍ لِذٰلِكَ الْآمِرِ ؛ فَإِنِّي أَرٰى أَنَّ ذَرَّاتِ الْهَوَاءِ ، الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مَادَّتَيْنِ بَسِيطَتَيْنِ ، مِثْلِ «الْآزُوتِ وَمُوَلِّدِ الْحُمُوضَةِ» ، تُسْتَخْدَمُ مِنْ جَانِبِ يَدٍ لِلْحِكْمَةِ ، بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ ، لِتَنَفُّسِ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ وَتَعَيُّشِهَا ، وَلِتَلْقِيحِ النَّبَاتَاتِ وَنُمُوِّهَا ، وَلِإِنْتَاجِ الْمَوَادِّ اللَّازِمَةِ لِحَيَاتِهَا ، وَلِسَوْقِ السُّحُبِ وَإِدَارَتِهَا ، وَلِسَيْرِ السُّفُنِ الشِّرَاعِيَّةِ وَسِيَاحَتِهَا ، وَلِإِيصَالِ الْأَصْوَاتِ خَاصَّةً ، وَالتَّكَلُّمَاتِ بِاللَّاسِلْكِيِّ وَالْهَاتِفِ وَالْبَرْقِ وَالْمِذْيَاعِ خُصُوصاً ، وَفِي

صَنَائِعَ رَبَّانِيَّةٍ كَائِنَةٍ فِي مِئَاتِ آلافِ نَمَطٍ ، عَلىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَهِيَ مُتَمَاثِلَةٌ ، مَا عَدَا خَدَمَاتٍ عُمُومِيَّةً وَكُلِّيَّةً مِثْلَ هٰذِهِ الْخَدَمَاتِ . إِذاً فَإِنَّ الَّذِي يَسْتَعْمِلُهَا فِي خَدَمَاتٍ رَبَّانِيَّةٍ لا حَدَّ لَهَا ، بِتَصْرِيفِ الرِّيحِ ؛ وَيَسْتَخْدِمُهَا فِي أَعْمَالٍ رَحْمَانِيَّةٍ لا حَدَّ لَهَا ، بِتَسْخِيرِ السُّحُبِ ؛ وَأَوْجَدَ الْهَوَاءَ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ ، بِتَصْرِيحِ آيَةِ : ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ﴾ ، إِنَّمَا هُوَ رَبٌّ ذُو جَلالٍ وَإِكْرَامٍ ، وَاجِبُ وُجُودٍ ، وَقَادِرٌ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ ، وَعَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ . هٰكَذَا يَقُولُ ؛ وَيَحْكُمُ بِهِ بِقَطْعٍ . .

ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى الْمَطَرِ ؛ فَيَرَىٰ : أَنَّهُ تُوجَدُ فِيهِ مَنَافِعُ بِقَدَرِ حَبَّاتِهِ ، وَجِلَوَاتٌ رَحْمَانِيَّةٌ عَدَدَ قَطَرَاتِهِ ، وَحِكَمٌ مِقْدَارَ رَشَحَاتِهِ ؛ وَأَنَّ تِلْكَ الْقَطَرَاتِ الْعَذْبَةَ اللَّطِيفَةَ الْمُبَارَكَةَ ، تُخْلَقُ مُنْتَظِمَةً وَظَرِيفَةً ، وَلاسِيَّمَا الْبَرَدِ الْوَارِدِ فِي فَصْلِ الصَّيْفِ ، تُبْعَثُ وَتَنْزِلُ بِالْمِيزَانِ وَالِانْتِظَامِ ؛ فَلا تُفْسِدُ الرِّيَاحُ الشَّدِيدَةُ الْهَائِجَةُ بِالْعَوَاصِفِ ، وَالْمُصَادِمَةُ لِلْأَشْيَاءِ الْكَبِيرَةِ ، مُوَازَنَتَهَا وَانْتِظَامَهَا ؛ وَلا تَجْعَلُ الْقَطَرَاتِ كُتَلاً ضَارَّةً ، بِأَنْ تُصَادِمَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ ، فَتُوَحِّدَهَا ؛ وَأَنَّ هٰذَا الْمَاءَ الْمُسْتَخْدَمَ فِي أَعْمَالٍ حَكِيمَةٍ كَثِيرَةٍ مِثْلِ هٰذِهِ ، وَفِي ذَوِي الْحَيَاةِ خَاصَّةً ، وَالْمُرَكَّبَ مِنْ مَادَّتَيْنِ بَسِيطَتَيْنِ ، مِثْلِ «مُوَلِّدِ الْمَاءِ وَمُوَلِّدِ الْحُمُوضَةِ» ، الْبَسِيطَيْنِ وَالْجَامِدَيْنِ وَبِدُونِ شُعُورٍ ، يُسْتَخْدَمُ فِي خَدَمَاتٍ وَصَنَائِعَ حَكِيمَةٍ وَشُعُورِيَّةٍ وَمُخْتَلِفَةٍ ، بِمِئَاتِ الْآلافِ . إِذاً فَإِنَّ هٰذَا الْمَطَرَ الَّذِي هُوَ عَيْنُ الرَّحْمَةِ الَّتِي تَجَسَّمَتْ ، إِنَّمَا يُصْنَعُ فِي خَزِينَةِ رَحْمَةِ رَحْمٰنٍ رَحِيمٍ ، خَزِينَةٍ غَيْبِيَّةٍ ؛ وَيُفَسِّرُ آيَةَ : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ بِنُزُولِهِ ، تَفْسِيراً مَادِّيّاً . .

ثُمَّ يَسْتَمِعُ إِلَى الرَّعْدِ ؛ وَيَنْظُرُ إِلَى الْبَرْقِ : فَإِنَّ هَاتَيْنِ الْحَادِثَتَيْنِ الْعَجِيبَتَيْنِ الْجَوِّيَّتَيْنِ ، تُفَسِّرَانِ مَادَّةً ، آيَتَيْ : ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ وَ ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ، بِتَمَامِهِمَا ؛ مَعَ أَنَّهُمَا تُخْبِرَانِ بِمَجِيءِ الْمَطَرِ ؛ فَتُبَشِّرَانِ الْمُحْتَاجِينَ . نَعَمْ : إِنَّهُمَا تَطْرُقَانِ كَالْمِطْرَقَةِ ، هَامَةَ الْإِنْسَانِ الْغَافِلِ الْمُتَكِسِ ، بِأَوْضَاعِهِمَا الْحَكِيمَةِ وَالْغَرِيبَةِ ، مِثْلِ إِنْطَاقِ الْجَوِّ مِنَ الْعَدَمِ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، بِدَوِيٍّ خَارِقٍ ، وَمَلْءِ الْجَوِّ الْمُظْلِمِ ، بِالضَّوْءِ ، بِنُورٍ وَنَارٍ فَوْقَ الْعَادَةِ ، وَإِيقَادِ سُحُبٍ شِبْهِ الْجَبَلِ ، وَمِثْلِ الْقُطْنِ ، وَفِي حُكْمِ شَنِّ الْبَرَدِ وَالثَّلْجِ وَالْمَاءِ ؛ فَتُذَكِّرَانِهِ : أَنِ ارْفَعْ

رَأْسَكَ ؛ وَانْظُرْ إِلٰى خَوارِقِ أَعْمَالِ مَوْلًى فَعَّالٍ وَذِي قُدْرَةٍ ، يُرِيدُ تَعَرُّفَ نَفْسِهِ ؛ فَكَمَا أَنَّكَ لَسْتَ مُطْلَقاً ؛ فَلا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هٰذِهِ الْحَادِثَاتُ مُهْمَلَةً أَيْضاً ؛ فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، تُسَاقُ وَرَاءَ وَظَائِفَ حَكِيمَةٍ كَثِيرَةٍ ؛ وَتُسْتَخْدَمُ مِنْ جَانِبِ مُدَبِّرٍ حَكِيمٍ . .

هٰذَا ؛ فَيَسْمَعُ هٰذَا الْمُسَافِرُ الْمُتَطَلِّعُ ، شَهَادَةً عَالِيَةً وَظَاهِرَةً ، شَهَادَةَ حَقِيقَةٍ تَتَرَكَّبُ مِنْ تَسْخِيرِ السَّحَابِ ، وَمِنْ تَصْرِيفِ الرِّيحِ ، وَمِنْ تَنْزِيلِ الْمَطَرِ ، وَمِنْ تَدْبِيرِ الْحَادِثَاتِ الْجَوِّيَّةِ فِي هٰذَا الْجَوِّ ؛ فَيَقُولُ : آمَنْتُ بِاللهِ . وَإِنَّ فِقْرَةَ ﴿ لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ ، الْجَوُّ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ ، بِشَهَادَةِ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ التَّسْخِيرِ وَالتَّصْرِيفِ وَالتَّنْزِيلِ وَالتَّدْبِيرِ ، الْوَاسِعَةِ الْمُكَمَّلَةِ بِالْمُشَاهَدَةِ ﴾ ، فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ، تُفِيدُ مُشَاهَدَاتِ هٰذَا الْمُسَافِرِ ، الْمَذْكُورَةَ الدَّائِرَةَ حَوْلَ الْجَوِّ . .

﴿ إِخْطَارٌ ﴾ : لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُوضِحَ نَبْذَةً مَا ، ثَلاثاً وَثَلاثِينَ مَرْتَبَةً تَوْحِيدِيَّةً ، سَبَقَتْ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ؛ وَلٰكِن اضْطُرِرْتُ لِلاكْتِفَاءِ بِبَرَاهِينِهَا وَتَرْجَمَةِ فَحْوَاهَا الْمُخْتَصَرَةِ لِلْغَايَةِ فَقَطْ ، بِجِهَةِ عَدَمِ مُسَاعَدَةِ وَضْعِي وَحَالِيَ الْحَاضِرَةِ . وَقَدْ بُيِّنَتْ هٰذِهِ الْمَرَاتِبُ الثَّلاثُ وَالثَّلاثُونَ ، فِي ثَلاثِينَ رِسَالَةً ، بَلْ فِي مِئَةِ رِسَالَةٍ مِنْ رِسَالَةِ النُّورِ ، بِدَلائِلِهَا ، فِي وُجُوهٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فِي كُلِّ رِسَالَةٍ ، قِسْمٌ مِنَ الْمَرَاتِبِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ أُحِيلَ تَفْصِيلَهَا عَلَيْهَا . .

ثُمَّ إِنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ تَقُولُ بِلِسَانِ حَالِهَا ، لِذٰلِكَ الْمُسَافِرِ الْمُتَفَكِّرِ ، الْمُتَعَوِّدِ عَلٰى تِلْكَ السِّيَاحَةِ الْفِكْرِيَّةِ : مَاذَا تَسِيحُ فِي السَّمَاءِ وَالْفَضَاءِ وَالْهَوَاءِ ؟ تَعَالَ سَأُعَرِّفُكَ مَطْلُوبَكَ ؛ فَانْظُرْ إِلٰى وَظَائِفِيَ الَّتِي أُؤَدِّيهَا ؛ وَاقْرَأْ صَحَائِفِي . فَيَنْظُرُ هُوَ ؛ فَيَرٰى : أَنَّ الْأَرْضَ تَخُطُّ حَوْلَ مَيْدَانِ الْحَشْرِ الْأَعْظَمِ ، دَائِرَةً ، هِيَ مَدَارٌ لِحُصُولِ الْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ وَالْفُصُولِ ، بِحَرَكَتَيْهَا ، كَمَوْلَوِيٍّ مَجْذُوبٍ[1] ؛ وَأَنَّهَا سَفِينَةٌ رَبَّانِيَّةٌ مُحْتَشِمَةٌ وَمُسَخَّرَةٌ ، تَحْتَوِي مِئَاتِ آلافِ أَنْوَاعٍ مِنْ ذَوِي

---

(١) اَلْمَوْلَوِيُّ : مَنْسُوبٌ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمَوْلَوِيَّةِ الْمَنْسُوبَةِ إِلٰى مَوْلانَا جَلالِ الدِّينِ الرُّومِيِّ (قُدِّسَ سِرُّهُ) ؛ فَإِنَّهُ يَقُومُ إِلَى الذِّكْرِ دَائِراً حَوْلَ نَفْسِهِ ، وَفِي دَائِرَةٍ مَخْصُوصَةٍ ؛ كَمَا هِيَ الْحَالُ بِالنِّسْبَةِ إِلٰى كُرَةِ الْأَرْضِ ، الذَّاكِرَةِ وَالدَّائِرَةِ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالٰى . . الْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللهُ عَنْهُ) . .

الْحَيَاةِ ، بِجَمِيعِ أَرْزَاقِهَا وَلَوَازِمِهَا ؛ فَتُسَيِّرُهَا فِي بَحْرِ الْفَضَاءِ ، بِكَمَالِ الْمُوَازَنَةِ وَالنِّظَامِ ؛ وَتَسِيحُ حَوْلَ الشَّمْسِ . .

ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى صَحَائِفِهَا ؛ فَيَرٰى : أَنَّ كُلَّ صَحِيفَةٍ مِنْهَا فِي أَبْوَابِهَا ، تُعَرِّفُ رَبَّ الْأَرْضِ بِآلَافِ آيَاتِهَا . فَيَنْظُرُ إِلٰى إِيجَادِ وَإِدَارَةِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ ، الَّتِي هِيَ صَحِيفَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ ؛ لِأَنَّهُ لا يَجِدُ الْوَقْتَ لِقِرَاءَةِ جَمِيعِهَا ؛ فَيُشَاهِدُ أَنَّ صُوَرَ مَا لا حَدَّ لَهَا مِنْ أَفْرَادِ مِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ ، تُفْتَحُ مُنْتَظِمَةً لِلْغَايَةِ ، مِنْ مَادَّةٍ بَسِيطَةٍ ؛ وَتُرَبّٰى تَرْبِيَةً رَحِيمَةً لِلْغَايَةِ ؛ وَتُنْشَرُ بِصُورَةٍ ، يُعْطِي بُذُورَ قِسْمٍ مِنْهَا أُجَيْنِحَةً مُعْجِزَةً لِلْغَايَةِ ؛ فَيُطَيِّرُهَا ؛ وَتُدَارُ إِدَارَةً مُدَبَّرَةً لِلْغَايَةِ ؛ وَتُرْزَقُ وَتُطْعَمُ إِطْعَاماً مُشْفِقاً لِلْغَايَةِ ؛ وَتُنْتَجُ أَرْزَاقُهَا الْحُلْوَةُ اللَّذِيذَةُ الْمُتَنَوِّعَةُ وَغَيْرُ الْمَحْدُودَةِ ، عَلٰى وَجْهٍ رَحِيمٍ وَرَزَّاقٍ لِلْغَايَةِ ، مِنَ الْعَدَمِ ، وَمِنَ التُّرَابِ الْيَابِسِ ، وَمِنْ جُذُورٍ شَبِيهَةٍ بِالْعِظَامِ ، وَمِنَ النَّوٰى ، وَمِنْ قَطَرَاتِ الْمَاءِ ، الْمُتَمَاثِلَةِ ، وَالَّتِي بَيْنَهَا فَرْقٌ قَلِيلٌ جِدّاً ؛ وَتُحْمَلُ مِئَةُ أَلْفِ نَوْعٍ مِنَ الْأَطْعِمَةِ وَاللَّوَازِمِ ، بِكَمَالِ الانْتِظَامِ ، مِنْ خَزِينَةِ الْغَيْبِ ، عَلَى الرَّبِيعِ ، مِثْلَ الْقِطَارِ ؛ فَتُبْعَثُ إِلٰى ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ وَلاسِيَّمَا أَنَّ مُعَلَّبَاتِ الْحَلِيبِ الْمُرْسَلَةِ إِلَى الْأَطْفَالِ ، بَيْنَ عُلَبَاتِ تِلْكَ الْأَرْزَاقِ ، وَإِرْسَالَ شُنَيْنَاتِ اللَّبَنِ ذِي السُّكَّرِ ، الْمُتَدَلِّيَةِ فِي صُدُورِ وَالِدَاتِهَا الْمُشْفِقَةِ ، تُشَاهَدُ بَيْنَ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ ؛ فَتُثْبِتُ بِالْبَدَاهَةِ ، أَنَّهَا جَلْوَةٌ مُشْفِقَةٌ وَمُرَبِّيَةٌ لِلْغَايَةِ ، مِنْ جَلَوَاتِ رَحْمَةِ وَإِحْسَانِ رَحْمٰنٍ رَحِيمٍ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ هٰذِهِ الصَّحِيفَةَ الْحَيَوِيَّةَ الرَّبَعِيَّةَ ، تُفَسِّرُ مَادَّةً ، آيَةَ : ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰٓ آثَارِ رَحْمَتِ اللّٰهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۤ إِنَّ ذٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتٰى وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تَفْسِيراً مُشْرِقاً لِلْغَايَةِ ، بِإِظْهَارِ مِئَةِ أَلْفِ نَمُوذَجٍ وَمِثَالٍ مِنْ أَمْثِلَةِ الْحَشْرِ الْأَعْظَمِ ؛ كَمَا أَنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ أَيْضاً ، تُفِيدُ عَلٰى وَجْهِ الْإِعْجَازِ ، مَعَانِيَ هٰذِهِ الصَّحِيفَةِ . وَفَهِمَ أَنَّ الْأَرْضَ بِجَمِيعِ صَحَائِفِهَا ، تَقُولُ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ، فِي نِسْبَةِ وَقُوَّةِ عَظَمَتِهَا . .

هٰذَا ؛ فَقَدْ قِيلَ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ، هٰكَذَا : ﴿ لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، الْأَرْضُ بِجَمِيعِ مَا فِيهَا وَمَا عَلَيْهَا

بِشَهادَةِ عَظَمَةِ إحاطَةِ حَقيقَةِ التَّسْخيرِ وَالتَّدْبيرِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالْفَتَّاحِيَّةِ وَتَوْزيعِ الْبُذُورِ، وَالْمُحافَظَةِ وَالْإِدارَةِ وَالْإِعاشَةِ لِجَميعِ ذَوِي الْحَياةِ، وَالرَّحْمانِيَّةِ وَالرَّحيمِيَّةِ الْعامَّةِ الشَّامِلَةِ الْمُكَمَّلَةِ بِالْمُشاهَدَةِ﴾، في مَعْنٰى مُشاهَداتِ ذٰلِكَ الْمُسافِرِ، وَلِإِفادَةِ تِلْكَ الْمُشاهَداتِ في صَحائِفِ سائِرِ الْوُجُوهِ، بِشَهادَةٍ مُخْتَصَرَةٍ لِوَجْهٍ واحِدٍ فَقَطْ، مِنْ عِشْرينَ وَجْهاً، لِصَحيفَةٍ واحِدَةٍ فَقَطْ، مِنْ كِبارِ صَحائِفِ كُرَةِ الْأَرْضِ، الزَّائِدَةِ عَلَى الْعِشْرينَ..

ثُمَّ إنَّ ذٰلِكَ الْمُسافِرَ الْمُتَفَكِّرَ، كُلَّما قَرَأَ كُلَّ صَحيفَةٍ، تَقَوّٰى إيمانُهُ الَّذي هُوَ مِفْتاحُ السَّعادَةِ؛ وَازْدادَتْ مَعْرِفَتُهُ الَّتي هِيَ مِفْتاحُ التَّرَقِّياتِ الْمَعْنَوِيَّةِ؛ وَانْكَشَفَتْ بِدَرَجَةٍ أُخْرٰى، حَقيقَةُ الْإيمانِ بِاللهِ، الَّتي هِيَ أَساسُ جَميعِ الْكَمالاتِ وَمَعْدِنُها؛ فَكُلَّما أَوْرَثَتْ أَذْواقاً وَلَذائِذَ مَعْنَوِيَّةً كَثيرَةً، حَرَّكَتْ تَطَلُّعَهُ بِشِدَّةٍ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ اسْتَمَعَ إلىٰ دُرُوسِ السَّماءِ وَالْجَوِّ وَالْأَرْضِ، الْمُكَمَّلَةِ وَالْقَطْعِيَّةِ؛ مَعَ أَنَّهُ كانَ يَقُولُ: «هَلْ مِنْ مَزيدٍ»؛ فَيَتَوَقَّفُ؛ فَإِذا بِهِ يَسْمَعُ أَذْكارَ الْبِحارِ وَكِبارِ الْأَنْهارِ، وَأَصْواتَها الْحَزينَةَ وَاللَّذيذَةَ، بِجَيَشانٍ وَهَيَجانٍ عَلىٰ وَجْهِ الْجَذْبَةِ؛ فَتَقُولُ بِلِسانِ الْحالِ وَلِسانِ الْقالِ: اُنْظُرْ إلَيْنا أَيْضاً؛ وَاقْرَأْنا أَيْضاً. فَيَنْظُرُ هُوَ؛ فَيَرٰى: أَنَّ الْبِحارَ الْمُتَمَوِّجَةَ دائِماً تَمَوُّجاً حَيَوِيّاً، وَالَّتي هِيَ في فِطْرَةِ الْانْتِشارِ وَالْانْصِبابِ وَالْاسْتيلاءِ، قَدْ طَوَّقَتِ الْأَرْضَ؛ فَتُساقُ مَعَ الْأَرْضِ، في صُورَةٍ سَريعَةٍ لِلْغايَةِ، في دائِرَةٍ هِيَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، في سَنَةٍ واحِدَةٍ؛ مَعَ أَنَّها لا تَنْتَشِرُ وَلا تَنْسَكِبُ وَلا تَتَعَدّٰى، ما في جِوارِها مِنَ التُّرابِ. فَإِذاً إنَّها تَمْكُثُ وَتَسيرُ وَيُحافَظُ عَلَيْها، بِأَمْرِ وَقُوَّةِ مَوْلًى ذي قُدْرَةٍ، وَصاحِبِ عَظَمَةٍ لِلْغايَةِ..

ثُمَّ يَنْظُرُ إلىٰ بَواطِنِ الْبِحارِ؛ فَيَرٰى: أَنَّ إعاشَةَ وَإِدارَةَ حَيَواناتٍ مُتَنَوِّعَةٍ بِآلافٍ، وَتَوَلُّداتِها وَوَفَياتِها مُنْتَظَمَةٌ؛ وَأَنَّ أَرْزاقَها وَوَجَباتِها الْمَمْنُوحَةَ مِنْ رَمْلٍ بَسيطٍ، وَماءٍ أُجاجٍ، مُكَمَّلَةٌ، ما عَدا جَواهِرَها الظَّريفَةَ الْمُزَيَّنَةَ الْمُنْتَظِمَةَ لِلْغايَةِ، بِحَيْثُ تُثْبِتُ بِالْبَداهَةِ: أَنَّها تَحْصُلُ بِإِدارَةِ وَإِعاشَةِ قَديرٍ ذي جَلالٍ، وَرَحيمٍ ذي جَمالٍ..

ثُمَّ يَنْظُرُ ذٰلِكَ الْمُسافِرُ إلَى الْأَنْهارِ؛ فَيَرٰى: أَنَّ مَنافِعَها وَوَظائِفَها وَمَوارِدَها وَمَصارِفَها،

حَكِيمَةٌ وَرَحِيمَةٌ ، تُثْبِتُ بِالْبَدَاهَةِ : أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْهُرِ وَالْيَنَابِيعِ وَالسَّوَاقِي وَكِبَارِ الْأَنْهَارِ ، تَنْبَعُ وَتَجْرِي مِنْ خَزِينَةِ رَحْمَةِ رَحْمٰنٍ ذِي جَلَالٍ وَإِكْرَامٍ ؛ حَتّٰى إِنَّهَا تُدَّخَرُ وَتُصْرَفُ فَوْقَ الْعَادَةِ ، بِحَيْثُ رُوِيَ : ﴿أَنَّ الْأَنْهَارَ الْأَرْبَعَةَ تَرِدُ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ . يَعْنِي : أَنَّهَا تَجْرِي مِنْ خَزِينَةِ جَنَّةٍ مَعْنَوِيَّةٍ ، وَمِنْ فَيْضِ مَنْبَعٍ غَيْرِ نَافِدٍ وَغَيْبِيٍّ فَقَطْ ؛ لِأَنَّهَا تَفُوقُ الْأَسْبَابَ الظَّاهِرِيَّةَ جِدّاً . وَهُوَ الْمُرَادُ . .

فَمَثَلاً : إِنَّ النِّيلَ الْمُبَارَكَ الَّذِي حَوَّلَ بَادِيَةَ مِصْرَ إِلَى جَنَّةٍ مَّا ، يَجْرِي دَائِماً دُونَ نَفَادٍ ، مِثْلَ بُحَيْرَةٍ ، مِنْ جَبَلٍ يُدْعٰى «جَبَلَ الْقَمَرِ» ، مِنْ نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ . فَلَوِ اجْتَمَعَتْ صَرْفِيَّاتُهُ فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ ؛ وَتَجَمَّدَتْ عَلٰى شَكْلِ الْجَبَلِ ؛ تَصِيرُ أَكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ الْجَبَلِ ؛ وَالْحَالُ أَنَّ الْمَحَلَّ وَالْمَخْزَنَ الَّذِي خُصِّصَ لَهُ مِنْ ذٰلِكَ الْجَبَلِ ، لَا يَصِيرُ قِسْماً وَاحِداً مِنْ أَقْسَامِهِ السِّتَّةِ . أَمَّا وَارِدَاتُهُ : فَإِنَّ الْمَطَرَ الْوَارِدَ قَلِيلاً جِدّاً ، فِي تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ الْحَارَّةِ ، وَالذَّاهِبَ إِلَى الْمَخْزَنِ نَادِراً ، لِابْتِلَاعِ التُّرْبَةِ الْمُتَعَطِّشَةِ إِيَّاهُ فَوْراً ، لَا يُمْكِنُ قَطْعاً ، أَنْ يُحَافِظَ عَلٰى تِلْكَ الْمُوَازَنَةِ الْوَاسِعَةِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ تُفِيدُ الرِّوَايَةُ حَقِيقَةً جَمِيلَةً وَمُفِيدَةً لِلْغَايَةِ ، بِأَنَّ ذٰلِكَ النِّيلَ الْمُبَارَكَ ، يَنْبَعُ مِنْ جَنَّةٍ غَيْبِيَّةٍ ، فَوْقَ الْعَادَاتِ الْأَرْضِيَّةِ . .

هٰذَا ؛ فَشَاهَدَ وَاحِدَةً مِنْ آلَافِ شَهَادَاتِ الْبِحَارِ وَالْأَنْهَارِ ، وَحَقَائِقِهَا الشَّبِيهَةِ بِالْبِحَارِ ؛ وَفَهِمَ أَنَّ جَمِيعَهَا تَقُولُ بِالْإِجْمَاعِ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ، بِقُوَّةٍ فِي نِسْبَةِ عَظَمَةِ الْبِحَارِ ؛ وَتُظْهِرُ الشَّوَاهِدَ عَلٰى هٰذِهِ الشَّهَادَةِ ، عَدَدَ مَخْلُوقَاتِ الْبِحَارِ . وَقَدْ قِيلَ فِي الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ، فِي مَعْنٰى إِفَادَتِهِ ، مُرِيداً جَمِيعَ شَهَادَاتِ الْبِحَارِ وَالْأَنْهَارِ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، جَمِيعُ الْبِحَارِ وَالْأَنْهَارِ بِجَمِيعِ مَا فِيهَا ، بِشَهَادَةِ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ التَّسْخِيرِ وَالْمُحَافَظَةِ وَالِادِّخَارِ وَالْإِدَارَةِ ، الْوَاسِعَةِ الْمُنْتَظَمَةِ بِالْمُشَاهَدَةِ﴾ . .

ثُمَّ إِنَّ الْجِبَالَ وَالصَّحَارٰى ، تَدْعُو ذٰلِكَ الْمُسَافِرَ الْكَائِنَ فِي السِّيَاحَةِ الْفِكْرِيَّةِ ؛ فَتَقُولُ : اِقْرَأْ صُحُفَنَا أَيْضاً . فَيَنْظُرُ هُوَ ؛ فَيَرٰى : أَنَّ وَظَائِفَ الْجِبَالِ الْكُلِّيَّةَ ، وَخِدْمَاتِهَا الْعُمُومِيَّةَ ، ذَاتُ

عَظمَةٍ وَحِكْمَةٍ، تَتْرُكُ الْعُقُولَ فِي حَيْرَةٍ. فَإِنَّ الْجِبَالَ مَثَلاً، تُسَكِّنُ بِظُهُورِهَا مِنَ الْأَرْضِ، بِالْأَمْرِ الرَّبَّانِيِّ، هَيَجَانَ الْأَرْضِ، وَغَضَبَهَا وَحِدَّتَهَا، النَّاشِئَةَ مِنْ الِانْقِلاَبَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ، فِي بَاطِنِهَا؛ فَتَتَنَفَّسُ الْأَرْضُ بِفَوَرَانِ تِلْكَ الْجِبَالِ، وَبِمَنَافِذِهَا؛ فَتَنْجُو مِنْ هَزَّاتٍ ضَارَّةٍ، وَمِنْ زَلاَزِلَ مُضِرَّةٍ؛ فَلاَ تُفْسِدُ اسْتِرَاحَةَ سُكَّانِهَا، فِي وَظِيفَتِهَا الدَّوْرِيَّةِ. إِذاً فَكَمَا أَنَّ أَعْمِدَةَ السُّفُنِ نُصِبَتْ فَوْقَهَا، لِوِقَايَتِهَا عَنْ الِارْتِجَاجِ، وَلِلْمُحَافَظَةِ عَلٰى مُوَازَنَتِهَا؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ، يُفِيدُ بِآيَاتٍ كَثِيرَةٍ، مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالٰى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً.. وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ.. وَالْجِبَالَ أَرْسٰيهَا﴾: أَنَّ الْجِبَالَ أَعْمِدَةٌ مُتَخَزِّنَةٌ فِي هٰذَا الْمَعْنٰى، لِسَفِينَةِ الْأَرْضِ. وَكَذَا أَنَّ كُلَّ نَوْعٍ مِنَ الْمَنَابِعِ وَالْمِيَاهِ، وَالْمَعَادِنِ وَالْمَوَادِّ وَالْأَدْوِيَةِ، اللاَّزِمَةِ لِذَوِي الْحَيَاةِ مَثَلاً، قَدِ ادُّخِرَتْ وَأُعِدَّتْ وَاصْطُفَّتْ فِي بَاطِنِ الْجِبَالِ، عَلٰى وَجْهِ الْحِكْمَةِ وَالتَّدْبِيرِ، وَالْكَرَمِ وَالِاحْتِيَاطِ؛ فَتُثْبِتُ بِالْبَدَاهَةِ: أَنَّهَا خَزَائِنُ وَمُسْتَوْدَعَاتٌ وَخُدَّامٌ، لِقَدِيرٍ لاَ نِهَايَةَ لِقُدْرَتِهِ، وَحَكِيمٍ لاَ نِهَايَةَ لِحِكْمَتِهِ. هٰكَذَا يَفْهَمُ؛ وَيَقِيسُ عَلٰى هَاتَيْنِ الْجَوْهَرَتَيْنِ، غَيْرَهُمَا مِنْ وَظَائِفِ الصَّحَارٰى وَالْجِبَالِ، وَمِنْ حِكَمِهَا الَّتِي هِيَ مِقْدَارُ الْجَبَلِ؛ فَيَرٰى شَهَادَةَ الْجِبَالِ وَالصَّحَارٰى الَّتِي تَأْتِي بِهَا، وَتَوْحِيدَ ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الَّذِي تَذْكُرُهُ بِعُمُومِ حِكَمِهَا، وَبِجِهَةِ الِادِّخَارَاتِ الِاحْتِيَاطِيَّةِ خُصُوصاً، يَرَاهَا فِي قُوَّةِ الْجِبَالِ وَثَبَاتِهَا، وَفِي سِعَةِ الصَّحَارٰى وَعَظَمَتِهَا؛ فَيَقُولُ: «آمَنْتُ بِاللّٰهِ»..

هٰذَا؛ فَقَدْ قِيلَ فِي الْمَرْتَبَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ، لِإِفَادَةِ هٰذَا الْمَعْنٰى: ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ، الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ، جَمِيعُ الْجِبَالِ وَالصَّحَارٰى بِجَمِيعِ مَا فِيهَا وَعَلَيْهَا، بِشَهَادَةِ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ الِادِّخَارِ وَالْإِدَارَةِ وَنَشْرِ الْبُذُورِ وَالْمُحَافَظَةِ وَالتَّدْبِيرِ، الِاحْتِيَاطِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْوَاسِعَةِ الْعَامَّةِ الْمُنْتَظَمَةِ الْمُكَمَّلَةِ بِالْمُشَاهَدَةِ﴾..

ثُمَّ إِنَّ ذٰلِكَ الْمُسَافِرَ بَيْنَمَا كَانَ يَسِيحُ بِفِكْرِهِ، فِي الْجِبَالِ وَفِي الصَّحَارٰى، انْفَتَحَ لِفِكْرِهِ بَابُ عَالَمِ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ؛ فَدَعَوْهُ إِلَى الدَّاخِلِ؛ وَقَالُوا: تَعَالَ سِرْ فِي دَائِرَتِنَا؛ وَاقْرَأْ كِتَابَاتِنَا أَيْضاً. فَدَخَلَ هُوَ؛ فَشَاهَدَ: أَنَّهَا شَكَّلَتْ مَجْلِسَ تَهْلِيلٍ وَتَوْحِيدٍ، وَحَلْقَةَ ذِكْرٍ وَشُكْرٍ، مُحْتَشِمَةً

وَمُزَيَّنَةً لِلْغَايَةِ ؛ وَفَهِمَ مِنْ لِسَانِ حَالِهَا : كَأَنَّ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ تَقُولُ مَعاً بِالْإِجْمَاعِ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ؛ لِأَنَّهُ شَاهَدَ ثَلَاثَ حَقَائِقَ كُلِّيَّةٍ كَبِيرَةٍ ، تَدُلُّ وَتَشْهَدُ عَلٰى أَنَّ جَمِيعَ النَّبَاتَاتِ وَالْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ ، تَأْتِي بِالشَّهَادَةِ ؛ وَتَقُولُ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ مَعاً مُسَبِّحَةً ، بِأَلْسِنَةِ أَوْرَاقِهَا الْمَوْزُونَةِ وَالْفَصِيحَةِ ، وَبِأَقْوَالِ أَزْهَارِهَا الْمُزَيَّنَةِ وَالْجَزِيلَةِ ، وَبِكَلِمَاتِ أَثْمَارِهَا الْمُنْتَظِمَةِ وَالْبَلِيغَةِ . .

«اَلْأُولٰى :» أَنَّ مَعْنٰى وَحَقِيقَةَ إِنْعَامٍ وَإِكْرَامٍ قَصْدِيٍّ ، وَإِحْسَانٍ وَامْتِنَانٍ اخْتِيَارِيٍّ ، يُحَسُّ بِهَا فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، فِي صُورَةٍ ظَاهِرَةٍ جِدّاً ؛ كَمَا أَنَّهَا تُشَاهَدُ فِي مَجْمُوعِهَا ، كَضِيَاءِ الشَّمْسِ فِي ظُهُورِهَا . .

«اَلثَّانِيَةُ :» أَنَّ مَعْنٰى وَحَقِيقَةَ تَمْيِيزٍ وَتَفْرِيقٍ قَصْدِيٍّ وَحَكِيمٍ ، وَتَزْيِينٍ وَتَصْوِيرٍ اخْتِيَارِيٍّ وَرَحِيمٍ ، مِمَّا لَا تُوجَدُ أَيَّةُ جِهَةِ إِمْكَانٍ لِحَوَالَتِهَا عَلَى التَّصَادُفِ ، تُشَاهَدُ عَلَانِيَةً كَالنَّهَارِ ، فِي تِلْكَ الْأَنْوَاعِ وَالْأَفْرَادِ بِلَا حَدٍّ ؛ وَتَدُلُّ عَلٰى أَنَّهَا آثَارُ وَنُقُوشُ صَانِعٍ حَكِيمٍ . .

«اَلثَّالِثَةُ :» أَنَّ صُوَرَ تِلْكَ الْمَصْنُوعَاتِ بِلَا حَدٍّ ، عَلٰى مِئَةِ أَلْفِ نَمَطٍ وَشَكْلٍ مُتَنَوِّعٍ وَمُخْتَلِفٍ ؛ وَفَتْحَ وَانْكِشَافَ صُوَرِ جَمِيعِ أَفْرَادِ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ الْمِئَتَيْ أَلْفٍ ، مُنْتَظِمَةً وَمَوْزُونَةً وَمُزَيَّنَةً لِلْغَايَةِ ، مِنْ نَوًى وَحُبَيْبَاتٍ مَحْدُودَةٍ وَمَعْدُودَةٍ ، بَعْضُهَا مِثْلُ بَعْضٍ ، وَبَسِيطَةٍ وَجَامِدَةٍ ، بَعْضُهَا عَيْنُ بَعْضٍ ، أَوْ ذَاتُ فَرْقٍ قَلِيلٍ ، وَمُخْتَلِطَةٍ ، فِي وَضْعِيَّةٍ فَارِقَةٍ وَمُنْتَظِمَةٍ ، مُخْتَلِفَةٍ مُتَوَازِنَةٍ ، ذَاتِ حَيَاةٍ وَحِكْمَةٍ ، بِدُونِ سَهْوٍ وَخَطَأٍ ، هِيَ حَقِيقَةٌ أَشْرَقُ مِنَ الشَّمْسِ ؛ وَعَلِمَ أَنَّهُ تُوجَدُ شَوَاهِدُ تُثْبِتُ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ ، عَدَدَ أَزْهَارِ الرَّبِيعِ وَأَثْمَارِهِ وَأَوْرَاقِهِ وَمَوْجُودَاتِهِ ؛ فَقَالَ : «اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ» . .

هٰذَا ؛ فَقِيلَ فِي الْمَرْتَبَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ، بِمَعْنٰى إِفَادَةِ هٰذِهِ الْحَقَائِقِ وَالشَّهَادَاتِ الْمَذْكُورَةِ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، إِجْمَاعُ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ ، الْمُسَبِّحَاتِ النَّاطِقَاتِ بِكَلِمَاتِ أَوْرَاقِهَا الْمَوْزُونَاتِ الْفَصِيحَاتِ ، وَأَزْهَارِهَا الْمُزَيَّنَاتِ الْجَزِيلَاتِ ، وَأَثْمَارِهَا الْمُنْتَظَمَاتِ الْبَلِيغَاتِ ، بِشَهَادَةِ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ الْإِنْعَامِ وَالْإِكْرَامِ وَالْإِحْسَانِ ، بِقَصْدٍ وَرَحْمَةٍ ، وَحَقِيقَةِ التَّمْيِيزِ

وَالتَّزْيِينِ وَالتَّصْوِيرِ بِإِرادَةٍ وَحِكْمَةٍ ، مَعَ قَطْعِيَّةِ دَلالَةِ حَقِيقَةِ فَتْحِ جَمِيعِ صُوَرِهَا الْمَوْزُونَاتِ الْمُزَيَّنَاتِ الْمُتَبَايِنَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ الْغَيْرِ الْمَحْدُودَةِ ، مِنْ نَوَاتَاتٍ وَحَبَّاتٍ مُتَمَاثِلَةٍ مُتَشَابِهَةٍ مَحْصُورَةٍ مَعْدُودَةٍ ﴾ . .

ثُمَّ إِنَّ سَيَّاحَ الدُّنْيَا ، ذٰلِكَ الْمُتَطَلِّعَ ، الْكَائِنَ فِي السِّيَاحَةِ الْفِكْرِيَّةِ ، وَالَّذِي يَزْدَادُ ذَوْقُهُ وَشَوْقُهُ ، بِالتَّرَقِّي ، بَيْنَمَا كَانَ يَأْتِي قَابِضاً مِنْ حَدِيقَةِ الرَّبِيعِ ، بَاقَةَ وَرْدٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ بِقَدَرِ الرَّبِيعِ ، انْفَتَحَ بَابُ عَالَمِ الْحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ ، لِعَقْلِهِ مُشَاهِدِ الْحَقِيقَةِ ، وَلِفِكْرِهِ مُؤَانِسِ الْمَعْرِفَةِ ؛ فَدَعَوْهُ إِلَى الدَّاخِلِ ، بِمِئَةِ أَلْفِ أَصْوَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَأَلْسِنَةٍ مُتَنَوِّعَةٍ ؛ فَقَالُوا : تَفَضَّلُوا . فَدَخَلَ هُوَ ؛ وَشَاهَدَ : أَنَّ جَمِيعَ أَنْوَاعِ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ ، وَطَوَائِفِهَا وَمِلَلِهَا ، تَقُولُ بِالاتِّفَاقِ ، بِلِسَانِ قَالِهَا ، وَلِسَانِ حَالِهَا : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ؛ فَحَوَّلُوا وَجْهَ الْأَرْضِ ، إِلٰى صُورَةِ دَارِ ذِكْرٍ ، وَمَجْلِسِ تَهْلِيلٍ مُعَظَّمٍ ؛ وَرَآهَا فِي وَضْعٍ يَصِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِالذَّاتِ صَانِعَهَا ؛ وَيَحْمَدُهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ ، فِي حُكْمِ قَصَائِدَ رَبَّانِيَّةٍ ، وَكَلِمَاتٍ سُبْحَانِيَّةٍ ، وَحُرُوفٍ رَحْمَانِيَّةٍ ذَاتِ مَعَانٍ ؛ فَكَأَنَّ حَوَاسَّ أُولاَئِكَ الْحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ ، وَقُوَاهَا وَأَجْهِزَتَهَا وَأَعْضَاءَهَا وَآلاَتِهَا ، كَلِمَاتٌ مَنْظُومَةٌ وَمَوْزُونَةٌ ، وَمَقَالاَتٌ مُنْتَظِمَةٌ وَمُكَمَّلَةٌ ؛ فَشَاهَدَ ثَلاَثَ حَقَائِقَ مُعَظَّمَةٍ وَمُحِيطَةٍ ، تَدُلُّ قَطْعاً عَلٰى أَنَّ أُولاَئِكَ يَشْكُرُونَ بِهٰؤُلآءِ ، لِخَلاَّقِهَا وَرَزَّاقِهَا ؛ وَيَشْهَدُونَ بِهَا عَلٰى وَحْدَانِيَّتِهِ . .

﴿اَلْأُولٰى :﴾ هِيَ حَقِيقَةُ الْإِيجَادِ الْحَكِيمِ ، وَالْإِبْدَاعِ الْمُتْقِنِ ، وَالْخَلْقِ وَالْإِنْشَاءِ الاخْتِيَارِيِّ وَالْعِلْمِيِّ ، مِنَ الْعَدَمِ ، وَالْإِحْيَاءِ وَإِعْطَاءِ الرُّوحِ الدَّالِّ عَلٰى جِلْوَةِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالْإِرَادَةِ ، بِعِشْرِينَ جِهَةً ، الَّتِي لاَ يُمْكِنُ حَوَالَتُهَا بِأَيِّ جِهَةٍ ، عَلَى التَّصَادُفِ الطَّائِشِ ، وَالْقُوَّةِ الْعَوْرَاءِ ، وَالطَّبِيعَةِ بِلاَ شُعُورٍ ؛ فَإِنَّهَا تَشْهَدُ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِ الذَّاتِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، وَعَلٰى صِفَاتِهِ السَّبْعِ ، وَعَلٰى وَحْدَتِهِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا بُرْهَانٌ بَاهِرٌ ، لَهُ شَوَاهِدُ عَدَدَ ذَوِي الْأَرْوَاحِ . .

﴿اَلثَّانِيَةُ :﴾ أَنَّ حَقِيقَةَ ذَاتَ عَظَمَةٍ وَقُوَّةٍ ، تُشَاهَدُ فِي تِلْكَ الْمَصْنُوعَاتِ الَّتِي لاَ حَدَّ لَهَا ، مِنَ التَّمْيِيزِ وَالتَّزْيِينِ وَالتَّصْوِيرِ عَلٰى وَجْهٍ مُتَمَيِّزٍ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ ، حَسَبَ السِّيمَا ، وَمُتَزَيِّنٍ حَسَبَ الشَّكْلِ ، وَمُتَّزِنٍ حَسَبَ الْمِقْدَارِ ، وَمُنْتَظِمٍ حَسَبَ الصُّورَةِ ؛ فَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يَمْلِكَ أَيَّ

شَيْءٍ غَيْرُ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْعَالِمِ بِكُلِّ شَيْءٍ ، هٰذَا الْفِعْلَ الْمُحِيطَ ، الدَّالَّ عَلَى الْخَوَارِقِ وَالْحِكَمِ بِآلافٍ ، بِكُلِّ جِهَةٍ ؛ وَلا يُوجَدُ أَيُّ إِمْكَانٍ وَاحْتِمَالٍ لَهُ أَصْلاً . .

(اَلثَّالِثَةُ :) أَنَّ فَتْحَ وَبَسْطَ صُوَرِ تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ غَيْرِ الْمَحْدُودَةِ ، فِي هَيْئَةٍ مُنْتَظِمَةٍ وَمُتَوَازِنَةٍ لِلْغَايَةِ ، وَبِدُونِ خَطَأٍ ، عَلَى مِئَاتِ الْآلافِ وُجُوهٍ مُتَنَوِّعَةٍ ، وَفِي مَاهِيَّةٍ مُعْجِزَاتِ الْحِكْمَةِ ، مِنْ قَطَرَاتِ الْمَاءِ الْمَدْعُوِّ بِالنُّطْفَةِ ، وَمِنْ بَيْضَاتٍ وَبُيَيْضَاتٍ مَحْصُورَةٍ وَمَحْدُودَةٍ ، مُتَمَاثِلَةٍ وَمُتَشَابِهَةٍ ، بَعْضُهَا عَيْنُ بَعْضٍ ، أَوْ ذُو فَرْقٍ قَلِيلٍ ، هِيَ حَقِيقَةٌ مُشْرِقَةٌ ، تُنَوِّرُ سَنَدَاتٌ وَأَدِلَّةٌ عَدَدَ الْحَيَوَانَاتِ ، تِلْكَ الْحَقِيقَةَ . .

هٰذَا ؛ فَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ تَقُولُ مَعاً : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ؛ فَتَشْهَدُ عَلَيْهِ بِاتِّفَاقِ هٰذِهِ الْحَقَائِقِ الثَّلاثِ ؛ فَشَاهَدَهَا فِي مَاهِيَّةٍ كَأَنَّ الْأَرْضَ تَقُولُ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ مِثْلَ إِنْسَانٍ كَبِيرٍ ، فِي نِسْبَةِ كِبَرِهَا ؛ فَتُسْمِعُهَا أَهْلَ السَّمَاوَاتِ ؛ وَتَلَقَّى الدَّرْسَ الْكَامِلَ . وَقَدْ قِيلَ فِي الْمَرْتَبَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ : ﴿ لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الَّذِي دَلَّ عَلَى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، اتِّفَاقُ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ ، الْحَامِدَاتِ الشَّاهِدَاتِ بِكَلِمَاتِ حَوَاسِّهَا وَقُوَاهَا وَحِسِّيَّاتِهَا وَلَطَائِفِهَا الْمَوْزُونَاتِ الْمُنْتَظَمَاتِ الْفَصِيحَاتِ ، وَبِكَلِمَاتِ جِهَازَاتِهَا وَجَوَارِحِهَا وَأَعْضَائِهَا وَآلاتِهَا الْمُكَمَّلاتِ الْبَلِيغَاتِ ، بِشَهَادَةِ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ الْإِيجَادِ وَالصُّنْعِ وَالْإِبْدَاعِ بِالْإِرَادَةِ ، وَحَقِيقَةِ التَّمْيِيزِ وَالتَّزْيِينِ بِالْقَصْدِ ، وَحَقِيقَةِ التَّقْدِيرِ وَالتَّصْوِيرِ بِالْحِكْمَةِ ، مَعَ قَطْعِيَّةِ دَلالَةِ حَقِيقَةِ فَتْحِ جَمِيعِ صُوَرِهَا الْمُنْتَظَمَةِ الْمُتَخَالِفَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ الْغَيْرِ الْمَحْصُورَةِ ، مِنْ بَيْضَاتٍ وَقَطَرَاتٍ مُتَمَاثِلَةٍ مُتَشَابِهَةٍ مَحْصُورَةٍ مَحْدُودَةٍ ﴾ . .

ثُمَّ إِنَّ ذٰلِكَ الْمُسَافِرَ الْمُتَفَكِّرَ ، بَيْنَمَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ عَالَمَ الْإِنْسَانِ ، وَدُنْيَا الْبَشَرِ ، لِزِيَادَةِ التَّقَدُّمِ فِي مَرَاتِبِ الْمَعْرِفَةِ الْإِلٰهِيَّةِ بِلا حَدٍّ ، وَفِي أَذْوَاقِهَا وَأَنْوَارِهَا بِلا نِهَايَةٍ ، دَعَاهُ الْأَنْبِيَاءُ أَوَّلاً إِلَى الدَّاخِلِ ؛ فَدَخَلَ هُوَ ؛ فَنَظَرَ أَوَّلاً إِلَى مَنْزِلِ الزَّمَانِ الْمَاضِي ؛ فَشَاهَدَ : أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَنْوَرُ نَوْعِ الْبَشَرِ ، وَأَكْمَلُهُمْ ، يَقُولُونَ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ؛ فَيَذْكُرُونَ مَعاً بِالْإِجْمَاعِ ؛ وَيَدَّعُونَ

التَّوحِيدَ بِقُوَّةٍ مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ مُعْجِزَاتِهِمُ الْمُشْرِقَةِ وَالْمُصَدِّقَةِ ؛ وَرَأى أَنَّهُمْ يُدَرِّسُونَ الْبَشَرَ بِالدَّعْوَةِ لَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللهِ ، لِإِخْرَاجِهِمْ مِنْ مَرْتَبَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ إِلىٰ دَرَجَةِ الْمَلَكِيَّةِ ؛ فَجَثَا فِي تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ النُّورَانِيَّةِ ؛ فَجَلَسَ لِلدَّرْسِ ؛ فَشَاهَدَ : أَنَّ بِيَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أُولٰئِكَ الْأَسَاتِذَةِ ، الَّذِينَ هُمْ أَسْمَى الْمَشَاهِيرِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَشْهَرُهُمْ ، مُعْجِزَاتٍ مُنِحَتْ مِنْ جَانِبِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ ، عَلَامَةً لِلتَّصْدِيقِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ آمَنَتْ أُمَّةٌ وَطَائِفَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْبَشَرِ ؛ فَصَدَّقَتْ بِإِخْبَارِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ؛ فَمِنْ هُنَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَقِيسَ عَلَيْهِ ، مَدىٰ قُوَّةٍ وَقَطْعِيَّةِ حَقِيقَةٍ يَحْكُمُ بِهَا وَيُصَدِّقُ عَلَيْهَا بِالْإِجْمَاعِ وَالِاتِّفَاقِ ، مِئَةُ أَلْفٍ مِنْ أُولٰئِكَ الْأَفَاضِلِ الْجَادِّينَ الصَّادِقِينَ ؛ وَفَهِمَ أَنَّ أَهْلَ الضَّلَالَةِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ حَقِيقَةً يُمْضِيهَا وَيُثْبِتُهَا هٰذَا الْقَدَرُ مِنَ الْمُخْبِرِينَ الصَّادِقِينَ ، فِي هٰذِهِ الْقُوَّةِ ، بِمُعْجِزَاتِهِمْ بِلَا حَدٍّ ، كَمْ يَرْتَكِبُونَ خَطَأً وَجِنَايَةً بِلَا حَدٍّ ؛ وَكَمْ يَسْتَحِقُّونَ عَذَاباً بِلَا حَدٍّ ؟ وَعَلِمَ أَنَّ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِمْ ، كَمْ يَكُونُونَ ذَوِي الْحَقِّ ، وَأُولِي الْحَقِيقَةِ ؟ فَتَظَاهَرَتْ لَهُ مَرْتَبَةٌ عَظِيمَةٌ أُخْرىٰ ، لِقُدُسِيَّةِ الْإِيمَانِ . .

نَعَمْ : إِنَّ إِجْمَاعَ الْأَنْبِيَاءِ وَأُولٰئِكَ الْمُخْبِرِينَ الْجَادِّينَ ، وَاتِّفَاقَهُمْ وَتَوَاتُرَهُمْ فِي الْمَسَائِلِ الْمُثْبَتَةِ ، وَتَوَافُقَهُمْ وَتَسَانُدَهُمْ وَتَطَابُقَهُمْ فِي الْإِثْبَاتِ ـ مَا عَدَا مُعْجِزَاتِهِمْ بِلَا حَدٍّ ، الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ التَّصْدِيقِ لَهُمْ فِعْلاً ، مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ تَعَالَىٰ ، وَالصَّفَعَاتِ السَّمَاوِيَّةِ الْكَثِيرَةِ جِدّاً الدَّالَّةِ عَلَى حَقَّانِيَّتِهِمْ ، وَالْوَارِدَةِ عَلَىٰ مُعَارِضِيهِمْ ، وَكَمَالَاتِهِمُ الشَّخْصِيَّةِ ، وَتَعْلِيمَاتِهِمُ الْحَقِيقِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى كَوْنِهِمْ مُحِقِّينَ ، وَقُوَّةِ إِيمَانِهِمْ ، وَتَمَامِ جِدِّيَّتِهِمْ وَفِدَائِيَّتِهِمُ الشَّاهِدَةِ عَلَى كَوْنِهِمْ صَادِقِينَ ، وَكُتُبِهِمْ وَصُحُفِهِمُ الْقُدُسِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ بِأَيْدِيهِمْ ، وَتَلَامِذَتِهِمْ بِلَا حَدٍّ الْوَاصِلِينَ إِلَى الْحَقِيقَةِ وَالْكَمَالَاتِ وَالنُّورِ بِاتِّبَاعِهِمْ ، الشَّاهِدِينَ عَلَىٰ أَنَّ طَرِيقَهُمْ حَقٌّ وَمُسْتَقِيمٌ ـ هِيَ حُجَّةٌ وَقُوَّةٌ كَذٰلِكَ ، لَا يُمْكِنُ أَنْ تُعَارِضَهَا أَيَّةُ قُوَّةٍ فِي الدُّنْيَا ؛ وَلَا تَتْرُكُ شُبْهَةً وَتَرَدُّداً أَصْلاً ؛ وَفَهِمَ أَنَّ دُخُولَ التَّصْدِيقِ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ فِي أَرْكَانِ الْإِيمَانِ أَيْضاً ، يَكُونُ ذٰلِكَ التَّصْدِيقُ مَنْبَعَ قُوَّةٍ عَظِيمَةٍ ؛ فَتَلَقَّى مِنْ دُرُوسِهِمْ كَثِيراً مِنَ الْفَيْضِ الْإِيمَانِيِّ . .

هٰذَا ؛ فَقِيلَ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ، فِي مَعْنَىٰ إِفَادَةِ دَرْسِ هٰذَا الْمُسَافِرِ ،

الدَّرْسِ الْمَذْكُورِ: ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الَّذِي دَلَّ عَلىٰ وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، إِجْمَاعُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ بِقُوَّةِ مُعْجِزَاتِهِمُ الْبَاهِرَةِ الْمُصَدِّقَةِ الْمُصَدَّقَةِ﴾ . .

ثُمَّ إِنَّ ذٰلِكَ السَّيَّاحَ الطَّالِبَ ، الَّذِي اسْتَفَادَ مِنْ قُوَّةِ الْإِيمَانِ ، ذَوْقاً عُلْوِيّاً مِنْ أَذْوَاقِ الْحَقِيقَةِ ، بَيْنَمَا كَانَ يَأْتِي مِنْ مَجْلِسِ الْأَنْبِيَاءِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، دَعَاهُ إِلىٰ مَدَارِسِهِمْ ، الْعُلَمَاءُ الْمُتَبَحِّرُونَ الْمُجْتَهِدُونَ الْمُحَقِّقُونَ ، الْمَدْعُوُّونَ بِالْأَصْفِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ ، وَالَّذِينَ يُثْبِتُونَ دَعْوَى الْأَنْبِيَاءِ ، بِدَلَائِلَ قَطْعِيَّةٍ وَقَوِيَّةٍ ، فِي صُورَةِ عِلْمِ الْيَقِينِ . فَدَخَلَ هُوَ ؛ فَشَاهَدَ : أَنَّ الدُّهَاةَ بِالْآلَافِ ، وَالْمُدَقِّقِينَ وَعُلَاةَ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ، بِمِئَاتِ الْآلَافِ ، يُثْبِتُونَ الْمَسَائِلَ الْإِيمَانِيَّةَ الْمُثْبَتَةَ ، وَفِي الصَّدْرِ وُجُوبُ الْوُجُودِ وَالْوَحْدَةِ ، بِتَدْقِيقَاتِهِمُ الْعَمِيقَةِ الَّتِي لَا تَتْرُكُ شُبْهَةً بِقَدَرِ شَعْرَةٍ . .

نَعَمْ : إِنَّ اتِّفَاقَهُمْ فِي الْأُصُولِ وَالْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ مُتَّفِقِينَ ، مَعَ كَوْنِ اسْتِعْدَادَاتِهِمْ وَمَسَالِكِهِمْ مُخْتَلِفَةً ؛ وَاسْتِنَادَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، إِلىٰ بَرَاهِينِهِ الْقَوِيَّةِ وَالْيَقِينِيَّةِ ، هِيَ حُجَّةٌ كَذٰلِكَ ، لَوْ أَمْكَنَ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ ذَكَاءٍ وَدِرَايَةٍ بِقَدَرِ مَجْمُوعِهِمْ ؛ وَأَنْ يَجِدَ بُرْهَاناً بِقَدَرِ عُمُومِ بَرَاهِينِهِمْ ؛ لَأَمْكَنَ أَنْ يُبَارِزَهُمْ كَذٰلِكَ فَقَطْ . وَإِلَّا فَإِنَّ أُولَائِكَ الْمُنْكِرِينَ ، يُمْكِنُ أَنْ يُبَارِزُوهُمْ بِالْجَهَالَةِ وَالْأَجْهَلِيَّةِ وَالْإِنْكَارِ فَقَطْ ، وَبِصُورَةِ الْعِنَادِ ، وَإِغْمَاضِ الْبَصَرِ ، فِي مَسَائِلَ مَنْفِيَّةٍ لَا تُثْبَتُ . فَمَنْ غَضَّ بَصَرَهُ ؛ يَجْعَلُ النَّهَارَ لَيْلاً عَلىٰ نَفْسِهِ فَقَطْ . فَعَلِمَ هٰذَا السَّيَّاحُ : أَنَّ الْأَنْوَارَ الَّتِي نَشَرَهَا هٰؤُلَاءِ الْأَسَاتِذَةُ الْمُحْتَرَمُونَ وَالْمُتَبَحِّرُونَ ، فِي هٰذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْمُحْتَشِمَةِ الْوَاسِعَةِ ، أَنَارَتْ نِصْفَ الْأَرْضِ ، أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ سَنَةٍ ؛ وَوَجَدَ قُوَّةً مَعْنَوِيَّةً كَذٰلِكَ ، لَوِ اجْتَمَعَ أَهْلُ الْإِنْكَارِ جَمِيعاً ؛ لَمَا شَوَّشَهُ وَلَا هَزَّهُ بِقَدَرِ الشَّعْرَةِ . .

هٰذَا ؛ فَقِيلَ فِي الْمَرْتَبَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ، مِنْ حَيْثُ يَكُونُ إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً إِلَى الدَّرْسِ الَّذِي تَلَقَّاهُ هٰذَا الْمُسَافِرُ مِنْ هٰذِهِ الْمَدْرَسَةِ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الَّذِي دَلَّ عَلىٰ وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، اِتِّفَاقُ جَمِيعِ الْأَصْفِيَاءِ بِقُوَّةِ بَرَاهِينِهِمُ الزَّاهِرَةِ الْمُحَقِّقَةِ الْمُتَّفِقَةِ﴾ . .

ثُمَّ إِنَّ ذٰلِكَ السَّائِحَ الْمُتَفَكِّرَ ، الْمُشْتَاقَ جِدّاً لِمُشَاهَدَةِ الْأَنْوَارِ وَالْأَذْوَاقِ فِي زِيَادَةِ تَقَوِّي الْإِيمَانِ وَانْكِشَافِهِ ، وَفِي تَرَقِّيهِ مِنْ دَرَجَةِ عِلْمِ الْيَقِينِ ، إِلىٰ مَرْتَبَةِ عَيْنِ الْيَقِينِ ، بَيْنَمَا كَانَ يَأْتِي مِنَ

الْمَدْرَسَةِ ، دَعَاهُ إِلَى الْخَانِقَاهِ ، الْمُرْشِدُونَ الْقُدُسِيُّونَ بِالْآلَافِ وَالْمَلَايِينِ ، الَّذِينَ يَسْعَوْنَ لِلْحَقِيقَةِ ؛ وَيَصِلُونَ إِلَى الْحَقِّ ؛ وَيَبْلُغُونَ عَيْنَ الْيَقِينِ ، فِي ظِلَالِ الْجَادَّةِ الْكُبْرَى الْمُحَمَّدِيَّةِ وَالْمِعْرَاجِ الْأَحْمَدِيِّ ، فِي تَكِيَّةٍ وَزَاوِيَةٍ وَرِبَاطَةٍ ، وَفِي بَيْتِ ذِكْرٍ ، وَفِي دَارِ إِرْشَادٍ ، فِي سِعَةِ الصَّحْرَاءِ ، وَذَاتِ فَيْضٍ وَنُورٍ لِلْغَايَةِ ، تَوَسَّعَتْ بِتَلَاحُقِ تَكَايَا وَزَوَايَا صَغِيرَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ فَدَخَلَهَا هُوَ ؛ فَرَأَى : أَنَّ أُولَائِكَ الْمُرْشِدِينَ أَهْلَ الْكَشْفِ وَالْكَرَامَةِ ، يَقُولُونَ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ مُتَّفِقِينَ بِإِجْمَاعٍ ؛ فَيُعْلِنُونَ الْوُجُوبَ وَالْوَحْدَةَ الرَّبَّانِيَّةَ لِلْكَائِنَاتِ ، مُسْتَنِدِينَ إِلَى كَشْفِيَّاتِهِمْ وَمُشَاهَدَاتِهِمْ وَكَرَامَاتِهِمْ ؛ وَشَاهَدَ عَيْنَ الْيَقِينِ : أَنَّ حَقِيقَةً أَمْضَاهَا بِالْإِجْمَاعِ وَالْاِتِّفَاقِ ، أُولَائِكَ الدُّهَاةُ الْقُدُسِيُّونَ ، وَالْعَارِفُونَ النُّورَانِيُّونَ – الَّذِينَ هُمْ فِي مَشَارِبَ حَقَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ ، وَفِي مَسَالِكَ مُسْتَقِيمَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَفِي طُرُقٍ حَقِيقِيَّةٍ مُتَفَاوِتَةٍ ، وَفِي أَلْوَانٍ مُضِيئَةٍ مُتَنَوِّعَةٍ ، وَفِي أَصْبَاغٍ مُنِيرَةٍ مُتَبَايِنَةٍ ، تَجَلَّتْ مِنْ ضِيَاءِ الشَّمْسِ الْأَزَلِيَّةِ ، بِسَبْعِينَ لَوْناً ، بَلْ بِعَدَدِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنٰى ؛ كَالْمَعْرِفَةِ بِالشَّمْسِ بِالْأَلْوَانِ السَّبْعَةِ فِي ضِيَاءِ الشَّمْسِ – كَمْ تَكُونُ تِلْكَ الْحَقِيقَةُ ظَاهِرَةً وَبَاهِرَةً ؟ وَعَايَنَ إِجْمَاعَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَاتِّفَاقَ الْأَصْفِيَاءِ ، وَتَوَافُقَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَاتِّفَاقَ هٰذِهِ الْإِجْمَاعَاتِ الثَّلَاثَةِ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، أَشْرَقَ مِنْ ضِيَاءِ النَّهَارِ الدَّالِّ عَلَى الشَّمْسِ . .

هٰذَا ؛ فَقِيلَ فِي الْمَرْتَبَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ، مِنْ حَيْثُ يَكُونُ إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً إِلَى فَيْضِ هٰذَا الْمُسَافِرِ ، الَّذِي تَلَقَّاهُ مِنَ التَّكِيَّةِ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الَّذِي دَلَّ عَلَى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، إِجْمَاعُ الْأَوْلِيَاءِ بِكَشْفِيَّاتِهِمْ وَكَرَامَاتِهِمُ الظَّاهِرَةِ الْمُحَقَّقَةِ الْمُصَدِّقَةِ﴾ . .

ثُمَّ إِنَّ سَيَّاحَ الدُّنْيَا ذٰلِكَ الْعَارِفَ بِأَنَّ أَهَمَّ وَأَعْظَمَ الْكَمَالَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، بَلْ مَنْبَعَ وَأَسَاسَ الْكَمَالَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِالْجُمْلَةِ ، هِيَ مَحَبَّةُ اللهِ النَّاشِئَةُ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ ، وَمَعْرِفَةِ اللهِ ، رَفَعَ رَأْسَهُ ؛ وَنَظَرَ إِلَى السَّمَاوَاتِ ، بِفِكْرِ الطَّلَبِ لِزِيَادَةِ رُقِيِّهِ فِي قُوَّةِ الْإِيمَانِ ، وَفِي انْكِشَافِ الْمَعْرِفَةِ ، بِكُلِّ قُوَّتِهِ وَلَطَائِفِهِ ؛ فَقَالَ لِعَقْلِهِ : إِذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ ، الشَّيْءَ الْأَقْوَمَ فِي الْكَائِنَاتِ ؛ وَكَانَتْ مَوْجُودَاتُ الْعَالَمِ مُسَخَّرَةً لِلْحَيَاةِ ؛ وَإِذَا كَانَ أَقْوَمُ ذَوِي الْحَيَاةِ ، هُوَ ذَا الرُّوحِ ؛ وَكَانَ أَقْوَمُ ذَوِي الْأَرْوَاحِ ، هُوَ ذَا الشُّعُورِ ؛ وَإِذَا كَانَتْ كُرَةُ الْأَرْضِ تُمْلَأُ فَتُفْرَغُ كُلَّ عَصْرٍ وَكُلَّ سَنَةٍ ، لِتَكْثِيرِ ذَوِي الْحَيَاةِ

مُتَمَادِياً ، لِأَجْلِ هٰذِهِ الثَّمَانَةِ ؛ فَلا رَيْبَ أَنَّ هٰؤُلاءِ السَّمَاوَاتِ الْمُحْتَشِمَةِ وَالْمُزَيَّنَةِ أَيْضاً ، أَهَالِيَ وَسُكَّاناً مُنَاسِبِينَ بِهَا ، مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ، وَذَوِي الْأَرْوَاحِ ، وَذَوِي الشُّعُورِ ، قَطْعاً وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ؛ فَإِنَّ أَحْدَاثَ مُشَاهَدَةِ الْمَلائِكَةِ ، وَالتَّكَلُّمِ مَعَهُمْ ، مِثْلَ تَمَثُّلِ جِبْرَائِيلَ (عليه السلام) ، الَّذِي تَمَثَّلَ لِلصَّحَابَةِ فِي الْحُضُورِ الْمُحَمَّدِيِّ ، تُنْقَلُ وَتُرْوَى فِي صُورَةِ التَّوَاتُرِ مُنْذُ الْقَدِيمِ ؛ إِذاً فَيَا لَيْتَنِي اتَّصَلْتُ بِأَهْلِ السَّمَاوَاتِ أَيْضاً ؛ فَعَلِمْتُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْفِكْرِ ؛ لِأَنَّ لَهُمُ الْقَوْلَ الْأَهَمَّ ، فِي حَقِّ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ ؛ هٰكَذَا كَانَ يَتَفَكَّرُ ؛ فَإِذَا بِهِ سَمِعَ صَوْتاً سَمَاوِيّاً هٰكَذَا : إِذَا كُنْتَ تُرِيدُ الِاتِّصَالَ بِنَا ، وَاسْتِمَاعَ دَرْسِنَا ؛ فَاعْلَمْ أَنَّنَا آمَنَّا أَوَّلاً بِالْمَسَائِلِ الْإِيمَانِيَّةِ الَّتِي وَرَدَتْ بِوَاسِطَتِنَا إِلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَفِي الصَّدْرِ حَضْرَةُ مُحَمَّدٍ (عليه الصلاة والسلام) ، وَالْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ جَمِيعَ الْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَةِ مِنَّا ، وَالَّذِينَ تَمَثَّلُوا وَتَرَاءَوْا لِلنَّاسِ ، شَهِدُوا بِدُونِ اسْتِثْنَاءٍ وَبِالِاتِّفَاقِ ، عَلَى وُجُوبِ وُجُودِ خَالِقِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، وَعَلَى وَحْدَتِهِ وَصِفَاتِهِ الْقُدُسِيَّةِ ؛ فَأَخْبَرُوا عَنْهَا مُتَوَافِقِينَ وَمُتَطَابِقِينَ ؛ وَإِنَّ تَوَافُقَ هٰذِهِ الْإِخْبَارَاتِ بِلا حَدٍّ وَتَطَابُقَهَا ، دَلِيلٌ لَكَ مِثْلَ الشَّمْسِ . هٰكَذَا عَلِمَ قَوْلَهُمْ ؛ فَأَشْرَقَ نُورُ إِيمَانِهِ ؛ وَطَلَعَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاوَاتِ . .

هٰذَا ؛ فَقِيلَ فِي الْمَرْتَبَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ، إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً إِلَى الدَّرْسِ الَّذِي تَلَقَّاهُ هٰذَا الْمُسَافِرُ ، مِنَ الْمَلائِكَةِ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الَّذِي دَلَّ عَلَى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، اِتِّفَاقُ الْمَلائِكَةِ الْمُتَمَثِّلِينَ لِأَنْظَارِ النَّاسِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ مَعَ خَوَاصِّ الْبَشَرِ ، بِإِخْبَارَاتِهِمُ الْمُتَطَابِقَةِ الْمُتَوَافِقَةِ﴾ . .

ثُمَّ إِنَّ ذٰلِكَ الْمُسَافِرَ الْكَثِيرَ التَّطَلُّعِ ، وَالزَّائِدَ الِاشْتِيَاقِ ، بَيْنَمَا كَانَ يَتَمَنَّى سِيَاحَةً ، وَتَحَرِّي حَقِيقَةٍ ، بِالْمُطَالَعَةِ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ ، وَعَالَمِ الْبَرْزَخِ أَيْضاً ؛ لِأَنَّهُ تَلَقَّى الدَّرْسَ مِنْ أَلْسِنَةِ الطَّوَائِفِ ، وَمِنْ لِسَانِ أَحْوَالِهَا ، فِي جِهَةِ عَالَمِ الشَّهَادَةِ ، وَالْعَالَمِ الْجِسْمَانِيِّ وَالْمَادِّيِّ ، انْفَتَحَ بَابُ الْعُقُولِ الْمُسْتَقِيمَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، وَالْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ النَّيِّرَةِ الَّتِي تُوجَدُ فِي كُلِّ طَائِفَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ ، وَهِيَ فِي حُكْمِ نَوَاةِ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ ثَمَرَةُ الْكَائِنَاتِ ، وَالَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَنْبَسِطَ مَعْنًى بِقَدَرِ الْكَائِنَاتِ ، مَعَ صِغَرِهَا ؛ فَنَظَرَ : أَنَّهَا بَرَازِخُ إِنْسَانِيَّةٌ بَيْنَ عَالَمِ الْغَيْبِ وَعَالَمِ الشَّهَادَةِ ؛ وَرَأَى : أَنَّ تَمَاسَّ الْعَالَمَيْنِ ،

وَتَعَامُلَ بَعْضِهِمَا مَعَ بَعْضٍ ، يَحْصُلُ فِي تِلْكَ النِّقَاطِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِنْسَانِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ قَالَ لِعَقْلِهِ وَقَلْبِهِ : تَعَالَيَا ؛ فَإِنَّ الطَّرِيقَ السَّالِكَ إِلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ بَابِ أَمْثَالِكُمْ هٰؤُلَاءِ ، أَقْصَرُ ؛ وَقَالَ : لَا نَتَلَقَّى الدَّرْسَ مِنْهَا ، كَمَا تَلَقَّيْنَاهُ مِنَ الْأَلْسِنَةِ ، فِي الطُّرُقِ الْأُخْرٰى ؛ بَلْ عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَفِيدَ بِالْمُطَالَعَةِ ، مِن اتِّصَافِهَا وَكَيْفِيَّاتِهَا وَأَلْوَانِهَا فِي نُقْطَةِ الْإِيمَانِ ؛ فَبَاشَرَ بِالْمُطَالَعَةِ ؛ فَشَاهَدَ : أَنَّ جَمِيعَ الْعُقُولِ الْمُسْتَقِيمَةِ النَّيِّرَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الاسْتِعْدَادِ لِلْغَايَةِ ، وَالْمُتَبَاعِدَةِ وَالْمُتَخَالِفَةِ الْمَذَاهِبِ ، تَتَوَافَقُ اعْتِقَادَاتُهَا الْمُتَّصِفَةُ الرَّاسِخَةُ ؛ وَتَتَطَابَقُ قَنَاعَاتُهَا وَيَقِينِيَّاتُهَا الثَّابِتَةُ الْمُطْمَئِنَّةُ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ ؛ إِذاً فَإِنَّهَا اسْتَنَدَتْ إِلٰى حَقِيقَةٍ لَا تَتَبَدَّلُ ؛ فَتَمَسَّكَتْ بِهَا ؛ وَإِنَّ جُذُورَهَا تَثْبُتُ فِي حَقِيقَةٍ مَتِينَةٍ ؛ فَلَا تَنْفَصِمُ مِنْهَا . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ إِجْمَاعَهَا فِي النُّقْطَةِ الْإِيمَانِيَّةِ ، وَفِي الْوُجُوبِ وَالتَّوْحِيدِ ، سِلْسِلَةٌ نَيِّرَةٌ لَا تَنْفَصِمُ أَصْلاً ، وَنَافِذَةٌ مُنِيرَةٌ تَنْفَتِحُ إِلَى الْحَقِيقَةِ ؛ وَشَاهَدَ أَيْضاً : أَنَّ جَمِيعَ تِلْكَ الْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ الْمُنِيرَةِ الْمُتَبَاعِدَةِ الْمَسَالِكِ ، وَالْمُتَبَايِنَةِ الْمَشَارِبِ ، تَتَوَافَقُ كَشْفِيَّاتُهَا وَمُشَاهَدَاتُهَا الْمُنْجَذِبَةُ وَالْمُطْمَئِنَّةُ وَالْمُتَّفِقَةُ فِي الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ وَتَظْهَرُ مُطَابِقاً بَعْضُهَا لِبَعْضٍ ، فِي التَّوْحِيدِ ؛ إِذاً فَإِنَّ هٰذِهِ الْعُرُوشَ الصَّغِيرَةَ لِلْمَعْرِفَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَهٰذِهِ الْمَرَايَا الصَّمَدَانِيَّةَ الْجَامِعَةَ الْمُقَابِلَةَ وَالْوَاصِلَةَ وَالْمُتَمَثِّلَةَ لِلْحَقِيقَةِ ، الَّتِي هِيَ الْقُلُوبُ الْمُنِيرَةُ ، هِيَ نَوَافِذُ مُنْفَتِحَةٌ تِجَاهَ شَمْسِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَإِنَّ جَمِيعَهَا ، مِرْآةٌ عُظْمَى مِثْلَ الْبَحْرِ ، تَعْكِسُ الشَّمْسَ دَفْعَةً وَاحِدَةً ؛ وَإِنَّ اتِّفَاقَ هٰؤُلَاءِ وَإِجْمَاعَهَا فِي وُجُوبِ الْوُجُودِ وَفِي الْوَحْدَةِ ، دَلِيلٌ أَكْمَلُ ، وَمُرْشِدٌ أَكْبَرُ ، لَا يَضِلُّ وَلَا يُضِلُّ أَصْلاً ؛ لِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَيُّ إِمْكَانٍ ، وَأَيُّ احْتِمَالٍ ، بِأَيَّةِ جِهَةٍ ، أَنْ يَخْدَعَ وَهْمٌ غَيْرُ الْحَقِيقَةِ ، وَفِكْرٌ بِدُونِ حَقِيقَةٍ ، وَصِفَةٌ بِلَا أَصْلٍ ، جَمِيعَ هٰؤُلَاءِ الْأَبْصَارِ الْحَادَّةِ وَالْعَظِيمَةِ جِدّاً ، وَالرَّاسِخَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ هٰذَا الْقَدْرَ ؛ وَأَنْ يَصْرِفَهُمْ إِلٰى غَلَطِ الْحِسِّ ؛ وَأَنَّ السُّوفَسْطَائِيَّةَ الْحَمَاقَى الَّذِينَ يُنْكِرُونَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، لَا يَرْضَوْنَ أَيْضاً ، بِعَقْلٍ فَاسِدٍ وَرَمِيمٍ يُقَدِّمُ لِهٰذَا احْتِمَالاً ؛ وَيَرُدُّونَهُ . هٰكَذَا فَهِمَ ؛ وَقَالَ مَعَ عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ : «آمَنْتُ بِاللّٰهِ» . .

هٰذَا ؛ فَقِيلَ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ وَالثَّالِثَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ، إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً إِلَى الْمَعْرِفَةِ الْإِيمَانِيَّةِ الَّتِي اسْتَفَادَهَا هٰذَا الْمُسَافِرُ مِنَ الْعُقُولِ الْمُسْتَقِيمَةِ ، وَالْقُلُوبِ الْمُنَوَّرَةِ :

﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الَّذِي دَلَّ عَلىٰ وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، إِجْمَاعُ الْعُقُولِ الْمُسْتَقِيمَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، بِاعْتِقَادَاتِهَا الْمُتَوَافِقَةِ ، وَبِقَنَاعَاتِهَا وَيَقِينَاتِهَا الْمُتَطَابِقَةِ ، مَعَ تَخَالُفِ الِاسْتِعْدَادَاتِ وَالْمَذَاهِبِ ؛ وَكَذَا دَلَّ عَلىٰ وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، اِتِّفَاقُ الْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ النُّورَانِيَّةِ ، بِكَشْفِيَّاتِهَا الْمُتَطَابِقَةِ ، وَبِمُشَاهَدَاتِهَا الْمُتَوَافِقَةِ ، مَعَ تَبَايُنِ الْمَسَالِكِ وَالْمَشَارِبِ﴾ ..

ثُمَّ إِنَّ ذٰلِكَ الْمُسَافِرَ الَّذِي نَظَرَ عَنِ الْقُرْبِ ، إِلىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ ؛ وَسَاحَ فِي الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ ، قَالَ : يَا عَجَباً مَاذَا يَقُولُ عَالَمُ الْغَيْبِ ؟ فَطَرَقَ ذٰلِكَ الْبَابَ أَيْضاً بِالتَّطَلُّعِ ، بِفِكْرٍ هٰكَذَا : أَيْ إِنَّ مَوْلًى يَطْلُبُ فِعْلاً ؛ وَيُعْلِمُ بِلِسَانِ الْحَالِ ، عَلىٰ وَجْهٍ أَظْهَرَ مِنَ الْقَوْلِ وَالتَّكَلُّمِ ، تَعَرُّفَ نَفْسِهِ بِمَصْنُوعَاتِهِ بِلَا حَدٍّ ، الْمُزَيَّنَةِ وَالْمُصَنَّعَةِ بِهٰذَا الْقَدَرِ ؛ وَتَحَبُّبَ نَفْسِهِ بِنِعَمِهِ بِلَا نِهَايَةٍ ، اللَّذِيذَةِ الْمُتَزَيِّنَةِ بِهٰذَا الْقَدَرِ ؛ وَإِعْلَانَ كَمَالَاتِهِ الْخَفِيَّةِ بِآثَارِهِ بِلَا حِسَابٍ ، ذَاتِ الْمُعْجِزَةِ وَالْمَهَارَةِ بِهٰذَا الْقَدَرِ ، فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ الْجِسْمَانِيِّ هٰذَا ؛ إِذَا كَانَ يُفْهَمُ بِالْبَدَاهَةِ وُجُودُهُ فِي جَانِبِ حِجَابِ الْغَيْبِ ؛ فَإِنَّهُ يَتَكَلَّمُ قَطْعاً وَعَلىٰ كُلِّ حَالٍ ؛ وَيُعَرِّفُ نَفْسَهُ وَيُحَبِّبُهَا قَوْلاً وَتَكَلُّماً أَيْضاً ؛ كَمَا كَانَ ذٰلِكَ فِعْلاً وَحَالاً . فَقَالَ : فَإِذاً عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَهُ مِنْ تَظَاهُرَاتِهِ فِي جِهَةِ عَالَمِ الْغَيْبِ ؛ فَدَخَلَ قَلْبُهُ فِيهِ ؛ فَرَأَى بِعَيْنِ الْعَقْلِ : أَنَّ حَقِيقَةَ الْوَحَايَا تَحْكُمُ فِي كُلِّ زَمَانٍ ، فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ ، بِتَظَاهُرَاتٍ قَوِيَّةٍ لِلْغَايَةِ ؛ وَأَنَّ شَهَادَةً لِلْوُجُودِ وَالتَّوْحِيدِ ، أَقْوَى بِكَثِيرٍ مِنْ شَهَادَاتِ الْكَائِنَاتِ وَالْمَخْلُوقَاتِ ، تَرِدُ مِنْ عَلَّامِ الْغُيُوبِ ، بِحَقَائِقِ الْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ ؛ فَلَا يَتْرُكُ ذَاتَهُ وَوُجُودَهُ وَوَحْدَتَهُ ، لِشَهَادَاتِ مَصْنُوعَاتِهِ فَقَطْ ؛ فَيَتَكَلَّمُ هُوَ نَفْسُهُ ، بِكَلَامٍ أَزَلِيٍّ لَائِقٍ بِذَاتِهِ ؛ وَإِنَّ الْحَاضِرَ وَالنَّاظِرَ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ ، كَلَامُهُ لَا حَدَّ لَهُ أَيْضاً ؛ وَكَمَا أَنَّ مَعْنىٰ كَلَامِهِ يُعْلِمُهُ ؛ فَإِنَّ تَكَلُّمَهُ أَيْضاً يُعْلِمُهُ بِصِفَاتِهِ . نَعَمْ : إِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ تَحَقُّقَ حَقِيقَةِ الْوَحْيِ وَثُبُوتَهَا ، وَصَلَ إِلىٰ دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ ، بِتَوَاتُرِ مِئَةِ أَلْفِ نَبِيٍّ ، وَبِاتِّفَاقِ إِخْبَارَاتِهِمْ ، فِي نُقْطَةِ الْمَظْهَرِيَّةِ لِلْوَحْيِ الْإِلٰهِيِّ ، وَبِدَلَائِلِ وَمُعْجِزَاتِ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ وَالصُّحُفِ السَّمَاوِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ الْوَحْيُ الْمَشْهُودُ ، وَثَمَرَاتُ الْوَحْيِ ، وَمُصَدَّقَةُ الْأَكْثَرِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ مِنْ نَوْعِ الْبَشَرِ ، وَدَلِيلُهَا وَقُدْوَتُهَا ؛ وَفَهِمَ أَنَّ حَقِيقَةَ

الْوَحْيِ ، تُفِيدُ خَمْسَ حَقَائِقَ قُدُسِيَّةٍ ؛ وَتُفِيضُهَا . .

«اَلْأُولٰى :» أَنَّ التَّكَلُّمَ حَسَبَ عُقُولِ الْبَشَرِ وَأَفْهَامِهِمْ ، الْمُسَمّٰى بِالتَّنَزُّلاتِ الْإِلٰهِيَّةِ إِلٰى عُقُولِ الْبَشَرِ ، هُوَ تَنَزُّلٌ إِلٰهِيٌّ . نَعَمْ : إِنَّ مَنْ أَنْطَقَ جَمِيعَ مَخْلُوقَاتِهِ ذَاتِ الْأَرْوَاحِ ؛ وَيَعْلَمُ تَكَلُّمَاتِهَا ، فَإِنَّ تَدَخُّلَهُ هُوَ نَفْسِهِ أَيْضاً ، بِتَكَلُّمِهِ فِي تِلْكَ التَّكَلُّمَاتِ ، هُوَ مُقْتَضَى الرُّبُوبِيَّةِ قَطْعاً . .

«اَلثَّانِيَةُ :» أَنَّ مَنْ خَلَقَ الْكَائِنَاتِ بَيْنَ الْخَوَارِقِ ، مِنْ أَوَّلِهَا إِلٰى آخِرِهَا ، بِهٰذَا الْقَدَرِ مِنْ نَفَقَاتٍ لا حَدَّ لَهَا ؛ وَيُذَكِّرُ كَمَالاتِهِ ، بِآلافِ الْأَلْسِنَةِ ، لِتَعَرُّفِ نَفْسِهِ ، فَإِنَّهُ لَيُعَرِّفُ نَفْسَهُ قَطْعاً ، بِكَلِمَاتِهِ أَيْضاً . .

«اَلثَّالِثَةُ :» كَمَا أَنَّهُ يُقَابِلُ بِالْفِعْلِ ، مُنَاجَاةَ وَشُكْرَ النَّاسِ الْحَقِيقِيِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ أَصْفَى الْمَوْجُودَاتِ وَأَحْوَجُهَا ، وَأَلْطَفُهَا وَأَشْوَقُهَا ؛ فَإِنَّ الْمُقَابَلَةَ بِكَلامِهِ أَيْضاً ، هِيَ شَأْنُ الْخَالِقِيَّةِ . .

«اَلرَّابِعَةُ :» أَنَّ صِفَةَ الْمُكَالَمَةِ ، الَّتِي هِيَ لازِمٌ ضَرُورِيٌّ ، وَتَظَاهُرٌ نُورَانِيٌّ ، لِلْعِلْمِ مَعَ الْحَيَاةِ ، تُوجَدُ فِي صُورَةٍ مُحِيطَةٍ وَسَرْمَدِيَّةٍ ، فِيمَنْ يَمْلِكُ عِلْماً مُحِيطاً ، وَحَيَاةً سَرْمَدِيَّةً قَطْعاً . .

«اَلْخَامِسَةُ :» أَنَّ الَّذِي مَنَحَ الْعَجْزَ وَالِاشْتِيَاقَ ، وَالْفَقْرَ وَالِاحْتِيَاجَ ، وَفِكْرَ الِاسْتِقْبَالِ ، وَالْمَحَبَّةَ وَالتَّعَبُّدَ ، لِمَخْلُوقَاتِهِ الْفَقِيرَةِ وَالْعَاجِزَةِ ، وَالَّتِي هِيَ أَشَدُّ عِشْقاً وَحُبّاً وَفِكْراً ، وَأَحْوَجُ إِلٰى نُقْطَةِ الِاسْتِنَادِ ، وَأَشْوَقُ إِلَى اللِّقَاءِ بِصَاحِبِهِ وَمَالِكِهِ ، فَإِنَّ إِشْعَارَهُ لَهُمْ بِوُجُودِهِ ، بِتَكَلُّمِهِ ، هُوَ مُقْتَضَى الْأُلُوهِيَّةِ . .

هٰذَا ؛ فَإِنَّهُ فُهِمَ أَنَّ دَلالَةَ الْوَحَايَا السَّمَاوِيَّةِ الْعُمُومِيَّةِ ، الَّتِي تَتَضَمَّنُ حَقَائِقَ التَّنَزُّلِ الْإِلٰهِيِّ ، وَالتَّعَرُّفِ الرَّبَّانِيِّ ، وَالْمُقَابَلَةِ الرَّحْمَانِيَّةِ ، وَالْمُكَالَمَةِ السُّبْحَانِيَّةِ ، وَالْإِشْعَارِ الصَّمَدَانِيِّ ، عَلٰى وُجُودِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، وَعَلٰى وَحْدَتِهِ بِالْإِجْمَاعِ ، هِيَ حُجَّةٌ أَقْوَى مِنْ شَهَادَةِ شُعَاعَاتِ الشَّمْسِ فِي النَّهَارِ ، عَلَى الشَّمْسِ . .

ثُمَّ نَظَرَ إِلىٰ جِهَةِ الْإِلْهَامَاتِ ؛ فَرَأَى : أَنَّ الْإِلْهَامَاتِ الصَّادِقَةَ ، وَإِنْ كَانَتْ تُشْبِهُ الْوَحْيَ ، فِي جِهَةٍ مَّا ؛ وَكَانَتْ نَوْعاً مِنَ الْمُكَالَمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّ بَيْنَهُمَا فَرْقَيْنِ . .

﴿اَلْأَوَّلُ :﴾ أَنَّ أَكْثَرَ الْوَحْيِ الَّذِي هُوَ أَعْلَى مِنَ الْإِلْهَامِ بِكَثِيرٍ ، هُوَ بِوَاسِطَةِ الْمَلَائِكَةِ ؛ وَأَنَّ أَكْثَرَ الْإِلْهَامِ ، بِدُونِ وَاسِطَةٍ ؛ فَكَمَا أَنَّ لِسُلْطَانٍ مَثَلاً ، كَلَاماً وَأَوَامِرَ بِصُورَتَيْنِ :

إِحْدَاهُمَا : أَنَّهُ يَبْعَثُ بِمُسْتَشَارٍ لَهُ ، إِلىٰ وَالٍ ، بِحَيْثِيَّةِ حِشْمَةِ السَّلْطَنَةِ وَالْحَاكِمِيَّةِ الْعُمُومِيَّةِ ؛ وَيَفْعَلُ أَحْيَاناً احْتِفَالاً مَعَ الْوَسِيطِ ، لِإِظْهَارِ أَهَمِّيَّةِ الْأَمْرِ ، وَاحْتِشَامِ تِلْكَ الْحَاكِمِيَّةِ ؛ ثُمَّ يُبَلِّغُ الْأَمْرُ . .

اَلثَّانِيَةُ : هِيَ كَلَامُهُ الْخُصُوصِيُّ ، بِهَاتِفِهِ الْخُصُوصِيِّ ، مَعَ أَحَدِ خُدَّامِهِ الْخَاصِّ ، أَوْ مَعَ أَحَدِ رَعَايَاهُ الْعَامِّيِّ الَّذِي لَهُ مُنَاسَبَةٌ خُصُوصِيَّةٌ ، وَمُعَامَلَةٌ جُزْئِيَّةٌ ، لَا بِعُنْوَانِ السَّلْطَنَةِ ، وَبِاسْمِ الْمَلِكِيَّةِ الْعَامِّ ، بَلْ بِشَخْصِهِ هُوَ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ لِلسُّلْطَانِ الْأَزَلِيِّ ، مُكَالَمَةً بِاسْمِ رَبِّ جَمِيعِ الْعَوَالِمِ ، وَبِعُنْوَانِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ ، بِالْوَحْيِ وَبِالْإِلْهَامَاتِ الشَّامِلَةِ الَّتِي تُؤَدِّي خِدْمَةَ الْوَحْيِ ؛ كَمَا أَنَّ لَهُ نَوْعاً مِنَ الْمُكَالَمَةِ ، بِحَيْثِيَّةِ كَوْنِهِ رَبّاً وَخَالِقاً لِكُلِّ فَرْدٍ ، وَكُلِّ ذِي حَيَاةٍ ، فِي صُورَةٍ خُصُوصِيَّةٍ ؛ وَلٰكِنْ وَرَاءَ الْحِجَابِ ، حَسَبَ قَابِلِيَّتِهِمْ . .

﴿اَلْفَرْقُ الثَّانِي :﴾ أَنَّ الْوَحْيَ ، بِلَا ظِلٍّ ، وَصَافٍ وَخَاصٌّ بِالْخَوَاصِّ . أَمَّا الْإِلْهَامُ فَهُوَ ذُو ظِلٍّ ، تُخَالِطُهُ الْأَلْوَانُ ، وَعُمُومِيٌّ ؛ وَأَنَّهُ بِأَنْوَاعِهِ الْمُتَنَوِّعَةِ وَالْكَثِيرَةِ جِدّاً ، مِثْلِ إِلْهَامِ الْمَلَائِكَةِ ، وَإِلْهَامِ النَّاسِ ، وَإِلْهَامِ الْحَيَوَانَاتِ ، يُشَكِّلُ مَهْداً يَكُونُ مَدَاراً لِتَكْثِيرِ الْكَلِمَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ ، بِقَدَرِ قَطَرَاتِ الْبِحَارِ ؛ وَيُفَسِّرُ أَحَدَ وُجُوهِ آيَةِ : ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ . هٰكَذَا فَهِمَ . .

ثُمَّ نَظَرَ إِلىٰ مَاهِيَّةِ الْإِلْهَامِ ، وَإِلىٰ حِكْمَتِهِ وَشَهَادَتِهِ ؛ فَرَأَى : أَنَّ مَاهِيَّتَهُ ، مَعَ حِكْمَتِهِ وَنَتِيجَتِهِ ، تَتَرَكَّبُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَنْوَارٍ . .

﴿اَلْأَوَّلُ :﴾ أَنَّ التَّحَبُّبَ قَوْلاً وَحُضُوراً وَصُحْبَةً أَيْضاً ، كَالتَّحَبُّبِ فِعْلاً إِلىٰ مَخْلُوقَاتِهِ ،

الْمُسَمّٰى بِالتَّوَدُّدِ الْإِلٰهِيِّ ، هُوَ مُقْتَضَى الْوَدُودِيَّةِ وَالرَّحْمَانِيَّةِ . .

«اَلثَّانِي :» أَنَّ الْإِجَابَةَ قَوْلاً أَيْضاً وَرَاءَ الْحُجُبِ ، كَالْإِجَابَةِ فِعْلاً لِدَعَوَاتِ عِبَادِهِ ، هِيَ شَأْنُ الرَّحِيمِيَّةِ . .

«اَلثَّالِثُ :» أَنَّ إِمْدَادَهُ بِالْأَقْوَالِ الْإِلْهَامِيَّةِ أَيْضاً ، الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ نَوْعٍ مَّا مِنْ تَكَلُّمِهِ ، كَالْإِمْدَادِ فِعْلاً لِاسْتِمْدَادِ مَخْلُوقَاتِهِ الْوَاقِعَةِ فِي بَلَايَا ثَقِيلَةٍ ، وَأَحْوَالٍ شَدِيدَةٍ ، وَلِاسْتِغَاثَتِهَا وَتَضَرُّعَاتِهَا ، هُوَ لَازِمُ الرُّبُوبِيَّةِ . .

«اَلرَّابِعُ :» أَنَّ إِشْعَارَهُ بِوُجُودِهِ وَحُضُورِهِ قَوْلاً أَيْضاً ، فِي وَجْهٍ مَخْصُوصٍ وَخَاصٍّ نَاظِرٍ إِلٰى مَخْلُوقٍ مَّا ، حَسَبَ قَابِلِيَّتِهِ ، بِهَاتِفِ قَلْبِهِ ، وَرَاءَ قِسْمٍ مِنْ إِلْهَامَاتٍ صَادِقَةٍ تُعَدُّ فِي حُكْمِ نَوْعٍ مَّا مِنْ مُكَالَمَةٍ رَبَّانِيَّةٍ ، كَإِشْعَارِهِ فِعْلاً بِوُجُودِهِ وَحُضُورِهِ وَحِمَايَتِهِ ، لِمَصْنُوعَاتِهِ ذَوَاتِ الشُّعُورِ ، الْعَاجِزَةِ كَثِيراً ، وَالضَّعِيفَةِ جِدّاً ، وَالْفَقِيرَةِ كَثِيراً ، وَالْمُحْتَاجَةِ جِدّاً ، وَالْمُشْتَاقَةِ الْمُحْتَاجَةِ كَثِيراً جِدّاً ، إِلٰى لِقَاءِ مَالِكِهَا وَحَامِيهَا وَمُدَبِّرِهَا وَحَافِظِهَا ، هُوَ مُقْتَضًى ضَرُورِيٌّ وَوَاجِبٌ ، لِشَفَقَةِ الْأُلُوهِيَّةِ ، وَرَحْمَةِ الرُّبُوبِيَّةِ . هٰكَذَا فَهِمَ . .

ثُمَّ نَظَرَ إِلٰى شَهَادَةِ الْإِلْهَامِ ؛ فَرَأٰى : أَنَّهُ كَمَا لَوْ كَانَ لِلشَّمْسِ شُعُورٌ وَحَيَاةٌ بِالِافْتِرَاضِ ؛ وَكَانَتْ أَلْوَانُهَا السَّبْعَةُ فِي ضِيَائِهَا ، صِفَاتِهَا السَّبْعَ فِي تِلْكَ الْحَالِ ؛ لَوُجِدَ نَوْعٌ مَّا مِنْ تَكَلُّمِهَا بِشُعَاعَاتِهَا وَجِلْوَاتِهَا الْمَوْجُودَةِ فِي ضِيَائِهَا ، فِي تِلْكَ الْجِهَةِ ؛ وَلَشُوهِدَ بِالْمُشَاهَدَةِ ، وُجُودُ مِثَالِهَا وَعَكْسِهَا فِي الْأَشْيَاءِ الشَّفَّافَةِ ، وَتَكَلُّمُهَا مَعَ كُلِّ مِرْآةٍ ، وَكُلِّ الْأَشْيَاءِ الشَّفَّافَةِ ، وَقِطَعِ الزُّجَاجَةِ ، وَالْفَوَاقِعِ وَالْقَطَرَاتِ ، حَتَّى الذَّرَّاتِ الشَّفَّافَةِ ، حَسَبَ قَابِلِيَّةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا ، وَإِجَابَتُهَا لِحَاجَاتِ أُولٰئِكَ ، وَشَهَادَةُ جَمِيعِ أُولٰئِكَ عَلٰى وُجُودِ الشَّمْسِ ، وَعَدَمُ مُمَانَعَةِ عَمَلٍ مَّا لِعَمَلٍ أَصْلاً ، وَعَدَمُ مُزَاحَمَةِ أَحَدِ كَلَامِهَا لِكَلَامٍ آخَرَ ، فِي تِلْكَ الْوَضْعِيَّةِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ : يُفْهَمُ بِالْبَدَاهَةِ أَنَّ مُكَالَمَةَ الشَّمْسِ السَّرْمَدِيِّ سُلْطَانِ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ ، ذِي الْجَلَالِ ، وَخَالِقِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، ذِي الشَّأْنِ ، وَذِي الْجَمَالِ ، تَتَجَلّٰى أَيْضاً كُلِّيَّةً وَمُحِيطَةً مِثْلَ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ ، حَسَبَ قَابِلِيَّةِ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَأَنَّهُ لَا يَمْنَعُ سُؤَالٌ سُؤَالاً ، وَعَمَلٌ عَمَلاً ، وَخِطَابٌ خِطَاباً ؛ وَلَا يَخْلِطُهُ أَصْلاً ؛ وَعَلِمَ

بِعِلْمِ يَقِينٍ قَرِيبٍ مِنْ عَيْنِ الْيَقِينِ : أَنَّ جَمِيعَ أُولَائِكَ الْجَلَوَاتِ ، وَتِلْكَ الْخِطَابَاتِ وَالْإِلْهَامَاتِ ، تَدُلُّ وَتَشْهَدُ فَرْداً فَرْداً وَمُجْتَمِعَةً بِالاتِّفَاقِ ، عَلَىٰ حُضُورِ ذٰلِكَ الشَّمْسِ الْأَزَلِيِّ ، وَعَلَىٰ وُجُوبِ وُجُودِهِ ، وَعَلَىٰ وَحْدَتِهِ وَأَحَدِيَّتِهِ . .

هٰذَا ؛ فَقِيلَ فِي الْمَرْتَبَتَيْنِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ ، وَالْخَامِسَةَ عَشْرَةَ ، مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ، إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً إِلَىٰ دَرْسِ مَعْرِفَةِ ذٰلِكَ الْمُسَافِرِ الْمُتَطَلِّعِ ، الَّذِي تَلَقَّاهُ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ : ﴿ لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الَّذِي دَلَّ عَلَىٰ وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، إِجْمَاعُ جَمِيعِ الْوَحْيَاتِ الْحَقَّةِ ، الْمُتَضَمِّنَةِ لِلتَّنَزُّلَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَلِلْمُكَالَمَاتِ السُّبْحَانِيَّةِ ، وَلِلتَّعَرُّفَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَلِلْمُقَابَلَاتِ الرَّحْمَانِيَّةِ ، عِنْدَ مُنَاجَاةِ عِبَادِهِ ، وَلِلْإِشْعَارَاتِ الصَّمَدَانِيَّةِ لِوُجُودِهِ لِمَخْلُوقَاتِهِ ؛ وَكَذَا دَلَّ عَلَىٰ وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، اتِّفَاقُ الْإِلْهَامَاتِ الصَّادِقَةِ ، الْمُتَضَمِّنَةِ لِلتَّوَدُّدَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَلِلْإِجَابَاتِ الرَّحْمَانِيَّةِ ، لِدَعَوَاتِ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَلِلْإِمْدَادَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ لِاسْتِغَاثَاتِ عِبَادِهِ ، وَلِلْإِحْسَاسَاتِ السُّبْحَانِيَّةِ لِوُجُودِهِ لِمَصْنُوعَاتِهِ ﴾ . .

ثُمَّ إِنَّ سَيَّاحَ الدُّنْيَا ذٰلِكَ قَالَ لِعَقْلِهِ : إِذَا كُنْتُ أَطْلُبُ مَالِكِي وَخَالِقِي ، بِمَوْجُودَاتِ هٰذِهِ الْأَكْوَانِ ؛ فَعَلَيْنَا أَنْ نَذْهَبَ مَعاً ، إِلَىٰ عَصْرِ السَّعَادَةِ قَطْعاً ، لِزِيَارَةِ ﴿مُحَمَّدٍ الْعَرَبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ، وَلِتَفَحُّصِ مَطْلُوبِي مِنْهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ــ الَّذِي هُوَ أَشْهَرُ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ وَأَكْمَلُهُمْ ، بِتَصْدِيقِ أَعْدَائِهِ أَيْضاً ، وَقَائِدُهُمُ الْأَكْبَرُ ، وَحَاكِمُهُمُ الْأَشْهَرُ ، وَأَعْلَاهُمْ قَوْلاً ، وَأَشْرَقُهُمْ عَقْلاً ، وَالَّذِي أَضَاءَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَصْراً ، بِفَضِيلَتِهِ وَبِقُرْآنِهِ ــ فَدَخَلَ مَعَ عَقْلِهِ ، ذٰلِكَ الْعَصْرَ ؛ فَشَاهَدَ : أَنَّ ذٰلِكَ الْعَصْرَ أَصْبَحَ عَصْرَ سَعَادَةٍ بَشَرِيَّةٍ حَقِيقَةً ، بِذٰلِكَ الْجَنَابِ ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ قَوْماً أَشَدَّ بَدَاوَةً وَأُمِّيَّةً ، أُسْتَاذاً وَحَاكِماً عَلَى الدُّنْيَا ، فِي زَمَنٍ قَصِيرٍ ، بِوَاسِطَةِ النُّورِ الَّذِي جَاءَ بِهِ . .

وَكَذَا قَالَ لِعَقْلِهِ : عَلَيْنَا أَنْ نَعْلَمَ أَوَّلاً ، دَرَجَةً مَّا مِنْ قِيمَةِ هٰذَا الْجَنَابِ الْفَائِقِ عَلَى الْعَادَةِ ، وَحَقَّانِيَّةَ أَقْوَالِهِ ، وَصِدْقَ أَخْبَارِهِ ؛ ثُمَّ لِنَسْأَلْهُ عَنْ خَالِقِنَا . فَبَاشَرَ بِالتَّحَرِّي . . فَيُشَارُ هُنَا إِشَارَاتٌ مُخْتَصَرَةٌ ، إِلَىٰ تِسْعِ دَلَائِلَ كُلِّيَّةٍ فَقَطْ ، مِمَّا وَجَدَهُ مِنَ الدَّلَائِلِ الْقَاطِعَةِ بِلَا حَدٍّ . .

﴿اَلْأَوَّلُ :﴾ هُوَ وُجُودُ جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ وَالْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ ، فِي هٰذَا الْجَنَابِ ، حَتّىٰ

بِتَصْدِيقِ أَعْدَائِهِ أَيْضاً ؛ وَظُهُورُ مِئَاتٍ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ فِي يَدِهِ ، بِالنَّقْلِ الْقَطْعِيِّ ، وَقِسْمٍ مِنْهَا بِالتَّوَاتُرِ ، مِثْلِ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ بِإِشَارَةِ إِحْدٰى أَصَابِعِهِ ؛ وَانْهِزَامِ جَيْشِ أَعْدَائِهِ ، بِوُقُوعِ حَفْنَةٍ مِنْ تُرَابٍ رَمَاهُ بِإِحْدٰى كَفَّيْهِ ، فِي عُيُونِ ذٰلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ ، بِصَرَاحَةِ آيَتَيْ : ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ وَ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ رَمٰى﴾ ؛ وَسَقْيِهِ فِي دَرَجَةِ الْكِفَايَةِ ، الْمَاءَ النَّابِعَ كَالْكَوْثَرِ مِنْ أَصَابِعِهِ الْخَمْسِ ، لِجَيْشِهِ الَّذِي بَقِيَ ظَمْآناً . وَإِنَّ قِسْماً مِنْ هٰذِهِ الْمُعْجِزَاتِ أَزْيَدَ مِنْ ثَلاثِمِئَةٍ ، بُيِّنَ مَعَ دَلائِلِهِ الْقَاطِعَةِ ، فِي رِسَالَةٍ خَارِقَةٍ ذَاتِ كَرَامَةٍ ، تُسَمّٰى «بِالْمُعْجِزَاتِ الأَحْمَدِيَّةِ» ، وَهِيَ «الْمَكْتُوبُ التَّاسِعَ عَشَرَ» . فَلِذٰلِكَ أَحَالَهَا عَلَيْهَا ؛ فَقَالَ : إِنَّ شَخْصاً يَكُونُ لَهُ هٰذَا الْقَدَرُ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ الْبَاهِرَةِ ، مَعَ هٰذَا الْقَدَرِ مِنَ الْكَمَالاتِ وَالأَخْلاقِ الْحَسَنَةِ ، هُوَ أَصْدَقُ قَوْلاً بَتَاتاً ؛ وَإِنَّ تَنَزُّلَهُ إِلَى الْحِيلَةِ وَالْكَذِبِ وَالْخَطَأِ ، مِمَّا هُوَ شَأْنُ الْوَقِحَةِ ، لَيْسَ مُمْكِناً . .

﴿اَلثَّانِي :﴾ هُوَ وُجُودُ مَنْشُورٍ لِصَاحِبِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، فِي يَدِهِ ؛ وَقَبُولُ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِمِئَةِ مِلْيُونٍ فِي كُلِّ عَصْرٍ ؛ وَتَصْدِيقُهُمْ بِمَنْشُورِهِ ذٰلِكَ ؛ وَكَوْنُ ذٰلِكَ الْمَنْشُورِ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الشَّأْنِ ، خَارِقَةً بِسَبْعَةِ وُجُوهٍ . وَإِنَّ كَوْنَ هٰذَا الْقُرْآنِ مُعْجِزَةً بِأَرْبَعِينَ وَجْهاً ، وَوُجُودَهُ كَلامَ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ ، بُيِّنَ تَفْصِيلاً مَعَ دَلائِلِهِ الْقَوِيَّةِ ، فِي رِسَالَةٍ مَشْهُورَةٍ هِيَ شَمْسٌ لِرِسَالَةِ النُّورِ ، تُسَمّٰى بِاسْمِ «الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ ، وَالْمُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ» . فَلِذٰلِكَ أَحَالَهُ إِلَيْهَا ؛ فَقَالَ : إِنَّ الْكَذِبَ الَّذِي هُوَ فِي حُكْمِ الْجِنَايَةِ عَلَى الْمَنْشُورِ ، وَالْخِيَانَةَ لِصَاحِبِ الْمَنْشُورِ ، لَنْ يُمْكِنَ وَلَنْ يُوجَدَ ، فِي شَخْصٍ هُوَ تَرْجُمَانٌ وَمُبَلِّغٌ لِمِثْلِ هٰذَا الْمَنْشُورِ ، الَّذِي هُوَ عَيْنُ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ . .

﴿اَلثَّالِثُ :﴾ أَنَّ ذٰلِكَ الْجَنَابَ قَدْ بَرَزَ إِلَى الْمَيْدَانِ ، بِشَرِيعَةٍ وَإِسْلامِيَّةٍ وَعُبُودِيَّةٍ ، وَدُعَاءٍ وَدَعْوَةٍ وَإِيمَانٍ ، لَيْسَ لَهَا مِثْلٌ ؛ وَلا يُمْكِنُ ؛ وَلَمْ يُوجَدْ أَكْمَلُ مِنْهَا ؛ وَلا يُوجَدُ ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الشَّرِيعَةَ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي شَخْصٍ أُمِّيٍّ ، إِدَارَتُهَا لِأَرْبَعَةَ عَشَرَ عَصْراً ، وَلِخُمُسِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، بِمَا لا حَدَّ لَهَا مِنْ قَوَانِينِهَا الْعَادِلَةِ وَالْمُدَقِّقَةِ وَالْمَبْنِيَّةِ عَلَى الْحَقِّ ، لا تَقْبَلُ الأَمْثَالَ ؛ وَأَنَّ الإِسْلامِيَّةَ التَّابِعَةَ مِنْ أَفْعَالِ شَخْصٍ أُمِّيٍّ ، وَمِنْ أَقْوَالِهِ وَأَحْوَالِهِ ، لا يُمْكِنُ مِثْلُهَا ، وَلَمْ يُمْكِنْ ، بِجِهَةِ

صَيْرُورَتِهَا دَلِيلَ وَمَرْجِعَ ثَلاَثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ مِلْيُوناً مِنَ النَّاسِ فِي كُلِّ عَصْرٍ ، وَمُعَلِّمَ عُقُولِهِمْ وَمُرْشِدَهَا ، وَمُنَوِّرَ قُلُوبِهِمْ وَمُصَفِّيَهَا ، وَمُرَبِّيَ نُفُوسِهِمْ وَمُزَكِّيَهَا ، وَمَدَارَ انْكِشَافِ أَرْوَاحِهِمْ ، وَمَعْدِنَ تَرَقِّيَاتِهَا ؛ وَأَنَّ كَوْنَهُ أَسْبَقَ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي دِينِهِ ، وَوُجُودَهُ عَلَى التَّقْوَى ، وَخَوْفَهُ مِنَ اللهِ ، أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، وَمُرَاعَاتَهُ لِلْعُبُودِيَّةِ بِتَمَامِهَا إِلَى أَدَقِّ أَسْرَارِهَا ، بَيْنَ التَّقَلُّبَاتِ وَالْمُجَاهَدَاتِ الدَّائِمَةِ الْفَائِقَةِ عَلَى الْعَادَةِ ، وَتَأْدِيَتَهُ إِيَّاهَا بِتَمَامِ مَعْنَاهَا ، وَبِوَجْهِ ابْتِدَائِيٍّ ؛ وَلٰكِنَّهُ أَكْمَلُ ، وَجَامِعاً بَيْنَ الاِبْتِدَاءِ وَالاِنْتِهَاءِ ، دُونَ أَنْ يُقَلِّدَ أَحَداً أَصْلاً ، لاَ يُشَاهَدُ مِثْلُهُ ؛ وَلَمْ يُشَاهَدْ قَطْعاً ؛ وَأَنَّهُ يَصِفُ رَبَّهُ «بِالْجَوْشَنِ الْكَبِيرِ» ، مِنْ آلاَفِ دَعَوَاتِهِ وَمُنَاجَاتِهِ ، بِمَعْرِفَةٍ رَبَّانِيَّةٍ ، فِي دَرَجَةٍ كَذٰلِكَ ، يَدُلُّ عَدَمُ بُلُوغِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَأَهْلِ الْوَلاَيَةِ الْوَارِدِينَ مُنْذُ مَا قَبْلَ ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، لاَ إِلَى مَرْتَبَةِ الْمَعْرِفَةِ تِلْكَ ، وَلاَ إِلَى دَرَجَةِ التَّوْصِيفِ تَاكَ ، مَعَ تَلاَحُقِ الْأَفْكَارِ ، عَلَى أَنَّهُ لاَ مِثْلَ لَهُ فِي الدُّعَاءِ أَيْضاً ؛ فَإِنَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي بُيِّنَ فِيهِ مَآلٌ مُخْتَصَرٌ جِدّاً ، لِفِقْرَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ فِقْرَاتِ «الْجَوْشَنِ الْكَبِيرِ» التِّسْعِ وَالتِّسْعِينَ ، فِي صَدْرِ رِسَالَةِ «الْمُنَاجَاةِ» ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ : لاَ مِثْلَ «لِلْجَوْشَنِ» أَيْضاً ؛ وَأَنَّهُ أَظْهَرَ الْمَتَانَةَ وَالثَّبَاتَ وَالْجَسَارَةَ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ ، فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ ، وَفِي دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْحَقِّ ؛ فَكَانَتِ الدُّوَلُ الْكَبِيرَةُ ، وَالْأَدْيَانُ الْعَظِيمَةُ ، حَتَّى قَوْمُهُ وَقَبِيلَتُهُ وَعَمُّهُ ، يُعَادُونَهُ عَدَاوَةً شَدِيدَةً ؛ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُظْهِرْ أَثَراً مِنَ التَّرَدُّدِ ، وَخَوْفاً وَجَبَانَةً مِقْدَارَ الذَّرَّةِ ؛ وَتَحَدَّى الْعَالَمَ كُلَّهُ عَلَى حِدَتِهِ ؛ وَأَنْهَاهُ إِلَى النِّهَايَةِ ؛ وَأَفْضَى بِالْإِسْلاَمِ إِلَى زَعَامَةِ الْعَالَمِ ؛ فَذٰلِكَ يُثْبِتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ ؛ وَلَنْ يَكُونَ ، فِي التَّبْلِيغِ وَالدَّعْوَةِ أَيْضاً ؛ وَأَنَّهُ حَمَلَ فِي الْإِيمَانِ قُوَّةً فَائِقَةً عَلَى الْعَادَةِ ، وَيَقِيناً خَارِقاً ، وَانْكِشَافاً مُعْجِزاً ، وَاعْتِقَاداً عُلْوِيّاً يُضِيءُ الْعَالَمَ ؛ فَكَانَتْ جَمِيعُ أَفْكَارِ ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، وَعَقَائِدِهِ الْحَاكِمَةِ ، وَحِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ ، وَعُلُومِ الرُّؤَسَاءِ الرُّوحَانِيِّينَ ، مُعَارِضَةً وَمُخَالِفَةً وَمُنْكِرَةً لَهُ ؛ مَعَ أَنَّهَا لَمْ تُورِثْ يَقِينَهُ وَلاَ اعْتِقَادَهُ ، وَلاَ اطْمِئْنَانَهُ وَلاَ اعْتِمَادَهُ ، أَيَّةَ شُبْهَةٍ وَأَيَّ تَرَدُّدٍ ، وَأَيَّ ضَعْفٍ وَأَيَّةَ وَسْوَسَةٍ ؛ وَأَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْوَلاَيَةِ ــ وَفِي الْمُقَدِّمَةِ الصَّحَابَةُ ــ الَّذِينَ يَتَرَقَّوْنَ فِي الْمَعْنَوِيَّاتِ وَفِي الْمَرَاتِبِ الْإِيمَانِيَّةِ ، يَسْتَفِيضُونَ مِنْ مَرْتَبَةِ إِيمَانِهِ كُلَّ وَقْتٍ ؛ وَيَجِدُونَهُ فِي الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا ؛

فَيَدُلُّ ذٰلِكَ بِالْبَدَاهَةِ، عَلَى أَنَّ إِيمَانَهُ أَيْضاً لَا أَمْثَالَ لَهُ. هٰذَا؛ فَصَاحِبُ مِثْلِ هٰذِهِ الشَّرِيعَةِ بِلَا أَمْثَالٍ، وَهٰذِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِلَا مِثْلٍ، وَالْعُبُودِيَّةِ الْخَارِقَةِ، وَالدُّعَاءِ فَوْقَ الْعَادَةِ، وَالدَّعْوَةِ اللَّائِقَةِ بِثَنَاءِ الْعَالَمِ، وَالْإِيمَانِ الْمُعْجِزِ، لَا يُمْكِنُ فِيهِ الْكَذِبُ قَطْعاً؛ وَلَا يَخْدَعُ بِأَيَّةِ جِهَةٍ أَصْلاً. هٰكَذَا فَهِمَ؛ وَصَدَّقَ عَقْلُهُ أَيْضاً..

﴿اَلرَّابِعُ:﴾ أَنَّ إِجْمَاعَ الْأَنْبِيَاءِ كَمَا أَنَّهُ دَلِيلٌ قَوِيٌّ لِلْغَايَةِ، عَلَى الْوُجُودِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّهُ شَهَادَةٌ سَلِيمَةٌ لِلْغَايَةِ، عَلَى صِدْقِ هٰذَا الْجَنَابِ، وَعَلَى رِسَالَتِهِ؛ لِأَنَّ مَا يُوجَدُ مِنَ الْوَظَائِفِ وَالْمُعْجِزَاتِ وَالصِّفَاتِ الْقُدْسِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَدَارٌ لِصِدْقِ الْأَنْبِيَاءِ (عليهم السلام)، وَلِكَوْنِهِمْ أَنْبِيَاءَ؛ فَإِنَّ كَوْنَهَا فِي ذٰلِكَ الْجَنَابِ، فِي أَوْلَى الْمَرَاتِبِ، مُصَدَّقٌ بِهِ حَسَبَ التَّارِيخِ. فَإِذاً إِنَّهُمْ؛ كَمَا أَخْبَرُوا بِمَجِيءِ هٰذَا الْجَنَابِ؛ فَبَشَّرُوا النَّاسَ، فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَصُحُفِهِمْ، بِلِسَانِ الْقَالِ؛ فَقَدْ أُثْبِتَ وَبُيِّنَ جَيِّداً فِي «الْمَكْتُوبِ التَّاسِعَ عَشَرَ»، قِسْمٌ ظَاهِرٌ جِدّاً، وَأَزْيَدُ مِنَ الْعِشْرِينَ، مِنْ إِشَارَاتِ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ، تِلْكَ الْإِشَارَاتِ الْمُبَشِّرَةِ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ هٰذَا الْجَنَابَ الْأَسْبَقَ وَالْأَكْمَلَ، فِي مَسَالِكِهِمْ وَوَظَائِفِهِمْ؛ فَيُوَقِّعُونَ عَلَى دَعْوَاهُ بِلِسَانِ أَحْوَالِهِمْ – أَيْ بِنُبُوَّاتِهِمْ وَمُعْجِزَاتِهِمْ – وَكَمَا يَدُلُّونَ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ بِلِسَانِ الْقَالِ وَالْإِجْمَاعِ؛ يَشْهَدُونَ عَلَى صِدْقِ هٰذَا الْجَنَابِ بِلِسَانِ الْحَالِ وَبِالْاِتِّفَاقِ أَيْضاً. هٰكَذَا فَهِمَ..

﴿اَلْخَامِسُ:﴾ أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ وَصَلُوا بِالْآلَافِ، إِلَى الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ، وَالْكَمَالَاتِ وَالْكَرَامَاتِ، وَالْكَشْفِيَّاتِ وَالْمُشَاهَدَاتِ، بِدَسَاتِيرِ هٰذَا الْجَنَابِ، وَبِتَرْبِيَتِهِ وَتَبَعِيَّتِهِ، وَبِسُلُوكِهِمْ مِنْ وَرَائِهِ، يَدُلُّونَ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ؛ كَمَا يَشْهَدُونَ بِالْإِجْمَاعِ وَالْاِتِّفَاقِ، عَلَى صِدْقِ وَرِسَالَةِ هٰذَا الْجَنَابِ الَّذِي هُوَ أُسْتَاذُهُمْ؛ وَأَنَّ مُشَاهَدَتَهُمْ بِنُورِ الْوِلَايَةِ، لِقِسْمٍ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ؛ وَاعْتِقَادَهُمْ وَتَصْدِيقَهُمْ بِجَمِيعِهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ، إِمَّا فِي صُورَةِ عِلْمِ الْيَقِينِ، أَوْ عَيْنِ الْيَقِينِ، أَوْ حَقِّ الْيَقِينِ، تَدُلُّ كَالشَّمْسِ، عَلَى دَرَجَةِ حَقَّانِيَّةِ هٰذَا الْجَنَابِ، وَعَلَى صِدْقِهِ..

﴿اَلسَّادِسُ:﴾ أَنَّ مَلَايِينَ الْأَصْفِيَاءِ الْمُدَقِّقِينَ، وَالصِّدِّيقِينَ الْمُحَقِّقِينَ، وَدُهَاةِ الْحُكَمَاءِ

الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَلَغُوا الْمَقَامَ الأَعْلىٰ فِي الْمَرْتَبَةِ الْعِلْمِيَّةِ ، بِدَرْسِ وَتَعْلِيمِ الْحَقَائِقِ الْقُدْسِيَّةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا هٰذَا الْجَنَابُ مَعَ أُمِّيَّتِهِ ، وَالْعُلُومِ الْعَالِيَةِ الَّتِي اخْتَرَعَهَا ، وَالْمَعْرِفَةِ الإِلٰهِيَّةِ الَّتِي اكْتَشَفَهَا ، يُثْبِتُونَ وَيُصَدِّقُونَ بِالاتِّفَاقِ ، بِبَرَاهِينِهِمُ الْقَوِيَّةِ ، الْوَحْدَانِيَّةَ الَّتِي هِيَ أُسُّ أَسَاسِ دَعْوَى هٰذَا الْجَنَابِ ؛ كَمَا أَنَّ شَهَادَتَهُمْ بِالاتِّفَاقِ عَلَى حَقَّانِيَّةِ وَصِدْقِ هٰذَا الْمُعَلِّمِ الأَكْبَرِ ، وَهٰذَا الأُسْتَاذِ الأَعْظَمِ ، وَعَلَى أَنَّ أَقْوَالَهُ هِيَ الْحَقِيقَةُ ، حُجَّةٌ كَالنَّهَارِ ، لِرِسَالَتِهِ وَصِدْقِهِ ؛ فَإِنَّ رِسَالَةَ النُّورِ مَثَلاً ، بِأَجْزَائِهَا الْمِئَةِ ، بُرْهَانٌ وَاحِدٌ لِصِدْقِ هٰذَا الْجَنَابِ . .

﴿اَلسَّابِعُ :﴾ أَنَّ الطَّائِفَةَ الْعَظِيمَةَ مِنْ نَوْعِ الْبَشَرِ ، الْمُسَمَّاةَ بِالآلِ وَالأَصْحَابِ ، الَّذِينَ هُمْ أَشْهَرُهُمْ بِالْفِرَاسَةِ وَالدِّرَايَةِ وَالْكَمَالاَتِ ، وَأَكْثَرُهُمُ احْتِرَاماً ، وَأَزْيَدُهُمُ اشْتِهَاراً ، وَأَفْضَلُهُمْ تَدَيُّناً ، وَأَعْلاَهُمْ نَظَراً ، بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّ تَصْدِيقَهُمْ غَيْرَ الْمُتَزَلْزِلِ ، وَقُوَّةَ إِيمَانِهِمْ ، بِالاتِّفَاقِ وَبِالإِجْمَاعِ ، بِأَنَّ هٰذَا الْجَنَابَ ، هُوَ الأَصْدَقُ وَالأَعْلَىٰ ، وَالأَحَقُّ وَالأَوْلَىٰ بِالْحَقِيقَةِ فِي الدُّنْيَا ، فِي نَتِيجَةِ تَحَرِّيهِمْ وَتَفْتِيشِهِمْ وَتَدْقِيقِهِمْ ، فِي جَمِيعِ أَحْوَالِ هٰذَا الْجَنَابِ ، وَأَفْكَارِهِ وَأَوْضَاعِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ، بِكَمَالِ التَّطَلُّعِ ، وَغَايَةِ التَّحَقُّقِ ، وَنِهَايَةِ الْجِدِّ ، هُوَ دَلِيلٌ كَالنَّهَارِ الدَّالِّ عَلَى ضِيَاءِ الشَّمْسِ . هٰكَذَا فَهِمَ . .

﴿اَلثَّامِنُ :﴾ أَنَّ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، كَمَا تَدُلُّ عَلَى صَانِعِهَا وَكَاتِبِهَا وَنَقَّاشِهَا الَّذِي أَوْجَدَهَا وَيُدِيرُهَا وَيُرَتِّبُهَا وَيَتَصَرَّفُ فِيهَا ، بِالتَّصْوِيرِ وَالتَّقْدِيرِ وَالتَّدْبِيرِ ، كَقَصْرٍ ، وَمِثْلَ كِتَابٍ ، وَشِبْهَ مَعْرِضٍ ، وَنَحْوَ مَشْهَرٍ ؛ كَذٰلِكَ تَسْتَدْعِي الْكَائِنَاتُ ؛ وَتَقْتَضِي وَتَدُلُّ فِي كُلِّ حَالٍ ، عَلَى وُجُودِ دَلاَّلٍ رَفِيعٍ ، وَكَشَّافٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَأُسْتَاذٍ مُحَقِّقٍ ، وَمُعَلِّمٍ صَادِقٍ ، يَعْلَمُ وَيُعْلِمُ مَا فِي خِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ مِنَ الْمَقَاصِدِ الإِلٰهِيَّةِ ؛ وَيُعَلِّمُ مَا فِي تَحَوُّلاَتِهَا مِنْ حِكَمِهَا الرَّبَّانِيَّةِ ؛ وَيُدَرِّسُ مَا فِي حَرَكَاتِهَا التَّوْظِيفِيَّةِ مِنَ النَّتَائِجِ ؛ وَيُعْلِنُ مَا فِي مَاهِيَّتِهَا مِنْ قِيمَتِهَا ، وَكَمَالاَتِ مَا فِيهَا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَيُفِيدُ مَعَانِيَ ذٰلِكَ الْكِتَابِ الْكَبِيرِ ؛ فَلاَ رَيْبَ أَنَّهَا تَشْهَدُ بِتِلْكَ الْجِهَةِ ، عَلَى حَقَّانِيَّةِ هٰذَا الْجَنَابِ الَّذِي عَمِلَ هٰذِهِ الْوَظَائِفَ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، وَعَلَى أَنَّهُ أَعْلَى وَأَصْدَقُ مَأْمُورٍ لِخَالِقِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ . هٰكَذَا عَلِمَ . .

﴿التَّاسِعُ :﴾ أَنَّهُ إِذَا كَانَ وَرَاءَ الْحِجَابِ أَحَدٌ يُرِيدُ إِظْهَارَ حَقَّانِيَّتِهِ وَعَدَالَتِهِ ، بِجِهَةِ تَشْهِيرِ آثَارِ نَفْسِهِ ، وَكَمَالَاتِ صِنَاعَتِهِ ، بِمَصْنُوعَاتِهِ الْمُصَنَّعَةِ وَالْحَكِيمَةِ هٰذِهِ ؛ وَتَعَرُّفِ نَفْسِهِ وَتَحَبُّبِهَا بِمَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ الْمَنْقُوشَةِ الْمُزَيَّنَةِ هٰذِهِ ؛ وَالسَّوْقِ إِلَى الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ لِنَفْسِهِ بِمَا لَا حِسَابَ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ اللَّذِيذَةِ وَالْقَيِّمَةِ هٰذِهِ ؛ وَالسَّوْقِ إِلَى الْعِبَادَةِ عَلَى وَجْهِ الِامْتِنَانِ وَالتَّشَكُّرِ وَالتَّعَبُّدِ تِجَاهَ رُبُوبِيَّةِ نَفْسِهِ ، بِهٰذِهِ التَّرْبِيَةِ وَالْإِعَاشَةِ الْمُشْفِقَةِ وَالْمُحْتَمِيَةِ الْعُمُومِيَّةِ ، وَبِالْإِطْعَامَاتِ وَالضِّيَافَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ ، الَّتِي أُعِدَّتْ فِي صُورَةٍ تُطَمْئِنُ كُلَّ نَوْعٍ مِنْ أَذْوَاقِ الْأَفْوَاهِ وَاشْتِهَائِهَا حَتَّى أَدَقِّهَا ؛ وَالسَّوْقِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ وَالِانْقِيَادِ وَالْإِطَاعَةِ تِجَاهَ أُلُوهِيَّةِ نَفْسِهِ ، مُظْهِراً أُلُوهِيَّتَهُ تِلْكَ ، بِالتَّصَرُّفَاتِ وَالْإِجْرَاءَاتِ الْعَظِيمَةِ وَالْمُحْتَشِمَةِ ، وَالْفَعَّالِيَّةِ وَالْخَلَّاقِيَّةِ الْمُدْهِشَةِ وَالْحَكِيمَةِ ، مِثْلِ تَبْدِيلِ الْمَوَاسِمِ ، وَتَحْوِيلِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَاخْتِلَافِهَا ، وَاحْتِمَاءِ الْخَيْرِ وَالْأَخْيَارِ ، وَاقْتِلَاعِ الشَّرِّ وَالْأَشْرَارِ ، وَإِهْلَاكِ الظَّالِمِينَ وَالْكَاذِبِينَ بِالصَّفَعَاتِ السَّمَاوِيَّةِ ، كُلَّ وَقْتٍ ؛ فَلَا مِرْيَةَ أَنَّهُ يَكُونُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، هٰذَا الْجَنَابَ الْمَدْعُوَّ بِـ «مُحَمَّدٍ الْقُرَيْشِيِّ» ، الَّذِي هُوَ أَحَبُّ مَخْلُوقِ ذٰلِكَ الذَّاتِ الْغَيْبِيِّ ، وَأَصْدَقُ عَبْدِهِ لَدَيْهِ ، وَالَّذِي خَدَمَ تَمَاماً مَقَاصِدَهُ الْمَذْكُورَةَ ؛ فَحَلَّ وَاكْتَشَفَ طِلْسِمَ خِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ وَمُعَمَّاهَا ؛ وَيَتَحَرَّكُ بِاسْمِ ذٰلِكَ الْخَالِقِ ؛ وَيَسْتَمِدُّ مِنْهُ ؛ وَيَطْلُبُ التَّوْفِيقَ مِنْهُ دَائِماً ، وَالْمَظْهَرُ لِلْإِمْدَادِ وَالتَّوْفِيقِ مِنْ جَانِبِهِ . .

وَقَالَ لِعَقْلِهِ أَيْضاً : إِذَا كَانَتْ هٰذِهِ الْحَقَائِقُ التِّسْعُ الْمَذْكُورَةُ ، تَشْهَدُ لِصِدْقِ هٰذَا الْجَنَابِ ، فَلَا رَيْبَ أَنَّ هٰذَا الْإِنْسَانَ ، هُوَ مَدَارُ شَرَفِ بَنِي آدَمَ ، وَمَدَارُ فَخْرِ هٰذَا الْعَالَمِ ؛ وَأَنَّ إِطْلَاقَ «فَخْرِ الْعَالَمِ وَشَرَفِ بَنِي آدَمَ» عَلَيْهِ ، لَائِقٌ جِدّاً ؛ وَأَنَّ اسْتِيلَاءَ حِشْمَةِ السَّلْطَنَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِلْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، مَنْشُورِ الرَّحْمٰنِ ، الْمَوْجُودِ بِيَدِهِ ، عَلَى نِصْفِ الْأَرْضِ ؛ وَأَنَّ كَمَالَاتِهِ الشَّخْصِيَّةَ ، وَخَصَائِلَهُ الرَّفِيعَةَ ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هٰذَا هُوَ الْجَنَابُ الْأَهَمُّ فِي هٰذَا الْعَالَمِ ؛ وَأَنَّ لَهُ الْقَوْلَ الْأَهَمَّ فِي حَقِّ خَالِقِنَا . فَتَعَالَ انْظُرْ : إِنَّ أَسَاسَ جَمِيعِ دَعَاوٰى هٰذَا الْجَنَابِ الْخَارِقِ ، وَغَايَةَ جَمِيعِ حَيَاتِهِ ، هِيَ الدَّلَالَةُ وَالشَّهَادَةُ عَلَى وُجُودِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، وَعَلَى وَحْدَتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ ، وَالْإِثْبَاتُ وَالْإِعْلَانُ وَالْإِعْلَامُ لِلْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، مُسْتَنِداً إِلَى

قُوَّةِ الْمِئَاتِ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ الْقَطْعِيَّةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاهِرَةِ ، وَإِلَىٰ آلَافِ حَقَائِقِهِ الْعَالِيَةِ وَالْأَسَاسِيَّةِ فِي دِينِهِ . إِذاً فَإِنَّ شَمْساً مَعْنَوِيَّةً لِهٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، وَبُرْهَاناً أَشْرَقَ لِخَالِقِنَا ، هُوَ هٰذَا الْجَنَابُ الْمَدْعُوُّ بِـ «حَبِيبِ اللّٰهِ» ؛ فَإِنَّهُ تُوجَدُ ثَلَاثَةُ إِجْمَاعَاتٍ عَظِيمَةٍ لَا تَخْدَعُ وَلَا تَنْخَدِعُ ، تُؤَيِّدُ شَهَادَتَهُ وَتُصَدِّقُهَا وَتُوَقِّعُ عَلَيْهَا . .

﴿اَلْأَوَّلُ :﴾ هُوَ تَصْدِيقُ الْجَمَاعَةِ النُّورَانِيَّةِ ، بِالْإِجْمَاعِ ، الشَّهِيرَةِ الشِّعَارِ فِي الْعَالَمِ ، بِاسْمِ «آلِ مُحَمَّدٍ» (عليهم الصلاة والسلام) ، وَالْجَامِعَةِ لِآلَافِ الْأَقْطَابِ وَالْأَوْلِيَاءِ الْعِظَامِ الَّذِينَ لَهُمْ أَنْظَارٌ حَادَّةٌ ، وَأَبْصَارٌ شَاهِدَةٌ لِلْغَيْبِ ، مِثْلِ «الْإِمَامِ عَلِيٍّ» (رضي الله عنه) ، الَّذِي قَالَ : «لَوْ كُشِفَ حِجَابُ الْغَيْبِ ، مَا ازْدَدْتُ يَقِيناً» ، وَ «الْغَوْثِ الْأَعْظَمِ» (قدس سره) ، الَّذِي كَانَ عَلَى الْأَرْضِ ، يَتَفَرَّجُ عَلَى الْعَرْشِ الْأَعْظَمِ ، وَعَلَىٰ عَظَمَةِ هَيْكَلِ إِسْرَافِيلَ . .

﴿اَلثَّانِي :﴾ هُوَ تَصْدِيقُ الْجَمَاعَةِ الْمَشْهُورَةِ ، الْمَعْرُوفَةِ فِي الدُّنْيَا بِاسْمِ «الصَّحَابَةِ» ، بِقُوَّةِ إِيمَانٍ سَاقَهُمْ إِلَى الْفِدَاءِ بِأَرْوَاحِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَبِآبَائِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ ، بِالِاتِّفَاقِ ، وَالَّذِينَ كَانُوا قَوْماً بَدَوِيّاً ، وَفِي مُحِيطٍ أُمِّيٍّ ، مُتَجَرِّدِينَ عَنِ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْأَفْكَارِ السِّيَاسِيَّةِ ، وَبِدُونِ كِتَابٍ ، وَفِي ظُلُمَاتِ عَصْرِ الْفَتْرَةِ ؛ وَأَصْبَحُوا فِي زَمَنٍ يَسِيرٍ جِدّاً ، أَسَاتِذَةً وَرُوَّاداً وَدِيبْلُومَاسِيِّينَ وَحُكَّاماً عَادِلِينَ ، لِحُكُومَاتٍ وَشُعُوبٍ كَانُوا أَعْلَىٰ حَضَارَةً وَثَقَافَةً ، وَأَسْبَقَ فِي الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ ؛ فَأَدَارُوهُمْ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ ، إِدَارَةً جَدِيرَةً بِثَنَاءِ الْعَالَمِ . .

﴿اَلثَّالِثُ :﴾ هُوَ تَصْدِيقُ الْجَمَاعَةِ الْعُظْمَىٰ ، بِالِاتِّفَاقِ ، وَفِي دَرَجَةِ عِلْمِ الْيَقِينِ ، جَمَاعَةِ الْعُلَمَاءِ الْمُحَقِّقِينَ وَالْمُتَبَحِّرِينَ بِلَا حَدٍّ ، الَّذِينَ لَهُمْ أَفْرَادٌ بِالْآلَافِ فِي كُلِّ عَصْرٍ ؛ وَيَتَقَدَّمُونَ فِي كُلِّ فَنٍّ ، عَلَىٰ وَجْهِ الدَّهَاءِ ؛ وَيَعْمَلُونَ فِي مَسَالِكَ مُخْتَلِفَةٍ ؛ وَيَتَكَامَلُونَ فِي أُمَّتِهِ . إِذاً فَإِنَّ شَهَادَةَ هٰذَا الْجَنَابِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ ، لَيْسَتْ شَخْصِيَّةً وَجُزْئِيَّةً ؛ بَلْ إِنَّهَا شَهَادَةٌ عُمُومِيَّةٌ وَكُلِّيَّةٌ لَا تَتَزَلْزَلُ ؛ وَلَئِنِ اجْتَمَعَتِ الشَّيَاطِينُ كُلُّهُمْ ؛ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُعَارِضُوهَا بِأَيَّةِ جِهَةٍ . هٰكَذَا حَكَمَ . .

هٰذَا ؛ فَقِيلَ فِي الْمَرْتَبَةِ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ، إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً إِلَى الدَّرْسِ

الَّذِي تَلَقَّاهُ مِنْ تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ النُّورَانِيَّةِ، مُسَافِرُ الدُّنْيَا، وَسَائِحُ الْحَيَاةِ، الَّذِي سَاحَ مَعَ عَقْلِهِ، فِي عَصْرِ السَّعَادَةِ: ﴿لآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ، فَخْرُ الْعَالَمِ، وَشَرَفُ نَوْعِ بَنِيَ آدَمَ، بِعَظَمَةِ سَلْطَنَةِ قُرْآنِهِ، وَحَشْمَةِ وُسْعَةِ دِينِهِ، وَكَثْرَةِ كَمَالاتِهِ، وَعُلْوِيَّةِ أَخْلاقِهِ، حَتّٰى بِتَصْدِيقِ أَعْدَائِهِ؛ وَكَذَا شَهِدَ وَبَرْهَنَ بِقُوَّةِ مِئَاتِ مُعْجِزَاتِهِ الظَّاهِرَةِ الْبَاهِرَةِ الْمُصَدِّقَةِ الْمُصَدَّقَةِ، وَبِقُوَّةِ آلافِ حَقَائِقِ دِينِهِ السَّاطِعَةِ الْقَاطِعَةِ، بِإِجْمَاعِ آلِهِ ذَوِي الْأَنْوَارِ، وَبِاتِّفَاقِ أَصْحَابِهِ ذَوِي الْأَبْصَارِ، وَبِتَوَافُقِ مُحَقِّقِي أُمَّتِهِ ذَوِي الْبَرَاهِينِ وَالْبَصَائِرِ النَّوَّارَةِ﴾..

ثُمَّ إِنَّ هٰذَا الْمُسَافِرَ الَّذِي لا يَتْعَبُ وَلا يَشْبَعُ، الْعَالِمَ بِأَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ غَايَةُ الْحَيَاةِ، وَحَيَاةُ الْحَيَاةِ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا، قَالَ لِقَلْبِهِ: لِنُرَاجِعِ الْكِتَابَ الْمُسَمّٰى بِاسْمِ «الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ»، الْأَشْهَرَ وَالْأَشْرَقَ وَالْأَحْكَمَ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا، الْمَدْعُوَّ بِقَوْلِ وَكَلامِ الذَّاتِ الْمَطْلُوبِ لَنَا، وَالَّذِي يَتَحَدّٰى فِي كُلِّ عَصْرٍ، كُلَّ مَنْ لا يَسْتَسْلِمُ لَهُ؛ فَلْنَعْلَمْ مَاذَا يَقُولُ هُوَ؟ وَلٰكِنَّ اللّازِمَ أَوَّلاً، هُوَ إِثْبَاتُ كَوْنِ هٰذَا الْكِتَابِ، كِتَابَ خَالِقِنَا؛ هٰكَذَا بَاشَرَ بِالتَّحَرِّي. فَنَظَرَ هٰذَا السَّيَّاحُ أَوَّلاً إِلٰى رَسَائِلِ النُّورِ، الَّتِي هِيَ لَمَعَاتُ الْإِعْجَازِ الْقُرْآنِيِّ الْمَعْنَوِيِّ، بِمُنَاسَبَةِ كَوْنِهِ فِي هٰذَا الزَّمَانِ؛ وَشَاهَدَ أَنَّ رَسَائِلَهَا الْمِئَةَ وَالثَّلاثِينَ، هِيَ نِكَاتُ الْآيَاتِ الْفُرْقَانِيَّةِ، وَأَنْوَارُهَا وَتَفَاسِيرُهَا الْأَسَاسِيَّةُ؛ وَأَنَّ رِسَالَةَ النُّورِ، قَدْ نَشَرَتِ الْحَقَائِقَ الْقُرْآنِيَّةَ إِلٰى كُلِّ نَاحِيَةٍ، نَشْرَةَ الْمُجَاهِدِ، فِي عَصْرٍ عَنِيدٍ وَمُلْحِدٍ بِهٰذَا الْقَدْرِ؛ مَعَ أَنَّ أَحَداً لَنْ يُعَارِضَهَا؛ فَمِنْ ثَمَّةَ تَثْبُتُ أَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي هُوَ أُسْتَاذُهَا وَمَنْبَعُهَا، وَمَرْجِعُهَا وَشَمْسُهَا، سَمَاوِيٌّ؛ وَلَيْسَ كَلامَ الْبَشَرِ؛ حَتّٰى إِنَّ «الْمَقَالَةَ الْخَامِسَةَ وَالْعِشْرِينَ»، الَّتِي هِيَ حُجَّةٌ قُرْآنِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، لِرِسَالَةِ النُّورِ، مِنْ مِئَاتِ حُجَجِهَا، أَثْبَتَتْ مَعَ آخَرِ «الْمَكْتُوبِ التَّاسِعَ عَشَرَ»: أَنَّ الْقُرْآنَ مُعْجِزٌ بِأَرْبَعِينَ وَجْهاً، بِحَيْثُ إِنَّ مَنْ شَاهَدَ، لَمْ يَنْتَقِدْ وَلَمْ يَعْتَرِضْ؛ بَلْ أَصْبَحَ حَيْرَانَ لِإِثْبَاتِهِمَا؛ فَقَدَّرَهُ فَأَثْنٰى عَلَيْهِ. وَإِنَّهُ أَحَالَ عَلٰى «رِسَالَةِ النُّورِ»، وَجْهَ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، وَجِهَةَ إِثْبَاتِ كَوْنِهِ كَلامَ اللهِ حَقّاً؛ فَتَدَبَّرَ فِي عِدَّةِ نِقَاطٍ دَالَّةٍ عَلٰى عَظَمَتِهِ، بِإِشَارَةٍ مُخْتَصَرَةٍ فَقَطْ..

﴿اَلنُّقْطَةُ الْأُولى :﴾ كمَا أَنَّ الْقُرْآنَ بِجَمِيعِ مُعْجِزَاتِهِ ، وَبِجَمِيعِ حَقَائِقِهِ ، الَّتِي هِيَ دَلَائِلُ عَلى حَقَّانِيَّتِهِ ، هِيَ إِحْدٰى مُعْجِزَاتِ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ «مُحَمَّداً» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) أَيْضاً ، بِجَمِيعِ مُعْجِزَاتِهِ ، وَدَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ ، وَكَمَالَاتِهِ الْعِلْمِيَّةِ ، إِحْدٰى مُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِ ، وَإِحْدٰى حُجَجِهِ الْقَاطِعَةِ ، عَلى أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ أَنَّ الْقُرْآنَ أَحْدَثَ انْقِلَاباً فِي نُفُوسِ النَّاسِ ، وَفِي قُلُوبِهِمْ ، وَفِي أَرْوَاحِهِمْ ، وَفِي عُقُولِهِمْ ، وَفِي حَيَاتِهِمُ الشَّخْصِيَّةِ ، وَفِي حَيَاتِهِمُ الاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَفِي حَيَاتِهِمُ السِّيَاسِيَّةِ ، مَعَ تَبْدِيلِ حَيَاةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ ، فِي صُورَةٍ نَيِّرَةٍ وَسَعِيدَةٍ وَحَقِيقِيَّةٍ ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ؛ وَأَدَامَهُ وَأَدَارَهُ بِحَيْثُ تُتْلى آيَاتُهُ السِّتُّ وَالسِّتُّونَ وَالسِّتُّمِئَةِ والسِّتَّةُ آلَافٍ ، فِي كُلِّ دَقِيقَةٍ ، فِي مُدَّةِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَصْراً ، بِأَلْسِنَةِ أُنَاسٍ أَزْيَدَ مِنْ مِئَةِ مِلْيُونٍ عَلَى الْأَقَلِّ ، بِكَمَالِ الاحْتِرَامِ ؛ وَيُرَبِّي النَّاسَ ؛ وَيُزَكِّي نُفُوسَهُمْ ؛ وَيُصَفِّي قُلُوبَهُمْ ؛ وَيُعْطِي الْأَرْوَاحَ انْكِشَافاً وَتَرَقِّياً ؛ وَالْعُقُولَ اسْتِقَامَةً وَنُوراً ؛ وَالْحَيَاةَ حَيَاةً وَسَعَادَةً ؛ فَلَا مِثْلَ لِكِتَابٍ هٰكَذَا ؛ وَإِنَّهُ خَارِقٌ وَفَائِقٌ عَلَى الْعَادَةِ ، وَمُعْجِزَةٌ قَطْعاً . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ أَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ أَظْهَرَ مِنْ ذٰلِكَ الْعَصْرِ إِلَى الْآنِ ، بَلَاغَةً كَذٰلِكَ ؛ فَنَزَّلَ قَصَائِدَ أَشْهَرِ الْأُدَبَاءِ ، الشَّهِيرَةَ الشِّعَارِ بِاسْمِ «الْمُعَلَّقَاتِ السَّبْعِ» ، الْمَكْتُوبَةِ بِالذَّهَبِ فِي جِدَارِ الْكَعْبَةِ ، إِلى تِلْكَ الدَّرَجَةِ بِحَيْثُ قَالَتْ بِنْتُ لَبِيدٍ ، إِذْ كَانَتْ تُنَزِّلُ قَصِيدَةَ أَبِيهَا عَنِ الْكَعْبَةِ : لَمْ تَبْقَ قِيمَةُ هٰذِهِ ، أَمَامَ الْآيَاتِ . وَكَذَا أَنَّ أَدِيباً بَدَوِيّاً هَوٰى إِلَى السُّجُودِ ، إِذْ سَمِعَ آيَةَ : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ وَهِيَ تُتْلى ؛ فَقَالُوا لَهُ : هَلْ أَسْلَمْتَ ؟ قَالَ : لَا ؛ وَلٰكِنْ سَجَدْتُ لِبَلَاغَةِ هٰذِهِ الْآيَةِ . وَأَيْضاً أَنَّ آلَافَ الْأَئِمَّةِ الدُّهَاةِ ، وَالْأُدَبَاءِ الْمُتَفَنِّنِينَ ، مِثْلَ «عَبْدِ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيِّ وَالسَّكَّاكِيِّ وَالزَّمَخْشَرِيِّ» ، مِنْ دُهَاةِ عِلْمِ الْبَلَاغَةِ ، أَقَرُّوا بِالْإِجْمَاعِ وَالاتِّفَاقِ : بِأَنَّ بَلَاغَةَ الْقُرْآنِ ، فَوْقَ طَاقَةِ الْبَشَرِ ، لَا تُدْرَكُ . وَكَذَا أَنَّهُ يَدْعُو إِلى مَيْدَانِ الْمُعَارَضَةِ مُتَمَادِياً ، مُنْذُ ذٰلِكَ الزَّمَانِ ؛ فَيَطْعَنُ فِي أَعْصَابِ الْأُدَبَاءِ وَالْبُلَغَاءِ الْمَغْرُورِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ ؛ فَيَقُولُ عَلى وَجْهٍ يَكْسِرُ غُرُورَهُمْ : إِمَّا أَنْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ؛ وَإِمَّا أَنْ تَقْبَلُوا الْهَلَاكَ وَالذُّلَّ فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ: هٰكَذَا يُعْلِنُ؛ مَعَ أَنَّ بُلَغَاءَ ذٰلِكَ الْعَصْرِ الْمُعَانِدِينَ، تَرَكُوا الْمُعَارَضَةَ الَّتِي هِيَ طَرِيقٌ قَصِيرٌ، بِإِتْيَانِ سُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ؛ فَاخْتَارُوا طَرِيقَ الْمُحَارَبَةِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي تُلْقِي بِأَرْوَاحِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ؛ فَيُثْبِتُ ذٰلِكَ، أَنَّ السُّلُوكَ فِي ذٰلِكَ الطَّرِيقِ لَيْسَ مُمْكِناً. وَأَيْضاً أَنَّ مَلَايِينَ الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ، الَّتِي كَتَبَهَا أَصْدِقَاءُ الْقُرْآنِ، بِشَوْقِ التَّشَبُّهِ وَالتَّقْلِيدِ بِالْقُرْآنِ، وَأَعْدَاؤُهُ أَيْضاً، بِسَوْقِ الْمُعَارَضَةِ وَالِانْتِقَادِ عَلَى الْقُرْآنِ؛ وَتُكْتَبُ وَتَتَرَقّٰى بِتَلَاحُقِ الْأَفْكَارِ مُنْذُ ذٰلِكَ الْوَقْتِ، تَسِيرُ فِي الْمَيْدَانِ؛ فَلَا يَبْلُغُ أَحَدُهَا الْقُرْآنَ؛ حَتّٰى إِنَّ أَدْنَى الْعَامِّيِّ أَيْضاً، إِذَا اسْتَمَعَ؛ يَقُولُ قَطْعاً: إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ لَا يُشْبِهُ هٰؤُلَاءِ؛ وَلَيْسَ فِي مَرْتَبَتِهَا؛ فَإِمَّا يَكُونُ دُونَهَا، أَوْ فَوْقَ جَمِيعِهَا. فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ أَيُّ فَرْدٍ وَأَيُّ كَافِرٍ، بَلْ وَأَيُّ أَحْمَقَ فِي الدُّنْيَا: إِنَّهُ دُونَ الْجَمِيعِ. إِذاً فَإِنَّ مَرْتَبَةَ بَلَاغَتِهِ فَوْقَ الْجَمِيعِ؛ حَتّٰى إِنَّ رَجُلاً قَرَأَ آيَةَ: ﴿سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَرٰى بَلَاغَةَ هٰذِهِ الْآيَةِ الَّتِي تُتَلَقّٰى خَارِقَةً؛ فَقِيلَ لَهُ: فَاذْهَبْ أَنْتَ أَيْضاً مِثْلَ هٰذَا السَّيَّاحِ، إِلٰى ذٰلِكَ الزَّمَانِ؛ فَاسْتَمِعْ هُنَاكَ. فَشَاهَدَ إِذْ تَخَيَّلَ نَفْسَهُ هُنَاكَ مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ: أَنَّ مَوْجُودَاتِ الْعَالَمِ تُوجَدُ فِي فَضَاءٍ خَالِيَةٍ بِلَا حَدٍّ وَلَا حُدُودٍ، وَفِي دُنْيَا فَانِيَةٍ بِغَيْرِ قَرَارٍ، وَهِيَ مُخْتَلَّةٌ مُظْلِمَةٌ جَامِدَةٌ بِدُونِ شُعُورٍ، وَبِغَيْرِ وَظِيفَةٍ؛ فَإِذَا بِهِ سَمِعَ هٰذِهِ الْآيَةَ مِنْ لِسَانِ الْقُرْآنِ؛ فَرَأٰى أَنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ، كَشَفَتْ حِجَاباً فَوْقَ الْكَائِنَاتِ، وَفِي وَجْهِ الدُّنْيَا؛ وَأَضَاءَتْهَا؛ فَإِنَّ هٰذَا الْخِطَابَ الْأَزَلِيَّ، وَهٰذَا الْعَهْدَ السَّرْمَدِيَّ، يُدَرِّسُ ذَوِي الشُّعُورِ، الْمُنْتَظِمِينَ فِي صُفُوفِ الْأَعْصَارِ؛ فَيُظْهِرُ أَنَّ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ، فِي حُكْمِ جَامِعٍ كَبِيرٍ؛ وَأَنَّ جَمِيعَ مَخْلُوقَاتِهَا، وَفِي الْمُقَدَّمَةِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، هِيَ فِي الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ، وَعِنْدَ رَأْسِ الْوَظِيفَةِ الْحَيَوِيَّةِ؛ فَيَضَعُهَا فِي وَضْعٍ مَسْعُودٍ وَمَسْرُورٍ بِالْوَجْدِ وَالْجَيَشَانِ: هٰكَذَا شَاهَدَ؛ وَذَاقَ دَرَجَةً مِنْ بَلَاغَةِ هٰذِهِ الْآيَةِ؛ فَفَهِمَ بِقِيَاسِ سَائِرِ الْآيَاتِ عَلٰى هٰذِهِ، حِكْمَةً وَاحِدَةً، مِنْ آلَافِ حِكَمِ إِدَامَةِ حَشْمَةِ سَلْطَنَةِ الْقُرْآنِ، بِكَمَالِ الِاحْتِرَامِ، أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَصْراً بِلَا فَاصِلَةٍ، مُسْتَوْلِيَةً زَمْزَمَةُ بَلَاغَتِهِ، عَلٰى نِصْفِ الْأَرْضِ، وَخُمُسِ نَوْعِ الْبَشَرِ..

﴿اَلنُّقْطَةُ الرَّابِعَةُ:﴾ أَنَّ الْقُرْآنَ أَظْهَرَ حَلَاوَةً ذَاتَ حَقِيقَةٍ، بِحَيْثُ لَا يَكُونُ التَّكْرَارُ

الْكَثِيرُ الَّذِي يُمِلُّ عَنْ أَحْلَى شَيْءٍ أَيْضاً ، مَلَلاً لِمَنْ يَتْلُونَ الْقُرْآنَ ؛ بَلْ إِنَّ تَكْرَارَ تِلاوَتِهِ يَزِيدُ فِي حَلاوَتِهِ ، لِمَنْ لَمْ يَفْسَخْ قَلْبُهُ ؛ وَلَمْ يَفْسُدْ ذَوْقُهُ ؛ وَذٰلِكَ مُسَلَّمٌ حَسَبَ كُلِّ أَحَدٍ ؛ فَسَارَ فِي حُكْمِ ضَرْبِ الْمَثَلِ ، مُنْذُ الزَّمَانِ الْقَدِيمِ . وَأَيْضاً أَنَّهُ أَبْدَى طَرَاوَةً وَحَدَاثَةً ، وَشَبَابَةً وَغَرَابَةً ؛ فَعَاشَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَصْراً ؛ وَيَقَعُ بِيَدِ كُلِّ أَحَدٍ بِسُهُولَةٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ يُحَافِظُ عَلَى طَرَاوَتِهِ كَأَنَّهُ نَزَلَ الْآنَ ؛ وَوَجَدَهُ كُلُّ عَصْرٍ فِي شَبَابَةٍ كَأَنَّهُ يُخَاطِبُهُ ؛ وَأَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ عِلْمِيَّةٍ ، تَقْتَنِيهِ لَدَيْهَا بِكَثْرَةٍ وَابْتِذَالٍ ، لِلاسْتِفَادَةِ مِنْهُ كُلَّ وَقْتٍ ؛ وَتَتَبَّعُ أُسْلُوبَ إِفَادَتِهِ ؛ وَتَقْتَدِي بِهِ ؛ مَعَ أَنَّهُ يُحَافِظُ عَلَى مَا فِي أُسْلُوبِهِ وَطَرْزِ بَيَانِهِ ذٰلِكَ ، مِنْ غَرَابَتِهِ بِعَيْنِهَا . .

﴿اَلْخَامِسَةُ :﴾ كَمَا أَنَّ أَحَدَ جَنَاحِ الْقُرْآنِ ، فِي الْمَاضِي ؛ وَأَحَدَ جَنَاحِهِ ، فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ وَأَنَّ جِذْرَهُ وَأَحَدَ جَنَاحِهِ ، هُوَ حَقَائِقُ الْأَنْبِيَاءِ السَّالِفِينَ ، ذَاتُ الِاتِّفَاقِ ؛ وَأَنَّ هٰذَا يُصَدِّقُ أُولٰئِكَ ؛ وَيُؤَيِّدُهُمْ ؛ وَأَنَّ أُولٰئِكَ أَيْضاً ، يُصَدِّقُونَ هٰذَا ، بِلِسَانِ حَالِ التَّوَافُقِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ ثَمَرَاتِهِ الَّتِي تَلَقَّتْ مِنْهُ الْحَيَاةَ ، مِثْلَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ ، وَالَّتِي تَدُلُّ بِتَكَمُّلاتِهَا الْحَيَوِيَّةِ ، عَلَى أَنَّ شَجَرَتَهَا الْمُبَارَكَةَ ، هِيَ ذَاتُ الْحَيَاةِ ، وَذَاتُ الْفَيْضِ ، وَمَدَارُ الْحَقِيقَةِ ؛ وَإِنَّ جَمِيعَ طُرُقِ الْوِلَايَةِ الْحَقَّةِ ، وَجَمِيعَ الْعُلُومِ الْإِسْلامِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ ، الَّتِي تَنْضُجُ وَتَعِيشُ تَحْتَ جَنَاحِهِ الثَّانِي ، تَشْهَدُ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ ، عَيْنُ الْحَقِّ ، وَمَجْمَعُ الْحَقَائِقِ ، وَخَارِقَةٌ بِلا مِثْلٍ فِي الْجَامِعِيَّةِ . .

﴿اَلسَّادِسَةُ :﴾ أَنَّ جِهَاتِ الْقُرْآنِ السِّتَّ ، نَيِّرَةٌ ، تُظْهِرُ الصِّدْقَ وَالْحَقَّانِيَّةَ . . نَعَمْ : إِنَّ تَحْتَهُ أَعْمِدَةَ الْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ ؛ وَفَوْقَهُ لَمَعَاتُ سِكَّةِ الْإِعْجَازِ ؛ وَأَمَامَهُ وَفِي هَدَفِهِ هَدَايَا سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ ؛ وَخَلْفَهُ نُقْطَةُ اسْتِنَادِهِ ، هِيَ حَقَائِقُ الْوَحْيِ السَّمَاوِيِّ ؛ وَيَمِينُهُ تَصْدِيقُ الْعُقُولِ الْمُسْتَقِيمَةِ بِلا حَدٍّ بِالدَّلائِلِ ؛ وَشِمَالُهُ اطْمِئْنَانُ الْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ ، وَالضَّمَائِرِ النَّقِيَّةِ ، اطْمِئْنَانُهَا الْجِدِّيُّ ، وَانْجِذَابُهَا وَتَسْلِيمُهَا الصَّمِيمِيُّ ، تُثْبِتُ أَنَّ الْقُرْآنَ قَلْعَةٌ سَمَاوِيَّةٌ أَرْضِيَّةٌ لا تُهَاجَمُ ، مَتِينَةٌ خَارِقَةٌ فَوْقَ الْعَادَةِ ؛ كَمَا أَنَّ مُتَصَرِّفَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، الَّذِي يُوَقِّعُ مِنَ الْمَقَامَاتِ السِّتَّةِ أَيْضاً ، عَلَى أَنَّهُ صَادِقٌ وَعَيْنُ الْحَقِّ ؛ وَأَنَّهُ لَيْسَ كَلامَ الْبَشَرِ ؛ وَلَيْسَ خَطَأً ، الَّذِي اتَّخَذَ عَادَةَ إِظْهَارِ الْحُسْنِ ، وَاحْتِمَاءِ الْخَيْرِ وَالصِّدْقِ ، وَإِهْلاكِ الْمُحْتَالِينَ ، وَاقْتِلاعِ الْمُفْتَرِينَ ، دُسْتُورَ فَعَّالِيَّةٍ

فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ دَائِماً ، يُصدِّقُ هُوَ أَوَّلاً ، ذٰلِكَ الْقُرْآنَ ؛ وَيُوَقِّعُ عَلَيْهِ ، بِمَنْحِهِ إِيَّاهُ أَعْلىٰ مَقَامِ احْتِرَامٍ ، وَمَرْتَبَةِ نَجَاحٍ ، وَأَزْيَدَهُ قَبُولاً ، وَأَرْجَحَهُ حُكْماً ؛ كَمَا أَنَّ اعْتِقَادَ الْجَنَابِ الَّذِي هُوَ مَنْبَعُ الْإِسْلاَمِ ، وَتَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ، وَاحْتِرَامَهُ لَهُ أَزْيَدَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، وَوُجُودَهُ فِي وَضْعٍ شَبِيهٍ بِالنَّوْمِ ، فِي زَمَنِ نُزُولِهِ ، وَعَدَمَ إِدْرَاكِ سَائِرِ كَلاَمِهِ إِلَيْهِ ، وَعَدَمَ مُشَابَهَتِهِ بِهِ بِدَرَجَةٍ مَّا ، وَتَبْيِينَهُ بِالْقُرْآنِ دُونَ تَرَدُّدٍ وَبِاطْمِئْنَانٍ ، عَلىٰ وَجْهِ الْغَيْبِ ، لِلْحَادِثَاتِ الْكَوْنِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ الْمَاضِيَةِ وَالْآتِيَةِ ، مَعَ أُمِّيَّتِهِ ، وَإِيمَانَ ذٰلِكَ التَّرْجُمَانِ ، وَتَصْدِيقَهُ بِكُلِّ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ ، بِجَمِيعِ قُوَّتِهِ ، الَّذِي لَمْ يُشَاهَدْ لَهُ أَيَّةُ حِيلَةٍ وَأَيُّ حَالَةٍ خَاطِئَةٍ أَصْلاً ، تَحْتَ نَظَرِ الْأَبْصَارِ الدَّقِيقَةِ جِدّاً ، وَعَدَمَ هَزِّ شَيْءٍ إِيَّاهُ أَصْلاً ، تُوَقِّعُ عَلىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ سَمَاوِيٌّ وَحَقَّانِيٌّ ؛ وَأَنَّهُ كَلاَمُ خَالِقِهِ الرَّحِيمِ ، ذٰلِكَ الْكَلاَمُ الْمُبَارَكُ .. وَأَيْضاً أَنَّ ارْتِبَاطَ خُمُسِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، بَلْ قِسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، عَلىٰ وَجْهِ الاِنْجِذَابِ وَالتَّدَيُّنِ بِذٰلِكَ الْقُرْآنِ أَمَامَ الْعَيْنِ ؛ وَإِصْغَاءَهُ إِلَيْهِ عَلىٰ وَجْهِ الاِشْتِيَاقِ وَالْتِزَامِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَاجْتِمَاعَ الْجِنِّ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالرُّوحَانِيِّينَ أَيْضاً ، حَوْلَهُ ، عَلىٰ وَجْهِ الْمُوَالاَةِ لِلْحَقِّ ، مِثْلَ الْفَرَاشِ ، بِشَهَادَةِ أَمَارَاتٍ وَوَقَائِعَ وَكَشْفِيَّاتٍ ، تِلْكَ تَوْقِيعَةٌ عَلىٰ كَوْنِ الْقُرْآنِ مَقْبُولاً لَدَى الْكَائِنَاتِ ، وَفِي مَقَامٍ أَسْمىٰ . وَإِنَّ اسْتِفَادَةَ كُلِّ أَحَدٍ ، مِنْ أَدْنَى الْغَبِيِّ وَالْعَامِّيِّ ، إِلىٰ أَعْلَى الْعَالِمِ وَالذَّكِيِّ ، مِنْ جَمِيعِ طَبَقَاتِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، الْحِصَّةَ الْكَامِلَةَ ؛ وَفَهْمَهُمْ لِلْحَقَائِقِ الْغَامِضَةِ ، عَنْ دَرْسِ الْقُرْآنِ ؛ وَاسْتِخْرَاجَ كُلِّ طَائِفَةٍ ، مِثْلِ عُلَمَاءِ الْفُنُونِ وَالْعُلُومِ الْإِسْلاَمِيَّةِ بِالْمِئَاتِ ، وَلاَسِيَّمَا عُظَمَاءِ مُجْتَهِدِي الشَّرِيعَةِ الْكُبْرىٰ ، وَدُهَاةِ مُحَقِّقِي أُصُولِ الدِّينِ وَعِلْمِ الْكَلاَمِ ، جَمِيعَ حَاجَاتِهِمْ وَأَجْوِبَتِهِمْ الْعَائِدَةِ إِلىٰ عُلُومِهِمْ ، عَنِ الْقُرْآنِ ، تِلْكَ تَوْقِيعَةٌ عَلىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ مَنْبَعُ الْحَقِّ ، وَمَعْدِنُ الْحَقِيقَةِ . وَإِنَّ اسْتِنْكَافَ أُدَبَاءِ الْعَرَبِ الْأَسْبَقِينَ أَدَباً ، الَّذِينَ لَمْ يَدْخُلُوا الْإِسْلاَمَ ، عَنْ إِتْيَانِ سُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، بِمِثْلِ بَلاَغَتِهِ الَّتِي هِيَ وَجْهٌ وَاحِدٌ فَقَطْ ، مِنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، مَعَ كَوْنِهِمْ مُحْتَاجِينَ كَثِيراً جِدّاً إِلَى الْمُعَارَضَةِ إِلَى الْآنِ ؛ وَقَدْ كَانَ لَهُ سَبْعَةُ أَوْجُهٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْإِعْجَازِ ؛ وَعَدَمَ مُعَارَضَةِ مَشَاهِيرِ الْبُلَغَاءِ وَدُهَاةِ الْعُلَمَاءِ ، الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى الْآنِ ؛ وَأَرَادُوا كَسْبَ الشُّهْرَةِ بِالْمُعَارَضَةِ ؛ وَسُكُوتَهُمْ عَلىٰ وَجْهِ الْعَجْزِ ، أَمَامَ أَيِّ وَجْهٍ مِنْ

وُجُوهِ إِعْجَازِهِ ، هِيَ تَوْقِيعَةٌ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مُعْجِزَةٌ ، وَفَوْقَ طَاقَةِ الْبَشَرِ . **نَعَمْ** : إِنَّ الْقُرْآنَ لَا يُمْكِنُ مِثْلُهُ ؛ وَلَا يُمْكِنُ إِدْرَاكُهُ ، مِنْ نُقْطَةِ أَنَّ كَلَاماً مَّا تَتَظَاهَرُ قِيمَتُهُ وَعُلُوُّهُ وَبَلَاغَتُهُ ، بِكَوْنِهِ مِمَّنْ وَرَدَ ؛ وَإِلَى مَنْ وَرَدَ ؛ وَلِمَاذَا قِيلَ ؟ وَذٰلِكَ لِأَنَّ الْقُرْآنَ خِطَابُ رَبِّ جَمِيعِ الْعَوَالِمِ ، وَكَلَامُ خَالِقِهَا ، وَمُكَالَمَةٌ لَهُ ، لَا تُوجَدُ لَهَا أَمَارَةٌ تُشْعِرُ بِالتَّقْلِيدِ وَالتَّصَنُّعِ فِي أَيَّةِ جِهَةٍ ؛ وَأَنَّ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ ، الَّذِي لَهُ مُخَاطَبٌ مَبْعُوثٌ بِاسْمِ جَمِيعِ النَّاسِ ، بَلْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَأَشْهَرُ نَوْعِ الْبَشَرِ وَأَعْرَفُهُمْ ؛ وَنَزَلَ بِمَظْهَرِيَّةِ ذٰلِكَ الْمُخَاطَبِ ، لِكَوْنِهِ مُخَاطَباً صَمَدَانِيّاً رَشَحَتْ قُوَّةُ إِيمَانِهِ ، وَسَعَتُهُ ، بِالْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ ؛ فَعَرَجَ بِصَاحِبِهِ إِلَى مَقَامِ **«قَابَ قَوْسَيْنِ»** ؛ وَيُبَيِّنُ الْمَسَائِلَ الدَّائِرَةَ حَوْلَ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ ، وَالْعَائِدَةَ إِلَى نَتَائِجِ خِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ ، وَإِلَى الْمَقَاصِدِ الرَّبَّانِيَّةِ الَّتِي فِيهَا ؛ وَيُوضِحُ إِيمَانَ ذٰلِكَ الْمُخَاطَبِ ، الْأَوْسَعَ وَالْأَعْلَى ، الْمُتَضَمِّنَ لِجَمِيعِ الْحَقَائِقِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ وَيُظْهِرُ كُلَّ جَوَانِبِ الْكَائِنَاتِ الْعَظِيمَةِ ؛ فَيُحَوِّلُهَا كَخَرِيطَةٍ وَسَاعَةٍ وَبِنَايَةٍ ؛ وَيُفِيدُهَا وَيُعَلِّمُهَا بِطَوْرِ صَانِعِهَا الَّذِي خَلَقَهَا ؛ فَلَا مِرْيَةَ أَنَّ الْإِتْيَانَ بِمِثْلِهِ لَيْسَ مُمْكِناً ؛ وَلَا تُدْرَكُ دَرَجَةُ إِعْجَازِهِ .

وَأَيْضاً أَنَّ إِظْهَارَ الْعُلَمَاءِ الْمُتَفَنِّنِينَ بِالْآلَافِ ، الْمُدَقِّقِينَ الْغُلَاةِ الذَّكَاءِ ، الَّذِينَ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ ؛ وَأَلَّفَ قِسْمٌ مِنْهُمُ التَّفْسِيرَ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِينَ ، حَتَّى سَبْعِينَ جِلْداً ؛ وَإِثْبَاتَهُمْ مَا فِي الْقُرْآنِ ، مِمَّا لَا حَدَّ لَهُ مِنَ الْمَزَايَا وَالنُّكَاتِ ، وَالْخَوَاصِّ وَالْأَسْرَارِ ، وَالْمَعَانِي الْعَالِيَةِ ، وَالْأَخْبَارِ الْغَيْبِيَّةِ الْكَثِيرَةِ ، مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ ، الَّتِي بَيَّنُوهَا بِأَسَانِيدِهِمْ وَدَلَائِلِهِمْ ؛ وَخَاصَّةً إِثْبَاتَ كُلِّ وَاحِدٍ ، مِنْ مِئَةٍ وَثَلَاثِينَ كِتَاباً مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، لِمَزِيَّةٍ وَلِنُكْتَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، بِالْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ ؛ وَخَاصَّةً إِظْهَارَ كُلِّ جُزْءٍ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، لِحَقِيقَةٍ وَلِنُورٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، مِثْلِ رِسَالَةِ «الْمُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ» ، وَالْمَقَامِ الثَّانِي مِنَ «الْمَقَالَةِ الْعِشْرِينَ» ، الَّذِي اسْتَخْرَجَ مِنَ الْقُرْآنِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ خَوَارِقِ الْمَدَنِيَّةِ ، مِثْلِ الْقِطَارِ وَالطَّائِرَةِ ، وَالشُّعَاعِ الْأَوَّلِ الْمُسَمَّى «بِالْإِشَارَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ» ، الَّتِي بَيَّنَتْ إِشَارَاتِ الْآيَاتِ الْمُشِيرَةِ إِلَى رِسَالَةِ النُّورِ ، وَإِلَى الْكَهْرَبَاءِ ، وَالرَّسَائِلِ الثَّمَانِي الصَّغِيرَةِ الْمُسَمَّاةِ «بِالرُّمُوزَاتِ الثَّمَانِيَةِ» ، الَّتِي أَظْهَرَتْ مَدَى كَوْنِ الْحُرُوفِ الْقُرْآنِيَّةِ مُنْتَظَمَةً وَذَاتَ أَسْرَارٍ وَمَعَانٍ ، وَرِسَالَةٍ صَغِيرَةٍ تُثْبِتُ إِعْجَازَ الْآيَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ سُورَةِ «الْفَتْحِ» ،

فِي جِهَةِ كَوْنِهَا إِخْبَاراً غَيْبِيّاً بِخَمْسَةِ وُجُوهٍ ، هِيَ تَوْقِيعَةٌ عَلٰى أَنَّ الْقُرْآنَ لا مِثْلَ لَهُ ؛ وَأَنَّهُ مُعْجِزَةٌ وَخَارِقَةٌ ؛ وَأَنَّهُ لِسَانُ عَالَمِ الْغَيْبِ ، فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ هٰذَا ؛ وَأَنَّهُ كَلَامُ عَلّامٍ بِالْغُيُوبِ . .

هٰذَا ؛ فَلِأَجْلِ مَزَايَا الْقُرْآنِ ، وَخَوَاصِّهِ الْمَذْكُورَةِ ، الْمُشَارِ إِلَيْهَا ، فِي النِّقَاطِ السِّتِّ ، وَالْجِهَاتِ السِّتِّ ، وَالْمَقَامَاتِ السِّتَّةِ ، أَضَاءَتْ حَاكِمِيَّتُهُ النُّورَانِيَّةُ الْمُحْتَشِمَةُ ، وَسَلْطَنَتُهُ الْقُدُسِيَّةُ الْعَظِيمَةُ ، وُجُوهَ الْأَعْصَارِ ؛ وَأَنَارَتْ وَجْهَ الْأَرْضِ أَيْضاً ؛ فَدَامَتْ بِكَمَالِ الاحْتِرَامِ ، ثَلاثَمِئَةٍ وَأَلْفَ سَنَةٍ ؛ وَلِأَجْلِ خَاصِّيَّاتِهِ تِلْكَ أَيْضاً ، فَازَ بِامْتِيَازَاتٍ قُدُسِيَّةٍ ، مِثْلِ كَيْنُونَةِ كُلِّ حَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، عَشْرَ مَثُوبَاتٍ ، وَعَشْرَ حَسَنَاتٍ ؛ وَإِيتَائِهَا عَشْرَ ثَمَرَاتٍ بَاقِيَةٍ عَلَى الْأَقَلِّ ؛ حَتّٰى إِنَّ قِسْماً مِنَ الْآيَاتِ وَالسُّوَرِ ، يُثْمِرُ كُلُّ حَرْفٍ مِنْهَا ، مِئَةَ ثَمَرَةٍ ، وَأَلْفاً وَأَكْثَرَ ؛ وَإِنَّ نُورَ كُلِّ حَرْفٍ ، وَثَوَابَهُ وَقِيمَتَهُ ، يَطْلَعُ مِنَ الْعَشَرَةِ إِلَى الْمِئَاتِ فِي الْأَوْقَاتِ الْمُبَارَكَةِ . هٰكَذَا فَهِمَ سَيَّاحُ الدُّنْيَا ؛ وَقَالَ لِقَلْبِهِ : فَإِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ ذَا الْمُعْجِزَاتِ بِكُلِّ جِهَةٍ هٰكَذَا ، قَدْ شَهِدَ فِي صُورَةِ الْإِثْبَاتِ بِالدَّلائِلِ ، عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِ وَاجِبِ وُجُودٍ ، وَاحِدٍ أَحَدٍ ، وَعَلٰى وَحْدَتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ ، بِإِجْمَاعِ سُوَرِهِ ، وَبِاتِّفَاقِ آيَاتِهِ ، وَبِتَوَافُقِ أَسْرَارِهِ وَأَنْوَارِهِ ، وَبِتَطَابُقِ ثَمَرَاتِهِ وَآثَارِهِ ؛ فَتَرَشَّحَتْ مَا لا حَدَّ لَهَا مِنْ شَهَادَاتِ جَمِيعِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، مِنْ شَهَادَتِهِ . .

هٰذَا ؛ فَقِيلَ فِي الْمَرْتَبَةِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ، إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً إِلٰى دَرْسِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ الَّذِي تَلَقَّاهُ هٰذَا الْمُسَافِرُ عَنِ الْقُرْآنِ ، هٰكَذَا : ﴿ لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ ، الْمَقْبُولُ الْمَرْغُوبُ لِأَجْنَاسِ الْمَلَكِ وَالْإِنْسِ وَالْجَانِّ ، الْمَقْرُوءُ كُلُّ آيَاتِهِ فِي كُلِّ دَقِيقَةٍ بِكَمَالِ الاحْتِرَامِ ، بِأَلْسِنَةِ مِئَاتِ مِلْيُونٍ مِنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، الدَّائِمُ سَلْطَنَتُهُ الْقُدُسِيَّةُ عَلٰى أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَالْأَكْوَانِ وَعَلٰى وُجُوهِ الْأَعْصَارِ وَالْأَزْمَانِ ، وَالْجَارِي حَاكِمِيَّتُهُ الْمَعْنَوِيَّةُ النُّورَانِيَّةُ عَلٰى نِصْفِ الْأَرْضِ ، وَخُمُسِ الْبَشَرِ ، فِي أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَصْراً بِكَمَالِ الاحْتِشَامِ ؛ وَكَذَا شَهِدَ وَبَرْهَنَ بِإِجْمَاعِ سُوَرِهِ الْقُدُسِيَّةِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَبِاتِّفَاقِ آيَاتِهِ النُّورَانِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَبِتَوَافُقِ أَسْرَارِهِ وَأَنْوَارِهِ ، وَبِتَطَابُقِ حَقَائِقِهِ وَثَمَرَاتِهِ وَآثَارِهِ بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْعِيَانِ ﴾ . .

ثُمَّ إِنَّ الْمُسَافِرَ الْمَذْكُورَ وَسَيَّاحَ الْحَيَاةِ ، الَّذِي عَلِمَ أَنَّ الْإِيمَانَ أَقْوَمُ رَأْسِ الْمَالِ الْإِنْسَانِيِّ ، الَّذِي لَا يَفُوزُ لِإِنْسَانٍ فَقِيرٍ بِمَزْرَعَةٍ وَدَارٍ فَانِيَةٍ وَمُؤَقَّتَةٍ ، بَلْ بِالْكَائِنَاتِ الْعَظِيمَةِ ، وَبِمُلْكٍ بَاقٍ بِقَدَرِ الدُّنْيَا ؛ وَيُحَصِّلُ لِامْرِئٍ فَانٍ لَوَازِمَ حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ ؛ وَيُنْقِذُ بَائِساً مُنْتَظِراً لِمِشْنَقِ الْأَجَلِ ، عَنِ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ؛ وَيَفْتَحُ خَزِينَةَ السَّعَادَةِ السَّرْمَدِيَّةِ ، قَالَ لِنَفْسِهِ : عَلَيْكِ بِالْأَمَامِ ؛ فَلْنُرَاجِعْ مَجْمُوعَةَ هَيْئَةِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَلْنَسْتَمِعْ مَاذَا تَقُولُ هِيَ ، لِتَحْصِيلِ مَرْتَبَةٍ أُخْرَى مِنْ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ ، الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَلْنُكَمِّلْ وَنُنَوِّرِ الدُّرُوسَ الَّتِي تَلَقَّيْنَاهَا مِنْ أَرْكَانِهَا وَأَجْزَائِهَا ؛ فَنَظَرَ بِنَظَّارَةٍ وَاسِعَةٍ وَمُحِيطَةٍ اسْتَفَادَهَا مِنَ الْقُرْآنِ ؛ فَشَاهَدَ : أَنَّ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ مُفِيدَةٌ وَمُنْتَظِمَةٌ ، بِحَيْثُ تُشَاهَدُ فِي صُورَةِ كِتَابٍ مُجَسَّمٍ سُبْحَانِيٍّ ، وَقُرْآنٍ جِسْمَانِيٍّ رَبَّانِيٍّ ، وَقَصْرٍ مُزَيَّنٍ صَمَدَانِيٍّ ، وَبَلَدٍ مُنْتَظِمٍ رَحْمَانِيٍّ ؛ وَأَنَّ جَمِيعَ سُوَرِ ذٰلِكَ الْكِتَابِ ، وَآيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ ، حَتَّى حُرُوفِهِ وَأَبْوَابِهِ وَفُصُولِهِ ، وَصُحُفِهِ وَسُطُورِهِ ، وَمَحْوَ عُمُومِهَا وَإِثْبَاتَهَا كُلَّ وَقْتٍ دَالّاً عَلَى الْمَعْنَى ، وَتَغْيِيرَهَا وَتَحْوِيلَهَا عَلَى وَجْهِ الْحِكْمَةِ ، تُفِيدُ بِالْبَدَاهَةِ ، وُجُودَ مُصَنِّفٍ وَعَلِيمٍ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَقَدِيرٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَتُفِيدُ بِالْإِجْمَاعِ ، تَحَقُّقَ نَقَّاشٍ ذِي جَلَالٍ ، وَكَاتِبٍ ذِي كَمَالٍ ، يَرَى كُلَّ شَيْءٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَيَعْلَمُ مُنَاسَبَاتِ كُلِّ شَيْءٍ بِكُلِّ شَيْءٍ ؛ وَيُرَاعِيهَا ؛ كَمَا أَنَّهَا بِجَمِيعِ أَرْكَانِهَا وَأَنْوَاعِهَا ، وَبِأَجْزَائِهَا وَجُزْئِيَّاتِهَا ، وَبِسُكَّانِهَا وَمُشْتَمَلَاتِهَا ، وَبِمَوَارِدِهَا وَمَصَارِفِهَا ، وَبِمَا فِيهَا مِنْ تَبْدِيلَاتِهَا ذَاتِ الْمَصَالِحِ ، وَتَجْدِيدَاتِهَا ذَاتِ الْحِكَمِ ، تُعْلِنُ بِالْاتِّفَاقِ ، وُجُودَ وَوَحْدَةَ بَانٍ عَالٍ ، وَصَانِعٍ بِلَا مِثْلٍ ، يُؤَدِّي الْعَمَلَ بِقُدْرَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ، وَبِحِكْمَةٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا . وَإِنَّ شَهَادَةَ حَقِيقَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ وَاسِعَتَيْنِ وَمُنَاسِبَتَيْنِ بِعَظَمَةِ الْكَائِنَاتِ ، تُثْبِتُ شَهَادَةَ الْكَائِنَاتِ هٰذِهِ الْعَظِيمَةَ . .

﴿اَلْحَقِيقَةُ الْأُولَى :﴾ هِيَ حَقِيقَةُ الْحُدُوثِ وَالْإِمْكَانِ ، الَّتِي رَآهَا دُهَاةُ عُلَمَاءِ أُصُولِ الدِّينِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ ، وَالْحُكَمَاءُ الْإِسْلَامِيُّونَ ؛ وَأَثْبَتُوهَا بِبَرَاهِينَ لَا حَدَّ لَهَا . وَإِنَّهُمْ قَالُوا : «إِذَا كَانَ فِي الْعَالَمِ ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ ، تَغَيُّرٌ وَتَبَدُّلٌ ؛ فَهُوَ فَانٍ وَحَادِثٌ ، لَا يَكُونُ قَدِيماً قَطْعاً ؛ وَإِذَا كَانَ حَادِثاً ؛ فَلَهُ صَانِعٌ أَحْدَثَهُ قَطْعاً ؛ وَإِذَا كَانَ وُجُودُ كُلِّ شَيْءٍ وَعَدَمُهُ مُتَسَاوِيَيْنِ فِي ذَاتِهِمَا ، إِذَا لَمْ يُوجَدْ سَبَبٌ مَّا ؛ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ وَاجِباً وَأَزَلِيّاً قَطْعاً ؛ وَإِذَا كَانَ إِيجَادُ بَعْضِهَا بَعْضاً

بِالدَّوْرِ وَالتَّسَلْسُلِ الْمُحَالَيْنِ وَالْبَاطِلَيْنِ ، قَدْ أُثْبِتَ بِبَرَاهِينَ قَاطِعَةٍ ، أَنَّهُ لَيْسَ مُمْكِناً ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ وَاجِبِ وُجُودٍ ، يَكُونُ نَظِيرُهُ مُمْتَنِعاً ؛ وَمِثْلُهُ مُحَالاً ؛ وَجَمِيعُ مَا عَدَاهُ مُمْكِناً ؛ وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقَهُ» . .

نَعَمْ : إِنَّ حَقِيقَةَ الْحُدُوثِ اسْتَوْلَتْ عَلَى الْكَائِنَاتِ ، يَرَى الْبَصَرُ أَكْثَرَهَا ؛ وَيَرَى الْعَقْلُ قِسْمَهَا الْآخَرَ ؛ لِأَنَّ عَالَماً كَذٰلِكَ يُتَوَفّٰى أَمَامَ أَبْصَارِنَا كُلَّ سَنَةٍ ، فِي مَوْسِمِ الْخَرِيفِ ؛ فَيُتَوَفّٰى مَعَ ذٰلِكَ الْعَالَمِ ، مِئَةُ أَلْفِ نَوْعٍ مِنَ النَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ الصِّغَارِ ، الَّتِي يُوجَدُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَفْرَادٌ لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي حُكْمِ كَائِنَاتٍ ذَاتِ حَيَاةٍ ؛ وَلٰكِنَّهَا وَفَاةٌ بِذٰلِكَ الْقَدَرِ مِنَ الِانْتِظَامِ ؛ فَإِنَّهَا تَتْرُكُ فِي مَكَانِهَا ، فِي الرَّبِيعِ ، نَوًى وَبُذُوراً وَبُوَيْضَاتٍ هِيَ مَدَارٌ لِحَشْرِهَا وَنَشْرِهَا ؛ وَتَكُونُ مُعْجِزَاتِ الرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ ، وَخَوَارِقَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ ؛ فَتُعْطِي لِأَيْدِيهَا دَفَاتِرَ أَعْمَالِهَا ، وَمَنَاهِجَ الْوَظَائِفِ الَّتِي أَدَّتْهَا ؛ فَتُودِعُهَا لِحِكْمَةِ الْحَفِيظِ ذِي الْجَلَالِ تَحْتَ حِمَايَتِهِ ؛ ثُمَّ تُتَوَفّٰى ؛ وَإِنَّ أُولَائِكَ الْأَشْجَارَ وَالْجُذُورَ ، وَقِسْماً مِنَ الْحُوَيْنَاتِ الَّتِي تُوُفِّيَتْ ، تُحْيَا بِعَيْنِهَا ؛ وَتُنْشَأُ أَمْثَالُ قِسْمٍ مِنْهَا أَيْضاً ؛ وَتُحْيَا أَشْبَاهُهَا بِعَيْنِهَا فِي مَكَانِهَا ؛ وَتَنْشُرُ كَالْإِعْلَانَاتِ ، صَحَائِفَ الْأَعْمَالِ وَالْوَظَائِفِ الَّتِي عَمِلَتْهَا مَوْجُودَاتُ الرَّبِيعِ الْمَاضِي ؛ فَتُعْلِنُ مِثَالاً لِآيَةِ ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا مِئَةُ أَلْفِ مِثَالٍ وَنَظِيرٍ وَدَلِيلٍ لِلْحَشْرِ الْأَعْظَمِ ، فِي مَوْسِمِ الرَّبِيعِ . وَكَذَا يُتَوَفّٰى عَالَمٌ كَبِيرٌ ؛ وَيَأْتِي عَالَمٌ جَدِيدٌ إِلَى الْوُجُودِ ، فِي كُلِّ خَرِيفٍ ، وَفِي كُلِّ رَبِيعٍ ، فِي جِهَةِ هَيْئَتِهَا الْمَجْمُوعَةِ ؛ وَإِنَّ ذٰلِكَ الْوَفَاةَ وَالْحُدُوثَ ، يَجْرِي مُنْتَظِماً بِذٰلِكَ الْقَدَرِ ؛ وَتَحْدُثُ وَفَيَاتُ ذٰلِكَ الْقَدَرِ مِنَ الْأَنْوَاعِ ، وَحُدُوثُهَا بِغَايَةِ الِانْتِظَامِ وَالْمِيزَانِ فِي ذٰلِكَ الْوَفَاةِ وَالْحُدُوثِ ؛ فَكَأَنَّ الدُّنْيَا مَضْيَفَةٌ تَضِيفُ عَلَيْهَا كَائِنَاتٌ ذَاتُ حَيَاةٍ ؛ وَتَرِدُ إِلَيْهَا عَوَالِمُ سَيَّاحَةٌ ، وَدُنًى سَيَّارَةٌ ؛ فَتُؤَدِّي وَظَائِفَهَا ؛ فَتَذْهَبُ . هٰذَا ؛ فَالذَّاتُ الْوَاحِدُ ذُو الْجَلَالِ ، الَّذِي يُحْدِثُ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ، أَمْثَالَ هٰذِهِ الدُّنَى الْحَيَّةِ ، وَالْكَوَائِنِ الْمُوَظَّفَةِ ؛ وَيُنْشِئُهَا بِكَمَالِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالْمِيزَانِ ، وَبِالْمُوَازَنَةِ وَالِانْتِظَامِ وَالنِّظَامِ ؛ فَيَسْتَعْمِلُهَا اسْتِعْمَالَ الْقَدِيرِ ؛ وَيَسْتَخْدِمُهَا اسْتِخْدَامَ الرَّحِيمِ ، فِي مَقَاصِدَ رَبَّانِيَّةٍ ، وَفِي غَايَاتٍ إِلٰهِيَّةٍ ، وَفِي خِدَمَاتٍ رَحْمَانِيَّةٍ ، يَتَرَاءٰى وُجُوبُ وُجُودِهِ ، وَمَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ

قُدْرَتِهِ ، وَمَا لا نِهَايَةَ لَهُ مِنْ حِكْمَتِهِ ، لِلْعُقُولِ بِالْبَدَاهَةِ ، كَالشَّمْسِ . . فَبِإِحَالَةِ مَسَائِلِ الْحُدُوثِ عَلىٰ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، وَعَلَى كُتُبِ الْمُحَقِّقِينَ الْكَلامِيِّينَ ، نَخْتِمُ ذٰلِكَ الْبَحْثَ . .

أَمَّا جِهَةُ الْإِمْكَانِ : فَإِنَّهَا اسْتَوْلَتْ عَلَى الْكَائِنَاتِ ؛ وَأَحَاطَتْ بِهَا أَيْضاً ؛ لِأَنَّنَا نُشَاهِدُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ كُلِّيّاً كَانَ أَوْ جُزْئِيّاً ، كَبِيراً كَانَ أَوْ صَغِيراً ، وَكُلَّ مَوْجُودٍ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الْفَرْشِ ، وَمِنَ الذَّرَّاتِ إِلَى السَّيَّارَاتِ ، يُبْعَثُ إِلَى الدُّنْيَا بِذَاتٍ مَخْصُوصَةٍ ، وَصُورَةٍ مُعَيَّنَةٍ ، وَشَخْصِيَّةٍ مُمْتَازَةٍ ، وَصِفَاتٍ خَاصَّةٍ ، وَكَيْفِيَّاتٍ ذَاتِ حِكْمَةٍ ، وَجِهَازَاتٍ ذَاتِ مَصْلَحَةٍ . وَالْحَالُ أَنَّ إِعْطَاءَ تِلْكَ الْخُصُوصِيَّةِ ، لِتِلْكَ الذَّاتِ ، وَلِتِلْكَ الْمَاهِيَّةِ الْمَخْصُوصَةِ ، بَيْنَ إِمْكَانَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَإِلْبَاسَ تِلْكَ الصُّورَةِ الْمُعَيَّنَةِ وَالْمُنَاسِبَةِ ، ذَاتِ النُّقُوشِ وَالْفَوَارِقِ ، بَيْنَ إِمْكَانَاتٍ وَاحْتِمَالَاتٍ بِعَدَدِ الصُّوَرِ ؛ وَتَخْصِيصَ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةِ اللَّائِقَةِ ، تَخْصِيصاً بِامْتِيَازٍ ، بِذٰلِكَ الْمَوْجُودِ الْمُتَقَلِّبِ ، بَيْنَ إِمْكَانَاتٍ بِمِقْدَارِ أَشْخَاصٍ مِنْ جِنْسِهِ ؛ وَتَمْكِينَ تِلْكَ الصِّفَاتِ الْخَاصَّةِ وَالْمُوَافِقَةِ وَذَاتِ الْمَصَالِحِ ، فِي ذٰلِكَ الْمَصْنُوعِ بِلا شَكٍّ ، وَالْمُتَرَدِّدِ بَيْنَ إِمْكَانَاتٍ وَاحْتِمَالَاتٍ بِعَدَدِ صِفَاتِ الْأَنْوَاعِ وَمَرَاتِبِهَا ؛ وَتَعْلِيقَ تِلْكَ الْكَيْفِيَّاتِ ذَاتِ الْحِكْمَةِ ، وَالْجِهَازَاتِ ذَاتِ الْعِنَايَةِ ، عَلىٰ ذٰلِكَ الْمَخْلُوقِ الْمُتَحَيِّرِ الْمُتَرَدِّدِ بِلا هَدَفٍ ؛ وَتَجْهِيزَهُ بِهَا ، بَيْنَ إِمْكَانَاتٍ وَاحْتِمَالَاتٍ بِلا حَدٍّ ، فِي نُقْطَةِ إِمْكَانِ وُجُودِهِ فِي طُرُقٍ وَوُجُوهٍ لَا حَدَّ لَهَا ، فَإِنَّهَا إِشَارَاتٌ وَدَلَالَاتٌ وَشَهَادَاتٌ ، عَدَدَ جَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ الْكُلِّيَّةِ وَالْجُزْئِيَّةِ ، وَعَدَدَ إِمْكَانَاتِ مَاهِيَّةِ كُلِّ مُمْكِنٍ ، وَهُوِيَّتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، وَصُورَتِهِ وَصِفَتِهِ ، وَوَضْعِيَّتِهِ الْمَذْكُورَةِ ، عَلىٰ وُجُوبِ وُجُودِ وَاجِبِ وُجُودٍ ، مُخَصِّصٍ وَمُرَجِّحٍ وَمُعَيِّنٍ وَمُحْدِثٍ ، وَعَلَىٰ مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ قُدْرَتِهِ ، وَمَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنْ حِكْمَتِهِ ، وَعَلىٰ عَدَمِ اخْتِفَاءِ أَيِّ شَيْءٍ وَأَيِّ شَأْنٍ مِنْهُ ، وَعَلىٰ عَدَمِ اسْتِثْقَالِ أَيِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ ، وَعَلىٰ اسْتِهَانَةِ أَكْبَرِ شَيْءٍ عَلَيْهِ كَأَصْغَرِ شَيْءٍ ، وَعَلىٰ اسْتِطَاعَتِهِ بِسُهُولَةٍ ، عَلىٰ إِيجَادِ رَبِيعٍ بِقَدَرِ شَجَرَةٍ ، وَشَجَرَةٍ بِقَدَرِ نَوَاةٍ ؛ فَهِيَ تَصْدُرُ مِنْ حَقِيقَةِ الْإِمْكَانِ ؛ فَتُشَكِّلُ جَنَاحاً لِهٰذِهِ الشَّهَادَةِ الْكُبْرىٰ لِلْكَائِنَاتِ . وَإِنَّ أَجْزَاءَ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، وَلاسِيَّمَا الْمَقَالَتَيْنِ الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ وَالثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ ، وَالْمَكْتُوبَيْنِ الْعِشْرِينَ وَالثَّالِثِ وَالثَّلَاثِينَ ، أَثْبَتَتْ وَأَوْضَحَتْ شَهَادَةَ الْكَائِنَاتِ بِكِلَا

جَنَاحَيْهَا ، وَكِلْتَا حَقِيقَتَيْهَا بِتَمَامِهَا ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ أَحَلْنَاهَا عَلَيْهَا ؛ فَاخْتَصَرْنَا هٰذِهِ الْقِصَّةَ الطَّوِيلَةَ جِدّاً . .

﴿اَلْحَقِيقَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ الَّتِي تُثْبِتُ الْجَنَاحَ الثَّانِيَ لِلشَّهَادَةِ الْكُبْرَى الْكُلِّيَّةِ ، الْوَارِدَةِ مِنْ مَجْمُوعَةِ هَيْئَةِ الْكَائِنَاتِ : أَنَّهُ تُشَاهَدُ حَقِيقَةُ تَعَاوُنٍ فِي خَارِجِ قُوَّةِ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّيّاً ، الَّتِي تَسْعٰى لِلْمُحَافَظَةِ عَلٰى وُجُودِهَا وَخِدْمَتِهَا ، وَعَلٰى حَيَاتِهَا ، إِنْ كَانَتْ ذَاتَ حَيَاةٍ ، وَلِلْإِيفَاءِ بِوَظِيفَتِهَا ، بَيْنَ هٰذِهِ الْاِنْقِلَابَاتِ وَالتَّحَوُّلَاتِ الْمُتَقَلِّبَةِ مُتَمَادِياً ، فَإِنَّ أَمْثِلَةً كَثِيرَةً جِدّاً ، لِحَقِيقَةِ التَّعَاوُنِ ، بِالتَّسْخِيرِ الرَّبَّانِيِّ ، وَبِالْاِسْتِخْدَامِ الرَّحْمَانِيِّ ــ مِثْلَ سَوْقِ الْعَنَاصِرِ مَثَلاً ، لِإِمْدَادِ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ وَالسُّحُبِ خَاصَّةً لِمَدَدِ النَّبَاتَاتِ ؛ وَالنَّبَاتَاتِ أَيْضاً لِعَوْنِ الْحَيَوَانَاتِ ؛ وَأَمَّا الْحَيَوَانَاتُ فَإِلٰى مُعَاوَنَةِ النَّاسِ ؛ وَأَلْبَانِ الثُّدِيِّ كَالْكَوْثَرِ لِتَرْبِيَةِ الْأَطْفَالِ ؛ وَإِعْطَاءِ حَوَائِجِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ وَأَرْزَاقِهَا الْكَثِيرَةِ جِدّاً ، فِي خَارِجِ اقْتِدَارِهَا ، لِأَيْدِيهَا ، مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ ، حَتّٰى سِيَاقِ الذَّرَّاتِ الطَّعَامِيَّةِ أَيْضاً إِلٰى تَعْمِيرِ الْخَلَايَا الْبَدَنِيَّةِ ــ تَدُلُّ عَلَى الرُّبُوبِيَّةِ الْعَامَّةِ وَالرَّحِيمَةِ ، رُبُوبِيَّةِ رَبٍّ لِلْعَالَمِينَ ، الَّذِي يُدِيرُ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ كَقَصْرٍ مُبَاشَرَةً . نَعَمْ : إِنَّ الْمُتَعَاوِنَاتِ الْجَامِدَةَ الَّتِي لَا شُعُورَ وَلَا شَفَقَةَ لَهَا ؛ وَيُبْدِي بَعْضُهَا لِبَعْضٍ وَضْعاً مُشْفِقاً وَشُعُورِيّاً ، تُسَاقُ إِلَى الْعَوْنِ ، بِقُوَّةِ رَبٍّ ذِي جَلَالٍ ، رَحِيمٍ وَحَكِيمٍ لِلْغَايَةِ ، وَبِرَحْمَتِهِ وَبِأَمْرِهِ قَطْعاً . .

هٰذَا ؛ فَالْحَقَائِقُ الْعَظِيمَةُ جِدّاً ــ مِثْلُ التَّعَاوُنِ الْعُمُومِيِّ الْجَارِي فِي الْكَائِنَاتِ ؛ وَالْمُوَازَنَةِ الْعَامَّةِ وَالْمُحَافَظَةِ الشَّامِلَةِ ، الْجَارِيَةِ بِكَمَالِ الْاِنْتِظَامِ ، مِنَ السَّيَّارَاتِ إِلٰى أَعْضَاءِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ وَأَجْهِزَتِهَا وَذَرَّاتِهَا الْبَدَنِيَّةِ ؛ وَالتَّزْيِينِ الَّذِي يُسَيِّرُ الْقَلَمَ ، مِنْ سِيمَا السَّمَاوَاتِ الْمُذَهَّبَةِ ، وَمِنْ طَلْعَةِ الْأَرْضِ الْمُتَزَيِّنَةِ ، إِلٰى وُجُوهِ الْأَزْهَارِ الْمُزْدَانَةِ ؛ وَالتَّنْظِيمِ الَّذِي يَحْكُمُ مِنَ الْمَجَرَّةِ وَالْمَنْظُومَةِ الشَّمْسِيَّةِ ، إِلَى الثَّمَرَاتِ كَالذُّرَةِ وَالرُّمَّانَةِ ؛ وَالتَّوْظِيفِ الْمُوَظَّفِ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَمِنَ الْعَنَاصِرِ وَالسُّحُبِ إِلَى النَّحْلِ ــ تُثْبِتُ وَتُشَكِّلُ شَهَادَتُهَا الَّتِي فِي نِسْبَةِ عَظَمَتِهَا ، الْجَنَاحَ الثَّانِيَ لِشَهَادَةِ الْكَائِنَاتِ . فَإِذَا كَانَتْ «رِسَالَةُ النُّورِ» ، قَدْ أَثْبَتَتْ وَأَوْضَحَتْ هٰذِهِ الشَّهَادَةَ الْعُظْمٰى ، فَنَحْنُ نَكْتَفِي هُنَا بِهٰذِهِ الْإِشَارَةِ الْمُخْتَصَرَةِ جِدّاً . .

هٰذَا ؛ فَقِيلَ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ، إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً إِلَى الدَّرْسِ الْإِيمَانِيِّ الَّذِي تَلَقَّاهُ سَيَّاحُ الدُّنْيَا عَنِ الْكَائِنَاتِ ، هٰكَذَا : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الْمُمْتَنِعُ نَظِيرُهُ ، وَالْمُمْكِنُ كُلُّ مَا سِوَاهُ ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ فِي وَحْدَتِهِ ، هٰذِهِ الْكَائِنَاتُ ، الْكِتَابُ الْكَبِيرُ الْمُجَسَّمُ ، وَالْقُرْآنُ الْجِسْمَانِيُّ الْمُعَظَّمُ ، وَالْقَصْرُ الْمُزَيَّنُ الْمُنَظَّمُ ، وَالْبَلَدُ الْمُحْتَشَمُ الْمُنْتَظَمُ ، بِإِجْمَاعِ سُوَرِهِ وَآيَاتِهِ ، وَكَلِمَاتِهِ وَحُرُوفِهِ ، وَأَبْوَابِهِ وَفُصُولِهِ ، وَصُحُفِهِ وَسُطُورِهِ ، وَاتِّفَاقِ أَرْكَانِهِ وَأَنْوَاعِهِ ، وَأَجْزَائِهِ وَجُزْئِيَّاتِهِ ، وَسَكَنَتِهِ وَمُشْتَمَلَاتِهِ ، وَوَارِدَاتِهِ وَمَصَارِفِهِ ، بِشَهَادَةِ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ الْحُدُوثِ وَالتَّغَيُّرِ وَالْإِمْكَانِ ، بِإِجْمَاعِ جَمِيعِ عُلَمَاءِ عِلْمِ الْكَلَامِ ، وَبِشَهَادَةِ حَقِيقَةِ تَبْدِيلِ صُورَتِهِ وَمُشْتَمَلَاتِهِ ، بِالْحِكْمَةِ وَالِانْتِظَامِ ، وَتَجْدِيدِ حُرُوفِهِ وَكَلِمَاتِهِ ، بِالنِّظَامِ وَالْمِيزَانِ ، وَبِشَهَادَةِ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ التَّعَاوُنِ وَالتَّجَاوُبِ ، وَالتَّسَانُدِ وَالتَّدَاخُلِ ، وَالْمُوَازَنَةِ وَالْمُحَافَظَةِ ، فِي مَوْجُودَاتِهِ بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْعِيَانِ﴾ . .

ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ الْمُسَافِرَ الْمُتَطَلِّعَ وَالْمُشْتَاقَ ، الْوَارِدَ إِلَى الدُّنْيَا ، وَالطَّالِبَ لِخَالِقِ الدُّنْيَا ، وَالْمُتَرَقِّيَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ الْغَيْبِيَّةِ ، إِلٰى مَقَامٍ حُضُورِيٍّ وَخِطَابِيٍّ ، بِمِعْرَاجٍ إِيمَانِيٍّ طَالِعٍ مِنْ ثَمَانِي عَشْرَةَ مَرْتَبَةً ، وَبَالِغٍ إِلٰى عَرْشِ الْحَقِيقَةِ ، قَالَ لِرُوحِهِ : فَكَمَا أَنَّ حُضُوراً وَرَدَ بِالْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ عَلٰى وَجْهِ الْغَيْبَةِ ، فِي الْفَاتِحَةِ الشَّرِيفَةِ ، مِنْ أَوَّلِهَا إِلٰى كَلِمَةِ (إِيَّاكَ) ؛ فَطَلَعَ إِلٰى خِطَابِ (إِيَّاكَ) ؛ فَلْنَتْرُكْ نَحْنُ أَيْضاً ، الطَّلَبَ الْغِيَابِيَّ ؛ فَلْنَسْأَلْ مَطْلُوبَنَا ، عَنْ مَطْلُوبِنَا مُبَاشَرَةً ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ سُؤَالِ الشَّمْسِ ، عَنِ الشَّمْسِ الدَّالَّةِ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ . نَعَمْ : إِنَّ مَنْ يَدُلُّ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ ، فَهُوَ يَدُلُّ عَلٰى نَفْسِهِ أَزْيَدَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْعٰى لِمَعْرِفَةِ خَالِقِنَا بِنِسْبَةِ قَابِلِيَّتِنَا ، بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنٰى ، وَصِفَاتِهِ الْقُدُسِيَّةِ ، كَمُشَاهَدَةِ الشَّمْسِ وَمَعْرِفَتِهَا ، بِشُعَاعَاتِهَا . .

فَسَنُبَيِّنُ فِي هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ، بِإِجْمَالٍ وَاخْتِصَارٍ ، طَرِيقَيْنِ ، مِمَّا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ طُرُقِ هٰذَا الْمَقْصِدِ ، وَمَرْتَبَتَيْنِ ، مِمَّا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ مَرَاتِبِ ذَيْنِكَ الطَّرِيقَيْنِ ، وَحَقِيقَتَيْنِ فَقَطْ ، مِنْ حَقَائِقِ تَيْنِكَ الْمَرْتَبَتَيْنِ الْكَثِيرَةِ جِدّاً ، وَمِنْ تَفْصِيلَاتِهِمَا الطَّوِيلَةِ كَثِيراً جِدّاً . .

﴿اَلحَقِيقَةُ الأُولى :﴾ هِيَ مُشَاهَدَةُ حَقِيقَةِ الْفَعَّالِيَّةِ الْمُسْتَوْلِيَةِ، الْمَشْهُودَةِ بِأَعْيُنِنَا، بِالْمُشَاهَدَةِ، وَالْمُحِيطَةِ الدَّائِمَةِ الْمُنْتَظِمَةِ الْمُدْهِشَةِ، وَالْمُحَوِّلَةِ وَالْمُبَدِّلَةِ وَالْمُجَدِّدَةِ لِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ، وَالْمُسْتَوْلِيَةِ عَلَى الْكَائِنَاتِ؛ وَالتَّحَسُّسُ بِالْبَدَاهَةِ بِحَقِيقَةِ تَظَاهُرِ الرُّبُوبِيَّةِ فِي حَقِيقَةِ الْفَعَّالِيَّةِ، تِلْكَ الْمَدَارِ لِلْحِكْمَةِ بِكُلِّ جِهَةٍ؛ وَحُصُولُ الْعِلْمِ بِالضَّرُورَةِ بِحَقِيقَةِ تَبَارُزِ الْأُلُوهِيَّةِ فِي حَقِيقَةِ تَظَاهُرِ الرُّبُوبِيَّةِ، تِلْكَ النَّاثِرَةِ لِلرَّحْمَةِ بِكُلِّ جِهَةٍ.. هٰذَا؛ فَيُحَسُّ كَمَا يُشَاهَدُ مِنْ هٰذِهِ الْفَعَّالِيَّةِ الدَّائِمَةِ الْحَاكِمَةِ وَالْحَكِيمَةِ، وَوَرَاءَ حِجَابِهَا، بِأَفْعَالِ فَاعِلٍ قَدِيرٍ وَعَلِيمٍ؛ وَتُعْلَمُ بِالْبَدَاهَةِ فِي دَرَجَةٍ يُحَسُّ بِهَا، مِنْ هٰذِهِ الْأَفْعَالِ الرَّبَّانِيَّةِ الْمُرَبِّيَةِ وَالْمُدَبِّرَةِ، وَوَرَاءَ حِجَابِهَا، الْأَسْمَاءُ الْإِلٰهِيَّةُ الَّتِي لَهَا جَلَوَاتٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ وَيُفْهَمُ مِنْ هٰذِهِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، الْمُتَجَلِّيَةِ تَجَلِّياً ذَا جَلَالٍ وَمُرَبِّي جَمَالٍ، وَوَرَاءَ حِجَابِهَا، وُجُودُ الصِّفَاتِ السَّبْعِ الْقُدُسِيَّةِ وَتَحَقُّقُهَا، فِي دَرَجَةِ عِلْمِ الْيَقِينِ، بَلْ عَيْنِ الْيَقِينِ، بَلْ حَقِّ الْيَقِينِ؛ وَيُعْلَمُ قَطْعاً كَأَنَّهُ يَتَرَاءَى لِبَصَرِ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ، عَلَى وَجْهٍ أَظْهَرَ وَأَبْهَرَ مِنَ الشَّمْسِ، وُجُودُ مَوْصُوفٍ وَاجِبِ وُجُودٍ، وَمُسَمًّى وَاحِدٍ أَحَدٍ، وَفَاعِلٍ فَرْدٍ صَمَدٍ، بِالْبَدَاهَةِ، وَبِالضَّرُورَةِ، وَبِعِلْمِ الْيَقِينِ، بِتَجَلِّيَاتِ هٰذِهِ الصِّفَاتِ الْقُدُسِيَّةِ السَّبْعِ أَيْضاً، فِي صُورَةٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا، بِشَهَادَةِ جَمِيعِ الْمَصْنُوعَاتِ، تَجَلِّياً ذَا حَيَاةٍ وَقُدْرَةٍ وَعِلْمٍ وَسَمْعٍ وَبَصَرٍ وَإِرَادَةٍ وَتَكَلُّمٍ؛ إِذْ يَسْتَلْزِمُ كِتَابٌ جَمِيلٌ وَمُفِيدٌ، وَبَيْتٌ مُنْتَظِمٌ، فِعْلَيِ الْكِتَابَةِ وَالْبِنَايَةِ بِالْبَدَاهَةِ؛ وَيَسْتَلْزِمُ فِعْلَا الْكِتَابَةِ الْجَمِيلَةِ، وَالْبِنَايَةِ الْمُنْتَظِمَةِ، أَيْضاً، اسْمَيِ الْكَاتِبِ وَالْبَانِي بِالْبَدَاهَةِ؛ وَيَسْتَلْزِمُ عُنْوَانَا الْكَاتِبِ وَالْبَانِي، صَنْعَتَيِ الْكِتَابَةِ وَالْبِنَايَةِ وَصِفَتَيْهِمَا بِالْبَدَاهَةِ؛ وَتَسْتَلْزِمُ هَاتَانِ الصَّنْعَتَانِ وَالصِّفَتَانِ، ذَاتاً بِالْبَدَاهَةِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، لِيَكُونَ مَوْصُوفاً وَصَانِعاً، وَمُسَمًّى وَفَاعِلاً؛ فَكَمَا لَا يُمْكِنُ فِعْلٌ بِلَا فَاعِلٍ، وَاسْمٌ بِدُونِ مُسَمًّى؛ لَا يُمْكِنُ صِفَةٌ بِغَيْرِ مَوْصُوفٍ؛ وَصَنْعَةٌ بِلَا صَانِعٍ أَيْضاً..

فَبِنَاءً عَلَى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ وَالْقَاعِدَةِ، كُتِبَتْ هٰذِهِ الْكَائِنَاتُ مَعَ جَمِيعِ مَوْجُودَاتِهَا، بِقَلَمِ الْقَدَرِ؛ وَصُنِعَتْ بِمِطْرَقِ الْقُدْرَةِ، فِي حُكْمِ كُتُبٍ وَمَكْتُوبَاتٍ مُفِيدَةٍ بِلَا حَدٍّ، وَأَبْنِيَةٍ وَقُصُورٍ بِلَا نِهَايَةٍ، يُشِيرُ وَيَشْهَدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا، بِآلَافِ الْوَجْهِ مُنْفَرِداً، وَبِمَا لَا حَدَّ لَهَا مِنَ الْوُجُوهِ

مُجْتَمِعاً ، بِمَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنْ أَفْعَالِهَا الرَّبَّانِيَّةِ وَالرَّحْمَانِيَّةِ ، وَبِمَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ جِلْوَاتِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ الْأَلْفِ وَالْوَاحِدِ ، الَّتِي هِيَ مَنْشَأُ تِلْكَ الْأَفْعَالِ ، وَبِمَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنْ تَجَلِّيَاتِ الصِّفَاتِ السُّبْحَانِيَّةِ السَّبْعِ ، الَّتِي هِيَ مَنْبَعُ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنٰى ، إِشَارَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا ، وَشَهَادَاتٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا ، عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِ وَوَحْدَةِ ذَاتٍ ذِي جَلَالٍ أَزَلِيٍّ وَأَبَدِيٍّ ، مَعْدِنٍ وَمَوْصُوفٍ لِتِلْكَ الصِّفَاتِ السَّبْعِ الْمُحِيطَةِ وَالْقُدُسِيَّةِ ؛ كَمَا أَنَّ جَمِيعَ الْمَحَاسِنِ وَالْمَجَامِيلِ ، وَالْقِيَمِ وَالْكَمَالَاتِ ، الْمَوْجُودَةِ فِي جَمِيعِ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتِ ، تَشْهَدُ أَيْضاً عَلٰى مَجَامِيلِ الْأَفْعَالِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَالْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَالصِّفَاتِ الصَّمَدَانِيَّةِ ، وَالشُّؤُونَاتِ السُّبْحَانِيَّةِ ، وَعَلٰى كَمَالَاتِهَا الْقُدُسِيَّةِ الْمُوَافِقَةِ وَاللَّائِقَةِ بِنَفْسِهَا ؛ وَتَشْهَدُ الْجَمِيعُ بِالْبَدَاهَةِ ، دَفْعَةً وَاحِدَةً ، عَلٰى جَمَالِ الذَّاتِ الْأَقْدَسِ ، وَعَلٰى كَمَالِهِ الْقُدُسِيِّ . .

هٰذَا ؛ فَحَقِيقَةُ الرُّبُوبِيَّةِ الْمُتَظَاهِرَةُ فِي حَقِيقَةِ الْفَعَّالِيَّةِ ، تُظْهِرُ نَفْسَهَا وَتُعَرِّفُهَا ، بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، وَبِالْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ ، وَالصُّنْعِ وَالْإِبْدَاعِ ، وَالنِّظَامِ وَالْمِيزَانِ ، وَبِالتَّقْدِيرِ وَالتَّصْوِيرِ ، وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّدْوِيرِ ، وَالْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ ، وَبِالتَّحْوِيلِ وَالتَّبْدِيلِ ، وَالتَّنْزِيلِ وَالتَّكْمِيلِ ، وَالشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَبِالْإِطْعَامِ وَالْإِنْعَامِ ، وَالْإِكْرَامِ وَالْإِحْسَانِ ، وَبِأَمْثَالِهَا مِنْ شُؤُونَاتِهَا وَتَصَرُّفَاتِهَا ؛ وَإِنَّ حَقِيقَةَ تَبَارُزِ الْأُلُوهِيَّةِ الْمَوْجُودَةَ وَالْمَحْسُوسَةَ بِالْبَدَاهَةِ فِي حَقِيقَةِ تَظَاهُرِ الرُّبُوبِيَّةِ ، تُعَرِّفُ نَفْسَهَا وَتُعْلِنُهَا أَيْضاً ، بِجِلْوَاتٍ رَحِيمَةٍ وَكَرِيمَةٍ مِنْ جِلْوَاتِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنٰى ، وَبِتَجَلِّيَاتٍ جَلَالِيَّةٍ وَجَمَالِيَّةٍ مِنْ تَجَلِّيَاتِ صِفَاتِ الْحَيَاةِ ، وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ ، وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ ، الَّتِي هِيَ الصِّفَاتُ السَّبْعُ الثُّبُوتِيَّةُ. نَعَمْ : كَمَا أَنَّ صِفَةَ الْكَلَامِ تُعَرِّفُ الذَّاتَ الْأَقْدَسَ بِالْوَحَايَا وَالْإِلْهَامَاتِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ صِفَةَ الْقُدْرَةِ تُعْلِنُ أَيْضاً ذٰلِكَ الذَّاتَ الْأَقْدَسَ ، بِآثَارِهَا الْمُصَنَّعَةِ الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ كَلِمَاتِهَا الْمُجَسَّمَةِ ؛ وَتُظْهِرُ الْكَائِنَاتِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلٰى آخِرِهَا ، فِي مَاهِيَّةِ فُرْقَانٍ جِسْمَانِيٍّ ؛ فَتَصِفُ وَتُعَرِّفُ قَدِيراً ذَا جَلَالٍ ؛ وَإِنَّ صِفَةَ الْعِلْمِ أَيْضاً تُعْلِنُ بِمِقْدَارِ جَمِيعِ الْمَصْنُوعَاتِ الْحَكِيمَةِ الْمُنْتَظِمَةِ الْمَوْزُونَةِ ، وَبِعَدَدِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُدَارَةِ وَالْمُدَبَّرَةِ وَالْمُزَيَّنَةِ وَالْمُمَيَّزَةِ بِالْعِلْمِ ، ذَاتاً أَقْدَسَ وَاحِداً أَحَداً مَوْصُوفاً لَهَا ؛ وَأَمَّا صِفَةُ الْحَيَاةِ ، فَإِنَّ جَمِيعَ الْآثَارِ الْمُعْلِنَةِ لِلْقُدْرَةِ ، وَجَمِيعَ الصُّوَرِ وَالْأَحْوَالِ الْمُنْتَظِمَةِ وَالْحَكِيمَةِ وَالْمَوْزُونَةِ وَالْمُزَيَّنَةِ الْمُعْلِمَةِ بِوُجُودِ الْعِلْمِ ، وَجَمِيعَ الدَّلَائِلِ الْمُعْلِمَةِ

لِسَائِرِ الصِّفَاتِ ، مَعَ دَلَائِلِ صِفَةِ الْحَيَاةِ ، تَدُلُّ عَلٰى تَحَقُّقِ صِفَةِ الْحَيَاةِ ؛ كَمَا أَنَّ الْحَيَاةَ أَيْضاً ، تُظْهِرُ جَمِيعَ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ الَّتِي هِيَ مَرَايَاهَا ، مَعَ جَمِيعِ دَلَائِلِهَا تِلْكَ ، شَوَاهِدَ ؛ فَتُعْلِنُ الذَّاتَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ ؛ وَتُحَوِّلُ بِالْكَائِنَاتِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلٰى آخِرِهَا ، إِلٰى صُورَةِ مِرْآةٍ كُبْرٰى مُتَرَكِّبَةٍ مِنْ مَرَايَا لَا حَدَّ لَهَا ، وَمُتَبَدِّلَةٍ وَمُتَجَدِّدَةٍ دَائِماً ، لِإِظْهَارِ جَلَوَاتٍ وَنُقُوشٍ مُخْتَلِفَةٍ وَمُتَجَدِّدَةٍ كُلَّ وَقْتٍ . وَبِهٰذَا الْقِيَاسِ ، تُعْلِنُ صِفَاتُ الْبَصَرِ وَالسَّمْعِ وَالْإِرَادَةِ وَالْكَلَامِ أَيْضاً ؛ وَتُعَرِّفُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، بِقَدَرِ كَوَائِنَ ، الذَّاتَ الْأَقْدَسَ . وَإِنَّ تِلْكَ الصِّفَاتِ تَدُلُّ عَلٰى وُجُودِ الذَّاتِ ذِي الْجَلَالِ ؛ كَمَا تَدُلُّ بِالْبَدَاهَةِ عَلٰى وُجُودِ الْحَيَاةِ وَتَحَقُّقِهَا ، وَعَلٰى أَنَّ ذٰلِكَ الذَّاتَ حَيٌّ وَذُو حَيَاةٍ ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ عَلَامَةُ الْحَيَاةِ ؛ وَالسَّمْعَ أَمَارَةُ الْحَيَاةِ ؛ وَالْبَصَرَ مَخْصُوصٌ بِالْأَحْيَاءِ ؛ وَالْإِرَادَةَ تُمْكِنُ بِالْحَيَاةِ ؛ وَالِاقْتِدَارَ الِاخْتِيَارِيَّ يُوجَدُ فِي ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ وَأَمَّا التَّكَلُّمُ ، فَهُوَ شَأْنُ الْأَحْيَاءِ الْعَالِمِينَ . .

هٰذَا ؛ فَيُفْهَمُ مِنْ هٰذِهِ النِّقَاطِ ، أَنَّ لِصِفَةِ الْحَيَاةِ دَلَائِلَ بِقَدَرِ الْكَائِنَاتِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَبَرَاهِينَ تُعْلِنُ وُجُودَهَا وَوُجُودَ مَوْصُوفِهَا ؛ فَصَارَتْ أَسَاسَ الصِّفَاتِ وَمَنْبَعَهَا ، وَمَصْدَرَ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ وَمَدَارَهُ . . وَإِنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» ، أَثْبَتَتْ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ الْأُولٰى بِبَرَاهِينَ قَوِيَّةٍ ؛ وَأَوْضَحَتْهَا بِدَرَجَةٍ مَّا ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ نَكْتَفِي الْآنَ بِهٰذِهِ الْقَطْرَةِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ هٰذَا الْبَحْرِ . .

﴿اَلْحَقِيقَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ هِيَ التَّكَلُّمُ الْإِلٰهِيُّ الْوَارِدُ مِنْ صِفَةِ الْكَلَامِ ؛ فَإِنَّ الْكَلَامَ الْإِلٰهِيَّ لَا نِهَايَةَ لَهُ ، بِسِرِّ آيَةِ : ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي . .﴾ ؛ وَإِنَّ أَظْهَرَ الْعَلَامَةِ الْمُعْلِمَةِ بِوُجُودِ ذَاتٍ مَّا ، هِيَ كَلَامُهُ . إِذاً فَإِنَّ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ، تَشْهَدُ عَلٰى وُجُودِ الْمُتَكَلِّمِ الْأَزَلِيِّ ، وَعَلٰى وَحْدَتِهِ ، فِي صُورَةٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا . وَقَدْ وَرَدَتْ شَهَادَتَانِ قَوِيَّتَانِ لِهٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، بِجِهَةِ الْوَحَايَا وَالْإِلْهَامَاتِ ، الْمُبَيَّنَةِ فِي الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ وَالْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ؛ وَإِحْدٰى شَهَادَتِهَا الْوَاسِعَةِ أَيْضاً ، بِجِهَةِ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ السَّمَاوِيَّةِ ، الْمُشَارِ إِلَيْهَا فِي مَرْتَبَتِهَا الْعَاشِرَةِ ؛ وَإِحْدٰى شَهَادَتِهَا الْأُخْرٰى الْجَامِعَةِ وَالْمُشْرِقَةِ جِدّاً أَيْضاً ، بِجِهَةِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، فِي مَرْتَبَتِهَا السَّابِعَةَ عَشْرَةَ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ أَحَالَ سَيَّاحُنَا هٰذَا ، بَيَانَ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، وَشَهَادَتَهَا ، عَلٰى تِلْكَ الْمَرَاتِبِ ؛ فَلَمْ يَتَقَدَّمْ إِلَى الْأَمَامِ بَعْدُ ، حَيْثُ أَصْبَحَتْ أَنْوَارُ هٰذِهِ الْآيَةِ الْمُعَظَّمَةِ وَأَسْرَارُهَا ،

كَافِيَةً وَوَافِيَةً لَهُ ، وَهِيَ آيَةُ : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلٰٓئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَآئِماً بِالْقِسْطِ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾ ، الَّتِي تُعْلِنُ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ عَلٰى وَجْهِ الْإِعْجَازِ ؛ وَتُفِيدُ شَهَادَتَهَا مَعَ شَهَادَاتِ سَائِرِ الْحَقَائِقِ . .

هٰذَا ؛ فَقِيلَ فِي الْمَرْتَبَةِ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ، إِشَارَةً إِلٰى مَآلٍ مُخْتَصَرٍ لِلدَّرْسِ الَّذِي اسْتَفَادَهُ هٰذَا الْمُسَافِرُ ، مِنْ هٰذَا الْمَقَامِ الْقُدُسِيِّ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، لَهُ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنٰى ، وَلَهُ الصِّفَاتُ الْعُلْيَا ، وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ، الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ ، الذَّاتُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، بِإِجْمَاعِ جَمِيعِ صِفَاتِهِ الْقُدُسِيَّةِ الْمُحِيطَةِ ، وَجَمِيعِ أَسْمَآئِهِ الْحُسْنَى الْمُتَجَلِّيَةِ ، وَبِاتِّفَاقِ جَمِيعِ شُؤُونَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ الْمُتَصَرِّفَةِ ، بِشَهَادَةِ عَظَمَةِ حَقِيقَةِ إِحَاطَةِ تَبَارُزِ الْأُلُوهِيَّةِ ، فِي تَظَاهُرِ الرُّبُوبِيَّةِ ، فِي دَوَامِ الْفَعَّالِيَّةِ الْمُسْتَوْلِيَةِ ، بِفِعْلِ الْإِيجَادِ وَالْخَلْقِ ، وَالصُّنْعِ وَالْإِبْدَاعِ ، بِإِرَادَةٍ وَقُدْرَةٍ ، وَبِفِعْلِ التَّقْدِيرِ وَالتَّصْوِيرِ ، وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّدْوِيرِ ، بِاخْتِيَارٍ وَحِكْمَةٍ ، وَبِفِعْلِ التَّصْرِيفِ وَالتَّنْظِيمِ وَالْمُحَافَظَةِ ، وَالْإِدَارَةِ وَالْإِعَاشَةِ ، بِقَصْدٍ وَرَحْمَةٍ ، وَبِكَمَالِ الانْتِظَامِ وَالْمُوَازَنَةِ ، وَبِشَهَادَةِ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ أَسْرَارِ : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلٰٓئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَآئِماً بِالْقِسْطِ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾﴾ . .

إِخْطَارٌ :

إِنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْحَقَائِقِ الشَّاهِدَةِ ، مِنْ حَقَائِقِ الْمَرَاتِبِ التِّسْعَ عَشْرَةَ ، فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ السَّابِقِ مِنَ الْمَقَامِ الثَّانِي ، تَدُلُّ بِتَحَقُّقِهَا وَوُجُودِهَا ، عَلٰى وُجُوبِ الْوُجُودِ ؛ كَمَا تَدُلُّ بِإِحَاطَتِهَا أَيْضاً ، عَلَى الْوَحْدَةِ وَالْأَحَدِيَّةِ ؛ وَلٰكِنَّهَا عُدَّتْ دَلَائِلَ وُجُوبِ الْوُجُودِ ، بِجِهَةِ إِثْبَاتِهَا أَوَّلاً الْوُجُودَ صَرِيحاً . أَمَّا الْبَابُ الثَّانِي مِنَ الْمَقَامِ الثَّانِي ، فَيُطْلَقُ عَلَيْهِ بَرَاهِينُ التَّوْحِيدِ ، بِحَيْثِيَّةِ إِثْبَاتِهِ الْوَحْدَةَ أَوَّلاً وَبِصَرَاحَةٍ ، وَفِي ضِمْنِهِ الْوُجُودَ ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ كِلَيْهِمَا يُثْبِتَانِ كِلَيْهِمَا . فَلِلْإِشَارَةِ إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا ، تُكَرَّرُ فِقْرَاتُ (بِشَهَادَةِ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةٍ) ، فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ ، وَ(بِمُشَاهَدَةِ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةٍ) ، فِي الْبَابِ الثَّانِي ، إِشَارَةً إِلٰى ظُهُورِ الْوَحْدَةِ كَأَنَّهَا

تُشَاهَدُ.. وَقَدْ كُنْتُ نَوَيْتُ إِيضَاحَ مَرَاتِبِ الْبَابِ الثَّانِي الْآتِي، مِثْلَ الْبَابِ الْأَوَّلِ؛ وَلٰكِنِّي مُضْطَرٌّ لِلاخْتِصَارِ وَالْإِجْمَالِ، بِمُمَانَعَةِ بَعْضِ الْأَحْوَالِ؛ فَنُحِيلُ التَّبْيِينَ بِحَقِّهِ عَلَى رِسَالَةِ النُّورِ..

اَلْبَابُ الثَّانِي:

دَائِرٌ حَوْلَ الْبَرَاهِينِ التَّوْحِيدِيَّةِ..

إِنَّ مُسَافِرَ الدُّنْيَا الَّذِي بُعِثَ إِلَى الدُّنْيَا لِأَجْلِ الْإِيمَانِ؛ وَسَاحَ فِكْراً فِي جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ؛ وَسَأَلَ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ خَالِقِهِ؛ وَطَلَبَ رَبَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ وَوَجَدَ إِلٰهَهُ فِي دَرَجَةِ حَقِّ الْيَقِينِ، فِي نُقْطَةِ وُجُوبِ الْوُجُودِ، قَالَ لِعَقْلِهِ: تَعَالَ فَسَنَذْهَبُ إِلٰى سِيَاحَةٍ مَعاً أَيْضاً، لِلتَّفَرُّجِ عَلٰى بَرَاهِينِ وَحْدَةِ خَالِقِنَا الْوَاجِبِ الْوُجُودِ. فَذَهَبَا مَعاً؛ فَشَاهَدَا فِي الْمَنْزِلِ الْأَوَّلِ: أَنَّ أَرْبَعَ حَقَائِقَ قُدُسِيَّةٍ مُسْتَوْلِيَةٍ عَلَى الْكَائِنَاتِ، تَقْتَضِي الْوَحْدَةَ، مُسْتَلْزِمَةً لَهَا فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ..

[اَلْحَقِيقَةُ الْأُولٰى:] هِيَ الْأُلُوهِيَّةُ الْمُطْلَقَةُ. نَعَمْ: إِنَّ اشْتِغَالَ كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْ نَوْعِ الْبَشَرِ، بِنَوْعٍ مِنَ الْعِبَادَةِ، كَالاشْتِغَالِ الْفِطْرِيِّ؛ وَوُجُودَ خَدَمَاتِ سَائِرِ ذَوِي الْحَيَاةِ، بَلِ الْجَمَادَاتِ أَيْضاً، مِنْ خَدَمَاتِهَا الْفِطْرِيَّةِ، فِي حُكْمِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعِبَادَةِ؛ وَحُصُولَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ كُلِّ النِّعَمِ وَالْإِحْسَانَاتِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ فِي الْكَائِنَاتِ، وَسِيلَةً لِلتَّعَبُّدِ وَالشُّكْرِ، الْمُؤَدِّي لِلْحَمْدِ وَالْعِبَادَةِ، مِنْ جَانِبِ مَعْبُودِيَّةٍ مَا؛ وَإِعْلَانَ جَمِيعِ التَّرَشُّحَاتِ الْغَيْبِيَّةِ، وَالتَّظَاهُرَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ، كَالْوَحَايَا وَالْإِلْهَامَاتِ، لِمَعْبُودِيَّةِ إِلٰهٍ وَاحِدٍ أَحَدٍ، تُثْبِتُ قَطْعاً وَبِالْبَدَاهَةِ، تَحَقُّقَ أُلُوهِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ، وَكَوْنَهَا حَاكِمَةً. فَإِذَا كَانَتْ حَقِيقَةُ أُلُوهِيَّةٍ هٰكَذَا مَوْجُودَةً؛ فَلَنْ تَقْبَلَ الْاِشْتِرَاكَ قَطْعاً؛ لِأَنَّ الَّذِينَ يُقَابِلُونَ الْأُلُوهِيَّةَ – أَيِ الْمَعْبُودِيَّةَ – بِالشُّكْرِ وَالْعِبَادَةِ، هُمْ ثَمَرَاتُ شَجَرَةِ الْكَائِنَاتِ، ذَوَاتُ الشُّعُورِ، الْمَوْجُودَةُ فِي أَوَاخِرِ نِهَايَاتِهَا؛ وَأَنَّ تَحْوِيلَ الْآخَرِينَ وُجُوهَ ذَوَاتِ الشُّعُورِ تِلْكَ، إِلٰى أَنْفُسِهِمْ، جَاعِلِينَ إِيَّاهَا ذَاتَ سُرُورٍ وَامْتِنَانٍ، وَإِنْسَاءَهُمْ إِيَّاهَا مَعْبُودَهَا الْحَقِيقِيَّ، الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يُنْسَى فَوْراً لِعَدَمِ مُشَاهَدَتِهِ، مُضَادٌّ لِمَاهِيَّةِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَلِمَقَاصِدِهَا الْقُدُسِيَّةِ؛ فَلَا تَسْمَحُ

بِهِ بِأَيَّةِ جِهَةٍ مَا . فَرَدُّ الْقُرْآنِ لِلشِّرْكِ ، بِكَثْرَةِ التَّكْرَارِ وَبِالشِّدَّةِ ، وَتَهْدِيدُهُ لِلْمُشْرِكِينَ بِجَهَنَّمَ ، هُوَ مِنْ هٰذِهِ الْجِهَةِ . .

﴿اَلْحَقِيقَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ هِيَ الرُّبُوبِيَّةُ الْمُطْلَقَةُ . نَعَمْ : إِنَّ تَصَرُّفاً عَامّاً ، مِنْ جَانِبِ يَدٍ غَيْبِيَّةٍ ، عَلَى وَجْهٍ حَكِيمٍ وَرَحِيمٍ ، فِي جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ، خُصُوصاً فِي ذَوَاتِ الْحَيَاةِ ، وَخَاصَّةً فِي تَرْبِيَتِهَا وَإِعَاشَتِهَا فِي كُلِّ جَانِبٍ ، عَلَى نَفْسِ الْمِنْوَالِ ، وَفِي صُورَةٍ لَا تُحْتَسَبُ ، مُجْتَمِعَةً وَمُتَدَاخِلَةً ، هُوَ تَرَشُّحُ رُبُوبِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ وَضِيَاؤُهَا قَطْعاً ، وَبُرْهَانٌ قَاطِعٌ لِتَحَقُّقِهَا . فَإِذَا كَانَتْ رُبُوبِيَّةٌ مُطْلَقَةٌ مَوْجُودَةً ؛ فَلَا تَقْبَلُ الشِّرْكَ وَالِاشْتِرَاكَ قَطْعاً ؛ لِأَنَّ أَهَمَّ مَقَاصِدِ تِلْكَ الرُّبُوبِيَّةِ وَغَايَاتِهَا ، مِثْلَ إِظْهَارِ جَمَالِ نَفْسِهَا ، وَإِعْلَانِ كَمَالَاتِهَا ، وَتَشْهِيرِ صَنَائِعِهَا الْقَيِّمَةِ ، وَعَرْضِ بَدَائِعِهَا الْخَفِيَّةِ ، تَرْتَكِزُ وَتَجْتَمِعُ فِي الْجُزْئِيَّاتِ ، وَفِي ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يُفْسِدُ شِرْكٌ يَتَدَخَّلُ عَلَى حِدَتِهِ ، فِي أَحْقَرِ شَيْءٍ ، وَفِي أَصْغَرِ حَيٍّ ، تِلْكَ الْغَايَاتِ ؛ وَيَهْدِمُ تِلْكَ الْمَقَاصِدَ ؛ وَلِأَنَّهُ يَصْرِفُ وُجُوهَ ذَوَاتِ الشُّعُورِ ، عَنْ تِلْكَ الْغَايَاتِ ، وَعَمَّنْ يُرِيدُ تِلْكَ الْغَايَاتِ ؛ فَيُوَجِّهُهَا إِلَى الْأَسْبَابِ ؛ وَلِأَنَّ هٰذَا الْوَضْعَ ، مُخَالِفٌ وَمُعَادٍ كُلِّيّاً ، لِمَاهِيَّةِ الرُّبُوبِيَّةِ ، لَا تَسْمَحُ رُبُوبِيَّةٌ مُطْلَقَةٌ هٰكَذَا ، بِالشِّرْكِ بِأَيَّةِ جِهَةٍ قَطْعاً . فَتَقْدِيسَاتُ الْقُرْآنِ وَتَسْبِيحَاتُهَا الْكَثِيرَةُ ، وَإِرْشَادَاتُهُ إِلَى التَّوْحِيدِ مُتَمَادِياً ، بِآيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ ، بَلْ وَبِحُرُوفَاتِهِ وَهَيْئَاتِهِ ، نَشَأَتْ عَنْ هٰذَا السِّرِّ الْعَظِيمِ . .

﴿اَلْحَقِيقَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ هِيَ الْكَمَالَاتُ . نَعَمْ : إِنَّ جَمِيعَ الْحِكَمِ الْعَالِيَةِ ، وَالْمَحَاسِنِ الْخَارِقَةِ ، وَالْقَوَانِينِ الْعَادِلَةِ ، وَالْغَايَاتِ الْحَكِيمَةِ ، لِهٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، تَدُلُّ بِالْبَدَاهَةِ عَلَى وُجُودِ حَقِيقَةِ الْكَمَالَاتِ ؛ وَلَاسِيَّمَا أَنَّ شَهَادَتَهَا ظَاهِرَةٌ جِدّاً ، عَلَى كَمَالَاتِ الْخَالِقِ الَّذِي أَوْجَدَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ مِنَ الْعَدَمِ ؛ فَيُدِيرُهَا فِي صُورَةٍ مُعْجِزَةٍ وَجَمِيلَةٍ بِكُلِّ جِهَةٍ ، وَعَلَى كَمَالَاتِ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ مِرْآةُ ذٰلِكَ الْخَالِقِ ، ذَاتُ الشُّعُورِ . فَإِذَا كَانَتْ حَقِيقَةُ الْكَمَالَاتِ مَوْجُودَةً ؛ وَكَانَتْ كَمَالَاتُ الْخَالِقِ الْمُوجِدِ لِلْكَائِنَاتِ بَيْنَ الْكَمَالَاتِ مُحَقَّقَةً ؛ وَكَانَتْ كَمَالَاتُ الْإِنْسَانِ ــ الَّذِي هُوَ أَهَمُّ ثَمَرَةِ الْكَائِنَاتِ ، وَخَلِيفَةُ الْأَرْضِ ، وَأَهَمُّ مَصْنُوعِ الْخَالِقِ وَأَحَبُّهُ ــ حَقَّةً وَحَقِيقِيَّةً ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّ الشِّرْكَ ــ الَّذِي يُحَوِّلُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ذَاتَ الْكَمَالِ وَالْحِكْمَةِ الَّتِي نُشَاهِدُهَا بِأَبْصَارِنَا ، إِلَى

صُورَةِ مَلْهَاةِ التَّصَادُفِ ، وَمَلْعَبَةِ الطَّبِيعَةِ ، وَمَجْزَرَةِ ذَوِي الْحَيَاةِ الظَّالِمَةِ ، وَمَحْزَنَةِ ذَوِي الشُّعُورِ الْهَائِلَةِ ، بِدُونِ نَتِيجَةٍ ، وَالْمُتَدَحْرِجَةِ فِي الْفَنَاءِ وَالزَّوَالِ ؛ وَالَّذِي يُنَزِّلُ الْإِنْسَانَ الْمَشْهُودَةَ كَمَالاتُهُ بِآثَارِهِ ، إِلَى دَرَكَةِ حَيَوَانٍ أَعْجَزَ وَأَذَلَّ وَأَدْنَى ؛ وَيُغَطِّي سَاتِراً ، كَمَالاتِ الْخَالِقِ الَّذِي لَهُ كَمَالاتٌ قُدُسِيَّةٌ بِلا نِهَايَةٍ ، بِشَهَادَةِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي هِيَ مَرَايَا كَمَالاتِ ذٰلِكَ الْخَالِقِ ؛ فَيُبْطِلُ نَتِيجَةَ فَعَّالِيَّتِهِ وَخَلَّاقِيَّتِهِ – فَلا رَيْبَ أَنَّهُ لا يُمْكِنُ وَلا حَقِيقَةَ لَهُ . وَإِنَّ مُضَادَّةَ الشِّرْكِ لِهٰذِهِ الْكَمَالاتِ الْإِلٰهِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ وَالْكَوْنِيَّةِ ، وَإِفْسَادَهُ لِتِلْكَ الْكَمَالاتِ ، قَدْ أُثْبِتَا وَأُوضِحَا بِدَلائِلِهِمَا الْقَوِيَّةِ وَالْقَطْعِيَّةِ ، فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ الدَّائِرِ حَوْلَ ثَمَرَاتِ التَّوْحِيدِ الثَّلاثِ ، مِنْ رِسَالَةِ «الشُّعَاعِ الثَّانِي» ؛ فَلِذٰلِكَ نُحِيلُهُ عَلَيْهَا ؛ فَنَخْتَصِرُهُ هُنَا . .

﴿اَلْحَقِيقَةُ الرَّابِعَةُ :﴾ هِيَ الْحَاكِمِيَّةُ . نَعَمْ : إِنَّ مَنْ نَظَرَ فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ بِإِمْعَانٍ وَاسِعٍ ، يَرَى الْكَائِنَاتِ فِي حُكْمِ مَمْلَكَةٍ مُحْتَشِمَةٍ لِلْغَايَةِ ، وَفَعَّالَةٍ لِلْغَايَةِ ، بَلْ مَدِينَةٍ إِدَارَتُهَا حَكِيمَةٌ لِلْغَايَةِ ، وَحَاكِمِيَّتُهَا قَوِيَّةٌ لِلْغَايَةِ ؛ وَيَجِدُ كُلَّ شَيْءٍ وَكُلَّ نَوْعٍ ، مَشْغُولاً بِوَظِيفَةٍ عَلَى وَجْهِ التَّسْخِيرِ . فَجَرَيَانُ الْأَوَامِرِ التَّكْوِينِيَّةِ الْحَاكِمَةِ ، وَالْأَحْكَامِ الْآمِرَةِ ، وَالْقَوَانِينِ الْمَلَكِيَّةِ ، فِي أُولَائِكَ الْمُوَظَّفِينَ الصِّغَارِ ، وَفِي هٰؤُلاءِ الْعَسَاكِرِ الْكِبَارِ ، مِنَ الْجُنُودِ الرَّبَّانِيَّةِ ، مِنْ جَيْشِ الذَّرَّاتِ وَمِنْ فَيَالِقِ النَّبَاتَاتِ وَمِنْ كَتَائِبِ الْحَيَوَانَاتِ ، إِلَى جَيْشِ النُّجُومِ – حَسَبَ تَمْثِيلِ آيَةِ : ﴿وَلِلّٰهِ جُنُودُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، الَّذِي يُشْعِرُ بِمَعْنَى التَّجَنُّدِ – يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ حَاكِمِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ ، وَآمِرِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ ، بِالْبَدَاهَةِ . فَإِذَا كَانَتْ حَقِيقَةُ حَاكِمِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ مَوْجُودَةً ؛ فَلا يُمْكِنُ حَقِيقَةُ الشِّرْكِ قَطْعاً ؛ لِأَنَّ الْأَيْدِيَ الْمُتَعَدِّدَةَ ، إِذَا تَدَخَّلَتْ فِي أَمْرٍ مَّا مُسْتَبِدَّةً ؛ تُفْسِدُهُ ؛ وَذٰلِكَ بِحَقِيقَةِ آيَةِ : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلَّا اللّٰهُ لَفَسَدَتَا﴾ الْقَاطِعَةِ . فَإِذَا وُجِدَ مَلِكَانِ فِي مَمْلَكَةٍ وَاحِدَةٍ ، بَلْ مُدِيرَانِ فِي نَاحِيَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ يَفْسُدُ الْانْتِظَامُ ؛ وَتُصْبِحُ الْإِدَارَةُ هَرْجاً وَمَرْجاً ؛ وَالْحَالُ أَنَّهُ يُوجَدُ انْتِظَامٌ كَذٰلِكَ ، مِنْ جَنَاحِ الذُّبَابَةِ ، إِلَى قَنَادِيلِ السَّمَاوَاتِ ، وَمِنَ الْخَلايَا الْبَدَنِيَّةِ ، إِلَى بُرُوجِ السَّيَّارَاتِ ؛ فَلا يُمْكِنُ مُدَاخَلَةُ الشِّرْكِ بِقَدَرِ الذَّرَّةِ . وَأَيْضاً أَنَّ الْحَاكِمِيَّةَ مَقَامُ عِزَّةٍ ؛ فَقَبُولُ الرَّقِيبِ ، يَنْقُضُ عِزَّةَ تِلْكَ الْحَاكِمِيَّةِ . نَعَمْ : إِنَّ الْإِنْسَانَ الْمُحْتَاجَ إِلَى أَعْوَانٍ كَثِيرَةٍ لِأَجْلِ

عَجْزِهِ ، يَدُلُّ قَتْلُهُ لِأَخِيهِ وَأَوْلَادِهِ عَلَىٰ وَجْهِ الظُّلْمِ ، لِأَجْلِ حَاكِمِيَّةٍ لَهُ جُزْئِيَّةٍ وَظَاهِرَةٍ وَمُؤَقَّتَةٍ ، عَلَىٰ أَنَّ الْحَاكِمِيَّةَ لَا تَقْبَلُ الرَّقِيبَ . فَإِذَا فَعَلَ هٰكَذَا ، عَاجِزٌ هٰكَذَا ، لِحَاكِمِيَّةٍ جُزْئِيَّةٍ هٰكَذَا ، فَإِنَّ تَشْرِيكَ قَدِيرٍ مُطْلَقٍ مَالِكٍ لِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ، غَيْرَهُ ، فِي حَاكِمِيَّتِهِ الْقُدُسِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْمَدَارُ لِرُبُوبِيَّتِهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ الْحَقِيقِيَّتَيْنِ وَالْكُلِّيَّتَيْنِ ، وَسَمَاحَهُ لِلشَّرِيكِ ، لَنْ يَكُونَ مُمْكِناً بِأَيَّةِ جِهَةٍ أَصْلاً . وَإِنَّ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ، أُثْبِتَتْ بِدَلَائِلَ قَوِيَّةٍ ، فِي الْمَقَامِ الثَّانِي مِنَ «الشُّعَاعِ الثَّانِي» ، وَفِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ نُحِيلُهَا عَلَيْهَا . .

هٰذَا ؛ فَعَلِمَ سَيَّاحُنَا الْوَحْدَانِيَّةَ الْإِلٰهِيَّةَ فِي دَرَجَةِ الشُّهُودِ ؛ فَأَشْرَقَ إِيمَانُهُ ، بِمُشَاهَدَةِ هٰذِهِ الْحَقَائِقِ الْأَرْبَعِ ؛ فَقَالَ بِجَمِيعِ قُوَّتِهِ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ . .

وَقَدْ قِيلَ فِي الْبَابِ الثَّانِي مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ، إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً إِلَى الدَّرْسِ الَّذِي اسْتَفَادَهُ مِنْ هٰذَا الْمَنْزِلِ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الَّذِي دَلَّ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ وَوُجُوبِ وُجُودِهِ ، مُشَاهَدَةُ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ تَبَارُزِ الْأُلُوهِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ وَكَذَا مُشَاهَدَةُ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ تَظَاهُرِ الرُّبُوبِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ الْمُقْتَضِيَةِ لِلْوَحْدَةِ ؛ وَكَذَا مُشَاهَدَةُ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ الْكَمَالَاتِ النَّاشِئَةِ مِنَ الْوَحْدَةِ ؛ وَكَذَا مُشَاهَدَةُ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ الْحَاكِمِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ الْمَانِعَةِ وَالْمُنَافِيَةِ لِلشِّرْكَةِ﴾ . .

ثُمَّ إِنَّ ذٰلِكَ الْمُسَافِرَ الَّذِي لَا سُكُونَةَ لَهُ ، قَالَ لِقَلْبِهِ : إِنَّ قَوْلَ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، وَخُصُوصاً أَهْلَ الطَّرِيقَةِ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ ، كُلَّ وَقْتٍ بِتَكْرَارٍ ؛ وَذِكْرَهُمْ وَإِعْلَانَهُمْ لِلتَّوْحِيدِ ، يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ لِلتَّوْحِيدِ مَرَاتِبَ كَثِيرَةً جِدّاً ؛ وَأَنَّ التَّوْحِيدَ وَظِيفَةٌ قُدُسِيَّةٌ ، وَفَرِيضَةٌ فِطْرِيَّةٌ ، وَعِبَادَةٌ إِيمَانِيَّةٌ ، أَهَمُّ وَأَحْلَىٰ وَأَعْلَىٰ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَتَعَالَ فَلْنَفْتَحْ أَيْضاً بَابَ مَنْزِلٍ آخَرَ ، لِدَارِ الْعِبْرَةِ هٰذِهِ ، لِلْحُصُولِ عَلَىٰ مَرْتَبَةٍ أُخْرَىٰ ؛ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ الْحَقِيقِيَّ الَّذِي نَطْلُبُهُ ، لَيْسَتْ مَعْرِفَةً عِبَارَةً عَنِ التَّصَوُّرِ فَقَطْ ؛ بَلْ هُوَ التَّصْدِيقُ الْمُقَابِلُ لِلتَّصَوُّرِ ، فِي عِلْمِ الْمَنْطِقِ ، وَالَّذِي هُوَ أَقْوَمُ كَثِيراً مِنَ الْمَعْرِفَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ ، وَهُوَ نَتِيجَةُ الْبُرْهَانِ ، وَيُدْعَا بِالْعِلْمِ . نَعَمْ : إِنَّ التَّوْحِيدَ الْحَقِيقِيَّ ، حُكْمٌ وَتَصْدِيقٌ وَإِذْعَانٌ وَقَبُولٌ كَذٰلِكَ ، بِحَيْثُ يُمْكِنُ أَنْ يَجِدَ رَبَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ؛ وَيُشَاهِدُ طَرِيقاً يَذْهَبُ

إِلٰى خَالِقِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَلَا يَكُونُ مَانِعاً عَنْ حُضُورِهِ أَيُّ شَيْءٍ . وَإِلَّا يَلْزَمُ شَقُّ حِجَابِ الْكَائِنَاتِ وَكَشْفُهُ كُلَّ وَقْتٍ ، لِيَجِدَ رَبَّهُ . فَقَالَ : فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَإِلَى الْأَمَامِ ؛ فَطَرَقَ بَابَ «الْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ» ؛ فَدَخَلَ مَنْزِلَ الْأَفْعَالِ وَالْآثَارِ ، وَعَالَمَ الْإِيجَادِ وَالْإِبْدَاعِ ؛ فَشَاهَدَ : أَنَّ خَمْسَ حَقَائِقَ مُحِيطَةٍ ، اسْتَوْلَتْ عَلَى الْكَائِنَاتِ ، تَحْكُمُ وَتُثْبِتُ التَّوْحِيدَ بِالْبَدَاهَةِ . .

﴿اَلْأُولٰى :﴾ هِيَ حَقِيقَةُ الْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ . وَقَدْ أُوضِحَتْ هٰذِهِ الْحَقِيقَةُ بِالْبَرَاهِينِ ، فِي الْمَقَامِ الثَّانِي مِنَ الشُّعَاعِ الثَّانِي ، وَفِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» . فَمِنْ ثَمَّةَ نَقُولُ هُنَا هٰذَا الْقَدَرَ ؛ وَهُوَ : أَنَّ الْمَوْلَى الَّذِي أَوْجَدَ الْكَوَاكِبَ ، الْمَوْجُودَةَ فِي مَسَافَةٍ يَبْعُدُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ بِآلَافِ السِّنِينَ ؛ فَيَتَصَرَّفُ فِيهَا فِي عَيْنِ الْآنِ بِنَفْسِ الْمِنْوَالِ ؛ وَيَخْلُقُ مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ أَفْرَادِ عَيْنِ الزَّهْرَةِ ، الْمَوْجُودَةِ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا ، وَجَنُوبِهَا وَشَمَالِهَا ؛ فَيُصَوِّرُهَا فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ ، وَفِي صُورَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَيُنْشِئُ فِي خَمْسَةٍ أَوْ سِتَّةِ أَسَابِيعَ ، طَوَائِفَ النَّبَاتَاتِ ، وَقَبَائِلَ الْحَيَوَانَاتِ ، أَزْيَدَ مِنْ مِئَتَيْ أَلْفٍ ؛ كَأَنَّهُ يُظْهِرُ أَمْثِلَةَ الْحَشْرِ الْأَعْظَمِ ، أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ أَلْفٍ ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، فِي مَوْسِمِ الرَّبِيعِ ؛ فَيُدِيرُهَا وَيُرَبِّيهَا وَيُعِيشُهَا وَيُمَيِّزُهَا وَيُزَيِّنُهَا مَعاً وَمُتَدَاخِلَةً ، بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ وَالْمِيزَانِ ، بِدُونِ الْتِبَاسٍ وَبِغَيْرِ نُقْصَانٍ وَبِلَا خَطَأٍ ، إِثْبَاتاً لِحَادِثَةٍ مَاضِيَةٍ غَيْبِيَّةٍ وَعَجِيبَةٍ جِدّاً ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ؛ يَعْنِي : خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، وَتَنْظِيراً عَجِيباً مِثْلَهَا ، بِحَادِثَةٍ حَاضِرَةٍ ، وَأَمَامَ الْعَيْنِ ؛ وَيُدَوِّرُ الْأَرْضَ بِصَرَاحَةِ آيَةِ : ﴿يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ﴾ ؛ فَيَصْنَعُ وَيُحَوِّلُ صَحَائِفَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ؛ وَيَكْتُبُهَا وَيَمْحُوهَا بِحَادِثَاتِهَا الْيَوْمِيَّةِ ، يَعْلَمُ عَيْنَ ذٰلِكَ الْمَوْلٰى ، أَخْفٰى وَأَدْنٰى خَوَاطِرِ الْقُلُوبِ ؛ وَيُدِيرُهَا بِإِرَادَتِهِ أَيْضاً ، فِي عَيْنِ الْآنِ . وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَفْعَالِ الْمَذْكُورَةِ ، فِعْلٌ وَاحِدٌ فَقَطْ ؛ فَيَكُونُ فَاعِلُهَا أَيْضاً ، وَاحِداً أَحَداً ، بِالضَّرُورَةِ ؛ فَلِفَاعِلِهَا الْقَدِيرِ ذِي الْجَلَالِ ، كِبْرِيَاءٌ وَعَظَمَةٌ بِالْبَدَاهَةِ ؛ فَلَا تَتْرُكُ أَيَّ إِمْكَانِ أَيِّ شِرْكٍ ، وَأَيَّ احْتِمَالِهِ بِأَيَّةِ جِهَةٍ ، فِي أَيِّ شَيْءٍ فِي أَيِّ مَكَانٍ ؛ فَتَقْطَعُهُ بِجِذْرِهِ . فَإِذَا كَانَتْ كِبْرِيَاءُ وَعَظَمَةُ قُدْرَةٍ هٰكَذَا ، مَوْجُودَةً ؛ وَكَانَتْ تِلْكَ الْكِبْرِيَاءُ ، فِي نِهَايَةِ الْكَمَالِ ، وَمُحِيطَةً ، فَلَيْسَ مُمْكِناً قَطْعاً بِأَيِّ

وَجْهٍ ، إِفْسَاحُ الْمَجَالِ ، وَالسَّمَاحُ بِشِرْكٍ ، يُورِثُ تِلْكَ الْقُدْرَةَ عَجْزاً أَوِ احْتِيَاجاً ؛ وَتِلْكَ الْكِبْرِيَاءَ قُصُوراً ؛ وَذٰلِكَ الْكَمَالَ نَقْصاً ؛ وَتِلْكَ الْإِحَاطَةَ قَيْداً ؛ وَعَدَمَ التَّنَاهِي ذَاكَ نِهَايَةً ؛ وَلَا يَقْبَلُهُ أَيُّ عَقْلٍ لَمْ يُفْسِدْ فِطْرَتَهُ . .

هٰذَا ؛ فَالشِّرْكُ بِجِهَةِ مَسِّهِ بِالْكِبْرِيَاءِ ، وَطَعْنِهِ فِي عِزَّةِ الْجَلَالِ ، وَقَدْحِهِ فِي عَظَمَتِهِ ، جِنَايَةٌ غَيْرُ قَابِلَةٍ لِلْعَفْوِ أَصْلاً ، حَيْثُ يَقُولُ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ ، بِتَهْدِيدٍ عَظِيمٍ : ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ﴾ . .

﴿اَلْحَقِيقَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ هِيَ إِطْلَاقُ الْأَفْعَالِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَإِحَاطَتُهَا وَظُهُورُهَا ، فِي صُورَةٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ ، الَّتِي يُشَاهَدُ تَصَرُّفُهَا فِي الْكَائِنَاتِ . وَإِنَّ الَّذِي يُقَيِّدُ تِلْكَ الْأَفْعَالَ وَيُحَدِّدُهَا ، هُوَ الْحِكْمَةُ وَالْإِرَادَةُ فَقَطْ ، وَقَابِلِيَّاتُ الْمَظَاهِرِ ؛ وَلَا يُمْكِنُ لِلتَّصَادُفِ الطَّائِشِ ، وَالطَّبِيعَةِ بِلَا شُعُورٍ ، وَالْقُوَّةِ الْعَوْرَاءِ ، وَالْأَسْبَابِ الْجَامِدَةِ ، وَالْعَنَاصِرِ بِلَا قَيْدٍ ، الْمُفْسِدَةِ وَالْمُنْتَشِرَةِ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ ، أَنْ تُخَالِطَ تِلْكَ الْأَفْعَالَ الْمَوْزُونَةَ وَالْحَكِيمَةَ ، وَالْبَصِيرَةَ وَالْحَيَّةَ ، وَالْمُنْتَظَمَةَ وَالْمُحْكَمَةَ لِلْغَايَةِ ؛ بَلْ تُسْتَعْمَلُ حِجَاباً ظَاهِرِيّاً لِلْقُدْرَةِ ، بِأَمْرِ الْفَاعِلِ ذِي الْجَلَالِ ، وَبِإِرَادَتِهِ وَقُوَّتِهِ . فَنُبَيِّنُ ثَلَاثَ نِكَاتٍ ، مِنْ نِكَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا ، لِثَلَاثَةِ أَفْعَالٍ ، تُشِيرُ إِلَيْهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ ، مُتَّصِلَةٍ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ سُورَةِ النَّحْلِ ، هِيَ ثَلَاثَةُ أَمْثِلَةٍ مِنْ أَمْثِلَتِهَا الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا . .

(اَلْأُولَى :) هِيَ آيَةُ : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً﴾ ، إِلَى آخِرِهَا . . نَعَمْ : إِنَّ النَّحْلَ مُعْجِزَةٌ لِلْقُدْرَةِ ، حَسَبَ الْفِطْرَةِ وَالْوَظِيفَةِ ؛ فَسُمِّيَتْ سُورَةُ النَّحْلِ الْعَظِيمَةُ بِاسْمِهَا ؛ لِأَنَّ كِتَابَةَ مَنْهَجٍ مُكَمَّلٍ لِوَظِيفَتِهَا الْأَهَمِّ ، فِي ذُرَيْرَةِ رَأْسِ جِهَازِ الْعَسَلِ الصَّغِيرِ ذٰلِكَ ، وَوَضْعَ أَحْلَى الْأَطْعِمَةِ ، فِي بَطْنِهَا الصَّغِيرِ جِدّاً ، وَطَبْخَهُ فِيهِ ، وَتَمْكِينَ السُّمِّ الَّذِي لَهُ خَاصِيَّةُ تَخْرِيبِ الْأَعْضَاءِ الْحَيَّةِ وَقَتْلِهَا ، فِي حُرَيْبَتِهَا ، دُونَ إِضْرَارٍ بِجِسْمِهَا وَعُضْوِهَا الصَّغِيرِ ذٰلِكَ ، إِنَّمَا تَكُونُ بِنِهَايَةِ الدِّقَّةِ وَالْعِلْمِ ، وَبِغَايَةِ الْحِكْمَةِ وَالْإِرَادَةِ ، وَبِتَمَامِ انْتِظَامٍ وَمُوَازَنَةٍ . فَمِنْ ثَمَّةَ لَا يُمْكِنُ قَطْعاً ، أَنْ يَتَدَخَّلَ فِيهَا ؛ وَلَا أَنْ يُخَالِطَهَا ، أَشْيَاءٌ مِثْلُ الطَّبِيعَةِ وَالصُّدْفَةِ ، الَّتِي لَا شُعُورَ وَلَا انْتِظَامَ وَلَا مِيزَانَ لَهَا . .

هٰذَا ؛ فَظُهُورُ وَإِحَاطَةُ هٰذِهِ الصَّنْعَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَهٰذَا الْفِعْلِ الرَّبَّانِيِّ ، الْمُعْجِزَتَيْنِ بِهٰذِهِ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ ، فِي وَجْهِ الْأَرْضِ كُلِّهَا ، وَفِي نَحْلٍ لَا حَدَّ لَهَا ، بِعَيْنِ الْحِكْمَةِ وَبِعَيْنِ الدِّقَّةِ ، وَفِي عَيْنِ الْمِيزَانِ ، وَفِي عَيْنِ الْآنِ ، وَفِي عَيْنِ النَّمَطِ ، يُثْبِتُ الْوَحْدَةَ بِالْبَدَاهَةِ . .

﴿اَلْآيَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ هِيَ آيَةُ : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾ ؛ وَهِيَ مَنْشُورٌ مُثِيرٌ لِلْعِبْرَةِ . . نَعَمْ : إِنَّ وَضْعَ لَبَنٍ خَالِصٍ طَاهِرٍ صَافٍ ، مُغَذٍّ لَذِيذٍ أَبْيَضَ ، فِي ثُدِيِّ الْوَالِدَاتِ ، اللَّاتِي هُنَّ مَعَامِلُ الْأَلْبَانِ – وَفِي الْمُقَدِّمَةِ الْبَقَرَةُ وَالنَّاقَةُ وَالْمَاعِزَةُ وَالنَّعْجَةُ – مِنْ بَيْنِ الْفَرْثِ وَالدَّمِ ، دُونَ تَلْوِيثٍ وَتَغْيِيرٍ ، وَمُخَالِفاً لَهُمَا كُلِّيًّا ؛ وَإِيدَاعَ شَفَقَةٍ ذَاتِ فِدَاءٍ فِي قُلُوبِهِنَّ ، أَطْيَبَ وَأَعْذَبَ وَأَحْلٰى وَأَغْلٰى مِنْ ذٰلِكَ اللَّبَنِ ، تِجَاهَ أَوْلَادِهِنَّ ، يَقْتَضِي قَطْعاً ، رَحْمَةً وَحِكْمَةً ، عِلْماً وَقُدْرَةً ، اخْتِيَاراً وَدِقَّةً ، لَا يُمْكِنُ بِأَيِّ جِهَةٍ ، أَنْ تَكُونَ شُؤُونَ مُصَادَفَاتٍ عَاصِفَةٍ ، وَعَنَاصِرَ مُفْسِدَةٍ ، وَقُوًى عَمْيَاءَ . .

هٰذَا ؛ فَتَجَلِّي هٰذِهِ الصَّنْعَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَهٰذَا الْفِعْلِ الْإِلٰهِيِّ ، الْحَكِيمَتَيْنِ وَالْمُعْجِزَتَيْنِ لِلْغَايَةِ هٰكَذَا ، وَتَصَرُّفُهُمَا وَصُنْعُهُمَا وَإِحَاطَتُهُمَا فِي عُمُومِ وَجْهِ الْأَرْضِ ، فِي قُلُوبِ وَثُدِيِّ مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ وَالِدَاتِ الْأَنْوَاعِ ، بِمِئَاتِ الْآلَافِ ، فِي عَيْنِ الْآنِ ، وَفِي عَيْنِ النَّمَطِ ، بِعَيْنِ الْحِكْمَةِ ، وَبِعَيْنِ الدِّقَّةِ ، تُثْبِتُ الْوَحْدَةَ بِالْبَدَاهَةِ . .

﴿اَلْآيَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ هِيَ آيَةُ : ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ . فَهٰذِهِ الْآيَةُ ، تَجْلِبُ نَظَرَ الْإِمْعَانِ ، إِلَى النَّخْلِ وَالْعِنَبِ ؛ فَتَقُولُ : إِنَّ فِي هَاتَيْنِ الثَّمَرَتَيْنِ ، آيَةً وَدَلِيلاً ، وَحُجَّةً عَظِيمَةً ، لِأَجْلِ التَّوْحِيدِ ، لِمَنْ تُوجَدُ عُقُولُهُمْ . نَعَمْ : إِنَّ هَاتَيْنِ الثَّمَرَتَيْنِ ، غِذَاءٌ وَقُوتٌ ، وَفَاكِهَةٌ وَثَمَرَةٌ ، وَمَنْشَأُ أَطْعِمَةٍ لَذِيذَةٍ كَثِيرَةٍ ؛ مَعَ أَنَّ هٰذِهِ الْأَشْجَارَ الْوَاقِفَةَ فِي رَمْلَةٍ عَطْشٰى ، وَفِي تُرْبَةٍ قَفْرَاءَ ، هِيَ مُعْجِزَةٌ لِلْقُدْرَةِ ، وَخَارِقَةٌ لِلْحِكْمَةِ ، وَمَصْنَعٌ لِلسُّكَّرِ ذِي الْحَلَاوَةِ ، وَجِهَازٌ لِلْمَشْرُوبِ ذِي الْعَسَلِ ، وَصَنْعَةٌ حَكِيمَةٌ وَدَقِيقَةٌ ، ذَاتُ مِيزَانٍ حَسَّاسٍ ، وَانْتِظَامٍ مُكَمَّلٍ ؛ بِحَيْثُ إِنَّ إِنْسَاناً لَهُ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الْعَقْلِ ، مُضْطَرٌّ لِلْقَوْلِ : بِأَنَّ مَنْ صَنَعَ هٰؤُلَاءِ هٰكَذَا ؛ إِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الذَّاتَ الْخَالِقَ لِهٰذِهِ

الْكَائِنَاتِ ؛ لِأَنَّ فِي فَرْعِ دَالِيَةِ الْعِنَبِ هٰذِهِ ، بِقَدَرِ إِصْبَعٍ ، أَمَامَ بَصَرِنَا مَثَلاً ، عِشْرِينَ عُنْقُوداً ؛ وَفِي كُلِّ عُنْقُودَةٍ ، مِئَاتِ حَبَّاتٍ مِنْ قُرَيْبَاتِ الْمَشْرُوبِ ذِي السُّكَّرِ ؛ وَأَنَّ إِلْبَاسَ غِلَافٍ رَقِيقٍ وَجَمِيلٍ ، لَطِيفٍ وَمُلَوَّنٍ ، عَلَى وَجْهِ كُلِّ حَبَّةٍ ؛ وَإِيدَاعَ نَوًى ذَاتِ قِشْرَةٍ صُلْبَةٍ ، وَلُبَّةٍ جَوْزِيَّةٍ ، هِيَ فِي حُكْمِ مَنْهَجِهَا وَقُوَّةِ ذَاكِرَتِهَا وَتَرْجَمَةِ حَيَاتِهَا ، فِي قَلْبِهَا الرَّقِيقِ النَّاعِمِ ؛ وَإِيجَادَ حَلَوِيَّةٍ مِثْلِ حَلَاوَةِ الْجَنَّةِ ، وَعَسَلٍ كَمَاءِ الْكَوْثَرِ ، فِي جَوْفِهَا ؛ وَإِبْدَاعَ عَيْنِ الصَّنْعَةِ الْخَارِقَةِ ، وَعَيْنِ الْحِكْمَةِ ، وَعَيْنِ الدِّقَّةِ ، فِي عَيْنِ الزَّمَانِ ، وَفِي عَيْنِ النَّمَطِ ، فِي أَمْثَالِهَا بِلَا حَدٍّ ، فِي جَمِيعِ وَجْهِ الْأَرْضِ ، تَدُلُّ قَطْعاً بِالْبَدَاهَةِ ، عَلَى أَنَّ فَاعِلَ هٰذَا الْعَمَلِ ، هُوَ خَالِقُ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَأَنَّ هٰذَا الْفِعْلَ الْمُقْتَضِيَ لِقُدْرَةٍ بِلَا نِهَايَةٍ ، وَلِحِكْمَةٍ بِلَا حَدٍّ ، إِنَّمَا هُوَ فِعْلُهُ . نَعَمْ : إِنَّ الْقُوَى وَالطَّبَائِعَ وَالْأَسْبَابَ الْعَمْيَاءَ وَالطَّائِشَةَ ، الْمُسْتَوْلِيَةَ وَالْمُفْسِدَةَ ، وَالَّتِي لَا انْتِظَامَ وَلَا شُعُورَ وَلَا هَدَفَ لَهَا ، لَا يُمْكِنُ أَنْ تُخَالِطَ هٰذَا الْمِيزَانَ الْحَسَّاسَ جِدّاً ، وَهٰذِهِ الصَّنْعَةَ الْمَاهِرَةَ جِدّاً ، وَهٰذَا الِانْتِظَامَ الْحَكِيمَ جِدّاً ؛ وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَمُدَّ أَيْدِيَهَا إِلَيْهَا ؛ وَلٰكِنَّهَا تُسْتَخْدَمُ بِالْأَمْرِ الرَّبَّانِيِّ ، فِي الِانْفِعَالِ وَالْقَبُولِ وَالتَّحَجُّبِ . .

هٰذَا ؛ فَمَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ جَلَوَاتِ وَتَصَرُّفَاتِ الْأَفْعَالِ الرَّبَّانِيَّةِ بِلَا حَدٍّ ، تَشْهَدُ بِاتِّفَاقٍ ، عَلَى وَحْدَةِ ذَاتٍ ذِي جَلَالٍ ، وَاحِدٍ أَحَدٍ فَرْدٍ ، كَالنُّكَاتِ الثَّلَاثِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّوْحِيدِ ، مِنَ الْحَقَائِقِ الثَّلَاثِ الَّتِي أَشَارَتْ إِلَيْهَا هٰذِهِ الْآيَاتُ الثَّلَاثُ . .

﴿اَلْحَقِيقَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ هِيَ إِيجَادُ الْمَوْجُودَاتِ ، وَخَاصَّةً النَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، فِي السُّرْعَةِ الْمُطْلَقَةِ ، بِالْكَثْرَةِ الْمُطْلَقَةِ وَالِانْتِظَامِ الْمُطْلَقِ ، وَفِي السُّهُولَةِ الْمُطْلَقَةِ ، بِغَايَةِ حُسْنِ الصَّنْعَةِ وَالْمَهَارَةِ وَالْإِتْقَانِ وَالِانْتِظَامِ ، وَفِي الِابْتِذَالِ الْمُطْلَقِ وَالِاخْتِلَاطِ الْمُطْلَقِ ، بِغَايَةِ الْغُلُوِّ وَالِامْتِيَازِ التَّامِّ . نَعَمْ : إِنَّ الْإِيجَادَ بِغَايَةِ السُّرْعَةِ ، مَعَ غَايَةِ الْكَثْرَةِ ، وَبِغَايَةِ الْيُسْرِ وَالسُّهُولَةِ ، مَعَ غَايَةِ الصِّنَاعَةِ وَالْمَهَارَةِ وَالدِّقَّةِ وَالِانْتِظَامِ ، وَذَاتَ قِيمَةٍ وَفَوَارِقَ لِلْغَايَةِ ، فِي غَايَةِ الِابْتِذَالِ وَالِاخْتِلَاطِ ، دُونَ تَلْوِيثٍ وَتَلْطِيخٍ وَتَغْيِيرٍ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِقُدْرَةِ ذَاتٍ وَاحِدٍ أَحَدٍ فَقَطْ ؛ بِحَيْثُ لَا يَثْقُلُ شَيْءٌ مَا عَلَى تِلْكَ الْقُدْرَةِ ؛ وَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ النُّجُومُ بِقَدَرِ الذَّرَّاتِ ؛ وَالْأَكْبَرُ

بِقَدَرِ الْأَصْغَرِ ؛ وَنَوْعٌ لا حَدَّ لِأَفْرَادِهِ ، بِقَدَرِ فَرْدٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ؛ وَكُلٌّ عَظِيمٌ وَمُحِيطٌ ، بِقَدَرِ جُزْءٍ خَاصٍّ وَقَلِيلٍ ؛ وَإِحْيَاءُ الْأَرْضِ الْجَسِيمَةِ وَبَعْثُهَا ، بِقَدَرِ شَجَرَةٍ ؛ وَإِنْشَاءُ شَجَرَةٍ كَجَبَلٍ ، بِقَدَرِ نَوَاةٍ كَظُفْرَةٍ ، هَيِّناً وَيَسِيراً وَسَهْلاً ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى تِلْكَ الْقُدْرَةِ ؛ حَتّٰى تَسْتَطِيعَ أَنْ تَفْعَلَ هٰذِهِ الْأَعْمَالَ الَّتِي تَعْمَلُ أَمَامَ بَصَرِنَا . .

هٰذَا ؛ فَيُفْتَحُ طِلْسِمُ الْقُرْآنِ ؛ وَيُعْلَمُ أَخْفٰى مُعَمَّى خِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ ، الَّذِي لا يُعْلَمُ ، وَالَّذِي تَرَكَ الْفَلْسَفَةَ عَاجِزَةٍ عَنْ إِدْرَاكِهِ – يُفْتَحُ – بِالْبَيَانِ وَالْحَلِّ وَالْكَشْفِ وَالْإِثْبَاتِ ، لِهٰذَا السِّرِّ الْأَهَمِّ ، سِرِّ هٰذِهِ الْمَرْتَبَةِ التَّوْحِيدِيَّةِ ، وَهٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الثَّالِثَةِ وَكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ – أَيْ صَيْرُورَةِ أَكْبَرِ كُلٍّ ، كَأَصْغَرِ جُزْءٍ ؛ وَعَدَمِ وُجُودِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْأَكْثَرِ وَالْأَقَلِّ – وَلِحِكْمَتِهَا هٰذِهِ ذَاتِ الْعِبْرَةِ ، وَلِطِلْسِمِهَا هٰذَا ذِي الْعَظَمَةِ ، وَلِمُعَمَّاهَا هٰذَا الَّذِي هُوَ فِي خَارِجِ طَوْرِ الْعَقْلِ ، وَلِأَهَمِّ أَسَاسِ الْإِسْلَامِ ، وَلِأَعْمَقِ مَدَارٍ لِلْإِيمَانِ ، وَلِأَعْظَمِ رُكْنٍ لِلتَّوْحِيدِ . .

فَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ لِخَالِقِيَ الرَّحِيمِ ، عَدَدَ حُرُوفَاتِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، مِئَاتِ آلَافِ الْمَرَّاتِ ؛ فَإِنَّ رِسَالَةَ النُّورِ ، قَدْ حَلَّتْ وَكَشَفَتْ وَأَثْبَتَتْ هٰذَا الطِّلْسِمَ الْعَجِيبَ ، وَهٰذَا الْمُعَمَّى الْغَرِيبَ ؛ وَقَدْ أَثْبَتَا فِي دَرَجَةِ صَيْرُورَةِ الاثْنَيْنِ فِي الاثْنَيْنِ أَرْبَعَةً ، بِبَرَاهِينَ قَطْعِيَّةٍ ، خَاصَّةً فِي آخِرِ الْمَكْتُوبِ الْعِشْرِينَ ، فِي بَحْثِ كَلِمَةِ : ﴿وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، وَفِي بَحْثِ «أَنَّ الْفَاعِلَ مُقْتَدِرٌ» ، مِنَ الْمَقَالَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ ، حَوْلَ الْحَشْرِ ، وَفِي مَرَاتِبِ «اَللّٰهُ أَكْبَرُ» ، فِي إِثْبَاتِ الْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، مِنَ اللَّمْعَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ الْعَرَبِيَّةِ . فَلِذٰلِكَ أَرَدْتُ الْبَيَانَ إِجْمَالاً ، لِلْأُسُسِ وَالْأَدِلَّةِ الْفَاتِحَةِ لِهٰذَا السِّرِّ ، وَالْإِشَارَةَ إِلٰى ثَلَاثَةَ عَشَرَ سِرّاً ، تَكُونُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ مِرْقَاةً فِي حُكْمِ فِهْرِسَةٍ ، مَعَ إِحَالَةِ الْإِيضَاحِ عَلَيْهَا ؛ فَكَتَبْتُ السِّرَّيْنِ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي ؛ وَلٰكِنَّ مَانِعَيْنِ قَوِيَّيْنِ مَادِّيّاً وَمَعْنَوِيّاً ، أَعْرَضَا بِي عَنْ مُتَبَاقِيهَا الْآنَ ، مَعَ التَّأَسُّفِ . .

﴿اَلسِّرُّ الْأَوَّلُ :﴾ أَنَّ شَيْئاً مَا ، إِذَا كَانَ ذَاتِيّاً ؛ لا يُمْكِنُ أَنْ يَعْرِضَ ضِدُّهُ عَلٰى ذٰلِكَ الذَّاتِ ؛ لِأَنَّهُ يَحْصُلُ اجْتِمَاعُ الضِّدَّيْنِ ؛ وَهُوَ مُحَالٌ . فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا السِّرِّ ، إِذَا كَانَتِ الْقُدْرَةُ الْإِلٰهِيَّةُ ذَاتِيَّةً ؛ وَكَانَتْ لَازِمَةً ضَرُورِيَّةً لِلذَّاتِ الْأَقْدَسِ ؛ فَإِنَّ الْعَجْزَ الَّذِي هُوَ ضِدُّ تِلْكَ الْقُدْرَةِ

لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْرِضَ عَلَى ذٰلِكَ الذَّاتِ الْقَدِيرِ . وَإِذَا كَانَ وُجُودُ الْمَرَاتِبِ فِي شَيْءٍ مَّا ، بِتَدَاخُلِ ضِدِّ ذٰلِكَ الشَّيْءِ فِيهِ ــ فَإِنَّ مَرَاتِبَ الضِّيَاءِ مَثَلاً ، كَالْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ ، هِيَ بِمُدَاخَلَةِ الظُّلْمَةِ ؛ وَإِنَّ دَرَجَاتِ زِيَادَةِ الْحَرَارَةِ وَهُبُوطِهَا ، هِيَ بِمُخَالَطَةِ الْبُرُودَةِ ؛ وَإِنَّ مَقَادِيرَ شِدَّةِ الْقُوَّةِ وَنُقْصَانِهَا ، هِيَ بِمُقَابَلَةِ الْمُقَاوَمَةِ وَمُمَانَعَتِهَا ــ فَلَا تُوجَدُ الْمَرَاتِبُ فِي تِلْكَ الْقُدْرَةِ الذَّاتِيَّةِ قَطْعاً ؛ فَتَخْلُقُ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ ، كَشَيْءٍ وَاحِدٍ فَقَطْ . وَإِذَا لَمْ تُوجَدِ الْمَرَاتِبُ فِي تِلْكَ الْقُدْرَةِ الذَّاتِيَّةِ ؛ وَلَمْ يُمْكِنِ الضَّعْفُ وَالنُّقْصَانُ فِيهَا ؛ فَلَا يُمْكِنُ لِأَيِّ مَانِعٍ أَنْ يُقَاوِمَهَا قَطْعاً ؛ وَلَا يُمْكِنُ لِأَيِّ إِيجَادٍ أَنْ يَثْقُلَ عَلَيْهَا أَصْلاً . وَإِذَا لَمْ يَثْقُلْ عَلَيْهَا أَيُّ شَيْءٍ ؛ فَإِنَّهَا تُنْشِئُ الْحَشْرَ الْأَعْظَمَ هَيِّناً بِقَدَرِ رَبِيعٍ ، وَرَبِيعاً سَهْلاً بِقَدَرِ شَجَرَةٍ ، وَشَجَرَةً بِلَا كُلْفَةٍ بِقَدَرِ زَهْرَةٍ ؛ كَمَا تَخْلُقُ زَهْرَةً مُصَنَّعَةً بِقَدَرِ شَجَرَةٍ ؛ وَشَجَرَةً ذَاتَ مُعْجِزَةٍ بِقَدَرِ رَبِيعٍ ؛ وَرَبِيعاً جَامِعاً وَخَارِقاً مِثْلَ حَشْرٍ ؛ وَإِنَّهَا تَخْلُقُهَا أَمَامَ عَيْنِنَا . . وَقَدْ أُثْبِتَ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ، بِبَرَاهِينَ كَثِيرَةٍ قَطْعِيَّةٍ وَقَوِيَّةٍ : أَنَّهُ لَوْلَا الْوَحْدَةُ وَالتَّوْحِيدُ ؛ لَصَارَتْ زَهْرَةٌ بِقَدَرِ شَجَرَةٍ ، بَلْ أَزْيَدَ إِشْكَالاً ؛ وَشَجَرَةٌ بِقَدَرِ رَبِيعٍ ، بَلْ أَشَدَّ صُعُوبَةً ؛ مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ تَسْقُطُ كُلِّيّاً حَسَبَ الْقِيمَةِ وَالصَّنْعَةِ ؛ وَلَمْ يُصْنَعْ ذُو حَيَاةٍ مَصْنُوعٌ الْآنَ فِي دَقِيقَةٍ ، إِلَّا فِي سَنَةٍ ؛ بَلْ وَلَمْ يَكُنْ يُصْنَعُ أَصْلاً . فَبِنَاءً عَلَى هٰذَا السِّرِّ الْمَذْكُورِ ، أَنَّ هٰؤُلَاءِ الْأَثْمَارَ ، وَهٰؤُلَاءِ الْأَزْهَارَ ، وَهٰؤُلَاءِ الْأَشْجَارَ وَالْحُوَيْنَاتِ ، الْقَيِّمَةَ لِلْغَايَةِ ، مَعَ غَايَةِ الْبَذْلِ وَالْكَثْرَةِ ، وَالْمُصَنَّعَةَ لِلْغَايَةِ ، مَعَ غَايَةِ السُّرْعَةِ وَالسُّهُولَةِ ، تَخْرُجُ إِلَى الْمَيْدَانِ مُنْتَظِمَةً ؛ وَتَمْضِي إِلَى صَدَارَةِ الْوَظِيفَةِ ؛ وَتَعْمَلُ تَسَابِيحَهَا فَتَقْضِيهَا ؛ وَتُوَكِّلُ بُذُورَهَا فِي مَكَانِهَا ؛ فَتَذْهَبُ . .

﴿اَلسِّرُّ الثَّانِي :﴾ كَمَا أَنَّ الشَّمْسَ الْوَاحِدَةَ فَقَطْ ، تُعْطِي الْمِرْآةَ الْوَاحِدَةَ فَقَطْ ، عَكْساً مُضِيئاً ، بِسِرِّ التَّنَوُّرِ وَالشَّفَافَةِ وَالْإِطَاعَةِ ، وَبِجَلْوَةٍ لِلْقُدْرَةِ الذَّاتِيَّةِ ؛ فَإِنَّهَا تَسْتَطِيعُ بِسُهُولَةٍ ، أَنْ تُعْطِيَ بِالْأَمْرِ الْإِلٰهِيِّ ، مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنَ الْمَرَايَا ، وَالْأَشْيَاءِ الشَّفَّافَةِ ، وَالْقَطَرَاتِ ، عَيْنَ عَكْسِهَا الْمُضِيءِ وَالدَّافِئِ ، مِنَ الْفَعَّالِيَّةِ الْوَاسِعَةِ لِقُدْرَتِهِ تِلْكَ الَّتِي لَا قَيْدَ لَهَا ؛ فَيَتَسَاوَى الْقَلِيلُ وَالْكَثِيرُ ؛ وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا . وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ الْكَلِمَةَ الْوَاحِدَةَ فَقَطْ إِذَا ذُكِرَتْ ؛ تَدْخُلُ تِلْكَ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ فِي أُذُنِ إِنْسَانٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ، بِدُونِ كُلْفَةٍ ؛ فَإِنَّهَا تَدْخُلُ رُؤُوسَ مِلْيُونٍ مِنَ الْآذَانِ ، بِالْإِذْنِ

الرَّبَّانِيِّ ، بِدُونِ كُلْفَةٍ ، مِنَ السِّعَةِ بِلا نِهَايَةٍ لِلْخَلّاقِيَّةِ بِلا نِهَايَةٍ ؛ فَيَتَسَاوَى الْمُسْتَمِعُ الْوَاحِدُ فَقَطْ ، وَالْمُسْتَمِعُونَ بِالْآلافِ ؛ وَلا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ . وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ نُوراً وَاحِداً فَقَطْ مِثْلَ الْعَيْنِ ، أَوْ رُوحَانِيّاً وَاحِداً فَقَطْ مِثْلَ جِبْرِيلَ ، يَنْظُرُ وَيَذْهَبُ بِسُهُولَةٍ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ؛ وَيُوجَدُ بِسُهُولَةٍ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ؛ فَإِنَّهُ يُوجَدُ فِي آلافِ الْأَمَاكِنِ أَيْضاً ؛ وَيَنْظُرُ وَيَذْهَبُ إِلَيْهَا بِسُهُولَةٍ بِالْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ لا فَرْقَ بَيْنَ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ الْقُدْرَةَ الذَّاتِيَّةَ الْأَزَلِيَّةَ ، نُورٌ أَلْطَفُ وَأَخَصُّ ، وَنُورُ جَمِيعِ الْأَنْوَارِ ؛ وَإِنَّ مَاهِيَّاتِ الْأَشْيَاءِ وَحَقَائِقَهَا ، وَوُجُوهَهَا الْمَلَكُوتِيَّةَ ، شَفَّافَةٌ وَمُشْرِقَةٌ مِثْلُ الْمِرْآةِ ؛ وَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الذَّرَّاتِ وَالنَّبَاتَاتِ وَذَوِي الْحَيَاةِ ، إِلَى النُّجُومِ وَالشُّمُوسِ وَالْأَقْمَارِ ، مُطِيعَةٌ وَمُنْقَادَةٌ فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ ، لِحُكْمِ تِلْكَ الْقُدْرَةِ الذَّاتِيَّةِ ، وَمُطِيعَةٌ وَمُسَخَّرَةٌ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، لِأَوَامِرِ تِلْكَ الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ تُنْشِئُ أَشْيَاءَ بِلا حَدٍّ ، كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ فَقَطْ ؛ وَتُوجَدُ عِنْدَهَا ؛ وَلا يَصِيرُ عَمَلٌ مَانِعاً لِعَمَلٍ ؛ وَيَتَسَاوَى الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ ، وَالْكَثِيرُ وَالْقَلِيلُ ، وَالْجُزْئِيُّ وَالْكُلِّيُّ ؛ وَلا يَثْقُلُ أَحَدُهَا عَلَيْهِ قَطْعاً . .

وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ سَفِينَةً عَظِيمَةً بِقَدْرِ مِئَةِ بِنَايَةٍ ، يُدَوِّرُهَا صَبِيٌّ وَيُسَيِّرُهَا ، كَمَا يُدِيرُ أُلْعُوبَتَهُ بِإِصْبَعِهِ ؛ وَأَنَّ آمِراً كَمَا يُثِيرُ مُجَنَّداً وَاحِداً فَقَطْ إِلَى الْهُجُومِ ، بِأَمْرٍ وَاحِدٍ ، يَسُوقُ جَيْشاً مُنْتَظِماً وَمُطِيعاً إِلَى الْهُجُومِ أَيْضاً ، بِذٰلِكَ الْأَمْرِ الْوَاحِدِ ؛ وَأَنَّ مِيزَاناً حَسَّاساً كَبِيراً جِدّاً ، إِذَا وُجِدَ فِي كَفَّتَيْهِ جَبَلانِ فِي وَضْعِ التَّوَازُنِ ، فَإِنَّ جَوْزَةً وَاحِدَةً ، كَمَا تَرْفَعُ إِلَى الْأَعْلٰى ، إِحْدٰى كَفَّتَيْ مِيزَانٍ آخَرَ ، فِي كَفَّتَيْهِ بَيْضَتَانِ ؛ وَتَنْزِلُ بِإِحْدَاهُمَا إِلَى الْأَسْفَلِ ، تَسْتَطِيعُ تِلْكَ الْجَوْزَةُ الْوَاحِدَةُ فَقَطْ ، بِقَانُونٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ، أَنْ تَرْفَعَ إِحْدٰى كَفَّتَيِ الْمِيزَانِ الْكَبِيرِ الْآخَرِ مَعَ الْجَبَلِ ، إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ ؛ وَأَنْ تَنْزِلَ بِالْجَبَلِ الْآخَرِ ، إِلَى قَعْرِ الْأَوْدِيَةِ ، ذٰلِكَ بِسِرِّ الانْتِظَامِ وَالْمُوَازَنَةِ ، وَالْإِطَاعَةِ لِلْحُكْمِ ، وَالِامْتِثَالِ بِالْأَوَامِرِ ؛ كَمَا ذُكِرَ فِي «الْمَقَالَتَيْنِ الْعَاشِرَةِ وَالتَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ» ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ الْقُدْرَةَ الرَّبَّانِيَّةَ الَّتِي هِيَ نُورَانِيَّةٌ ذَاتِيَّةٌ وَسَرْمَدِيَّةٌ ، لا قَيْدَ وَلا نِهَايَةَ لَهَا ، تُوجَدُ فِيهَا وَمَعَهَا حِكْمَةٌ بِلا نِهَايَةٍ ، وَعَدَالَةٌ إِلٰهِيَّةٌ حَسَّاسَةٌ لِلْغَايَةِ ، هُمَا مَنْشَأُ جَمِيعِ الِانْتِظَامَاتِ وَالنِّظَامَاتِ وَالْمُوَازَنَاتِ ،

وَمَنْبَعُهَا وَمَدَارُهَا وَمَصْدَرُهَا ؛ وَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، وَجَمِيعَ الْأَشْيَاءِ ، جُزْئِيّاً وَكُلِّيّاً ، كَبِيراً وَصَغِيراً ، مُسَخَّرَةٌ لِحُكْمِ تِلْكَ الْقُدْرَةِ ، وَمُنْقَادَةٌ لِتَصَرُّفِهَا ؛ فَلا رَيْبَ أَنَّهُ تَعَالىٰ ، كَمَا يُدَوِّرُ الذَّرَّاتِ وَيُحَرِّكُهَا سَهْلَةً ، يُدَوِّرُ النُّجُومَ أَيْضاً ؛ وَيُدِيرُهَا هَيِّنَةً ، بِسِرِّ نِظَامِ الْحِكْمَةِ ؛ وَكَمَا يُحْيِي ذُبَابَةً فِي الرَّبِيعِ بِالسُّهُولَةِ ، بِأَمْرٍ وَاحِدٍ ، يُحْيِي جَمِيعَ طَوَائِفِ الذُّبَّانِ ، وَجَمِيعَ النَّبَاتَاتِ ، وَجُيُوشَ الْحُوَيْنَاتِ ؛ فَيَسُوقُهَا إِلىٰ مَيْدَانِ الْحَيَاةِ ، بِعَيْنِ السُّهُولَةِ ، وَبِعَيْنِ الْأَمْرِ ، بِسِرِّ مَا فِي قُدْرَتِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمِيزَانِ ؛ وَكَمَا يُحْيِي شَجَرَةً فِي الرَّبِيعِ ؛ وَيُعْطِي عِظَامَهَا الْحَيَاةَ فَوْراً ، يُحْيِي الْأَرْضَ الْجَسِيمَةَ ، وَجَنَازَةَ الْأَرْضِ ، سَهْلاً ، كَتِلْكَ الشَّجَرَةِ ؛ فَيُنْشِئُ أَمْثِلَةَ مِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ مِنَ الْحَشْرِ ، فِي الرَّبِيعِ ، بِتِلْكَ الْقُدْرَةِ الْمُطْلَقَةِ ، ذَاتِ الْحِكْمَةِ وَالْعَدَالَةِ ؛ وَكَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ بِأَمْرٍ تَكْوِينِيٍّ ، يَأْتِي بِجَمِيعِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْحَيَوَانَاتِ ، وَالرُّوحَانِيَّاتِ وَالْمَلاَئِكَةِ ، إِلىٰ مَيْدَانِ الْحَشْرِ الْأَكْبَرِ ، وَأَمَامَ الْمِيزَانِ الْأَعْظَمِ ، بِعَيْنِ الْأَمْرِ ، وَبِعَيْنِ السُّهُولَةِ ؛ فَلا يَصِيرُ عَمَلٌ مَانِعاً لِعَمَلٍ ، بِسِرِّ هٰذِهِ الْآيَاتِ الثَّلاثِ ، فِي هٰذَا الْمَآلِ ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالىٰ : ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝﴾ : أَيْ إِنَّ جَمِيعَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، يَحْضُرُونَ لَدَيْنَا فِي مَيْدَانِ الْحَشْرِ ، بِأَمْرٍ وَاحِدٍ ، وَصَيْحَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ ؛ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالىٰ : ﴿وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ : أَيْ إِنَّ شَأْنَ الْقِيَامَةِ وَالْحَشْرِ ، وَصُنْعَهَا ، هُوَ بِقَدَرِ غَضِّ الطَّرْفِ فَفَتْحِهِ فَوْراً ، بَلْ أَقْرَبُ ؛ وَمَعَ آيَةِ : ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ؛ تَعْنِي : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ إِحْيَاءَكُمْ وَإِيجَادَكُمْ ، وَحَشْرَكُمْ وَنَشْرَكُمْ ، هَيِّنٌ كَإِحْيَاءِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، لا يَثْقُلُ عَلىٰ قُدْرَتِي . .

وَمِنَ السِّرِّ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ ، إِلَى السِّرِّ الثَّالِثَ عَشَرَ ، عُلِّقَ إِلىٰ وَقْتٍ آخَرَ ، خِلافاً لِإِرَادَتِي . .

﴿اَلْحَقِيقَةُ الرَّابِعَةُ :﴾ هِيَ إِعْلانُ الْمَوْجُودَاتِ لِلتَّوْحِيدِ ، فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ ؛ وَإِثْبَاتُهَا بِأَنَّ صَانِعَهَا وَاحِدٌ ؛ وَالْإِظْهَارُ بِأَنَّ الْكَائِنَاتِ فِي حُكْمِ كُلٍّ وَكُلِّيٍّ لا يَقْبَلانِ التَّجَزُّؤَ وَالانْقِسَامَ فِي جِهَةِ الرُّبُوبِيَّةِ ، مِنْ نِقَاطٍ كَثِيرَةٍ لِجِهَةِ الْوَحْدَةِ ، مِثْلِ وُجُودِهَا وَظُهُورِهَا فِي مُقَارَنَةٍ وَتَدَاخُلٍ ، وَالْوَحْدَةِ وَالتَّشَابُهِ ، وَكَوْنِ الْبَعْضِ مِثَالاً مُصَغَّراً وَنَمُوذَجاً أَكْبَرَ لِبَعْضٍ ، وَكَوْنِ قِسْمٍ كُلاًّ وَكُلِّيّاً ، وَالْقِسْمِ الْآخَرِ أَجْزَاءَهُ وَأَفْرَادَهُ ، وَمُشَابَهَةِ بَعْضٍ لِبَعْضٍ فِي سِكَّةِ الْفِطْرَةِ ، وَمُنَاسَبَتِهِ بِهِ فِي نَقْشِ

الصَّنْعَةِ، وَمُعَاوَنَةِ بَعْضٍ لِبَعْضٍ، وَتَكْمِيلِ بَعْضٍ لِوَظِيفَةِ الْآخَرِ الْفِطْرِيَّةِ. نَعَمْ: إِنَّ إِيجَادَ مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ أَفْرَادِ أَرْبَعِمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ مِنَ النَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ، فِي كُلِّ رَبِيعٍ، وَإِدَارَتَهَا وَإِعَاشَتَهَا مُجْتَمِعَةً وَمُتَدَاخِلَةً، فِي آنٍ وَاحِدٍ، وَفِي نَمَطٍ وَاحِدٍ، بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ وَحُسْنِ الصَّنْعَةِ، دُونَ سَهْوٍ وَلَا خَطَأٍ؛ وَخَلْقَ مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ أَفْرَادِ الطُّيُورِ، مِنَ الذِّبَّانِ الَّتِي هِيَ أَمْثِلَتُهَا الْمُصَغَّرَةُ، إِلَى الصُّقُورِ الَّتِي هِيَ نَمَاذِجُهَا الْكُبْرٰى؛ وَمَنْحَ الْأَجْهِزَةِ الْمُسَاعِدَةِ لِعَيْشِهَا وَسِيَاحَتِهَا فِي عَالَمِ الْهَوَاءِ؛ فَتَسْيِيرَهَا فِيهِ؛ وَتَعْمِيرَ الْهَوَاءِ بِهَا؛ مَعَ وَضْعِ سِكَكٍ مُعْجِزَةٍ مِنَ الصَّنْعَةِ فِي وُجُوهِهَا، وَخَوَاتِمَ مُدَبَّرَةٍ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي أَجْسَامِهَا، وَطُرَرٍ مُرَبِّيَةٍ مِنَ الْأَحَدِيَّةِ فِي مَاهِيَّاتِهَا؛ وَالسَّوْقَ وَالْبَعْثَ لِلذَّرَّاتِ الطَّعَامِيَّةِ عَلٰى وَجْهِ الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ، إِلٰى إِمْدَادِ الْخَلَايَا الْبَدَنِيَّةِ، وَالنَّبَاتَاتِ إِلٰى إِمْدَادِ الْحَيَوَانَاتِ، وَالْحَيَوَانَاتِ إِلٰى عَوْنِ النَّاسِ، وَجَمِيعِ الْوَالِدَاتِ إِلٰى مُعَاوَنَةِ الْأَطْفَالِ الَّتِي لَا اقْتِدَارَ لَهَا؛ وَالتَّصَرُّفَ فِيهَا بِعَيْنِ الاِنْتِظَامِ وَحُسْنِ الصَّنْعَةِ، وَعَيْنِ الْفِعْلِ وَكَمَالِ الْحِكْمَةِ، مِنْ دَائِرَةِ الْمَجَرَّةِ، وَمِنَ الْمَنْظُومَةِ الشَّمْسِيَّةِ وَالْعَنَاصِرِ الْأَرْضِيَّةِ، إِلٰى أَغْطِيَةِ حَدَقَةِ الْعَيْنِ، وَأَوْرَاقِ كِمَامَةِ الْوَرْدَةِ، وَأَقْمِصَةِ سُنْبُلَةِ الذُّرَةِ، وَنَوَى الْبِطِّيخَةِ، كَالدَّوَائِرِ الْمُتَدَاخِلَةِ، وَفِي حُكْمِ الْجُزْئِيَّاتِ وَالْكُلِّيَّاتِ، تُثْبِتُ قَطْعاً فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ: أَنَّ فَاعِلَ هٰذِهِ الْأُمُورِ، وَاحِدٌ أَحَدٌ فَرْدٌ، تُوجَدُ سِكَّتُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ وَأَنَّهُ لَيْسَ فِي أَيِّ مَكَانٍ؛ كَمَا أَنَّهُ حَاضِرٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بَعِيدٌ عَنْهُ؛ أَمَّا هُوَ، فَقَرِيبٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، كَالشَّمْسِ؛ وَأَنَّ الْأَشْيَاءَ الْكُبْرٰى، مِثْلَ دَائِرَةِ الْمَجَرَّةِ وَالْمَنْظُومَةِ الشَّمْسِيَّةِ، لَا تَثْقُلُ عَلَيْهِ؛ كَمَا أَنَّ الْكُرَيْوَاتِ فِي الدَّمِ، وَالْخَاطِرَاتِ فِي الْقَلْبِ، لَا تَخْتَفِي عَنْهُ؛ وَلَا تَبْقٰى خَارِجَةً عَنْ تَصَرُّفِهِ؛ وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مَهْمَا كَانَ كَبِيراً وَكَثِيراً، هَيِّنٌ عَلَيْهِ كَشَيْءٍ أَصْغَرَ وَأَقَلَّ؛ فَيَخْلُقُ بِسُهُولَةٍ، الذُّبَابَ فِي هَيْئَةِ الصَّقْرِ؛ وَالنَّوَاةَ فِي مَاهِيَّةِ الشَّجَرَةِ؛ وَشَجَرَةً فِي صُورَةِ حَدِيقَةٍ؛ وَحَدِيقَةً فِي صَنْعَةِ رَبِيعٍ؛ وَرَبِيعاً فِي وَضْعِيَّةِ حَشْرٍ؛ وَيُعْطِينَا الْأَشْيَاءَ الْقَيِّمَةَ جِدّاً حَسَبَ الصَّنْعَةِ؛ وَيُحْسِنُ بِهَا إِلَيْنَا رَخِيصَةً جِدّاً؛ أَمَّا الثَّمَنُ الَّذِي يَطْلُبُهُ، فَهُوَ تَسْمِيَةٌ وَتَحْمِيدَةٌ؛ تَعْنِي: أَنَّ الثَّمَنَ الْمَقْبُولَ لِتِلْكَ النِّعَمِ الْقَيِّمَةِ جِدّاً، هُوَ أَنْ يَقُولَ أَوَّلاً: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وَفِي آخِرِهَا: ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ﴾ .. وَإِنَّ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ الرَّابِعَةَ أَيْضاً،

قَدْ أُوضِحَتْ وَأُثْبِتَتْ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ نَكْتَفِي بِهٰذِهِ الْإِشَارَةِ الْمُخْتَصَرَةِ جِدّاً . .

﴿اَلْحَقِيقَةُ الْخَامِسَةُ :﴾ الَّتِي شَاهَدَهَا سَيَّاحُنَا ، فِي الْمَنْزِلِ الثَّانِي : هِيَ وُجُودُ انْتِظَامٍ أَكْمَلَ فِي مَجْمُوعِ الْكَائِنَاتِ ، وَفِي أَرْكَانِهَا وَأَجْزَائِهَا ، وَفِي كُلِّ مَوْجُودٍ مِنْهَا ؛ وَكَوْنُ الْمَوَادِّ وَالْمُوَظَّفَاتِ ـ الَّتِي هِيَ الْمَدَارُ لِتَدْوِيرِ وَإِدَارَةِ تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ الْوَاسِعَةِ ، وَالْمُتَعَلِّقَةُ بِهَيْئَتِهَا الْعُمُومِيَّةِ ـ هِيَ وَحَدَاتٍ ؛ وَإِحَاطَةُ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ الْمُتَصَرِّفَةِ فِي ذٰلِكَ الْبَلَدِ وَالْمَشْهَرِ الْمُحْتَشِمِ ؛ وَشُمُولُهَا عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ أَوْ أَكْثَرِ الْأَشْيَاءِ ، مَعَ كَوْنِهَا وَحَدَاتٍ وَمَاهِيَّاتٍ وَاحِدَةً وَمُتَدَاخِلَةً ، وَعَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ؛ وَإِحَاطَةُ الْعَنَاصِرِ وَالْأَنْوَاعِ الَّتِي هِيَ الْمَدَارُ لِتَدْبِيرِ ذٰلِكَ الْقَصْرِ الْمُزَيَّنِ ، وَلِعُمْرَانِهِ وَبِنَائِهِ ، بِالْاِنْتِشَارِ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ وَعَلٰى أَكْثَرِهَا ، مَعَ كَوْنِهَا وَحَدَاتٍ وَمَاهِيَّاتٍ وَاحِدَةً وَمُتَدَاخِلَةً ؛ وَوُجُودُ عَيْنِ الْعَنَاصِرِ وَعَيْنِ الْأَنْوَاعِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، تَقْتَضِي وَتَدُلُّ وَتَشْهَدُ وَتُبَيِّنُ قَطْعاً ، بِالْبَدَاهَةِ وَبِالضَّرُورَةِ : أَنَّ صَانِعَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ وَمُدَبِّرَهَا ، وَسُلْطَانَ هٰذِهِ الْمَمْلَكَةِ وَمُرَبِّيَهَا ، وَصَاحِبَ هٰذِهِ الْعِمَارَةِ وَبَانِيَهَا ، فَرْدٌ وَاحِدٌ أَحَدٌ ، لَا يُمْكِنُ مِثْلُهُ وَنَظِيرُهُ ؛ وَلَا يُوجَدُ مُعِينُهُ وَوَزِيرُهُ ؛ وَلَا يُمْكِنُ ضِدُّهُ وَشَرِيكُهُ ؛ وَلَا يُوجَدُ عَجْزُهُ وَقُصُورُهُ . نَعَمْ : إِنَّ الْاِنْتِظَامَ ، وَحْدَةٌ تَامَّةٌ تَقْتَضِي نِظَاماً وَاحِداً فَقَطْ ؛ وَلَا تَحْتَمِلُ شِرْكاً يَكُونُ مَدَاراً لِلْمُنَاقَشَةِ . فَإِذَا كَانَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، كُلِّيّاً كَانَ أَوْ جُزْئِيّاً ، مِنْ هَيْئَةِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ الْمَجْمُوعَةِ ، وَمِنْ دَوْرَةِ الْأَرْضِ الْيَوْمِيَّةِ وَالسَّنَوِيَّةِ ، إِلٰى سِيمَا الْإِنْسَانِ ، وَإِلٰى مَنْظُومَةِ حَوَاسِّ رَأْسِهِ ، وَدَوَرَانِ مَا فِي الدَّمِ مِنَ الْكُرَيْوَاتِ الْبَيْضَاءِ وَالْحَمْرَاءِ وَجَرَيَانِهَا ، فِيهِ انْتِظَامٌ ذُو حِكْمَةٍ وَدِقَّةٍ ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَيُّ شَيْءٍ قَطْعاً ، أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلٰى أَيِّ شَيْءٍ ؛ وَأَنْ يُخَالِطَهُ بِصُورَةِ الْقَصْدِ وَالْإِيجَادِ ، سِوٰى قَدِيرٍ مُطْلَقٍ وَحَكِيمٍ مُطْلَقٍ ؛ بَلْ إِنَّمَا يَقْبَلُ وَيَصِيرُ مَظْهَراً وَمُنْفَعِلاً . وَإِذَا كَانَ التَّنْظِيمُ ، وَخَاصَّةً تَعْقِيبَ الْغَايَاتِ ، وَإِعْطَاءَ انْتِظَامٍ مَّا مُرَاعِياً لِلْمَصَالِحِ ، إِنَّمَا يَحْصُلُ بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ؛ وَيُصْنَعُ بِالْاِخْتِيَارِ وَالْإِرَادَةِ ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّ هٰذَا الْاِنْتِظَامَ الْمُرَبِّيَ لِلْحِكْمَةِ ؛ وَمَا لَا حَدَّ لَهَا مِنِ انْتِظَامَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ هٰذِهِ ، الْمُتَنَوِّعَةِ وَالْمُرَاعِيَةِ لِلْمَصَالِحِ أَمَامَ بَصَرِنَا ، تَدُلُّ قَطْعاً ، وَعَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ وَتَشْهَدُ فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ : عَلٰى أَنَّ خَالِقَ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ وَمُدَبِّرَهَا ، وَاحِدٌ وَفَاعِلٌ مُخْتَارٌ ،

يَأْتِي كُلُّ شَيْءٍ إِلَى الْوُجُودِ بِقُدْرَتِهِ ؛ وَيَتَّخِذُ وَضْعاً مَخْصُوصاً ، فَرْداً فَرْداً ، بِإِرَادَتِهِ ؛ وَيَلْبَسُ صُورَةً مُنْتَظِمَةً بِاخْتِيَارِهِ . وَأَيْضاً إِذَا كَانَ مَوْقِدُ وَسِرَاجُ مَضْيَفَةِ هٰذِهِ الدُّنْيَا وَاحِداً ؛ وَقِنْدِيلُهَا ذُو التَّقْوِيمِ وَاحِداً ؛ وَإِسْفِنْجُهَا ذُو الرَّحْمَةِ وَاحِداً ؛ وَطَبَّاخُهَا ذُو النَّارِ وَاحِداً ؛ وَمَشْرُوبُهَا ذُو الْحَيَاةِ وَاحِداً ؛ وَمَزْرَعَتُهَا ذَاتُ الْحِمَايَةِ وَاحِدَةً ، إِلٰى أَلْفِ وَحْدَةٍ وَوَحْدَةٍ ؛ فَهٰذِهِ الْوَحَدَاتُ تَشْهَدُ قَطْعاً بِالْبَدَاهَةِ ، عَلٰى أَنَّ صَانِعَ هٰذِهِ الْمَضْيَفَةِ وَصَاحِبَهَا وَاحِدٌ ؛ وَأَنَّهُ كَرِيمٌ وَمُضِيفٌ لِلْغَايَةِ ، جَعَلَ مَأْمُورَاتِهِ الْعَلِيَّةَ وَالْعَظِيمَةَ هٰؤُلَاءِ ، خَدَمَةً لِضُيُوفِهِ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ فَيَسْتَخْدِمُهَا لِاسْتِرَاحَتِهِمْ . وَأَيْضاً أَنَّ الْأَسْمَاءَ مِثْلَ «الْحَكِيمِ وَالرَّحِيمِ ، وَالْمُصَوِّرِ وَالْمُدَبِّرِ ، وَالْمُحْيِي وَالْمُرَبِّي» ، وَالشُّؤُونَ مِثْلَ «الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعِنَايَةِ» ، وَالْأَفْعَالَ مِثْلَ «التَّصْوِيرِ وَالتَّدْوِيرِ وَالتَّرْبِيَةِ» ، الَّتِي تَتَصَرَّفُ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنَ الدُّنْيَا ؛ وَتُشَاهَدُ نُقُوشُهَا وَجِلْوَاتُهَا ، إِذَا كَانَتْ وَحَدَاتٍ ؛ وَكَانَتْ عَيْنُ الْأَسْمَاءِ وَعَيْنُ الْأَفْعَالِ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ ، مُتَدَاخِلَةً وَمُحِيطَةً ، وَفِي مَرْتَبَةٍ نِهَائِيَّةٍ ؛ وَيُكَمِّلُ بَعْضُهَا نَقْشَ بَعْضٍ ؛ فَكَأَنَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ وَتِلْكَ الْأَفْعَالَ تَتَّحِدُ ؛ فَتَصِيرُ الْقُدْرَةُ عَيْنَ الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ ؛ وَالْحِكْمَةُ عَيْنَ الْعِنَايَةِ وَالْحَيَاةِ ؛ فَحِينَمَا يُشَاهَدُ تَصَرُّفُ اسْمِ «الْمُحْيِي» مَثَلاً ، فِي شَيْءٍ مَّا ؛ تُشَاهَدُ تَصَرُّفَاتُ أَسْمَاءٍ كَثِيرَةٍ مِثْلِ «الْخَالِقِ وَالْمُصَوِّرِ وَالرَّزَّاقِ» ، فِي عَيْنِ الْآنِ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ ، فِي عَيْنِ الطِّرَازِ ؛ فَتَشْهَدُ قَطْعاً وَقَطْعاً وَبِالْبَدَاهَةِ ، عَلٰى أَنَّ مُسَمّٰى تِلْكَ الْأَسْمَاءِ الْمُحِيطَةِ ، وَفَاعِلَ تِلْكَ الْأَفْعَالِ الشَّامِلَةِ ، الْمَشْهُودَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، عَلٰى نَفْسِ الْمِنْوَالِ ، وَاحِدٌ أَحَدٌ فَرْدٌ – آمَنَّا وَصَدَّقْنَا – . وَأَيْضاً إِذَا كَانَتِ الْعَنَاصِرُ الَّتِي هِيَ مَوَادُّ الْمَصْنُوعَاتِ وَرَوْبَتُهَا ، تُحِيطُ بِالْأَرْضِ ؛ وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِسِكَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ دَالَّةٍ عَلَى الْوَحْدَةِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ، يَنْتَشِرُ فِي وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ فَيَسْتَوْلِي عَلَيْهَا ؛ وَهُوَ وَاحِدٌ ، تُثْبِتُ قَطْعاً بِالْبَدَاهَةِ : أَنَّ أُولَائِكَ الْعَنَاصِرَ بِمُشْتَمَلَاتِهَا ، وَتِلْكَ الْأَنْوَاعَ بِأَفْرَادِهَا ، مَالُ مَوْلًى وَاحِدٍ وَمُلْكُهُ ، وَمَصْنُوعَاتُ قَدِيرٍ وَاحِدٍ وَخُدَّامُهُ ؛ فَيَسْتَخْدِمُ تِلْكَ الْعَنَاصِرَ الْمُسْتَوْلِيَةَ الْعَظِيمَةَ ، وَأُولَائِكَ الْأَنْوَاعَ الْمُنْتَشِرَةَ ، إِلٰى كُلِّ نَوَاحِي الْأَرْضِ ، فِي حُكْمِ خَادِمٍ مُطِيعٍ لِلْغَايَةِ ، وَمُجَنَّدٍ مُنْتَظِمٍ لِلْغَايَةِ . . وَإِنَّ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ أَيْضاً ، أُثْبِتَتْ وَأُوضِحَتْ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ

نَكْتَفِي هُنَا بِهٰذِهِ الْإِشَارَةِ الْمُخْتَصَرَةِ . .

فَسَيَّاحُنَا يُلَخِّصُ مُشَاهَدَاتِهِ ؛ وَيُتَرْجِمُ حِسِّيَّاتِهِ ، بِنَشْوَةِ الْفَيْضِ الْإِيمَانِيِّ وَالذَّوْقِ التَّوْحِيدِيِّ الَّذِي اسْتَفَادَهُ مِنْ هٰذِهِ الْحَقَائِقِ الْخَمْسِ ؛ فَيَقُولُ لِقَلْبِهِ :

﴿اُنْظُرْ إِلَى الصَّفْحَةِ الْمُتَلَوِّنَةِ مِنْ كِتَابِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَأَبْصِرْ مَا صَوَّرَهُ قَلَمُ الْقُدْرَةِ الذَّهَبِيُّ﴾(١) . .

﴿لَمْ تَبْقَ نُقْطَةٌ مُظْلِمَةٌ لِأَبْصَارِ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ ؛ فَكَأَنَّهُ كَتَبَ آيَاتِ اللّٰهِ بِالنُّورِ﴾(٢) . .

وَاعْلَمْ أَيْضاً :

﴿إِنَّ أَوْرَاقَ كِتَابِ الْعَالَمِ ، هِيَ الْأَبْعَادُ غَيْرُ الْمَحْدُودَةِ ؛ وَإِنَّ سُطُورَ حَادِثَاتِ الدَّهْرِ ، هِيَ الْأَعْصَارُ غَيْرُ الْمَعْدُودَةِ﴾(٣) . .

﴿وَإِنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ فِي الْعَالَمِ ، لَفْظٌ مُفِيدٌ مُجَسَّمٌ ، كُتِبَ فِي مَعْمَلِ لَوْحِ الْحَقِيقَةِ ذٰلِكَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ﴾(٤) . .

وَاسْتَمِعْ أَيْضاً :

﴿كَيْفَ يَعْرِفُ كُلُّ شَيْءٍ مَعاً بِـ ﴿لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ ؟ . فَيُنَادُونَ دَائِماً : (يَا حَقُّ) ؛ وَيَقُولُونَ جَمِيعاً : (يَا حَيُّ) ! .﴾(٥) . .

فَقَالَ : نَعَمْ : «وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ۞ تَدُلُّ عَلٰى أَنَّهُ وَاحِدٌ» ؛ فَصَدَّقَتْ نَفْسُهُ أَيْضاً مَعَ قَلْبِهِ ؛ فَقَالُوا : نَعَمْ ، نَعَمْ . .

---

(١) اَلْأَصْلُ التُّرْكِيُّ : ﴿بَاقْ كِتَابِ كَائِنَاتِكْ صَفْحَهٔ رَنْكِينِنَه ۞ خَامَهٔ زَرِّين قُدْرَتْ كُورْ نَهْ تَصْوِيرْ اَيْلَمِشْ﴾ . .

(٢) اَلْأَصْلُ التُّرْكِيُّ : ﴿قَالْمَامِيشْ بِرْنُقْطَه مُظْلِمْ چَشْمِ دِلْ أَرْبَابِنَه ۞ صَانْكَه آيَاتِينْ خُدَا نُورْ إِيلَه تَحْرِيرْ اَيْلَمِشْ﴾ . .

(٣) اَلْأَصْلُ التُّرْكِيُّ : ﴿كِتَابِ عَالَمِكْ أَوْرَاقِيدِرْ أَبْعَادِ نَامَحْدُودْ ۞ سُطُورِ حَادِثَاتِ دَهْرِدِرْ ، أَعْصَارِ نَامَعْدُودْ﴾ . .

(٤) اَلْأَصْلُ التُّرْكِيُّ : ﴿يَا زِلْمِيشْ دَسْتَكَاهِ لَوْحِ مَحْفُوظِ حَقِيقَتْدَه ۞ مُجَسَّمْ لَفْظِ مَعْنِيدَارِ دِرْ عَالَمْدَه هَرْمَوْجُودْ﴾ . .

(٥) اَلْأَصْلُ الْفَارِسِيُّ : ﴿چُو ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ بَرَابَرْ مِيزَنَدْ هَرْشَيْ ۞ دَمَادَمْ جُويَدَنْد (يَا حَقْ) سَرَاسَرْ كُويَدَنْد (يَا حَيْ) ! .﴾ . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (ﷻ) . .

هٰذَا ؛ فَقِيلَ فِي الْبَابِ الثَّانِي مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ فِيمَا يَعُودُ إِلَى الْمَنْزِلِ الثَّانِي ، إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً إِلَى الْحَقَائِقِ التَّوْحِيدِيَّةِ الْخَمْسِ الَّتِي شَاهَدَهَا مُسَافِرُ الدُّنْيَا ، وَسَيَّاحُ الْكَائِنَاتِ ، فِي الْمَنْزِلِ الثَّانِي ، قِيلَ هٰكَذَا : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الَّذِي دَلَّ عَلٰى وَحْدَتِهِ فِي وُجُوبِ وُجُودِهِ ، مُشَاهَدَةُ حَقِيقَةِ الْكِبْرِيَآءِ وَالْعَظَمَةِ فِي الْكَمَالِ وَالْإِحَاطَةِ ؛ وَكَذَا مُشَاهَدَةُ حَقِيقَةِ ظُهُورِ الْأَفْعَالِ بِالْإِطْلَاقِ وَعَدَمِ النِّهَايَةِ ، لَا تُقَيِّدُهَا إِلَّا الْإِرَادَةُ وَالْحِكْمَةُ ؛ وَكَذَا مُشَاهَدَةُ حَقِيقَةِ إِيجَادِ الْمَوْجُودَاتِ بِالْكَثْرَةِ الْمُطْلَقَةِ فِي السُّرْعَةِ الْمُطْلَقَةِ ، وَخَلْقِ الْمَخْلُوقَاتِ بِالسُّهُولَةِ الْمُطْلَقَةِ فِي الْإِتْقَانِ الْمُطْلَقِ ، وَإِبْدَاعِ الْمَصْنُوعَاتِ بِالْمَبْذُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ فِي غَايَةِ حُسْنِ الصَّنْعَةِ وَغُلُوِّ الْقِيمَةِ ؛ وَكَذَا مُشَاهَدَةُ حَقِيقَةِ وُجُودِ الْمَوْجُودَاتِ ، عَلٰى وَجْهِ الْكُلِّ وَالْكُلِّيَّةِ ، وَالْمَعِيَّةِ وَالْجَامِعِيَّةِ ، وَالتَّدَاخُلِ وَالْمُنَاسَبَةِ ؛ وَكَذَا مُشَاهَدَةُ حَقِيقَةِ الْانْتِظَامَاتِ الْعَامَّةِ الْمُنَافِيَةِ لِلشِّرْكَةِ ؛ وَكَذَا مُشَاهَدَةُ وَحْدَةِ مَدَارَاتِ تَدَابِيرِ الْكَائِنَاتِ الدَّالَّةِ عَلٰى وَحْدَةِ صَانِعِهَا بِالْبَدَاهَةِ ؛ وَكَذَا وَحْدَةُ الْأَسْمَآءِ وَالْأَفْعَالِ الْمُتَصَرِّفَةِ الْمُحِيطَةِ ؛ وَكَذَا وَحْدَةُ الْعَنَاصِرِ وَالْأَنْوَاعِ الْمُنْتَشِرَةِ الْمُسْتَوْلِيَةِ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ﴾ ..

ثُمَّ إِنَّ سَيَّاحَ الْعَالَمِ ذٰلِكَ ، بَيْنَمَا كَانَ يَسِيحُ فِي الْعُصُورِ ، صَادَفَ مَدْرَسَةَ «مُجَدِّدِ الْأَلْفِ الثَّانِي ، الْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ أَحْمَدَ الْفَارُوقِيِّ» ؛ فَدَخَلَهَا وَاسْتَمَعَ إِلَيْهِ ؛ فَكَانَ ذٰلِكَ الْإِمَامُ يَقُولُ ، وَهُوَ يُلْقِي الدَّرْسَ : «إِنَّ أَهَمَّ نَتَائِجِ جَمِيعِ الطُّرُقِ ، هِيَ انْكِشَافُ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ وَإِنَّ انْكِشَافَ مَسْأَلَةٍ إِيمَانِيَّةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ ، بِوُضُوحٍ ، مُرَجَّحٌ عَلٰى أَلْفِ كَرَامَةٍ وَذَوْقٍ» ؛ وَكَانَ يَقُولُ أَيْضاً : «إِنَّ السَّادَاتِ الْأَكَابِرَ ، قَالُوا فِي الزَّمَانِ الْقَدِيمِ : [سَيَأْتِي وَاحِدٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَمِنْ عُلَمَاءِ عِلْمِ الْكَلَامِ ؛ فَيُثْبِتُ الْحَقَائِقَ الْإِيمَانِيَّةَ وَالْإِسْلَامِيَّةَ ، بِالدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ ، بِكَمَالِ الْوُضُوحِ ..] ؛ وَإِنِّي أَطْلُبُ أَنْ أَكُونَ إِيَّاهُ ؛ وَيُحْتَمَلُ أَنْ أَكُونَ ذٰلِكَ الرَّجُلَ ..»[1] ؛ هٰكَذَا كَانَ يَقُولُ ..

---

(١) لَقَدْ أَثْبَتَ الزَّمَانُ : أَنَّ ذٰلِكَ الرَّجُلَ ، هُوَ «رِسَالَةُ النُّورِ» ؛ وَلَيْسَ رَجُلاً ؛ بَلْ إِنَّ أَهْلَ الْكَشْفِ شَاهَدُوا فِي كَشْفِهِمْ ، «رِسَالَةَ النُّورِ» ، فِي صُورَةِ تَرْجُمَانِهَا وَنَاشِرِهَا الَّذِي لَا أَهَمِّيَّةَ لَهُ ؛ فَقَالُوا : إِنَّهُ رَجُلٌ .. اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله تعالى عنه) ..

فَيُعَلِّمُ «أَنَّ الْإِيمَانَ وَالتَّوْحِيدَ ، أَسَاسُ جَمِيعِ الْكَمَالَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ وَأَنَّ دُسْتُورَ ﴿تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ﴾ ، عَائِدٌ إِلَى التَّفَكُّرَاتِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ وَأَنَّ أَهَمِّيَّةَ الذِّكْرِ الْخَفِيِّ ، فِي الطَّرِيقَةِ النَّقْشِيَّةِ ، هِيَ كَوْنُهُ نَوْعاً مِنْ هٰذَا التَّفَكُّرِ الْقَيِّمِ جِدّاً» . فَسَمِعَهُ السَّيَّاحُ بِتَمَامِهِ ؛ فَعَادَ وَقَالَ لِنَفْسِهِ : فَإِذَا كَانَ هٰذَا الْإِمَامُ الْبَطَلُ ، هٰكَذَا يَقُولُ ؛ وَإِذَا كَانَ تَزَايُدُ ذَرَّةٍ مِنَ الْقُوَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ ، أَغْلَى مِنْ رَطْلٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْكَمَالَاتِ ، وَأَحْلَى مِنْ عَسَلٍ مِئَةِ ذَوْقٍ ؛ وَإِذَا كَانَتِ اعْتِرَاضَاتُ فَلَاسِفَةِ «أُورُوبَّا» ، وَشُبُهَاتُهُمُ الْمُتَرَاكِمَةُ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ ، مُنْذُ أَلْفِ عَامٍ ، قَدْ وَجَدَتِ الطَّرِيقَ ؛ فَتُهَاجِمُ أَهْلَ الْإِيمَانِ ؛ وَيُرِيدُونَ هَزَّ الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ الْأَسَاسُ وَالْمَدَارُ وَالْمِفْتَاحُ لِسَعَادَةٍ أَبَدِيَّةٍ ، وَحَيَاةٍ بَاقِيَةٍ ، وَجَنَّةٍ دَائِمَةٍ ، فَعَلَيْنَا أَنْ نُحَوِّلَ إِيمَانَنَا ، مِنَ التَّقْلِيدِ ، إِلَى التَّحْقِيقِ ؛ فَنُقَوِّيَهُ قَطْعاً قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَإِذاً إِلَى الْأَمَامِ ؛ تَعَالَ فَلْنَقْرَعْ وَلْنَفْتَحْ بَابَ الْإِدَارَةِ وَالْإِعَاشَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، فِي عَالَمِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، بِمِفْتَاحِ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ، لِمُشَاهَدَةِ مَنْزِلٍ ثَالِثٍ آخَرَ ، مِنْ دَارِ الْعِبْرَةِ هٰذِهِ ، بِفِكْرِ إِبْلَاغِ هٰذِهِ الْمَرَاتِبِ الْإِيمَانِيَّةِ التِّسْعِ وَالْعِشْرِينَ فِي قُوَّةِ الْجِبَالِ ، الَّتِي وَجَدْنَاهَا ، إِلَى الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ وَالثَّلَاثِينَ ، الْعَدَدِ الْمُبَارَكِ لِلتَّسْبِيحَاتِ الْمُبَارَكَةِ لِلصَّلَاةِ ؛ هٰكَذَا قَالَ . . فَقَرَعَ بِاسْتِرْحَامٍ ، بَابَ هٰذَا الْمَنْزِلِ الثَّالِثِ الَّذِي هُوَ مَحْشَرُ الْعَجَائِبِ ، وَمَجْمَعُ الْغَرَائِبِ ؛ فَفَتَحَهُ بِـ ﴿بِسْمِ اللهِ الْفَتَّاحِ﴾ ؛ فَتَرَاءَى الْمَنْزِلُ الثَّالِثُ ؛ فَدَخَلَهُ ؛ فَشَاهَدَ : أَنَّ أَرْبَعَ حَقَائِقَ مُعَظَّمَةٍ وَمُحِيطَةٍ ، تُنِيرُ ذٰلِكَ الْمَنْزِلَ ؛ وَتُظْهِرُ التَّوْحِيدَ كَالشَّمْسِ . .

﴿اَلْحَقِيقَةُ الْأُولَى :﴾ هِيَ حَقِيقَةُ الْفَتَّاحِيَّةِ . تَعْنِي : انْفِتَاحَ مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ صُوَرٍ مُنْتَظِمَةٍ مُتَنَوِّعَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، مِنْ مَادَّةٍ بَسِيطَةٍ ، مَعاً فِي كُلِّ جَانِبٍ ، فِي آنٍ وَاحِدٍ ، بِفِعْلٍ وَاحِدٍ ، بِتَجَلِّي اسْمِ «الْفَتَّاحِ» . نَعَمْ : فَكَمَا أَنَّ الْقُدْرَةَ الْفَاطِرَةَ فَتَحَتْ لِمَا لَا حَدَّ لَهَا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ، فِي رَوْضَةِ عُمُومِ الْكَائِنَاتِ ، بِاسْمِ الْفَتَّاحِ ، مِثْلَ الْأَزْهَارِ ؛ وَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا ، نَمَطاً مُنْتَظِماً ، وَشَخْصِيَّةً مُمْتَازَةً تُنَاسِبُهُ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّهَا أَعْطَتْ أَرْبَعَمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ، فِي حَدِيقَةِ الْأَرْضِ ، كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا ، صُوَراً مَوْزُونَةً وَمُزَيَّنَةً وَمُمْتَازَةً ، ذَاتَ صَنْعَةٍ وَحِكْمَةٍ لِلْغَايَةِ أَيْضاً ؛ وَلٰكِنَّهَا أَكْثَرُ إِعْجَازاً ؛ وَإِنَّ أَقْوَى دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ ، وَأَعْجَبَ مُعْجِزَاتِ

الْقُدْرَةِ ، هِيَ فَتْحُ الصُّوَرِ ؛ بِإِفَادَةِ هٰذِهِ الْآيَاتِ ؛ وَهِيَ : ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلٰثٍ ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنّٰى تُصْرَفُونَ ۞﴾ وَ ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَخْفٰى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ ۞ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞﴾ . فَبِنَاءً عَلٰى هٰذِهِ الْحِكْمَةِ ، أُثْبِتَتْ حَقِيقَةُ فَتْحِ الصُّوَرِ ؛ وَبُيِّنَتْ بِتَكْرَارٍ ، فِي عِدَّةِ صُوَرٍ ، فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ، وَخَاصَّةً فِي الْمَرْتَبَتَيْنِ السَّادِسَةِ وَالسَّابِعَةِ ، مِنَ الْمَقَامِ الثَّانِي مِنْ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ نُحِيلُهَا عَلَيْهَا ؛ فَنَقُولُ هُنَا هٰذَا الْقَدَرَ ؛ وَهُوَ : أَنَّ فِي فَتْحِ الصُّوَرِ هٰذَا ، إِحَاطَةً وَشُمُولاً وَصَنْعَةً ، بِشَهَادَةِ فَنِّ النَّبَاتَاتِ وَفَنِّ الْحَيَوَانَاتِ ، وَبِتَدْقِيقَاتِهِمَا الْعَمِيقَةِ ؛ بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ لِأَيِّ شَيْءٍ ، أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ هٰذَا الْفِعْلِ الْجَامِعِ وَالْمُحِيطِ ، سِوٰى وَاحِدٍ أَحَدٍ فَرْدٍ ، وَقَدِيرٍ مُطْلَقٍ ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرٰى وَيَصْنَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ ؛ لِأَنَّ فِعْلَ فَتْحِ الصُّوَرِ هٰذَا ، يَقْتَضِي حِكْمَةً وَدِقَّةً وَإِحَاطَةً فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، فِي قُدْرَةٍ بِلَا نِهَايَةٍ ، كَائِنَةً فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَفِي كُلِّ آنٍ ؛ وَإِنَّ مِثْلَ هٰذِهِ الْقُدْرَةِ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ فِي ذَاتٍ وَاحِدٍ أَحَدٍ ، يُدِيرُ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ . .

نَعَمْ : إِنَّ الْفَتَّاحِيَّةَ الَّتِي هِيَ فَتْحُ صُوَرِ النَّاسِ وَخَلْقُهَا مِنْ مَادَّةٍ بَسِيطَةٍ ، فِي أَرْحَامِ جَمِيعِ الْوَالِدَاتِ ، فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ـ كَمَا بَيَّنَتِ الْآيَاتُ الْمَذْكُورَةُ ـ مُخْتَلِفَةً مَوْزُونَةً مُمْتَازَةً ، مُزَيَّنَةً وَمُنْتَظِمَةً ، دُونَ لَبْسٍ وَخَطَإٍ وَخَلْطٍ ؛ وَإِنَّ حَقِيقَةَ فَتْحِ الصُّوَرِ هٰذِهِ ، الْمُحِيطَةَ بِجَمِيعِ الْإِنْسِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ ، فِي وَجْهِ الْأَرْضِ كُلِّهَا ، بِعَيْنِ الْقُدْرَةِ ، وَعَيْنِ الْحِكْمَةِ ، وَعَيْنِ الصَّنْعَةِ ، هِيَ أَقْوٰى بُرْهَانٍ لِلْوَحْدَانِيَّةِ ؛ لِأَنَّ الْإِحَاطَةَ وَحْدَةٌ لَا تَتْرُكُ الْمَكَانَ لِلشِّرْكِ . وَإِنَّ الْحَقَائِقَ التِّسْعَ عَشْرَةَ الشَّاهِدَةَ لِوُجُوبِ الْوُجُودِ ، فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ ، كَمَا تَدُلُّ بِوُجُودِهَا ، عَلٰى وُجُودِ الْخَالِقِ ؛ كَذٰلِكَ تَشْهَدُ بِإِحَاطَتِهَا أَيْضاً ، عَلَى الْوَحْدَةِ . .

﴿اَلْحَقِيقَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ الَّتِي شَاهَدَهَا سَيَّاحُنَا فِي الْمَنْزِلِ الثَّالِثِ : هِيَ حَقِيقَةُ الرَّحْمَانِيَّةِ . تَعْنِي : أَنَّنَا نَرٰى بِأَبْصَارِنَا ، أَنَّهُ يُوجَدُ وَاحِدٌ ، مَلَأَ لَنَا وَجْهَ الْأَرْضِ ، بِهَدَايَا الرَّحْمَةِ بِالْآلَافِ ؛ فَجَعَلَهُ مَضْيَفَةً ؛ وَجَعَلَهُ مَائِدَةً رُتِّبَتْ فِيهَا أَطْعِمَةُ الرَّحْمَانِيَّةِ اللَّذِيذَةُ الْمُخْتَلِفَةُ ، بِمِئَاتِ الْآلَافِ ؛

وَجعَلَ بَاطِنَ الْأَرْضِ ، مَخْزَناً جَامِعاً لِإِحْسَانَاتِ الرَّحِيمِيَّةِ وَالْحَكِيمِيَّةِ الْقَيِّمَةِ بِالْآلَافِ ؛ وَجعَلَ الْأَرْضَ فِي دَوْرِهَا السَّنَوِيِّ ، فِي حُكْمِ بَاخِرَةٍ تِجَارِيَّةٍ ؛ وَكُلَّ سَنَةٍ ، كَنَوْعٍ مِنَ السَّفِينَةِ أَوِ الْقِطَارِ الْمَحْمُولَةِ ، مُحْتَوِيَةً لِأَجْمَلِ اللَّوَازِمِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْحَيَوِيَّةِ ، مِنْ مِئَاتِ آلَافِ أَنْوَاعِهَا ، مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ ؛ وَكُلَّ رَبِيعٍ ، فِي حُكْمِ حَمُولَةٍ حَامِلَةٍ لِأَرْزَاقِنَا وَمَلَابِسِنَا ؛ فَيُرْسِلُهُ لَنَا ؛ وَيُرَبِّينَا تَرْبِيَةً رَحِيمَةً لِلْغَايَةِ ؛ وَأَعْطَانَا أَيْضاً اشْتِهَاءَاتٍ وَاحْتِيَاجَاتٍ ، وَحَوَاسَّ وَحِسِّيَّاتٍ وَمَشَاعِرَ ، بِالْمِئَاتِ وَبِالْآلَافِ ، لِاسْتِفَادَتِنَا مِنْ جَمِيعِ تِلْكَ الْهَدَايَا ، وَتِلْكَ النِّعَمِ . .

نَعَمْ : أَعْطَانَا مَعِدَةً تَأْخُذُ اللَّذَّةَ مِنْ أَطْعِمَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَأَحْسَنَ بِحَيَاةٍ تَسْتَفِيدُ بِحَوَاسِّهَا ، مِنْ نِعَمٍ لَا حَدَّ لَهَا ، فِي الْعَالَمِ الْجِسْمَانِيِّ الْعَظِيمِ ، كَمَائِدَةِ نِعْمَةٍ ؛ وَأَلْطَفَنَا بِإِنْسَانِيَّةٍ تَأْخُذُ الذَّوْقَ بِآلَاتِهَا الْكَثِيرَةِ ، كَالْعَقْلِ وَالْقَلْبِ ، مِمَّا لَا نِهَايَةَ لَهَا مِنْ هَدَايَا الْعَالَمِ الْمَادِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ ؛ وَأَعْلَمَنَا إِسْلَامِيَّةً تَأْخُذُ النُّورَ مِمَّا لَا نِهَايَةَ لَهَا مِنْ خَزَائِنِ عَالَمِ الْغَيْبِ وَعَالَمِ الشَّهَادَةِ ؛ وَهَدَى إِلَى إِيمَانٍ ، يَتَنَوَّرُ مِمَّا لَا يُحْصَى مِنْ أَنْوَارِ عَوَالِمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ هَدَايَاهَا ؛ وَيَجْعَلُهُ مُسْتَفِيداً مِنْهَا ــ كَمَا أُوضِحَ وَأُثْبِتَ فِي «الشُّعَاعِ الرَّابِعِ» الدَّائِرِ حَوْلَ الْآيَةِ الْحَسْبِيَّةِ ــ ؛ فَكَأَنَّ هٰذَا الْكَوْنَ قَصْرٌ زُيِّنَ مِنْ جَانِبِ الرَّحْمَةِ ، بِأَشْيَاءٍ بَدِيعَةٍ وَعَجِيبَةٍ وَقَيِّمَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَأُعْطِيَ بِيَدِ الْإِنْسَانِ مَفَاتِيحُ تَفْتَحُ مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ صَنَادِيقَ وَمَنَازِلَ ، فِي ذٰلِكَ الْقَصْرِ كُلِّهِ ؛ وَأُعْطِيَتْ فِطْرَةُ الْإِنْسَانِ احْتِيَاجَاتٍ وَحِسِّيَّاتٍ ، تَسُوقُ إِلَى الِاسْتِفَادَةِ مِنْ جَمِيعِ أُولَائِكَ . . هٰذَا ؛ فَإِنَّ رَحْمَةً عَمَّتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَكُلَّ شَيْءٍ هٰكَذَا ، لَا رَيْبَ أَنَّ تِلْكَ الرَّحْمَةَ ، جِلْوَةٌ لِأَحَدِيَّةٍ فِي وَاحِدِيَّةٍ . تَعْنِي : كَمَا أَنَّ ضِيَاءَ الشَّمْسِ يَكُونُ مِثَالاً لِلْوَاحِدِيَّةِ ، بِإِحَاطَتِهِ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ فِي مُحَاذَاتِهِ ؛ مِثْلَمَا يَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ شَفَّافٍ وَمُشْرِقٍ ، مِثَالاً لِلْأَحَدِيَّةِ أَيْضاً ، بِاعْتِكَاسِهِ حَسَبَ قَابِلِيَّتِهِ ، ضِيَاءَ الشَّمْسِ وَحَرَارَتَهَا ، وَأَلْوَانَهَا السَّبْعَةَ فِي ضِيَائِهَا ، وَعَكْسَ مِثَالِهَا ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يَحْكُمُ قَطْعاً ، مَنْ يُشَاهِدُ تِلْكَ الضِّيَاءَ الْمُحِيطَةَ : أَنَّ شَمْسَ الْأَرْضِ وَاحِدَةٌ فَرْدَةٌ ؛ وَيَعْلَمُ ذٰلِكَ الرَّجُلُ الْمُشَاهِدُ لِعَكْسِ الشَّمْسِ ذِي الضِّيَاءِ وَالْحَرَارَةِ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ مُشْرِقٍ ، حَتَّى الْقَطَرَاتِ ، يَعْلَمُ أَحَدِيَّةَ الشَّمْسِ : أَيْ أَنَّ الشَّمْسَ بِالذَّاتِ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَفِي مِرْآةِ قَلْبِ كُلِّ شَيْءٍ ، بِصِفَاتِهَا ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ رَحْمَةَ الرَّحْمٰنِ

ذِي الْجَمَالِ ، الْوَاسِعَةَ أَيْضاً تَدُلُّ إِحَاطَتُهَا بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ، كَالضِّيَاءِ ، عَلٰى وَاحِدِيَّةِ ذٰلِكَ الرَّحْمٰنِ ، وَعَلٰى أَنَّهُ لَا يُوجَدُ شَرِيكُهُ فِي أَيَّةِ جِهَةٍ ؛ كَمَا أَنَّ وُجُودَ أَضْوَاءِ أَكْثَرِ أَسْمَاءِ ذٰلِكَ الرَّحْمٰنِ ، وَنَوْعٍ مَّا مِنْ جَلْوَتِهِ الذَّاتِيَّةِ ، تَحْتَ حِجَابِ تِلْكَ الرَّحْمَةِ الْجَامِعَةِ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَخُصُوصاً فِي كُلِّ ذِي حَيَاةٍ ، وَخَاصَّةً فِي الْإِنْسَانِ ، وَإِعْطَاءَهَا جَمْعاً حَيَوِيّاً لِكُلِّ فَرْدٍ ، يَجْعَلُهُ نَاظِراً إِلَى الْكَائِنَاتِ جَمِيعاً ؛ وَيُعْطِيهِ مُنَاسَبَةً بِهَا ، يُثْبِتُ أَيْضاً ، أَحَدِيَّةَ ذٰلِكَ الرَّحْمٰنِ ؛ وَأَنَّهُ حَاضِرٌ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَأَنَّهُ هُوَ الصَّانِعُ لِكُلِّ شُؤُونِ كُلِّ شَيْءٍ . نَعَمْ : كَمَا أَنَّ ذٰلِكَ الرَّحْمٰنَ يُظْهِرُ حَشْمَةَ جَلَالِهِ ، فِي مَجْمُوعِ الْكَائِنَاتِ ، وَفِي وَجْهِ الْأَرْضِ ، بِوَاحِدِيَّةِ تِلْكَ الرَّحْمَةِ وَبِإِحَاطَتِهَا ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّهُ يُعْلِنُ شَفَقَةَ جَمَالِهِ الْخَاصَّةَ ؛ وَيُعْلِمُ ارْتِكَازَ أَنْوَاعِ إِحْسَانَاتِهِ فِي الْإِنْسَانِ ، بِأَنَّهُ يَجْمَعُ فِي ذٰلِكَ الْفَرْدِ ، نَمَاذِجَ جَمِيعِ النِّعَمِ فِي كُلِّ ذِي حَيَاةٍ ، خُصُوصاً فِي الْإِنْسَانِ ؛ فَيَجْعَلُهَا فِي آلَاتِ وَجِهَازَاتِ ذٰلِكَ الْحَيِّ ؛ فَيُنَظِّمُهَا فِيهِ بِجَلْوَةِ الْأَحَدِيَّةِ ؛ فَيُعْطِي ذٰلِكَ الْفَرْدَ الْوَاحِدَ ، مَجْمُوعَ الْكَائِنَاتِ دُونَ تَجْزِئَةٍ ، كَأَنَّهَا بَيْتُهُ فِي جِهَةٍ مَّا . وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ بِطِّيخَةً مَثَلاً ، تَرْتَكِزُ تِلْكَ الْبِطِّيخَةُ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ نَوَاهَا ؛ وَأَنَّ الَّذِي يَصْنَعُ تِلْكَ النَّوَاةَ ، هُوَ الَّذِي يَصْنَعُ تِلْكَ الْبِطِّيخَةَ ؛ ثُمَّ يَعْصِرُ مِنْهَا تِلْكَ النَّوَاةَ ؛ فَيَجْمَعُهَا وَيُجَسِّمُهَا بِمِيزَانِ عِلْمِهِ الْخَاصِّ ، وَبِقَانُونِ حِكْمَتِهِ الْمَخْصُوصِ بِهَا ؛ وَلَا يُمْكِنُ لِأَيِّ شَيْءٍ ، أَنْ يَصْنَعَ تِلْكَ النَّوَاةَ ، سِوٰى صَانِعِ تِلْكَ الْبِطِّيخَةِ الْوَاحِدَةِ ، ذٰلِكَ الصَّانِعِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ؛ وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَصْنَعَهَا غَيْرُهُ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ الْكَوْنَ فِي حُكْمِ شَجَرَةٍ وَحَدِيقَةٍ ؛ وَالْأَرْضَ فِي حُكْمِ ثَمَرَةٍ وَبِطِّيخَةٍ ؛ وَالْحَيَوَانَ وَالْإِنْسَانَ فِي حُكْمِ نَوَاةٍ ، بِتَجَلِّي الرَّحْمَانِيَّةِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يَلْزَمُ قَطْعاً ، أَنْ يَكُونَ خَالِقُ أَصْغَرِ ذِي حَيَاةٍ وَرَبُّهُ ، خَالِقَ جَمِيعِ الْأَرْضِ وَالْكَائِنَاتِ . .

اَلْحَاصِلُ : كَمَا أَنَّ صُنْعَ صُوَرِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَفَتْحَ صُوَرِهَا الْمُنْتَظِمَةِ ، مِنْ مَادَّةٍ بَسِيطَةٍ ، بِحَقِيقَةِ الْفَتَّاحِيَّةِ ذَاتِ الْإِحَاطَةِ ، يُثْبِتُ الْوَحْدَةَ بِالْبَدَاهَةِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ حَقِيقَةَ الرَّحْمَانِيَّةِ أَيْضاً ، الْمُحِيطَةَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، تَدُلُّ عَلَى الْوَحْدَةِ وَعَلَى الْأَحَدِيَّةِ ، فِي الْوَحْدَةِ بِالْبَدَاهَةِ ، بِتَرْبِيَتِهَا بِكَمَالِ الْاِنْتِظَامِ ، لِجَمِيعِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ الْوَارِدَةِ إِلَى الْوُجُودِ ، وَالدَّاخِلَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَاسِيَّمَا الْآتِيَةِ مِنْ جَدِيدٍ ، وَبِإِيصَالِ لَوَازِمِهَا ، وَعَدَمِ نِسْيَانِ أَيٍّ مِنْهَا ، وَوُصُولِ عَيْنِ الرَّحْمَةِ إِلٰى كُلِّ

فَرْدٍ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ وَفِي كُلِّ آنٍ . . إِنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» ، مَظْهَرٌ لِاسْمِ الْحَكِيمِ وَلِاسْمِ الرَّحِيمِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ أُوضِحَتْ نِكَاتُ حَقِيقَةِ الرَّحْمَةِ وَجِلْوَاتُهَا ؛ وَأُثْبِتَتْ ، فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَلِذٰلِكَ أَشَرْنَا هُنَا إِلَى ذٰلِكَ الْبَحْرِ ، بِهٰذِهِ الْقَطْرَةِ ؛ فَنَقْتَصِرُ تِلْكَ الْقِصَّةَ الطَّوِيلَةَ جِدّاً . .

﴿اَلْحَقِيقَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ الَّتِي شَاهَدَهَا سَيَّاحُنَا فِي الْمَنْزِلِ الثَّالِثِ : هِيَ حَقِيقَةُ التَّدْبِيرِ وَالْإِدَارَةِ . تَعْنِي : أَنَّهَا حَقِيقَةُ إِدَارَةِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ السَّرِيعَةِ الرَّهِيبَةِ لِلْغَايَةِ ، وَالْعَنَاصِرِ الْمُفْسِدَةِ الْمُسْتَوْلِيَةِ لِلْغَايَةِ ، وَالْمَخْلُوقَاتِ الْأَرْضِيَّةِ الضَّعِيفَةِ وَالْمُحْتَاجَةِ لِلْغَايَةِ ؛ وَجَعْلِهَا مُتَعَاوِنَةً ؛ وَإِدَارَتِهَا مُتَمَازِجَةً ؛ وَأَدَاءِ تَدَابِيرِهَا بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ وَالْمُوَازَنَةِ ؛ وَجَعْلِ هٰذَا الْعَالَمِ الْعَظِيمِ ، مِثْلَ مَمْلَكَةٍ مُكَمَّلَةٍ ، وَمَدِينَةٍ مُحْتَشَمَةٍ ، وَبِنَايَةٍ مُزَيَّنَةٍ . . هٰذَا ؛ فَنَتْرُكُ الدَّوَائِرَ الْكَبِيرَةَ لِهٰذِهِ الْإِدَارَةِ الْجَبَّارَةِ الرَّحْمَانِيَّةِ ؛ فَنُظْهِرُ بِتَمْثِيلٍ مَا ، صُورَةً مُخْتَصَرَةً مِنْ صَحِيفَةٍ وَصَفْحَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ ، مِنْ تِلْكَ الْإِدَارَةِ الْجَارِيَةِ فِي وَجْهِ الْأَرْضِ فِي الرَّبِيعِ فَقَطْ ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» أَوْضَحَتْهَا وَأَثْبَتَتْهَا ، فِي رَسَائِلِهَا الْمُهِمَّةِ ، مِثْلِ «الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ» . وَذٰلِكَ : أَنَّ مَوْلًى خَارِقاً وَفَاتِحاً ، إِذَا شَكَّلَ جَيْشاً مِنْ أَرْبَعِمِئَةِ أَلْفِ مِلَّةٍ وَطَوَائِفَ مُخْتَلِفَةٍ ، مَثَلاً وَفَرْضاً ؛ وَأَعْطَى ذٰلِكَ الْقَائِدُ ذُو الْمُعْجِزَاتِ ، أَفْرَادَ كُلِّ مِلَّةٍ وَكُلِّ طَائِفَةٍ ، مَلَابِسَهَا وَأَسْلِحَتَهَا ، وَأَطْعِمَتَهَا وَتَدْرِيبَاتِهَا ، وَتَسْرِيحَاتِهَا وَخِدَمَاتِهَا الْعَائِدَةَ إِلَيْهَا ، مُخْتَلِفَةً وَمُتَنَوِّعَةً ؛ وَأَعْطَى جَمِيعَ تِلْكَ الْجِهَازَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ، دُونَ نُقْصَانٍ وَلَا تَقْصِيرٍ ، وَبِغَيْرِ سَهْوٍ وَلَا خَطَأٍ ، فِي وَقْتِهَا الْمُنَاسِبِ ، دُونَ تَأَخُّرٍ وَلَا خَلْطَةٍ ، بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ ، وَعَلَى وَجْهٍ مُكَمَّلٍ لِلْغَايَةِ ؛ فَلَا يُمْكِنُ لِأَيِّ سَبَبٍ قَطْعاً ، أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى تِلْكَ الْإِدَارَةِ الْوَاسِعَةِ وَالْمُتَشَابِكَةِ ، وَالدَّقِيقَةِ وَالْمُتَوَازِنَةِ ، وَالْكَثِيرَةِ وَالْعَادِلَةِ لِلْغَايَةِ ، سِوَى قُدْرَةِ ذٰلِكَ الْقَائِدِ الْخَارِقِ ، تِلْكَ الْقُدْرَةِ الْفَائِقَةِ عَلَى الْعَادَةِ ؛ وَإِنْ مَدَّهَا إِلَيْهَا ؛ يُفْسِدُ الْمُوَازَنَةَ وَيَخْلِطُهَا ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ نُشَاهِدُ بِأَبْصَارِنَا : أَنَّ يَداً غَيْبِيَّةً تُنْشِئُ جَيْشاً مُحْتَشِماً مُؤَلَّفاً مِنْ أَرْبَعِمِئَةِ أَلْفِ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ فَتُدِيرُهُ ؛ وَتُسَرِّحُ ثَلَاثَمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ نَبَاتِيٍّ وَحَيَوَانِيٍّ مِنْ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ الْأَرْبَعِمِئَةِ أَلْفٍ ؛ فَتُعَطِّلُهَا عَنْ وَظَائِفِهَا ، فِي صُورَةِ الْوَفَاةِ وَبِاسْمِ الْمَمَاتِ ، فِي مَوْسِمِ الْخَرِيفِ الْمَثِيلِ لِلْقِيَامَةِ ؛ وَتُنْشِئُ ثَلَاثَمِئَةِ أَلْفِ مِثَالٍ لِلْحَشْرِ الْأَعْظَمِ ، فِي غُضُونِ بِضْعَةِ أَسَابِيعَ ، بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ ، فِي

الرَّبِيعِ الَّذِي هُوَ مِثَالٌ لِلْحَشْرِ وَالنَّشْرِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يُرِي أَعْيُنَنَا أَرْبَعَةَ حُشُورٍ صَغِيرَةٍ ، فِي شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ : أَيْ نَشْرَهَا وَنَشْرَ أَوْرَاقِهَا وَأَزْهَارِهَا وَأَثْمَارِهَا مِثْلَ الرَّبِيعِ الْمَاضِي نَفْسِهِ ؛ ثُمَّ يُعْطِي ذٰلِكَ الْجَيْشَ السُّبْحَانِيَّ ، الْبَالِغَ إِلٰى أَرْبَعِمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ ، أَرْزَاقَهَا الْمُخْتَلِفَةَ ، وَأَسْلِحَتَهَا الدِّفَاعِيَّةَ الْمُتَنَوِّعَةَ ، وَأَلْبِسَتَهَا الْمُتَخَالِفَةَ ، وَتَدْرِيبَاتِهَا وَتَسْرِيحَاتِهَا الْمُتَبَايِنَةَ ، وَجَمِيعَ أَجْهِزَتِهَا وَلَوَازِمِهَا الْمُخْتَلِفَةَ ، الْمُنَاسِبَةِ وَالْمَخْصُوصَةِ بِكُلِّ نَوْعٍ وَبِكُلِّ طَائِفَةٍ ، بِكَمَالِ الاِنْتِظَامِ ، بِغَيْرِ سَهْوٍ وَلَا خَطَإٍ ، وَدُونَ خِلْطَةٍ ، وَدُونَ نِسْيَانٍ لِأَيِّ وَاحِدٍ مِنْهَا ، مِنْ حَيْثُ لَا يُؤْمَلُ ، وَفِي وَقْتِهِ الْمُقَنَّنِ ؛ فَبِذٰلِكَ يُثْبِتُ وَحْدَانِيَّتَهُ وَأَحَدِيَّتَهُ وَفَرْدِيَّتَهُ ، وَاقْتِدَارَهُ بِلَا نِهَايَةٍ ، وَرَحْمَتَهُ بِلَا حَدٍّ ، فِي كَمَالِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْحَاكِمِيَّةِ وَالْحِكْمَةِ ؛ فَيَكْتُبُ إِعْلَانَ التَّوْحِيدِ هٰذَا ، بِقَلَمِ الْقَدَرِ ، فِي وَجْهِ الْأَرْضِ ، فِي صَحِيفَةِ كُلِّ رَبِيعٍ . .

فَبَعْدَمَا قَرَأَ سَيَّاحُنَا صَحِيفَةً وَاحِدَةً مِنْ هٰذَا الْإِعْلَانِ ، فِي رَبِيعٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ، قَالَ لِنَفْسِهِ : إِنَّ قَدِيراً جَبَّاراً ، وَقَهَّاراً ذَا جَلَالٍ ، يُنْشِئُ هٰكَذَا فِي كُلِّ رَبِيعٍ ، آلَافَ حَشْرٍ أَغْرَبَ مِنَ الْحَشْرِ الْأَكْبَرِ ؛ وَوَعَدَ وَعَهِدَ بِآلَافِ الْمَرَّاتِ ، جَمِيعَ أَنْبِيَائِهِ : بِأَنَّهُ سَيَأْتِي بِالْقِيَامَةِ ؛ وَيَصْنَعُ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، الْحَشْرَ الَّذِي هُوَ أَهْوَنُ مِنْ رَبِيعٍ بِالنِّسْبَةِ لِقُدْرَتِهِ ؛ وَيَحْكُمُ صَرَاحَةً ؛ فَيُهَدِّدُ وَيَتَعَهَّدُ فِي الْقُرْآنِ ، بِوُقُوعِ الْحَشْرِ ، فِي أَلْفِ عَدَدٍ مِنْ آيَاتِهِ ، مَعَ الْإِشَارَةِ بِالْآلَافِ ؛ يَكُونُ عَذَابُ جَهَنَّمَ عَيْنَ الْعَدَالَةِ لِمَنْ يَرْتَكِبُونَ خَطِيئَةَ إِنْكَارِ الْحَشْرِ ، الَّذِي هُوَ فِي حُكْمِ إِنْكَارِ قُدْرَتِهِ ، وَتَكْذِيبِ وُعُودِهِ بِذٰلِكَ الْقَدَرِ ؛ هٰكَذَا حَكَمَ ؛ وَقَالَتْ نَفْسُهُ أَيْضاً : آمَنَّا . .

﴿اَلْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ وَالثَّلَاثُونَ :﴾ الَّتِي هِيَ الْحَقِيقَةُ الرَّابِعَةُ ، الَّتِي شَاهَدَهَا سَيَّاحُ الدُّنْيَا فِي الْمَنْزِلِ الثَّالِثِ : هِيَ حَقِيقَةُ الرَّحِيمِيَّةِ وَالرَّزَّاقِيَّةِ . تَعْنِي : أَنَّهَا هِيَ حَقِيقَةُ إِعْطَاءِ جَمِيعِ أَرْزَاقِ جَمِيعِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ ، وَلَاسِيَّمَا ذَوِي الْأَرْوَاحِ ، وَخَاصَّةً الْعَجَزَةَ وَالضُّعَفَاءَ ، وَخُصُوصاً الْأَطْفَالَ ، فِي وَجْهِ الْأَرْضِ كُلِّهَا ، وَفِي بَاطِنِهَا ، وَفِي هَوَائِهَا ، وَفِي بِحَارِهَا ، مِنْ أَرْزَاقِهَا الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعِدِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ ، الْمَصْنُوعَةِ عَلٰى وَجْهِ الشَّفَقَةِ ، مِنْ تُرْبَةٍ يَابِسَةٍ وَبَسِيطَةٍ ، وَمِنْ قِطَعِ أَخْشَابٍ جَافَّةٍ وَجَامِدَةٍ مِثْلِ الْعِظَامِ ، وَلَاسِيَّمَا مَا هُوَ وَارِدٌ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ، وَهُوَ أَلْطَفُهَا ، وَمَا هُوَ مَصْنُوعٌ مِنْ نَوَاةٍ وَاحِدَةٍ كَدِرْهَمٍ مِنْ عَظْمٍ ، بِآلَافِ الْأُوقِيَّةِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ ، فِي وَقْتِهَا الْمُعَيَّنِ ، فِي صُورَةٍ

مُقَنَّنَةٍ، دُونَ أَنْ يَنْسَى وَيُخْطِئَ أَيَّ وَاحِدٍ مِنْهَا، أَمَامَ أَبْصَارِنَا، مِنْ جَانِبِ يَدٍ غَيْبِيَّةٍ. نَعَمْ: إِنَّ آيَةَ: ﴿إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾، تُخَصِّصُ الْإِعَاشَةَ وَالْإِنْفَاقَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ؛ فَتَحْصُرُهُمَا فِيهِ؛ كَمَا أَنَّ آيَةَ: ﴿وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللّٰهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ أَيْضاً، تَتَّخِذُ أَرْزَاقَ جَمِيعِ النَّاسِ وَالْحَيَوَانَاتِ، تَحْتَ التَّعَهُّدِ وَالتَّكَفُّلِ الرَّبَّانِيِّ؛ وَأَنَّ آيَةَ: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَآبَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللّٰهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ أَيْضاً، تُثْبِتُ وَتُعْلِنُ لِلنَّاسِ الْمُتَعَبِّدِينَ لِلْأَسْبَابِ أَيْضاً: أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُعْطِي تَحْتَ غِطَاءِ الْأَسْبَابِ أَيْضاً؛ بِأَنَّهُ يَتَكَفَّلُ بِالْفِعْلِ؛ فَيُعْطِي بِالْمُشَاهَدَةِ، أَرْزَاقَ الْبَائِسِينَ الضُّعَفَاءِ الْعَجَزَةِ وَغَيْرِ الْمُقْتَدِرِينَ، الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَتَدَارَكُوا الرِّزْقَ؛ فَيَتَكَفَّلُ إِنْفَاقَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، بَلْ مِنَ الْغَيْبِ، بَلْ مِنَ الْعَدَمِ؛ فَلِلْحَشَرَاتِ تَحْتَ قَعْرِ الْبِحَارِ مَثَلاً، مِنَ الْعَدَمِ؛ وَلِجَمِيعِ الْأَطْفَالِ، مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ؛ وَلِجَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ، مِنْ مَحْضِ الْغَيْبِ عَادَةً، فِي كُلِّ رَبِيعٍ؛ كَمَا أَنَّ آيَاتٍ قُرْآنِيَّةً كَثِيرَةً جِدّاً، وَشَوَاهِدَ كَوْنِيَّةً لَا حَدَّ لَهَا، تَدُلُّ بِالِاتِّفَاقِ، عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ ذِي حَيَاةٍ، يُرَبِّي بِرَحِيمِيَّةِ رَزَّاقٍ وَاحِدٍ أَحَدٍ ذِي جَلَالٍ. نَعَمْ: إِنَّ سَبْقَ أَرْزَاقِ الْأَشْجَارِ الطَّالِبَةِ لِنَوْعٍ مَا مِنَ الرِّزْقِ؛ فَمَجِيئَهَا إِلَيْهَا؛ وَهِيَ وَاقِفَةٌ فِي أَمَاكِنِهَا مُتَوَكِّلَةً، مِنْ كَوْنِهَا بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ وَلَا اخْتِيَارٍ؛ وَسَيَلَانَ نَفَقَاتِ الْأَطْفَالِ الْعَجَزَةِ إِلَىٰ أَفْوَاهِهَا، مِنْ شُنَيْنَاتٍ مُثِيرَةٍ لِلْحَيْرَةِ؛ وَانْقِطَاعَ اللَّبَنِ بِطَرَيَانِ جُزْءٍ مَا مِنَ الِاقْتِدَارِ، وَشَيْءٍ مَا مِنَ الِاخْتِيَارِ، عَلَىٰ أُولَائِكَ الْأَطْفَالِ؛ وَلَاسِيَّمَا إِعْطَاءِ شَفَقَةِ أُمَّهَاتِ أَطْفَالِ الْإِنْسِ مُعِينَةً لَهُمْ، تُثْبِتُ بِالْبَدَاهَةِ أَنَّ الرِّزْقَ الْحَلَالَ، لَيْسَ مُتَنَاسِباً مَعَ الِاقْتِدَارِ وَالِاخْتِيَارِ؛ بَلْ يَرِدُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ، الْمُنْتِجَيْنِ لِلتَّوَكُّلِ.. فَكَمَا أَنَّ الِاقْتِدَارَ وَالِاخْتِيَارَ وَالذَّكَاءَ، الْمُحَرِّكَةَ لِلْحِرْصِ، الْمُسَبِّبَ لِلْخُسْرَانِ بِالْأَكْثَرِيَّةِ، فِي قِسْمٍ مِنْ كِبَارِ الْأُدَبَاءِ، تَسُوقُ بِأُولَائِكَ الْأُدَبَاءِ إِلَىٰ نَوْعٍ مَا مَنَ التَّكَفُّفِ؛ فَإِنَّ إِيصَالَ عَجْزِ كَثِيرِينَ مِنْ عَوَامِّ النَّاسِ الْأَغْبِيَاءِ الْغُلَظَاءِ، عَلَىٰ وَجْهِ التَّوَكُّلِ، إِيَّاهُمْ، إِلَى الْغِنَىٰ، وَصَيْرُورَةَ قَوْلِهِ: «كَمْ عَالِمٍ عَالِمٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ ۞ وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلْقَاهُ مَرْزُوقاً» ضَرْباً مِنَ الْأَمْثَالِ، يُثْبِتَانِ أَيْضاً أَنَّ الرِّزْقَ الْحَلَالَ، لَا يُكْتَسَبُ وَلَا يُحَصَّلُ، بِقُوَّةِ الِاقْتِدَارِ وَالِاخْتِيَارِ؛ بَلْ يُعْطَىٰ مِنْ طَرَفِ رَحْمَةٍ تَقْبَلُ

عَمَلَهُ وَسَعْيَهُ ؛ وَيُحْسَنُ بِهِ مِنْ جَانِبِ شَفَقَةٍ تَتَرَحَّمُ لِاحْتِيَاجِهِ ؛ وَلٰكِنِ الرِّزْقُ قِسْمَانِ . .

أَحَدُهُمَا : الرِّزْقُ الْحَقِيقِيُّ الْفِطْرِيُّ لِأَجْلِ التَّعَيُّشِ ؛ فَهُوَ تَحْتَ التَّعَهُّدِ الرَّبَّانِيِّ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ مُنْتَظِمٌ ، بِحَيْثُ إِنَّ الرِّزْقَ الْفِطْرِيَّ الْمُدَّخَرَ فِي الْبَدَنِ ، فِي صُورَةِ الدَّسَمِ وَغَيْرِهِ ، يُعَيِّشُهُ وَيُدِيمُ حَيَاتَهُ دُونَ أَنْ يَتَنَاوَلَ شَيْئاً ، أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ يَوْماً عَلَى الْأَقَلِّ . . إِذاً فَإِنَّ الْمُتَوَفَّيْنَ مِنَ الْجُوعِ ظَاهِراً ، قَبْلَ عِشْرِينَ أَوْ ثَلاثِينَ يَوْماً ، وَدُونَ أَنْ يَنْفَدَ رِزْقُهُ الْفِطْرِيُّ الْمُدَّخَرُ فِي الْبَدَنِ ، لا يَمُوتُونَ مِنْ فُقْدَانِ الرِّزْقِ ؛ بَلْ مِنْ مَرَضٍ نَاشِئٍ عَنْ سُوءِ الِاعْتِيَادِ ، وَعَنْ تَرْكِ الْعَادَةِ . .

اَلْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ الرِّزْقِ : هُوَ الرِّزْقُ الْمَجَازِيُّ وَالصُّنْعِيُّ ، الَّذِي يُصْبِحُ مُدْمِناً عَلَيْهِ ، بِالِاعْتِيَادِ وَالْإِسْرَافِ وَسُوءِ الِاسْتِعْمَالاتِ ؛ فَيَصِيرُ فِي حُكْمِ الضَّرُورَةِ . فَهٰذَا الْقِسْمُ ، لَيْسَ تَحْتَ التَّعَهُّدِ الرَّبَّانِيِّ ؛ بَلْ تَابِعٌ لِلْإِحْسَانِ ؛ فَأَحْيَاناً يُعْطِيهِ ؛ وَأَحْيَاناً لا يُعْطِي . . فَالسَّعِيدُ فِي هٰذَا الرِّزْقِ الثَّانِي ، هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ السَّعْيَ الْحَلالَ ، بِالْقَنَاعَةِ وَالِاقْتِصَادِ ، اللَّذَيْنِ هُمَا مَدَارُ السَّعَادَةِ وَاللَّذَّةِ ، نَوْعاً مَّا مِنَ الْعِبَادَةِ ، وَدُعَاءً فِعْلِيّاً لِأَجْلِ الرِّزْقِ ؛ فَيَقْبَلُ ذٰلِكَ الْإِحْسَانَ ، عَلٰى وَجْهِ الشُّكْرِ وَالِامْتِنَانِ ؛ فَيَقْضِي حَيَاتَهُ سَعِيدَةً . وَإِنَّ الشَّقِيَّ هُوَ الَّذِي يَتْرُكُ السَّعْيَ الْحَلالَ ؛ فَيُرَاجِعُ كُلَّ بَابٍ ، بِالْحِرْصِ وَالْإِسْرَافِ ، اللَّذَيْنِ هُمَا مَدَارُ الشَّقَاءِ وَالْخُسْرَانِ وَالْأَلَمِ ؛ فَيَقْضِي حَيَاتَهُ عَلٰى وَجْهِ الْكَسَلِ وَالظُّلْمِ وَالشَّكْوٰى ؛ بَلْ يُمِيتُهَا . . فَكَمَا أَنَّ الْمَعِدَةَ تَطْلُبُ رِزْقاً ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ لَطَائِفَ الْإِنْسَانِ وَحَوَاسَّهُ ، مِثْلَ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالْعَقْلِ ، وَالْبَصَرِ وَالسَّمْعِ وَالْفَمِ ، تَطْلُبُ أَيْضاً أَرْزَاقَهَا مِنَ الرَّزَّاقِ الرَّحِيمِ ؛ وَتَقْبَلُهَا مُتَشَكِّرَةً ؛ وَيُحْسَنُ إِلٰى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، مِنْ خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ، بِأَرْزَاقِهَا الْمُخْتَلِفَةِ وَاللَّائِقَةِ بِهَا ، وَالَّتِي تَجْعَلُهَا مَسْرُورَةً وَمُتَلَذِّذَةً ؛ بَلْ إِنَّ الرَّزَّاقَ الرَّحِيمَ ، جَعَلَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّطَائِفِ ، مِثْلِ الْبَصَرِ وَالسَّمْعِ ، وَالْقَلْبِ وَالْخَيَالِ وَالْعَقْلِ ، فِي حُكْمِ مَفَاتِيحِ خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ، لِيُعْطِيَهَا الرِّزْقَ الْأَوْسَعَ ؛ فَإِنَّ الْبَصَرَ مَثَلاً ، مِفْتَاحٌ لِخَزَائِنِ الْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ ، مِثْلِ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ فِي وَجْهِ الْكَائِنَاتِ ؛ كَمَا أَنَّ الْأُخْرَيَاتِ أَيْضاً ، تَصِيرُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، مِفْتَاحاً لِعَالَمٍ مَّا ؛ فَتَسْتَفِيدُ مِنْهُ بِالْإِيمَانِ . .

فَنَرْجِعُ إِلٰى مَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ أَيْضاً : فَالْمَوْلَى الْقَدِيرُ الْحَكِيمُ ، الْخَالِقُ لِهٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ،

كَمَا خَلَقَ الْحَيَاةَ خُلاصَةً جَامِعَةً، مِنَ الْكَائِنَاتِ؛ فَيُرَكِّزُ فِيهَا جَمِيعَ مَقَاصِدِهِ وَجِلْوَاتِ أَسْمَائِهِ؛ كَذٰلِكَ جَعَلَ الرِّزْقَ مَرْكَزاً جَامِعاً لِلشُّؤُونَاتِ، فِي عَالَمِ الْحَيَاةِ أَيْضاً؛ فَخَلَقَ احْتِيَاجَ الاشْتِهَاءِ وَالذَّوْقَ الرِّزْقِيَّ، فِي ذَوِي الْحَيَاةِ؛ فَيُؤَدِّي الْمُقَابَلَةَ تِجَاهَ رُبُوبِيَّتِهِ وَتَحَبُّبِهِ، بِشُكْرٍ وَامْتِنَانٍ وَتَعَبُّدٍ دَائِمٍ وَكُلِّيٍّ، هُوَ أَهَمُّ غَايَةٍ وَحِكْمَةٍ لِخِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ؛ فَكَمَا أَنَّهُ عَمَّرَ كُلَّ أَنْحَاءِ الْمَمْلَكَةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْفَسِيحَةِ جِدّاً، وَلاسِيَّمَا السَّمَاوَاتِ، بِالْمَلاَئِكَةِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ، وَعَالَمَ الْغَيْبِ بِالْأَرْوَاحِ مَثَلاً؛ فَإِنَّ إِحْدَى حِكَمِ شُؤُونَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ، هِيَ أَنْ يُحَرِّكَ الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّاسَ؛ فَيُسَيِّرَهَا مُنْقِذاً إِيَّاهَا عَنِ الْكَسَلِ وَالْعَطَالَةِ، بِسَوْقِهَا وَرَاءَ الرِّزْقِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّ الاحْتِيَاجَ الرِّزْقِيَّ وَذَوْقَ الرِّزْقِ، سَوْطٌ قَوِيٌّ جِدّاً، وَذٰلِكَ بِحِكْمَةِ أَنْ يَعْمُرَ الْعَالَمَ الْمَادِّيَّ أَيْضاً؛ وَيُحْيِيَهُ بِالْأَرْوَاحِ، وَلاسِيَّمَا الْهَوَاءَ وَالْأَرْضَ، وَكُلَّ جَوَانِبِهِمَا، كُلَّ وَقْتٍ، بِوُجُودِ ذَوِي الْأَرْوَاحِ، وَلاسِيَّمَا الطُّيُورِ وَالطُّوَيْرَاتِ. فَلَوْلا أَمْثَالُ هٰذِهِ الْحِكْمَةِ مِنَ الْحِكَمِ الْمُهِمَّةِ؛ لَسَاقَ وَجَبَاتِ الْحَيَوَانَاتِ الْمُقْتَنَةِ، وَحَوَائِجَهَا الْفِطْرِيَّةَ، إِلَيْهَا أَيْضاً، فِي صُورَةٍ بِلا كُلْفَةٍ؛ كَمَا يَسُوقُ أَرْزَاقَ الْأَشْجَارِ إِلَيْهَا.. فَإِنْ وُجِدَتْ عَيْنٌ تُحِيطُ بِوَجْهِ الْأَرْضِ؛ فَتُشَاهِدُهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً، لِمُشَاهَدَةِ جَمَالِ اسْمِ «الرَّحِيمِ وَالرَّزَّاقِ»، وَشَهَادَتِهِمَا عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ مُشَاهَدَةً تَامَّةً؛ فَإِنَّهُ سَيُشَاهِدُ: كَمْ مِنْ حُسْنٍ عَذْبٍ، وَكَمْ مِنْ جَمَالٍ حُلْوٍ، يُوجَدُ فِي هٰذِهِ الْجِلْوَةِ، جِلْوَةِ شَفَقَةِ الرَّزَّاقِ الرَّحِيمِ الَّذِي يُرْسِلُ أَطْعِمَةً لَذِيذَةً لِلْغَايَةِ، وَكَثِيرَةً لِلْغَايَةِ، وَمُتَنَوِّعَةً لِلْغَايَةِ، مِنْ مَحْضِ خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ الْغَيْبِيَّةِ، تُعْطَى بِأَيْدِي النَّبَاتَاتِ؛ وَتُوضَعُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْجَارِ؛ وَتُعَلَّقُ بِصُدُورِ الْوَالِدَاتِ، إِمْدَاداً غَيْبِيّاً، وَإِحْسَاناً رَحْمَانِيّاً، لِقَوَافِلِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَكُونُ أَرْزَاقُهَا عَلَى وَشَكِ النَّفَادِ فِي آخِرِ الشِّتَاءِ؛ وَسَيَعْلَمُ مِنْ ذٰلِكَ: أَنَّ الَّذِي يَصْنَعُ تُفَّاحَةً وَاحِدَةً فَقَطْ؛ فَيُعْطِيهَا إِنْسَاناً مَا، عَلَى وَجْهِ الْإِنْعَامِ بِهَا رِزْقاً حَقِيقِيّاً، إِنَّمَا يَكُونُ مَوْلًى يُقَلِّبُ الْمَوَاسِمَ وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ؛ وَيُسَيِّرُ كُرَةَ الْأَرْضِ مِثْلَ سَفِينَةٍ تِجَارِيَّةٍ؛ فَيَأْتِي بِمَحَاصِيلِ الْمَوَاسِمِ بِهَا، إِلَى ضُيُوفِهِ الْمُحْتَاجِينَ فِي الْأَرْضِ؛ فَيَصْنَعُ تِلْكَ التُّفَّاحَةَ وَيُعْطِيهَا؛ لِأَنَّ مَا فِي وَجْهِ تِلْكَ التُّفَّاحَةِ، مِنْ سِكَّةِ الْفِطْرَةِ، وَخَاتَمِ الْحِكْمَةِ، وَطُرَّةِ الصَّمَدِيَّةِ، وَمُهْرِ الرَّحْمَةِ، تُوجَدُ فِي جَمِيعِ التَّفَافِيحِ، وَفِي سَائِرِ الْفَوَاكِهِ، وَفِي كُلِّ النَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يَكُونُ

صَانِعُ تِلْكَ التُّفَّاحَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَمَالِكُهَا الْحَقِيقِيُّ ، الْمَالِكَ ذَا الْجَلاَلِ ، وَالْخَالِقَ ذَا الْجَمَالِ ، لِجَمِيعِ سُكَّانِ الْأَرْضِ ، الَّذِينَ هُمْ أَمْثَالُ تِلْكَ التُّفَّاحَةِ وَإِخْوَانُهَا وَأَبْنَاءُ جِنْسِهَا ، وَلِلْأَرْضِ الْجَسِيمَةِ الَّتِي هِيَ حَدِيقَتُهَا ، وَلِشَجَرَتِهَا الَّتِي هِيَ مَصْنَعُهَا ، وَلِمَوْسِمِهَا الَّذِي هُوَ مَعْمَلُهَا ، وَلِلرَّبِيعِ وَالصَّيْفِ اللَّذَيْنِ هُمَا مَحَلُّ إِنْتَاجِهَا ؛ وَلَا يُمْكِنُ غَيْرُ ذٰلِكَ قَطْعاً وَعَلَى كُلِّ حَالٍ . إِذاً فَإِنَّ كُلَّ ثَمَرَةٍ ، خَاتَمُ وَحْدَةٍ يُعْلِنُ صَانِعَ الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ شَجَرَتُهَا ، وَكَاتِبَ كِتَابِ الْكَائِنَاتِ الَّتِي هِيَ حَدِيقَتُهَا . . وَقَدْ بَيَّنَتْ «رِسَالَةُ النُّورِ» ؛ وَأَثْبَتَتْ ، كَثِيراً مِنْ لَمَعَاتِ حَقِيقَةِ الرَّحِيمِيَّةِ هٰذِهِ ، وَكَثِيراً مِنْ أَسْرَارِهَا ، فِي كَثِيرٍ مِنْ أَجْزَائِهَا ؛ لِأَنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» ، مَظْهَرٌ لِاسْمِ «الرَّحِيمِ» وَاسْمِ «الْحَكِيمِ» ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ اكْتُفِيَ بِهٰذِهِ الْإِشَارَةِ الْمُخْتَصَرَةِ ، مِنْ هٰذِهِ الْخَزِينَةِ الْعَظِيمَةِ جِدّاً ، بِالْإِحَالَةِ عَلَيْهَا ، بِجِهَةِ عَدَمِ مُسَاعَدَةِ حَالِي . .

هٰذَا ؛ فَيَقُولُ سَيَّاحُنَا : (الْحَمْدُ لِلّٰهِ) ، لَقَدْ شَاهَدْتُ وَاسْتَمَعْتُ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ حَقِيقَةً ، تَشْهَدُ عَلَى وُجُوبِ وُجُودِ وَوَحْدَةِ خَالِقِي وَمَالِكِيَ الَّذِي طَلَبْتُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ؛ وَسَأَلْتُ عَنْهُ كُلَّ شَيْءٍ ؛ وَإِنَّ كُلَّ حَقِيقَةٍ ، مُشْرِقَةٌ كَالشَّمْسِ ، لَا تَتْرُكُ الظَّلَامَ ، وَقَوِيَّةٌ كَالْجَبَلِ لَا تَتَزَلْزَلُ ؛ وَإِنَّ كُلّاً مِنْهَا تَشْهَدُ بِتَحَقُّقِهَا ، عَلَى وُجُودِهِ ، شَهَادَةً قَاطِعَةً لِلْغَايَةِ ؛ وَتَدُلُّ بِإِحَاطَتِهَا ، عَلَى وَحْدَتِهِ ، دَلَالَةً ظَاهِرَةً لِلْغَايَةِ ؛ وَإِنَّ إِجْمَاعَ وَاتِّفَاقَ مَجْمُوعِ الْحَقَائِقِ ، يَبْلُغُ بِإِيمَانِنَا مِنَ التَّقْلِيدِ إِلَى التَّحْقِيقِ ، وَمِنَ التَّحْقِيقِ إِلَى عِلْمِ الْيَقِينِ ، وَمِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ ، وَمِنْ عَيْنِ الْيَقِينِ إِلَى حَقِّ الْيَقِينِ ؛ مَعَ إِثْبَاتِهَا سَائِرَ الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ أَيْضاً ، فِي ضِمْنِهَا ، إِثْبَاتاً قَوِيّاً . . ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ، هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ . .

﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدٰينَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدٰينَا اللّٰهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ . .

هٰذَا ؛ فَقِيلَ فِي الْبَابِ الثَّانِي مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ، حَوْلَ حَقَائِقِ الْمَنْزِلِ الثَّالِثِ ، إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً لِلْغَايَةِ ، إِلَى الْأَنْوَارِ الْإِيمَانِيَّةِ الَّتِي اسْتَفَادَهَا هٰذَا السَّيَّاحُ الْكَثِيرُ التَّطَلُّعِ ، مِنَ الْحَقَائِقِ الْأَرْبَعِ الْمُعَظَّمَةِ الَّتِي شَاهَدَهَا فِي هٰذَا الْمَنْزِلِ الثَّالِثِ ، قِيلَ هٰكَذَا : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ الْوَاحِدُ

الْأَحَدُ ، الَّذِي دَلَّ عَلىٰ وَحْدَتِهِ فِي وُجُوبِ وُجُودِهِ ، مُشَاهَدَةُ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ الْفَتَّاحِيَّةِ ، بِفَتْحِ الصُّوَرِ لِأَرْبَعِمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ، الْمُكَمَّلَةِ بِلَا قُصُورٍ ، بِشَهَادَةِ فَنِّ النَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ ؛ وَكَذَا مُشَاهَدَةُ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ الرَّحْمَانِيَّةِ الْوَاسِعَةِ الْمُنْتَظِمَةِ بِلَا نُقْصَانٍ ، بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْعِيَانِ ؛ وَكَذَا مُشَاهَدَةُ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ الْإِدَارَةِ الْمُحِيطَةِ لِجَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، وَالْمُنْتَظِمَةِ بِلَا خَطَأٍ وَلَا نُقْصَانٍ ؛ وَكَذَا مُشَاهَدَةُ عَظَمَةِ إِحَاطَةِ حَقِيقَةِ الرَّحِيمِيَّةِ وَالْإِعَاشَةِ الشَّامِلَةِ لِكُلِّ الْمُرْتَزِقِينَ ، الْمُقَنَّنَةِ فِي كُلِّ وَقْتِ الْحَاجَةِ بِلَا سَهْوٍ وَلَا نِسْيَانٍ ؛ جَلَّ جَلَالُ رَزَّاقِهَا الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، الْحَنَّانِ الْمَنَّانِ ؛ وَعَمَّ نَوَالُهُ ؛ وَشَمِلَ إِحْسَانُهُ ؛ وَلَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

يَا رَبُّ ! . بِحَقِّ ﴿بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ، يَا اَللّٰهُ يَا رَحْمٰنُ يَا رَحِيمُ ! . صَلِّ وَسَلِّمْ عَلىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ ، بِعَدَدِ جَمِيعِ حُرُوفِ «رَسَائِلِ النُّورِ» ، الْمَضْرُوبَةِ تِلْكَ الْحُرُوفُ ، فِي عَاشِرَاتِ دَقَائِقِ جَمِيعِ عُمْرِنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، مَعَ ضَرْبِ مَجْمُوعِهَا فِي ذَرَّاتِ وُجُودِي فِي مُدَّةِ حَيَاتِي ؛ وَاغْفِرْ لِي وَلِمَنْ يُعِينُنِي فِي نَشْرِ «رَسَائِلِ النُّورِ» وَكِتَابَتِهَا بِصَدَاقَةٍ ، بِكُلِّ صَلَاةٍ مِنْهَا ، وَلِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا ، وَلِسَادَاتِنَا وَشُيُوخِنَا ، وَلِإِخْوَانِنَا وَأَخَوَاتِنَا ، وَلِطَلَبَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» الصَّادِقِينَ ، وَبِالْخَاصَّةِ لِمَنْ يَكْتُبُ وَيَسْتَنْسِخُ هٰذِهِ الرِّسَالَةَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ! . آمِينَ . .

﴿وَآخِرُ دَعْوٰيهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . .

[إِخْطَارٌ :]

لَقَدْ ذُكِرَ فِي رَسَائِلَ مِثْلِ «الْآيَةِ الْكُبْرىٰ» ، قِسْمٌ مُهِمٌّ مِنْ مَسَائِلِ سَائِرِ الْمَقَالَاتِ وَاللَّمَعَاتِ ، فِي صُورَةِ تَكْرَارٍ ظَاهِرِيٍّ ؛ وَاكْتُتِبَتْ هٰكَذَا ، بِحِكْمَةِ صَيْرُورَةِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، فِي حُكْمِ «رِسَالَةِ نُورٍ» صَغِيرَةٍ ،

بِالنِّسْبَةِ إِلَى التَّلامِذَةِ هُنَا ؛ لِأَنَّ سَائِرَ الرَّسَائِلِ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، لا تُوجَدُ فِي مُحِيطِ هٰذَا الْبَلَدِ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ ظُهُورِ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ؛ وَلِأَنَّهَا أُلِّفَتْ هُنَا بِدُونِ اخْتِيَارٍ . . .

[بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :]

لَقَدِ اسْتَمَعْتُ لِسُؤَالٍ وَجَوَابٍ فِي مُحَاوَرَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ فِي هٰذِهِ الْأَيَّامِ ؛ فَلْأُبَيِّنْ لَكُمْ خُلاصَةً مِنْهَا . .

قَالَ وَاحِدٌ : إِنَّ حُشُودَ «رِسَالَةِ النُّورِ» الْعَظِيمَةَ ، وَأَجْهِزَتَهَا الْكُلِّيَّةَ ، لِأَجْلِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ ، تَزْدَادُ مُتَتَالِيَةً ؛ وَقَدْ كَانَ وَاحِدٌ فِي الْمِئَةِ كَافِياً ، لِإِفْحَامِ مُلْحِدٍ أَشَدَّ عِنَاداً ؛ فَلِمَاذَا تَحْشُدُ حُشُوداً جَدِيدَةً أُخْرٰى ، بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ السُّخُونَةِ ؟ .

فَقَالُوا جَوَاباً لَهُ : إِنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» لا تَعْمُرُ تَخْرِيبَةً جُزْئِيَّةً ، وَبِنَايَةً صَغِيرَةً فَقَطْ ؛ بَلْ تَعْمُرُ تَخْرِيبَةً كُلِّيَّةً ، وَقَلْعَةً مُحِيطَةً ، تَحْتَوِي الْإِسْلامَ ، وَلَهَا أَحْجَارٌ فِي عَظَمَةِ الْجِبَالِ ؛ وَلا تَسْعٰى لِإِصْلاحِ قَلْبٍ خُصُوصِيٍّ وَوِجْدَانٍ خَاصٍّ فَقَطْ ؛ بَلْ تَسْعٰى لِمُدَاوَاةِ الْقَلْبِ الْعُمُومِيِّ وَالْأَفْكَارِ الْعَامَّةِ ، الْمُنْهَارَةِ انْهِيَاراً هَائِلاً بِآلاتٍ مُفْسِدَةٍ ، تَدَارَكَتْ وَتَرَاكَمَتْ مُنْذُ أَلْفِ سَنَةٍ ، وَلِمُدَاوَاةِ الْوِجْدَانِ الْعُمُومِيِّ الْمُتَوَجِّهِ إِلَى الْفَسَادِ ، بِانْكِسَارِ الْأُسُسِ وَالتَّيَّارَاتِ وَالشَّعَائِرِ الْإِسْلامِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ مُسْتَنَدُ الْعُمُومِ وَلاسِيَّمَا عَوَامِّ الْمُؤْمِنِينَ أَيْضاً ، تَسْعٰى لِمُدَاوَاتِهَا بِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، وَلِمُعَالَجَةِ جِرَاحَاتِهَا الْوَاسِعَةِ ، بِأَدْوِيَةِ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ ؛ فَلا بُدَّ قَطْعاً لِمِثْلِ هٰذِهِ التَّخْرِيبَاتِ وَالانْهِيَارَاتِ وَالْجِرَاحَاتِ الْكُلِّيَّةِ الرَّهِيبَةِ ، مِنْ وُجُودِ حُجَجٍ وَأَجْهِزَةٍ فِي قُوَّةِ الْجِبَالِ ، وَفِي دَرَجَةِ حَقِّ الْيَقِينِ ، وَعَلائِجَ مُجَرَّبَةٍ ، وَأَدْوِيَةٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ ، فِي قُوَّةِ أَلْفِ تِرْيَاقٍ ؛ فَإِنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» التَّابِعَةَ مِنَ الْإِعْجَازِ الْمَعْنَوِيِّ لِلْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ ، تُؤَدِّي تِلْكَ الْوَظِيفَةَ ؛ مَعَ أَنَّهَا مَدَارٌ لِتَرَقِّيَاتٍ وَانْكِشَافَاتٍ ، فِيمَا لا حَدَّ لَهُ مِنْ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ . هٰكَذَا جَرَتْ مُكَالَمَةٌ طَوِيلَةٌ ؛ وَإِنِّي سَمِعْتُهَا تَمَاماً ؛ فَشَكَرْتُ بِلا حَدٍّ ؛ فَأَخْتَصِرُ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

اَلشُّعَاعُ الثَّامِنُ

لَمْ يُدْرَجْ هُنَا ؛ لِأَنَّهُ سَيُنْشَرُ فِي مَجْمُوعَةِ «سِكَّةِ التَّصْدِيقِ الْغَيْبِيِّ» ، إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالٰى . .

اَلْمُتَرْجِمُ ، (عفا الله عنه) . .

اَلشُّعَاعُ التَّاسِعُ

مِنَ اللَّمْعَةِ الْحَادِيَةِ وَالثَّلاثِينَ مِنَ الْمَكْتُوبِ الْحَادِي وَالثَّلاثِينَ ؛ وَهُوَ ذَيْلٌ مُهِمٌّ لِلْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ ؛ وَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنْ لَوَاحِقِهَا . .

إِنَّ هٰذِهِ الرِّسَالَةَ فِي وَضْعٍ سَابَقَتْ أَوْ تُسَابِقُ الْمَقَالَتَيْنِ «الْعَاشِرَةَ وَالتَّاسِعَةَ وَالْعِشْرِينَ» ، فِي نُقْطَةِ الْقَطْعِ وَالْقُوَّةِ ؛ وَقَدْ وَرَدَتْ عَلَى الْبَالِ فَجْأَةً ؛ فَكُتِبَتْ مُسْتَعْجَلَةً ، وَبِدُونِ اخْتِيَارٍ عَادَةً . فَلَهَا قِيمَةٌ كَالسَّهْلِ الْمُمْتَنِعِ . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿فَسُبْحَانَ اللّٰهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۞ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۞ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوٓا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَآؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِي بِهِ

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِٓ أَنْ تَقُومَ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَآ أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ۞ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلٰى فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ ..﴾

سَتُبَيَّنُ فِي هٰذَا الشُّعَاعِ التَّاسِعِ ، أَكْبَرُ نُكْتَةٍ ، وَأَعْظَمُ حُجَّةٍ ، لِهٰؤُلَاءِ الْآيَاتِ الْكُبْرٰى السَّمَاوِيَّةِ ، الدَّالَّةِ عَلٰى قُطْبٍ لِلْإِيمَانِ ، وَلِهٰذِهِ الْبَرَاهِينِ الْعُظْمَى الْقُدُسِيَّةِ ، الْمُثْبِتَةِ لِلْحَشْرِ ..

إِنَّ عِنَايَةً رَبَّانِيَّةً لَطِيفَةً ، هِيَ : أَنَّ «السَّعِيدَ الْقَدِيمَ» ، قَالَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ الْمُسَمّٰى بِـ«الْمُحَاكَمَاتِ» ، الَّتِي كَتَبَهَا مُقَدِّمَةَ التَّفْسِيرِ قَبْلَ هٰذَا بِثَلَاثِينَ عَاماً ، قَالَ : (الْمَقْصَدُ الثَّانِي : سَتُفَسَّرُ وَتُبَيَّنُ آيَتَانِ تُشِيرَانِ إِلَى الْحَشْرِ فِي الْقُرْآنِ ؛ نَخُوه[1] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ») ؛ فَتَوَقَّفَ وَلَمْ يَكْتُبْ بَعْدُ . فَالشُّكْرُ وَالْحَمْدُ لِخَالِقِي الرَّحِيمِ ، عَدَدَ الدَّلَائِلِ وَالْأَمَارَاتِ الْحَشْرِيَّةِ ، عَلٰى أَنْ أَحْسَنَ بِالتَّوْفِيقِ بَعْدَ ثَلَاثِينَ عَاماً . نَعَمْ : لَقَدْ أَنْعَمَ قَبْلَ هٰذَا بِتِسْعٍ أَوْ عَشْرِ سِنِينَ ، «بِالْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ مَعَ الْمَقَالَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ» ، اللَّتَيْنِ هُمَا تَفْسِيرَانِ وَحُجَّتَانِ مُشْرِقَتَانِ وَقَوِيَّتَانِ جِدّاً ، لِلْمَنْشُورِ الْإِلٰهِيِّ ؛ وَهُوَ الْآيَةُ الْأُولٰى مِنْ تَيْنِكَ الْآيَتَيْنِ ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالٰى : ﴿فَانْظُرْ إِلٰىٓ آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتٰى وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞﴾ ؛ فَأَفْحَمَ الْمُنْكِرِينَ . وَكَذَا أَكْرَمَ بَعْدَ تِسْعٍ أَوْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ ، بِتَفْسِيرِ الْآيَاتِ الْكُبْرٰى الْمَذْكُورَةِ فِي الصَّدْرِ ، بِهٰذِهِ الرِّسَالَةِ ؛ وَهِيَ الْآيَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ تَيْنِكَ الْقَلْعَتَيْنِ لِلْإِيمَانِ الْحَشْرِيِّ ، الْمَتِينَتَيْنِ اللَّتَيْنِ لَا تُهَاجَمَانِ ..

(١) نَخُوه : كَلِمَةٌ كُرْدِيَّةٌ بِمَعْنٰى «فَإِذاً» .. الْمُتَرْجِمُ ، (عفي عنه) ..

فَهٰذَا الشُّعَاعُ التَّاسِعُ ، عِبَارَةٌ عَنْ مُقَدِّمَةٍ أَهَمَّ ، وَتِسْعِ مَقَامَاتٍ عَالِيَةٍ ، مُشَارٍ إِلَيْهَا بِآيَاتِهِ الْمَذْكُورَةِ . .

اَلْمُقَدِّمَةُ :

وَهِيَ نُقْطَتَانِ عِبَارَتَانِ عَنْ تَبْيِينِ نَتِيجَةٍ جَامِعَةٍ وَاحِدَةٍ بِاخْتِصَارٍ ، مِنْ فَوَائِدِ عَقِيدَةِ الْحَشْرِ الرُّوحِيَّةِ ، وَمِنْ نَتَائِجِهَا الْحَيَوِيَّةِ الْكَثِيرَةِ جِدّاً ، وَعَنْ إِظْهَارِ مَدٰى دَرَجَةِ كَوْنِهَا لَازِمَةً وَضَرُورِيَّةً لِلْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، خُصُوصاً لِحَيَاتِهِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَعَنْ إِرَاءَةِ حُجَّةٍ كُلِّيَّةٍ وَاحِدَةٍ بِإِجْمَالٍ ، مِنْ حُجَجِ عَقِيدَةِ هٰذَا الْإِيمَانِ الْحَشْرِيِّ ، الْكَثِيرَةِ جِدّاً ، وَعَنْ إِفَادَةِ مَدٰى دَرَجَةِ وُجُودِ تِلْكَ الْعَقِيدَةِ الْحَشْرِيَّةِ بَدِيهِيَّةً ، وَبِدُونِ شُبْهَةٍ . .

اَلنُّقْطَةُ الْأُولٰى :

سَنُشِيرُ إِلٰى أَرْبَعَةِ أَدِلَّةٍ فَقَطْ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا مِقْيَاسٌ ، مِنْ مِئَاتِ دَلَائِلِ عَقِيدَةِ الْآخِرَةِ ، عَلٰى أَنَّهَا أُسُّ أَسَاسِ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَالشَّخْصِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ وَأَنَّهَا أَسَاسَاتُ سَعَادَتِهَا وَكَمَالَاتِهَا . .

اَلْأَوَّلُ : أَنَّ الْأَطْفَالَ الَّذِينَ يُشَكِّلُونَ نِصْفَ نَوْعِ الْبَشَرِ تَقْرِيباً ، إِنَّمَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُقَاوِمُوا ضِدَّ الْمَمَاتِ وَالْوَفَاةِ ، الَّتِي تَتَرَاءٰى لَهُمْ مُرْعِبَةً وَمُبْكِيَةً ؛ وَأَنْ يَجِدُوا قُوَّةً مَعْنَوِيَّةً فِي أَبْدَانِهِمُ الضَّعِيفَةِ وَاللَّطِيفَةِ لِلْغَايَةِ ، بِفِكْرِ وُجُودِ الْجَنَّةِ فَقَطْ ؛ وَيُمْكِنُ أَنْ يَجِدُوا أَمَلاً بِتِلْكَ الْجَنَّةِ ، فِي مِزَاجِ أَرْوَاحِهِمُ الْبَاكِيَةِ سَرِيعاً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، الَّتِي لَا مُقَاوَمَةَ لَهَا أَصْلاً ؛ فَيَعِيشُوا مَسْرُورِينَ . . مَثَلاً : يَقُولُ بِفِكْرِ الْجَنَّةِ : مَاتَ شَقِيقِي أَوْ رَفِيقِي الصَّغِيرُ ؛ فَصَارَ أَحَدَ طُيُورِ الْجَنَّةِ ، يَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ ؛ وَيَعِيشُ أَفْضَلَ مِنَّا . . وَإِلَّا فَإِنَّ مُصَادَمَةَ مَوْتِ الْأَكَابِرِ ، وَالْأَصَاغِرِ مِثْلَهُمْ ، حَوْلَهُمْ كُلَّ وَقْتٍ ، لِأَنْظَارِ أُولَائِكَ الْبَائِسِينَ الضُّعَفَاءِ ، مِنْ أَنْظَارِهِمُ الْمُتَحَذِّرَةِ ، كَانَتْ تُحَطِّمُ مُقَاوَمَتَهُمْ وَقُوَّتَهُمُ الْمَعْنَوِيَّةَ ؛ فَتُبْكِي جَمِيعَ لَطَائِفِهِمْ مِثْلِ الرُّوحِ وَالْقَلْبِ وَالْعَقْلِ ، مَعَ عُيُونِهِمْ أَيْضاً ؛ فَإِمَّا أَنْ يَفْنَوْا ؛ أَوْ يَصِيرُوا حَيَوَاناً شَقِيّاً وَمَجْنُوناً . .

اَلدَّلِيلُ الثَّانِي : أَنَّ الْكُهُولَ الَّذِينَ هُمْ نِصْفُ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، إِنَّمَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَتَحَمَّلُوا تِجَاهَ الْقَبْرِ الْمَوْجُودِ فِي قُرْبِهِمْ ؛ وَأَنْ يَجِدُوا تَسْلِيَةً ، بِالْحَيَاةِ الْأُخْرَوِيَّةِ ، مُقَابِلَ انْسِدَادِ دُنْيَاهُمُ الْجَمِيلَةِ ، وَانْطِفَاءِ حَيَاتِهِمْ عَنْ قَرِيبٍ ، الَّتِي هُمْ ذَوُو صِلَةٍ بِهَا جِدّاً ؛ وَإِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَابِلُوا بِأَمَلِ الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ ، الْيَأْسَ الْأَلِيمَ الْهَائِلَ النَّاشِئَ عَنِ الْمَوْتِ وَالزَّوَالِ ، فِي أَرْوَاحِهِمْ وَأَمْزِجَتِهِمُ السَّرِيعَةِ التَّأَثُّرِ ، الَّتِي أَصْبَحَتْ فِي حُكْمِ الْأَطْفَالِ .. وَإِلَّا لَأَحَسَّ أُولَائِكَ الْمُحْتَرَمُونَ اللَّائِقُونَ بِالشَّفَقَةِ ، وَأُولَائِكَ الْآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ الْمُتَحَذِّرُونَ الْمُحْتَاجُونَ جِدّاً إِلَى السُّكُونَةِ ، وَالِاسْتِرَاحَةِ الْقَلْبِيَّةِ ، بِنِيَاحٍ رُوحِيٍّ وَاضْطِرَابٍ قَلْبِيٍّ ؛ فَصَارَتْ هٰذِهِ الدُّنْيَا لَهُمْ سِجْناً مُظْلِماً ؛ وَالْحَيَاةُ عَذَاباً قَاسِياً ..

اَلدَّلِيلُ الثَّالِثُ : أَنَّ الْفِتْيَانَ وَالشُّبَّانَ الَّذِينَ هُمْ أَقْوَى مَدَارِ حَيَاةِ النَّاسِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ؛ فَالَّذِي يُوقِفُ حِسِّيَّاتِهِمُ الشَّدِيدَةَ الْغَلَيَانِ ، وَنُفُوسَهُمْ وَأَهْوَاءَهُمُ الْمُفْرِطَةَ ، عَنِ التَّجَاوُزِ وَالظُّلْمِ وَالتَّخْرِيبِ ؛ وَيُؤَمِّنُ حُسْنَ جَرَيَانِ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ، هُوَ فِكْرَةُ جَهَنَّمَ فَقَطْ .. وَإِلَّا فَلَوْ لَمْ يَكُنْ خَوْفُ جَهَنَّمَ ؛ لَحَوَّلَ أُولَائِكَ الشُّبَّانُ السَّكَارٰى ، وَالْفِتْيَانُ الْعَادُونَ وَرَاءَ أَهْوَائِهِمْ ، حَوَّلُوا الدُّنْيَا إِلَى صُورَةِ جَهَنَّمَ ، لِلضُّعَفَاءِ وَالْعَجَزَةِ الْبَائِسِينَ ، بِقَاعِدَةِ **«إِنَّ الْحُكْمَ لِلْغَالِبِ»** ؛ وَقَلَبُوا الْإِنْسَانِيَّةَ الرَّفِيعَةَ ، إِلَى حَيَوَانِيَّةٍ سُفْلِيَّةٍ لِلْغَايَةِ ..

اَلدَّلِيلُ الرَّابِعُ : أَنَّ الْمَرْكَزَ الْأَجْمَعَ ، وَالنَّابِضَ الْأَهَمَّ الْأَسَاسِيَّ ، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ لِنَوْعِ الْبَشَرِ ؛ وَأَنَّ جَنَّةً وَمَلْجَأً وَمُتَحَصَّناً لِلسَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، هِيَ حَيَاةُ الْعَائِلَةِ ؛ وَأَنَّ دَارَ كُلِّ أَحَدٍ ، هِيَ دُنْيَا صَغِيرَةٌ لَهُ . وَأَمَّا سَعَادَةُ حَيَاةِ تِلْكَ الدَّارِ وَالْعَائِلَةِ ، وَحَيَاةُ حَيَاتِهَا ، فَيُمْكِنُ حُصُولُهَا بِالْحُرْمَةِ الصَّمِيمَةِ وَالْجَادَّةِ وَعَلٰى وَجْهِ الْوَفَاءِ ، وَبِالرَّحْمَةِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْمُشْفِقَةِ وَعَلٰى وَجْهِ الْفِدَاءِ . وَإِنَّ هٰذِهِ الْحُرْمَةَ الْحَقِيقِيَّةَ ، وَالرَّحْمَةَ الصَّمِيمَةَ ، يُمْكِنُ حُصُولُهَا بِفِكْرَةِ وَعَقِيدَةِ وُجُودِ مُصَاحَبَةٍ أَبَدِيَّةٍ ، وَرَفَاقَةٍ دَائِمَةٍ ، وَمَعِيَّةٍ سَرْمَدِيَّةٍ ، وَمُنَاسَبَاتٍ أَبَوِيَّةٍ وَوَلَدِيَّةٍ ، وَأَخَوِيَّةٍ وَرِفَاقِيَّةٍ ، مُتَبَادَلَةٍ فِي زَمَانٍ بِلَا حَدٍّ ، وَفِي حَيَاةٍ بِلَا حُدُودٍ . فَيَقُولُ مَثَلاً : إِنَّ زَوْجَتِي هٰذِهِ ، رَفِيقَةُ حَيَاتِي ، رَفِيقَةٌ دَائِمَةٌ فِي عَالَمٍ أَبَدِيٍّ ، وَفِي حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ ؛ وَإِنَّهَا وَإِنْ أَصْبَحَتْ شَائِبَةً وَشَائِنَةً الْآنَ ، فَلَا بَأْسَ بِهَا ؛

لِأَنَّ لَهَا جَمَالاً أَبَدِيّاً سَيَأْتِي ؛ وَإِنِّي أَفْعَلُ كُلَّ فِدَاءٍ وَرَحْمَةٍ ، لِأَجْلِ رَفَاقَةٍ دَائِمَةٍ هٰكَذَا ؛ فَيَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَابِلَ زَوْجَتَهُ الشَّائِبَةَ تِلْكَ ، بِالْمَحَبَّةِ وَالشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ ، كَحُورِيَّةٍ حَسْنَاءَ . وَإِلَّا فَإِنَّ رَفَاقَةً تُلَاقِي فِرَاقاً وَمُفَارَقَةً أَبَدِيَّةً ، بَعْدَ رَفَاقَةٍ صُورِيَّةٍ قَصِيرَةٍ ، سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ ، يُمْكِنُ أَنْ تُورِثَ رَحْمَةً مَجَازِيَّةً ، وَحُرْمَةً اصْطِنَاعِيَّةً ، فِي مَعْنَى رِقَّةٍ جِنْسِيَّةٍ كَالْحَيْوَانِ ، صُورِيَّةً وَمُؤَقَّتَةً لِلْغَايَةِ ، وَلَا أَسَاسَ لَهَا قَطْعاً ؛ وَإِنَّ مَنَافِعَ أُخْرَى ، وَسَائِرَ مَشَاعِرَ غَالِبَةٍ ، مِثْلَ مَا يَكُونُ فِي الْحَيْوَانَاتِ ، تَغْلِبُ تِلْكَ الْحُرْمَةَ وَالرَّحْمَةَ ؛ فَتُحَوِّلُ جَنَّةَ دُنْيَاهُ تِلْكَ ، إِلَى جَهَنَّمَ . .

هٰذَا ؛ وَإِنَّ وَاحِدَةً مِنْ مِئَاتِ نَتَائِجِ الْإِيمَانِ الْحَشْرِيِّ ، تَتَعَلَّقُ بِالْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ وَإِذَا قِيسَ سَائِرُ الدَّلَائِلِ ، عَلَى هٰذِهِ الْأَدِلَّةِ الْأَرْبَعَةِ الْمَذْكُورَةِ ، مِنْ مِئَاتِ جِهَاتِ هٰذِهِ النَّتِيجَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَمِنْ فَوَائِدِهَا ؛ يُفْهَمُ أَنَّ تَحَقُّقَ الْحَقِيقَةِ الْحَشْرِيَّةِ ، وَوُقُوعَهَا ، قَطْعِيٌّ فِي دَرَجَةِ حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعُلْوِيَّةِ ، وَحَاجَاتِهَا الْكُلِّيَّةِ ؛ بَلْ أَظْهَرُ وَأَزْيَدُ إِعْلَاماً لِتَحَقُّقِهَا ، مِنْ دَلَالَةِ وَشَهَادَةِ وُجُودِ الِاحْتِيَاجَاتِ فِي الْمِعَدَةِ ، عَلَى وُجُودِ الْأَطْعِمَةِ ؛ وَيُثْبِتُ أَنَّهُ إِنْ خَرَجَتْ نَتَائِجُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْحَشْرِيَّةِ ، عَنِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ فَإِنَّ مَاهِيَّةَ تِلْكَ الْإِنْسَانِيَّةِ الْحَيَّةِ الْعَالِيَةِ ، وَذَاتَ الْأَهَمِّيَّةِ جِدّاً ، تَسْقُطُ إِلَى حُكْمِ جَنَازَةٍ مَيْتَةٍ ، وَوَكْرَةِ جَرَاثِيمَ . .

فَلْتَرَنَّ آذَانُ الِاجْتِمَاعِيِّينَ وَالسِّيَاسِيِّينَ وَالْأَخْلَاقِيِّينَ ، الَّذِينَ لَهُمْ صِلَاتٌ كَثِيرَةٌ بِإِدَارَةِ الْبَشَرِ ، وَأَخْلَاقِهِمْ وَاجْتِمَاعِيَّاتِهِمْ ؛ وَلْيَأْتُوا ؛ فَبِمَاذَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمْلَؤُوا هٰذَا الْفَرَاغَ ؛ وَبِمَاذَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُعَالِجُوا هٰذِهِ الْجِرَاحَاتِ الْعَمِيقَةَ ؟ .

اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ :

تُبَيِّنُ فِي صُورَةٍ مُخْتَصَرَةٍ لِلْغَايَةِ ، بُرْهَاناً وَاحِداً ، نَاشِئاً عَنْ خُلَاصَةِ الشَّهَادَاتِ الْوَارِدَةِ مِنْ سَائِرِ الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ ، مِمَّا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ بَرَاهِينِ الْحَقِيقَةِ الْحَشْرِيَّةِ . . وَذٰلِكَ : أَنَّ جَمِيعَ مُعْجِزَاتِ حَضْرَةِ مُحَمَّدٍ (عليه الصلاة والسلام) ، وَجَمِيعَ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ ، وَجَمِيعَ بَرَاهِينِ حَقَّانِيَّتِهِ ، الدَّالَّاتِ عَلَى رِسَالَتِهِ ، تُثْبِتُ الْحَقِيقَةَ الْحَشْرِيَّةَ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، شَاهِدَةً عَلَى تَحَقُّقِهَا ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ دَعَاوَى

هٰذَا الْجَنَابِ ، فِي جَمِيعِ حَيَاتِهِ ، تَرْتَكِزُ فِي الْحَشْرِ ، بَعْدَ الْوَحْدَانِيَّةِ ؛ وَكَذَا أَنَّ جَمِيعَ مُعْجِزَاتِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَحُجَجِهِمُ الْمُصَدِّقَةِ لَهُمْ ، وَالْمُوجِبَةِ لِتَصْدِيقِهِمْ ، تَشْهَدُ لِعَيْنِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَكَذَا أَنَّ شَهَادَةَ «وَكُتُبِهِ» ، الَّتِي تُخْرِجُ الشَّهَادَةَ الْوَارِدَةَ مِنْ كَلِمَةِ «وَبِرُسُلِهِ» ، إِلٰى دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ ، تَشْهَدُ أَيْضاً لِعَيْنِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ جَمِيعَ مُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، وَحُجَجِهِ وَحَقَائِقِهِ أَوَّلاً، الْمُثْبِتَةِ لِحَقَّانِيَّتِهِ ، تَشْهَدُ لِتَحَقُّقِ الْحَقِيقَةِ الْحَشْرِيَّةِ ، وَلِوُقُوعِهَا ؛ فَتُثْبِتُهَا دَفْعَةً وَاحِدَةً ؛ لِأَنَّ ثُلُثَ الْقُرْآنِ تَقْرِيباً ، هُوَ الْحَشْرُ ؛ وَأَنَّ الْآيَاتِ الْقَوِيَّةَ لِلْغَايَةِ ، فِي أَوَائِلِ أَكْثَرِ قِصَارِ السُّوَرِ ، هِيَ آيَاتٌ حَشْرِيَّةٌ ؛ فَيُخْبِرُ عَنْ عَيْنِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَيُثْبِتُهَا وَيُظْهِرُهَا ، بِآلَافِ آيَاتِهِ ، صَرَاحَةً وَإِشَارَةً ؛ وَيُبَيِّنُ بِجَمِيعِ قَطْعِيَّتِهِ ، أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْحَشْرِيَّةَ ، هِيَ حَقِيقَةٌ وَاجِبَةٌ ، وَذَاتُ أَهَمِّيَّةٍ لِلْكَائِنَاتِ ، فِي أَوَائِلِ ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ سُورَةً ، مِثْلِ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . . يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . . إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا . . إِذَا السَّمَآءُ انْفَطَرَتْ . . إِذَا السَّمَآءُ انْشَقَّتْ . . عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ . . هَلْ أَتٰيكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ . .﴾ مَثَلاً ؛ مَعَ أَنَّهُ يُبَيِّنُ دَلَائِلَ مُتَنَوِّعَةً لِتِلْكَ الْحَقِيقَةِ ؛ فَيُقْنِعُ فِي سَائِرِ آيَاتِهِ أَيْضاً . .

فَيَا عَجَباً ! إِنَّ الْإِيمَانَ الْحَشْرِيَّ الَّذِي يَظْهَرُ كَالشَّمْسِ ، بِآلَافٍ مِنْ أَمْثَالِ هٰذِهِ الشَّهَادَاتِ وَالدَّعَاوٰى ، لِكِتَابٍ تُثْمِرُ إِشَارَةٌ وَاحِدَةٌ ، لِآيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُ ، حَقَائِقَ عِلْمِيَّةً وَكَوْنِيَّةً مُتَعَدِّدَةً ، فِي الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، أَمَامَ أَبْصَارِنَا ، هَلْ لَهُ أَيَّةُ جِهَةِ إِمْكَانٍ ، أَنْ يَكُونَ بِدُونِ حَقِيقَةٍ ؟ أَوَلَا يَكُونَ ذٰلِكَ مُحَالاً وَبَاطِلاً مِئَةَ دَرَجَةٍ ، مِثْلَ إِنْكَارِ الشَّمْسِ ، بَلْ كَعَدَمِ الْكَائِنَاتِ ؟ . فَيَا عَجَباً ! إِنَّ سُلْطَاناً ، يَتَحَرَّكُ جَيْشٌ فَيُحَارِبُ أَحْيَاناً ، لِئَلَّا تَصِيرَ إِشَارَةٌ وَاحِدَةٌ لَهُ كَاذِبَةً ، فَهَلْ يَكُونُ تَكْذِيبُ آلَافِ أَقْوَالِ ذٰلِكَ السُّلْطَانِ الْعَزِيزِ الْحَازِمِ ، وَوُعُودِهِ وَتَهْدِيدَاتِهِ ، قَابِلاً فِي أَيِّ جِهَةٍ مَا ؟ وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ بِدُونِ حَقِيقَةٍ ؟ . وَيَا لَلْعَجَبِ ! إِنَّ هٰذَا السُّلْطَانَ الْمَعْنَوِيَّ ذَا الشَّأْنِ ، الَّذِي يَحْكُمُ عَلٰى مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ أَرْوَاحٍ وَعُقُولٍ وَقُلُوبٍ وَنُفُوسٍ ؛ وَيُرَبِّيهَا وَيُدِيرُهَا فِي دَائِرَةِ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ ، ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَصْراً بِدُونِ فَاصِلَةٍ ، إِذَا كَانَتْ إِشَارَةٌ وَاحِدَةٌ لَهُ ، كَافِيَةً لِإِثْبَاتِ مِثْلِ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ؛ أَفَلَا يَلْزَمُ عَذَابُ جَهَنَّمَ ، لِأَجْهَلِ أَحْمَقَ لَا يَعْرِفُ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ ؟ أَوَلَا

يَكُونُ ذٰلِكَ عَيْنَ الْعَدَالَةِ، بعْدَ أَنْ بيَّنَ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ الْحَشْرِيَّةَ؛ فَأَثْبَتَهَا بِآلَافِ التَّصْرِيحَاتِ؟.

وَكَذَا أَنَّ بيَانَ جَمِيعِ الصُّحُفِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ أَيْضاً، الَّتِي حَكَمَتْ عَلَى بِضْعَةِ أَزْمَانٍ وَعِدَّةِ أَدْوَارٍ، لِلْحَقِيقَةِ الْحَشْرِيَّةِ، الَّتِي بيَّنَهَا وَأَثْبَتَهَا الْقُرْآنُ الْحَاكِمُ عَلَى جَمِيعِ الِاسْتِقْبَالِ وَعُمُومِ الْأَزْمَانِ، بِتَفْصِيلاتٍ وَإِيضَاحَاتٍ وَتَكْرَارٍ؛ وَأَنَّ ادِّعَاءَهَا وَإِثْبَاتَهَا فِي صُورَةٍ مُخْتَصَرَةٍ وَمَسْتُورَةٍ وَغَيْرِ مُفَصَّلَةٍ؛ وَلٰكِنْ فِي أُسْلُوبٍ قَوِيٍّ، مَعَ قَبُولِهَا الْقَطْعِيِّ لِتِلْكَ الْحَقِيقَةِ، حَسَبَ عُصُورِهَا وَأَزْمَانِهَا، يُصَدِّقُ دَعْوَى الْقُرْآنِ بِآلَافِ التَّوْقِيعَاتِ..

وَإِنَّ حُجَّةً حَشْرِيَّةً مُلَخَّصَةً وَقَوِيَّةً جِدّاً، تُزِيلُ جَمِيعَ الْأَوْهَامِ؛ وَتُذْكَرُ فِيهَا شَهَادَةُ سَائِرِ الْأَرْكَانِ وَلَاسِيَّمَا الرُّسُلِ وَالْكُتُبِ، لِرُكْنِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، فِي صُورَةِ الْمُنَاجَاةِ، فِي آخِرِ «رِسَالَةِ الْمُنَاجَاةِ» تَدْخُلُ هُنَا بِعَيْنِهَا، بِمُنَاسَبَةِ هٰذَا الْبَحْثِ..

وَذٰلِكَ: أَنَّهُ قَالَ فِي الْمُنَاجَاةِ: (يَا رَبِّيَ الرَّحِيمَ! لَقَدْ فَهِمْتُ بِتَعْلِيمِ رَسُولِكَ الْأَكْرَمِ (عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ)، وَبِدَرْسِ قُرْآنِكَ الْحَكِيمِ: أَنَّ الْقُرْآنَ وَرَسُولَكَ الْأَكْرَمَ (عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ)، أَوَّلاً، وَجَمِيعَ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ، يَشْهَدُونَ وَيَدُلُّونَ وَيُشِيرُونَ بِالْإِجْمَاعِ وَالِاتِّفَاقِ، إِلَى أَنَّ تَجَلِّيَاتِ أَسْمَائِكَ الْجَلَالِيَّةِ وَالْجَمَالِيَّةِ، الْمَشْهُودَةِ نَمَاذِجُهَا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا وَفِي كُلِّ جَانِبٍ، سَتَدُومُ فِي أَبَدِ الْآبَادِ عَلَى أَشْرَقِ صُورَةٍ، وَإِلَى اسْتِمْرَارِ إِحْسَانَاتِكَ الْمَشْهُودَةِ أَمْثَالُهَا وَجِلْوَاتُهَا الرَّحِيمَةُ فِي هٰذَا الْعَالَمِ الْفَانِي، وَإِلَى بَقَائِهَا فِي دَارِ السَّعَادَةِ عَلَى أَلْمَعِ وَجْهٍ، وَإِلَى رِفَاقَةِ الْمُشْتَاقِينَ الَّذِينَ شَاهَدُوهَا بِالذَّوْقِ؛ وَرَافَقُوهَا بِالْحُبِّ، فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْقَصِيرَةِ، وَإِلَى وُجُودِهِمْ مَعَهَا فِي الْأَبَدِ أَيْضاً.. وَكَذَا أَنَّ الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ (عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ) وَقُرْآنَكَ الْحَكِيمَ أَوَّلاً، اسْتِنَاداً إِلَى مِئَاتِ مُعْجِزَاتِهِمَا الْبَاهِرَةِ، وَآيَاتِهِمَا الْقَاطِعَةِ؛ وَأَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ أَصْحَابِ الْأَرْوَاحِ النُّورَانِيَّةِ، وَجَمِيعَ الْأَوْلِيَاءِ أَقْطَابِ الْقُلُوبِ الْمُنَوَّرَةِ، وَجَمِيعَ الصِّدِّيقِينَ مَعَادِنِ الْعُقُولِ الْحَادَّةِ النَّيِّرَةِ، اسْتِنَاداً إِلَى آلَافِ وُعُودِكَ وَتَهْدِيدَاتِكَ، الَّتِي كَرَّرْتَهَا كَثِيراً فِي جَمِيعِ الصُّحُفِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ، وَاعْتِمَاداً عَلَى عِزَّةِ جَلَالِكَ وَسَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِكَ، وَعَلَى صِفَاتِكَ وَشُؤُونِكَ الْقُدْسِيَّةِ الْمُقْتَضِيَةِ لِلْآخِرَةِ، مِثْلِ الْقُدْرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَالْعِنَايَةِ وَالْحِكْمَةِ، وَالْجَلَالِ وَالْجَمَالِ، وَبِنَاءً عَلَى مَا لَا حَدَّ

لَهَا مِنْ كَشْفِيَّاتِهِمْ وَمُشَاهَدَاتِهِمُ الْمُعْلَنَةِ لِآثَارِ الْآخِرَةِ وَتَرَشُّحَاتِهَا ، وَعَلَى اعْتِقَادِهِمْ وَإِيمَانِهِمُ الْكَائِنِ فِي دَرَجَةِ عِلْمِ الْيَقِينِ وَعَيْنِ الْيَقِينِ ، يُبَشِّرُونَ النَّاسَ بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ وَيُخْبِرُونَ وَيُعْلِنُونَ أَنَّهُ تُوجَدُ جَهَنَّمُ لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ ؛ وَالْجَنَّةُ لِأَهْلِ الْهِدَايَةِ ؛ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ إِيمَاناً قَوِيّاً ؛ وَيَشْهَدُونَ عَلَيْهِ . .

يَا قَدِيرُ الْحَكِيمُ ، يَا رَحْمٰنُ الرَّحِيمُ ، يَا صَادِقَ الْوَعْدِ الْكَرِيمَ ، أَيُّهَا الْقَهَّارُ ذَا الْجَلَالِ ، صَاحِبَ الْعِزَّةِ وَالْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ ! . إِنَّكَ مُقَدَّسٌ بِمِئَاتِ آلَافِ الدَّرَجَاتِ ، وَمُنَزَّهٌ وَعَالٍ بِمَا لَا حَدَّ لَهَا مِنَ الدَّرَجَاتِ ، أَنْ تُكَذِّبَ هٰذَا الْقَدَرَ مِنْ أَحْبَابِكَ الصَّادِقِينَ ، وَهٰذَا الْقَدَرَ مِنْ وُعُودِكَ ، وَهٰذَا الْقَدَرَ مِنْ صِفَاتِكَ وَشُؤُونَاتِكَ ؛ وَتَجْعَلَهَا كَاذِبَةً ؛ وَأَنْ تُكَذِّبَ الْمُقْتَضَيَاتِ الْقَطْعِيَّةَ لِسَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِكَ ؛ فَلَا تَصْنَعُهَا ؛ وَأَنْ تَرُدَّ وَلَا تَسْمَعَ إِلَى مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنَ الدَّعَاوَى وَالدَّعَوَاتِ النَّاظِرَةِ إِلَى الْآخِرَةِ ، لِعِبَادِكَ الْمَقْبُولِينَ بِلَا حَدٍّ الَّذِينَ تُحِبُّهُمْ ؛ وَهُمْ أَيْضاً يُحَبِّبُونَ أَنْفُسَهُمْ إِلَيْكَ ، بِالتَّصْدِيقِ وَالْإِطَاعَةِ لَكَ ؛ وَأَنْ تُصَدِّقَ أَهْلَ الضَّلَالَةِ وَأَهْلَ الْكُفْرِ فِي إِنْكَارِ الْحَشْرِ ، الَّذِينَ يَمَسُّونَ عَظَمَةَ كِبْرِيَائِكَ ؛ وَيَطْعَنُونَ فِي عِزَّةِ جَلَالِكَ ؛ وَيَقْدَحُونَ فِي كَرَامَةِ أُلُوهِيَّتِكَ ؛ وَيُؤْذُونَ شَفَقَةَ رُبُوبِيَّتِكَ ، بِالْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ وَبِتَكْذِيبِكَ فِي وَعْدِكَ . . وَنُقَدِّسُ بِدَرَجَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا ، عَدَالَتَكَ تِلْكَ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا ، وَجَمَالَكَ الَّذِي لَا نِهَايَةَ لَهُ ، وَرَحْمَتَكَ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا ، عَنْ مِثْلِ هٰذَا الظُّلْمِ بِلَا نِهَايَةٍ ، وَعَنِ الْقُبْحِ الَّذِي لَا نِهَايَةَ لَهُ ؛ وَنُؤْمِنُ بِكُلِّ قُوَّتِنَا ، بِأَنَّ شَهَادَاتِ مِئَاتِ آلَافِ وُسَطَائِكَ ، أُولَائِكَ الصَّادِقِينَ ، وَمَنْ لَا حَدَّ لَهُمْ مِنْ دَلَّالِي سَلْطَنَتِكَ ، أُولَائِكَ الْمُسْتَقِيمِينَ ، مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ ، فِي صُورَةِ حَقِّ الْيَقِينِ وَعَيْنِ الْيَقِينِ وَعِلْمِ الْيَقِينِ ، عَلَى خَزَائِنِ رَحْمَتِكَ الْأُخْرَوِيَّةِ ، وَدَفَائِنِ إِحْسَانَاتِكَ فِي عَالَمِ الْبَقَاءِ ، وَعَلَى الْجَلَوَاتِ الْجَمِيلَةِ الْخَارِقَةِ ، مِنْ جَلَوَاتِ أَسْمَائِكَ الْحُسْنَى ، الَّتِي تَظْهَرُ بِتَمَامِهَا فِي دَارِ السَّعَادَةِ ، بِأَنَّهَا حَقٌّ وَحَقِيقَةٌ ؛ وَأَنَّ إِشَارَاتِهِمْ إِلَيْهَا مُسْتَقِيمَةٌ وَمُطَابِقَةٌ ؛ وَأَنَّ بِشَارَاتِهِمْ بِهَا صَادِقَةٌ وَوَاقِعَةٌ ؛ وَأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ الْكُبْرَى الْحَشْرِيَّةَ ، هِيَ أَكْبَرُ شُعَاعٍ لِاسْمِكَ «الْحَقِّ» ، الَّذِي هُوَ مَرْجِعُ جَمِيعِ الْحَقَائِقِ ، وَشَمْسُهَا وَحَامِيهَا ؛ فَيُدَرِّسُونَهَا عِبَادَكَ

فِي دَائِرَةِ الْحَقِّ ؛ وَيُعَلِّمُونَهَا بِأَمْرِكَ ، عَلىٰ أَنَّهَا عَيْنُ الْحَقِيقَةِ﴾ . .

يَا رَبُّ ! بِحَقِّ وَحُرْمَةِ دُرُوسِ هٰؤُلاءِ وَتَعَالِيمِهِمْ ، هَبْ لَنَا وَلِتَلامِذَةِ رِسَالَةِ النُّورِ ، الْإِيمَانَ الْكَامِلَ وَحُسْنَ الْخَاتِمَةِ ؛ وَاجْعَلْنَا مَظَاهِرَ لِشَفَاعَاتِهِمْ ؛ آمِينَ . .

وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ عُمُومَ الْأَدِلَّةِ وَالْحُجَجِ الْمُثْبِتَةِ لِحَقَّانِيَّةِ الْقُرْآنِ ، بَلْ وَجَمِيعِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ ؛ وَأَنَّ عُمُومَ الْمُعْجِزَاتِ وَالْبَرَاهِينِ الْمُثْبِتَةِ لِنُبُوَّةِ حَبِيبِ اللهِ ، بَلْ وَجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ ، تَدُلُّ بِالتَّبَعِ ، عَلىٰ تَحَقُّقِ الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ كُبْرىٰ مُدَّعَيَاتِهِمْ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ، إِنَّ أَكْثَرَ الدَّلائِلِ وَالْحُجَجِ ، الشَّاهِدَةِ لِوُجُودِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ وَلِوَحْدَتِهِ ، تَشْهَدُ بِالتَّبَعِ ، لِوُجُودِ دَارِ السَّعَادَةِ ، وَفَتْحِ عَالَمِ الْبَقَاءِ ، اللَّذَيْنِ هُمَا أَكْبَرُ مَدَارٍ وَمَظْهَرِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ ؛ لِأَنَّ وُجُودَ الذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ؛ وَأَنَّ جَمِيعَ صِفَاتِهِ وَأَكْثَرَ أَسْمَائِهِ ؛ وَأَنَّ أَوْصَافَهُ وَشُؤُونَهُ مِثْلَ «الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ ، وَالرَّحْمَةِ وَالْعِنَايَةِ ، وَالْحِكْمَةِ وَالْعَدَالَةِ» ، تَقْتَضِي الْآخِرَةَ فِي دَرَجَةِ اللُّزُومِ ؛ وَتَسْتَلْزِمُ عَالَماً بَاقِياً فِي دَرَجَةِ الْوُجُوبِ ؛ وَتَطْلُبُ الْحَشْرَ وَالنَّشْرَ لِلْمُكَافَأَةِ وَالْمُجَازَاةِ فِي دَرَجَةِ الضَّرُورَةِ ؛ كَمَا سَيُبَيَّنُ وَيُثْبَتُ فِي الْمَقَامَاتِ الْآتِيَةِ(١) . . نَعَمْ : إِذَا كَانَ إِلٰهٌ أَزَلِيٌّ وَأَبَدِيٌّ ، مَوْجُوداً ؛ فَإِنَّ الْآخِرَةَ الَّتِي هِيَ مَدَارٌ سَرْمَدِيٌّ لِسَلْطَنَةِ أُلُوهِيَّتِهِ ، تَكُونُ مَوْجُودَةً قَطْعاً ؛ وَإِذَا كَانَتْ رُبُوبِيَّةٌ مُطْلَقَةٌ مُحْتَشِمَةٌ وَحَكِيمَةٌ وَمُشْفِقَةٌ لِلْغَايَةِ ، مَوْجُودَةً وَمَشْهُودَةً فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ وَفِي ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ تُوجَدَ دَارُ سَعَادَةٍ ؛ وَأَنْ يُدْخَلَ فِيهَا ، تُنْقِذُ حَشْمَةَ تِلْكَ الرُّبُوبِيَّةِ عَنِ السُّقُوطِ ، وَحِكْمَتَهَا عَنِ الْعَبَثِ ، وَشَفَقَتَهَا عَنِ الْغَدْرِ ؛ وَأَيْضاً إِذَا كَانَتْ هٰذِهِ الْإِنْعَامَاتُ وَالْإِحْسَانَاتُ ، وَالْأَلْطَافُ وَالْمَكْرُمَاتُ ، وَالْعِنَايَاتُ وَالرَّحَمَاتُ بِلَا حَدٍّ الْمَشْهُودَةُ بِالْعَيْنِ ، تُرِي عُقُولاً غَيْرَ خَامِدَةٍ ، وَقُلُوباً غَيْرَ مَيِّتَةٍ ، وُجُودَ ذَاتٍ رَحْمٰنٍ رَحِيمٍ وَرَاءَ حِجَابِ الْغَيْبِ ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّ حَيَاةً بَاقِيَةً ، تَكُونُ مَوْجُودَةً ؛ وَسَتَحْدُثُ فِي عَالَمٍ بَاقٍ ، يُنْجِي الْإِنْعَامَ مِنَ الْاسْتِهْزَاءِ ، وَالْإِحْسَانَ مِنَ الْخِدَاعِ ، وَالْعِنَايَةَ مِنَ الْعَدَاوَةِ ، وَالرَّحْمَةَ مِنَ الْعَذَابِ ، وَاللُّطْفَ وَالْكَرَمَ مِنَ الْإِهَانَةِ ؛ وَيَجْعَلُ

---

(١) لَمْ يَتَيَسَّرْ لِلْمُؤَلِّفِ تَأْلِيفُ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ مَعَ الْأَسَفِ ؛ كَمَا سَيَأْتِي . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (عليه الرحمة) . .

الْإِحْسَانَ إِحْسَاناً ؛ وَيُصَيِّرُ النِّعْمَةَ نِعْمَةً ؛ وَأَيْضاً إِذَا كَانَ قَلَمُ قُدْرَةٍ يَكْتُبُ مِئَةَ أَلْفِ كِتَابٍ بِلَا خَطَإٍ ، مُتَدَاخِلاً بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ، فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ ، فِي صَحِيفَةِ الْأَرْضِ الضَّيِّقَةِ ، يَعْمَلُ أَمَامَ أَبْصَارِنَا دُونَ كَلَلٍ ؛ وَوَعَدَ وَعَهِدَ صَاحِبُ ذٰلِكَ الْقَلَمِ : أَنِّي سَأَكْتُبُ كِتَاباً جَمِيلاً لَا يَمُوتُ ، فِي مَكَانٍ وَاسِعٍ ، أَسْهَلَ مِنْ كِتَابِ الرَّبِيعِ هٰذَا ، الْمَكْتُوبِ مُخْتَلِطاً وَمُتَدَاخِلاً ، وَفِي هٰذَا الْمَكَانِ الضَّيِّقِ ؛ وَسَأُقْرِئُكُمْ إِيَّاهُ : هٰكَذَا يَبْحَثُ عَنْ ذٰلِكَ الْكِتَابِ فِي جَمِيعِ الْعُهُودِ ، فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ كُتِبَ أَصْلُ ذٰلِكَ الْكِتَابِ ؛ وَسَتُكْتَبُ حَوَاشِيهِ أَيْضاً ، بِالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ ؛ وَسَتُقَيَّدُ فِيهِ صَحَائِفُ أَعْمَالِ الْجَمِيعِ قَطْعاً ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ . .

وَأَيْضاً إِذَا كَانَتْ لِهٰذِهِ الْأَرْضِ أَهَمِّيَّةٌ عَظِيمَةٌ لِلْغَايَةِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا قَلْبُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ وَمَرْكَزُهَا ، وَخُلَاصَتُهَا وَنَتِيجَتُهَا وَسَبَبُ خِلْقَتِهَا ، بِجِهَةِ كَثْرَةِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَبِحَيْثِيَّةِ كَوْنِهَا مَسْكَناً وَمَنْشَأً وَمَصْنَعاً ، وَمَشْهَراً وَمَحْشَراً ، لِمِئَاتِ آلَافِ أَنْوَاعِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ وَذَوِي الْأَرْوَاحِ الْمُتَنَوِّعَةِ الْمُتَبَدِّلَةِ دَائِماً ؛ فَاتُّخِذَتْ مُوَازِنَةً تِجَاهَ السَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةِ ، مَعَ صِغَرِهَا ؛ فَيُقَالُ دَائِماً فِي الْعُهُودِ السَّمَاوِيَّةِ : ﴿رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ؛ وَإِذَا كَانَ يُوجَدُ نَوْعُ بَنِي آدَمَ ، الَّذِي يَحْكُمُ كُلَّ جَوَانِبِ الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ بِهٰذِهِ الْمَاهِيَّةِ ؛ وَيَتَصَرَّفُ فِي أَكْثَرِ مَخْلُوقَاتِهَا ؛ وَيُسَخِّرُ أَكْثَرَ مَوْجُودَاتِهَا ذَاتِ الْحَيَاةِ ؛ فَيُجَمِّعُهَا حَوْلَهُ ؛ وَيُنَظِّمُ أَكْثَرَ مَصْنُوعَاتِهَا وَيُشَهِّرُهَا وَيُزَيِّنُهَا جَيِّداً ، بِهَنْدَسَةِ هَوَسَاتِهِ وَبِدَسَاتِيرِ احْتِيَاجَاتِهِ ؛ وَيَسْتَجْمِعُ أَكْثَرَ الْأَنْوَاعِ الْبَدِيعَةِ كَالْقَائِمَةِ ، فِي أَمَاكِنَ عَدِيدَةٍ ؛ فَيُزَيِّنُهَا بِحَيْثُ لَا يَجْتَلِبُ أَنْظَارَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَقَطْ ؛ بَلْ أَنْظَارَ دِقَّةِ وَتَقْدِيرِ الْكَائِنَاتِ وَأَهْلِ السَّمَاوَاتِ ، وَنَظَرَ اسْتِحْسَانِ صَاحِبِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَبِذٰلِكَ يَتَّخِذُ قِيمَةً وَأَهَمِّيَّةً عَظِيمَةً لِلْغَايَةِ ؛ وَيُظْهِرُ بِفُنُونِهِ وَصَنَائِعِهِ : أَنَّهُ حِكْمَةُ خِلْقَةِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، وَنَتِيجَتُهَا الْعَظِيمَةُ ، وَثَمَرَتُهَا الْقَيِّمَةُ ، وَخَلِيفَةُ الْأَرْضِ ، بِهٰذِهِ الْحَيْثِيَّةِ ؛ وَيُتْرَكُ فِي الدُّنْيَا ؛ وَيُؤَخَّرُ عَذَابُهُ مَعَ عِصْيَانِهِ وَكُفْرِهِ ، لِأَجْلِ تَشْهِيرِهِ وَتَنْظِيمِهِ جَيِّداً لِلْغَايَةِ ، صَنَائِعَ صَانِعِ الْعَالَمِ ذَاتَ الْمُعْجِزَاتِ ، فِي جِهَةِ الدُّنْيَا ؛ وَيُمْهَلُ فَيَجِدُ النَّجَاحَ ، لِأَجْلِ خِدْمَتِهِ هٰذِهِ ؛ وَإِذَا كَانَ نَوْعُ بَنِي آدَمَ الَّذِي هُوَ فِي هٰذِهِ الْمَاهِيَّةِ ، ضَعِيفاً وَعَاجِزاً لِلْغَايَةِ ، بِاعْتِبَارِ الْمِزَاجِ وَالْخِلْقَةِ ؛ وَكَانَتْ لَهُ احْتِيَاجَاتٌ وَتَأَلُّمَاتٌ بِلَا حَدٍّ ، مَعَ غَايَةِ

عَجْزِهِ وَفقْرِهِ؛ مَعَ أَنَّهُ يُوجَدُ مُتَصَرِّفٌ قَوِيٌّ وَحَكِيمٌ وَمُشْفِقٌ لِلْغَايَةِ ، صَيَّرَ كُرَةَ الْأَرْضِ الْجَسِيمَةَ ، إِلَى صُورَةِ مَخْزَنٍ لِكُلِّ أَنْوَاعِ الْمَعَادِنِ اللَّازِمَةِ لِنَوْعِ الْإِنسَانِ ، وَأَنْبَارٍ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْأَطْعِمَةِ ، وَدُكَّانٍ لِكُلِّ أَصْنَافِ الْأَمْوَالِ الَّتِي يَسْتَطِيبُهَا نَوْعُ الْإِنْسَانِ ، ذٰلِكَ فَوْقَ قُوَّتِهِ وَاخْتِيَارِهِ كُلِّيّاً ؛ فَيَعْتَنِي ذٰلِكَ الْمُتَصَرِّفُ بِنَوْعِ الْإِنْسَانِ ؛ وَيُرَبِّيهِ وَيُعْطِيهِ مَطْلَبَهُ هٰكَذَا ؛ وَإِذَا كَانَ رَبٌّ فِي هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ يُحِبُّ الْإِنْسَانَ ؛ وَيُحَبِّبُ نَفْسَهُ إِلَى الْإِنْسَانِ ؛ وَكَانَ بَاقِياً ؛ وَلَهُ عَوَالِمُ بَاقِيَةٌ ؛ وَيُؤَدِّي كُلَّ عَمَلٍ بِالْعَدَالَةِ ؛ وَيَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ بِالْحِكْمَةِ ؛ وَلَا تَتَمَكَّنُ حِشْمَةُ سَلْطَنَةِ ذٰلِكَ الْحَاكِمِ الْأَزَلِيِّ ، وَسَرْمَدِيَّةُ حَاكِمِيَّتِهِ ، فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْقَصِيرَةِ ، وَفِي عُمُرِ الْبَشَرِ الْقُصَيِّرِ هٰذَا ، وَفِي هٰذِهِ الْأَرْضِ الْمُؤَقَّتَةِ وَالْفَانِيَةِ ؛ وَكَانَتْ مَظَالِمُ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، وَمَعَاصِيهِ الَّتِي تَحْدُثُ فِيهِ ، الْكَبِيرَةُ جِدّاً ، وَالْمُنَافِيَةُ الْمُخَالِفَةُ لِانْتِظَامِ الْكَائِنَاتِ ، وَلِعَدَالَتِهَا وَمُوَازَنَاتِهَا ، وَلِحُسْنِهَا وَجَمَالِهَا ؛ وَكَانَتْ إِهَانَتُهُ وَإِنْكَارُهُ وَكُفْرُهُ ضِدَّ وَلِيِّ نِعْمَتِهِ ، وَمُرَبِّيهِ بِالشَّفَقَةِ ، تَبْقَى بِدُونِ جَزَاءٍ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ؛ فَيَقْضِي الظَّالِمُ الْغَدَّارُ حَيَاتَهُ بِالرَّاحَةِ ؛ وَيَقْضِي الْمَظْلُومُ الْبَائِسُ عُمُرَهُ بَيْنَ الْمَشَاقِّ ؛ وَإِنَّ مَاهِيَّةَ هٰذِهِ الْعَدَالَةِ الْمُطْلَقَةِ ، الْمَشْهُودَةِ آثَارُهَا فِي عُمُومِ الْكَائِنَاتِ ، مُضَادَّةٌ كُلِّيّاً لِمُسَاوَاةِ أُولٰئِكَ الظَّالِمِينَ الْغَدَّارِينَ وَالْمَظْلُومِينَ الْبَائِسِينَ ، فِي الْوَفَاةِ ، بِصُورَةِ عَدَمِ الْإِحْيَاءِ ؛ وَلَا تَحْمِلُهَا وَلَا تَسْمَحُ بِهَا ؛ وَإِذَا كَانَ صَاحِبُ الْكَائِنَاتِ كَمَا انْتَخَبَ الْأَرْضَ مِنَ الْكَائِنَاتِ ، وَنَوْعَ الْإِنْسَانِ مِنَ الْأَرْضِ ؛ فَأَعْطَاهُ مَقَاماً عَظِيماً ، وَأَهَمِّيَّةً كَبِيرَةً لِلْغَايَةِ ؛ كَذٰلِكَ انْتَخَبَ مِنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ أَيْضاً ، الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ وَالْأَصْفِيَاءَ ، الَّذِينَ هُمْ أُنَاسٌ حَقِيقِيُّونَ يُوَافِقُونَ مَقَاصِدَ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ وَيُحَبِّبُونَ أَنْفُسَهُمْ إِلَيْهِ بِالْإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ ؛ فَجَعَلَهُمْ خُلَّاناً وَمُخَاطَبِينَ لَهُ ؛ فَيُكْرِمُهُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ وَالنَّجَاحَاتِ ؛ وَيُعَذِّبُ أَعْدَاءَهُمْ بِالصَّفَعَاتِ السَّمَاوِيَّةِ ؛ وَانْتَخَبَ مِنْ أَخِلَّائِهِ هٰؤُلَاءِ الْقَيِّمِينَ الْمَحْبُوبِينَ أَيْضاً ، مُحَمَّداً (عليه الصلاة والسلام) ، الَّذِي هُوَ إِمَامُهُمْ وَمَفْخَرُهُمْ ؛ فَيُنَوِّرُ بِنُورِهِ فِي عُصُورٍ مَدِيدَةٍ ، نِصْفَ كُرَةِ الْأَرْضِ ذَاتِ الْأَهَمِّيَّةِ ، وَخُمُسَ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ذِي الْأَهَمِّيَّةِ ؛ فَيَتَظَاهَرُ بِهِ وَبِدِينِهِ وَبِقُرْآنِهِ ، جَمِيعُ غَايَاتِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ كَأَنَّهَا خُلِقَتْ لِأَجْلِهِ عَادَةً ؛ وَبَيْنَمَا كَانَ مُسْتَحِقّاً وَلَائِقاً بِأَنْ يَأْخُذَ فِي زَمَانٍ بِلَا حَدٍّ ، أُجُورَ مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ خَدَمَاتِهِ تِلْكَ ، الْقَيِّمَةِ كَثِيراً جِدّاً ، وَالَّتِي هِيَ

بِقَدَرِ تَعَايُشِهِ مَلاَيِينَ السِّنِينَ ؛ فَقَدْ أُوتِيَ عُمُراً قَصِيرًا مِثْلَ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً ، بَيْنَ مَشَقَّاتٍ وَمُجَاهَدَاتٍ لِلْغَايَةِ ؛ فَيَا عَجَباً ! هَلْ لَهُ أَيُّ إِمْكَانٍ ، وَأَيُّ احْتِمَالٍ ، وَأَيُّ قَابِلِيَّةٍ ، بِأَيَّةِ جِهَةٍ ، بِأَنْ لاَ يَحْيَا ذٰلِكَ الْجَنَابُ (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ) ؛ وَلاَ يَكُونَ عَائِشاً وَحَيّاً بِرُوحِهِ الْآنَ أَيْضاً ، مَعَ جَمِيعِ أَمْثَالِهِ وَأَحْبَابِهِ ؛ وَأَنْ يَهْلِكُوا بِالْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ؟ حَاشَا وَكَلّاَ مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ.. نَعَمْ : إِنَّ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ ، وَحَقِيقَةَ الْعَالَمِ ، تَدَّعِي عَيْشَهُ ؛ وَتَطْلُبُ حَيَاتَهُ مِنْ صَاحِبِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَإِذَا كَانَ ثَلاثَةٌ وَثَلاثُونَ إِجْمَاعاً عَظِيماً ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي قُوَّةِ جَبَلٍ ، قَدْ أَثْبَتَتْ فِي «الْآيَةِ الْكُبْرَى» الَّتِي هِيَ «الشُّعَاعُ السَّابِعُ» : أَنَّ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ قَدْ صَدَرَتْ مِنْ يَدٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَأَنَّهَا مُلْكُ ذَاتٍ وَاحِدٍ أَحَدٍ ؛ وَأَظْهَرَتْ بِالْبَدَاهَةِ ، وَحْدَتَهُ وَأَحَدِيَّتَهُ الَّتِي هِيَ مَدَارُ الْكَمَالاَتِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَتَصِيرُ جَمِيعُ الْكَائِنَاتِ بِالْوَحْدَةِ وَالْأَحَدِيَّةِ ، فِي حُكْمِ خُدَّامِ ذٰلِكَ الذَّاتِ الْوَاحِدِ ، وَمَأْمُورِيهِ الْمُسَخَّرِينَ ؛ وَتَنْجُو وَتَتَقَدَّسُ كَمَالاَتُهُ مِنَ السُّقُوطِ ؛ وَعَدَالَتُهُ الْمُطْلَقَةُ مِنَ الْغَدْرِ الْمُطْلَقِ الْمُسْتَهْزِئِ ؛ وَحِكْمَتُهُ الْعَامَّةُ مِنَ الْعَبَثِيَّةِ السَّفِيهَةِ ؛ وَرَحْمَتُهُ الْوَاسِعَةُ مِنَ التَّعْذِيبِ اللاَّهِي ؛ وَعِزَّةُ قُدْرَتِهِ مِنَ الْعَجْزِ الذَّلِيلِ ، بِمَجِيءِ الْآخِرَةِ ؛ فَسَتَقُومُ الْقِيَامَةُ ؛ وَسَيَقَعُ الْحَشْرُ وَالنَّشْرُ ؛ وَسَتُفْتَحُ دَارُ الْمُجَازَاةِ وَالْمُكَافَأَةِ ، قَطْعاً وَبَتَاتاً وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ، بِمُقْتَضَى الْحَقَائِقِ فِي هٰذِهِ الشَّرْطِيَّاتِ السِّتِّ ، مِنْ مِئَاتِ نِكَاتِ الْإِيمَانِ بِاللهِ ، لِيُمْكِنَ أَنْ تَتَحَقَّقَ أَهَمِّيَّةُ الْأَرْضِ وَمَرْكَزِيَّتُهَا الْمَذْكُورَةُ ، وَأَهَمِّيَّةُ الْإِنْسَانِ وَقِيمَتُهُ ؛ وَلِيُمْكِنَ أَنْ تَتَقَرَّرَ عَدَالَةُ الْمُتَصَرِّفِ الْحَكِيمِ ، الَّذِي هُوَ خَالِقُ الْأَرْضِ وَالْإِنْسَانِ وَرَبُّهُمَا ، وَحِكْمَتُهُ وَرَحْمَتُهُ وَسَلْطَنَتُهُ الْمَذْكُورَةُ ؛ وَلِيَنْجُوَ أَخِلاَّءُ ذٰلِكَ الرَّبِّ الْبَاقِي ، وَمُشْتَاقُوهُ الْحَقِيقِيُّونَ الْمَذْكُورُونَ ، مِنَ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ؛ وَلِيَرَى أَعْظَمُ أُولاَئِكَ الْأَخِلاَّءِ وَأَفْضَلُهُمْ ، مُكَافَأَةَ خَدَمَاتِهِ الْقُدُسِيَّةِ ، الَّتِي سَرَّتْ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ وَفَرَّحَتْهَا ؛ وَلِتَتَنَزَّهَ وَتَتَقَدَّسَ وَتَتَبَرَّأَ كَمَالاَتُ السُّلْطَانِ السَّرْمَدِيِّ عَنِ النَّقْصِ وَالْقُصُورِ ؛ وَقُدْرَتُهُ عَنِ الْعَجْزِ ؛ وَحِكْمَتُهُ عَنِ السَّفَاهَةِ ؛ وَعَدَالَتُهُ عَنِ الظُّلْمِ..

اَلْحَاصِلُ : أَنَّهُ إِذَا كَانَ اللهُ مَوْجُوداً ؛ فَالْآخِرَةُ مَوْجُودَةٌ قَطْعاً..

وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ الْأَرْكَانَ الْإِيمَانِيَّةَ الثَّلاثَةَ الْمَذْكُورَةَ ، تَشْهَدُ وَتَدُلُّ عَلَى الْحَشْرِ بِجَمِيعِ دَلاَئِلِهَا الَّتِي تُثْبِتُهَا ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ رُكْنَيِ الْإِيمَانِ ، بِمَلاَئِكَتِهِ وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى ،

يَسْتَلْزِمَانِ الْحَشْرَ أَيْضاً ؛ فَيَشْهَدَانِ وَيَدُلّانِ عَلىٰ عَالَمِ الْبَقَاءِ ، فِي صُورَةٍ قَوِيَّةٍ ؛ ذٰلِكَ : أَنَّ جَمِيعَ الدَّلائِلِ ، وَمَا لا حَدَّ لَهَا مِنَ الْمُشَاهَدَاتِ وَالْمُكَالَمَاتِ ، الَّتِي تُثْبِتُ وُجُودَ الْمَلائِكَةِ ، وَوَظِيفَةَ عُبُودِيَّتِهِمْ ، تَدُلُّ بِالتَّبَعِ عَلىٰ وُجُودِ عَالَمِ الْأَرْوَاحِ ، وَعَالَمِ الْغَيْبِ ، وَعَالَمِ الْبَقَاءِ ، وَعَالَمِ الْآخِرَةِ ، وَدَارِ السَّعَادَةِ ، وَالْجَنَّةِ وَالْجَحِيمِ ، الَّتِي سَتَعْمُرُ بِالْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ لِأَنَّ الْمَلائِكَةَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُشَاهِدُوا هٰذِهِ الْعَوَالِمَ ؛ وَيَدْخُلُونَهَا بِالْإِذْنِ الْإِلٰهِيِّ ؛ وَأَنَّ جَمِيعَ الْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ بِالنَّاسِ ، كَجَبْرَائِيلَ (عليه السلام) ، يُخْبِرُونَ مُتَّفِقِينَ عَنْ وُجُودِ الْعَوَالِمِ الْمَذْكُورَةِ ، وَعَنْ سِيَاحَتِهِمْ فِيهَا ؛ فَكَمَا نَعْلَمُ وُجُودَ قَارَّةِ أَمْرِيكَا الَّتِي لَمْ نُشَاهِدْهَا ، نَعْلَمُهَا عِلْماً بَدِيهِيّاً ، بِإِخْبَارِ الْوَارِدِينَ مِنْهَا ؛ فَلا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِذٰلِكَ الْقَطْعِ ، بِوُجُودِ عَالَمِ الْبَقَاءِ ، وَدَارِ الْآخِرَةِ ، وَالْجَنَّةِ وَالْجَحِيمِ ، بِإِخْبَارَاتِ الْمَلائِكَةِ الَّتِي هِيَ فِي قُوَّةِ مِئَةِ تَوَاتُرٍ ؛ وَكَذٰلِكَ نُؤْمِنُ . .

وَأَيْضاً إِنَّ جَمِيعَ الدَّلائِلِ الْمُثْبِتَةِ لِرُكْنِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ ، فِي «رِسَالَةِ الْقَدَرِ» الَّتِي هِيَ الْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ ، تَدُلُّ بِالتَّبَعِ ، عَلىٰ حَشْرِ الصُّحُفِ وَنَشْرِهَا ، وَعَلىٰ مُوَازَنَةِ الْأَعْمَالِ فِي الْمِيزَانِ الْأَكْبَرِ ؛ لِأَنَّ تَسْجِيلَ مُقَدَّرَاتِ كُلِّ شَيْءٍ ، فِي أَلْوَاحِ النِّظَامِ وَالْمِيزَانِ أَمَامَ أَعْيُنِنَا ؛ وَكِتَابَةَ تَرْجَمَةِ حَيَاةِ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ ، فِي قُوَاهَا الْحَافِظَةِ ، وَفِي نَوَاهَا ، وَفِي سَائِرِ الْأَلْوَاحِ الْمِثَالِيَّةِ ؛ وَتَثْبِيتَ وَتَقْيِيدَ دَفْتَرِ أَعْمَالِ كُلِّ ذِي رُوحٍ ، وَلاسِيَّمَا النَّاسِ ، فِي الْأَلْوَاحِ الْمَحْفُوظَةِ ، إِنَّمَا يَصْلُحُ قَدَرٌ مُحِيطٌ ، وَتَقْدِيرٌ حَكِيمٌ ، وَقَيْدٌ مُدَقِّقٌ ، وَكِتَابَةٌ حَفِيظَةٌ كَذٰلِكَ ، لِأَجْلِ مُكَافَأَةٍ وَمُجَازَاةٍ دَائِمَتَيْنِ ، فِي الْمَحْكَمَةِ الْكُبْرىٰ ، وَفِي نَتِيجَةِ مُحَاكَمَةٍ عُمُومِيَّةٍ فَحَسْبُ . وَإِلّا فَيَبْقَى ذٰلِكَ الْقَيْدُ وَالْحِفْظُ الْمُحِيطَانِ الدَّقِيقَانِ كُلَّ الدِّقَّةِ ، بِدُونِ مَعْنًى ، وَبِلا فَائِدَةٍ أَصْلاً ؛ وَيَصِيرَانِ مُنَافِيَيْنِ لِلْحِكْمَةِ وَالْحَقِيقَةِ . . وَأَيْضاً إِذَا لَمْ يَأْتِ الْحَشْرُ ؛ تَفْسُدُ جَمِيعُ الْمَعَانِي الْمُحَقَّقَةِ ، مِنْ مَعَانِي كِتَابِ الْكَائِنَاتِ هٰذَا ؛ فَلا يَحْصُلُ لَهُ أَيُّ جِهَةِ إِمْكَانٍ ؛ وَيَصِيرُ ذٰلِكَ الاِحْتِمَالُ مُحَالاً ، بَلْ هَذَيَاناً ، مِثْلَ إِنْكَارِ وُجُودِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ الْخَمْسَةَ ، تَدُلُّ عَلىٰ وُقُوعِ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَوُجُودِهِمَا ، وَعَلىٰ وُجُودِ الدَّارِ الْآخِرَةِ وَفَتْحِهَا ؛ فَتَقْتَضِيهَا وَتَشْهَدُ لَهَا فَتَطْلُبُهَا ، بِجَمِيعِ دَلائِلِهَا . .

هذَا ؛ فَلِأَجْلِ وُجُودِ أَعْمِدَةٍ وبرَاهِينَ لِلْحَقِيقَةِ الْحَشْرِيَّةِ ، مُوَافِقَةٍ لِعَظَمَتِهَا تَمَاماً ، عَظِيمَةٍ وَغيْرِ مُتَزَلْزِلَةٍ هكَذَا ، يُشَكِّلُ ثُلُثٌ تَقْرِيباً مِنَ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، الْحَشْرَ وَالْآخِرَةَ ؛ وَيَجْعَلُهُمَا أُسَّ الْأَسَاسِ وَحَجَرَ الرُّكْنِ ، لِجَمِيعِ حَقَائِقِهِ ؛ وَيَبْنِي عَلَيْهِمَا كُلَّ شَيْءٍ . .

اِنْتَهَتِ الْمُقَدِّمَةُ . .(١)

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

(١) أَمَّا الْمَقَامَاتُ التِّسْعُ ، فَلَمْ يُوَفَّقِ الْمُؤَلِّفُ لِتَأْلِيفِهَا . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (عفا الله عنه) . .

اَلشُّعَاعُ الْعَاشِرُ

هُوَ فِهْرِسُ الرَّسَائِلِ الْمُؤَلَّفَةِ بَعْدَ «اللَّمْعَةِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ» ، كُتِبَ مِنْ جَانِبِ خَوَاصِّ تَلَامِذَةِ رَسَائِلِ النُّورِ بِجِوَارِ (إِسْپَارْطَة) ؛ وَهُوَ الْقِسْمُ الْأَخِيرُ مِنْ رِسَالَةِ «الْفِهْرِسِ» الْمُنْتَشِرَةِ عَلٰى حِدَتِهَا ؛ فَلَمْ يُدْرَجْ هُنَا . .

اَلشُّعَاعُ الْحَادِي عَشَرَ

ثَمرَةٌ لِسجْنِ «دَنِزْلِي» . .

(دِفَاعٌ لِرِسَالَةِ النُّورِ ، ضِدَّ الزَّنْدَقَةِ وَالْكُفْرِ الْمُطْلَقِ ؛ وَدِفَاعُنَا الْحَقِيقِيُّ فِي سِجْنِنَا هٰذَا ، هُوَ هٰذَا أَيْضاً ؛ لِأَنَّنَا نَعْمَلُ لِهٰذَا فَقَطْ ؛ وَهٰذِهِ الرِّسَالَةُ ثَمرَةٌ وَتَذْكَارَةٌ لِسجْنِ «دَنِزْلِي» ، وَمَحْصُولُ يَوْمَي الْجُمُعَةِ) . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

رِسَالَةُ الثَّمرَةِ :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ . .

إِنَّ يُوسُفَ (عليه السلام) ، أُسْتَاذُ الْمَسْجُونِينَ ؛ وَيَكُونُ السِّجْنُ نَوْعاً مِنَ الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ ، بِإِخْبَارِ هٰذِهِ الْآيَةِ وَبِسِرِّهَا . . فَإِذَا كَانَتْ تَلَامِذَةُ «رِسَالَةِ النُّورِ» يَدْخُلُونَ هٰذِهِ الْمَدْرَسَةَ مَرَّتَيْنِ بِكَثْرَةٍ ؛ فَيَلْزَمُ تَلَقِّي التَّرْبِيَةِ التَّامَّةِ ، فِي هٰذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْمَفْتُوحَةِ لِلتَّرْبِيَةِ ، بِقِرَاءَةِ وَإِقْرَاءِ خُلَاصَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ ، لِقِسْمٍ مِنْ مَسَائِلِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، الَّتِي تُثْبِتُهَا وَتَتَعَلَّقُ بِالسِّجْنِ . .

هٰذَا ، فَنُبَيِّنُ خَمْسَ أَوْ سِتَّ مَسَائِلَ مِنْ تِلْكَ الْخُلَاصَاتِ . .

اَلْأُولٰى :

هِيَ الَّتِي لَهَا إِيضَاحٌ فِي الْمَقَالَةِ الرَّابِعَةِ ، مِنْ أَنَّ خَالِقَنَا يُحْسِنُ إِلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ ، بِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً مِنْ رَأْسِ مَالِ الْحَيَاةِ ، لِيُشْتَرٰى بِرَأْسِ الْمَالِ ذٰلِكَ ، الْأَشْيَاءُ اللَّازِمَةُ لِحَيَاتَيْنَا . فَنَحْنُ إِذَا صَرَفْنَا ثَلَاثاً وَعِشْرِينَ سَاعَةً ، عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْقَصِيرَةِ ؛ فَلَمْ نَصْرِفْ سَاعَةً وَاحِدَةً كَافِيَةً لِلصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ الْمَفْرُوضَةِ ، عَلٰى حَيَاتِنَا الْأُخْرَوِيَّةِ الْمَدِيدَةِ كَثِيراً جِدّاً ؛ فَكَمْ نُخْطِئُ خَطَأً مُخَالِفاً لِلْعَقْلِ ؛ وَكَمْ دَرَجَةً نَخْسَرُ ـ لَا بِتَلَقِّي التَّرْبِيَةِ ـ بَلْ بِالسُّلُوكِ عَلٰى عَكْسِ التَّرْبِيَةِ ، بِسَبَبِ مُعَانَاةِ مُضَايَقَاتٍ قَلْبِيَّةٍ وَرُوحِيَّةٍ هِيَ جَزَاءُ ذٰلِكَ الْخَطَأِ ، وَبِإِفْسَادِ أَخْلَاقِهِ ، وَقَضَاءِ حَيَاتِهِ عَلٰى وَجْهِ الْيَأْسِ ، مِنْ أَجْلِ تِلْكَ الْمُضَايَقَاتِ ؟ فَلْيُقَسْ . . وَإِنْ صَرَفْنَا سَاعَةً وَاحِدَةً عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ الْمَفْرُوضَةِ ؛ فَلْيُتَصَوَّرْ أَنَّ صَيْرُورَةَ كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ مُدَّةِ مُصِيبَةِ السِّجْنِ ، فِي حُكْمِ يَوْمٍ مِنَ الْعِبَادَةِ أَحْيَاناً ؛ وَصَيْرُورَةَ سَاعَةٍ فَانِيَةٍ مِنْهَا ، فِي حُكْمِ سَاعَاتٍ بَاقِيَةٍ ؛ وَزَوَالَ قِسْمٍ مِنَ الْمَآيِسِ وَالْمَضَايِقِ الْقَلْبِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ ؛ وَإِعْفَاءَهَا أَخْطَاءً مُسَبِّبَةً لِلسِّجْنِ كَفَّارَةً لَهَا ؛ وَقَبُولَهُ التَّرْبِيَةَ الَّتِي هِيَ حِكْمَةُ السِّجْنِ ، فِي تِلْكَ الْحَالِ ، كَمْ تَكُونُ امْتِحَاناً وَدَرْساً رَابِحاً ، وَصُحْبَةً طَيِّبَةً عَلٰى وَجْهِ التَّسَلِّي مَعَ أَصْحَابِهِ فِي الْمُصِيبَةِ ؟ . وَإِنَّ الَّذِي يُعْطِي خَمْسَ أَوْ عَشْرَ لِيَرَاتٍ مِنْ لِيَرَاتِهِ الْأَرْبَعِ وَالْعِشْرِينَ ، لِمَيْسِرٍ اشْتَرَكَ فِيهِ أَلْفُ شَخْصٍ لِلْفَوْزِ بِأَلْفِ لِيَرَةٍ مِنَ الْجَائِزَةِ ؛ وَلَا يُعْطِي وَاحِدَةً مِنَ الْأَرْبَعِ وَالْعِشْرِينَ ، لِبِطَاقَةِ خَزِينَةِ مُجَوْهَرَاتٍ أَبَدِيَّةٍ ـ وَالْحَالُ : أَنَّ احْتِمَالَ الْفَوْزِ بِتِلْكَ اللِّيَرَاتِ الْأَلْفِ ، فِي الْمَيْسِرِ الدُّنْيَوِيِّ ، وَاحِدٌ مِنَ الْأَلْفِ ؛ لِأَنَّهُ يُوجَدُ أَلْفُ شَرِيكٍ آخَرَ ؛ وَأَمَّا فِي الْمَيْسِرِ الْأُخْرَوِيِّ لِمُقَدَّرَاتِ الْبَشَرِ ، فَقَدْ أَخْبَرَ الْمُخْبِرُونَ الصَّادِقُونَ ، الَّذِينَ لَا يُعَدُّونَ وَلَا يُحْصَوْنَ ، مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِالْكَشْفِ ، بِأَخْبَارِ مِئَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفاً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، الدَّائِرَةِ حَوْلَ ذٰلِكَ ، بِأَنَّ احْتِمَالَ الرِّبْحِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ، الْمُظْهِرِ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ ، هُوَ تِسْعُمِئَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ مِنَ الْأَلْفِ ؛ كَمَا ذُكِرَ فِي الْمَقَالَةِ الرَّابِعَةِ ؛ ـ فَمَعَ ذٰلِكَ كَمْ يَقَعُ السِّبَاقُ إِلَى الْمَيْسِرِ الْأَوَّلِ ، وَالْفِرَارُ مِنَ الثَّانِي ، مُخَالِفاً لِلْمَصْلَحَةِ ؟ فَلْيُقَسْ عَلَيْهِ . .

فَفِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، لا بُدَّ لِمُدِيرِي السِّجْنِ ، وَرُؤَسَاءِ حُرَّاسِهِ ، بَلْ وَمُدَبِّرِي إِدَارَةِ الْوَطَنِ ، وَحَرَسِ الْأَمْنِ ، أَنْ يَكُونُوا مَمْنُونِينَ مِنْ دَرْسِ «رِسَالَةِ النُّورِ» هٰذَا ؛ لِأَنَّهُ شُوهِدَ بِتَجارِبَ كَثِيرَةٍ : أَنَّ إِدَارَةَ وَانْضِبَاطَ أَلْفِ إِنْسَانٍ مُتَدَيِّنٍ ، يَتَذَكَّرُ كُلَّ وَقْتٍ ، سِجْنَ جَهَنَّمَ ، أَهْوَنُ مِنْ عَشَرَةِ أَشْخَاصٍ بِلا صَلاةٍ وَلَا اعْتِقَادٍ ، يَتَصَوَّرُونَ السِّجْنَ الدُّنْيَوِيَّ فَقَطْ ؛ وَلا يَعْلَمُونَ الْحَرَامَ وَالْحَلالَ ؛ وَتَعَوَّدَ الْبَعْضُ الطَّيَشَانَ . .

خُلاصَةُ الْمَسْأَلَةِ الثَّانِيَةِ :

إِنَّ الْمَوْتَ مُتَحَقِّقٌ وَظَاهِرٌ ؛ فَإِنَّ الْمَوْتَ سَيَرِدُ عَلَيْنَا ، مِثْلَ وُرُودِ لَيْلَةِ هٰذَا النَّهَارِ ، وَشِتَاءِ هٰذَا الْخَرِيفِ ؛ كَمَا أَوْضَحَهُ جَيِّداً «دَلِيلُ الشَّبِيبَةِ» مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» . . فَكَمَا أَنَّ هٰذَا السِّجْنَ ، مَضِيفٌ مُؤَقَّتٌ لِلْخَارِجِينَ وَالدَّاخِلِينَ دَائِماً ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ وَجْهَ الْأَرْضِ أَيْضاً ، خَانٌ لِحِلٍّ وَرَحْلٍ ذَاتِ لَيْلَةٍ ، فِي سُبُلِ الْقَوَافِلِ الْمُتَسَرِّعَةِ ؛ فَإِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي يُفْرِغُ كُلَّ مَدِينَةٍ فِي الْمَقْبَرَةِ مِئَةَ دَفْعَةٍ ؛ فَلا رَيْبَ أَنَّ لَهُ مَطْلَباً مِنَّا ، فَضْلاً عَنِ الْحَيَاةِ . .

هٰذَا ، فَإِنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» ، قَدْ حَلَّتْ وَاكْتَشَفَتْ مُعَمّى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْمُدْهِشَةِ . وَإِنَّ خُلاصَةً مُخْتَصَرَةً مِنْهَا ، هِيَ : أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْمَوْتُ لا يُقْتَلُ ؛ وَبَابُ الْقَبْرِ لا يُسَدُّ ؛ فَإِذَا وُجِدَتْ وَسِيلَةُ النَّجَاةِ مِنْ يَدِ جَلّادِ الْأَجَلِ هٰذَا ، وَمِنْ سِجْنِ الْقَبْرِ الْمُنْفَرِدِ ؛ فَهِيَ فِكْرَةٌ وَمَسْأَلَةٌ كُبْرٰى لِلْإِنْسَانِ ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ . . نَعَمْ : إِنَّ لَهَا وَسِيلَةً ؛ وَقَدْ أَثْبَتَتْ «رِسَالَةُ النُّورِ» بِسِرِّ الْقُرآنِ ، تِلْكَ الْوَسِيلَةَ قَطْعاً ، فِي دَرَجَةِ كَوْنِ الِاثْنَيْنِ فِي الِاثْنَيْنِ أَرْبَعَةً . .

وَخُلاصَتُهَا الْمُخْتَصَرَةُ ، هِيَ : أَنَّ الْمَوْتَ إِمَّا إِعْدَامٌ أَبَدِيٌّ ، وَمِشْنَقَةٌ تَشْنُقُ ذٰلِكَ الْإِنْسَانَ وَجَمِيعَ أَحْبَابِهِ وَأَقَارِبِهِ ؛ وَإِمَّا تَذْكِرَةُ تَسْرِيحٍ لِلذَّهَابِ إِلٰى عَالَمٍ بَاقٍ آخَرَ ، وَلِلدُّخُولِ فِي قَصْرِ السَّعَادَةِ بِوَثِيقَةِ الْإِيمَانِ . وَأَمَّا الْقَبْرُ فَإِمَّا سِجْنٌ مُنْفَرِدٌ مُظْلِمٌ ، وَجُبٌّ بِلا قَعْرٍ ؛ وَإِمَّا بَابٌ مُنْفَتِحٌ مِنْ زِنْزَانِ الدُّنْيَا هٰذَا ، إِلٰى مَضْيَفَةٍ وَحَدِيقَةٍ بَاقِيَةٍ وَنُورَانِيَّةٍ . . وَقَدْ أَثْبَتَ «دَلِيلُ الشَّبِيبَةِ» ، هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ بِتَمْثِيلٍ . .

فَمَثَلاً: نُصِبَتْ مَشَانِقُ لِلصَّلْبِ فِي رَوْضَةِ هٰذَا السِّجْنِ؛ وَأُسِّسَتْ وَرَاءَ الْحَائِطِ الْمُسْتَنِدَةِ هِيَ إِلَيْهِ، دَائِرَةُ مَيْسِرٍ كَبِيرَةٌ لِلْغَايَةِ، اشْتَرَكَ فِيهِ جَمِيعُ الدُّنْيَا؛ وَنَحْنُ الرِّجَالُ الْخَمْسُمِئَةِ فِي هٰذَا السِّجْنِ، لَا يُوجَدُ مِنْهُمْ مُسْتَثْنًى؛ وَلَيْسَتِ النَّجَاةُ مُمْكِنَةً عَلَى كُلِّ حَالٍ؛ فَيَدْعُونَنَا إِلَى ذٰلِكَ الْمَيْدَانِ، وَاحِداً وَاحِداً؛ فَإِمَّا يُقَالُ: تَعَالَ خُذْ إِعْلَانَ الْإِعْدَامِ؛ وَاطْلَعْ إِلَى الْمِشْنَقِ؛ أَوْ خُذْ بِطَاقَةَ السِّجْنِ الْمُفْرَدِ الدَّائِمِ؛ فَادْخُلْ هٰذَا الْبَابَ الْمُنْفَتِحَ؛ أَوْ لَكَ الْبُشْرٰى؛ فَقَدْ صَدَرَتْ لَكَ وَرَقَةُ مَلَايِينِ الدِّينَارِ الذَّهَبِيَّةِ؛ تَعَالَ خُذْهَا؛ هٰكَذَا تُعْلَنُ إِعْلَانَاتٌ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ؛ وَنَحْنُ نُشَاهِدُ بِأَبْصَارِنَا أَنَّهُمْ يَطْلَعُونَ عَلَى تِلْكَ الْمَشَانِقِ، بَعْضُهُمْ وَرَاءَ بَعْضٍ؛ فَنُشَاهِدُ صَلْبَ قِسْمٍ مِنْهُمْ؛ وَنَعْلَمُ كَالْمُشَاهَدَةِ، بِأَخْبَارٍ قَاطِعَةٍ لِمُوَظَّفِينَ كِبَارٍ وَجَادِّينَ هُنَاكَ: أَنَّ قِسْماً مِنْهُمْ أَيْضاً، يَجْعَلُونَ الْمَشَانِقَ مَدَارِجَ؛ فَيَدْخُلُونَ دَائِرَةَ الْمَيْسِرِ وَرَاءَ ذٰلِكَ الْحَائِطِ؛ فَفِي ذٰلِكَ الْحِينِ، دَخَلَتْ هَيْئَتَانِ سِجْنَنَا هٰذَا..

فَإِحْدَى الْقَافِلَتَيْنِ: بِأَيْدِيهَا الْمَعَازِفُ وَالْخُمُورُ، وَالْحَلْوَيَاتُ وَالْبَقْلَاوِيَّاتُ، الْحُلْوَةُ لِلْغَايَةِ فِي الظَّاهِرِ؛ فَاجْتَهَدُوا لِإِطْعَامِنَا إِيَّاهَا؛ وَلٰكِنَّ تِلْكَ الْحَلْوَيَاتِ سَامَّةٌ، أَلْقَتْ فِيهَا السُّمَّ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ..

وَالْجَمَاعَةُ وَالْهَيْئَةُ الثَّانِيَةُ: بِأَيْدِيهَا رَسَائِلُ التَّرْبِيَةِ، وَالْأَطْعِمَةُ الْحِلَّةُ، وَالْأَشْرِبَةُ الْمُبَارَكَةُ؛ فَيُهْدُونَهَا إِلَيْنَا؛ وَيَقُولُونَ جِدّاً وَقَطْعاً، مَعاً وَبِالْاِتِّفَاقِ: إِنْ قَبِلْتُمْ وَأَكَلْتُمْ هَدَايَا الْهَيْئَةِ الْأُولٰى، الَّتِي يُقَدِّمُونَهَا لِاخْتِبَارِكُمْ؛ فَسَتُصْلَبُونَ فِي هٰذِهِ الْمَشَانِقِ الَّتِي أَمَامَ أَعْيُنِنَا، مِثْلَ الَّذِينَ تُشَاهِدُونَهُمْ مِنَ الْآخَرِينَ؛ وَإِنْ قَبِلْتُمْ مَا أَتَيْنَا بِهَا مِنَ الْهَدَايَا، بِأَمْرِ حَاكِمِ هٰذِهِ الْمَمْلَكَةِ، بَدَلاً عَنِ الْأُولٰى؛ وَتَلَوْتُمْ مَا فِي رَسَائِلِ التَّرْبِيَةِ مِنَ الْأَدْعِيَةِ وَالْأَوْرَادِ؛ فَسَتَنْجُونَ عَنْ ذٰلِكَ الصَّلْبِ؛ وَاعْتَقِدُوا كَالْمُشَاهَدَةِ، وَمِثْلَ النَّهَارِ: أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، سَيَأْخُذُ وَرَقَةَ مِلْيُونِ دِينَارِ ذَهَبٍ، إِحْسَاناً سُلْطَانِيّاً، فِي دَائِرَةِ ذٰلِكَ الْمَيْسِرِ؛ وَإِنْ تَنَاوَلْتُمْ تِلْكَ الْحَلْوَيَاتِ الْحَرَامَ، الْمَشْبُوهَةَ الْمَسْمُومَةَ؛ فَنُخْبِرُكُمْ قَطْعاً نَحْنُ وَتِلْكَ الْأَوَامِرُ مُتَّفِقِينَ، بِأَنَّكُمْ سَتُعَانُونَ أَلَمَ ذٰلِكَ السُّمِّ، إِلٰى حِينِ ذَهَابِكُمْ إِلَى الصَّلْبِ أَيْضاً، هٰكَذَا يَقُولُونَ..

هٰذَا ، فَكَذٰلِكَ مِثْلُ هٰذَا التَّمْثِيلِ : إنَّ مِئَةَ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفاً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَوَّلاً ، الَّذِينَ تُوجَدُ بِأَيْدِيهِمْ مُعْجِزَاتٌ بِلا حَدٍّ هِيَ عَلامَةُ التَّصْدِيقِ ؛ وَإِنَّ الْأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ هُمْ أَزْيَدُ مِنْ مِئَةِ مِلْيُونٍ وَأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ مِلْيُوناً ، الَّذِينَ يُشَاهِدُونَ آثَارَ الْأَخْبَارِ الَّتِي أَخْبَرَهَا أُولائِكَ الْأَنْبِيَاءُ ؛ وَيُشَاهِدُونَ ظِلالَهَا كَمَا فِي السِّينَمَا ؛ فَيُصَدِّقُونَ بِهَا بِالْكَشْفِ وَالذَّوْقِ ؛ فَيُوَقِّعُونَ عَلَيْهَا ؛ وَإِنَّ مِلْيَارَاتٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ(١) وَالْمُجْتَهِدِينَ وَالصِّدِّيقِينَ ، الْوَارِدِينَ السَّالِفِينَ الَّذِينَ يُثْبِتُونَ أَخْبَارَ ذَيْنِكَ الْقِسْمَيْنِ مِنَ الْمَشَاهِيرِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ فَيُصَدِّقُونَ بِهَا فِكْراً وَاتِّفَاقاً ، فِي صُورَةٍ يَقِينِيَّةٍ ؛ فَيُوَقِّعُونَ عَلَيْهَا بِبَرَاهِينَ قَطْعِيَّةٍ ، وَبِحُجَجٍ قَوِيَّةٍ عَقْلاً ، الَّذِينَ يُخْبِرُونَ قَطْعاً بِأَنَّ بِطَاقَةَ خَزِينَةٍ أَبَدِيَّةٍ لا تَنْفَدُ ، سَتَصْدُرُ بِمِئَةِ احْتِمَالٍ فِي الْمِئَةِ ، لِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَأَهْلِ الطَّاعَةِ ، بِشَرْطِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ ، مِنْ مَيْسِرِ مُقَدَّرَاتِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، وَرَاءَ مِشْنَقِ الْأَجَلِ الَّذِي نُشَاهِدُهُ كُلَّ وَقْتٍ ؛ وَأَنَّ الْمُتَمَادِينَ فِي السَّفَهِ وَالْحَرَامِ وَالْفِسْقِ ، وَفَسَادِ الاعْتِقَادِ ، سَيَأْخُذُونَ بِتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ احْتِمَالاً فِي الْمِئَةِ ، إِمَّا إِعْلامَ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ـ ذٰلِكَ لِمَنْ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ـ وَإِمَّا السِّجْنَ الْمُفْرَدَ الْمُظْلِمَ الدَّائِمَ ـ ذٰلِكَ لِمَنْ يَعْتَقِدُونَ بَقَاءَ الرُّوحِ ؛ وَيَسْلُكُونَ فِي السَّفَاهَةِ ـ وَإِعْلامَ الشَّقَاوَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، بِشَرْطِ عَدَمِ التَّوْبَةِ ؛ فَمَنْ لا يَسْمَعُ الْأَخْبَارَ الَّتِي أَخْبَرَهَا بِالْمَوَاثِيقِ ، هٰؤُلاءِ الْجَمَاعَاتُ الْعَظِيمَةُ الثَّلاثُ ، وَهٰؤُلآءِ الطَّوَائِفُ الثَّلاثُ مِنْ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ ، الَّذِينَ هُمْ شُمُوسُ نَوْعِ الْإِنْسَانِ وَأَقْمَارُهُ وَنُجُومُهُ ، وَهٰؤُلآءِ الْهَيْئَاتُ الثَّلاثُ الْكَبِيرَةُ الْعَالِيَةُ ، الَّذِينَ هُمْ قَادَةُ الْبَشَرِ الْقُدُسِيُّونَ ، أَخْبَرُوهَا بِالْإِجْمَاعِ مُتَوَاتِرِينَ ؛ وَلا يَسْلُكُونَ فِي الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الْوَاصِلِ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، الَّذِي يَهْدُونَ إِلَيْهِ ؛ وَلا يَهْتَمُّ بِتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ فِي الْمِئَةِ ، مِن احْتِمَالِ الْهَلاكِ الرَّهِيبِ ؛ وَيَتْرُكُ طَرِيقاً ، بِقَوْلِ مُخْبِرٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ، بِأَنَّ فِي ذٰلِكَ الطَّرِيقِ هَلاكاً ؛ فَيَمْشِي فِي الطَّرِيقِ الطَّوِيلِ الْآخَرِ ؛ فَلا رَيْبَ وَلا شَكَّ ، أَنَّ وَضْعَهُ هُوَ : أَنَّهُ مِثْلُ الْمَجَانِينِ

---

(١) إِنَّ فَرْداً وَاحِداً مِنْ أُولآئِكَ الْمُحَقِّقِينَ ، هُوَ رِسَالَةُ النُّورِ ؛ فَإِنَّ أَجْزَاءَهَا الْمُفْحِمَةَ لِأَشَدِّ الْفَلاسِفَةِ الْمُتَعَنِّدِينَ ، وَالزَّنَادِقَةِ الْمُتَمَرِّدِينَ ، هِيَ فِي الْمَيْدَانِ ـ وَقَدْ أَصْبَحَ عِشْرِينَ سَنَةً ـ فَيُمْكِنُ أَنْ يَقْرَأَهَا كُلُّ أَحَدٍ ؛ وَلا يَعْتَرِضُ عَلَيْهَا أَحَدٌ .. اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) ..

السَّكَارَى الْأَشْقِيَاءِ، يَتْرُكُ أَقْصَرَ الطَّرِيقَيْنِ وَأَسْهَلَهُمَا، وَالْمُفِيزَ بِالْجَنَّةِ وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ مِئَةً فِي الْمِئَةِ؛ فَيَخْتَارُ طَرِيقَهُ الْأَصْعَبَ وَالْأَطْوَلَ، وَالْمُضَايِقَ، وَالْمُنْتِجَ لِسِجْنِ جَهَنَّمَ وَالشَّقَاءِ الْأَبَدِيِّ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ فِي الْمِئَةِ، بِالْأَخْبَارِ الْقَاطِعَةِ لِمُخْبِرِينَ لَا حَدَّ لَهُمْ؛ مَعَ أَنَّهُ يَتْرُكُ الطَّرِيقَ الْقَصِيرَ الَّذِي فِيهِ احْتِمَالٌ وَاحِدٌ فِي الْمِئَةِ مِنَ التَّهْلُكَةِ، وَإِمْكَانُ سِجْنِ شَهْرٍ وَاحِدٍ، بِخَبَرٍ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كَذِباً، لِمُخْبِرٍ وَاحِدٍ؛ فَيَخْتَارُ فِي الدُّنْيَا الطَّرِيقَ الطَّوِيلَ مِنْ هٰذَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ، بِلَا نَفْعٍ، لِكَوْنِهِ بِدُونِ ضَرَرٍ فَقَطْ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ فَقَدَ عَقْلَهُ وَقَلْبَهُ، وَرُوحَهُ وَإِنْسَانِيَّتَهُ، فِي دَرَجَةٍ لَا يَهْتَمُّ بِثَعَابِينَ رَهِيبَةٍ مَشْهُودَةٍ مِنْ بَعِيدٍ وَمُتَسَلِّطَةٍ عَلَيْهِ؛ فَيَشْتَغِلُ بِالذُّبَّانِ؛ وَيَهْتَمُّ بِهَا فَقَطْ..

فَإِذَا كَانَتْ هٰذِهِ هِيَ حَقِيقَةَ الْحَالِ؛ فَعَلَيْنَا ــ نَحْنُ الْمَسْجُونُونَ ــ أَنْ نَقْبَلَ هَدَايَا تِلْكَ الْهَيْئَةِ الثَّانِيَةِ الْمُبَارَكَةِ، لِأَخْذِ انْتِقَامِنَا تَمَاماً مِنْ مُصِيبَةِ هٰذَا السِّجْنِ. يَعْنِي: كَمَا أَنَّ هٰذِهِ الْمُصِيبَةَ زَجَّتْنَا فِي السِّجْنِ، خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَخَمْسَ أَوْ عَشْرَ سِنِينَ، وَسَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ؛ فَجَعَلَتْ دُنْيَانَا زِنْزَاناً لَنَا، بِلَذَّةِ دَقِيقَةٍ مِنَ الِانْتِقَامِ، وَبِلَذَائِذِ سَفَاهَةِ بِضْعِ دَقَائِقَ، أَوْ سَاعَةٍ وَسَاعَتَيْنِ؛ فَعَلَيْنَا أَنْ نَجْعَلَ نَحْنُ أَيْضاً، سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ مِنْ مُدَّةِ السِّجْنِ، وَسِيلَةً لِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ مِنَ الْعِبَادَةِ؛ وَسَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ مِنْ جَزَائِنَا، وَسِيلَةً لِعِشْرِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ عُمُرٍ بَاقٍ، بِهَدِيَّةِ الْقَافِلَةِ الْمُبَارَكَةِ؛ وَعَشْرَ سَنَوَاتٍ أَوْ عِشْرِينَ سَنَةً مِنْ جَزَائِنَا فِي السِّجْنِ، وَسِيلَةً لِإِعْفَائِنَا مِنْ سِجْنِ جَهَنَّمَ، مَلَايِينَ سَنَةٍ ــ رَغْماً وَعِنَاداً لِهٰذِهِ الْمُصِيبَةِ ــ فَنُضْحِكَ حَيَاتَنَا الْبَاقِيَةَ، مُقَابِلَ بُكَاءِ دُنْيَانَا الْفَانِيَةِ؛ فَنَأْخُذَ ثَأْرَنَا تَمَاماً مِنْ هٰذِهِ الْمُصِيبَةِ. وَعَلَيْنَا أَنْ نُظْهِرَ السِّجْنَ دَارَ التَّرْبِيَةِ؛ فَنَسْعَى لِصَيْرُورَتِنَا رِجَالاً مُؤَدَّبِينَ آمِنِينَ نَافِعِينَ لِوَطَنِنَا وَأُمَّتِنَا. وَلْيُشَاهِدْ مُوَظَّفُو السِّجْنِ وَمُدِيرُوهُ وَمُدَبِّرُوهُ أَيْضاً، الْأَشْخَاصَ الَّذِينَ ظَنُّوهُمْ جُنَاةً وَأَشْقِيَاءَ وَطَائِشِينَ، وَقَتَلَةً وَسُفَهَاءَ وَضَارِّينَ بِالْوَطَنِ، تَلَامِذَةً سَاعِينَ فِي مَدْرَسَةٍ مُبَارَكَةٍ؛ وَلْيَشْكُرُوا اللهَ مُفْتَخِرِينَ..

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ :

إنَّ خُلاصَةَ حَادِثَةٍ ذَاتِ عِبْرَةٍ يُوجَدُ إِيضَاحُهَا فِي «دَلِيلِ الشَّبِيبَةِ» ، هِيَ : أَنِّي كُنْتُ فِي زَمَنٍ مَّا ، قَعَدْتُ فِي نَافِذَةِ سِجْنِ (أَسْكِيشَهِرَ) ، فِي أَحَدِ أَعْيَادِ الْجُمْهُورِيَّةِ ؛ فَكَانَتْ كِبَارُ بَنَاتِ الْمَدْرَسَةِ الثَّانَوِيَّةِ تِجَاهَهُ ، يَرْقُصْنَ ضَاحِكَاتٍ فِي قَاعَتِهَا ؛ فَإِذَا بِأَوْضَاعِهِنَّ بَعْدَ خَمْسِينَ سَنَةً ، تَرَاءَتْ لِي بِسِينَمَا مَعْنَوِيَّةٍ ؛ وَرَأَيْتُ أَنَّ أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ مِنْ أُولٰئِكَ الْبَنَاتِ وَالطَّالِبَاتِ الْخَمْسِينَ أَوِ السِّتِّينَ ، يَصِرْنَ تُرَاباً فِي الْقَبْرِ ؛ وَيُقَاسِينَ الْعَذَابَ ؛ وَأَنَّ عَشْراً مِنْهُنَّ ، طَعَنَتْ فِي السَّبْعِينَ أَوِ الثَّمَانِينَ فَتَشَوَّهَتْ ؛ فَتَجِدُ الْكَرَاهَةَ مِنْ أَنْظَارٍ كَانَتْ تَتَوَقَّعُ هِيَ الْحُبَّ مِنْهَا ، لِعَدَمِ الْحِفَاظِ عَلٰى عِفَّتِهَا فِي شَبِيبَتِهَا ؛ هٰكَذَا شَاهَدْتُ قَطْعاً ؛ فَبَكَيْتُ عَلٰى أَحْوَالِهِنَّ الْأَلِيمَةِ تِلْكَ ؛ فَسَمِعَ بُكَائِي بَعْضُ الرُّفَقَاءِ فِي السِّجْنِ ؛ فَجَاءُوا وَسَأَلُوا ؛ فَقُلْتُ : دَعُونِي الْآنَ وَشَأْنِي ؛ فَاذْهَبُوا . نَعَمْ : إِنَّ مَا شَاهَدْتُ هُوَ حَقِيقَةٌ ؛ وَلَيْسَ خَيَالاً . فَكَمَا أَنَّ آخِرَ هٰذَا الصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ ، شِتَاءٌ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ عَاقِبَةَ صَيْفِ الشَّبَابِ وَخَرِيفِ الشَّيْبِ ، هِيَ شِتَاءُ الْقَبْرِ وَالْبَرْزَخِ . فَلَوْ وُجِدَتْ سِينَمَا تَعْرِضُ حَادِثَاتِ الْمُسْتَقْبَلِ بَعْدَ خَمْسِينَ سَنَةً مِنَ الزَّمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ ؛ كَمَا تُعْرَضُ حَادِثَاتُ الزَّمَانِ الْمَاضِي قَبْلَ خَمْسِينَ عَاماً ، فِي الْحَالِ الْحَاضِرِ بِالسِّينَمَا ؛ فَعُرِضَتْ أَوْضَاعُ أَهْلِ الضَّلالَةِ وَالسَّفَاهَةِ ، بَعْدَ خَمْسِينَ أَوْ سِتِّينَ سَنَةً ، عَلَيْهِمْ ؛ لَبَكَوْا بِكَرَاهِيَاتٍ وَتَأَلُّمَاتٍ ، عَلٰى ضِحِكَاتِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ غَيْرِ الْمَشْرُوعَةِ الْحَاضِرَةِ . .

فَبَيْنَمَا كُنْتُ مَشْغُولاً بِتِلْكَ الْمُشَاهَدَةِ الَّتِي فِي سِجْنِ (أَسْكِيشَهِرَ) ؛ فَإِذَا بِشَخْصٍ مَعْنَوِيٍّ مُرَوِّجٍ لِلسَّفَاهَةِ وَالضَّلالَةِ ، عَارَضَنِي كَشَيْطَانٍ إِنْسِيٍّ ؛ وَقَالَ : نَحْنُ نُرِيدُ تَذَوُّقَ وَإِذَاقَةَ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ لَذَّةِ الْحَيَاةِ وَأَذْوَاقِهَا ؛ فَلا تُخَالِطْنَا . .

فَقُلْتُ إِجَابَةً : إِذَا كُنْتَ لا تَتَذَكَّرُ الْمَوْتَ ؛ فَتَنْهَمِكُ فِي الضَّلالَةِ وَالسَّفَاهَةِ لِأَجْلِ اللَّذَّةِ وَالذَّوْقِ ؛ فَاعْلَمْ قَطْعاً ، أَنَّ كُلَّ الزَّمَانِ الْمَاضِي السَّابِقِ ، مَيِّتٌ وَمَعْدُومٌ ؛ وَأَنَّهُ مَقْبَرَةٌ مُوحِشَةٌ

بَلِيَتْ فِيهَا جَنَائِزُهَا، بِحُكْمِ ضَلاَلَتِكَ ؛ وَأَنَّ الْآلاَمَ الْوَارِدَةَ عَلَى رَأْسِكَ بِصِلَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَبِطَرِيقَةِ الضَّلاَلَةِ، وَعَلَى قَلْبِكَ ـ إِنْ وُجِدَ وَلَمْ يَمُتْ ـ مِنْ تِلْكَ الْفِرَاقَاتِ الَّتِي لاَ حَدَّ لَهَا، وَمِنْ تِلْكَ الْوَفَيَاتِ الْأَبَدِيَّةِ لِأَصْدِقَائِكَ الَّذِينَ لاَ نِهَايَةَ لَهُمْ، تَمْحَقُ لَذَّتَكَ الْجُزْئِيَّةَ فِي زَمَنٍ قَصِيرٍ جِدّاً، السَّكْرَانَةَ الْحَاضِرَةَ ؛ كَمَا أَنَّ الزَّمَانَ الْمُسْتَقْبَلَ أَيْضاً، مَعْدُومٌ وَمَحَلُّ تَوَحُّشٍ، مُظْلِمٌ وَمَيِّتٌ وَرَهِيبٌ، بِجِهَةِ فَسَادِ اعْتِقَادِكَ ؛ وَإِنَّ الْبَائِسِينَ الْوَارِدِينَ مِنْ هُنَاكَ، وَالْمُخْرِجِينَ رُؤُوسَهُمْ إِلَى الْوُجُودِ، وَالْمُلاَقِينَ لِلزَّمَانِ الْحَاضِرِ، تُقْطَعُ رُؤُوسُهُمْ بِمُدْيَةِ جَلاَّدِ الْأَجَلِ ؛ فَيُلْقَوْنَ فِي الْعَدَمِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يُمْطِرُ دَائِماً بِعَلاَقَةِ الْعَقْلِ، مَخَاوِفَ أَلِيمَةً بِلاَ حَدٍّ، عَلَى رَأْسِكَ الَّذِي لاَ إِيمَانَ لَهُ ؛ وَيَهْدِمُ لَذَّتَكَ الْجُزْئِيَّةَ السَّفِيهَةَ. وَإِنْ تَرَكْتَ الضَّلاَلَةَ وَالسَّفَاهَةَ ؛ فَدَخَلْتَ دَائِرَةَ الاِسْتِقَامَةِ وَالْإِيمَانِ التَّحْقِيقِيِّ ؛ فَإِنَّكَ تَرَى أَنَّ ذٰلِكَ الزَّمَانَ الْمَاضِيَ السَّابِقَ، لَيْسَ مَعْدُوماً وَمَقْبَرَةً تُبْلِي كُلَّ مَا هُوَ لَهَا ؛ بَلْ إِنَّهُ بِحَيْثِيَّةِ كَوْنِهِ يَتَرَاءَى مَوْجُوداً وَعَالَماً نُورَانِيّاً انْقَلَبَ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ، وَقَاعَةَ انْتِظَارٍ لِدُخُولِ الْأَرْوَاحِ الْبَاقِيَةِ فِي قُصُورِ السَّعَادَةِ الَّتِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ، لاَ يُذِيقُ الْأَلَمَ ؛ بَلْ يُذِيقُ نَوْعاً مِنَ اللَّذَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِلْجَنَّةِ، فِي الدُّنْيَا أَيْضاً، حَسَبَ قُوَّةِ الْإِيمَانِ ؛ كَمَا أَنَّ الزَّمَانَ الْمُسْتَقْبَلَ الْآتِيَ، لَيْسَ مُتَوَحِّشاً وَمُظْلِماً ؛ بَلْ يُرَى بِعَيْنِ الْإِيمَانِ : أَنَّ رَحْمَاناً رَحِيماً ذَا جَلاَلٍ وَإِكْرَامٍ، تُوجَدُ رَحْمَتُهُ وَكَرَمُهُ بِلاَ حَدٍّ ؛ وَيَجْعَلُ كُلَّ رَبِيعٍ وَصَيْفٍ مَائِدَةً ؛ وَيَمْلَؤُهَا بِالنِّعَمِ، قَدْ أُسِّسَتْ ضِيَافَاتُهُ ؛ وَفُتِحَتْ مَعَارِضُ إِحْسَانَاتِهِ، فِي قُصُورِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ وَيُوجَدُ الاِسْتِنْفَارُ إِلَى هُنَاكَ ؛ هٰكَذَا يُشَاهَدُ بِسِينَمَا الْإِيمَانِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يُمْكِنُ أَنْ يُحِسَّ نَوْعاً مِنْ لَذَّةِ الْعَالَمِ الْبَاقِي، حَسَبَ دَرَجَتِهِ. إِذاً فَإِنَّ اللَّذَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ بِدُونِ الْأَلَمِ، إِنَّمَا يُمْكِنُ فِي الْإِيمَانِ وَبِالْإِيمَانِ..

سَنُبَيِّنُ بِتَمْثِيلٍ كُتِبَ حَاشِيَةً فِي «دَلِيلِ الشَّبِيبَةِ»، بِمُنَاسَبَةِ بَحْثِنَا الْمَذْكُورِ هٰذَا، فَائِدَةً وَلَذَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ، مِنْ آلاَفِ فَوَائِدِ الْإِيمَانِ وَنَتَائِجِهِ، الَّتِي يُنْتِجُهَا الْإِيمَانُ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا أَيْضاً..

وَذٰلِكَ مَثَلاً : بَيْنَمَا كَانَ وَلَدُكَ الْوَحِيدُ الَّذِي تُحِبُّهُ لِلْغَايَةِ، فِي السَّكَرَاتِ عَلَى وَشَكِ الْمَوْتِ ؛ وَكُنْتَ تُفَكِّرُ فِي فِرَاقِهِ الْأَلِيمِ الْأَبَدِيِّ ؛ إِذْ جَاءَ طَبِيبٌ مِثْلُ حَضْرَةِ الْخِضْرِ، وَمِثْلُ

لُقْمَانَ الْحَكِيمِ ؛ فَأَشْرَبَهُ مَعْجُوناً مِثْلَ التِّرْيَاقِ ؛ فَفتَحَ وَلَدُكَ الْحَبِيبُ الْجَمِيلُ ذٰلِكَ بَصَرَهُ ؛ وَنَجَا مِنَ الْمَوْتِ ؛ تَفْهَمُ مَدٰى مَا يُورِثُ مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ . هٰذَا ، فَبَيْنَمَا كَانَتْ مَلايِينُ النَّاسِ الْمَحْبُوبِينَ بِالنِّسْبَةِ لَكَ ، الَّذِينَ تُحِبُّهُمْ كَثِيراً مِثْلَ ذٰلِكَ الْوَلَدِ ؛ وَأَنْتَ ذُو عَلاقَةٍ جِدِّيَّةٍ بِهِمْ ، كَانُوا عَلٰى وَشَكِ الْفَنَاءِ مُتَرَمِّمِينَ فِي نَظَرِكَ ، فِي مَقْبَرَةِ الزَّمَانِ الْمَاضِي تِلْكَ ؛ إِذَا بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ مِثْلِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ ، أَضَاءَتْ مِنْ نَافِذَةِ الْقَلْبِ ضِيَاءً عَلٰى تِلْكَ الْمَقْبَرَةِ الَّتِي كَانَتْ تُتَوَهَّمُ مُعْدَماً كَبِيراً ؛ فَحَيِيَتْ بِذٰلِكَ جَمِيعُ الْمَوْتٰى مِنَ الْأَوَّلِ إِلَى الْآخِرِ ؛ وَقَالُوا بِلِسَانِ الْحَالِ : نَحْنُ لَمْ نَمُتْ ؛ وَلَنْ نَمُوتَ ؛ وَسَنَجْتَمِعُ بِكُمْ أَيْضاً ؛ فَيُثْبِتُ الْإِيمَانُ ، بِإِعْطَائِهِ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا أَيْضاً مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنَ الْمَسَارِّ وَالْأَفْرَاحِ الَّتِي تَلَقَّيْتَهَا مِنْ ذٰلِكَ : أَنَّ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ نَوَاةٌ لَوْ تَجَسَّمَتْ ؛ لَخَرَجَتْ مِنْهَا جَنَّةٌ خُصُوصِيَّةٌ ؛ فَتَصِيرُ شَجَرَةَ طُوبٰى تِلْكَ النَّوَاةِ ؛ هٰكَذَا قُلْتُ . .

فَعَادَ ذٰلِكَ الْمُتَعَنِّدُ وَقَالَ : فَلا أَقَلَّ أَنْ نَعِيشَ غَيْرَ مُتَفَكِّرِينَ فِي هٰذِهِ الْأُمُورِ الدَّقِيقَةِ ، بِالسَّفَاهَةِ وَالْمَلاهِي ، لِقَضَاءِ حَيَاتِنَا بِالذَّوْقِ وَاللَّذَّةِ ، مِثْلَ الْحَيَوَانِ . .

فَقُلْتُ إِجَابَةً : لَنْ تَكُونَ مِثْلَ الْحَيَوَانِ ؛ لِأَنَّهُ لا مَاضِيَ وَلا مُسْتَقْبَلَ لِلْحَيَوَانِ ؛ فَلَا يَتَلَقَّى الْآلامَ وَالْمَآسِفَ مِنَ الْمَاضِي ؛ وَلَا الْأَهْوَالَ وَالْمَخَاوِفَ تَرِدُ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ ؛ فَيَسْتَفِيدُ لَذَّتَهُ تَمَاماً ؛ فَيَعِيشُ وَيَنَامُ بِالرَّاحَةِ ؛ وَيَشْكُرُ لِخَالِقِهِ ؛ حَتّٰى إِنَّ حَيَوَاناً يُضْجَعُ لِلذَّبْحِ ، لا يُحِسُّ شَيْئاً ؛ وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْإِحْسَاسَ حِينَمَا يَقْطَعُ السِّكِّينُ ؛ وَلٰكِنْ يَزُولُ ذٰلِكَ الْحِسُّ أَيْضاً ؛ فَيَنْجُو مِنْ ذٰلِكَ الْأَلَمِ أَيْضاً . إِذاً فَإِنَّ أَعْظَمَ رَحْمَةٍ وَشَفَقَةٍ إِلٰهِيَّةٍ ، هِيَ فِي عَدَمِ إِعْلامِ الْغَيْبِ ، وَفِي سَتْرِ النَّوَازِلِ ؛ وَهِيَ أَكْمَلُ فِي حَقِّ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِيئَةِ خُصُوصاً ؛ وَلٰكِنَّكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ! مَحْرُومٌ تَمَاماً مِنَ الاسْتِرَاحَةِ الْوَارِدَةِ عَلَى الْحَيَوَانِ مِنْ سَتْرِ الْغَيْبِ ، بِسَبَبِ خُرُوجِ مَاضِيكَ وَمُسْتَقْبَلِكَ عَنِ الْغَيْبِ بِدَرَجَةٍ مَّا ، بِجِهَةِ الْعَقْلِ ؛ فَإِنَّ الْأَحْزَانَ وَالْفِرَاقَاتِ الْأَلِيمَةَ النَّاشِئَةَ عَنِ الْمَاضِي ، وَالْأَهْوَالَ وَالْمَخَاوِفَ الْوَارِدَةَ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ ، تُنَزِّلُ لَذَّتَكَ الْجُزْئِيَّةَ إِلَى الْعَدَمِ ؛ فَتُسْقِطُكَ أَسْفَلَ مِنَ الْحَيَوَانِ مِئَةَ دَرَجَةٍ ، فِي جِهَةِ اللَّذَّةِ . فَإِذَا كَانَتْ هٰذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةَ ؛ فَإِمَّا أَنْ تُخْرِجَ عَقْلَكَ فَتَطْرَحَهُ ؛ وَتَصِيرَ حَيَوَاناً فَتَنْجُوَ ؛ وَإِمَّا أَنْ تَحْمِلَ عَقْلَكَ إِلٰى رَأْسِكَ بِالْإِيمَانِ ؛ فَتَسْتَمِعَ الْقُرْآنَ ؛ فَتَفُوزَ بِلَذَائِذَ

صَافِيَةٍ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا أَيْضاً، أَزْيَدَ مِنَ الْحَيْوَانِ مِئَةَ دَرَجَةٍ؛ هٰكَذَا قُلْتُ؛ فَأَفْحَمْتُهُ..

فَعَادَ أَيْضاً ذٰلِكَ الشَّخْصُ الْمُتَمَرِّدُ؛ وَقَالَ: فَلا أَقَلَّ أَنْ نَعِيشَ مِثْلَ مُلْحِدِي الْأَجَانِبِ..

فَقُلْتُ إِجَابَةً: لَنْ تَكُونَ مِثْلَ مُلْحِدِي الْأَجَانِبِ أَيْضاً؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا أَنْكَرُوا نَبِيّاً؛ يُمْكِنُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْآخَرِينَ؛ وَإِذَا لَمْ يَعْرِفِ الْأَنْبِيَاءَ؛ يُمْكِنُ أَنْ يُؤْمِنَ بِاللّٰهِ؛ وَإِذَا لَمْ يَعْرِفْ هٰذَا أَيْضاً؛ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ بَعْضُ سَجَايَا هِيَ مَدَارٌ لِلْكَمَالَاتِ. وَلٰكِنَّ مُسْلِماً إِذَا أَنْكَرَ نَبِيَّ آخِرِ الزَّمَانِ (عليه الصلاة والسلام)، الَّذِي هُوَ الْآخِرُ وَالْأَعْظَمُ، وَدِينُهُ وَدَعْوَتُهُ عُمُومِيَّتَانِ؛ وَخَرَجَ عَنْ سِلْسِلَتِهِ؛ فَلَا يَقْبَلُ أَيَّ نَبِيٍّ، بَلِ اللّٰهَ بَعْدُ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ بِهِ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ، وَاللّٰهَ وَالْكَمَالَاتِ؛ فَلَا يَبْقَى أُولَائِكَ فِي قَلْبِهِ بِدُونِهِ. فَلِذٰلِكَ يَدْخُلُونَ الْإِسْلَامَ مِنْ كُلِّ دِينٍ مُنْذُ الْقَدِيمِ؛ وَلَا يَصِيرُ أَيُّ مُسْلِمٍ يَهُودِيّاً أَوْ مَجُوسِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً حَقِيقِيّاً؛ بَلْ يُصْبِحُ مُلْحِداً؛ فَتَفْسُدُ سَجَايَاهُ؛ فَيَدْخُلُ فِي حَالَةٍ ضَارَّةٍ بِالْوَطَنِ وَالشَّعْبِ؛ هٰكَذَا أَثْبَتُّ؛ فَلَمْ يَبْقَ لِذٰلِكَ الشَّخْصِ الْمُتَعَنِّدِ الْمُتَمَرِّدِ، مَحَلٌّ يَتَمَسَّكُ بِهِ بَعْدُ؛ فَغَابَ وَذَهَبَ إِلَى جَهَنَّمَ..

هٰذَا، فَيَا أَصْحَابِي فِي الدَّرْسِ فِي هٰذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ! إِذَا كَانَتْ هٰذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةَ؛ وَكَانَتْ «رِسَالَةُ النُّورِ» أَثْبَتَتْ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ كَالشَّمْسِ، بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ مِنَ الْقَطْعِ؛ فَتَكْسِرُ عِنَادَ الْمُتَمَرِّدِينَ؛ فَتَأْتِي بِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ ـ وَقَدْ أَصْبَحَ عِشْرِينَ عَاماً ـ فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَعَقَّبَ نَحْنُ أَيْضاً، طَرِيقَ الْإِيمَانِ وَالْاِسْتِقَامَةِ، السَّلِيمَ الْيَسِيرَ النَّافِعَ تَمَاماً لِدُنْيَانَا، وَلِمُسْتَقْبَلِنَا وَلِآخِرَتِنَا، وَلِوَطَنِنَا وَلِشَعْبِنَا؛ فَلْنَجْتَهِدْ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ مِثْلِ تِلَاوَةِ السُّوَرِ الَّتِي نَعْلَمُهَا مِنَ الْقُرْآنِ، وَتَعَلُّمِ مَعَانِيهَا مِنَ الرُّفَقَاءِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَهَا؛ وَقَضَاءِ مَا فَاتَتْ مِنْ صَلَوَاتِنَا الْمَفْرُوضَةِ؛ وَتَحْوِيلِ هٰذَا السِّجْنِ إِلَى حَدِيقَةٍ مُبَارَكَةٍ، تُنْتِجُ غَرْساً حَمِيدَةَ السَّجَايَا، مُسْتَفِيداً بَعْضُهُمْ عَنِ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ لِبَعْضٍ، بَدَلاً عَنْ إِضَاعَةِ أَوْقَاتِنَا الْفَارِغَةِ فِي الْخَيَالَاتِ الْمُزْعِجَةِ، لِئَلَّا يَصِيرَ مُدِيرُ السِّجْنِ وَذَوُو الْعَلَائِقِ بِالسِّجْنِ، مُوَظَّفِي الْعَذَابِ مِثْلَ الزَّبَانِيَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْجُنَاةِ وَالْقَتَلَةِ؛ بَلْ يَكُونُوا أَسَاتِذَةً مُسْتَقِيمِينَ، وَأَدِلَّاءَ مُشْفِقِينَ، مَأْمُورِينَ بِتَرْبِيَةِ الْإِنْسَانِ لِلْجَنَّةِ، وَبِالنَّظَارَةِ لِتَرْبِيَتِهِمْ فِي الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ..

اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ :

يُوجَدُ إِيضَاحُهَا فِي «دَلِيلِ الشَّبِيبَةِ» أَيْضاً.. فِي زَمَنٍ مَّا ، سُئِلَ مِنْ جَانِبِ إِخْوَانِي الْخَادِمِينَ لِي : أَنَّكَ لا تَهْتَمُّ وَلا تَسْأَلُ ، عَنْ هٰذِهِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الرَّهِيبَةِ ، الْمُتَعَلِّقَةِ بِمُقَدَّرَاتِ الْإِسْلامِ ، وَالَّتِي أَتَتْ بِكُرَةِ الْأَرْضِ إِلَى الْهَرْجِ وَالْمَرْجِ – وَقَدْ صَارَ خَمْسِينَ يَوْماً – (وَالْآنَ مَضٰى أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِ سِنِينَ[١] ؛ وَتَدُومُ عَيْنُ الْحَالِ) . وَالْحَالُ أَنَّ قِسْماً مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُتَدَيِّنِينَ ، يَتْرُكُونَ الْجَامِعَ وَالْجَمَاعَةَ ؛ فَيَرْكُضُونَ إِلَى اسْتِمَاعِ الْإِذَاعَةِ ؛ فَقَالُوا : يَا عَجَباً ! هَلْ تُوجَدُ حَادِثَةٌ أَعْظَمُ مِنْ هٰذِهِ ؟ أَمْ يُوجَدُ ضَرَرُ الِاشْتِغَالِ بِهَا ؟ .

فَقُلْتُ إِجَابَةً : إِنَّ رَأْسَ مَالِ الْعُمُرِ ، قَلِيلٌ جِدّاً ؛ وَالْأُمُورُ اللّٰازِمَةُ ، كَثِيرَةٌ جِدّاً ؛ وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ دَوَائِرُ مُتَدَاخِلَةٌ ، بَادِئَةٌ مِنْ دَائِرَةِ الْقَلْبِ وَالْمَعِدَةِ ، وَمِنْ دَائِرَةِ الْجَسَدِ وَالْبَيْتِ ، وَمِنْ دَائِرَةِ الْمَحَلَّةِ وَالْمَدِينَةِ ، وَمِنْ دَائِرَةِ الْوَطَنِ وَالْمَمْلَكَةِ ، وَمِنْ دَائِرَةِ كُرَةِ الْأَرْضِ وَنَوْعِ الْبَشَرِ ، حَتّٰى دَائِرَةِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، وَدَائِرَةِ الدُّنْيَا ، مِثْلَ الدَّوَائِرِ الْمُتَدَاخِلَةِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ؛ وَيُمْكِنُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ نَوْعٌ مِنَ الْوَظِيفَةِ فِي كُلِّ دَائِرَةٍ أَيْضاً ؛ وَلٰكِنْ تُوجَدُ فِي الدَّائِرَةِ الصُّغْرٰى ، الْوَظِيفَةُ الدَّائِمَةُ الْمُهِمَّةُ الْعُظْمٰى ؛ وَيُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ فِي الدَّائِرَةِ الْكُبْرٰى ، الْوَظِيفَةُ الصُّغْرٰى وَالْمُؤَقَّتَةُ أَحْيَاناً ؛ فَيُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ الْوَظَائِفُ الْمُتَنَاسِبَةُ الْمَعْكُوسَةُ صِغَراً وَكِبَراً ، بِهٰذَا الْقِيَاسِ ؛ وَلٰكِنَّ الدَّائِرَةَ الْكَبِيرَةَ ، تُؤَدِّي بِجِهَةِ جَاذِبِيَّتِهَا ، إِلَى إِهْمَالِ الْخِدْمَةِ اللّٰازِمَةِ الْمُهِمَّةِ فِي الدَّائِرَةِ الصَّغِيرَةِ ؛ فَيُشْغِلُهُ بِأُمُورٍ آفَاقِيَّةٍ غَيْرِ لازِمَةٍ لا تَعْنِيهِ ؛ فَيُفْنِي رَأْسَ مَالِ حَيَاتِهِ ، فِي مَوْضِعٍ غَيْرِ نَافِعٍ ؛ وَيَقْتُلُ عُمُرَهُ الْقَيِّمَ ذٰلِكَ ، فِي أُمُورٍ غَيْرِ قَيِّمَةٍ ؛ وَيَمِيلُ أَحْيَاناً مَنْ يَتَعَقَّبُ بِاهْتِمَامٍ ، صِرَاعَاتِ هٰذِهِ الْحَرْبِ ، إِلَى جَانِبٍ ، مَيْلاً قَلْبِيّاً ؛ فَيَسْتَحْسِنُ ظُلْمَهُ ؛ فَيَصِيرُ شَرِيكاً لِظُلْمِهِ..

أَمَّا الْجَوَابُ عَلَى النُّقْطَةِ الْأُولٰى ؛ فَهُوَ : نَعَمْ إِنَّ حَادِثَةً أَعْظَمَ مِنْ هٰذِهِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ ،

---

(١) ذٰلِكَ التَّارِيخُ نَاظِرٌ إِلَى عَامِ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ وَتِسْعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ.. اَلنَّاشِرُونَ..

وَدَعْوٰى أَهَمّ مِنْ دَعْوَى الْحَاكِمِيَّةِ الْعَامَةِ الَّتِي فِي سَطْحِ هٰذِهِ الْأَرْضِ ، قَدْ فُتِحَتْ حَادِثَةٌ كَذٰلِكَ وَدَعْوٰى كَذٰلِكَ ، عَلٰى رَأْسِ كُلِّ أَحَدٍ ، وَالْمُسْلِمِينَ خَاصَّةً ؛ فَإِنْ كَانَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ قُوَّةٌ وَثَرْوَةٌ بِقَدَرِ الْأَلْمَانِ وَالْإِنْكِلِيزِ ؛ وَكَانَ لَهُ عَقْلٌ ؛ فَإِنَّهُ يَصْرِفُهُمَا بِلا تَرَدُّدٍ لِأَجْلِ تَحْصِيلِ تِلْكَ الدَّعْوٰى . فَأَمَّا تِلْكَ الدَّعْوٰى ؛ فَهِيَ : مَا أَخْبَرَ بِهِ مِئَةُ أَلْفٍ مِنَ الْمَشَاهِيرِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَمَنْ لا حَدَّ لَهُمْ مِنْ نُجُومِ نَوْعِ الْبَشَرِ وَمُرْشِدِيهِمْ ، مُتَّفِقِينَ بِالِاسْتِنَادِ إِلٰى آلافِ وُعُودٍ وَعُهُودٍ لِصَاحِبِ الْكَائِنَاتِ وَمُتَصَرِّفِهَا ، وَمَا شَاهَدَهُ بَعْضُهُمْ بِأَبْصَارِهِمْ : مِنْ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ ، فُتِحَتْ عَلٰى رَأْسِهِ ، دَعْوَى الْخَسَارَةِ أَوِ الْفَوْزِ بِمَزْرَعَةٍ وَمُلْكٍ بَاقٍ دَائِمٍ ، مُزَيَّنٍ بِحَدَائِقَ وَقُصُورٍ بِقَدَرِ سَطْحِ هٰذِهِ الْأَرْضِ ، مُقَابِلَ الْإِيمَانِ ؛ فَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ عَلٰى وَثِيقَةِ الْإِيمَانِ صَحِيحاً ؛ يَخْسَرُهَا . وَإِنَّ كَثِيرِينَ ، يَخْسَرُونَ دَعْوَاهُمْ تِلْكَ ، بِطَاعُونِ الْمَادِّيَّةِ فِي هٰذَا الْعَصْرِ ؛ حَتّٰى إِنَّ أَحَدَ أَهْلِ الْكَشْفِ وَالتَّحْقِيقِ ، شَاهَدَ فِي مَكَانٍ مَّا ، فَوْزَ عِدَّةِ أَشْخَاصٍ فَقَطْ ، فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ ، مِنْ أَرْبَعِينَ شَخْصاً مِنَ الْأَمْوَاتِ ؛ وَخَسِرَ الْآخَرُونَ . . فَيَا عَجَباً ! لَوْ أُعْطِيَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ سَلْطَنَةَ جَمِيعِ الدُّنْيَا ؛ هَلْ تَمْلَأُ مَكَانَ هٰذِهِ الدَّعْوَى الَّتِي خَسِرَهَا ؟ . هٰذَا ، فَإِنَّ الِاشْتِغَالَ بِأُمُورٍ آفَاقِيَّةٍ غَيْرِ لازِمَةٍ ، كَأَنَّهُ يَبْقٰى خَالِداً فِي الدُّنْيَا ؛ فَيَتْرُكُ الْخِدَمَاتِ الَّتِي تُفِيزُ تِلْكَ الدَّعْوٰى ؛ وَيَتْرُكُ الْوَظَائِفَ الَّتِي تَسْتَخْدِمُ فِي ذٰلِكَ الْأَمْرِ مُحَامِياً خَارِقَةً ، لا يُفَوِّتُ تِلْكَ الدَّعْوٰى لِتِسْعِينَ مِنْهُمْ فِي الْمِئَةِ ، نَعْلَمُ ذٰلِكَ سَخَافَةً تَامَّةً ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ لَوْ زَادَ عَقْلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا ـ نَحْنُ تَلامِذَةَ رِسَالَةِ النُّورِ ـ مِئَةَ دَرَجَةٍ ، يَلْزَمُ الصَّرْفُ عَلٰى هٰذِهِ الْوَظِيفَةِ فَقَطْ ؛ هٰكَذَا تُوجَدُ قَنَاعَتُنَا . .

فَيَا أَصْحَابِيَ الْجُدُدَ فِي مُصِيبَةِ السِّجْنِ ! . إِنَّكُمْ لَمْ تَرَوْا «رِسَالَةَ النُّورِ» ، مِثْلَ أَصْحَابِي الْقُدَامَى الْوَارِدِينَ مَعِي ؛ فَإِنِّي أَقُولُ مُسْتَشْهِداً إِيَّاهُمْ وَآلافَ التَّلامِذَةِ مِثْلَهُمْ ؛ وَأُثْبِتُ وَأُثَبِّتُ : إِنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» ، هِيَ الَّتِي تُفِيزُ تِسْعِينَ فِي الْمِئَةِ ، تِلْكَ الدَّعْوَى الْعَظِيمَةَ ؛ وَأَعْطَتْ عِشْرِينَ أَلْفَ إِنْسَانٍ ، فِي عِشْرِينَ عَاماً ، بِيَدِهِمُ الْإِيمَانَ التَّحْقِيقِيَّ ، الَّذِي هُوَ وَثِيقَةُ تَحْصِيلِ تِلْكَ الدَّعْوٰى ، وَسَنَدُهُ وَبَرَاءَتُهُ ، وَالَّتِي طَلَعَتْ نَاشِئَةً مِنَ الْمُعْجِزَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِلْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ وَهِيَ أَوَّلُ مُحَامٍ لِهٰذَا الزَّمَانِ . فَهٰذِهِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَاماً ؛ وَقَدْ أَغْفَلَ أَعْدَائِي وَالزَّنَادِقَةُ وَالْهَادِيُّونَ ، بَعْضَ

أَرْكَانِ الْحُكُومَةِ ، بِدَسَائِسَ غَدَّارَةٍ لِلْغَايَةِ ضِدِّي ؛ فَأَقْحَمُونَا فِي الْمَحَابِسِ وَالسُّجُونِ ، فِي الْقَدِيمِ أَيْضاً كَمَا فِي هٰذِهِ الْمَرَّةِ ، لِإِهْلاَكِنَا ؛ مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَمَسُّوا إِلّاَ جُزْأَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةَ أَجْزَاءٍ ، مِنْ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ جُزْءاً مِنْ أَجْهِزَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، فِي قَلْعَتِهَا الْفُولاَذِيَّةِ . إِذاً فَإِنَّ مَنْ يُرِيدُ اتِّخَاذَ الْمُحَامِي ، كَفَتْهُ إِذَا حَصَلَ عَلَيْهَا . وَأَيْضاً لاَ تَخَافُوا ، فَإِنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» لاَ تَصِيرُ مَحْذُورَةً ؛ فَإِنَّ رَسَائِلَهَا الْمُهِمَّةَ ، مَا عَدَا اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً مِنْهَا ، كَانَتْ تَسِيرُ حُرَّةً فِي أَيْدِي نُوَّابِ الْحُكُومَةِ الْجُمْهُورِيَّةِ وَأَرْكَانِهَا . وَإِنَّ الْمُدِيرِينَ وَالْمُوَظَّفِينَ السُّعَدَاءَ ، سَيُوَزِّعُونَ تِلْكَ الْأَنْوَارَ عَلَى الْمَسْجُونِينَ ، مِثْلَ الْخُبْزِ وَالْعِلاَجِ ، فِي زَمَنٍ مَّا ، إِنْ شَاءَ اللّٰهُ ، لِتَصْيِيرِ السُّجُونِ دَارَ إِصْلاَحٍ تَمَاماً . .

اَلْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ :

لاَ شُبْهَةَ أَصْلاً ، أَنَّ الشَّبِيبَةَ سَتَزُولُ ؛ وَإِنَّ الشَّبِيبَةَ سَتَتَبَدَّلُ بِالشَّيْبِ وَالْمَوْتِ أَيْضاً ، فِي قَطْعِيَّةِ إِعْطَاءِ الصَّيْفِ الْمَكَانَ لِلْخَرِيفِ وَالشِّتَاءِ ، وَتَبَدُّلِ النَّهَارِ بِالْمَسَاءِ وَاللَّيْلِ . فَإِنْ صَرَفَ شَبِيبَتَهُ الْفَانِيَةَ الْمُؤَقَّتَةَ تِلْكَ ، عَلَى الْخَيْرَاتِ ، بِالْعِفَّةِ وَفِي دَائِرَةِ الاِسْتِقَامَةِ ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ الْعُهُودِ السَّمَاوِيَّةِ ، تُبَشِّرُ بِأَنَّهُ سَيُحَصِّلُ بِهَا شَبِيبَةً أَبَدِيَّةً بَاقِيَةً . وَإِنْ صَرَفَهُ عَلَى السَّفَاهَةِ ؛ فَكَمَا أَنَّ قَتْلَةً تُحَمِّلُهُ جَزَاءَ السِّجْنِ مَلاَيِينَ دَقِيقَةٍ ، مِنْ أَجْلِ غَضَبِ دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ كُلَّ شَابٍّ عَقْلُهُ فِي رَأْسِهِ ، يُصَدِّقُ بِالتَّجْرِبَةِ ، بِأَنَّ أَذْوَاقَ الشَّبِيبَةِ وَلَذَائِذَهَا ، فِي الدَّائِرَةِ الْغَيْرِ الْمَشْرُوعَةِ ، هِيَ آلاَمٌ فِي عَيْنِ اللَّذَّةِ ، أَزْيَدُ مِنْ تِلْكَ اللَّذَّةِ ، مَا عَدَا مَسْؤُولِيَّةَ الْآخِرَةِ ، وَعَذَابَ الْقَبْرِ ، وَالذُّنُوبَ وَالْأَحْزَانَ النَّاشِئَةَ عَنْ زَوَالِهَا ، وَالْمُجَازَاةَ الدُّنْيَوِيَّةَ ؛ فَإِنَّ تِلْكَ اللَّذَّةَ الْجُزْئِيَّةَ فِي الْمَحَبَّةِ الْمُحَرَّمَةِ مَثَلاً ، تُصْبِحُ فِي حُكْمِ عَسَلٍ مَسْمُومٍ ، بِعَوَارِضَ كَثِيرَةٍ مِثْلِ أَلَمِ حَسَدٍ ، وَأَلَمِ فِرَاقٍ ، وَأَلَمِ عَدَمِ لِقَائِهِ الْمُقَابَلَةَ . وَإِنْ شِئْتَ الْعِلْمَ بِأَنَّ الشُّبَّانَ يَقَعُونَ فِي الْمُسْتَشْفَيَاتِ بِالْعِلَّةِ الْعَارِضَةِ ، بِسُوءِ اسْتِعْمَالِ تِلْكَ الشَّبِيبَةِ ، وَفِي السُّجُونِ بِثَوَرَاتِهَا ، وَفِي دُورِ الْخُمُورِ وَدُورِ

الْفُجُورِ وَفِي الْمَقَابِرِ ، بِانْقِبَاضَاتٍ نَاشِئَةٍ عَنْ عَطَالَةِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَعَدَمِ تَغَذِّيهِمَا ؛ فَاذْهَبْ وَاسْأَلِ الْمَشَافِيَ وَالْمَحَابِسَ وَالْمَخَامِرَ وَالْمَقَابِرَ ؛ فَإِنَّكَ تَسْمَعُ آهَاتٍ وَبُكَايَا وَمَآسِفَ عَنْ سُوءِ اسْتِعْمَالِ شَبِيبَةِ الشُّبَّانِ بِالْأَكْثَرِيَّةِ ، وَعَنْ ثَوَرَانِهِمْ ، وَعَنْ صَفَعَاتٍ وَارِدَةٍ جَزَاءً لِأَذْوَاقٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ . . وَإِنْ سَلَكَ فِي دَائِرَةِ الِاسْتِقَامَةِ ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ الْكُتُبِ وَالْعُهُودِ السَّمَاوِيَّةِ ؛ وَفِي الْمُقَدِّمَةِ الْقُرْآنُ بِآيَاتِهِ الْقَاطِعَةِ الْكَثِيرَةِ ، تُخْبِرُ فَتُبَشِّرُ ، بِأَنَّ الشَّبِيبَةَ سَتُنْتِجُ فِي الْآخِرَةِ ، شَبِيبَةً بَاقِيَةً وَلَامِعَةً لِلْغَايَةِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا نِعْمَةٌ إِلٰهِيَّةٌ ، حُلْوَةٌ وَجَمِيلَةٌ لِلْغَايَةِ ، وَوَاسِطَةٌ لِلْخَيْرَاتِ عَذْبَةٌ وَقَوِيَّةٌ ؛ كَمَا أُوضِحَ فِي «دَلِيلِ الشَّبِيبَةِ» . . فَإِذَا كَانَتْ هٰذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةَ ؛ وَكَانَتْ دَائِرَةُ الْحَلَالِ كَافِيَةً لِلذَّوْقِ ؛ وَكَانَتْ سَاعَةٌ مِنَ اللَّذَّةِ فِي دَائِرَةِ الْحَرَامِ ، تُحَمِّلُ أَحْيَاناً سَنَةً أَوْ عَشْرَ سَنَوَاتٍ مِنْ جَزَاءِ الْحَبْسِ ؛ فَإِنَّ اللَّازِمَ وَالْأَلْزَمَ ، صَرْفُ تِلْكَ النِّعْمَةِ الْحُلْوَةِ ، فِي الْعِفَّةِ وَالِاسْتِقَامَةِ ، شُكْراً عَلَى نِعْمَةِ الشَّبِيبَةِ . .

اَلْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ :

إِشَارَةٌ مُخْتَصَرَةٌ إِلَى بُرْهَانٍ وَاحِدٍ مِنْ آلَافِ الْبَرَاهِينِ الْكُلِّيَّةِ ، لِرُكْنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ ، الَّتِي يُوجَدُ إِيضَاحُهَا وَحُجَجُهَا الْقَاطِعَةُ بِلَا حَدٍّ ، فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» . .

لَقَدْ جَاءَ إِلَيَّ قِسْمٌ مِنْ تَلَامِذَةِ الثَّانَوِيَّةِ فِي (قَسْطَمُونِي) ؛ فَقَالُوا : عَرِّفْ لَنَا خَالِقَنَا ؛ فَإِنَّ أَسَاتِذَتَنَا لَا يَبْحَثُونَ عَنِ اللهِ . . فَقُلْتُ : إِنَّ كُلَّ فَنٍّ مِنَ الْفُنُونِ الَّتِي تَقْرَؤُونَهَا ، يَبْحَثُ عَنِ اللهِ دَائِماً بِلِسَانِهِ الْمَخْصُوصِ ؛ فَتُعَرِّفُ الْخَالِقَ ؛ فَاسْتَمِعُوا إِلَيْهَا ، لَا إِلَى الْمُعَلِّمِينَ . .

فَمَثَلاً : كَمَا أَنَّ صَيْدَلِيَّةً مُكَمَّلَةً ، تُوجَدُ فِي كُلِّ قِنِّينَةٍ مِنْ قَنَانِيِّهَا ، مَعَاجِينُ وَتَرَايِيقُ حَيَّةٌ أُخِذَتْ بِمَوَازِينَ خَارِقَةٍ وَحَسَّاسَةٍ ، تَدُلُّ بِدُونِ شُبْهَةٍ ، عَلَى صَيْدَلِيٍّ حَكِيمٍ كِيمَائِيٍّ مَاهِرٍ لِلْغَايَةِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ ، تُعَرِّفُ وَتُظْهِرُ لِلْأَعْيُنِ الْعَمْيَاءِ أَيْضاً ، الْحَكِيمَ ذَا الْجَلَالِ ، الَّذِي هُوَ صَيْدَلِيُّ كُرَةِ الْأَرْضِ الصَّيْدَلِيَّةِ الْكُبْرَى ، بِمِقْيَاسِ فَنِّ الطِّبِّ الَّذِي تَقْرَؤُونَهُ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَدَى

دَرَجَةِ كَوْنِهَا أَكْمَلَ وَأَكْبَرَ مِنَ الصَّيْدَلِيَّةِ الَّتِي هِيَ فِي هٰذَا الشَّارِعِ..

وَكَذَا كَمَا أَنَّ مَصْنَعاً خَارِقاً مَثَلاً، يَنْسُجُ آلافاً مِنْ أَقْمِشَةٍ مُتَنَوِّعَةٍ، مِنْ مَادَّةٍ بَسِيطَةٍ، يَدُلُّ بِدُونِ شَكٍّ عَلَىٰ صَانِعٍ وَمُهَنْدِسٍ مَاهِرٍ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ هٰذَا الْجِهَازَ الرَّبَّانِيَّ السَّيَّارَ الْمَدْعُوَّ بِكُرَةِ الْأَرْضِ، الَّذِي لَهُ مِئَاتُ آلَافِ رَأْسٍ؛ وَفِي كُلِّ رَأْسٍ لَهُ مِئَاتُ آلَافِ مَصْنَعٍ مُكَمَّلٍ، مَهْمَا كَانَ أَكْبَرَ وَأَكْمَلَ مِنْ مَصْنَعِ الْإِنْسَانِ هٰذَا؛ يَدُلُّ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ عَلَىٰ صَانِعِ كُرَةِ الْأَرْضِ؛ وَيُعَرِّفُ صَاحِبَهَا، بِمِقْيَاسِ فَنِّ الْجِهَازِ..

وَكَذَا كَمَا أَنَّ مُسْتَوْدَعاً وَأَنْبَاراً وَدُكَّاناً لِلْإِعَاشَةِ، اجْتُلِبَ مِمَّا حَوْلَهُ، أَلْفٌ وَوَاحِدٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَرْزَاقِ الْمُكَمَّلَةِ لِلْغَايَةِ؛ فَنُضِّدَتْ وَأُعِدَّتْ مُنْتَظِمَةً فِيهِ، يُعْلِنُ دُونَ شَكٍّ، مَالِكاً وَصَاحِباً وَمُوَظَّفاً لِلْإِعَاشَةِ وَالْأَرْزَاقِ فَوْقَ الْعَادَةِ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ هٰذَا الْأَنْبَارَ الرَّحْمَانِيَّ لِلْإِعَاشَةِ، وَهٰذَا الْمُسْتَوْدَعَ وَالدُّكَّانَ الرَّبَّانِيَّ الْحَامِلَ لِوَاحِدٍ وَأَلْفِ نَوْعٍ مِنَ الْأَجْهِزَةِ وَالْأَمْوَالِ وَالْمُعَلَّبَاتِ، وَهٰذِهِ السَّفِينَةَ السُّبْحَانِيَّةَ الْمَدْعُوَّةَ بِكُرَةِ الْأَرْضِ، وَالسَّائِحَةَ مُنْتَظِمَةً فِي دَائِرَةِ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالْمُحْتَوِيَةَ لِمِئَاتِ آلَافِ طَوَائِفَ طَالِبَةٍ لِأَرْزَاقٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَالَّتِي تَمُرُّ عَلَى الْمَوَاسِمِ بِسِيَاحَتِهَا؛ فَتَمْلَأُ الرَّبِيعَ كَحُمُولَةٍ كَبِيرَةٍ، بِآلَافِ أَطْعِمَةٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ فَتَأْتِي بِهَا لِذَوِي الْحَيَاةِ الْبَائِسِينَ الَّذِينَ نَفِدَتْ أَرْزَاقُهُمْ فِي الشِّتَاءِ، مَهْمَا كَانَتْ أَكْبَرَ وَأَكْمَلَ مِنْ ذٰلِكَ الْمَصْنَعِ؛ تُعْلِنُ وَتُعَرِّفُ وَتُحَبِّبُ صَاحِبَ مُسْتَوْدَعِ كُرَةِ الْأَرْضِ، وَمُتَصَرِّفَهُ وَمُدَبِّرَهُ، بِذٰلِكَ الْقَطْعِ وَفِي تِلْكَ الدَّرَجَةِ، بِمِقْيَاسِ مَا قَرَأْتُمْ أَوْ سَتَقْرَؤُونَ مِنْ فَنِّ الْإِعَاشَةِ..

وَكَذَا كَمَا أَنَّ قَائِداً مُعْجِزاً، قَائِدَ جَيْشٍ يُوجَدُ فِيهِ أَرْبَعُمِئَةِ أَلْفِ قَوْمٍ؛ وَكُلُّ قَوْمٍ أَرْزَاقُهُ مُخْتَلِفَةٌ؛ وَأَسْلِحَتُهُ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا مُخْتَلِفَةٌ؛ وَمَلَابِسُهُ الَّتِي يَلْبَسُهَا مُخْتَلِفَةٌ؛ وَتَدْرِيبَاتُهُ مُخْتَلِفَةٌ؛ وَتَسْرِيحَاتُهُ مُخْتَلِفَةٌ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ الْمُعَسْكَرَ، وَذٰلِكَ الْجَيْشَ الْعَجِيبَ، الَّذِي يُعْطِي قَائِدُهُ وَحْدَهُ، مُخْتَلِفَ أَرْزَاقِ جَمِيعِ أُولَائِكَ الْأَقْوَامِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَأَسْلِحَتَهَا وَأَلْبِسَتَهَا وَأَجْهِزَتَهَا الْمُتَنَوِّعَةَ، دُونَ أَنْ يَنْسَى أَحَداً مِنْهَا أَصْلاً؛ أَوْ يَلْتَبِسَ عَلَيْهِ، يَدُلُّ بِالْبَدَاهَةِ بِدُونِ شُبْهَةٍ، عَلَىٰ ذٰلِكَ الْقَائِدِ؛ وَيُحَبِّبُهُ عَلَىٰ وَجْهِ التَّقْدِيرِ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ؛ فَإِنَّ مُعَسْكَرَ كُرَةِ الْأَرْضِ، الْمُعَسْكَرَ الرَّبِيعِيَّ الَّذِي

يُعْطِى مِنْ جَانِبِ قَائِدٍ أَعْظَمَ وَاحِدٍ أَحَدٍ ، لِأَرْبَعِمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ مِنْ مِلَلِ النَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، فِي جَيْشٍ سُبْحَانِيٍّ جَدِيدٍ ، أُخِذَ تَحْتَ السِّلَاحِ مِنْ جَدِيدٍ ، فِي كُلِّ رَبِيعٍ ، فِي مُعَسْكَرِ سَطْحِ الْأَرْضِ ، أَلْبِسَتُهَا وَأَرْزَاقُهَا وَأَسْلِحَتُهَا وَتَدْرِيبَاتُهَا وَتَسْرِيحَاتُهَا الْمُتَنَوِّعَةُ ، مُكَمَّلَةٌ وَمُنْتَظَمَةٌ لِلْغَايَةِ ، دُونَ أَنْ يَنْسَى أَحَداً ؛ وَيَلْتَبِسَ عَلَيْهِ أَحَدٌ أَصْلاً ، مَهْمَا كَانَ أَعْظَمَ وَأَكْمَلَ مِنْ جَيْشِ الْإِنْسَانِ وَمُعَسْكَرِهِ الْمَذْكُورِ ؛ فَإِنَّهُ يُعْلِنُ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ ، حَاكِمَ كُرَةِ الْأَرْضِ وَرَبَّهَا ، وَمُدَبِّرَهَا وَقَائِدَهَا الْأَقْدَسَ ، بِالْحَيْرَةِ وَالتَّقْدِيسِ ؛ وَيُحَبِّبُهُ بِالتَّحْمِيدِ وَالتَّسْبِيحِ ، بِمِقْيَاسِ مَا سَتَقْرَؤُونَ مِنْ فَنِّ الْعَسْكَرِيَّةِ ، لِلَّذِينَ هُمْ أُولُو رَوِيَّةٍ ؛ وَعُقُولُهُمْ فِي رُؤُوسِهِمْ . .

وَكَذَا كَمَا أَنَّ مَصْنَعَ الْكَهْرَبَاءِ وَمَصَابِيحَهَا ، الَّتِي هِيَ عَلَى وَجْهٍ تَسِيرُ بِالْمَلَايِينِ مُتَنَقِّلَةً إِلَى كُلِّ مَكَانٍ ، فِي مَدِينَةٍ خَارِقَةٍ ؛ وَلَا تَنْفَدُ مَادَّةُ اشْتِعَالِهَا ، تُعَرِّفُ بِالْحَيْرَةِ وَالتَّهْنِئَاتِ ؛ وَتُحَبِّبُ بِالتَّحِيَّاتِ ، صَانِعاً مُعْجِزاً ، وَكَهْرَبَائِيّاً مُقْتَدِراً فَوْقَ الْعَادَةِ ، يُدِيرُ الْكَهْرَبَاءَ ؛ وَيَصْنَعُ السُّرُجَ السَّيَّارَةَ ؛ وَيُؤَسِّسُ الْمَصْنَعَ ؛ وَيَأْتِي بِمَادَّةِ اشْتِعَالِهَا ، بِالْبَدَاهَةِ وَبِدُونِ شَكٍّ ؛ كَذَلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ مَصَابِيحَ النُّجُومِ الَّتِي هِيَ فِي مَدِينَةِ هٰذَا الْعَالَمِ ، فِي سَقْفِ قَصْرِ الدُّنْيَا ، قِسْمٌ مِنْهَا أَكْبَرُ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ أَلْفَ مَرَّةٍ ؛ وَيَدُورُ أَسْرَعَ مِنْ قَذِيفَةِ الْمِدْفَعِ سَبْعِينَ مَرَّةً ، إِذَا نُظِرَ إِلَى مَا يَقُولُ عِلْمُ الْفَلَكِيَّاتِ ؛ مَعَ أَنَّهَا لَا يَفْسُدُ نِظَامُهَا ؛ وَلَا يَتَصَادَمُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ؛ وَلَا تَنْطَفِئُ ؛ وَلَا تَنْفَدُ مَادَّةُ اشْتِعَالِهَا ؛ فَإِنَّ شَمْسَنَا الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ بِأَكْثَرَ مِنْ مِلْيُونِ مَرَّةٍ ؛ وَتَعِيشُ أَزْيَدَ مِنْ مِلْيُونِ سَنَةٍ ؛ وَهِيَ سِرَاجٌ وَمَوْقِدٌ فِي مَضْيَفَةٍ رَحْمَانِيَّةٍ ، يَلْزَمُ لِدَوَامِ اشْتِعَالِهَا كُلَّ يَوْمٍ ، حَسَبَ مَا قَرَأْتُمْ مِنَ الْفَلَكِيَّاتِ ، النِّفْطُ بِقَدَرِ بِحَارِ كُرَةِ الْأَرْضِ ، وَالْفَحْمُ مِقْدَارَ جِبَالِهَا ، أَوْ كُتَلُ الْحَطَبِ بِقَدَرِ أَلْفِ أَرْضٍ ؛ حَتَّى لَا تَنْطَفِئَ ؛ وَإِنَّ الْمَصَابِيحَ الْكَهْرَبَائِيَّةَ لِقَصْرِ الدُّنْيَا ، فِي مَدِينَةِ الْكَائِنَاتِ الْمُحْتَشَمَةِ هٰذِهِ ، الدَّالَّةَ بِأَصَابِعِ الضَّوْءِ ، عَلَى قُدْرَةٍ وَسَلْطَنَةٍ بِلَا نِهَايَةٍ ، تُوقِدَانِهَا وَأَمْثَالَهَا مِنْ نُجُومٍ عَالِيَةٍ ، بِدُونِ نِفْطٍ ، وَبِغَيْرِ حَطَبٍ ، وَبِلَا فَحْمٍ ؛ وَلَا تُطْفِئَانِهَا ؛ وَتُسَيِّرَانِهَا سَرِيعَةً وَمُجْتَمِعَةً ؛ وَلَا تَصْدِمَانِ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ ، مَهْمَا كَانَتْ هِيَ وَإِدَارَتُهَا أَكْمَلَ وَأَكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ الْمِثَالِ ؛ فَإِنَّهَا تُعَرِّفُ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ ، سُلْطَانَ مَشْهَرِ الْكَائِنَاتِ الْأَعْظَمِ

هٰذَا ، وَمُنَوِّرَهُ وَمُدَبِّرَهُ وَصانِعَهُ ؛ وَتُحَبِّبُهُ بِالتَّسْبِيحَاتِ وَالتَّقْدِيسَاتِ ، مُسْتَشْهِدَةً تِلْكَ النُّجُومَ النَّيِّرَاتِ ، بِمِقْيَاسِ مَا قَرَأْتُمْ ؛ أَوْ سَتَقْرَؤُونَ مِنْ فَنِّ الْكَهْرَبَاءِ . .

وَكَذَا كَمَا أَنَّهُ لَوْ وُجِدَ كِتَابٌ مَثَلاً ، كُتِبَ فِي سَطْرٍ وَاحِدٍ مِنْهُ ، كِتَابٌ بِرِقَّةٍ ؛ وَكُتِبَ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهُ ، سُورَةٌ قُرْآنِيَّةٌ بِالْقَلَمِ الرَّقِيقِ ؛ وَهُوَ مُفِيدٌ لِلْغَايَةِ ؛ وَتُؤَيِّدُ جَمِيعُ مَسَائِلِهِ بَعْضُهَا بَعْضاً ؛ وَيُظْهِرُ كَاتِبَهُ وَمُؤَلِّفَهُ ذَا مَهَارَةٍ وَاقْتِدَارٍ ؛ فَإِنَّ مَجْمُوعَةً عَجِيبَةً كَذٰلِكَ ، تُعْلِنُ كَاتِبَهَا وَمُصَنِّفَهَا بِكَمَالاَتِهِ وَآثَارِهِ ؛ وَتُعَرِّفُهُ مِثْلَ النَّهَارِ بِدُونِ شَكٍّ وَبِلا شُبْهَةٍ ؛ وَتُقَدِّرُهُ بِجُمْلَةِ : «مَا شَاءَ اللّٰهُ ، بَارَكَ اللّٰهُ» ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ كِتَابَ الْكَائِنَاتِ الْكَبِيرَ هٰذَا ، الَّذِي نُشَاهِدُ بِأَبْصَارِنَا أَنَّهُ يَعْمَلُ فِيهِ قَلَمٌ يَكْتُبُ فِي وَجْهِ الْأَرْضِ ، الَّتِي هِيَ صَحِيفَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُ ، وَفِي الرَّبِيعِ الَّذِي هُوَ كُرَّاسَةٌ وَاحِدَةٌ لَهُ ، ثَلاَثَمِئَةِ أَلْفِ طَائِفَةٍ نَبَاتِيَّةٍ وَحَيَوَانِيَّةٍ ، هِيَ فِي حُكْمِ ثَلاَثِمِئَةِ أَلْفِ كُتُبٍ مُخْتَلِفَةٍ ، يَكْتُبُهَا مُجْتَمِعَةً وَمُتَدَاخِلَةً بِدُونِ غَلَطٍ وَبِلا خَطَإٍ ، مُكَمَّلَةً وَمُنْتَظَمَةً دُونَ أَنْ يَخْلِطَ وَيُخْطِئَ ؛ وَأَحْيَاناً يَكْتُبُ فِي كَلِمَةٍ مِثْلِ الشَّجَرَةِ قَصِيدَةً ؛ وَفِي نُقْطَةٍ مِثْلِ النَّوَاةِ تَمَامَ فِهْرِسِ كِتَابٍ ؛ فَمَهْمَا كَانَتْ مَجْمُوعَةُ الْكَائِنَاتِ هٰذِهِ ، الْمُفِيدَةُ بِلا نِهَايَةٍ ، وَقُرْآنُ الْعَالَمِ هٰذَا الْقُرْآنُ الْأَكْبَرُ الْمُجَسَّمُ ، الَّذِي تُوجَدُ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهُ حِكَمٌ كَثِيرَةٌ ، أَعْظَمَ وَأَكْمَلَ وَأَفْيَدَ مِنَ الْكِتَابِ ، فِي الْمِثَالِ الْمَذْكُورِ ؛ فَإِنَّهُ يُعَرِّفُ نَقَّاشَ كِتَابِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، وَكَاتِبَهُ ، بِكَمَالاَتِهِ بِلا حَدٍّ ؛ وَيُعْلِنُهُ بِجُمْلَةِ «اَللّٰهُ أَكْبَرُ» ؛ وَيُعَرِّفُهُ بِتَقْدِيسِ «سُبْحَانَ اللّٰهِ» ؛ وَيُحَبِّبُهُ بِثَنَاءِ «اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ» بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ ، بِالْمَقَايِيسِ الْوَاسِعَةِ وَالْأَبْصَارِ النَّظَّارَةِ ، مِنْ مَقَايِيسِ فَنِّ حِكْمَةِ الْأَشْيَاءِ الَّذِي قَرَأْتُمْ ؛ وَمِنْ أَبْصَارِ فَنِّ الْقِرَاءَةِ وَفَنِّ الْكِتَابَةِ ، اللَّذَيْنِ بَاشَرْتُمُوهُمَا بِالْفِعْلِ فِي الْمَعْهَدِ . .

هٰذَا ، فَقِيَاساً عَلَى هٰذِهِ الْفُنُونِ ، يُعْلِنُ كُلُّ فَنٍّ مِنْ مِئَاتِ الْفُنُونِ ، خَالِقَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ذَا الْجَلاَلِ ، بِأَسْمَائِهِ ؛ وَيُعَرِّفُ صِفَاتِهِ وَكَمَالاَتِهِ ، بِمِقْيَاسِهِ الْوَاسِعِ ، وَبِمِرْآتِهِ الْخُصُوصِيَّةِ ، وَبِبَصَرِهِ ذِي النَّظَّارَةِ ، وَبِنَظَرِهِ ذِي الْعِبْرَةِ . .

هٰذَا ، فَلِأَجْلِ تَدْرِيسِ هٰذِهِ الْحُجَّةِ الْمَذْكُورَةِ الَّتِي هِيَ بُرْهَانُ وَحْدَانِيَّةٍ مُحْتَشِمٌ وَمُشْرِقٌ ، يُعَرِّفُ لَنَا الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ ، خَالِقَنَا ، أَزْيَدَ تَعْرِيفٍ ، بِآيَةِ ﴿رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ،

وَآيَةِ ﴿خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ، بِتَكْرَارٍ كَثِيرٍ : هٰكَذَا قُلْتُ لِأُولاَئِكَ الشُّبَّانِ الْمُعْهَدِيِّينَ . فَقَبِلُوهَا مُصَدِّقِينَ بِهَا بِتَمَامِهَا ؛ فَقَالُوا : شُكْراً لِرَبِّنَا بِلاَ حَدٍّ ؛ فَإِنَّنَا تَلَقَّيْنَا دَرْساً قُدُسِيّاً تَمَاماً ، وَعَيْنَ الْحَقِيقَةِ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ ــ . فَقُلْتُ : بَيْنَمَا كَانَ الْإِنْسَانُ جِهَازاً ذَا حَيَاةٍ ، يَتَأَلَّمُ بِآلاَفِ آلاَمٍ مُتَنَوِّعَةٍ ؛ وَيَتَلَذَّذُ بِآلاَفِ أَنْوَاعِ اللَّذَائِذِ ؛ وَمَخْلُوقاً بَائِساً ، يَذُوقُ صَفَعَاتِ الزَّوَالِ وَالْفِرَاقِ دَائِماً ؛ وَلَهُ أَعْدَاءٌ مَادِّيَّةٌ وَمَعْنَوِيَّةٌ ، مَعَ عَجْزِهِ بِغَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ وَلَهُ احْتِيَاجَاتٌ ظَاهِرِيَّةٌ وَبَاطِنِيَّةٌ بِلاَ حَدٍّ ، مَعَ فَقْرِهِ بِلاَ نِهَايَةٍ ؛ فَإِذَا بِهِ يَنْتَسِبُ بِالْإِيمَانِ وَالْعُبُودِيَّةِ ، إِلىٰ مِثْلِ هٰذَا السُّلْطَانِ ذِي الْجَلاَلِ ؛ فَيَجِدُ نُقْطَةَ اسْتِنَادٍ مُقَابِلَ جَمِيعِ أَعْدَائِهِ ، وَنُقْطَةَ اسْتِمْدَادٍ تَكُونُ مَدَاراً لِجَمِيعِ حَاجَاتِهِ ؛ فَكَمَا يَفْتَخِرُ كُلُّ أَحَدٍ ، بِشَرَفِ وَمَقَامِ سَيِّدِهِ الْمَنْسُوبِ هُوَ إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا انْتَسَبَ بِالْإِيمَانِ ، إِلىٰ مِثْلِ هٰذَا السُّلْطَانِ ، الْقَدِيرِ الرَّحِيمِ بِلاَ نِهَايَةٍ ؛ وَانْخَرَطَ بِالْعُبُودِيَّةِ فِي خِدْمَتِهِ ؛ وَحَوَّلَ إِعْلاَنَ إِعْدَامِ الْأَجَلِ ، إِلىٰ تَذْكِرَةِ التَّسْرِيحِ فِي حَقِّهِ ؛ فَكَمْ يَصِيرُ مَمْنُوناً وَمَسْرُوراً ؛ وَكَمْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْتَخِرَ مَشْكُوراً ؟ فَقِيسُوا عَلَيْهِ . . فَكَمَا قُلْتُ لِأُولاَئِكَ الْفِتْيَانِ الْمَدْرَسِيِّينَ ؛ أَقُولُ بِتَكْرَارٍ ، لِلْمَسْجُونِينَ الْمُصَابِينَ أَيْضاً : إِنَّ مَنْ عَرَفَهُ تَعَالىٰ وَأَطَاعَهُ ، فَهُوَ سَعِيدٌ ؛ وَإِنْ كَانَ فِي السِّجْنِ ؛ وَمَنْ نَسِيَهُ ، فَهُوَ شَقِيٌّ وَفِي الزِّنْزَانِ ؛ وَلَوْ كَانَ فِي الْقُصُورِ ؛ حَتّىٰ إِنَّ مَظْلُوماً سَعِيداً قَالَ لِلظَّالِمِينَ الْأَشْقِيَاءِ ، وَهُوَ يُعْدَمُ : إِنِّي لاَ أُعْدَمُ ؛ بَلْ أَذْهَبُ بِالتَّسْرِيحِ إِلىٰ السَّعَادَةِ ؛ وَلٰكِنِّي أَنْتَقِمُ مِنْكُمْ تَمَاماً ، مِنْ مُشَاهَدَتِي لَكُمْ مَحْكُومِينَ بِالْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ؛ فَقَالَ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ ؛ فَسَلَّمَ رُوحَهُ بِالسُّرُورِ . .

﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

اَلْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ :

مَحْصُولُ يَوْمِ جُمُعَةٍ، فِي سِجْنِ «دَنِزْلِي» . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَٓا اَمْرُ السَّاعَةِ اِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ اَوْ هُوَ اَقْرَبُ . . مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ اِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ . . فَانْظُرْ اِلٰٓى اٰثَارِ رَحْمَتِ اللّٰهِ كَيْفَ يُحْيِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۜ اِنَّ ذٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتٰىۚ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ . .

إِنَّ الْمَسْجُونِينَ الَّذِينَ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَتَّصِلُوا بِي ، فِي سِجْنِ (دَنِزْلِي) ، قَرَأُوا الدَّرْسَ الَّذِي أَمْلَيْتُهُ بِأَلْسِنَةِ فُنُونِ الْمَعَاهِدِ ، فِي الْمَسْأَلَةِ السَّادِسَةِ السَّابِقَةِ ، عَلَى تَلَامِذَةِ الثَّانَوِيَّةِ فِي (قَسْطَمُونِي) فِي زَمَنٍ مَّا ، الَّذِينَ قَالُوا : عَرِّفْ لَنَا خَالِقَنَا ؛ فَاسْتَفَادُوا مِنْهُ قَنَاعَةً إِيمَانِيَّةً تَامَّةً ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ أَحَسُّوا بِاشْتِيَاقٍ مَّا إِلَى الْآخِرَةِ ؛ فَقَالُوا : عَلِّمْنَا آخِرَتَنَا تَمَاماً أَيْضاً ؛ حَتَّى لَا تُضِلَّنَا أَنْفُسُنَا وَشَيَاطِينُ الزَّمَانِ عَنِ الصِّرَاطِ ؛ فَلَا تُقْحِمَنَا بَعْدُ ، فِي مِثْلِ هٰذِهِ السُّجُونِ . . فَلَزِمَ بَيَانُ خُلَاصَةٍ مَّا ، لِرُكْنِ الْآخِرَةِ أَيْضاً ، بِاقْتِرَاحِ تَلَامِذَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، وَقُرَّاءِ الْمَسْأَلَةِ السَّادِسَةِ السَّابِقَةِ ، الَّذِينَ كَانُوا فِي سِجْنِ (دَنِزْلِي) . .

فَأَقُولُ بِخُلَاصَةٍ مُخْتَصَرَةٍ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» : إِنَّنَا كَمَا سَأَلْنَا الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ ، عَنْ خَالِقِنَا ، فِي الْمَسْأَلَةِ السَّادِسَةِ ؛ فَعَرَّفْنَ لَنَا خَالِقَنَا كَالشَّمْسِ ، بِأَلْسِنَةِ الْفُنُونِ ؛ فَإِنَّنَا كَذٰلِكَ أَيْضاً سَنَسْأَلُ أَوَّلاً رَبَّنَا ذٰلِكَ الَّذِي عَرَفْنَاهُ ، ثُمَّ نَبِيَّنَا ، ثُمَّ قُرْآنَنَا ، ثُمَّ سَائِرَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ ، ثُمَّ الْمَلَائِكَةَ ، ثُمَّ الْكَائِنَاتِ ، عَنِ الْآخِرَةِ . .

هٰذَا ، فَنَسْأَلُ اللهَ عَنِ الْآخِرَةِ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى . . وَهُوَ يَقُولُ بِجَمِيعِ مَا بَعَثَهُ مِنْ رُسُلِهِ

وَكُتُبِهِ ، وَبِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ : نَعَمْ إِنَّ الْآخِرَةَ مَوْجُودَةٌ ؛ وَأَسُوقُكُمْ إِلَىٰ هُنَاكَ . . وَإِنَّ الْمَقَالَةَ الْعَاشِرَةَ ، أَثْبَتَتْ وَأَوْضَحَتْ بِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ حَقِيقَةً نَاصِعَةً وَقَاطِعَةً ، الْأَجْوِبَةَ الْعَائِدَةَ إِلَى الْآخِرَةِ ، لِقِسْمٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ . فَاكْتِفَاءً بِذٰلِكَ الْإِيضَاحِ ، نُشِيرُ هٰهُنَا إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً لِلْغَايَةِ . .

نَعَمْ : إِذَا لَمْ تَكُنْ سَلْطَنَةٌ لَا تُوجَدُ مُكَافَأَتُهَا لِلْمُطِيعِينَ ، وَمُجَازَاتُهَا لِلْعَاصِينَ لِتِلْكَ السَّلْطَنَةِ ؛ فَإِنَّهُ سَتَكُونُ لِسَلْطَنَةٍ سَرْمَدِيَّةٍ فِي مَرْتَبَةِ الرُّبُوبِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ، مُكَافَأَةٌ لِلَّذِينَ انْتَسَبُوا إِلَىٰ تِلْكَ السَّلْطَنَةِ بِالْإِيمَانِ ؛ وَأَسْلَمُوا لِأَوَامِرِهَا بِالْإِطَاعَةِ ، وَمُجَازَاةٌ لِمَنْ أَنْكَرُوا تِلْكَ السَّلْطَنَةَ الْعَزِيزَةَ ، بِالْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ ، سَتَكُونُ عَلَىٰ وَجْهٍ لَائِقٍ بِتِلْكَ الرَّحْمَةِ وَالْجَمَالِ ، وَبِتِلْكَ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ : هٰكَذَا يُجِيبُ اسْمُ «رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالسُّلْطَانِ الدَّيَّانِ» . .

وَأَيْضاً إِذَا كُنَّا نُشَاهِدُ بِأَعْيُنِنَا رَحْمَةً عُمُومِيَّةً ، وَكَرَماً وَشَفَقَةً مُحِيطَةً ، فِي وَجْهِ الْأَرْضِ ، كَالشَّمْسِ وَمِثْلَ النَّهَارِ ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الرَّحْمَةَ مَثَلاً ، تُلْبِسُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ الْمُثْمِرَةِ ؛ فَتُزَيِّنُهَا فِي كُلِّ رَبِيعٍ مِثْلَ حُورِ الْجَنَّةِ ؛ فَتُعْطِي لِأَيْدِيهَا كُلَّ نَوْعٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ ؛ فَتَمُدُّهَا إِلَيْنَا ؛ فَتَقُولُ : هَاؤُمُوا تَنَاوَلُوا ؛ كَمَا تُطْعِمُنَا الْعَسَلَ الشَّافِيَ الْحُلْوَ ، بِيَدِ ذُبَابَةٍ سَامَّةٍ ؛ وَتُلْبِسُ عَلَيْنَا الْحَرِيرَ الْأَنْعَمَ ، بِيَدِ حَشَرَةٍ بِلَا يَدٍ ؛ كَمَا تَدَّخِرُ لَنَا آلَافَ رَطْلٍ مِنَ الْأَطْعِمَةِ ، فِي نَوًى وَبُذَيْرَاتٍ صَغِيرَةٍ بِقَدَرِ حَفْنَةٍ ؛ وَتُمَكِّنُهَا فِي تِلْكَ الْمُسْتَوْدَعَاتِ الصَّغِيرَةِ ، لِتَكُونَ ذَخِيرَةَ الِاحْتِيَاطِ ؛ فَلَا تَكُونُ أَيَّةُ شُبْهَةٍ قَطْعاً : أَنَّ رَحْمَةً وَشَفَقَةً كَذٰلِكَ ، لَا تُعْدِمُ هٰؤُلَآءِ النَّاسَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَحْبُوبِينَ ، الْمُتَشَكِّرِينَ وَالْمُتَعَبِّدِينَ الَّذِينَ رَبَّتْهُمْ بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ اللَّطِيفَةِ ؛ بَلْ تُسَرِّحُهُمْ عَنْ وَظِيفَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، لِجَعْلِهِمْ مَظَاهِرَ لِرَحَمَاتٍ مُشْرِقَةٍ أُخْرَىٰ : هٰكَذَا يُجِيبُ عَلَىٰ سُؤَالِنَا اسْمَا «الرَّحِيمِ وَالْكَرِيمِ» ؛ وَيَقُولَانِ : «اَلْجَنَّةُ حَقٌّ» . .

وَأَيْضاً إِذَا كُنَّا نَرَىٰ بِأَبْصَارِنَا ، أَنَّ يَدَ حِكْمَةٍ كَذٰلِكَ ، تَعْمَلُ فِي جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَفِي وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ وَأَنَّ الْأُمُورَ تَدُورُ بِمَقَايِيسِ عَدَالَةٍ كَذٰلِكَ ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ عَقْلُ الْبَشَرِ أَنْ يَتَصَوَّرَ فَوْقَ ذٰلِكَ ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ حِكْمَةً أَزَلِيَّةً تَكْتُبُ جَمِيعَ تَرْجَمَةِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ ، فِي قُوَّتِهِ الْحَافِظَةِ الَّتِي هِيَ بِقَدَرِ نَوَاةٍ صَغِيرَةٍ فَقَطْ ؛ وَتَكْتُبُ مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ حَادِثَاتٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِهِ ، فِي تِلْكَ الْقُوَّةِ

الصَّغِيرَةِ ؛ فَتَجْعَلُهَا فِي حُكْمِ مَكْتَبَةٍ ؛ وَتُعْطِيهَا بِيَدِ كُلِّ إِنْسَانٍ ؛ فَتَضَعُهَا فِي جَيْبِ دِمَاغِهِ ، بِسِرِّ التَّذْكِيرِ كُلَّ وَقْتٍ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا سَنَدٌ صَغِيرٌ لِدَفْتَرِ أَعْمَالِ الْإِنْسَانِ ، الَّتِي سَتُنْشَرُ لِأَجْلِ مُحَاكَمَةِ الْإِنْسَانِ فِي الْحَشْرِ ، مِنَ الْحِكَمِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِأَلْفِ جِهَازٍ لِلْإِنْسَانِ ؛ وَإِنَّ عَدَالَةً سَرْمَدِيَّةً تُمَكِّنُ فِي جَمِيعِ الْمَصْنُوعَاتِ ، أَعْضَاءَهَا ، بِمَوَازِينَ حَسَّاسَةٍ لِلْغَايَةِ ؛ وَتَصْنَعُ الْمَصْنُوعَاتِ حُسْنَ صَنْعَةٍ ، فِي تَنَاسُبٍ وَمُوَازَنَةٍ وَانْتِظَامٍ وَجَمَالٍ ، بِمَقَايِيسَ بِلَا إِسْرَافٍ ، مِنَ الْجُرْثُومَةِ إِلَى الْكَرْكَدَّنِ ، وَمِنَ الذُّبَابَةِ إِلَى الْعُقَابِ ، وَمِنْ نَبَاتٍ مُزْهِرٍ ، إِلَى زَهْرَةِ الرَّبِيعِ الَّذِي فَتَحَ مِلْيَارَاتِ الْأَزْهَارِ وَتِرِلْيُونَاتِهَا ؛ وَتُعْطِي حُقُوقَ حَيَاةِ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ ، بِكَمَالِ الْمِيزَانِ ؛ وَتَسْتَنْتِجُ لِلْحَسَنَاتِ نَتَائِجَ حَسَنَةً ، وَلِلسَّيِّئَاتِ نَتَائِجَ سَيِّئَةً ؛ وَتُشْعِرُ بِنَفْسِهَا قَوِيَّةً جِدّاً ، بِصَفَعَاتٍ صَفَعَهَا الْأَقْوَامَ الطَّاغِيَةَ وَالظَّالِمَةَ ، مُنْذُ زَمَنِ آدَمَ ؛ فَلَا تَأْتِي بِأَيَّةِ شُبْهَةٍ قَطْعاً ، أَنَّ تِلْكَ الْحِكْمَةَ الْأَزَلِيَّةَ ، وَتِلْكَ الْعَدَالَةَ السَّرْمَدِيَّةَ ، لَا تَكُونَانِ بِدُونِ الْآخِرَةِ ؛ كَمَا لَا تَكُونُ الشَّمْسُ بِلَا نَهَارٍ ؛ وَلَا تَسْمَحَانِ بِأَيَّةِ جِهَةٍ ، بِبَغْيٍ وَظُلْمٍ وَعَبَثٍ رَهِيبٍ بِدُونِ عَاقِبَةٍ ، فِي زَوَالِ أَشَدِّ الظَّالِمِينَ ، وَأَذَلِّ الْمَظْلُومِينَ ، فِي الْمَوْتِ عَلَى نَمَطٍ وَاحِدٍ : هٰكَذَا يُجِيبُ عَلَى سُؤَالِنَا ، الْجَوَابَ الْقَاطِعَ ، اسْمُ «الْحَكِيمِ وَالْحَكَمِ ، وَالْعَدْلِ وَالْعَادِلِ» . .

وَأَيْضاً إِذَا كَانَ يُفْهَمُ قَطْعاً ، مِنْ إِعْطَاءِ جَمِيعِ حَاجَاتِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ ، وَجَمِيعِ مَطَالِبِهَا الْفِطْرِيَّةِ الَّتِي لَا تَنَالُهَا أَيْدِيهَا ؛ وَلَيْسَتْ فِي دَائِرَةِ اقْتِدَارِهَا ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَطْلُبُهَا بِلِسَانِ الِاسْتِعْدَادِ الْفِطْرِيِّ ، وَلِسَانِ الِاحْتِيَاجِ الضَّرُورِيِّ ، اللَّذَيْنِ هُمَا نَوْعٌ مِنَ الدُّعَاءِ ، إِعْطَاءً مِنْ جَانِبِ يَدٍ غَيْبِيَّةٍ رَحِيمَةٍ وَسَمِيعَةٍ وَمُشْفِقَةٍ لِلْغَايَةِ ؛ وَيُفْهَمُ مِنْ قَبُولِ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ دَعَوَاتٍ فِي الْعَشْرِ ، مِنَ الدَّعَوَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ الِاخْتِيَارِيَّةِ ، وَلَاسِيَّمَا دَعَوَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْخَوَاصِّ ، قَبُولاً مُخَالِفاً لِلْعَادَةِ ، يُفْهَمُ أَنَّ وَرَاءَ الْحِجَابِ ، سَمِيعاً مُجِيباً ، يَسْمَعُ وَيَسْتَمِعُ لِأَنِينِ كُلِّ عَلِيلٍ ، وَلِدُعَاءِ كُلِّ مُحْتَاجٍ ؛ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِ ؛ فَيَرَى أَصْغَرَ احْتِيَاجٍ لِأَصْغَرِ ذِي حَيَاةٍ ؛ وَيَسْمَعُ أَخْفَى أَنِينٍ لَهُ ؛ فَيُشْفِقُ عَلَيْهِ ؛ وَيُجِيبُهُ فِعْلاً ؛ وَيُفَرِّحُهُ ؛ فَلَا يَبْقَى احْتِمَالُ أَيَّةِ شُبْهَةٍ قَطْعاً ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ : أَنَّ مُحَمَّداً (عليه الصلاة والسلام) ، الَّذِي يَحْتَوِي دُعَاؤُهُ ، أَهَمَّ دَعَوَاتِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، الَّذِي هُوَ أَهَمُّ

الْمَخْلُوقَاتِ ، تِلْكَ الدَّعَوَاتِ الْعَامَّةِ الْعَائِدَةِ إِلَى الْبَقَاءِ الْأُخْرَوِيِّ ، وَالْمُتَعَلِّقَةِ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ، وَبِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ؛ وَالَّذِي أَخَذَ وَرَاءَهُ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ ، الَّذِينَ هُمْ شُمُوسُ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، وَنُجُومُهُمْ وَقَادَتُهُمْ ؛ فَيَسُوقُهُمْ إِلَى التَّأْمِينِ عَلَى دُعَائِهِ ؛ وَيُؤَمِّنُ كُلُّ فَرْدٍ مُتَدَيِّنٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، عَلَى دُعَائِهِ ، بِإِتْيَانِ الصَّلَوَاتِ عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ ، عِدَّةَ مَرَّاتٍ عَلَى الْأَقَلِّ ؛ بَلْ وَتُشَارِكُ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ دُعَاءَهُ ذٰلِكَ ؛ فَيَقُولُونَ : «نَعَمْ يَا رَبَّنَا ! أَعْطِ مَطْلَبَهُ ؛ فَإِنَّنَا أَيْضاً نَطْلُبُ مَطْلُوبَهُ» ؛ فَإِنَّ دُعَاءَهُ الْوَحِيدَ فَقَطْ ، مِنْ أَسْبَابِ الْحَشْرِ الْمُوجِبَةِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، لِأَجْلِ الْبَقَاءِ الْأُخْرَوِيِّ وَالسَّعَادَةِ ، تَحْتَ جَمِيعِ هٰذِهِ الشَّرَائِطِ الَّتِي لَا تُرَدُّ ، هُوَ سَبَبٌ كَافٍ لِوُجُودِ الْجَنَّةِ ، وَلِإِيجَادِ الْآخِرَةِ ، الْهَيِّنِ عَلَى قُدْرَتِهِ ، بِقَدَرِ إِيجَادِ الرَّبِيعِ : هٰكَذَا يُجِيبُ عَلَى سُؤَالِنَا ، اسْمُ «الْمُجِيبِ وَالسَّمِيعِ وَالرَّحِيمِ» . .

وَأَيْضاً إِذَا كَانَ مُتَصَرِّفٌ وَرَاءَ الْحِجَابِ ، فِي الْمَمَاتِ وَالْحَيَاةِ الْكُلِّيَّيْنِ ، فِي تَبَدُّلِ الْمَوَاسِمِ ، فِي وَجْهِ الْأَرْضِ ، مِثْلَ دَلَالَةِ النَّهَارِ بِالْبَدَاهَةِ عَلَى الشَّمْسِ ، يُدِيرُ كُرَةَ الْأَرْضِ الْجَسِيمَةِ ، بِغَايَةِ الِانْتِظَامِ ، فِي سُهُولَةِ حَدِيقَةٍ ، بَلْ شَجَرَةٍ وَفِي انْتِظَامِهَا ؛ وَالرَّبِيعَ الْعَظِيمَ فِي سُهُولَةِ زَهْرَةٍ ، وَفِي زِينَتِهَا الْمَوْزُونَةِ ؛ وَيَكْتُبُ فِي صَحِيفَةِ الْأَرْضِ ، طَوَائِفَ النَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ ثَلَاثِمِئَةِ أَلْفِ كِتَابٍ ، يُظْهِرُ فِيهَا ثَلَاثَمِئَةِ أَلْفِ مِثَالٍ وَنَمَطٍ لِلْحَشْرِ وَالنَّشْرِ ؛ وَكَانَ قَلَمُ قُدْرَةٍ يَكْتُبُهَا مُكَمَّلَةً ، مُنْتَظِمَةً وَمُفِيدَةً ، مُجْتَمِعَةً وَمُتَدَاخِلَةً ، دُونَ أَنْ يُخْطِئَ وَلَا أَنْ يَخْلِطَهَا وَهِيَ مُخْتَلِطَةٌ ، وَبِدُونِ الْتِبَاسٍ وَبِغَيْرِ سَهْوٍ وَبِلَا خَطَإٍ ؛ كَمَا يَعْمَلُ فِي عَظَمَتِهِ هٰذِهِ ، بِرَحْمَةٍ بِلَا حَدٍّ ، وَحِكْمَةٍ بِلَا نِهَايَةٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ أَعْطَى الْإِنْسَانَ مَقَاماً فَوْقَ الْعَادَةِ ، بِتَسْخِيرِ الْكَائِنَاتِ الْعَظِيمَةِ ، وَبِتَزْيِينِهَا وَتَفْرِيشِهَا لَهُ كَأَحَدِ بُيُوتِهِ ، وَبِجَعْلِ ذٰلِكَ الْإِنْسَانِ خَلِيفَةَ الْأَرْضِ ، وَبِإِعْطَائِهِ لَهُ الْأَمَانَةَ الْكُبْرَى الَّتِي أَبَتِ الْجِبَالُ وَالْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ عَنْ تَحَمُّلِهَا ، وَبِتَكْرِيمِهِ إِيَّاهُ بِمَرْتَبَةِ الْقِيَادَةِ بِدَرَجَةٍ مَّا ، لِسَائِرِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، وَبِتَشْرِيفِهِ بِمُكَالَمَتِهِ وَخِطَابَاتِهِ السُّبْحَانِيَّةِ ؛ وَوَعَدَهُ وَعَهِدَ لَهُ قَطْعاً ، فِي جَمِيعِ الْعُهُودِ السَّمَاوِيَّةِ ، بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالْبَقَاءِ الْأُخْرَوِيِّ ؛ فَلَا تَكُونُ شُبْهَةٌ قَطْعاً وَأَصْلاً : أَنَّهُ سَيَفْتَحُ دَارَ السَّعَادَةِ ، الْهَيِّنَةَ عَلَى قُدْرَتِهِ بِقَدَرِ الرَّبِيعِ ؛ وَيَصْنَعُهَا لِأُولَائِكَ النَّاسِ

الْمُكَرَّمِينَ وَالْمُشَرَّفِينَ ؛ وَسَيَأْتِي بِالْحَشْرِ وَالْقِيامَةِ: هٰكَذَا يُجِيبُ عَلٰى سُؤَالِنَا لِخَالِقِنَا ، اسْمُ «الْمُحْيِي وَالْمُمِيتِ ، وَالْحَيِّ وَالْقَيُّومِ ، وَالْقَدِيرِ وَالْعَلِيمِ» . . نَعَمْ : إِنَّ قُدْرَةً تُحْيِي فِي كُلِّ رَبِيعٍ ، جَمِيعَ الْأَشْجَارِ وَعُرُوقِ النَّبَاتَاتِ بِعَيْنِهَا ؛ وَتُنْشِئُ نَمَاذِجَ ثَلاثِمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ مِنَ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ النَّبَاتِيَّةِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ ، إِذَا قُوبِلَ خَيَالاً ، أَلْفُ سَنَةٍ مِمَّا قَضَتْ أُمَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ «مُحَمَّدٍ وَمُوسٰى» ، (عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ؛ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ؛ يُشَاهَدُ أَنَّهَا تُظْهِرُ فِي أَلْفَيْ رَبِيعٍ[1] ، أَلْفَ مِثَالٍ وَأَلْفَ دَلِيلٍ لِلْحَشْرِ وَالنَّشْرِ . وَإِنَّ اسْتِبْعَادَ الْحَشْرِ الْجِسْمَانِيِّ ، عَنْ مِثْلِ هٰذِهِ الْقُدْرَةِ ، هُوَ أَلْفُ دَرَجَةٍ مِنَ الْعَمَايَةِ وَالسَّخَافَةِ . .

وَأَيْضاً إِذَا كَانَ مِئَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفاً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، الَّذِينَ هُمْ أَشْهَرُ نَوْعِ الْبَشَرِ ، يُعْلِنُونَ بِالِاتِّفَاقِ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ ، وَالْبَقَاءَ الْأُخْرَوِيَّ ، اسْتِنَاداً إِلَى الْآلافِ مِنْ وُعُودِ الْحَقِّ ، وَعُهُودِهِ تَعَالٰى ؛ فَيُثْبِتُونَ بِمُعْجِزَاتِهِمْ أَنَّهُمْ صَادِقُونَ ؛ كَمَا أَنَّ مَنْ لا حَدَّ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْوِلَايَةِ ، يُوَقِّعُونَ عَلٰى عَيْنِ الْحَقِيقَةِ ، بِالْكَشْفِ وَالذَّوْقِ ؛ فَلا رَيْبَ أَنَّ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ ، تَصِيرُ ظَاهِرَةً كَالشَّمْسِ ؛ فَمَنِ اشْتَبَهَ يُصْبِحُ مَجْنُوناً . . نَعَمْ : إِنَّ حُكْمَ شَخْصٍ أَوْ شَخْصَيْنِ مُتَخَصِّصَيْنِ فِي فَنٍّ وَفِي صَنْعَةٍ ، وَفِكْرَهُمَا الْعَائِدَ إِلٰى ذٰلِكَ الْفَنِّ وَتِلْكَ الصَّنْعَةِ ، يُسْقِطُ عَنِ الْحُكْمِ الْأَفْكَارَ الْمُخَالِفَةَ ، مِنْ أَفْكَارِ أَلْفِ شَخْصٍ ، لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ اخْتِصَاصٌ ؛ وَلَوْ كَانُوا عُلَمَاءَ وَأَهْلَ اخْتِصَاصٍ فِي سَائِرِ الْفُنُونِ ؛ كَمَا أَنَّ مُثْبِتَيْنِ يَغْلِبَانِ أَلْفَ مُنْكِرٍ وَنَافٍ ؛ فَيَفُوزَانِ بِالدَّعْوٰى ، فِي إِثْبَاتِ هِلالِ رَمَضَانَ ، فِي يَوْمِ الشَّكِّ مَثَلاً ، وَفِي الِادِّعَاءِ بِأَنَّهُ تُوجَدُ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، حَدِيقَةُ الْجَوْزِ الْهِنْدِيِّ الشَّبِيهِ بِمُعَلَّبَاتِ الْحَلِيبِ ؛ لِأَنَّ الْمُثْبِتَ إِذَا أَرٰى جَوْزاً هِنْدِيّاً أَوْ مَكَانَهُ فَقَطْ ، يَفُوزُ بِالدَّعْوٰى بِسُهُولَةٍ ؛ وَأَنَّ مَنْ نَفَاهُ وَأَنْكَرَهُ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ يُثْبِتَ دَعْوَاهُ ، بِالتَّحَرِّي وَالتَّمْشِيطِ لِجَمِيعِ وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَبِإِرَاءَةِ عَدَمِ وُجُودِهِ فِي أَيِّ مَكَانٍ ؛ كَمَا أَنَّ مَنْ يُخْبِرُ وَيُثْبِتُ الْجَنَّةَ وَدَارَ السَّعَادَةِ ، يَفُوزُ بِالدَّعْوٰى بِإِرَاءَةِ أَثَرٍ لَهَا ، كَمَا فِي السِّينَمَا ، وَظِلٍّ وَتَرَشُّحٍ مِنْهَا فَقَطْ بِالْكَشْفِ ؛

---

(١) إِنَّ كُلَّ رَبِيعٍ سَابِقٍ ، قَامَتْ قِيَامَتُهُ ؛ فَمَاتَ ؛ وَإِنَّ الرَّبِيعَ الْمُقَابِلَ لَهُ ، هُوَ فِي حُكْمِ حَشْرِهِ . . الْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) . .

مَعَ أَنَّ مَنْ يَنْفِيهَا وَيُنْكِرُهَا ، إِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ يَفُوزَ بِالدَّعْوَى بِإِثْبَاتِ إِنْكَارِهِ وَنَفْيِهِ ، بِرُؤْيَةِ وَإِرَاءَةِ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ وَالْأَزْمِنَةِ ، مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ . فَمِنْ هٰذَا السِّرِّ الْأَهَمِّ ، اتَّفَقَ أَهْلُ التَّحْقِيقِ ، عَلٰى أَنَّ أَنْوَاعَ النَّفْيِ وَالْإِنْكَارِ ، الَّتِي لَا تَنْظُرُ إِلٰى مَكَانٍ خَاصٍّ ؛ وَتَنْظُرُ إِلٰى عُمُومِ الْكَائِنَاتِ ، مِثْلَ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ، لَا تُثْبَتُ بِشَرْطِ أَنْ لَا تَكُونَ مُسْتَحِيلَةً فِي ذَاتِهَا ؛ فَقَبِلُوهُ دُسْتُوراً أَسَاسِيّاً . . فَبِنَاءً عَلٰى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْقَطْعِيَّةِ ، كَانَ اللَّازِمُ أَنْ لَا تُورِثَ أَفْكَارُ آلَافِ الْفَلَاسِفَةِ الْمُخَالِفَةُ ، شُبْهَةً ، بَلْ وَسْوَسَةً أَصْلاً ، فِي مِثْلِ هٰذِهِ الْمَسَائِلِ الْإِيمَانِيَّةِ ، تِجَاهَ مُخْبِرٍ صَادِقٍ فَقَطْ ؛ فَإِنَّ الْوُقُوعَ فِي الشُّبْهَةِ ، فِي الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ ، الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا مِئَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفاً مِنْ أَهْلِ الِاخْتِصَاصِ وَالْمُخْبِرِينَ الصَّادِقِينَ الْمُثْبِتِينَ ، وَمَنْ لَا حَدَّ وَلَا نِهَايَةَ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ وَأَصْحَابِ التَّحْقِيقِ الْمُثْبِتِينَ وَالْمُتَخَصِّصِينَ ، بِإِنْكَارِ عِدَّةِ فَلَاسِفَةٍ لَا قَلْبَ لَهُمْ ، نَزَلَتْ عُقُولُهُمْ إِلٰى عُيُونِهِمْ ؛ وَتَبَاعَدُوا عَنِ الْمَعْنَوِيَّاتِ ؛ وَتَعَامَوْا فِيهَا ، كَمْ يَكُونُ حَمَاقَةً وَبَلَاهَةً ؛ فَقِيسُوا عَلَيْهِ . .

وَأَيْضاً إِذَا كُنَّا نُشَاهِدُ بِأَبْصَارِنَا ، فِي أَنْفُسِنَا وَفِيمَا حَوْلَنَا ، رَحْمَةً عَامَّةً ، وَحِكْمَةً شَامِلَةً ، وَعِنَايَةً دَائِمَةً ، مِثْلَ النَّهَارِ ؛ وَنَرَى آثَارَ وَجِلْوَاتِ سَلْطَنَةٍ رُبُوبِيَّةٍ فَرِيعَةٍ ، وَعَدَالَةٍ عَالِيَةٍ دَقِيقَةٍ ، وَإِجْرَاءَاتٍ جَلَالِيَّةٍ عَزِيزَةٍ ؛ حَتّٰى إِنَّ حِكْمَةً تُعَلِّقُ عَلٰى شَجَرَةٍ حِكَماً بِعَدَدِ أَثْمَارِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَزْهَارِهَا ؛ وَإِنَّ رَحْمَةً رَبَطَتْ بِكُلِّ إِنْسَانٍ إِحْسَانَاتٍ وَإِنْعَامَاتٍ عَدَدَ قُوَاهُ وَجِهَازَاتِهِ وَحِسِّيَّاتِهِ ؛ وَإِنَّ عَدَالَةً ذَاتَ عِزَّةٍ وَعِنَايَةٍ ، صَفَعَتْ أَقْوَاماً عَاصِيَةً مِثْلَ قَوْمِ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ (عليهم السلام) ، وَقَوْمِ عَادٍ وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ ؛ وَتُحَافِظُ عَلٰى حَقِّ أَصْغَرِ ذِي حَيَاةٍ ؛ وَإِنَّ سَلْطَنَةً رُبُوبِيَّةً تُفْهِمُ عَظَمَتَهَا بِغَيْرِ نِهَايَةٍ ، بِأَنَّ مَا فِي تُكْنَةِ الْأَرْضِ ، يُظْهِرُ فِي كُلِّ رَبِيعٍ ، بِصُوَرِ مَلَكِ الرَّعْدِ ، عَيْنَ الْوَضْعِ الَّذِي تَذْكُرُهُ آيَةُ : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَآ أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ الَّذِي يُثْبِتُهُ فَيَدُلُّ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهَا تَقُولُ بِإِيجَازٍ عَظِيمٍ : «كَمَا أَنَّ عَسَاكِرَ مُطِيعِينَ نَائِمِينَ وَمُقِيمِينَ فِي ثُكْنَتَيْنِ ، يَأْتُونَ بِدَعْوَةِ قَائِدٍ ، بِصَيْحَةِ الْبُوقِ : حَيَّ عَلَى السِّلَاحِ ، حَيَّ عَلَى الْوَظِيفَةِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ فَإِنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةَ ، هُمَا مِثْلُ

ثُكْنَتَيْنِ مُطِيعَتَيْنِ لِعَساكِرِ السُّلْطانِ الْأَزَلِيِّ ، فِي إِطاعَتِهِما لِلْأَمْرِ ، وَفِي مِثالِ هاتَيْنِ الثُّكْنَتَيْنِ ؛ فَمَتَىٰ نُودِيَ النَّائِمُونَ بِالْمَوْتِ ، فِي تَيْنِكَ الثُّكْنَتَيْنِ ، بِصُورِ إِسْرَافِيلَ (عليه السلام) ؛ يَلْبَسُونَ لِباسَ الْأَجْسادِ ؛ فَيَقْفِزُونَ إِلَى الْخارِجِ ، فِي الْحالِ» ؛ فَلا رَيْبَ أَنَّ تِلْكَ الرَّحْمَةَ وَالْحِكْمَةَ ، وَالْعِنايَةَ وَالْعَدالَةَ ، وَالسَّلْطَنَةَ السَّرْمَدِيَّةَ ، لا تَأْتِي بِالشُّبْهَةِ قَطْعاً وَأَصْلاً ، وَعَلىٰ كُلِّ حالٍ : أَنَّ انْقِلابَ جَمالِ تِلْكَ الرَّحْمَةِ بِلا نِهايَةٍ ، إِلىٰ ظُلْمٍ قَبِيحٍ بِغَيْرِ نِهايَةٍ ؛ وَأَنَّ عَوْدَةَ كَمالِ تِلْكَ الْحِكْمَةِ بِلا حَدٍّ ، إِلىٰ عَبَثِيَّةٍ مُقَصِّرَةٍ بِلا حَدٍّ ، وَإِلىٰ إِسْرافاتٍ بِدُونِ فائِدَةٍ ؛ وَأَنَّ تَبَدُّلَ تِلْكَ الْعِنايَةِ الْحُلْوَةِ لِلْغايَةِ ، إِلىٰ إِهاناتٍ أَلِيمَةٍ لِلْغايَةِ ؛ وَأَنَّ قَلْبَ تِلْكَ الْعَدالَةِ الْحَقَّةِ وَالْمَوْزُونَةِ لِلْغايَةِ ، بِمَظالِمَ شَدِيدَةٍ لِلْغايَةِ ؛ وَأَنَّ سُقُوطَ تِلْكَ السَّلْطَنَةِ الْقَوِيَّةِ ، وَالْمُحْتَشِمَةِ فِي غايَةِ الدَّرَجَةِ ، بِعَدَمِ فَتْحِ دارِ الْآخِرَةِ وَدائِرَةِ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ ؛ وَأَنَّ ضَياعَ حِشْمَتِها كُلِّيّاً ؛ وَتَلَوُّثَ كَمالاتِ رُبُوبِيَّتِها بِالْعَجْزِ وَالنَّقْصِ ، بِعَدَمِ مَجِيءِ الْحَشْرِ ، لَيْسَ لَهُ أَيَّةُ جِهَةٍ مِنَ الْإِمْكانِ ؛ وَلا يُعْطِيهِ أَيُّ عَقْلٍ الاحْتِمالَ ؛ وَيُوجَدُ فِيهِ مِئَةُ مُحالٍ دَفْعَةً واحِدَةً ؛ وَأَنَّهُ باطِلٌ وَمُمْتَنِعٌ فِي خارِجِ دائِرَةِ الْإِمْكانِ ، بِناءً عَلىٰ إِثْباتِهِ فِي «الْمَقالَةِ الْعاشِرَةِ» ؛ لِأَنَّ إِعْدامَهُ إِيّاهُ أَبَدِيّاً ، كَمْ يَكُونُ ظُلْماً غادِراً ؛ مَعَ أَنَّهُ رَبّاهُ لَطِيفاً وَرَقِيقاً ؛ وَأَعْطاهُ حِسَّ الاشْتِياقِ إِلَى السَّعادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَإِلَى الْبَقاءِ الدَّائِمِ فِي الْآخِرَةِ ، بِأَجْهِزَةٍ مِثْلِ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ ؛ وَأَنَّ إِسْرافَ جَمِيعِ جِهازاتِهِ وَاسْتِعْداداتِهِ ، الَّتِي لَها آلافُ الْفَوائِدِ ، إِسْرافاً كُلِّيّاً ، بِلا فائِدَةٍ ، وَبِدُونِ نَتِيجَةٍ ، وَبِغَيْرِ حِكْمَةٍ ، بِمَوْتٍ لا عاقِبَةَ لَهُ ، عَلىٰ أَنْ لا يُحْيا ، كَمْ دَرَجَةً يَكُونُ خِلافَ الْحِكْمَةِ ؛ مَعَ أَنَّهُ عَلَّقَ بِدِماغِهِ فَقَطْ ، مِئاتِ الْحِكَمِ وَالْفَوائِدِ ؛ وَأَنَّ إِظْهارَهُ لِعَجْزِهِ وَجَهْلِهِ ـ حاشاهُ ـ بِعَدَمِ الْإِنْجازِ بِآلافِ وُعُودِهِ وَعُهُودِهِ ، كَمْ يَكُونُ مُضادّاً لِحِشْمَةِ سَلْطَنَتِهِ تِلْكَ ، وَلِكَمالِ رُبُوبِيَّتِهِ ذٰلِكَ ؟. يَفْهَمُهُ كُلُّ ذِي شُعُورٍ .. فَقِياساً عَلىٰ هٰؤُلاءِ ، طَبِّقِ الْعِنايَةَ وَالْعَدالَةَ ..

هٰذا ، فَإِنَّ اسْمَ «الرَّحْمٰنِ ، وَالْحَكِيمِ ، وَالْعَدْلِ ، وَالْكَرِيمِ ، وَالْحاكِمِ» ، تُجِيبُ بِالْحَقِيقَةِ الْمَذْكُورَةِ ، عَلىٰ سُؤالِنا حَوْلَ الْآخِرَةِ ، الَّذِي سَأَلْنا خالِقَنا عَنْهُ ؛ فَتُثْبِتُ الْآخِرَةَ كَالشَّمْسِ ، بِدُونِ شَكٍّ ، وَبِغَيْرِ شُبْهَةٍ ..

وَأَيْضاً إِذَا كُنَّا نَرى بِأَبْصَارِنَا ، أَنَّ حَفِيظِيَّةً مُحِيطَةً وَعَظِيمَةً تَحْكُمُ ؛ فَتُقَيِّدُ وَتَسْتَنْسِخُ صُوَراً كَثِيرَةً لِكُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ ، وَلِكُلِّ حَادِثَةٍ ، وَدَفْتَرَ وَظِيفَتِهِ الْفِطْرِيَّةِ الَّتِي يُؤَدِّيهَا ، وَصَحِيفَةَ أَعْمَالِهِ الدَّائِرَةِ حَوْلَ تَسْبِيحَاتِهِ بِلِسَانِ الْحَالِ ، تِجَاهَ الْأَسْمَاءِ الإِلٰهِيَّةِ ؛ وَتَضْبُطُهَا فَتَتَّخِذُهَا تَحْتَ الْمُحَافَظَةِ ، فِي الْأَلْوَاحِ الْمِثَالِيَّةِ ، وَفِي نَوَاهَا وَبُذُورِهَا ، وَفِي قُوَاهَا الْحَافِظَةِ الَّتِي هِيَ أَمْثِلَةٌ صَغِيرَةٌ لِلَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ، وَلاسِيَّمَا فِيمَا هُوَ فِي دِمَاغِ الإِنْسَانِ ، مِنْ قُوَّتِهِ الْحَافِظَةِ الَّتِي هِيَ مَكْتَبَتُهُ الْكَبِيرَةُ جِدّاً ، وَالصَّغِيرَةُ جِدّاً ، وَفِي سَائِرِ مَرَايَا الانْعِكَاسِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ ؛ ثُمَّ كُلَّمَا جَاءَ مَوْسِمُهَا ؛ تُظْهِرُ جَمِيعَ تِلْكَ الْكِتَابَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِأَعْيُنِنَا ، بِوَجْهٍ مَادِّيٍّ أَيْضاً ؛ فَيُعْلِنُ كُلُّ رَبِيعٍ هُوَ إِحْدٰى أَزْهَارِ الْقُدْرَةِ ، بِقُوَّةِ الْأَمْثَالِ وَالدَّلائِلِ وَالنَّظَائِرِ ، بِالْمَلايِينِ ، أَعْجَبَ حَقِيقَةٍ حَشْرِيَّةٍ فِي آيَةِ : ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ ، بِمِلْيَارَاتِ الْأَلْسِنَةِ ، فِي زَهْرَتِهِ الْكُبْرٰى ؛ وَيُثْبِتُ إِثْبَاتاً قَوِيّاً لِلْغَايَةِ : أَنَّ جَمِيعَ ذَوِي الْحَيَاةِ ـ وَفِي الصَّدْرِ نَوْعُ الْإِنْسَانِ ـ وَأَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ ، لَمْ تُخْلَقْ لِلْهُبُوطِ فِي الْفَنَاءِ ، وَلِلسُّقُوطِ فِي الْعَدَمِ ، وَلِلْهَلاكِ فِي الانْعِدَامِ ؛ وَلَمْ يُخْلَقْ ذَوُو الْحَيَاةِ ـ وَفِي الْمُقَدِّمَةِ نَوْعُ الْبَشَرِ ـ لِلْإِعْدَامِ ؛ بَلْ خُلِقُوا لِلدُّخُولِ فِي الْبَقَاءِ بِالتَّرَقِّي ، وَفِي الدَّوَامِ بِالتَّصَفِّي ، وَفِي الْوَظِيفَةِ السَّرْمَدِيَّةِ بِاسْتِعْدَادِهِمْ . . نَعَمْ : نُشَاهِدُ فِي كُلِّ رَبِيعٍ ، أَنَّ مَا لا حَدَّ لَهَا مِنَ النَّبَاتَاتِ الْمُتَوَفَّيَاتِ فِي قِيَامَةِ فَصْلِ الْخَرِيفِ ، تَقْرَأُ فِي حَشْرِ الرَّبِيعِ ، هِيَ وَكُلُّ شَجَرَةٍ وَكُلُّ جَذْرَةٍ ، وَكُلُّ نَوَاةٍ وَكُلُّ بَذْرَةٍ ، آيَةَ : ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ ؛ فَتُفَسِّرُ بِلِسَانِهَا ، أَحَدَ مَعَانِيهَا وَأَحَدَ أَفْرَادِهَا ، بِأَمْثَالِ الْوَظِيفَةِ الَّتِي أَدَّتْهَا فِي السَّنَوَاتِ الْمَاضِيَةِ ؛ فَتَشْهَدُ لِتِلْكَ الْحَفِيظِيَّةِ الْعَظِيمَةِ ؛ وَتُظْهِرُ مَا فِي آيَةِ : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ مِنَ الْحَقَائِقِ الْمُعَظَّمَةِ الْأَرْبَعِ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَتُدَرِّسُنَا الْحَفِيظِيَّةَ فِي الدَّرَجَةِ الْعُظْمٰى ؛ وَالْحَشْرَ فِي سُهُولَةِ الرَّبِيعِ وَقَطْعِيَّتِهِ . . نَعَمْ : إِنَّ جَلَوَاتِ هٰؤُلاءِ الْأَسْمَاءِ الْأَرْبَعَةِ ، تَجْرِي فِي كُلِّ شَيْءٍ ، مِنْ أَصْغَرِ جُزْئِيٍّ ، إِلٰى أَكْبَرِ كُلِّيٍّ . فَكَمَا أَنَّ نَوَاةً مَثَلاً ، الَّتِي هِيَ مَنْشَأُ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ ، هِيَ عُلَيْبَةٌ جَامِعَةٌ لِمَنْهَجِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، الْمُكَمَّلِ لِلْغَايَةِ ، وَلِأَجْهِزَةِ إِيجَادِهَا ، غَيْرِ النَّاقِصَةِ ، وَلِجَمِيعِ شَرَائِطِ تَشَكُّلِهَا ، بِالْمَظْهَرِيَّةِ لِاسْمِ «الْأَوَّلِ» ، فَتُثْبِتُ عَظَمَةَ الْحَفِيظِيَّةِ ؛ وَأَنَّ ثَمَرَتَهَا الْمَظْهَرَ لِاسْمِ «الْآخِرِ» ، هِيَ صُنَيْدِقَةٌ مُحْتَوِيَةٌ بِنَوَاهَا ، عَلٰى فِهْرِسِ مَا

أَدَّتْهَا تِلْكَ الشَّجَرَةُ ، مِنْ جَمِيعِ وَظَائِفِهَا الْفِطْرِيَّةِ ، وَعَلٰى جَدْوَلِ أَعْمَالِهَا ، وَعَلٰى دَسَاتِيرِ حَيَاتِهَا الثَّانِيَةِ ؛ فَتَشْهَدُ لِلْحَفِيظِيَّةِ فِي الدَّرَجَةِ الْعُظْمٰى ؛ وَأَنَّ الصُّورَةَ الْجِسْمَانِيَّةَ لِتِلْكَ الشَّجَرَةِ ، الْمَظْهَرَ لِاسْمِ «الظَّاهِرِ» ، هِيَ حُلَّةٌ وَلُبْسَةٌ مُتَنَاسِبَةٌ وَمُصَنَّعَةٌ وَمُزَيَّنَةٌ ؛ وَكَأَنَّهَا أَلْبِسَةُ حُورِيَّةٍ مُتَلَوِّنَةٌ سَبْعِينَ لَوْناً ، زُيِّنَتْ بِنُقُوشٍ وَزَخَارِفَ مُخْتَلِفَةٍ ، وَعَلَائِمَ مُذَهَّبَةٍ ؛ فَتُظْهِرُ لِلْعُيُونِ عَظَمَةَ الْقُدْرَةِ ، وَكَمَالَ الْحِكْمَةِ ، وَجَمَالَ الرَّحْمَةِ ، فِي الْحَفِيظِيَّةِ ؛ وَأَنَّ مَا فِي بَاطِنِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، مِنْ جِهَازِهَا الْمِرْآةِ لِاسْمِ «الْبَاطِنِ» ، هِيَ مَصْنَعٌ وَمَعْمَلٌ وَمُخْتَبَرٌ كِيمَوِيٌّ ، مُنْتَظِمٌ وَمُكَمَّلٌ وَمُعْجِزٌ ، وَجَفْنَةُ أَرْزَاقٍ مَوْزُونَةٌ ، لَا تَتْرُكُ أَيَّةَ غُصْنَةٍ وَثَمَرَةٍ وَوَرَقَةٍ ، بِدُونِ غِذَاءٍ ؛ فَتُثْبِتُ كَالشَّمْسِ ، كَمَالَ الْقُدْرَةِ وَالْعَدَالَةِ ، وَجَمَالَ الرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ ، فِي الْحَفِيظِيَّةِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ ، هِيَ شَجَرَةٌ فِي جِهَةِ الْمَوَاسِمِ السَّنَوِيَّةِ ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ الْبُذُورِ وَالنَّوَى الْمُودَعَةِ إِلَى الْحَفِيظِيَّةِ ، فِي مَوْسِمِ الْخَرِيفِ ، بِجَلْوَةِ اسْمِ «الْأَوَّلِ» ، هِيَ مَجْمُوعَاتٌ صَغِيرَةٌ لِلْأَوَامِرِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَجَدَاوِلُ لِلدَّسَاتِيرِ الْوَارِدَةِ عَنِ الْقَدَرِ ، وَصَحَائِفُ وَدَفَاتِرُ صَغِيرَةٌ لِلْوَظَائِفِ الَّتِي عَمِلَهَا الصَّيْفُ الْمَاضِي ، مِنْ صَحَائِفِ أَعْمَالِهَا ، وَدَفَاتِرِ خِدَمَاتِهَا ، دَائِرَةٌ حَوْلَ تَشْكِيلَاتِ شَجَرَةِ وَجْهِ الْأَرْضِ الَّتِي لَبِسَتْ جِهَازَ الرَّبِيعِ ، شَجَرَتِهِ الَّتِي أَغْصَنَتْ وَأَثْمَرَتْ وَأَزْهَرَتْ ، مِلْيَارَاتِ الْأَغْصَانِ وَالْأَفْنَانِ ، وَالْأَثْمَارِ وَالْأَزْهَارِ ؛ فَتَدُلُّ بِالْبَدَاهَةِ ، عَلٰى أَنَّ حَفِيظاً ذَا جَلَالٍ وَإِكْرَامٍ ، يُؤَدِّي الْعَمَلَ بِالْقُدْرَةِ وَالْعَدَالَةِ ، وَالْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ ، بِلَا حَدٍّ . وَإِنَّ آخِرَ شَجَرَةِ الْأَرْضِ السَّنَوِيَّةِ ، يَضَعُ فِي عُلَيْبَاتٍ ذَرِّيَّةٍ صَغِيرَةٍ ، جَمِيعَ وَظَائِفِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَدَّتْهَا ، وَجَمِيعَ تَسْبِيحَاتِهَا الْفِطْرِيَّةِ الَّتِي فَعَلَتْهَا تِجَاهَ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَجَمِيعَ صَحَائِفِ أَعْمَالِهَا الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُنْشَرَ فِي حَشْرِ الرَّبِيعِ الْآتِي ؛ فَيُسَلِّمُهَا إِلٰى يَدِ حِكْمَةِ الْحَفِيظِ ذِي الْجَلَالِ ، فِي الْخَرِيفِ الثَّانِي ؛ وَيَقْرَأُ فِي وَجْهِ الْكَائِنَاتِ اسْمَ «الْآخِرِ» ، بِأَلْسِنَةٍ لَا حَدَّ لَهَا . وَإِنَّ ظَاهِرَ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ ، يَفْتَحُ ثَلَاثَمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ مِنْ أَزَاهِيرَ كُلِّيَّةٍ وَمُتَنَوِّعَةٍ ، دَالَّةٍ عَلٰى ثَلَاثَمِئَةِ أَلْفِ مِثَالٍ مِنْ أَمْثِلَةِ الْحَشْرِ وَأَمَارَاتِهِ ؛ فَيَبْسُطُ مَا لَا حَدَّ لَهَا ، مِنْ مَوَائِدِ الرَّحْمَانِيَّةِ وَالرَّزَّاقِيَّةِ ، وَالرَّحِيمِيَّةِ وَالْكَرِيمِيَّةِ ؛ فَيُعْطِي ذَوِي الْحَيَاةِ ضِيَافَاتٍ ؛ فَبِذٰلِكَ يَذْكُرُ اسْمَ «الظَّاهِرِ» ؛ فَيَمْدَحُهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ ، بِأَلْسِنَةِ أَثْمَارِهَا وَأَزْهَارِهَا وَأَطْعِمَتِهَا بِعَدَدِهَا ؛ وَيُظْهِرُ حَقِيقَةَ قَوْلِهِ تَعَالٰى :

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ ، مِثْلَ النَّهارِ . وَإِنَّ بَاطِنَ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُحْتَشِمَةِ ، جَفْنَةٌ وَمَعْمَلٌ يَسْتَعْمِلُ بِكَمَالِ الدِّقَّةِ وَالإِنْتِظَامِ ، مَا لا حَدَّ لَهَا وَلا تُحْصَى ، مِنْ أَجْهِزَةٍ مُنْتَظِمَةٍ ، وَمَصَانِعَ مُتَّزِنَةٍ ؛ فَيَطْبُخُ مِنْ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ ، أَلْفَ رَطْلٍ مِنَ الْأَطْعِمَةِ ؛ وَيُوصِلُهَا إِلَى الْجِيَاعِ ؛ وَإِنَّهُ يَعْمَلُ بِمِيزَانٍ وَدِقَّةٍ كَذٰلِكَ ؛ فَلا يَتْرُكُ الْمَحَلَّ لِتَدَخُّلِ مِقْدَارِ ذَرَّةٍ مِنَ التَّصَادُفِ ؛ فَيُعْلِنُ بِبَاطِنِ الْأَرْضِ اسْمَ «الْبَاطِنِ» ؛ فَيُثْبِتُهُ عَلٰى مِئَةِ أَلْفِ وَجْهٍ ، كَبَعْضِ مَلائِكَةٍ يُسَبِّحُونَ بِمِئَةِ أَلْفِ لِسَانٍ . .

وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ الْأَرْضَ شَجَرَةٌ بِحَيْثِيَّةِ حَيَاتِهَا السَّنَوِيَّةِ ؛ وَتَصْنَعُ مِفْتَاحاً لِلْحَفِيظِيَّةِ فِي تِلْكَ الْأَسْمَاءِ الْأَرْبَعَةِ ، وَلِبَابِ الْحَشْرِ بِهَا ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّهَا شَجَرَةٌ مُنْتَظَمَةٌ تُرْسِلُ ثَمَرَاتِهَا أَيْضاً ، إِلَى سُوقِ الْآخِرَةِ ، بِجِهَةِ حَيَاتِهَا الدَّهْرِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ ؛ وَإِنَّهَا مَظْهَرٌ وَمِرْآةٌ لِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ ؛ وَتَفْتَحُ طَرِيقاً ذَاهِباً إِلَى الْآخِرَةِ ، لا تَكْفِي عُقُولُنَا لِلْإِحَاطَةِ بِسَعَتِهِ وَلِلتَّعْبِيرِ عَنْهَا ؛ فَنَقُولُ هٰذَا الْقَدَرَ فَقَطْ ؛ وَهُوَ : كَمَا أَنَّ أَمْيَالَ سَاعَةٍ أُسْبُوعِيَّةٍ ، عَادَّةً لِلثَّوَانِي وَالدَّقَائِقِ وَالسَّاعَاتِ وَالْأَيَّامِ ، يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضاً ؛ وَيُثْبِتُ بَعْضُهَا بَعْضاً ؛ فَالَّذِي يَرَى حَرَكَةَ الثَّوَانِي ؛ يُضْطَرُّ لِلتَّصْدِيقِ بِحَرَكَاتِ سَائِرِ اللَّوَالِبِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ الْأَيَّامَ الْعَادَّةَ لِثَوَانِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ، الَّتِي هِيَ سَاعَةٌ كُبْرَى لِخَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذِي الْجَلالِ ، وَإِنَّ الْأَعْوَامَ الْحَاسِبَةَ لِدَقَائِقِهَا ، وَالْأَعْصَارَ الدَّالَّةَ عَلَى سَاعَاتِهَا ، وَالْأَدْوَارَ الْمُعْلِنَةَ لِأَيَّامِهَا ، يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضاً ؛ وَيُثْبِتُ بَعْضُهَا بَعْضاً ؛ وَتُخْبِرُ بِأَمَارَاتٍ لا حَدَّ لَهَا ، بِأَنَّهُ سَيَأْتِي صُبْحٌ سَرْمَدِيٌّ ، وَرَبِيعٌ بَاقٍ ، لِلشِّتَاءِ الْمُظْلِمَةِ مِنَ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ ، فِي قَطْعِيَّةِ صَبَاحِ هٰذِهِ اللَّيْلَةِ ، وَرَبِيعِ هٰذِهِ الشِّتَاءِ : هٰكَذَا يُجِيبُ اسْمُ «الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ» ، مَعَ اسْمِ «الْحَفِيظِ» ، بِالْحَقِيقَةِ الْمَذْكُورَةِ ، عَلَى مَسْأَلَةِ الْحَشْرِ ، الَّتِي سَأَلْنَا خَالِقَنَا عَنْهَا . .

وَأَيْضاً إِذَا كُنَّا نَرَى بِعُيُونِنَا ؛ وَنَفْهَمُ بِعُقُولِنَا : أَنَّ الْإِنْسَانَ ، آخِرُ وَأَجْمَعُ ثَمَرَاتِ شَجَرَةِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَنَوَاتُهَا الْأَصْلِيَّةُ بِجِهَةِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ؛ وَالْآيَةُ الْكُبْرَى لِقُرْآنِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَآيَتُهُ الْكُرْسِيَّةُ الْحَامِلَةُ لِلاسْمِ الْأَعْظَمِ ؛ وَضَيْفُ قَصْرِ الْكَائِنَاتِ الْأَكْثَرُ تَكْرِيماً ؛ وَمُوَظَّفُهُ الْأَزْيَدُ فَعَّالِيَّةً ، الْمَأْذُونُ بِالتَّصَرُّفِ فِي سَائِرِ السُّكَّانِ فِي ذٰلِكَ الْقَصْرِ ، وَالْمَأْمُورُ فِي حَدِيقَةِ

وَمَزْرَعَةِ مَحَلَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَدِينَةِ الْكَائِنَاتِ ، عَلَى النَّظَارَةِ لِوَارِدَاتِهَا وَمَصْرُوفَاتِهَا ، وَلِزَرْعِهَا وَحَرْثِهَا ؛ وَنَاظِرُهَا الْأَشَدُّ ضَجَّةً وَمَسْؤُولِيَّةً ، الَّذِي جُهِّزَ بِمِئَاتِ الْفُنُونِ وَآلَافِ الصَّنَائِعِ ؛ وَمُفَتِّشٌ لِسُلْطَانِ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ ؛ وَخَلِيفَةٌ مَا لِلْأَرْضِ ، تَحْتَ غَايَةِ الْمُرَاقَبَةِ ، فِي إِقْلِيمِ الْأَرْضِ مِنْ مَمْلَكَةِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَمُتَصَرِّفٌ لَهُ ، تُقَيَّدُ حَرَكَاتُهُ الْجُزْئِيَّةُ وَالْكُلِّيَّةُ ؛ وَعَبْدٌ كُلِّيٌّ مُكَلَّفٌ بِعُبُودِيَّةٍ وَاسِعَةٍ جِدّاً ، حَمَلَ عَلَى كَاهِلِهِ الْأَمَانَةَ الْكُبْرَى الَّتِي أَبَتِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ مِنْ حَمْلِهَا ؛ وَانْفَتَحَ أَمَامَهُ طَرِيقَانِ عَجِيبَانِ ، هُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَسْعَدُ ذَوِي الْحَيَاةِ ، وَفِي الْآخَرِ أَشْقَاهُمْ ؛ وَمِرْآةٌ لِسُلْطَانِ الْكَائِنَاتِ مَظْهَرٌ لِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ؛ وَمَعْكَسٌ أَجْمَعُ لِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ ؛ وَمُخَاطَبٌ خَاصٌّ بِهِ ، أَكْثَرُ فَهْماً لِتَكَلُّمَاتِهِ وَخِطَابَاتِهِ السُّبْحَانِيَّةِ ؛ وَأَحْوَجُ ذَوِي الْحَيَاةِ بَيْنَ ذَوِي الْحَيَاةِ مِنَ الْكَائِنَاتِ ؛ وَحَيٌّ بَائِسٌ مِنْهَا ، لَهُ مَقَاصِدُ وَمَطَالِبُ بِلَا حَدٍّ ، وَأَعْدَاءٌ بِلَا نِهَايَةٍ ، وَأَشْيَاءٌ ضَارَّةٌ تُؤْذِيهِ ؛ وَأَغْنَاهَا اسْتِعْدَاداً ؛ وَأَشَدُّهَا تَأَلُّماً فِي جِهَةِ لَذَّةِ الْحَيَاةِ ؛ وَأُعْجُوبَةٌ لِلْخِلْقَةِ ؛ وَمُعْجِزَةٌ خَارِقَةٌ جِدّاً لِلْقُدْرَةِ الصَّمَدَانِيَّةِ ، لَذَائِذُهُ مُخْتَلِطَةٌ بِآلَامٍ رَهِيبَةٍ ؛ وَأَزْيَدُ اشْتِيَاقاً وَاحْتِيَاجاً إِلَى الْبَقَاءِ ، وَأَكْثَرُ لِيَاقَةً وَاسْتِحْقَاقاً بِهِ ؛ وَيَرْجُو وَيَطْلُبُ الدَّوَامَ وَالسَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ بِدَعَوَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَلَا تُطَمْئِنُ جَمِيعُ لَذَائِذِ الدُّنْيَا ، رَجَاءَهُ تِجَاهَ الْبَقَاءِ ، وَإِنْ أُعْطِيَهَا ؛ وَمَحْبُوبٌ وَمُحِبٌّ وَمُحَبِّبٌ فِي دَرَجَةِ التَّعَبُّدِ ، لِلْمَوْلَى الَّذِي يَفْعَلُ بِهِ الْإِحْسَانَاتِ ؛ وَيَنْطَوِي عَلَى الْكَائِنَاتِ ؛ وَتَشْهَدُ جَمِيعُ أَجْهِزَتِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى أَنَّهُ خُلِقَ لِلذَّهَابِ إِلَى الْأَبَدِ ؛ فَهَؤُلَاءِ النَّاسُ الْمُرْتَبِطُونَ بِاسْمِ «الْحَقِّ» ، لِجَنَابِ الْحَقِّ تَعَالَى ، بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ الْحَقَائِقِ الْكُلِّيَّةِ الْعِشْرِينَ ؛ وَالْمُقَيَّدَةُ أَعْمَالُهُمْ دَائِماً ، بِاسْمِ «الْحَفِيظِ» ، لِلْحَفِيظِ ذِي الْجَلَالِ ، الَّذِي يُؤَدِّي أَدْنَى احْتِيَاجٍ لِأَصْغَرِ ذِي حَيَاةٍ ؛ وَيَسْمَعُ تَضَرُّعَهُ ؛ وَيُجِيبُهُ فِعْلاً ؛ وَالْمَكْتُوبَةُ أَفْعَالُهُمْ ـ الَّتِي تَجْعَلُ الْكَائِنَاتِ ذَاتَ عَلَاقَةٍ بِهَا ـ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ ، حَفَظَةِ ذَلِكَ الِاسْمِ ؛ وَالَّذِينَ هُمْ مَظَاهِرُ لِنَظَرِ مُرَاقَبَةِ ذَلِكَ الِاسْمِ ، أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَلَا يَأْتِي بِأَيِّ شُبْهَةٍ قَطْعاً وَأَصْلاً وَعَلَى كُلِّ حَالٍ : أَنَّهُ سَيَحْدُثُ حَشْرٌ وَنَشْرٌ لِأَجْلِ النَّاسِ ، بِحُكْمِ هَذِهِ الْحَقَائِقِ الْعِشْرِينَ ؛ وَسَيَحْمِلُ مُجَازَاةَ خَطِيئَاتِهِ ، وَمُكَافَأَةَ خِدْمَاتِهِ السَّابِقَةِ ، بِاسْمِ «الْحَقِّ» ؛ وَسَيُجْلَبُ إِلَى الِاسْتِجْوَابِ وَالْمُحَاسَبَةِ ، عَنْ كُلِّ أَعْمَالِهِ الْجُزْئِيَّةِ وَالْكُلِّيَّةِ

الْمَحْصُورَةِ تَحْتَ التَّقْيِيدِ، بِاسْمِ «الْحَفِيظِ»؛ وَسَتُفْتَحُ أَبْوَابُ مَضِيفَةِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَسِجْنِ الشَّقَاوَةِ الدَّائِمَةِ، فِي دَارِ الْبَقَاءِ؛ وَلَنْ يَدْخُلَ التُّرَابَ ضَابِطٌ قَادَ طَوَائِفَ كَثِيرَةً فِي هٰذَا الْعَالَمِ؛ وَخَالَطَهَا وَخَلَطَهَا أَحْيَاناً؛ فَيَنَامَ وَيَخْتَفِيَ، عَلَى أَنْ لَا يَسْتَيْقِظَ؛ وَلَا يُسْأَلَ عَنْ كُلِّ عَمَلِهِ.. وَإِلَّا فَإِنَّ عَدَمَ الْاِسْتِمَاعِ لِدَعَوَاتِ الْإِنْسَانِ، الَّتِي تَرِنُّ الْعَرْشَ وَالْفَرْشَ؛ وَتُدْعَى بِأَلْسِنَةِ الْحَقَائِقِ الْعِشْرِينَ الْمَذْكُورَةِ، لِلْحُقُوقِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا، الْعَائِدَةِ إِلَى الْبَقَاءِ، الَّتِي هِيَ فِي قُوَّةِ الرَّعْدِ؛ وَإِنَّ الْإِضَاعَةَ لِتِلْكَ الْحُقُوقِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا؛ مَعَ أَنَّهُ يَسْمَعُ صَوْتَ الذُّبَابِ؛ فَيُجِيبُهُ فِعْلاً بِإِعْطَاءِ حَقِّ حَيَاتِهِ؛ وَإِنَّ إِسْرَافَ حِكْمَةٍ لَا تُسْرِفُ بِقَدَرِ جَنَاحِ الذُّبَابِ، بِشَهَادَةِ انْتِظَامِ جَنَاحِ الذُّبَابِ، إِسْرَافاً كُلِّيّاً، لِلْاِسْتِعْدَادَاتِ وَالْآمَالِ وَالْمَطَالِبِ الْإِنْسَانِيَّةِ، الْمُمْتَدَّةِ إِلَى الْأَبَدِ، وَالْمُرْتَبِطَةِ بِهَا جَمِيعُ تِلْكَ الْحَقَائِقِ، وَلِرَوَابِطِ الْكَائِنَاتِ، وَلِحَقَائِقِهَا الْكَثِيرَةِ جِدّاً، الْمُغَذِّيَةِ لِتِلْكَ الْاِسْتِعْدَادَاتِ وَالْمَطَالِبِ، ذٰلِكَ ظُلْمٌ، وَقُبْحٌ ظَالِمٌ، وَخَارِجٌ عَنِ الْإِمْكَانِ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ الشَّاهِدَةِ لِاسْمِ «الْحَقِّ وَالْحَفِيظِ وَالْحَكِيمِ وَالْجَمِيلِ وَالرَّحِيمِ»، تَرُدُّ ذٰلِكَ؛ وَتَقُولُ: إِنَّهُ مُحَالٌ بِمِئَةِ دَرَجَةٍ، وَمُمْتَنِعٌ بِأَلْفِ وَجْهٍ.. هٰذَا، فَإِنَّ اسْمَ «الْحَقِّ وَالْحَفِيظِ وَالْحَكِيمِ وَالْجَمِيلِ وَالرَّحِيمِ»، تُجِيبُ عَلَى سُؤَالِنَا الَّذِي سَأَلْنَا خَالِقَنَا عَنْهُ، فِي حَقِّ الْحَشْرِ؛ فَتَقُولُ: إِنَّ الْحَشْرَ حَقٌّ وَمُحَقَّقٌ، مِثْلَ كَوْنِنَا حَقّاً وَحَقِيقَةً، وَمِثْلَ تَحَقُّقِ الْمَوْجُودَاتِ الشَّاهِدَةِ لَنَا..

وَأَيْضاً إِذَا كَانَ ....

كُنْتُ أَكْتُبُ بَعْدُ؛ وَلٰكِنِ اخْتَصَرْتُ مِنْ كَوْنِهِ مَعْلُوماً مِثْلَ الشَّمْسِ..

هٰذَا، فَقِيَاساً عَلَى مَا فِي الْأَمْثِلَةِ وَالشَّرْطِيَّاتِ السَّابِقَةِ مِنَ الْمَوَادِّ؛ فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ مِئَةِ اسْمٍ، بَلْ أَلْفِ اسْمٍ، مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى، النَّاظِرَةِ إِلَى الْكَائِنَاتِ، كَمَا يُثْبِتُ بِالْبَدَاهَةِ مُسَمَّاهَا، بِمَرَايَاهَا وَجَلَوَاتِهَا فِي الْمَوْجُودَاتِ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ، فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى الْحَشْرِ وَدَارِ الْآخِرَةِ أَيْضاً؛ وَتُثْبِتُهَا بِالْقَطْعِ..

وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ رَبَّنَا يُجِيبُنَا جَوَاباً قُدُسِيّاً وَقَطْعِيّاً، بِجَمِيعِ عُهُودِهِ، وَبِجَمِيعِ مَا أَنْزَلَهُ مِنْ كُتُبِهِ، وَبِأَكْثَرِ أَسْمَائِهِ الَّتِي هُوَ مُسَمَّاهَا، عَلَى سُؤَالِنَا الَّذِي سَأَلْنَا عَنْهُ خَالِقَنَا ذٰلِكَ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُ فِي وَجْهٍ آخَرَ، بِمَلَائِكَتِهِ وَبِأَلْسِنَتِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ يُجِيبُونَ عَلَى سُؤَالِنَا قَائِلِينَ: إِنَّنَا

نُبَيِّنُ لَكُمْ قَطْعاً : بِأَنَّ اتِّصَالَكُمْ بِنَا وَبِالرُّوحَانِيِّينَ ، مُنْذُ زَمَنِ آدَمَ ، لَهُ حَادِثَاتٌ فِي قُوَّةِ مِئَةِ تَوَاتُرٍ ؛ وَأَنَّهُ تُوجَدُ أَمَارَاتٌ وَدَلَائِلُ بِلَا حَدٍّ ، تَدُلُّ عَلَى وُجُودِنَا وَوُجُودِ الرُّوحَانِيِّينَ ، وَعَلَى عُبُودِيَّتِنَا وَعُبُودِيَّتِهِمْ ؛ وَأَنَّنَا قَدْ ذَكَرْنَا مُتَطَابِقِينَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ ، حِينَمَا اجْتَمَعْنَا بِقَادَتِكُمْ ؛ وَنَذْكُرُ دَائِماً : أَنَّنَا نَسِيرُ فِي قَاعَاتِ الْآخِرَةِ وَفِي بَعْضِ دَوَائِرِهَا ؛ فَلَا شُبْهَةَ لَنَا قَطْعاً وَأَصْلاً : أَنَّ هٰذِهِ الْقَاعَاتِ الْمُكَمَّلَةَ الْبَاقِيَةَ الَّتِي نَسِيرُ فِيهَا ؛ وَأَنَّ الْقُصُورَ وَالْمَنَازِلَ الْمَفْرُوشَةَ الْمُزَيَّنَةَ ، وَرَاءَ هٰذِهِ الْقَاعَاتِ ، تَنْتَظِرُ ضُيُوفاً ذَوِي أَهَمِّيَّةٍ لِلْغَايَةِ ، عَلَى أَنْ يُسْكَنُوا فِي تِلْكَ الْأَمَاكِنِ . .

وَأَيْضاً إِذَا كَانَ خَالِقُنَا ، قَدْ عَيَّنَ لَنَا «مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، أَعْظَمَ مُعَلِّمٍ ، وَأَكْمَلَ أُسْتَاذٍ ، وَأَصْدَقَ مُرْشِدٍ لَا يَضِلُّ وَلَا يُضِلُّ ؛ وَأَرْسَلَهُ آخِرَ رَسُولٍ ؛ فَيَلْزَمُ أَنْ نَسْأَلَ نَحْنُ أَيْضاً ، أُسْتَاذَنَا هٰذَا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، السُّؤَالَ الَّذِي سَأَلْنَاهُ خَالِقَنَا ، ذٰلِكَ عَلَى أَنْ نَتَرَقَّ وَنَتَكَمَّلَ مِنْ مَرْتَبَةِ عِلْمِ الْيَقِينِ ، إِلَى مَرْتَبَةِ عَيْنِ الْيَقِينِ وَحَقِّ الْيَقِينِ ؛ لِأَنَّ ذٰلِكَ الْجَنَابَ يُثْبِتُ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ ؛ وَأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مُعْجِزَةٌ وَاحِدَةٌ لِلْقُرْآنِ ، بِأَلْفِ مُعْجِزَةٍ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ ، الَّتِي كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَلَامَةُ تَصْدِيقٍ مِنْ جَانِبِ خَالِقِنَا ؛ كَمَا أَنَّ الْقُرْآنَ أَيْضاً ، يَصِيرُ إِحْدَى مُعْجِزَاتِ ذٰلِكَ الْجَنَابِ ، بِأَرْبَعِينَ نَوْعاً مِنْ إِعْجَازِهِ ؛ فَيُثْبِتُ أَنَّهُ صَادِقٌ ؛ وَأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ؛ فَالْحَقِيقَةُ الْحَشْرِيَّةُ الَّتِي يَدَّعِيهَا كِلَاهُمَا مَعاً ؛ وَيُثْبِتُهَا أَحَدُهُمَا فِي جَمِيعِ حَيَاتِهِ ، تَحْتَ تَصْدِيقِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ – وَهُوَ لِسَانُ عَالَمِ الشَّهَادَةِ – ؛ وَالْآخَرُ بِآلَافِ آيَاتِهِ ، بَيْنَ تَصْدِيقِ جَمِيعِ الْعُهُودِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَحَقَائِقِ الْكَائِنَاتِ – وَهُوَ لِسَانُ عَالَمِ الْغَيْبِ – ، فَلَا رَيْبَ أَنَّهَا فِي قَطْعِيَّةٍ مِثْلِ الشَّمْسِ وَالنَّهَارِ . . نَعَمْ : إِنَّ مَسْأَلَةً أَعْجَبَ وَأَدْهَشَ ، وَفِي خَارِجِ طَوْرِ الْعَقْلِ ، مِثْلَ الْحَشْرِ ، إِنَّمَا تُحَلُّ وَتُفْهَمُ بِدُرُوسِ مِثْلِ هٰذَيْنِ الْأُسْتَاذَيْنِ الْخَارِقَيْنِ فَقَطْ . . وَإِنَّ سَبَبَ عَدَمِ إِعْطَاءِ أَنْبِيَاءِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ ، الْإِيضَاحَاتِ لِأُمَمِهِمْ ، مِثْلَ الْقُرْآنِ : هُوَ كَوْنُ تِلْكَ الْأَدْوَارِ ، دَوْرَ بَدَاوَةِ الْبَشَرِ وَطُفُولَتِهِ ؛ فَيَكُونُ الْإِيضَاحُ قَلِيلاً فِي الدُّرُوسِ الِابْتِدَائِيَّةِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّهُ إِذَا كَانَ أَكْثَرُ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى ، تَقْتَضِي الْآخِرَةَ فَتَطْلُبُهَا ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ الْحُجَجِ الدَّالَّةِ عَلَى تِلْكَ الْأَسْمَاءِ ، تَدُلُّ أَيْضاً فِي جِهَةٍ مَا ، عَلَى تَحَقُّقِ الْآخِرَةِ ؛ وَإِذَا كَانَتْ

الْمَلائِكَةُ يُخْبِرُونَ : أَنَّهُمْ يُشاهِدُونَ دائِرَةَ الْآخِرَةِ وَعالَمَ الْبَقاءِ ؛ فَإِنَّ الدَّلائِلَ الشَّاهِدَةَ لِوُجُودِ وَعُبُودِيَّةِ الْمَلائِكَةِ وَالْأَرْواحِ وَالرُّوحانِيّاتِ ، تَدُلُّ عَلىٰ وُجُودِ الْآخِرَةِ أَيْضاً بِالتَّبَعِ ؛ وَإِذا كانَ أَدْوَمُ دَعْوىٰ «مُحَمَّدٍ» (عليه الصلاة والسلام) ، وَمُدَّعاهُ وَأَساسُهُ ، فِي جَمِيعِ حَياتِهِ ، هُوَ الْآخِرَةَ ، بَعْدَ الْوَحْدانِيَّةِ ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ مُعْجِزاتِ ذٰلِكَ الْجَنابِ وَحُجَجِهِ ، الدَّالَّةِ عَلىٰ نُبُوَّتِهِ وَصِدْقِهِ ، تَشْهَدُ عَلىٰ تَحَقُّقِ الْآخِرَةِ وَمَجِيئِها ، فِي جِهَةٍ مَّا بِالتَّبَعِ ؛ وَإِذا كانَ رُبُعُ الْقُرْآنِ ، هُوَ الْحَشْرَ وَالْآخِرَةَ ؛ وَيَجْتَهِدُ لِإِثْباتِها ؛ وَيُخْبِرُ عَنْها بِأَلْفٍ مِنْ آياتِهِ ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ حُجَجِ الْقُرْآنِ وَدَلائِلِهِ وَبَراهِينِهِ ، الدَّالَّةِ وَالشَّاهِدَةِ عَلىٰ حَقّانِيَّتِهِ ، تَدُلُّ وَتَشْهَدُ عَلىٰ وُجُودِ الْآخِرَةِ ، وَعَلىٰ تَحَقُّقِها وَفَتْحِها أَيْضاً بِالتَّبَعِ .. هٰذا ، فَانْظُرْ وَأَبْصِرْ مَدىٰ كَوْنِ هٰذَا الرُّكْنِ الْإِيمانِيِّ ، قَوِيّاً وَقَطْعِيّاً ..

خُلاصَةٌ لِلْمَسْأَلَةِ الثَّامِنَةِ :

لَقَدْ كُنّا نَسْأَلُ مَقاماتٍ كَثِيرَةً عَنِ الْحَشْرِ فِي السّابِعَةِ ؛ وَلٰكِنَّ الْجَوابَ الَّذِي أَجابَهُ خالِقُنا بِأَسْمائِهِ ، أَوْرَثَ يَقِيناً وَقَناعَةً قَوِيَّةً لَمْ تَتْرُكْ الِاحْتِياجَ إِلىٰ أَسْئِلَةٍ أُخْرىٰ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ اخْتَصَرْنا هُناكَ ..

وَالْآنَ فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، تُلَخَّصُ واحِدَةٌ فِي الْمِئَةِ ، مِنْ فَوائِدِ الْإِيمانِ بِالْآخِرَةِ ، وَنَتائِجِهِ الَّتِي يُؤَمِّنُها فِي حَقِّ سَعادَةِ الْآخِرَةِ ، وَسَعادَةِ الدُّنْيا . فَقِسْمُها الْعائِدُ إِلَى السَّعادَةِ الْأُخْرَوِيَّةِ ، لَمْ تَتْرُكْ إِيضاحاتُ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيانِ ، الِاحْتِياجَ إِلىٰ أَيِّ بَيانٍ آخَرَ ؛ فَنُحِيلُ ذٰلِكَ إِلَيْها . وَقِسْمُها الْعائِدُ إِلَى السَّعادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، نَتْرُكُ جِهَةَ إِيضاحِهِ إِلىٰ «رِسالَةِ النُّورِ» ؛ فَنُبَيِّنُ ثَلاثَ أَوْ أَرْبَعَ نَتائِجَ ، مِنْ مِئاتِ نَتائِجِهِ الْعائِدَةِ إِلىٰ حَياةِ الْإِنْسانِ الشَّخْصِيَّةِ ، وَحَياتِهِ الِاجْتِماعِيَّةِ ، بِخُلاصَةٍ مُخْتَصَرَةٍ فَقَطْ ..

﴿الْأُولىٰ :﴾ أَنَّ الْإِنْسانَ ذُو عَلاقَةٍ بِالدُّنْيا مِثْلَ ما هُوَ ذُو عَلاقَةٍ بِدارِهِ ؛ وَأَنَّهُ ذُو مُناسَبَةٍ جِدِّيَّةٍ وَفِطْرِيَّةٍ مَعَ نَوْعِ الْبَشَرِ ؛ كَما هُوَ ذُو مُناسَبَةٍ مَعَ أَقارِبِهِ ؛ وَأَنَّهُ يَتَمَنّىٰ فِي دَرَجَةِ الْعِشْقِ ، بَقاءَهُ فِي دارٍ أَبَدِيَّةٍ ؛ كَما يَتَمَنّىٰ بَقاءَهُ الْمُؤَقَّتَ فِي الدُّنْيا ؛ وَأَنَّهُ يَسْعىٰ وَهُوَ مُضْطَرٌّ

فِطْرَةً ، لِتَدَارُكِ أَغْذِيَةٍ وَمَوَائِدَ وَاسِعَةٍ بِقَدَرِ الدُّنْيَا ، بَلْ مُمْتَدَّةٍ إِلَى الْأَبَدِ ، لِأَجْلِ مِعَدِ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ ؛ كَمَا يَعْمَلُ لِتَأْمِينِ غِذَاءِ احْتِيَاجِ مَعِدَتِهِ ؛ وَأَنَّ لَهُ آمَالاً وَمَطَالِبَ ، لَا يُطَمْئِنُهَا أَيُّ شَيْءٍ غَيْرُ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مُخَالِفٌ لِسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ ؛ حَتّٰى إِنِّي سَأَلْتُ خَيَالِي فِي زَمَنٍ مَا ، فِي صِبَايَ ؛ فَقُلْتُ : هَلْ تَطْلُبُ إِعْطَاءَ مِلْيُونِ سَنَةٍ مِنَ الْعُمُرِ ، وَسَلْطَنَةِ الدُّنْيَا لَكَ ؛ وَلٰكِنْ تَسْقُطُ فِي الْعَدَمِ وَالْفَنَاءِ فِي عَاقِبَتِهِ ؛ أَمْ تُرِيدُ وُجُوداً بَاقِياً ؛ وَلٰكِنَّهُ عَادِيٌّ وَشَاقٌّ ؟ فَنَظَرْتُ أَنَّهُ تَمَنّٰى ثَانِيَهُمَا ؛ فَتَأَوَّهَ مِنْ أَوَّلِهِمَا ؛ فَقَالَ : أَطْلُبُ الْبَقَاءَ ، وَلَوْ كَانَ فِي جَهَنَّمَ ؛ كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ فِي «الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ» . . هٰذَا ، فَإِنَّ لَذَائِذَ هٰذِهِ الدُّنْيَا ، لَا تُطَمْئِنُ الْقُوَّةَ الْخَيَالِيَّةَ ، الَّتِي هِيَ إِحْدٰى خُدَّامِ الْمَاهِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ فَالْمَاهِيَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ الْجَامِعَةُ لِلْغَايَةِ ، ذَاتُ عَلَاقَةٍ قَطْعاً بِالْأَبَدِ فِطْرَةً . . هٰذَا ، فَكَوْنُ الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ ، أَيَّ خَزِينَةٍ قَوِيَّةٍ وَكَافِيَةٍ وَافِيَةٍ ، وَمَدَارَ سَعَادَةٍ وَلَذَّةٍ ، وَمَرْجِعاً وَمَدَارَ اسْتِمْدَادٍ ، وَمَدَارَ تَسَلٍّ ضِدَّ مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ غُمُومِ الدُّنْيَا ، لِإِنْسَانٍ ، رَأْسُ مَالِهِ جُزْءٌ اخْتِيَارِيٌّ جُزْئِيٌّ وَفَقْرٌ مُطْلَقٌ ؛ مَعَ كَوْنِهِ مُرْتَبِطاً بِهٰذِهِ الْمَطَالِبِ وَالْآمَالِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، هِيَ ثَمَرَةٌ وَفَائِدَةٌ كَذٰلِكَ ، لَوْ فَدٰى بِحَيَاتِهِ الدُّنْيَا ، فِي سَبِيلِ تَحْصِيلِهَا ؛ لَكَانَتْ رَخِيصَةً أَيْضاً . .

﴿ثَمَرَتُهُ الثَّانِيَةُ ، وَإِحْدٰى فَوَائِدِهِ النَّاظِرَةِ إِلَى الْحَيَاةِ الشَّخْصِيَّةِ :﴾ هِيَ نَتِيجَةٌ ذَاتُ أَهَمِّيَّةٍ جِدّاً ، مُوضَحَةٌ فِي الْمَسْأَلَةِ الثَّالِثَةِ ؛ وَتَكُونُ حَاشِيَةً فِي «دَلِيلِ الشَّبِيبَةِ» . نَعَمْ : إِنَّ أَهَمَّ فِكْرَةِ كُلِّ إِنْسَانٍ ، الَّتِي يَتَفَكَّرُ فِيهَا كُلَّ زَمَانٍ ، هِيَ كَيْفِيَّةُ الدُّخُولِ فِي دَارِ الْإِعْدَامِ ، مِثْلَ أَصْدِقَائِهِ وَأَقْرِبَائِهِ الدَّاخِلِينَ فِي تِلْكَ الْمَقْبَرَةِ . فَحِينَمَا تَوَهَّمَ ذٰلِكَ الْإِنْسَانُ الْبَائِسُ ، الَّذِي يَفْدِي بِرُوحِهِ لِأَحَدِ أَصْدِقَائِهِ فَقَطْ : أَنَّ الْآلَافَ ، بَلِ الْمَلَايِينَ وَالْمِلْيَارَاتِ مِنْ أَصْدِقَائِهِ ، صُلِبُوا بَيْنَ مُفَارَقَةٍ أَبَدِيَّةٍ ؛ فَتَرَاءٰى مِنْ سِنِّ ذٰلِكَ التَّوَهُّمِ ، أَلَمٌ أَبْتَرُ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ؛ جَاءَ الْإِيمَانُ بِالْآخِرَةِ ؛ فَفَتَحَ بَصَرَهُ ؛ وَرَفَعَ الْحِجَابَ ؛ فَقَالَ : اُنْظُرْ ؛ فَنَظَرَ بِذٰلِكَ الْإِيمَانِ ؛ فَاسْتَفَادَ لَذَّةً رُوحَانِيَّةً ، تُنْبِئُ عَنْ لَذَّةِ الْجَنَّةِ ، اسْتَفَادَهَا بِمُشَاهَدَتِهِ إِيَّاهُمْ فِي وَضْعٍ ، بِأَنَّ أُولٰئِكَ الْأَصْدِقَاءَ نَجَوْا مِنَ الرَّمَمِ وَالْمَوْتِ الْأَبَدِيِّ ؛ فَيَنْتَظِرُونَهُ أَيْضاً مَسْرُورِينَ فِي عَالَمِ

نُورَانِيٌّ. فَنَخْتَصِرُ اكْتِفَاءً بِإِيضَاحِ هٰذِهِ النَّتِيجَةِ بِالْحُجَجِ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ»..

﴿فَائِدَةٌ ثَالِثَةٌ لَهُ، عَائِدَةٌ إِلَى الْحَيَاةِ الشَّخْصِيَّةِ:﴾ أَنَّ تَفَوُّقَ الْإِنْسَانِ، وَرُتْبَتَهُ فَوْقَ سَائِرِ ذَوِي الْحَيَاةِ، هِيَ بِاعْتِبَارِ سَجَايَاهُ الْعَالِيَةِ، وَاسْتِعْدَادَاتِهِ الْجَامِعَةِ، وَعِبَادَاتِهِ الْكُلِّيَّةِ، وَدَوَائِرِهِ الْوُجُودِيَّةِ الْوَاسِعَةِ؛ وَالْحَالُ: أَنَّ ذٰلِكَ الْإِنْسَانَ، يَتَّخِذُ سَجَايَا مِثْلَ الْحَمِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْأُخُوَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، بِمِقْيَاسِ وَمِعْيَارِ الْوَقْتِ الْحَاضِرِ، الَّذِي هُوَ زَمَانٌ قَصِيرٌ تَضَايَقَ بَيْنَ الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ، الْمَعْدُومَةِ وَالْمَيِّتَةِ وَالْمُظْلِمَةِ؛ فَإِنَّهُ يُحِبُّ وَيَخْدُمُ وَطَنَهُ وَقَوْمَهُ، وَزَوْجَهُ وَأَخَاهُ وَأَبَاهُ مَثَلاً، الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفْهُمْ مِنْ قَدِيمٍ؛ وَلَنْ يَرَاهُمْ أَبَداً بَعْدَ الْمُفَارَقَةِ؛ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْجَحَ لِلصَّدَاقَةِ وَالْإِخْلَاصِ التَّامَّيْنِ، إِلَّا نَادِراً جِدّاً؛ فَتَتَصَاغَرُ كَمَالَاتُهُ وَسَجَايَاهُ فِي تِلْكَ النِّسْبَةِ؛ فَحِينَمَا يَكَادُ يَسْقُطُ فِي كَيْفِيَّةٍ لَا يَكُونُ أَعْلَى الْحَيَوَانَاتِ؛ بَلْ يَكُونُ أَذَلَّهَا وَأَسْفَلَهَا بِجِهَةِ الْعَقْلِ مُنْتَكِساً، يُدْرِكُ الْإِيمَانُ بِالْآخِرَةِ لِلْإِمْدَادِ؛ فَيُحَوِّلُ زَمَانَهُ الضَّيِّقَ كَالْقَبْرِ، إِلَى زَمَانٍ وَاسِعٍ جِدّاً، يَحْتَوِي الْأَزْمِنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْمُسْتَقْبَلَةَ؛ وَيُظْهِرُ دَائِرَةَ وُجُودٍ بِقَدَرِ الدُّنْيَا، بَلْ مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ؛ فَيُحِبُّ وَيَحْتَرِمُ وَيَرْحَمُ وَيُعِينُ أَبَاهُ، بِمُنَاسَبَةِ الْأُبُوَّةِ، فِي دَارِ السَّعَادَةِ وَعَالَمِ الْأَرْوَاحِ أَيْضاً؛ وَأَخَاهُ، بِتَصَوُّرِ أُخُوَّتِهِ إِلَى الْأَبَدِ؛ وَزَوْجَتَهُ، بِحَيْثِيَّةِ مَعْرِفَتِهِ بِأَنَّهَا أَجْمَلُ رَفِيقَةِ حَيَاةٍ لَهُ فِي الْجَنَّةِ أَيْضاً؛ وَلَا يَجْعَلُ الْخَدَمَاتِ الْمُهِمَّةَ، الَّتِي هِيَ لِأَجْلِ مُنَاسَبَاتٍ فِي دَائِرَةِ الْحَيَاةِ وَالْوُجُودِ، الْوَاسِعَةِ الْعَظِيمَةِ تِلْكَ، أَدَاةً لِمَا لَا قِيمَةَ لَهَا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَأَغْرَاضِهَا وَمَنَافِعِهَا الْجُزْئِيَّةِ؛ فَتَشْرَعُ كَمَالَاتُهُ وَخَصَائِلُهُ فِي التَّعَالِي، بِتِلْكَ النِّسْبَةِ؛ وَتَتَعَالَى إِنْسَانِيَّتُهُ حَسَبَ دَرَجَتِهِ؛ وَهُوَ مُوَفَّقٌ لِلصَّدَاقَةِ الْجَادَّةِ وَالْإِخْلَاصِ الصَّمِيمِ؛ فَيَكُونُ ذٰلِكَ الْإِنْسَانُ الَّذِي لَا يُدْرِكُ الْعُصْفُورَ فِي لَذَّةِ الْحَيَاةِ، أَسْعَدَ ضَيْفٍ لِلْكَائِنَاتِ، وَأَعْلَاهُ انْتِخَاباً، وَأَحَبَّ عَبْدٍ لِصَاحِبِ الْكَائِنَاتِ، وَأَوْلَاهُ قَبُولاً، فَوْقَ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ. فَهٰذِهِ النَّتِيجَةُ أَيْضاً اخْتُصِرَتْ اكْتِفَاءً بِإِيضَاحِهَا بِالْحُجَجِ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ»..

﴿فَائِدَةٌ رَابِعَةٌ لَهُ، تَنْظُرُ إِلَى الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ:﴾ وَهٰذِهِ خُلَاصَةٌ لِتِلْكَ النَّتِيجَةِ الَّتِي بُيِّنَتْ فِي الشُّعَاعِ التَّاسِعِ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ»؛ وَهِيَ: أَنَّ الصِّبْيَانَ الَّذِينَ يُشَكِّلُونَ رُبُعَ نَوْعِ

الْإِنْسَانِ ، يُمْكِنُ أَنْ يَعِيشُوا عِيشَةَ الْإِنْسَانِ ؛ وَأَنْ يَحْمِلُوا اسْتِعْدَادَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، بِإِيمَانِ الْآخِرَةِ . وَإِلَّا فَيَعِيشُ بِحَيَاةٍ سَفِيهَةٍ ، بِأَلَاعِيبِ الطُّفُولَةِ ، لِإِنْسَاءِ نَفْسِهِ وَتَنْوِيمِهَا ، بَيْنَ أَهْوَالٍ أَلِيمَةٍ ؛ لِأَنَّهَا تُؤَثِّرُ بِمَوْتِ صِبْيَانٍ مِثْلِهِ ، كُلَّ وَقْتٍ حَوْلَهُ ، تَأْثِيراً فِي دِمَاغِهِ الرَّقِيقِ ، وَفِي قَلْبِهِ الضَّعِيفِ الْحَامِلِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ لِآمَالٍ مَدِيدَةٍ ، وَفِي رُوحِهِ الَّتِي لَا مُقَاوَمَةَ لَهَا ؛ يَكَادُ يَجْعَلُ الْحَيَاةَ وَالْعَقْلَ أَدَاةَ الْعَذَابِ وَالِاضْطِهَادِ ؛ فَعِنْدَئِذٍ يُحِسُّ سُرُوراً وَانْبِسَاطاً ، بِدَرْسِ الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ ، بَدَلاً عَنْ تِلْكَ الْأَهْوَالِ الَّتِي كَانَ يَتَسَتَّرُ عَنْهَا تَحْتَ الْأَلَاعِيبِ ؛ لِئَلَّا يَرَاهَا ؛ فَيَقُولُ : لَقَدْ مَاتَ أَخِي ، أَوْ رَفِيقِي هٰذَا ؛ فَصَارَ أَحَدَ طُيُورِ الْجَنَّةِ ؛ فَيَتَلَذَّذُ وَيَسِيرُ أَحْسَنَ مِنَّا ؛ وَمَاتَتْ وَالِدَتِي ؛ وَلٰكِنْ ذَهَبَتْ إِلَى الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ فَسَتَقْبَلُنِي إِلَى حُضْنِهَا وَتُحِبُّنِي فِي الْجَنَّةِ أَيْضاً ؛ وَأَنَا سَأَرَى أُمِّيَ الرَّقِيقَةَ الْمُشْفِقَةَ تِلْكَ . هٰكَذَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ بِوَجْهٍ لَائِقٍ بِالْإِنْسَانِيَّةِ . .

وَأَيْضاً إِنَّ الشُّيُوخَ الَّذِينَ يُشَكِّلُونَ أَحَدَ أَرْبَاعِ النَّاسِ ، إِنَّمَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجِدُوا التَّسَلِّيَ ، فِي الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ فَقَطْ وَحَسْبُ ، إِزَاءَ انْطِفَاءِ حَيَاتِهِمْ ، وَدُخُولِهِمْ فِي التُّرَابِ ، وَانْسِدَادِ دُنْيَاهُمُ الْجَمِيلَةِ وَالْحَبِيبَةِ ، عَنْ قَرِيبٍ . وَإِلَّا فَإِنَّ أُولٰئِكَ الْآبَاءَ الرُّحَمَاءَ الْمُحْتَرَمِينَ ، وَالْأُمَّهَاتِ الْفَوَادِيَ الْمُشْفِقَاتِ ، كَانُوا يُعَانُونَ صُرَاخاً رُوحِيّاً ، وَاضْطِرَاباً قَلْبِيّاً ؛ فَكَانَتِ الدُّنْيَا تَصِيرُ لَهُمْ سِجْناً آيِساً ؛ وَالْحَيَاةُ عَذَاباً أَلِيماً ؛ وَلٰكِنَّ الْإِيمَانَ بِالْآخِرَةِ يَقُولُ لَهُمْ : لَا تَحْزَنُوا ؛ فَإِنَّ لَكُمْ شَبِيبَةً أَبَدِيَّةً سَتَأْتِي ؛ وَإِنَّ حَيَاةً مُشْرِقَةً ، وَعُمُراً غَيْرَ مُتَنَاهٍ ، يَنْتَظِرَانِكُمْ ؛ وَإِنَّكُمْ سَتَجْتَمِعُونَ بِالْمَسَارِّ ، بِأَوْلَادِكُمْ وَأَقَارِبِكُمُ الَّذِينَ أَضَعْتُمُوهُمْ ؛ وَإِنَّ جَمِيعَ مَا فَعَلْتُمُوهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ ، قَدْ حُفِظَتْ ؛ فَسَتَرَوْنَ ثَوَابَهَا . هٰكَذَا يُعْطِيهِمُ الْإِيمَانُ بِالْآخِرَةِ ، تَسَلِّياً وَانْشِرَاحاً ، لَوِ اجْتَمَعَتْ مِئَةُ شَيْبٍ عَلَى رَأْسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، دَفْعَةً وَاحِدَةً ، لَا تُؤَايِسُهُمْ . .

وَإِنَّ الشَّبَابَ الَّذِينَ يُشَكِّلُونَ ثُلُثَ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، أُولٰئِكَ الشُّبَّانَ الْمَغْلُوبِينَ لِمَشَاعِرِهِمْ ؛ وَهَوَسَاتِهِمْ فِي حَالَةِ الْغَلَيَانِ ؛ وَلَا يَحْمِلُونَ عُقُولَهُمُ الْجَرِيئَةَ إِلَى رُؤُوسِهِمْ كُلَّ وَقْتٍ ؛ إِذَا افْتَقَدُوا الْإِيمَانَ بِالْآخِرَةِ ؛ وَلَمْ يَتَذَكَّرُوا عَذَابَ جَهَنَّمَ ؛ فَإِنَّ أَمْوَالَ أَهْلِ الشَّرَفِ وَأَعْرَاضَهُمْ ، وَرَاحَةَ الضُّعَفَاءِ وَالشُّيُوخِ وَكَرَامَتَهُمْ ، تَبْقَى فِي الْخَطَرِ فِي الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ؛ فَيُفْسِدُ أَحْيَاناً سَعَادَةَ

أُسْرَةٍ سَعِيدَةٍ ، لِأَجْلِ دَقِيقَةٍ مِنْ لَذَّتِهِ ؛ وَيُقَاسِي الْعَذَابَ أَرْبَعَ أَوْ خَمْسَ سِنِينَ فِي مِثْلِ هٰذَا السِّجْنِ ؛ فَيُصْبِحُ فِي حُكْمِ حَيَوَانٍ مُفْتَرِسٍ . فَإِنْ أَمَدَّهُ الْإِيمَانُ بِالْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ يَحْمِلُ عَقْلَهُ إِلَى رَأْسِهِ فَوْراً ؛ وَيَقُولُ : إِنَّهُ ، وَإِنْ لَمْ يَرَنِي جَوَاسِيسُ الْحُكُومَةِ ؛ وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَخْتَفِيَ مِنْهُمْ ؛ وَلٰكِنَّ مَلَائِكَةَ سُلْطَانٍ ذِي جَلَالٍ لَهُ سِجْنٌ مِثْلُ جَهَنَّمَ ، هُمْ يَرَوْنَنِي وَيُسَجِّلُونَ سَيِّئَاتِي ؛ فَلَسْتُ هَائِماً ؛ وَأَنَا مُسَافِرٌ مُوَظَّفٌ ؛ فَسَأَشِيبُ وَأَضْعُفُ أَنَا مِثْلَهُمْ أَيْضاً . . فَإِذَا بِهِ يُبَاشِرُ بِالتَّحَسُّسِ بِشَفَقَةٍ وَاحْتِرَامٍ ، تِجَاهِ أَشْخَاصٍ كَانَ يُرِيدُ الِاعْتِدَاءَ عَلَيْهِمْ ظُلْماً . . فَاكْتِفَاءً بِإِيضَاحِ هٰذَا الْمَعْنَى بِبَرَاهِينِهِ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» أَيْضاً ، نَخْتَصِرُهُ . .

وَأَيْضاً إِنَّ قِسْماً مُهِمّاً مِنْ نَوْعِ الْبَشَرِ ، هُمُ الْمَرْضَى وَالْمَظْلُومُونَ ، وَأَمْثَالُنَا مِنْ ذَوِي الْمَصَائِبِ ، وَالْفُقَرَاءُ وَالْمَسْجُونُونَ الْحَامِلُونَ لِلْجَزَاءِ الثَّقِيلِ ؛ فَإِنْ لَمْ يُدْرِكِ الْإِيمَانُ بِالْآخِرَةِ لِإِمْدَادِهِمْ ؛ فَإِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي حَضَرَ أَمَامَ عَيْنِهِ بِتَذْكِيرِ الْمَرَضِ كُلَّ وَقْتٍ ؛ وَإِهَانَةَ الظَّالِمِ عَلَى وَجْهِ الْغُرُورِ ، الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ ؛ وَلَا أَنْ يُنْقِذَ عِرْضَهُ مِنْ يَدِهِ ؛ وَيَأْسَهُ الْأَلِيمَ الْوَارِدَ بِافْتِقَادِهِ أَمْوَالَهُ وَأَوْلَادَهُ هَبَاءً فِي الْمَصَائِبِ الْعَظِيمَةِ ؛ وَالِانْقِبَاضَ الْمُنَغِّصَ النَّاشِئَ عَنْ مُقَاسَاةِ عَذَابِ مِثْلِ هٰذَا السِّجْنِ ، خَمْسَ أَوْ عَشْرَ سَنَوَاتٍ ، مِنْ أَجْلِ ذَوْقِ دَقِيقَةٍ وَدَقِيقَتَيْنِ ، أَوْ سَاعَةٍ وَسَاعَتَيْنِ ؛ إِنَّ ذٰلِكَ يُحَوِّلُ الدُّنْيَا إِلَى السِّجْنِ ؛ وَالْحَيَاةَ إِلَى عَذَابٍ أَلِيمٍ ، لِأُولَائِكَ الْبَائِسِينَ . . وَإِنْ أَدْرَكَ الْإِيمَانُ بِالْآخِرَةِ لِإِمْدَادِهِمْ ؛ فَإِذَا بِهِمْ يَتَنَفَّسُونَ ؛ وَيَزُولُ انْقِبَاضُهُمْ وَيَأْسُهُمْ وَخَوْفُهُمْ ، وَغَضَبُ انْتِقَامِهِمْ ـ قِسْماً ، وَأَحْيَاناً تَمَاماً ـ حَسَبَ دَرَجَةِ إِيمَانِهِمْ . حَتَّى إِنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ : لَوْلَا أَعَانَ الْإِيمَانُ بِالْآخِرَةِ ، فِي سِجْنِنَا ـ أَنَا وَبَعْضِ إِخْوَانِنَا ـ هٰذَا الَّذِي لَا سَبَبَ لَهُ ، وَفِي مُصِيبَتِنَا الرَّهِيبَةِ هٰذِهِ ؛ لَأَثَّرَتِ الْمُقَاوَمَةُ يَوْماً وَاحِداً ، بِقَدَرِ الْمَوْتِ ؛ فَسَاقَتْنَا إِلَى الِاسْتِعْفَاءِ عَنِ الْحَيَاةِ ؛ وَلٰكِنْ لَهُ الشُّكْرُ بِلَا حَدٍّ ؛ فَإِنِّي أُقَاسِي أَيْضاً آلَامَ إِخْوَانِيَ الْكَثِيرِينَ جِدّاً ، الْوَارِدَةَ عَنْ هٰذِهِ الْمُصِيبَةِ ، الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ بِقَدَرِ رُوحِي ؛ وَأُقَاسِي أَيْضاً تَأَسُّفَ آلَافِ رِسَالَةٍ مِنْ «رَسَائِلِ النُّورِ» الَّتِي أُحِبُّهَا بِقَدَرِ عَيْنِي ، وَكُتُبِي الْقَيِّمَةَ جِدّاً الْمُذَهَّبَةَ وَالْمُزَيَّنَةَ ، تَأَسُّفَهَا عَنْ ضَيَاعِهَا وَبُكَائِهَا ؛ وَكُنْتُ مُنْذُ الْقَدِيمِ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ

أَحْتَمِلَ قَلِيلاً مِنَ الْإِهَانَةِ وَالتَّحكُّمِ ؛ مَعَ أَنِّي أُؤَمِّنُكُمْ بِالْقَسَمِ : أَنَّ نُورَ الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ وَقُوَّتَهُ ، أَعْطَيَانِي صَبْراً وَتَحَمُّلاً ، وَتَسَلِّياً وَمَتَانَةً ، بَلْ وَشَوْقاً لِلْفَوْزِ بِالْجَائِزَةِ الْكُبْرى ، فِي دَرْسِ امْتِحَانَةٍ مُجَاهِدَةٍ رَابِحَةٍ ؛ فَأَعْلَمُنِي فِي مَدْرَسَةٍ خَيْرِيَّةٍ طَيِّبَةٍ ، لَائِقَةٍ بِعُنْوَانِ «الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ» ، كَمَا قُلْتُ فِي صَدْرِ هٰذِهِ الرُّسَيْلَةِ ؛ فَلَوْلَا كَانَتِ الْأَمْرَاضُ الطَّارِئَةُ أَحْيَاناً ، وَالْحَسَّاسِيَّاتُ النَّاشِئَةُ عَنِ الشَّيْبِ ؛ لَاجْتَهَدْتُ أَزْيَدَ اجْتِهَادٍ لِدُرُوسِي ، مُكَمَّلاً وَبِرَاحَةِ الْقَلْبِ .. وَمَهْمَا كَانَ ، فَقَدْ دَخَلَ خَارِجُ الصَّدَدِ ، بِمُنَاسَبَةِ هٰذَا الْمَقَامِ ؛ فَلَا يُنْظَرْ إِلَى التَّقْصِيرِ ..

وَأَيْضاً إِنَّ دُنْيَا صَغِيرَةً ، بَلْ جَنَّةً صَغِيرَةً أَيْضاً ، لِكُلِّ إِنْسَانٍ ، هِيَ بَيْتُهُ . فَإِنْ لَمْ يَحْكُمِ الْإِيمَانُ بِالْآخِرَةِ ، فِي سَعَادَةِ ذٰلِكَ الْبَيْتِ ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَفْرَادِ تِلْكَ الْأُسْرَةِ ، يُعَانِي الْآلَامَ وَالْأَحْزَانَ الْأَلِيمَةَ ، فِي دَرَجَةِ شَفَقَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَعَلَاقَتِهِ ؛ فَتَتَحَوَّلُ جَنَّتُهُ تِلْكَ إِلَى جَهَنَّمَ ؛ أَوْ يُرْقِدُ عَقْلَهُ مُنَوِّماً إِيَّاهُ بِمَلَاهِي وَسَفَاهَاتٍ مُؤَقَّتَةٍ ؛ فَهُوَ مِثْلُ النَّعَامَةِ ، تَرَى الصَّيَّادَ ؛ فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَهْرُبَ أَوْ تَطِيرَ ؛ فَتُدْخِلُ رَأْسَهَا فِي الرَّمْلِ ، كَيْلَا تَتَرَاءَى ؛ فَإِنَّهُ يُدْخِلُ رَأْسَهُ فِي الْغَفْلَةِ ، كَيْلَا يَرَاهُ الْمَوْتُ وَالزَّوَالُ وَالْفِرَاقُ ؛ فَيَجِدُ وَسِيلَةً مَّا ، مِنْ قَبِيلِ إِبْطَالِ الْحِسِّ مُؤَقَّتاً ، عَلَى وَجْهِ الْجُنُونِ ؛ ذٰلِكَ لِأَنَّ الْوَالِدَةَ مَثَلاً ، تَرْتَعِدُ كُلَّمَا شَاهَدَتْ أَوْلَادَهَا الَّذِينَ تَفْدِيهِمْ بِرُوحِهَا ، مُعَرَّضِينَ لِلْمَهَالِكِ دَائِماً ؛ وَأَنَّ الْأَوْلَادَ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُنْقِذُوا أَبَاهُمْ وَأَخَاهُمْ عَنِ الْبَلَايَا الَّتِي لَا تَنْدُرُ ، يُحِسُّونَ بِغُصَّةٍ وَجَبَانَةٍ دَائِمَةٍ . فَقِيَاساً عَلَى هٰذَا ، فَإِنَّ حَيَاةَ الْأُسْرَةِ تِلْكَ الَّتِي تُظَنُّ مَسْعُودَةً ، فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْمُضْطَرِبَةِ بِلَا قَرَارٍ ، تَفْتَقِدُ سَعَادَتَهَا بِجِهَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ وَإِنَّ الْمُنَاسَبَةَ وَالْقَرَابَةَ فِي حَيَاةٍ قَصِيرَةٍ أَيْضاً ، لَا تُورِثُ صَدَاقَةً حَقِيقِيَّةً ، وَإِخْلَاصاً صَمِيماً ، وَمَحَبَّةً وَخِدْمَةً بِدُونِ غَرَضٍ ؛ فَتَتَصَاغَرُ الْأَخْلَاقُ بِتِلْكَ النِّسْبَةِ ؛ بَلْ تَسْقُطُ .. وَإِنْ دَخَلَ الْإِيمَانُ بِالْآخِرَةِ ، ذٰلِكَ الْبَيْتَ ؛ فَإِذَا بِهِ يُنِيرُهُ ؛ فَتَتَعَالَى الْأَخْلَاقُ ، مِثْلَمَا يَحْتَرِمُ غَيْرَهُ وَيُحِبُّهُ ؛ وَيُشْفِقُ عَلَيْهِ ؛ وَيُصَادِقُهُ صَمِيماً ؛ وَلَا يَنْظُرُ إِلَى أَخْطَائِهِ ، لَا بِمِقْيَاسِ زَمَانٍ قَصِيرٍ ، لِمَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْمُنَاسَبَةِ وَالشَّفَقَةِ وَالْقَرَابَةِ وَالْمَحَبَّةِ ، بَلْ بِمِقْيَاسِ دَوَامِ تِلْكَ الْمُنَاسَبَاتِ فِي دَارِ الْآخِرَةِ ، وَفِي السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ أَيْضاً ؛ فَتُبَاشِرُ سَعَادَةُ الْإِنْسَانِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةُ بِالْانْكِشَافِ فِي ذٰلِكَ

الْبَيْتِ.. فَبِنَاءً عَلىٰ بَيَانِ هٰذَا الْمَعْنىٰ أَيْضاً بِالْحُجَجِ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ، اخْتُصِرَ..

وَأَيْضاً إِنَّ كُلَّ بَلَدٍ ، بَيْتٌ وَاسِعٌ لِأَهَالِيهِ ؛ فَإِنْ لَمْ يَحْكُمِ الْإِيمَانُ بِالْآخِرَةِ ، فِي أَفْرَادِ تِلْكَ الْأُسْرَةِ الْكَبِيرَةِ ؛ فَإِنَّ أَحْوَالاً مِثْلَ الْغَرَضِ وَالنَّفْعِ وَالِاحْتِيَالِ ، وَالْعُجْبِ وَالتَّصَنُّعِ وَالرِّيَاءِ ، وَالرَّشْوَةِ وَالْخِدَاعِ ، تَسْتَوْلِي عَلَى الْمَيْدَانِ ، بَدَلاً عَنِ الْإِخْلَاصِ وَالصَّمِيمِيَّةِ وَالْفَضِيلَةِ ، وَالْحَمِيَّةِ وَالْفِدَاءِ ، وَالرِّضَا الْإِلٰهِيِّ ، وَالثَّوَابِ الْأُخْرَوِيِّ ، الَّتِي هِيَ أُسُسُ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ ؛ فَيَحْكُمُ مَعْنَى الْفَوْضَوِيَّةِ وَالْوَحْشَةِ ، تَحْتَ الْأَمْنِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ الظَّاهِرَيْنِ ؛ فَتَتَسَمَّمُ تِلْكَ الْحَيَاةُ الْبَلَدِيَّةُ ؛ فَيَشْرَعُ الصِّبْيَانُ فِي الْهَوَسِ ؛ وَالشُّبَّانُ فِي السُّكْرِ ؛ وَالْأَقْوِيَاءُ فِي الظُّلْمِ ؛ وَالشِّيبُ فِي الْبُكَاءِ.. فَقِيَاساً عَلىٰ هٰذَا ، فَالْمَمْلَكَةُ أَيْضاً بَيْتٌ ؛ وَالْوَطَنُ أَيْضاً بَيْتُ أُسْرَةٍ قَوْمِيَّةٍ ؛ فَإِذَا حَكَمَ الْإِيمَانُ بِالْآخِرَةِ فِي هٰذِهِ الْبُيُوتِ الْعَظِيمَةِ ؛ فَإِذَا بِالِاحْتِرَامِ الصَّمِيمِ ، وَالرَّحْمَةِ الْجَادَّةِ ، وَالْمَحَبَّةِ وَالْمُعَاوَنَةِ بِدُونِ رَشْوَةٍ ، وَالْخِدْمَةِ وَالْمُعَاشَرَةِ بِغَيْرِ حِيلَةٍ ، وَالْإِحْسَانِ وَالْفَضِيلَةِ بِلَا رِيَاءٍ ، وَالْعَظَمَةِ وَالْمَزِيَّةِ بِدُونِ أَنَانِيَّةٍ ، تَشْرَعُ بِالِانْكِشَافِ فِي تِلْكَ الْحَيَاةِ ؛ فَيَقُولُ لِلصِّبْيَانِ : تُوجَدُ الْجَنَّةُ ؛ فَاتْرُكِ الْهَوَسَ ؛ فَيُعْطِي التَّمْكِينَ بِدَرْسِ الْقُرْآنِ. وَيَقُولُ لِلشُّبَّانِ : تُوجَدُ جَهَنَّمُ ؛ فَاتْرُكُوا السُّكْرَ ؛ فَيُعِيدُ بِعُقُولِهِمْ إِلَىٰ رُؤُوسِهِمْ. وَيَقُولُ لِلظَّالِمِ : يُوجَدُ الْعَذَابُ الشَّدِيدُ ؛ فَسَتَذُوقُ الصَّفْعَةَ ؛ فَيُطَأْطِئُ رَأْسَهُ لِلْعَدَالَةِ. وَيَقُولُ لِلشِّيبِ : إِنَّ شَبِيبَةً جَدِيدَةً بَاقِيَةً ، وَسَعَادَةً أُخْرَوِيَّةً دَائِمَةً ، أَعْلىٰ بِكَثِيرٍ مِنْ جَمِيعِ سَعَادَاتِكَ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ يَدِكَ ، تَنْتَظِرَانِكَ ؛ فَاجْتَهِدْ لِتَحْصِيلِهِمَا ؛ فَيُحَوِّلُ بُكَاءَهُ إِلَى الضَّحِكِ.. فَقِيَاساً عَلىٰ هٰؤُلَاءِ ، يُظْهِرُ حُسْنَ تَأْثِيرِهِ فِي كُلِّ طَائِفَةٍ جُزْئِيَّةٍ وَكُلِّيَّةٍ ؛ وَيُنَوِّرُهَا.. فَلْتَرَنَّ آذَانُ الِاجْتِمَاعِيِّينَ وَالْأَخْلَاقِيِّينَ الَّذِينَ هُمْ ذَوُو عَلَاقَةٍ بِحَيَاةِ نَوْعِ الْبَشَرِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ..

هٰذَا ، فَإِذَا قِيسَ سَائِرُ فَوَائِدِ الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ ، عَلىٰ أَمْثِلَتِهَا الْخَمْسَةِ أَوِ السِّتَّةِ الَّتِي أَشَرْنَا إِلَيْهَا ، مِنْ آلَافِ فَوَائِدِهِ ؛ يُفْهَمُ قَطْعاً ، أَنَّ مَدَارَ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ وَالْحَيَاتَيْنِ ، هُوَ الْإِيمَانُ فَحَسْبُ..

فَاكْتِفَاءً بِالْأَجْوِبَةِ الْقَوِيَّةِ ، عَلَى الشُّبُهَاتِ الْوَارِدَةِ فِي جِهَةِ جِسْمَانِيَّةِ الْحَشْرِ ، فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ، فِي «الْمَقَالَةِ الثَّامِنَةِ وَالْعِشْرِينَ» ، وَفِي رَسَائِلِهَا الْأُخْرىٰ ، نَقُولُ هُنَا بِإِشَارَةٍ مُخْتَصَرَةٍ

فَقَطْ : إنَّ أَجْمَعَ مِرْآةِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، هِيَ فِي الْجِسْمَانِيَّةِ ؛ وَإنَّ أَغْنَى الْمَقَاصِدِ الْإِلٰهِيَّةِ فِي خِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَإنَّ مَرْكَزَهَا الْفَعَّالَ ، هُمَا فِي الْجِسْمَانِيَّةِ ؛ وَإنَّ أَكْثَرَ أَنْوَاعِ الْإِحْسَانَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ وَمُتَنَوِّعَاتِهَا ، هِيَ فِي الْجِسْمَانِيَّةِ ؛ وَإنَّ أَكْثَرَ بُذُورِ دَعَوَاتِ الْبَشَرِ وَشُكُورِهِ تِجَاهَ خَالِقِهِ ، بِأَلْسِنَةِ احْتِيَاجَاتِهِ ، هِيَ فِي الْجِسْمَانِيَّةِ أَيْضاً ؛ وَإنَّ أَزْيَدَ مُتَنَوِّعَاتِ نَوَى عَوَالِمِ الْمَعْنَوِيَّاتِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ ، هِيَ فِي الْجِسْمَانِيَّةِ أَيْضاً . .

فَقِيَاساً عَلَى هٰؤُلَاءِ ، تَرَكَّزَتْ مِئَاتُ الْحَقَائِقِ الْكُلِّيَّةِ ، فِي الْجِسْمَانِيَّاتِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يُلْبِسُ الْخَالِقُ الْحَكِيمُ ، الْوُجُودَ عَلَى الْمَوْجُودَاتِ ، قَافِلَةً وَرَاءَ قَافِلَةٍ ، بِفَعَّالِيَّةٍ سَرِيعَةٍ وَفَزِيعَةٍ كَذٰلِكَ ، لِأَجْلِ تَكْثِيرِ الْجِسْمَانِيَّاتِ فِي وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَلِجَعْلِهَا مَظْهَراً لِلْحَقَائِقِ الْمَذْكُورَةِ ؛ فَيُرْسِلُهَا إلَى ذٰلِكَ الْمَشْهَرِ ؛ ثُمَّ يُسَرِّحُهَا ؛ وَيُرْسِلُ غَيْرَهَا ؛ فَيَسْتَعْمِلُ مَصْنَعَ الْكَائِنَاتِ دَائِماً ؛ وَيَنْسُجُ مَحْصُولَاتِ الْجِسْمَانِيَّاتِ ؛ فَيَجْعَلُ الْأَرْضَ فِي حُكْمِ حَدِيقَةِ غَرْسٍ لِلْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ ؛ حَتَّى إنَّ إِحْضَارَهُ لِلْجِسْمَانِيَّاتِ ، مَا لَا حَدَّ وَلَا حِسَابَ لَهَا مِنْ أَطْعِمَةٍ مُصَنَّعَةٍ لِلْغَايَةِ ، وَنِعَمٍ قَيِّمَةٍ لِلْغَايَةِ ، عَلَى مِئَاتِ آلَافِ شَكْلٍ ، وَفِي آلَافِ لَذَائِذَ مُتَنَوِّعَةٍ ، لِيَسْتَمِعَ بِكَمَالِ الْأَهَمِّيَّةِ دُعَاءَ مَعِدَةِ الْإِنْسَانِ الْجِسْمَانِيَّةِ ؛ فَيَتَقَبَّلُ دُعَاءَهَا بِلِسَانِ حَالِهَا ، حَوْلَ بَقَائِهَا ؛ فَيُجِيبُ عَلَيْهِ بِالْفِعْلِ ، لِإِرْضَاءِ تِلْكَ الْمَعِدَةِ ، يَدُلُّ ذٰلِكَ بِالْبَدَاهَةِ وَبِدُونِ شَكٍّ : عَلَى أَنَّ أَكْثَرَ لَذَائِذِ الْجَنَّةِ ، وَأَكْثَرَهَا تَنَوُّعاً فِي دَارِ الْآخِرَةِ ، هِيَ جِسْمَانِيَّةٌ ؛ وَأَنَّ أَهَمَّ نِعَمِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَالَّتِي يَطْلُبُهَا وَيُؤَانِسُهَا كُلُّ أَحَدٍ ، هِيَ جِسْمَانِيَّةٌ . فَيَا عَجَباً ! هَلْ تُوجَدُ أَيَّةُ جِهَةِ احْتِمَالٍ وَإِمْكَانٍ : أَنْ يَتَقَبَّلَ قَدِيرٌ رَحِيمٌ ، وَعَلِيمٌ كَرِيمٌ ، دُعَاءَ بَقَاءِ هٰذِهِ الْمَعِدَةِ الْعَادِيَّةِ ، بِلِسَانِ حَالِهَا ؛ فَيُرْضِيَهَا بِأَطْعِمَةٍ مَادِّيَّةٍ ذَاتِ مُعْجِزَاتٍ بِلَا نِهَايَةٍ ؛ فَيُجِيبَ عَلَيْهِ بِالْفِعْلِ عَلَى وَجْهِ الْقَصْدِ بِدُونِ تَصَادُفٍ ، كُلَّ وَقْتٍ ؛ فَلَا تُتَقَبَّلَ دَعَوَاتُ نَوْعِ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ أَهَمُّ نَتِيجَةِ الْكَائِنَاتِ ، وَخَلِيفَةُ الْأَرْضِ ، وَحَبِيبُ ذٰلِكَ الْخَالِقِ ، وَعَبْدُهُ الْأَحَبُّ ، دَعَوَاتُهُ الْعُمُومِيَّةُ بِلَا حَدٍّ ، حَوْلَ إِعْطَاءِ اللَّذَائِذِ الْجِسْمَانِيَّةِ فِي دَارِ الْبَقَاءِ ، تِلْكَ اللَّذَائِذِ الْكُلِّيَّةِ الْعَالِيَةِ ، الَّتِي يَتَمَنَّاهَا وَيُؤَانِسُهَا وَيَطْلُبُهَا فِطْرَةً بِمَعِدَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، تِلْكَ الْمَعِدَةِ الْكُبْرَى ؛ وَلَا يُجَابَ عَلَيْهِ فِعْلاً بِالْحَشْرِ الْجِسْمَانِيِّ ؛ وَلَا يَجْعَلَهُ

ذَا امْتِنَانٍ أَبَدِيٍّ ؛ كَأَنْ يَسْمَعَ صَوْتَ الذُّبَابِ ؛ وَلَا يَسْمَعَ ضَجَّةَ السَّمَاءِ ؛ وَأَنْ يَعْتَنِيَ بِأَجْهِزَةِ مُجَنَّدٍ عَادِيٍّ ، بِكَمَالِ الِاهْتِمَامِ ؛ فَلَا يَعْتَنِيَ بِالْجَيْشِ أَصْلاً ؛ وَلَا يَهْتَمَّ بِهِ . وَهٰذَا مُحَالٌ وَبَاطِلٌ مِئَةَ دَرَجَةٍ .. نَعَمْ : إِنَّ الْإِنْسَانَ سَيَرَى اللَّذَائِذَ الْجِسْمَانِيَّةَ الَّتِي آنَسَهَا أَكْثَرَ مُؤَانَسَةٍ ؛ وَذَاقَ أَمْثَالَهَا فِي الدُّنْيَا ؛ وَإِنَّهُ سَيَذُوقُهَا عَلَى وَجْهٍ لَائِقٍ بِالْجَنَّةِ ؛ وَسَتُعْطَى مُكَافَأَةُ مَا فَعَلَتْهُ الْأَعْضَاءُ ، مِثْلُ اللِّسَانِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، مِنْ شُكُورٍ خَالِصَةٍ وَعِبَادَاتٍ خُصُوصِيَّةٍ ، بِلَذَائِذَ جِسْمَانِيَّةٍ مَخْصُوصَةٍ بِتِلْكَ الْأَعْضَاءِ ، بِالصَّرَاحَةِ الْقَاطِعَةِ لِآيَةِ : ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ .. وَإِنَّ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ ، يُبَيِّنُ اللَّذَائِذَ الْجِسْمَانِيَّةَ بِصُورَةٍ صَرِيحَةٍ ، يَكُونُ عَدَمُ قَبُولِ الْمَعْنَى الظَّاهِرِ بِتَأْوِيلَاتٍ أُخْرَى ، فِي خَارِجِ الْإِمْكَانِ ..

هٰذَا ، فَثَمَرَاتُ الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ وَنَتَائِجُهَا ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَمَا أَنَّ حَقِيقَةَ وَاحْتِيَاجَاتِ الْمَعِدَةِ مِنَ الْأَعْضَاءِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، تَدُلُّ قَطْعاً عَلَى وُجُودِ الْأَطْعِمَةِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ حَقِيقَةَ الْإِنْسَانِ ، وَكَمَالَاتِهِ وَاحْتِيَاجَاتِهِ الْفِطْرِيَّةَ ، وَآمَالَهُ الْأَبَدِيَّةَ ، وَحَقَائِقَهُ وَاسْتِعْدَادَاتِهِ ، الْمُقْتَضِيَةَ لِنَتَائِجِ الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ ، وَلِفَوَائِدِهِ الْمَذْكُورَةِ ، تَدُلُّ أَقْطَعَ دَلَالَةٍ عَلَى الْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ ، وَاللَّذَائِذِ الْبَاقِيَةِ الْجِسْمَانِيَّةِ ؛ وَتَشْهَدُ عَلَى تَحَقُّقِهَا ؛ كَمَا أَنَّ حَقِيقَةَ كَمَالَاتِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، وَآيَاتِهَا التَّكْوِينِيَّةَ ذَوَاتِ الْمَعَانِي ، وَجَمِيعَ حَقَائِقِهَا الْمُتَعَلِّقَةِ بِحَقَائِقِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ ، تَدُلُّ وَتَشْهَدُ عَلَى وُجُودِ دَارِ الْآخِرَةِ وَتَحَقُّقِهَا ، وَعَلَى مَجِيءِ الْحَشْرِ ، وَفَتْحِ الْجَنَّةِ وَجَهَنَّمَ ؛ أَثْبَتَتْهُ أَجْزَاءُ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، وَلَاسِيَّمَا «الْمَقَالَةُ الْعَاشِرَةُ ، وَمَقَامَا الْمَقَالَةِ الثَّامِنَةِ وَالْعِشْرِينَ ، وَالْمَقَالَةُ التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ ، وَالشُّعَاعُ التَّاسِعُ ، وَرِسَالَةُ الْمُنَاجَاةِ» ، بِالْحُجَجِ ، عَلَى وَجْهٍ لَامِعٍ لَا يَتْرُكُ الشُّبْهَةَ ؛ نُحِيلُهُ عَلَيْهَا ؛ فَنَخْتَصِرُ هٰذِهِ الْقِصَّةَ الطَّوِيلَةَ ..

إِنَّ الْبَيَانَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ حَوْلَ جَهَنَّمَ ، وَاضِحَةٌ وَظَاهِرَةٌ بِقَدْرٍ لَمْ تَتْرُكِ الِاحْتِيَاجَ إِلَى إِيضَاحَاتٍ أُخْرَى ؛ وَإِنَّمَا نُبَيِّنُ عِدَّةَ خُلَاصَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ لِلْغَايَةِ ، لِنُكْتَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثِ نِكَاتٍ ، تُزِيلُ شُبْهَةً أَوْ شُبْهَتَيْنِ ضَعِيفَتَيْنِ فَقَطْ ؛ فَنُحِيلُ تَفْصِيلَهَا إِلَى «رِسَالَةِ النُّورِ» ..

﴿اَلنُّكْتَةُ الْأُولَى :﴾ أَنَّ فِكْرَةَ جَهَنَّمَ ، لَا تُفَوِّتُ بِمَخَافَتِهَا ، لَذَائِذَ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ

السَّابِقَةِ ؛ لِأَنَّ الرَّحْمَةَ الرَّبَّانِيَّةَ بِلا حَدٍّ ، تَقُولُ لِذٰلِكَ الْإِنْسَانِ الْخَائِفِ : تَعَالَ إِلَيَّ ؛ فَادْخُلْ بِبَابِ التَّوْبَةِ ؛ لِئَلّا يُورِثَ وُجُودُ جَهَنَّمَ ، التَّرْهِيبَ ؛ بَلْ يُعْلِمُكَ لَذَائِذَ الْجَنَّةِ تَمَاماً ؛ وَلْتَأْخُذْ ثَأْرَكَ ، وَثَأْرَ مَا لا حَدَّ لَهَا مِنْ مَخْلُوقَاتٍ اعْتُدِيَتْ عَلَى حُقُوقِهَا ؛ فَتُفَرِّحَكُمْ. وَإِنْ غَرِقْتَ فِي الضَّلالَةِ ؛ فَلا تَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ ؛ فَإِنَّ وُجُودَ جَهَنَّمَ أَيْضاً ، خَيْرٌ مِنَ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ أَلْفَ دَرَجَةٍ ؛ وَإِنَّهُ نَوْعُ رَحْمَةٍ مَّا لِلْكُفَّارِ أَيْضاً ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ ، بَلِ الْحَيَوَانَاتِ ذَوَاتِ الْأَطْفَالِ أَيْضاً ، يَتَلَذَّذُ بِلَذَّةِ وَسَعَادَةِ أَقْرِبَائِهِ وَأَوْلادِهِ وَأَحْبَابِهِ ؛ وَيَصِيرُ مَسْعُوداً فِي جِهَةٍ مَّا . وَإِنَّكَ أَيُّهَا الْمُلْحِدُ ! إِمَّا سَتَسْقُطُ فِي هٰذِهِ الْحَالِ ، فِي الْعَدَمِ ، بِالْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ؛ وَإِمَّا سَتَدْخُلُ جَهَنَّمَ ، بِاعْتِبَارِ الضَّلالَةِ . فَالْعَدَمُ الَّذِي هُوَ الشَّرُّ الْمَحْضُ ، يُحْرِقُ رُوحَكَ وَقَلْبَكَ وَمَاهِيَّتَكَ الْإِنْسَانِيَّةَ ، أَزْيَدَ مِنْ جَهَنَّمَ آلافَ دَرَجَةٍ ، مِنِ انْعِدَامِ جَمِيعِ أَحْبَابِكَ وَجَمِيعِ أَقَارِبِكَ ، وَأَصْلِكَ وَنَسْلِكَ مَعَكَ ، الَّذِينَ تَفْرَحُ بِسَعَادَتِهِمْ ؛ وَتُصْبِحُ مَسْعُوداً بِهَا بِدَرَجَةٍ مَّا ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ تُوجَدْ جَهَنَّمُ ، لا تُوجَدُ الْجَنَّةُ أَيْضاً ؛ فَيَسْقُطُ كُلُّ شَيْءٍ بِكُفْرِكَ فِي الْعَدَمِ . وَإِنْ دَخَلْتَ جَهَنَّمَ ؛ وَبَقِيتَ فِي دَائِرَةِ الْوُجُودِ ؛ فَإِنَّ أَحْبَابَكَ وَأَقَارِبَكَ ، إِمَّا مَسْعُودُونَ فِي الْجَنَّةِ ؛ أَوْ يَصِيرُونَ مَظَاهِرَ لِرَحَمَاتٍ فِي جِهَةٍ مَّا ، فِي دَائِرَةِ الْوُجُودِ . فَإِذاً إِنَّ الْوَلاءَ لِوُجُودِ جَهَنَّمَ ، لازِمٌ لَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ؛ وَإِنَّ الْمُعَارَضَةَ لِجَهَنَّمَ ، مُوَالاةٌ لِلْعَدَمِ ؛ فَهِيَ مُوَالاةٌ لِانْعِدَامِ سَعَادَةِ مَنْ لا حَدَّ لَهُمْ مِنْ أَصْدِقَائِكَ . نَعَمْ : إِنَّ جَهَنَّمَ إِقْلِيمٌ مَوْجُودٌ ذُو هَيْبَةٍ وَجَلالٍ ، يُؤَدِّي وَظِيفَةَ سِجْنٍ عَلَى وَجْهِ الْحُكْمِ وَالْعَدْلِ ، لِلْحَاكِمِ ذِي الْجَلالِ ، حَاكِمِ دَائِرَةِ الْوُجُودِ الَّذِي هُوَ الْخَيْرُ الْمَحْضُ . وَإِنَّهَا مَعَ أَدَائِهَا وَظِيفَةَ السِّجْنِ أَيْضاً ، لَهَا وَظَائِفُ أُخْرَى كَثِيرَةٌ جِدّاً ؛ وَلَهَا حِكَمٌ كَثِيرَةٌ جِدّاً ، وَخِدَمَاتٌ عَائِدَةٌ إِلَى عَالَمِ الْبَقَاءِ ؛ وَإِنَّهَا مَسْكَنُ ذَوَاتِ حَيَاةٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً مِثْلِ الزَّبَانِيَةِ ، عَلَى وَجْهِ الْجَلالِ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ أَنَّ وُجُودَ جَهَنَّمَ ، وَعَذَابَهَا الشَّدِيدَ ، لَيْسَ لَهُمَا تَضَادٌّ لِلرَّحْمَةِ بِلا حَدٍّ ، وَلِلْعَدَالَةِ الْحَقِيقِيَّةِ ، وَلِلْحِكْمَةِ ذَاتِ الْمِيزَانِ بِدُونِ الْإِسْرَافِ ؛ بَلْ إِنَّ الرَّحْمَةَ وَالْعَدَالَةَ وَالْحِكْمَةَ ، تَقْتَضِي وُجُودَهَا ؛ إِذْ كَمَا أَنَّ إِدَانَةَ ظَالِمٍ دَاسَ حُقُوقَ أَلْفِ بَرِيءٍ ، وَقَتْلَ سَبُعٍ افْتَرَسَ

مِئَةَ حَيَوَانٍ مَظْلُومٍ، أَلْفُ رَحْمَةٍ لِلْمَظْلُومِينَ، بَيْنَ الْعَدَالَةِ؛ وَأَنَّ الْعَفْوَ عَنْ ذٰلِكَ الظَّالِمِ، وَإِطْلَاقَ السَّبُعِ حُرّاً، مِئَاتُ ظُلْمٍ لِمِئَاتِ الْبَائِسِينَ، مُقَابِلَ رَحْمَةٍ وَاحِدَةٍ لَا سَبِيلَ لَهَا؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ، فَإِنَّ الْكَافِرَ الْمُطْلَقَ، الَّذِي هُوَ مِنَ الدَّاخِلِينَ فِي سِجْنِ جَهَنَّمَ، يَعْتَدِي بِكُفْرِهِ عَلَى حُقُوقِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ بِالْإِنْكَارِ؛ وَيَعْتَدِي عَلَى حُقُوقِ الْمَوْجُودَاتِ الشَّاهِدَةِ لِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ، بِتَكْذِيبِ شَهَادَاتِهَا؛ وَيَعْتَدِي عَلَى حُقُوقِ الْمَخْلُوقَاتِ، بِإِنْكَارِ وَظَائِفِهَا الْعَالِيَةِ التَّسْبِيحِيَّةِ، تِجَاهَ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ؛ وَيَعْتَدِي نَوْعَ اعْتِدَاءٍ عَلَى حُقُوقِ الْكَائِنَاتِ، بِتَكْذِيبِ انْعِكَاسِهَا وَمُقَابَلَتِهَا بِالْعِبَادَاتِ، تِجَاهَ تَظَاهُرِ الرُّبُوبِيَّةِ، الَّذِي هُوَ غَايَةُ خِلْقَتِهَا، وَسَبَبُ وُجُودِهَا وَبَقَائِهَا؛ فَذٰلِكَ جِنَايَةٌ وَظُلْمٌ عَظِيمٌ بِتِلْكَ الْحَيْثِيَّةِ؛ فَلَا تَبْقَى قَابِلِيَّتُهُ لِلْعَفْوِ؛ وَيَسْتَحِقُّ تَهْدِيدَ آيَةِ: ﴿إِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾؛ فَعَدَمُ إِلْقَائِهِ فِي جَهَنَّمَ، يَصِيرُ مَظَالِمَ بِلَا حَدٍّ، مُقَابِلَ رَحْمَةٍ لَا مَحَلَّ لَهَا، لِمُدَّعِينَ بِلَا حَدٍّ، هُوجِمَ عَلَى حُقُوقِهِمْ..

هٰذَا، فَإِنَّ أُولَائِكَ الْمُدَّعِينَ، يَطْلُبُونَ وُجُودَ جَهَنَّمَ؛ كَمَا أَنَّ عِزَّةَ الْجَلَالِ وَعَظَمَةَ الْكَمَالِ أَيْضاً، يَقْتَضِيَانِهِ قَطْعاً. نَعَمْ: فَكَمَا أَنَّ عَاصِياً طَائِشاً، وَشَخْصاً مُعْتَدِياً عَلَى الرَّعِيَّةِ، إِذَا قَالَ لِحَاكِمِ تِلْكَ الْبِلَادِ ذِي الْعِزَّةِ: إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُلْقِيَنِي فِي السِّجْنِ؛ وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ ذٰلِكَ؛ فَمَسَّ عِزَّتَهُ؛ فَإِنَّهُ سَيَبْنِي سِجْناً لِأَجْلِ ذٰلِكَ الْفَاجِرِ؛ وَيُلْقِيهِ فِيهِ؛ وَإِنْ لَمْ يُوجَدِ السِّجْنُ فِي ذٰلِكَ الْبَلَدِ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ؛ فَإِنَّ الْكَافِرَ الْمُطْلَقَ، يَمَسُّ بِالشِّدَّةِ عِزَّةَ جَلَالِهِ تَعَالَى، بِكُفْرِهِ؛ وَيَطْعَنُ فِي عَظَمَةِ قُدْرَتِهِ، بِالْإِنْكَارِ؛ وَيَقْدَحُ فِي كَمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ، بِاعْتِدَائِهِ عَلَيْهِ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِجَهَنَّمَ أَسْبَابٌ مُوجِبَةٌ كَثِيرَةٌ جِدّاً، وَحِكَمٌ، لِوُجُودِهَا، لِأَجْلِ وَظَائِفَ كَثِيرَةٍ؛ فَإِنَّ خَلْقَ جَهَنَّمَ لِأَمْثَالِ أُولَائِكَ الْكُفَّارِ، وَإِلْقَاءَهُمْ فِيهَا، هُوَ شَأْنُ تِلْكَ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ؛ وَأَيْضاً إِنَّ مَاهِيَّةَ الْكُفْرِ تُعْلِنُ وُجُودَ جَهَنَّمَ أَيْضاً. نَعَمْ: فَكَمَا أَنَّ مَاهِيَّةَ الْإِيمَانِ إِذَا تَجَسَّمَتْ، يُمْكِنُ أَنْ تَدْخُلَ بِلَذَائِذِهَا فِي شَكْلِ جَنَّةٍ خُصُوصِيَّةٍ؛ وَتُخْبِرُ سِرّاً عَنِ الْجَنَّةِ مِنْ هٰذِهِ النُّقْطَةِ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ فَإِنَّهُ قَدْ أُثْبِتَ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» بِدَلَائِلِهَا؛ وَأُشِيرَ فِي مَسَائِلَ فِي الصَّدْرِ أَيْضاً: أَنَّ لِلْكُفْرِ، وَلَاسِيَّمَا الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ، وَلِلنِّفَاقِ وَالْاِرْتِدَادِ، أَغْذِيَةً مَعْنَوِيَّةً وَآلَاماً رَهِيبَةً وَمُظْلِمَةً، إِنْ تَجَسَّمَتْ؛

تَصِيرُ جَهَنَّماً خُصُوصِيَّةً لِذٰلِكَ الْإِنْسَانِ الْمُرْتَدِّ ؛ وَتُخْبِرُ سِرّاً عَنْ جَهَنَّمَ الْكُبْرٰى فِي هٰذِهِ الْجِهَةِ ؛ وَتُشِيرُ هٰذِهِ النَّوَاةُ السَّامَّةُ إِلٰى شَجَرَةِ الزَّقُّومِ تِلْكَ ، مِنْ نُقْطَةِ كَوْنِ الْحَقَائِقِ الصَّغِيرَةِ فِي مَزْرَعَةِ هٰذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ مَغْرَسَةٌ ، تُسَنْبِلُ فِي الْآخِرَةِ ؛ وَتَقُولُ : إِنِّي رُؤْيَةٌ لَهَا ؛ وَإِنَّ مِثَالاً صَغِيراً لِشَجَرَةِ الزَّقُّومِ تِلْكَ ، يُصْبِحُ ثَمَرَتِي لِأَجْلِ ذٰلِكَ الشَّقِيِّ الَّذِي يَحْوِينِي فِي قَلْبِهِ . فَإِذَا كَانَ الْكُفْرُ اعْتِدَاءً عَلٰى حُقُوقٍ بِلَا حَدٍّ ؛ فَإِنَّهُ جِنَايَةٌ بِلَا حَدٍّ ؛ فَإِذاً إِنَّهُ يَجْعَلُهُ مُسْتَحِقّاً لِعَذَابٍ بِلَا حَدٍّ . فَإِذَا كَانَتْ دَقِيقَةٌ مِنَ الْقَتْلِ ، تَقْبَلُ الْعَدَالَةُ الْبَشَرِيَّةُ مُقَاسَاتَهُ عَذَابَ السِّجْنِ ، فِي ثَمَانِي مَلَايِينِ دَقِيقَةٍ تَقْرِيباً ، فِي خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً مِنَ الْجَزَاءِ ؛ فَتَرَاهَا مُوَافِقَةً لِلْمَصْلَحَةِ وَالْحُقُوقِ الْعَامَّةِ ؛ فَإِنَّ حَمْلَ دَقِيقَةٍ مِنَ الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ ، لِلْعَذَابِ ، فِي دَقَائِقَ قَرِيبَةٍ مِنْ ثَمَانِيَةِ مِلْيَارَاتٍ ، يُوَافِقُ قَانُونَ تِلْكَ الْعَدَالَةِ ، بِجِهَةِ أَنَّ كَفْرَةً تَكُونُ بِقَدَرِ أَلْفِ قَتْلَةٍ . فَالَّذِي قَضٰى سَنَةً مِنْ عُمُرِهِ فِي ذٰلِكَ الْكُفْرِ ، يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ فِي تِرِلْيُونَيْ دَقِيقَةٍ وَثَمَانِيمِئَةِ مِلْيَارٍ وَثَمَانِينَ مِلْيَاراً مِنَ الدَّقَائِقِ تَقْرِيباً ؛ وَيَصِيرُ مَظْهَراً لِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ . .

وَمَهْمَا كَانَ ؛ فَإِنَّ إِيضَاحَاتِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، عَلٰى وَجْهِ الْإِعْجَازِ ، فِي حَقِّ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ؛ وَإِنَّ حُجَجَ «رِسَالَةِ النُّورِ» الَّتِي هِيَ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ وَنَابِعَةٌ مِنْهُ ، الدَّائِرَةَ حَوْلَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، لَمْ تَتْرُكَا الِاحْتِيَاجَ إِلٰى بَيَانٍ آخَرَ غَيْرِهَا ؛ وَإِنَّ آيَاتٍ كَثِيرَةً جِدّاً ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۞﴾ وَ ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ۞ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ۞﴾ ؛ وَإِنَّ أَكْثَرَ مَا يَقُولُ «الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» أَوَّلاً ، (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، وَجَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَهْلِ الْحَقِيقَةِ ، فِي أَدْعِيَتِهِمْ كُلَّ وَقْتٍ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : «أَجِرْنَا مِنَ النَّارِ ، نَجِّنَا مِنَ النَّارِ ، خَلِّصْنَا مِنَ النَّارِ ، وَقِنَا مِنْ جَهَنَّمَ» ، الَّتِي اكْتَسَبَتِ الْقَطْعَ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ ، بِنَاءً عَلَى الْوَحْيِ الْمَشْهُودِ ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ أَعْظَمَ مَسْأَلَةِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، هِيَ النَّجَاةُ مِنْ جَهَنَّمَ ؛ وَإِنَّ حَقِيقَةً مُدْهِشَةً وَمُعَظَّمَةً ، وَذَاتَ أَهَمِّيَّةٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً ، مِنْ حَقَائِقِ الْكَائِنَاتِ ، هِيَ جَهَنَّمُ ؛ فَيُشَاهِدُهَا قِسْمٌ مِنْ أَهْلِ الشُّهُودِ وَالْكَشْفِ وَالتَّحْقِيقِ ؛ وَيَرٰى بَعْضُهُمْ تَرَشُّحَاتِهَا وَظِلَالَهَا ؛ فَيَسْتَغِيثُونَ مِنْ دَهْشَتِهَا ؛ وَيَقُولُونَ : «أَجِرْنَا مِنْهَا» . .

نَعَمْ : إِنَّ تَعَارُضَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَاللَّذَّةِ وَالْأَلَمِ ، وَالضِّيَاءِ وَالظُّلْمَةِ ، وَالْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ ، وَالْحُسْنِ وَالْقُبْحِ ، وَالْهِدَايَةِ وَالضَّلَالَةِ ، وَتَدَاخُلَ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ ، فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، هُوَ لِأَجْلِ حِكْمَةٍ عَظِيمَةٍ جِدّاً ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الشَّرُّ ؛ لَا يُعْرَفُ الْخَيْرُ ؛ وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْأَلَمُ ؛ لَا تُفْهَمُ اللَّذَّةُ ؛ وَأَنَّ ضِيَاءً بِدُونِ ظُلْمَةٍ ، لَا تَكُونُ لَهَا أَهَمِّيَّةٌ ؛ وَأَنَّ دَرَجَاتِ الْحَرَارَةِ ، تَتَحَقَّقُ بِالْبُرُودَةِ ؛ وَأَنَّ حَقِيقَةً وَاحِدَةً مِنَ الْحُسْنِ ، تَصِيرُ أَلْفَ حَقِيقَةٍ ؛ وَأَنَّ آلَافَ مَرَاتِبِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ ، تَجِدُ الْوُجُودَ بِالْقُبْحِ ؛ وَأَنَّ الْجَنَّةَ بِدُونِ جَهَنَّمَ ، تَبْقَى لَذَائِذُهَا الْكَثِيرَةُ جِدّاً مَخْفِيَّةً . فَقِيَاساً عَلَىٰ هٰؤُلَاءِ ، أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، يُمْكِنُ أَنْ يُعْرَفَ بِضِدِّهِ فِي جِهَةٍ مَّا ؛ وَأَنَّ حَقِيقَةً وَاحِدَةً مِنْهُ ، تُسَنْبِلُ فَتَصِيرُ حَقَائِقَ كَثِيرَةً . فَإِذَا كَانَتْ هٰؤُلَاءِ الْمَوْجُودَاتُ الْمُخْتَلِطَةُ ، تَسِيلُ مِنْ دَارِ الْفَنَاءِ ؛ فَتَذْهَبُ إِلَىٰ دَارِ الْبَقَاءِ ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ : كَمَا أَنَّ أَشْيَاءَ مِثْلَ الْخَيْرِ وَاللَّذَّةِ وَالنُّورِ وَالْحُسْنِ وَالْإِيمَانِ ، تَسِيلُ إِلَى الْجَنَّةِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ أَمْثَالَ الشَّرِّ وَالْأَلَمِ وَالظَّلَامِ وَالْقُبْحِ وَالْكُفْرِ ، مِنْ مَوَادَّ ضَارَّةٍ ، تَمْطُرُ عَلَىٰ جَهَنَّمَ ؛ وَأَنَّ سُيُولَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ الْمُتَمَوِّجَةِ دَائِماً ، تَدْخُلُ ذَيْنِكَ الْحَوْضَيْنِ ؛ فَتَقِفُ فِيهِمَا . .

فَنَخْتَصِرُ مُحِيلِينَ عَلَىٰ مَا فِي آخِرِ «الْمَقَالَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ» ذَاتِ الْكَرَامَةِ ، مِنْ نِكَاتِهَا الرَّامِزَةِ . .

فَيَا أَصْحَابِي فِي الدَّرْسِ ، فِي هٰذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ ! إِنَّ الْوَسِيلَةَ الْيَسِيرَةَ لِلنَّجَاةِ مِنْ هٰذَا السِّجْنِ الْأَبَدِيِّ الْمُدْهِشِ ، هِيَ : أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنْ سِجْنِنَا الدُّنْيَوِيِّ هٰذَا ؛ فَنَتُوبَ مِنَ الذُّنُوبِ الْقَدِيمَةِ ، مَعَ نَجَاتِنَا مِنْ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ لَا تَنَالُهَا أَيْدِينَا بِالضَّرُورَةِ ؛ فَنُؤَدِّي فَرَائِضَنَا ؛ فَنَجْعَلَ كُلَّ سَاعَةٍ مِنْ عُمُرِنَا فِي هٰذَا السِّجْنِ ، فِي حُكْمِ يَوْمٍ مِنَ الْعِبَادَةِ ؛ فَبِذٰلِكَ يَكُونُ أَوْلَىٰ فُرْصَةٍ لِنَجَاتِنَا مِنْ ذٰلِكَ السِّجْنِ الْأَبَدِيِّ ، وَلِدُخُولِنَا فِي تِلْكَ الْجَنَّةِ النُّورَانِيَّةِ . فَإِذَا فَوَّتْنَا هٰذِهِ الْفُرْصَةَ ؛ فَسَتَبْكِي آخِرَتُنَا أَيْضاً كَمَا تَبْكِي دُنْيَانَا ؛ وَسَنَذُوقُ صَفْعَةَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ . .

وَإِذْ كَانَ هٰذَا الْمَقَامُ يُكْتَبُ ، جَاءَ عِيدُ الْأَضْحَىٰ ؛ فَتَخَيَّلْتُ وَأَحْسَسْتُ وَاقْتَنَعْتُ ، بِأَنَّ إِنْطَاقَهُ بِالتَّكْبِيرِ دَفْعَةً ، لِخُمُسِ نَوْعِ الْبَشَرِ – أَيْ لِثَلَاثِمِئَةِ مِلْيُونٍ مِنَ النَّاسِ – بِـ«اَللهُ أَكْبَرُ ، اَللهُ أَكْبَرُ ، اَللهُ أَكْبَرُ» ؛ وَأَنَّ تَكْبِيرَ مَا يَزِيدُ عَنْ عِشْرِينَ أَلْفاً مِنَ الْحُجَّاجِ ، فِي عَرَفَاتٍ وَفِي الْعِيدِ ،

دَفْعَةً وَمَعاً ؛ كَأَنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ الْعَظِيمَةِ تُسْمِعُ أَصْحَابَهَا مِنَ السَّيَّارَاتِ الَّتِي فِي السَّمَاوَاتِ ، كَلِمَةَ «اَللّٰهُ أَكْبَرُ» ، تِلْكَ الْكَلِمَةَ الْقُدُسِيَّةَ ، بِالنِّسْبَةِ لِعَظَمَتِهَا ؛ هِيَ مُقَابَلَةٌ بِعُبُودِيَّةٍ وَاسِعَةٍ وَكُلِّيَّةٍ ، تِجَاهَ تَجَلِّي الرُّبُوبِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ تَجَلِّياً كُلِّيّاً ، بِعَظَمَةِ عُنْوَانِ «رَبِّ الْأَرْضِ ، وَرَبِّ الْعَالَمِينَ» ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا نَوْعٌ مِنْ صَدٰى صَوْتِ كَلَامِ «اَللّٰهُ أَكْبَرُ» ، الَّذِي قَالَهُ وَأَمَرَ بِهِ «الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، مَعَ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، قَبْلَ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةِ سَنَةٍ . .

ثُمَّ تَذَكَّرْتُ قَائِلاً : يَا عَجَباً ! هَلْ لِهٰذَا الْكَلَامِ الْقُدُسِيِّ مُنَاسَبَةٌ بِمَسْأَلَتِنَا أَيْضاً ؟ فَوَرَدَ عَلَى الْبَالِ فَجْأَةً : أَنَّ كَلِماً كَثِيرَةً مِنْ سَائِرِ الشَّعَائِرِ ، مِثْلِ «سُبْحَانَ اللّٰهِ ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ ، وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ» ، الْحَامِلَةِ لِعُنْوَانِ «الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ» ، وَفِي الْمُقَدِّمَةِ هٰذَا الْكَلَامُ ، تُذَكِّرُ مَسْأَلَتَنَا ؛ وَتُشِيرُ إِلَى تَحَقُّقِهَا جُزْئِيّاً أَوْ كُلِّيّاً ؛ فَإِنَّ أَحَدَ وُجُوهِ مَعْنَى «اَللّٰهُ أَكْبَرُ» مَثَلاً ، هُوَ : أَنَّ قُدْرَةَ الْحَقِّ تَعَالَى وَعِلْمَهُ ، أَكْبَرُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجَ شَيْءٌ مَا عَنْ دَائِرَةِ عِلْمِهِ ؛ وَلَا أَنْ يَهْرُبَ وَيَنْجُوَ عَنْ تَصَرُّفِ قُدْرَتِهِ ؛ وَأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَكْبَرِ أَشْيَاءٍ نَخَافُهَا ؛ فَإِذاً إِنَّهُ أَكْبَرُ مِنَ الْإِتْيَانِ بِالْحَشْرِ ، وَمِنْ إِنْقَاذِنَا عَنِ الْعَدَمِ ، وَمِنْ إِعْطَاءِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ وَأَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عَجِيبٍ فِي خَارِجِ طَوْرِ الْعَقْلِ ؛ فَيَسْهُلُ حَشْرُ الْبَشَرِ وَنَشْرُهُ ، عَلَى تِلْكَ الْقُدْرَةِ ، بِقَدَرِ إِيجَادِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، بِصَرَاحَةٍ قَطْعِيَّةٍ لِآيَةِ : ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ؛ فَبِاعْتِبَارِ هٰذَا الْمَعْنَى ، يَقُولُ كُلُّ أَحَدٍ : «اَللّٰهُ أَكْبَرُ ، اَللّٰهُ أَكْبَرُ» ، فِي حُكْمِ ضَرْبِ الْمَثَلِ ؛ فَيَجْعَلُهُ تَسْلِيَةً وَقُوَّةً وَنُقْطَةَ اسْتِنَادٍ لِنَفْسِهِ ، ضِدَّ مَصَائِبَ عَظِيمَةٍ وَمَقَاصِدَ كَبِيرَةٍ . نَعَمْ : فَكَمَا أَنَّ فِي «الْمَقَالَةِ التَّاسِعَةِ» : أَنَّ هٰذِهِ الْكَلِمَةَ مَعَ صَاحِبَتَيْهَا ، هِيَ نَوًى وَخُلَاصَاتٌ لِلصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ فِهْرِسُ جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ ؛ وَأَنَّهَا تُجِيبُ عَلَى الْحَقَائِقِ الثَّلَاثِ الْمُعَظَّمَةِ ؛ وَهِيَ «سُبْحَانَ اللّٰهِ ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ ، وَاللّٰهُ أَكْبَرُ» ، لِأَجْلِ تَقْوِيَةِ مَعْنَى الصَّلَاةِ ، بِالتَّكْرَارِ فِيهَا وَفِي تَسَابِيحِهَا ؛ وَتُجِيبُ الْجَوَابَ الْقَوِيَّ جِدّاً ، عَلَى أَسْئِلَةِ الْإِنْسَانِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْحَيْرَةِ وَاللَّذَّةِ وَالْهَيْبَةِ ، الَّتِي يَتَلَقَّاهَا مِنْ أَشْيَاءٍ عَجِيبَةٍ وَجَمِيلَةٍ وَعَظِيمَةٍ وَفَائِقَةٍ عَلَى الْعَادَةِ كَثِيراً جِدّاً ، يَرَاهَا الْإِنْسَانُ فِي الْكَائِنَاتِ ، مَدَارَ الْحَيْرَةِ ، وَمَدَارَ الشُّكْرَانِ ، وَمَدَارَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ ؛ كَمَا أَنَّهُ أُوضِحَ فِي آخِرِ «الْمَقَالَةِ

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ» : مِنْ أَنَّهُ كَمَا أَنَّ مُجَنَّداً يَدْخُلُ مَعَ مُشِيرٍ ، فِي حُضُورِ السُّلْطَانِ ، فِي الْعِيدِ ؛ وَيَعْرِفُهُ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ، بِمَقَامِ قَائِدِهِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ ، يُبَاشِرُ فِي الْحَجِّ بِمَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَىٰ ، بِعُنْوَانِ «رَبِّ الْأَرْضِ ، وَرَبِّ الْعَالَمِينَ» بِدَرَجَةٍ مَّا ، مِثْلَ الْأَوْلِيَاءِ ؛ وَكُلَّمَا انْفَتَحَتْ لِقَلْبِهِ مَرَاتِبُ تِلْكَ الْكِبْرِيَاءِ ؛ أَجَابَ لَفْظُ «اَللهُ أَكْبَرُ» أَيْضاً بِتَكْرَارِهِ ، عَلَىٰ جَمِيعِ أَسْئِلَةِ الْحَيْرَةِ الْحَارَّةِ وَالْمُكَرَّرَةِ الْمُسْتَوْلِيَةِ عَلَىٰ رُوحِهِ ؛ كَمَا أَنَّهُ يُوجَدُ إِيضَاحُهُ فِي آخِرِ «اللَّمْعَةِ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ» : مِنْ أَنَّ مَا يَقْطَعُ أَهَمَّ دَسَائِسِ الشَّيَاطِينِ بِأَصْلِهَا ؛ فَيُجِيبُ عَلَيْهَا الْجَوَابَ الْقَطْعِيَّ ، هُوَ لَفْظُ «اَللهُ أَكْبَرُ» أَيْضاً ؛ فَإِنَّهُ يُجِيبُ عَلَىٰ سُؤَالِنَا فِي حَقِّ الْآخِرَةِ أَيْضاً ، جَوَاباً مُخْتَصَراً ؛ وَلٰكِنَّهُ قَوِيٌّ ؛ كَمَا أَنَّ جُمْلَةَ «اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ» أَيْضاً ، تُذَكِّرُ الْحَشْرَ فَتَقْتَضِيهِ ؛ وَتَقُولُ لَنَا : إِنَّ مَعْنَايَ ، لَا يُمْكِنُ بِدُونِ الْآخِرَةِ ؛ لِأَنِّي أُفِيدُ أَنَّ كُلَّ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ ، مَخْصُوصٌ بِهِ ، مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ ، مِمَّنْ كَانَ ، وَعَلَىٰ مَنْ كَانَ ؛ فَرَئِيسُ جَمِيعِ النِّعَمِ ، وَالَّذِي يَجْعَلُ النِّعَمَ نِعَماً حَقِيقِيَّةً ؛ وَيُنْقِذُ جَمِيعَ ذَوِي الشُّعُورِ ، عَمَّا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ مَصَائِبِ الْعَدَمِ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ ؛ وَيُقَابِلَ مَعْنَايَ الْكُلِّيَّ ذٰلِكَ . .

نَعَمْ : إِنَّ ذِكْرَ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، «اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ، اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ» ، أَزْيَدَ مِنْ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ عَلَى الْأَقَلِّ ، كُلَّ يَوْمٍ دُبُرَ الصَّلَوَاتِ ، شَرْعاً ؛ وَإِنَّ إِفَادَةَ مَعْنَاهُ أَيْضاً ، حَمْداً وَشُكْراً وَاسِعاً بِلَا حَدٍّ ، مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ ، إِنَّمَا هُوَ سِعْرٌ حَاضِرٌ ، وَثَمَنٌ عَاجِلٌ ، لِلْجَنَّةِ وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ فَحَسْبُ ؛ وَلَا يَكُونُ مُنْحَصِراً فِي نِعَمِ الدُّنْيَا الْقَصِيرَةِ وَالْفَانِيَةِ الْمَشُوبَةِ بِالْآلَامِ ؛ وَلَيْسَ مَخْصُوصاً بِهَا ؛ وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا أَيْضاً ؛ فَيَشْكُرُ عَلَيْهَا ، بِجِهَةِ كَوْنِهَا وَسِيلَةً لِلنِّعَمِ الْأَبَدِيَّةِ . .

وَأَمَّا كَلِمَةُ «سُبْحَانَ اللهِ» الْقُدُسِيَّةُ ، فَتُذَكِّرُ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ ، وَدَارَ الْآخِرَةِ ، الَّتِي هِيَ مَدَارُ حَشْمَةِ السَّلْطَنَةِ وَالْجَلَالِ وَالْجَمَالِ وَالْكَمَالِ ، وَالْجَنَّةَ الَّتِي فِيهَا ؛ فَتَدُلُّ عَلَيْهَا ؛ وَتُشِيرُ إِلَيْهَا ، بِمَعْنَاهَا الَّذِي هُوَ تَقْدِيسُ الْحَقِّ تَعَالَىٰ ، وَتَنْزِيهُهُ عَنِ الشَّرِيكِ وَالْقُصُورِ وَالنَّقْصِ ، وَعَنِ الظُّلْمِ وَالْعَجْزِ ، وَعَنِ الْاِعْتِسَافِ وَالْاِحْتِيَاجِ وَالْاِحْتِيَالِ ، وَعَنْ جَمِيعِ التَّقَاصِيرِ الْمُخَالِفَةِ لِكَمَالِهِ وَجَمَالِهِ وَجَلَالِهِ . وَإِلَّا فَإِنْ لَمْ تَكُنِ السَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ ؛ تَتَلَوَّثُ سَلْطَنَتُهُ وَكَمَالُهُ وَجَلَالُهُ وَجَمَالُهُ

وَرَحْمَتُهُ ، بِلَطَائِفِ الْقُصُورِ وَالنُّقْصَانِ ؛ كَمَا أُثْبِتَ سَابِقاً . .

هٰذَا ، وَإِنَّ «بِسْمِ اللّٰهِ ، وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ» ، وَسَائِرَ الْكَلِمَاتِ الْمُبَارَكَةِ مِثْلِ هٰؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ الْقُدْسِيَّةِ الثَّلَاثِ ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، هِيَ نَوَى الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ ، وَخُلَاصَاتُ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ وَأَرْكَانِ الْإِيمَانِ ، كَخُلَاصَةِ السُّكَّرِ وَخُلَاصَةِ اللَّحْمِ ، الْمُكْتَشَفَةِ فِي هٰذَا الزَّمَانِ ؛ وَإِنَّ هٰؤُلَاءِ الثَّلَاثَ مِنْهَا ، هِيَ نَوَى الصَّلَاةِ ؛ كَمَا أَنَّهَا نَوَى الْقُرْآنِ أَيْضاً ؛ وَتُشَاهَدُ مِثْلَ اللَّآلِي فِي أَوَائِلِ بَعْضِ السُّوَرِ الْمُشْرِقَةِ ، وَمَعَادِنُ «رِسَالَةِ النُّورِ» الَّتِي ابْتَدَأَ أَكْثَرُ سُنُوحَاتِهَا فِي التَّسْبِيحَاتِ ، وَأُسُسُهَا الْحَقِيقِيَّةُ ، وَنَوَى حَقَائِقِهَا ، وَأَوْرَادُ طَرِيقَةٍ مُحَمَّدِيَّةٍ فِي التَّسْبِيحَاتِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فِي دَائِرَةِ ذِكْرٍ كَذٰلِكَ ، فِي جِهَةِ الْوِلَايَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ؛ فَيُكَرِّرُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُ مِنْ مِئَةِ مِلْيُونٍ ، كُلَّ وَقْتٍ مِنَ الصَّلَاةِ ، «سُبْحَانَ اللّٰهِ» ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ مَرَّةً ، وَ«الْحَمْدُ لِلّٰهِ» ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ ، وَ«اللّٰهُ أَكْبَرُ» ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ ، مَعاً ، فِي حَلْقَةِ الذِّكْرِ الْكُبْرٰى تِلْكَ ؛ وَبِأَيْدِيهِمْ سُبُحَاتٌ . .

هٰذَا ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ قَطْعاً ، مَدٰى قِيمَةِ وَثَوَابِ تِلَاوَةِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ الْمُبَارَكَةِ الثَّلَاثِ ، الَّتِي هِيَ خُلَاصَاتُ وَنَوَى الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ وَالصَّلَاةِ ـ كَمَا بَيَّنَّا سَابِقاً ـ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ مَرَّةً بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فِي مِثْلِ هٰذِهِ الْحَلْقَةِ الذِّكْرِيَّةِ الْمُحْتَشِمَةِ لِلْغَايَةِ . .

فَكَمَا أَنَّ الْمَسْأَلَةَ الْأُولٰى فِي صَدْرِ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ، كَانَتْ دَرْساً جَمِيلاً فِي حَقِّ الصَّلَاةِ ؛ فَإِنَّ آخِرَهَا أَيْضاً ، صَارَ دَرْساً أَهَمَّ حَوْلَ تَسْبِيحَاتِ الصَّلَاةِ ، دُونَ اخْتِيَارٍ عَادَةً ؛ مَعَ أَنِّي لَمْ أَتَفَكَّرْ أَصْلاً . .

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى إِنْعَامِهِ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

اَلْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ . . إِلَى آخِرِ الْآيَةِ . .

إِنَّ سُؤَالاً مَعْنَوِيّاً رَهِيباً ، وَحَالاً نَاشِئَةً عَنِ انْكِشَافِ نِعْمَةٍ إِلٰهِيَّةٍ عَظِيمَةٍ ، تَسَبَّبَا لِتَبْيِينِ نُكْتَةٍ كُلِّيَّةٍ وَمُسْهِبَةٍ ، لِهٰذِهِ الْآيَةِ الْجَمْعِي وَالْعُلْيَا وَالْكُبْرَى . ذٰلِكَ : أَنَّهُ وَرَدَ عَلَى الرُّوحِ مَعْنًى : لِمَاذَا يَصِيرُ كَافِراً ، مَنْ يُنْكِرُ جُزْءاً مِنَ الْحَقِيقَةِ الْإِيمَانِيَّةِ ؟ وَلِمَاذَا لَا يَكُونُ مُسْلِماً ، مَنْ لَا يَقْبَلُهُ ؟ مَعَ أَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يُزِيلَ الْإِيمَانُ بِاللّٰهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ تِلْكَ الظُّلْمَةَ ، كَشَمْسٍ . وَأَيْضاً لِمَاذَا يُصْبِحُ مُرْتَدّاً ، مَنْ يُنْكِرُ رُكْناً وَحَقِيقَةً إِيمَانِيَّةً ؛ فَيَقَعُ فِي الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ ؛ وَيَخْرُجُ عَنِ الْإِسْلَامِ ، مَنْ لَا يَقْبَلُهُ ؟ مَعَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ لَهُ إِيمَانٌ بِسَائِرِ الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ ، يَلْزَمُ إِنْقَاذُهُ عَنِ الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ . .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ الْإِيمَانَ حَقِيقَةٌ وَحْدَانِيَّةٌ صَادِرَةٌ عَنْ أَرْكَانِهِ السِّتَّةِ ؛ فَلَا تَقْبَلُ التَّفْرِيقَ ، وَكُلِّيٌّ لَا يَحْمِلُ التَّجَزُّؤَ ، وَكُلٌّ لَا يَكُونُ قَابِلاً لِلِانْقِسَامِ ؛ لِأَنَّ كُلَّ رُكْنٍ إِيمَانِيٍّ ، يُثْبِتُ سَائِرَ الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ ، بِحُجَجِهِ الْمُثْبِتَةِ لَهُ ؛ فَيَصِيرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا ، حُجَّةً عُظْمَى قَوِيَّةً لِلْغَايَةِ ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ فِكْراً بَاطِلاً لَا يُزَلْزِلُ جَمِيعَ الْأَرْكَانِ بِجَمِيعِ دَلَائِلِهَا ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبْطِلَ رُكْناً وَاحِداً فَقَطْ ، بَلْ حَقِيقَةً وَاحِدَةً ؛ فَيُنْكِرُهُ فِي نَظَرِ الْحَقِيقَةِ ؛ بَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْفُرَ كُفْراً عِنَادِيّاً بِإِغْمَاضِ بَصَرِهِ ، تَحْتَ غِطَاءِ عَدَمِ الْقَبُولِ ؛ فَيَتَدَرَّجُ ؛ فَيَقَعُ فِي الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ ؛ فَتَنْمَحِي إِنْسَانِيَّتُهُ ؛ فَيَذْهَبُ إِلَى جَهَنَّمَ مَادِّيَّةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ . .

هٰذَا ، فَنَحْنُ فِي هٰذَا الْمَقَامِ ، سَنُبَيِّنُ بِإِشَارَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ لِلْغَايَةِ ، مِثْلَ الْبَيَانِ بِخُلَاصَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ جِدّاً ، لِإِثْبَاتِ سَائِرِ الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ الْحَشْرَ ، فِي «رِسَالَةِ الثَّمَرَةِ» ، فِي إِثْبَاتِ الْحَشْرِ ؛ فَسَنُبَيِّنُ هٰذِهِ النُّكْتَةَ الْعُظْمَى بِعِنَايَةِ اللّٰهِ ، فِي هٰذَا الْمَقَامِ ، بِفَذْلَكَاتٍ مُجْمَلَةٍ ، وَخُلَاصَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ أَيْضاً ، فِي سِتِّ نِقَاطٍ . .

﴿النُّقْطَةُ الْأُولى:﴾ أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللهِ، يُثْبِتُ بِحُجَجِهِ، سَائِرَ أَرْكَانِهِ، وَالْإِيمَانَ بِالْآخِرَةِ أَيْضاً؛ فَبُيِّنَ ذٰلِكَ فِي الْمَسْأَلَةِ السَّابِعَةِ، مِنْ «رِسَالَةِ الثَّمَرَةِ»، بَيَاناً جَمِيلاً.. نَعَمْ: إِنَّ سَلْطَنَةَ رُبُوبِيَّةٍ أَزَلِيَّةٍ وَبَاقِيَةٍ، وَحَاكِمِيَّةَ أُلُوهِيَّةٍ أَبَدِيَّةٍ وَدَائِمَةٍ، تُدِيرَانِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ بِلَا حَدٍّ، بِجَمِيعِ لَوَازِمِهَا، مِثْلَ قَصْرٍ وَمَدِينَةٍ وَمَمْلَكَةٍ؛ وَتُحَوِّلَانِهَا فِي دَائِرَةِ الْمِيزَانِ وَالْاِنْتِظَامِ؛ وَتُبَدِّلَانِهَا بِالْحِكَمِ؛ وَتُجَهِّزَانِ الذَّرَّاتِ وَالسَّيَّارَاتِ، وَالذِّبَّانَ وَالنُّجُومَ؛ وَتُدِيرَانِهَا مَعاً كَجُيُوشٍ مُنْتَظِمَةٍ؛ وَتَنْهَضَانِ بِهَا إِلَى الْفَعَّالِيَّةِ وَالسَّيْرِ وَالْجَوَلَانِ، وَإِلَى السِّيَاحَةِ وَعَرْضٍ رَسْمِيٍّ عَلَىٰ وَجْهِ الْعُبُودِيَّةِ، بِتَدْرِيبٍ وَتَوْظِيفٍ فِي مُنَاوَرَةٍ عَالِيَةٍ دَائِماً، فِي دَائِرَةِ أَمْرِهِمَا وَإِرَادَتِهِمَا؛ فَهَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَصْلاً؛ وَهَلْ يَقْبَلُ الْعَقْلُ أَصْلاً؛ وَهَلْ يُوجَدُ أَيُّ احْتِمَالٍ: أَنْ لَا تُوجَدَ دَارُ الْآخِرَةِ، الَّتِي هِيَ مَقَرٌّ بَاقٍ، وَمَدَارٌ دَائِمٌ، وَمَظْهَرٌ سَرْمَدِيٌّ، لِتِلْكَ السَّلْطَنَةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالسَّرْمَدِيَّةِ، الْبَاقِيَةِ وَالدَّائِمَةِ؟ حَاشَا لَهَا أَلْفَ مَرَّةٍ. إِذاً فَإِنَّ سَلْطَنَةَ اللهِ تَعَالَىٰ وَرُبُوبِيَّتَهُ، وَأَكْثَرَ أَسْمَائِهِ، وَحُجَجَ وُجُوبِ وُجُودِهِ ــ كَمَا بُيِّنَ فِي الْمَسْأَلَةِ السَّابِعَةِ ــ تَشْهَدُ لِلْآخِرَةِ وَتَقْتَضِيهَا؛ وَأَبْصِرْ وَاعْلَمْ وَآمِنْ كَمَا تَرَىٰ: أَنَّ لِهٰذَا الْقُطْبِ الْإِيمَانِيِّ، أَيَّةَ نُقْطَةِ اسْتِنَادٍ قَوِيَّةٍ..

وَأَيْضاً فَكَمَا أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللهِ، لَا يُمْكِنُ بِدُونِ الْآخِرَةِ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ إِلٰهاً وَمَعْبُوداً بِحَقٍّ، الَّذِي خَلَقَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ، لِأَجْلِ تَظَاهُرِ الْأُلُوهِيَّةِ وَالْمَعْبُودِيَّةِ، فِي شَكْلِ كِتَابٍ صَمَدَانِيٍّ مُجَسَّمٍ، تُفِيدُ كُلُّ صَحِيفَةٍ مِنْهُ الْمَعَانِيَ بِقَدَرِ كِتَابٍ؛ وَكُلُّ سَطْرٍ مِنْهُ يُفِيدُهَا بِقَدَرِ صَحِيفَةٍ؛ وَقُرْآنٍ سُبْحَانِيٍّ جِسْمَانِيٍّ، كُلُّ آيَةٍ تَكْوِينِيَّةٍ مِنْهُ، وَكُلُّ كَلِمَةٍ، بَلْ كُلُّ نُقْطَةٍ وَكُلُّ حَرْفٍ مِنْهُ، فِي حُكْمِ مُعْجِزَاتٍ؛ وَمَسْجِدٍ رَحْمَانِيٍّ مُحْتَشِمٍ، زُيِّنَ بَاطِنُهُ بِآيَاتٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ، وَبِنُقُوشٍ مُفِيدَةٍ، يَشْتَغِلُ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهُ، طَائِفَةٌ مَّا، بِنَوْعٍ مِنَ الْعِبَادَةِ الْفِطْرِيَّةِ ــ كَمَا بُيِّنَ بِإِشَارَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ فِي «الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ» ــ فَهَلْ يُمْكِنُ فِي أَيَّةِ جِهَةٍ؛ وَهَلْ يَقْبَلُ الْعَقْلُ أَصْلاً: أَنْ لَا يُرْسِلَ رُسُلاً أَسَاتِذَةً، يُدَرِّسُونَ مَعَانِيَ ذٰلِكَ الْكِتَابِ الْكَبِيرِ؛ وَمُفَسِّرِينَ، يُفَسِّرُونَ آيَاتِ ذٰلِكَ الْقُرْآنِ الصَّمَدَانِيِّ؛ وَأَنْ لَا يُعَيِّنَ أَئِمَّةً لِلْعَابِدِينَ، عَلَىٰ أَنْمَاطٍ بِلَا حَدٍّ، فِي ذٰلِكَ الْمَسْجِدِ الْأَكْبَرِ؛ وَأَنْ لَا يُعْطِيَ أُولَائِكَ الْأَسَاتِذَةَ وَالْمُفَسِّرِينَ وَالْأَئِمَّةَ، مَوَاثِيقَ؟. حَاشَا لَهُ مِئَةَ أَلْفِ حَاشَا..

وَأَيْضاً إِنَّ صَانِعاً رَحِيماً وَكَرِيماً ، خَلَقَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ مَضِيفاً وَمَعْرِضاً وَمَسِيراً ، عَلٰى وَجْهٍ نُضِّدَتْ فِيهَا نِعَمٌ لَذِيذَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ بِلا حَدٍّ ، وَصَنَائِعُ بَدِيعَةٌ لِلْغَايَةِ وَخَارِقَةٌ بِلا حَدٍّ ، لإِظْهَارِ جَمَالِ رَحْمَتِهِ ، وَحُسْنِ شَفَقَتِهِ ، وَكَمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ ، لِذَوِي الشُّعُورِ ؛ وَلِسَوْقِهِمْ إِلَى الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ أَبَداً ؛ وَهَلْ يَقْبَلُ الْعَقْلُ أَصْلاً : أَنْ لا يَتَكَلَّمَ مَعَ مَخْلُوقَاتٍ ذَوَاتِ شُعُورٍ فِي ذٰلِكَ الْمَضِيفِ ؛ وَأَنْ لا يُعْلِمَ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ الرُّسُلِ ، وَظِيفَةَ الشُّكْرِ مُقَابِلَ تِلْكَ النِّعَمِ ، وَوَظِيفَةَ الْعُبُودِيَّةِ تِجَاهَ تَحَبُّبِهِ وَتَظَاهُرِ رَحْمَتِهِ ؟ . حَاشَاهُ آلافَ حَاشَا . .

وَأَيْضاً إِنَّ صَانِعاً زَيَّنَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ بِصَنَائِعَ بَدِيعَةٍ ، عَلٰى وَجْهٍ يُحِبُّ صَنْعَتَهُ ؛ وَيُرِيدُ الإِعْجَابَ بِهَا ؛ بَلْ يَتَمَنَّى الْمُقَابَلَةَ بِالتَّقْدِيرِ وَالتَّحْسِينِ ، بِدَلالَةِ اعْتِنَائِهِ بِأَلْفِ نَوْعٍ مِنْ أَذْوَاقِ الأَفْوَاهِ ؛ وَيَطْلُبُ تَعَرُّفَهُ وَتَحَبُّبَهُ وَإِظْهَارَ نَوْعٍ مِنْ جَمَالِهِ الْمَعْنَوِيِّ ، بِكُلِّ صَنْعَةٍ لَهُ ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ مَعَ ذٰلِكَ أَصْلاً : أَنْ لا يَتَكَلَّمَ مَعَ قِسْمٍ مِنْ أَكَابِرِ النَّاسِ ، الَّذِينَ هُمْ قَادَةُ ذَوِي الْحَيَاةِ فِي الْكَائِنَاتِ ؛ فَلا يَبْعَثَهُمْ رُسُلاً إِلَيْهِمْ ؛ فَتَبْقَى صَنَائِعُهُ الْجَمِيلَةُ بِدُونِ تَقْدِيرٍ ؛ وَحُسْنُ أَسْمَائِهِ فَوْقَ الْعَادَةِ ، بِغَيْرِ تَحْسِينٍ ؛ وَتَعَرُّفُهُ وَتَوَدُّدُهُ ، بِلا مُقَابَلَةٍ ؟ . حَاشَاهُ مِئَةَ أَلْفِ حَاشَا . .

وَأَيْضاً إِنَّ مُتَكَلِّماً عَلِيماً ، يَتَكَلَّمُ فِعْلاً وَحَالاً فِي صُورَةٍ صَرِيحَةٍ ، بِإِنْعَامَاتِهِ بِلا حَدٍّ ، وَبِإِحْسَانَاتِهِ بِلا نِهَايَةٍ ، عَلٰى وَجْهٍ يَدُلُّ عَلَى الْقَصْدِ وَالاخْتِيَارِ وَالإِرَادَةِ ، لِدَعَوَاتِ جَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ لأَجْلِ احْتِيَاجَاتِهِمُ الْفِطْرِيَّةِ ، وَلِلالْتِجَاءَاتِ وَالآمَالِ الْمَأْمُولَةِ بِلِسَانِ الْحَالِ ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ أَصْلاً ؛ وَهَلْ يَقْبَلُ الْعَقْلُ قَطْعاً : أَنْ يَتَكَلَّمَ فِعْلاً وَحَالاً مَعَ أَدْنٰى ذِي حَيَاةٍ ؛ وَأَنْ يَسْتَمِعَ لِعِلَّتِهِ ، بِإِحْسَانِهِ الْمُوصِلِ دَوَاءً إِلٰى دَائِهِ تَمَاماً ؛ وَأَنْ يَرَى وَيَعْلَمَ احْتِيَاجَهُ ؛ وَلا يَتَّصِلَ بِالرُّؤَسَاءِ الْمَعْنَوِيِّينَ لِلنَّاسِ ، الَّذِينَ هُمْ نَتِيجَةُ الْكَائِنَاتِ ، الأَعْلَى انْتِخَاباً ، وَخَلِيفَةُ الأَرْضِ ، وَقَادَةُ أَكْثَرِ الْمَخْلُوقَاتِ الأَرْضِيَّةِ ؛ فَلا يَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ قَوْلاً وَكَلاماً ؛ كَمَا يَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ بَلْ مَعَ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ ، فِعْلاً وَحَالاً ؛ وَلا يُرْسِلَ لَهُمُ الْمَوَاثِيقَ وَالصُّحُفَ وَالْكُتُبَ ؟ . حَاشَاهُ حَاشَاهُ بِلا حَدٍّ . . **إِذاً فَإِنَّ الإِيمَانَ بِاللهِ ، يُثْبِتُ بِقَطْعِيَّتِهِ ، وَبِمَا لا حَدَّ لَهُ مِنْ حُجَجِهِ ، الإِيمَانَ بِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ : أَيْ بِالأَنْبِيَاءِ وَالْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ . .**

وَأَيْضاً إِنَّ مُحَمَّداً (عليه الصلاة والسلام) ، الْمُصَدَّقَ بِمُعْجِزَاتِهِ الْأَلْفِ ، الَّذِي يَعْرِفُ وَيُعَرِّفُ ؛ وَيُحِبُّ وَيُحَبِّبُ ؛ وَيَشْكُرُ وَيَسْتَشْكِرُ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ ، ذٰلِكَ الصَّانِعَ ذَا الْجَلَالِ ، بِالْحَقِيقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي صَوَّتَتِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَالَّذِي يُنْطِقُ كُرَةَ الْأَرْضِ بِـ : «سُبْحَانَ اللّٰهِ ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ ، وَاللّٰهُ أَكْبَرُ» ، فِي دَرَجَةٍ تُسْمِعُ السَّمَاوَاتِ ، تِجَاهَ الْمُعَرِّفِ وَالْمُحَبِّبِ لِنَفْسِهِ ، وَالطَّالِبِ فِعْلاً وَحَالاً الشُّكْرَ ، بِجَمِيعِ مَصْنُوعَاتِهِ ؛ وَالَّذِي أَخَذَ وَرَاءَهُ خُمُسَ نَوْعِ الْبَشَرِ كَمِّيَّةً ، وَنِصْفَهُ كَيْفِيَّةً وَإِنْسَانِيَّةً ، خِلَالَ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةِ سَنَةٍ ، بِوَضْعِ أَنْهَضَ الْبَرَّ وَالْبِحَارَ إِلَى الْجَذْبَةِ ؛ وَيُقَابِلُ جَمِيعَ تَظَاهُرَاتِ رُبُوبِيَّةِ ذٰلِكَ الْخَالِقِ ، بِعُبُودِيَّةٍ وَاسِعَةٍ وَكُلِّيَّةٍ ؛ وَيُنَادِي الْأَكْوَانَ وَالْأَعْصَارَ ؛ وَيُلْقِي عَلَيْهَا الدَّرْسَ ؛ وَيُؤَدِّي لَهَا مُؤَدَّى الدَّلَّالِ ، بِسُوَرِ الْقُرْآنِ ، إِزَاءَ جَمِيعِ مَقَاصِدِهِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَيُظْهِرُ شَرَفَ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، وَقِيمَتَهُ وَوَظِيفَتَهُ ؛ فَهَلْ تُوجَدُ أَيَّةُ جِهَةِ إِمْكَانٍ ؛ وَهَلْ يَقْبَلُ الْعَقْلُ أَصْلاً : أَنْ لَا يَكُونَ هُوَ مَخْلُوقَهُ الْأَصْفَى ، وَنَبِيَّهُ الْأَكْمَلَ ، وَرَسُولَهُ الْأَعْظَمَ ؟ . حَاشَا وَكَلَّا مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ حَاشَا . . إِذاً فَإِنَّ حَقِيقَةَ : «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ» ، بِجَمِيعِ حَقَائِقِهَا ، تُثْبِتُ حَقِيقَةَ : «أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّٰهِ» . .

وَأَيْضاً هَلْ يُوجَدُ الْإِمْكَانُ أَصْلاً : أَنْ يُنْطِقَ صَانِعُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، مَخْلُوقَاتِهِ بَعْضَهَا مَعَ بَعْضٍ ، بِمِئَةِ أَلْفِ لِسَانٍ ؛ وَأَنْ يَسْمَعَ وَيَعْلَمَ تَحَاوُرَهَا ؛ وَلَا يَتَكَلَّمَ هُوَ نَفْسُهُ ؟ . حَاشَاهُ . .

وَأَيْضاً هَلْ يَقْبَلُ الْعَقْلُ أَصْلاً : أَنْ لَا يُعْلِمَ بِمِيثَاقٍ ، مَقَاصِدَهُ الْإِلٰهِيَّةَ فِي الْكَائِنَاتِ ؛ وَأَنْ لَا يُرْسِلَ كِتَاباً مِثْلَ الْقُرْآنِ ، يَفْتَحُ مُعَمَّاهَا ؛ وَيُجِيبُ الْجَوَابَ الْحَقِيقِيَّ ، عَلَى الْأَسْئِلَةِ الْعُمُومِيَّةِ الْفَزِيعَةِ الثَّلَاثَةِ ، وَهِيَ : «مِنْ أَيِّ مَكَانٍ تَأْتِي الْمَخْلُوقَاتُ ؟ وَإِلَى أَيِّ مَكَانٍ تَذْهَبُ ؟ وَلِمَاذَا تَجِيءُ إِلَى هُنَا هٰكَذَا ، قَافِلَةً وَرَاءَ قَافِلَةٍ ؛ فَتَمْكُثُ قَلِيلاً ؛ فَتَمْضِي ؟» . حَاشَاهُ . .

وَأَيْضاً إِنَّ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ ، الَّذِي نَوَّرَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَصْراً ؛ وَيَسِيرُ بِكَمَالِ الِاحْتِرَامِ عَلَى مِئَةِ مِلْيُونِ لِسَانٍ ؛ وَيُسْطَرُ بِالْقُدْسِيَّةِ فِي قُلُوبِ مَلَايِينِ الْحُفَّاظِ ؛ وَيُدِيرُ بِقَوَانِينِهِ الْقِسْمَ الْأَعْظَمَ كَيْفِيَّةً مِنْ نَوْعِ الْبَشَرِ ؛ وَيُرَبِّي وَيُزَكِّي وَيُصَفِّي وَيُعَلِّمُ نُفُوسَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ ، وَقُلُوبَهُمْ وَعُقُولَهُمْ ؛ وَأَثْبَتَ أَرْبَعُونَ وَجْهاً مِنْ إِعْجَازِهِ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ وَبُيِّنَ فِي «الْمَكْتُوبِ التَّاسِعَ

عَشَرَ» ، ذي الْكَرَامَةِ وَالْخَارِقَةِ : أَنَّهُ يُظْهِرُ نَوْعاً مَا مِنْ إعْجَازِهِ ، تِجَاهَ أَرْبَعِينَ طَائِفَةً وَطَبَقَةً وَكُلِّ طَبَقَةٍ مِنَ النَّاسِ ؛ وَأَثْبَتَ قَطْعاً أَنَّهُ كَلاَمُ اللهِ الْحَقُّ ، مِنْ حَيْثُ إنَّ مُحَمَّداً (ﷺ) ، بِمُعْجِزَاتِهِ الْأَلْفِ ، مُعْجِزَةٌ وَاحِدَةٌ لَهُ ؛ هَلْ يُمْكِنُ أَصْلاً ؛ وَهَلْ يُوجَدُ الْإِمْكَانُ فِي أَيِّ جِهَةٍ : أَنْ لاَ يَكُونَ كَلاَمَ وَبَلاَغَ ذٰلِكَ الْمُتَكَلِّمِ الْأَزَلِيِّ ، وَذٰلِكَ الصَّانِعِ السَّرْمَدِيِّ ؟. حَاشَاهُ مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ حَاشَا وَكَلَّا . . إذاً فَإنَّ الْإيمَانَ بِاللهِ ، يُثْبِتُ بِجَمِيعِ حُجَجِهِ : أَنَّ الْقُرْآنَ كَلاَمُ اللهِ . .

وَأَيْضاً إنَّ سُلْطَاناً ذَا جَلاَلٍ ، يَمْلَأُ فَيُفْرِغُ وَجْهَ الْأَرْضِ دَائِماً ، بِذَوِي الْحَيَاةِ ؛ وَيَعْمُرُ دُنْيَانَا هٰذِهِ ، بِذَوِي الشُّعُورِ ، لِتَعَرُّفِ نَفْسِهِ ، وَتَأْدِيَةِ الْعِبَادَةِ وَالتَّسْبِيحِ ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَتْرُكَ السَّمَاوَاتِ وَالنُّجُومَ ، فَارِغَةً وَخَالِيَةً ؛ وَأَنْ لاَ يَخْلُقَ أَهَالِيَ مُنَاسِبِينَ بِهَا ؛ فَلاَ يُسْكِنَهُمْ فِي تِلْكَ الْقُصُورِ السَّمَاوِيَّةِ ؛ وَأَنْ يَدَعَ سَلْطَنَةَ رُبُوبِيَّتِهِ فِي أَكْبَرِ مَمَالِكِهِ ، بِدُونِ خُدَّامٍ وَلَا احْتِشَامٍ ، وَبِغَيْرِ مُوَظَّفِينَ وَلاَ سُفَرَاءَ ، وَبِلاَ مُسْتَشَارِينَ وَلاَ نُظَرَاءَ ، وَبِدُونِ مُتَفَرِّجِينَ وَلاَ عَابِدِينَ وَلاَ رَعَايَا ؟. حَاشَاهُ حَاشَاهُ عَدَدَ الْمَلاَئِكَةِ . .

وَأَيْضاً إنَّ حَاكِماً حَكِيماً ، وَعَلِيماً رَحِيماً ، يَكْتُبُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ عَلَى صُورَةِ كِتَابٍ كَذٰلِكَ ؛ فَيُقَيِّدُ جَمِيعَ تَرْجَمَةِ حَيَاةِ كُلِّ شَجَرَةٍ ، فِي جَمِيعِ نَوَاهَا ؛ وَيَكْتُبُ جَمِيعَ وَظِيفَةِ حَيَاةِ كُلِّ نَبَاتٍ وَزَهْرَةٍ ، فِي جَمِيعِ بُذُورِهَا ؛ وَيَسْتَنْسِخُ جَمِيعَ مُقَدَّرَاتِ حَيَاةِ كُلِّ ذِي شُعُورٍ ، مُكَمَّلَةً لِلْغَايَةِ ، فِي قُوَّتِهِ الْحَافِظَةِ الصَّغِيرَةِ كَالْخَرْدَلَةِ ؛ وَيُحَافِظُ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ وَكُلِّ حَادِثٍ ، فِي جَمِيعِ مُلْكِهِ وَدَوَائِرِ سَلْطَنَتِهِ ، مُلْتَقِطاً إيَّاهَا بِصُوَرٍ مُتَعَدِّدَةٍ ؛ وَخَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ الْعَظِيمَةَ ، وَالصِّرَاطَ وَالْمِيزَانَ الْأَكْبَرَ ، لِأَجْلِ تَجَلِّي وَتَحَقُّقِ الْعَدَالَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ ، الَّتِي هِيَ أَهَمُّ أَسَاسٍ لِلرُّبُوبِيَّةِ ؛ هَلْ يُوجَدُ الْإِمْكَانُ فِي أَيَّةِ جِهَةٍ : أَنْ لاَ يَسْتَنْسِخَ أَعْمَالَ النَّاسِ الَّتِي تَجْعَلُ الْكَائِنَاتِ ذَاتَ عَلاَقَةٍ بِهَا ؛ وَأَنْ لاَ يُقَيِّدَ أَفْعَالَهُمْ لِأَجْلِ الْمُعَاقَبَةِ وَالْمُكَافَأَةِ ؛ وَأَنْ لاَ يَكْتُبَ سَيِّئَاتِهِمْ وَحَسَنَاتِهِمْ فِي أَلْوَاحِ الْقَدَرِ ؟. حَاشَاهُ حَاشَاهُ عَدَدَ الْحُرُوفِ الْمَكْتُوبَةِ فِي لَوْحِ الْقَدَرِ الْمَحْفُوظِ . . إذاً فَإنَّ حَقِيقَةَ الْإيمَانِ بِاللهِ تُثْبِتُ قَطْعاً بِحُجَجِهَا ، حَقِيقَتَيِ الْإيمَانِ بِالْمَلاَئِكَةِ ، وَالْإيمَانِ بِالْقَدَرِ أَيْضاً ؛ وَتُثْبِتُ أَرْكَانُ الْإيمَانِ بَعْضُهَا بَعْضاً ؛ كَمَا تَدُلُّ الشَّمْسُ عَلَى النَّهَارِ ؛

وَالنَّهَارُ عَلَى الشَّمْسِ . .

﴿ اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ أَنَّ الْقُرْآنَ أَوَّلاً ، وَجَمِيعَ الْكُتُبِ وَالصُّحُفِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَمُحَمَّداً (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ) ، فِي الصَّدْرِ ، وَجَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ (عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ) ، تَدُورُ جَمِيعُ دَعَاوَاهُمْ ، عَلَى خَمْسَةِ أَوْ سِتَّةِ أُسُسٍ ؛ فَيَجْتَهِدُونَ دَائِماً لِتَدْرِيسِ وَإِثْبَاتِ تِلْكَ الْأُسُسِ ؛ وَأَنَّ جَمِيعَ الْحُجَجِ وَالْأَدِلَّةِ الشَّاهِدَةِ لِنُبُوَّتِهِمْ وَصِدْقِهِمْ ، تَنْظُرُ إِلَى تِلْكَ الْأُسُسِ ؛ وَتُقَوِّي حَقَّانِيَّتَهَا . وَإِنَّ تِلْكَ الْأُسُسَ ، هِيَ الْإِيمَانُ بِاللهِ ، وَالْإِيمَانُ بِالْآخِرَةِ ، وَالْإِيمَانُ بِسَائِرِ الْأَرْكَانِ . إِذاً فَإِنَّ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ السِّتَّةَ ، لَيْسَ مُمْكِناً انْفِكَاكُ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ ؛ وَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا يُثْبِتُ جَمِيعَهَا وَيَطْلُبُهَا وَيَقْتَضِيهَا ؛ وَإِنَّ أُولاَئِكَ السِّتَّةَ ، كُلٌّ وَكُلِّيٌّ لا يَقْبَلُ التَّجَزُّؤَ ؛ وَانْقِسَامُهُ فِي خَارِجِ الْإِمْكَانِ . فَكَمَا أَنَّ كُلَّ غُصْنَةٍ وَكُلَّ ثَمَرَةٍ وَكُلَّ وَرَقَةٍ لِمِثْلِ شَجَرَةِ طُوبَى ، أَصْلُهَا فِي السَّمَاوَاتِ ، تَسْتَنِدُ إِلَى حَيَاةِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الْجَسِيمَةِ ، حَيَاتِهَا الْكُلِّيَّةِ الَّتِي لا تَنْفَدُ ؛ وَأَنَّ مَنْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ تِلْكَ الْحَيَاةَ الْقَوِيَّةَ وَالظَّاهِرَةَ كَالشَّمْسِ ، لا يَقْتَدِرُ أَنْ يُنْكِرَ حَيَاةَ وَرَقَةٍ وَاحِدَةٍ مُتَّصِلَةٍ ؛ فَإِنْ أَنْكَرَ ؛ كَذَّبَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةُ ، ذٰلِكَ الْمُنْكِرَ ؛ وَأَفْحَمَتْهُ عَدَدَ أَغْصَانِهَا وَأَثْمَارِهَا وَأَوْرَاقِهَا ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ الْإِيمَانَ مَعَ أَرْكَانِهِ السِّتَّةِ ، فِي عَيْنِ الْوَضْعِ . .

وَلَقَدْ نُوِيَ فِي صَدْرِ هٰذَا الْمَقَامِ ، تَبْيِينُ الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ السِّتَّةِ ، فِي سِتٍّ وَثَلاَثِينَ نُكْتَةً تَكُونُ سِتَّ نِقَاطٍ ؛ وَكُلُّ نُقْطَةٍ أَيْضاً خَمْسَ نِكَاتٍ ؛ وَكُنْتُ أَرَدْتُ الْإِجَابَةَ بِإِيضَاحَاتٍ ، عَلَى السُّؤَالِ الْمُدْهِشِ فِي الصَّدْرِ ؛ وَلٰكِنَّ بَعْضَ الْعَوَارِضِ لَمْ تَفْسَحِ الْمَجَالَ ؛ فَأَظُنُّ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ الْاِحْتِيَاجُ إِلَى زِيَادَةِ الْإِيضَاحِ لِلْأَذْكِيَاءِ بَعْدُ ، مِنْ كَوْنِ النُّقْطَةِ الْأُولَى مِقْيَاساً كَافِياً ؛ وَفُهِمَ تَمَاماً : أَنَّ مُسْلِماً إِذَا أَنْكَرَ حَقِيقَةً إِيمَانِيَّةً ، يَقَعُ فِي الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ ؛ لِأَنَّ الْإِيضَاحَاتِ التَّامَّةَ قَدْ أُعْطِيَتْ فِي الْإِسْلاَمِ ، فَتَسَلْسَلَتِ الْأَرْكَانُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، مُقَابِلَ إِجْمَالِ الْأَدْيَانِ الْأُخْرَى ؛ وَأَنَّ مُسْلِماً لَمْ يَعْرِفْ وَلَمْ يُصَدِّقْ مُحَمَّداً (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ) ، لا يَعْرِفُ اللهَ أَيْضاً بِصِفَاتِهِ ؛ وَلا يَعْلَمُ الْآخِرَةَ بَعْدُ ؛ وَأَنَّ إِيمَانَ مُسْلِمٍ ، يَسْتَنِدُ إِلَى مَا لا حَدَّ لَهَا مِنْ حُجَجٍ قَوِيَّةٍ وَغَيْرِ مُتَزَلْزِلَةٍ بِذٰلِكَ الْقَدْرِ ؛ فَلاَ يَبْقَى عُذْرٌ أَصْلاً ؛ فَيَصِيرُ الْعَقْلُ مُضْطَرّاً فِي الْقَبُولِ عَادَةً . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ أَنِّي فِي زَمَنٍ مَّا قُلْتُ : «اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ» ؛ فَطَلَبْتُ نِعْمَةً تُقَابِلَ مَعْنَاهُ الْوَاسِعَ بِلا حَدٍّ ؛ فَإِذَا بِهٰذِهِ الْجُمْلَةِ وَرَدَتْ عَلَى الْبَالِ : «اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللّٰهِ ، وَعَلٰى وَحْدَانِيَّتِهِ ، وَعَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ ، وَعَلٰى صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ ، حَمْداً بِعَدَدِ تَجَلِّيَاتِ أَسْمَائِهِ ، مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ» ؛ فَنَظَرْتُ أَنَّهَا مُطَابِقَةٌ تَمَاماً . وَذٰلِكَ(١) : ....

اَلْمَسْأَلَةُ الْعَاشِرَةُ لِلثَّمَرَةِ :

زَهْرَةُ «أَمِرْ دَاغِي» . .

جَوَابٌ قَوِيٌّ لِلْغَايَةِ ، ضِدَّ اعْتِرَاضَاتٍ وَارِدَةٍ عَلَى التَّكْرَارَاتِ فِي الْقُرْآنِ . .

إِخْوَتِي الْأَعِزَّةَ الصِّدِّيقِينَ ! .

إِنَّ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ ، وَإِنْ صَارَتْ مُشَوَّشَةً وَبِدُونِ لَطَافَةٍ ، مِنْ وَضْعِي الْمُتَشَتِّتِ ؛ وَلٰكِنْ عَلِمْتُ قَطْعاً ، نَوْعاً قَيِّماً جِدّاً مِنَ الْإِعْجَازِ ، تَحْتَ تِلْكَ الْعِبَارَةِ الْمُشَوَّشَةِ ؛ وَلَمْ أَكُنْ مُقْتَدِراً لِلْإِفَادَةِ ، مَعَ التَّأَسُّفِ . وَإِنَّ عِبَارَتَهَا مَهْمَا كَانَتْ طَفِيفَةً ، فَهِيَ عِبَادَةٌ تَفَكُّرِيَّةٌ ، وَصَدَفَةُ جَوْهَرَةٍ قُدُسِيَّةٍ عَالِيَةٍ مُشْرِقَةٍ ، بِجِهَةِ كَوْنِهَا عَائِدَةً إِلَى الْقُرْآنِ ؛ فَلْيُنْظَرْ إِلَى مَا فِي يَدِهَا مِنَ الْأَلْمَاسِ ، لَا إِلَى لِبَاسِهَا الْخَلَقِ . فَإِنْ كَانَتْ مُنَاسِبَةً ؛ فَاجْعَلُوهَا الْمَسْأَلَةَ الْعَاشِرَةَ ؛ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ ؛ فَاقْبَلُوهَا رِسَالَةً مُقَابِلَةً لِرَسَائِلِ تَحِيَّاتِكُمْ . . وَأَيْضاً كَتَبْتُ هٰذِهِ ، مُجْمَلَةً وَمُخْتَصَرَةً لِلْغَايَةِ ، فِي يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ مِنْ رَمَضَانَ ؛ وَأَنَا مَرِيضٌ وَمُتَشَتِّتٌ وَبِدُونِ غِذَاءٍ ؛ فَأَدْرَجْتُ حَقَائِقَ كَثِيرَةً وَحُجَجاً مُتَعَدِّدَةً ، فِي جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، بِالضَّرُورَةِ ؛ فَلَا يُنْظَرْ إِلَى التَّقْصِيرِ(٢) . .

---

(١) نَزَلَ الْحِجَابُ ؛ فَلَمْ يُكْتَبْ بَعْدُ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله تعالى عنه) . .
هٰكَذَا كَانَ بِخَطِّ الْمُؤَلِّفِ نَفْسِهِ فِي الْأَصْلِ . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

(٢) إِنَّهَا زَهْرَةٌ صَغِيرَةٌ مُنِيرَةٌ ، لِـ«أَمِرْ دَاغِي» ، وَلِرَمَضَانَ الشَّرِيفِ هٰذَا ، مِنْ حَيْثُ تَكُونُ الْمَسْأَلَةَ الْعَاشِرَةَ لِـ«ثَمَرَةِ سِجْنِ دَنِزْلِي» ، تُزِيلُ بِبَيَانِ حِكْمَةٍ لِلتَّكْرَارَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ، أَوْهَامَ أَهْلِ الضَّلَالِ الْمُتَعَفِّنَةَ وَالسَّامَّةَ . .
اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

إِخْوَانِي الْأَعِزَّةَ الصِّدِّيقِينَ ! .

كُنْتُ أَقْرأُ الْقُرْآنَ الْمُعْجزَ الْبَيَانِ ؛ فَإِذَا جَاءَتْ أَيَّةُ آيَةٍ مِنَ الْآيَاتِ الثَّلاثِ وَالثَّلاثِينَ ، الْمُبَيَّنَةِ إِشَارَاتُهَا إِلىٰ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، فِي الشُّعَاعِ الْأَوَّلِ ، أَنْظُرُ أَنَّ صَحِيفَةَ تِلْكَ الْآيَةِ ، وَوَرَقَتَهَا وَقِصَّتَهَا أَيْضاً ، تَنْظُرُ بِدَرَجَةٍ مَّا ، إِلىٰ «رِسَالَةِ النُّورِ» وَتَلامِذَتِهَا ، فِي نُقْطَةِ اسْتِفَادَةِ الْحِصَّةِ مِنَ الْقِصَّةِ ؛ وَأَنَّ آيَةَ النُّورِ مِنْ سُورَةِ «النُّورِ» خُصُوصاً ، تَنْظُرُ بِعَشْرِ أَصَابِعَ إِلىٰ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ كَمَا أَنَّ آيَاتِ الظُّلُمَاتِ الَّتِي وَرَاءَهَا أَيْضاً ، تَنْظُرُ تَمَاماً إِلىٰ مُعَارِضِيهَا ؛ وَتُعْطِي الْحِصَّةَ كَثِيراً ؛ فَيَخْرُجُ ذٰلِكَ الْمَقَامُ مِنَ الْجُزْئِيَّةِ ؛ فَيَكْسِبُ الْكُلِّيَّةَ عَادَةً ؛ وَإِنَّ فَرْداً كَامِلاً لِتِلْكَ الْكُلِّيَّةِ ، هُوَ «رِسَالَةُ النُّورِ» وَتَلامِذَتُهَا . هٰكَذَا أَحْسَسْتُ . .

نَعَمْ : إِنَّ خِطَابَ الْقُرْآنِ ، يُظْهِرُ شُمُولاً وَإِعْجَازاً عَالِياً كَذٰلِكَ ، بِجِهَةِ السَّعَةِ وَالْعُلُوِّ وَالْإِحَاطَةِ الَّتِي يَسْتَفِيدُهَا ذٰلِكَ الْخِطَابُ ، مِنَ الْمَقَامِ الْوَاسِعِ ، لِلرُّبُوبِيَّةِ الْعَامَّةِ ، لِلْمُتَكَلِّمِ الْأَزَلِيِّ ؛ وَمِنَ الْمَقَامِ الْوَاسِعِ ، لِلْجَنَابِ الْمُخَاطَبِ بِاسْمِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، بَلِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَمِنَ الْمَقَامِ ذِي السَّعَةِ لِلْغَايَةِ ، لِإِرْشَادِ عُمُومِ نَوْعِ الْبَشَرِ وَبَنِي آدَمَ ، فِي جَمِيعِ الْعُصُورِ ؛ وَمِنْ مَقَامِ الْبَيَانَاتِ الْعَالِيَةِ الْمُحِيطَةِ لِلْغَايَةِ ، بِبَيَانَاتِ الْقَوَانِينِ الْإِلٰهِيَّةِ ، الدَّائِرَةِ حَوْلَ رُبُوبِيَّةِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ، وَالْأَزَلِ وَالْأَبَدِ ، وَحَوْلَ تَدْبِيرِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ فَإِنَّ مَرْتَبَتَهُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَسِيطَةَ أَيْضاً ، الْمُرَاعِيَةَ لِلْأَفْهَامِ الْبَسِيطَةِ لِطَبَقَةِ الْعَوَامِّ ، الَّتِي هِيَ الطَّائِفَةُ الْكُبْرٰى مِنْ مُخَاطَبِي دَرْسِ الْقُرْآنِ ، تَجْعَلُ الطَّبَقَةَ الْعُلْيَا أَيْضاً ، ذَاتَ حِصَّةٍ تَمَاماً ؛ كَأَنَّهَا لَيْسَتْ حِصَّةً فَقَطْ مِنَ الْقِصَّةِ ، وَعِبْرَةً مِنْ حِكَايَةٍ تَارِيخِيَّةٍ ؛ بَلْ إِنَّهَا تَنْزِلُ جَدِيدَةً ؛ فَتُخَاطِبُ كُلَّ طَبَقَةٍ ، وَفِي كُلِّ عَصْرٍ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا أَفْرَادُ دُسْتُورٍ كُلِّيٍّ ؛ وَلاسِيَّمَا أَنَّ تَهْدِيدَاتِهِ قَائِلاً : «الظَّالِمِينَ الظَّالِمِينَ» ، بِتَكْرَارٍ كَثِيرٍ ، وَبَيَانَهُ بِالشِّدَّةِ لِلْمُصِيبَةِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ جَزَاءُ ظُلْمِهِمْ ، تَنْظُرُ إِلىٰ مَظَالِمِ هٰذَا الْعَصْرِ الَّتِي لاَ أَمْثَالَ لَهَا ، بِالْأَعْذِبَةِ الْوَارِدَةِ عَلَى رُؤُوسِ قَوْمِ عَادٍ وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ ؛ وَتُسَلِّي أَهْلَ الْإِيمَانِ الْمَظْلُومِينَ ، بِنَجَاةِ الْأَنْبِيَاءِ مِثْلِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسٰى ، (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) . .

نَعَمْ : إِنَّ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ الَّذِي يُرِي كُلَّ عَصْرٍ وَكُلَّ طَبَقَةٍ ، جَمِيعَ الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ ،

وَالْقُرُونِ وَالْعُصُورِ الْمَيِّتَةِ ، الَّتِي هِيَ مَعْدَمَةٌ مُوحِشَةٌ هَائِلَةٌ ، ومَقْبَرَةٌ أَلِيمَةٌ هَالِكَةٌ ، فِي نَظَرِ الْغَفْلَةِ وَالضَّلَالَةِ ، يُرِيهَا فِي صُورَةِ صَحَائِفِ عِبْرَةٍ حَيَّةٍ ، وَعَالَمٍ عَجِيبٍ ذِي رُوحٍ وَصَاحِبِ حَيَاةٍ ، وَمَمْلَكَةٍ رَبَّانِيَّةٍ مَوْجُودَةٍ وَمُتَنَاسِبَةٍ بِنَا ؛ فَيَأْتِي بِنَا إِلَى تِلْكَ الْأَزْمِنَةِ أَحْيَاناً ؛ وَبِتِلْكَ الْأَزْمِنَةِ إِلَيْنَا أَحْيَاناً ، مِثْلَ سَتَائِرِ السِّينَمَا ؛ فَيُلْقِي دَرْسَهُ بِإِعْجَازٍ رَفِيعٍ ؛ وَإِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ الشَّأْنِ ، الَّذِي يُحْيِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ الْجَامِدَةَ الذَّلِيلَةَ الْمَيِّتَةَ ، الَّتِي هِيَ مَوْحِشَةٌ بِلا حَدٍّ ؛ وَمُتَدَحْرِجَةٌ فِي الْفِرَاقِ وَالزَّوَالِ ، فِي نَظَرِ الضَّلَالَةِ ، يُحْيِي تِلْكَ الْجَامِدَاتِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا كِتَابٌ صَمَدَانِيٌّ ، وَبَلَدٌ رَحْمَانِيٌّ ، وَمَشْهَرُ صُنْعٍ رَبَّانِيٍّ ؛ فَيُنْطِقُ بَعْضَهَا مَعَ بَعْضٍ ، فِي صُورَةِ مُوَظَّفِينَ ، وَيُسْبِقُ بَعْضَهَا لِإِمْدَادِ بَعْضٍ ؛ فَيُدَرِّسُ نَوْعَ الْبَشَرِ ، وَالْجِنَّ وَالْمَلَائِكَةَ ، دُرُوسَ الْحِكْمَةِ الْحَقِيقِيَّةِ ذَاتِ النُّورِ وَالذَّوْقِ ، بِعَيْنِ الْإِعْجَازِ ؛ فَلا رَيْبَ أَنَّهُ يَفُوزُ بِامْتِيَازَاتٍ قُدُسِيَّةٍ ــ مِثْلِ وُجُودِ عَشْرِ مَثُوبَاتٍ ، وَأَلْفِ أَحْيَاناً ، وَآلَافٍ أَحْيَاناً ، فِي كُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ ؛ وَعَدَمِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ؛ وَإِنِ اجْتَمَعَتْ جَمِيعُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ؛ وَتَكَلُّمِهِ فِي مَحَلِّهِ تَمَاماً ، مَعَ جَمِيعِ بَنِي آدَمَ وَمَعَ الْكَائِنَاتِ ؛ وَاكْتِتَابِهِ بِالذَّوْقِ فِي قُلُوبِ مَلَايِينِ الْحُفَّاظِ كُلَّ زَمَانٍ ؛ وَعَدَمِ إِمْلَالِهِ مَعَ كَثْرَةِ التَّكْرَارِ ، وَتَكْرَارَاتِهِ الْكَثِيرَةِ ؛ وَتَمَكُّنِهِ مُتَكَامِلاً فِي أَدْمِغَةِ الصِّبْيَانِ ، الرَّقِيقَةِ وَالْبَسِيطَةِ ، مَعَ كَثْرَةِ مَوَاضِعِهِ وَجُمَلِهِ الْمُلْتَبِسَةِ ؛ وَاسْتِيطَابِهِ مِثْلَ مَاءِ زَمْزَمَ ، فِي آذَانِ الْمَرْضَى ، وَالَّذِينَ هُمْ فِي السَّكَرَاتِ ، وَالْمُتَأَثِّرِينَ مِنَ الْكَلَامِ الْيَسِيرِ ــ ؛ وَيُحَصِّلُ لِتَلَامِذَتِهِ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ ؛ وَيُظْهِرُ إِعْجَازاً حَسَناً فِي لُطْفِ الْإِرْشَادِ ، بِإِظْهَارِ سَلَاسَتِهِ الْفِطْرِيَّةِ ، وَمَجِيئِهِ مِنَ السَّمَاءِ مُبَاشَرَةً ، دُونَ إِفْسَاحِ الْمَجَالِ لِأَيِّ تَكَلُّفٍ ، وَلِأَيِّ تَصَنُّعٍ ، وَلِأَيِّ رِيَاءٍ أَصْلاً ، بِسِرِّ الرِّعَايَةِ التَّامَّةِ لِمَرْتَبَةِ أُمِّيَّةِ التَّرْجُمَانِ ؛ وَكَثِيراً مَا يَفْتَحُ أَظْهَرَ وَأَوْضَحَ صَحَائِفِهِ مِثْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، بِحِكْمَةِ الْمُرَاعَاةِ بِالتَّنَزُّلَاتِ الْكَلَامِيَّةِ ، لِلْأَفْهَامِ الْبَسِيطَةِ لِطَبَقَاتِ الْعَوَامِّ الَّذِينَ هُمُ الْأَكْثَرُ ؛ فَيُدَرِّسُ سُطُورَ حِكْمَتِهِ الْمُفِيدَةَ ، وَمُعْجِزَاتِ قُدْرَتِهِ الْخَارِقَةَ لِلْعَادَةِ ، تَحْتَ تِلْكَ الْعَادِيَّاتِ ؛ وَيُظْهِرُ نَوْعاً مِنْ إِعْجَازِهِ ، فِي التَّفْهِيمِ لِطَبَقَاتِ مُخَاطَبِينَ مُخْتَلِفِينَ ، مَعَانِيَ كَثِيرَةً مُخْتَلِفَةً ، فِي جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَفِي قِصَّةٍ وَاحِدَةٍ ، بِتَكْرَارَاتِهِ الْجَمِيلَةِ الْحُلْوَةِ ، بِسِرِّ الْإِعْلَامِ بِأَنَّهُ كِتَابُ الدُّعَاءِ وَالدَّعْوَةِ ، وَالذِّكْرِ وَالتَّوْحِيدِ أَيْضاً ، الْمُقْتَضِيَةِ لِلتَّكْرَارِ ؛ وَفِي جِهَةِ وُجُودِ دَسَاتِيرَ

كُلِّيَّةٍ ، وَإِثْمَارِ حَادِثَاتٍ جُزْئِيَّةٍ ، فِي تَأْسِيسِ الْإِسْلاَمِ وَالشَّرْعِ الْعُمُومِيَّيْنِ ، أَثْمَاراً أَهَمَّ جِدّاً فِي حُكْمِ النَّوَى ، فِي اتِّخَاذِهِ إِلَى نَظَرِ الْأَهَمِّيَّةِ أَيْضاً ، تِلْكَ الْحَادِثَاتِ الْجُزْئِيَّةَ لِلصَّحَابَةِ ، فِي تَأْسِيسِ الْإِسْلاَمِ وَتَدْوِينِ الشَّرِيعَةِ ، بِسِرِّ الْإِعْلاَمِ بِأَنَّ أَدْنَى أَشْيَاءٍ جُزْئِيَّةٍ وَبِدُونِ أَهَمِّيَّةٍ ، فِي حَادِثَةٍ جُزْئِيَّةٍ وَعَادِيَّةٍ ، هِيَ أَيْضاً مَوْجُودَةٌ فِي نَظَرِ رَحْمَتِهِ تَعَالَى ، وَفِي دَائِرَةِ تَدْبِيرِهِ وَإِرَادَتِهِ . .

نَعَمْ : إِنَّ تَكْرَارَ قِسْمٍ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي هِيَ نَتِيجَةُ دَلاَئِلَ بِلاَ حَدٍّ ؛ وَتَكْرَارَ بَعْضِ الْجُمَلِ الَّتِي هِيَ فِي قُوَّةِ آلاَفِ نَتِيجَةٍ ، فِي تَأْسِيسِ انْقِلاَبٍ مُدْهِشٍ وَوَاسِعٍ ، وَبِلاَ حَدٍّ وَبِغَيْرِ نِهَايَةٍ ، يُظْهِرُ الْغَضَبَ الْإِلٰهِيَّ وَالسَّخَطَ الرَّبَّانِيَّ ، بِحِسَابِ نَتِيجَةِ خِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ ، عَلَى مَظَالِمِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، الَّتِي تُغْضِبُ الْكَائِنَاتِ وَالْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ وَالْعَنَاصِرَ ؛ وَتُثِيرُهَا إِلَى السَّخَطِ ؛ وَتُثْبِتُ أَنَّ جَمِيعَ الْجُزْئِيَّاتِ وَالْكُلِّيَّاتِ ، مِنَ الذَّرَّاتِ إِلَى النُّجُومِ ، هِيَ فِي يَدِ وَفِي تَصَرُّفِ ذَاتٍ وَاحِدٍ أَحَدٍ ، يُمَزِّقُ الْكَائِنَاتِ الْعَظِيمَةَ ؛ فَيُبَدِّلُ شَكْلَهَا فِي الْقِيَامَةِ ؛ فَيَقْلَعُ الدُّنْيَا ؛ فَيَضَعُ مَكَانَهَا الْآخِرَةَ الْعَظِيمَةَ ؛ وَالَّتِي تُدَرِّسُ طَبَقَاتٍ كَثِيرَةً مُخْتَلِفَةً ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا أَجْوِبَةٌ عَلَى أَسْئِلَةٍ مُكَرَّرَةٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً ، فِي غُضُونِ عِشْرِينَ سَنَةً ، بِحَيْثِيَّةِ لُزُومِ التَّكْرَارِ ، بِتَكَرُّرِ الاحْتِيَاجِ ؛ إِنَّ تَكْرَارَهَا لَيْسَ تَقْصِيراً ؛ بَلْ إِعْجَازٌ قَوِيٌّ لِلْغَايَةِ ، وَبَلاَغَةٌ رَفِيعَةٌ لِلْغَايَةِ ، وَجَزَالَةٌ وَفَصَاحَةٌ مُطَابِقَةٌ لِلْغَايَةِ ، لِمُقْتَضَى الْحَالِ . .

فَإِنَّ جُمْلَةَ : ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ مَثَلاً ، الَّتِي تَكُونُ آيَةً وَاحِدَةً فَقَطْ ؛ فَكُرِّرَتْ مِئَةً وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، هِيَ حَقِيقَةٌ تَرْبُطُ الْعَرْشَ بِالْفَرْشِ ؛ وَتُنِيرُ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيَحْتَاجُ إِلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ ، كُلَّ دَقِيقَةٍ ؛ كَمَا بُيِّنَ فِي «اللَّمْعَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ» مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَإِنَّهَا إِنْ كُرِّرَتْ مَلاَيِينَ الْمَرَّاتِ ، يُوجَدُ الاِحْتِيَاجُ أَيْضاً ؛ وَلاَ يُوجَدُ الاِحْتِيَاجُ وَالاِشْتِيَاقُ إِلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ ، مِثْلَ الْخُبْزِ فَقَطْ ؛ بَلْ كُلَّ دَقِيقَةٍ ، مِثْلَ الْهَوَاءِ وَالضِّيَاءِ . .

وَأَيْضاً إِنَّ آيَةَ : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ هٰذِهِ مَثَلاً ، الْمُكَرَّرَةَ ثَمَانِيَ مَرَّاتٍ فِي سُورَةِ «طٰسٓمٓ» ، إِنْ كَرَّرَتْ آيَتُهَا تِلْكَ الَّتِي هِيَ فِي قُوَّةِ آلاَفِ الْحَقَائِقِ ، بِحِسَابِ نَتِيجَةِ خِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ ، وَبِاسْمِ الرُّبُوبِيَّةِ الْعَامَّةِ ، مَا حُكِيَ فِي تِلْكَ السُّورَةِ مِنْ نَجَاةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَعَذَابِ أَقْوَامِهِمْ ؛

وَحَصَلَ التَّكْرَارُ آلافَ الْمَرَّاتِ ، لِلتَّدْرِيسِ بِأَنَّ الْعِزَّةَ الرَّبَّانِيَّةَ ، تَقْتَضِي عَذَابَ أُولاَئِكَ الْأَقْوَامِ الظَّالِمَةِ ؛ وَأَنَّ الرَّحِيمِيَّةَ الْإِلٰهِيَّةَ أَيْضاً ، تَقْتَضِي نَجَاةَ الْأَنْبِيَاءِ ؛ وُجِدَ الِاحْتِيَاجُ وَالِاشْتِيَاقُ أَيْضاً ؛ وَأَنَّهُ بَلاَغَةٌ عَالِيَةٌ ، مُوجِزَةٌ وَمُعْجِزَةٌ . .

وَأَيْضاً إِنَّ آيَةَ : ﴿فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مَثَلاً ، الْمُكَرَّرَةَ فِي سُورَةِ «الرَّحْمٰنِ» ، مَعَ آيَةِ : ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ، فِي سُورَةِ «الْمُرْسَلاتِ» ، اللَّتَيْنِ تُصَرِّحَانِ لِلْعُصُورِ وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ، صَرَاحَةَ التَّهْدِيدِ ، بِاعْتِدَاءِ الْجِنِّ وَنَوْعِ الْبَشَرِ ، عَلَىٰ حُقُوقِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَبِكُفْرِهِمْ وَكُفْرَانِهِمْ وَظُلْمِهِمْ ، الَّتِي تُغِيظُ الْكَائِنَاتِ ؛ وَتُثِيرُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ إِلَى الْغَضَبِ ؛ وَتُفْسِدُ نَتَائِجَ خَلْقِ الْعَالَمِ ؛ وَتُعَارِضُ حِشْمَةَ السَّلْطَنَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، بِالْإِنْكَارِ وَالِاسْتِخْفَافِ ؛ إِنْ كُرِّرَتْ هَاتَانِ الْآيَتَانِ ، آلافَ الْمَرَّاتِ ، فِي دَرْسٍ عُمُومِيٍّ فِي قُوَّةِ آلافِ الْمَسَائِلِ ، وَذِي عَلاقَةٍ بِآلافِ الْحَقَائِقِ هٰكَذَا ؛ وُجِدَ اللُّزُومُ أَيْضاً ؛ وَإِنَّهُ إِيجَازٌ ذُو جَلالٍ ، وَإِعْجَازُ بَلاغَةٍ ذُو جَمَالٍ . .

وَأَيْضاً إِنَّ جُمْلَةَ : (سُبْحَانَكَ يَا لَآ إِلٰهَ إِلَّآ أَنْتَ ، الْأَمَانُ الْأَمَانُ ، خَلِّصْنَا وَأَجِرْنَا وَنَجِّنَا مِنَ النَّارِ) مَثَلاً ، مِئَةَ مَرَّةٍ فِي الْمُنَاجَاةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُسَمَّاةِ بِـ«الْجَوْشَنِ الْكَبِيرِ» ، الَّذِي هُوَ نَوْعٌ حَقِيقِيٌّ وَكَامِلٌ مِنْ مُنَاجَاةِ الْقُرْآنِ ، وَصِنْفٌ مِنْ خُلاصَةِ الْقُرْآنِ نَابِعٌ مِنْهُ ، إِنْ كُرِّرَتْ آلافَ الْمَرَّاتِ ؛ فَقَلِيلٌ أَيْضاً ، بِجِهَةِ أَنَّ فِي تَكْرَارِهَا الْحَقِيقَةَ الْكُبْرَىٰ حَسَبَ الْكَائِنَاتِ ، مِثْلَ التَّوْحِيدِ ؛ وَأَهَمَّ وَظِيفَةٍ لِلْمَخْلُوقَاتِ ، مِنْ وَظَائِفِهَا الْمُعَظَّمَةِ الثَّلاثِ ، مِثْلِ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّقْدِيسِ تِجَاهَ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ وَأَدْهَشَ مَسْأَلَةِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، مِثْلِ النَّجَاةِ مِنَ الشَّقَاءِ الْأَبَدِيِّ ؛ وَأَلْزَمَ نَتِيجَةِ الْعُبُودِيَّةِ وَعَجْزِ الْبَشَرِ . .

هٰذَا ؛ فَإِنَّ التَّكْرَارَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ ، تَنْظُرُ إِلَىٰ أَمْثَالِ هٰذِهِ الْأُسُسِ ؛ حَتَّىٰ إِنَّهُ يُفِيدُ أَحْيَاناً فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ ، حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ عِشْرِينَ مَرَّةً ، صَرَاحَةً وَضِمْناً ، بِجِهَةِ اقْتِضَاءِ الْمَقَامِ ، وَاحْتِيَاجِ الْإِفْهَامِ ، وَبَلاغَةِ الْبَيَانِ ؛ فَلا يُورِثُ الْمَلَلَ ؛ بَلْ يُورِثُ الْقُوَّةَ وَالشَّوْقَ . . وَقَدْ بُيِّنَ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» بِحُجَجِهَا ، مَدَىٰ كَوْنِ التَّكْرَارَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ، فِي مَحَلِّهَا ، وَكَوْنِهَا مُنَاسِبَةً وَمَقْبُولَةً حَسَبَ الْبَلاغَةِ . .

وَإِنَّ سِرَّ وَحِكْمَةَ الْفَرْقِ ، بَيْنَ سُوَرِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، الْمَكِّيَّةِ ، وَسُوَرِهَا الْمَدَنِيَّةِ ، فِي نُقْطَةِ الْبَلاغَةِ ، وَفِي جِهَةِ الْإِعْجَازِ ، وَفِي وَجْهِ التَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ ، هُوَ : أَنَّ الْمُخَاطَبِينَ وَالْمُعَارِضِينَ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ فِي مَكَّةَ ، كَانُوا مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَأُمِّيِّيهِمْ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ لَزِمَ أُسْلُوبٌ عَالٍ قَوِيٌّ حَسَبَ الْبَلاغَةِ ، وَإِجْمَالٌ مُوجِزٌ وَمُقْنِعٌ وَمُورِثٌ لِلْقَنَاعَةِ ، وَتَكْرَارٌ لِأَجْلِ التَّثْبِيتِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ تُكَرِّرُ السُّوَرُ الْمَكِّيَّةُ حَسَبَ الْأَكْثَرِيَّةِ ، الْأَرْكَانَ الْإِيمَانِيَّةَ وَمَرَاتِبَ التَّوْحِيدِ ؛ فَتُفِيدُهَا بِإِيجَازٍ مُعْجِزٍ وَعَالٍ وَقَوِيٍّ لِلْغَايَةِ ؛ فَتُثْبِتُ الْمَبْدَأَ وَالْمِيعَادَ ، وَالْإِلٰهَ وَالْآخِرَةَ ، لا فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَفِي آيَةٍ ، وَفِي جُمْلَةٍ ، وَفِي كَلِمَةٍ فَقَطْ ؛ بَلْ أَحْيَاناً فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ ، وَفِي هَيْئَاتٍ مِثْلِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ، التَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ ، الْحَذْفِ وَالذِّكْرِ ، إِثْبَاتاً قَوِيّاً اسْتَقْبَلَهُ بِالْحَيْرَةِ ، دُهَاةُ أَئِمَّةِ عِلْمِ الْبَلاغَةِ . .

وَإِنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» ، وَخَاصَّةً «الْمَقَالَةَ الْخَامِسَةَ وَالْعِشْرِينَ» ، الَّتِي أَثْبَتَتْ إِجْمَالاً ، مَعَ ذُيُولِهَا ، أَرْبَعِينَ وَجْهاً مِنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ؛ وَتَفْسِيرَ «إِشَارَاتِ الْإِعْجَازِ» ، مِنْ رِسَالَةِ النُّورِ الْعَرَبِيَّةِ ، الَّذِي أَثْبَتَ فِي صُورَةٍ خَارِقَةٍ ، مَا فِي نَظْمِ الْقُرْآنِ مِنْ وَجْهِ الْإِعْجَازِ ، أَثْبَتَتْ بِالْفِعْلِ : أَنَّ فِي السُّوَرِ وَالْآيَاتِ الْمَكِّيَّةِ ، أَعْلَى أُسْلُوبِ بَلاغَةٍ ، وَأَسْمَى إِعْجَازٍ إِيجَازِيٍّ . .

أَمَّا فِي السُّوَرِ وَالْآيَاتِ الْمَدَنِيَّةِ ، فَكَانَ مُخَاطَبُوهُ وَمُعَارِضُوهُ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ ، أَهْلَ الْكِتَابِ ، مِثْلَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِاللهِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ لا يَلْزَمُ بَيَانُ أُصُولِ الدِّينِ وَأَرْكَانِ الْإِيمَانِ الْعَالِيَةِ ؛ بَلْ بَيَانُ الْجُزْئِيَّاتِ الَّتِي هِيَ مَنْشَأُ وَسَبَبُ الْقَوَانِينِ الْكُلِّيَّةِ وَالتَّفَرُّعَاتِ ، وَفِي الشَّرِيعَةِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي هِيَ مَدَارُ الاخْتِلافِ ، تِجَاهَ أَهْلِ الْكِتَابِ ، بِأُسْلُوبٍ بَسِيطٍ وَوَاضِحٍ وَمُفَصَّلٍ ، مِنْ لُزُومِ مُقْتَضَى الْبَلاغَةِ وَالْإِرْشَادِ ، وَمُطَابَقِ الْمَقَامِ وَالْحَالِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يَذْكُرُ فَذْلَكَةً وَخَاتِمَةً ، وَحُجَّةً رَفِيعَةً وَقَوِيَّةً ، وَجُمْلَةً تَوْحِيدِيَّةً وَإِيمَانِيَّةً وَأُخْرَوِيَّةً ، تُصَيِّرُ تِلْكَ الْحَادِثَةَ الشَّرْعِيَّةَ الْجُزْئِيَّةَ ، كُلِّيَّةً ؛ وَتَضْمَنُ امْتِثَالَهَا بِالْإِيمَانِ بِاللهِ ، بَيْنَ حَادِثَةِ تِلْكَ التَّفَرُّعَاتِ الْجُزْئِيَّةِ فَجْأَةً ، بِأُسْلُوبِ بَيَانٍ لا مِثْلَ لَهُ ، مَخْصُوصٍ بِالْقُرْآنِ ، بَيْنَ الْبَيَانَاتِ بِالتَّفْصِيلِ وَالْإِيضَاحِ ، وَالْأُسْلُوبِ الْبَسِيطِ ، حَسَبَ الْأَكْثَرِيَّةِ ، فِي تِلْكَ السُّوَرِ وَالْآيَاتِ الْمَدَنِيَّةِ ؛ فَيُنَوِّرُ ذٰلِكَ الْمَقَامَ ؛ وَيَرْفَعُهُ . .

وَإِنَّ «الْمَقَالَةَ الْخَامِسَةَ وَالْعِشْرِينَ» ، بَيَّنَتْ فِي نُورِهَا الثَّانِي ، مِنْ شُعْلَتِهَا الثَّانِيَةِ : أَنَّ فِي الْفَذْلَكَاتِ وَالْخَوَاتِمِ ـ الَّتِي تُفِيدُ التَّوْحِيدَ وَالْآخِرَةَ ، مِثْلَ : ﴿إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .. إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .. وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .. وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾﴾ ، الْوَارِدَةِ حَسَبَ الْأَكْثَرِيَّةِ فِي أَوَاخِرِ الْآيَاتِ ـ أَيَّةَ بَلَاغَةٍ وَمَزَايَا وَجَزَالَةٍ وَنِكَاتٍ عَالِيَةٍ ؛ فَبَيَّنَتْ عَشَرَ نِكَاتٍ ، مِنْ نِكَاتِ تِلْكَ الْفَذْلَكَاتِ وَالْخَوَاتِمِ ، وَمِنْ مَزَايَاهَا الْكَثِيرَةِ جِدًّا ؛ فَأَثْبَتَتْ لِلْمُعَانِدِينَ أَيْضاً : أَنَّ فِي تِلْكَ الْخُلَاصَاتِ ، مُعْجِزَةً كُبْرَىٰ ..

نَعَمْ : إِنَّ الْقُرْآنَ يَرْفَعُ نَظَرَ الْمُخَاطَبِ بَغْتَةً ، إِلَىٰ نِقَاطٍ رَفِيعَةٍ وَكُلِّيَّةٍ ، بَيْنَ بَيَانِ تِلْكَ التَّفَرُّعَاتِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَالْقَوَانِينِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ؛ فَيُحَوِّلُ الْأُسْلُوبَ الْبَسِيطَ ، إِلَىٰ أُسْلُوبٍ عُلْوِيٍّ ، وَمِنْ دَرْسِ الشَّرِيعَةِ ، إِلَىٰ دَرْسِ التَّوْحِيدِ ؛ فَيُظْهِرُ الْقُرْآنَ ، كِتَابَ شَرِيعَةٍ وَأَحْكَامٍ وَحِكْمَةٍ ، وَكِتَابَ عَقِيدَةٍ وَإِيمَانٍ ، وَذِكْرٍ وَفِكْرٍ ، وَدُعَاءٍ وَدَعْوَةٍ ؛ فَيُدَرِّسُ فِي كُلِّ مَقَامٍ ، مَقَاصِدَ إِرْشَادِيَّةً قُرْآنِيَّةً كَثِيرَةً ؛ فَبِذٰلِكَ يُظْهِرُ جَزَالَةً مُعْجِزَةً مُشْرِقَةً وَمُخْتَلِفَةً عَنْ أُسْلُوبِ بَلَاغَةِ الْآيَاتِ الْمَكِّيَّةِ . وَأَحْيَاناً يُعْلِمُ فِي كَلِمَتَيْنِ مِثْلِ «رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَرَبِّكَ» ، الْأَحَدِيَّةَ ، بِتَعْبِيرِ «رَبِّكَ» ، وَالْوَاحِدِيَّةَ ، بِـ «رَبِّ الْعَالَمِينَ» ؛ فَيُفِيدُ الْوَاحِدِيَّةَ فِي الْأَحَدِيَّةِ ؛ حَتَّىٰ إِنَّهُ يَرَىٰ وَيُمَكِّنُ فِي حَدَقَةِ عَيْنٍ ، ذَرَّةً ، فِي جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ كَمَا يُمَكِّنُ الشَّمْسَ فِي حَدَقَةِ عَيْنِ السَّمَاءِ ؛ وَيَجْعَلُهَا عَيْناً لِلسَّمَاءِ ، بِعَيْنِ الْآيَةِ ، وَبِعَيْنِ الْمِطْرَقَةِ ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ : ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ، عَقِبَ آيَةِ : ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ ، بَعْدَ آيَةِ : ﴿خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مَثَلاً ؛ فَتَتَحَوَّلُ تِلْكَ الْمُحَاوَرَةُ الْبَسِيطَةُ ، وَالْجُزْئِيَّةُ الْمُجَرَّدَةُ ، وَالْمُرَاعِيَةُ لِمَرْتَبَةِ الْأُمِّيَّةِ وَفَهْمِ الْعَوَامِّ ، إِلَىٰ مُكَالَمَةٍ جَاذِبَةٍ عُلْوِيَّةٍ ، وَمُرْشِدَةٍ عُمُومِيَّةٍ ، بِذٰلِكَ الْأُسْلُوبِ ، بِجِهَةِ بَيَانَاتٍ فِي أُسْلُوبٍ يَقُولُ : «إِنَّهُ تَعَالَىٰ يَعْلَمُ خَاطِرَاتِ الْقَلْبِ ؛ وَيُدِيرُهَا أَيْضاً ، فِي حَشْمَةِ خِلْقَةِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ» ..

﴿سُؤَالٌ :﴾ إِنَّ حَقِيقَةً ذَاتَ أَهَمِّيَّةٍ ، لَا تُشَاهَدُ أَحْيَاناً ، لِلْأَنْظَارِ السَّطْحِيَّةِ ؛ وَإِنَّ الْمُنَاسَبَةَ فِي بَيَانِ فَذْلَكَةِ تَوْحِيدٍ عَالِيَةٍ ، أَوْ دُسْتُورٍ كُلِّيٍّ ، مِنْ حَادِثَةٍ جُزْئِيَّةٍ وَعَادِيَّةٍ ، لَا تُعْلَمُ فِي بَعْضِ الْمَقَامَاتِ ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ يُتَوَهَّمُ تَقْصِيرٌ ؛ فَإِنَّ ذِكْرَ دُسْتُورٍ عَالٍ لِلْغَايَةِ ، قَائِلاً : ﴿وَفَوْقَ

كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ مَثَلاً ، فِي اعْتِقَالِ يُوسُفَ (عليه السلام) ، أَخَاهُ ، بِحِيلَةٍ مَّا ، لَا تُرَى مُنَاسَبَتُهُ ، حَسَبَ الْبَلَاغَةِ . . فَمَا هُوَ سِرُّ هٰذَا ، وَحِكْمَتُهُ ؟ .

﴿اَلْجَوَابُ :﴾ إِنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي هُوَ قِرَاءَةٌ لِكِتَابِ الْكَائِنَاتِ الْكَبِيرِ ، بِجِهَةِ كَوْنِهِ لَا يُفِيدُ مَقْصَداً أَوْ مَقْصَدَيْنِ فَقَطْ ، فِي صَحَائِفَ وَمَقَامَاتٍ كَثِيرَةٍ ، وَفِي أَكْثَرِ السُّوَرِ الطَّوِيلَةِ وَالْمُتَوَسِّطَةِ ، الَّتِي كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا قُرْآنٌ صَغِيرٌ ؛ بَلْ إِنَّ مَاهِيَّةَ الْقُرْآنِ تَتَضَمَّنُ دُرُوساً مُخْتَلِفَةً ، وَكُتُباً كَثِيرَةً ، مِثْلَ كِتَابِ ذِكْرٍ وَإِيمَانٍ وَفِكْرٍ ، وَكِتَابِ شَرِيعَةٍ وَحِكْمَةٍ وَإِرْشَادٍ ؛ فَيُفِيدُ إِحَاطَةَ الرُّبُوبِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَتَجَلِّيَاتِهَا الْمُحْتَشِمَةِ ، فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يُدَرِّسُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ ، وَمِنْ مَرَاتِبِ التَّوْحِيدِ ، وَمِنْ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ ، مُتَعَقِّباً مَقَاصِدَ كَثِيرَةً ، فِي كُلِّ مَقَامٍ ، حَتّٰى فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ أَحْيَاناً ؛ فَبِحَيْثِيَّةِ ذٰلِكَ ، يَفْتَحُ دَرْساً آخَرَ ، فِي مَقَامٍ آخَرَ ، بِمُنَاسَبَةٍ ضَعِيفَةٍ حَسَبَ الظَّاهِرِ مَثَلاً ؛ فَتَلْتَحِقُ مُنَاسَبَاتٌ قَوِيَّةٌ جِدّاً ، بِتِلْكَ الْمُنَاسَبَةِ الضَّعِيفَةِ ؛ فَيَصِيرُ مُطَابِقاً لِذٰلِكَ الْمَقَامِ لِلْغَايَةِ ؛ فَتَرْقَى مَرْتَبَةُ بَلَاغَتِهِ . .

﴿سُؤَالٌ ثَانٍ :﴾ مَا هِيَ حِكْمَةُ إِثْبَاتِ الْآخِرَةِ وَالتَّوْحِيدِ ، وَمُكَافَأَةِ الْبَشَرِ وَمُعَاقَبَتِهِ ، وَالْاِهْتِمَامِ بِهَا آلَافَ الْمَرَّاتِ ، وَتَدْرِيسِهَا فِي الْقُرْآنِ صَرَاحَةً وَضِمْناً وَإِشَارَةً ، فِي كُلِّ سُورَةٍ ، وَفِي كُلِّ صَحِيفَةٍ ، وَفِي كُلِّ مَقَامٍ ؟ .

﴿اَلْجَوَابُ :﴾ إِنَّ الْقُرْآنَ ، فِي جِهَةِ تَدْرِيسِهِ مَا هُوَ الْأَعْظَمُ ، فِي دَائِرَةِ الْإِمْكَانِ ، وَفِي الْاِنْقِلَابَاتِ الْعَائِدَةِ إِلَى مُقَدَّرَاتِ الْكَائِنَاتِ ، وَفِي أَهَمِّ مَسَائِلِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، الَّذِي حَمَلَ عَلَى كَاهِلِهِ الْأَمَانَةَ الْكُبْرَى وَالْخِلَافَةَ الْأَرْضِيَّةَ ، وَفِي أَكْبَرِ وَأَدْهَشِ مَسَائِلِهِ الدَّائِرَةِ حَوْلَ وَظِيفَتِهِ ، الَّتِي هِيَ الْمَدَارُ لِلشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّتَيْنِ ؛ وَفِي جِهَةِ إِزَالَةِ شُبُهَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا ، وَكَسْرِ إِنْكَارَاتٍ وَعِنَادَاتٍ شَدِيدَةٍ لِلْغَايَةِ ، فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ إِنْ أَنْظَرَ إِلَى تِلْكَ الْاِنْقِلَابَاتِ وَالْمَسَائِلِ ، لَا آلَافَ الْمَرَّاتِ ، بَلْ مَلَايِينَ الْمَرَّاتِ ، لِأَجْلِ التَّصْدِيقِ بِتِلْكَ الْاِنْقِلَابَاتِ الْمُدْهِشَةِ ، وَلِأَجْلِ التَّسْلِيمِ بِتِلْكَ الْمَسَائِلِ ، الَّتِي هِيَ أَلْزَمُ وَأَهَمُّ لِلْبَشَرِ ، وَالْعَظِيمَةِ فِي عَظَمَةِ تِلْكَ الْاِنْقِلَابَاتِ ؛ فَلَيْسَ إِسْرَافاً أَيْضاً ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الْأَبْحَاثَ ، تُقْرَأُ فِي الْقُرْآنِ بِالتَّكْرَارِ مَلَايِينَ الْمَرَّاتِ ؛ فَلَا تُورِثُ

السَّآمَةَ ؛ وَلَا يَنْقَطِعُ الاحْتِيَاجُ . فَإِنَّ حَقِيقَةَ بُشْرَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، الَّتِي تُبَيِّنُهَا آيَةُ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً﴾ مَثَلاً ، إِنْ كُرِّرَتْ مِلْيَارَاتِ الْمَرَّاتِ ؛ وَأُعْطِيَتْ أَهَمِّيَّةً بِقَدَرِ الْكَائِنَاتِ ؛ لَا يَكُونُ إِسْرَافاً ؛ وَلَا تَسْقُطُ عَنِ الْقِيمَةِ أَيْضاً ، مِنْ ذِكْرِهَا أَنَّهَا تَفُوزُ بِسَلْطَنَةٍ أَبَدِيَّةٍ ؛ فَتُنْقِذُ الْإِنْسَانَ وَدُنْيَاهُ وَجَمِيعَ أَحْبَابِهِ ، مِنْ إِعْدَامِ حَقِيقَةِ الْمَوْتِ إِعْدَاماً أَبَدِيّاً ، الَّتِي تُظْهِرُ نَفْسَهَا لِلْبَشَرِ الْبَائِسِ ، كُلَّ دَقِيقَةٍ . .

هٰذَا ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ ، الَّذِي يُدَرِّسُ هٰذَا النَّوْعَ مِنَ الْمَسَائِلِ الْقَيِّمَةِ بِلَا حَدٍّ ؛ وَيُبَدِّلُ الْكَائِنَاتِ وَيُغَيِّرُ شَكْلَهَا مِثْلَ بَيْتٍ ؛ وَيَجْتَهِدُ لِلْإِقْنَاعِ وَالْإِذْعَانِ وَالْإِثْبَاتِ ، فِي تَأْسِيسِ الِانْقِلَابَاتِ الرَّهِيبَةِ ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّ جَلْبَ نَظَرِ الدِّقَّةِ إِلَى تِلْكَ الْمَسَائِلِ ، آلَافَ الْمَرَّاتِ ، صَرَاحَةً وَضِمْناً وَإِشَارَةً ، لَيْسَ إِسْرَافاً ؛ بَلْ إِنَّهُ يُجَدِّدُ إِحْسَانَهُ ، فِي حُكْمِ حَوَائِجَ ضَرُورِيَّةٍ ، مِثْلِ الْخُبْزِ وَالْعِلَاجِ وَالْهَوَاءِ وَالضِّيَاءِ . .

وَأَيْضاً إِنَّ حِكْمَةَ ذِكْرِ الْقُرْآنِ بِغَايَةِ الشِّدَّةِ وَالْحِدَّةِ ، وَبِغَايَةِ الْقُوَّةِ وَالتَّكْرَارِ ، لِآيَاتِ التَّهْدِيدِ مِثْلِ : ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ..فِي نَارِ جَهَنَّمَ . . وَالظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ، هِيَ : أَنَّ كُفْرَ الْبَشَرِ ، اعْتِدَاءٌ عَلَى حُقُوقِ الْكَائِنَاتِ وَأَكْثَرِ الْمَخْلُوقَاتِ ، اعْتِدَاءٌ يُغْضِبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ؛ وَيُسْخِطُ الْعَنَاصِرَ ؛ فَتَصْفَعُ أُولَائِكَ الظَّالِمِينَ بِصَفَعَاتٍ ؛ وَتَغِيظُ جَهَنَّمُ عَلَى أُولَائِكَ الْمُنْكِرِينَ الظَّالِمِينَ ؛ فَتَأْتِي إِلَى دَرَجَةِ التَّقَطُّعِ وَالتَّمَزُّقِ مِنْ غَيْظِهَا ، بِصَرَاحَةِ آيَةِ : ﴿إِذَآ أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ ۞ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ ؛ كَمَا أُثْبِتَ قَطْعاً فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» . هٰذَا ؛ فَإِنْ كَرَّرَ سُلْطَانُ الْكَائِنَاتِ ، تِلْكَ الْجِنَايَةَ وَجَزَاءَهَا ، لَا بِآلَافِ الْمَرَّاتِ ، بَلِ الْمَلَايِينِ وَالْمِلْيَارَاتِ ، بِغَايَةِ الْحِدَّةِ وَالشِّدَّةِ ، فِي مَنْشُورِهِ ، بِحِكْمَةِ إِظْهَارِ أَهَمِّيَّةِ حُقُوقِ رَعَايَاهُ ، وَمَا فِي كُفْرِ وَظُلْمِ أُولَائِكَ الْمُنْكِرِينَ مِنْ شَنَاعَتِهِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا ، تِجَاهَ جِنَايَةٍ عَامَّةٍ وَاعْتِدَاءَةٍ بِلَا حَدٍّ هٰكَذَا ، لَا فِي نُقْطَةِ حَقَارَةِ الْبَشَرِ وَتَفَاهَتِهِ ؛ بَلْ تِجَاهَ عَظَمَةِ جِنَايَتِهِ الظَّالِمَةِ ، وَدَهْشَةِ اعْتِدَاءَتِهِ الْكَافِرَةِ ؛ فَلَيْسَ إِسْرَافاً وَتَقْصِيراً ؛ فَإِنَّ مِئَاتِ الْمَلَايِينِ مِنَ النَّاسِ ، يَقْرَؤُونَهُ كُلَّ يَوْمٍ مُنْذُ أَلْفِ سَنَةٍ ، بِكَمَالِ الِاشْتِيَاقِ وَالِاحْتِيَاجِ دُونَمَا سَآمَةٍ . نَعَمْ : يَذْهَبُ عَالَمٌ ، كُلَّ يَوْمٍ وَكُلَّ زَمَانٍ ، لِكُلِّ أَحَدٍ ؛ فَيَنْفَتِحُ لَهُ بَابُ عَالَمٍ جَدِيدٍ ؛ فَكَمَا يَجْعَلُ وَاحِدَةً مِنْ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ ، مِصْبَاحاً لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ

الْحُجُبِ الْمُتَبَدِّلَةِ ، بِتَكْرَارِ جُمْلَةِ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ أَلْفَ مَرَّةٍ ، بِالِاحْتِيَاجِ وَالِاشْتِيَاقِ ، لِتَنْوِيرِ كُلِّ عَالَمٍ لَهُ مُؤَقَّتٍ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ الْقُرْآنَ يُكَرِّرُهَا تَكْرَاراً مُفِيداً لِلْغَايَةِ ، بِحِكْمَةِ السَّعْيِ لِلنَّجَاةِ مِنْ طُغْيَانِ نَفْسِهِ ؛ وَالتَّقْدِيرِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، لِجَزَاءِ تِلْكَ الْجِنَايَاتِ ، وَلِتَهْدِيدَاتِ السُّلْطَانِ الْأَزَلِيِّ ، الشَّدِيدَةِ وَالْكَاسِرَةِ لِلْعِنَادَاتِ ، لِأَجْلِ عَدَمِ اسْتِظْلَامِ تِلْكَ الْحُجُبِ الْكَثِيرَةِ الْمُؤَقَّتَةِ ، وَتِلْكَ الْكَوَائِنِ السَّيَّارَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ ، وَعَدَمِ اسْتِقْبَاحِ صُوَرِهَا الْمُنْعَكِسَةِ فِي مِرْآةِ حَيَاتِهِ ، وَعَدَمِ تَحْوِيلِ تِلْكَ الْأَوْضَاعِ الْمُسَافِرَةِ ، الَّتِي تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ شَاهِدَةً لَهُ ، إِلَى كَوْنِهَا شَاهِدَةً عَلَيْهِ . . وَإِنَّ الشَّيْطَانَ أَيْضاً ، يَفِرُّ مِنْ أَنْ يَتَوَهَّمَ بِدُونِ حَقِيقَةٍ ، التَّهْدِيدَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ الَّتِي هِيَ بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالشِّدَّةِ وَالتَّكْرَارِ ؛ وَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ عَذَابَ جَهَنَّمَ ، عَيْنُ الْعَدَالَةِ ، لِلْمُنْكِرِينَ الَّذِينَ لَا يَسْتَمِعُونَ لَهَا . .

وَأَيْضاً إِنَّ تَكْرَارَ قِصَّةِ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مَثَلاً ، وَقِصَصِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ، الَّتِي لَهَا حِكَمٌ وَفَوَائِدُ كَثِيرَةٌ ، مِثْلُ عَصَا مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، لَيْسَ إِسْرَافاً ، بَلْ بَلَاغَةٌ مُعْجِزَةٌ ، مِثْلُ الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ الْمُهِمَّةِ ؛ وَإِنَّهُ تَدْرِيسٌ بِأَنَّ الْحَادِثَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ ، هِيَ أَكْبَرُ حَادِثَةِ بَنِي آدَمَ ، وَأَعْظَمُ مَسْأَلَةِ الْكَائِنَاتِ ؛ ذٰلِكَ لِتَصْيِيرِ كُلِّ سُورَةٍ طَوِيلَةٍ وَمُتَوَسِّطَةٍ ، فِي حُكْمِ قُرْآنٍ صَغِيرٍ ؛ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُقْتَدِراً وَمُوَفَّقاً لِقِرَاءَةِ جَمِيعِ الْقُرْآنِ كُلَّ وَقْتٍ ؛ وَبِحِكْمَةِ أَنْ يُظْهِرَ نُبُوَّةَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ ، حُجَّةً وَاحِدَةً لِحَقَّانِيَّةِ الرِّسَالَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، فِي كَثْرَةِ تَكْرَارِ تِلْكَ الْقِصَصِ ؛ فَمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ جَمِيعَ أُولَائِكَ ؛ لَا يُمْكِنُ فِي نُقْطَةِ الْحَقِيقَةِ ، أَنْ يُنْكِرَ رِسَالَةَ هٰذَا الْجَنَابِ . .

نَعَمْ : إِنَّ إِعْطَاءَ الْمَقَامِ الْأَعْظَمِ فِي الْقُرْآنِ ، لِلذَّاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ؛ وَإِنَّ اتِّخَاذَ رُكْنِ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ﴾ ، مُوَازِياً لِرُكْنِ ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ ، بِالِاحْتِوَاءِ لِلْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ الْأَرْبَعَةِ ، إِنَّمَا هُوَ : بِأَنَّ الرِّسَالَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، هِيَ أَكْبَرُ حَقِيقَةِ الْأَكْوَانِ ؛ وَأَنَّ الذَّاتَ الْأَحْمَدِيَّةَ ، هِيَ أَشْرَفُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ وَأَنَّ مَقَامَهُ الْقُدْسِيَّ ، وَشَخْصِيَّتَهُ الْمَعْنَوِيَّةَ الْكُلِّيَّةَ ، الْمُعَبَّرَ عَنْهَا بِالْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، هِيَ أَشْرَقُ شَمْسٍ لِلدَّارَيْنِ ؛ وَأَنَّهُ لَائِقٌ بِهٰذَا

الْمَقَامِ الْخَارِقِ . . وَقَدْ أُثْبِتَتْ حُجَجٌ وَأَمَارَاتٌ كَثِيرَةٌ جِدّاً ، حَوْلَ ذٰلِكَ ، فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ، فِي صُورَةٍ قَطْعِيَّةٍ . .

وَإِنَّ وَاحِداً مِنَ الْأُلُوفِ ، هُوَ : أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ الَّتِي هِيَ الشَّخْصِيَّةُ الْمَعْنَوِيَّةُ لِذٰلِكَ الْجَنَابِ ، بِحَيْثِيَّةِ أَنَّ مِثْلاً مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَعْمَلُهَا جَمِيعُ أُمَّتِهِ ، فِي جَمِيعِ الْأَزْمِنَةِ ، يَدْخُلُ دَفْتَرَ حَسَنَاتِهِ ، بِدُسْتُورِ أَنَّ السَّبَبَ كَالْفَاعِلِ ؛ وَأَنَّهُ نَوَّرَ حَقَائِقَ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ، بِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ النُّورِ ؛ وَلَمْ يُفَرِّحِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَالْمَلَائِكَةَ فَقَطْ ؛ بَلِ الْكَائِنَاتِ وَالْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ ؛ وَأَنَّ صُلَحَاءَ أُمَّتِهِ الْمَقْبُولَةَ مَلَايِينُ بَلْ مِلْيَارَاتٌ(١) دَعَوَاتِهِمُ الْفِطْرِيَّةِ الَّتِي لَا تُرَدُّ ، بِشَهَادَةِ قَبُولِ دَعَوَاتِ النَّبَاتَاتِ بِلِسَانِ الِاسْتِعْدَادِ ، وَدَعَوَاتِ الْحَيَوَانَاتِ بِلِسَانِ الِاحْتِيَاجِ الْفِطْرِيِّ ، قَبُولاً بِالْفِعْلِ أَمَامَ أَبْصَارِنَا ، يَدْعُونَ دُعَاءَ الرَّحْمَةِ ، بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى ذٰلِكَ الْجَنَابِ ، كُلَّ يَوْمٍ ؛ وَيُهْدُونَ إِلَى ذٰلِكَ الْجَنَابِ أَوَّلاً ، مَكَاسِبَهُمُ الْمَعْنَوِيَّةَ ؛ وَأَنَّ أَنْوَاراً بِلَا حَدٍّ تَدْخُلُ دَفْتَرَ أَعْمَالِهِ ، بِجِهَةِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فَقَطْ ، مِنْ إِيتَاءِ ثَلَاثِمِئَةِ أَلْفِ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ الْمَتْلُوِّ حَسَبَ جَمِيعِ الْأُمَّةِ ، ثَمَرَاتٍ وَحَسَنَاتٍ مِنْ عَشْرِ مَثُوبَاتٍ ، إِلَى الْمِئَةِ إِلَى الْأُلُوفِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا ؛ فَعَلِمَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ وَرَأَى ، أَنَّ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ سَتُصْبِحُ فِي حُكْمِ شَجَرَةِ طُوبَى لِلْجَنَّةِ ، فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ وَأَعْطَاهُ تِلْكَ الْأَهَمِّيَّةَ الْعَظِيمَةَ فِي قُرْآنِهِ ، حَسَبَ ذٰلِكَ الْمَقَامِ ؛ وَأَظْهَرَ فِي كَلَامِهِ : أَنَّ الِاتِّبَاعَ لَهُ ، وَالْمَظْهَرِيَّةَ لِشَفَاعَتِهِ ، بِالِاتِّبَاعِ لِسُنَّتِهِ السَّنِيَّةِ ، هِيَ أَهَمُّ مَسْأَلَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ ؛ وَيَتَّخِذُ إِلَى النَّظَرِ أَحْيَاناً ، وَضْعِيَّتَهُ الْإِنْسَانِيَّةَ الَّتِي فِي الْبِدَايَةِ ، وَشَخْصِيَّتَهُ الْبَشَرِيَّةَ الَّتِي هِيَ نَوَاةٌ لِتِلْكَ الشَّجَرَةِ الطُّوبَى الْمُحْتَشِمَةِ . .

هٰذَا ، فَإِنَّ حَقَائِقَ الْقُرْآنِ الْمُكَرَّرَةَ ، هِيَ فِي هٰذِهِ الْقِيمَةِ ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ تَشْهَدُ الْفِطْرَةُ السَّلِيمَةُ ، بِأَنَّ فِي تَكْرَارَاتِهِ مُعْجِزَةً مَعْنَوِيَّةً وَاسِعَةً وَقَوِيَّةً ، إِلَّا إِنْ كَانَ مُبْتَلًى بِمَرَضِ الْقَلْبِ وَعِلَّةِ الْوِجْدَانِ ، بِطَاعُونِ الْمَادِّيَّةِ ؛ فَيَصِيرُ دَاخِلاً فِي قَاعِدَةِ : «قَدْ يُنْكِرُ الْمَرْءُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ ❁ وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ» . .

---

(١) إِنَّ الْجِنَّ وَالرُّوحَانِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ السَّابِقِينَ ، دَاخِلُونَ فِي هٰذَا الْحِسَابِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

حَاشِيَتَانِ تَصْلُحَانِ خَاتِمَةً لِهٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْعَاشِرَةِ :

﴿اَلْحَاشِيَةُ الْأُولى :﴾ سَمِعْتُ قَبْلَ هٰذَا بِاثْنَيْ عَشَرَ عَاماً : أَنَّ زِنْدِيقاً أَشَدَّ وَأَعْنَدَ ، بَاشَرَ أَنْ يَفْعَلَ مُؤَامَرَتَهُ ضِدَّ الْقُرْآنِ ، بِتَرْجَمَتِهِ ؛ وَقَالَ : فَلْيُتَرْجَمِ الْقُرْآنُ ؛ لِيُعْلَمَ أَيُّ مَتَاعٍ هُوَ : أَيْ أَنْ يَرَى كُلُّ أَحَدٍ ، تَكْرَارَاتِهِ الَّتِي لَا لُزُومَ لَهَا ؛ وَأَنْ تُقْرَأَ تَرْجَمَتُهُ فِي مَكَانِهِ : هٰكَذَا أَدَارَ خُطَّةً رَهِيبَةً ؛ وَلٰكِنَّ حُجَجَ «رِسَالَةِ النُّورِ» الَّتِي لَا تُجْرَحُ ، أَثْبَتَتْ قَطْعاً : أَنَّ تَرْجَمَةَ الْقُرْآنِ الْحَقِيقِيَّةَ ، لَيْسَتْ مُمْكِنَةً ؛ وَأَنَّ غَيْرَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي هُوَ اللِّسَانُ النَّحْوِيُّ ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى مَزَايَا الْقُرْآنِ وَنِكَاتِهِ ، عِوَضاً عَنْهُ ؛ وَأَنَّ تَرَاجِمَ الْبَشَرِ الْعَادِيَّةَ وَالْجُزْئِيَّةَ ، لَا يُمْكِنُ أَنْ تَضْبِطَهَا بَدَلاً عَنْ تَعَابِيرِ الْكَلِمَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ، الَّتِي يُؤْتِي كُلُّ حَرْفٍ مِنْهَا الثَّوَابَ ، مِنْ عَشَرَةِ أَعْدَادٍ إِلَى الْأَلْفِ ؛ وَلَا تُقْرَأُ فِي الْجَوَامِعِ ، فِي مَكَانِ تِلْكَ التَّعَابِيرِ الْمُعْجِزَةِ الْجَامِعَةِ . هٰكَذَا تَرَكَتْ «رِسَالَةُ النُّورِ» ، تِلْكَ الْخُطَّةَ الرَّهِيبَةَ عَقِيمَةً ، بِانْتِشَارِهَا فِي كُلِّ جَانِبٍ ؛ وَلٰكِنْ أَظُنُّ أَنَّ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ الْعَاشِرَةَ اكْتُتِبَتْ بِي ، فِي حَالَةٍ ضَائِقَةٍ وَضَاغِطَةٍ وَمُضَايِقَةٍ لِلْغَايَةِ ، بِسَبَبِ سَعْيِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَلَقَّوُا الدَّرْسَ مِنْ ذٰلِكَ الزِّنْدِيقِ ، سَعْياً عَلَى وَجْهِ الْحَمَاقَةِ وَالْجُنُونِ ، مِثْلَ صِبْيَانٍ حَمَاقَى ، لِإِطْفَاءِ شَمْسِ الْقُرْآنِ بِالنَّفْخِ عَلَيْهَا ، بِحِسَابِ الشَّيْطَانِ أَيْضاً . . وَلَا أَعْلَمُ حَقِيقَةَ الْحَالِ ، لِعَدَمِ اتِّصَالِي بِالْآخَرِينَ . .

﴿اَلْحَاشِيَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ أَنِّي كُنْتُ جَالِساً فِي الطَّابِقِ الْعَالِي مِنْ فُنْدُقِ «الْمَدِينَةِ» الْمَشْهُورِ ، بَعْدَ تَخْلِيَتِنَا عَنْ سِجْنِ «دِنِزْلِي» ؛ فَمَسَّتْ قَلْبِيَ الْحَزِينَ الْمَغْمُومَ ، مِنْ وَحْدَتِي وَمِنْ مُفَارَقَةِ إِخْوَانِي ، رَقَصَاتُ أَشْجَارِ الْبَانِ الْكَثِيرَةِ ، فِي الْحَدَائِقِ الْجَمِيلَةِ فِي وِجْهَتِي ، بِالْحَرَكَةِ الْجَاذِبَةِ وَالْجَذَّابَةِ ، بِمَسِّ الْهَوَاءِ إِيَّاهَا ، وَأَغْصَانِهَا وَأَوْرَاقِهَا ، فِي صُورَةٍ لَطِيفَةٍ وَحُلْوَةٍ لِلْغَايَةِ ، عَلَى أُسْلُوبِ حَلَقَاتِ الذِّكْرِ ؛ فَإِذَا بِمَوْسِمِ الْخَرِيفِ وَالشِّتَاءِ خَطَرَ بِبَالِي ؛ وَضَغَطَتْ عَلَيَّ الْغَفْلَةُ ؛ فَتَأَلَّمْتُ لِذَوِي الْحَيَاةِ ، وَلِأُولٰئِكَ الْبَانَاتِ الرَّقِيقَةِ الْمُتَجَلِّيَةِ بِكَمَالِ النَّشْوَةِ ؛ فَامْتَلَأَتْ عَيْنَايَ بِالدَّمْعِ ؛ فَاجْتَمَعَتْ عَلَى رَأْسِي ، أَحْزَانُ أَنْوَاعِ الْفِرَاقِ وَالزَّوَالِ مِلْءَ الْكَائِنَاتِ ، بِإِخْطَارِهَا

وَإِحْسَاسِهَا بِأَعْدَامٍ وَفِرَاقَاتٍ تَحْتَ غِطَاءِ الْكَائِنَاتِ الْمُزَخْرَفِ ؛ فَإِذَا بِالنُّورِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ، أَدْرَكَ الْإِمْدَادَ ؛ فَحَوَّلَ تِلْكَ الْأَحْزَانَ وَالْغُمُومَ بِلَا حَدٍّ ، إِلَى الْمَسَارِّ ؛ حَتَّى إِنِّي أَصْبَحْتُ مُمْتَنّاً أَبَداً تِجَاهَ الْجَنَابِ الْمُحَمَّدِيِّ (ﷺ) ، لِأَجْلِ إِمْدَادِ ذٰلِكَ النُّورِ ، وَتَسْلِيَتِهِ الْمُتَمَاسَّةِ بِتِلْكَ الْوَضْعِيَّةِ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ فَقَطْ ، مِنْ مِلْيُونِ فَيْضٍ لَهُ فِي حَقِّي ، كَكُلِّ أَحَدٍ ، وَكُلِّ أَهْلِ إِيمَانٍ . وَذٰلِكَ : أَنَّ نَظَرَ الْغَفْلَةِ ذَاكَ ، أَرَى أَنَّ تِلْكَ الرَّقِيقَاتِ الْمُبَارَكَةَ ، تَتَظَاهَرُ فِي مَوْسِمٍ بِدُونِ وَظِيفَةٍ وَبِغَيْرِ نَتِيجَةٍ ؛ فَلَيْسَتْ حَرَكَاتُهَا مِنَ النَّشْوَةِ ؛ بَلْ كَأَنَّهَا تَرْتَعِدُ مِنَ الْعَدَمِ وَالْفِرَاقِ ؛ فَتَسْقُطُ فِي الْعَدَمِ ؛ فَبِذٰلِكَ مَسَّتْ أَعْصَابِيَ الَّتِي هِيَ الْمَدَارُ لِعِشْقِ الْبَقَاءِ ، وَحُبِّ الْمَحَاسِنِ ، وَالشَّفَقَةِ الْجِنْسِيَّةِ وَالْحَيَوِيَّةِ الَّتِي فِيَّ كَكُلِّ أَحَدٍ ؛ فَعِنْدَمَا حَوَّلَتِ الدُّنْيَا إِلَى جَهَنَّمَ مَعْنَوِيَّةٍ ؛ وَالْعَقْلَ إِلَى آلَةِ تَعْذِيبٍ هٰكَذَا ؛ رَفَعَ الْغِطَاءَ ، مَا أَتَى بِهِ «مُحَمَّدٌ» (ﷺ) ، هَدِيَّةً لِلْبَشَرِ ، مِنَ النُّورِ ؛ فَأَثْبَتَ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ أُولَائِكَ الْبَانَاتِ ، حِكَماً وَمَعَانِيَ عَدَدَ أَوْرَاقِهَا ؛ وَأَنَّ لَهَا نَتَائِجَ وَوَظَائِفَ تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ ؛ كَمَا أُثْبِتَ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» . .

(اَلْقِسْمُ الْأَوَّلُ :) يَنْظُرُ إِلَى أَسْمَاءِ الصَّانِعِ ذِي الْجَلَالِ . فَكَمَا أَنَّ صَانِعاً إِذَا صَنَعَ جِهَازاً خَارِقاً مَثَلاً ، يُصَفِّقُ كُلُّ أَحَدٍ لِذٰلِكَ الْجَنَابِ ، قَائِلاً : «مَا شَاءَ اللهُ ، بَارَكَ اللهُ» ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ ذٰلِكَ الْجِهَازَ أَيْضاً ، يُهَنِّئُ صَانِعَهُ وَيُصَفِّقُ لَهُ ، بِلِسَانِ حَالِهِ ، بِتَمَامِ إِظْهَارِهِ النَّتَائِجَ الْمَقْصُودَةَ مِنْهُ ، إِظْهَاراً تَامّاً ؛ فَكُلُّ ذِي حَيَاةٍ ، وَكُلُّ شَيْءٍ ، جِهَازٌ هٰكَذَا ؛ فَيُصَفِّقُ لِصَانِعِهِ بِالتَّحِيَّاتِ . .

(أَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ حِكَمِهَا :) فَيَنْظُرُ إِلَى أَنْظَارِ ذَوِي الْحَيَاةِ وَذَوِي الشُّعُورِ ؛ فَإِنَّهَا تَصِيرُ مُطَالَعاً حُلْواً ، وَكُتُبَ مَعْرِفَةٍ لَهُمْ ؛ فَتَتْرُكُ فِي دَائِرَةِ الْوُجُودِ ، مَعَانِيَهَا ، لِأَذْهَانِ ذَوِي الشُّعُورِ ، وَصُوَرَهَا ، فِي قُوَاهُمُ الْحَافِظَةِ ، وَفِي الْأَلْوَاحِ الْمِثَالِيَّةِ ، وَفِي دَفَاتِرِ عَالَمِ الْغَيْبِ ؛ ثُمَّ تَتْرُكُ عَالَمَ الشَّهَادَةِ ؛ فَتَتَوَلَّى إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ . . إِذاً فَإِنَّهَا تَتْرُكُ وُجُوداً صُورِيّاً ؛ وَتَفُوزُ بِوُجُودَاتٍ كَثِيرَةٍ ، مَعْنَوِيَّةٍ وَغَيْبِيَّةٍ وَعِلْمِيَّةٍ . نَعَمْ : إِذَا كَانَ اللهُ مَوْجُوداً ؛ وَعِلْمُهُ يُحِيطُ ؛ فَإِنَّ الْعَدَمَ وَالْإِعْدَامَ وَالِانْعِدَامَ ، وَالْهَلَاكَ وَالْفَنَاءَ ، لَا تُوجَدُ فِي دُنْيَا أَهْلِ الْإِيمَانِ ، فِي نُقْطَةِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَإِنَّ دُنْيَا الْكُفَّارِ ، مَالِئَةٌ بِالْعَدَمِ وَالْفِرَاقِ ، وَبِالِانْعِدَامِ وَالْفَنَاءِ . . فَهٰذَا الْمَثَلُ

الْمَضْرُوبُ الْآتِي ، السَّائِرُ عَلَى لِسَانِ الْعُمُومِ ، يُدَرِّسُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ؛ فَيَقُولُ : «مَنْ كَانَ اللّٰهُ لَهُ ، كَانَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ ؛ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ، فَكُلُّ شَيْءٍ ، مَعْدُومٌ وَفَانٍ لَهُ» . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ الْإِيمَانَ ، كَمَا يُنْقِذُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ، عِنْدَ الْمَوْتِ ؛ كَذٰلِكَ يُنْقِذُ دُنْيَا كُلِّ أَحَدِ الْخُصُوصِيَّةَ ، مِنَ الْإِعْدَامِ وَظُلُمَاتِ الْعَدَمِ أَيْضاً . وَأَمَّا الْكُفْرُ ، خُصُوصاً إِذَا كَانَ الْكُفْرُ الْمُطْلَقَ ، فَإِنَّهُ يُعْدِمُ بِالْمَوْتِ ، ذٰلِكَ الْإِنْسَانَ ، وَدُنْيَاهُ الْخُصُوصِيَّةَ ؛ فَيُلْقِي بِهِ إِلَىٰ ظُلُمَاتِ جَهَنَّمَ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ وَيُحَوِّلُ لَذَائِذَ حَيَاتِهِ ، إِلَىٰ سُمُومٍ مَرِيرَةٍ . فَلْتَرِنَّ آذَانُ الْمُرَجِّحِينَ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ عَلَىٰ آخِرَتِهِمْ ؛ فَلْيَأْتُوا وَلْيَجِدُوا وَسِيلَةً لِهٰذَا ؛ أَوْ لِيَدْخُلُوا الْإِيمَانَ ؛ فَلْيَنْجُوا مِنْ هٰذِهِ الْخَسَارَةِ الرَّهِيبَةِ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝﴾ . .

اَلْمُحْتَاجُ كَثِيراً إِلَىٰ دَعَوَاتِكُمْ ، وَالْمُشْتَاقُ جِدّاً إِلَيْكُمْ : أَخُوكُمْ «سَعِيدُ النُّورْسِيُّ» ، (رضي الله تعالى عنه) . .

اَلْمَسْأَلَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ :

صَدْرُ الْمَسْأَلَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ «الثَّمَرَةِ» . .

إِنَّ مِئَاتِ الْأَمْثِلَةِ مِنَ الثَّمَرَاتِ الْكُلِّيَّةِ وَالْجُزْئِيَّةِ بِلَا حَدٍّ ، لِشَجَرَةِ الْإِيمَانِ الْقُدُسِيَّةِ ، الَّتِي إِحْدَىٰ ثَمَرَاتِهَا الْجَنَّةُ ؛ وَإِحْدَاهَا السَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ ؛ وَإِحْدَاهَا رُؤْيَةُ اللّٰهِ ، قَدْ بُيِّنَتْ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ وَأُثْبِتَتْ بِالْحُجَجِ ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ نُحِيلُ إِيضَاحَهَا عَلَىٰ «سِرَاجِ النُّورِ» ؛ فَتُبَيِّنُ عِدَّةُ أَمْثِلَةٍ ، لَا مِنْ ثَمَرَاتِ أَرْكَانِهَا الْكُلِّيَّةِ ، بَلِ الثَّمَرَاتِ الْخُصُوصِيَّةِ وَالْجُزْئِيَّةِ لِلْجُزْئِيَّاتِ وَالْأَجْزَاءِ . .

أَحَدُهَا : أَنِّي إِذْ ذَكَرْتُ يَوْماً فِي دُعَاءٍ مَّا ، الدُّعَاءَ فِي مَآلِ : «يَا رَبِّ ! بِحُرْمَةِ وَشَفَاعَةِ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَعِزْرَائِيلَ ، احْفَظْنِي مِنْ شُرُورِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ» ؛ أَحْسَسْتُ بِحَالَةٍ حُلْوَةٍ وَمُسَلِّيَةٍ وَمَحْبُوبَةٍ لِلْغَايَةِ ، حِينَمَا ذَكَرْتُ اسْمَ «عِزْرَائِيلَ» الَّذِي يُرْجِفُ كُلَّ أَحَدٍ

وَيُورِثُهُ الدَّهْشَةَ ؛ فَقُلْتُ : «الْحَمْدُ لِلّٰهِ» ؛ وَشَرَعْتُ أُحِبُّ «عَزْرَائِيلَ» جِدّاً .. فَنُشِيرُ إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً ، إِلَىٰ ثَمَرَةٍ جُزْئِيَّةٍ فَقَطْ ، مِنَ الثَّمَرَاتِ الْكَثِيرَةِ جِدّاً ، لِهٰذَا الْفَرْدِ الْجُزْئِيِّ ، لِرُكْنِ الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ ..

إِحْدَاهَا : أَنَّ بِضَاعَةَ الْإِنْسَانِ الَّتِي هِيَ أَثْمَنُ ؛ وَيَرْتَجِفُ عَلَيْهَا ، هِيَ رُوحُهُ ؛ فَشَعَرْتُ قَطْعاً : أَنَّ تَسْلِيمَهَا لِيَدٍ قَوِيَّةٍ وَأَمِينَةٍ ، لِحِفْظِهَا عَنِ الضَّيَاعِ وَالْفَنَاءِ وَالِانْفِلَاتِ ، يُورِثُ فَرَحاً عَمِيقاً ؛ ثُمَّ خَطَرَ بِبَالِي الْمَلَائِكَةُ الْكَتَبَةُ لِعَمَلِ الْإِنْسَانِ ؛ فَنَظَرْتُ : أَنَّ لَهَا ثَمَرَاتٍ حُلْوَةً جِدّاً ، مِثْلَ هٰذِهِ الثَّمَرَةِ بِعَيْنِهَا ..

إِحْدَاهَا : أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ ، يَسْعَىٰ بِاشْتِيَاقٍ لِحِفْظِ قَوْلٍ وَفِعْلٍ لَهُ قَيِّمٍ ، بِالْكِتَابَةِ وَالشِّعْرِ حَتَّى السِّينَمَا ، لِأَجْلِ إِبْقَائِهِ ؛ وَلَاسِيَّمَا إِذَا كَانَتْ لِتِلْكَ الْأَفْعَالِ ، ثَمَرَاتٌ بَاقِيَةٌ فِي الْجَنَّةِ ؛ فَإِنَّهُ يَغْتَمُّ لَهَا أَكْثَرَ ؛ فَتَحَلَّىٰ إِلَيَّ عَرْضُ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ ، لَهَا ، فِي الْمَنَاظِرِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَتَحْصِيلُهُمُ الْمُكَافَأَةَ لِأَصْحَابِهَا ، وَاقِفِينَ عَلَىٰ كَوَاهِلِ الْإِنْسَانِ ؛ فَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعَرِّفَهُ ..

ثُمَّ بَيْنَمَا كَانَتْ وَحْشَةُ الْغُرْبَةِ تُضَايِقُنِي ؛ وَكَانَتِ الدُّنْيَا الْخَالِيَةُ تَنْهَارُ عَلَىٰ رَأْسِي ، مَعَ عَزْلِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِيَّايَ عَنْ جَمِيعِ كُتُبِي وَأَحْبَابِي وَخُدَّامِي ، وَعَنْ أُمُورٍ مُورِثَةٍ لِلتَّسَلِّي ، لِأَجْلِ تَجْرِيدِهِمْ إِيَّايَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ، فَإِذَا بِوَاحِدَةٍ مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ ، الْكَثِيرَةِ جِدّاً ، أَمَدَّتْنِي ؛ فَعَمَرَتْ عَوَالِمِي وَدُنْيَايَ ؛ وَمَلَأَتْهَا بِالْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ ؛ فَأَضْحَكَتْ عَالَمِي بِالسُّرُورِ ؛ وَأَظْهَرَتْ أَنَّ دُنْيَا أَهْلِ الضَّلَالَةِ ، تَبْكِي بِالْوَحْشَةِ وَالْخُلُوِّ وَالظُّلْمَةِ ..

وَبَيْنَمَا كَانَ خَيَالِي مَسْرُوراً بِلَذَّةِ هٰذِهِ الثَّمَرَةِ ، إِذَا بِهِ الْتَقَطَ وَذَاقَ ثَمَرَةً وَاحِدَةً فَقَطْ شَبِيهَةً بِهٰذِهِ ، مِنَ الثَّمَرَاتِ الْكَثِيرَةِ جِدّاً ، لِلْإِيمَانِ بِعُمُومِ الْأَنْبِيَاءِ ؛ وَإِذَا بِإِيمَانِي وَتَصْدِيقِي بِالْأَنْبِيَاءِ فِي جَمِيعِ الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ ، كَأَنِّي عِشْتُ مَعَهُمْ ، نَوَّرَ تِلْكَ الْأَزْمِنَةَ ؛ وَصَيَّرَ إِيمَانِي كُلِّيّاً ؛ فَوَسَّعَهُ ؛ وَوَقَّعَ آلَافُ التَّوَاقِيعِ عَلَىٰ دَعَاوَىٰ نَبِيِّنَا (عليه الصلاة والسلام) ، نَبِيِّ آخِرِ الزَّمَانِ ، الْعَائِدَةِ إِلَى الْإِيمَانِ ؛ فَأَفْحَمَ الشَّيَاطِينَ . فَإِذَا بِسُؤَالٍ لَهُ جَوَابٌ قَاطِعٌ فِي لَمْعَةِ «حِكْمَةِ الِاسْتِعَاذَةِ» ، وَرَدَ عَلَىٰ قَلْبِي ؛ وَهُوَ : لِمَاذَا يَغْلِبُ أَهْلُ الضَّلَالَةِ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ؛ وَأَحْيَاناً يُشَتِّتُ عِشْرُونَ مِنْهُمْ ، مِئَةً مِنْ

أَهْلِ الْهِدَايَةِ ؛ مَعَ أَنَّ الثَّمرَاتِ وَالْفَوَائِدَ الْحُلْوَةَ بِلا حَدٍّ ، مِثْلَ هٰذِهِ الثَّمرَاتِ ؛ وَأَنَّ نَتَائِجَ الْحَسَنَاتِ وَمَنَافِعَهَا الْجَمِيلَةَ لِلْغَايَةِ ، وَتَوْفِيقَاتِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ ، وَعِنَايَاتِهِ الرَّحِيمَةَ لِلْغَايَةِ ، تُعِينُ أَهْلَ الْهِدَايَةِ ؛ فَتُقَوِّيهِمْ ؟. هٰكَذَا سُئِلْتُ مَعْنًى . . وَفِي أَثْنَاءِ هٰذَا التَّفَكُّرِ ، خَطَرَ بِالْبَالِ تَحْشِيدَاتُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمَةُ ، وَإِرْسَالُ الْمَلائِكَةِ وَعَوْنِ الْحَقِّ تَعَالَىٰ ، إِلَىٰ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، ضِدَّ دَسَائِسِ الشَّيْطَانِ الضَّعِيفَةِ لِلْغَايَةِ . فَنُشِيرُ إِلَىٰ جَوَابِ ذٰلِكَ السُّؤَالِ ، إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً لِلْغَايَةِ ، بِنَاءً عَلَىٰ إِيضَاحِ «رِسَالَةِ النُّورِ» حِكْمَتَهُ ، بِالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ . .

نَعَمْ : إِنَّ وُجُودَ قَصْرٍ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ يَدُومَ أَحْيَاناً ، بِحِرَاسَةِ مِئَاتِ الْأَشْخَاصِ ؛ كَمَا بَنَاهُ مِئَاتُ الْأَشْخَاصِ ، وَبِالِالْتِجَاءِ إِلَى الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ أَحْيَاناً ، مِنْ أَجْلِ سَعْيِ شَخْصٍ طَائِشٍ ، خَفِيٍّ وَمُضِرٍّ ، لِإِلْقَاءِ النَّارِ فِي ذٰلِكَ الْقَصْرِ ؛ لِأَنَّ وُجُودَهُ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ بِوُجُودِ جَمِيعِ الشَّرَائِطِ وَالْأَرْكَانِ وَالْأَسْبَابِ ؛ وَلٰكِنَّ عَدَمَهُ وَخَرَابَهُ ، يَقَعُ بِعَدَمِ شَرْطٍ وَاحِدٍ ؛ وَأَنَّهُ يَحْتَرِقُ فَيَفْنَىٰ بِثِقَابَةِ طَائِشٍ ؛ كَمَا أَنَّ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يَفْعَلُونَ بِفِعْلٍ قَلِيلٍ ، تَخْرِيبَاتٍ كَبِيرَةً ، وَحَرَائِقَ مَعْنَوِيَّةً رَهِيبَةً . نَعَمْ : إِنَّ رَوْبَةَ وَأَسَاسَ جَمِيعِ السَّيِّئَاتِ وَالْخَطِيئَاتِ وَالشُّرُورِ ، هِيَ الْعَدَمُ وَالتَّخْرِيبُ ؛ وَإِنَّ الْعَدَمَ وَالْإِفْسَادَ ، مُخْتَفِيَانِ تَحْتَ الْوُجُودِ الصُّورِيِّ ؛ فَالشَّيَاطِينُ وَالْأَشْرَارُ الْجِنِّيُّونَ وَالْإِنْسِيُّونَ ، يَسْتَنِدُونَ إِلَىٰ هٰذِهِ النُّقْطَةِ ؛ فَيُقَاوِمُونَ ضِدَّ قُوَّةٍ لَا حَدَّ لَهَا ، بِقُوَّةٍ ضَعِيفَةٍ لِلْغَايَةِ ؛ فَيُجْبِرُونَ أَهْلَ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ ، عَلَى الِالْتِجَاءِ وَالْفِرَارِ إِلَىٰ بَابِ الْحَقِّ تَعَالَىٰ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يَحْشُدُ الْقُرْآنُ حُشُوداً عَظِيمَةً ؛ وَيُعْطِي بِأَيْدِيهِمْ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، لِأَجْلِ حِمَايَتِهِمْ ؛ وَيُعْطِي أَوَامِرَ شَدِيدَةً جِدّاً ، لِثَبَاتِهِمْ ضِدَّ أُولٰئِكَ الْأَعْدَاءِ . .

وَمِنْ هٰذَا الْجَوَابِ تَرَاءَىٰ فَجْأَةً ، سِرُّ حَقِيقَةٍ كَبِيرَةٍ جِدّاً ، وَأَسَاسُ مَسْأَلَةٍ عَظِيمَةٍ وَرَهِيبَةٍ ؛ وَذٰلِكَ : فَكَمَا أَنَّ الْجَنَّةَ تَتَضَمَّنُ مَحْصُولَاتِ جَمِيعِ عَوَالِمِ الْوُجُودِ ؛ وَتُسَنْبِلُ عَلَىٰ وَجْهِ الْبَقَاءِ ، الْبُذُورَ الَّتِي أَنْتَجَتْهَا الدُّنْيَا ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ جَهَنَّمَ أَيْضاً ، تَقْلِي مَحَاصِيلَ الْعَدَمِ وَالْفَنَاءِ الرَّهِيبِ بِلا حَدٍّ ، لِإِظْهَارِ النَّتَائِجِ الْأَلِيمَةِ جِدّاً ، لِعَوَالِمِ ذٰلِكَ الْعَدَمِ ؛ وَإِنَّ مَصْنَعَ جَهَنَّمَ الْفَزِيعَةِ تِلْكَ ، يُصَفِّي كَوَائِنَ عَالَمِ الْوُجُودِ ، عَنْ خَبَائِثِ عَالَمِ الْعَدَمِ ، بَيْنَ سَائِرِ وَظَائِفِهِ . . وَلَنْ نَفْتَحَ

الْآنَ ، بَابَ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْمُدْهِشَةِ ؛ وَسَتُوضَحُ بَعْدُ ، إِنْ شَاءَ اللّٰهُ . .

وَإِنَّ جُزْءاً مِنْ ثَمَرَةِ الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ ، وَمِثَالاً عَائِداً إِلَى «مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ» ، هُوَ : أَنِّي دَخَلْتُ قَبْرِي خَيَالاً ؛ فَإِنِّي أَيْضاً سَأَدْخُلُهُ قَطْعاً كَكُلِّ أَحَدٍ ؛ فَبَيْنَمَا كُنْتُ فِي الْقَبْرِ أَتَدَهَّشُ عَنِ التَّوَحُّشِ وَالْيَأْسِ ، بَيْنَ تَجْرِيدٍ مُطْلَقٍ ، وَفِي سِجْنٍ مُنْفَرِدٍ ضَائِقٍ ، وَبَارِدٍ مُظْلِمٍ ، وَوَحِيدٍ بِدُونِ قَرِيبٍ ، فَإِذَا بِرَفِيقَيْنِ مُبَارَكَيْنِ مِنْ طَائِفَةِ «مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ» ، طَلَعَا فَأَتَيَا وَبَاشَرَا بِالْمُنَاظَرَةِ مَعِي ؛ فَتَوَسَّعَ قَلْبِي وَقَبْرِي ؛ فَتَنَوَّرَا وَتَدَفَّآ ؛ فَانْفَتَحَتِ النَّوَافِذُ إِلَى عَالَمِ الْأَرْوَاحِ ؛ فَفَرِحْتُ أَنَا بِكُلِّ رُوحِي ؛ وَشَكَرْتُ عَلَى ذٰلِكَ الْوَضْعِ الَّذِي رَأَيْتُهُ الْآنَ خَيَالاً ؛ وَسَأَرَاهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ حَقِيقَةً . وَكَمَا أَنَّ تِلْمِيذَ مَدْرَسَةٍ كَانَ يَقْرَأُ عِلْمَ الصَّرْفِ وَالنَّحْوِ ، تُوُفِّيَ فَظَنَّ نَفْسَهُ فِي الْمَدْرَسَةِ ؛ فَأَجَابَ بِعِلْمِ النَّحْوِ ، تِجَاهَ سُؤَالِ «مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ» فِي الْقَبْرِ ، بِـ«مَنْ رَبُّكَ» : ـ خُدَاي تَه كِي يَه ـ فَقَالَ : إِنَّ «مَنْ» مُبْتَدَأٌ ؛ وَ «رَبُّكَ» خَبَرُهُ ؛ فَاسْأَلُونِي عَنْ مَسْأَلَةٍ مُشْكِلَةٍ ؛ وَهٰذَا هَيِّنٌ ؛ فَأَضْحَكَ ذَيْنِكَ الْمَلَكَيْنِ ، وَالْأَرْوَاحَ الْحَاضِرَةَ ، وَوَلِيّاً كَشَّافاً لِلْقُبُورِ ، كَانَ هُنَاكَ ؛ وَشَاهَدَ تِلْكَ الْوَاقِعَةَ ؛ وَأَتَى بِالرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ إِلَى التَّبَسُّمِ ؛ فَنَجَا مِنَ الْعَذَابِ ؛ كَمَا أَنَّ الْحَافِظَ عَلِيّاً الْمَرْحُومَ ، الَّذِي هُوَ بَطَلٌ شَهِيدٌ ، لِرِسَالَةِ النُّورِ ، بَيْنَمَا كَانَ يَكْتُبُ وَيَقْرَأُ بِكَمَالِ الْعِشْقِ ، رِسَالَةَ «الثَّمَرَةِ» فِي السِّجْنِ ، تُوُفِّيَ ؛ فَأَجَابَ عَلَى سُؤَالِ الْمَلَائِكَةِ فِي الْقَبْرِ ، بِحَقَائِقِ «الثَّمَرَةِ» كَمَا فِي الْمَحْكَمَةِ ؛ فَإِنِّي أَنَا وَتَلَامِذَةَ «رِسَالَةِ النُّورِ» أَيْضاً ، سَيُجِيبُونَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ حَقِيقَةً ، وَالْآنَ مَعْنًى ، تِجَاهَ تِلْكَ الْأَسْئِلَةِ ، بِحُجَجِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، الْمُشْرِقَةِ وَالْقَوِيَّةِ ؛ فَيَسُوقُونَهُمْ إِلَى التَّصْدِيقِ وَالتَّحْسِينِ وَالتَّبْرِيكِ ، إِنْ شَاءَ اللّٰهُ . .

وَأَيْضاً إِنَّ مِثَالاً جُزْئِيّاً لِلْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ ، يَكُونُ مَدَاراً لِلسَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، هُوَ : أَنَّ صَبِيّاً مَعْصُوماً تَلَقَّى دَرْسَ الْإِيمَانِ مِنْ «عِلْمِ الْحَالِ» ، يَقُولُ لِصَبِيٍّ آخَرَ يَبْكِي عِنْدَهُ ؛ وَيَنُوحُ لِوَفَاةِ أَخٍ لَهُ مَعْصُومٍ : لَا تَبْكِ ، اُشْكُرْ ؛ لِأَنَّ أَخَاكَ ذَهَبَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى الْجَنَّةِ ؛ فَيَسِيحُ هُنَاكَ ؛ وَسَيَتَلَذَّذُ أَفْضَلَ مِنَّا ؛ وَسَيَطِيرُ مِثْلَ الْمَلَائِكَةِ ؛ فَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَسِيرَ كُلَّ مَكَانٍ ؛ فَيُحَوِّلُ بُكَاءَ الْمُسْتَغِيثِ ، إِلَى التَّبَسُّمِ وَالسُّرُورِ ؛ فَإِنِّي أَيْضاً مِثْلَ هٰذَا الصَّبِيِّ الْبَاكِي بِعَيْنِهِ ، تَلَقَّيْتُ خَبَرَ

وَفَاتَيْنِ أَلِيمَيْنِ لِلْغَايَةِ ، فِي هٰذِهِ الشِّتَاءِ الْحَزِينَةِ ، وَفِي أَحَدِ أَوْضَاعِيَ الْأَلِيمَةِ . .

أَحَدُهُمَا : «فُؤَادٌ» الْمَرْحُومُ ابْنُ شَقِيقِي ، الْفَائِزُ بِالدَّرَجَةِ الْأُولَى فِي الْمَعَاهِدِ الْعَالِيَةِ ، وَالنَّاشِرُ لِحَقَائِقِ «رِسَالَةِ النُّورِ» . .

اَلثَّانِيَةُ : هِيَ شَقِيقَتِيَ الْمَرْحُومَةُ الْعَالِمَةُ الْمُسَمَّاةُ «خَانِمَ» ، الَّتِي سَافَرَتْ إِلَى الْحَجِّ ؛ فَطَافَتْ أَثْنَاءَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ ؛ فَتُوُفِّيَتْ أَثْنَاءَ الطَّوَافِ . .

فَبَيْنَمَا كَانَ مَوْتُ هٰذَيْنِ الْقَرِيبَيْنِ لِي ، يُبْكِينِي مِثْلَ وَفَاةِ الْمَرْحُومِ «عَبْدِ الرَّحْمٰنِ» ، الْمَكْتُوبَةِ فِي رِسَالَةِ «الشَّيبِ» ؛ شَاهَدْتُ مَعْنًى وَقَلْبًا بِنُورِ الْإِيمَانِ : أَنَّ «فُؤَادًا» الْمَعْصُومَ ذٰلِكَ ، وَ«خَانِمًا» الصَّالِحَةَ تِلْكَ ، أَصْبَحَا رَفِيقَيْنِ لِلْمَلَائِكَةِ وَالْحُورِ بَدَلًا عَنِ النَّاسِ ؛ وَنَجَيَا عَنْ مَهَالِكِ وَمَعَاصِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ؛ فَحَسَسْتُ بِسُرُورٍ عَظِيمٍ ، عِوَضًا عَنْ ذٰلِكَ الْحُزْنِ الشَّدِيدِ ؛ فَهَنَّأْتُهُمَا وَنَفْسِي وَشَقِيقِي «عَبْدَ الْمَجِيدِ» ، وَالِدَ «فُؤَادٍ» ؛ فَشَكَرْتُ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . . وَقَدْ كُتِبَ هٰذَانِ الْمَرْحُومَانِ ؛ وَسُجِّلَا هُنَا بِنِيَّةِ دُعَاءِ الرَّحْمَةِ لَهُمَا . .

وَإِنَّ جَمِيعَ الْمَوَازِينِ وَالْمُوَازَنَاتِ فِي رِسَالَةِ النُّورِ ، تُبَيِّنُ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ ، الَّتِي هِيَ الْمَدَارُ لِلسَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ ؛ وَإِنَّ تِلْكَ الثَّمَرَاتِ الْكُلِّيَّةَ وَالْعَظِيمَةَ ، تُخْبِرُ بِجِهَةِ سَعَادَةِ الْحَيَاةِ وَلَذَّةِ الْعُمُرِ ، الَّتِي تُظْهِرُهَا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا : أَنَّ إِيمَانَ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، سَيَفُوزُ لَهُ بِسَعَادَةٍ أَبَدِيَّةٍ ؛ بَلْ سَتُسَنْبِلُهَا وَتَنْكَشِفُ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ . . وَقَدْ كُتِبَتْ خَمْسُ ثَمَرَاتٍ مِنْ ثَمَرَاتِهِ تِلْكَ ، الْكُلِّيَّةِ وَالْكَثِيرَةِ جِدًّا ، فِي آخِرِ «الْمَقَالَةِ الْحَادِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ» ، عَلَى أَنَّهَا ثَمَرَاتُ الْمِعْرَاجِ ؛ وَخَمْسُ ثَمَرَاتٍ مِنْهَا ، فِي الْغُصْنِ الْخَامِسِ مِنَ «الْمَقَالَةِ الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ» ، عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ . .

وَقَدْ قُلْنَا أَوَّلًا : إِنَّ ثَمَرَةً وَاحِدَةً مِنَ الثَّمَرَاتِ الْكَثِيرَةِ ، لِمَجْمُوعِ الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ ، دَفْعَةً وَاحِدَةً ، هِيَ الْجَنَّةُ الْعَظِيمَةُ ؛ وَإِنَّ وَاحِدَةً مِنْهَا ، هِيَ السَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ ؛ وَإِنَّ إِحْدَاهَا بَلْ أَحْلَاهَا ، الرُّؤْيَةُ الْإِلٰهِيَّةُ ؛ كَمَا أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا ، ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفَةً وَكَثِيرَةً جِدًّا ، بَلْ لَا حَدَّ لَهَا . وَقَدْ أُوضِحَ قِسْمٌ مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ ، الْمَدَارِ لِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ ، إِيضَاحًا جَمِيلًا ، فِي الْمُوَازَنَةِ الَّتِي فِي آخِرِ «الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ» . .

وَإِنَّ دَلِيلًا عَلَى وُجُودِ ثَمَرَاتٍ قَيِّمَةٍ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ، لِرُكْنِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ ، هُوَ : أَنَّ

قَوْلُهُمْ : «مَنْ آمَنَ بِالْقَدَرِ ، أَمِنَ مِنَ الْكَدَرِ» ، صَارَ مَثَلاً فِي لِسَانِ الْعُمُومِ ؛ يَعْنِي : أَنَّ مَنْ آمَنَ بِالْقَدَرِ ، نَجَا مِنَ الْهُمُومِ . . وَقَدْ بُيِّنَتْ ثَمَرَةٌ كُلِّيَّةٌ لَهُ ، فِي آخِرِ رِسَالَةِ «الْقَدَرِ» ، بِتَمْثِيلٍ جَمِيلٍ ، بِدُخُولِ شَخْصَيْنِ فِي حَدِيقَةِ قَصْرٍ مَلَكِيٍّ ؛ حَتّٰى إِنِّي رَأَيْتُ وَعَلِمْتُ فِي حَيَاةِ نَفْسِي ، بِآلَافِ تَجَارِبِي : أَنَّهُ لَوْلَا الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ ؛ لَهَلَكَتْ سَعَادَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ؛ وَمَتٰى كُنْتُ أَنْظُرُ إِلٰى جِهَةِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ ، فِي الْمَصَائِبِ الْأَلِيمَةِ ؛ كُنْتُ أَرَى الْمُصِيبَةَ تَتَخَفَّفُ لِلْغَايَةِ ؛ وَكُنْتُ أَتَحَيَّرُ : كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَعِيشَ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ ؟ .

وَقَدْ أُشِيرَ فِي الْمَقَامِ الثَّانِي مِنَ «الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ» ، إِلٰى وَاحِدَةٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ الْكُلِّيَّةِ لِرُكْنِ الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ ، وَهِيَ : أَنَّ عِزْرَائِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، نَاجَى الْحَقَّ تَعَالٰى ؛ فَقَالَ : إِنَّ عِبَادَكَ سَيَسْخَطُونَ وَيَشْتَكُونَ مِنِّي ، فِي وَظِيفَةِ قَبْضِ الْأَرْوَاحِ ؛ فَقِيلَ جَوَاباً لَهُ : سَأَجْعَلُ الْأَمْرَاضَ وَالْمَصَائِبَ حِجَاباً لِوَظِيفَتِكَ ؛ لِتَذْهَبَ شَكَاوَى عِبَادِي إِلَيْهَا ؛ وَلَا تَرِدَ عَلَيْكَ . وَإِنَّ وَظِيفَةَ عِزْرَائِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَيْضاً ، حِجَابٌ مِثْلُ هٰؤُلَاءِ الْحُجُبِ عَيْنِهَا ؛ كَيْلَا تَذْهَبَ الشَّكَاوَى الْبَاطِلَةُ إِلَى الْحَقِّ تَعَالٰى ؛ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرٰى جِهَةَ الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَالْحُسْنِ وَالْمَصْلَحَةِ ، الَّتِي فِي الْمَوْتِ ؛ فَيَنْظُرُ إِلَى الظَّاهِرِ ؛ فَيَعْتَرِضُ وَيُبَاشِرُ بِالشَّكْوٰى ؛ فَصَارَ عِزْرَائِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حِجَاباً ، بِحِكْمَةِ عَدَمِ سَرَيَانِ هٰؤُلَاءِ الشَّكَاوَى الْبَاطِلَةِ ، إِلَى الرَّحِيمِ الْمُطْلَقِ . . وَهٰكَذَا بِعَيْنِهِ : إِنَّ وَظَائِفَ جَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ ، بَلْ وَجَمِيعِ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرِيَّةِ ، هِيَ حُجُبُ عِزَّةِ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ لِيُحَافَظَ عَلٰى عِزَّةِ وَقُدُسِيَّةِ الْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَعَلٰى إِحَاطَةِ رَحْمَتِهِ ؛ وَلَا تَصِيرَ هَدَفاً لِلِاعْتِرَاضِ ، فِي أَشْيَاءٍ لَا تُرٰى مَحَاسِنُهَا ؛ وَلَا تُعْلَمُ حِكَمُهَا ؛ وَلِئَلَّا تُشَاهَدَ فِي النَّظَرِ الظَّاهِرِيِّ ، مُبَاشَرَةُ الْقُدْرَةِ بِأَشْيَاءٍ خَسِيسَةٍ بِدُونِ أَهَمِّيَّةٍ وَبِغَيْرِ رَحْمَةٍ . وَإِلَّا فَقَدْ أَثْبَتَتْ «رِسَالَةُ النُّورِ» ، بِدَلَائِلَ لَا حَدَّ لَهَا : أَنَّ سِكَّةَ التَّوْحِيدِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، تَدُلُّ قَطْعاً ، عَلٰى أَنَّ أَيَّ سَبَبٍ ، لَا يُوجَدُ تَأْثِيرُهُ الْحَقِيقِيُّ وَقَابِلِيَّتُهُ لِلْإِيجَادِ أَصْلاً ؛ وَإِنَّ الْخَلْقَ وَالْإِيجَادَ ، مَخْصُوصٌ بِهِ تَعَالٰى ؛ وَإِنَّ الْأَسْبَابَ ، إِنَّمَا هِيَ حِجَابٌ ؛ وَإِنَّ ذَوِي الشُّعُورِ مِثْلَ الْمَلَائِكَةِ ، لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ سِوٰى نَوْعٍ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ ، وَنَوْعٍ مِنَ الْخِدْمَةِ الْفِطْرِيَّةِ ، الْمَدْعُوَّةِ بِالْكَسْبِ الْجُزْئِيِّ بِلَا إِيجَادٍ ،

بِاخْتِيَارِهِمُ الْجُزْئِيِّ فَقَطْ..

نَعَمْ: إنَّ الْعِزَّةَ وَالْعَظَمَةَ، تَقْتَضِيَانِ أَنْ تَكُونَ الْأَسْبَابُ حَاجِبَةَ يَدِ الْقُدْرَةِ، فِي نَظَرِ الْعَقْلِ ❁ إنَّ التَّوْحِيدَ وَالْأَحَدِيَّةَ، تَسْتَلْزِمَانِ أَنْ تَكُفَّ الْأَسْبَابُ أَيْدِيَهَا عَنِ التَّأْثِيرِ الْحَقِيقِيِّ..

هٰذَا، فَكَمَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَسْبَابَ الظَّاهِرَةَ الْمُسْتَخْدَمَةَ فِي الْأُمُورِ الْخَيْرِيَّةِ وَالْوُجُودِيَّةِ، هِيَ وَسَائِلُ فِي التَّقْدِيسِ وَالتَّسْبِيحِ الْإِلٰهِيِّ، تُحَافِظُ عَلَى الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، عَنِ التَّقْصِيرِ وَالظُّلْمِ، فِي أَشْيَاءٍ لا تُرَى مَحَاسِنُهَا وَلا تُعْلَمُ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ الْجِنِّيَّةَ وَالْإِنْسِيَّةَ، وَالْمَوَادَّ الْمُضِرَّةَ، تَخْدُمُ التَّقْدِيسَاتِ وَالتَّسْبِيحَاتِ الرَّبَّانِيَّةَ، وَتَبَرُّؤَهُ وَتَنَزُّهَهُ عَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ فِي الْكَائِنَاتِ، بِأَنَّ اسْتِعْمَالَهَا فِي الْأُمُورِ الشَّرِّيَّةِ وَالْعَدَمِيَّةِ أَيْضاً، يُنْقِذُ الْقُدْرَةَ السُّبْحَانِيَّةَ، عَنِ الْغَدْرِ وَالاعْتِرَاضَاتِ الْبَاطِلَةِ، وَعَنِ اسْتِهْدَافِهِ لِلشَّكَاوَى أَيْضاً؛ لِأَنَّ جَمِيعَ النَّقَائِصِ تَرِدُ عَنِ الْعَدَمِ، وَعَنْ عَدَمِ الْقَابِلِيَّةِ، وَعَنِ التَّخْرِيبِ، وَعَنْ تَرْكِ الْوَظِيفَةِ – وَهِيَ أَعْدَامٌ – وَعَنْ أَفْعَالٍ عَدَمِيَّةٍ غَيْرِ وُجُودِيَّةٍ؛ فَهٰذِهِ الْحُجُبُ الشَّيْطَانِيَّةُ وَالشَّرِّيَّةُ، تَصِيرُ مَرْجِعاً لِتِلْكَ النَّقَائِصِ؛ فَتَقْبَلُ عَلَى نَفْسِهَا بِاسْتِحْقَاقٍ، الاعْتِرَاضَ وَالشَّكَايَا؛ فَتُصْبِحُ وَسَائِلَ لِتَقْدِيسِ جَنَابِ الْحَقِّ تَعَالَى؛ عَلَى أَنَّهُ لا تَلْزَمُ الْقُوَّةُ وَالاقْتِدَارُ، فِي الْأُمُورِ الشَّرِّيَّةِ وَالْعَدَمِيَّةِ وَالتَّخْرِيبِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ تَحْدُثُ أَعْدَامٌ وَإِفْسَادَاتٌ عَظِيمَةٌ، بِفِعْلَةٍ قَلِيلَةٍ، وَبِقُوَّةٍ جُزْئِيَّةٍ، بَلْ أَحْيَاناً بِتَرْكِ وَظِيفَتِهِ؛ فَتُظَنُّ أُولَائِكَ الْفَعَلَةُ الْأَشْرَارُ مُقْتَدِرِينَ؛ وَالْحَالُ: أَنَّهُ لا تَأْثِيرَ لَهُمْ أَصْلاً، سِوَى الْعَدَمِ؛ وَلا قُوَّةَ لَهُمْ أَصْلاً، مَا عَدَا كَسْباً جُزْئِيّاً؛ وَلٰكِنَّ أُولَائِكَ الْأَشْرَارَ، فَاعِلُونَ حَقِيقَةً لِتِلْكَ الشُّرُورِ، لِوُرُودِهَا عَنِ الْعَدَمِ؛ فَيَحْمِلُونَ الْجَزَاءَ بِالاسْتِحْقَاقِ، إِنْ كَانُوا ذَوِي شُعُورٍ. إذاً فَإِنَّ أُولَائِكَ الْأَشْرَارَ، فَاعِلُونَ فِي السَّيِّئَاتِ؛ وَلٰكِنَّ أُولَائِكَ الْأَخْيَارَ، لَيْسُوا فَاعِلِينَ وَمُؤَثِّرِينَ حَقِيقَةً، فِي الْحَسَنَاتِ وَالْخَيْرَاتِ، وَفِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، لِكَوْنِهَا وُجُودِيَّةً؛ بَلْ إِنَّهُمْ قَابِلُونَ؛ فَيَقْبَلُونَ الْفَيْضَ الْإِلٰهِيَّ؛ وَإِنَّ مُكَافَآتِهِمْ أَيْضاً، هِيَ فَضْلٌ إِلٰهِيٌّ مَحْضٌ؛ هٰكَذَا يَحْكُمُ الْقُرْآنُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ ومَآ أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾..

اَلْحَاصِلُ : بَيْنَمَا كَانَتْ كَوَائِنُ الْوُجُودِ، وَعَوَالِمُ الْعَدَمِ بِلا حَدٍّ، يُصَارِعُ بَعْضُهَا بَعْضاً ؛ وَتُؤْتِي ثِمَاراً مِثْلَ الْجَنَّةِ وَجَهَنَّمَ ؛ وَتَقُولُ جَمِيعُ عَوَالِمِ الْوُجُودِ : «اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ، اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ»، وَجَمِيعُ عَوَالِمِ الْعَدَمِ : «سُبْحَانَ اللّٰهِ، سُبْحَانَ اللّٰهِ» ؛ وَكَانَتِ الْمَلائِكَةُ مَعَ الشَّيَاطِينِ، وَالْخَيْرَاتُ مَعَ الشُّرُورِ، حَتَّى الْإِلْهَامِ مَعَ الْوَسْوَاسِ حَوْلَ الْقَلْبِ، تَتَجَادَلُ بِقَانُونِ مُبَارَزَةٍ ذِي إِحَاطَةٍ ؛ فَإِذَا بِثَمَرَةٍ لِلْإِيمَانِ بِالْمَلائِكَةِ تَتَجَلّٰى ؛ فَتَحُلُّ الْمَسْأَلَةَ ؛ فَتُنِيرُ الْكَوَائِنَ الْمُظْلِمَةَ ؛ فَتُرِينَا نُوراً مِنْ أَنْوَارِ آيَةِ : ﴿اَللّٰهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ؛ وَتُذِيقُ مَدٰى كَوْنِ هٰذِهِ الثَّمَرَةِ حُلْوَةً . .

وَإِنَّ «الْمَقَالَةَ الرَّابِعَةَ وَالْعِشْرِينَ، وَالْمَقَالَةَ التَّاسِعَةَ وَالْعِشْرِينَ»، الْمُظْهِرَةَ لِكَرَامَةِ «الْأَلِفَاتِ»، أَشَارَتَا إِلٰى ثَمَرَةٍ كُلِّيَّةٍ ثَانِيَةٍ لَهُ ؛ فَأَثْبَتَتَا وُجُودَ الْمَلائِكَةِ وَوَظِيفَتَهُمْ، فِي صُورَةٍ مُشْرِقَةٍ . . نَعَمْ : إِنَّ حِشْمَةَ رُبُوبِيَّةٍ رَحِيمَةٍ، بَيْنَ التَّعَرُّفِ وَالتَّحَبُّبِ لِنَفْسِهَا، فِي كُلِّ جَوَانِبِ الْكَائِنَاتِ، وَفِي كُلِّ نَوْعٍ وَكُلِّ شَيْءٍ، جُزْئِيّاً أَوْ كُلِّيّاً ؛ لا رَيْبَ أَنَّ الْمُقَابَلَةَ بِعُبُودِيَّةٍ وَاسِعَةٍ، وَمُحِيطَةٍ وَشُعُورِيَّةٍ، بَيْنَ الشُّكْرِ وَالتَّقْدِيسِ، تِجَاهَ تِلْكَ الْحِشْمَةِ وَتِلْكَ الرَّحْمَةِ، وَذٰلِكَ التَّعَرُّفِ وَذٰلِكَ التَّحَبُّبِ، لازِمٌ وَقَطْعِيٌّ . وَإِنَّ تِلْكَ الْوَظِيفَةَ، إِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ تُؤَدِّيَهَا مَلائِكَةٌ لا حَدَّ لَهُمْ، بِحِسَابِ مَا لا شُعُورَ لَهَا مِنَ الْجَمَادَاتِ، وَالْأَرْكَانِ الْعَظِيمَةِ لِلْكَائِنَاتِ ؛ وَأَنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُمَثِّلُوا الْإِجْرَاءَاتِ الْحَكِيمَةَ وَالْمُحْتَشِمَةَ لِسَلْطَنَةِ تِلْكَ الرُّبُوبِيَّةِ، فِي كُلِّ جَوَانِبِهَا، وَفِي الثَّرٰى وَالثُّرَيَّا، وَفِي أَسَاسِ الْأَرْضِ وَظَاهِرِهَا ؛ فَإِنَّ الْخِلْقَةَ الْأَرْضِيَّةَ، وَوَضْعِيَّتَهَا الْفِطْرِيَّةَ مَثَلاً، الَّتِي تُرِيهَا قَوَانِينُ الْفَلْسَفَةِ الَّتِي لا رُوحَ لَهَا، مُظْلِمَةً وَمُوحِشَةً جِدّاً، يُرِيهَا الْإِيمَانُ، بِهٰذِهِ الثَّمَرَةِ، عَلٰى وَجْهٍ مُنِيرٍ وَمُؤْنِسٍ، وَعَلٰى كَوَاهِلِ مَلَكَيْنِ مُسَمَّيَيْنِ بِالثَّوْرِ وَالْحُوتِ، أَيْ فِي نَظَارَتِهِمَا ؛ وَإِنَّ حَقِيقَةً وَمَادَّةً أُخْرَوِيَّةً، أُتِيَ بِهَا مِنَ الْجَنَّةِ، مُسَمَّاةً بِالصَّخْرَةِ، إِشَارَةً إِلٰى أَنَّهَا تَكُونُ صَخْرَةَ رُكْنٍ بَاقِيَةً، لِكُرَةِ الْأَرْضِ الْفَانِيَةِ ـ أَيْ أَنَّ قِسْماً مِنْهَا يُنْقَلُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِلَى الْجَنَّةِ الْبَاقِيَةِ ـ أُرْسِلَتْ فَجُعِلَتْ نُقْطَةَ اسْتِنَادٍ، لِلْمَلَكَيْنِ الثَّوْرِ وَالْحُوتِ : هٰكَذَا تُوجَدُ الرِّوَايَةُ مِنْ قُدَمَاءِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ وَهِيَ مَرْوِيَّةٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنه) . فَهٰذَا الْمَعْنَى الْقُدْسِيُّ، اتَّخَذَ صُورَةً فِي خَارِجِ الْعَقْلِ، بِتَلَقِّي هٰذَا التَّشْبِيهِ حَقِيقَةً فِي نَظَرِ

الْعَوَامِّ، بِمُرُورِ الزَّمَانِ، معَ التَّأَسُّفِ.. فَإِذَا كَانَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَسِيحُونَ فِي التُّرْبَةِ وَالصَّخْرَةِ، وَفِي مَرْكَزِ الْأَرْضِ؛ فَلاَ احْتِيَاجَ لَهُمْ قَطْعاً، إِلَى الثَّوْرِ وَالْحُوتِ وَالصَّخْرَةِ الْجِسْمَانِيَّةِ، الَّتِي يَقِفُونَ هُمْ وَكُرَةُ الْأَرْضِ عَلَيْهَا..

وَأَيْضاً إِنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ مَثَلاً، لَهَا رُؤُوسٌ عَدَدَ أَنْوَاعِ كُرَةِ الْأَرْضِ؛ وَأَلْسِنَةٌ عَدَدَ أَفْرَادِ ذٰلِكَ النَّوْعِ؛ وَلِتِلْكَ الْأَفْرَادِ أَعْضَاءٌ وَأَوْرَاقٌ وَأَثْمَارٌ، تُسَبِّحُ بِمِقْدَارِهَا؛ فَلِذٰلِكَ لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهَا مَلَكٌ مُؤَكَّلٌ، لَهُ أَرْبَعُونَ أَلْفَ رَأْسٍ؛ وَيُسَبِّحُ كُلُّ رَأْسٍ لَهُ، بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ لِسَانٍ؛ وَبِكُلِّ لِسَانٍ، أَرْبَعِينَ أَلْفَ تَسْبِيحَةٍ؛ لِيُمَثِّلَ تِلْكَ الْعُبُودِيَّةَ الْفِطْرِيَّةَ الْمُحْتَشِمَةَ وَغَيْرَ الشُّعُورِيَّةِ؛ فَيُقَدِّمَهَا إِلَى الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ، عَلَى عِلْمٍ وَبِوَجْهٍ شُعُورِيٍّ؛ فَأَخْبَرَ الْمُخْبِرُ الصَّادِقُ، إِخْبَاراً هُوَ عَيْنُ الْحَقِيقَةِ.. وَإِنَّ بَقَاءَ الْأَرْوَاحِ، وَوُجُودَ الْمَلاَئِكَةِ، وَكَوْنَهَا فِي مَاهِيَّةٍ عَجِيبَةٍ جِدّاً، مِثْلَ جَبْرَائِيلَ (عليه السلام)، الَّذِي يُظْهِرُ وَيُبَلِّغُ الْمُنَاسَبَاتِ الرَّبَّانِيَّةَ مَعَ النَّاسِ، الَّذِينَ هُمْ أَهَمُّ نَتِيجَةِ خِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ؛ وَإِسْرَافِيلَ وَعِزْرَائِيلَ (عليهما السلام)، اللَّذَيْنِ يَنْظُرَانِ نَظَارَةَ الْعُبُودِيَّةِ؛ فَيُمَثِّلاَنِ فَقَطِ الْإِجْرَاءَاتِ الْإِلٰهِيَّةَ الْمَخْصُوصَةَ بِالْخَالِقِ، فِي الْإِحْيَاءِ وَإِعْطَاءِ الْحَيَاةِ، وَفِي التَّسْرِيحِ بِالْمَوْتِ، اللَّذَيْنِ هُمَا أَزْيَدُ احْتِشَاماً وَأَشَدُّ هَوْلاً فِي عَالَمِ ذَوِي الْحَيَاةِ؛ وَمِيكَائِيلَ (عليه السلام)، الَّذِي يُمَثِّلُ بِالشُّعُورِ، شُكُوراً بِلاَ شُعُورٍ؛ مَعَ النَّظَارَةِ عَلَى الْإِحْسَانَاتِ الرَّحْمَانِيَّةِ فِي الرِّزْقِ، الَّذِي هُوَ أَجْمَعُ إِحْسَانَاتِ الرَّحْمَةِ، وَأَوْسَعُهَا وَأَزْيَدُهَا ذَوْقاً، فِي دَائِرَةِ الْحَيَاةِ، هِيَ مُقْتَضَى سَلْطَنَةِ وَحِشْمَةِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ وَإِنَّ وُجُودَ الطَّوَائِفِ الْمَخْصُوصَةِ، لِأُولاَئِكَ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، قَطْعِيٌّ وَبِدُونِ شُبْهَةٍ، فِي دَرَجَةِ وُجُودِ السَّلْطَنَةِ وَالْحِشْمَةِ الْمَشْهُودَتَيْنِ فِي الْكَائِنَاتِ، مِثْلَ الشَّمْسِ.. فَلْيُقَسْ عَلَى هٰؤُلاَءِ، سَائِرُ الْمَوَادِّ الْعَائِدَةِ إِلَى الْمَلاَئِكَةِ..

نَعَمْ: إِنَّ قَدِيراً ذَا جَلاَلٍ وَجَمَالٍ، يَخْلُقُ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ، أَرْبَعَمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ، فِي كُرَةِ الْأَرْضِ؛ بَلْ يَخْلُقُ بِالْكَثْرَةِ، ذَوِي الْأَرْوَاحِ، مِنْ أَدْنَى مَوَادَّ عَادِيَّةٍ وَمُتَعَفِّنَةٍ؛ وَيَعْمُرُ بِهَا كُلَّ الْأَقْطَارِ؛ وَيُنْطِقُهَا بِـ«مَا شَاءَ اللهُ، بَارَكَ اللهُ، سُبْحَانَ اللهِ» بِأَلْسِنَتِهَا، تِجَاهَ مُعْجِزَاتِ صَنْعَتِهِ؛ وَيَسْتَنْطِقُ تِلْكَ الْحُوَيْنَاتِ، بِـ«الْحَمْدُ لِلّٰهِ، وَالشُّكْرُ لِلّٰهِ، اللهُ أَكْبَرُ»، مُقَابِلَ إِحْسَانَاتِ

رَحْمَتِهِ ؛ فَلَا شَكَّ وَلَا شُبْهَةَ قَطْعاً : أَنَّهُ خَلَقَ سُكَّاناً وَرُوحَانِيِّينَ ، مُنَاسِبِينَ بِالسَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةِ ؛ وَهُمْ فِي الْعُبُودِيَّةِ دَائِماً وَبِدُونِ عِصْيَانٍ ؛ فَعَمَرَ السَّمَاوَاتِ ؛ وَلَمْ يَتْرُكْهَا خَالِيَةً ؛ وَأَنْشَأَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَنْوَاعاً مُخْتَلِفَةً ، أَزْيَدَ مِنْ طَوَائِفِ الْحَيَوَانَاتِ كَثِيراً جِدّاً ؛ فَقِسْمٌ مِنْهُمْ – وَهُمْ صِغَارٌ – يَرْكَبُونَ قَطَرَاتِ الْمَطَرِ وَالثَّلْجِ ؛ فَيُصَفِّقُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ عَلَى الصَّنْعَةِ وَالرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّتَيْنِ ؛ وَقِسْمٌ مِنْهُمْ يَرْكَبُونَ بَعْضَ نُجُومٍ سَيَّارَةٍ ؛ فَيُعْلِنُونَ لِلْعَالَمِ عُبُودِيَّتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ ، تِجَاهَ عَظَمَةِ الرُّبُوبِيَّةِ وَعِزَّتِهَا وَحِشْمَتِهَا ، أَثْنَاءَ السِّيَاحَةِ فِي فَضَاءِ الْكَائِنَاتِ . . نَعَمْ : إِنَّ اتِّفَاقَ جَمِيعِ الْكُتُبِ وَالْأَدْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ ، مُنْذُ زَمَنِ آدَمَ ، عَلَى وُجُودِ الْمَلَائِكَةِ وَعُبُودِيَّتِهِمْ ؛ وَإِنَّ نَقْلَهَا وَرِوَايَتَهَا بِأَنَّ الْمُكَالَمَاتِ وَالْمُحَاوَرَاتِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي جَمِيعِ الْعُصُورِ ، وَقَعَتْ بَيْنَ النَّاسِ بِالتَّوَاتُرِ الْكَثِيرِ ، تُثْبِتُ قَطْعاً وُجُودَ الْمَلَائِكَةِ ، وَكَوْنَهُمْ ذَوِي عَلَاقَةٍ بِنَا ، مِثْلَ وُجُودِ النَّاسِ فِي «أَمْرِيكَا» الَّتِي لَمْ نُشَاهِدْهَا . .

هٰذَا ، فَتَعَالَ الْآنَ ؛ فَانْظُرْ وَذُقْ بِنُورِ الْإِيمَانِ ، هٰذِهِ الثَّمَرَةَ الثَّانِيَةَ الْكُلِّيَّةَ : كَيْفَ تَعْمُرُ الْكَائِنَاتِ ؛ فَتُزَيِّنُهَا مِنَ الْأَوَّلِ إِلَى الْآخِرِ ؛ فَتُحَوِّلُهَا إِلَى مَسْجِدٍ أَكْبَرَ ، وَمَعْبَدٍ أَعْظَمَ ؛ وَتَعْرِضُ كَائِنَاتٍ حَيَّةً شُعُورِيَّةً مُضِيئَةً مُؤْنِسَةً حُلْوَةً ، مُقَابِلَ عَرْضِ الْفَنِّ وَالْفَلْسَفَةِ إِيَّاهَا بَارِدَةً بِدُونِ حَيَاةٍ ، وَمُظْلِمَةً مُدْهِشَةً ؛ فَتُذِيقُ أَهْلَ الْإِيمَانِ حَسَبَ دَرَجَتِهِ ، حِلْوَةً مِنْ لَذَّةِ الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ ، فِي الدُّنْيَا أَيْضاً . .

تَتِمَّةٌ :

فَكَمَا أَنَّ وَحْدَةَ الْخَالِقِ وَتَصَرُّفَهُ ، وَإِيجَادَهُ وَرُبُوبِيَّتَهُ ، وَخَلَّاقِيَّتَهُ وَقُدُسِيَّتَهُ ، تُعْلَنُ بِلِسَانِ حَالِ كُلِّ مَصْنُوعٍ جُزْئِيٍّ وَكُلِّيٍّ ، بِوُجُودِ عَيْنِ الْقُدْرَةِ وَعَيْنِ الِاسْمِ ، وَعَيْنِ الْحِكْمَةِ وَعَيْنِ الصَّنْعَةِ ، فِي كُلِّ جَوَانِبِ الْكَائِنَاتِ ، بِسِرِّ الْوَحْدَةِ وَالْأَحَدِيَّةِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ فِي كُلِّ جَانِبٍ ؛ فَيُؤَدِّي بِأَلْسِنَتِهِمُ الْمُتَعَبِّدَةِ ، التَّسْبِيحَاتِ الَّتِي يَفْعَلُهَا كُلُّ مَخْلُوقٍ ، بِلِسَانِ الْحَالِ ، بِدُونِ الشُّعُورِ ؛ وَلَيْسَ لِلْمَلَائِكَةِ حَرَكَاتٌ مُخَالِفَةٌ لِلْأَمْرِ فِي أَيَّةِ جِهَةٍ ؛ وَلَا

يَكُونُ لَهُمْ إِيجَادٌ مَّا ، وَتَدَخُّلٌ مَّا ، بِلا أَمْرٍ ، بَلْ وَلا شَفَاعَةٌ بِدُونِ إِذْنٍ أَيْضاً ، مَا عَدَا عُبُودِيَّةً خَالِصَةً ؛ وَإِنَّهُمْ مَظَاهِرُ تَمَاماً لِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ..يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۞﴾ ..

خَاتِمَةٌ :

إِشَارَةٌ مُخْتَصَرَةٌ إِلَىٰ حَقِيقَةٍ طَوِيلَةٍ ، دَائِرَةٍ حَوْلَ نُكْتَةٍ إِعْجَازِيَّةٍ ذَاتِ أَهَمِّيَّةٍ لِلْغَايَةِ ؛ أُخْطِرَتْ عَلَى الْقَلْبِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ ، بَغْتَةً بِدُونِ اخْتِيَارٍ ؛ وَتُظْهِرُ مُعْجِزَةً غَيْبِيَّةً ظَاهِرَةً ، لِسُورَةِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ..

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۞ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞
وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۞ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۞﴾

فَهٰذِهِ السُّورَةُ الْعَظِيمَةُ الْخَارِقَةُ ، تَأْمُرُ نَبِيَّنَا وَأُمَّتَهُ : «أَنِ اتَّقُوا عَنِ الْأَشْرَارِ ، وَعَنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، السَّاعِينَ بِحِسَابِ عَوَالِمِ الْعَدَمِ فِي الْكَائِنَاتِ» ؛ فَتَنْظُرُ إِلَىٰ كُلِّ عَصْرٍ ، فِي جِهَةِ الْمَعْنَى الْإِشَارِيِّ فَقَطْ ؛ كَمَا تَنْظُرُ إِلَىٰ عَصْرِنَا الْعَجِيبِ هٰذَا ، أَزْيَدَ نَظْرَةٍ بِمَعْنَاهَا الْإِشَارِيِّ ؛ بَلْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ ظَاهِرٍ ؛ وَتَدْعُو خُدَّامَ الْقُرْآنِ إِلَى الِاسْتِعَاذَةِ ..

وَهٰذِهِ الْمُعْجِزَةُ الْغَيْبِيَّةُ ، سَتُبَيَّنُ مُخْتَصَرَةً بِخَمْسِ إِشَارَاتٍ . وَذٰلِكَ : أَنَّ مَعَانِيَ كُلِّ آيَةٍ مِنْ هٰذِهِ السُّورَةِ ، كَثِيرَةٌ ؛ وَأَنَّ تَكْرَارَ كَلِمَةِ (شَرِّ) أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، فِي جُمَلِهَا الْخَمْسِ ؛ وَوَضْعَ الْإِصْبَعِ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ شُرُورٍ لِهٰذَا الْعَصْرِ ، مَادِّيَّةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ ، هَائِلَةٍ وَعَاصِفَةٍ لَا مِثْلَ لَهَا ، عَلَىٰ أَرْبَعَةِ وُجُوهٍ ، بِعَيْنِ تَارِيخِهَا ، مَعَ الْمُنَاسَبَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ الْقَوِيَّةِ ؛ وَالْأَمْرَ مَعْنًى : «بِأَنِ اسْتَعِيذُوا مِنْ هٰؤُلَاءِ» ، بِالْمَعْنَى الْإِشَارِيِّ فَقَطْ ، هُوَ إِرْشَادٌ غَيْبِيٌّ يُنَاسِبُ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ قَطْعاً ..

فَجُمْلَةُ : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فِي الصَّدْرِ مَثَلاً ، تُوَافِقُ تَارِيخَ أَلْفٍ وَثَلاثِمِئَةٍ وَاثْنَيْنِ ـ أَوْ أَرْبَعٍ ـ وَخَمْسِينَ ، بِالْحِسَابِ الْأَبْجَدِيِّ وَالْجَفْرِيِّ ؛ فَتُشِيرُ إِلَى الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ ، الَّتِي كَانَتْ تَسْتَعِدُّ لِلْمَجِيءِ إِلَى الْوُقُوعِ ، بِالْحِرْصِ وَالْحَسَدِ الْوَاسِعَيْنِ فِي نَوْعِ الْبَشَرِ ، وَبِسَبَبِ الْحَرْبِ الْعُمُومِيَّةِ الْأُولَى ؛ وَتَقُولُ مَعْنًى لِلْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ : «لَا تَدْخُلُوا هٰذِهِ الْحَرْبَ ؛ وَالْتَجِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ» ؛ وَتُخْبِرُ رَمْزاً ، بِالْتِفَاتٍ خُصُوصِيٍّ ، بِمَعْنًى رَمْزِيٍّ ، إِلَىٰ تَلَامِذَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، الَّذِينَ هُمْ مِنْ خُدَّامِ الْقُرْآنِ ، عَنْ نَجَاتِهِمْ مِنْ سِجْنِ (أَسْكِيشَهِرَ) ، وَمِنْ شَرٍّ رَهِيبٍ ، بِعَيْنِ تَارِيخِهِ ، وَعَنْ عَقَامَةِ مُؤَامَرَةِ الْإِفْنَاءِ فِي حَقِّهِمْ ؛ وَيُوجَدُ رَمْزٌ كَأَنَّهَا تَأْمُرُ مَعْنًى : «أَنِ اسْتَعِيذُوا مِنْ ذٰلِكَ الشَّرِّ» . .

وَأَيْضاً إِنَّ جُمْلَةَ : ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ مَثَلاً ، تَصِيرُ أَلْفاً وَثَلَاثَمِئَةٍ وَوَاحِداً وَسِتِّينَ ـ وَلَا تُعَدُّ الشَّدَّةُ ـ فَتَضَعُ الْإِصْبَعَ بِالتَّارِيخَيْنِ الرُّومِيِّ وَالْهِجْرِيِّ ، عَلَى تَخْرِيبَاتِ هٰذِهِ الْحَرْبِ الَّتِي لَا مِثْلَ لَهَا ، تَخْرِيبَاتٍ ظَالِمَةً وَبِدُونِ رَحْمَةٍ ؛ كَمَا تَنْظُرُ بِمَعْنًى رَمْزِيٍّ أَيْضاً ، إِلَىٰ تَلَامِذَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، السَّاعِينَ لِخِدْمَةِ الْقُرْآنِ ، بِجَمِيعِ قُوَّتِهِمْ ، فِي عَيْنِ الزَّمَانِ ، بِالتَّوَافُقِ لِنَجَاتِهِمْ عَنْ مُؤَامَرَةِ إِفْنَاءٍ وَاسِعٍ ، وَعَنْ بَلَاءٍ أَلِيمٍ وَهَائِلٍ ، وَعَنْ سِجْنِ «دَنِزْلِي» ؛ وَتَقُولُ بِإِيمَاءٍ خَفِيٍّ : «أَعِيذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ شَرِّ الْخَلْقِ» . .

وَأَيْضاً إِنَّ جُمْلَةَ : ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ مَثَلاً ، تُوَافِقُ بِعَدَدِهَا الْأَلْفَ وَالثَّلَاثِمِئَةِ وَالثَّمَانِيَةَ وَالْعِشْرِينَ ـ فَلَا تُعَدُّ الشَّدَّتَانِ ـ وَالْأَلْفَ وَالثَّلَاثِمِئَةِ وَالثَّمَانِيَةَ وَالْخَمْسِينَ ـ إِنْ عُدَّتِ اللَّامُ فِي الشَّدَّةِ ـ تُوَافِقُ تَارِيخَ اسْتِعْدَادِ الشُّرُورِ لِلْمَجِيءِ إِلَى الْوُجُودِ ، الَّتِي أَفْنَتْ إِفْنَاءً وَحْشِيّاً ، تَرَقِّيَاتٍ مَدَنِيَّةَ أَلْفِ سَنَةٍ ، بِتَلْقِينِ الدِّبْلُومَاسِيِّينَ السِّيَاسِيِّينَ ، لِمُؤَامَرَاتِهِمُ السِّرِّيَّةِ ، فِي أَزْرَارِ وَعُقَدِ الْمُقَدَّرَاتِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَبِتَنْفِيثِهِمُ السَّاحِرِ وَالسَّامِّ ، فِي رُؤُوسِ كُلِّ أَحَدٍ ، بِلِسَانِ الْمِذْيَاعِ ، شُرُورَهُمُ الْمَادِّيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ ، بِانْفِجَارِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى ، وَحُرُوبِ «بَالْقَانِ وَطَالْيَانِ» ، وَتَبَدُّلِ السَّلْطَنَةِ بِفِكْرِ إِفْسَادِ نَتَائِجِ انْقِلَابِ الْحُرِّيَّةِ فِينَا ، فِي مَصْلَحَةِ الْقُرْآنِ ، بِحِرْصِ وَحَسَدِ الْأَجَانِبِ الْغَدَّارِينَ الْمُفْتَعِلِينَ لِهٰذِهِ الْحُرُوبِ الْعَالَمِيَّةِ ؛

فَتُطَابِقُ مَعْنَى ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ تَمَاماً..

وَأَيْضاً إِنَّ جُمْلَةَ: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ مَثَلاً، تَصِيرُ أَيْضاً أَلْفاً وَثَلاثَمِئَةٍ وَسَبْعَةً وَأَرْبَعِينَ – وَلا تُعَدُّ الشَّدَّةُ وَالتَّنْوِينُ – فَتَوَافُقُهَا تَمَاماً؛ وَتَطَابُقُهَا مَعْنًى، بِهٰذَا الْمَعْنَى الْإِشَارِيِّ، لِظُهُورِ هَزَّاتٍ مُهِمَّةٍ فِي هٰذَا الْوَطَنِ، بِإِجْبَارِ الْمُعَاهَدَاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ، وَتَحَوُّلَاتٍ مُهِمَّةٍ فِي هٰذَا الشَّعْبِ الْمُتَدَيِّنِ، بِتَحَكُّمِ الْفَلْسَفَةِ، فِي عَيْنِ التَّارِيخِ؛ وَلِتَارِيخِ صِرَاعِ أَنْوَاعِ الْحَسَدِ وَالْحِقْدِ الرَّهِيبَيْنِ اللَّذَيْنِ أَعَدَّا الْحَرْبَ الْعَالَمِيَّةَ الثَّانِيَةَ، فِي الدُّوَلِ، فِي عَيْنِ التَّارِيخِ، هِيَ لَمْعَةُ إِعْجَازٍ غَيْبِيَّةٌ قَطْعاً، لِهٰذِهِ السُّورَةِ الْقُدُسِيَّةِ..

إِخْطَارَةٌ: إِنَّ لِكُلِّ آيَةٍ، مَعَانِيَ مُتَعَدِّدَةً؛ وَإِنَّ كُلَّ مَعْنًى، هُوَ كُلِّيٌّ؛ وَتُوجَدُ أَفْرَادُهُ فِي كُلِّ عَصْرٍ؛ وَإِنَّ النَّاظِرَ إِلَى عَصْرِنَا هٰذَا، فِي بَحْثِنَا، هُوَ طَبَقَةُ الْمَعْنَى الْإِشَارِيِّ فَقَطْ؛ وَإِنَّ عَصْرَنَا فَرْدٌ فِي ذٰلِكَ الْمَعْنَى الْكُلِّيِّ؛ وَلٰكِنِ اكْتَسَبَ الْخُصُوصِيَّةَ؛ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِ بِتَارِيخِهِ. وَقَدْ أَصْبَحَ أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ؛ وَلَمْ أَسْأَلْ وَلَمْ أَعْلَمْ لَا صَفَحَاتِ هٰذِهِ الْحَرْبِ، وَلَا نَتَائِجَهَا؛ وَلَا أَنَّهُ حَصَلَ السِّلْمُ؛ أَوْ لَمْ يَحْصُلْ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ لَمْ أَطْرُقْ بَابَ هٰذِهِ السُّورَةِ الْقُدُسِيَّةِ بَعْدُ: بِأَنَّهُ كَمْ لَهَا إِشَارَاتٌ إِلَى هٰذَا الْعَصْرِ وَهٰذِهِ الْحَرْبِ بَعْدُ؟ وَإِلَّا فَقَدْ بُيِّنَ وَأُثْبِتَ فِي أَجْزَاءِ «رِسَالَةِ النُّورِ»، وَخُصُوصاً فِي رَسَائِلِ «الرُّمُوزَاتِ الثَّمَانِيَةِ»: أَنَّ فِي هٰذِهِ الْخَزِينَةِ، أَسْرَاراً كَثِيرَةً بَعْدُ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ أُحِيلُ عَلَيْهَا؛ فَأَخْتَصِرُ..

جَوَابُ سُؤَالٍ يُمْكِنُ أَنْ يَخْطُرَ بِالْبَالِ:

إِنَّ دُخُولَ كَلِمَتَيْ (مِنْ) وَ (شَرِّ)، فِي الْحِسَابِ، فِي ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ فِي الصَّدْرِ، فِي هٰذِهِ اللَّمْعَةِ الْإِعْجَازِيَّةِ؛ وَإِنَّ دُخُولَ كَلِمَةِ (شَرِّ) فَقَطْ، وَعَدَمَ دُخُولِ (مِنْ)، فِي ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ فِي الْآخِرِ؛ وَإِنَّ عَدَمَ إِحْصَائِهِمَا كِلَيْهِمَا أَيْضاً، فِي ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، هِيَ لِأَجْلِ الْإِيمَاءِ وَالرَّمْزِ، إِلَى مُنَاسَبَةٍ لَطِيفَةٍ وَدَقِيقَةٍ لِلْغَايَةِ؛ لِأَنَّهُ يُوجَدُ فِي الْخَلْقِ،

الْخَيْرَاتُ أَيْضاً ، مَا عَدَا الشَّرَّ ؛ وَأَيْضاً لَا يَسْرِي كُلُّ الشَّرِّ إِلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ ؛ فَلِلرَّمْزِ إِلَىٰ هٰذَا ، دَخَلَ (شَرِّ) وَ (مِنْ) الْمُفِيدَةُ لِلْبَعْضِيَّةِ ؛ وَإِنَّ الْحَاسِدَ إِذَا حَسَدَ ، كُلُّهُ شَرٌّ ؛ فَلَا لُزُومَ لِلْبَعْضِيَّةِ ؛ وَإِنَّ النَّفَّاثِينَ وَالدِّبْلُومَاسِيِّينَ السَّاحِرِينَ ، الَّذِينَ يُلْقُونَ بِالنَّارِ إِلَىٰ كُرَةِ الْأَرْضِ ، لِأَجْلِ مَنَافِعِهِمْ ، بِرَمْزِ : ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ ، جَمِيعُ أَعْمَالِهِمُ الْعَائِدَةِ إِلَى التَّخْرِيبَاتِ ، هِيَ عَيْنُ الشَّرِّ ؛ فَلَمْ يَبْقَ اللُّزُومُ لِكَلِمَةِ (شَرِّ) بَعْدُ . .

حَاشِيَةٌ عَلَىٰ نُكْتَةٍ إِعْجَازِيَّةٍ عَائِدَةٍ إِلَىٰ هٰذِهِ السُّورَةِ :

كَمَا أَنَّ هٰذِهِ السُّورَةَ تَنْظُرُ بِالْمَعْنَى الْإِشَارِيِّ ، إِلَىٰ أَرْبَعَةِ انْقِلَابَاتٍ وَعَوَاصِفَ ، عَظِيمَةٍ وَشِرِّيرَةٍ ، لِعَصْرِنَا هٰذَا ، بِجُمَلِهَا الْأَرْبَعِ مِنْ جُمَلِهَا الْخَمْسِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ تَنْظُرُ وَتَضَعُ الْإِصْبَعَ ، بِالْمَعْنَى الْإِشَارِيِّ ، وَبِالْمَقَامِ الْجَفْرِيِّ ، أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، بِكَلِمَةِ (مِنْ شَرِّ) مُكَرَّرَةً أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ـ وَلَا تُعَدَّ الشَّدَّةُ ـ عَلَىٰ عَصْرِ عَهْدِ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَفِتْنَةِ «جَنْكِيزَ» وَ «هُولَاكُو» ، الَّتِي هِيَ أَدْهَشُ حَسَبَ عَالَمِ الْإِسْلَامِ . . نَعَمْ : إِنَّ (شَرِّ) بِدُونِ الشَّدَّةِ ، يَصِيرُ خَمْسَمِئَةٍ ؛ وَ (مِنْ) تِسْعُونَ . فَالْإِمَامُ عَلِيٌّ (رضي الله عنه) ، وَالْغَوْثُ الْأَعْظَمُ أَيْضاً ، الْمُخْبِرَانِ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ ، يَنْظُرَانِ إِلَىٰ عَصْرِنَا هٰذَا ، وَإِلَىٰ ذٰلِكَ الْعَصْرِ ، بِعَيْنِهِمَا ؛ فَيُخْبِرَانِ عَنْهُمَا ، فِي جِهَةِ أَنَّ آيَاتٍ كَثِيرَةً نَاظِرَةً إِلَى الِاسْتِقْبَالِ ، تُشِيرُ إِلَىٰ عَصْرِنَا هٰذَا ، وَإِلَىٰ ذٰلِكَ الْعَصْرِ . وَإِنَّ كَلِمَاتِ ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ، لَا تُشِيرُ إِلَىٰ هٰذَا الزَّمَانِ ؛ بَلْ يَصِيرُ (غَاسِقٍ) ، أَلْفاً وَمِئَةً وَوَاحِداً وَسِتِّينَ ؛ وَ (إِذَا وَقَبَ) ، ثَمَانِيَمِئَةٍ وَعَشَرَةً ؛ فَتُشِيرُ إِلَىٰ شُرُورٍ مَادِّيَّةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ مُهِمَّةٍ فِي تِلْكَ الْأَزْمِنَةِ ؛ وَإِنْ كَانَتْ مَعاً ؛ تَكُونُ أَلْفاً وَتِسْعَمِئَةٍ وَوَاحِداً وَسَبْعِينَ ، مِيلَادِيّاً ؛ فَتُخْبِرُ عَنْ شَرٍّ رَهِيبٍ فِي ذٰلِكَ التَّارِيخِ . فَإِنْ لَمْ يُصْلِحْ مَحْصُولُ الْبُذُورِ الْحَاضِرَةِ ، بَعْدَ عِشْرِينَ سَنَةً ؛ فَسَتَكُونُ صَفْعَتُهُمْ رَهِيبَةً قَطْعاً . .

لَاحِقَةٌ لِحَاشِيَةِ الْمَسْأَلَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ : أَلْفٌ وَثَلَاثُمِئَةٍ وَخَمْسُونَ . .

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ : أَلْفٌ وَتِسْعُمِئَةٍ وَتِسْعٌ وَعِشْرُونَ ، أَوْ ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ . .

﴿وَيُؤْمِنْ بِاللّٰهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ : تِسْعُمِئَةٍ وَسِتٌّ وَأَرْبَعُونَ ؛ مُوَافِقٌ لِاسْمِ رِسَالَةِ النُّورِ . .

﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقٰى﴾ : أَلْفٌ وَثَلَاثُمِئَةٍ وَسَبْعٌ وَأَرْبَعُونَ . .

﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ اَللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ : إِذَا كَانَا مَعاً ؛ فَأَلْفٌ وَاثْنَا عَشَرَ ؛ وَإِذَا لَمْ يَكُونَا مَعاً ؛ فَتِسْعُمِئَةٍ وَخَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ ؛ لَا تُعَدُّ شَدَّةٌ وَاحِدَةٌ . .

﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ : أَلْفٌ وَثَلَاثُمِئَةٍ وَاثْنَانِ وَتِسْعُونَ ، بِدُونِ الشَّدَّةِ . .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ : أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِئَةٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ . .

﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ : أَلْفٌ وَثَلَاثُمِئَةٍ وَثَمَانٍ وَثَلَاثُونَ ، لَا تُعَدُّ الشَّدَّةُ . .

﴿أُولٰٓئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞﴾ : تَصِيرُ أَلْفاً وَمِئَتَيْنِ وَخَمْساً وَتِسْعِينَ ، تُعَدُّ الشَّدَّةُ . .

لَقَدْ خَطَرَ عَلَى قَلْبِي ، تَوَافُقُ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا تَتِمَّةٌ لِآيَةِ الْكُرْسِيِّ ، تَوَافُقاً تَامّاً لِاسْمِ «رِسَالَةِ النُّورِ» مَرَّتَيْنِ ، وَلِصُورَةِ مُجَاهَدَتِهَا ، وَلِتَحَقُّقِهَا ، وَلِزَمَانِ تَأْلِيفِهَا وَتَكَمُّلِهَا ، مَعَ تَوَافُقِهَا تَمَاماً ، لِتَارِيخِ سَعْيِ أَهْلِ الْكُفْرِ لِإِطْفَاءِ نُورِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ، بِحَرْبِ سَنَةِ أَلْفٍ وَمِئَتَيْنِ وَثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ، وَلِتَارِيخِ الْمُعَاهَدَاتِ الرَّهِيبَةِ ، الْمَعْقُودَةِ لِأَجْلِ الْإِلْقَاءِ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ بِالْفِعْلِ ، سَنَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ وَثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ ، بِالِاسْتِفَادَةِ مِنَ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى ؛ وَمُقَابَلَةَ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ فِيهَا مُكَرَّراً ؛ وَأَنَّهَا تُخْبِرُ بِالْمَعْنَى الْإِشَارِيِّ ، بِأَنَّ نُوراً

وَارِداً مِنْ نُورِ الْقُرْآنِ ، يُصْبِحُ نُقْطَةَ اسْتِنَادٍ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ، فِي هٰذِهِ الْمُجَاهَدَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ فَاضْطُرِرْتُ أَنَا فَكَتَبْتُ . .

ثُمَّ نَظَرْتُ أَنَّ مُنَاسَبَةَ مَعْنَاهَا بِعَصْرِنَا هٰذَا ، قَوِيٌّ بِحَيْثُ حَصَلَتْ قَنَاعَتِي بِأَنَّهُ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَمَارَةُ التَّوَافُقِ أَصْلاً ؛ فَإِنَّ هٰذِهِ الْآيَاتِ أَيْضاً ؛ كَمَا تَنْظُرُ إِلٰى كُلِّ عَصْرٍ ؛ تُكَلِّمُنَا أَيْضاً بِالْمَعْنَى الْإِشَارِيِّ . .

نَعَمْ : أَوَّلاً إِنَّ جُمْلَةَ ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ﴾ فِي الصَّدْرِ ، تَضَعُ الْإِصْبَعَ عَلٰى تَارِيخِ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ ، بِالْمَقَامِ الْجَفْرِيِّ وَالْأَبْجَدِيِّ ؛ وَتَقُولُ بِالْمَعْنَى الْإِشَارِيِّ : إِنَّهُ ، وَإِنْ كَانَتْ حُرِّيَّةُ الْوِجْدَانِ الْمُعَارِضَةُ لِلْإِكْرَاهِ وَالْإِجْبَارِ فِي الدِّينِ ، وَلِلْمُجَاهَدَةِ الدِّينِيَّةِ ، وَلِلْجِهَادِ بِالسِّلَاحِ لِأَجْلِ الدِّينِ ، تُصْبِحُ قَانُوناً أَسَاسِيّاً ، وَدُسْتُوراً سِيَاسِيّاً ، فِي الْحُكُومَاتِ ، بِفَصْلِ الدِّينِ عَنِ الدُّنْيَا ، فِي ذٰلِكَ التَّارِيخِ ؛ وَتَعُودُ الْحُكُومَةُ إِلَى الْجُمْهُورِيَّةِ الْعِلْمَانِيَّةِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ سَيَحْدُثُ جِهَادٌ مَعْنَوِيٌّ ضِدَّهَا ، بِسَيْفِ الْإِيمَانِ التَّحْقِيقِيِّ ؛ لِأَنَّهُ سَيَظْهَرُ مِنَ الْقُرْآنِ نُورٌ يُبَيِّنُ وَيَتَبَيَّنُ ؛ فَيُظْهِرُ بَرَاهِينَ قَوِيَّةً ، فِي دَرَجَةٍ تُظْهِرُ لِلْأَبْصَارِ ، مَا فِي الدِّينِ مِنَ الرُّشْدِ وَالْإِرْشَادِ ، وَمِنَ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ : هٰكَذَا تُخْبِرُ فَتُظْهِرُ لَمْعَةَ إِعْجَازٍ . . وَأَيْضاً إِنَّهَا إِلٰى كَلِمَةِ (خَالِدُونَ) ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا أَصْلُ وَمَنْبَعُ جَمِيعِ الْمُوَازَنَاتِ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ، فَهِيَ بِجَعْلِ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ ، وَالْإِيمَانِ وَالْغَيَاهِبِ ، مُتَقَابِلَةً ، مِثْلَ تِلْكَ الْمُوَازَنَاتِ عَيْنِهَا ، أَمَارَةٌ خَفِيَّةٌ ، عَلٰى أَنَّ بَطَلاً عَظِيماً مُسَمًّى بِالنُّورِ ، فِي مُبَارَزَةِ الْجِهَادِ الْمَعْنَوِيِّ الْمَوْجُودِ فِي ذٰلِكَ التَّارِيخِ ، هُوَ «رِسَالَةُ النُّورِ» ؛ فَإِنَّ سَيْفَهَا الْأَلْمَاسِيَّ الْمَعْنَوِيَّ ، الَّذِي اكْتَشَفَ مِئَاتِ الطَّلَاسِمِ الْمَوْجُودَةِ فِي الدِّينِ ، لَا يَتْرُكُ الِاحْتِيَاجَ إِلٰى سُيُوفٍ مَادِّيَّةٍ . . نَعَمْ : لَهُ الشُّكْرُ بِلَا حَدٍّ : لَقَدْ أَصْبَحَ عِشْرِينَ عَاماً ؛ وَرِسَالَةُ النُّورِ أَظْهَرَتْ بِالْفِعْلِ ، هٰذَا الْإِخْبَارَ الْغَيْبِيَّ وَاللَّمْعَةَ الْإِعْجَازِيَّةَ . وَلِهٰذَا السِّرِّ الْعَظِيمِ ، لَا تُخَالِطُ تَلَامِذَةُ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، سِيَاسَةَ الدُّنْيَا وَتَيَّارَاتِهَا وَمُجَادَلَاتِهَا الْمَادِّيَّةَ ؛ وَلَا يَهْتَمُّونَ بِهَا ؛ وَلَا يَتَنَازَلُونَ إِلَيْهَا ؛ وَإِنَّ تَلَامِذَتَهَا الْحَقِيقِيِّينَ ، يَقُولُونَ لِأَدْهَشِ خَصْمٍ لَهُمْ ، إِزَاءَهُ وَإِزَاءَ اعْتِدَائِهِ الْمُسْتَحْقِرِ : «أَيُّهَا الشَّقِيُّ ! إِنِّي أَسْعَى لِإِنْقَاذِكَ عَنِ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ،

وَلِإِخْرَاجِكَ عَنْ أَسْفَلِ دَرَجَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ الْفَانِيَةِ، وَأَشَدِّهَا أَلَماً، إِلَىٰ سَعَادَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ بَاقِيَةٍ؛ وَأَنْتَ تَسْعَىٰ لِمَوْتِي وَإِعْدَامِي؛ وَإِنَّ لَذَّتَكَ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا، يَسِيرَةٌ جِدّاً وَقَصِيرَةٌ؛ وَإِنَّ جَزَاءَكَ وَبَلَايَاكَ فِي الْآخِرَةِ، كَثِيرَةٌ جِدّاً وَمَدِيدَةٌ جِدّاً؛ وَإِنَّ مَوْتِي تَسْرِيحَةٌ؛ فَانْدَفِعْ؛ فَإِنِّي لَا أَشْتَغِلُ بِكَ؛ فَافْعَلْ مَا تَفْعَلُ»؛ فَلَا يَغْضَبُ عَلَىٰ عَدُوِّهِ الظَّالِمِ ذٰلِكَ؛ بَلْ يَتَأَلَّمُ وَيُشْفِقُ عَلَيْهِ؛ فَيَسْعَىٰ لِإِصْلَاحِهِ، قَائِلاً: يَا لَيْتَهُ نَجَا..

ثَانِياً: إِنَّ تَطَابُقَ هَاتَيْنِ الْجُمْلَتَيْنِ الْقُدُسِيَّتَيْنِ؛ وَهُمَا: ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ وَ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾، تَطَابُقَ أُولَاهُمَا لِاسْمِ «رِسَالَةِ النُّورِ»، بِالْمَقَامِ الْجَفْرِيِّ وَالْحِسَابِ الْأَبْجَدِيِّ؛ وَتَطَابُقَ ثَانِيَتِهِمَا لِتَحَقُّقِهَا وَتَكَمُّلِهَا، وَلِفُتُوحَاتِهَا الْمُشْرِقَةِ، تَطَابُقاً تَامّاً وَكَامِلاً، مَعْنًى وَجَفْراً، مَعَ الْمُنَاسَبَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ الْقَوِيَّةِ، هِيَ أَمَارَةٌ عَلَىٰ «أَنَّ رِسَالَةَ النُّورِ، عُرْوَةٌ وُثْقَىٰ – أَيْ سِلْسِلَةٌ مُحْكَمَةٌ جِدّاً، وَحَبْلٌ إِلٰهِيٌّ لَا يَنْفَصِمُ – فِي هٰذَا الْعَصْرِ، وَفِي هٰذَا التَّارِيخِ؛ فَمَنِ اسْتَمْسَكَ وَاعْتَصَمَ بِهَا؛ وَجَدَ النَّجَاةَ»: هٰكَذَا تُخْبِرُ بِالْمَعْنَى الرَّمْزِيِّ..

ثَالِثاً: إِنَّ جُمْلَةَ ﴿اَللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، لَهَا رَمْزٌ إِلَىٰ «رِسَالَةِ النُّورِ»، بِالْمَعْنَىٰ وَالْجَفْرِ؛ وَذٰلِكَ: أَنَّ (١) ....

(١) إِنَّ سَبَبَ عَدَمِ الِاسْتِنْسَاخِ الْآنَ لِلْقِسْمِ الْبَاقِي مِنْ هٰذِهِ النُّكْتَةِ، هُوَ تَمَاسُّهُ بِالدُّنْيَا وَالسِّيَاسَةِ بِدَرَجَةٍ مَا؛ وَنَحْنُ مَمْنُوعُونَ عَنِ النَّظَرِ.. نَعَمْ: إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾، يَنْظُرُ وَيَنْظِرُ إِلَىٰ هٰذَا الطَّاغُوتِ.. سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ، (رضي الله عنه)..

صَبِيحَةَ الْأَحَدِ { رَبِيعاً الْأَوَّلَ / ٢٦ / ١٤٠٦هـ..
كَانُونَ الْأَوَّلَ / ٨ / ١٩٨٥م..

مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلَازْكِرْدِيُّ، وَفَّقَهُ اللهُ لِنَشْرِ الْأَنْوَارِ الْقُرْآنِيَّةِ، آمِينَ..
أَزْهَرَ لُبْنَانَ بِعَرَمُونَ، الْخَالِيَةِ مِنَ التَّلَامِذَةِ الْكِرَامِ وَالْأَسَاتِذَةِ الْعِظَامِ،
عَمَّرَهَا اللهُ بِهِمْ وَبِدُرُوسِ عُلُومِ الْإِسْلَامِ، آمِينَ..

اَلشُّعَاعُ الثَّانِي عَشَرَ

مِنَ الدِّفَاعَاتِ فِي مَحْكَمَةِ «دَنِزْلِي»(١) . .

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ . .

أَيُّهَا السَّادَةُ ! أُخْبِرُكُمْ قَطْعاً : أَنَّ لِي بِقَدرِ مَا تَشَاؤُونَ ، إِخْوَاناً حَقِيقِيِّينَ ، وَأَصْحَاباً ذَوِي حَقِيقَةٍ ، فِي طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ ، غَيْرَ الْكِرَامِ هُنَا ، الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مُنَاسَبَةٌ بِنَا وَ«بِرِسَالَةِ النُّورِ» ؛ أَوْ لَهُمْ مُنَاسَبَةٌ قَلِيلَةٌ . وَإِنَّا قَدْ عَلِمْنَا بِاكْتِشَافَاتٍ قَطْعِيَّةٍ «لِرِسَالَةِ النُّورِ» ، بِقَنَاعَةٍ لَا تَتَزَلْزَلُ ، فِي دَرَجَةِ كَوْنِ الاثْنَيْنِ فِي الاثْنَيْنِ أَرْبَعَةً : أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ حُوِّلَ لَنَا ، بِسِرِّ الْقُرْآنِ ، مِنَ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ، إِلَىٰ تَذْكِرَةِ التَّسْرِيحِ ؛ وَإِنَّ ذٰلِكَ الْمَوْتَ الْقَطْعِيَّ ، إِمَّا إِعْدَامٌ أَبَدِيٌّ لِلْمُعَارِضِينَ لَنَا ، وَالسَّالِكِينَ فِي الضَّلَالَةِ ــ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ إِيمَانٌ قَطْعِيٌّ بِالْآخِرَةِ ــ أَوْ سِجْنٌ مُنْفَرِدٌ مُظْلِمٌ وَأَبَدِيٌّ ــ إِذَا كَانَ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ ؛ وَسَلَكَ فِي السَّفَاهَةِ وَالضَّلَالَةِ ــ . فَأَسْأَلُكُمْ : يَا لَلْعَجَبِ ! هَلْ تُوجَدُ فِي الدُّنْيَا مَسْأَلَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ أَعْظَمُ وَأَهَمُّ مِنْ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ؛ فَتَصِيرَ هٰذِهِ أَدَاةً لَهَا ؟ . فَإِذَا كَانَتْ غَيْرَ مَوْجُودَةٍ ؛ وَلَنْ تَكُونَ ؛ فَلِمَاذَا تَشْتَغِلُونَ بِنَا ؟ . وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ بِكَمَالِ الْمَتَانَةِ ، بِأَنَّا نَقْبِضُ

---

(١) إِنَّ حَضْرَةَ أُسْتَاذِنَا «بَدِيعِ الزَّمَانِ سَعِيدٍ النُّورْسِيِّ» (رضي الله عنه) ، قَدْ طَوَىٰ بَعْضَ فِقْرَاتٍ مِنَ الدِّفَاعَاتِ فِي مَحْكَمَةِ «دَنِزْلِي» ؛ وَأَلْحَقَ بِهَا بَعْضَ فِقْرَاتٍ لَازِمَةٍ ؛ فَقَدَّمَ عَيْنَ الدِّفَاعَاتِ ، إِلَىٰ مَحْكَمَةِ «آفْيُونَ» بِمُنَاسَبَةِ وَحْدَةِ الْقَضِيَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ وَحَّدَ قِسْماً كَبِيراً مِنْ دِفَاعَاتِ مَحْكَمَةِ «دَنِزْلِي» هٰذِهِ ، مَعَ الدِّفَاعَاتِ فِي مَحْكَمَةِ «آفْيُونَ» ؛ وَسَمَّاهَا «الشُّعَاعَ الرَّابِعَ عَشَرَ» . . لَجْنَةُ التَّحْقِيقِ مِنْ تَلَامِذَةِ رِسَالَةِ النُّورِ . .

تَذْكِرَةَ تَسْرِيحٍ ، لِلذَّهَابِ إِلىٰ عَالَمِ النُّورِ ، تِجَاهَ أَثْقَلِ جَزَائِكُمْ ؛ وَلٰكِنْ نَعْلَمُ فِي دَرَجَةِ الْمُشَاهَدَةِ ؛ بَلْ نُشَاهِدُ مِثْلَ مَا نُشَاهِدُكُمْ فِي هٰذَا الْمَجْلِسِ : أَنَّ الَّذِينَ يَرُدُّونَ بِنَا ؛ فَيَجْعَلُونَنَا مَحْكُومِينَ ، سَيَصِيرُونَ مَحْكُومِينَ بِالْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ، وَبِالسِّجْنِ الْمُنْفَرِدِ ؛ وَسَيُعَانُونَ ذٰلِكَ الْجَزَاءَ الرَّهِيبَ ، فِي زَمَنٍ قَرِيبٍ جِدّاً ؛ فَنَتَأَلَّمُ لَهُمْ جِدّاً بِعَصَبِ الْإِنْسَانِيَّةِ . وَإِنِّي مُسْتَعِدٌّ لِإِثْبَاتِ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْقَاطِعَةِ الْمُهِمَّةِ ، وَلِإِلْزَامِ أَشَدِّ الْمُتَمَرِّدِينَ أَيْضاً . وَإِنِّي رَاضٍ بِكُلِّ جَزَاءٍ ، إِذَا لَمْ أُثْبِتْهَا مِثْلَ النَّهَارِ ، لَا تِجَاهَ أَهْلِ الْخِبْرَةِ الْمُغْرِضِينَ الَّذِينَ لَا خِبْرَةَ لَهُمْ ؛ وَهُمْ بِدُونِ حَظٍّ فِي الْمَعْنَوِيَّاتِ ، بَلْ تِجَاهَ أَكْبَرِ عُلَمَائِكُمْ وَفَلَاسِفَتِكُمْ . هٰذَا ، فَأَعْرِضُ عَلىٰ سَبِيلِ الْمِثَالِ ، رِسَالَةَ «الثَّمَرَةِ» الَّتِي أُلِّفَتْ لِأَجْلِ الْمَسْجُونِينَ ، فِي يَوْمَيِ الْجُمُعَةِ ؛ وَتُبَيِّنُ عُمُدَ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، وَخُلَاصَاتِهَا وَأَسَاسَاتِهَا ؛ فَصَارَتْ فِي حُكْمِ رِسَالَةِ دِفَاعٍ عَنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ وَنَسْعىٰ سِرّاً بَيْنَ الْمَشَاكِلِ ، لِاسْتِنْسَاخِهَا بِالْحُرُوفِ الْجَدِيدَةِ ، لِلتَّقْدِيمِ إِلىٰ مَقَامَاتِ «أَنْقَرَةَ» ؛ فَاقْرَأُوهَا وَتَأَمَّلُوهَا تَمَاماً ؛ فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقْنِي قُلُوبُكُمْ ــ وَلَا أُخَالِطُ نُفُوسَكُمْ ــ فَإِنِّي سَأَسْكُتُ ؛ وَإِنْ فَعَلْتُمْ بِي كُلَّ إِهَانَةٍ وَتَعْذِيبٍ ، بَيْنَ التَّجْرِيدِ الْمُطْلَقِ الْحَاضِرِ . .

اَلْحَاصِلُ : عَلَيْكُمْ إِمَّا أَنْ تُطْلِقُوا «رِسَالَةَ النُّورِ» حُرَّةً تَمَاماً ؛ وَإِمَّا أَنْ تَنْقُضُوا هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ الْقَوِيَّةَ الَّتِي لَا تُجْرَحُ ، إِنْ تَأَتَّى مِنْ أَيْدِيكُمْ . وَإِنِّي إِلَى الْآنَ ، لَمْ أَكُنْ أُفَكِّرُ فِيكُمْ وَفِي دُنْيَاكُمْ ؛ وَلَنْ أُفَكِّرَ فِيهَا ؛ وَلٰكِنْ أَجْبَرْتُمُونِي ؛ وَلَعَلَّهُ كَانَ إِيقَاظُكُمْ لَازِماً ؛ فَسَاقَنَا الْقَدَرُ الْإِلٰهِيُّ إِلىٰ هٰذَا الطَّرِيقِ ؛ فَاتَّخَذْنَا نَحْنُ أَيْضاً ، الدُّسْتُورَ الْقُدْسِيَّ ، وَهُوَ : «مَنْ آمَنَ بِالْقَدَرِ ، أَمِنَ مِنَ الْكَدَرِ» ، دَلِيلاً لِأَنْفُسِنَا ؛ فَعَزَمْنَا عَلىٰ أَنْ نَسْتَقْبِلَ كُلَّ مُضَايَقَاتِكُمْ بِالصَّبْرِ . .

اَلْمُعْتَقَلُ : سَعِيدُ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله عنه) . .

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ . .

أَيُّهَا السَّادَةُ ! لَقَدْ حَصَلَتْ قَنَاعَتِي قَطْعاً ، بِأَمَارَاتٍ كَثِيرَةٍ ، بِأَنَّهُ لَا يُهْجَمُ عَلَيْنَا بِحِسَابِ الْحُكُومَةِ ، لِأَجْلِ أَنَّنَا نَجْعَلُ الْمَشَاعِرَ الدِّينِيَّةَ أَدَاةً ؛ فَنُخِلُّ بِالْأَمْنِ الدَّاخِلِيِّ ؛ بَلْ يُهْجَمُ

بِحِسَابِ الزَّنْدَقَةِ، تَحْتَ هٰذَا الْغِطَاءِ الْكَاذِبِ، لِأَجْلِ إِيمَانِنَا، وَلِأَجْلِ خِدْمَتِنَا لِلإِيمَانِ وَالْأَمْنِ. وَإِنَّ حُجَّةً لِهٰذَا، مِنْ حُجَجِهِ الْكَثِيرَةِ، هِيَ: أَنَّ عِشْرِينَ أَلْفَ إِنْسَانٍ، قَرَأُوا عِشْرِينَ أَلْفَ نُسْخَةٍ أَوْ جُزْءٍ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ»؛ فَقَبِلُوهَا خِلالَ عِشْرِينَ عَاماً؛ مَعَ أَنَّهُ لَمْ تَحْدُثْ أَيَّةُ وَاقِعَةٍ دَائِرَةٍ حَوْلَ إِخْلالِ الْأَمْنِ، مِنْ جَانِبِ تَلامِذَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ»؛ وَلَمْ تُسَجِّلْهَا الْحُكُومَةُ؛ وَلَمْ تَجِدْهَا مَحْكَمَتَانِ قَدِيمَةٌ وَجَدِيدَةٌ؛ وَالْحَالُ: أَنَّ الدِّعَايَةَ الْقَوِيَّةَ هٰكَذَا، كَانَتْ تُظْهِرُ نَفْسَهَا بِالْوَقَائِعِ فِي عِشْرِينَ يَوْماً. إِذاً فَإِنَّ الْمَادَّةَ الثَّالِثَةَ وَالسِّتِّينَ وَالْمِئَةَ، لِقَانُونٍ مَطَّاطٍ شَامِلٍ لِجَمِيعِ النَّاصِحِينَ الدِّينِيِّينَ، مُضَادّاً لِدُسْتُورِ حُرِّيَّةِ الْوِجْدَانِ، هِيَ لِثَامٌ مُصْطَنَعٌ؛ فَيَغُرُّ الزَّنَادِقَةُ، بَعْضَ أَرْكَانِ الْحُكُومَةِ؛ وَيُشَوِّشُونَ الْعَدْلِيَّةَ؛ فَيُرِيدُونَ سَحْقَنَا عَلَى كُلِّ حَالٍ. فَإِذَا كَانَتِ الْحَقِيقَةُ هٰذِهِ؛ فَنَحْنُ نَقُولُ بِكُلِّ قُوَّتِنَا: أَيُّهَا الْأَشْقِيَاءُ الْبَائِعِينَ دِينَهُمْ بِالدُّنْيَا، وَالسَّاقِطِينَ فِي الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ! افْعَلُوا مَا يَتَأَتَّى مِنْ أَيْدِيكُمْ ـ تَبّاً لَكُمْ وَلِدُنْيَاكُمْ ـ فَلْتَكُنْ رُؤُوسُنَا فِدَاءً أَيْضاً، لِحَقِيقَةٍ قُدُسِيَّةٍ، فَادَتْهَا مِئَاتُ الْمَلايِينِ مِنْ رُؤُوسٍ بَطَلَةٍ؛ فَنَحْنُ مُسْتَعِدُّونَ لِكُلِّ جَزَائِكُمْ وَإِعْدَامِكُمْ؛ وَإِنَّ خَارِجَ السِّجْنِ أَسْوَأُ مِنْ دَاخِلِهِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، فِي هٰذَا الْوَضْعِ؛ فَلا تُوجَدُ أَيَّةُ حُرِّيَّةٍ، لَا الْحُرِّيَّةُ الْعِلْمِيَّةُ، وَلا حُرِّيَّةُ الْوِجْدَانِ، وَلَا الْحُرِّيَّةُ الدِّينِيَّةُ، تَحْتَ مِثْلِ هٰذَا الاِسْتِبْدَادِ الْمُطْلَقِ الْمُعَارِضِ لَنَا؛ فَمِنْ ثَمَّةَ لا تَبْقَى الْوَسِيلَةُ لِأَهْلِ الشَّرَفِ وَالدِّيَانَةِ، وَلِأَرْبَابِ الْحُرِّيَّةِ، غَيْرُ الْمَوْتِ أَوِ الدُّخُولِ فِي السِّجْنِ.. فَنَحْنُ نَقُولُ: ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾؛ فَنَتَوَكَّلُ عَلَى رَبِّنَا..

اَلْمُعْتَقَلُ: سَعِيدُ النُّورْسِيُّ، (ﵵ)..

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ..

رَئِيسَ الْمَحْكَمَةِ السَّيِّدَ عَلِيَّ رِضَا الْكَرِيمِ!.

لِي طَلَبٌ وَرَجَاءٌ مُهِمٌّ، لِأَجْلِ الدِّفَاعِ عَنْ حُقُوقِي: إِنِّي لا أَعْرِفُ الْحُرُوفَ الْجَدِيدَةَ؛ وَإِنَّ خَطِّيَ الْقَدِيمَ أَيْضاً، نَاقِصٌ جِدّاً؛ وَإِنَّهُمْ لا يَجْمَعُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ غَيْرِي؛ فَإِنِّي فِي دَاخِلِ

التَّجْرِيدِ الْمُطْلَقِ عَادَةً ؛ حَتّٰى إِنَّ رِسَالَةَ الادِّعَاءِ قُبِضَتْ عَنِّي ، بَعْدَ خَمْسَ عَشْرَةَ دَقِيقَةً ؛ وَلَيْسَ لِيَ اسْتِطَاعَةٌ لِاتِّخَاذِ المُحَامِي ؛ حَتّٰى إِنَّ مُدَافَعَاتِيَ الَّتِي قَدَّمْتُهَا إِلَيْكُمْ ، إِنَّمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ آخُذَ صُورَةً مِنْهَا بِالْحُرُوفِ الْجَدِيدَةِ ، وَقِسْماً مِنْهَا سِرّاً ، بِمَشَاقَّ كَثِيرَةٍ ؛ وَأَيْضاً إِنَّ رِسَالَةَ «الثَّمَرَةِ» ، الَّتِي هِيَ نَوْعٌ مَّا مِنْ مُدَافَعَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، وَخُلَاصَةُ مَسْلَكِهَا ، كُنْتُ اسْتَنْسَخْتُهَا لِتَقْدِيمِ صُورَةٍ مِنْهَا لِلْمُدَّعِي الْعَامِّ ، وَإِرْسَالِ صُورَةٍ أَوْ صُورَتَيْنِ مِنْهَا إِلٰى مَقَامَاتِ «أَنْقَرَة» ؛ فَإِذَا هُمْ سَلَبُوهَا مِنْ يَدِي ؛ وَلَمْ يُعْطُوهَا بَعْدُ ؛ وَالْحَالُ : أَنَّ عَدْلِيَّةَ «أَسْكِيشَهِر» ، كَانَتْ بَعَثَتْ لَنَا بِآلَةٍ كَاتِبَةٍ إِلَى السِّجْنِ ؛ فَكَتَبْنَا عَلَيْهَا دِفَاعَاتِنَا ، نُسْخَةً أَوْ نُسْخَتَيْنِ ، بِالْحُرُوفِ الْجَدِيدَةِ ؛ وَأَنَّ تِلْكَ الْمَحْكَمَةَ أَيْضاً كَتَبَتْهَا . . فَطَلَبِي الْأَهَمُّ : إِمَّا أَنْ تُعْطُونَا أَنْتُمْ آلَةً كَاتِبَةً ؛ أَوْ تَسْمَحُوا لَنَا أَنْ نَجْتَلِبَهَا ؛ حَتّٰى نَأْخُذَ صُورَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ صُوَرٍ ، بِالْحُرُوفِ الْجَدِيدَةِ ، مِنْ دِفَاعَاتِي ، وَمِنَ الرِّسَالَةِ الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ مُدَافَعَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَسَنُرْسِلُهَا إِلٰى وِزَارَةِ الْعَدْلِيَّةِ ، وَإِلَى اللَّجْنَةِ الْوِزَارِيَّةِ ، وَإِلٰى مَجْلِسِ الشَّعْبِ الْكَبِيرِ ، وَإِلٰى شُورَى الدَّوْلَةِ ؛ لِأَنَّ كُلَّ الْأَسَاسِ فِي الِادِّعَاءِ ، هُوَ «رِسَالَةُ النُّورِ» ؛ وَإِنَّ الِاعْتِرَاضَ وَالدَّعْوَى الْعَائِدَةَ إِلَى «رِسَالَةِ النُّورِ» ، لَيْسَتْ حَادِثَةً جُزْئِيَّةً ، وَمَسْأَلَةً شَخْصِيَّةً ؛ فَلَا يُهْتَمَّ بِهَا كَثِيراً ؛ بَلْ إِنَّهَا مَسْأَلَةٌ عُمُومِيَّةٌ ، فِي حُكْمِ حَادِثَةٍ كُلِّيَّةٍ سَتَجْعَلُ هٰذَا الشَّعْبَ وَهٰذَا الْوَطَنَ وَهٰذِهِ الْحُكُومَةَ ، ذَاتَ عَلَاقَةٍ جِدِّيَّةٍ بِهَا ؛ وَسَتَجْلِبُ بِالتَّبَعِ ، نَظَرَ اهْتِمَامِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ، فِي صُورَةٍ مُهِمَّةٍ . . نَعَمْ : إِنَّ الَّذِينَ يُهَاجِمُونَ «رِسَالَةَ النُّورِ» ، تَحْتَ الْغِطَاءِ ، هُمُ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ السِّيَاسَةَ آلَةً لِلْإِلْحَادِ ؛ فَيُمَكِّنُونَ الْكُفْرَ الْمُطْلَقَ تَحْتَ الْغِطَاءِ ، بِأَصَابِعِ الْأَجَانِبِ ، لِأَجْلِ تَنْفِيرِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ، وَنَقْضِ تَوَجُّهِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَأُخُوَّتِهِ ، الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ قُوَّةِ الشَّعْبِ فِي هٰذَا الْوَطَنِ ؛ فَيَغُرُّونَ الْحُكُومَةَ ؛ وَيُشَوِّشُونَ الْعَدْلِيَّةَ – وَقَدْ أَصْبَحَ مَرَّتَيْنِ – وَيَقُولُونَ : إِنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» وَتَلَامِذَتَهَا ، يَجْعَلُونَ الدِّينَ أَدَاةً لِلسِّيَاسَةِ ؛ فَيُحْتَمَلُ الضَّرَرُ بِالْأَمْنِ . .

فَيَا أَيُّهَا الْأَشْقِيَاءُ ! إِنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهَا عَلَاقَةٌ بِالسِّيَاسَةِ ؛ إِلَّا أَنَّهَا تَنْقُضُ الْكُفْرَ الْمُطْلَقَ ؛ فَلِذٰلِكَ تُبْطِلُ الْفَوْضَى ، الَّتِي هِيَ قَاعِدَةُ الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ ؛ وَتُبْطِلُ الِاسْتِبْدَادَ الْمُطْلَقَ ، الَّذِي هُوَ قِمَّتُهُ ؛ وَتَرُدُّهُمَا بِأَسَاسِهِمَا ؛ وَتُؤَمِّنُ الْأَمْنَ وَالسَّلَامَ ، وَالْحُرِّيَّةَ وَالْعَدَالَةَ ؛

وَإِنَّ وَاحِدَةً مِنْ مِئَاتِ حُجَجِ ذٰلِكَ ، هِيَ رِسَالَةُ «الثَّمَرَة» هٰذِهِ ، الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ دِفَاعِهَا ؛ فَلْتُدَقِّقْهَا هَيْئَةٌ عِلْمِيَّةٌ وَاجْتِمَاعِيَّةٌ عَالِيَةٌ ؛ فَإِنْ لَمْ يُصَدِّقُونِي ، فَإِنِّي رَاضٍ بِكُلِّ جَزَاءٍ ، وَبِالْإِعْدَامِ ذِي التَّعْذِيبِ . .

اَلْمُعْتَقَلُ : سَعِيدُ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ . .

اَلسَّيِّدُ الرَّئِيسُ الْكَرِيمُ ! . لَقَدِ اتُّخِذَتْ ثَلاثُ مَوَادَّ ، أُسُساً فِي الْقَرَارِ . .

إِحْدَاهَا : الْجَمْعِيَّةُ . إِنِّي أُشْهِدُ جَمِيعَ مَنْ هُنَا مِنْ تَلامِذَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، وَالْمُتَّصِلِينَ بِي ، وَقُرَّائِهَا وَكُتَّابِهَا بِعَيْنِهِمْ ؛ فَاسْأَلُوهُمْ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَقُلْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ : إِنَّنَا سَنُشَكِّلُ جَمْعِيَّةً سِيَاسِيَّةً ، أَوْ جَمْعِيَّةً نَقْشِيَّةً ؛ وَإِنَّمَا الَّذِي أَقُولُ دَائِماً ، هُوَ : أَنَّنَا سَنعْمَلُ لِإِنْقَاذِ إِيمَانِنَا ؛ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا مَدَارَ الْبَحْثِ ، غَيْرُ جَمَاعَةٍ إِسْلامِيَّةٍ مُقَدَّسَةٍ لَهَا أَفْرَادٌ تَزِيدُ عَلَى ثَلاثِمِئَةِ مِلْيُونٍ ؛ وَيَدْخُلُهَا جَمِيعُ أَهْلِ الْإِيمَانِ ؛ وَقَدْ وَجَدْنَا أَنْفُسَنَا فِي دَائِرَةِ «حِزْبِ الْقُرْآنِ ، وَحِزْبِ اللّٰهِ» ، لِأَجْلِ خِدْمَتِنَا لِلْقُرْآنِ ، بِجِهَةِ أُخُوَّةِ جَمِيعِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، وَالْمُسَمّٰى فِي الْقُرْآنِ «بِحِزْبِ اللّٰهِ» ؛ فَإِنْ كَانَ هٰذَا الْمَعْنَى مُرَاداً فِي وَرَقَةِ الْقَرَارِ ؛ نَعْتَرِفُ بِهِ بِكُلِّ رُوحِنَا ، بِكَمَالِ الِافْتِخَارِ . وَإِنْ كَانَتْ مَعَانٍ أُخْرَى مُرَادَةً ؛ فَلا عِلْمَ لَنَا بِهَا . .

اَلْمَادَّةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ كُتُباً مِثْلَ «رِسَالَةِ التَّسَتُّرِ ، وَالْهُجَاتِ السِّتِّ وَذَيْلِهَا» ، الَّتِي اتُّخِذَتْ مُحَرَّمَةً قَطْعاً ؛ وَحُمِّلَتْ جَزَاءً خَفِيفاً ؛ وَمَضَتْ عَنْ تَدْقِيقِ وَانْتِقَادِ مَحْكَمَةِ «أَسْكِيشَهِر» ؛ وَكَانَتْ فِي صَنَادِيقَ مُسَمَّرَةٍ ، وَتَحْتَ حُزْمَةِ الْحَطَبِ وَالْفَحْمِ ، بِوَجْهٍ لا تُنْشَرُ أَصْلاً ، بِتَقْرِيرِ وَتَصْدِيقِ شُرْطَةِ «قَسْطَمُونِي» ، بِاعْتِرَافِ وَرَقَةِ الْقَرَارِ ، يُفَسِّرُ بَعْضَ جُمَلٍ مِنْهَا خَطَأً ؛ فَيَذْهَبُ بِنَا إِلَى تِسْعِ سَنَوَاتٍ سَابِقَةٍ ؛ فَيُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَنَا مَسْؤُولِينَ بِالْجُرْمِ الَّذِي قَاسَيْنَا جَزَاءَهُ . .

اَلْمَادَّةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّهُ اسْتُعْمِلَتِ الْإِمْكَانَاتُ مَكَانَ الْوُقُوعَاتِ ، فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنَ الْقَرَارِ ،

بِتَعَابِيرَ مِثْلِ قَوْلِهِ : «يُمْكِنُ أَوْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخِلَّ بِأَمْنِ الدَّوْلَةِ». فَكُلُّ أَحَدٍ يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَ قَتْلاً ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَسْؤُولاً بِهٰذَا الْإِمْكَانِ ؟.

اَلْمُعْتَقَلُ : سَعِيدُ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ . .

اَلسَّيِّدُ الرَّئِيسُ الْكَرِيمُ !. أُقَدِّمُ دِفَاعِيَ الَّذِي أَرْسَلْتُهُ فِي صُورَةِ الْعَرِيضَةِ ، إِلَى مَقَامَاتِ «أَنْقَرَة» ، وَإِلَى رَئِيسِ الْجُمْهُورِيَّةِ ؛ وَأُقَدِّمُ بِالرَّبْطِ بِهِ ، رِسَالَةَ رِئَاسَةِ الْوِزَارَةِ ، الْجَوَابِيَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى أَنَّهَا أَيْضاً ، قَبِلَتْ هٰذَا الدِّفَاعَ بِالْأَهَمِّيَّةِ ؛ وَتُوجَدُ فِي دِفَاعَاتِي هٰذِهِ ، الْأَجْوِبَةُ الْقَاطِعَةُ عَلَى أَوْهَامِ مَقَامِ الِادِّعَاءِ ، الْمُتَّهِمَةِ الَّتِي لَا أَسَاسَ لَهَا ، وَالَّتِي بَيَّنَهَا ضِدَّنَا ؛ وَتُوجَدُ أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ غَيْرُ مَنْطِقِيَّةٍ ، وَمُخَالِفَةٌ لِلْوَاقِعِ ، فِي تَقْرِيرِ أَهْلِ الْخِبْرَةِ هُنَا ، الْمَبْنِيِّ عَلَى إِفَادَاتٍ مُغْرِضَةٍ وَوَاهِيَةٍ ، مِنْ إِفَادَاتِ سَائِرِ الْأَمَاكِنِ ؛ فَكَانَ اعْتِرَاضِي هٰذَا ، قُدِّمَ ضِدَّهَا أَيْضاً . .

فَمِنْ جُمْلَةِ ذٰلِكَ : أَنِّي كُنْتُ قُلْتُ لِمَحْكَمَةِ «أَسْكِيشَهِر» ؛ حِينَمَا أَرَادُوا أَنْ يَحْكُمُوا عَلَيَّ بِالْمَادَّةِ الثَّالِثَةِ وَالسِّتِّينَ وَالْمِئَةِ ؛ كَمَا قَدَّمْتُ لَكُمْ أَوَّلاً : إِنَّ قَبُولَ الْحُكُومَةِ الْجُمْهُورِيَّةِ ، تَخْصِيصَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ لِيرَةٍ ، لِجَامِعَتِي – مَدْرَسَتِي – فِي مَدِينَةِ «وَانَ» ، بِتَوْقِيعِ مِئَةٍ وَثَلَاثَةٍ وَسِتِّينَ نَائِباً ، بِعَيْنِ الرَّقْمِ ، بَيْنَ مِئَتَيْ نَائِبٍ ؛ وَإِنَّ تَوَجُّهَ الْحُكُومَةِ الْجُمْهُورِيَّةِ إِلَيَّ بِذٰلِكَ ، يُسْقِطُ هٰذِهِ الْمَادَّةَ الثَّالِثَةَ وَالسِّتِّينَ وَالْمِئَةَ ، عَنِ الْحُكْمِ فِي حَقِّي ؛ مَعَ أَنَّ أَهْلَ الْخِبْرَةِ أُولَائِكَ حَرَّفُوهُ ، بِأَنَّ مِئَةً وَثَلَاثَةً وَسِتِّينَ نَائِباً ، تَعَقَّبُوا ضِدَّ «سَعِيدٍ» . هٰذَا ، فَمَقَامُ الِادِّعَاءِ أَيْضاً ، يَتَّخِذُنَا مَسْؤُولِينَ ، بِنَاءً عَلَى مِثْلِ هٰذَا الِاتِّهَامِ ، الَّذِي لَا أَصْلَ لَهُ تَمَاماً ، مِنِ اتِّهَامَاتِ أَهْلِ الْخِبْرَةِ هٰؤُلَاءِ ؛ مَعَ أَنَّ مَجْلِسَكُمْ أَعْطَى الْقَرَارَ مُتَّفِقاً ، بِأَنَّهُ لَا تُوجَدُ صَرَاحَةٌ وَأَمَارَةٌ ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ «سَعِيداً» وَتَلَامِذَةَ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، جَعَلُوا الدِّينَ وَالْمُقَدَّسَاتِ ، أَدَاةً فِي كِتَابَاتِهِمْ ؛ فَحَرَّضُوا عَلَى إِخْلَالِ أَمْنِ الدَّوْلَةِ ؛ أَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي نِيَّةِ تَأْسِيسِ جَمْعِيَّةٍ ؛ وَكَانَ لَهُمْ مُؤَامَرَةٌ ضِدَّ الْحُكُومَةِ ؛ وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ تَلَامِذَةَ «سَعِيدٍ» ، لَمْ يَتَحَرَّكُوا فِي مُرَاسَلَاتِهِمْ ، بِفِكْرِ إِضْمَارِ قَصْدٍ سَيِّءٍ ضِدَّ الْحُكُومَةِ ، وَتَأْسِيسِ

جَمْعِيَّةٍ، أَوْ تَعَقُّبِ طَرِيقَةٍ؛ هٰكَذَا قَالُوا فِي الْقَرَارِ الَّذِي أَعْطَوْهُ فِي حَقِّنَا بِالاِتِّفَاقِ، بَعْدَ تَدْقِيقِ جَمِيعِ أَجْزَاءِ «رِسَالَةِ النُّورِ»، الَّتِي أُحِيلَتْ بِقَرَارِ مَجْلِسِكُمْ، عَلىٰ تَدْقِيقِ وَتَحْقِيقِ أَعْلىٰ هَيْئَةٍ عِلْمِيَّةٍ وَفَنِّيَّةٍ..

وَأَيْضاً إِنَّ أَهْلَ الْخِبْرَةِ، أَعْطَوُا الْقَرَارَ مُتَّفِقِينَ، عَلَى أَنَّ تِسْعِينَ فِي الْمِئَةِ مِنْ رَسَائِلِ «سَعِيدٍ النُّورْسِيِّ»، هِيَ صَمِيمَةٌ وَمُحْتَسِبَةٌ؛ وَلَمْ تَخْتَلِفْ بِأَيِّ جِهَةٍ، عَنْ أُسُسِ الْعِلْمِ وَالْحَقِيقَةِ وَالدِّينِ؛ وَمِنَ الصَّرِيحِ: أَنَّهُ لَا تُوجَدُ فِي هٰذِهِ الرَّسَائِلِ، حَرَكَةُ إِخْلَالِ الْأَمْنِ، وَالتَّمَايُلُ إِلىٰ تَشْكِيلِ الْجَمْعِيَّةِ، أَوْ جَعْلُ الدِّينِ أَدَاةً؛ وَأَنَّ رَسَائِلَ التَّلَامِذَةِ، وَمُرَاسَلَاتِهِمْ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ، وَمَعَ «سَعِيدٍ النُّورْسِيِّ»، هِيَ مِنْ هٰذَا النَّوْعِ أَيْضاً؛ وَأَنَّ جَمِيعَ رَسَائِلِهِ، مَا عَدَا خَمْسَ أَوْ سِتَّ رَسَائِلَ مُحَرَّمَةٍ وَمُشْتَكِيَةٍ وَغَيْرِ عِلْمِيَّةٍ، أُلِّفَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا، بِاسْمِ تَفْسِيرِ آيَةٍ، وَحَقِيقَةِ حَدِيثٍ شَرِيفٍ؛ وَكُتِبَتْ بِالتَّمْثِيلَاتِ، لِأَجْلِ إِيضَاحِ عَقَائِدِ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِلٰهِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْآخِرَةِ، وَلِإِفَادَةِ عِبَارَاتِهَا وَاضِحَةً؛ وَأَنَّهَا رَسَائِلُ تَحْتَوِي نَظَرِيَّاتٍ عِلْمِيَّةً، وَنَصَائِحَ خُلُقِيَّةً لِلْكُهُولِ وَالشُّبَّانِ، وَوَقَائِعَ ذَاتَ عِبْرَةٍ، وَمَنَاقِبَ مُفِيدَةً مُقْتَبَسَةً مِنْ تَجَارِبِ الْحَيَاةِ؛ وَتُشَكِّلُ تِسْعِينَ فِي الْمِئَةِ مِنَ الْمَوْجُودِ؛ وَلَيْسَتْ لَهَا أَيَّةُ جِهَةٍ تَمَسُّ الْحُكُومَةَ وَالْإِدَارَةَ وَالْأَمْنَ..

هٰذَا، فَإِنَّنَا مُتَأَثِّرُونَ حَقِيقَةً فَوْقَ الْحَدِّ، مِنِ اتِّهَامِ مَقَامِ الِادِّعَاءِ إِيَّانَا، فِي أَنْمَاطٍ عَجِيبَةٍ، بِنَاءً عَلَى التَّقْرِيرِ الْقَدِيمِ وَالْمُشَوَّشِ وَالنَّاقِصِ، دُونَ أَنْ يَنْظُرَ إِلىٰ تَقْرِيرِ أَهْلِ الْخِبْرَةِ الرَّفِيعَةِ هٰؤُلَاءِ. فَلَا نُوَافِقُ قَطْعاً بَيْنَ ذٰلِكَ وَبَيْنَ الْإِنْصَافِ الْمُسَلَّمِ لِهٰذِهِ الْمَحْكَمَةِ الْمُنْصِفَةِ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يَتَّخِذُ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ»؛ فَتُقَدَّمُ ضِدَّنَا، دُونَ أَنْ يَقْتَبِسَ آخِرَ تِلْكَ الْجُمْلَةِ، الَّذِي يُعِدُّ لَهَا وَيُبَيِّنُ النَّتِيجَةَ، مِنْ قَبِيلِ مَا قَالُوا لِبَكْطَاشِيٍّ ـ لَا خَطَأَ فِي التَّمْثِيلِ ـ: لِمَاذَا لَا تُصَلِّي؟. فَقَالَ هُوَ: إِنَّ فِي الْقُرْآنِ، ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلٰوةَ﴾؛ فَقَالُوا لَهُ: اقْرَأْ وَرَاءَهُ، يَعْنِي: ﴿وَأَنْتُمْ سُكَارٰى﴾؛ فَقَالَ عِنْدَئِذٍ: إِنِّي لَسْتُ حَافِظاً.. وَسَيُرَى ثَلَاثُونَ أَوْ أَرْبَعُونَ مِثَالاً لِهٰذَا، فِي دِفَاعِي الَّذِي سَأُقَدِّمُ، عِنْدَمَا يُقَايَسُ بِذٰلِكَ الِادِّعَاءِ..

فَأُبَيِّنُ وَاقِعَةً لَطِيفَةً مِنْ هٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ؛ وَهِيَ: أَنَّ مَقَامَ الِادِّعَاءِ كَيْفَمَا كَانَ، اسْتَعْمَلَ فِي

مَحْكَمَةِ «أَسْكِيشَهِر» نَتِيجَةَ سَهْوٍ مَّا ، تَعْبِيراً لِدُرُوسِ «رِسَالَةِ النُّورِ» الْإِيمَانِيَّةِ ، مِثْلَ قَوْلِهِ : «إِنَّهَا تُفْسِدُ النَّاسَ» ؛ وَتَخَلّى بَعْدَئِذٍ عَنْ ذٰلِكَ التَّعْبِيرِ ؛ مَعَ أَنَّ شَخْصاً مُسَمًّى بِعَبْدِ الرَّزَّاقِ مِنْ تَلامِذَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، قَالَ بَعْدَ سَنَةٍ مِنَ الْمَحْكَمَةِ : أَيُّهَا الشَّقِيُّ ! إِنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» الَّتِي هِيَ مَظْهَرٌ لِتَقْدِيرِ إِشَارَاتِ ثَلاثٍ وَثَلاثِينَ آيَةً مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ وَتَحَقَّقَتْ قِيمَتُهَا الدِّينِيَّةُ بِإِخْبَارِ ثَلاثِ كَرَامَاتٍ لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ (رضي الله عنه) ، إِخْبَاراً غَيْبِيّاً ، وَبِإِخْبَارِ الْغَوْثِ الْأَعْظَمِ (قدس سره) ، بِوَجْهٍ قَوِيٍّ ؛ وَلَمْ يَمَسَّ أَيُّ ضَرَرٍ لَهَا ، الْإِدَارَةَ ، خِلالَ هٰذِهِ الْأَعْوَامِ الْعِشْرِينَ ؛ وَلَمْ تُورِثْ أَحَداً أَيَّ ضَرَرٍ أَصْلاً ؛ مَعَ أَنَّهَا نَوَّرَتْ وَأَرْشَدَتْ آلافاً مِنْ أَوْلادِ الْوَطَنِ ؛ وَقَوَّتْ إِيمَانَهُمْ ؛ وَأَقَامَتْ أَخْلاقَهُمْ ، تَقُولُ لِإِرْشَادِهَا : إِفْسَادٌ ؛ فَلا تَخْشَى اللهَ ، شُلَّ لِسَانُكَ . . وَالْآنَ : إِنَّ مَقَامَ الِادِّعَاءِ ، مَعَ أَنَّهُ رَأَى هٰذَا الْكَلامَ الْمُحِقَّ ، لِهٰذَا التِّلْمِيذِ ؛ فَأُحِيلُ عَلَى إِنْصَافِكُمْ وَوِجْدَانِكُمْ ، تَعْبِيرَهُ بِأَنَّ «سَعِيداً» نَثَرَ حَوْلَهُ الْفَسَادَ . .

وَقَالَ مَقَامُ الِادِّعَاءِ ، بِفِكْرِ الِاعْتِرَاضِ عَلَى دُرُوسِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، الِاجْتِمَاعِيَّةِ : إِنَّ عَرْشَ الدِّينِ وَمَقَامَهُ ، هُوَ الْوِجْدَانُ ؛ فَلا يُرْبَطُ بِالْحُكْمِ وَالْقَانُونِ ؛ وَقَدْ حَصَلَتْ نِزَاعَاتٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ ، بِرَبْطِهِ بِهِمَا مُنْذُ الْقَدِيمِ . .

فَأَنَا أَقُولُ : إِنَّ الدِّينَ لَيْسَ هُوَ الْإِيمَانَ فَقَطْ ؛ بَلْ إِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ أَيْضاً ، هُوَ الْجُزْءُ الثَّانِي لِلدِّينِ . فَيَا عَجَباً ! هَلْ يَكْفِي خَوْفُ السِّجْنِ ، وَتَوَهُّمُ مُشَاهَدَةِ أَحَدِ جَوَاسِيسِ الْحُكُومَةِ فَقَطْ ، لِأَجْلِ زَجْرِ مُرْتَكِبِي كَبَائِرَ كَثِيرَةٍ تُسَمِّمُ الْحَيَاةَ الِاجْتِمَاعِيَّةَ ، مِثْلِ الْقَتْلِ وَالزِّنَا وَالسَّرِقَةِ وَالْمَيْسِرِ وَالْخَمْرِ ؟ فَحِينَئِذٍ يَلْزَمُ وُجُودُ شُرْطِيٍّ وَجَاسُوسٍ دَائِماً ، فِي كُلِّ بَيْتٍ ، بَلْ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ ؛ حَتّى تَكُفَّ النُّفُوسُ الْأَمَّارَةُ ، أَنْفُسَهَا عَنْ تِلْكَ الْخَبَائِثِ . هٰذَا ، فَإِنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» ، تَنْصِبُ حَارِساً مَعْنَوِيّاً فِي رَأْسِ كُلِّ أَحَدٍ ، كُلَّ وَقْتٍ ، مِنْ جَانِبِ الْإِيمَانِ ، فِي نُقْطَةِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ؛ وَتُنْقِذُهُ بِسُهُولَةٍ عَنِ السَّيِّئَاتِ ، بِتَذْكِيرِ سِجْنِ جَهَنَّمَ ، وَالْغَضَبِ الْإِلٰهِيِّ . .

وَأَيْضاً إِنَّ مَقَامَ الِادِّعَاءِ ، بَيَّنَ أَمَارَةً لا مَعْنَى لَهَا ، عَلَى أَنَّهُمْ أَفْرَادُ جَمْعِيَّةٍ ، بِالتَّوْقِيعِ عَلَى تَوَافُقِ رِسَالَةٍ ، تَوَافُقاً جَمِيلاً وَشَبِيهاً بِالْكَرَامَةِ فَوْقَ الْعَادَةِ . فَيَا عَجَباً ! هَلْ يُعْطَى عُنْوَانُ الْجَمْعِيَّةِ

لِهٰذَا النَّوْعِ مِنَ التَّوْقِيعَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي دَفَاتِرِ التُّجَّارِ وَأَصْحَابِ الْخَانَاتِ ؟ . وَقَدْ حَصَلَ وَهْمٌ مِثْلُ هٰذَا بِعَيْنِهِ فِي «أَسْكِيشَهِرَ» ؛ فَحِينَمَا أَجَبْتُهُمْ وَأَرَيْتُهُمْ رِسَالَةَ «الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ» ؛ اسْتَقْبَلُوهَا بِتَعَجُّبٍ . فَلَوْ كَانَتْ بَيْنَنَا جَمْعِيَّةٌ دُنْيَوِيَّةٌ ؛ لَكَانَ الَّذِينَ رَأَوُا الضَّرَرَ مِنْ أَجْلِي ، فَرُّوا عَنِّي بِكَمَالِ النَّفْرَةِ قَطْعاً . إِذاً فَكَمَا أَنَّ لِي وَلَنَا ارْتِبَاطاً بِالْإِمَامِ الْغَزَّالِيِّ ، لَا يَنْفَصِمُ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ فَإِنَّ هٰؤُلَاءِ الْمُتَدَيِّنِينَ الْأَبْرِيَاءَ وَالْأَصْفِيَاءَ الْخَالِصِينَ ، أَظْهَرُوا عَلَاقَةً قَوِيَّةً بِبَائِسٍ مِثْلِي ، لِأَجْلِ دُرُوسِ الْإِيمَانِ ؛ فَأَوْرَثَ مِنْ ذٰلِكَ ، وَهْمَ جَمْعِيَّةٍ سِيَاسِيَّةٍ مَوْهُومَةٍ لَا أَصْلَ لَهَا . . وَآخِرُ كَلَامِي : ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ . .

اَلْمُعْتَقَلُ فِي السِّجْنِ الْمُفْرَدِ : سَعِيدُ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

هٰذَا الْقِسْمُ الْآتِي مُهِمٌّ جِدّاً . .

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ . .

جُزْءٌ مُهِمٌّ مِنَ الْكَلَامِ الْأَخِيرِ . .

أَيُّهَا السَّادَةُ ، وَالرَّئِيسُ الْكَرِيمُ ! . اِحْذَرُوا ! فَإِنَّ الْحُكْمَ عَلَى «رِسَالَةِ النُّورِ» وَتَلَامِذَتِهَا ، يَصِيرُ فِي حُكْمِ جَعْلِ الْحَقِيقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَالْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ، مَحْكُومَةً بِحِسَابِ الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ ؛ فَهُوَ بِذٰلِكَ ، سَعْيٌ لِسَدِّ الْجَادَّةِ الْكُبْرَى الَّتِي سَلَكَ فِيهَا ثَلَاثُمِئَةِ مِلْيُونٍ ، كُلَّ سَنَةٍ ، مُنْذُ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةِ عَامٍ ، وَسَدٌّ جَادَّةَ ثَلَاثِمِئَةِ مِلْيَارٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، الَّتِي تَذْهَبُ إِلَى الْحَقِيقَةِ وَإِلَى سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ ؛ وَذٰلِكَ اجْتِلَابٌ لِنَفْرَتِهِمْ وَاعْتِرَاضِهِمْ عَلَيْكُمْ ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ يَأْتُونَ فَيَذْهَبُونَ فِي تِلْكَ الْجَادَّةِ ، يُعِينُونَ بِدَعَوَاتِهِمْ وَحَسَنَاتِهِمْ ، الَّذِينَ أَتَوْا فَذَهَبُوا فِيهَا ؛ وَأَيْضاً إِنَّ ذٰلِكَ ، وَسِيلَةٌ لِانْفِجَارِ قِيَامَةٍ ، عَلَى رَأْسِ هٰذَا الْوَطَنِ الْمُبَارَكِ . . فَيَا عَجَباً ! إِذَا سُئِلْتُمْ فِي الْمَحْكَمَةِ الْكُبْرَى ، تُجَاهَ ثَلَاثِمِئَةِ مِلْيَارٍ مِنْ هٰؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ : «أَنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَمَسُّونَ كِتَابَ الدُّكْتُورِ «دُوزِينَ» ، الْمُسَمَّى بِتَارِيخِ الْإِسْلَامِ بِالْإِفْرِنْجِيَّةِ ، وَكُتُبَ الزَّنَادِقَةِ وَآثَارَهُمْ فِي مَكْتَبَاتِكُمْ ، الَّتِي هِيَ كُلُّهَا مِنَ

أوَّلها إلى آخرها ، مُعَارِضَةٌ لِإسْلامِكُمْ وَوَطَنِكُمْ وَدِينِكُمْ ؛ وَلَمْ تَمَسُّوا قِرَاءَتَهَا الْحُرَّة ، وَجَمْعِيَّات تَلامِذَةِ تِلْكَ الْكُتُبِ ، جَمْعِيَّاتِهِمُ الْمُخَالِفَةَ لِسِيَاسَتِكُمْ ، مِثْلَ الْإِلْحَادِيَّةِ أَوِ الشُّيُوعِيَّةِ أَوِ الْفَوْضَوِيَّةِ أَوْ قِيَادَةِ الْإِفْسَادِ الْقَدِيمَةِ جِدّاً ، أَوِ الطُّورَانِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ ، مَعَ تَشَكُّلِهِمْ بِشَكْلِ الْجَمْعِيَّةِ حَسَبَ قَوَانِينِكُمْ ؛ فَلِمَاذَا مَسَسْتُمُ الَّذِينَ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ عَلاقَةٌ بِأَيَّةِ سِيَاسَةٍ أَصْلاً ؛ وَكَانُوا يَسْلُكُونَ فِي جَادَّةِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ ، الْكُبْرَى فَقَطْ ؛ وَكَانُوا يَقْرَأُونَ كِتَاباً هُوَ حَقٌّ وَحَقِيقَةٌ لِلْغَايَةِ ، مِثْلَ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، الَّتِي هِيَ التَّفْسِيرُ الْحَقِيقِيُّ لِلْقُرْآنِ ، لِأَجْلِ إِنْقَاذِ أَنْفُسِهِمْ وَمُوَاطِنِيهِمْ ، مِنَ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ، وَمِنَ السِّجْنِ الْمُفْرَدِ ؛ فَسَمَّيْتُمْ أُخُوَّةَ أُولَائِكَ الْمُتَدَيِّنِينَ الْخَالِصِينَ ، الَّذِينَ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ مُنَاسَبَةٌ مَعَ أَيَّةِ جَمْعِيَّةٍ أَصْلاً ؛ وَصَدَاقَتَهُمُ الْأُخْرَوِيَّةَ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ ، بِاسْمِ الْجَمْعِيَّةِ ؛ وَجَعَلْتُمُوهُمْ مَحْكُومِينَ ؛ وَأَرَدْتُمُ الْحُكْمَ عَلَيْهِمْ ، بِقَانُونٍ عَجِيبٍ جِدّاً» ؟ فَمَاذَا تُجِيبُونَ حِينَمَا قَالُوا ذَلِكَ ؟ . وَنَحْنُ أَيْضاً نَسْأَلُكُمْ عَنْهُ . . وَإِنَّ الزَّنَادِقَةَ وَالْمُنَافِقِينَ الْمُعَارِضِينَ لَنَا ، الَّذِينَ يُغْفِلُونَكُمْ ؛ وَيُشَوِّشُونَ الْعَدْلِيَّةَ ؛ وَيُشْغِلُونَ الْحُكُومَةَ بِنَا ، فِي صُورَةٍ ضَارَّةٍ بِالْوَطَنِ وَالشَّعْبِ ، هُمْ يَغُرُّونَكُمْ ؛ وَيُشْغِلُونَ الْحُكُومَةَ ؛ وَيُشَتِّتُونَنَا ؛ فَيُنْزِلُونَ ضَرَبَاتٍ بِحِسَابِ الْأَجَانِبِ ، عَلَى الْحَاكِمِيَّةِ الْإِسْلامِيَّةِ ، وَعَلَى الشَّعْبِ وَالْوَطَنِ ، بِتَسْمِيَةِ الِاسْتِبْدَادِ الْمُطْلَقِ بِاسْمِ الْجُمْهُورِيَّةِ ؛ وَبِاتِّخَاذِ الِارْتِدَادِ الْمُطْلَقِ ، تَحْتَ النِّظَامِ ؛ وَبِتَسْمِيَةِ السَّفَاهَةِ الْمُطْلَقَةِ بِاسْمِ الْمَدَنِيَّةِ ؛ وَبِإِطْلاقِ اسْمِ الْقَانُونِ عَلَى جَبْرِ الْكُفْرِ الِاخْتِيَارِيِّ . .

أَيُّهَا السَّادَةُ ! . إِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ عَنِ الْبَلايَا السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ ، الْوَارِدَةِ بِمَحْكُومِيَّتِنَا الْحَاضِرَةِ ، ذَلِكَ بِإِشَارَةِ تَوَافُقِ زَلازِلَ هَائِلَةٍ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ ، تَوَافُقاً تَامّاً لِأَوْقَاتِ التَّعَرُّضِ وَالظُّلْمِ فِي صُورَةٍ شَدِيدَةٍ ، عَلَى تَلامِذَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ؛ وَبِإِشَارَةِ وُرُودِ كُلِّ زَلْزَلَةٍ أَيْضاً فِي زَمَنِ التَّعَرُّضِ تَمَاماً ؛ وَتَوَقُّفِ الزَّلْزَلَةِ ، بِتَوَقُّفِ الْهُجُومِ . .

اَلْمُعْتَقَلُ فِي السِّجْنِ الْمُفْرَدِ ، وَفِي التَّجْرِيدِ الْمُطْلَقِ فِي سِجْنِ (دَنِزْلِي) :

سَعِيدُ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ . .

قِسْمٌ مِنَ الْكَلامِ الأَخِيرِ . .

أَيُّهَا السَّادَةُ ! . بَيْنَمَا كُنْتُ فِي حَيْرَةٍ وَتَعَجُّبٍ كَثِيرٍ ، لِإِصْرَارِكُمْ فِي هٰذِهِ النُّقْطَةِ ، بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ ، مَعَ تَصْدِيقِ أَهْلِ الْخِبْرَةِ فِي «أَنْقَرَة» أَيْضاً مُتَّفِقِينَ ، بِأَجْوِبَتِنَا الْقَاطِعَةِ الْكَثِيرَةِ جِدّاً ، ضِدَّ اتِّهَامِ الْجَمْعِيَّةِ الَّتِي تَسُوقُونَهَا إِلَى الأَمَامِ مُصِرِّينَ جِدّاً ؛ لِتَكُونَ وَسِيلَةً لِمَحْكُومِيَّتِنَا الْمُصَمَّمَةِ لَدَيْكُمْ ، حَسَبَ أَوْضَاعِ مَقَامِ الِادِّعَاءِ ، ذٰلِكَ مِنْ أَجْلِ عَدَمِ مَعْرِفَتِي بِالْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ الْحَاضِرَةِ ؛ وَرَدَ عَلَى قَلْبِي هٰذَا الْمَعْنَى ، وَهُوَ : أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الصَّدَاقَةُ وَالْجَمَاعَةُ وَالِاجْتِمَاعُ الأَخَوِيُّ ، وَالْجَمْعِيَّةُ وَالأُخُوَّةُ الصَّمِيمَةُ الأُخْرَوِيَّةُ ، هِيَ حَجَرُ رُكْنٍ لِلْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ؛ وَحَاجَةً ضَرُورِيَّةً لِلْفِطْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ ؛ وَأَلْزَمَ وَأَقْوَى رَابِطَةٍ لِلْحَيَاةِ ، مِنْ حَيَاةِ الأُسْرَةِ ، إِلَى حَيَاةِ الْقَبِيلَةِ وَالأُمَّةِ ، وَالإِسْلامِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ ؛ وَنُقْطَةَ اسْتِنَادٍ ، وَمَدَارَ تَسْلِيَةٍ ، ضِدَّ تَهَاجُمَاتِ أَسْبَابٍ مَادِّيَّةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ مَانِعَةٍ لِإِيفَاءِ وَظَائِفَ إِنْسَانِيَّةٍ وَإِسْلامِيَّةٍ ، وَمَدَارَ ضَرَرٍ وَحَيْرَةٍ يَرَاهَا كُلُّ إِنْسَانٍ فِي الْكَائِنَاتِ ؛ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَاوِمَهَا عَلَى حِدَتِهِ ؛ وَذٰلِكَ مَعَ عَدَمِ وُجُودِ جَبْهَتِهَا السِّيَاسِيَّةِ ؛ وَلَاسِيَّمَا اجْتِمَاعُ تَلامِذَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، فِي دَرْسِ الإِيمَانِ ، اللَّائِقِ بِالتَّقْدِيرِ وَالتَّحْسِينِ الْكَثِيرِ جِدّاً ، الَّذِينَ يَحْمِلُونَ رَفَاقَةً فِي سَبِيلِ الْحَقِيقَةِ ، وَصَدَاقَةً خَالِصَةً فِي دَرْسِ الإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ ، الَّذِي هُوَ وَسِيلَةٌ قَاطِعَةٌ لِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ وَالآخِرَةِ ؛ وَتَسَانُداً ضِدَّ أَشْيَاءِ ضَارَّةٍ بِوَطَنِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ ؛ فَالَّذِينَ يُسَمُّونَ اجْتِمَاعَهُمْ ، بِاسْمِ الْجَمْعِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ ؛ فَإِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، إِمَّا انْخَدَعُوا فِي صُورَةٍ سَيِّئَةٍ لِلْغَايَةِ ؛ أَوْ إِنَّهُ فَوْضَوِيٌّ غَدَّارٌ لِلْغَايَةِ ؛ فَيُعَادِي الإِنْسَانِيَّةَ عَدَاوَةً وَحْشِيَّةً ؛ وَيُعَادِي الإِسْلامِيَّةَ عَدَاوَةً نُمْرُودِيَّةً ؛ وَيُخَاصِمُ الْحَيَاةَ الِاجْتِمَاعِيَّةَ ، بِأَفْسَدِ وَأَرْدَأِ طَوْرِ الْفَوْضَوِيَّةِ ؛ وَيُجَادِلُ ضِدَّ هٰذَا الْوَطَنِ وَالأُمَّةِ ، وَالْحَاكِمِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ ، وَالْمُقَدَّسَاتِ الدِّينِيَّةِ ، مُجَادَلَةً مُرْتَدَّةً وَمُتَمَرِّدَةً وَعَنِيدَةً ؛ وَإِمَّا إِنَّهُ زِنْدِيقٌ خَنَّاسٌ ، يَسْعَى لِقَطْعِ وَإِفْسَادِ عَصَبِ رُوحِ هٰذَا الشَّعْبِ ، بِاسْمِ الأَجَانِبِ ؛ فَيُغْفِلُ الْحُكُومَةَ ؛ وَيُشَوِّشُ الْعَدْلِيَّةَ ؛ لِيُحَوِّلَ أَسْلِحَتَنَا الْمَعْنَوِيَّةَ الَّتِي اسْتَعْمَلْنَاهَا إِلَى الآنِ ، ضِدَّ أُولَائِكَ الشَّيَاطِينِ وَالْفَرَاعِنَةِ وَالْفَوْضَوِيِّينَ ، إِلَى إِخْوَانِنَا وَوَطَنِنَا ؛ أَوْ لِيُؤَدِّي

إِلَىٰ كَسْرِهَا..

اَلْمُعْتَقَلُ : سَعِيدُ النُّورْسِيُّ ، (ﷺ) ..

أَيُّهَا السَّادَةُ ! . اِسْمَحُوا أَنْ أَتَكَلَّمَ عِدَّةَ كَلِمَاتٍ ، ضِدَّ قِيَادَةِ إِفْسَادٍ سِرِّيَّةٍ ، دَخَلَتْ أَشْكَالاً كَثِيرَةً ؛ وَتُهَاجِمُ حَقِيقَةَ الْقُرْآنِ ، وَحَقَائِقَ الْإِيمَانِ ، بِكُلِّ وَسِيلَةٍ ، بِفِكْرِ تَمْزِيقِ هٰذَا الْوَطَنِ ، وَإِفْسَادِ هٰذَا الشَّعْبِ ، بِحِسَابِ الْأَجَانِبِ ، وَبِاسْمِ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ ، مُنْذُ ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، مُخَاطِباً بِهَا مُوَظَّفِينَ لَا إِنْصَافَ وَلَا إِمْعَانَ لَهُمْ ، جَعَلُوهُمْ غِطَاءً لِأَنْفُسِهِمْ فِي مَسْأَلَتِنَا هٰذِهِ ، وَأَصْحَابَ دِعَايَاتِهِمُ الَّذِينَ يُشَوِّشُونَ هٰذِهِ الْمَحْكَمَةَ ، وَهُمْ فِي زِيِّ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَلٰكِنْ أَتَكَلَّمُ مَعَكُمْ ظَاهِراً ، فِي مَحْضَرِكُمْ ..

[وَلٰكِنَّ قَرَارَ الْبَرَاءَةِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي ، أَخَّرَ ذٰلِكَ الْخِطَابَ الرَّهِيبَ..]

اَلْمُعْتَقَلُ فِي التَّجْرِيدِ الْمُطْلَقِ ، وَفِي السِّجْنِ الْمُفْرَدِ :

سَعِيدُ النُّورْسِيُّ ، (ﷺ) ..

لَقَدْ قُلْتُ فِي دِفَاعِيَ الصَّغِيرِ هٰذِهِ الْمَرَّةَ : إِنَّ مَا فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ، مِنَ الشَّفَقَةِ وَالْحَقِيقَةِ وَالْحَقِّ ، مَنَعَتْنَا عَنِ السِّيَاسَةِ ؛ لِأَنَّ الْأَبْرِيَاءَ يَقَعُونَ فِي الْبَلَاءِ ؛ فَنَكُونُ قَدْ ظَلَمْنَاهُمْ.. فَطَلَبَ بَعْضُ الْكِرَامِ ، إِيضَاحَ هٰذَا ..

فَقُلْتُ أَنَا : إِنَّ أَشَدَّ ظُلْمٍ ، وَأَشَدَّ اسْتِبْدَادٍ ، اسْتَوْلَيَا عَلَى الْمَيْدَانِ ، فِي هٰذَا الْعَصْرِ الْحَاضِرِ الْعَاصِفِ ، فِي جِهَةِ الْعُجْبِ وَالْعَصَبِيَّةِ الْعُنْصُرِيَّةِ ، النَّاشِئَةِ مِنَ الْحَضَارَةِ الْغَدَّارَةِ ؛ وَفِي جِهَةِ الِاسْتِبْدَادَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ ، الْوَارِدَةِ عَنِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ ؛ وَالظُّلْمِ التَّابِعِ عَنِ الضَّلَالَةِ ؛ فَإِذَا دَافَعَ أَهْلُ الْحَقِّ عَنْ حَقِّهِ ، بِالْقُوَّةِ الْمَادِّيَّةِ ، فَإِمَّا يُحْرِقُ كَثِيراً مِنَ الْبَائِسِينَ ، بِأَشَدِّ الظُّلْمِ ، بِوَسِيلَةِ الْمُوَالَاةِ ؛ فَيَصِيرُ هُوَ أَيْضاً ، أَظْلَمَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ ؛ وَيَبْقَى مَغْلُوباً ؛ لِأَنَّ أُنَاساً يَتَحَرَّكُونَ وَيَتَعَرَّضُونَ بِالْحِسِّيَّاتِ الْمَذْكُورَةِ ، يَفْتِكُونَ بِعِشْرِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ شَخْصاً ، بِخَطَأِ شَخْصٍ أَوْ

شَخْصَيْنِ ؛ فَيُشَتِّتُونَهُمْ بِوَسَائِلَ عَادِيَّةٍ . وَإِنْ ضَرَبَ أَهْلُ الْحَقِّ ، هُنَاكَ فَقَطْ ، فِي سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْعَدَالَةِ ، يَظْفَرُ بِوَاحِدٍ فَقَطْ ، عِوَضاً عَنْ ثَلاَثِينَ ضَيَاعاً ؛ فَيَبْقَى فِي وَضْعِ الْمَغْلُوبِ . وَإِنْ سَحَقَ أَهْلُ الْحَقِّ ذٰلِكَ ، عِشْرِينَ أَوْ ثَلاَثِينَ بَائِساً أَيْضاً ، بِخَطَإٍ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ ، بِالْقَاعِدَةِ الظَّالِمَةِ ، وَهِيَ الْمُقَابَلَةُ بِالْمِثْلِ ؛ فَحِينَئِذٍ يَفْعَلُونَ أَدْهَشَ ظُلْمٍ ، بِاسْمِ الْحَقِّ .. فَهٰذَا هُوَ السَّبَبُ وَالْحِكْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ ، لِتَجَنُّبِنَا بِغَايَةِ الشِّدَّةِ وَالنَّفْرَةِ ، بِأَمْرِ الْقُرْآنِ ، عَنِ السِّيَاسَةِ ، وَالتَّدَخُّلِ فِي الْإِدَارَةِ . وَإِلاَّ فَإِنَّ فِينَا قُوَّةَ حَقٍّ ، كُنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُدَافِعَ بِهَا عَنْ حَقِّنَا دِفَاعاً تَامّاً وَمُتَكَامِلاً . وَأَيْضاً إِذَا كَانَ كُلُّ شَيْءٍ زَائِلاً وَفَانِياً ؛ وَكَانَ الْمَوْتُ لاَ يَمُوتُ ؛ وَبَابُ الْقَبْرِ لاَ يَنْسَدُّ ؛ وَكَانَتِ الْمَشَقَّةُ تَنْقَلِبُ بِالرَّحْمَةِ ؛ فَإِنَّنَا نَتَوَكَّلُ مَعَ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ ؛ فَنَسْكُتُ . أَمَّا التَّسَبُّبُ لِإِفْسَادِ سُكُوتِنَا ، بِالْإِضْرَارِ وَالْإِجْبَارِ ، فَهُوَ مُضَادٌّ وَمُخَالِفٌ كُلِّيّاً لِلْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ وَالْغَيْرَةِ الْوَطَنِيَّةِ ، وَالْحَمِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ ..

خُلاَصَةُ الْكَلاَمِ : أَنَّهُ لَيْسَ لِأَهْلِ الْحُكُومَةِ ، وَأَهْلِ السِّيَاسَةِ ، وَأَهْلِ الْإِدَارَةِ ، وَالاِنْضِبَاطِ وَالْعَدْلِيَّةِ وَالشُّرْطَةِ ، أَيُّ شَأْنٍ يَشْتَغِلُونَ بِنَا بِسَبَبِهِ . فَإِنْ كَانَ ؛ فَإِنَّمَا يُوجَدُ قِسْمٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ الْأَخْفِيَاءِ ، يَخْدَعُونَ بِشَيْطَنَتِهِمْ ، بَعْضَ الْمُوَظَّفِينَ الرَّسْمِيِّينَ ؛ فَيُوهِمُونَهُمْ ؛ فَيُحَرِّضُونَهُمْ ضِدَّنَا ، بِتَعَصُّبِ الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ الَّذِي لاَ تَسْتَطِيعُ أَيَّةُ حُكُومَةٍ فِي الدُّنْيَا ، أَنْ تُدَافِعَ عَنْهُ ؛ وَلاَ يَسْتَحْسِنُهُ أَيُّ إِنْسَانٍ يَكُونُ عَقْلُهُ فِي رَأْسِهِ ، وَبِتَعَصُّبِ الزَّنْدَقَةِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْمَادِّيَّةِ ، وَالَّتِي هِيَ طَاعُونٌ بَشَرِيٌّ هَائِلٌ ..

فَنَحْنُ نَقُولُ : إِنَّهُمْ إِنْ سَاقُوا ضِدَّنَا ، لاَ عِدَّةَ وَهَّامِينَ مِثْلَ هٰؤُلاَءِ ؛ بَلْ إِنْ سَاقُوا الدُّنْيَا ؛ فَلاَ نَهْرُبُ بِقُوَّةِ الْقُرْآنِ ، وَبِعِنَايَةِ اللّٰهِ ؛ وَلاَ نُسَلِّمُ السِّلاَحَ لِتِلْكَ الزَّنْدَقَةِ ، وَلِذٰلِكَ الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ الاِرْتِدَادِيِّ(١) ..

سَعِيدُ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله عنه) ..

---

(١) وَسَيُنْشَرُ هٰذَا الدِّفَاعُ ، إِنْ شَاءَ اللّٰهُ ، عَلَى الْوَجْهِ اللاَّئِقِ ، فِي زَمَانِهِ الْمُنَاسِبِ ، بِرَحْمَةِ اللّٰهِ تَعَالَى وَتَيْسِيرِهِ .. اَلْمُتَرْجِمُ ، (غفر الله له) ..

اَلشُّعَاعُ الثَّالِثَ عَشَرَ

مُرَاسَلاتٌ قَيِّمَةٌ نَيِّرَةٌ لِلْغَايَةِ، أَرْسَلَهَا حَضْرَةُ الأُسْتَاذِ الإِمَامِ، الْعَلاَّمَةِ بَدِيعِ الزَّمَانِ سَعِيدِ النُّورْسِيِّ، (رضي الله تعالى عنه)، إِلَى تَلاَمِذَةِ النُّورِ؛ وَهٰذِهِ الْمُرَاسَلاتُ الصَّمِيمَةُ، تُظْهِرُ مُجَاهَدَاتِ «رِسَالَةِ النُّورِ» الْمُشْرِقَةَ، إِظْهَاراً لاَمِعاً.. وَسَتُتَرْجَمُ إِنْ شَاءَ اللهُ، فِي فُرْصَةٍ سَانِحَةٍ؛ وَسَتُنْشَرُ فِي وَقْتِهَا الْمُنَاسِبِ، بِعِنَايَةِ اللهِ تَعَالَى، وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ سُبْحَانَهُ..

الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللهِ تَعَالَى: مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلاَزْكِرْدِيُّ، (عليه رحمة الله تعالى)..

اَلشُّعَاعُ الرَّابِعَ عَشَرَ

دِفَاعَاتٌ فِي مَحْكَمَةِ «أَفْيُونَ» . .

﴿ تَتِمَّةٌ مُخْتَصَرَةٌ جِدّاً ، لِإِفَادَتِي : ﴾

أُبَيِّنُ لِمَحْكَمَةِ (أَفْيُونَ) : أَنَّ مُدَاهَمَةَ مَنْزِلِي ، وَاجْتِلَابِي إِلَى الاِسْتِجْوَابِ ، وَاعْتِقَالِي بِدُونِ الْقَانُونِ بِثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ ، مِمَّا هُوَ مَوْجُودٌ فِي إِفَادَتِيَ الْمُقَدَّمَةِ لِأَنْظَارِكُمْ ، وَلِقَانُونِ الْعَدَالَةِ ، هُوَ نَقْضٌ لِحُرْمَةِ ثَلَاثِ مَحَاكِمَ كُبْرَى ؛ وَطَعْنٌ فِي عِزَّتِهَا وَعَدَالَتِهَا ؛ بَلِ اسْتِخْفَافٌ بِهَا ؛ ذٰلِكَ لِأَنَّنَا أُعْطِينَا الْبَرَاءَةَ بِالاِتِّفَاقِ ؛ وَأُعِيدَتْ كُتُبُنَا وَرَسَائِلُنَا ، بَعْدَ مَا دَقَّقَتْ ثَلَاثُ مَحَاكِمَ ، وَثَلَاثُ لِجَانٍ مِنْ أَهْلِ الْخِبْرَةِ ، سَنَتَيْنِ ، كُتُبِي وَرَسَائِلِيَ الْمَكْتُوبَةَ فِي عِشْرِينَ سَنَةً ، تَدْقِيقاً دَقِيقاً . وَبَعْدَ الْبَرَاءَةِ ، كُنْتُ أَكْتُبُ فِي الْأُسْبُوعِ ، رِسَالَةً غَيْرَ ضَارَّةٍ فَقَطْ ، لِبَعْضِ أَصْدِقَائِي ، تَحْتَ تَرَصُّدَاتٍ شَدِيدَةٍ ، وَعُزْلَةٍ فَوْقَ الْعَادَةِ ، ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ ؛ وَكَانَتْ عَلَاقَتِي بِالدُّنْيَا ، شِبْهَ الْمَقْطُوعِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ أَذْهَبْ إِلَىٰ وَطَنِي ، مَعَ إِعْطَاءِ الْحُرِّيَّةِ لِذٰلِكَ . وَإِنَّ تَجْدِيدَ الْقَضِيَّةِ الْآنَ ، مِثْلَ عَدَمِ الاِعْتِبَارِ بِالْأَحْكَامِ الْعَادِلَةِ لِتِلْكَ الْمَحَاكِمِ الثَّلَاثِ ، فِي عَيْنِ الْقَضِيَّةِ ، يَنْقُضُ شَرَفَهَا . وَأَرْجُو مِنْ مَحْكَمَتِكُمْ ، لِلْمُحَافَظَةِ عَلَى اعْتِبَارِ تِلْكَ الْمَحَاكِمِ الَّتِي عَدَلَتْ فِي حَقِّي : أَنْ تَجِدُوا سَبَباً وَمَسْأَلَةً غَيْرَ احْتِمَالِ إِفْسَادِ السَّلَامِ ، وَإِخْلَالِ الْأَمْنِ ، وَدَعْوَةِ الطَّرِيقَةِ وَالْجَمْعِيَّةِ ، وَرِسَالَةِ النُّورِ ، الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْقَضِيَّةِ ؛ فَآخِذُونِي بِهَا ؛ فَإِنَّ تَقَاصِيرِي كَثِيرَةٌ ؛ وَقَدْ عَزَمْتُ أَنَا أَيْضاً ، عَلَى الْقَرَارِ الدَّائِرِ حَوْلَ مُسَاعَدَتِي لَكُمْ ، حَوْلَ مَسْؤُولِيَّتِي ؛ لِأَنِّي قَاسَيْتُ الْعَذَابَ فِي خَارِجِ السِّجْنِ ، أَكْثَرَ مِنَ السِّجْنِ جِدّاً ؛ وَإِنَّ مَدَارَ الرَّاحَةِ لِأَجْلِي الْآنَ ، إِمَّا الْقَبْرُ ، وَإِمَّا السِّجْنُ ؛ فَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ حَقِيقَةً ؛ فَأُذَكِّرُكُمْ أَنَّهُ يَكْفِي التَّعْذِيبُ وَالْإِهَانَاتُ وَالتَّرَصُّدَاتُ الْأَلِيمَةُ بَعْدُ ، فِي السِّجْنِ الْمُفْرَدِ عِشْرِينَ عَاماً ؛ ثُمَّ تَمَسُّ غَيْرَةَ اللهِ ؛ فَتَكُونُ أَسَفاً عَلَى هٰذَا الْوَطَنِ . . وَإِنَّ مَلْجَأَنَا وَمَتْرَسَنَا الْأَحْكَمَ ، هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . . حَسْبِيَ اللهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ . .

إِنَّ هٰذِهِ الْعَرِيضَةَ، هِيَ اعْتِرَاضِي ضِدَّ الادِّعَاءِ، اضْطُرِرْتُ إِلَى التَّقْدِيمِ ثَانِياً؛ وَكَانَتْ قَدْ قُدِّمَتْ إِلَى الْمَحْكَمَةِ؛ وَصُورَتُهَا، إِلَى «أَنْقَرَة» إِلَى الْمَقَامَاتِ، تَحْتَ الاضْطِرَارِ، بَعْدَ السُّكُوتِ، ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً . .

وَلْيَكُنْ مَعْلُوماً : أَنَّهَا خُلاصَةُ دِفَاعٍ صَغِيرٍ، هُوَ عَيْنُ الْحَقِيقَةِ، ذَكَرْتُهُ تِجَاهَ مُدَّعِيَيْنِ عَامَّيْنِ، وَرَئِيسَيْ شُرْطَةِ التَّحَرِّي، جَاؤُوا لِتَحَرِّي مَنْزِلِي ثَلاث مَرَّاتٍ فِي (قَسْطَمُونِي) ؛ وَتِجَاهَ مُدِيرِ الشُّرْطَةِ، وَسِتَّةٍ أَوْ سَبْعَةِ شُرْطَةٍ وَرُؤَسَائِهِمْ فِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ؛ وَتِجَاهَ أَسْئِلَةِ الْمُدَّعِي الْعَامِّ فِي (إِسْپَارْطَة)، وَإِزَاءَ مَحَاكِمِ (دَنِزْلِي) وَ (أَفْيُون) . .

وَذٰلِكَ : أَنِّي قُلْتُ لَهُمْ : إِنَّهُ أَصْبَحَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ، أَوْ عِشْرِينَ عَاماً؛ وَأَنَا أَعِيشُ مُنْزَوِياً؛ وَأَيْضاً أَصْبَحَ ثَمَانِيَ سَنَوَاتٍ؛ وَأَنَا فِي (قَسْطَمُونِي) تِجَاهَ الْمَخْفَرِ؛ وَأَصْبَحَ عِشْرِينَ سَنَةً فِي سَائِرِ الْأَمَاكِنِ أَيْضاً؛ وَأَنَا تَحْتَ الرَّقَابَةِ وَالتَّرَصُّدِ دَائِماً؛ فَتَحَرَّوْا مَنْزِلِي عِدَّةَ مَرَّاتٍ؛ مَعَ أَنَّهُ لَمْ تُشَاهَدْ أَيَّةُ رَشْحَةٍ، وَأَيَّةُ أَمَارَةٍ، مُتَعَلِّقَةٍ بِالدُّنْيَا وَبِالسِّيَاسَةِ. فَلَوْ كَانَتْ لِي حَالٌ مُخْتَلِطَةٌ؛ فَلَمْ تَعْلَمْهَا عَدْلِيَّةُ وَشُرْطَةُ ذٰلِكَ الْبَلَدِ؛ أَوْ كَانَتْ عَلِمَتْهَا؛ فَلَمْ تُبَالِ بِهَا؛ فَإِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ أَكْثَرَ مِنِّي. وَإِنْ لَمْ تُوجَدْ؛ فَلِمَاذَا تَمَسُّونَنِي هٰذِهِ الدَّرَجَةَ، لِضَرَرِ الْوَطَنِ وَالْأُمَّةِ، بِدُونِ لُزُومٍ؛ مَعَ أَنَّهُ لا يُمَسُّ الْمُنْزَوُونَ الْمَشْغُولُونَ بِآخِرَتِهِمْ، فِي الدُّنْيَا كُلِّهَا ؟ .

فَنَحْنُ ــ تَلامِذَةَ «رِسَالَةِ النُّورِ» ــ لا يُمْكِنُ أَنْ نَجْعَلَ «رِسَالَةَ النُّورِ»، أَدَاةً لِتَيَّارَاتِ الدُّنْيَا، بَلْ وَلِلْكَائِنَاتِ. وَأَيْضاً إِنَّ الْقُرْآنَ مَنَعَنَا عَنِ السِّيَاسَةِ بِالشِّدَّةِ. نَعَمْ : إِنَّ وَظِيفَةَ رِسَالَةِ النُّورِ، هِيَ الْخِدْمَةُ لِلْقُرْآنِ، بِبَرَاهِينَ قَوِيَّةٍ وَقَاطِعَةٍ لِلْغَايَةِ، تَأْتِي بِأَشَدِّ زَنَادِقَةِ الْفَلاسِفَةِ تَمَرُّداً، إِلَى الْإِيمَانِ أَيْضاً بِالْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ، ضِدَّ الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ الَّذِي يُهْلِكُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ؛ وَيُحَوِّلُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَوِيَّةَ أَيْضاً إِلَى سُمٍّ رَهِيبٍ؛ فَلِذٰلِكَ لا يُمْكِنُ أَنْ نَجْعَلَ «رِسَالَةَ النُّورِ»، آلَةً لِشَيْءٍ

مًّا أَصْلاً . .

﴿أَوَّلاً :﴾ لاَ بُدَّ مِنْ عَدَمِ تَنْزِيلِ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ ، الشَّبِيهَةِ بِالْأَلْمَاسِ ، إِلىٰ دَرَجَةِ قِطْعَاتِ الزُّجَاجِ ؛ وَمِنْ عَدَمِ الْإِهَانَةِ بِتِلْكَ الْحَقَائِقِ الْقَيِّمَةِ ، بِتَوَهُّمِهَا دِعَايَةً سِيَاسِيَّةً ، فِي نَظَرِ أَهْلِ الْغَفْلَةِ . .

﴿وَثَانِياً :﴾ إِنَّ الشَّفَقَةَ وَالْحَقَّ وَالْحَقِيقَةَ وَالْوِجْدَانَ ، الَّتِي هِيَ أَسَاسُ مَسْلَكِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، مَنَعَتْنَا بِالشِّدَّةِ ، عَنِ السِّيَاسَةِ ، وَعَنِ الْمَسِّ بِالْإِدَارَةِ ؛ لِأَنَّهُ تُوجَدُ سَبْعَةُ أَوْ ثَمَانِيَةُ أَطْفَالٍ وَصِبْيَانٍ وَمَرْضَى ، وَشُيُوخٍ وَأَبْرِيَاءَ ، مُتَعَلِّقِينَ بِمُلْحِدٍ أَوْ مُلْحِدَيْنِ ، اسْتَحَقَّا الصَّفْعَةَ وَالْبَلاَءَ ؛ وَوَقَعَا فِي الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ ؛ فَإِذَا وَرَدَتِ الْمُصِيبَةُ وَالْبَلاَءُ ، تَحْتَرِقُ أُولاَئِكَ الْبَائِسُونَ أَيْضاً ؛ فَلِهٰذَا مُنِعْنَا بِالشِّدَّةِ ، عَنْ الاِخْتِلاَطِ بِالْحَيَاةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ ، لِضَرَرِ الْإِدَارَةِ وَالسَّلاَمِ ، بِطَرِيقِ السِّيَاسَةِ ؛ مَعَ أَنَّ حُصُولَ النَّتِيجَةِ مَشْكُوكٌ أَيْضاً . .

﴿وَثَالِثاً :﴾ إِنَّ خَمْسَةَ أُسُسٍ ، لاَزِمَةٌ وَضَرُورِيَّةٌ ، لِنَجَاةِ الْحَيَاةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ ، لِهٰذَا الْوَطَنِ وَهٰذِهِ الْأُمَّةِ ، عَنِ الْفَوْضَى ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ الْعَجِيبِ : أَوَّلُهَا : الاِحْتِرَامُ ؛ ثَانِيهَا : الرَّحْمَةُ ؛ ثَالِثُهَا : الاِجْتِنَابُ عَنِ الْحَرَامِ ؛ رَابِعُهَا : الْأَمْنُ ؛ خَامِسُهَا : الْإِطَاعَةُ ، تَارِكاً الطَّيْشَانَ . فَحِينَمَا تَنْظُرُ «رِسَالَةُ النُّورِ» ، إِلَى الْحَيَاةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ ؛ تُثَبِّتُ هٰذِهِ الْأُسُسَ الْخَمْسَةَ ؛ وَتُحَكِّمُهَا فِي صُورَةٍ قَوِيَّةٍ وَقُدُسِيَّةٍ ؛ فَتُحَافِظُ عَلىٰ أَسَاسِ الْأَمْنِ ؛ فَالدَّلِيلُ عَلىٰ ذٰلِكَ : هُوَ تَصْيِيرُ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، مِئَةَ أَلْفِ إِنْسَانٍ ، إِلىٰ حَالِ أَعْضَاءٍ نَافِعَةٍ ، غَيْرِ ضَارَّةٍ بِالْوَطَنِ وَالْأُمَّةِ ، خِلاَلَ هٰذِهِ السِّنِينَ الْعِشْرِينَ ؛ وَإِنَّ الشَّاهِدَ لِهٰذَا ، هُوَ وِلاَيَةُ (إِسْپَارْطَةَ) وَ (قَسْطَمُونِي) . إِذاً فَإِنَّ الَّذِينَ يَمَسُّونَ أَجْزَاءَ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، بِالْأَكْثَرِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ، يَخْتَانُونَ الْوَطَنَ وَالْأُمَّةَ ، وَالْحَاكِمِيَّةَ الْإِسْلاَمِيَّةَ ، عَلىٰ كُلِّ حَالٍ ، بِحِسَابِ الْفَوْضَى ، عِلْماً أَوْ بِدُونِ عِلْمٍ . وَإِنَّ الضَّرَرَ الْمَوْهُومَ ، لِرِسَالَتَيْنِ أَوْ ثَلاَثِ رَسَائِلَ تُتَوَهَّمُ قَاصِرَةً فِي النَّظَرِ السَّطْحِيِّ لِأَهْلِ الْغَفْلَةِ الْوَهَّامِينَ ، لاَ يُزَيِّفُ مِئَةً وَثَلاَثِينَ فَائِدَةً وَحَسَنَةً كَبِيرَةً لِهٰذَا الْوَطَنِ ، مِنْ فَوَائِدِ الرَّسَائِلِ الْمِئَةِ وَالثَّلاَثِينَ ، مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَمَنْ يُزَيِّفُ أُولاَئِكَ بِهٰؤُلاَءِ ؛ فَهُوَ ظَالِمٌ مُتَعَسِّفٌ فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ . . أَمَّا نَقَائِصُ شَخْصِيَ الَّذِي

لَا أَهَمِّيَّةَ لَهُ ؛ فَأَقُولُ كَارِهاً بِاضْطِرَارٍ : إِنَّ إِنْسَاناً قَضَى الْحَيَاةَ مُنْزَوِياً وَمُنْفَرِداً ، فِي حُكْمِ السِّجْنِ الْمُنْفَرِدِ ، فِي الْغُرْبَةِ ، فِي مُدَّةِ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ عَاماً ؛ وَلَمْ يَذْهَبْ بِاخْتِيَارِهِ فِي غُضُونِ هٰذِهِ الْمُدَّةِ ، إِلَى الشَّارِعِ وَإِلَى جَوَامِعَ كَبِيرَةٍ هِيَ مَجْمَعُ النَّاسِ ، دَفْعَةً وَاحِدَةً ؛ وَقَدْ ضُويِقَ وَضُوغِطَ كَثِيراً ؛ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُرَاجِعِ الْحُكُومَةَ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، لِأَجْلِ اسْتِرَاحَتِهِ ، مُخَالِفاً لِجَمِيعِ أَمْثَالِهِ مِنَ الْمَنْفِيِّينَ ؛ وَلَمْ يَقْرَأْ جَرِيدَةً مَّا ؛ وَلَمْ يَسْتَمِعْ لَهَا ؛ وَلَمْ يَتَطَلَّعْ إِلَيْهَا ، خِلَالَ عِشْرِينَ عَاماً ؛ وَلَمْ يَعْلَمْ مَا فِي سَطْحِ كُرَةِ الْأَرْضِ مِنْ صِرَاعَاتٍ وَحُرُوبٍ ؛ وَهَلْ حَصَلَ السِّلْمُ أَوْ لَمْ يَحْصُلْ ؛ وَمَنْ يَتَحَارَبُونَ بَعْدُ ؛ وَلَمْ يَغْتَمَّ لَهَا ؛ وَلَمْ يَسْأَلْ عَنْهَا ، بِشَهَادَةِ جَمِيعِ أَصْدِقَائِهِ الْمُقَرَّبِينَ وَالْمُجْتَمِعِينَ بِهِ ، سَنَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ فِي (قَسْطَمُونِي) ، وَسَبْعَ سَنَوَاتٍ فِي سَائِرِ مَنَافِيهِ ؛ وَلَمْ يَسْتَمِعْ لِلْمِذْيَاعِ النَّاطِقِ فِي قُرْبِهِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ ، غَيْرَ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ ؛ وَيُثْبِتُ بِشَهَادَةِ مِئَةِ أَلْفِ شَاهِدٍ أَنْقَذَ إِيمَانَهُ بِرِسَالَةِ النُّورِ : أَنَّهُ يُقَاوِمُ بِهَا مُقَاوَمَةً غَالِبَةً ، ضِدَّ الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ الَّذِي يُهْلِكُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ ؛ وَيُحَوِّلُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَوِيَّةَ أَيْضاً إِلَى أَلَمٍ فِي أَلَمٍ ، وَإِلَى عَذَابٍ فِي عَذَابٍ ؛ وَإِنَّهُ حَوَّلَ الْمَوْتَ إِلَى تَذْكِرَةِ التَّسْرِيحِ مِنَ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ، فِي حَقِّ مِئَةِ أَلْفِ إِنْسَانٍ ، بِرِسَالَةِ النُّورِ الْمُتَرَشِّحَةِ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَأَيُّ قَانُونٍ يُوجَدُ ؛ وَأَيَّةُ مَصْلَحَةٍ تُوجَدُ ، لِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الْمِسَاسِ وَالْإِيْيَاسِ ، وَلِإِبْكَاءِ مِئَاتِ الْآلَافِ مِنْ إِخْوَانِهِ الْأَبْرِيَاءِ أُولَائِكَ ، بِإِبْكَائِهِ هُوَ ؟ أَفَلَا يَكُونُ غَدْراً بِلَا مِثْلٍ ، بِاسْمِ الْعَدَالَةِ ؟ أَوَ لَيْسَ مُخَالَفَةً قَانُونِيَّةً بِلَا مِثْلٍ ، بِحِسَابِ الْقَانُونِ ؟.

فَإِنْ قُلْتُمْ ، كَمَا اعْتَرَضَ بَعْضُ الْمَأْمُورِينَ الْمُوَظَّفِينَ فِي هٰذِهِ التَّحَرِّيَاتِ : إِنَّكَ وَوَاحِدَةً أَوِ اثْنَتَيْنِ مِنْ رَسَائِلِكَ ، تَسْلُكُونَ مُخَالِفِينَ لِلنِّظَامِ وَلِدَسَاتِيرِنَا . .

فَالْجَوَابُ : ﴿أَوَّلاً :﴾ أَنَّهُ لَا حَقَّ أَصْلاً ، لِدُخُولِ دَسَاتِيرِكُمُ الْجَدِيدَةِ هٰذِهِ ، فِي زَوَايَا الْمُنْزَوِينَ . .

﴿ثَانِياً :﴾ أَنَّ رَدَّ شَيْءٍ ، وَعَدَمَ قَبُولِهِ قَلْباً ، مُخْتَلِفَانِ ؛ وَأَنَّ عَدَمَ الْعَمَلِ بِهِ ، مُخْتَلِفٌ كُلِّيّاً . فَأَهْلُ الْحُكُومَةِ يَنْظُرُ إِلَى الْيَدِ ؛ وَلَا يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ . وَيُوجَدُ فِي كُلِّ حُكُومَةٍ ، مُخَالِفُونَ أَشِدَّاءُ لَا يَمَسُّونَ الْإِدَارَةَ وَالْأَمْنَ ؛ حَتَّى إِنَّ النَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ حَاكِمِيَّةِ «حَضْرَةِ عُمَرَ» ،

(رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) ، كَانُوا لا يُمَسُّونَ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُنْكِرُونَ قَانُونَ الشَّرِيعَةِ وَالْقُرْآنِ . فَإِذَا لَمْ يَقْبَلْ عِلْماً ، بَعْضُ تَلامِذَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، النِّظَامَ وَدَسَاتِيرَكُمْ ؛ وَعَمِلُوا بِخِلافِهَا ، بِدُسْتُورِ حُرِّيَّةِ الْفِكْرِ ، وَحُرِّيَّةِ الْوِجْدَانِ ؛ بَلْ وَإِنْ عَادَوْا صَاحِبَ النِّظَامِ ، بِشَرْطِ عَدَمِ الْمَسِّ بِالْإِدَارَةِ ، فَلا يُمَسُّونَ قَانُوناً ؛ أَمَّا الرَّسَائِلُ ، فَقُلْنَا لِمِثْلِ تِلْكَ الرَّسَائِلِ : إِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ ؛ وَمَنَعْنَا نَشْرَهَا ؛ حَتّٰى إِنَّ الرِّسَالَةَ الْمُسَبِّبَةَ لِهٰذِهِ الْحَادِثَةِ ، فِي هٰذِهِ الْمَرَّةِ ، أَتَانِي أَحَدٌ بِنُسْخَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، خِلالَ ثَمَانِي سَنَوَاتٍ فِي (قَسْطَمُونِي) ؛ فَغَيَّبْنَاهَا فِي الْيَوْمِ عَيْنِهِ ؛ وَالْآنَ إِنَّكُمْ تُشَهِّرُونَهَا بِالْإِجْبَارِ ؛ وَقَدِ انْتَشَرَتْ أَيْضاً . .

وَمَعْلُومٌ : أَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي رِسَالَةٍ خَطَأٌ ، تُعَدَّلُ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ الْخَاطِئَةُ فَقَطْ ؛ وَيُؤْذَنُ لِبَاقِيهَا . . وَإِنَّ مُصَادَفَتَهُمْ خَمْسَ عَشْرَةَ كَلِمَةً فَقَطْ ، هِيَ مَدَارُ الانْتِقَادِ ، فِي مِئَةِ رِسَالَةٍ مِنْ «رَسَائِلِ النُّورِ» ، فِي نَتِيجَةِ التَّدْقِيقَاتِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، فِي مَحْكَمَةِ (أَسْكِيشَهِر) ؛ وَإِنَّ وُجُودَ تَفْسِيرِ آيَاتِ الْمِيرَاثِ وَالْحِجَابِ ، الَّذِي أُلِّفَ قَبْلَ ثَلاثِينَ عَاماً ، وَجُودَهُ الْآنَ فِي صَحِيفَتَيْنِ فَقَطْ مِنْ «ذِي الْفَقَارِ» ، الَّذِي هُوَ أَرْبَعُمِئَةِ صَحِيفَةٍ ؛ وَإِنَّ عَدَمَ مُوَافَقَتِهِ لِقَانُونِ الْحَضَارَةِ الْحَاضِرَةِ ، يُثْبِتُ قَطْعاً : أَنَّ هَدَفَهُ لَيْسَ الدُّنْيَا ؛ وَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ؛ فَلا يُصَادَرُ «ذُو الْفَقَارِ» ، ذٰلِكَ النَّافِعُ لِكُلِّ أَحَدٍ ، الَّذِي هُوَ أَرْبَعُمِئَةِ صَحِيفَةٍ ، لِأَجْلِ صَحِيفَتَيْنِ ؛ فَلْتُنْزَعْ تَانِكَ الصَّحِيفَتَانِ ؛ وَلْتُعَدْ مَجْمُوعَتُنَا تِلْكَ إِلَيْنَا . وَإِنَّ إِعَادَتَهَا ، هِيَ حَقُّنَا . .

فَإِنْ ظَنَنْتُمُ الْإِلْحَادَ نَوْعاً مِنَ السِّيَاسَةِ ؛ فَقُلْتُمْ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي هٰذِهِ الْحَادِثَةِ : إِنَّكَ تُفْسِدُ حَضَارَتَنَا وَلَذَّتَنَا ، بِرَسَائِلِكَ هٰذِهِ . .

فَأَقُولُ أَنَا : إِنَّ قَوْلَهُمْ : «لا تَعِيشُ أُمَّةٌ مُلْحِدَةٌ» ، دُسْتُورٌ عُمُومِيٌّ حَسَبَ الدُّنْيَا ؛ وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ كُفْراً مُطْلَقاً ؛ فَقَدْ أَثْبَتَ «دَلِيلُ الشَّبِيبَةِ» مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، فِي صُورَةٍ قَاطِعَةٍ لِلْغَايَةِ : أَنَّهُ يُورِثُ فِي الدُّنْيَا أَيْضاً ، عَذَاباً أَشَدَّ أَلَماً مِنْ جَهَنَّمَ . وَإِنَّ تِلْكَ الرِّسَالَةَ قَدْ طُبِعَتِ الْآنَ رَسْماً ؛ فَإِنَّ مُسْلِماً إِنِ ارْتَدَّ ــ الْعِيَاذُ بِاللهِ ــ يَقَعُ فِي الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ ؛ فَلا يَبْقَى فِي الْكُفْرِ الْمَشْكُوكِ الَّذِي يُعِيشُهُ بِدَرَجَةٍ مَّا ؛ وَلا يَكُونُ مِثْلَ مُلْحِدِي الْأَجَانِبِ

أَيْضاً ؛ وَيَسْقُطُ أَسْفَلَ مِئَةَ دَرَجَةٍ مِنَ الْحَيَوَانِ ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَاضٍ وَمُسْتَقْبَلٌ ، فِي نُقْطَةِ لَذَّةِ الْحَيَاةِ ؛ لِأَنَّ مَوْتَ الْمَوْجُودَاتِ الْمَاضِيَةِ وَالْآتِيَةِ ، وَمُفَارَقَتَهَا الْأَبَدِيَّةَ ، تُمْطِرُ عَلَىٰ قَلْبِهِ دَائِماً ، آلَاماً وَفِرَاقَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا ، بِجِهَةِ ضَلَالَتِهِ . . فَإِنْ أَتَى الْإِيمَانُ ؛ وَدَخَلَ الْقَلْبَ ، فَإِذَا بِأُولَائِكَ الْأَحْبَابِ بِلَا حَدٍّ ، يَحْيَوْنَ ؛ فَيَقُولُونَ بِلِسَانِ حَالِهِمْ : إِنَّنَا لَمْ نَمُتْ وَلَمْ نَهْلَكْ ؛ فَتَتَحَوَّلُ تِلْكَ الْحَالَةُ الْجَهَنَّمِيَّةُ ، إِلَىٰ لَذَّةِ الْجَنَّةِ . . فَإِذَا كَانَتْ هٰذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةَ ، فَأُذَكِّرُكُمْ أَنْ لَا تُبَارِزُوا «رِسَالَةَ النُّورِ» الْمُسْتَنِدَةَ إِلَى الْقُرْآنِ ؛ فَإِنَّهَا لَا تَصِيرُ مَغْلُوبَةً ؛ وَتُصْبِحُ أَسَفاً عَلَىٰ هٰذَا الْوَطَنِ(١) ؛ فَإِنَّهَا تَذْهَبُ إِلَىٰ مَكَانٍ آخَرَ ؛ فَتُنَوِّرُهُ أَيْضاً . . وَكَذَا إِنْ وُجِدَتْ لِي رُؤُوسٌ عَدَدَ أَشْعَارِي فِي رَأْسِي ؛ فَقُطِعَ كُلَّ يَوْمٍ ، وَاحِدٌ مِنْهَا ؛ فَلَا أَخْضَعُ لِلزَّنْدَقَةِ وَالْكُفْرِ الْمُطْلَقِ ، بِهٰذَا الرَّأْسِ الَّذِي هُوَ فِدَاءٌ لِلْحَقِيقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ وَلَا أُعْرِضُ ؛ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ أُعْرِضَ عَنْ هٰذِهِ الْخِدْمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالنُّورِيَّةِ؛ وَإِنَّ مُنْزَوِياً مُنْذُ عِشْرِينَ عَاماً ، لَا يُنْظَرُ إِلَىٰ تَقَاصِيرِهِ الَّتِي فِي الْإِفَادَةِ ؛ وَلَا يُقَالُ : إِنَّكَ خَرَجْتَ إِلَىٰ خَارِجِ الصَّدَدِ ؛ لِأَنَّهُ يُدَافِعُ عَنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» . . وَإِذَا كَانَتْ مَحْكَمَةُ (أَسْكِيشَهِرَ) ، لَمْ تَجِدْ سِوَىٰ مَادَّةٍ أَوْ مَادَّتَيْنِ تَتَعَلَّقَانِ بِجَزَاءٍ خَفِيفٍ ، فِي رِسَالَةٍ أَوْ رِسَالَتَيْنِ فَقَطْ ، بَعْدَ تَدْقِيقِهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، مِئَةَ رَسَائِلَ مُحَرَّمَةٍ وَغَيْرِ مُحَرَّمَةٍ ؛ وَأَدَانَتْ مِنْ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ شَخْصاً ، خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلاً ، سِتَّةَ أَشْهُرٍ ؛ وَقَدْ حَمَلْنَا هٰذَا الْجَزَاءَ أَيْضاً ؛ وَإِذَا كَانَتْ جَمِيعُ أَجْزَاءِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، وَقَعَتْ بِيَدِ حُكُومَةِ (إِسْپَارْطَة) ، قَبْلَ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ ؛ فَأُعِيدَتْ إِلَىٰ أَصْحَابِهَا بَعْدَ التَّدْقِيقِ بِضْعَةَ أَشْهُرٍ ؛ وَإِذَا كَانَتْ رَشْحَةٌ تَتَعَلَّقُ بِالشُّرْطَةِ وَالْعَدْلِيَّةِ ، لَمْ تُوجَدْ فِي التَّحَرِّيَاتِ الشَّدِيدَةِ خِلَالَ ثَمَانِي سَنَوَاتٍ فِي (قَسْطَمُونِي) ، بَعْدَ ذٰلِكَ الْجَزَاءِ ؛ وَإِذَا كَانَ قِسْمٌ مِنْ رَسَائِلِي ، شُوهِدَ فِي التَّحَرِّي الْأَخِيرِ فِي (قَسْطَمُونِي) : أَنَّهَا كَانَتْ مُخَبَّأَةً تَحْتَ رُكَامِ الْحَطَبِ ، قَبْلَ بِضْعِ سِنِينَ ، بِوَجْهٍ لَمْ تَكُنْ تُوجَدُ وَلَا تُنْشَرُ أَصْلاً ؛ وَتَحَقَّقَ ذٰلِكَ حَسَبَ هَيْئَةِ الشُّرْطَةِ ؛ وَإِذَا كَانَ مُدِيرُ الشُّرْطَةِ فِي (قَسْطَمُونِي) وَعَدْلِيَّتُهَا ، وَعَدُونِي قَطْعاً ، عَلَىٰ أَنْ

---

(١) إِنَّ الزَّلَازِلَ الرَّهِيبَةَ ، الْوَارِدَةَ فِي زَمَانِ الْمُبَارَزَةِ ، أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، أَثْبَتَتْ حُكْمَ قَوْلِهِ : إِنَّهَا تُصْبِحُ أَسَفاً . . الْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

يُعِيدُوا إِلَيَّ كُتُبِي غَيْرَ الضَّارَّةِ الْمُخَبَّأَةَ تِلْكَ ؛ مَعَ أَنَّهُ أَتَى أَمْرُ التَّوْقِيفِ مِنْ (إِسْبَارْطَةَ) فَجْأَةً ، فِي الْيَوْمِ الثَّانِي ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ اقْتِدْتُ دُونَ أَنْ أَقْبِضَ أَمَانَاتِي تِلْكَ بَعْدُ ؛ وَإِذَا كَانَتْ مَحَاكِمُ (دَنِزْلِي) وَ (أَنْقَرَة) ، قَدْ بَرَّأَتْنَا وَأَعَادَتْ إِلَيْنَا جَمِيعَ رَسَائِلِنَا ؛ فَإِنَّ اتِّخَاذَ عَدْلِيَّةِ (أَفْيُون) وَمُدَّعِيهَا الْعَامِّ ، مِثْلَ مَحْكَمَةِ (دَنِزْلِي) وَمُدَّعِيهَا الْعَامِّ ، حُقُوقِيَ هٰذِهِ الْمُهِمَّةَ جِدّاً ، إِلَى نَظَرِ الدِّقَّةِ ، هُوَ مُقْتَضَى وَظِيفَتِهِمْ قَطْعاً وَبَتَاتاً ، بِنَاءً عَلَى هٰذِهِ الْحَقَائِقِ السِّتِّ الْمَذْكُورَةِ . وَإِنِّي ذُو أَمَلٍ ؛ وَأَنْتَظِرُ مِنَ الْمُدَّعِي الْعَامِّ الَّذِي يُدَافِعُ عَنِ الْحُقُوقِ الْعَامَّةِ ، أَنْ يُدَافِعَ عَنْ حُقُوقِيَ الشَّخْصِيَّةِ هٰذِهِ أَيْضاً ، الَّتِي جَرَتْ مَجْرَى حُقُوقٍ عَامَّةٍ ذَاتِ أَهَمِّيَّةٍ ، بِمُنَاسَبَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» . .

وَإِنَّ «سَعِيداً الْجَدِيدَ» الَّذِي انْكَفَّ عَنِ الْحَيَاةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ ، مُنْذُ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ عَاماً ؛ وَلا يَعْلَمُ الْقَوَانِينَ الْحَاضِرَةَ ، وَأُسْلُوبَ الدِّفَاعِ ؛ وَقَدَّمَ تِجَاهَ هٰذِهِ الْمَحْكَمَةِ الْجَدِيدَةِ أَيْضاً ، عَيْنَ دِفَاعَاتِهِ فِي مَحَاكِمِ (أَسْكِيشَهِر) وَ (دَنِزْلِي) ، الَّتِي لا تُجْرَحُ ؛ وَهِيَ مِئَةُ صَحِيفَةٍ ؛ وَقَاسَى جَزَاءَ أَخْطَائِهِ إِلَى ذٰلِكَ الزَّمَانِ ؛ وَعَاشَ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي (قَسْطَمُونِي) ، وَفِي (أَمِرْ دَاغِي) ، تَحْتَ التَّرَصُّدِ دَائِماً ، وَفِي شَكْلِ السِّجْنِ الْمُنْفَرِدِ ، يَتْرُكُ الْكَلامَ «لِلسَّعِيدِ الْقَدِيمِ» ، مَعَ السُّكُوتِ . .

وَ «السَّعِيدُ الْقَدِيمُ» يَقُولُ : إِنَّ «السَّعِيدَ الْجَدِيدَ» لا يُكَلِّمُ أَهْلَ الدُّنْيَا ؛ وَلا يَرَى اللُّزُومَ إِلَيْهِ ، دُونَ أَنْ تَكُونَ ضَرُورَةُ الدِّفَاعَاتِ الْقَطْعِيَّةِ ؛ لِأَنَّهُ صَرَفَ وَجْهَهُ مِنَ الدُّنْيَا ؛ وَلٰكِنَّ كَثِيراً مِنَ الْفَلَّاحِينَ وَالْمُتَاجِرِينَ الْأَبْرِيَاءِ ، اعْتُقِلُوا فِي هٰذِهِ الْقَضِيَّةِ ، بِمُنَاسَبَةٍ قَلِيلَةٍ بِنَا ؛ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَتَدَارَكُوا النَّفَقَةَ لِأَهْلِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ ، فِي زَمَنِ الْعَمَلِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ مَسَّ ذٰلِكَ رِقَّتِي ؛ فَأَبْكَانِي مِنْ أَعْمَقِ الْأَعْمَاقِ . فَأُقْسِمُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مُمْكِناً ؛ لَحَمَلْتُ عَلَى نَفْسِي جَمِيعَ مَشَاقِّهِمْ ؛ عَلَى أَنَّهُ إِذَا وُجِدَ خَطَأٌ ؛ فَهُوَ لِي ؛ فَإِنَّهُمْ أَبْرِيَاءُ . هٰذَا ؛ فَإِنِّي أَقُولُ لِأَجْلِ هٰذِهِ الْحَالَةِ الْأَلِيمَةِ ، رَغْمَ سُكُوتِ «السَّعِيدِ الْجَدِيدِ» : إِذَا كَانَ «السَّعِيدُ الْجَدِيدُ» الْيَائِسُ ، يُجِيبُ عَلَى مِئَاتِ أَسْئِلَةٍ غَيْرِ لازِمَةٍ ، مِنْ أَسْئِلَةِ الْمُدَّعِينَ الْعَامِّينَ ، (لِإِسْبَارْطَةَ وَدَنِزْلِي وَأَفْيُونَ) ؛ فَإِنَّ مِنْ حَقِّي أَيْضاً ، أَنْ أَسْأَلَ وِزَارَةَ الدَّاخِلِيَّةِ ؛ وَفِي الْمُقَدِّمَةِ «شُكْرِي قَيَا» ، قَبْلَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَوِزَارَةَ الْعَدْلِيَّةِ الْحَاضِرَةَ ، ثَلاثَةَ أَسْئِلَةٍ ، بِنِيَّةِ الدِّفَاعِ عَنْ حُقُوقِنَا . .

﴿اَلْأَوَّلُ :﴾ بِأَيِّ قَانُونٍ ، كَانَ الْإِضْرَارُ آلافَ اللِّيْرَاتِ ، بِأَشْخَاصٍ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةٍ ، تَحَقَّقَتْ بَرَاءَتُهُمْ بِفَوْزِ الْجَمِيعِ الْبَرَاءَةَ ، سِوَى خَمْسَةَ عَشَرَ بَائِساً ، بَعْدَ تَحْقِيقِ الْمَحْكَمَةِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، بِاعْتِقَالِي وَاعْتِقَالِ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ شَخْصاً ، مِنْ أَجْلِ مُنَاقَشَةٍ لِسَانِيَّةٍ بِدُونِ حَوَادِثَ ، بَيْنَ عَرِيفٍ دَرَكِيٍّ ، وَرَجُلٍ مِنْ (أَكْرِي دِيرَ) لَيْسَ مِنْ تَلَامِذَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ وَكَانَتْ عِنْدَهُ رِسَالَةٌ عَادِيَّةٌ فَقَطْ مِنْ رَسَائِلِنَا ؟ وَبِأَيِّ أُسْلُوبٍ ، كَانَ اسْتِعْمَالُ الْإِمْكَانَاتِ مَكَانَ الْوُقُوعَاتِ ؟ وَبِأَيِّ دُسْتُورِ الْعَدَالَةِ ، كَانَ الْإِضْرَارُ آلافَ اللِّيْرَاتِ ، بِسَبْعِينَ بَائِساً فَازُوا بِالْبَرَاءَةِ ، بَعْدَ التَّدْقِيقِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ فِي (دَنِزْلِي) ؟ .

﴿اَلسُّؤَالُ الثَّانِي :﴾ أَنَّ شَقِيقاً ، لا يَكُونُ مَسْؤُولاً بِخَطَإِ أَخِيهِ الْآخَرِ ، بِالْمِيثَاقِ الْأَسَاسِيِّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ؛ مَعَ أَنَّ اعْتِقَالَنَا فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ ، فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ؛ وَاعْتِقَالَ فَلَّاحِينَ وَمُتَاجِرِينَ كَثِيرِينَ جِدّاً الْآنَ ، فِي هٰذَا الْبَرْدِ الرَّهِيبِ ؛ وَأَنَّ تَشْتِيتَهُمْ وَالْإِضْرَارَ بِهِمْ ، وَبِالْوَطَنِ وَالشَّعْبِ ، مَادَّةً وَمَعْنًى ، آلافَ اللِّيْرَاتِ ، مِنْ أَجْلِ أَوْهَامٍ لا لُزُومَ لَهَا ــ وَذٰلِكَ بِالتَّأْوِيلِ الْخَاطِئِ لِتِلْكَ الرِّسَالَةِ الَّتِي تُنْقِذُ الْإِيمَانَ مِنَ الشُّبُهَاتِ فِي نِقَاطٍ مُهِمَّةٍ ؛ وَتُنْقِذُ مِنَ الْإِنْكَارِ ، قِسْماً مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُتَشَابِهَةِ الَّتِي لا يُفْهَمُ مَعْنَاهَا ؛ وَكُتِبَ أَصْلُهَا مِنْ قَبْلِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ عَاماً ؛ وَوَقَعَتْ بِيَدِي مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، خِلالَ ثَمَانِي سَنَوَاتٍ ؛ وَمَنَعْنَا نَشْرَهَا ؛ لِئَلَّا تُفَسَّرَ خَطَأً ، وَبِوُجُودِ رِسَالَةٍ مُنْتَقِدَةٍ ، فِي حَوَالَيْ (كُوتَاهِيَه) وَ (بَالِيكَسِر) ، وَبِوُجُودِ رِسَالَةٍ صَغِيرَةٍ فِي شَخْصٍ لا نَعْرِفُهُ ، وَفِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنَّا ، بَلْ وَبِوُجُودِ رِسَالَةٍ عَادِيَّةٍ وَقَدِيمَةٍ لَنَا عِنْدَهُ ، وَبِتَسْيِيرِ سَيَّارَتِهِ إِيَّايَ ، وَبِمُنَاسَبَةِ صَدَاقَةٍ لَنَا ، أَوْ بِقِرَاءَتِهِ أَحَدَ كُتُبِي ــ بِقَانُونِ أَيَّةِ عَدَالَةٍ ، وَبِأَيَّةِ مَادَّةٍ قَانُونِيَّةٍ لِلْعَدَالَةِ ، كَانَ ؟ نَطْلُبُ مَعْرِفَةَ تِلْكَ الْقَوَانِينِ ؛ لِئَلَّا نَخْطُوَ خَطَأً . .

نَعَمْ : إِنَّ حَقِيقَةً لِسَبَبٍ مَّا ، لِتَوْقِيفِنَا فِي (دَنِزْلِي) ، وَفِي (أَفْيُونَ) ، هِيَ : أَنَّ «الشُّعَاعَ الْخَامِسَ» الَّذِي أُلِّفَ أَصْلُهُ ، قَبْلَ زَمَنٍ كَثِيرٍ ، إِذْ كُنْتُ فِي «دَارِ الْحِكْمَةِ الْإِسْلامِيَّةِ» وَقَبْلَ ذٰلِكَ ، بِفِكْرِ إِنْقَاذِ إِيمَانِ الْعَوَامِّ ، ضِدَّ مَنْ يُنْكِرُونَ قِسْماً مِنَ الْأَحَادِيثِ ، بِأَنَّ الْعَقْلَ لا

يقْبَلُهَا ، مِنْ أَجْلِ عَدَمِ مَعْرِفَةِ مَعْنَاهَا وَتَأْوِيلِهَا ، إِنْ نَظَرَ إِلَى الدُّنْيَا وَالسِّيَاسَةِ بِفَرْضِ الْمُحَالِ ؛ وَأُلِّفَ فِي هٰذَا الزَّمَانِ ، فَإِذَا كَانَ مَخْفِيّاً ؛ وَلَمْ يُوجَدْ عِنْدَنَا فِي التَّحَرِّيَاتِ ؛ وَكَانَتْ أَخْبَارُهُ الْغَيْبِيَّةُ صَادِقَةً ؛ وَيُزِيلُ الشُّبُهَاتِ الْإِيمَانِيَّةَ ؛ وَلَا يَمَسُّ الْأَمْنَ ؛ وَلَا يُبَارِزُ ؛ وَإِنَّمَا يُخْبِرُ ؛ وَلَا يُعَيِّنُ أَشْخَاصاً ؛ وَيُبَيِّنُ حَقِيقَةً عِلْمِيَّةً ، فِي صُورَةٍ كُلِّيَّةٍ ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ الْحَدِيثِيَّةَ ، إِنْ ظَهَرَتْ مُطَابِقَةً لِقِسْمٍ مِنَ الْأَشْخَاصِ فِي هٰذَا الزَّمَانِ أَيْضاً ؛ وَاتُّخِذَتْ مُحَرَّمَةً تَمَاماً بِالنِّسْبَةِ لَنَا ، قَبْلَ تَشْهِيرِ وَنَشْرِ الْمَحَاكِمِ ؛ لِئَلَّا تَكُونَ سَبَباً لِلْمُنَاقَشَةِ ؛ فَلَا تُشَكِّلُ جُرْماً بِأَيِّ وَجْهٍ ، فِي جِهَةِ الْعَدَالَةِ . . وَأَيْضاً إِنَّ رَدَّ شَيْءٍ مَّا مُخْتَلِفٌ ؛ وَعَدَمَ قَبُولِهِ عِلْماً ، أَوْ عَدَمَ الْعَمَلِ بِهِ مُخْتَلِفٌ كُلِّيّاً . فَنَحْنُ لَا نُعْطِي الْاِحْتِمَالَ لِوُجُودِ قَانُونٍ لِلْعَدْلِيَّاتِ فِي الدُّنْيَا ، حَوْلَ كَوْنِ تِلْكَ الرِّسَالَةِ جُرْماً ، بِأَنَّهَا لَا تَقْبَلُ – عِلْماً – نِظَاماً سَيَأْتِي فِي مُسْتَقْبَلٍ قَرِيبٍ . .

اَلْحَاصِلُ : إِنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» الَّتِي تَسْتَنِدُ إِلَى حَقِيقَةِ الْقُرْآنِ الْعَرْشِيَّةِ ؛ وَتُثْبِتُ دَسَاتِيرَ سَعَادَةِ حَيَاتَيْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ ، بِحُجَجٍ خَارِقَةٍ ، فِي صُورَةٍ بَارِقَةٍ ؛ وَنَجَحَتْ لِقَتْلِ فِكْرٍ كُفْرِيٍّ رَهِيبٍ لِلطَّبِيعِيِّينَ ؛ وَقَطَعَتِ الْكُفْرَ الْمُطْلَقَ بِدَابِرِهِ ، مُنْذُ ثَلَاثِينَ عَاماً ، الَّذِي يُهْلِكُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ ؛ وَيُحَوِّلُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَوِيَّةَ إِلَى سُمٍّ رَهِيبٍ ؛ وَيُفْنِي لَذَّتَهَا ، لَا تَصِيرُ مَسْؤُولَةً بِمَادَّةٍ أَوْ مَادَّتَيْنِ ، لِمِثْلِ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ الصَّغِيرَةِ ؛ بَلْ إِنْ كَانَتْ لَهَا أَلْفُ نَقِيصَةٍ أَيْضاً ؛ فَإِنَّ آلَافَ حَسَنَاتِهَا الْعَظِيمَةِ ، تُعْفِيهَا عَنْهَا ؛ هٰكَذَا نَدَّعِي ؛ وَنَحْنُ مُسْتَعِدُّونَ لِإِثْبَاتِهِ . .

(اَلسُّؤَالُ الثَّالِثُ :) أَنَّ حَصْرَ الْبَائِسِينَ تَحْتَ الْاِعْتِقَالِ ، فِي مَوْسِمِ الْعَمَلِ ، وَفِي الشِّتَاءِ الرَّهِيبِ ، الَّذِينَ خَدَمُونِي لِلرِّضَا الْإِلٰهِيِّ – مِثْلِ أُسْرَةِ (چَالِشْقَانْلَرَ) ، الَّذِينَ آخَوْنِي شَفَقَةً بِشَيْخُوخَتِي ، وَلِكَوْنِي غَرِيباً فِي (أَمِرْ دَاغِي) – وَالَّذِينَ كَتَبُوا عِدَّةَ رَسَائِلَ مِنْهَا ، لِإِنْقَاذِهَا إِيمَانَهُمْ ؛ أَوْ فَعَلُوا خِدْمَةً صَغِيرَةً «لِرِسَالَةِ النُّورِ» ، الَّتِي تَحَقَّقَتْ أَلْفُ مَنَافِعِهَا الْعَظِيمَةِ لِلْوَطَنِ وَالْأُمَّةِ ، بِصَيْرُورَتِهَا وَسِيلَةً لِإِصْلَاحِ مِئَةِ أَلْفِ إِنْسَانٍ ، إِلَى الْآنِ ؛ وَبِعَدَمِ مَسِّ أَهْلِ الْخِبْرَةِ فِي (دِنِزْلِي ، وَأَنْقَرَة) ، مَا سِوَى خَمْسَةَ عَشَرَ سَهْواً ؛ وَبِعَدَمِ مَسِّ الْهَيْئَةِ الْوِزَارِيَّةِ أَيْضاً ، غَيْرَ تَفْسِيرِ آيَتَيْنِ كُتِبَ قَبْلَ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، مِنْ أَجْلِ عَدَمِ مُوَافَقَتِهِ لِلْقَانُونِ الْحَاضِرِ ، فِي صَحِيفَتَيْنِ فَقَطْ ، مِنْ

«ذِي الْفِقَارِ» الَّذِي هُوَ أَرْبَعُمِئَةِ صَحِيفَةٍ، وَبِعَدَمِ مُصَادَفَةِ مَحْكَمَةِ (أَسْكِيشَهِر)، مَا عَدَا خَمْسَ عَشْرَةَ كَلِمَةً فَقَطْ، الَّتِي تُوُهِّمَتْ ضَارَّةً فِي النَّظَرِ الظَّاهِرِ، بَيْنَ مِئَةِ أَلْفِ كَلِمَةٍ، بَعْدَ التَّدْقِيقِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ؛ وَقَدْ كَانَ دُسْتُوراً، أَنَّ خَمْسَ كَلِمَاتٍ فِي عِشْرِينَ كَلِمَةً مِنْ رِسَالَةٍ، إِذَا كَانَتْ خَاطِئَةً، تُعَدَّلُ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ الْخَمْسُ؛ فَيُؤْذَنُ لِبَاقِيهَا؛ فَبِأَيِّ دُسْتُورٍ لِلْحُكُومَةِ الْجُمْهُورِيَّةِ، يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَابِلاً لِلتَّوْفِيقِ؟ وَلِأَيِّ قَانُونِهَا إِمْكَانٌ لِلسَّمَاحِ بِذٰلِكَ؟. وَإِذَا كَانَتْ دَسَاتِيرُ الْجُمْهُورِيَّةِ لَا تَمَسُّ الْمُلْحِدِينَ، بِقَانُونِ حُرِّيَّةِ الْوِجْدَانِ؛ فَإِنَّ اللَّازِمَ، بَلِ الْأَلْزَمَ، هُوَ عَدَمُ الْمَسِّ بِالْمُتَدَيِّنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِوَجْهٍ نَافِعٍ لِآخِرَتِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ، وَلِوَطَنِهِمْ أَيْضاً؛ وَلَا يُبَارِزُونَ أَهْلَ الدُّنْيَا؛ وَلَا يُخَالِطُونَ الدُّنْيَا، بِقَدَرِ مَا يُمْكِنُ.. وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّ أَهْلَ السِّيَاسَةِ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ فِي (آسِيَا)، هٰذِهِ الَّتِي هِيَ مَظْهَرُ الْأَنْبِيَاءِ، لَا يَمْنَعُونَ؛ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمْنَعُوا التَّقْوَى وَالصَّلَاحَ، الَّذِي هُوَ حَاجَةٌ ضَرُورِيَّةٌ مِثْلُ الْغِذَاءِ وَالْعِلَاجِ، لِهٰذِهِ الْأُمَّةِ، مُنْذُ أَلْفِ سَنَةٍ.. وَإِنَّ مُقْتَضَى الْإِنْسَانِيَّةِ، هُوَ عَدَمُ النَّظَرِ إِلَى نَقَائِصِ الْعَائِشِ مُنْزَوِياً مُنْذُ عِشْرِينَ عَاماً، الَّتِي لَا تُنَاسِبُ أُسْلُوبَ تَلَقِّي هٰذَا الزَّمَانِ، فِي هٰذِهِ الْأَسْئِلَةِ، الَّتِي يَسْأَلُهَا بِعَقْلِيَّةِ «السَّعِيدِ الْقَدِيمِ» قَبْلَ عِشْرِينَ سَنَةً..

وَإِنِّي أَقُولُ ـ بِجِهَةِ أَنَّ تَذْكِيرَ هٰذَا أَيْضاً، وَظِيفَةٌ وَطَنِيَّةٌ لِي، بِحِسَابِ مَنْفَعَةِ الْوَطَنِ وَالشَّعْبِ وَالْأَمْنِ ـ: إِنَّ الْإِزْعَاجَ وَالْحَصْرَ تَحْتَ الِاعْتِقَالِ، بِمِثْلِ هٰذِهِ الْمُنَاسَبَةِ الْقَلِيلَةِ بِنَا وَ«بِرِسَالَةِ النُّورِ»، يُمْكِنُ أَنْ يُحَوِّلَ فُضَلَاءَ كَثِيرِينَ جِدّاً، هُمْ مَنْفَعَةٌ دِينِيَّةٌ لِلْوَطَنِ وَالْأَمْنِ، إِلَى مُعَارَضَةِ الْإِدَارَةِ؛ وَيَفْسَحَ الْمَجَالَ لِلْفَوْضَى، مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ.. نَعَمْ: إِنَّ الَّذِينَ أَنْقَذُوا إِيمَانَهُمْ بِرِسَالَةِ النُّورِ؛ وَدَخَلُوا وَضْعاً نَافِعاً تَمَاماً وَبِدُونِ ضَرَرٍ لِلشَّعْبِ، أَكْثَرُ جِدّاً مِنْ مِئَةِ أَلْفٍ؛ وَلَعَلَّهُمْ يُوجَدُونَ فِي كُلِّ دَائِرَةٍ كَبِيرَةٍ لِلْحُكُومَةِ الْجُمْهُورِيَّةِ، وَفِي كُلِّ طَبَقَاتِ الشَّعْبِ، فِي صُورَةٍ مُفِيدَةٍ وَمُسْتَقِيمَةٍ؛ فَالْأَلْزَمُ لَيْسَ إِزْعَاجَ هٰؤُلَاءِ، بَلْ حِمَايَتُهُمْ.. وَيَرِدُ عَلَى بَالِنَا وَهْمٌ قَوِيٌّ، بِأَنَّ قِسْماً مِنْ أَشْخَاصٍ رَسْمِيِّينَ، لَا يَسْتَمِعُونَ لِشَكْوَانَا؛ وَلَا يُنْطِقُونَنَا؛ وَبِالذَّرَائِعِ يُضَايِقُونَنَا، هُمْ يَفْتَحُونَ الْمَيْدَانَ لِلْفَوْضَى ضِدَّ الْوَطَنِ..

وَأَيْضاً أَقُولُ بِاسْمِ مَصْلَحَةِ الْحُكُومَةِ : إِذَا كَانَتْ مَحَاكِمُ (دَنِزْلِي ، وَأَنْقَرَة) ، دَقَّقُوا الشُّعَاعَ الْخَامِسَ ؛ فَلَمْ يَمَسُّوهُ ؛ وَأَعْطَوْنَا إِيَّاهُ ؛ فَإِنَّ مِنَ الضَّرُورِيِّ حَسَبَ الْإِدَارَةِ ، أَنْ لَا يُوضَعَ فِي الرَّسْمِيَّةِ مِنْ جَدِيدٍ ؛ فَيُفْتَحَ الْمَجَالُ لِلدِّعَايَاتِ . فَكَمَا أَسْرَرْنَا تِلْكَ الرِّسَالَةَ ، قَبْلَ أَنْ تَقَعَ بِأَيْدِي الْمَحَاكِمِ ، وَقَبْلَ تَشْهِيرِهِمْ إِيَّاهَا ؛ فَعَلَى حُكُومَةِ (أَفْيُونَ) وَمَحْكَمَتِهَا أَيْضاً ، أَنْ لَا تَجْعَلَهَا مَدَارَ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ ؛ لِأَنَّهَا قَوِيَّةٌ لَا تُرَدُّ ؛ وَأَخْبَرَتْ قَبْلَ الْوُقُوعِ ؛ فَظَهَرَتْ صَادِقَةً ؛ وَأَيْضاً لَيْسَ هَدَفُهَا الدُّنْيَا ؛ فَإِنْ كَانَ ؛ فَإِنَّهَا يُوَافِقُ مَعْنًى مِنْ مَعَانِيهَا الْمُتَعَدِّدَةِ ، شَخْصاً مَاتَ وَفَاتَ . . وَقَدْ أَجْبَرَنِي وِجْدَانِي ، عَلَى التَّذْكِيرِ بِحِسَابِ الْوَطَنِ وَالْأُمَّةِ ، وَالْأَمْنِ وَالْإِدَارَةِ ، بِأَنْ لَا يُوضَعَ ذٰلِكَ الْمَعْنَى وَالْإِخْبَارُ الْغَيْبِيُّ فِي الرَّسْمِيَّةِ ، بِتَعَصُّبِ صَدَاقَتِهِ ؛ وَأَنْ لَا يُفْتَحَ الطَّرِيقُ لِتَشْهِيرِهِ الْأَكْثَرِ ، بِمُؤَاخَذَتِنَا بِهِ . .

إِلَى الْمُدَّعِي الْعَامِّ ، وَرَئِيسِ الْمَحْكَمَةِ وَأَعْضَائِهَا ، فِي (أَفْيُونَ) ! .

أُقَدِّمُ إِلَيْكُمْ أَيْضاً ، عَيْنَ الْأُسُسِ التِّسْعَةِ الَّتِي عَرَضْتُهَا لِلْمُدَافَعَةِ عَنْ حُقُوقِي ، عَلَى عَدْلِيَّةِ (دَنِزْلِي) . . لَقَدْ أَصْبَحَ عِشْرِينَ عَاماً ؛ وَقَدْ تَرَكْتُ الْحَيَاةَ الِاجْتِمَاعِيَّةَ ، وَخَاصَّةً مِثْلَ هٰذِهِ الْحَيَاةِ الرَّسْمِيَّةِ وَالدَّقِيقَةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ ؛ فَلَا أَعْلَمُ وَلَا أَتَصَوَّرُ الْوَضْعَ اللَّازِمَ اتِّخَاذُهُ ، تِجَاهَ تِلْكَ الْأَحْوَالِ ؛ وَيُؤْلِمُنِي جِدّاً تَصَوُّرُهُ ؛ وَلٰكِنْ يُحْتَمَلُ أَنْ تُوجَدَ إِفَادَاتٌ مُخَالِفَةٌ لِلْقَوَانِينِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي لَا أَعْلَمُهَا ، وَتَعَابِيرُ شَدِيدَةٌ تَعُودُ عَلَيَّ بِالضَّرَرِ ، وَعَدَمُ الِانْتِظَامِ ، وَتَكْرَارَاتٌ غَيْرُ لَازِمَةٍ ، وَخَارِجَةٌ عَنِ الصَّدَدِ ، فِي دِفَاعَاتِي وَعَرِيضَتِي هٰذِهِ الَّتِي لَا انْتِظَامَ لَهَا ؛ وَهِيَ خَاتِمَةُ وَخُلَاصَةُ أَجْوِبَةٍ أَجَبْتُ بِهَا بِاضْطِرَارٍ ، عَلَى أَسْئِلَةٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً ، غَيْرِ لَازِمَةٍ وَمُكَرَّرَةٍ وَغَيْرِ مُنْتَظِمَةٍ ، لِشَخْصٍ غَيْرِ مُنْصِفٍ ، فِي مَحْكَمَةٍ أُخْرَى ؛ وَلٰكِنَّهَا إِذَا كَانَتْ تَسْلُكُ عَلَى الْحَقِيقَةِ ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ عَدَمِ النَّظَرِ إِلَى تِلْكَ الْأَخْطَاءِ ، لِأَجْلِ الْحَقِيقَةِ . . وَإِنَّ عَرِيضَتِي وَدِفَاعَاتِي تِلْكَ ، تَسْلُكُ عَلَى تِسْعَةِ أُسُسٍ . .

﴿اَلْأَسَاسُ الْأَوَّلُ :﴾ أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْحُكُومَةُ الْجُمْهُورِيَّةُ لَا تَمَسُّ الْمُلْحِدِينَ وَالسُّفَهَاءَ ،

بِدُسْتُورِ حُرِّيَّةِ الْوِجْدَانِ فِي الْجُمْهُورِيَّةِ ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ عَدَمِ الْمَسَاسِ بِالْمُتَدَيِّنِينَ وَالْمُتَّقِينَ أَيْضاً . وَإِذَا كَانَتْ أُمَّةٌ مُلْحِدَةٌ لَا تَعِيشُ ؛ وَآسِيَا لَا تُشْبِهُ أُورُوبَّا فِي نُقْطَةِ الدِّينِ ؛ وَكَانَ الْإِسْلَامُ لَا يُوَافِقُ النَّصْرَانِيَّةَ فِي جِهَةِ الْحَيَاةِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ ؛ وَلَا يَكُونُ مُسْلِمٌ مُلْحِدٌ شَبِيهاً بِسَائِرِ الْمُلْحِدِينَ ؛ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَسُدَّ أَيُّ رُقِيٍّ وَأَيَّةُ حَضَارَةٍ ، مَسَدَّ الدِّيَانَةِ وَالصَّلَاحِ ، وَخَاصَّةً تَعَلُّمُ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ ، الَّتِي جَرَتْ مَجْرَى احْتِيَاجٍ فِطْرِيٍّ لِلْأُمَّةِ فِي هٰذَا الْوَطَنِ ، الَّتِي دَافَعَتْ دِفَاعاً بُطُولِيّاً عَنْ صَلَابَتِهَا الدِّينِيَّةِ ، ضِدَّ تَهَاجُمَاتِ الدُّنْيَا كُلِّهَا ؛ وَأَنَارَتْ بِدِيَانَتِهَا الدُّنْيَا مُنْذُ أَلْفِ سَنَةٍ ؛ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُنْسِيَهُمْ ذٰلِكَ الِاحْتِيَاجَ ؛ فَإِنَّ حُكُومَةً تَحْكُمُ عَلَى الْأُمَّةِ فِي هٰذَا الْوَطَنِ ، لَا يُمْكِنُ أَنْ تَمَسَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» ، فِي جِهَةِ الْعَدْلِ وَالْقَانُونِ وَالْأَمْنِ ؛ وَعَلَيْهَا أَنْ لَا تُسَبِّبَ الْمَسَاسَ . .

﴿ اَلْأَسَاسُ الثَّانِي : ﴾ أَنَّهُ إِذَا كَانَ رَدُّ شَيْءٍ مُخْتَلِفاً ؛ وَكَانَ عَدَمُ الْعَمَلِ بِهِ شَيْئاً مُخْتَلِفاً كُلِّيّاً ؛ وَيُوجَدُ مُخَالِفُونَ أَشِدَّاءُ فِي كُلِّ حُكُومَةٍ ؛ وَيُوجَدُ الْمُسْلِمُونَ تَحْتَ سِيَادَةِ الْمَجُوسِ ؛ وَكَانَتْ فِي الْحُكُومَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعُمَرِيَّةِ ، تُوجَدُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؛ وَتُوجَدُ فِي كُلِّ حُكُومَةٍ ، الْحُرِّيَّةُ الشَّخْصِيَّةُ لِمَنْ لَا يَمَسُّ الْأَمْنَ وَالْإِدَارَةَ ؛ وَكَانَ لَا يُمَسُّ ؛ وَإِذَا كَانَتِ الْحُكُومَةُ تَنْظُرُ إِلَى الْيَدِ ؛ وَلَا تَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ ؛ وَإِذَا كَانَ مَنْ يُرِيدُ الْمَسَاسَ بِالْأَمْنِ وَالْإِدَارَةِ وَالسِّيَاسَةِ ، سَيَكُونُ ذَا عَلَاقَةٍ بِالْجَرَائِدِ وَحَادِثَاتِ الدُّنْيَا ، عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَدُونَ شُبْهَةٍ أَصْلاً ؛ لِيَعْلَمَ مَا يُعِينُهُ مِنَ التَّيَّارَاتِ وَالْأَوْضَاعِ وَالْأَحْدَاثِ ؛ لِئَلَّا يَخْطُوَ خَطَأً ؛ وَأَمَّا «رِسَالَةُ النُّورِ» ، فَإِنَّهَا مَنَعَتْ تَلَامِذَتَهَا بِدَرَجَةٍ يَعْلَمُ أَحْبَابِي الْمُقَرَّبُونَ : أَنَّهُ أَصْبَحَ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ عَاماً ، لَمْ تُجْبِرْنِي عَلَى تَرْكِ قِرَاءَةِ الْجَرَائِدِ ؛ بَلْ أَجْبَرَتْنِي عَلَى تَرْكِ السُّؤَالِ عَنْهَا ، وَالتَّطَلُّعِ إِلَيْهَا ، وَالتَّفَكُّرِ فِيهَا ؛ وَالْآنَ أَصْبَحَ عَشْرَ سِنِينَ ؛ وَقَدْ كَفَّتْنِي عَنِ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ، فِي دَرَجَةٍ لَمْ أَتَلَقَّ الْخَبَرَ أَصْلاً عَنْ تَيَّارَاتِ الدُّنْيَا وَأَوْضَاعِهَا قَطْعاً ، مَا عَدَا انْهِزَامَ الْأَلْمَانِ ، وَاسْتِيلَاءَ الْبَلْشَفِيَّةِ ؛ فَلَا رَيْبَ وَلَا مِرْيَةَ أَنَّ حِكْمَةَ الْحُكُومَةِ ، وَقَانُونَ السِّيَاسَةِ ، وَدُسْتُورَ الْعَدَالَةِ ، لَا يُمْكِنُ أَنْ تَمَسَّنِي وَأَمْثَالِي مِنْ إِخْوَانِي . وَإِنَّ مَنْ يَمَسُّ ، فَإِمَّا يَمَسُّ مِنْ أَوْهَامِهِ ، أَوْ مِنْ غَرَضِهِ ، أَوْ مِنْ عِنَادِهِ ، عَلَى كُلِّ حَالٍ . .

﴿اَلْأَسَاسُ الثَّالِثُ :﴾ أَنِّي اضطُرِرْتُ لِإعْطاءِ هٰذِهِ التَّفْصِيلاتِ الْمُسْهَبَةِ الْآتِيَةِ ، بِسَبَبِ اعْتِرَاضَاتِ مُدَّعٍ عَامٍّ ، بِدُونِ مَعْنًى وَبِغَيْرِ لُزُومٍ ، لَا بِحِسَابِ الْقَانُونِ ، بَلْ بِحِسَابِ تَعَصُّبِ صَدَاقَةِ شَخْصٍ مَاتَ ، فِي أَسْئِلَتِهِ الدَّائِرَةِ حَوْلَ «الشُّعَاعِ الْخَامِسِ» بِمَعْنًى خَاطِئٍ ، فِي مَحْكَمَتِنَا السَّابِقَةِ . .

(أَوَّلاً :) كُنَّا نَتَّخِذُ هٰذَا «الشُّعَاعَ الْخَامِسَ» مُحَرَّماً ، قَبْلَ الْوُقُوعِ بِيَدِ الْحُكُومَةِ ؛ وَلَمْ يُوجَدْ عِنْدِي فِي جَمِيعِ التَّحَرِّيَاتِ ؛ وَأَيْضاً إِنَّ مَقْصَدَهُ ، هُوَ إِنْقَاذُ إِيمَانِ الْعَوَامِّ عَنِ الشُّبُهَاتِ ، وَإِنْقَاذُ الْأَحَادِيثِ الْمُتَشَابِهَةِ عَنِ الْإِنْكَارِ فَقَطْ ؛ وَيَنْظُرُ بِالتَّبَعِ إِلَى جِهَةِ الدُّنْيَا ، فِي الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ ؛ وَأَيْضاً إِنَّ مَا أَخْبَرَ عَنْهُ مِنَ الْأَخْبَارِ ، صَادِقَةٌ ؛ وَأَيْضاً إِنَّهُ لَا يُبَارِزُ أَهْلَ السِّيَاسَةِ وَالدُّنْيَا ؛ وَإِنَّمَا يُخْبِرُ فَقَطْ ؛ وَأَيْضاً إِنَّهُ لَا يُعَيِّنُ أَشْخَاصاً ؛ فَيُبَيِّنُ حَقِيقَةً حَدِيثِيَّةً فِي صُورَةٍ كُلِّيَّةٍ ؛ وَلٰكِنَّهُمْ طَبَّقُوا تِلْكَ الْحَقِيقَةَ الْكُلِّيَّةَ تَمَاماً ، عَلَى شَخْصٍ مُدْهِشٍ فِي هٰذَا الْعَصْرِ ؛ فَلِذٰلِكَ اعْتَرَضُوا ، بِظَنِّ أَنَّهُ أُلِّفَ جَدِيداً فِي هٰذِهِ السِّنِينَ ؛ وَأَيْضاً إِنَّ أَصْلَ تِلْكَ الرِّسَالَةِ ، أَقْدَمُ مِنْ «دَارِ الْحِكْمَةِ» ؛ وَإِنَّمَا نُظِّمَ بَعْدَ زَمَانٍ ؛ فَدَخَلَتْ «رِسَالَةَ النُّورِ» . .

وَذٰلِكَ : أَنِّي أَتَيْتُ إِلَى «إِسْطَنْبُول» قَبْلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنَ الْآنِ ، وَقَبْلَ سَنَةٍ مِنَ الْحُرِّيَّةِ ؛ فَكَانَ الْقَائِدُ الْأَعْلَى الْيَابَانِيُّ ، سَأَلَ عُلَمَاءَ الْإِسْلَامِ ، بَعْضَ أَسْئِلَةٍ دِينِيَّةٍ ، فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ؛ فَسَأَلَنِي عَنْهَا عُلَمَاءُ إِسْطَنْبُول ؛ وَسَأَلُوا أَشْيَاءَ كَثِيرَةً بِتِلْكَ الْمُنَاسَبَةِ . .

فَمِنْ جُمْلَةِ ذٰلِكَ : أَنَّهُمْ سَأَلُونِي قَائِلِينَ : إِنَّ فِي حَدِيثٍ مَّا : ﴿أَنَّ شَخْصاً مُدْهِشاً فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، يَقُومُ صَبَاحاً ؛ فَيُوجَدُ مَكْتُوباً فِي جَبْهَتِهِ «هٰذَا كَافِرٌ»﴾ : هٰكَذَا يُوجَدُ الْحَدِيثُ . .

فَقُلْتُ : إِنَّ شَخْصاً عَجِيباً يَمْضِي إِلَى رِئَاسَةِ هٰذَا الشَّعْبِ ؛ وَيَقُومُ صَبَاحاً ؛ فَيَلْبَسُ الْقُبَّعَةَ عَلَى رَأْسِهِ ؛ وَيُلْبِسُهَا غَيْرَهُ . .

وَسَأَلُوا هٰذَا ، بَعْدَ جَوَابِي هٰذَا : يَا عَجَباً ! أَلَا يَصِيرُ لَابِسُهَا كَافِراً فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ؟ .

فَقُلْتُ : إِنَّ الْقُبَّعَةَ تَعْلُو الرَّأْسَ ؛ فَتَقُولُ : لَا تَهْوِ إِلَى السُّجُودِ ؛ وَلٰكِنَّ الْإِيمَانَ فِي الرَّأْسِ ، يَأْتِي بِتِلْكَ الْقُبَّعَةِ أَيْضاً إِلَى السُّجُودِ ؛ فَيَجْعَلُهَا مُسْلِماً ، إِنْ شَاءَ اللهُ . .

ثُمَّ قَالُوا : إِنَّ الشَّخْصَ عَيْنَهُ ، يَشْرَبُ مَاءً ؛ فَتَنْثَقِبُ يَدُهُ ؛ وَيُعْلَمُ بِهٰذِهِ الْحَادِثَةِ : إِنَّهُ السُّفْيَانِيُّ . .

فَقُلْتُ أَنَا فِي الْجَوَابِ : يُضْرَبُ مَثَلٌ ؛ فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الْكَثِيرِ الْإِسْرَافِ : يَدُهُ مَثْقُوبَةٌ ؛ يَعْنِي : يُقَالُ إِنَّ الْمَالَ لَا يَمْكُثُ فِي يَدِهِ ؛ فَيَسِيلُ وَيَضِيعُ . هٰذَا ، فَإِنَّ ذٰلِكَ الْإِنْسَانَ الرَّهِيبَ ، يُبْتَلَى بِالْخَمْرِ الَّتِي هِيَ مَاءٌ ؛ فَيَمْرَضُ بِهَا ؛ وَأَنَّهُ هُوَ سَيَدْخُلُ إِسْرَافَاتٍ بِلَا حَدٍّ ؛ وَيُعَوِّدُهَا غَيْرَهُ أَيْضاً . .

ثُمَّ سَأَلَ أَحَدُهُمْ : إِنَّهُ إِذْ يَمُوتُ ، يُنَادِي الشَّيْطَانُ الدُّنْيَا عَلَى الْمِسَلَّةِ فِي إِسْطَنْبُول : أَنَّ فُلَاناً مَاتَ . .

فَقُلْتُ حِينَئِذٍ : يُخْبَرُ عَنْهُ بِالْبَرْقِيَّةِ ؛ وَلٰكِنْ سَمِعْتُ بَعْدَ فَتْرَةٍ : أَنَّهُ ظَهَرَ الْمِذْيَاعُ ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّ جَوَابِي الْقَدِيمَ ، لَمْ يَكُنْ تَامّاً ؛ فَقُلْتُ بَعْدَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ ، إِذْ كُنْتُ فِي «دَارِ الْحِكْمَةِ» : إِنَّهُ تُسْمِعُ الدُّنْيَا بِالْمِذْيَاعِ الشَّبِيهِ بِالشَّيْطَانِ . .

ثُمَّ كَانُوا سَأَلُوا أَسْئِلَةً فِي حَقِّ سَدِّ ذِي الْقَرْنَيْنِ ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَدَابَّةِ الْأَرْضِ ، وَالدَّجَّالِ ، وَنُزُولِ عِيسَى (عليه السلام) ؛ فَكُنْتُ أُجِبْتُهُمْ . حَتّىٰ إِنَّهَا كُتِبَ قِسْمٌ مِنْهَا ، فِي رَسَائِلِي الْقَدِيمَةِ . .

وَبَعْدَ زَمَانٍ اجْتَلَبَنِي «مُصْطَفَى كَمَالٌ» إِلَى «أَنْقَرَة» ، بِالْبَرْقِيَّةِ مَرَّتَيْنِ ، بِوَاسِطَةِ «تَحْسِينِ الْكَرِيمِ» صَدِيقِي وَالْوَالِي الْقَدِيمِ لِوِلَايَةِ (وَان) ، لِأَجْلِ تَكْرِيمِي مُكَافَأَةً عَلَى رِسَالَةِ «الْخُطُوَاتِ السِّتِّ» الَّتِي نُشِرَتْ ؛ فَذَهَبْتُ إِلَيْهَا ؛ فَأَرَادَ إِرْضَائِي ، بِأَنْ أَصِيرَ نَائِباً وَوَاعِظاً عَامّاً لِلْوِلَايَاتِ الشَّرْقِيَّةِ ، بِرَاتِبِ ثَلَاثِمِئَةِ لِيرَةٍ ، فِي مَكَانِ «الشَّيْخِ السَّنُوسِيِّ» ، لِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ بِاللِّسَانِ الْكُرْدِيِّ ؛ وَإِرْضَائِي بِوَظِيفَتِي الْقَدِيمَةِ ، مَعَ أَعْضَاءِ «دَارِ الْحِكْمَةِ» ، فِي دَائِرَةِ رِئَاسَةِ الدِّيَانَةِ ؛ وَإِبْلَاغِ تِسْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ذَهَبِيٍّ ، مَنَحَهَا السُّلْطَانُ «رَشَادٌ» لِمَدْرَسَتِي «الْمَدْرَسَةِ الزَّهْرَاءِ وَجَامِعَةِ الشَّرْقِ» ، الَّتِي بَاشَرْتُ أَسَاسَهَا فِي «وَان» ، إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ لِيرَةٍ ؛ فَقُبِلَ ذٰلِكَ ،

بِتَوْقِيعِ مِئَةِ نَائِبٍ وَثَلاثَةٍ وَسِتِّينَ نَائِباً ، بَيْنَ مِئَتَيْ نَائِبٍ ؛ مَعَ أَنِّي شَاهَدْتُ هُنَاكَ فِي شَخْصٍ ، قِسْماً مِنَ الْخَبَرِ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ أَصْلُ «الشُّعَاعِ الْخَامِسِ» ؛ فَتَرَكْتُ بِاضْطِرَارٍ ، تِلْكَ الْوَظَائِفَ الْكَثِيرَةَ الْأَهَمِّيَّةِ ؛ وَقُلْتُ : إِنَّهُ لا يُجَارَى هٰذَا الرَّجُلُ ؛ وَلا يُقَاوَمُ ؛ فَتَرَكْتُ الدُّنْيَا وَالسِّيَاسَةَ وَالْحَيَاةَ الاِجْتِمَاعِيَّةَ ؛ فَصَرَفْتُ وَقْتِي فِي سَبِيلِ إِنْقَاذِ الْإِيمَانِ فَقَطْ ؛ وَلٰكِنَّ بَعْضَ الْمُوَظَّفِينَ الظَّالِمِينَ وَالْمُتَعَسِّفِينَ ، أَجْبَرُونِي عَلَى تَأْلِيفِ رِسَالَتَيْنِ أَوْ ثَلاثِ رَسَائِلَ ، تَنْظُرُ إِلَى الدُّنْيَا .. ثُمَّ نَظَّمْتُ أَصْلَ تِلْكَ الرِّسَالَةِ الْقَدِيمَةِ ، بِمُنَاسَبَةِ سُؤَالِ بَعْضِ الْفُضَلاءِ ، عَنِ الْأَحَادِيثِ الْمُتَشَابِهَةِ ، الَّتِي تُخْبِرُ عَنْ حَادِثَاتِ آخِرِ الزَّمَانِ ؛ فَتَسَمَّتْ بِاسْمِ «الشُّعَاعِ الْخَامِسِ» لِرِسَالَةِ النُّورِ . وَإِنَّ أَرْقَامَ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، لَيْسَتْ بِتَرْتِيبِ التَّأْلِيفِ ؛ فَقَدْ أُلِّفَ «الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّلاثُونَ» مَثَلاً ، قَبْلَ «الْمَكْتُوبِ الْأَوَّلِ» ؛ وَقَدْ أُلِّفَ أَصْلُ هٰذَا «الشُّعَاعِ الْخَامِسِ» ، وَقِسْمٌ مِنْ أَجْزَاءِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، قَبْلَ «رِسَالَةِ النُّورِ» ..

وَمَهْمَا كَانَ ، فَإِنَّ أَسْئِلَةَ مُدَّعٍ عَامٍّ ، وَاعْتِرَاضَاتِهِ الْخَاطِئَةَ ، غَيْرَ اللاَّزِمَةِ ، وَغَيْرَ الْقَانُونِيَّةِ ، بِتَعَصُّبِ صَدَاقَتِهِ لِمُصْطَفٰى كَمَالٍ ، فِي هٰذَا الْمَقَامِ ، أَجْبَرَتْنِي عَلَى إِعْطَاءِ هٰذِهِ الْإِيضَاحَاتِ الشَّبِيهَةِ بِالْخَارِجَةِ عَنِ الصَّدَدِ .. وَإِنِّي أُبَيِّنُ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ ، أَحَدَ أَقْوَالِهِ الشَّخْصِيَّةِ ، وَغَيْرِ الْقَانُونِيَّةِ تَمَاماً ، بِاسْمِ قَانُونِ الْعَدْلِيَّةِ ..

فَقَالَ : أَفَلا نَدِمْتَ قَلْباً ؛ فَزَيَّفْتَهُ فِي «الشُّعَاعِ الْخَامِسِ» ، مِنَ الْخَمْرِ وَالْمَشْرُوبَاتِ ، بِتَعَابِيرِ «مِثْلِ شَنِّ الْمَاءِ» ؟ .

فَأَقُولُ مُقَابِلَ تَعَصُّبِ صَدَاقَتِهِ الْخَاطِئَةِ تِلْكَ ، وَالَّتِي لا مَعْنَى لَهَا كُلِّيّاً : إِنَّهُ لا يُعْطَى ظَفَرَ وَشَرَفَ الْجَيْشِ الْبَاسِلِ ؛ وَإِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ لَهُ حِصَّةٌ مَّا . فَكَمَا أَنَّهُ إِذَا أُعْطِيَ قَائِدٌ غَنِيمَةَ الْجَيْشِ وَأَمْوَالَهُ وَأَرْزَاقَهُ ؛ فَذٰلِكَ ظُلْمٌ وَبَغْيٌ رَهِيبٌ ؛ نَعَمْ : فَكَمَا أَنَّ ذٰلِكَ الْمُتَعَسِّفَ اتَّهَمَنِي بِعَدَمِ الْحُبِّ لِذٰلِكَ الرَّجُلِ الْكَثِيرِ الْأَخْطَاءِ ؛ فَجَعَلَنِي خَائِنَ الْوَطَنِ عَادَةً ؛ فَإِنِّي أَيْضاً أَتَّهِمُهُ بِعَدَمِ الْحُبِّ لِلْجَيْشِ ؛ لِأَنَّهُ يُعْطِي صَدِيقَهُ ذٰلِكَ ، كُلَّ الشَّرَفِ وَالْغَنِيمَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ فَيَتْرُكُ الْجَيْشَ بِدُونِ الشَّرَفِ ؛ أَمَّا الْحَقِيقَةُ : فَهِيَ أَنَّ الْحَسَنَاتِ وَالْخَيْرَاتِ وَالْأَشْيَاءَ الْإِيجَابِيَّةَ ، تُوَزَّعُ عَلَى

الْجَمَاعَةِ وَالْجَيْشِ ؛ وَأَنَّ السَّلْبِيَّاتِ وَالتَّخْرِيبَاتِ وَالأَخْطَاءَ ، يُعْطَاهَا الرَّئِيسُ ؛ لِأَنَّ وُجُودَ شَيْءٍ مَّا ، يَحْصُلُ بِوُجُودِ جَمِيعِ شَرَائِطِهِ وَأَرْكَانِهِ ؛ وَالْقَائِدُ شَرْطٌ وَاحِدٌ فَقَطْ ؛ وَأَمَّا عَدَمُ ذٰلِكَ الشَّيْءِ وَفَسَادُهُ ؛ فَيَحْدُثُ بِعَدَمِ شَرْطٍ وَبِفَسَادِ رُكْنٍ وَاحِدٍ ؛ فَيَنْعَدِمُ وَيَفْسُدُ ؛ فَيَصْلُحُ أَنْ يُعْطَى الزَّعِيمُ وَالرَّئِيسُ ، تِلْكَ السَّيِّئَةَ ؛ وَأَنَّ الْمَحَاسِنَ وَالْحَسَنَاتِ ، هِيَ إِيجَابِيَّةٌ وَوُجُودِيَّةٌ بِالأَكْثَرِيَّةِ ؛ فَلَا يَصِحُّ أَنْ يَمْتَلِكَهَا الرُّؤَسَاءُ ؛ وَأَنَّ السَّيِّئَاتِ وَالْخَطِيئَاتِ ، هِيَ عَدَمِيَّةٌ وَتَخْرِيبِيَّةٌ ؛ فَيَكُونُ الرُّؤَسَاءُ مَسْؤُولِينَ عَنْهَا ؛ فَبَيْنَمَا كَانَ الْحَقُّ وَالْحَقِيقَةُ هٰكَذَا ؛ فَكَمَا أَنَّ عَشِيرَةً إِذَا فَتَحَتْ فُتُوحَاتٍ ؛ فَقِيلَ : «زُهِيتَ يَا حَسَنُ آغَا !» ؛ وَإِذَا أَصْبَحَتْ مَغْلُوبَةً ؛ فَقِيلَ : تُفّاً لِلْعَشِيرَةِ ؛ فَزُيِّفَتِ الْعَشِيرَةُ ؛ حُكِمَ بِعَكْسِ الْحَقِيقَةِ كُلِّيّاً ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ الْمُدَّعِيَ الَّذِي اتَّهَمَنِي ، كَأَنَّهُ حَكَمَ بِاسْمِ الْعَدْلِيَّةِ ، بِأَحَدِ أَخْطَائِهِ الَّتِي هِيَ بِعَكْسِ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ كُلِّيّاً . . فَكَذٰلِكَ مِثْلُ خَطَإٍ هٰذَا ، أَنِّي إِذْ كُنْتُ فِي (وَانَ) قُبَيْلَ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْقَدِيمَةِ ، أَتَانِي بَعْضُ فُضَلَاءَ أَتْقِيَاءَ وَمُتَدَيِّنِينَ ؛ فَقَالُوا : إِنَّهُ يَحْدُثُ الإِلْحَادُ فِي بَعْضِ الْقَادَةِ ؛ فَتَعَالَ شَارِكْنَا ؛ فَسَنَعْصِي هٰؤُلَاءِ الرُّؤَسَاءَ . . فَأَنَا قُلْتُ : إِنَّ تِلْكَ السَّيِّئَاتِ وَتِلْكَ الْكُفْرِيَّاتِ ، هِيَ مَخْصُوصَةٌ بِأَمْثَالِ أُولَائِكَ الْقَادَةِ ؛ فَلَا يُصْبِحُ الْجَيْشُ مَسْؤُولاً بِهَا ؛ وَلَعَلَّهُ يُوجَدُ فِي هٰذَا الْجَيْشِ الْعُثْمَانِيِّ ، مِئَةُ أَلْفِ وَلِيٍّ ؛ فَإِنِّي لَا أُشْهِرُ السَّيْفَ ضِدَّ هٰذَا الْجَيْشِ ؛ وَلَا أُشَارِكُكُمْ . فَفَارَقَنِي أُولَائِكَ الْفُضَلَاءُ ؛ فَسَلُّوا السَّيْفَ ؛ فَوَقَعَتْ حَادِثَةُ «بِتْلِيسَ» بِدُونِ نَتِيجَةٍ . فَبَعْدَ فَتْرَةٍ قَلِيلَةٍ ، انْدَلَعَتِ الْحَرْبُ الْعَالَمِيَّةُ ؛ فَشَارَكَ ذٰلِكَ الْجَيْشُ بِاسْمِ الدِّينِ ؛ وَخَاضَ الْجِهَادَ ؛ فَارْتَقَى مِئَةُ أَلْفِ شَهِيدٍ مِنْ ذٰلِكَ الْجَيْشِ ، إِلَى مَرْتَبَةِ الأَوْلِيَاءِ ؛ فَصَدَّقُونِي فِي دَعْوَايَ تِلْكَ ؛ فَوَقَّعُوا عَلَى مِيثَاقِ وَلَايَتِهِمْ بِدِمَائِهِمْ . .

فَمَهْمَا كَانَ ، فَقَدِ اضْطُرِرْتُ لِلتَّكَلُّمِ الْمُسْهَبِ قَلِيلاً ؛ لِأَنَّ الْوَضْعَ الْعَجِيبَ لِمُدَّعٍ عَامٍّ ، عَمِلَ مُزَيِّفاً ضِدَّنَا وَضِدَّ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، بِالانْحِيَازِ وَالْمَشَاعِرِ الْجُزْئِيَّةِ الْخَاطِئَةِ ، بِاسْمِ حَقِيقَةِ الْعَدَالَةِ الَّتِي مِنَ الْخَوَاصِّ الْقَاطِعَةِ لِمَاهِيَّتِهَا ، عَدَمُ التَّأَثُّرِ بِأَيَّةِ حِسِّيَّاتٍ ، وَبِتَأْثِيرَاتٍ خَارِجِيَّةٍ ، سَاقَنِي إِلَى هٰذِهِ الإِفَادَةِ الْمُسْهَبَةِ . .

﴿ اَلأَسَاسُ الرَّابِعُ : ﴾ إِنَّ مَحْكَمَةَ (أَسْكِيشَهِر) ، اسْتَطَاعَتْ بَعْدَ تَدْقِيقِ مِئَاتِ كُتُبٍ

وَرَسَائِلَ ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، أَنْ تُدِينَ خَمْسَةَ عَشَرَ شَخْصاً فَقَطْ ، مِنْ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً ، سِتَّةَ أَشْهُرٍ ؛ وَأَنْ تُدِينَنِي سَنَةً وَاحِدَةً ، بِخَمْسَ عَشْرَةَ كَلِمَةً ، فِي رِسَالَةٍ أَوْ رِسَالَتَيْنِ فَقَطْ ، مِنْ مِئَةِ رِسَالَةٍ ؛ وَبَرَّأُونَا فِي مَسْأَلَةِ الطَّرِيقَةِ وَالْجَمْعِيَّةِ وَالْقُبَّعَةِ ؛ وَنَحْنُ حَمَلْنَا ذٰلِكَ الْجَزَاءَ . وَبَعْدَ ذٰلِكَ لَمْ يَجِدُوا عَلَاقَةً لِي أَصْلاً ، فِي التَّحَرِّيَاتِ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ، فِي (قَسْطَمُونِي) . وَقَدْ وَقَعَتْ جَمِيعُ أَجْزَاءِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، الْمُحَرَّمَةِ وَغَيْرِ الْمُحَرَّمَةِ ، بِدُونِ اسْتِثْنَاءٍ ، بِيَدِ الْحُكُومَةِ ، فِي (إِسْپَارْطَة) ، قَبْلَ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ ؛ فَأُعِيدَتْ جَمِيعُهَا إِلَى أَصْحَابِهَا ، بَعْدَ التَّدْقِيقِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ؛ وَبَقِيَتْ جَمِيعُ الرَّسَائِلِ سَنَتَيْنِ ، فِي مَحَاكِمِ (دَنِزْلِي ، وَأَنْقَرَة) ، بَعْدَ عِدَّةِ أَعْوَامٍ ؛ فَأُعِيدَتْ إِلَيْنَا جَمِيعاً ؛ فَإِذَا كَانَتْ هٰذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةَ ، فَإِنَّ الَّذِينَ يَتَّهِمُونَنِي وَتَلَامِذَةَ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ وَيُؤَاخِذُونَنَا بِالْغَرَضِ وَالْمَشَاعِرِ ، وَخِلَافِ الْقَانُونِ ، بِاسْمِ مِثْلِ ذٰلِكَ الْقَانُونِ ؛ فَإِنَّهُمْ يَتَّهِمُونَ مَحْكَمَةَ (أَسْكِيشَهِر) ، وَحُكُومَةَ (قَسْطَمُونِي) وَشُرْطَتَهَا ، وَعَدْلِيَّةَ (إِسْپَارْطَة) ، وَمَحْكَمَةَ (دَنِزْلِي) وَمَحْكَمَةَ (أَنْقَرَة) الْعُلْيَا ، قَبْلَنَا ؛ فَيُشْرِكُونَهُمْ تَمَاماً فِي جُرْمِنَا ـ إِنْ وُجِدَ ـ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لَنَا جُرْمٌ ؛ فَلَمْ تَرَهُ هٰؤُلَاءِ الْحُكُومَاتُ الثَّلَاثُ أَوِ الْأَرْبَعُ ، بِقُرْبِهَا ، مَعَ تَجَسُّسِهَا زَمَناً كَثِيراً ؛ أَوْ لَمْ تُبَالِ بِهِ ؛ وَنَظَرَتْ مَحْكَمَتَانِ سَنَتَيْنِ ، نَظْرَةً دَقِيقَةً جِدّاً ؛ فَلَمْ تَعْلَمَا أَوْ لَمْ تَكْتَرِثَا بِهِ ؛ فَإِنَّهُمْ يَصِيرُونَ مُجْرِمِينَ أَكْثَرَ مِنَّا ؛ مَعَ أَنَّهُ لَوْ وُجِدَ فِينَا طَلَبُ التَّدَخُّلِ فِي الدُّنْيَا ، لَصَوَّتَ وَانْفَجَرَ مِثْلَ قَذِيفَةِ الْمِدْفَعِيَّةِ ، لَا هٰكَذَا مِثْلَ طَنِينِ الذُّبَابِ . . نَعَمْ : إِنَّ رَجُلاً دَافَعَ دِفَاعاً حُرّاً وَلَاذِعاً وَشَدِيداً ، فِي دِيوَانِ الْحَرْبِ الْعُرْفِيَّةِ ، فِي الْحَادِي وَالثَّلَاثِينَ مِنْ «مَارِسَ» ، وَفِي دِيوَانِ الرِّئَاسَةِ ، ضِدَّ غَضَبِ «مُصْطَفَى كَمَالٍ» ، فَإِنَّ مَنْ يَتَّهِمُهُ بِأَنَّهُ يُدِيرُ دَسَائِسَ الدُّنْيَا ، دُونَ أَنْ يُشْعِرَ أَحَداً ، خِلَالَ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً ؛ فَإِنَّهُ يَعْمَلُهُ بِغَرَضٍ مَّا . . وَنَحْنُ ، كَمَا رَجَوْنَا مِنْ مُدَّعِي (دَنِزْلِي) الْعَامِّ ؛ نَرْجُو مِنْ مُدَّعِي (أَفْيُون) الْعَامِّ أَيْضاً : أَنْ يُنْقِذُونَا عَنِ اعْتِرَاضِ أَمْثَالِ هٰؤُلَاءِ ، وَعَنْ أَغْرَاضِهِمْ ؛ وَأَنْ يُظْهِرُوا حَقِيقَةَ الْعَدَالَةِ . .

﴿اَلْأَسَاسُ الْخَامِسُ :﴾ إِنَّ عَدَمَ تَدَخُّلِ تَلَامِذَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، فِي السِّيَاسَةِ ، وَفِي شَأْنِ الْإِدَارَةِ ، وَفِي إِجْرَاءَاتِ الْحُكُومَةِ ، بِقَدَرِ مَا يُمْكِنُ ، هُوَ دُسْتُورٌ أَسَاسِيٌّ لَهُمْ ؛ لِأَنَّ

الْخِدْمَةَ الْقُرْآنِيَّةَ الْخَالِصَةَ، تَكْفِيهِمْ بَدَلَ كُلِّ شَيْءٍ؛ وَأَيْضاً إِنَّ أَيَّ أَحَدٍ مِنَ الَّذِينَ دَخَلُوا السِّيَاسَةَ، بَيْنَ أَمْثَالِ تِلْكَ التَّيَّارَاتِ الْقَوِيَّةِ الْحَاكِمَةِ الآنَ، لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى اسْتِقْلالِهِ وَإِخْلاصِهِ؛ فَإِنَّ تَيَّاراً مَّا، سَيَضْبُطُ حَرَكَتَهُ بِحِسَابِهِ هُوَ؛ فَيَجْعَلُهَا أَدَاةً لِمَقْصَدِهِ الدُّنْيَوِيِّ؛ وَيُفْسِدُ قُدُسِيَّةَ تِلْكَ الْخِدْمَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ؛ وَأَيْضاً يَلْزَمُ بِخَطَأِ أَحَدٍ، سَحْقُ كَثِيرِينَ مِنْ أَتْبَاعِهِ الْأَبْرِيَاءِ، بِأَشَدِّ الظُّلْمِ وَأَشَدِّ الاسْتِبْدَادِ، الَّذِي هُوَ دُسْتُورٌ لِهٰذَا الْعَصْرِ، فِي الْمُبَارَزَةِ الْمَادِّيَّةِ؛ وَإِلَّا فَسَيَقَعُ مَغْلُوباً؛ وَأَيْضاً إِنَّ حَقَائِقَ الْقُرْآنِ الْقُدُسِيَّةَ، الَّتِي لا تَصِيرُ أَدَاةً لِشَيْءٍ مَّا، سَتُتَوَهَّمُ أَنَّهَا صَارَتْ أَدَاةً فِي دِعَايَةٍ سِيَاسِيَّةٍ، فِي أَنْظَارِ الَّذِينَ تَرَكُوا دِينَهُمْ لِأَجْلِ دُنْيَاهُمْ؛ أَوْ جَعَلُوهُ أَدَاةً لَهَا؛ وَأَيْضاً إِنَّ كُلَّ طَبَقَاتِ الْأُمَّةِ، مُوَافِقِهَا وَمُخَالِفِهَا وَمَأْمُورِهَا وَعَامِّيِّهَا، لَهَا حِصَصٌ فِي تِلْكَ الْحَقَائِقِ؛ وَإِنَّهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهَا؛ فَلَزِمَ تَرْكُ السِّيَاسَةِ وَالْمُبَارَزَةِ الْمَادِّيَّةِ تَمَاماً؛ وَعَدَمُ التَّدَخُّلِ فِيهِمَا أَصْلاً، لِأَجْلِ بَقَاءِ تَلامِذَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ»، غَيْرَ مُنْحَازِينَ تَمَاماً..

﴿الْأَسَاسُ السَّادِسُ:﴾ أَنَّهُ لا يُهْجَمُ عَلَى «رِسَالَةِ النُّورِ»، بِخَطَأِ شَخْصِي أَوْ بَعْضِ إِخْوَانِي، فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ؛ فَإِنَّهَا عُلِّقَتْ بِالْقُرْآنِ مُبَاشَرَةً؛ وَالْقُرْآنُ مُعَلَّقٌ بِالْعَرْشِ الْأَعْظَمِ؛ فَمَنْ لَهُ حَدٌّ، أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى هُنَاكَ؛ فَيَحُلَّ تِلْكَ الْحِبَالَ الْقَوِيَّةَ؟. وَأَيْضاً إِنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» الَّتِي تَحَقَّقَتْ بَرَكَتُهَا الْمَادِّيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ؛ وَخِدْمَتُهَا الْفَائِقَةُ عَلَى الْعَادَةِ، لِهٰذَا الْوَطَنِ، بِإِشَارَاتِ «الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الثَّلاثِ وَالثَّلاثِينَ»؛ وَبِكَرَامَاتِ «الْإِمَامِ عَلِيٍّ» (رضي الله عنه)، الْغَيْبِيَّةِ الثَّلاثِ؛ وَبِإِخْبَارِ «الْغَوْثِ الْأَعْظَمِ» (قدس سره)، الْإِخْبَارِ الْقَطْعِيِّ، لا تَكُونُ؛ وَلَنْ تَكُونَ؛ وَلا بُدَّ أَنْ لا تَكُونَ مَسْؤُولَةً بِأَخْطَائِنَا الْعَادِّيَّةِ وَالشَّخْصِيَّةِ؛ وَإِلَّا فَسَيَحْدُثُ خَسَارٌ مَادِّيٌّ وَمَعْنَوِيٌّ لِهٰذَا الْوَطَنِ، فِي دَرَجَةٍ لا يُمْكِنُ تَلافِيهِ..

وَإِنَّ الْمُؤَامَرَاتِ وَالْهَجَمَاتِ الْمُدَبَّرَةَ بِشَيْطَنَةِ بَعْضِ الزَّنَادِقَةِ مِنْ أَعْدَائِنَا الْأَخْفِيَاءِ، ضِدَّ «رِسَالَةِ النُّورِ»، سَتَفْشَلُ، إِنْ شَاءَ اللهُ. وَإِنَّ تَلامِذَتَهَا لا يُقَاسُونَ عَلَى الْآخَرِينَ؛ وَلا يُبَدَّدُونَ وَلا يُوَلَّوْنَ؛ وَلا يُغْلَبُونَ بِعِنَايَةِ الْحَقِّ تَعَالَى؛ فَلَوْلا أَنَّ الْقُرْآنَ مَنَعَ عَنِ الْمُدَافَعَةِ الْمَادِّيَّةِ؛ فَإِنَّ أُولٰئِكَ التَّلامِذَةَ الْمَوْجُودِينَ فِي كُلِّ جَانِبٍ؛ وَالْفَائِزِينَ بِتَوَجُّهِ الْعُمُومِ، فِي

حُكْمِ عَصَبِ رُوحِ هٰذَا الشَّعْبِ ، لا يَتَلَوَّثُونَ بِأَحْدَاثٍ جُزْئِيَّةٍ وَغَيْرِ مُنْتِجَةٍ ، مِثْلِ أَحْدَاثِ «الشَّيْخِ سَعِيدٍ» وَ«مَنَمَنْ» . فَإِنْ ظُلِمَ عَلَيْهِمْ ؛ وَهُوجِمَتْ «رِسَالَةُ النُّورِ» ، فِي دَرَجَةِ الضَّرُورَةِ الْقَطْعِيَّةِ ـ لا سَمَحَ اللهُ ـ فَإِنَّ الزَّنَادِقَةَ وَالْمُنَافِقِينَ الْمُخْتَفِينَ ، سَيَنْدَمُونَ أَلْفَ دَرَجَةٍ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّنَا إِذَا كُنَّا لا نَمَسُّ دُنْيَا أَهْلِ الدُّنْيَا ؛ فَلا يَمَسُّوا هُمْ أَيْضاً ، آخِرَتَنَا وَخِدْمَتَنَا الْإِيمَانِيَّةَ . .

وَأُبَيِّنُ خَاطِرَةً قَدِيمَةً ، وَقِصَّةَ دِفَاعٍ لَطِيفَةً ، بَقِيَتْ خَفِيَّةً فِي مَحْكَمَةِ (أَسْكِيشَهِر) ؛ وَلَمْ تُسَجَّلْ فِي الْمَحْضَرِ رَسْماً ؛ وَلَمْ تُكْتَبْ فِي دِفَاعَاتِي أَيْضاً . .

سَأَلُونِي هُنَاكَ : مَا هُوَ فِكْرُكَ فِي حَقِّ الْجُمْهُورِيَّةِ ؟ .

فَقُلْتُ أَنَا : إِنَّ تَرْجَمَةَ حَيَاتِيَ الَّتِي بِأَيْدِيكُمْ ، تُثْبِتُ أَنِّي كُنْتُ جُمْهُورِيّاً مُتَدَيِّناً ؛ وَلَمْ تَأْتُوا أَنْتُمْ إِلَى الدُّنْيَا بَعْدُ ، مَا عَدَا رَئِيسَ الْمَحْكَمَةِ الْمُسِنَّ . .

وَخُلاصَتُهُ : أَنِّي كُنْتُ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، مِثْلَ الْآنِ ، فِي الانْزِوَاءِ فِي قُبَّةِ ضَرِيحٍ خَالِيَةٍ ؛ فَكَانَ يَأْتِينِي الْحَسَاءُ ؛ وَكُنْتُ أُعْطِي النِّمَالَ حُبُوبَهَا ؛ فَآكُلُ رَغِيفِي بِمَائِهَا . .

فَسَأَلُونِي عَنْ ذٰلِكَ . . فَقُلْتُ : إِنَّ مِلَلَ هٰؤُلاءِ النَّمْلِ وَالنَّحْلِ ، جُمْهُورِيُّونَ ؛ فَأُعْطِي النِّمَالَ حُبُوباً ، احْتِرَاماً لِحَمِيَّتِهِمُ الْجُمْهُورِيَّةِ . .

ثُمَّ قَالُوا : إِنَّكَ تُخَالِفُ الْأَسْلافَ الصَّالِحِينَ . . فَكُنْتُ أَقُولُ إِجَابَةً : إِنَّ الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ ، كَانُوا خُلَفَاءَ وَرُؤَسَاءَ الْجُمْهُورِ ؛ وَكَانَ «الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ» (رضي الله عنه) ، فِي حُكْمِ رَئِيسِ الْجُمْهُورِ لِلْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرَةِ ، وَلِلصَّحَابَةِ الْكِرَامِ قَطْعاً ؛ وَلٰكِنْ لَمْ يَكُنْ اسْماً وَرَسْماً بِدُونِ الْمَعْنَى ؛ بَلْ كَانُوا رُؤَسَاءَ مَعْنَى الْجُمْهُورِيَّةِ الدَّيِّنَةِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِحَقِيقَةِ الْعَدَالَةِ وَالْحُرِّيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ . .

فَيَا أَيُّهَا الْمُدَّعِي الْعَامُّ ، وَأَعْضَاءَ الْمَحْكَمَةِ ! . إِنَّكُمْ تَتَّهِمُونَنِي بِعَكْسِ فِكْرٍ كَانَ فِيَّ مُنْذُ خَمْسِينَ عَاماً . . وَإِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ الْجُمْهُورِيَّةِ الْعَلْمَانِيَّةِ ؛ فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَعْنَى الْعِلْمَانِيَّةِ

هُوَ الْبَقَاءُ غَيْرَ مُنْحَازٍ ؛ أَعْنِي : أَتَلَقَّاهَا حُكُومَةً لَا تَمَسُّ الْمُتَدَيِّنِينَ وَالْمُتَّقِينَ أَيْضاً ؛ كَمَا لَا تَمَسُّ الْمُلْحِدِينَ وَالسُّفَهَاءَ ، بِدُسْتُورِ حُرِّيَّةِ الْوِجْدَانِ . . وَقَدْ أَصْبَحَ خَمْساً وَعِشْرِينَ سَنَةً ؛ وَأَنَا انْكَفَفْتُ عَنِ الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ ؛ فَلَا أَعْلَمُ مَا اكْتَسَبَتْهُ الْحُكُومَةُ الْجُمْهُورِيَّةُ مِنَ الْحَالِ . فَإِنْ دَخَلَتْ شَكْلاً مُدْهِشاً قَبِلَتْ وَعَمِلَتْ قَوَانِينَ تَجْعَلُ الْعَامِلِينَ لِإِيمَانِهِمْ وَآخِرَتِهِمْ مَسْؤُولِينَ بِحِسَابِ الْإِلْحَادِ ـ بِفَرْضِ الْمُحَالِ ، الْعِيَاذُ بِاللهِ ـ فَإِنِّي أُعْلِنُ وَأُخْطِرُ لَكُمْ هٰذَا ، بِدُونِ مُبَالَاةٍ ؛ وَهُوَ : أَنَّهُ إِنْ كَانَ لِي أَلْفُ نَفْسٍ ؛ فَإِنِّي مُسْتَعِدٌّ لِلْفِدَاءِ بِهَا لِلْإِيمَانِ وَلِآخِرَتِي ؛ فَافْعَلُوا مَا تَفْعَلُونَ . . وَإِنَّ كَلَامِيَ الْأَخِيرَ هُوَ : ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ فَأَقُولُ مُقَابِلَ حُكْمِكُمْ عَلَيَّ ظُلْماً ، بِالْإِعْدَامِ وَالْجَزَاءِ الشَّاقِّ : إِنِّي لَا أُعْدَمُ ؛ بَلْ أُسَرَّحُ فَأَذْهَبُ إِلَى عَالَمِ النُّورِ وَالسَّعَادَةِ ، بِاكْتِشَافِ «رِسَالَةِ النُّورِ» اكْتِشَافاً قَاطِعاً . وَإِنِّي أَعْلَمُكُمْ وَأَرَاكُمْ مَحْكُومِينَ بِالْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ، وَبِالسِّجْنِ الْمُفْرَدِ الدَّائِمِ ، يَا أَعْدَاءَنَا الْأَخْفِيَاءَ ؛ وَأَيُّهَا الْأَشْقِيَاءُ الَّذِينَ يَسْحَقُونَنَا بِحِسَابِ الضَّلَالَةِ ! . فَلِذٰلِكَ آخُذُ مِنْكُمْ ثَأْرِي بِتَمَامِهِ ؛ فَأَنَا مُسْتَعِدٌّ لِتَسْلِيمِ الرُّوحِ بِرَاحَةِ الْقَلْبِ : هٰكَذَا كُنْتُ قُلْتُ لَهُمْ . .

﴿الْأَسَاسُ السَّابِعُ :﴾ أَنَّ مَحْكَمَةَ (أَفْيُونَ) ، نَظَرَتْ إِلَيْنَا فِي نُقْطَةِ جَمْعِيَّةٍ سِيَاسِيَّةٍ ، بِنَاءً عَلَىٰ تَحْقِيقَاتٍ سَطْحِيَّةٍ فِي أَمَاكِنَ أُخْرَىٰ . .

فَجَوَابُنَا عَلَىٰ هٰذَا : ﴿أَوَّلاً :﴾ أَنَّ رَجُلاً لَمْ يَقْرَأْ أَيَّةَ جَرِيدَةٍ ؛ وَلَمْ يَسْتَمِعْ إِلَيْهَا ؛ وَلَمْ يَسْأَلْ عَنْهَا مُنْذُ تِسْعَةَ عَشَرَ عَاماً ؛ وَلَمْ يَتَلَقَّ أَيَّ خَبَرٍ ؛ وَلَمْ يَتَطَلَّعْ لَهَا ؛ وَلَمْ يَعْلَمْهَا ، مَا عَدَا الْحَرْبَ الْعَالَمِيَّةَ ، وَانْهِزَامَ الْأَلْمَانِ ، وَدَهْشَةَ الشُّيُوعِيَّةِ ، وَقَدْ أَصْبَحَ عَشَرَةَ أَعْوَامٍ ، وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ ، بِشَهَادَةِ جَمِيعِ الْفُضَلَاءِ الَّذِينَ صَاحَبُونِي ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ لَا عَلَاقَةَ لَهُ بِالسِّيَاسَةِ أَصْلاً ؛ وَلَا تَكُونُ لَهُ مُنَاسَبَةٌ بِالْجَمْعِيَّاتِ السِّيَاسِيَّةِ قَطْعاً . .

﴿ثَانِياً :﴾ إِنَّ أَجْزَاءَ «رِسَالَةِ النُّورِ» الْمِئَةَ وَالثَّلَاثِينَ ، هِيَ فِي الْمَيْدَانِ . فَعَدَمُ مَسِّ مَحْكَمَةِ (أَسْكِيشَهِرَ) ـ الَّتِي فَهِمَتْ أَنْ لَيْسَ فِيهَا هَدَفٌ وَمَقْصَدٌ دُنْيَوِيٌّ سِوَى الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ـ مَا عَدَا رِسَالَةً أَوْ رِسَالَتَيْنِ فَقَطْ ؛ وَعَدَمُ مَسِّ مَحْكَمَةِ (دِنِزْلِي) وَاحِدَةً مِنْهَا أَصْلاً ؛ وَعَدَمُ وُجُودِ

شُرْطَةِ (قَسْطَمُونِي) الْعَظِيمَة، أَيِّ أَحَدٍ مُتَّهَمٍ بِالذَّرائِعِ، غَيْرَ خَادِمَيْنِ اثْنَيْنِ لِي وَغَيْرَ ثَلاثَةِ رِجَالٍ فَقَطْ، تِلْكَ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى أَنَّ تَلامِذَةَ «رِسَالَةِ النُّورِ»، لَيْسُوا جَمْعِيَّةً بِأَيِّ وَجْهٍ أَصْلاً.. فَأَمَّا إِنْ كَانَ مَقْصَدُهُ مِنَ الْجَمْعِيَّةِ الَّتِي فِي الادِّعَاءِ، جَمَاعَةً إِيمَانِيَّةً وَأُخْرَوِيَّةً؛ فَنَقُولُ إِجَابَةً عَلَيْهِ: إِنْ سُمِّيَتْ تَلامِذَةُ الْجَامِعَةِ، وَكُلُّ نَوْعٍ مِنَ الْمُتَاجِرِينَ، بِاسْمِ جَمْعِيَّاتٍ؛ فَيُمْكِنُ أَنْ نُسَمَّى نَحْنُ أَيْضاً، بِاسْمِ جَمْعِيَّةٍ مِنْ ذٰلِكَ النَّوْعِ..

وَإِنْ سَمَّيْتُمْ بِاسْمِ جَمَاعَةٍ تُخِلُّ بِالْأَمْنِ الدَّاخِلِيِّ، بِالْمَشَاعِرِ الدِّينِيَّةِ؛ فَنَقُولُ مُقَابِلَ هٰذَا: إِنَّ عَدَمَ مَسِّ تَلامِذَةِ النُّورِ، الْأَمْنَ الدَّاخِلِيَّ، بِأَيَّةِ حَادِثَةٍ فِي أَيِّ مَكَانٍ، فِي هٰذِهِ الْحَالِ الْعَاصِفَةِ خِلالَ عِشْرِينَ عَاماً؛ وَعَدَمَ تَسْجِيلِ مَسِّهِمْ، لَا حَسَبَ الْحُكُومَةِ، وَلَا حَسَبَ الْمَحَاكِمِ، يُزَيِّفُ هٰذَا الاتِّهَامَ..

وَإِنْ سُمِّيَتْ بِاسْمِ جَمْعِيَّةٍ يُمْكِنُ أَنْ تَضُرَّ بِالْأَمْنِ الدَّاخِلِيِّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، مِنْ تَقْوِيَتِهَا الْمَشَاعِرَ الدِّينِيَّةَ؛ فَنَقُولُ تِجَاهَ هٰذَا: ﴿أَوَّلاً:﴾ إِنَّ رِئَاسَةَ الدِّيَانَةِ فِي الْمُقَدِّمَةِ، وَجَمِيعَ الْوَاعِظِينَ يُؤَدُّونَ عَيْنَ الْخِدْمَةِ؛ ﴿وَثَانِياً:﴾ إِنَّ تَلامِذَةَ «رِسَالَةِ النُّورِ»، لَا يَضُرُّونَ بِالْأَمْنِ وَالسَّلامِ؛ بَلْ يَسْعَوْنَ بِجَمِيعِ قُوَّتِهِمْ وَقَنَاعَتِهِمْ، لِحِفْظِ الْأُمَّةِ عَنِ الْفَوْضَى، وَتَأْمِينِ الْأَمْنِ وَالسَّلامِ؛ أَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى ذٰلِكَ، فَقَدْ بُيِّنَ فِي الْأَسَاسِ الْأَوَّلِ..

نَعَمْ: إِنَّنَا جَمَاعَةٌ؛ وَإِنَّ هَدَفَنَا وَمَنْهَجَنَا، هُوَ إِنْقَاذُ أَنْفُسِنَا أَوَّلاً، ثُمَّ أُمَّتِنَا، مِنَ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ، وَمِنَ السِّجْنِ الْمُفْرَدِ الدَّائِمِ الْبَرْزَخِيِّ؛ وَحِفْظُ مُوَاطِنِينَا، عَنِ الْفَوْضَى وَالطَّيْشَانِ؛ وَحِفْظُ أَنْفُسِنَا بِحَقَائِقِ «رِسَالَةِ النُّورِ»، الشَّبِيهَةِ بِالْفُولاذِ، ضِدَّ الزَّنْدَقَةِ الَّتِي هِيَ وَسِيلَةٌ لِإِفْنَاءِ كِلْتَا حَيَاتَيْنَا..

﴿اَلْأَسَاسُ الثَّامِنُ:﴾ إِنَّهُمْ يَتَّهِمُونَنَا بِنَاءً عَلَى تَحْقِيقَاتٍ نَاقِصَةٍ وَسَطْحِيَّةٍ، لِأَمَاكِنَ أُخْرَى، بِأَنَّ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ»، بَعْضَ جُمَلٍ نَاقِدَةٍ..

فَنَقُولُ مُقَابِلَ هٰذَا: إِنَّهُ إِذَا كَانَ مَقْصَدُنَا هُوَ الْإِيمَانَ وَالْآخِرَةَ؛ وَلَيْسَ مُبَارَزَةً مَعَ أَهْلِ الدُّنْيَا؛ وَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ الْمَسُّ الْجُزْئِيُّ جِدّاً، وَالْمَخْصُوصُ بِرِسَالَةٍ أَوْ رِسَالَتَيْنِ فَقَطْ، لَيْسَ

تَعَمُّداً ؛ بَلْ صَادَمْنَاهُمْ إِذْ كُنَّا نَمْشِي إِلىٰ مَقْصَدِنَا ؛ فَلا يُمْكِنُ قَطْعاً ، أَنْ يَكُونَ بِمَعْنىٰ غَرَضٍ سِيَاسِيٍّ ؛ وَإِذَا كَانَتِ الْإِمْكَانَاتُ مُخْتَلِفَةً ، وَالْوُقُوعَاتُ مُخْتَلِفَةً ؛ فَإِنَّ الاِتِّهَامَ فِي حَقِّنَا ، بِأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلِ الضَّرَرَ بِالْأَمْنِ ؛ وَيُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَ ، هُوَ اتِّهَامٌ بِدُونِ مَعْنًى ، مِثْلُ الاِتِّهَامِ بِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُمْكِنُ أَنْ يَقْتُلَ أَحَداً ؛ وَإِذَا كَانُوا لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَجِدُوا مَوَادَّ تُشَكِّلُ جُرْماً حَقِيقِيّاً ، فِي التَّدْقِيقِ وَالتَّحَرِّيَاتِ الشَّدِيدَةِ ، فِي (أَسْكِيشَهِرَ ، وقَسْطَمُونِي ، وَإِسْبَارْطَةَ ، وَدَنِزْلِي) ، فِي آلافِ النُّسَخِ وَالرَّسَائِلِ ، وَفِي عِشْرِينَ أَلْفَ إِنْسَانٍ ، فِي مُدَّةِ عِشْرِينَ عَاماً ؛ وَلَمْ تَجِدْ مَحْكَمَةُ (أَسْكِيشَهِرَ) شَيْئاً ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ جَعَلَتْنَا مَسْؤُولِينَ بِرِسَالَةٍ صَغِيرَةٍ وَاحِدَةٍ ، مِنْ مَادَّةِ قَانُونٍ مَطَّاطٍ ، بِالاِضْطِرَارِ ؛ كَمَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُدِينَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلاً مِنْ مِئَةِ رَجُلٍ ، بِوَجْهٍ يَجْعَلُ جَمِيعَ مُدَرِّسِي الدَّرْسِ الدِّينِيِّ مَسْؤُولِينَ أَيْضاً . . فَيَا عَجَباً ! إِنَّ رَجُلاً مِثْلَنَا إِذَا كَانَ مِنْكُمْ ؛ فَدُقِّقَتْ عِشْرُونَ رِسَالَةً مُحَرَّمَةً مِنْ رَسَائِلِهِ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، عَلىٰ هٰذَا الْوَجْهِ ؛ أَفَلا تُوجَدُ فِيهَا عِشْرُونَ جُمْلَةً تَجْعَلُهُ مَسْؤُولاً وَمَخْجُولاً ؟ مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَجِدُوا عِشْرِينَ جُمْلَةً تَجْعَلُ الْمَرْءَ مَسْؤُولاً حَقِيقِيّاً ، فِي عِشْرِينَ أَلْفَ نُسْخَةٍ مِنَ الْكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ ، مِنْ عِشْرِينَ أَلْفَ إِنْسَانٍ فِينَا ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يَدُلُّ ذٰلِكَ ، عَلىٰ أَنَّ هَدَفَ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، هُوَ الْآخِرَةُ مُبَاشَرَةً ؛ وَلَيْسَ لَهَا مَعَ الدُّنْيَا أَخْذٌ وَعَطَاءٌ . .

﴿ اَلْأَسَاسُ التَّاسِعُ : ﴾ أَنَّ أَمْثَالَ الْمَوَادِّ الَّتِي قَيَّدَهَا مُدَّعِي مَحْكَمَةِ (دَنِزْلِي) ، الْمُدَّعِي الْعَامُّ الْمُنْصِفُ ، بِنَاءً عَلىٰ مَحَاضِرَ سَطْحِيَّةٍ غَيْرِ مُنْصِفَةٍ ، مِنْ مَحَاضِرِ أَمَاكِنَ أُخْرىٰ ، هِيَ عَيْنُ الْمَوَادِّ ضِدَّنَا فِي مَحْكَمَةِ (أَفْيُونَ) أَيْضاً ، بِدَلالَةِ الْوَضْعِ الَّذِي شَاهَدْنَا فِي الاِسْتِجْوَابِ ؛ فَإِنَّ فِي رَسَائِلَ غَيْرِ مُؤَرَّخَةٍ ، وَفِي مُرَاسَلاتٍ فِي غُضُونِ عِشْرِينَ وَخَمْسَةَ عَشَرَ عَاماً ، وَعَشَرَةِ أَعْوَامٍ ؛ وَفِي «الشُّعَاعِ الْخَامِسِ» الْمَوْجُودِ جَوَابُهُ الْقَاطِعُ فِي الْأَسَاسِ الثَّالِثِ ، وَفِي السُّؤَالِ الثَّانِي مِنْ عَرِيضَتِي ؛ وَفِي أَرْبَعٍ أَوْ خَمْسِ رَسَائِلَ فَقَطْ ، مِنَ الرَّسَائِلِ الْمِئَةِ وَالثَّلاثِينَ ، وَفِي مُرَاسَلاتٍ وَرَسَائِلَ مَرَّتْ مِنْ تَدْقِيقِ مَحْكَمَةِ (أَسْكِيشَهِرَ) ، وَحَمَّلَتْنَا جَزَاءَهَا ؛ وَشَاهَدَتْ قَوَانِينَ الْعَفْوِ ؛ وَرَأَتْ بَرَاءَةَ (دَنِزْلِي) ، تُوجَدُ فِيهَا بَعْضُ ذَرَائِعَ هِيَ مَدَارٌ لِاتِّهَامِنَا . . فَيَا عَجَباً ! إِنَّ رَجُلاً جَلَبَ

إِلَى الْإِطَاعَةِ بِخِطَابٍ وَاحِدٍ ، ثَمَانِي كَتَائِبَ لَمْ تَسْتَمِعْ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ وَالْعُلَمَاءِ ، فِي بَابِ رَئِيسِ الْأَرْكَانِ ، فِي حَادِثَةِ الْحَادِي وَالثَّلَاثِينَ مِنْ (مَارِسَ) ، هَلْ يُقَالُ : إِنَّهُ سَعَى خِلَالَ ثَمَانِي سَنَوَاتٍ حَسَبَ الْمَحَاضِرِ ؛ فَأَمْكَنَ أَنْ يَغُرَّ عِشْرِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ رَجُلاً ؛ وَاسْتَطَاعَ فِي (قَسْطَمُونِي) الْعَظِيمَةِ مَثَلاً ، أَنْ يُغْفِلَ خَمْسَةَ أَشْخَاصٍ ؟ هٰذَا ، فَإِنَّهُمْ أَخْرَجُوا مِنْ تَحْتِ كَوْمَةِ الْحَطَبِ ، جَمِيعَ أَوْرَاقِي وَكُتُبِي الْمُحَرَّمَةِ وَغَيْرِ الْمُحَرَّمَةِ ، فِي (قَسْطَمُونِي) فِي حَادِثَةِ (دَنِزْلِي) ، فَلَمْ يَجِدُوا فِي (قَسْطَمُونِي) الْعَظِيمَةِ تِلْكَ ، أَحَداً غَيْرَ «فَيْضِيٍّ ، أَمِينٍ ، حِلْمِيٍّ ، تَوْفِيقٍ ، وَصَادِقٍ» فَقَطْ ، بَعْدَ التَّدْقِيقِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ . وَإِنَّ هٰؤُلَاءِ الْفُضَلَاءَ الْخَمْسَةَ أُرْسِلُوا إِلَى السِّجْنِ ، بِمُنَاسَبَةِ الْخِدْمَةِ الشَّخْصِيَّةِ لِي لِوَجْهِ اللهِ ؛ وَوَجَدُوا فِي (أَمِرْ دَاغِي) فِي ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ وَنِصْفٍ ، ثَلَاثَةَ إِخْوَةٍ ، وَثَلَاثَةً أَوْ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ ؛ فَأَرْسَلُوهُمْ إِلَيْهِ . فَلَوْ فَعَلْتُ كَمَا فِي تِلْكَ الْمَحَاضِرِ السَّطْحِيَّةِ ؛ لَاسْتَطَعْتُ أَنْ أُقْنِعَ ، لَا خَمْسَةً أَوْ عَشَرَةَ أَشْخَاصٍ ، بَلْ خَمْسَمِئَةٍ ، بَلْ خَمْسَةَ آلَافٍ ، بَلْ وَخَمْسَمِئَةِ أَلْفِ رَجُلٍ . .

وَأُبَيِّنُ مِثَالاً أَوْ مِثَالَيْنِ كَمَا ذَكَرْتُهُمَا فِي مَحْكَمَةِ (دَنِزْلِي) ، عَلَى مَا يُوجَدُ مِنَ الْأَخْطَاءِ فِي تِلْكَ الْمَحَاضِرِ . . فَإِنَّهُمْ آخَذُونَا قَائِلِينَ : إِنَّهُ يَفْعَلُ تَحْرِيفَاتٍ فِي الدِّينِ ، بِأَنْ جَعَلْنَا مِئَاتٍ مِنَ الْآيَاتِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي هِيَ مَنَابِعُ خُصُوصِيَّةُ «لِرِسَالَةِ النُّورِ» ، حِزْباً قُرْآنِيّاً مِثْلَ (أَنْعَامِيَّةٍ كَبِيرَةٍ) ، اتِّبَاعاً لِعَادَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ جَارِيَةٍ مِنْ زَمَنِ (السَّعَادَةِ) إِلَى الْآنِ . . وَأَيْضاً إِنَّهَا تُرِيدُ اتِّهَامَنَا بِرِسَالَةِ «التَّسَتُّرِ» ، الَّتِي حَمَلْتُ جَزَاءَهَا ؛ وَاتُّخِذَتْ مُحَرَّمَةً ؛ وَأُخْرِجَتْ مِنْ تَحْتِ أَكْوَامِ الْحَطَبِ ؛ كَمَا قُيِّدَ فِي الْمَحْضَرِ ؛ فَكَأَنَّهَا أُلِّفَتْ وَنُشِرَتْ هٰذِهِ السَّنَةَ . .

وَأَيْضاً إِنَّ أَقْوَالاً ثَقِيلَةً ، وَاعْتِرَاضَاتٍ اعْتَرَضْتُ بِهَا ، عَلَى وَاحِدٍ مَعْرُوفٍ كَانَ فِي رِئَاسَةِ الْحُكُومَةِ فِي (أَنْقَرَةَ) ، فَلَمْ يُقَاوِمْهَا ذٰلِكَ الرَّئِيسُ ؛ فَسَكَتَ أَمَامَهَا ؛ وَإِنَّ انْتِقَادَاتِي الْفِطْرِيَّةَ وَاللَّازِمَةَ وَالْكُلِّيَّةَ وَالْمُحَرَّمَةَ ، الَّتِي فِي الْبَيَانِ السَّابِقِ عَلَى أَرْبَعِينَ سَنَةً ، لِحَقِيقَةٍ حَدِيثِيَّةٍ أَظْهَرَتْ خَطَأَهُ بَعْدَ أَنْ مَاتَ هُوَ ، جُعِلَتْ مَدَارَ الْمَسْؤُولِيَّةِ لَنَا ، بِالتَّطْبِيقِ عَلَيْهِ تَمَاماً ، بِسَفْسَطَةِ مَقَامِ الِادِّعَاءِ . . فَأَيْنَ قَدْرُ شَخْصٍ مَاتَ وَانْقَطَعَتْ عَلَاقَتُهُ مِنَ الْحُكُومَةِ ؟ . وَأَيْنَ قَوَانِينُ الْعَدَالَةِ الَّتِي هِيَ تَذْكَارَةُ الْحُكُومَةِ وَالْأُمَّةِ ، وَتَجَلِّيَةُ حَاكِمِيَّةِ الْحَقِّ تَعَالَى ؟ .

وَأَيْضاً إِنَّ أَسَاسَ حُرِّيَّةِ الْوِجْدَانِ الَّذِي هُوَ مِنْ أُسُسِ الْحُكُومَةِ الْجُمْهُورِيَّةِ ؛ وَالَّذِي أَكْثَرَ مَا نَجْعَلُهُ مَدَارَ الاسْتِنَادِ لَنَا ؛ وَنُدَافِعُ بِهِ عَنَّا ، اتُّخِذَ مَدَارَ الْمَسْؤُولِيَّةِ ضِدَّنَا ، كَأَنَّنَا نَسْلُكُ مُعَارِضِينَ لِأَسَاسِ حُرِّيَّةِ الْوِجْدَانِ . . وَأَيْضاً إِنَّهُ يُسْنِدُ إِلَيْنَا فِي الْمَحَاضِرِ ، شَيْئاً لا يَرِدُ بِبَالِي وَخَيَالِي ، مِن انْتِقَادِي عَلَى سَيِّئَاتِ وَأَخْطَاءِ الْحَضَارَةِ ، فِي رِسَالَةٍ مَّا ؛ كَأَنِّي لا أَقْبَلُ اسْتِعْمَالَ الْمِذْيَاعِ(١) وَالطَّائِرَةِ وَالْقِطَارِ ؛ هٰكَذَا يَجْعَلُنِي مَسْؤُولاً ، بِاعْتِرَاضِي عَلَى التَّرَقِّيَاتِ الْحَاضِرَةِ . .

هٰذَا ، فَقِيَاساً عَلَى هٰذِهِ الأَمْثِلَةِ ، سَتُظْهِرُ مَحْكَمَةُ (أَفْيُون) ، أَنَّهَا كَمْ كَانَتْ مُعَامَلَةً بِخِلافِ الْعَدَالَةِ ؛ فَلا تَهْتَمُّ بِأَوْهَامِ تِلْكَ الْمَحَاضِرِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ ، مِثْلَ مَحْكَمَةِ (دَنِزْلِي) وَمُدَّعِيهَا الْعَامِّ ، الْمُنْصِفَيْنِ وَالْعَادِلَيْنِ . .

وَأَيْضاً إِنَّ أَغْرَبَهَا ، هُوَ : أَنِّي قُلْتُ فِي مَوْضِعٍ مَّا : كَانَ اللاَّزِمُ اسْتِقْبَالَ الطَّائِرَةِ وَالْقِطَارِ وَالإِذَاعَةِ ، الَّتِي هِيَ نِعَمُ اللهِ الْعِظَامُ ، بِالشُّكْرِ الْعَظِيمِ ؛ فَلَمْ يَشْكُرِ الْبَشَرُ ؛ فَأَمْطَرَ الْقَنَابِلَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ بِالطَّائِرَاتِ ؛ وَإِنَّ الإِذَاعَةَ نِعْمَةٌ إِلٰهِيَّةٌ عَظِيمَةٌ كَذٰلِكَ ؛ فَكَانَ الشُّكْرُ الْمُقَابِلُ هَا ، هُوَ أَنْ تَصِيرَ تِلْكَ الإِذَاعَةُ ، حَافِظَ قُرْآنٍ ، حَافِظاً كُلِّيّاً ذَا مَلايِينِ الأَلْسِنَةِ ؛ فَيُسْمِعَهُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي وَجْهِ الأَرْضِ ؛ وَبَيْنَمَا كُنْتُ أُبَيِّنُ فِي الْمَقَالَةِ الْعِشْرِينَ ، إِخْبَارَ الْقُرْآنِ عَنْ خَوَارِقِ الْحَضَارَةِ ، إِخْبَاراً غَيْبِيّاً ، قُلْتُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ إِشَارَةُ آيَةٍ مَّا : إِنَّ الْكُفَّارَ يَغْلِبُونَ عَالَمَ الإِسْلامِ بِالْقِطَارِ ؛ فَشَوَّقْتُ الإِسْلامَ إِلَى هٰؤُلاءِ الْخَوَارِقِ ؛ مَعَ أَنَّ بَعْضَ الْمُدَّعِينَ الْعَامِّينَ لِلْمَحَاكِمِ السَّابِقَةِ ، اتَّهَمَنَا قَائِلاً : إِنَّهُ مُعَارِضٌ لِلتَّرَقِّيَاتِ الْحَاضِرَةِ ، مِثْلِ الْقِطَارِ وَالطَّائِرَةِ وَالإِذَاعَةِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا أَحَدُ أَسْبَابِ اتِّهَامِي . .

وَأَيْضاً إِنَّ رَجُلاً قَالَ مِنْ تَعْبِيرِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، الَّذِي هُوَ اسْمٌ ثَانٍ «لِرَسَائِلِ النُّورِ» ؛ مَعَ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ أَيَّةُ مُنَاسَبَةٍ ، قَالَ : إِنَّهَا رِسَالَةٌ مِنْ نُورِ الْقُرْآنِ ــ أَيْ إِلْهَامٌ مِنْهُ ــ وَوَارِثٌ يُؤَدِّي

---

(١) لَقَدْ قُلْتُ : إِنَّ اللاَّزِمَ أَنْ يَقْرَأَ الْمِذْيَاعُ الْقُرْآنَ ؛ فَيُسْمِعَهُ النَّاسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ كُلِّهَا ؛ فَتُصْبِحَ كُرَةُ الْهَوَاءِ حَافِظَ قُرْآنٍ ، لِيَكُونَ شُكْراً عَظِيماً تُجَاهَ نِعْمَةٍ إِلٰهِيَّةٍ عَظِيمَةٍ مِثْلِ الْمِذْيَاعِ . . الْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) . .

وَظِيفَةَ الرِّسَالَةِ وَالشَّرِيعَةِ ؛ فَاتُّخِذَ ذٰلِكَ فِي ادِّعَاءٍ مَّا ، سَبَبَ اتِّهَامٍ لِي ، بِمَعْنًى خَاطِئٍ أَوَّلَهُ بِهِ مَكَانٌ آخَرُ ؛ فَكَأَنَّ رِسَالَةَ النُّورِ رَسُولٌ . .

وَأَيْضاً فَقَدْ أَثْبَتْنَا بِالْحُجَجِ ، فِي صُورَةٍ قَاطِعَةٍ ، فِي دِفَاعَاتِي فِي عِشْرِينَ مَوْضِعاً : أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَجْعَلَ الدِّينَ وَالْقُرْآنَ وَ«رِسَالَةَ النُّورِ» أَدَاةً ؛ وَلَوْ كَانَ مُقَابِلَ الدُّنْيَا كُلِّهَا ؛ وَلَنْ نُبَدِّلَ سَلْطَنَةَ الدُّنْيَا ، بِحَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ؛ وَنَحْنُ كَذٰلِكَ بِالْفِعْلِ ؛ وَإِنَّ أَمَارَاتِ هٰذِهِ الدَّعْوٰى ، هِيَ آلَافٌ فِي عِشْرِينَ عَاماً ؛ مَعَ أَنَّ مَحْكَمَةَ الاِسْتِجْوَابِ الْأَفْيُونِيَّةَ ، تَتَّهِمُنَا مِنْ إِجْرَاءَاتِهَا ، وَبِنَاءً عَلٰى مَحَاضِرَ أُخْرٰى فِي الِادِّعَاءِ ، بِأَنَّ مَقْصَدَنَا وَسَعْيَنَا ، كَأَنَّهُ هُوَ تَدْوِيرُ دَسَائِسِ الدُّنْيَا ؛ وَالسَّعْيُ لِأَغْرَاضِ الدُّنْيَا ؛ وَجَعْلُ الدِّينِ أَدَاةً لِأَشْيَاءِ خَسِيسَةٍ ؛ وَتَزْيِلٌ لِقُدُسِيَّتِهِ . . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَأَنَا وَنَحْنُ ، نَقُولُ بِكُلِّ قُوَّتِنَا : ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ . .

تَتِمَّةُ الِاعْتِرَاضِ ضِدَّ اتِّهَامِ مَحْكَمَةِ (أَفْيُونَ) إِيَّانَا . .

إِنَّ مُخَاطَبِي فِي اعْتِرَاضِي هٰذَا ، لَيْسَ مُدَّعِي (أَفْيُونَ) وَمَحْكَمَتَهَا ؛ بَلْ مُوَظَّفِينَ وَهَامِينَ وَمُغْرِضِينَ ، يُدِيرُونَ ضِدَّنَا الْوَضْعَ الْعَجِيبَ هُنَا وَفِي دَائِرَةِ الِاسْتِنْطَاقِ ، بِمَحَاضِرَ خَاطِئَةٍ وَنَاقِصَةٍ ، لِلْمُتَحَرِّينَ وَالْمُخْبِرِينَ وَالْمُدَّعِينَ الْعَامِّينَ فِي أَمَاكِنَ أُخْرٰى . .

(أَوَّلاً :) أَنَّ حُجَّةً قَاطِعَةً ، عَلٰى أَنَّ إِطْلَاقَ اسْمِ جَمْعِيَّةٍ سِيَاسِيَّةٍ ، لَمْ يَكُنْ لَهَا أَصْلٌ وَنَسْلٌ ؛ وَلَمْ تَرِدْ بِبَالِي ، عَلٰى تَلَامِذَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» الْأَبْرِيَاءِ ، الَّذِينَ لَيْسَ هُمْ عَلَاقَةٌ بِالسِّيَاسَةِ أَصْلاً ؛ وَعَدَّ الْبَائِسِينَ الدَّاخِلِينَ فِي تِلْكَ الدَّائِرَةِ ، الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ هُمْ مَقْصَدٌ مَّا ، سِوٰى إِيمَانِهِمْ وَآخِرَتِهِمْ ، مُجْرِمِينَ ؛ فَتَقْدِيمُهُمْ إِلَى الْمَحْكَمَةِ ، بِأَنَّهُ نَاشِرُ تِلْكَ الْجَمْعِيَّةِ ، أَوْ رُكْنٌ فَعَّالٌ لَهَا ، أَوْ مُنْتَسِبٌ إِلَيْهَا ؛ أَوْ أَنَّهُ قَرَأَ «رِسَالَةَ النُّورِ» ؛ وَأَقْرَأَهَا ؛ أَوْ كَتَبَهَا ، كَمْ كَانَ بَعِيداً عَنْ مَاهِيَّةِ

الْعَدَالَةِ، هِيَ: أَنَّ قُرَّاءَ كُتُبِ الدُّكْتُورِ «دُوزِينَ» وَسَائِرِ الزَّنَادِقَةِ، تِلْكَ الْكُتُبِ الضَّارَّةِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي مُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ، لَمْ يُعَدُّوا مُجْرِمِينَ، بِدُسْتُورِ حُرِّيَّةِ الْفِكْرِ، وَالْحُرِّيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ؛ مَعَ أَنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ»، الَّتِي تُعَلِّمُ الْحَقِيقَةَ الْقُرْآنِيَّةَ كَالشَّمْسِ، لِلْمُحْتَاجِينَ وَالْمُشْتَاقِينَ لِلْغَايَةِ إِلَىٰ تَعَلُّمِهَا، عُدَّتْ قِرَاءَتُهَا وَكِتَابَتُهَا جُرْماً..

وَأَيْضاً إِنَّهَا أَظْهَرَتِ الذَّرِيعَةَ، عِدَّةَ جُمَلٍ فَقَطْ، فِي رِسَالَةٍ أَوْ رِسَالَتَيْنِ، اتَّخَذْنَاهَا مُحَرَّمَةً قَبْلَ تَشْهِيرِ الْمَحَاكِمِ؛ لِئَلَّا تُؤَوَّلَ بِالْمَعْنَى الْخَاطِئِ؛ فَاتَّهَمَتْنَا بِهَا، بَيْنَ مِئَةِ رِسَالَةٍ؛ مَعَ أَنَّ مَحْكَمَةَ (أَسْكِيشَهِر)، دَقَّقَتْ تِلْكَ الرَّسَائِلَ، إِلَّا وَاحِدَةً مِنْهَا؛ وَنَظَرَتْ فِيمَا تَسْتَوْجِبُهُ؛ وَإِنَّمَا مَسَّتْ مَسْأَلَةً أَوْ مَسْأَلَتَيْنِ، مِنْ رِسَالَةِ (التَّسَتُّرِ) الْوَحِيدَةِ فَقَطْ؛ وَقَدْ أُجِيبَ عَنِ الْمُسْتَثْنَاةِ مِنْهَا، الْجَوَابُ الْقَاطِعُ لِلْغَايَةِ، فِي عَرِيضَتِي وَفِي اعْتِرَاضِي؛ وَأُثْبِتَ قَطْعاً بِعِشْرِينَ وَجْهاً، فِي مَحْكَمَةِ (أَسْكِيشَهِر): أَنَّ بِأَيْدِينَا النُّورَ؛ وَلَيْسَ فِيهَا الْهِرَاوَةُ؛ وَدَقَّقَتْ مَحْكَمَةُ (دَنِزْلِي)، جَمِيعَ الرَّسَائِلِ بِدُونِ اسْتِثْنَاءٍ؛ وَلَمْ تَمَسَّ أَيَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا؛ مَعَ أَنَّ مُدَّعِينَ مُتَعَسِّفِينَ، يَشْمَلُونَ بِثَلاثٍ أَوْ أَرْبَعِ جُمَلٍ، مِنْ تِلْكَ الرَّسَائِلِ الثَّلاثِ أَوِ الْأَرْبَعِ، عَلَىٰ جَمِيعِ «رِسَالَةِ النُّورِ»؛ بَلْ كَأَنَّهُمْ يُصَادِرُونَ مَجْمُوعَةَ «ذِي الْفِقَارِ»، ذَاتَ الصَّحَائِفِ الْأَرْبَعِمِئَةِ، لِأَجْلِ صَحِيفَتَيْنِ؛ فَاتَّهَمُوا قَارِئَ «رِسَالَةِ النُّورِ» وَكَاتِبَهَا، مُجْرِماً؛ وَاتَّهَمُونِي أَيْضاً بِأَنَّهُ يُبَارِزُ الْحُكُومَةَ. وَإِنِّي أُشْهِدُ أَحْبَابِي الْمُقَرَّبِينَ إِلَيَّ، وَالْمُجْتَمِعِينَ بِي؛ وَأُؤَمِّنُ بِالْقَسَمِ: أَنَّهُ أَصْبَحَ أَكْثَرَ مِنْ هٰذِهِ السَّنَوَاتِ الْعَشْرِ؛ وَأَنَا لا أَعْلَمُ قَطْعاً مَنْ هُمْ أَرْكَانُ الْحُكُومَةِ، وَوُزَرَاؤُهَا وَقَادَتُهَا وَمُوَظَّفُوهَا وَنُوَّابُهَا، مَا عَدَا رَئِيسَيْنِ وَنَائِبٍ وَاحِدٍ، وَوَالِي (قَسْطَمُونِي)؛ وَلَمْ أَتَطَلَّعْ لِلْمَعْرِفَةِ أَيْضاً؛ وَلٰكِنَّ شَخْصاً أَوْ شَخْصَيْنِ، أَظْهَرَا الْعَلاقَةَ بِي قَبْلَ سَنَةٍ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ عَلِمْتُ خَمْسَةً أَوْ سِتَّةَ أَرْكَانٍ.. فَيَا عَجَباً! هَلْ يُوجَدُ أَيُّ إِمْكَانٍ، أَنْ لا يَعْرِفَ شَخْصٌ، الرِّجَالَ الَّذِينَ يُبَارِزُهُمْ؛ وَأَنْ لا يَتَطَلَّعَ لِلْمَعْرِفَةِ؛ وَأَنْ لا يَهْتَمَّ بِمَعْرِفَةِ مَنْ فِي وِجْهَتِهِ، هَلْ هُوَ صَدِيقٌ أَوْ عَدُوٌّ؟. فَيُفْهَمُ مِنْ هٰؤُلاءِ الْأَحْوَالِ: أَنَّهُمْ يُحْدِثُونَ ذَرَائِعَ لا أَصْلَ لَهَا لِلْغَايَةِ، لِأَجْلِ تَشْتِيتِي عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ وَبِالِالْتِزَامِ.. فَإِذَا كَانَتِ الْكَيْفِيَّةُ هٰكَذَا؛ فَأَنَا أَقُولُ، لا لِلْمَحْكَمَةِ هُنَا، بَلْ لِأُولَائِكَ الْمُتَعَسِّفِينَ: إِنِّي لا أَدْفَعُ قِيمَةَ خَمْسَةِ دَرَاهِمَ، لِأَثْقَلِ جَزَائِكُمْ

الَّذي سَتُدِينُونَني بِهِ ؛ وَلا قِيمَةَ لَهُ أَصْلاً ؛ لِأَنّي عَلى بَابِ الْقَبْرِ ؛ وَفي السَّبْعِينَ مِنَ السِّنِّ ؛ وَأَنَّ تَبْدِيلَ مَرْتَبَةِ الشَّهَادَةِ ، بِسَنَةٍ أَوْ سَنَتَيْنِ ، مِنْ مِثْلِ هٰذِهِ الْحَيَاةِ الْبَرِيئَةِ وَالْمَظْلُومَةِ ، هُوَ سَعَادَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَجْلِي ؛ فَإِنَّ لِي إِيمَاناً قَطْعِياً بِآلافِ حُجَجِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، بِأَنَّ الْمَوْتَ تَذْكِرَةُ تَسْرِيحٍ لِأَجْلِنَا ؛ فَإِنْ كَانَ إِعْدَاماً ظَاهِرِيّاً أَيْضاً ، فَإِنَّ سَاعَةً مِنَ الْمِحْنَةِ ، تَكُونُ مِفْتَاحَ سَعَادَةٍ وَرَحْمَةٍ أَبَدِيَّةٍ لِأَجْلِنَا ؛ وَلٰكِنَّكُمْ ، أَيُّهَا الْأَعْدَاءُ الْأَخْفِيَاءُ ، وَأَيُّهَا الْمُتَعَسِّفُونَ الَّذِينَ يُشَوِّشُونَ الْعَدْلِيَّةَ ؛ وَيُشْغِلُونَ الْحُكُومَةَ بِنَا بِدُونِ سَبَبٍ ، بِحِسَابِ الزَّنْدَقَةِ ! فَاعْلَمُوا قَطْعاً ؛ وَارْتَعِدُوا : أَنَّكُمْ ، تَصِيرُونَ مَحْكُومِينَ بِالْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ؛ فَنُشَاهِدُ أَنَّ انْتِقَامَنَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ ، فِي صُورَةٍ مُضَاعَفَةٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً ؛ حَتّىٰ إِنَّنَا نَتَأَلَّمُ لَكُمْ . .

نَعَمْ : إِنَّ حَقِيقَةَ الْمَوْتِ الَّذِي أَفْرَغَ هٰذِهِ الْمَدِينَةَ فِي الْمَقْبَرَةِ مِئَةَ مَرَّةٍ ، لَهَا مَطْلَبٌ قَطْعاً ، فَضْلاً عَنِ الْحَيَاةِ ؛ وَإِنَّ وَسِيلَةَ النَّجَاةِ مِنْ إِعْدَامِهَا ، هِيَ احْتِيَاجٌ ضَرُورِيٌّ وَقَطْعِيٌّ لِلنَّاسِ ، أَعْظَمُ وَأَهَمُّ وَأَلْزَمُ فَوْقَ كُلِّ مَسَائِلِهِمْ . . فَيَا عَجَباً ! إِنَّ الَّذِينَ يَتَّهِمُونَ بِذَرَائِعَ عَادِيَّةٍ ، تَلامِذَةَ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، الَّذِينَ وَجَدُوا لِأَنْفُسِهِمْ هٰذِهِ الْوَسِيلَةَ ؛ وَيَتَّهِمُونَ «رِسَالَةَ النُّورِ» ، الَّتِي اسْتَوْجَدَتْ تِلْكَ الْوَسِيلَةَ بِآلافِ الْحُجَجِ ، كَمْ يَصِيرُونَ هُمْ أَنْفُسُهُمْ ، مُتَّهَمِينَ فِي نَظَرِ الْحَقِيقَةِ وَالْعَدَالَةِ ؟ . ذٰلِكَ يَفْهَمُهُ الْمَجَانِينُ أَيْضاً . .

وَإِنَّ الَّذِي أَوْرَثَ وَهْمَ جَمْعِيَّةٍ سِيَاسِيَّةٍ غَرَّتْ أُولٰئِكَ الْمُتَعَسِّفِينَ ؛ وَلَمْ تَكُنْ لَهَا أَيَّةُ مُنَاسَبَةٍ ، هُوَ ثَلاثُ مَوَادَّ . .

(اَلْأُولىٰ :) أَنَّ كَوْنَ تَلامِذَتِي ، ذَوِي عَلاقَةٍ شَدِيدَةٍ بِي كَالْأَخِ ، مُنْذُ الْقِدَمِ ، أَوْرَثَ وَهْمَ جَمْعِيَّةٍ مَّا . .

(اَلثَّانِيَةُ :) أَنَّ بَعْضَ تَلامِذَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، يَعْمَلُونَ مِثْلَ هَيْئَاتِ الْجَمَاعَةِ الْإِسْلامِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ؛ وَتَسْمَحُ لَهَا قَوَانِينُ الْجُمْهُورِيَّةِ ؛ وَلا تَمَسُّهُمْ ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ ظُنَّتْ جَمْعِيَّةً مَّا ؛ مَعَ أَنَّ نِيَّةَ أُولٰئِكَ التَّلامِذَةِ الثَّلاثَةِ أَوِ الْأَرْبَعَةِ الْمَحْدُودَةِ ، لَيْسَتْ جَمْعِيَّةً أَوْ شِبْهَهَا ؛ بَلْ أُخُوَّةٌ خَالِصَةٌ وَتَسَانُدَةٌ أُخْرَوِيَّةٌ ، فِي مَحْضِ الْخِدْمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ . .

﴿الثَّالِثَةُ :﴾ أَنَّ أُولائِكَ الْمُتَعَسِّفِينَ ، يَعْلَمُونَ أَنْفُسَهُمْ ، فِي الضَّلالَةِ وَعُبُودِيَّةِ الدُّنْيَا ؛ وَيَجِدُونَ بَعْضَ قَوَانِينِ الْحُكُومَةِ مُسَامِحَةً لَهُمْ ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ يَقُولُونَ فِكْراً : إِنَّ «السَّعِيدَ» وَأَصْحَابَهُ ، مُخَالِفُونَ لَنَا عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَلِقَوَانِينِ الْحُكُومَةِ الْمُسَامِحَةِ لِأَهْوَائِنَا الْحَضَارِيَّةِ غَيْرِ الْمَشْرُوعَةِ ؛ فَإِذاً إِنَّهُمْ جَمْعِيَّةٌ سِيَاسِيَّةٌ مُخَالِفَةٌ . .

وَأَنَا أَقُولُ : أَيُّهَا الْأَشْقِيَاءُ ! لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا أَبَدِيَّةً ؛ وَبَقِيَ الْإِنْسَانُ فِيهَا دَائِماً ؛ وَكَانَتِ الْوَظَائِفُ الْإِنْسَانِيَّةُ سِيَاسَةً فَقَطْ ؛ لَاحْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ فِي افْتِرَائِكُمْ هٰذَا ، مَعْنًى مَّا . . وَأَيْضاً إِنِّي لَوْ دَخَلْتُ الْأَمْرَ بِالسِّيَاسَةِ ؛ لَوَجَدْتُمْ فِي الرَّسَائِلِ الْمِئَةِ ، لَا عَشْرَ جُمَلٍ ، بَلْ أَلْفَ جُمَلٍ سِيَاسِيَّةٍ وَمُبَارِزَةٍ . . وَأَيْضاً إِنْ كُنَّا بِفَرْضِ الْمُحَالِ ، نَعْمَلُ نَحْنُ أَيْضاً مِثْلَكُمْ ، بِكُلِّ قُوَّتِنَا ، لِمَقَاصِدِ الدُّنْيَا ، وَلِأَذْوَاقِهَا وَسِيَاسَاتِهَا ــ وَهٰذَا لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَيْضاً ، أَنْ يَسْعَى لِلْإِقْنَاعِ بِهِ ؛ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَسُوقَ أَحَداً إِلَى قَبُولِهِ ــ فَلْيَكُنْ هٰكَذَا أَيْضاً ؛ فَإِذَا كَانَتْ أَيَّةُ وُقُوعَاتِنَا لَا تَظْهَرُ فِي عِشْرِينَ عَاماً ؛ وَتَنْظُرُ الْحُكُومَةُ إِلَى الْيَدِ ؛ وَلَا تَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ ؛ وَتُوجَدُ الْمُخَالِفُونَ الْأَشِدَّاءُ فِي كُلِّ حُكُومَةٍ ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَجْعَلُونَا مَسْؤُولِينَ بِقَانُونِ الْعَدْلِيَّةِ . . وَإِنَّ كَلَامِيَ الْأَخِيرَ ، هُوَ : ﴿حَسْبِيَ اللهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

إِنِّي أُبَيِّنُ أَنَّ هٰذِهِ الْحَادِثَةَ الَّتِي أَنْتَجَتْ سِجْنَ (أَفْيُونَ) ، كَانَتْ مُخَالِفَةً لِلْقَانُونِ بِعَشَرَةِ أَوْجُهٍ ؛ مَعَ أَنِّي كُنْتُ مُنْزَوِياً وَمُنْقَطِعَ الصِّلَةِ عَنِ السِّيَاسَةِ ، بَعْدَ بَرَاءَتِنَا الدَّنِزْلِيَّةِ . .

﴿الْأَوَّلُ :﴾ أَنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» ، مَرَّتْ مِنْ تَدْقِيقِ ثَلَاثِ مَحَاكِمَ وَثَلَاثِ هَيْئَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْخِبْرَةِ ، وَفِي مَقَامَاتِ «أَنْقَرَةَ» السَّبْعِ ، وَبِأَيْدِي الْعَدْلِيَّاتِ سَنَتَيْنِ ؛ مَعَ أَنَّهُ أَقَرَّ بِبَرَاءَةِ جَمِيعِ الرَّسَائِلِ ، بِالِاتِّفَاقِ ، دُونَ أَنْ يَبْقَى أَحَدُهُمْ مُخَالِفاً أَصْلاً ؛ وَبُرِّئَ مَعَ «السَّعِيدِ» ، خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ مُجْتَمِعِينَ ؛ وَلَمْ يُدَانُوا ، وَلَوْ يَوْماً وَاحِداً ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ ، فَإِنَّ التَّطَاوُلَ

مِنْ جَدِيدٍ ، إِلىٰ تِلْكَ الرَّسَائِلِ ، كَأَوْرَاقٍ مُضِرَّةٍ ، كَمْ دَرَجَةً يَكُونُ خِلاَفَ الْقَانُونِ ؟ يَعْلَمُهُ مَنْ لَهُ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِنْصَافِ . .

﴿ اَلثَّانِي : ﴾ أَنَّ رَجُلاً مُنْزَوِياً غَرِيباً فِي (أَمِرْ دَاغِي) ثَلاَثَ سَنَوَاتٍ وَنِصْفٍ ، بَعْدَ الْبَرَاءَةِ ، يُغْلِقُ بَابَهُ مِنَ الْخَارِجِ بِالْقُفْلِ ، وَمِنَ الدَّاخِلِ بِالْغَلَقِ ؛ وَلاَ يَقْبَلُ عِنْدَهُ إِنْسَاناً فِي الْمِئَةِ ، دُونَ أَنْ يَحْدُثَ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ ؛ وَتَرَكَ تَأْلِيفَهُ الَّذِي كَانَ يَدُومُ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً ؛ فَلاَ يُؤَلِّفُ بَعْدُ ، أَتَوْهُ لِأَجْلِ السِّيَاسَةِ ؛ فَكَسَرُوا قُفْلَ بَابِهِ ؛ مَعَ أَنَّ الْمُتَحَرِّينَ لَمْ يَجِدُوا شَيْئاً غَيْرَ أَوْرَادِهِ الْعَرَبِيَّةِ وَاللَّوْحَةِ الْإِيمَانِيَّةِ عِنْدَ رَأْسِهِ . فَإِيذَاؤُهُ بِهٰذَا الْأَذٰى ، كَمْ دَرَجَةً يَكُونُ خِلاَفَ الْقَانُونِ ؟ يَفْهَمُهُ مَنْ لَهُ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِنْصَافِ . .

﴿ اَلثَّالِثُ : ﴾ أَنَّ إِنْسَاناً لَمْ يَعْلَمِ الْحَرْبَ الْعَالَمِيَّةَ ، وَلَمْ يَتَطَلَّعْ لَهَا ؛ وَلَمْ يَسْأَلْهَا ، سَبْعَ سِنِينَ ، بِتَصْدِيقِ سَبْعِينَ شَاهِداً ؛ كَمَا قُلْتُ فِي الْمَحْكَمَةِ ؛ ـ فَالْآنَ أَصْبَحَ عَشْرَ سَنَوَاتٍ ؛ وَهُوَ فِي عَيْنِ الْحَالِ ـ وَلَمْ يَقْرَأْ أَيَّةَ جَرِيدَةٍ ؛ وَلَمْ يَسْتَمِعْ إِلَيْهَا ، مُنْذُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً ؛ وَيَهْرُبُ بِكُلِّ قُوَّتِهِ عَنِ السِّيَاسَةِ ، قَائِلاً : «أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالسِّيَاسَةِ» ، مُنْذُ ثَلاَثِينَ سَنَةً ؛ وَعَانىٰ مُضَايَقَاتٍ أَلِيمَةً ، اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ عَاماً ؛ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُرَاجِعِ الْحُكُومَةَ لِاسْتِرَاحَتِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً ؛ كَيْلاَ يُخَالِطَ السِّيَاسَةَ ؛ وَلاَ يَجْتَلِبَ إِلىٰ نَفْسِهِ نَظَرَ إِمْعَانِ أَهْلِ السِّيَاسَةِ ؛ فَإِنَّ مُدَاهَمَةَ مَنْزِلِهِ وَمُنْزَوَاهُ ؛ فَإِيذَاءَهُ بِمُضَايَقَةٍ لاَ مِثْلَ لَهَا ؛ وَهُوَ فِي حَالِ الْمَرَضِ ، كَسِيَاسِيٍّ رَهِيبٍ ، وَمِثْلَ دَسَّاسٍ سِيَاسِيٍّ ؛ هَلْ تُوَافِقُ أَيَّ قَانُونٍ ؟ فَمَنْ كَانَ لَهُ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الْوِجْدَانِ ؛ يَتَأَلَّمُ لِهٰذِهِ الْحَالِ . .

﴿ اَلرَّابِعُ : ﴾ أَنَّ الرَّئِيسَ الْكَبِيرَ ، أَغْرٰى «بِالسَّعِيدِ» بَعْضَ الْعَدْلِيِّينَ ، بِغَرَضِهِ الشَّخْصِيِّ لَهُ ، بِذَرِيعَةِ تِلْكَ الْأَوْهَامِ الَّتِي سَبَبُهَا دَعْوَةُ الْجَمْعِيَّةِ وَالطَّرِيقَةِ أَيْضاً ، بَعْدَ التَّدْقِيقِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، فِي مَحْكَمَةِ (أَسْكِيشَهِرَ) ؛ مَعَ أَنَّهَا بَرَّأَتْهُ فِي جِهَةِ الْجَمْعِيَّةِ وَالطَّرِيقَةِ وَ«رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ وَإِنَّمَا تَذَرَّعُوا بِرِسَالَةِ «التَّسَتُّرِ» ، الَّتِي هِيَ جُزْءٌ صَغِيرٌ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَأَدَانُوا سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، خَمْسَةً أَوْ عَشَرَةَ تَلاَمِذَةٍ ، بَيْنَ مِئَةِ تِلْمِيذٍ ، لاَ بِالْقَانُونِ ، وَإِنَّمَا بِالْقَنَاعَةِ الْوِجْدَانِيَّةِ ؛ فَكَانُوا

مَوْقُوفِينَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفاً، إِلىٰ زَمَانِ التَّدْقِيقِ: أَيْ بَقُوا مَسْجُونِينَ شَهْراً وَنِصْفَ شَهْرٍ؛ وَبَعْدَ عَشْرِ سِنِينَ، دَقَّقَتْ مَحْكَمَةُ (دِنِزْلِي)، تَدْقِيقاً دَقِيقاً، جَمِيعَ مَكْتُوبَاتِهِ وَتَأْلِيفَاتِهِ الْعَائِدَةِ لِعِشْرِينَ سَنَةً، بِعِدَّةِ ذَرَائِعَ، مِثْلِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْجَمْعِيَّةِ وَالطَّرِيقَةِ، تِسْعَةَ أَشْهُرٍ أَيْضاً؛ مَعَ أَنَّهَا أَرْسَلَتْ خَمْسَ صَنَادِيقَ مِنَ الْكُتُبِ، إِلىٰ مَحْكَمَةِ (أَنْقَرَة) الْعُلْيَا الْجِنَائِيَّةِ؛ وَمَرَّتْ تِلْكَ الْكُتُبُ وَالْمَكْتُوبَاتُ، مِنْ تَدْقِيقِ مَحْكَمَتَيْ (أَنْقَرَة) وَ (دِنِزْلِي) سَنَتَيْنِ؛ مَعَ أَنَّ تِلْكَ الْمَحَاكِمَ أَعْطَتْ قَرَارَ الْبَرَاءَةِ بِالاتِّفَاقِ، فِي جِهَةِ دَعْوَى الْجَمْعِيَّةِ وَالطَّرِيقَةِ (١) وَسَائِرِ الذَّرَائِعِ؛ فَأَعَادُوا تِلْكَ الْكُتُبَ وَالْمَكْتُوبَاتِ عَيْنَهَا لِأَصْحَابِهَا؛ وَبَرَّأُوا «السَّعِيدَ» مَعَ رُفَقَائِهِ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ؛ فَإِنَّ اتِّهَامَهُ بِنَظْرَةِ دَاعِي جَمْعِيَّةٍ سِيَاسِيَّةٍ، وَفِي شَكْلِ رَجُلٍ دَسَّاسٍ؛ وَتَحْرِيضَ مُوَظَّفِي الْعَدْلِيَّةِ ضِدَّهُ، فِي نُقْطَةِ الطَّرِيقَةِ، كَمْ يَكُونُ خِلَافَ الْقَانُونِ؟ يَعْلَمُهُ مَنْ لَمْ تَسْقُطْ إِنْسَانِيَّتُهُ..

﴿الْخَامِسُ:﴾ أَنِّي بِاعْتِبَارِ الشَّفَقَةِ، الَّتِي هِيَ أَسَاسُ مَسْلَكِي وَمَسْلَكِ «رِسَالَةِ النُّورِ»، وَالَّتِي هِيَ إِحْدَى دَسَاتِيرِ حَيَاتِي، مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، لَا أَمَسُّ الْجُنَاةَ الَّذِينَ يَظْلِمُونَنِي؛ بَلْ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ أُقَابِلَهُمْ بِالدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ؛ ذٰلِكَ لِئَلَّا يَرِدَ الضَّرَرُ عَلىٰ بَرِيءٍ وَاحِدٍ؛ حَتّٰى إِنِّي إِذْ أَغْضَبُ عَلىٰ بَعْضِ الْفَاسِقِينَ، بَلِ الظَّالِمِينَ الْمُلْحِدِينَ الَّذِينَ يَظْلِمُونَنِي بِأَشَدِّ غَرَضٍ، تَمْنَعُنِي تِلْكَ الشَّفَقَةُ، لَا عَنِ الْمُقَابَلَةِ الْمَادِّيَّةِ، بَلْ وَعَنِ الْمُقَابَلَةِ بِالدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ؛ كَيْلَا يَرِدَ الضَّرَرُ الْمَادِّيُّ، إِمَّا عَلَى الْكُهُولِ الْبَائِسِينَ مِثْلِ وَالِدِ وَوَالِدَةِ ذٰلِكَ الْغَدَّارِ الظَّالِمِ، أَوْ

---

(١) إِنَّ أَسَاسَ الْأَنْوَارِ وَهَدَفَهَا: هُوَ الْإِيمَانُ التَّحْقِيقِيُّ، وَالْحَقِيقَةُ الْقُرْآنِيَّةُ؛ فَلِذٰلِكَ قَدَّمَتْ ثَلَاثُ مَحَاكِمَ، الْبَرَاءَةَ فِي نُقْطَةِ الطَّرِيقَةِ. وَأَيْضاً إِنَّ أَيَّ إِنْسَانٍ، لَمْ يَقُلْ فِي هٰذِهِ السِّنِينَ الْعِشْرِينَ: إِنَّ «السَّعِيدَ»، مَنْحَيِ الطَّرِيقَةِ. وَأَيْضاً إِنَّ مَسْلَكاً ارْتَبَطَ بِهِ أَكْثَرُ أَجْدَادِ هٰذَا الشَّعْبِ، مُنْذُ أَلْفِ سَنَةٍ، لَنْ يَكُونَ سَبَبَ الْمَسْؤُولِيَّةِ. وَأَيْضاً لَا يُتَّهَمُ بِالطَّرِيقَةِ، الْمُقَاوِمُونَ عَلىٰ وَجْهِ الْغَلَبَةِ، ضِدَّ الْمُنَافِقِينَ الْمُخْتَفِينَ، الَّذِينَ يُطْلِقُونَ اسْمَ الطَّرِيقَةِ، عَلَى الْحَقِيقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ فَيَتَعَرَّضُونَ لِدِينِ هٰذَا الشَّعْبِ. أَمَّا الْجَمْعِيَّةُ: فَهِيَ أُخُوَّةٌ أُخْرَوِيَّةٌ، فِي جِهَةِ الْأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ ثَلَاثَ مَحَاكِمَ، حَكَمْنَ بِأَنَّهَا لَيْسَتْ جَمْعِيَّةً سِيَاسِيَّةً؛ فَبَرَّأْنَ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ.. الْمُؤَلِّفُ، (رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالىٰ عَنْهُ)..

عَلَى الْأَبْرِيَاءِ مِثْلِ أَوْلَادِهِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا أَمَسُّ ذٰلِكَ الْغَدَّارَ الظَّالِمَ ؛ وَأَحْيَاناً أَحُلُّ حَقِّي ، بِنَاءً عَلَى رِعَايَةِ أُولَائِكَ الْأَبْرِيَاءِ الْأَرْبَعَةِ أَوِ الْخَمْسَةِ.. هٰذَا ، فَلِأَجْلِ سِرِّ هٰذِهِ الشَّفَقَةِ ، لَا أَمَسُّ الْإِدَارَةَ وَالْأَمْنَ قَطْعاً ؛ كَمَا أَوْصَيْتُ جَمِيعَ أَصْحَابِي أَيْضاً ، إِلَى دَرَجَةٍ اعْتَرَفَ قِسْمٌ مِنَ الشُّرْطَةِ الْمُنْصِفِينَ ، مِنْ شُرْطَةِ ثَلَاثِ وِلَايَاتٍ ؛ فَقَالُوا : إِنَّ تَلَامِذَةَ النُّورِ هٰؤُلَاءِ ، هُمْ شُرْطَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ ؛ فَيُحَافِظُونَ عَلَى الْإِدَارَةِ وَالْأَمْنِ ؛ وَيُؤَيِّدُ ذٰلِكَ آلَافُ الشُّهُودِ لِهٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَتَصْدِيقُهُمْ بِهَا بِحَيَاتِهِمْ عِشْرِينَ عَاماً ؛ وَآلَافُ التَّلَامِذَةِ أَيْضاً ، بِعَدَمِ تَقْيِيدِهِمْ أَيَّةَ وَاقِعَةٍ حَسَبَ الشُّرْطَةِ ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ مُدَاهَمَةَ مَنْزِلِ ذٰلِكَ الرَّجُلِ الْبَائِسِ ؛ وَإِهَانَةَ الْأَشْخَاصِ الْمُتَعَسِّفِينَ ، إِيَّاهُ ، كَقِيَادِيٍّ ثَوْرِيٍّ مُتَعَسِّفٍ ؛ وَجَمْعَ أَلْوَاحِهِ الَّتِي عِنْدَ رَأْسِهِ ، كَأَوْرَاقٍ مُضِرَّةٍ ، بَلْ وَقُرْآنِهِ الْمُعْجِزِ الْبَدِيعِ وَالْقَيِّمِ لِلْغَايَةِ ، كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ مِئَةُ جِنَايَةٍ ؛ مَعَ عَدَمِ وُجُودِهِمْ شَيْئاً فِي مَنْزِلِهِ ؛ فَيَا عَجَباً ! أَيُّ قَانُونٍ يَسْمَحُ بِذٰلِكَ ؟. وَإِنَّ سَوْقَ أَمْثَالِ هٰؤُلَاءِ الْآلَافِ مِنَ الْفُضَلَاءِ الْمُتَدَيِّنِينَ الْخَادِمِينَ لِلْأَمْنِ وَلِحُسْنِ الْأَخْلَاقِ ، سَوْقاً بِإِجْبَارٍ ، ضِدَّ الْأَمْنِ وَالْإِدَارَةِ ، مِنْ أَجْلِ الْأَوْهَامِ ، هُوَ مُقْتَضَى أَيَّةِ مَصْلَحَةٍ ؟.

﴿اَلسَّادِسُ :﴾ أَنَّ رَجُلاً فَهِمَ بِعِنَايَةِ اللهِ تَعَالَى ــ لَهُ الشُّكْرُ بِلَا حَدٍّ ــ وَبِفَيْضِ الْقُرْآنِ ، قَبْلَ ثَلَاثِينَ عَاماً مِنَ الْآنِ : أَنَّ عِزَّ الدُّنْيَا وَشَرَفَهَا الْمُؤَقَّتَ ؛ وَتَصَنُّعَهَا وَحُبَّ اشْتِهَارِهَا الْأَنَانِيِّ ، كَمْ كَانَ بِدُونِ فَائِدَةٍ ، وَبِغَيْرِ مَعْنًى ، يَعْلَمُ وَيَشْهَدُ قَطْعاً ، الَّذِينَ يَخْدُمُونَهُ أَوْ يُصَاحِبُونَهُ : أَنَّهُ يَسْعَى بِقَدَرِ الْإِمْكَانِ ، مُنْذُ ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، بِكُلِّ قُوَّتِهِ ، لِيُجَادِلَ نَفْسَهُ الْأَمَّارَةَ فَيُفْنِيَهَا ؛ وَلِيَتْرُكَ أَنَانِيَّتَهُ ؛ وَلَا يَعْمَلَ التَّصَنُّعَ وَالرِّيَاءَ ؛ وَأَنَّ فِرَارَهُ بِجَمِيعِ قُوَّتِهِ ، مُخَالِفاً لِكُلِّ أَحَدٍ ، مُنْذُ عِشْرِينَ عَاماً ، مِنْ مَعْرِفَةِ كَوْنِهِ صَاحِبَ الْمَقَامِ الْمَعْنَوِيِّ ، وَمِنَ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ عَلَى شَخْصِهِ ، وَمِنْ تَوَجُّهِ النَّاسِ ، وَمِنْ زِيَادَةِ حُسْنِ الظَّنِّ ، الَّذِي يَسْتَحِبُّهُ كُلُّ أَحَدٍ فِي حَقِّ نَفْسِهِ ؛ وَأَنَّ رَدَّهُ لِحُسْنِ ظَنِّ خَوَاصِّ إِخْوَانِهِ فِي حَقِّهِ ؛ فَكَسْرَهُ لِقُلُوبِ إِخْوَانِهِ الْخَالِصِينَ أُولَائِكَ ؛ وَأَنَّ عَدَمَ قَبُولِهِ لِمَدْحِهِمْ وَزِيَادَةِ حُسْنِ ظَنِّهِمْ فِي حَقِّهِ ، فِيمَا كَتَبَهُ مِنْ مَكْتُوبَاتِهِ الْجَوَابِيَّةِ ؛ وَأَنَّ إِظْهَارَهُ لِنَفْسِهِ مَحْرُومَةً عَنِ الْفَضِيلَةِ ؛ فَتَقْدِيمَهُ جَمِيعَ الْفَضَائِلِ «لِرِسَالَةِ النُّورِ» ، الَّتِي هِيَ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ ،

وَلِلشَّخصِ الْمَعْنَوِيِّ لِتَلامِذَةِ النُّورِ بِالتَّبعِ ؛ فَمَعْرِفَتَهُ بِنَفْسِهِ خَادِماً عَادِيّاً ، تُثْبِتُ قَطْعاً : أَنَّهُ لا يَسْعٰى لِلْإِعْجَابِ بِنَفْسِهِ ؛ وَلا يُرِيدُهُ ؛ وَيَرُدُّهُ ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ زِيَادَةَ حُسْنِ ظَنِّ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ ، فِي حَقِّهِ ؛ وَامْتِدَاحَهُمْ لَهُ ، وَإِسْنَادَهُمْ مَقَاماً إِلَيْهِ ، مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ، دُونَ رِضَاهُ ، مَعَ بَعْضِ أَقْوَالِ وَاعِظٍ لا يَعْرِفُهُ هُوَ ، بِجِوَارِ (كُوتَاهِيَه) ، وَمَعَ رِسَالَةٍ تُوُهِّمَتْ مَدَارَ الْمَسْؤُولِيَّةِ ؛ وَكُتِبَتْ بِالتَّقْلِيدِ لِتَوْقِيعِي ؛ وَلَمْ أُرْسِلْ أَيَّةَ رِسَالَةٍ إِلَىٰ (كُوتَاهِيَه) ، وَمَعَ وُجُودِ كِتَابٍ نَاقِدٍ فِي (بَالِقْكَسِرَ) ، لَمْ يُعْرَفْ مَنْ كَتَبَهُ ؛ فَيَا عَجَباً ! بِأَيِّ قَانُونٍ ، تَصِيرُ تِلْكَ ، مَدَارَ الْمَسْؤُولِيَّةِ ؟ فَيَكْسِرَ قُفْلَ غُرْفَةِ ذٰلِكَ الْبَائِسِ الْمَرِيضِ وَالْغَرِيبِ الْهَرِمِ جِدّاً ؛ فَيُقْحِمَ بِمُوَظَّفِي التَّحَرِّي ، فِي غُرْفَتِهِ الْمُنْزَوِيَةِ ؛ فَكَأَنَّهُ ارْتَكَبَ جِنَايَةً كَبِيرَةً ؛ فَلَمْ يَجِدُوا ذَرِيعَةً غَيْرَ أَوْرَادِهِ وَأَلْوَاحِهِ . فَيَا عَجَباً ! هَلْ يَسْمَحُ أَيُّ قَانُونٍ ، وَأَيَّةُ سِيَاسَةٍ فِي الدُّنْيَا ، بِهٰذَا التَّعَرُّضِ ؟ .

﴿السَّابِعُ :﴾ أَنَّهُ بَيْنَمَا كَانَتْ تَيَّارَاتُ ذٰلِكَ الْقَدَرِ مِنَ الْأَحْزَابِ الْهَائِجَةِ ، الدَّاخِلِيَّةِ وَالْخَارِجِيَّةِ ، كَانَتْ مَوْجُودَةً فِي الدَّاخِلِ ، فِي هٰذِهِ الْفَتْرَةِ ؛ وَكَانَتِ الْأَرْضِيَّةُ لِلاسْتِفَادَةِ التَّامَّةِ مِنْ هٰذَا : ــ أَيْ لِلْفَوْزِ بِدِبْلُومَاسِيِّينَ كَثِيرِينَ ، مُوَالِينَ لَهُ ، بَدَلَ عِدَّةٍ مَحْدُودَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ــ كَانَتْ حَاضِرَةً ؛ كَتَبَ إِلَىٰ جَمِيعِ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَنِ احْذَرُوا ؛ فَلا تَلْتَحِقُوا بِالتَّيَّارَاتِ ؛ وَلا تَدْخُلُوا السِّيَاسَةَ ؛ وَلا تَمَسُّوا الْأَمْنَ . ذٰلِكَ لِمَحْضِ عَدَمِ تَدَخُّلِهِ فِي السِّيَاسَةِ ، وَلِعَدَمِ الْإِضْرَارِ بِإِخْلاصِهِ ، وَعَدَمِ اجْتِلابِ نَظَرِ الْحُكُومَةِ إِلَىٰ نَفْسِهِ ، وَلِعَدَمِ الاشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا ؛ وَكَانَ التَّيَّارَانِ يَضُرَّانِ بِهِ مِنِ اجْتِنَابِهِ هٰذَا ؛ فَضَايَقَهُ الْقَدِيمُ كَثِيراً ، مِنْ أَوْهَامِهِ ؛ وَالْجَدِيدُ أَيْضاً قَائِلاً : بِأَنَّهُ لا يُسَاعِدُنَا ؛ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُخَالِطْ دُنْيَا أَهْلِ الدُّنْيَا أَصْلاً ؛ وَيَشْتَغِلُ بِآخِرَتِهِ ؛ وَلَمْ يَكْتُبْ رِسَالَةً وَاحِدَةً فِي غُضُونِ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ عَاماً ، إِلَىٰ شَقِيقِهِ فِي وَطَنِهِ ، فِي قَرْيَتِهِ (نُورْس) ؛ وَلَمْ يَكْتُبْ عَشْرَ رَسَائِلَ فِي عِشْرِينَ سَنَةً ، إِلَىٰ أَحْبَابِهِ فِي تِلْكَ الْوِلَايَاتِ ؛ فَأَيُّ قَانُونٍ يَسْمَحُ بِالتَّدَخُّلِ فِي بَائِسٍ كَذٰلِكَ ، وَفِي اشْتِغَالِهِ بِالْآخِرَةِ ؟ . وَإِنَّهُ لا يُتَدَخَّلُ بِقَانُونِ الْحُرِّيَّةِ ، فِي نَشْرِيَّاتِ الشُّيُوعِيِّينَ ، وَفِي انْتِشَارِ كُتُبِ الْمُلْحِدِينَ الضَّارَّةِ كَثِيراً بِالْوَطَنِ وَالشَّعْبِ وَالْأَخْلَاقِ ؛ مَعَ أَنَّ أَجْزَاءَ النُّورِ الَّتِي لَمْ تَجِدْ ثَلاثُ مَحَاكِمَ ، أَيَّةَ مَادَّةٍ فِيهَا ، تَكُونُ مَدَارَ الْمَسْؤُولِيَّةِ ، وَالَّتِي تَسْعَىٰ مُنْذُ عِشْرِينَ

عَاماً، لِتَأْمِينِ أَمْنِ الْوَطَنِ وَالشَّعْبِ، وَأَخْلَاقِهِ وَحَيَاتِهِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ، وَالَّتِي تَجْتَهِدُ فِي صُورَةٍ مُؤَثِّرَةٍ، لِإِعَادَةِ أُخُوَّةِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ، الَّتِي هِيَ نُقْطَةُ اسْتِنَادٍ حَقِيقِيَّةٌ لِهٰذَا الشَّعْبِ، وَلِإِعَادَةِ صَدَاقَتِهِ إِلَىٰ هٰذَا الشَّعْبِ، وَلِتَقْوِيَةِ تِلْكَ الصَّدَاقَةِ، وَالَّتِي لَمْ يَنْتَقِدْهَا عُلَمَاءُ رِئَاسَةِ الدِّيَانَةِ؛ فَقَدَّرُوا قِيمَتَهَا تَمَاماً، بَعْدَ التَّدْقِيقِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، بِأَمْرِ وَزِيرِ الدَّاخِلِيَّةِ، بِنِيَّةِ الاِنْتِقَادِ؛ فَوُضِعَتْ فِي مَكْتَبَةِ الدِّيَانَةِ، بِأَنَّهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ، مِثْلُ «ذِي الْفِقَارِ، وَعَصَا مُوسَىٰ»، مَعَ أَنَّ الْحُجَّاجَ رَأَوْا مَجْمُوعَةَ «عَصَا مُوسَىٰ» عَلَى الْقَبْرِ النَّبَوِيِّ، عَلَامَةً لِلْقَبُولِ؛ فَيَا عَجَبَا! إِنَّ جَمْعَهَا فَتَقْدِيمَهَا لِيَدِ الْمَحْكَمَةِ، كَأَوْرَاقٍ ضَارَّةٍ، هَلْ يَسْمَحُ بِهٰذَا أَيُّ قَانُونٍ، وَأَيُّ وِجْدَانٍ، وَأَيُّ إِنْصَافٍ؟.

﴿اَلثَّامِنُ:﴾ أَنَّهُ أُعْطِيَ الْحُرِّيَّةَ التَّامَّةَ، بَعْدَ نَفْيٍ مُضَايِقٍ وَبِدُونِ سَبَبٍ، اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ عَاماً؛ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ إِلَىٰ وَطَنِهِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ؛ وَيُوجَدُ فِيهِ آلَافُ أَقَارِبِهِ وَأَحْبَابِهِ؛ فَرَجَّحَ الْغُرْبَةَ وَالْوَحْدَةَ؛ كَيْلَا يُخَالِطَ الدُّنْيَا وَالسِّيَاسَةَ وَالْحَيَاةَ الاِجْتِمَاعِيَّةَ؛ وَأَنَّ رَجُلاً تَرَكَ ثَوَابَ الْجَمَاعَةِ فِي الْجَامِعِ ذِي الثَّوَابِ الْكَثِيرِ؛ فَيُصَلِّي وَحْدَهُ فِي غُرْفَتِهِ؛ فَيُرَجِّحُ قُعُودَهُ فِيهَا: – أَيْ يَحْمِلُ حَالَةً رُوحِيَّةً هِيَ الاِجْتِنَابُ مِنِ احْتِرَامِ النَّاسِ – وَيُرَجِّحُ تُرْكِيّاً دَيِّناً مُتَّقِياً، عَلَىٰ أَكْرَادٍ كَثِيرِينَ غَيْرِ مُلْتَزِمِينَ، بِشَهَادَةِ حَيَاتِهِ عِشْرِينَ عَاماً، وَبِتَصْدِيقِ آلَافِ الْفُضَلَاءِ الْقَيِّمِينَ مِنَ الْأَتْرَاكِ؛ حَتَّىٰ إِنَّهُ أَثْبَتَ فِي الْمَحْكَمَةِ: أَنَّهُ لَا يُبَدِّلُ مِئَةَ كُرْدِيٍّ، بِأَحَدِ إِخْوَانِهِ الْأَتْرَاكِ الَّذِينَ لَهُمْ إِيمَانٌ قَوِيٌّ مِثْلُ «الْحَافِظِ عَلِيٍّ»؛ وَأَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ بِالنَّاسِ؛ وَلَا يَذْهَبُ إِلَى الْجَامِعِ بِدُونِ الضَّرُورَةِ؛ لِئَلَّا يَلْقَى الْحُرْمَةَ وَالاِحْتِرَامَ؛ وَيَسْعَىٰ بِكُلِّ قُوَّتِهِ وَبِجَمِيعِ تَأْلِيفَاتِهِ، لِأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِ، وَلِمَحَبَّةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، مُنْذُ أَرْبَعِينَ عَاماً؛ وَيُحِبُّ الشَّعْبَ التُّرْكِيَّ كَثِيراً؛ وَقَضَىٰ حَيَاتَهُ بَيْنَهُمْ، لِكَوْنِ ذٰلِكَ الشَّعْبِ رَافِعَ عَلَمِ الْقُرْآنِ، وَمَظْهَراً لِلثَّنَاءِ الْقُرْآنِيِّ؛ فَقَالَ الْوَالِي السَّابِقُ، فِي حَقِّهِ، بِاللِّسَانِ الرَّسْمِيِّ، لِأَجْلِ الْإِهَانَةِ، وَافْتِعَالِ الدِّعَايَةِ، وَلِتَوْحِيشِ أَصْدِقَائِهِ: «إِنَّهُ كُرْدِيٌّ؛ وَأَنْتُمْ أَتْرَاكٌ؛ وَإِنَّهُ شَافِعِيٌّ؛ وَأَنْتُمْ أَحْنَافٌ»؛ فَأَوْحَشَ كُلَّ أَحَدٍ؛ فَعَمِلَ لِتَنْفِيرِهِ عَنْهُ؛ وَأَنَّ رَجُلاً مُنْزَوِياً لَمْ يُجْبَرْ عَلَىٰ تَبْدِيلِ طِرَازِ زِيِّهِ فِي عِشْرِينَ عَاماً، وَفِي مَحْكَمَتَيْنِ، يُجْبَرُ عَلَىٰ إِلْبَاسِ الْقُبَّعَةِ عَلَىٰ رَأْسِهِ بِالْجَبْرِ؛ مَعَ أَنَّ الْقُبَّعَةَ زَالَتْ عَنْ رَأْسِ نِصْفِ

الْعَسَاكِرِ ؛ فَأَيُّ مَصْلَحَةٍ ، وَأَيُّ قَانُونٍ يَسْمَحُ بِهٰذَا ؟ .

﴿اَلتَّاسِعُ :﴾ مُهِمٌّ وَقَوِيٌّ جِدّاً(١) ؛ وَلٰكِنْ أَسْكُتُ عَنْهُ ؛ لِأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالسِّيَاسَةِ . .

﴿اَلْعَاشِرُ :﴾ إِنَّ هٰذَا أَيْضاً تَعَرُّضٌ لا يَسْمَحُ بِهِ أَيُّ قَانُونٍ ؛ وَلا تُوجَدُ فِيهِ أَيَّةُ مَصْلَحَةٍ ؛ وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ جَعْلِ حَبَّةٍ قِبَاباً ، مِنْ أَوْهَامٍ لا مَعْنَى لَهَا ؛ وَلا يَدْخُلُ فِي أَيِّ قَانُونٍ . وَهٰذَا أَيْضاً نَسْكُتُ عَنْهُ ؛ لِئَلّا يَمَسَّ السِّيَاسَةَ الَّتِي لا نَسْتَطِيعُ حَسَبَ مَسْلَكِنَا ، أَنْ نَنْظُرَ إِلَيْهَا . وَإِنَّمَا نَقُولُ تِجَاهَ مُعَامَلاتٍ غَيْرِ قَانُونِيَّةٍ هٰكَذَا بِعَشَرَةِ وُجُوهٍ : ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله عنه) . .

لِي عِدَّةُ نِقَاطٍ أُخْرَى مَعْرُوضَةٍ عَلَى حُكُومَةِ وَمَحْكَمَةِ (أَفْيُونَ) ، وَعَلَى شُرْطَتِهَا . .

﴿اَلْأُولَى :﴾ أَنَّ ظُهُورَ أَكْثَرِ الْأَنْبِيَاءِ ، فِي الشَّرْقِ وَفِي آسِيَا ؛ وَوُرُودَ أَغْلَبِ الْحُكَمَاءِ ، فِي الْغَرْبِ وَفِي أُورُوبَّا ، إِشَارَةٌ لِلْقَدَرِ الْأَزَلِيِّ ، إِلَى أَنَّ الدِّينَ حَاكِمٌ فِي آسِيَا ؛ وَالْفَلْسَفَةَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ . فَبِنَاءً عَلَى رَمْزِ الْقَدَرِ هٰذَا ، لا بُدَّ لِمَنْ يَقُودُ الْحُكْمَ فِي آسِيَا ، أَنْ لا يَمَسَّ الْعَامِلِينَ لِصَالِحِ الدِّينِ ؛ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يُشَوِّقَهُمْ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ دَيِّناً . .

﴿اَلثَّانِيَةُ :﴾ أَنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ، عَقْلُ هَامَةِ هٰذِهِ الْأَرْضِ ، وَقُوَّتُهَا الْمُفَكِّرَةُ . فَإِنْ خَرَجَ الْقُرْآنُ عَنْ هَامَةِ كُرَةِ الْأَرْضِ – الْعِيَاذُ بِاللّٰهِ – تُصْبِحُ الْأَرْضُ مَجْنُونَةً . فَمُصَادَمَتُهَا نَجْمَةً

---

(١) إِنَّ وُجُودَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ فِي حُكُومَاتِ الْإِسْلامِ ؛ وَوُجُودَ الْمُسْلِمِينَ فِي حُكُومَاتِ النَّصَارَى وَالْمَجُوسِ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لا يَتَدَخَّلُ حَسَبَ الْقَانُونِ ، فِي الْمُخَالِفِينَ الَّذِينَ لا يَتَدَخَّلُونَ بِالْفِعْلِ ، فِي الْأَمْنِ وَالْإِدَارَةِ ؛ وَأَنَّ الْإِمْكَانَاتِ لَنْ تَكُونَ مَدَارَ الْمَسْؤُولِيَّةِ . وَإِلّا فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُمْكِنُ أَنْ يَقْتُلَ أَحَداً ؛ فَيَلْزَمُ تَقْدِيمُ كُلِّ أَحَدٍ إِلَى الْمَحْكَمَةِ ، بِهٰذِهِ الْإِمْكَانَاتِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

سَيَّارَةً ، بِهَامَتِهَا الْخَالِيَةِ عَنِ الْعَقْلِ ؛ وَصَيْرُورَتُهَا سَبَباً لِوُقُوعِ قِيَامَةٍ مَّا ، لَيْسَتْ بَعِيدَةً عَنِ الْعَقْلِ . . نَعَمْ : إِنَّ الْقُرْآنَ سِلْسِلَةٌ وَحَبْلٌ إِلٰهِيٌّ رَبَطَ الْعَرْشَ بِالْفَرْشِ ؛ وَيَحْفَظُ الْأَرْضَ أَكْثَرَ مِنَ الْجَاذِبِيَّةِ الْعَامَّةِ . . هٰذَا ، فَإِنَّ رِسَالَةَ النُّورِ الَّتِي هِيَ تَفْسِيرٌ حَقِيقِيٌّ وَقَوِيٌّ ، لِهٰذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الشَّأْنِ ، هِيَ نِعْمَةٌ إِلٰهِيَّةٌ عَظِيمَةٌ ، وَمُعْجِزَةٌ قُرْآنِيَّةٌ غَيْرُ مُنْطَفِئَةٍ ، أَظْهَرَتْ تَأْثِيرَهَا مُنْذُ عِشْرِينَ عَاماً ، لِهٰذَا الشَّعْبِ ، فِي هٰذَا الْوَطَنِ ، وَفِي هٰذَا الْعَصْرِ ؛ فَعَلَى الْحُكُومَةِ أَنْ لَا تَمَسَّهَا ؛ وَلَا تُنَفِّرَ تَلَامِذَتَهَا عَنْهَا ؛ فَتُعْرِضَ بِهِمْ عَنْهَا ؛ بَلْ عَلَيْهَا أَنْ تَحْمِيَهَا ؛ وَلَا بُدَّ مِنَ التَّشْوِيقِ إِلَىٰ قِرَاءَتِهَا . .

﴿اَلثَّالِثَةُ :﴾ أَنِّي ، بِنَاءً عَلَى إِسْهَامِ جَمِيعِ الْوَارِدِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، لِلرَّاحِلِينَ إِلَى الْمَاضِي ، بِدَعَوَاتِهِمْ بِالْمَغْفِرَةِ لَهُمْ ، وَبِإِهْدَائِهِمْ حَسَنَاتِهِمْ إِلَى أَرْوَاحِهِمْ ، كُنْتُ قُلْتُ فِي مَحْكَمَةِ (دَنِزْلِي) : إِذَا سُئِلْتُمْ أَنْتُمْ وَالرَّاغِبُونَ فِي تَشْتِيتِ تَلَامِذَةِ النُّورِ الْخَادِمِينَ لِحَقَائِقِ الْقُرْآنِ ، وَفِي تَصْيِيرِهِمْ مَحْكُومِينَ ، مِنْ جَانِبِ الْمُدَّعِينَ مِنْ مِلْيَارَاتِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، فِي الْمَحْكَمَةِ الْكُبْرَىٰ : أَنَّكُمْ نَظَرْتُمْ نَظْرَةَ الْمُسَامَحَةِ ، إِلَىٰ نَشْرِيَّاتِ الْمُلْحِدِينَ وَالشُّيُوعِيِّينَ ، وَإِلَىٰ جَمْعِيَّاتِهِمُ الْمُنْتِجَةِ لِلْفَوْضَىٰ ؛ فَلَمْ تَمَسُّوهُمْ بِقَانُونِ الْحُرِّيَّةِ ؛ مَعَ أَنَّكُمْ أَرَدْتُمُ التَّشْتِيتَ بِالسُّجُونِ وَالْمُضَايَقَاتِ ، «لِرِسَالَةِ النُّورِ» وَتَلَامِذَتِهَا ، السَّاعِينَ لِإِنْقَاذِ الْوَطَنِ وَالْأُمَّةِ ، عَنِ الْفَوْضَوِيَّةِ ، وَعَنِ الْإِلْحَادِ وَالدَّعَارَةِ ، وَلِإِنْقَاذِ مُوَاطِنِيهِمْ عَنْ إِعْدَامِ الْمَوْتِ الْأَبَدِيِّ : هٰكَذَا إِذَا سُئِلْتُمْ ، فَمَاذَا تُجِيبُونَ ؟ وَنَحْنُ أَيْضاً نَسْأَلُكُمْ عَنْهُ : هٰكَذَا كُنْتُ قُلْتُ لَهُمْ . فَحِينَئِذٍ بَرَّأَنَا أُولَائِكَ الْفُضَلَاءُ الْمُنْصِفُونَ وَالْعَادِلُونَ ؛ فَأَظْهَرُوا عَدَالَةَ الْعَدْلِيَّةِ . .

﴿اَلرَّابِعَةُ :﴾ أَنِّي كُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَنَّ (أَنْقَرَة) ، أَوْ (أَفْيُون) ، سَتَأْخُذُنِي إِلَىٰ الِاسْتِجْوَابِ ، وَإِلَىٰ دَائِرَةٍ مَشُورَةٍ ، لِأَجْلِ مَسَائِلَ عَظِيمَةٍ جِدّاً ؛ فَكُنْتُ أَنْتَظِرُ تَسَاؤُلاً وَتَجَاوُباً ، فِي جِهَةِ خِدْمَةِ الْأَنْوَارِ لِتِلْكَ الْمَسَائِلِ . نَعَمْ : لَا بُدَّ مِنِ اسْتِيجَادِ وَسَائِلَ تَفُوزُ لِلشَّعْبِ فِي هٰذَا الْوَطَنِ ، بِأُخُوَّةِ ثَلَاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ مِلْيُوناً مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَبِمَحَبَّتِهِمُ الْقَدِيمَةِ ، وَبِحُسْنِ ظَنِّهِمْ وَبِمَعُونَتِهِمُ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ فَإِنَّ أَمَارَةً عَلَى أَنَّ الذَّرِيعَةَ وَالْوَسِيلَةَ الْأَقْوَىٰ ، هِيَ «رِسَالَةُ النُّورِ» ، هِيَ : أَنَّ عَالِماً

كَبِيراً لِلْغَايَةِ ، تَرْجَمَ هٰذِهِ السَّنَةَ فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ ، مَجْمُوعَاتِ النُّورِ الْكَبِيرَةَ ، بِاللِّسَانِ الْهِنْدِيِّ ، وَبِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ؛ فَأَرْسَلَهَا إِلَىٰ بِلَادِ الْهِنْدِ ، وَبِلَادِ الْعَرَبِ ؛ فَيَسْعَىٰ لِتَأْمِينِ الْوَحْدَةِ وَالْأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَقْوَىٰ نُقْطَةِ اسْتِنَادِنَا ؛ كَمَا أَنَّهُمْ قَالُوا : إِنَّ «رَسَائِلَ النُّورِ» ، تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الشَّعْبَ التُّرْكِيَّ مُتَقَدِّمٌ دَائِماً فِي الدِّينِ وَالْإِيمَانِ .. وَأَيْضاً كُنْتُ أَتَرَقَّبُ أَنَّهُ يُسْأَلُ : أَنَّ خِدْمَةَ الْأَنْوَارِ ، فِي أَيِّ دَرَجَةٍ ، ضِدَّ خَطَرِ الشُّيُوعِيَّةِ الَّتِي انْقَلَبَتْ إِلَىٰ الْفَوْضَىٰ فِي وَطَنِنَا ؛ وَأَنَّ هٰذَا الْوَطَنَ الْمُبَارَكَ ، كَيْفَ يُحْتَفَظُ مِنْ هٰذَا السَّيْلِ الرَّهِيبِ ؟. فَبَيْنَمَا كَانَ اللَّازِمُ اسْتِفْسَارَ أَمْثَالِ هٰذِهِ الْمَسَائِلِ الشَّبِيهَةِ بِالْجِبَالِ ؛ فَأُدِّيَ إِلَىٰ السَّبَبِيَّةِ لِتَشْتِيتِي تَحْتَ هٰذِهِ الشَّرَائِطِ الثَّقِيلَةِ ، تَشْتِيتاً لَمْ أُعَانِهِ فِي عُمُرِي أَصْلاً ، لِأَجْلِ مَسَائِلَ جُزْئِيَّةٍ وَشَخْصِيَّةٍ لَيْسَ لَهَا أَهَمِّيَّةٌ بِقَدَرِ جَنَاحِ الذُّبَابِ ؛ وَلَا تَكُونُ مَدَارَ الْمَسْؤُولِيَّةِ قَطْعاً ؛ وَجُعِلَتِ الْحَبَّةُ قِبَاباً ، بِافْتِرَاءِ الْمُغْرِضِينَ ؛ وَسُئِلَتْ أَسْئِلَةٌ لَا مَعْنَىٰ لَهَا ، لِأَجْلِ مَسْأَلَةٍ أَوْ مَسْأَلَتَيْنِ عَادِيَّتَيْنِ وَشَخْصِيَّتَيْنِ ، وَعَنْ نَفْسِ الْمَسَائِلِ الَّتِي سَأَلَتْنَا ثَلَاثُ مَحَاكِمَ عَنْهَا ؛ وَمَنَحَتْنَا الْبَرَاءَةَ مِنْهَا ..

﴿ اَلْخَامِسَةُ : ﴾ أَنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» لَا تُبَارَزُ ، وَأَنَّهَا لَا تُغْلَبُ ؛ فَإِنَّهَا تُفْحِمُ أَشَدَّ الْفَلَاسِفَةِ عِنَاداً ؛ وَتُظْهِرُ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ كَالشَّمْسِ ، فِي عِشْرِينَ سَنَةً . فَلَا بُدَّ لِلَّذِينَ يَحْكُمُونَ فِي هٰذَا الْوَطَنِ ، أَنْ يَسْتَفِيدُوا مِنْ قُوَّتِهَا ..

﴿ اَلسَّادِسَةُ : ﴾ أَنَّ تَزْيِيفِي بِأَخْطَاءِ شَخْصِيَ الَّذِي لَا أَهَمِّيَّةَ لَهُ ، وَإِسْقَاطِي عَنْ نَظَرِ الْعَامَّةِ بِالْإِهَانَاتِ ، لَا يَضُرُّ «بِرِسَالَةِ النُّورِ» ؛ بَلْ تُعْطِيهَا الْقُوَّةَ فِي جِهَةٍ مَا ؛ لِأَنَّ أَلْسِنَةَ مِئَةِ أَلْفِ نُسْخَةٍ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» لَا تَصْمُتُ ؛ فَتَنْطِقُ تِلْكَ الْأَلْسِنَةُ الْبَاقِيَةُ ، بَدَلَ لِسَانٍ فَانٍ لِي ؛ وَأَنَّ تَلَامِذَتَهَا الْخَالِصِينَ ، سَيُدِيمُونَ تِلْكَ الْوَظِيفَةَ النُّورِيَّةَ الْقُدُسِيَّةَ وَالْكُلِّيَّةَ ، بِآلَافِ أَلْسِنَتِهِمُ الْقَوِيَّةِ ، إِلَىٰ الْقِيَامَةِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ ؛ كَمَا كَانَ إِلَىٰ الْآنِ ..

﴿ اَلسَّابِعَةُ : ﴾ أَنَّ أَعْدَاءَنَا الْأَخْفِيَاءَ ، وَمُعَارِضِينَا الرَّسْمِيِّينَ ، وَغَيْرَ الرَّسْمِيِّينَ ، الَّذِينَ يُغْفِلُونَ الْحُكُومَةَ ؛ وَيُوقِعُونَ قِسْماً مِنْ أَرْكَانِهَا فِي الْأَوْهَامِ ؛ وَيُحَرِّضُونَ الْعَدْلِيَّاتِ ضِدَّنَا ، إِمَّا أَنَّهُ انْخَدَعَ ، أَوْ خُودِعَ ، فِي صُورَةٍ سَيِّئَةٍ لِلْغَايَةِ ؛ وَإِمَّا أَنَّهُ ثَوْرِيٌّ غَدَّارٌ لِلْغَايَةِ ، بِحِسَابِ

الْفَوْضى ؛ وإمّا أَنَّهُ دَسَّاسٌ زِنْديقٌ يُجادِلُ عَلىٰ وَجْهِ الارْتِدادِ، ضِدَّ الإسْلامِ وَحَقيقَةِ الْقُرْآنِ ؛ فَشَتَّتُونا ؛ وَأَغْفَلُوا الْحُكُومَةَ ؛ وَأَشْغَلُوا الْعَدْلِيَّاتِ بِنا بِدُونِ مَعْنَىً ، بِتَسْمِيَةِ الاسْتِبْدادِ الْمُطْلَقِ بِاسْمِ الْجُمْهُورِيَّةِ ، وَبِاتِّخاذِ الارْتِدادِ الْمُطْلَقِ تَحْتَ النِّظامِ ، وَبِإطْلاقِ اسْمِ الْحَضارَةِ عَلَى السَّفاهَةِ الْمُطْلَقَةِ ، وَبِتَسْمِيَةِ الْكُفْرِ الْجَبْرِيِّ الاخْتِيارِيِّ بِاسْمِ الْقانُونِ ، لِأَجْلِ الْهُجُومِ عَلَيْنا - كَما ادَّعَيْتُ فِي الْمَحاكِمِ السّابِقَةِ ؛ وَبَيَّنّا حُجَجَهُ - فَتُحيلُهُمْ عَلىٰ قَهْرِ الْقَهّارِ ذِي الْجَلالِ ؛ فَنَلْتَجِئُ نَحْنُ إلىٰ قَلْعَةِ : ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ، لِلْحِفْظِ عَنْ شُرُورِهِمْ . .

﴿اَلثّامِنَةُ :﴾ أَنَّ الرُّوسِيِّينَ أَرْسَلُوا الْحُجَّاجَ إلَى الْحَجِّ بِكَثْرَةٍ ، فِي السَّنَةِ الْماضِيَةِ ؛ فَأَدَّوْا بِهِمُ الدِّعايَةَ ، بِأَنَّ الرُّوسِيِّينَ أَزْيَدُ احْتِراماً لِلْقُرْآنِ مِنْ سائِرِ الشُّعُوبِ ؛ فَسَعَوْا لِتَحْويلِ عالَمِ الإسْلامِ فِي نُقْطَةِ الدِّينِ ، ضِدَّ الشَّعْبِ الْمُتَدَيِّنِ فِي هٰذا الْوَطَنِ ؛ فَفِي عَيْنِ الزَّمانِ ، نَقَضَتْ كِبارُ مَجْمُوعاتِ «رِسالَةِ النُّورِ» ، تِلْكَ الدِّعايَةَ الشُّيُوعِيَّةَ ، بِانْتِشارِها نَوْعاً مّا ، تَحْتَ تَقْديرِ الْعُلَماءِ ، فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ ، وَفِي الْمَدينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، وَفِي الشّامِ الشَّريفِ ، وَفِي مِصْرَ وَفِي حَلَبَ ؛ كَما أَظْهَرَتْ لِعالَمِ الإسْلامِ : أَنَّ الشَّعْبَ التُّرْكِيَّ وَإخْوانَهُمْ ، مالِكُونَ لِدينِهِمْ وَقُرْآنِهِمْ ؛ وَأَنَّهُ أَخٌ كَبيرٌ مُتَدَيِّنٌ ، لِسائِرِ أَهْلِ الإسْلامِ ؛ وَقائِدُهُمُ الْباسِلُ فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ، مِثْلَ الْقَديمِ ؛ هٰكَذا أَثْبَتَتْ تِلْكَ الْمَجْمُوعاتُ النُّورِيَّةُ ، فِي أُولائِكَ الْمَراكِزِ الْقُدُسِيَّةِ الْمُهِمَّةِ . فَيا عَجَباً ! إنَّ خِدْمَةَ النُّورِ الْوَطَنِيَّةَ الْقَيِّمَةَ هٰذِهِ ، إذا لَقِيَتِ الْمُقابَلَةَ ، بِهٰذا الْوَجْهِ مِنَ الاضْطِهاداتِ ؛ أَفَلا تُثيرُ الْأَرْضَ إلَى الْغَيْظِ ؟ .

﴿اَلتّاسِعَةُ :﴾ خُلاصَةٌ مُخْتَصَرَةٌ جِدّاً ، لِمَسْأَلَةٍ يُوجَدُ إيضاحُها وَإثْباتُها ، فِي مُدافَعاتِ (دَنِزْلِي) ؛ فَإنَّ قائِداً هائِلاً أَخَذَ لِنَفْسِهِ ، بِدَهائِهِ وَذَكائِهِ ، حَسَناتِ الْجَيْشِ الْإيجابِيَّةَ ؛ وَأَعْطَى الْجَيْشَ سَيِّئاتِهِ هُوَ السَّلْبِيَّةَ ؛ فَنَزَّلَ الْحَسَناتِ وَالْغَزَواتِ عَدَدَ أُولائِكَ الْأَفْرادِ ، إلَى الْواحِدَةِ ؛ وَأَسْنَدَ سَيِّئَتَهُ إلىٰ أَفْرادِ ذٰلِكَ الْجَيْشِ ؛ فَجَعَلَها فِي حُكْمِ السَّيِّئاتِ بِعَدَدِها ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ صارَ ذٰلِكَ ظُلْماً رَهيباً ، وَخِلافَ الْحَقيقَةِ ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ قُلْتُ لِمُدَّعٍ عامٍّ هَجَمَ عَلَيَّ فِي مَحاكِمِنا السّابِقَةِ ، بِناءً عَلَى الصَّفْعَةِ الَّتي صَفَعَها حَديثٌ ، ذٰلِكَ الشَّخْصَ ، بَيَّنْتُهُ قَبْلَ أَرْبَعينَ سَنَةً ؛

ـ قُلْتُ لَهُ ـ : إنِّي ، وَإنْ كُنْتُ أَنْقُضُهُ بِإِخْبَارِ الْأَحَادِيث ؛ وَلٰكِنْ أَحْفَظُ شَرَفَ الْجَيْش ؛ وَأَقِي الْجَيْشَ عَنْ خَطَايَا كَبِيرَةٍ . أَمَّا أَنْتَ ، فَتَنْقُضُ شَرَفَ الْجَيْشِ الَّذِي هُوَ حَامِلُ عَلَم الْقُرْآنِ ، وَقَائِدٌ بَاسِلٌ لِعَالَمِ الْإِسْلَام ؛ وَتَنْزِلُ بِحَسَنَاتِهِ إِلَى الْعَدَم ، لِأَجْلِ صَدِيقٍ لَكَ . فَعَادَ ذٰلِكَ الْمُدَّعِي إِلَى الْإِنْصَافِ ؛ وَنَجَا مِنَ الْخَطَأِ ، إِنْ شَاءَ اللّٰهُ . .

﴿اَلْعَاشِرَةُ :﴾ أَنَّهُ ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ حَقِيقَةَ الْعَدَالَةِ ، وَوَظِيفَةَ السَّعْيِ بِاسْمِ مَحْضِ الْحَقِّ ، لِلْمُحَافَظَةِ بِدُونِ تَفْرِيقٍ ، عَلَى حُقُوقِ كُلِّ مَنْ يُرَاجِعُهَا ، تَحْكُمُ فِي الْعَدْلِيَّةِ ، قَعَدَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ (رضي الله عنه) ، فِي الْمَحْكَمَةِ مَعَ يَهُودِيٍّ ؛ فَتَحَاكَمَا فِي زَمَنِ خِلَافَتِهِ . وَأَيْضاً إِنَّ رَئِيسَ عَدْلِيَّةٍ رَأَى أَحَدَ مُوَظَّفِيهِ غَضِبَ عَلَى سَارِقٍ ، حِينَمَا قَطَعَ ذٰلِكَ الْمُوَظَّفُ ، يَدَ ذٰلِكَ السَّارِقِ الظَّالِمِ ، حَسَبَ الْقَانُونِ ؛ فَعَزَلَ ذٰلِكَ الْمُوَظَّفَ ، فِي تِلْكَ الدَّقِيقَةِ ؛ فَقَالَ مُتَأَسِّفاً جِدّاً : إِنَّ الَّذِينَ يَخْلِطُونَ بِحِسِّيَّاتِهِمْ هٰكَذَا ، بِاسْمِ الْعَدَالَةِ ، ظَلَمُوا كَثِيراً جِدّاً إِلَى الْآنِ . نَعَمْ : إِنَّهُ إِنْ لَمْ يَتَأَلَّمْ لِذٰلِكَ الْمَحْكُومِ أَيْضاً ، فِي إِجْرَاءِ الْحُكْمِ الْقَانُونِيِّ ؛ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَغْضَبَ عَلَيْهِ ؛ وَإِذَا غَضِبَ ؛ أَصْبَحَ ظَالِماً ؛ حَتّٰى إِنَّهُ وَإِنْ كَانَ جَزَاءَ الْقِصَاصِ ؛ فَإِذَا قَتَلَهُ بِالْغَضَبِ ؛ صَارَ قَاتِلاً نَوْعاً مَا ؛ هٰكَذَا قَالَ ذٰلِكَ الْحَاكِمُ الْعَادِلُ . .

هٰذَا ، فَإِذَا كَانَتْ حَقِيقَةٌ خَالِصَةٌ وَغَيْرُ مُغْرِضَةٍ هٰكَذَا ، تَحْكُمُ فِي الْمَحْكَمَةِ ؛ فَإِنَّ ثَلَاثَ مَحَاكِمَ بَرَّأَتْنَا ؛ وَلَعَلَّ تِسْعِينَ فِي الْمِئَةِ مِنْ هٰذَا الشَّعْبِ ـ إِنْ عَلِمُوا ـ يَشْهَدُونَ بِأَمَارَاتٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً : بِأَنَّ تَلَامِذَةَ النُّورِ نَافِعُونَ لِلشَّعْبِ وَالْوَطَنِ ، مِنْ دُونِ ضَرَرٍ ؛ مَعَ أَنَّ إِهَانَاتٍ وَمُعَامَلَاتٍ بَارِدَةً وَحَادَّةً لِلْغَايَةِ ، تُفْعَلُ هُنَا ضِدَّ تَلَامِذَةِ النُّورِ ، أُولَائِكَ الْأَبْرِيَاءِ ، وَالْمُحْتَاجِينَ كَثِيراً إِلَى التَّسَلِّي وَالْتِفَاتِ الْعَدَالَةِ . فَنَحْنُ سَكَتْنَا فَأَحَلْنَا عَلَى اللّٰهِ ، مِنِ اسْتِقْرَارِنَا عَلَى الصَّبْرِ وَالتَّحَمُّلِ ، تِجَاهَ كُلِّ الْمَصَائِبِ وَالْإِهَانَاتِ ؛ فَقُلْنَا : لَعَلَّ فِي هٰذَا أَيْضاً خَيْراً ؛ وَلٰكِنْ خَشِيتُ أَنَّ أَمْثَالَ هٰذِهِ الْمُعَامَلَاتِ ، لِهٰؤُلَاءِ الْأَبْرِيَاءِ الْبَائِسِينَ ، مِنْ أَجْلِ الْأَوْهَامِ ، وَبِاسْتِخْبَارِ الْمُغْرِضِينَ ، قَدْ تَصِيرُ وَسِيلَةً لِنُزُولِ الْبَلَايَا ؛ فَاضْطُرِرْتُ لِكِتَابَةِ هٰذَا ؛ عَلَى أَنَّهُ إِذَا وُجِدَ تَقْصِيرٌ ، فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، فَهُوَ لِي ؛ وَإِنَّ هٰؤُلَاءِ الْبَائِسِينَ ، سَاعَدُونِي فِي دَائِرَةِ

الرِّضَا الْإِلٰهِيِّ، لِمَحْضِ إِيمَانِهِمْ وَآخِرَتِهِمْ. فَأَمْثَالُ هٰذِهِ الْمُعَامَلاتِ ـ وَهُمْ كَانُوا مُسْتَحِقِّينَ بِالتَّقْدِيرِ الْكَثِيرِ جِدّاً ـ أَثَارَتِ الشِّتَاءَ أَيْضاً، إِلَى الْغَيْظِ..

وَأَيْضاً إِنَّ مَدَارَ الْحَيْرَةِ، هُوَ أَنَّهُمْ يَسُوقُونَ وَهْمَ جَمْعِيَّةٍ مَا أَيْضاً، إِلَى الْأَمَامِ مُكَرَّراً، فِي هٰذِهِ الْمَرَّةِ؛ وَالْحَالُ: أَنَّ ثَلاثَ مَحَاكِمَ، دَقَّقَتْ هٰذِهِ الْجِهَةَ؛ فَأَعْطَتِ الْبَرَاءَةَ؛ مَعَ أَنَّ الْمَحَاكِمَ وَالشُّرْطَةَ وَأَهْلَ الْخِبْرَةِ، لَمْ يَجِدُوا أَيَّةَ جَمْعِيَّةٍ وَأَيَّةَ أَمَارَةٍ، تَكُونُ مَدَارَ الاتِّهَامِ هٰكَذَا بَيْنَنَا؛ وَإِنَّمَا يُوجَدُ فِي تَلامِذَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ»، أُخُوَّةٌ أُخْرَوِيَّةٌ، كَمَثَلِ تَلامِذَةِ مُعَلِّمٍ وَاحِدٍ، وَطُلّابِ الْجَامِعَةِ، وَعُمَلاءِ الْحَافِظِ الْمُدَرِّسِ لِلْقُرْآنِ، الَّذِينَ يَعْمَلُونَ لِلْحِفْظِ. وَلا بُدَّ لِمَنْ يُسَمِّي هٰؤُلاءِ بِاسْمِ الْجَمْعِيَّةِ؛ وَيَتَّهِمُهُمْ بِهَا، أَنْ يَنْظُرَ إِلَى جَمِيعِ الْمُتَاجِرِينَ وَالْمَعْهَدِيِّينَ وَالْوَاعِظِينَ، بِنَظَرِ الْجَمْعِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ. فَلِهٰذَا لا أَرَى اللُّزُومَ لِلدِّفَاعِ عَنِ الْوَارِدِينَ إِلَى هُنَا، وَإِلَى السِّجْنِ، بِمِثْلِ هٰذِهِ الاتِّهَامَاتِ الَّتِي لا أَصْلَ وَلا مَعْنَى لَهَا؛ وَلٰكِنْ كَمَا دَافَعْنَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ، عَنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» الَّتِي تَجْعَلُ هٰذَا الْوَطَنَ، وَعَالَمَ الْإِسْلامِ، ذَوِي عَلاقَةٍ كَثِيرَةٍ بِهَا؛ وَتَحَقَّقَتْ بَرَكَتُهَا وَمَنْفَعَتُهَا الْكَثِيرَةُ جِدّاً، لِهٰذَا الْوَطَنِ وَلِهٰذِهِ الْأُمَّةِ، مَادِّيّاً وَمَعْنَوِيّاً؛ فَإِنَّهُ لا يُوجَدُ أَيُّ سَبَبٍ يَمْنَعُ دِفَاعِي عَنْهَا بِالْحَقِيقَةِ عَيْنِهَا مُكَرَّرَةً؛ وَلا يَحْظُرُهُ أَيُّ قَانُونٍ وَأَيَّةُ سِيَاسَةٍ؛ وَلا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْظُرَهُ..

نَعَمْ: إِنَّنَا جَمْعِيَّةٌ؛ وَإِنَّ لَنَا جَمْعِيَّةً لَهَا فِي كُلِّ عَصْرٍ، ثَلاثُمِئَةٍ وَخَمْسُونَ مِلْيُوناً مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ الدَّاخِلِينَ؛ وَهُمْ يُظْهِرُونَ عَلاقَاتِهِمْ وَخِدَمَاتِهِمْ، بِكَمَالِ الاحْتِرَامِ، لِدَسَاتِيرِ تِلْكَ الْجَمْعِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ، بِالصَّلاةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، كُلَّ يَوْمٍ؛ وَيُسَارِعُونَ بِدَعَوَاتِهِمْ وَمَكَاسِبِهِمُ الْمَعْنَوِيَّةِ، إِلَى مُعَاوَنَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، بِالْمَنْهَجِ الْقُدُسِيِّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. فَنَحْنُ مِنْ أَفْرَادِ هٰذِهِ الْجَمْعِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ وَالْمُعَظَّمَةِ؛ وَإِنَّ وَظِيفَتَنَا الْخُصُوصِيَّةَ: هِيَ إِعْلامُ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ الْإِيمَانِيَّةِ، لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، فِي صُورَةٍ تَحْقِيقِيَّةٍ؛ فَإِنْقَاذُ أَنْفُسِنَا وَإِيَّاهُمْ، عَنِ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ، وَعَنِ السِّجْنِ الْمُنْفَرِدِ الْبَرْزَخِيِّ وَالدَّائِمِ؛ وَلَيْسَ لَنَا أَيَّةُ مُنَاسَبَةٍ بِسَائِرِ الْجَمْعِيَّاتِ وَالْقِيَادَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالدَّسَّاسَةِ، وَبِالْجَمْعِيَّةِ السِّرِّيَّةِ الَّتِي لا أَصْلَ

وَلا مَعْنَى لَهَا ، مِثْلِ دَعْوَى الْجَمْعِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَدَارُ اتِّهامِنَا ؛ وَلا نَتَنَازَلُ لَهَا ؛ وَإِنَّ أَرْبَعَ مَحاكِمَ بَرَّأَتْنَا فِي تِلْكَ الْجِهَةِ ، بَعْدَ التَّدْقِيقِ الدَّقِيقِ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

تَتِمَّةٌ وَلاحِقَةُ اعْتِرَاضِ الدِّفَاعِ الْمُقَدَّمِ إِلَى مَقَامَاتِ «أَنْقَرَة» السِّتَّة ، وَإِلَى مَحْكَمَةِ «أَفْيُونَ» الْجَزَائِيَّةِ الْعُلْيَا . .

أُبَيِّنُ لِمَحْكَمَةِ (أَفْيُونَ) ، أَنَّهُ كَفَى ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ صَبْرِي وَاحْتِمَالِي ؛ وَإِنَّ سِتَّ مَحاكِمَ ، لَمْ تَجِدْ مَدَارَ الْمَسْؤُولِيَّةِ ، فِي مِئَةِ كِتَابٍ «لِرَسَائِلِ النُّورِ» ، مَا عَدَا مَسْأَلَتَيْنِ أَوْ ثَلاثَ مَسَائِلَ ، مَعَ تَرَصُّدَاتٍ دَائِمَةٍ ، بَيْنَ نَفْيٍ لا سَبَبَ لَهُ ، وَمَعَ الْمُضَايَقَةِ عَلَيَّ فِي شَكْلِ التَّجْرِيدِ الْمُطْلَقِ وَالسِّجْنِ الْمُفْرَدِ ، اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ عَاماً ؛ مَعَ أَنَّ إِقْحَامَنَا فِي السِّجْنِ ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، بِدُونِ قَانُونٍ ؛ فَالْإِضْرَارَ بِتَلامِذَةِ النُّورِ بِمِئَاتِ آلافِ اللِّيْرَاتِ ، مِنْ أَجْلِ الْأَوْهَامِ ، وَبِجِهَةِ اسْتِعْمَالِ الْإِمْكَانَاتِ فِي مَكَانِ الْوُقُوعَاتِ ، هُوَ غَدْرٌ لَمْ تَقَعْ أَمْثَالُهُ فِي الدُّنْيَا ؛ فَكُنَّا نَتَحَمَّلُ فَنَسْكُتُ فَنَجِدُ التَّسَلِّيَ بِدَرَجَةٍ مَّا إِلَى الْآنِ ، بِقَنَاعَتِنَا الْقَطْعِيَّةِ بِأَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ وَالنَّسْلَ الْآتِيَ ، سَيَذْكُرَانِ بِاللَّعْنَةِ ، أُولَائِكَ الظَّالِمِينَ الْمُسَبِّبِينَ لِهذَا ، عَلَى وَجْهٍ شَدِيدٍ جِدّاً ؛ كَمَا أَنَّهُمَا سَيَجْعَلانِ أُولَائِكَ الظَّالِمِينَ ، مَحْكُومِينَ بِالْإِلْقَاءِ فِي أَسْفَلِ أَسَافِلِ جَهَنَّمَ ، فِي الْمَحْكَمَةِ الْكُبْرَى . .

هٰذَا ، فَإِنَّ سِتَّ مَحَاكِمَ ، دَقَّقَتْ فِي غُضُونِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، رَسَائِلَ النُّورِ وَمُرَاسَلاتِنَا عِشْرِينَ عَاماً ؛ فَلَمْ تَمَسَّنَا خَمْسٌ مِنْهَا ، بِمَعْنَى إِعْطَاءِ الْبَرَاءَةِ بِكُلِّ جِهَةٍ ؛ وَإِنَّمَا تَذَرَّعَتْ مَحْكَمَةُ (أَسْكِيشَهِر) ، بِخَمْسٍ أَوْ عَشْرِ كَلِمَاتٍ ، مِنْ رِسَالَةٍ صَغِيرَةٍ فِي حَقِّ تَسَتُّرِ النِّسَاءِ ، الَّذِي هُوَ مَسْأَلَةٌ وَاحِدَةٌ ؛ فَأَعْطَتْ جَزَاءً خَفِيفاً ، بِقَانُونٍ مَطَّاطٍ ؛ فَحِينَئِذٍ كَتَبْتُ إِلَى (أَنْقَرَة) رَسْماً ، فِي لائِحَةِ تَصْحِيحِي ، بَعْدَ مَحْكَمَةِ التَّمْيِيزِ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ مِثَالاً وَاحِداً فَقَطْ لِمُخَالَفَةِ الْقَانُونِ : «إِنَّ

رَجُلاً اتَّبَعَ إِجْمَاعَ وَحُكْمَ ثَلاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ تَفْسِيرٍ ، لِلدِّفَاعِ عَنْ آيَةِ التَّسَتُّرِ الَّتِي تَأْمُرُ بِعَادَةٍ إِسْلاَمِيَّةٍ دَائِمَةٍ وَقَوِيَّةٍ ؛ وَتُدَرِّسُهَا بِدُسْتُورٍ قُدُسِيٍّ ، لِثَلاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ مِلْيُوناً ، فِي أَلْفٍ وَثَلاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ عَاماً ؛ ضِدَّ انْتِقَادِ الْحَضَارَةِ ، وَاعْتِرَاضِ زِنْدِيقٍ ، عَلَى آيَةِ الْقُرْآنِ هٰذِهِ قَدِيماً ؛ فَفَسَّرَ تِلْكَ الْآيَةَ ؛ فَاقْتَدٰى بِمَسْلَكِ أَجْدَادِنَا السَّالِفِينَ فِي أَلْفٍ وَثَلاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ؛ إِنْ وُجِدَتِ الْعَدَالَةُ فِي الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّهَا سَتَنْقُضُ ذٰلِكَ الْحُكْمَ وَالْجَزَاءَ الَّذِي أُدِينَ بِهِ ، لِأَجْلِ تَفْسِيرِهِ ذٰلِكَ ؛ وَسَتَمْسَحُ هٰذِهِ اللَّوْثَةَ الْعَجِيبَةَ ، عَنِ الْعَدْلِيَّةِ فِي هٰذِهِ الْحُكُومَةِ الْإِسْلاَمِيَّةِ» : هٰكَذَا كَتَبْتُ فِي لاَئِحَةِ تَصْحِيحِي ؛ وَأَرَيْتُهَا الْمُدَّعِيَ الْعَامَّ هُنَاكَ ؛ فَتَلَقّٰى مِنْهَا الدَّهْشَةَ ؛ فَقَالَ : يَا لَلْأَمَانِ ! فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ اللُّزُومُ لِهٰذَا ؛ وَبَقِيَ جَزَاؤُكُمْ قَلِيلاً وَقَلِيلاً جِدّاً ؛ فَمَا بَقِيَ اللُّزُومُ لِتَقْدِيمِ هٰذَا . .

هٰذَا ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ قَطْعاً أَمْثِلَةً كَثِيرَةً عَجِيبَةً هٰكَذَا ، فِي دِفَاعِي الْمُقَدَّمِ إِلَيْكُمْ وَإِلَى مَقَامَاتِ (أَنْقَرَة) ، مِثْلَ هٰذَا الْمِثَالِ . . إِنِّي أَطْلُبُ وَأَرْجُو مِنْ مَحْكَمَةِ (أَفْيُون) : أَنْ تَمْنَحَ الْقَرَارَ لِلْحُرِّيَّةِ التَّامَّةِ «لِرِسَالَةِ النُّورِ» الَّتِي لَهَا خِدْمَةٌ وَبَرَكَةٌ بِقَدَرِ جَيْشٍ ، لِهٰذَا الشَّعْبِ وَهٰذَا الْوَطَنِ ؛ فَنَنْتَظِرُ مِنْكُمْ بِاسْمِ حَقِيقَةِ الْعَدَالَةِ ، مَنْحَكُمُ الْقَرَارَ ؛ وَإِلاَّ فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ مَعَ ذَهَابِ خَمْسَةٍ أَوْ عَشَرَةِ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِيَ الدَّاخِلِينَ فِي السِّجْنِ بِمُنَاسَبَتِي : أَنَّهُ وَرَدَ عَلَى قَلْبِي فِكْرٌ يُجْبِرُنِي عَلَى أَنْ أَرْتَكِبَ جُرْماً يُصَادِمُنِي بِجَزَاءٍ كَبِيرٍ ؛ فَأَسْتَوْدِعَ هٰذَا النَّوْعَ مِنَ الْحَيَاةِ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ احْتِمَاءَ الْحُكُومَةِ لِي ، وَمُسَاعَدَتَهَا إِيَّايَ تَمَاماً ، كَانَ لَهَا لُزُومٌ كَثِيرٌ لِمَصْلَحَةِ الشَّعْبِ ، وَلِمَنْفَعَةِ الْوَطَنِ ؛ فَتُومِئُ مُضَايَقَتُهَا عَلَيَّ ، إِلَى أَنَّ قِيَادَةَ الزَّنْدَقَةِ الَّتِي تُجَادِلُنِي مُنْذُ أَرْبَعِينَ عَاماً ، مَعَ قِسْمٍ مِنْ قِيَادَةِ الشُّيُوعِيَّةِ الَّتِي الْتَحَقَتْ بِهِمُ الْآنَ ، حَصَلُوا عَلَى بَعْضِ مَقَامَاتٍ رَسْمِيَّةٍ مُهِمَّةٍ ؛ فَيُبَارِزُونَ ضِدِّي ؛ أَمَّا الْحُكُومَةُ ، فَإِمَّا لاَ تَعْلَمُ ؛ وَإِمَّا تُسَاعِدُ : هٰكَذَا تُورِثُنِي أَمَارَاتٌ كَثِيرَةٌ ، قَلَقاً . .

أَيُّهَا الرَّئِيسُ الْكَرِيمُ ! . أَسْأَلُ بِسَمَاحِكُمْ ، عَنْ شَيْءٍ أَتَحَيَّرُ مِنْهُ كَثِيراً . .

لِمَاذَا يُسْقِطُنِي أَهْلُ السِّيَاسَةِ ، عَنْ جَمِيعِ الْحُقُوقِ الْمَدَنِيَّةِ ، وَعَنْ حُقُوقِ الْحُرِّيَّةِ ، بَلْ عَنْ حُقُوقِ الْحَيَاةِ ؛ مَعَ أَنِّي لَمْ أُخَالِطِ السِّيَاسَةَ أَصْلاً ؟ حَتّٰى إِنَّهُمْ مَنَعُوا اتِّصَالَ إِخْوَانِي بِي ، الْمُتَحَذِّرِينَ جِدّاً ، وَخُدَّامِي الصَّادِقِينَ أَيْضاً ، الَّذِينَ يَسْعَوْنَ لِحِفْظِي عَنْ شَرِّ أَعْدَائِي الْأَخْفِيَاءِ

الَّذِينَ سَمَّمُونِي إِحْدٰى عَشْرَةَ مَرَّةً ، وَالَّذِينَ تَآمَرُوا لِحَيَاتِي ، فِي تَجْرِيدِي ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ ، تَجْرِيداً مُطْلَقاً ، كَمَثَلِ مَنْ لَهُ مِئَةُ جِنَايَةٍ ؛ وَإِنَّهُمْ حَرَمُونِي أَيْضاً ، مِنْ مُطَالَعَةِ كُتُبِي الْمُبَارَكَةِ وَغَيْرِ الضَّارَّةِ الَّتِي آنَسَتْهَا دَائِماً ، مِنْ وَحْدَتِي فِي الْكُهُولَةِ وَالْغُرْبَةِ وَالْمَرَضِ ؛ وَإِنِّي رَجَوْتُ الْمُدَّعِي الْعَامَّ كَثِيراً : أَنْ أُعْطِيَ أَحَدَ كُتُبِي ؛ فَلَمْ يُعْطِنِي ؛ مَعَ أَنَّهُ وَعَدَ بِهِ ؛ فَيُجْبِرُونَنِي عَلَى الْمُكْثِ وَحِيداً بِدُونِ مَشْغَلَةٍ ، فِي مَنَامَةٍ كَبِيرَةٍ مُقْفَلَةٍ بَارِدَةٍ ؛ فَيُحَرِّضُونَ ذَوِي الْعَلاقَةِ مِنَ الْمُوَظَّفِينَ وَالْخَادِمِينَ ، إِلَى النَّظَرِ عَلَى وَجْهِ الْعَدَاوَةِ عَادَةً ، عِوَضاً عَنِ التَّسْلِيَةِ وَالصَّدَاقَةِ تِجَاهِي . وَإِنَّ مِثَالاً صَغِيراً لِذٰلِكَ ، هُوَ : أَنِّي كَتَبْتُ عَرِيضَةً إِلَى الْمُدِيرِ وَالْمُدَّعِي الْعَامِّ وَرَئِيسِ الْمَحْكَمَةِ ؛ فَأَرْسَلْتُهَا إِلَى أَخٍ لِي ؛ لِيَكْتُبَهَا بِالْحُرُوفِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي لا أَعْلَمُهَا ؛ فَكُتِبَتْ وَقُدِّمَتْ إِلَيْهِمْ ؛ فَسَمَّرُوا نَوَافِذِي ؛ كَأَنِّي ارْتَكَبْتُ جُرْماً كَبِيراً ؛ وَكَانَ الدُّخَانُ يُضَايِقُنِي ؛ فَلَمْ أَتْرُكْ نَافِذَةً أَنْ تُسَمَّرَ ؛ وَالآنَ سَمَّرُوهَا أَيْضاً . .

وَكَذَا أَنَّ قَاعِدَةَ السِّجْنِ ، هِيَ : أَنَّ التَّجْرِيدَ يَكُونُ بِقَدَرِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً ؛ مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَحُوا لِي بِالاجْتِمَاعِ مَعَ أَيِّ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي ، ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ فِي التَّجْرِيدِ الْمُطْلَقِ . .

وَأَيْضاً إِنَّهُ كُتِبَ ادِّعَاءٌ أَرْبَعِينَ صَحِيفَةً ضِدِّي ، مُنْذُ ثَلاثَةِ أَشْهُرٍ ؛ فَأُرِيتُهُ ؛ وَلا أَعْلَمُ الْحُرُوفَ الْجَدِيدَةَ ؛ وَأَنَا مَرِيضٌ ؛ وَخَطِّي نَاقِصٌ جِدّاً ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ رَجَوْتُ كَثِيراً ؛ وَقُلْتُ : ائْذَنُوا لِرَجُلَيْنِ يَكْتُبَانِ اعْتِرَاضِي ، مِنْ تَلامِذَتِي الَّذِينَ يَعْرِفُونَ لِسَانِي ؛ وَيَقْرَأُ عَلَيَّ أَحَدُهُمَا الادِّعَاءَ ؛ فَلَمْ يَأْذَنُوا وَقَالُوا : لِيَأْتِ الْمُحَامِي ؛ فَلْيَقْرَأْهُ ؛ ثُمَّ لَمْ يَسْمَحُوا بِذٰلِكَ أَيْضاً ؛ وَإِنَّمَا قَالُوا لِأَخٍ : حَوِّلْهُ إِلَى الْحُرُوفِ الْقَدِيمَةِ ؛ وَأَعْطِهِ ؛ مَعَ أَنَّ كِتَابَةَ تِلْكَ الصَّفَحَاتِ الأَرْبَعِينَ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ فِي سِتَّةِ أَوْ سَبْعَةِ أَيَّامٍ ؛ وَإِنَّ فِكْرَةَ تَمْدِيدِ عَمَلِ الْقِرَاءَةِ عَلَيَّ ، فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، إِلَى سِتَّةِ أَوْ سَبْعَةِ أَيَّامٍ ؛ لِئَلاَّ يَتَّصِلَ بِي أَحَدٌ ، هِيَ إِسْقَاطٌ لِجَمِيعِ حُقُوقِ دِفَاعِي ، بِاسْتِبْدَادٍ رَهِيبٍ جِدّاً ؛ وَإِنَّ رَجُلاً يُصْلَبُ وَلَهُ مِئَةُ جِنَايَةٍ أَيْضاً ، لا يُمْكِنُ أَنْ يَلْقَى مِثْلَ هٰذِهِ الْمُعَامَلَةِ فِي الدُّنْيَا ؛ وَإِنِّي أُقَاسِي الْعَذَابَ كَثِيراً ، مِنْ عَدَمِ مَعْرِفَتِي أَيَّ سَبَبٍ لِهٰذَا التَّعْذِيبِ ، الَّذِي لا مِثْلَ لَهُ حَقِيقَةً ؛ وَإِنِّي تَلَقَّيْتُ الْخَبَرَ بِأَنَّ رَئِيسَ الْمَحْكَمَةِ صَاحِبُ وِجْدَانٍ ، وَصَاحِبُ

رَحْمَةٍ ؛ فَبِنَاءً عَلَىٰ هٰذِهِ الْقَنَاعَةِ ، كَتَبْتُ هٰذَا الِاسْتِرْحَامَ وَالشَّكْوَىٰ إِلَىٰ مَقَامِكُمْ ، عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ اخْتِبَارًا أَوَّلَ وَأَخِيرًا . .

[فِي الِادِّعَاءِ أَرْبَعَةُ أُسُسٍ فِي حَقِّي :]

﴿اَلْأَسَاسُ الْأَوَّلُ :﴾ يُزْعَمُ أَنَّ فِيَّ تَفَاخُرًا وَرِيَاءً ؛ وَأَنِّي أَعْلَمُ نَفْسِي مُجَدِّدًا ؛ فَإِنِّي أَرُدُّ هٰذَا ، بِكُلِّ قُوَّتِي . وَأَيْضًا إِنَّ جَمِيعَ أَصْحَابِي يَشْهَدُونَ أَنِّي لَا أَقْبَلُ إِسْنَادَ الْمَهْدِيَّةِ أَصْلًا ؛ حَتَّىٰ إِنَّ أَهْلَ الْخِبْرَةِ فِي (دَنِزْلِي) قَالُوا : إِذَا طَرَحَ «سَعِيدٌ» بِمَهْدِيَّتِهِ إِلَى الْمَيْدَانِ ؛ فَسَيَقْبَلُهَا تَلَامِذَتُهُ كُلُّهُمْ ؛ فَقَالَ «سَعِيدٌ» فِي اعْتِرَاضِهِ مُقَابِلَ ذٰلِكَ : إِنِّي لَسْتُ شَرِيفًا ؛ وَالْمَهْدِيُّ يَكُونُ شَرِيفًا ؛ هٰكَذَا رَدَّ عَلَيْهِمْ . وَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِي ؛ وَلَمْ أَقُلْ فِي أَيِّ وَقْتٍ : أَنَّ لِي مَهْدِيَّةً ؛ وَإِنَّمَا قُلْتُ مَرَّةً فِي رِسَالَةٍ : إِنَّ وَظِيفَةَ إِنْقَاذِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، بِالْإِيمَانِ التَّحْقِيقِيِّ ، الَّتِي هِيَ وَظِيفَةٌ مِنَ الْوَظَائِفِ الْكَثِيرَةِ ، «لِلسَّيِّدِ الْمَهْدِيِّ» مِنْ آلِ الْبَيْتِ ، الَّذِي سَيَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، يُوجَدُ مِثْلُهَا فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَإِذَا جَاءَ ذٰلِكَ السَّيِّدُ ، يَجْعَلُ «رِسَالَةَ النُّورِ» مَنْهَجًا فِي تِلْكَ الْجِهَةِ . هٰذَا مَا قُلْتُ . وَإِلَّا فَإِنِّي لَسْتُ شَرِيفًا ؛ كَمَا لَمْ أَقَعْ فِي أَيِّ وَقْتٍ ، فِي مِثْلِ هٰذِهِ الْخَيَالَاتِ الزَّائِدَةِ عَنْ حَدِّي مِئَةَ دَرَجَةٍ . وَإِنَّ بَعْضَ تَلَامِذَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، أَصْحَابِ حُسْنِ الظَّنِّ ، أَحْسَنُوا الظَّنَّ بِأُسْتَاذِهِمْ ، أَزْيَدَ مِنْ حَدِّهِ ، عَلَىٰ وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ وَالْكِتْمَانِ ؛ فَأَعْطَوْهُ أَحْيَانًا عَنَاوِينَ هٰكَذَا ، مِثْلَ الْمُجَدِّدِ ، بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ خَادِمَ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَلِذٰلِكَ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ ؛ فَنَقَضْتُ خَوَاطِرَهُمْ . .

﴿اَلْأَسَاسُ الثَّانِي :﴾ هُوَ إِخْفَاءُ النَّشْرِيَّاتِ ؛ ذٰلِكَ لِئَلَّا يُؤَوِّلَهَا الْأَعْدَاءُ الْأَخْفِيَاءُ ، بِالْمَعْنَى الْخَاطِئِ ؛ وَإِلَّا فَلَيْسَ بِجِهَةِ تَمَاسِّهَا بِالسِّيَاسَةِ وَإِدَارَةِ الدُّنْيَا ؛ وَلِئَلَّا يَجِدُوا جِهَازَ الِاسْتِنْسَاخِ ، مَعَ الْحُرُوفِ الْقَدِيمَةِ ، ذَرِيعَةً . أَمَّا صَفْعَةُ النُّورِ(١) ضِدَّ «مُصْطَفَىٰ كَمَالٍ» ،

---

(١) لَقَدْ أُوِّلَ بِمَعْنًى خَاطِئٍ فِي الِادِّعَاءِ ؛ فَعُدَّ قِسْمٌ مِنْ كَرَامَاتِ الْأَنْوَارِ ، الَّذِي هُوَ فِي شَكْلِ الصَّفْعَةِ ، =

فَإِنَّ سِتَّ مَحَاكِمَ ، وَمَقَامَاتِ (أَنْقَرَة) ، عَلِمَتْهَا فَلَمْ تَمَسَّهَا ؛ وَمَنَحَتْنَا الْبَرَاءَةَ ؛ وَأَعَادُوا جَمِيعَ كُتُبِنَا مَعَ «الشُّعَاعِ الْخَامِسِ» . . وَأَيْضاً إِنَّ إِظْهَارَ خَطِيئَتِهِ ، هُوَ لِحِفْظِ قِيمَةِ الْجَيْشِ ؛ وَأَنَّ عَدَمَ الْحُبِّ لِشَخْصٍ مَّا ، هُوَ لِلثَّنَاءِ عَلَى الْجَيْشِ عَلَى وَجْهِ الْمَحَبَّةِ . .

﴿اَلْأَسَاسُ الثَّالِثُ :﴾ أَنَّهُ يُحَرِّضُ إِلَى إِخْلَالِ الْأَمْنِ ؛ فَإِنَّ عَدَمَ تَقْيِيدِ سِتِّ مَحَاكِمَ ، وَشُرْطَةِ عَشْرِ وِلَايَاتٍ ، وَعَدَمَ لِقَائِهِمْ بِأَيَّةِ مَادَّةٍ ، حَوْلَ إِخْلَالِ الْأَمْنِ وَإِفْسَادِ النِّظَامِ ، فِي سِتِّ مَحَاكِمَ ، وَعَشْرِ وِلَايَاتٍ ، مِنْ مِئَةِ أَلْفِ شَخْصٍ مِنَ النُّورِيِّينَ ، وَمِئَةِ أَلْفِ نُسْخَةٍ مِنْ «رَسَائِلِ النُّورِ» ، خِلَالَ عِشْرِينَ عَاماً ، يُزَيِّفُ هٰذَا الِاتِّهَامَ الْعَجِيبَ ، مُقَابِلَ قَوْلِهِ ذٰلِكَ . وَإِنَّهُ لَا مَعْنَى لِلْإِجَابَةِ ، عَلَى عِدَّةِ مَسَائِلَ لَا أَهَمِّيَّةَ لَهَا ، فِي هٰذَا الِادِّعَاءِ الْجَدِيدِ ؛ وَأُعْطِيَتْ أَجْوِبَتُهَا مُكَرَّرَةً ؛ وَهِيَ عَائِدَةٌ إِلَى عَيْنِ النِّقَاطِ الَّتِي بَرَّأَتْنَا مِنْهَا ثَلَاثُ مَحَاكِمَ ؛ وَإِنَّ اتِّهَامَنَا بِتِلْكَ الْمَسَائِلِ ، هُوَ فِي حُكْمِ اتِّهَامِ مَحْكَمَةِ (أَنْقَرَة) الْجِنَائِيَّةِ وَمَحْكَمَتَيْ (دَنِزْلِي) وَ (أَسْكِيشَهِر) ، الَّتِي مَنَحَتْنَا الْبَرَاءَةَ مِنْهَا ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ أَتْرُكُ لَهُمْ جَوَابَهُ . .

وَتُوجَدُ مَسْأَلَتَانِ أَوْ ثَلَاثُ مَسَائِلَ غَيْرُهَا . .

(إِحْدَاهَا :) أَنَّهُمْ بَرَّأُونَا بَعْدَ التَّدْقِيقِ الدَّقِيقِ فِي مَحَاكِمِ (دَنِزْلِي) وَ (أَنْقَرَة) الْجِنَائِيَّةِ سَنَتَيْنِ ؛ فَأَعَادُوا إِلَيْنَا ذٰلِكَ الْكِتَابَ ؛ مَعَ أَنَّهُ يُطَبِّقُ مَسْأَلَةً أَوْ مَسْأَلَتَيْنِ ، مِنْ ذٰلِكَ «الشُّعَاعِ الْخَامِسِ» ، عَلَى قَائِدٍ مَاتَ وَارْتَحَلَ ؛ فَيُظْهِرُهُ جُرْماً لَنَا . .

= مَدَارَ الِاتِّهَامِ ؛ فَكَأَنَّ الْبَلَايَا مِثْلَ الزِّلْزَالِ الْوَارِدِ فِي زَمَنِ الْهُجُومِ عَلَى الْأَنْوَارِ ، هِيَ صَفَعَاتُ النُّورِ . فَلَمْ نَقُلْ كَذٰلِكَ ، حَاشَا ثُمَّ حَاشَا ؛ بَلْ قُلْنَا فِي مَوَاضِعَ مُكَرَّرَةٍ وَبِحُجَجِهَا : إِنَّ الْأَنْوَارَ ، هِيَ وَسِيلَةٌ لِدَفْعِ الْبَلَايَا ، كَالصَّدَقَةِ الْمَقْبُولَةِ ؛ فَمَتَى هُوجِمَتِ الْأَنْوَارُ ، تَخْتَفِي الْأَنْوَارُ ؛ فَتَجِدُ الْمَصَائِبُ فُرْصَةً ؛ فَتَنْزِلُ عَلَى رُؤُوسِنَا . نَعَمْ : إِنَّ لَنَا قَنَاعَةً قَاطِعَةً ، بِأَنَّ تِلْكَ التَّوَافُقَاتِ ، إِكْرَامٌ إِلٰهِيٌّ لِكَوْنِ رِسَالَةِ النُّورِ مَقْبُولَةً ؛ وَأَنَّهَا نَوْعٌ مِنَ الْكَرَامَاتِ لِلْأَنْوَارِ ، بِحِسَابِ الْقُرْآنِ ، بِإِشَارَاتِ الْقُرْآنِ وَتَوَافُقَاتِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ ، وَبِمِئَاتِ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْدَاثِ وَتَوَافُقَاتِ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ ، بِتَصْدِيقِ وَشَهَادَةِ الْآلَافِ مِنْ تَلَامِذَةِ النُّورِ ؛ بَلْ وَبِجِهَةِ إِثْبَاتِ قِسْمٍ مِنْهَا فِي الْمَحَاكِمِ . . الْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ انْتِقاداً حَقّاً كُلِّيّاً يُمْكِنُ أَنْ يُطَبَّقَ ضِدَّ شَخْصٍ مَاتَ وَرَاحَ وَانْقَطَعَتْ عَلاَقَتُهُ عَنِ الْحُكُومَةِ، لاَ يَعُدُّهُ أَيُّ قَانُونٍ جُرْماً.. وَأَيْضاً إِنَّ مَقَامَ الاِدِّعَاءِ اسْتَخْرَجَ بِمَغْلَطَتِهِ، حِصَّةً لِذٰلِكَ الْقَائِدِ، مِنْ مَعْنَىٰ تَأْوِيلٍ كُلِّيٍّ؛ فَطَبَّقَهَا عَلَيْهِ؛ وَإِنَّ وُجُودَ حَقِيقَةٍ هٰكَذَا، لاَ يَفْهَمُهَا وَاحِدٌ فِي الْمِئَةِ، فِي رِسَالَةٍ مُحَرَّمَةٍ وَمَكْتُومَةٍ، لَنْ يَعُدَّهُ أَيُّ قَانُونٍ جُرْماً.. وَأَيْضاً إِنَّ تِلْكَ الرِّسَالَةَ، بَيَّنَتْ تَأْوِيلاَتِ الْأَحَادِيثِ الْمُتَشَابِهَةِ، عَلَىٰ وَجْهٍ خَارِقٍ؛ وَكَانَ ذٰلِكَ الْبَيَانُ قَبْلَ ثَلاَثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ عَاماً؛ وَقَدْ أُجِيبَ عَنْهُ الْجَوَابُ الْقَاطِعُ، فِي دِفَاعِي وَاعْتِرَاضِي الْمُقَدَّمَيْنِ مَرَّتَيْنِ خِلاَلَ ثَلاَثَةِ أَعْوَامٍ، إِلَىٰ ثَلاَثِ مَحَاكِمَ، وَإِلَىٰ مَحْكَمَتِكُمْ، وَإِلَىٰ مَقَامَاتِ (أَنْقَرَة) السِّتَّةِ؛ فَلَمْ يَلْقَيَا الاِنْتِقَادَ؛ مَعَ أَنَّ ظُهُورَ ذٰلِكَ الْحَدِيثِ مُطَابِقاً لِشَخْصٍ مُقَصِّرٍ، فِي صَدَدِ بَيَانِ حَقِيقَتِهِ، لاَ يَعُدُّهُ أَيُّ قَانُونٍ جُرْماً.. وَأَيْضاً إِنَّ ذٰلِكَ الشَّخْصَ الْمُنْتَقَدَ، لَيْسَ لَهُ وَحْدَهُ، انْقِلاَبٌ كَانَ هُوَ فِيهِ؛ وَصَارَ سَبَباً لِلْأَخْطَاءِ؛ بَلْ هُوَ لِلْجَيْشِ وَالْحُكُومَةِ؛ وَلَهُ حِصَّةٌ فَقَطْ؛ فَالاِنْتِقَادُ عَلَيْهِ لِأَجْلِ أَخْطَائِهِ، لاَ يَكُونُ جُرْماً قَطْعاً؛ كَمَا لاَ يُقَالُ: إِنَّهُ يُهَاجِمُ الاِنْقِلاَبَ.. وَأَيْضاً إِنَّ شَخْصاً حَوَّلَ جَامِعَ «أَيَا صُوفِيَا» ـ الَّذِي هُوَ مَدَارُ شَرَفٍ أَبَدِيٍّ لِهٰذَا الشَّعْبِ الْبَاسِلِ؛ وَعَلاَمَةٌ كَبِيرَةٌ جِدّاً لَهُ، مِثْلُ الْجَوْهَرَةِ، فِي الدُّنْيَا فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ وَالْجِهَادِ؛ وَتُحْفَةٌ بَدِيعَةٌ عَظِيمَةٌ جِدّاً لِسُيُوفِهِمْ ـ حَوَّلَهُ إِلَىٰ مَتْحَفِ الْأَوْثَانِ؛ وَحَوَّلَ دَائِرَةَ الْمَشْيَخَةِ إِلَىٰ ثَانَوِيَّةِ الْبَنَاتِ؛ فَهَلْ لِعَدَمِ حُبِّهِ إِمْكَانٌ، أَنْ يَصِيرَ جُرْماً؟.

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ:﴾ الَّتِي هِيَ سَبَبُ اتِّهَامِي فِي الاِدِّعَاءِ: أَنِّي إِذْ بَيَّنْتُ تَأْوِيلاً خَارِقاً لِحَدِيثٍ، قَبْلَ أَرْبَعِينَ عَاماً؛ وَقَدْ فُزْنَا بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُ، فِي ثَلاَثِ مَحَاكِمَ؛ كَانَ جَمِيعُ شُيُوخِ الْإِسْلاَمِ، وَجَمِيعُ عُلَمَاءِ الْإِسْلاَمِ، لَمْ يَسْمَحُوا بِجَوَازِهَا، مَعَ قَوْلِ شَيْخِ الْإِسْلاَمِ لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ، «عَلِيٍّ الْفَاضِلِ الزَّنْبِيلِيِّ»: لاَ جَوَازَ أَصْلاً، لِوَضْعِهَا عَلَى الرَّأْسِ؛ وَلَوْ بِالْمِزَاحِ؛ مَعَ أَنَّ عَوَامَّ أَهْلِ الْإِيمَانِ، كَانُوا فِي الْخَطَرِ ـ أَيْ فِي وَضْعٍ إِمَّا أَنْ يَتْرُكَ دِينَهُ؛ وَإِمَّا أَنْ يَسْتَعْصِيَ ـ بِعَدَمِ سَمَاحِ أُولاَئِكَ الْعُلَمَاءِ الْعِظَامِ، إِذَا أَصْبَحُوا مُضْطَرِّينَ لِلُبْسِهَا؛ فَأَنْقَذَتْ هٰذِهِ الْفِقْرَةُ مِنَ «الشُّعَاعِ الْخَامِسِ» قَبْلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، عَوَامَّ أَهْلِ الْإِيمَانِ، مِنَ الْعِصْيَانِ

وَالاخْتِلالِ ، وَمِنْ تَرْكِ إِيمَانِهِ وَدِينِهِ بِالاخْتِيَارِ ، بِقَوْلِهَا : «إِنَّ الْقُبَّعَةَ تَعْلُو الرَّأْسَ ؛ فَتَقُولُ : لا تَذْهَبْ إِلَى السُّجُودِ ؛ وَلٰكِنَّ الْإِيمَانَ فِي الرَّأْسِ ، يَأْتِي بِتِلْكَ الْقُبَّعَةِ أَيْضاً إِلَى السُّجُودِ ؛ فَيَجْعَلُهَا مُسْلِماً ، إِنْ شَاءَ اللهُ» . وَإِنَّ أَيَّ قَانُونٍ ، لا يُكَلِّفُ الْمُنْزَوِينَ بِمِثْلِ هٰذِهِ الْأَشْيَاءِ ؛ وَإِنَّ سِتَّ حُكُومَاتٍ لَمْ تُجْبِرْنِي عَلٰى لُبْسِهَا ، فِي عِشْرِينَ عَاماً ؛ وَإِنَّ جَمِيعَ الْمُوَظَّفِينَ فِي دَوَائِرِهِمْ ، وَالنِّسْوَانَ وَالصِّبْيَانَ ، وَالَّذِينَ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَأَكْثَرَ الْقَرَوِيِّينَ لَيْسُوا مُجْبَرِينَ عَلٰى لُبْسِهَا ؛ وَأَنَّهَا ارْتَفَعَتِ الْآنَ رَسْماً عَنْ رَأْسِ الْعَسَاكِرِ ؛ وَإِنَّ الْقَلَنْسُوَةَ وَالْقَلُّوسَةَ لَيْسَتْ مَحْذُورَةً فِي وِلايَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ مَعَ أَنَّهَا أُظْهِرَتْ سَبَباً لِاتِّهَامِنَا أَنَا وَإِخْوَانِي . فَيَا عَجَباً ! هَلْ يُمْكِنُ لِأَيِّ قَانُونٍ ، وَأَيَّةِ مَصْلَحَةٍ ، وَأَيِّ دُسْتُورٍ ، أَنْ تَعُدَّ جُرْماً ، هٰذَا الاتِّهَامَ الَّذِي لا مَعْنٰى لَهُ جِدّاً ؟ .

(اَلْمَدَارُ الثَّالِثُ لِلاتِّهَامِ :) هُوَ التَّحْرِيضُ إِلَى إِخْلالِ الْأَمْنِ فِي (أَمِرْ دَاغِي) . . أَمَّا الِاعْتِرَاضُ ضِدَّ هٰذَا ، فَهُوَ أَوَّلاً : اعْتِرَاضِيَ الَّذِي لَمْ يُجْرَحْ ، وَالْمُقَدَّمُ بِمَعْرِفَةِ هٰذِهِ الْمَحْكَمَةِ وَبِمُسَاعَدَتِهَا ، إِلٰى مَقَامَاتِ (أَنْقَرَة) السِّتَّةِ ، وَإِلَى الْمَحْكَمَةِ الَّتِي هُنَا ؛ فَإِنِّي أُظْهِرُهُ الْآنَ بِعَيْنِهِ ، اعْتِرَاضاً ضِدَّ ذٰلِكَ الِادِّعَاءِ . .

وَثَانِياً : إِنِّي تَجَنَّبْتُ عَنِ التَّمَاسِّ بِسِيَاسَةِ الدُّنْيَا ، فِي انْزِوَائِي وَبِكُلِّ قُوَّتِي ، بَعْدَ بَرَاءَتِي ، بِشَهَادَةِ جَمِيعِ الْفُضَلاءِ الَّذِينَ يُكَالِمُونَنِي فِي (أَمِرْ دَاغِي) ، وَبِتَصْدِيقِ الْأَهَالِي وَالشُّرْطَةِ هُنَاكَ ؛ حَتّٰى إِنِّي كُنْتُ تَرَكْتُ التَّأْلِيفَ وَالْمُرَاسَلَةَ ؛ فَلَمْ أُؤَلِّفْ سِوٰى نُكْتَتَيْنِ حَوْلَ الْمَلائِكَةِ وَالتَّكْرَارَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ فَقَطْ ؛ وَكُنْتُ أَكْتُبُ فِي الْأُسْبُوعِ رِسَالَةً وَاحِدَةً ، إِلٰى مَكَانٍ مَّا ، لِلتَّشْوِيقِ إِلَى الْأَنْوَارِ ؛ حَتّٰى إِنَّ شَقِيقِيَ الْمُفْتِيَ ، وَالَّذِي تَلَمَّذَ عِنْدِي عِشْرِينَ عَاماً ؛ وَيَغْتَمُّ لِي كَثِيراً ؛ وَيَكْتُبُ تَحِيَّاتِ الْأَعْيَادِ ، كَتَبْتُ لِأَخِي ذٰلِكَ ، فِي ثَلاثِ سِنِينَ ، ثَلاثَ أَوْ أَرْبَعَ رَسَائِلَ ؛ وَلَمْ أَكْتُبْهَا أَصْلاً ، عِشْرِينَ عَاماً ، لِأَخِيَ الَّذِي فِي الْوَطَنِ ؛ مَعَ أَنَّ الِادِّعَاءَ اتَّهَمَنِي بِجُرْمِ إِخْلالِ الْأَمْنِ ؛ وَجَدَّدَ بِالْمَغْلَطَةِ ، النَّقَرَاتِ الْقَدِيمَةَ ؛ فَقَالَ : إِنَّهُ يُعَارِضُ الِانْقِلابَ . .

فَنَقُولُ مُقَابِلَ هٰذَا : إِنَّ عَدَمَ تَسْجِيلِ سِتِّ مَحَاكِمَ ، وَشُرْطَةِ عَشْرِ وِلايَاتٍ ذَاتِ

صِلَةٍ، أَيَّةَ مَادَّةٍ دَائِرَةٍ حَوْلَ إِخْلَالِ الْأَمْنِ، مِنْ عِشْرِينَ أَلْفاً، بَلْ مِئَةِ أَلْفِ شَخْصٍ، يَقْرَأُونَ بِالِاهْتِمَامِ وَالْقَبُولِ، عِشْرِينَ أَلْفَ نُسْخَةٍ مِنَ النُّورِ، خِلَالَ عِشْرِينَ سَنَةً؛ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَنْظُرُ نَظْرَةَ الْوُقُوعَاتِ الْقَطْعِيَّةِ، إِلَى إِمْكَانٍ مَا، بِاحْتِمَالٍ وَاحِدٍ فَقَطْ، مِنْ آلَافِ الِاحْتِمَالَاتِ، فِي حَقِّنَا؛ وَالْحَالُ: أَنَّهُ إِنْ كَانَ احْتِمَالاً وَاحِداً مِنِ احْتِمَالَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ احْتِمَالَاتٍ؛ وَلَمْ يُرَ أَثَرُهُ، لَا يَكُونُ جُرْماً أَصْلاً.. وَأَيْضاً إِنَّهُ لَيْسَ احْتِمَالٌ وَاحِدٌ مِنْ آلَافِ احْتِمَالٍ؛ بَلْ إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ، وَالْمُدَّعِي الْمُهَاجِمَ عَلَيَّ، يُمْكِنُ أَنْ يَقْتُلَ أُنَاساً كَثِيرَةً؛ وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يُفْسِدَ الْأَمْنَ وَالنِّظَامَ؛ وَأَنْ يُخِلَّ بِالْأَمْنِ، بِحِسَابِ الْفَوْضَوِيَّةِ وَالشُّيُوعِيَّةِ؛ وَإِنَّ اسْتِعْمَالَ أَمْثَالِ هٰذِهِ الْإِمْكَانَاتِ الْمُفْرِطَةِ وَالْعَجِيبَةِ جِدّاً، فِي مَكَانِ الْوُقُوعَاتِ، إِهَانَةٌ ضِدَّ الْعَدْلِيَّةِ وَالْقَانُونِ.. وَأَيْضاً يُوجَدُ الْمُخَالِفُونَ، فِي كُلِّ حُكُومَةٍ؛ وَإِنَّمَا لَا تَصِيرُ الْمُخَالَفَةُ الْفِكْرِيَّةُ جُرْماً؛ فَإِنَّ الْحُكُومَةَ تَنْظُرُ إِلَى الْيَدِ؛ وَلَا تَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ؛ وَخَاصَّةً أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَدَمَاتٌ وَفَوَائِدُ كَثِيرَةٌ لِلْوَطَنِ وَالشَّعْبِ بِدُونِ الضَّرَرِ؛ ثُمَّ إِنَّهُ لَا يُخَالِطُ الْحَيَاةَ الِاجْتِمَاعِيَّةَ؛ وَيَحْيَا فِي التَّجْرِيدِ الْمُطْلَقِ؛ وَتُسْتَقْبَلُ تَآلِيفُهُ بِكَمَالِ التَّقْدِيرِ وَالتَّحْسِينِ، فِي أَهَمِّ مَرَاكِزِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ (١)، نَخْشَى أَنْ يَكُونَ الْمُفْتَعِلُونَ

---

(١) إِنَّ مَقَامَ الِادِّعَاءِ قَالَ فِي حَقِّ تَآلِيفِهِ هٰذِهِ، فِي خَطَئِهِ الثَّمَانِينَ مِنْ مِئَةِ أَخْطَائِهِ، فِي ادِّعَائِهِ: إِنَّ تَأْوِيلَاتِهِ فِي «الشُّعَاعِ الْخَامِسِ» خَاطِئَةٌ..

اَلْجَوَابُ: أَنَّهُ تُذْكَرُ فِي «الشُّعَاعِ الْخَامِسِ»، جُمْلَةُ: «اللهُ أَعْلَمُ: أَنَّ لِهٰذَا تَأْوِيلاً»؛ فَمِنْ ثَمَّةَ، فَإِنَّ مَعْنَاهَا: أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ: مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ هٰذَا، مَعْنَى هٰذَا الْحَدِيثِ بِاحْتِمَالٍ مَا. فَهٰذَا لَيْسَ تَكْذِيبُهُ قَابِلاً حَسَبَ الْمَنْطِقِ؛ وَإِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ يُكَذَّبَ بِإِثْبَاتِ اسْتِحَالَتِهِ..

ثَانِياً: إِنَّ الْمُعَارِضِينَ لِي، وَالسَّاعِينَ لِلِاعْتِرَاضِ عَلَى «رِسَالَةِ النُّورِ»، لَمْ يَرُدُّوا عِلْماً وَمَنْطِقاً، أَيَّ تَأْوِيلٍ لَنَا؛ وَإِنَّ آلَافَ الْعُلَمَاءِ مِنْ تَلَامِذَةِ النُّورِ، مَعَ أُولٰئِكَ الْعُلَمَاءِ الْمُعَارِضِينَ، صَدَّقُوهُ وَلَمْ يَقُولُوا: «فِيهِ نَظَرٌ»، مُنْذُ عِشْرِينَ عَاماً، بَلْ مُنْذُ أَرْبَعِينَ عَاماً؛ مَعَ أَنَّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ كَمْ كَانَ عَدَدُ سُوَرِ الْقُرْآنِ، إِذَا اسْتَقْبَلَ هٰذَا بِالْإِنْكَارِ، فَإِنِّي أُحِيلُ عَلَى إِنْصَافِكُمْ، مَدَى كَوْنِهِ فِي خَارِجِ الْإِنْصَافِ..

اَلْحَاصِلُ: أَنَّ مَعْنَى التَّأْوِيلِ هُوَ: أَنَّهُ مَعْنًى مُمْكِنٌ وَمُحْتَمَلٌ لِلْحَدِيثِ أَوِ الْآيَةِ، مِنْ مَعَانِيهَا الْكَثِيرَةِ..

الْمُؤَلِّفُ، (رضي الله تعالى عنه)..

فِي حَقِّهِ لِهٰذِهِ الاتِّهَامَاتِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي لاَ أَصْلَ لَهَا، يُسْتَعْمَلُونَ بِدُونِ عِلْمٍ، عَلَى حِسَابِ الْفَوْضَوِيَّةِ وَالشُّيُوعِيَّةِ..

وَقَدْ عَلِمْتُ بِبَعْضِ الْأَمَارَاتِ: أَنَّ أَعْدَاءَنَا الْأَخْفِيَاءَ، يَتَحَرَّوْنَ وَسَائِلَ كَثِيرَةً لاَ أَصْلَ لَهَا، بِتَوَهُّمِ دَعْوَى الْمَهْدِيَّةِ، الَّتِي تُذَكِّرُ بِمَعْنَى السِّيَاسَةِ، بِفِكْرَةِ تَنْزِيلِ قِيمَةِ النُّورِ، زَاعِمِينَ أَنَّ الْأَنْوَارَ أَدَاةٌ لِهٰذِهِ؛ بَلْ إِنَّ هٰذِهِ الاضْطِهَادَاتِ ضِدَّ شَخْصِي، تَنْشَأُ عَنْ أَوْهَامِهِمْ هٰذِهِ..

فَنَقُولُ لِأُولاَئِكَ الْأَعْدَاءِ الظَّالِمِينَ الْأَخْفِيَاءِ، وَلِلْمُسْتَمِعِينَ هُمْ ضِدَّنَا: حَاشَا ثُمَّ حَاشَا! إِنِّي لَمْ أَتَجَاوَزْ حَدِّي هٰكَذَا، أَيَّ وَقْتٍ؛ فَلَمْ أَجْعَلْ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ أَدَاةً لِتَحْصِيلِ مَقَامٍ وَشَأْنٍ وَشَرَفٍ لِشَخْصِي؛ فَإِنَّ هٰذِهِ السِّنِينَ الْخَمْسَ وَالسَّبْعِينَ، مِنْ حَيَاتِي، خُصُوصاً هٰذِهِ السِّنِينَ الثَّلاَثِينَ؛ وَإِنَّ «رَسَائِلَ النُّورِ» الْمِئَةَ وَالثَّلاَثِينَ؛ وَآلاَفَ الْفُضَلاَءِ الَّذِينَ يُصَاحِبُونَنِي مُصَاحَبَةً تَامَّةً، يَشْهَدُونَ لِذٰلِكَ. نَعَمْ: إِنَّ تَلاَمِذَةَ النُّورِ يَعْلَمُونَ؛ وَبَيَّنْتُ حُجَجَهُ فِي الْمَحَاكِمِ: بِأَنِّي لاَ أَعْمَلُ لِمَنْحِ مَقَامٍ وَشَأْنٍ وَشَرَفٍ وَشُهْرَةٍ، وَلِتَحْصِيلِ مَرْتَبَةٍ أُخْرَوِيَّةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ لِشَخْصِي؛ بَلْ إِنِّي أَقْبَلُ بِكُلِّ قُوَّتِي وَقَنَاعَتِي، أَنْ أَفْدِيَ لِأَجْلِ أَدَاءِ خِدْمَةٍ إِيمَانِيَّةٍ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ – لاَ بِحَيَاتِي الدُّنْيَا وَبِمَقَامَاتِي الْفَانِيَةِ – بَلْ بِحَيَاتِي الْآخِرَةِ، وَبِالْمَرَاتِبِ الْبَاقِيَةِ الْأُخْرَوِيَّةِ، الَّتِي يَطْلُبُهَا كُلُّ أَحَدٍ؛ إِذَا حَصَلَ اللُّزُومُ؛ بَلْ أَقْبَلُ أَنْ أَتْرُكَ الْجَنَّةَ؛ فَأَدْخُلَ النَّارَ، لِأَجْلِ التَّوَسُّلِ لِإِنْقَاذِ بَعْضِ أَهْلِ الْإِيمَانِ الْبَائِسِينَ، مِنْ جَهَنَّمَ، إِذَا حَدَثَ اللُّزُومُ؛ فَإِنَّ إِخْوَانِي الْحَقِيقِيِّينَ يَعْلَمُونَ ذٰلِكَ؛ كَمَا أَثْبَتُّهُ فِي جِهَةٍ مَا، فِي الْمَحَاكِمِ أَيْضاً؛ مَعَ أَنَّ ذٰلِكَ، حِرْمَانٌ لِلشَّعْبِ عَنِ الْحَقَائِقِ الْعَظِيمَةِ لِلْأَنْوَارِ، بِتَنْزِيلِ قِيمَتِهَا، وَبِإِسْنَادِ مُرَاءَاةٍ مَّا إِلَى خِدْمَتَيِ النُّورِيَّةِ وَالْإِيمَانِيَّةِ، بِهٰذَا الاتِّهَامِ لِي..

فَيَا عَجَباً! إِنَّ رَجُلاً يَتَحَدَّى مَنْ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الضَّلاَلَةِ؛ وَيَفْتَدِي فِي سَبِيلِ الْخِدْمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، بِحَيَاتِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ؛ وَإِنْ حَصَلَ اللُّزُومُ، فَبِحَيَاتِهِ الْأُخْرَوِيَّةِ أَيْضاً؛ وَلاَ يُبَدِّلُ سَلْطَنَةَ الدُّنْيَا، بِحَقِيقَةٍ إِيمَانِيَّةٍ وَاحِدَةٍ؛ كَمَا ادَّعَى فِي الْمَحَاكِمِ؛ وَيَفِرُّ بِكُلِّ قُوَّتِهِ، بِسِرِّ الْإِخْلاَصِ، عَنِ السِّيَاسَةِ، وَعَنِ الْمَرَاتِبِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، الْمُسْتَشِمَّةِ لِمَعْنَاهَا

السِّيَاسِيِّ ؛ وَاحْتَمَلَ تَعْذِيبَاتٍ لاَ مِثْلَ لَهَا عِشْرِينَ عَاماً ؛ فَلَمْ يَتَنَزَّلْ إِلَى السِّيَاسَةِ ، بِاعْتِبَارِ الْمَسْلَكِ الإِيمَانِيِّ ؛ وَيَعْلَمُ شَخْصَهُ أَدْنَى كَثِيراً مِنْ تَلاَمِذَتِهِ ، بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ ؛ وَيَتَوَقَّعُ مِنْهُمُ الْهِمَّةَ وَالدُّعَاءَ دَائِماً ؛ وَيَعْتَقِدُ نَفْسَهُ بَائِسَةً جِدّاً وَبِدُونِ أَهَمِّيَّةٍ ؛ فَإِنَّ إِسْنَادَ بَعْضِ إِخْوَانِهِ الْخَالِصِينَ ، فِي رَسَائِلِهِمُ الْخُصُوصِيَّةِ ، بَعْضَ فُيُوضِ الأَنْوَارِ ، إِلَى ذٰلِكَ الْبَائِسِ الَّذِي هُوَ تَرْجُمَانُهَا ، بِمُنَاسَبَةِ التَّرْجُمَانِيَّةِ ، مُقَابِلَ الْقُوَّةِ الإِيمَانِيَّةِ فَوْقَ الْعَادَةِ ، الَّتِي اسْتَفَادُوهَا مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ وَإِنَّ مَنْحَهُمْ إِيَّاهُ الْمَقَامَ الْعَالِيَ ، وَإِحْسَانَهُمُ الظَّنَّ بِهِ أَزْيَدَ مِنْ حَدِّهِ أَلْفَ دَرَجَةٍ ، مِنْ قَبِيلِ كَلاَمِ النَّاسِ لِرَجُلٍ عَادِيٍّ يُحِبُّهُ : «أَنْتَ سُلْطَانِي وَوَلِيُّ نِعْمَتِي» ، بِنَاءً عَلَى الْعَادَةِ ، دُونَ أَنْ يَرِدَ بِبَالِهِ أَيُّ سِيَاسَةٍ ؛ وَإِنَّ مَدْحَهُمْ وَثَنَاءَهُمْ عَلَيْهِ كَثِيراً جِدّاً ، فِي مَعْنَى التَّحِيَّةِ ، بِعَادَةٍ مَقْبُولَةٍ لاَ يُعْتَرَضُ عَلَيْهَا ، وَجَارِيَةٍ بَيْنَ الأُسْتَاذِ وَالتَّلاَمِيذِ ، مُنْذُ الْقَدِيمِ ، وَمَبْنِيَّةٍ عَلَى كِتَابَةِ الْمَدَائِحِ وَالتَّقَارِيظِ بِالْمُبَالَغَةِ ، فِي أَوَاخِرِ الْكُتُبِ الْمَقْبُولَةِ ، مُنْذُ الْقَدِيمِ ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُعَدَّ جُرْماً فِي حَقِّهِ بِأَيِّ جِهَةٍ ، بِتَوَهُّمِ هٰؤُلاَءِ الأَشْقِيَاءِ ، الدُّنْيَا أَبَدِيَّةً ؛ وَكُلَّ أَحَدٍ ، يَجْعَلُ الدِّينَ وَالإِيمَانَ ، أَدَاةً لِلدُّنْيَا ، مِثْلَهُمْ ؟ وَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ بِاعْتِبَارِ الْمُبَالَغَةِ ، مُخَالِفَةً لِلْحَقِيقَةِ فِي جِهَةٍ مَّا ، إِلاَّ أَنَّهُ وَحِيدٌ وَغَرِيبٌ ؛ وَلَهُ أَعْدَاءٌ كَثِيرَةٌ جِدّاً ؛ وَكَانَتِ الأَسْبَابُ الْكَثِيرَةُ الَّتِي تُهَرِّبُ أَعْوَانَهُ ، مَوْجُودَةً ؛ فَحَوَّلَ قِسْماً مِنْ مَدَائِحِهِمْ إِلَى الأَنْوَارِ ؛ فَلَمْ يَرُدَّهَا كُلِّيّاً ، لأَجْلِ تَقْوِيَةِ الْقُوَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ لأَعْوَانِهِ فَحَسْبُ ، وَلإِنْقَاذِهِمْ عَنِ الْفِرَارِ ، وَلِعَدَمِ نَقْضِ أَشْوَاقِ الْمَادِحِينَ بِالْمُبَالَغَةِ ، ضِدَّ مُعْتَرِضِينَ كَثِيرِينَ لاَ إِنْصَافَ لَهُمْ ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ يُفْهَمُ أَنَّ بَعْضَ الْمُوَظَّفِينَ الرَّسْمِيِّينَ السَّاعِينَ لِتَحْوِيلِ خِدْمَتِهِ الإِيمَانِيَّةِ ، إِلَى جِهَةِ الدُّنْيَا ، وَهُوَ فِي هٰذَا السِّنِّ وَفِي بَابِ الْقَبْرِ ؛ كَمْ دَرَجَةً سَقَطُوا بَعِيدِينَ عَنِ الْحَقِّ وَالْقَانُونِ وَالإِنْصَافِ ؟.

فَكَلاَمِي الأَخِيرُ ، هُوَ : ﴿لِكُلِّ مُصِيبَةٍ إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

اَللَّاحِقَةُ :

لَقَدْ قِيلَ عقِبَ قَرَارِ آخِرِ تَحْقِيقَاتِ حَاكِمِ الِاسْتِجْوَابِ : إِنَّ الْهَيْئَةَ الْوِزَارِيَّةَ أَعْطَتْ قَرَاراً ، قَبْلَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، بِمُصَادَرَةِ الْمُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ـ تَعْنِي رِسَالَةَ «الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ» ـ وَبِحَظْرِ انْتِشَارِهَا رَسْماً ، بِذَرِيعَةِ أَنَّ بَيَانَاتِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ ، ضِدَّ الْحَضَارَةِ ، لَا تُوَافِقُ قَانُونَ الْحَضَارَةِ الْحَاضِرَةِ : هٰكَذَا رَأَيْتُهُ مَكْتُوباً . .

فَالْجَوَابُ عَلَى هٰذَا : أَنَّ الْمُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ ، هِيَ الْآنَ فِي «ذِي الْفِقَارِ» ؛ وَأَنَّ تِلْكَ الْبَيَانَاتِ ، هِيَ تَفْسِيرُ ثَلَاثِ آيَاتٍ ، مَوْجُودٌ فِي رَسَائِلِيَ الثَّلَاثِ الْقَدِيمَةِ ، وَمُجَابٌ بِهِ عَلَى وَجْهٍ لَا يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ ، عَلَى انْتِقَادِ الْحَضَارَةِ ضِدَّ الْقُرْآنِ ، قَبْلَ ثَلَاثِينَ عَاماً ؛ وَفِي صَحِيفَتَيْنِ فَقَطْ مِنْ صَحَائِفِ «ذِي الْفِقَارِ» ، الْقَرِيبَةِ مِنْ أَرْبَعِمِئَةِ صَحِيفَةٍ . .

إِحْدَاهَا : هِيَ الْآيَةُ الَّتِي فِي حَقِّ تَسَتُّرِ النِّسْوَانِ ؛ وَالثَّانِيَةُ : هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ فِي حَقِّ الْإِرْثِ ؛ وَالثَّالِثَةُ : هِيَ آيَةُ : ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ فِي حَقِّ الْإِرْثِ أَيْضاً ؛ فَكَتَبْتُ حِكْمَةَ الْحَقَائِقِ الَّتِي فِي تِلْكَ الْآيَاتِ ، صَحِيفَتَيْنِ فِي صُورَةٍ تُفْحِمُ الْفَلَاسِفَةَ ، قَبْلَ عِشْرِينَ عَاماً ، وَفِي سَائِرِ رَسَائِلِي قَبْلَ ثَلَاثِينَ عَاماً ؛ مَعَ أَنَّ حَقَّنَا الْقَانُونِيَّ ، هُوَ إِخْرَاجُ تَيْنِكَ الصَّحِيفَتَيْنِ مِنْ «ذِي الْفِقَارِ» ، فَإِعَادَةُ كِتَابِنَا إِلَيْنَا ، مَكَانَ حَظْرِ «ذِي الْفِقَارِ» الَّذِي هُوَ أَرْبَعُمِئَةِ صَحِيفَةٍ ، بِتَوَهُّمِ كَأَنَّهُ كُتُبُ الْيَوْمِ ؛ ذٰلِكَ كَمَا إِذَا وُجِدَتْ كَلِمَةٌ أَوْ كَلِمَتَانِ ضَارَّتَانِ ، فِي رِسَالَةٍ ، تُقْلَعُ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ ؛ فَيُؤْذَنُ بِنَشْرِ الْبَقِيَّةِ مِنْهَا . فَنَطْلُبُ حَقَّنَا هٰذَا ، مِنْ مَحْكَمَتِكُمُ الْعَادِلَةِ ، مِنْ هٰذَا الْقَبِيلِ . .

وَإِنَّ الِادِّعَاءَ الَّذِي هُوَ أَرْبَعُونَ صَحِيفَةً ، أُعْطِيَتْ لَنَا قَبْلَ شَهْرٍ ؛ لَنْ يَجِدَ أَحَدٌ الْإِمْكَانَ لِلْمَجِيءِ إِلَيَّ ؛ فَيَقْرَأَهُ عَلَيَّ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ قَرَأُوا الِادِّعَاءَ عَلَيَّ مِنْ جَدِيدٍ ، الْيَوْمَ ، فِي الْحَادِيَ عَشَرَ مِنْ حَزِيرَانَ ؛ فَاسْتَمَعْتُ إِلَيْهِ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ مَا كَتَبْتُهُ إِلَيْكُمْ ، مِنِ اعْتِرَاضِي قَبْلَ شَهْرَيْنِ ، وَمِنْ

تَتِمَّةِ اعْتِرَاضِي ، وَلاحِقَتِهَا ، قَبْلَ مَا يَقْرُبُ مِنْ شَهْرٍ ، قُدِّمَتْ إِلَى مَقَامَاتِ (أَنْقَرَة) السِّتَّةِ ، وَإِلَى مَقَامِكُمْ . هٰذَا ، فَإِنَّ اعْتِرَاضِي هٰذَا ، يَقْطَعُ ذٰلِكَ الِادِّعَاءَ وَيَرُدُّهُ بِأَسَاسِهِ ؛ فَلا أَرَى اللُّزُومَ أَصْلاً لِكِتَابَةِ الِاعْتِرَاضِ مِنْ جَدِيدٍ ، ضِدَّ الِادِّعَاءِ ؛ وَإِنَّمَا أَقُولُ مِنْ قَبِيلِ تَذْكِيرِ نُقْطَتَيْنِ أَوْ ثَلاثِ نِقَاطٍ لِمَقَامِ الِادِّعَاءِ : إِنَّ سَبَبَ عَدَمِ إِجَابَتِي ، آخِذاً الِادِّعَاءَ لِنَظَرِ الِاعْتِبَارِ ، هُوَ لِأَجْلِ عَدَمِ النَّقْضِ وَعَدَمِ الْإِهَانَةِ ، بِحَيْثِيَّةِ الْمَحَاكِمِ الثَّلاثِ الْعَادِلَةِ الَّتِي بَرَّأَتْنَا ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْمَحَاكِمَ مَنَحَتْنَا الْبَرَاءَةَ ، بَعْدَ التَّدْقِيقِ الدَّقِيقِ ، لِمَا فِي الِادِّعَاءِ الْحَاضِرِ مِنَ الْأُسُسِ بِتَمَامِهَا . فَاعْتِدَادُ بَرَاءَتِهَا ، عَدَماً ، طَعْنٌ فِي شَرَفِ الْعَدْلِيَّةِ . .

(اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ :) أَنَّ مَقَامَ الِادِّعَاءِ ، أَوَّلَ بِمَغْلَطَتِهِ مَسْأَلَةً أَوْ مَسْأَلَتَيْنِ بَيْنَ آلافِ الْمَسَائِلِ ، بِبَعْضِ مَعَانٍ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالِنَا ؛ فَيَتَّهِمُنَا بِهَا ؛ وَالْحَالُ : أَنَّ تِلْكَ الْمَسَائِلَ تُوجَدُ فِي كِبَارِ مَجْمُوعَاتِ النُّورِ ؛ وَإِنَّ عُلَمَاءَ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ بِمِصْرَ ، وَكِبَارَ عُلَمَاءِ الشَّامِ الشَّرِيفِ ، وَمُدَقِّقِي مَشَايِخِ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ ، وَالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، وَمُحَقِّقِي عُلَمَاءِ حَلَبَ وَغَيْرِهَا ، وَخُصُوصاً رِئَاسَةَ الدِّيَانَةِ ، رَأَوْهَا فَاسْتَحْسَنُوهَا وَصَدَّقُوهَا بِكَمَالِ التَّقْدِيرِ ؛ مَعَ أَنِّي رَأَيْتُ بِالْحَيْرَةِ وَالتَّعَجُّبِ فِي هٰذَا الِادِّعَاءِ ، بَعْضَ اعْتِرَاضَاتٍ عِلْمِيَّةٍ بِطَوْرِ الشَّيْخِ وَالْعَالِمِ . فَعَلَى تَقْدِيرِ أَنْ تُوجَدَ بَعْضُ أَخْطَائِي ؛ وَكَانَتْ تِلْكَ الْأَخْطَاءُ الَّتِي فِي الِاعْتِرَاضِ ، الَّتِي لَمْ يَرَهَا أَوْ لَمْ يَمَسَّهَا آلافُ الْعُلَمَاءِ ، حَقِيقِيَّةً أَيْضاً ؛ فَلَنْ تَصِيرَ جُرْماً ؛ وَإِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ خَطَأً عِلْمِيّاً . . وَأَيْضاً إِنَّ ثَلاثَ مَحَاكِمَ ، بَرَّأَتْنَا نَحْنُ وَجَمِيعَ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ إِلَّا أَنَّ مَحْكَمَةَ (أَسْكِيشَهِر) ، أَبْدَتِ السَّبَبَ خَمْسَ عَشْرَةَ كَلِمَةً مِنَ «اللَّمْعَةِ الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ» ، الدَّائِرَةِ حَوْلَ مَسْأَلَةِ تَسَتُّرِ النِّسْوَانِ الْوَحِيدَةِ ؛ فَأَدَانَتْنِي وَأَصْحَابِي الْخَمْسَةَ عَشَرَ فِي الْمِئَةِ ، جَزَاءً خَفِيفاً ؛ فَكَتَبْتُ فِي تَتِمَّةِ اعْتِرَاضِي ، الَّتِي قَدَّمْتُهَا إِلَيْكُمْ : أَنَّ الْحُكْمَ عَلَيَّ لِأَجْلِ تَفْسِيرِي ذٰلِكَ ، بِالِاتِّبَاعِ لِحُكْمِ ثَلاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ تَفْسِيرٍ ، إِنْ وُجِدَتِ الْعَدَالَةُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ فَإِنَّهَا لا تَقْبَلُ ذٰلِكَ الْحُكْمَ . . وَإِنَّ مَقَامَ الِادِّعَاءِ ، سَعَى بِذَكَائِهِ ، لِتَحْوِيلِ بَعْضِ جُمَلِ الْكُتُبِ وَالْمَكْتُوبَاتِ ، إِلَى الْمُعَارَضَةِ ضِدَّنَا ، الَّتِي كُتِبَتْ مُنْذُ عِشْرِينَ عَاماً ، وَذٰلِكَ كَالْإِتْيَانِ بِالْمَاءِ مِنْ أَلْفِ وَادٍ ؛ وَالْحَالُ : أَنَّ ثَلاثَ مَحَاكِمَ ـ لا ـ بَلْ سِتَّ مَحَاكِمَ بَرَّأَتْنَا فِي

هٰذِهِ النُّقْطَةِ، تَصِيرُ شُرَكَاءَ لَنَا فِي هٰذَا الجُرْمِ الْمَوْهُومِ. وَإِنِّي أُذَكِّرُ مَقَامَ الادِّعَاءِ، بِأَنَّهُ يَلْزَمُ عَدَمُ الْمَسَاسِ بِحَيْثِيَّةِ أُولَائِكَ الْمَحَاكِمِ الْعَادِلَةِ..

(اَلثَّالِثَةُ:) أَنَّ الانْتِقَادَ وَالاعْتِرَاضَ ـ وَلَوْ كَانَ صَرِيحاً ـ عَلَىٰ رَئِيسٍ مَاتَ وَرَاحَ؛ وَانْقَطَعَتْ عَلاقَتُهُ عَنِ الْحُكُومَةِ؛ وَصَارَ سَبَباً لِبَعْضِ خَطِيئَاتٍ فِي الانْقِلابِ، لَنْ يَكُونَ جُرْماً حَسَبَ الْقَانُونِ؛ وَالْحَالُ: أَنَّهُ لَيْسَ صَرِيحاً؛ فَإِنَّهُ هُوَ طَبَّقَ بِمِغْلَطَتِهِ، بَيَانَاتِنَا الْكُلِّيَّةَ عَلَيْهِ؛ فَيُظْهِرُ تِلْكَ الْمَعَانِيَ الْمُحَرَّمَةَ الَّتِي لا نَعْلَمُهَا كُلَّ أَحَدٍ؛ وَيُشَهِّرُهَا فَيَجْتَلِبُ نَظَرَ دِقَّةِ الْجَمِيعِ. فَإِنْ كَانَ فِيهَا جُرْمٌ؛ فَإِنَّ مَقَامَ الادِّعَاءِ ذٰلِكَ، يَصِيرُ مُجْرِماً؛ لِأَنَّهُ يُحَرِّضُ النَّاسَ؛ فَيَجْلِبُ نَظَرَ الدِّقَّةِ إِلَىٰ تِلْكَ الْمَعَانِي..

(اَلرَّابِعَةُ:) أَنَّ ثَلاثَ مَحَاكِمَ، مَنَحَتْنَا الْبَرَاءَةَ قَطْعاً، فِي نُقْطَةِ الْجَمْعِيَّةِ؛ مَعَ أَنَّهُ تَحَرّىٰ أَمَارَاتٍ، مِثْلَ جَمْعِ الْمَاءِ مِنْ أَلْفِ وَادٍ، عَلَىٰ وَهْمِ الْجَمْعِيَّةِ السِّرِّيَّةِ، كَالتَّقَرَاتِ الْقَدِيمَةِ أَيْضاً. وَالْحَالُ: أَنَّهُ تُوجَدُ جَمْعِيَّاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ، سِيَاسِيَّةٌ وَضَارَّةٌ بِالْوَطَنِ وَالأُمَّةِ؛ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا نَظَرَ الْمُسَاعَدَةِ وَالْمُسَامَحَةِ؛ مَعَ أَنَّهُ يُطْلِقُ اسْمَ الْجَمْعِيَّةِ السِّرِّيَّةِ، عَلَىٰ مُصَاحَبَةِ تَلامِذَةِ النُّورِ، الدِّرَاسِيَّةِ الثَّابِتَةِ بِشَهَادَةِ أَمَارَاتٍ وَشُهُودٍ بِالْآلَافِ مِثْلَنَا؛ وَبِعَدَمِ مَسَاسِ سِتِّ وِلايَاتٍ، وَعَلَىٰ مُسَانَدَتِهِمُ الْجِهَادِيَّةِ لِمَحْضِ مَنْفَعَةِ الْوَطَنِ وَالشَّعْبِ وَالدِّينِ، وَبِحِسَابِ السَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ، وَضِدَّ إِفْسَادِ التَّيَّارَاتِ الْوَارِدَةِ مِنَ الْخَارِجِ وَالدَّاخِلِ؛ وَإِنَّ أَيَّةَ وَقَائِعِ مِئَاتِ الآلَافِ مِنْ تَلامِذَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ»، حَوْلَ إِخْلالِ الأَمْنِ، لَمْ تُسَجَّلْ فِي عِشْرِينَ عَاماً؛ مَعَ أَنَّ مَقَامَ الادِّعَاءِ يَتَّهِمُهُمْ بِأَنَّهُ يَجْعَلُ الدِّينَ أَدَاةً؛ فَيُحَرِّضُ النَّاسَ إِلَىٰ إِخْلالِ الأَمْنِ؛ فَذٰلِكَ لا يُثِيرُ نَوْعَ الْبَشَرِ، بَلْ وَالأَرْضَ أَيْضاً إِلَى السَّخَطِ؛ فَيَرُدُّ ذٰلِكَ الاتِّهَامَ.. وَمَهْمَا كَانَ؛ فَلا أَرَى اللُّزُومَ لِلتَّكَلُّمِ الزَّائِدِ بَعْدُ؛ فَإِنَّ الاعْتِرَاضَ وَتَتِمَّتَهُ، الْمَكْتُوبَيْنِ قَبْلَ الادِّعَاءِ بِكَثِيرٍ، جَوَابٌ لَنَا عَلَيْهِ..

اَلْمَوْقُوفُ فِي سِجْنِ (أَفْيُون): سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ، (رضي الله عنه)..

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ . .

أُبَيِّنُ لِمَحْكَمَةِ (أَفْيُونَ) ، وَلِرَئِيسِ الْمَحْكَمَةِ الْجِنَائِيَّةِ : أَنِّي كُنْتُ قَطَعْتُ عَلاقَتِي تِجَاهَ الدُّنْيَا ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحْتَمِلُ التَّحَكُّمَ ، فِي فِطْرَتِي ، مُنْذُ الْقَدِيمِ ؛ وَالْآنَ تَثَاقَلَتْ عَلَيَّ الْحَيَاةُ لِلْغَايَةِ ، بَيْنَ ذٰلِكَ الْمِقْدَارِ مِنْ تَحَكُّمَاتٍ لا مَعْنَى وَلا لُزُومَ لَهَا ؛ فَلا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعِيشَ ؛ وَلَيْسَ لِي اقْتِدَارٌ عَلَى احْتِمَالِ تَحَكُّمَاتِ الْمِئَاتِ مِنَ الرِّجَالِ الرَّسْمِيِّينَ ، فِي خَارِجِ السِّجْنِ ؛ فَمَلَلْتُ عَنْ هٰذَا النَّوْعِ مِنَ الْحَيَاةِ ؛ فَأَطْلُبُ مِنْكُمْ إِدَانَتِي ، بِكُلِّ قُوَّتِي ؛ فَإِنَّ الْقَبْرَ لا يَقَعُ فِي يَدِي الْآنَ ؛ فَالْبَقَاءُ فِي السِّجْنِ لازِمٌ لِي . وَإِنَّ الْجَرَائِمَ الَّتِي أَسْنَدَهَا مَقَامُ الادِّعَاءِ ، بِدُونِ أَصْلٍ ، تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً أَنَّهَا لا تُوجَدُ ؛ وَلَنْ تُدِينَنِي ؛ وَلٰكِنْ لِي أَخْطَاءٌ كَبِيرَةٌ تِجَاهَ الْوَظِيفَةِ الْحَقِيقِيَّةِ ، تُدِينُنِي مَعْنًى . فَإِنْ كَانَ السُّؤَالُ مُنَاسِباً ؛ فَاسْأَلُوا ؛ فَأُعْطِي الْجَوَابَ . .

نَعَمْ : إِنَّ جَرِيمَةً وَحِيدَةً لِي مِنْ خَطِيئَاتِيَ الْكَبِيرَةِ ، هِيَ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ وَظِيفَةً عَظِيمَةً كُنْتُ مُكَلَّفاً بِهَا ، بِاسْمِ الْوَطَنِ وَالشَّعْبِ وَالدِّينِ ؛ لِأَنِّي لَمْ أَنْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ ، حَصَلَتْ قَنَاعَتِي الْآنَ ، فِي سِجْنِ (أَفْيُونَ) هٰذَا ، بِأَنَّهَا جَرِيمَةٌ لا تُعْفَى فِي نُقْطَةِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَأَنَّ عَدَمَ الْمَعْرِفَةِ ، لا يُشَكِّلُ عُذْراً لِي . .

فَنَقُولُ ــ مَعَ مَنْحِ الْمَحَاكِمِ الثَّلاثِ ، الْبَرَاءَةَ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ ــ ضِدَّ مَدَى سُقُوطِ السَّاعِينَ لِجَعْلِ تَلامِذَةِ النُّورِ مَسْؤُولِينَ ، بَعِيدِينَ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَالْعَدَالَةِ ؛ فَيُطْلِقُونَ اسْمَ الْجَمْعِيَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ ، عَلَى عَلاقَاتِهِمُ الْخَالِصَةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ الْبَحْتَةِ ، تِجَاهَ الْأَنْوَارِ وَتَرْجُمَانِهَا ــ نَقُولُ : إِنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسَمِّيَ تَلامِذَةَ النُّورِ ، بِاسْمِ الْجَمْعِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَدَارُ الْمَسْؤُولِيَّةِ ، بِأَنْ يُنْكِرَ هٰذِهِ الرَّوَابِطَ الَّتِي تُؤَمِّنُ الْحَيَاةَ الاجْتِمَاعِيَّةَ بِأَسَاسِهَا ، مِثْلَ الْمَحَبَّةِ الصَّمِيمَةِ بَيْنَ الْأَقَارِبِ ، وَالارْتِبَاطَةِ ذَاتِ الْعَلاقَةِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ وَالطَّوَائِفِ ، الَّتِي هِيَ أُسُّ أَسَاسِ الْحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ وَخُصُوصاً حَيَاةَ الْأُمَّةِ الْإِسْلامِيَّةِ ؛ وَكَعَلاقَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ فِدَائِيَّةٍ لِإِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَمِيَّةِ الْإِسْلامِيَّةِ ، وَرَابِطَةٍ وَالْتِزَامَةٍ وَارْتِبَاطَةٍ لا تَهْتَزُّ ،

بِحَقَائِقِ الْقُرْآنِ وَنَاشِرِيهَا الَّذِينَ يُنْقِذُونَ حَيَاتَهُ الأَبَدِيَّةَ ؛ وَبِأَنْ يَقْبَلَ الْخَطَرَ الأَحْمَرَ الَّذِي يَبُثُّ بَذْرَ الْفَوْضَى الرَّهِيبَةِ الَّتِي فِي الشَّمَالِ ؛ وَيُهْلِكُ النَّسْلَ وَالْقَوْمِيَّةَ ؛ وَيَأْخُذُ لِنَفْسِهِ أَوْلَادَ كُلِّ أَحَدٍ ؛ فَيُزِيلُ الْقَرَابَةَ وَالْقَوْمِيَّةَ ؛ وَيَفْتَحُ الطَّرِيقَ لِإِفْسَادِ الْحَضَارَةِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَالْحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ كُلِّيًّا . . فَلِذٰلِكَ تُظْهِرُ تَلَامِذَةُ النُّورِ الْحَقِيقِيُّونَ ، دُونَمَا تُقَاةٍ ، عَلَاقَتَهُمُ الْقُدُسِيَّةَ تِجَاهَ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ ، وَارْتِبَاطَاتِهِمُ الَّتِي لَا تَتَزَلْزَلُ ، تِجَاهَ إِخْوَانِهِمُ الأُخْرَوِيِّينَ ؛ وَيَعْتَرِفُونَ فِي مَحْكَمَتِكُمُ الْعَادِلَةِ ، بِحَقِيقَةِ الْحَالِ كَمَا كَانَتْ ، مِنْ أَجْلِ قَبُولِهِمْ بِالامْتِنَانِ ، كُلَّ جَزَاءٍ يَرِدُ بِسَبَبِ تِلْكَ الأُخُوَّةِ ؛ فَلَا يَتَنَازَلُونَ إِلَى الدِّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، بِالْحِيلَةِ وَبِالتَّمَلُّقِ وَبِالأَكَاذِيبِ . .

الْمَوْقُوفُ : سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

ذَيْلٌ لِتَتِمَّةِ الاعْتِرَاضِ الْمُقَدَّمِ ضِدَّ الادِّعَاءِ ، إِلَى مَحْكَمَةِ (أَفْيُون) :

﴿أَوَّلاً :﴾ أُبَيِّنُ لِلْمَحْكَمَةِ : أَنَّ هٰذَا الادِّعَاءَ الْجَدِيدَ أَيْضاً ، بُنِيَ عَلَى تِلْكَ الادِّعَاءَاتِ الْقَدِيمَةِ فِي مَحَاكِمِنَا ، مَحَاكِمِ (دَنِزْلِي ، وَأَسْكِيشَهِر) ، وَعَلَى التَّحْقِيقَاتِ السَّطْحِيَّةِ لِأَهْلِ الْخِبْرَةِ السَّطْحِيِّينَ ضِدَّنَا ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ ادَّعَيْتُ فِي مَحْكَمَتِكُمْ : أَنِّي إِذَا لَمْ أُثْبِتْ مِئَةَ خَطَإٍ لِهٰذَا الادِّعَاءِ ؛ فَأَنَا رَاضٍ بِمِئَةِ عَامٍ مِنَ الْجَزَاءِ . فَهَا قَدْ أَثْبَتُّ دَعْوَايَ تِلْكَ . فَإِنْ شِئْتُمْ أُقَدِّمُ جَدْوَلَ أَخْطَاءٍ أَزْيَدَ مِنَ الْمِئَةِ . .

﴿ثَانِياً :﴾ أَنِّي عِنْدَمَا انْتَقَلَتْ كُتُبُنَا وَأَوْرَاقُنَا فِي مَحْكَمَةِ (دَنِزْلِي) ، إِلَى (أَنْقَرَة) ، كَتَبْتُ إِلَى أَصْحَابِي ، مَعَ الْخَوْفِ وَالْيَأْسِ ، بِأَنَّهُ سَيُقَدَّمُ الْحُكْمُ ضِدَّنَا . وَذٰلِكَ الْجُزْءُ الَّذِي كَتَبْتُهُ ، الْمَوْجُودُ فِي آخِرِ بَعْضِ دِفَاعَاتِي ، هُوَ : «إِنَّ مُوَظَّفِي الْعَدْلِيَّةِ الَّذِينَ يُدَقِّقُونَ رِسَالَةَ النُّورِ ، بِفِكْرِ الانْتِقَادِ ، إِنْ أَحْكَمُوا إِيمَانَهُمْ وَأَنْقَذُوهُ بِهَا ؛ ثُمَّ حَكَمُوا عَلَيَّ بِالإِعْدَامِ ؛ فَاشْهَدُوا أَنِّي أَحْلَلْتُ لَهُمْ حَقِّي ؛ لِأَنَّنَا خُدَّامٌ ؛ وَأَنَّ وَظِيفَةَ رِسَالَةِ النُّورِ ، هِيَ تَقْوِيَةُ الإِيمَانِ ، فَإِنْقَاذُهُ ؛ فَنَحْنُ مُكَلَّفُونَ

بِأَدَاءِ الْخِدْمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، دُونَ تَدَخُّلِ أَيِّ تَحَيُّزٍ، بِغَيْرِ تَفْرِيقٍ بَيْنَ الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ»..

هٰذَا، فَيَا أَيَّتُهَا الْهَيْئَةُ الْحَاكِمَةُ! إِنَّ حُجَجَ «رِسَالَةِ النُّورِ»، الْقَوِيَّةَ الَّتِي لَا تُجْرَحُ، قَدْ صَرَفَتْ إِلَىٰ نَفْسِهَا الْقُلُوبَ فِي الْمَحْكَمَةِ قَطْعاً، بِنَاءً عَلَىٰ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ. فَمَاذَا صَنَعْتُمْ ضِدِّي؛ فَإِنِّي أُحِلُّ حَقِّي؛ فَلَا أَنْزَعِجُ. فَلِهٰذَا صَبَرْتُ؛ بَلْ وَلَمْ أَدْعُ سُوءَ دُعَاءٍ؛ مَعَ أَنَّهُ طُعِنَ فِي أَعْصَابِي، بِتَزْيِيفِ شَخْصِي بِإِهَانَاتٍ لَمْ أَرَهَا فِي عُمْرِي أَصْلاً، بِأَشَدِّ الظُّلْمِ، عَلَىٰ شَكْلِ أَشَدِّ اسْتِبْدَادٍ.. وَإِنَّ مَجْمُوعَاتِ «رِسَالَةِ النُّورِ» الَّتِي بِأَيْدِيكُمْ، هِيَ دِفَاعِيَ الَّذِي لَا يُعَارَضُ، وَاعْتِرَاضِيَ الَّذِي لَا يُجْرَحُ، ضِدَّ جَمِيعِ الِاتِّهَامَاتِ، وَجَمِيعِ الْجَرَائِمِ، الْمُسْنَدَةِ ضِدَّنَا..

وَمَدَارُ الْحَيْرَةِ، هُوَ: أَنَّ مُتَبَحِّرِي عُلَمَاءِ مِصْرَ وَالشَّامِ، وَمَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ وَالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، وَمُدَقِّقِي مَشَايِخِ رِئَاسَةِ الدِّيَانَةِ، دَقَّقُوا مَجْمُوعَاتِ النُّورِ تِلْكَ؛ فَقَدَّرُوهَا وَاسْتَحْسَنُوهَا دُونَ أَنْ يَنْتَقِدُوهَا أَصْلاً؛ مَعَ أَنَّ الشَّخْصَ الذَّكِيَّ الَّذِي جَمَعَ ضِدَّنَا الِادِّعَاءَ، نَظَرَ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ السَّطْحِيَّةِ، بِخَطَأٍ لَهُ عَجِيبٍ وَظَاهِرٍ جِدّاً، بِأَنَّ الْقُرْآنَ مِئَةٌ وَأَرْبَعُونَ سُورَةً؛ وَمَعَ أَنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» أَدَّتْ إِلَىٰ تَصْدِيقِ مِئَاتِ الْآلَافِ مِنْ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ إِيَّاهَا، بَيْنَ هٰذِهِ الشَّرَائِطِ الثَّقِيلَةِ، وَفِي غُرْبَتِي وَوَحْدَتِي وَشَتَاتِي، وَمَعَ الْهَجَمَاتِ الرَّهِيبَةِ ضِدِّي؛ فَإِنَّ الشَّخْصَ الْمُدَّعِيَ الَّذِي لَمْ يَعْلَمْ بِعَدَمِ الْإِمْعَانِ، كَمْ لِلْقُرْآنِ سُورَةً بَعْدُ، يُفْهِمُ أَنَّ انْتِقَادَهُ «بِأَنَّهُ شُوهِدَ أَنَّ رِسَالَةَ النُّورِ لَا تَحْمِلُ قِيمَةً وَمَاهِيَّةً عِلْمِيَّةً، فِي قِسْمٍ مِنْهَا، مِنْ نَظْرَةِ تَعْلِيمِ شَيْءٍ لِلْقُرَّاءِ، مَعَ اجْتِهَادِهَا لِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، وَلِتَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ»، كَمْ دَرَجَةً كَانَ بَعِيداً عَنِ الْحَقِيقَةِ وَالْعَدَالَةِ، وَعَنِ الْحَقِّ؟. وَأَيْضاً إِنِّي أَشْكُوكُمْ إِلَيْكُمْ: أَنَّكُمْ أَسْمَعْتُمُونَا سَاعَتَيْنِ، الِادِّعَاءَ بِتَمَامِهِ، الَّذِي لَهُ أَرْبَعُونَ صَحِيفَةً؛ وَفِيهِ مِئَةُ خَطَأٍ؛ وَجَرَحَ قُلُوبَنَا؛ مَعَ أَنَّكُمْ مَا سَمَحْتُمْ بِقِرَاءَةِ صَحِيفَةٍ وَنِصْفٍ، هِيَ عَيْنُ الْحَقِيقَةِ، ضِدَّهُ، فِي دَقِيقَتَيْنِ، مَعَ إِصْرَارِي؛ فَلِذٰلِكَ أَطْلُبُ السَّمَاحَ مِنْكُمْ بِاسْمِ الْعَدَالَةِ، بِقِرَاءَةِ اعْتِرَاضِي ضِدَّهُ، بِتَمَامِهِ..

(ثَالِثاً:) إِنَّ فِي كُلِّ حُكُومَةٍ، مُخَالِفِينَ؛ فَلَا يُتَدَخَّلُ فِيهِمْ قَانُونِيّاً، بِشَرْطِ عَدَمِ التَّدَخُّلِ فِي الْأَمْنِ.. فَهَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ لِي، وَلِلْعَامِلِينَ لِقَبْرِهِمُ الَّذِينَ سَخِطُوا مِنَ الدُّنْيَا مِثْلِي، أَنْ يَتْرُكَ

الْعَمَلَ لِحَيَاتِهِ الْبَاقِيَة، فِي مَسْلَكِ أَجْدَادِنَا فِي أَلْفٍ وَثَلاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَفِي دَائِرَةِ تَرْبِيَةِ قُرْآنِنَا، وَعَلَى وَجْهٍ تَسْمَحُ بِهِ دَسَاتِيرُهُ الَّتِي يُقَدِّسُهَا ثَلاثُمِئَةٍ وَخَمْسُونَ مِلْيُوناً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فِي كُلِّ زَمَانٍ؛ فَيُوَالِي قَوَانِينَ وَدَسَاتِيرَ دَاعِرَةً ــ بَلْ وَحْشِيَّةً كَمَا تَكُونُ فِي نَوْعٍ مِنَ الْبَلْشَفَةِ ــ لِمَدَنِيَّةٍ سَفِيهَةٍ، لِأَجْلِ حَيَاةٍ دُنْيَوِيَّةٍ فَانِيَةٍ وَقَصِيرَةٍ، بِإِجْبَارِ وَدَسَائِسِ أَعْدَائِنَا الْأَخْفِيَاءِ؛ فَنَقْبَلَهَا مَسْلَكاً؟. وَإِنَّ أَيَّ قَانُونٍ فِي الدُّنْيَا، وَأَيَّ إِنْسَانٍ لَهُ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِنْصَافِ، لا يُجْبِرُهُمْ عَلَى قَبُولِ هٰؤُلاءِ؛ وَإِنَّمَا يَقُولُ لِأُولَائِكَ الْمُخَالِفِينَ: لا تَمَسُّونَا.. وَنَحْنُ لَمْ نَمَسَّهُمْ..

هٰذَا، فَبِنَاءً عَلَى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ، لَسْنَا مُوَالِينَ فِكْراً وَعِلْماً، لِأَوَامِرَ مُسَمَّاةٍ بِالْقَانُونِ الْهَوَسِيِّ، لِقَائِدٍ جَعَلَ «أَيَا صُوفِيَا»، مَتْحَفَ الْأَوْثَانِ؛ وَالْمَشْيَخَةَ، ثَانَوِيَّةَ الْبَنَاتِ؛ وَلا نَعْمَلُ بِهَا بِاعْتِبَارِ شَخْصِنَا. وَقَدْ فُعِلَ بِشَخْصِي أَشَدُّ الظُّلْمِ، فِي أَسَارَتِيَ الْأَلِيمَةِ هٰذِهِ عِشْرِينَ عَاماً؛ مَعَ أَنَّنَا لَمْ نُخَالِطِ السِّيَاسَةَ؛ وَلَمْ نَمَسَّ الْإِدَارَةَ؛ وَلَمْ نُفْسِدِ النِّظَامَ؛ وَكَانَتْ لِي مِئَاتُ الْآلافِ مِنْ أَصْحَابِيَ النُّورِيِّينَ؛ فَلَمْ يُسَجَّلْ أَيُّ وَاقِعَةٍ لَنَا أَضَرَّتْ بِالْأَمْنِ. وَإِنِّي بِاعْتِبَارِ شَخْصِي، سَئِمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ؛ وَنَفَرْتُ عَنِ الْحُرِّيَّةِ أَيْضاً الَّتِي تَحْتَ التَّحَكُّمِ، بِسَبَبِ مُعَامَلاتٍ ظَالِمَةٍ تَطْعَنُ فِي أَعْصَابِي، وَإِهَانَاتٍ شَدِيدَةٍ، فِي غُرْبَتِي وَفِي آخِرِ عُمْرِي هٰذَا، لَمْ أُشَاهِدْهَا فِي حَيَاتِي أَصْلاً.. وَقَدْ كَتَبْتُ عَرِيضَةً إِلَيْكُمْ: أَنِّي لا أَطْلُبُ بَرَاءَتِي، بَلْ إِدَانَتِي؛ وَلا أَطْلُبُ مِنْكُمُ الْجَزَاءَ الْخَفِيفَ، بَلْ أَثْقَلَ الْجَزَاءِ، مُخَالِفاً لِكُلِّ أَحَدٍ؛ لِأَنَّهُ لا وَسِيلَةَ لِي، لِأَجْلِ النَّجَاةِ مِنْ هٰؤُلاءِ الْمُعَامَلاتِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي لا مِثْلَ لَهَا، سِوَى الدُّخُولِ إِمَّا فِي الْقَبْرِ، وَإِمَّا فِي السِّجْنِ. أَمَّا الْقَبْرُ، فَمِنْ أَجْلِ كَوْنِ الانْتِحَارِ غَيْرَ جَائِزٍ؛ وَكَوْنِ الْأَجَلِ خَفِيّاً، لا يَقَعُ فِي يَدِي؛ فَمِنْ ثَمَّةَ رَضِيتُ بِالسِّجْنِ الَّذِي أَكُونُ فِي تَجْرِيدِهِ الْمُطْلَقِ خَمْسَةَ أَوْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ؛ وَلٰكِنْ لَمْ أُقَدِّمِ الْآنَ هٰذِهِ الْعَرِيضَةَ، لِأَجْلِ أَقْدَارِ أَصْحَابِيَ الْأَبْرِيَاءِ..

(رَابِعاً:) أَنِّي، بِشَهَادَةِ أَصْحَابِي وَالْفُضَلاءِ مِنْ أَهْلِ الْإِنْصَافِ، الْمُتَّصِلِينَ بِي جِدّاً، وَبِتَصْدِيقِ جَمِيعِ كِتَابَاتِي فِي «رِسَالَةِ النُّورِ»، وَحَقَائِقِهَا الْمُتَعَلِّقَةِ بِشَخْصِي، فِي حَيَاتِي هٰذِهِ السِّنِينَ الثَّلاثِينَ، وَفِي عَهْدِيَ الَّذِي أُعَبِّرُ فِيهِ «بِالسَّعِيدِ الْجَدِيدِ»، أَدَّعِي: أَنِّي اجْتَهَدْتُ لِمَنْعِ

نَفْسِيَ الْأَمَّارَةِ، عَنِ الرِّيَاءِ وَحُبِّ الشُّهْرَةِ وَعَنِ التَّفَاخُرِ، بِقَدَرِ مَا يَتَأَتَّى مِنْ يَدِي؛ وَنَقَضْتُ أَقْدَارَ تَلامِذَةِ النُّورِ الَّذِينَ يَزِيدُونَ فِي حُسْنِ الظَّنِّ بِشَخْصِي؛ فَجَرَحْتُهَا مِئَةَ مَرَّةٍ تَقْرِيباً؛ فَلا أَطْلُبُ تَحْصِيلَ مَقَامَاتٍ دُنْيَوِيَّةٍ، وَشَأْنٍ وَشَرَفٍ لِشَخْصِي؛ بَلْ عَزَمْتُ عَلَى أَنَّهُ لَوْ مُنِحَتِ الْمَقَامَاتُ الْعَظِيمَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ لِي فَرْضاً؛ لَافْتَدَيْتُ خِدْمَتِي، بِتِلْكَ الْمَقَامَاتِ أَيْضاً، خَائِفاً مِنْهَا؛ وَلٰكِنْ بِنَاءً عَلَى احْتِمَالِ اخْتِلاطِ حَظِّ نَفْسِي بِإِخْلاصِي فِي الْخِدْمَةِ؛ وَإِنِّي أَتَحَرَّكُ كَذٰلِكَ فِعْلاً أَيْضاً، بِتَصْدِيقِ إِخْوَانِي الْمُقَرَّبِينَ، وَبِمُشَاهَدَتِهِمْ أَمَارَاتِهِ عَلَى أَنِّي أَقُولُ: لَسْتُ صَاحِبَ الْمَالِ؛ بَلْ دَلَّالٌ بَائِسٌ لِدُكَّانِ مُجَوْهَرَاتِ الْقُرْآنِ؛ مَعَ أَنَّكُمْ جَعَلْتُمْ مَدَارَ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ، مَا يَحْتَرِمُ تِجَاهِي، بَعْضُ إِخْوَانِي أَزْيَدَ جِدّاً مِنْ وَالِدِهِ، كَشُكْرَانٍ مَعْنَوِيٍّ لِاسْتِفَادَتِهِمْ مِنَ النُّورِ – مَعَ أَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ –؛ وَسُقْتُمْ قِسْماً مِنْهُمْ إِلَى الْإِنْكَارِ؛ وَأَسْمَعْتُمُونَا إِيَّاهُ بِالْحَيْرَةِ؛ كَأَنَّهُ أَكْبَرُ مَسْأَلَةٍ سِيَاسِيَّةٍ، فِي مَحْكَمَتِكُمُ الْعَالِيَةِ.. فَيَا عَجَباً! هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يُتَوَهَّمَ جُرْمٌ مَّا لِذٰلِكَ الْبَائِسِ، بِامْتِدَاحِ غَيْرِهِ إِيَّاهُ؛ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَاضِياً؛ وَلَمْ يَجِدْ نَفْسَهُ لَائِقاً؟.

﴿خَامِساً:﴾ أَنِّي أُبَيِّنُ لَكُمْ قَطْعاً: أَنَّ الِاتِّهَامَ بِدَعْوَى الْجَمْعِيَّةِ وَالسِّيَاسَةِ، لِطُلَّابِ النُّورِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ أَيُّ عَلاقَةٍ بِدَعْوَى جَمْعِيَّةٍ مَّا، وَبِالْجَمْعِيَّاتِ، وَبِالتَّيَّارَاتِ السِّيَاسِيَّةِ، هُوَ صِرَاعٌ مَعَنَا، عِلْماً أَوْ دُونَ عِلْمٍ، بِاسْمِ نَوْعٍ مَّا مِنْ بَلْشَفَةٍ تُنْتِجُ الْفَوْضَى فِي هٰذَا الْوَطَنِ، وَبِاسْمِ قِيَادَةِ زَنْدَقَةٍ سِرِّيَّةٍ تَسْعَى ضِدَّ الْإِسْلامِ وَالْإِيمَانِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ عَاماً مُبَاشَرَةً؛ فَإِنَّ ثَلاثَ مَحَاكِمَ، مَنَحَتِ الْقَرَارَ لِبَرَاءَةِ جَمِيعِ النُّورِيِّينَ «وَرَسَائِلِ النُّورِ»، فِي جِهَةِ دَعْوَى الْجَمْعِيَّةِ؛ وَإِنَّمَا أَدَانَتْنِي مَحْكَمَةُ (أَسْكِيشَهِر)، سَنَةً وَاحِدَةً، وَأَصْحَابِيَ الْخَمْسَةَ عَشَرَ، سِتَّةَ أَشْهُرٍ، مِنْ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً، بِسَبَبِ جُمْلَةٍ كُتِبَتْ مِنْ قَدِيمٍ؛ وَهِيَ مَسْأَلَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ رِسَالَةٍ صَغِيرَةٍ فِي حَقِّ تَسَتُّرِ النِّسَاءِ؛ وَلَعَلَّهَا هٰذِهِ الْجُمْلَةَ الْآتِيَةُ؛ وَهِيَ: «إِنَّ الْتِفَافَ أَحَدِ صُبَّاغِ الْأَحْذِيَةِ فِي السُّوقِ، بِامْرَأَةِ رَجُلٍ كَبِيرٍ، كَاشِفَةِ السَّاقِ، كَاسِيَةِ الْعَوْرَةِ، مُرْتَكِباً تِلْكَ الدَّعَارَةَ، فِي مَرْكَزِ الْحُكُومَةِ، حَسَبَ مَسْمُوعَاتِي، يَصْفَعُ عَلَى وُجُوهٍ مَاجِنَةٍ، لِمُعَارِضِي التَّسَتُّرِ». إِذاً فَإِنَّ اتِّهَامَ «رِسَالَةِ النُّورِ» وَتَلامِذَتِهَا، هُوَ بِمَعْنَى الْإِهَانَةِ وَالِاتِّهَامِ وَالْحُكْمِ عَلَى تِلْكَ الْمَحَاكِمِ الثَّلاثِ..

﴿سَادِساً :﴾ أَنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» لَا تُبَارَزُ ؛ وَأَنَّ جَمِيعَ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ رَأَوْهَا، صَدَّقُوا أَنَّهَا تَفْسِيرٌ لِلْقُرْآنِ حَقِيقِيٌّ لِلْغَايَةِ : أَيْ إِنَّهَا حُجَجٌ قَوِيَّةٌ لِحَقَائِقِ الْقُرْآنِ ؛ وَمُعْجِزَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ لَهُ ، فِي هٰذَا الْعَصْرِ ؛ وَسَدٌّ قَوِيٌّ لِهٰذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلِهٰذَا الشَّعْبِ ، ضِدَّ الْأَخْطَارِ الْوَارِدَةِ مِنَ الشَّمَالِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ نَعْلَمُ أَنَّ مَحْكَمَتَكُمْ لَا تُوحِشُ تَلَامِذَةَ هٰذِهِ ، مِنْهَا ؛ بَلْ إِنَّ تَرْغِيبَهُمْ فِيهَا ، إِحْدٰى وَظَائِفِكُمْ فِي نُقْطَةِ الْحُقُوقِ الْعَامَّةِ ؛ وَنَتَوَقَّعُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ . . وَإِذَا كَانَتْ كُتُبُ وَمَجَلَّاتُ الْمُلْحِدِينَ وَبَعْضِ الزَّنَادِقَةِ السِّيَاسِيِّينَ ، الضَّارَّةُ بِالْأُمَّةِ وَالْوَطَنِ وَالْأَمْنِ ، لَا يُتَدَخَّلُ فِيهَا ، بِدُسْتُورِيَّةِ الْحُرِّيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ ؛ فَإِنَّ صَيْرُورَةَ فَتًى نَزِيهٍ وَمُحْتَاجٍ ، تِلْمِيذاً لِلنُّورِ ، لِإِنْقَاذِ إِيمَانِهِ ، وَلِلْخَلَاصِ مِنْ سُوءِ الْأَخْلَاقِ ، لَيْسَتْ جَرِيمَةً قَطْعاً ؛ بَلْ حَالَةٌ تُشَوِّقُ إِلَيْهَا وَتُرَغِّبُ فِيهَا ، الْحُكُومَةُ وَدَائِرَةُ الْمَعَارِفِ . .

وَكَلَامِي الْأَخِيرُ : ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . . نِعْمَ الْمَوْلٰى وَنِعْمَ النَّصِيرُ . . اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ؛ قَائِلاً : «وَفَّقَ اللهُ تَعَالَى ، الْحَاكِمِينَ ، لِلْعَدَالَةِ الْحَقِيقِيَّةِ ؛ آمِينَ» . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

[كَلَامِي الْأَخِيرُ :]

أُبَيِّنُ لِلْهَيْئَةِ الْحَاكِمَةِ : أَنِّي عَلِمْتُ مِنَ الِادِّعَاءِ ، وَمِنْ تَجَارِيدِي الْمَدِيدَةِ : أَنَّ أَزْيَدَ مَا يُتَّخَذُ لِلنَّظَرِ فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، هُوَ شَخْصِي ؛ وَأَنَّ تَزْيِيفَ شَخْصِي ، قَدْ شُوهِدَ مَصْلَحَةً ؛ فَكَأَنَّ لِشَخْصِي ضَرَراً بِالْإِدَارَةِ وَالْأَمْنِ وَالْوَطَنِ ؛ وَكَأَنِّي كُنْتُ تَسَابَقْتُ وَرَاءَ نَوْعٍ مَّا مِنَ السِّيَاسَةِ ، إِلٰى مَقَاصِدَ دُنْيَوِيَّةٍ ، تَحْتَ غِطَاءِ الدِّينِ ؛ وَخَادَعْتُ بَائِسِينَ بُسَطَاءَ أَيْضاً . .

فَأُبَيِّنُ لَكُمْ هٰذَا بِالْقَطْعِ ، مُقَابِلَ هٰذَا : أَنْ لَا تُوجِعُوا تَلَامِذَةَ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، الْقَيِّمِينَ وَالْفِدَائِيِّينَ لِرِسَالَةِ النُّورِ ، وَلِهٰذَا الْوَطَنِ ، وَلِهٰذِهِ الْأُمَّةِ ، فِي صُورَةِ تَزْيِيفِ شَخْصِي ، مِنْ أَجْلِ هٰذِهِ الْأَوْهَامِ . وَإِلَّا فَيَصِيرُ وَسِيلَةً لِضَرَرٍ ، بَلْ لِخَطَرٍ مَعْنَوِيٍّ عَظِيمٍ ، لِهٰذَا الْوَطَنِ وَلِهٰذِهِ الْأُمَّةِ .

وَكَذَا أُبَيِّنُ قَطْعاً هٰذَا أَيْضاً: أَنَّ أَيَّ شَيْءٍ مِثْلَ التَّحْقِيرِ وَالْإِهَانَةِ وَالتَّعْذِيبِ وَالْإِدَانَةِ، أَصَابَ شَخْصِي؛ فَإِنِّي عَزَمْتُ عَلَى الْقَرَارِ بِالْقَبُولِ، بِاعْتِبَارِ مَسْلَكِيَ الْحَاضِرِ، بِشَرْطِ عَدَمِ إِصَابَةِ الضَّرَرِ مِنْ أَجْلِي، «بِرِسَالَةِ النُّورِ»، وَتَلَامِذَتِهَا. فَأَفْرَحُ بَاكِياً فِي جِهَةٍ مَّا، بِأَنَّ فِي هٰذَا أَيْضاً، ثَوَاباً لَهُ لِأَجْلِ آخِرَتِي؛ وَأَنَّهُ وَسِيلَةٌ لِنَجَاتِي مِنْ شَرِّ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ. فَلَوْلَا أَنَّ هٰؤُلَاءِ الْأَبْرِيَاءَ الْبَائِسِينَ دَخَلُوا السِّجْنَ مَعِي فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ، لَتَكَلَّمْتُ فِي مَحْكَمَتِكُمْ شَدِيداً جِدّاً. وَإِنَّكُمْ أَيْضاً شَاهَدْتُمْ أَنَّ الَّذِي كَتَبَ الِادِّعَاءَ، يُرِيدُ تَزْيِيفَ شَخْصِيَّتِي، مِنْ جَمِيعِ كُتُبِي وَمَكْتُوبَاتِيَ الْمُحَرَّمَةِ، وَغَيْرِ الْمُحَرَّمَةِ، فِي حَيَاتِي مُدَّةَ عِشْرِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ عَاماً، بِمُغَالَطَتِهِ وَبِتَأْوِيلِ الْبَعْضِ بِالْمَعْنَى الْخَاطِئِ؛ مِثْلَ جَمْعِ الْمَاءِ مِنْ أَلْفِ وَادٍ؛ فَكَأَنَّ جَمِيعَ أُولَائِكَ كُتِبَتْ فِي هٰذِهِ السَّنَةِ؛ وَلَمْ تَشْهَدِ الْمَحَاكِمَ أَصْلاً؛ وَلَمْ تَمُرَّ بِقَوَانِينِ الْعَفْوِ، وَمُرُورِ الزَّمَانِ؛ فَيُرِيدُ تَزْيِيفَ شَخْصِيَّتِي بِذٰلِكَ. وَإِنِّي بِالذَّاتِ ذَكَرْتُ مِئَةَ مَرَّةٍ أَنَّ شَخْصِي مُزَيَّفٌ؛ وَإِنَّ الْمُعَارِضِينَ لِي أَيْضاً يُزَيِّفُونَ شَخْصِي بِكُلِّ وَسِيلَةٍ أَيْضاً؛ مَعَ أَنَّهُ لَا يُفِيدُ ضِدَّ تَوَجُّهِ الْعَامَّةِ، فِي دَرَجَةٍ تُوقِعُ أَهْلَ السِّيَاسَةِ فِي الْأَوْهَامِ. وَسَبَبُ ذٰلِكَ: أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي دَرْسِ الدِّينِ، بِاحْتِيَاجٍ قَاطِعٍ شَدِيدٍ لِلْغَايَةِ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ، وَفِي هٰذِهِ الْأَرْضِ، لِأَجْلِ تَقْوِيَةِ الْإِيمَانِ، مِنْ بَعْضِ أَشْخَاصٍ، بِأَنْ لَا يَجْعَلَ الْحَقِيقَةَ أَدَاةً لِأَيِّ شَيْءٍ؛ وَأَنْ لَا يُعْطِيَ نَفْسَهُ أَيَّ حَظٍّ؛ حَتَّى يُسْتَفَادَ مِنْ دَرْسِهِ الدَّائِرِ حَوْلَ الْإِيمَانِ؛ وَتَحْصُلَ الْقَنَاعَةُ الْقَطْعِيَّةُ. نَعَمْ: كَأَنَّهُ لَمْ يَحْدُثِ احْتِيَاجٌ شَدِيدٌ هٰكَذَا، بِقَدْرِ هٰذَا الزَّمَانِ، فِي هٰذِهِ الْأَرْضِ، فِي أَيِّ زَمَانٍ؛ لِأَنَّ الْخَطَرَ جَاءَ مِنَ الْخَارِجِ بِشِدَّةٍ. فَأُعْلِنُ مُعْتَرِفاً، بِأَنَّ شَخْصِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَاوِمَ تِجَاهَ هٰذَا الِاحْتِيَاجِ؛ مَعَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا شَخْصِي وَسِيلَةً مَّا، لِذٰلِكَ الِاحْتِيَاجِ، لَا مِنْ مَزِيَّةِ شَخْصِي أَيْضاً، بَلْ مِنْ شِدَّةِ الِاحْتِيَاجِ، وَمِنْ عَدَمِ كَثْرَةِ مُشَاهَدَةِ غَيْرِهِ ظَاهِراً. وَالْحَالُ: أَنِّي أَيْضاً كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى هٰذَا، بِالتَّعَجُّبِ وَالْحَيْرَةِ، مُنْذُ أَمَدٍ؛ وَلَسْتُ لَائِقاً بِهِ بِأَيَّةِ جِهَةٍ؛ مَعَ أَنِّي عَلِمْتُ الْآنَ حِكْمَةَ تَوَجُّهِ الْعَامَّةِ، مَعَ خَطِيئَاتِيَ الرَّهِيبَةِ. وَحِكْمَتُهُ هِيَ: أَنَّ حَقِيقَةَ «رِسَالَةِ النُّورِ»، وَالشَّخْصَ الْمَعْنَوِيَّ لِتَلَامِذَتِهَا، صَرَفَا إِلَى أَنْفُسِهِمَا، وَجْهَ ذٰلِكَ الِاحْتِيَاجِ الشَّدِيدِ، فِي هٰذَا الْعَهْدِ، وَفِي هٰذِهِ الْأَرْضِ. وَإِنَّ لِشَخْصِي حِصَّةً وَاحِدَةً

فَقَطْ مِنَ الأَلْفِ ، بِاعْتِبَارِ الْخِدْمَةِ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ يَظُنُّونَهُ مُمَثِّلاً لِتِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْخَارِقَةِ ، وَلِتِلْكَ الشَّخْصِيَّةِ الْخَالِصَةِ الْمُخْلِصَةِ ؛ فَيُظْهِرُونَ ذٰلِكَ التَّوَجُّهَ . وَإِنَّ هٰذَا التَّوَجُّهَ ، وَإِنْ كَانَ ضَرَراً لِي ؛ وَيَثْقُلُ عَلَيَّ ؛ وَلَيْسَ حَقِّي ؛ مَعَ أَنِّي كُنْتُ أَسْكُتُ بِحِسَابِ الْحَقِيقَةِ النُّورِيَّةِ وَشَخْصِيَّتِهَا الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ فَأَرْضَى بِتِلْكَ الأَضْرَارِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ حَتّٰى إِنَّ بَعْضَ الأَوْلِيَاءِ ، مِثْلِ الإِمَامِ عَلِيٍّ (رضي الله عنه) ، وَالْغَوْثِ الأَعْظَمِ (قدس سره) ، اتَّخَذُوا لِلنَّظَرِ ، بِالإِلْهَامِ الإِلٰهِيِّ ، شَخْصِيَ الَّذِي لاَ أَهَمِّيَّةَ لَهُ ، بِجِهَةِ خِدْمَتِي لِتِلْكَ الْحَقِيقَةِ ، بَيْنَ إِخْبَارِهِمْ بِالإِشَارَةِ الْغَيْبِيَّةِ ، إِلىٰ حَقِيقَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، الَّتِي هِيَ مِرْآةٌ لِلْمُعْجِزَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِلْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، وَإِلَى الشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ لِتَلاَمِذَتِهَا الْخَالِصِينَ . لَقَدْ أَخْطَأْتُ فَمَا صَرَفْتُ إِلىٰ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، مُؤَوِّلاً فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ ، جُزْءاً مَّا مِنَ الْتِفَاتَاتِهِمُ الْعَائِدَةِ إِلىٰ شَخْصِي . وَسَبَبُ خَطَئِي هٰذَا ، هُوَ ضَعْفِي وَتَكَثُّرُ الأَسْبَابِ الْمُوحِشَةِ لأَعْوَانِي ، وَتَحْصِيلُ الاعْتِمَادِ عَلَى قَوْلِي ؛ فَلِذٰلِكَ قَبِلْتُ قِسْماً مِنْهَا لِشَخْصِي ظَاهِراً . وَإِنِّي أُذَكِّرُكُمْ : أَنَّهُ لاَ حَاجَةَ إِلَى تَزْيِيفِ شَخْصِيَ الزَّائِفِ الَّذِي بِبَابِ الْقَبْرِ ؛ وَلاَ لُزُومَ لِلاهْتِمَامِ بِهِ بِهٰذَا الْقَدَرِ أَيْضاً ؛ وَلٰكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُبَارِزُوا «رِسَالَةَ النُّورِ» ؛ وَلاَ تُبَارِزُوهَا ؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَقْتَدِرُونَ أَنْ تَغْلِبُوهَا ؛ فَتَضُرُّونَ فِي الْمُبَارَزَةِ ، ضَرَراً عَظِيماً بِالشَّعْبِ وَالْوَطَنِ ؛ وَلٰكِنْ لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُشَتِّتُوا تَلاَمِذَتَهَا ؛ لأَنَّ أَحْفَادَ أَجْدَادِنَا السَّالِفِينَ فِي هٰذَا الْوَطَنِ ، الَّذِينَ قَدَّمُوا أَرْبَعِينَ وَخَمْسِينَ مِلْيُوناً مِنَ الشُّهَدَاءِ ، فِي سَبِيلِ حِفْظِ الْحَقِيقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، لَنْ يُسَاقُوا إِلىٰ تَرْكِ حِفْظِ الْحَقِيقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي هٰذَا الزَّمَانِ ، وَإِلىٰ تَرْكِ الْبُطُولاَتِ الدِّينِيَّةِ مِثْلِ الْقَدِيمَةِ ، فِي نَظَرِ عَالَمِ الإِسْلاَمِ . فَإِنْ تَوَلَّوْا ظَاهِراً ؛ فَإِنَّ أُولاَئِكَ التَّلاَمِذَةَ الْخَالِصِينَ ، مُتَمَسِّكُونَ بِتِلْكَ الْحَقِيقَةِ ، بِأَرْوَاحِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ؛ وَإِنَّهُمْ لَنْ يَتْرُكُوا «رِسَالَةَ النُّورِ» ، الَّتِي هِيَ مِرْآةٌ لِتِلْكَ الْحَقِيقَةِ ؛ فَلَنْ يَضُرُّوا بِالْوَطَنِ وَالأُمَّةِ وَالأَمْنِ ، بِذٰلِكَ التَّرْكِ . .

وَإِنَّ كَلاَمِي الأَخِيرَ ، هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ لآ إِلٰهَ إِلّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ . .

﴿ عَرِيضَةٌ أُرْسِلَتْ إِلىٰ هَيْئَةِ الْوِزَارَةِ ﴾

لِي رَجاءٌ أَهَمُّ لِلْغَايَةِ ، إِلىٰ هَيْئَةِ الْوِزَارَةِ :

نَرْجُو مِنْ هَيْئَةِ الْوِزَارَةِ ، مَعَ جَمِيعِ الْمُحْتَاجِينَ إِلىٰ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ ، وَمَعَ الْكُهُولِ وَأَصْحَابِ الْمَصَائِبِ ، الْمُسْتَفِيدِينَ تَمَاماً مِنْ تَسَلِّي «سِرَاجِ النُّورِ» ، أَنْ يُخْرِجُوا «الشُّعَاعَ الْخَامِسَ» فِي آخِرِ الْمَجْمُوعَةِ الَّتِي هِيَ أَزْيَدُ مِنْ ثَلَاثِمِئَةِ صَحِيفَةٍ ، الْمُسَمَّاةِ «بِسِرَاجِ النُّورِ» ، مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، وَالْمَكْتُوبِ أَصْلُهُ قَبْلَ زَمَنٍ كَثِيرٍ ؛ وَهُوَ بِقَدَرِ خَمْسَ عَشْرَةَ صَحِيفَةً ؛ وَكَانَ وَسِيلَةً لِمُصَادَرَةِ تِلْكَ الْمَجْمُوعَةِ ، حَسَبَ هَيْئَةِ الْوِزَارَةِ ؛ أَنْ يُخْرِجُوا ذٰلِكَ الْجُزْءَ الَّذِي يُتَوَهَّمُ ضَارّاً ، عَنْ سِرَاجِ النُّورِ ، الَّذِي تَحَقَّقَتْ فَوَائِدُهُ الْكَثِيرَةُ جِدّاً ، لِكُلِّ أَحَدٍ ، خُصُوصاً لِأَصْحَابِ الْمَصَائِبِ ، وَلِلْكُهُولِ ، وَلِلْوَاقِعِينَ فِي الشُّبُهَاتِ فِي الْإِيمَانِ ؛ فَيُحْظِرُوهُ ؛ فَيُؤْذَنَ بِنَشْرِ الصَّفَحَاتِ الثَّلَاثِمِئَةِ الْمُتَبَاقِيَةِ . .

وَأَيْضاً نَرْجُو أَنْ تُقْلَعَ صَحِيفَتَانِ ، وَهُمَا تَفْسِيرُ آيَتَيْنِ فِي حَقِّ الْإِرْثِ وَالْحِجَابِ ، كُتِبَ ضِدَّ فَلَاسِفَةِ أُورُوبَّا ، قَبْلَ ثَلَاثِينَ عَاماً ، فِي «ذِي الْفِقَارِ» ، ذِي الصَّحَائِفِ الْأَرْبَعِمِئَةِ ؛ وَأَنْ يُقْلَعَ سَطْرٌ وَاحِدٌ حَوْلَ «الْبَنْكِ» ، مَكْتُوبٌ حَوْلَ آيَةِ : ﴿أَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبٰوا﴾ ، فِي «إِشَارَاتِ الْإِعْجَازِ» ، الْمَطْبُوعَةِ قَبْلَ ثَلَاثِينَ سَنَةً ؛ وَأَنْ تُقْلَعَ كِتَابَاتٌ مَسْطُورَةٌ بِقَدَرِ سَطْرٍ وَاحِدٍ ، بَيْنَ سِتَّةِ أَسْئِلَةٍ سَأَلَهَا رَئِيسُ أَسَاقِفَةِ كَنِيسَةِ «آنْكِلِيكَانَ» الْبَرِيطَانِيَّةِ ، الْمَشْيَخَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ ، إِذْ كُنْتُ فِي «دَارِ الْحِكْمَةِ» ، قَبْلَ ثَلَاثِينَ عَاماً ؛ فَنَطْلُبُ إِعَادَةَ مَجْمُوعَتِنَا «ذِي الْفِقَارِ» ، تِلْكَ الَّتِي صُودِرَتْ بِذَرِيعَةِ سَطْرٍ وَصَحِيفَتَيْنِ ، لَا تُوَافِقُ الْقَانُونَ الْمَدَنِيَّ الْحَاضِرَ ؛ وَالَّتِي اسْتُحْسِنَتْ كَثِيراً حَسَبَ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ وَشُوهِدَتْ بِالْفِعْلِ مَنْفَعَتُهَا الْكَثِيرَةُ ؛ وَتُثْبِتُ عَلىٰ وَجْهٍ خَارِقٍ ، ثَلَاثَةَ أَرْكَانٍ إِيمَانِيَّةٍ . وَذٰلِكَ حَقُّنَا ؛ وَنَحْنُ نَطْلُبُ حَقَّنَا هٰذَا الْأَهَمَّ قَانُونِيّاً ؛ كَمَا إِذَا عُدِّلَتْ خَمْسُ كَلِمَاتٍ فِي رِسَالَةٍ ؛ فَيُؤْذَنُ بِقِسْمِهَا الْبَاقِي . وَنَطْلُبُ مَعَ دُعَاةِ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ ، الْخَادِمِينَ بِالْأَنْوَارِ ، لِلشَّعْبِ وَالْوَطَنِ وَالْأَمْنِ ، إِنْقَاذَنَا مِنْ ظُلْمِ الْجَاعِلِينَ الْحَبَّةَ

قِبَاباً فِي حَقِّنَا . .

وَأَيْضاً إِنَّ «الْهَجَمَاتِ السِّتَّ» ، الَّتِي كَتَبْتُهَا فِي أَحَدِ أَزْمَانِيَ الْحَادَّةِ ، الَّذِي تَعَرَّضْتُ فِيهِ لِظُلْمٍ شَدِيدٍ ، قَبْلَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَاماً ، قُلْتُ بِتَحْرِيمِهَا ؛ فَمَا أَذِنْتُ بِنَشْرِهَا ؛ كَمَا لَمْ أَرَهَا مُنْذُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً . وَكَذَا إِنَّهَا وَقَعَتْ بِيَدِ ثَلاثِ أَوْ أَرْبَعِ مَحَاكِمَ ؛ فَأَعَادُوا تِلْكَ الرِّسَالَةَ إِلَى أَصْحَابِهَا . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ . .

تَحِيَّةٌ إِلَى أَهْلِ الْخِبْرَةِ فِي رِئَاسَةِ الدِّيَانَةِ ؛ وَثَلاثُ نِقَاطٍ أُبَيِّنُهَا لأَجْلِ الْمُسَاعَدَةِ بِالتَّصْحِيحِ لِانْتِقَادِهِمُ الْجُزْئِيِّ فِي تَدْقِيقِهِمْ ؛ وَجَوَابُهُ ظَاهِرٌ وَمُجَابٌ . .

﴿النُّقْطَةُ الأُولَى :﴾ أَنِّي أَشْكُرُ أُولائِكَ الْعُلَمَاءَ ؛ وَأَنَا ذُو امْتِنَانٍ لَهُمْ ، بِاعْتِبَارٍ شَخْصِي ، بِثَلاثِ جِهَاتٍ . .

(اَلأُولَى :) هِيَ تَلْخِيصُهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّقْدِيرِ ، لأَجْزَاءِ مَجْمُوعَةِ «سِرَاجِ النُّورِ» الثَّلاثَةَ عَشَرَ ، غَيْرَ «الشُّعَاعِ الْخَامِسِ» . .

(اَلثَّانِيَةُ :) هِيَ رَدُّهُمْ عَلَى ذَرَائِعِ إِخْلالِ الأَمْنِ ، وَدَعْوَى الطَّرِيقَةِ وَالْجَمْعِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ مَدَارُ اتِّهَامِنَا . .

(اَلثَّالِثَةُ :) هِيَ تَصْدِيقُهُمْ لِدَعْوَايَ الَّتِي فِي الْمَحْكَمَةِ . أَعْنِي قُلْتُ لِلْمَحْكَمَةِ : إِنْ وُجِدَ الْخَطَأُ ؛ فَإِنَّ لِي كُلَّ ذَلِكَ الْخَطَأِ ؛ فَإِنَّ تَلامِذَةَ النُّورِ كَانُوا خَالِصِينَ وَنُزَهَاءَ ؛ فَعَمِلُوا لِلأَنْوَارِ لأَجْلِ إِيمَانِهِمْ . هَذَا فَإِنَّ أَهْلَ الْخِبْرَةِ أُولائِكَ ، يُنْقِذُونَ النُّورِيِّينَ أَيْضاً ؛ فَيُسْنِدُونَ إِلَيَّ كُلَّ الْخَطَأِ . وَأَنَا أَقُولُ لَهُمْ : رَضِيَ اللهُ عَنْكُمْ . وَإِنَّمَا جَعَلُوا الْمَرْحُومَ حَسَنَ فَيْضِيٍّ ؛ وَالْحَافِظَ عَلِيّاً الْمَرْحُومَ ؛ وَاثْنَيْنِ أَوْ ثَلاثَةَ فُضَلاءَ ، مِنْ وَرَثَةِ ذَيْنِكَ الشَّهِيدَيْنِ الْمُبَارَكَيْنِ ، وَفِي طِرَازِهِمَا ، شُرَكَاءَ

فِي جُرْمِي ؛ وَلٰكِنْ سَهَوْا فِي جِهَةٍ مَّا ؛ لِأَنَّ أُولاَئِكَ الْفُضَلاءَ أَسْبَقُ مِنِّي ، لا فِي الْخَطَإِ ، بَلْ فِي الْخِدْمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ وَكَانُوا مُبَرَّئِينَ مِنْ أَخْطَائِي ؛ فَمُنِحُوا أَعْوَاناً لِي ، مِنْ جَانِبِ الْعِنَايَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، رَحْمَةً بِضَعْفِي . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ أَنَّ أَهْلَ الْخِبْرَةِ أُولاَئِكَ ، قَالُوا لِقِسْمٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي فِي «الشُّعَاعِ الْخَامِسِ» : إِنَّهُ ضَعِيفٌ ؛ وَلِقِسْمٍ مِنْهَا : إِنَّهُ مَوْضُوعٌ ؛ وَقَالُوا لِبَعْضِ تَأْوِيلاَتِهَا : إِنَّهُ خَطَأٌ ؛ فَإِنَّ الِادِّعَاءَ الَّذِي هُوَ ضِدُّنَا فِي (أَفْيُونَ) هٰذِهِ ، كُتِبَ عَلَى ذٰلِكَ النَّمَطِ . وَقَدْ أَثْبَتْنَا فِي جَدْوَلَةٍ : أَنَّهُ أَخْطَأَ إِحْدٰى وَثَمَانِينَ خَطْأَةً ، فِي خَمْسَ عَشْرَةَ صَحِيفَةً ؛ فَلْيَشْهَدْهَا أَهْلُ الْخِبْرَةِ الْمُحْتَرَمُونَ . وَإِنَّ مِثَالاً وَحِيداً مِنْهَا ، هُوَ : أَنَّ ذَا الِادِّعَاءِ قَالَ : إِنَّ كُلَّ التَّأْوِيلِ خَاطِئَةٌ ؛ وَإِنَّ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ ، إِمَّا مَوْضُوعَةٌ ؛ وَإِمَّا ضَعِيفَةٌ . .

وَنَحْنُ نَقُولُ : إِنَّ مَعْنَى التَّأْوِيلِ ، هُوَ : أَنَّ هٰذَا الْمَعْنٰى ، يُمْكِنُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُرَاداً مِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ . أَمَّا رَدُّ إِمْكَانِ ذٰلِكَ الْمَعْنٰى ، حَسَبَ الْمَنْطِقِ ، فَيَحْصُلُ بِإِثْبَاتِ اسْتِحَالَتِهِ . وَالْحَالُ : أَنَّ ذٰلِكَ الْمَعْنٰى ، تَحَقَّقَ وَشُوهِدَ بِالْبَصَرِ ؛ كَمَا أَنَّ كَوْنَهُ فَرْداً فِي كُلِّيَّةِ طَبَقَةِ الْمَعْنَى الْإِشَارِيِّ لِلْحَدِيثِ ، أَرٰى بَصَرَ هٰذَا الْعَصْرِ ، لَمْعَةَ إِخْبَارٍ غَيْبِيٍّ عَلٰى وَجْهِ الْإِعْجَازِ بِالْمُشَاهَدَةِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَابِلاً لِلْإِنْكَارِ وَالِاعْتِرَاضِ ، بِأَيَّةِ جِهَةٍ . وَأَيْضاً إِنَّ قَوْلَ صَاحِبِ الِادِّعَاءِ : إِنَّ جَمِيعَ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ مَوْضُوعَةٌ ، أَوْ ضَعِيفَةٌ ، أُثْبِتَ فِي الْجَدْوَلَةِ : أَنَّهُ خَطَأٌ بِثَلاَثَةِ أَوْجُهٍ . .

﴿أَحَدُهَا :﴾ أَنَّ الْإِمَامَ «أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ» ، الَّذِي حَمَلَ إِلٰى حِفْظِهِ أَلْفَ أَلْفِ حَدِيثٍ ؛ وَالْإِمَامَ «الْبُخَارِيَّ» الَّذِي حَفِظَ خَمْسَمِئَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ ، لَمْ يَسْتَطِيعَا أَنْ يَتَجَاسَرَا عَلٰى ذٰلِكَ ؛ وَأَنَّ إِثْبَاتَ ذٰلِكَ النَّفْيِ غَيْرُ قَابِلٍ ؛ وَأَنَّهُ هُوَ لَمْ يُشَاهِدْ جَمِيعَ كُتُبِ الْحَدِيثِ ؛ وَأَنَّ أَكْثَرَ الْأُمَّةِ يَنْتَظِرُونَ فِي كُلِّ عَصْرٍ ، ظُهُورَ مَعَانِي تِلْكَ الرِّوَايَاتِ ، أَوْ شُهُودَ أَحَدِ أَفْرَادِ ذٰلِكَ الْكُلِّيِّ ؛ وَأَنَّهَا اقْتَرَبَتْ إِلٰى دَرَجَةِ التَّلَقِّي بِالْقَبُولِ حَسَبَ الْأُمَّةِ ؛ وَأَنَّ بَعْضَ أَمْثِلَتِهَا وَأَفْرَادِهَا الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْحَقِيقَةِ ، خَرَجَتْ إِلَى الْمَيْدَانِ ؛ فَشُوهِدَتْ ؛ فَمَعَ ذٰلِكَ إِنَّ إِنْكَارَ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ بِالْكُلِّيَّةِ ،

خَطَأٌ بِعَشَرَةِ وُجُوهٍ . .

﴿اَلْوَجْهُ الثَّاني :﴾ أنَّ مَعْنَى كَوْنِهِ مَوْضُوعاً ، هُوَ : أنَّ هٰذِهِ الرِّوَايَةَ ، لَيْسَتْ حَدِيثاً ذَا عَنْعَنَةٍ وَسَنَدٍ ؛ وَإلّا فَلَيْسَ الْمُرَادُ أنَّ مَعْنَاهَا خَطَأٌ . فَإذَا كَانَ أهْلُ الْحَقِيقَةِ وَأهْلُ الْكَشْفِ ، وَقِسْمٌ مِنْ أهْلِ الْحَدِيثِ وَأهْلِ الاجْتِهَادِ خُصُوصاً ، قَبِلُوهَا فَانْتَظَرُوا وُقُوعَ مَعَانِيهَا فِي الْأُمَّةِ ؛ فَإنَّ لِتِلْكَ الرِّوَايَاتِ ، حَقَائِقَ تَنْظُرُ إلَى الْعُمُومِ ، مِثْلَ ضُرُوبِ الْأَمْثَالِ . .

﴿اَلْوَجْهُ الثَّالِثُ :﴾ أنَّ أيَّةَ مَسْألَةٍ أوْ رِوَايَةٍ ، تُوجَدُ فَلَا يُعْتَرَضُ عَلَيْهَا ، فِي أَحَدِ كُتُبِ الْعُلَمَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ الْمَشَارِبِ وَالْمَذَاهِبِ ؟ . مَثَلاً : إنَّ هٰذَا الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ الَّذِي هُوَ وَاحِدٌ مِنَ الرِّوَايَاتِ الدَّائِرَةِ حَوْلَ مَجِيءِ عِدَّةِ دَجَّالِينَ بَيْنَ الْإِسْلَامِ ، يُخْبِرُ عَنْ فِتْنَةِ «جَنْكِيزَ ، وَهُلَاكُو» فِي صُورَةٍ صَرِيحَةٍ ، وَهُوَ : ﴿لَنْ تَزَالَ الْخِلَافَةُ فِي وُلْدِ عَمِّي وَصِنْوِ أبِيَ ، الْعَبَّاسِ ، حَتَّى يُسَلِّمَهَا إلَى الدَّجَّالِ﴾ . يَعْنِي : سَتَدُومُ الْخِلَافَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ زَمَناً مَدِيداً ؛ ثُمَّ تَقَعُ تِلْكَ السَّلْطَنَةُ بِيَدِ الدَّجَّالِ ، قَائِلاً بِأنَّ دَجَّالاً سَيَأْتِي إلَى دَاخِلِ الْإسْلَامِ ؛ فَيُفْسِدُ تِلْكَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ خَمْسِمِئَةِ سَنَةٍ ؛ فَتُخْبِرُ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ مِثْلُهَا ، عَنْ أشْخَاصِ آخِرِ الزَّمَانِ ؛ مَعَ أنَّ قِسْماً مُفْرِطاً مِنْ أهْلِ الاجْتِهَادِ ، الَّذِي مَذْهَبُهُ مُغَايِرٌ ؛ أوْ فِكْرُهُ مُغَايِرٌ ، لَمْ يَقْبَلُوهَا ؛ فَقَالُوا : إنَّهَا مَوْضُوعَةٌ أوْ ضَعِيفَةٌ . . وَمَهْمَا كَانَ ، فَإنَّ السَّبَبَ لِاخْتِصَارِيَ الْآنَ لِهٰذِهِ الْقِصَّةِ الطَّوِيلَةِ ، هُوَ : أنَّ زَلْزَلَتَيْنِ شَدِيدَتَيْنِ حَدَثَتَا هُنَا ، فِي عَيْنِ السَّاعَةِ الَّتِي كُنْتُ أكْتُبُ فِيهَا هٰذَا الْجَوَابَ ، مِثْلَ تَوَافُقِ الزَّلَازِلِ الْأَرْبَعَةِ الْعَظِيمَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ «بِرِسَالَةِ النُّورِ» ، وَالدَّالَّةِ عَلَى غَيْظِ الْأَرْضِ ، فِي عَيْنِ زَمَانِ الْهُجُومِ عَلَى الْأَنْوَارِ . ذٰلِكَ : أنِّي إذْ أحْسَسْتُ تَأثُّراً ألِيماً ، مِنْ جِرَاحَاتِ الْعَمَلِيَّاتِ الْجِرَاحِيَّةِ ، فِي تَقْرِيرِ أهْلِ الْخِبْرَةِ ، الَّذِي سُلِّمَ لِيَدِي مَسَاءً ؛ وَتَألُّماً مِنْ كِتَابَتِي أنَا ، بِقَلَمِي الْمُتَشَتِّتِ ؛ بِمِحْنَةٍ حَزِينَةٍ مِنْ عَدَمِ التَّمَاسِّ ، تَوَافَقَتِ الزَّلْزَلَتَانِ . نَعَمْ : إنِّي اسْتَلَمْتُ مُنْذُ الْمَسَاءِ ، التَّقْرِيرَ الْوَارِدَ مِنْ دَائِرَةِ رِئَاسَةِ الدِّيَانَةِ ، الَّتِي كَانَتْ أكْثَرَ مَا أعْتَمِدُ عَلَيْهِ ؛ وَأتَوَقَّعُ إدْرَاكَهُمْ لِإمْدَادِي بِتَقْرِيرِهِمْ ، بَيْنَ تَجْرِيدٍ وَمُضَايَقَاتِ ثَمَانِيَةِ أشْهُرٍ ؛ فَعَلِمْتُ هٰذَا الصَّبَاحَ : أنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوا لِإمْدَادِي ؛ بَلْ سَاعَدُوا صَاحِبَ الادِّعَاءِ ، بِأشْيَاءٍ لَا أهَمِّيَّةَ لَهَا جِدّاً ؛ فَرَأيْتُ

قَوْلَهُمْ : «إنَّ «سَعِيداً» قَالَ : إنَّ الزَّلازِلَ الْأَرْبَعَةَ الْمَاضِيَةَ ، هِيَ مِنْ كَرَامَاتِ النُّورِ» . فَلَمَّا نَوَيْتُ أَنْ أَكْتُبَ ، أَنَّ الْأَنْوَارَ وَسِيلَةٌ لِدَفْعِ الْبَلَايَا ، مِثْلُ الصَّدَقَةِ الْمَقْبُولَةِ ؛ فَمَتَى هُوجِمَتِ الْأَنْوَارُ ، وَجَدَتِ الْمَصَائِبُ فُرْصَةً ؛ فَتَأْتِي ؛ وَأَحْيَاناً تَغِيظُ الْأَرْضُ أَيْضاً ؛ كَمَا كَتَبْتُ فِي الْجَدْوَلَةِ ، مَنَعَتْنِي الزَّلْزَلَتَانِ الشَّدِيدَتَانِ هُنَا(١) ، عَنْ كِتَابَةِ ذٰلِكَ الْبَحْثِ ؛ فَتَرَكْتُهُ ؛ فَأَمْضِي إِلَى النُّقْطَةِ الثَّالِثَةِ . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ يَا عُلَمَاءَنَا أَهْلَ الْخِبْرَةِ الْمُدَقِّقِينَ ، وَأَصْحَابَ الْحَقِيقَةِ ، وَذَوِي الْإِنْصَافِ ! إِنَّهُ تُكْتَبُ فِي أَوَاخِرِ الْكُتُبِ الْجَمِيلَةِ الْمُؤَلَّفَةِ جَدِيدَةً ، مَدَائِحُ الْآخَرِينَ وَتَقَارِيضُهُمْ لِذٰلِكَ الْكِتَابِ ، وَأَثْنِيَتُهُمُ الْمُبَالَغُ فِيهَا وَالْمُفْرِطَةُ أَحْيَاناً ؛ فَتُنْشَرُ فِي أَوَاخِرِهَا ، بِنَاءً عَلَى عَادَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ مَقْبُولَةٍ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ ، مُنْذُ الْقَدِيمِ ؛ وَأَنَّ الْمُؤَلِّفَ يُصْبِحُ ذَا امْتِنَانٍ ، بِكَمَالِ الْمِنَّةِ ، لِأُولٰئِكَ الْمُقَرِّضِينَ ؛ وَأَنَّ رُقَبَاءَهُمْ أَيْضاً ، لَا يَتَّهِمُونَهُ بِالرِّيَاءِ ؛ مَعَ أَنَّكُمْ تَلَقَّيْتُمْ رِيَاءً ، عَدَمَ رَدِّي كُلِّيّاً ، لِمَدَائِحِ بَعْضِ خَوَاصِّ تَلَامِذَةِ النُّورِ الْخَالِصِينَ ؛ وَصَرْفِي لِقِسْمِهَا الْعَائِدِ لِشَخْصِي إِلَى الْأَنْوَارِ ، تِلْكَ الْمَدَائِحُ الَّتِي كَانَتْ بِفِكْرَةِ تَشْوِيقِ الْمُحْتَاجِينَ إِلَى الْأَنْوَارِ ، وَالْإِعَانَةِ لِعَجْزِي وَضَعْفِي ، وَلِغُرْبَتِي وَوَحْدَتِي ، ضِدَّ الْمُعَارِضِينَ الْمُتَعَسِّفِينَ الْكَثِيرِينَ جِدّاً ، وَالْهَاجِمِينَ عَلَيَّ هُجُوماً شَدِيداً ، بِتَقَارِيضِ «الْمَرْحُومِ حَسَنٍ فَيْضِيٍّ» وَ«الْحَافِظِ عَلِيٍّ الشَّهِيدِ» ، وَالَّتِي كَتَبُوهَا عَلَى نَمَطِهِمَا ؛ فَأَصْبَحْتُ مُتَأَثِّراً مِنْ عَدَمِ إِمْكَانِي لِلتَّوْفِيقِ ، بَيْنَ ذٰلِكَ التَّلَقِّي ، وَبَيْنَ دِقَّتِكُمُ الْكَامِلَةِ ، وَعُلُومِكُمُ التَّحْقِيقِيَّةِ ، وَإِنْصَافِكُمْ وَمُعَاوَنَتِكُمُ الْمُشْفِقَةِ . . وَإِنَّهُ لَا يُحْكَمُ بِالْخَطَأِ عَلَى قَوْلِ إِخْوَانِي الْأَصْفِيَاءِ الْكَاتِبِينَ لِتِلْكَ الْمَدَائِحِ : إِنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» فِي هٰذَا الزَّمَانِ ، فَرْدٌ جُزْئِيٌّ ، وَمِصْدَاقٌ لِكُلِّيَّةِ الْمَعْنَى الْإِشَارِيِّ ، بِحِسَابٍ رِيَاضِيٍّ ، دُونَمَا تَصَوُّرِ السِّيَاسَةِ أَصْلاً ؛ فَإِنَّ الزَّمَانَ يُصَدِّقُهُ . وَعَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ مُبَالَغَةً جِدّاً ، أَوْ خَطَأً ؛ فَهُوَ خَطَأٌ عِلْمِيٌّ ؛ فَلِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَكْتُبَ قَنَاعَتَهُ . . فَيَا عَجَباً ! إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ كَمْ سَطْرٍ عَلَى الْكُتُبِ مِنْ آرَاءٍ وَأَفْكَارٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فِي

---

(١) حَدَثَتْ هَاتَانِ الزَّلْزَلَتَانِ ، عِنْدَ الضُّحَى فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، الْمُصَادِفِ لِتَارِيخِ / ١٨ / ٩ / ١٩٤٨ م . . (خَلِيلٌ ، مُصْطَفَى ، مُحَمَّدٌ فَيْضِيٌّ ، خُسْرَوْ) ، بِاسْمِ تَلَامِذَةِ رِسَالَةِ النُّورِ فِي سِجْنِ «أَفْيُونَ» . .

الْمَذَاهِبِ الاثْنَيْ عَشَرَ فِي الشَّرِيعَةِ، خُصُوصاً مَذَاهِبَ الْحَنَفِيِّ وَالْمَالِكِيِّ وَالشَّافِعِيِّ وَالْحَنْبَلِيِّ، وَفِي فِرَقِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَبَحِّرِينَ، الْقَرِيبَةِ مِنْ سَبْعِينَ فِرْقَةً، فِي دَائِرَةِ عِلْمِ الْكَلامِ وَأُصُولِ الدِّينِ ؟. وَالْحَالُ: أَنَّ أَيَّ زَمَانٍ لَمْ يَحْتَجْ بِقَدَرِ هٰذَا الزَّمَانِ، إِلَى اتِّفَاقِ عُلَمَاءِ الدِّينِ، وَعَدَمِ مُنَاقَشَتِهِمْ. فَنَحْنُ الآنَ مُجْبَرُونَ عَلَى تَرْكِ الاخْتِلافِ فِي التَّفَرُّعَاتِ، وَعَلَى عَدَمِ جَعْلِهَا مَدَارَ الْمُنَاقَشَةِ..

لِي ثَلاثَةُ أَسْئِلَةٍ، أَسْأَلُهَا عُلَمَاءَ أَهْلِ الْخِبْرَةِ الْمُنْصِفِينَ:

(أَحَدُهَا:) هَلْ يَصِيرُ أَحَدٌ مَسْؤُولاً، بِمَدْحِ أَحَدٍ آخَرَ إِيَّاهُ، بِنِيَّةٍ صَافِيَةٍ ؟ وَخَاصَّةً إِمَّا أَنْ يَرُدَّ تِلْكَ الْمَدَائِحَ الَّتِي لَمْ يَطْلُبْهَا هُوَ ؛ وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَهَا إِلَى غَيْرِهِ بِقَدَرِ الإِمْكَانِ ؛ وَأَنْ لا يُكَذِّبَ صَدِيقَهُ الْخَالِصَ ذٰلِكَ، لِأَجْلِ عَدَمِ تَنْفِيرِهِ ؛ فَيُقَابِلُ مَدْحَهُ، بِالسُّكُوتِ، قَائِلاً بِأَنَّ مَدْحَهُ أَزْيَدُ مِنْ حَدِّي، مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ فَهَلْ يُعَدُّ رِيَاءً أَصْلاً ؟.

(اَلسُّؤَالُ الثَّانِي:) يَا عَجَباً! هَلْ يَسْتَحِقُّ عَاشِقُ حَقِيقَةٍ مِنْ تَلامِذَةِ النُّورِ، مِثْلَ هٰذَا التَّكْدِيرِ وَالتَّزْيِيفِ، فِي جِهَةِ قَنَاعَةٍ خَاطِئَةٍ لَهُ، وَخَطَأَةٍ عِلْمِيَّةٍ جُزْئِيَّةٍ بِلا ضَرَرٍ، بَيْنَ مَسَائِلَ دِينِيَّةٍ مِثْلِ الْجَبَلِ، وَبَيْنَ هٰذِهِ الْهَجَمَاتِ الرَّهِيبَةِ ضِدَّ الدِّينِ فِي الْمَيْدَانِ ؟. وَهَلْ يَجُوزُ الْمُصَافَعَةُ بِالْعَدْلِيَّةِ هٰكَذَا، بَيْنَمَا كَانَ التِّلْمِيذُ الْكَاتِبُ لِلْمَدِيحَةِ، مُنْتَظِراً لِتَذْكِيرِ خَطَئِهِ بِالشَّفَقَةِ، مِنْ أَسَاتِذَةٍ مِثْلِكُمْ ؟.

(اَلسُّؤَالُ الثَّالِثُ:) هَلْ يُنَاسِبُ انْتِقَادُكُمْ بِهٰذَا الْوَجْهِ، لِأَجْلِ مَسْأَلَةٍ أَوْ مَسْأَلَتَيْنِ، «رِسَالَةَ النُّورِ» الَّتِي قَوَّتْ إِيمَانَ مِئَاتِ الآلافِ الْمُحْتَاجِينَ ؛ وَلَمْ تَتَزَلْزَلْ ضِدَّ الْمُعَارِضِينَ بِلا حَدٍّ ؛ وَهٰذِهِ هِيَ عِشْرُونَ سَنَةً ؟. وَأَيْضاً أُذَكِّرُ أُولائِكَ الْعُلَمَاءَ الْمُدَقِّقِينَ هٰذَا، وَهُوَ: أَنَّهُمْ يَنْتَقِدُونَ فِي تَقْرِيرِهِمْ انْتِقَاداً يُشْبِهُ كَأَنِّي فَعَلْتُ تِلْكَ الْمَدَائِحَ لِنَفْسِي، مِنْ مُشَاهَدَتِهِمْ إِحْدٰى رَسَائِلِي فِي صَدْرِ مَدِيحَةِ «أَحْمَدَ فَيْضِيٍّ». وَالْحَالُ: أَنَّ رِسَالَتِي تِلْكَ، كَانَتْ لِأَجْلِ إِزَالَةِ وَعَدَمِ قَبُولِ مَدَائِحِهِ

فِي حَقِّ شَخْصِي ؛ فَأَزَلْتُ قِسْماً مِنْهَا ؛ وَكُنْتُ أُعَدِّلُ قِسْماً أَيْضاً ؛ وَلٰكِنْ كُنْتُ اسْتَعْجَلْتُ ؛ فَأَرْسَلْتُ تِلْكَ الرِّسَالَةَ إِلَىٰ أَخٍ لِي ، دُونَ إِكْمَالٍ . فَهُمْ أَيْضاً وَضَعُوهَا فِي صَدْرِ تِلْكَ الْمَدِيحَةِ الْمُحَرَّمَةِ ؛ فَلَمَّا أَرْسَلُوهَا إِلَىٰ شَخْصٍ خَاصٍّ ، وَقَعَتْ بِيَدِ الْحُكُومَةِ .. فَيَا عَجَباً ! هَلْ يَسْتَحِقُّ بِهٰذَا الإِعْتِرَاضِ الشَّدِيدِ ، مِثْلُ هٰذَا التَّقْرِيضِ الْخُصُوصِيِّ ، وَهٰذِهِ الْقَنَاعَةِ الْوِجْدَانِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ الْبَحْتَةِ ؛ وَسِيَاحَتُهَا بَيْنَ أَصْحَابٍ مُخْتَصِّينَ ، وَعَلَىٰ أُسْلُوبِ مَشُورَةٍ بِفِكْرِ تَعْدِيلِهَا تَمَاماً بَعْدُ ؟ . وَأَيْضاً إِنَّ الْمَجْمُوعَتَيْنِ الصَّغِيرَتَيْنِ ذَوَاتَيِ الْجِلْدِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ ، هُمَا بَعْضُ رَسَائِلَ خُصُوصِيَّةٍ كُتِبَتْ إِلَى الْأَصْحَابِ خُصُوصِيَّةً ، وَلِأَجْلِ التَّهْنِئَةِ وَالتَّشْوِيقِ وَالْمُلَاطَفَةِ . وَكَيْفَمَا كَانَ ؛ فَقَدْ اهْتَمَّ بِهَا شَخْصٌ أَوْ شَخْصَانِ ؛ فَجَمَعَهَا فِي دَفْتَرٍ وَاحِدٍ ، لِكَيْلَا تَضِيعَ ؛ فَوَقَعَتْ بِيَدِ الشُّرْطَةِ فِي التَّحَرِّي .. فَيَا عَجَباً ! هَلْ يُوجَدُ الِاحْتِيَاجُ أَصْلاً ، إِلَىٰ اسْتِخْرَاجِ الْأَحْكَامِ مِنْ مِثْلِ هٰذِهِ الرَّسَائِلِ ، وَإِلَىٰ جَعْلِهَا مَدَاراً لِلسُّؤَالِ وَالْجَوَابِ ، وَإِلَى السَّعْيِ لِإِمْسَاسِهَا السِّيَاسَةَ ؟ أَفَلَا يَكُونُ كَأَنَّهُ لَا يُبْصِرُ ثَعَابِينَ رَهِيبَةً هَاجِمَةً عَلَى الْقُرْآنِ ؛ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ؛ فَيَشْتَغِلُ بِلَدْغَةِ الذِّبَّانِ ؟ أَوَ لَا يَخْرُجُ مِن ذٰلِكَ ، أَنَّهُ يَتْرُكُ «ابْنَ السِّرَاجِ»[١] ، الْقَائِلَ بِأَنَّ الدِّينَ وَالتَّرْبِيَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ سُمٌّ ؛ فَيُنَاقِشُ «سِرَاجَ النُّورِ» ، الْمُظْهِرَ لِلْحَقِيقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ كَالشَّمْسِ ؛ وَالْمُثْبِتَ بِأَنَّهَا هِيَ التِّرْيَاقُ التَّامُّ لِجُرُوحِ نَوْعِ الْبَشَرِ ؛ فَيَقُولُ : إِنَّ فِي رِسَالَةٍ مُلْحَقَةٍ بِآخِرِ مَجْمُوعَةِ النُّورِ تِلْكَ ، تَأْوِيلَاتِ أَحَادِيثَ ضَعِيفَةٍ ؛ فَيُسَاعِدُ مُصَادَرَةَ تِلْكَ الْمَجْمُوعَةِ ؟ .

فَنَحْنُ نَتَوَقَّعُ مِنْ فُضَلَاءِ مِثْلِكُمْ ، الْعَوْنَ بِفِرَاسَتِكُمْ ؛ وَمَسْحَكُمُ الْمَرْهَمَ بِجِرَاحَاتِنَا ؛ فَلَا نَنْزَعِجُ مِنِ انْتِقَادِكُمُ الْجُزْئِيِّ ..

اَلْمَوْقُوفُ : سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (ﷺ) ..

---

(١) كَانَ مُلْحِداً رَهِيباً ، أَصْبَحَ وَزِيراً فِي ذٰلِكَ الْعَهْدِ الرَّهِيبِ .. اَلْمُتَرْجِمُ ، (ﷺ) ..

.... (١)

....

﴿ إِلَى رِئَاسَةِ مَحْكَمَةِ التَّمْيِيزِ ! . ﴾

إِنَّهُمْ لَمْ يُنْطِقُونِي أَيْضاً فِي جَلْسَتِنَا الْمَبْنِيَّةِ عَلَى انْتِقَاضِ الْحُكْمِ الْبَاطِلِ ، حَسَبَ التَّمْيِيزِ ، الْحُكْمِ الصَّادِرِ فِي حَقِّنَا مِنْ مَحْكَمَةِ (أَفْيُون) . وَأَسْمَعُونَا ادِّعَاءً ثَالِثاً شَدِيداً فِي حَقِّنَا . . وَأَيْضاً لَمْ يَتْرُكُوا أَحَداً يَأْتِي إِلَيَّ ؛ فَيُعِينَنِي بِالْكِتَابَةِ . . فَشَكْوَايَ هٰذِهِ الَّتِي كَتَبْتُهَا بِحَالِ مَرَضِي ، مَعَ كَوْنِ خَطِّي نَاقِصاً ، أُقَدِّمُهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا لائِحَةُ تَمْيِيزٍ لِي ، إِلَىٰ مَقَامِكُمُ الَّذِي عَدَلَ تَمَاماً مَرَّتَيْنِ فِي حَقِّي ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ . .

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿ عَرِيضَةٌ إِلَى الْمَحْكَمَةِ الْكُبْرَى فِي الْحَشْرِ ؛ وَشَكْوَى إِلَى الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ ! . ﴾

وَلْتَسْتَمِعْ مَحْكَمَةُ التَّمْيِيزِ فِي هٰذَا الزَّمَانِ ؛ وَالنَّسْلُ الْآتِي ، وَتَلامِذَةُ الْجَامِعَاتِ وَأَسَاتِذَتُهَا الْمُنَوَّرُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ . .

فَهَا أُقَدِّمُ مُشْتَكِياً إِلَىٰ بَابِ عَدَالَةِ الْعَادِلِ الْحَكِيمِ ذِي الْجَلَالِ ، عَشْرَ مَصَائِبَ ، مِنْ مِئَاتِ مَصَائِبِيَ الْمُعَذِّبَةِ ، فِي هٰذِهِ السِّنِينَ الثَّلاثِ وَالْعِشْرِينَ . .

---

(١) كَانَ فِي هٰذَا الْمَقَامِ ، جَدْوَلَةٌ لِلْأَخْطَاءِ الْمُغْرِضَةِ ضِدَّ الْإِمَامِ الْمُحِقِّ الْمَظْلُومِ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ) ، وَتَصْحِيحَاتُهُ ضِدَّ تِلْكَ الْأَخْطَاءِ الْوَاقِعَةِ فِي أَوْرَاقِ الادِّعَاءِ الْمَزْعُومِ ؛ وَأَيْضاً كَانَتْ بَعْضُ فِقْرَاتٍ اقْتَضَبَهَا مِنْ قَرَارِ الْمَحْكَمَةِ الْمُتَعَسِّفَةِ الَّتِي رَدَّتْ عَلَيْهَا قَرَارَهَا ، مَحْكَمَةُ التَّمْيِيزِ بِحَقٍّ . . فَتَرَكْنَاهَا لِفُرْصَةٍ سَانِحَةٍ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ . . الْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللهُ عَنْهُ) . .

﴿ اَلأُولٰى : ﴾ أَنِّي مَعَ خَطِيئَاتِي ، وَقَفْتُ حَيَاتِي عَلٰى سَعَادَةِ وَإِيمَانِ هٰذِهِ الْأُمَّة ؛ وَاجْتَهَدْتُ «بِرِسَالَةِ النُّورِ» ، بِكُلِّ قُوَّتِي ، قَائِلاً : فَلْيَكُنْ رَأْسِي أَيْضاً فِدَاءً لِحَقِيقَةٍ ــ أَعْنِي حَقِيقَةَ الْقُرْآنِ ــ صَارَتْ مَلايِينُ الرُّؤُوسِ الْبَاسِلَةِ فِدَاءً لَهَا ؛ فَثَبَتُّ بِالتَّوْفِيقِ الْإِلٰهِيِّ ؛ فَلَمْ أَتَرَاجَعْ إِلَى الْوَرَاءِ ، ضِدَّ جَمِيعِ التَّعْذِيبَاتِ الظَّالِمَةِ . .

فَمِنْ جُمْلَةِ ذٰلِكَ : أَنَّ وَاحِدَةً مِنْ مُعَامَلاتٍ غَدَّارَةٍ جِدّاً ، أَصَابَتْنِي فِي سِجْنِي ، وَفِي مَحْكَمَتِي الْأَفْيُونِيَّةِ هٰذِهِ ، هِيَ : أَنَّهُمْ أَسْمَعُونِي إِجْبَاراً ، وَتَلامِذَةَ النُّورِ الْأَبْرِيَاءَ الْمُنْتَظِرِينَ لِلتَّسَلِّي مِنَ الْعَدَالَةِ ، اتِّهَامَاتٍ مُفْتَرِيَةً وَمُغْرِضَةً ضِدَّنَا ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ سَاعَتَيْنِ تَقْرِيباً ؛ مَعَ أَنِّي رَجَوْتُ كَثِيراً : أَنِ اسْمَحُوا لِي خَمْسَ أَوْ عَشْرَ دَقَائِقَ ؛ فَأُدَافِعَ عَنْ حُقُوقِنَا ؛ فَلَمْ يَأْذَنُوا بِأَكْثَرَ مِنْ دَقِيقَةٍ أَوْ دَقِيقَتَيْنِ(١) . .

وَإِنِّي أُوقِفْتُ فِي التَّجْرِيدِ الْمُطْلَقِ عِشْرِينَ شَهْراً ؛ مَعَ أَنَّهُ أُذِنَ لِوَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ مِنْ أَصْحَابِي ، ثَلاثَ أَوْ أَرْبَعَ سَاعَاتٍ فَقَطْ ؛ فَحَصَلَ الْمُسَاعَدَةُ جُزْءاً قَلِيلاً فِي كِتَابَةِ دِفَاعَاتِي ؛ ثُمَّ مُنِعَ أُولائِكَ أَيْضاً ؛ فَجَازَوْا بَيْنَ مُعَامَلاتٍ غَدَّارَةٍ جِدّاً ؛ وَأَجْبَرُونَا عَلَى الاسْتِمَاعِ لِاتِّهَامَاتِ الْمُدَّعِي ، الْمُعَارِضَةِ ضِدَّنَا ، الَّتِي أَثْبَتُّ وَاحِداً وَثَمَانِينَ خَطأً لَهَا ، فِي خَمْسَ عَشْرَةَ صَحِيفَةً مِنْهَا ، وَالْمُغْرِضَةِ بِالافْتِرَاءَاتِ وَالْإِسْنَادَاتِ الْكَاذِبَةِ ، وَبِالتَّأْوِيلِ بِالْمَعْنَى الْخَاطِئِ ، وَمِنْ قَبِيلِ جَمْعِ الْمَاءِ مِنْ أَلْفِ وَادٍ ؛ وَلَمْ يَسْتَنْطِقُونِي ؛ فَلَوْ أَنْطَقُونِي لَقُلْتُ : إِنَّكُمْ لا تَمَسُّونَ بِذَرِيعَةِ حُرِّيَّةِ الْوِجْدَانِ وَحُرِّيَّةِ الْفِكْرِ ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارٰى وَالْمَجُوسَ ؛ وَخُصُوصاً الْمُنَافِقِينَ وَالْمُرْتَدِّينَ وَالْفَوْضَوِيِّينَ تَحْتَ غِطَاءِ الْبَلْشَفَةِ الْآنَ ، الَّذِينَ يُنْكِرُونَ دِينَكُمْ ؛ وَيَحْتَقِرُونَ بِالضَّلالَةِ أَجْدَادَكُمْ ؛ وَيَرُدُّونَ فَلا يَقْبَلُونَ نَبِيَّكُمْ ، وَقَوَانِينَ قُرْآنِكُمْ ؛ وَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَلايِينِ فِي دَائِرَةِ مُلْكِ وَحُكْمِ حُكُومَةٍ جَبَّارَةٍ مُتَعَصِّبَةٍ فِي النَّصْرَانِيَّةِ ، مِثْلِ الْإِنْكِلِيزِ ، يَرُدُّونَ جَمِيعَ عَقَائِدِ الْإِنْكِلِيزِ الْبَاطِلَةِ ،

(١) طُوِيَتْ فِي التَّعْدِيلِ الْأَخِيرِ ، الْمَسْأَلَةُ الَّتِي هِيَ أَصْلُ هٰذِهِ الْمَادَّةِ الْأُولٰى . وَلَعَلَّ ذٰلِكَ حَصَلَ مِنْ جَانِبِ الْمُؤَلِّفِ (رضي الله عنه) . . واللهُ أَعْلَمُ . . الْمُتَرْجِمُ ، (رحمه الله) . .

وَدَسَاتِيرِهِمُ الْكُفْرِيَّة، بِدَرْسِ الْقُرْآنِ كُلَّ وَقْتٍ ؛ مَعَ أَنَّهَا لَا تَمَسُّهُمْ بِمَحَاكِمِهَا ؛ وَإِنَّ الْمُخَالِفِينَ الأَشِدَّاءَ فِي كُلِّ حُكُومَةٍ، لَا تَمَسُّهُمْ مَحَاكِمُ تِلْكَ الْحُكُومَةِ، فِي نَشْرِ أَفْكَارِهِمْ عَلَناً ؛ مَعَ أَنَّ حُكُومَةَ (إِسْپَارْطَة)، وَمَحْكَمَةَ (دِنِزْلِي)، وَمَحْكَمَةَ (أَنْقَرَة) الْجَزَائِيَّةَ، وَرِئَاسَةَ الدِّيَانَةِ، وَمَحْكَمَةَ التَّمْيِيزِ مَرَّتَيْنِ، بَلْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، دَقَّقُوا تَمَاماً، حَيَاتِي لِمُدَّةِ أَرْبَعِينَ عَاماً، وَكُتُبِي الثَّلَاثِينَ وَالْمِئَةَ، وَرَسَائِلِي وَمُرَاسَلَاتِي الأَشَدَّ تَحْرِيماً ؛ وَأَنَّ جَمِيعَ نُسَخِ «رِسَالَةِ النُّورِ»، الْمُحَرَّمَةِ وَغَيْرِ الْمُحَرَّمَةِ، بَقِيَتْ بِأَيْدِيهِمْ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ ؛ وَلَمْ يُظْهِرُوا مَادَّةً وَاحِدَةً تُوجِبُ جَزَاءَةً صَغِيرَةً ؛ وَقَدْ أَثْبَتَتْ بَرَاءَتَنَا، دِفَاعَاتُنَا الأَرْبَعُمِئَةِ صَحِيفَةٍ، وَمَا بِأَيْدِيكُمْ مِنْ مَجْمُوعَاتِ «رِسَالَةِ النُّورِ»، الَّتِي أَظْهَرَتْ نَفْسَهَا مُرْشِداً أَقْوَى وَأَحْكَمَ وَأَحَقَّ، فِي مَصْلَحَةِ الْوَطَنِ وَالأُمَّةِ وَالأَمْنِ، لِلتَّلَامِذَةِ الْحَقِيقِيِّينَ وَالْفِدَائِيِّينَ الْمِئَتَيْ أَلْفٍ ؛ مَعَ ضَعْفِي وَذُلِّي وَانْهِزَامِي وَشَرَائِطِي الثَّقِيلَةِ بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ ؛ فَبِأَيِّ قَانُونٍ ؛ وَبِأَيِّ وِجْدَانٍ ؛ وَبِأَيَّةِ مَصْلَحَةٍ ؛ وَبِأَيَّةِ جَرِيمَةٍ، تَحْكُمُونَ عَلَيْنَا بِالْجَزَاءِ الثَّقِيلِ، وَبِالإِهَانَاتِ وَالتَّجَارِيدِ الثَّقِيلَةِ جِدّاً ؟. فَسَتُسْأَلُونَ قَطْعاً فِي مَحْكَمَةِ الْحَشْرِ الْكُبْرَى..

﴿الثَّانِيَةُ :﴾ أَنَّ سَبَباً أَبْدَوْهُ لِمُجَازَاتِي، هُوَ تَفْسِيرِيَ الْمُفْحِمُ لَهُمْ، ضِدَّ اعْتِرَاضَاتِ الْحَضَارَةِ عَلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ الصَّرِيحَةِ لِلْغَايَةِ، فِي حَقِّ الْحِجَابِ وَالإِرْثِ، وَذِكْرِ اللهِ، وَتَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ..

إِنَّ هٰذِهِ الْفِقْرَةَ الْقَادِمَةَ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِمَحْكَمَةِ (أَسْكِيشَهِر) قَبْلَ خَمْسَةَ عَشَرَ عَاماً، وَإِلَى (أَنْقَرَة) لِمَحْكَمَةِ التَّمْيِيزِ وَالتَّصْحِيحِ ؛ وَالَّتِي كَتَبَهَا الْقَرَارُ الْمُعَارِضُ لِي، أُكَرِّرُ تِلْكَ الْفِقْرَةَ عَيْنَهَا، شَكْوَى إِلَى الْمَحْكَمَةِ الْكُبْرَى فِي الْحَشْرِ ؛ وَإِيقَاظاً لِهَيْئَةِ أَهْلِ الْمَعَارِفِ الْمُنَوَّرِينَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ وَنَوْعاً مِنْ لَائِحَةِ التَّمْيِيزِ، مَعَ «الْحُجَّةِ الزَّهْرَاءِ»، إِلَى مَحْكَمَةِ التَّمْيِيزِ الَّتِي اسْتَمَعَتْ لِاسْتِمْدَادِنَا بِالْعَدْلِ وَالإِنْصَافِ، فِي بَرَاءَتِنَا مَرَّتَيْنِ، وَلِلْهَيْئَةِ الَّتِي مَا أَنْطَقَتْنِي ؛ وَحَكَمَتْ عَلَيَّ بِالْجَزَاءِ الثَّقِيلِ وَالتَّجْرِيدِ الْمُطْلَقِ سَنَتَيْنِ، وَبِسِجْنِ الْمُرَاقَبَةِ وَالنَّفْيِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ عَامَيْنِ، بِالاتِّهَامِ الْمُغْرِضِ الَّذِي أَثْبَتْنَا وَاحِداً وَثَمَانِينَ خَطَأً لَهُ ؛ وَهِيَ : «وَإِنِّي أَقُولُ لِمَحْكَمَةِ الْعَدْلِيَّةِ :

إِنَّ قَرَاراً بَاطِلاً ، حَكَمَ عَلَى رَجُلٍ فَسَّرَ دُسْتُوراً إِلٰهِيّاً قُدْسِيّاً وَحَقِيقِيّاً ، فِي الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ الثَّلَاثِمِئَةِ وَالْخَمْسِينَ مِلْيُوناً فِي كُلِّ عَصْرٍ ، اسْتِنَاداً إِلَى تَصْدِيقِ وَاتِّفَاقِ ثَلَاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ تَفْسِيرٍ ؛ وَاقْتِدَاءً بِاعْتِقَادِ أَجْدَادِنَا السَّالِفِينَ فِي أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةِ سَنَةٍ ، إِنْ وُجِدَتِ الْعَدَالَةُ فِي وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ فَإِنَّهَا سَتَرُدُّ ذٰلِكَ الْقَرَارَ ؛ وَتَنْقُضُ هٰذَا الْحُكْمَ قَطْعاً» .. هٰكَذَا أَصْرُخُ ؛ فَلْتَسْمَعْهُ آذَانُ هٰذَا الْعَصْرِ الصَّمَّاءُ أَيْضاً .. فَيَا عَجَباً ! أَفَلَا يَخْرُجُ إِنْكَارُ الْإِسْلَامِ ، وَالْإِهَانَةُ لِمِلْيَارٍ مِنْ أَجْدَادِنَا الْأَبْطَالِ الْمُتَدَيِّنِينَ ؛ وَاتِّهَامُ التَّفَاسِيرِ بِالْمَلَايِينِ ، بِجَعْلِ رَجُلٍ مُجْرِماً بِتَفْسِيرِ تِلْكَ الْآيَاتِ ، الَّذِي تَرَكَ السِّيَاسَةَ ؛ وَانْسَحَبَ مِنَ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ؛ وَلَا يَقْبَلُ فِكْراً وَعِلْماً ، قَوَانِينَ قِسْمٍ مِنَ الْأَجَانِبِ ، الَّتِي قُبِلَتْ بِاقْتِضَاءِ بَعْضِ إِلْجَاءَاتِ هٰذَا الزَّمَانِ ؟ .

﴿ اَلثَّالِثَةُ : ﴾ أَنَّ سَبَباً بَيَّنُوهُ لِلْحُكْمِ عَلَيَّ ، هُوَ إِخْلَالُ الْأَمْنِ وَإِفْسَادُ النِّظَامِ ؛ فَإِنَّهُمْ وَضَعُوا الْإِمْكَانَ ، بَلِ الْإِمْكَانَ الْبَعِيدَ ، مَكَانَ الْوُقُوعَاتِ ، بِاحْتِمَالٍ بَعِيدٍ جِدّاً ، وَبِإِمْكَانٍ فِي الْمِئَةِ ، بَلْ فِي الْأَلْفِ ؛ فَأَوَّلُوا بِالْمَعْنَى الْخَاطِئِ ، أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ كَلِمَةً مِنْ مِئَةِ أَلْفِ كَلِمَاتٍ وَجُمَلِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، مِنْ بَعْضِ الرَّسَائِلِ الْمُحَرَّمَةِ ، وَالْمَكْتُوبَاتِ الْخُصُوصِيَّةِ ؛ فَجَعَلُوهَا سَنَداً ؛ فَاتَّهَمُونَا وَجَازَوْنَا ..

وَإِنِّي أُشْهِدُ الْعَارِفِينَ بِحَيَاتِي لِمُدَّةِ هٰذِهِ السِّنِينَ الثَّلَاثِينَ أَوِ الْأَرْبَعِينَ ، وَآلَافَ خَوَاصِّ تَلَامِذَةِ النُّورِ ؛ فَأَقُولُ : إِنَّ الْقَائِدَ الْأَعْلَى الْإِنْكِلِيزِيَّ ، الَّذِي احْتَلَّ (إِسْطَنْبُول) ، لَمَّا أَلْقَى الِاخْتِلَافَ بَيْنَ الْإِسْلَامِ ؛ حَتَّى غَرَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ، وَقِسْماً مِنَ الْعُلَمَاءِ ؛ فَسَاقَ بَعْضَهُمْ ضِدَّ بَعْضٍ ؛ فَمَهَّدَ السَّبِيلَ لِغَلَبَةِ الْيُونَانِ ، وَانْهِزَامِ الْحَرَكَاتِ الْوَطَنِيَّةِ ، بِإِشْغَالِ حِزْبَيِ الِائْتِلَافِيِّينَ وَالِاتِّحَادِيِّينَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ؛ طَبَعْتُ بِغَيْرَةِ «أَشْرَفَ أَدِيبٍ» ، رِسَالَتَيِ «الْخُطُوَاتِ السِّتِّ» ، فَنَشَرْتُهَا ضِدَّ الْإِنْكِلِيزِ وَالْيُونَانِ ؛ فَإِنَّ رَجُلاً الَّذِي نَقَضَ بِذٰلِكَ ، خُطَّةَ ذٰلِكَ الْقَائِدِ الرَّهِيبَةَ ؛ وَالَّذِي لَمْ يَتَرَاجَعْ إِلَى الْوَرَاءِ ، تُجَاهَ تَهْدِيدِ إِعْدَامِهِ ؛ وَلَمْ يَفِرَّ إِلَى (أَنْقَرَة) ؛ مَعَ أَنَّ رُؤَسَاءَ (أَنْقَرَة) اسْتَدْعَوْهُ لِأَجْلِ خِدْمَتِهِ تِلْكَ ، وَالَّذِي لَمْ يَهْتَمَّ فِي الْأَسْرِ بِقَرَارِ إِعْدَامِ الْقَائِدِ الْأَعْلَى الرُّوسِيِّ ، وَالَّذِي أَجْبَرَ ثَمَانِيَ كَتَائِبَ عَلَى الْإِطَاعَةِ ، بِخَطَابَةٍ وَاحِدَةٍ ، فِي حَادِثَةِ الْحَادِي وَالثَّلَاثِينَ مِنْ

«مَارِس» ؛ وَالَّذِي لَمْ يَدْفَعْ قِيمَةَ خَمْسَةِ دَرَاهِمَ لِلإِعْدَامِ ، تِجَاهَ أَسْئِلَةِ الْبَاشَوَاتِ فِي الْمَحْكَمَةِ فِي دِيوَانِ الْحَرْبِ الْعُرْفِيِّ ، بِقَوْلِهِمْ : «هَلْ أَنْتَ أَيْضاً رَجْعِيٌّ ؛ فَطَلَبْتَ الشَّرِيعَةَ ؟» ؛ فَقَالَ إِجَابَةً عَلَيْهِ : «إِنْ كَانَتِ الْمَشْرُوطِيَّةُ عِبَارَةً عَنِ اسْتِبْدَادِ حِزْبٍ وَاحِدٍ ؛ فَلْيَشْهَدِ الْجِنُّ وَالإِنْسُ كُلُّهُمْ ، أَنِّي رَجْعِيٌّ ؛ وَأَنَا مُسْتَعِدٌّ لِلافْتِدَاءِ بِرُوحِي لِمَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الشَّرِيعَةِ» ؛ وَالَّذِي سَاقَ أُولائِكَ الضُّبَّاطَ الْكِبَارَ إِلَى التَّقْدِيرِ بِالْحَيْرَةِ ؛ فَقَدَّمُوا الْقَرَارَ بِبَرَاءَتِهِ ؛ وَهُوَ يَنْتَظِرُ إِعْدَامَهُ ؛ فَلَمْ يَشْكُرْهُمْ وَهُوَ عَائِدٌ خُلِّيَ سَبِيلُهُ ؛ فَصَرَخَ فِي الطَّرِيقِ قَائِلاً : فَلْتَعِشْ جَهَنَّمُ لِلظَّالِمِينَ ؛ وَالَّذِي قَالَ لَهُ «مُصْطَفَى كَمَالٌ» بِالْغَضَبِ ، فِي دِيوَانِ الرِّئَاسَةِ فِي (أَنْقَرَة) ، كَمَا كَتَبَ قَرَارَ مَحْكَمَةِ (أَفْيُون) : نَحْنُ اسْتَدْعَيْنَاكَ إِلَى هُنَا ، لِتُبَيِّنَ لَنَا أَفْكَاراً عَالِيَةً ؛ فَأَنْتَ أَتَيْتَ ؛ فَكَتَبْتَ أُمُوراً عَائِدَةً إِلَى الصَّلاةِ ؛ فَأَوْقَعْتَ الاخْتِلافَ بَيْنَنَا ؛ فَذَكَرَ فِي حُضُورِ أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ نَائِباً ، قَائِلاً ضِدَّهُ : «إِنَّ الأَعْلَى بَعْدَ الإِيمَانِ ، هُوَ الصَّلاةُ ؛ فَتَارِكُ الصَّلاةِ خَائِنٌ ؛ وَالْخَائِنُ مَرْدُودُ الْحُكْمِ» ؛ وَالَّذِي قَدَّمَ لَهُ ذٰلِكَ الْقَائِدُ الْمُدْهِشُ نَوْعاً مِنَ الإِرْضَاءِ ؛ فَاسْتَرَدَّ غَضَبَهُ ؛ وَالَّذِي لَمْ تُسَجَّلْ لَهُ مَادَّةٌ وَاحِدَةٌ حَوْلَ إِخْلالِ الأَمْنِ ، حَسَبَ الْحُكُومَةِ ، وَحَسَبَ شُرْطَةِ سِتِّ وِلايَاتٍ ؛ وَالَّذِي لَمْ تُشَاهَدْ أَيَّةُ وُقُوعَاتِ مِئَاتِ آلافِ تَلامِذَتِهِ النُّورِيِّينَ ؛ وَلَمْ تُسْمَعْ جِنَايَةٌ مِنْ أَيِّ وَاحِدٍ مِنْ تَلامِذَتِهِ ، غَيْرُ وَاقِعَةٍ صَغِيرَةٍ لِتِلْمِيذٍ صَغِيرٍ فَقَطْ ، فِي دِفَاعٍ مُحِقٍّ ؛ وَالَّذِي دَخَلَ أَيَّ سِجْنٍ ؛ أَصْلَحَ أُولآئِكَ الْمَسْجُونِينَ ؛ وَالَّذِي أَثْبَتَ بِشَهَادَةِ حَيَاتِهِ مُدَّةَ ثَلاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَتَبْرِئَةِ ثَلاثِ مَحَاكِمَ وَحُكُومَاتٍ ، وَتَصْدِيقِ مِئَةِ أَلْفٍ مِنْ تَلامِذَتِهِ قَوْلاً وَفِعْلاً ، الْعَارِفِينَ بِقِيمَةِ النُّورِ : أَنَّهُ لَمْ تَحْدُثْ أَيَّةُ أَضْرَارٍ ، لِمِئَاتِ آلافِ النُّسَخِ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، مَا عَدَا الْمَنْفَعَةَ ، مَعَ انْتِشَارِهَا فِي الْوَطَنِ ؛ وَهُوَ مُنْزَوٍ وَمُتَجَرِّدٌ ، وَغَرِيبٌ وَهَرِمٌ وَفَقِيرٌ ؛ وَيَرَى نَفْسَهُ فِي بَابِ الْقَبْرِ ؛ وَالَّذِي تَرَكَ الأَشْيَاءَ الْفَانِيَةَ ، بِكُلِّ قُوَّتِهِ وَقَنَاعَتِهِ ؛ فَيَطْلُبُ كَفَّارَةً لِخَطَايَاهُ الْقَدِيمَةِ ، وَمَدَاراً لِحَيَاتِهِ الْبَاقِيَةِ ؛ وَالَّذِي لا يَهْتَمُّ بِرُتَبِ الدُّنْيَا أَصْلاً ؛ وَلَمْ يَدْعُ مِنْ شِدَّةِ شَفَقَتِهِ ، عَلَى الَّذِينَ عَذَّبُوهُ وَظَلَمُوهُ ؛ كَيْلا يَرِدَ الضَّرَرُ عَلَى الأَبْرِيَاءِ وَالْكُهُولِ ؛ فَالَّذِينَ يَحْكُمُونَ عَلَى مِثْلِ هٰذَا الرَّجُلِ ، تَحْتَ شَرَائِطَ ثَقِيلَةٍ ؛ وَيَقُولُونَ فِي حَقِّهِ : إِنَّ هٰذَا الْهَرِمَ الْمُنْزَوِيَ يُفْسِدُ النِّظَامَ ؛ وَيُخِلُّ

بِالْأَمْنِ ؛ وَإِنَّ مَقْصَدَهُ هُوَ دَسَائِسُ الدُّنْيَا ؛ وَمُرَاسَلاتِهِ هِيَ لِأَجْلِ الدُّنْيَا ؛ فَإِذاً هُوَ مُجْرِمٌ ؛ فَلا رَيْبَ أَنَّهُمْ مُجْرِمُونَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ ؛ فَسَيَدْفَعُونَ حِسَابَهُ فِي الْمَحْكَمَةِ الْكُبْرَى . .

فَيَا عَجَباً ! إِنَّ رَجُلاً الَّذِي سَخَّرَ بِخَطَابَةٍ وَاحِدَةٍ ، ثَمَانِيَ كَتَائِبَ عَصَتْ ؛ وَالَّذِي جَعَلَ آلَافَ الرِّجَالِ مُوَالِينَ لَهُ ، بِمَقَالَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَالَّذِي لَمْ يَخْشَ فَلَمْ يَتَمَلَّقْ أَمَامَ الْقَادَةِ الْمُدْهِشَةِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ ؛ وَالَّذِي قَالَ فِي الْمَحَاكِمِ : «إِنْ كَانَتْ لِي رُؤُوسٌ ، عَدَدَ مَا فِي رَأْسِي مِنْ أَشْعَارِي ؛ وَقُطِعَ كُلَّ يَوْمٍ ، وَاحِدٌ مِنْهَا ؛ فَلَا أُسَلِّمُ السِّلَاحَ إِلَى الزَّنْدَقَةِ وَالضَّلَالَةِ ؛ وَلَا أَخْتَانُ الْوَطَنَ وَالشَّعْبَ وَالْإِسْلَامَ ؛ وَلَا أُطَأْطِئُ لِلظَّالِمِينَ ، رَأْسِي هٰذَا الْفِدَاءَ لِحَقِيقَةِ الْقُرْآنِ» ؛ وَالَّذِي لَمْ يَكُنْ ذَا عَلَاقَةٍ بِأَحَدٍ سِوَى ثَلَاثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةِ خُدَّامٍ ، وَخَمْسَةٍ أَوْ عَشَرَةٍ مِنْ إِخْوَانِهِ الْأُخْرَوِيِّينَ فِي (أَمِرْ دَاغِي) ؛ فَالَّذِينَ يَقُولُونَ فِي حَقِّ مِثْلِ هٰذَا الرَّجُلِ : إِنَّ فِي مَلَفِّ الاتِّهَامِ : «أَنَّ هٰذَا «السَّعِيدَ» اجْتَهَدَ سِرّاً فِي (أَمِرْ دَاغِي) ؛ فَسَمَّمَ قِسْماً مِنَ النَّاسِ هُنَاكَ ، بِفِكْرِ الْإِضْرَارِ بِالْأَمْنِ ؛ وَأَنَّ مِقْدَارَ عِشْرِينَ رَجُلاً يَمْدَحُونَهُ ؛ فَيَكْتُبُونَ رَسَائِلَ خُصُوصِيَّةً فِي النَّوَاحِي» ؛ فَيَدُلُّ ذٰلِكَ عَلَى أَنَّ ذٰلِكَ الرَّجُلَ يُدِيرُ سِيَاسَةً سِرِّيَّةً ، ضِدَّ الانْقِلَابِ وَالْحُكُومَةِ ؛ فَيُعَذِّبُونَهُ بِإِقْحَامِهِ فِي السِّجْنِ عَامَيْنِ ، وَبِالتَّجْرِيدِ الْمُطْلَقِ فِي السِّجْنِ ، وَبِعَدَمِ الْإِنْطَاقِ فِي الْمَحْكَمَةِ ، مَعَ إِهَانَاتٍ وَعَدَاوَةٍ لَا مِثْلَ لَهَا ؛ فَأُحِيلُ عَلَى وِجْدَانِهِمْ ، مَدَى وُقُوعِهِمْ بَعِيدِينَ عَنِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ . . فَهَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ لِرَجُلٍ مَظْهَرٍ لِمِثْلِ تَوَجُّهِ الْعَامَّةِ هٰذَا ، الزَّائِدِ عَنْ حَدِّهِ مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ وَالَّذِي سَخَّرَ آلَافَ الرِّجَالِ بِخَطَابَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَالَّذِي أَلْحَقَ بِجَمْعِيَّةِ «الِاتِّحَادِ الْمُحَمَّدِيِّ» النَّاسَ بِالْآلَافِ ، بِمَقَالَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَالَّذِي أَسْمَعَ خَمْسِينَ أَلْفَ إِنْسَانٍ ، كَلَامَهُ مَعَ التَّقْدِيرِ ، فِي جَامِعِ (أَيَا صُوفِيَا) : أَنْ يَسْعَى ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ فِي (أَمِرْ دَاغِي) ؛ فَيُقْنِعَ خَمْسَةً أَوْ عَشَرَةَ رِجَالٍ ؛ وَأَنْ يَتْرُكَ أَمْرَ الْآخِرَةِ ؛ فَيَشْتَغِلَ بِدَسَائِسِ السِّيَاسَةِ ؛ فَيَمْلَأَ قَبْرَهُ الْمُقْتَرِبَ هُوَ مِنْهُ ، ظُلُمَاتٍ لَا لُزُومَ لَهَا ، مَكَانَ الْأَنْوَارِ ؛ فَهَلْ ذٰلِكَ مُمْكِنٌ ؟ . فَإِنَّ الشَّيْطَانَ أَيْضاً ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجْبِرَ أَحَداً عَلَى الْقَبُولِ بِهٰذَا . .

﴿ اَلرَّابِعَةُ : ﴾ هِيَ إِبَانَتُهُمْ عَدَمَ مُلَابَسَتِي لِلْقُبَّعَةِ ، سَبَباً أَهَمَّ لِلْحُكْمِ عَلَيَّ ؛ فَلَمْ

يَسْتَنْطِقُونِي . وَإِلَّا لَقُلْتُ لِلسَّاعِينَ لِمُجَازَاتِي : إِنِّي بَقِيتُ ضَيْفاً فِي مَخْفَرِ الشُّرْطَةِ وَرُؤَسَائِهَا فِي (قَسْطَمُونِي) ، ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ؛ فَلَمْ يَقُولُوا لِي أَيَّ وَقْتٍ : ضَعِ الْقُبَّعَةَ عَلَىٰ رَأْسِكَ ؛ وَإِنِّي لَمْ أَضَعِ الْقُبَّعَةَ عَلَىٰ رَأْسِي ، فِي ثَلَاثِ مَحَاكِمَ ؛ وَلَمْ أَكْشِفْ عَنْ رَأْسِي فِي الْمَحْكَمَةِ ؛ فَلَمْ يَمَسُّونِي ؛ وَإِنَّ بَعْضَ الظَّالِمِينَ الْمُلْحِدِينَ ، حَمَّلُونِي نَوْعاً ثَقِيلاً مِنَ الْجَزَاءِ ، وَمُضَايَقَاتٍ كَثِيرَةً غَيْرَ رَسْمِيَّةٍ ، بِتِلْكَ الذَّرِيعَةِ ، ثَلَاثاً وَعِشْرِينَ سَنَةً ؛ وَإِنَّ الصِّبْيَانَ وَالنِّسْوَانَ ، وَأَكْثَرَ الْقَرَوِيِّينَ ، وَالْمُوَظَّفِينَ فِي الدَّوَائِرِ ، وَلَابِسِي الْقَلَنْسُوَةِ ، لَيْسُوا مُجْبَرِينَ عَلَىٰ لُبْسِ الْقُبَّعَةِ ؛ وَلَا تُوجَدُ أَيَّةُ مَصْلَحَةٍ مَادِّيَّةٍ فِي لُبْسِهَا ؛ مَعَ أَنِّي قَاسَيْتُ الْجَزَاءَ عِشْرِينَ عَاماً ، بِعِلَاوَةِ الِافْتِرَاءَاتِ ، وَبِذَرِيعَةِ عَدَمِ لُبْسِي لِقَلَنْسُوَةٍ حَظَرَهَا جَمِيعُ الْمُجْتَهِدِينَ ، وَعُمُومُ شُيُوخِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَنَّ الَّذِي يَسْعَىٰ ثَانِياً لِمُجَازَاةِ مُنْزَوٍ مِثْلِي ، بِعَادَةٍ عَائِدَةٍ إِلَى اللِّبَاسِ لَا مَعْنَىٰ لَهَا ؛ وَيَقِيسُ عَلَىٰ نَفْسِهِ تَارِكِي الصَّلَاةِ ، وَشَارِبِي الْخَمْرِ فِي رَمَضَانَ فِي الشَّارِعِ ؛ فَلَا يَمَسُّهُمْ زَاعِماً أَنَّهُ تُوجَدُ الْحُرِّيَّةُ الشَّخْصِيَّةُ ؛ مَعَ أَنَّهُ يَجْهَدُ بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الشِّدَّةِ وَالتَّكْرَارِ وَالْإِصْرَارِ ، لِمُجَازَاتِي لِأَجْلِ زِيٍّ لِي ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَلْقَىٰ إِعْدَامَ الْمَوْتِ الْأَبَدِيِّ ، وَسِجْنَ الْقَبْرِ الْمُفْرَدَ الدَّائِمَ ؛ ثُمَّ لَيُسْأَلَنَّ عَنْ خَطَئِهِ هٰذَا ، فِي الْمَحْكَمَةِ الْكُبْرَىٰ . .

﴿ اَلْخَامِسَةُ : ﴾ أَنَّهُمْ صَارُوا سَبَباً لِمُصَادَرَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ــ الَّتِي فَازَتْ بِمَظْهَرِيَّتِهَا لِإِشَارَاتِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الثَّلَاثِ وَالثَّلَاثِينَ عَلَىٰ وَجْهِ التَّحْسِينِ ؛ وَبِتَقْدِيرِ الْأَوْلِيَاءِ ، مِثْلِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ (كرم الله وجهه) ، وَالْغَوْثِ الْأَعْظَمِ (قدس سره) ؛ وَبِتَصْدِيقِ مِئَةِ أَلْفٍ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ ؛ وَبِمَرْتَبَةٍ نَافِعَةٍ كَثِيراً جِدّاً بِدُونِ ضَرَرٍ ، لِلْأُمَّةِ وَالْوَطَنِ فِي عِشْرِينَ عَاماً ــ وَلِمُصَادَرَةِ بَعْضِ رَسَائِلِهَا ، بِذَرَائِعَ مِثْلِ جَنَاحِ الذُّبَابِ ، بَلْ وَلِمُصَادَرَةِ «ذِي الْفِقَارِ مَجْمُوعَةِ الْمُعْجِزَاتِ» ، تِلْكَ الْمَجْمُوعَةِ الْقَيِّمَةِ وَالنَّافِعَةِ كَثِيراً جِدّاً ، الَّتِي أَنْقَذَتْ وَأَحْكَمَتْ إِيمَانَ مِئَةِ أَلْفِ إِنْسَانٍ ؛ وَهِيَ أَرْبَعُمِئَةِ صَحِيفَةٍ ، بِذَرِيعَةِ صَحِيفَتَيْنِ مِنْهَا حَوْلَ تَفْسِيرِ آيَتَيْنِ تَفْسِيراً مُحِقّاً تَمَاماً ، كُتِبَ مُنْذُ الْقَدِيمِ ؛ وَلَقِيَ مُرُورَ الزَّمَانِ ، وَقَوَانِينَ الْعَفْوِ ؛ كَمَا أَنَّ مَنْ سَمِعَ هٰذَا الِادِّعَاءَ الثَّالِثَ ؛ وَرَأَى الْقَرَارَ الَّذِي نَشَرْنَاهُ ، يُصَدِّقُ : أَنَّهُ يُسْعَى الْآنَ أَيْضاً ، لِمُصَادَرَةِ «رَسَائِلِ النُّورِ» الْقَيِّمَةِ ، بِالتَّأْوِيلِ الْخَاطِئِ

لِكَلِمَةٍ أَوْ كَلِمَتَيْنِ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا، بَيْنَ أَلْفِ كَلِمَةٍ لِتِلْكَ الرِّسَالَةِ ذَاتِ الْمَنَافِعِ الْأَلْفِ.. وَنَحْنُ نَقُولُ: ﴿لِكُلِّ مُصِيبَةٍ إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.. حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾..

﴿ اَلسَّادِسَةُ: ﴾ إِنَّ الَّذِي يُعْلِنُنِي مُجْرِماً بِامْتِدَاحِ الْبَعْضِ مِنْ تَلَامِذَةِ النُّورِ، امْتِدَاحاً مُفْرِطاً مَعَ زِيَادَةِ حُسْنِ الظَّنِّ، مِنْ قَبِيلِ نَوْعٍ مَّا مِنَ التَّشْوِيقِ وَالتَّهْنِئَةِ وَمِنَ التَّقْدِيرِ وَالتَّحِيَّةِ، لِتَرْجُمَانِهِ الْبَائِسِ هٰذَا، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ شَاهَدُوا فِي الْأَنْوَارِ حُجَجَ الْإِيمَانِ فَوْقَ الْعَادَةِ، وَالْعُلُومَ الْإِيمَانِيَّةَ بِعَيْنِ الْيَقِينِ الَّذِي لَا يَتَزَلْزَلُ؛ فَاسْتَفَادُوا مِنْهَا، أَقُولُ لَهُ: إِنِّي لَمَّا وَجَدْتُ لِعِلَلِي الْعِلَاجَ الْمُتَكَامِلَ، مِنْ أَدْوِيَةِ الْقُرْآنِ، وَمِنْ حَقَائِقِهِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْقُدُسِيَّةِ، أَثْنَاءَ حَالَةِ تَوْحِيشِ النَّاسِ عَنِّي، بِالدِّعَايَةِ ضِدِّي؛ وَأَنَا عَاجِزٌ وَضَعِيفٌ وَفِي الْغُرْبَةِ، وَمَنْفِيٌّ وَنِصْفُ أُمِّيٍّ؛ سَطَرْتُ تِلْكَ الْحَقَائِقَ الْقَيِّمَةَ بِالْقَلَمِ؛ لِأَنِّي اقْتَنَعْتُ أَنَّهَا تَكُونُ عِلَاجاً تَامّاً لِهٰذِهِ الْأُمَّةِ، وَلِأَوْلَادِ هٰذَا الْوَطَنِ أَيْضاً؛ فَبَيْنَمَا كُنْتُ مُحْتَاجاً كَثِيراً جِدّاً إِلَى الْأَعْوَانِ، مِنْ كَوْنِ خَطِّي نَاقِصاً جِدّاً، مَنَحَتْنِي الْعِنَايَةُ الْإِلٰهِيَّةُ أَعْوَاناً صَادِقِينَ، وَخَوَاصّاً وَمَتِينِينَ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّ رَدِّي كُلِّيّاً لِحُسْنِ ظَنِّهِمْ وَلِمَدْحِهِمُ الصَّمِيمِ؛ وَنَقْضَ أَقْدَارِهِمْ بِالتَّكْدِيرِ، يَصِيرُ فِي حُكْمِ إِهَانَةٍ وَعَدَاوَةٍ لِلْأَنْوَارِ الْمَأْخُوذَةِ مِنْ تِلْكَ الْخَزِينَةِ الْقُرْآنِيَّةِ؛ وَيُهَرِّبُ أُولَائِكَ الْأَعْوَانَ، أَصْحَابَ الْأَقْلَامِ الْأَلْمَاسِيَّةِ، وَذَوِي الْقُلُوبِ الْبَاسِلَةِ؛ هٰكَذَا كُنْتُ أُؤَوِّلُ مَدْحَهُمْ وَثَنَاءَهُمْ عَلَى شَخْصِيَ الْعَادِيِّ وَالْمُفْلِسِ، إِلَى «رِسَالَةِ النُّورِ» الَّتِي هِيَ مُعْجِزَةٌ قُرْآنِيَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ، وَصَاحِبُ الْمَالِ أَصَالَةً؛ وَإِلَى الشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ لِتَلَامِذَتِهَا الْخَوَاصِّ؛ وَكُنْتُ أَنْقُضُ أَقْدَارَهُمْ فِي جِهَةٍ مَّا، قَائِلاً: إِنَّكُمْ تَدْفَعُونَ الْحِصَّةَ أَزْيَدَ مِنْ حَدِّي مِئَةَ دَرَجَةٍ.. فَيَا عَجَباً! هَلْ يَجْعَلُ أَيُّ قَانُونٍ، رَجُلاً مُسْتَنْكِفاً وَغَيْرَ رَاضٍ، مُجْرِماً بِامْتِدَاحِ غَيْرِهِ إِيَّاهُ؟ فَيَجْعَلُنِي الْمُوَظَّفُ الرَّسْمِيُّ الْمُتَحَرِّكُ بِاسْمِ الْقَانُونِ مُجْرِماً..

وَأَيْضاً إِنَّهُمْ كَتَبُوا فِي الْقَرَارِ الَّذِي نَشَرْنَاهُ، الْمَكْتُوبِ ضِدَّنَا، فِي صَحِيفَتِهِ الرَّابِعَةِ وَالْخَمْسِينَ: أَنَّهُ قِيلَ: «إِنَّ شَخْصَ آخِرِ الزَّمَانِ، ذٰلِكَ الشَّخْصَ الْعَظِيمَ، يَكُونُ مِنْ آلِ الْبَيْتِ نَسْلاً؛ وَنَحْنُ تَلَامِذَةَ النُّورِ، إِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ نُعَدَّ مِنْ آلِ الْبَيْتِ الْمَعْنَوِيِّ. وَأَيْضاً لَا تَصْلُحُ الْأَنَانِيَّةُ وَالشَّخْصِيَّةُ، وَتَمَنِّي الْمَقَامَاتِ الشَّخْصِيَّةِ، وَتَحْصِيلُ الشَّأْنِ وَالشَّرَفِ، فِي

مَسْلَكِ النُّورِ، فِي أَيِّ جِهَةٍ. فَإِنْ أُعْطِيتُ الْمَقَامَاتِ الْأُخْرَوِيَّةَ أَيْضاً؛ فَإِنِّي أَعْلَمُ نَفْسِي مُضْطَرَّةً لِلتَّرْكِ؛ لِئَلَّا تُفْسِدَ مَا فِي النُّورِ مِنَ الْإِخْلَاصِ» . .

وَأَيْضاً إِنَّ الْقَرَارَ كَتَبَ فِي الصَّحِيفَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ وَالْعِشْرِينَ فِي الْقَرَارِ، فِقْرَةَ: «إِنِّي أَرَى نَفْسِي أَزْيَدَ بَأْساً وَعَجْزاً وَتَقْصِيراً مِنْ كُلِّ أَحَدٍ. بِتِلْكَ الشَّخْصِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَنْ تَعْرِفَ تَقْصِيرَهَا؛ وَتَفْهَمَ فَقْرَهَا وَعَجْزَهَا؛ وَأَنْ تَلْتَجِئَ إِلَى الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ بِالتَّذَلُّلِ؛ فَإِنْ مَدَحَنِي جَمِيعُ النَّاسِ وَأَثْنَوْا عَلَيَّ فِي تِلْكَ الْحَالِ، لَا يُقْنِعُونَنِي بِأَنِّي فَاضِلٌ وَصَاحِبُ كَمَالٍ. وَإِنِّي لَنْ أَذْكُرَ سُوءَ أَحْوَالِ شَخْصِيَّتِي الْحَقِيقِيَّةِ الثَّالِثَةِ، وَسَيِّئَاتِهَا الْكَثِيرَةَ الْخَفِيَّةَ؛ لِئَلَّا أُوحِشَكُمْ كُلِّيّاً. وَإِنَّ الْحَقَّ تَعَالَى يَسْتَخْدِمُ بِعِنَايَتِهِ، شَخْصِي هٰذَا الشَّبِيهَ بِأَدْنَى مُجَنَّدٍ، فِي الْأَسْرَارِ الْقُرْآنِيَّةِ؛ فَلَهُ مِئَةُ أَلْفِ شُكْرٍ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ أَدْنَى مِنَ الْجَمِيعِ؛ وَالْوَظِيفَةَ أَعْلَى مِنَ الْجَمِيعِ» . فَمَعَ ذٰلِكَ؛ فَالَّذِينَ يُطْلِقُونَ عَلَيَّ وَصْفَ مَهْدِيٍّ عَظِيمٍ، بِمَعْنَى «رِسَالَةِ النُّورِ»؛ فَيَجْعَلُونَنِي مُجْرِماً، بِامْتِدَاحِ فُضَلَاءَ آخَرِينَ إِيَّايَ؛ فَإِنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ مُقَاسَاةَ جَزَاءِ خَطَئِهِمْ هٰذَا، مُقَاسَاةً رَهِيبَةً . .

﴿السَّابِعَةُ:﴾ أَنَّنَا وَجَمِيعَ رَسَائِلِ النُّورِ، تَبَرَّأْنَا بِاتِّفَاقِ مَحَاكِمِ (دَنِزْلِي) وَ (أَنْقَرَةَ) الْعُلْيَا الْجَزَائِيَّةِ، وَمَحَاكِمِ التَّمْيِيزِ؛ وَأَنَّهُمْ أَعَادُوا إِلَيْنَا جَمِيعَ رَسَائِلِنَا وَمُرَاسَلَاتِنَا؛ وَقَالُوا فِي قَرَارِ نَقْضِ التَّمْيِيزِ: إِنْ وُجِدَ خَطَأٌ أَيْضاً بِالِافْتِرَاضِ، فِي بَرَاءَةِ (دَنِزْلِي)؛ فَإِنَّ تِلْكَ الْبَرَاءَةَ وَالْحُكْمَ اكْتَسَبَتِ الْقَطْعَ، فَلَا يُحَاكَمُ مَرَّةً أُخْرَى؛ مَعَ أَنِّي رَجُلٌ يَعِيشُ مُنْزَوِياً ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ فِي (أَمِرْ دَاغِي)؛ وَيَخْدُمُهُ بِالتَّنَاوُبِ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ مِنْ عُمَّالِ الْخَيَّاطِ؛ وَلَا يَتَكَلَّمُ بِدُونِ الضَّرُورَةِ إِلَّا مَعَ بَعْضِ فُضَلَاءَ مُتَدَيِّنِينَ، خَمْسَ أَوْ عَشْرَ دَقَائِقَ، وَذٰلِكَ نَادِرٌ جِدّاً؛ وَلَا يُرْسِلُ إِلَّا رِسَالَةً وَاحِدَةً فِي الْأُسْبُوعِ، إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ فَقَطْ، لِلتَّشْوِيقِ إِلَى الْأَنْوَارِ؛ وَلَمْ يَكْتُبْ إِلَى شَقِيقِهِ الْمُفْتِي فِي ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ، غَيْرَ ثَلَاثِ رَسَائِلَ؛ وَتَرَكَ تَأْلِيفَهُ الَّذِي كَانَ يَدُومُ مُنْذُ عِشْرِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ عَاماً؛ فَلَمْ يُؤَلِّفْ أَيَّةَ رِسَالَةٍ بَعْدُ، سِوَى بَعْضِ مَسَائِلَ فَقَطْ، هِيَ نُكْتَتَانِ بِقَدَرِ عِشْرِينَ صَحِيفَةً نَافِعَةً لِجَمِيعِ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ، إِحْدَاهُمَا تُبَيِّنُ حِكْمَةَ

مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ التَّكْرَارَاتِ ؛ وَالْأُخْرى فِي حَقِّ الْمَلائِكَةِ ؛ وَإِنَّمَا أَذِنْتُ لِإِخْوَانِي بِجَعْلِ مَا أَعَادَتْهُ الْمَحَاكِمُ مِنَ الرَّسَائِلِ ، مَجْمُوعَاتٍ كَبِيرَةً ، وَبِتَكْثِيرِهَا لِأَجْلِ النَّشْرِ ، بِنِيَّةِ اسْتِفَادَةِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ لِأَنَّ جِهَازَ التَّكْثِيرِ لَيْسَ مَحْظُوراً رَسْماً ؛ وَلِأَنَّ خَمْسَمِئَةِ نُسْخَةٍ مِنَ «الْآيَةِ الْكُبْرَى» الْمَطْبُوعَةِ بِالْحُرُوفِ الْقَدِيمَةِ ، سُلِّمَتْ إِلَيْنَا مِنْ جَانِبِ الْمَحْكَمَةِ ؛ فَيَشْتَغِلُ بِتَصْحِيحِهَا ؛ وَلَيْسَ ذَا عَلَاقَةٍ بِأَيَّةِ سِيَاسَةٍ قَطْعاً ؛ وَأُعْطِيَ الْإِذْنَ رَسْماً لِلذَّهَابِ إِلَى وَطَنِهِ ؛ مَعَ أَنَّهُ قَبِلَ غُرْبَةً مُضَايِقَةً ؛ فَلَمْ يَذْهَبْ إِلَى وَطَنِهِ ، مُخَالِفاً لِجَمِيعِ الْمَنْفِيِّينَ ؛ لِئَلَّا يُخَالِطَ الدُّنْيَا وَالسِّيَاسَةَ ؛ فَالَّذِي يَسْعَى فِي حَقِّ ذٰلِكَ الرَّجُلِ ، لِيَجْعَلَهُ مُجْرِماً ، بِإِسْنَادَاتٍ بِلَا أَصْلٍ ، وَبِأَبْحَاثٍ كَاذِبَةٍ ، وَبِمَعَانٍ خَاطِئَةٍ ، فِي هٰذَا الِاتِّهَامِ الثَّالِثِ ، تُثْبِتُ مُعَامَلَتُهُ ضِدِّي ، فِي هٰذِهِ الشُّهُورِ الْعِشْرِينَ : أَنَّهُ يَحْكُمُ فِيهِ مَعْنَيَانِ رَهِيبَانِ ــ لَا أَذْكُرُهُمَا الْآنَ ــ . وَأَنَا أَقُولُ : كَفَى الْقَبْرُ وَسَقَرُ ؛ فَأُحِيلُ عَلَى الْمَحْكَمَةِ الْكُبْرَى . .

﴿ اَلثَّامِنَةُ : ﴾ أَنَّ هٰذِهِ الرِّسَالَةَ ، «الشُّعَاعَ الْخَامِسَ» ، أَعَادُوهَا إِلَيْنَا ، بَعْدَمَا بَقِيَتْ بِأَيْدِي مَحَاكِمِ (دَنِزْلِي) وَ (أَنْقَرَة) سَنَتَيْنِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ كُتِبَتْ فِي آخِرِ مَجْمُوعَةِ «سِرَاجِ النُّورِ» الْكَبِيرَةِ ، مَعَ دِفَاعَاتِي الَّتِي أَنْتَجَتْ بَرَاءَتَنَا فِي مَحْكَمَةِ (دَنِزْلِي) ؛ فَإِنَّهَا وَإِنْ كُنَّا نَتَّخِذُهَا مُحَرَّمَةً ؛ وَلٰكِنْ إِذَا كَانَتِ الْمَحَاكِمُ شَهَّرَتْهَا ؛ فَأَعَادَتْهَا إِلَيْنَا بِالْبَرَاءَةِ ؛ فَإِذاً لَيْسَ لَهَا ضَرَرٌ ؛ فَأَذِنْتُ بِتَكْثِيرِهَا . وَإِنَّ أَصْلَ ذٰلِكَ «الشُّعَاعِ الْخَامِسِ» ، أَحَادِيثُ مُتَشَابِهَةٌ كُتِبَتْ قَبْلَ ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ؛ وَلٰكِنَّهَا وَإِنْ أَسْنَدَ بَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، ضَعْفاً مَا ، إِلَى قِسْمٍ مِنْهَا انْتَشَرَ مُنْذُ الْقَدِيمِ فِي الْأُمَّةِ ؛ إِلَّا أَنَّ مَعَانِيَهَا الظَّاهِرِيَّةَ صَارَتْ مَدَارَ الِاعْتِرَاضِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ كُتِبَتْ لِمَحْضِ إِنْقَاذِ أَهْلِ الْإِيمَانِ مِنَ الشُّبُهَاتِ ؛ مَعَ أَنَّ قِسْماً مِنْ تَأْوِيلَاتِهَا الْخَارِقَةِ ، تَرَاءَى لِلْأَنْظَارِ بَعْدَ زَمَنٍ ؛ فَلِذٰلِكَ اتَّخَذْنَاهَا مُحَرَّمَةً ؛ كَيْلَا تُفَسَّرَ خَطَأً ؛ ثُمَّ دَقَّقَتْهَا مَحَاكِمُ مُتَعَدِّدَةٌ ؛ فَأَعَادَتْهَا إِلَيْنَا ، مَعَ صَيْرُورَتِهَا سَبَباً لِتَشْهِيرِهَا ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ فَإِنَّ جَعْلِي مُجْرِماً بِهَا الْآنَ ثَانِياً ، كَمْ يَكُونُ بَعِيداً عَنِ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ وَالْإِنْصَافِ ؟ . فَنُحِيلُ ذٰلِكَ عَلَى وِجْدَانِ الَّذِينَ جَعَلُونَا مَحْكُومِينَ بِالْقَنَاعَةِ الْوِجْدَانِيَّةِ ؛ فَنَقُولُ : ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ . .

﴿ اَلتَّاسِعَةُ : ﴾ مُهِمَّةٌ جِدّاً ؛ وَلٰكِنْ لَمْ أَكْتُبْهَا ، بِفِكْرِ عَدَمِ إِغْضَابِ الْجَاعِلِينَ إِيَّانَا مَحْكُومِينَ ، ذٰلِكَ لِأَجْلِ مُطَالَعَتِهِمْ «رِسَالَةَ النُّورِ» . .

﴿ اَلْعَاشِرَةُ : ﴾ قَوِيَّةٌ وَذَاتُ أَهَمِّيَّةٍ ؛ وَلٰكِنْ لَمْ أَكْتُبْهَا الآنَ ، بِنِيَّةِ عَدَمِ إِسْخَاطِهِمْ أَيْضاً . .(١)

اَلْمَوْقُوفُ فِي التَّجْرِيدِ الْمُطْلَقِ : سَعِيدُ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .



---

(١) إِنَّ لِهٰذَا الشُّعَاعِ الرَّابِعَ عَشَرَ ، لَوَاحِقَ وَدِفَاعَاتٍ لِتَلَامِذَةِ النُّورِ ، تَرَكْنَاهَا إِلَىٰ فُرْصَةٍ سَانِحَةٍ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ ؛ وَنَرْجُو مِنْ رَحْمَتِهِ الْخَاصَّةِ ، أَنْ يُوَفِّقَنَا لِتَرْجَمَتِهَا وَتَرْجَمَةِ بَقَايَا أَجْزَاءِ النُّورِ ؛ كَمَا وَفَّقَنَا وَهَدَانَا بِرَحْمَتِهِ ، إِلَىٰ تَرْجَمَةِ كُلِّيَّاتِ النُّورِ وَطَبْعِهَا وَنَشْرِهَا ؛ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الْوَعْدِ الْأَمِينِ ، وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّيِّبِينَ وَأَصْحَابِهِ الطَّاهِرِينَ ؛ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ . آمِينَ أَلْفَ أَلْفِ آمِينَ . .

فَجْرَ الْأَرْبِعَاءِ / رَبِيعَ الثَّانِي / ٢٧ / ١٤٠٦هـ . . كَانُونَ الثَّانِي / ٨ / ١٩٨٦م . .
مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلَازْكَرْدِيُّ (عَفَا اللهُ عَنْهُ) . . أَزْهَرَ لُبْنَانَ بِعَرَمُونَ . .
وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوَّلاً وَآخِراً . .

اَلشُّعَاعُ الْخَامِسَ عَشَرَ

اَلْحُجَّةُ الزَّهْرَاءُ ؛ وَهِيَ مَقَامَانِ . .

إِنَّ هٰذَا الدَّرْسَ ، رِسَالَةٌ صَغِيرَةٌ ظَاهِراً ، وَكَبِيرَةٌ جِدّاً ، وَقَوِيَّةٌ كَثِيراً ، وَوَاسِعَةٌ جِدّاً فِي الْحَقِيقَةِ ، وَفَاكِهَةٌ إِيمَانِيَّةٌ ، وَثَمَرَةٌ قُرْآنِيَّةٌ فِرْدَوْسِيَّةٌ طَلَعَتْ مِنِ اتِّحَادِ حَيَاتِي التَّفَكُّرِيَّةِ ، وَحَيَاةِ النُّورِ الْمَعْنَوِيَّةِ التَّحْقِيقِيَّةِ ، عِلْمَ الْيَقِينِ وَعَيْنَ الْيَقِينِ . .

سَعِيدُ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

اَلْمَقَامُ الْأَوَّلُ : ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ . .

﴿ اَلْقِسْمُ الْأَوَّلُ : ﴾ لِلدَّرْسِ الَّذِي أُلْقِيَ فِي الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ الثَّالِثَةِ ، هُوَ خُلَاصَةُ خُلَاصَةِ الْمَكْتُوبِ الْعِشْرِينَ . .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ . .

إِنَّهُمْ نَقَلُوا إِجْبَاراً إِلَى الْغُرْفَةِ الْخَامِسَةِ ، بَائِساً مِثْلِي – يُوجَدُ فِي الِانْزِوَاءِ ، وَفِي نِسْيَانِ الدُّنْيَا ، خُصُوصاً فِي اللَّيَالِي ، خَمْسَةً وَثَلَاثِينَ عَاماً ؛ وَيَتَوَحَّشُ عَنِ النَّاسِ ، مِنْ مُقَاسَاتِهِ الْمُضَايِقَةِ ثَلَاثاً وَعِشْرِينَ سَنَةً ، بِتَرَصُّدَاتٍ مُغْرِضَةٍ ؛ فَيَبْقَى عَلَىٰ حِدَتِهِ فَقَطْ ؛ فَيَتَضَايَقُ كَثِيراً

مِنْ وُجُودِهِ فِي مَكَانٍ مَّا سَاعَةً ، مَعَ أَحَدٍ غَيْرِ خَادِمِهِ ، وَمَنْ يَطْلُبُ دَرْسَ النُّورِ بِاشْتِيَاقٍ – وَحَظَرُوا مَجِيءَ إِخْوَانِي إِلَيَّ ، بِذَرِيعَةِ الْعَرِيضَةِ الَّتِي كَتَبْتُهَا إِلَىٰ مَحْكَمَةِ التَّمْيِيزِ ، حَوْلَ وُجُودِي فِي التَّجْرِيدِ الْمُطْلَقِ أَحَدَ عَشَرَ شَهْراً ، فِي سِجْنِ (أَفْيُونَ) . فَبَيْنَمَا خَشِيتُ كَثِيراً : أَنِّي لَنْ أَعِيشَ بَيْنَ ذٰلِكَ الاِزْدِحَامِ ؛ فَإِذَا دَرَجَةُ الْبُرُودَةِ اشْتَدَّتْ ، مِنْ حَيْثُ تَكُونُ عَلَامَةَ غَيْظٍ وَغَضَبٍ ، إِلَىٰ قَدَرٍ لَوْ بَقِيتُ فِي مَكَانِيَ الْقَدِيمِ ذٰلِكَ ؛ لَمَا احْتَمَلْتُ أَصْلاً ؛ فَانْقَلَبَتْ تِلْكَ الزَّحْمَةُ إِلَى الرَّحْمَةِ فِي حَقِّي ؛ فَوَرَدَ عَلَى الْقَلْبِ : أَنَّ تَلَامِذَةَ النُّورِ ، وَإِنْ كَانُوا يَجْتَهِدُونَ فِي كُلِّ غُرْفَةٍ ، بِدُرُوسِ النُّورِ تَمَاماً ، بِحِسَابِ أَنْفُسِهِمْ وَبَدَلاً عَنْكَ ؛ وَلٰكِنَّ هٰذِهِ الْغُرْفَةَ الْخَامِسَةَ ، تَتَجَدَّدُ وَتَتَبَدَّلُ ، مِنْ كَوْنِهَا نَوْعاً مَّا مِنْ دَارِ التَّجْرِيدِ ؛ فَهِيَ أَزْيَدُ احْتِيَاجاً إِلَىٰ دَرْسِ النُّورِ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ الشَّبَابَ وَالشُّيُوخَ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ كِتَابَاتِ الْجَرَائِدِ الَّتِي تَكْتُبُ هُجُومَ الرُّوسِ ، بِإِنْكَارٍ رَهِيبٍ ، وَبِعَدَمِ مَعْرِفَةِ اللهِ ، لَهُمُ احْتِيَاجٌ كَثِيرٌ جِدّاً ، إِلَىٰ دُرُوسٍ قَوِيَّةٍ وَقَاطِعَةٍ لِلْغَايَةِ ، حَوْلَ الْوُجُودِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، فِي الْإِيمَانِ بِاللهِ ؛ هٰكَذَا وَرَدَ عَلَى الْقَلْبِ فِي التَّسْبِيحَاتِ .. وَأَنَا كُنْتُ أُكَرِّرُ مُتَفَكِّراً ، الْجُمْلَةَ الْقُدُسِيَّةَ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ ؛ لَا شَرِيكَ لَهُ ؛ لَهُ الْمُلْكُ ؛ وَلَهُ الْحَمْدُ ؛ يُحْيِي وَيُمِيتُ ؛ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ؛ بِيَدِهِ الْخَيْرُ ؛ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ؛ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ، هٰذَا التَّهْلِيلَ وَالتَّوْحِيدَ الْمُعَظَّمَ ، الَّذِي يَتَضَمَّنُ الاِسْمَ الْأَعْظَمَ ، فِي رِوَايَةٍ مَّا ؛ وَبَيَّنَتْ رِسَالَةُ «الْمَكْتُوبِ الْعِشْرِينَ» الْعَظِيمِ ، فِي كَلِمَاتِهِ الْإِحْدَىٰ عَشْرَةَ ، أَحَدَ عَشَرَ بُرْهَاناً ، لِوُجُوبِ الْوُجُودِ ، وَلِلْوَحْدَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَإِحْدَىٰ عَشْرَةَ بِشَارَةً ، بِتَفْصِيلَاتِهَا ، كَالشَّمْسِ الْمُشْرِقَةِ لِلْغَايَةِ ؛ وَالَّذِي كُنْتُ أَقْرَأُهُ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ مَرَّةً مُنْذُ الْقَدِيمِ ، مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الصُّبْحِ ؛ فَكُنْتُ أَتَصَوَّرُ مَعَهُ خُلَاصَةً مُخْتَصَرَةً لِخُلَاصَةِ «الْمَكْتُوبِ الْعِشْرِينَ» ؛ فَوَرَدَ عَلَى الْقَلْبِ بَغْتَةً : أَنْ دَرِّسِ الشَّيْخَ نَادِراً ، وَالشَّبَابَ الَّذِينَ هُنَا ، هٰذِهِ الْخُلَاصَةَ الْمُخْتَصَرَةَ جِدّاً ..

وَأَنَا شَرَعْتُ قَائِلاً : ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ ؛ فَقُلْتُ : إِنَّ فِي كَلَامِ التَّوْحِيدِ هٰذَا ، إِحْدَىٰ عَشْرَةَ بِشَارَةً ؛ وَإِحْدَىٰ عَشْرَةَ حُجَّةً إِيمَانِيَّةً .. وَالْآنَ أُشِيرُ إِشَارَةً قَصِيرَةً لِلْغَايَةِ ، إِلَى الْحُجَجِ فَقَطْ ؛ فَأُحِيلُ إِيضَاحَهَا وَبَشَائِرَهَا ، عَلَى «الْمَكْتُوبِ الْعِشْرِينَ» ، وَعَلَىٰ أَجْزَاءِ النُّورِ ؛ وَلٰكِنِّي إِذْ أَكْتُبُ

الْآنَ ذٰلِكَ الدَّرْسَ ؛ رَأَيْتُ مُنَاسِباً ، كِتَابَةَ بَعْضِ كَلِمَاتٍ وَنِكَاتٍ لَمْ أَذْكُرْهَا لَهُمْ . .

هٰذَا ، ﴿فَالْكَلِمَةُ الْأُولٰى :﴾ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْإِحْدٰى عَشْرَةَ ، لِذٰلِكَ الْكَلَامِ التَّوْحِيدِيِّ ، هِيَ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ . أَمَّا الْحُجَّةُ الَّتِي فِي هٰذِهِ ، فَهِيَ رِسَالَةُ «الْآيَةِ الْكُبْرٰى» الْمَطْبُوعَةُ ؛ فَلِبَدَاعَةِ تِلْكَ الْحُجَّةِ الَّتِي لَا مِثْلَ لَهَا ، قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ (رضي الله عنه) : «وَبِالْآيَةِ الْكُبْرٰى أَمِنِّي مِنَ الْفَجَتِ» ؛ فَجَعَلَ تِلْكَ الْآيَةَ الْكُبْرٰى شَفِيعاً ، عِنْدَمَا أَخْبَرَ عَنْ أَجْزَاءِ النُّورِ ؛ فَصَدَّقَتْ تِلْكَ الرِّسَالَةُ ، فِي صُورَةٍ ظَاهِرَةٍ جِدّاً ، الْكَرَامَةَ الْغَيْبِيَّةَ لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ (رضي الله عنه) ، وَدُعَاءَهُ ، بَدَلَ تَلَامِذَةِ النُّورِ ، بِصَيْرُورَتِهَا السَّبَبَ لِفَوْزِ تَلَامِذَةِ النُّورِ بِالْبَرَاءَةِ ، فِي سِجْنِ (دَنِزْلِي) ، بِغَلَبَتِهَا فِي مَحَاكِمِ (دَنِزْلِي) وَ (أَنْقَرَة) ، وَبِانْتِشَارَاتِهَا الْمُؤَثِّرَةِ تَحْتَ الْغِطَاءِ ؛ كَمَا أَنَّ طَبْعَهَا السِّرِّيَّ أَيْضاً ، أَصْبَحَ وَسِيلَةً لِاعْتِقَالِ تَلَامِذَتِهَا تِسْعَةَ أَشْهُرٍ . .

نَعَمْ : إِنَّ شُعَاعَ «الْآيَةِ الْكُبْرٰى» ، يُظْهِرُ ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ إِجْمَاعاً عَظِيماً ، وَحُجَجاً كُلِّيَّةً ، فِي مَجْمُوعِ هَيْئَةِ الْمَوْجُودَاتِ ؛ فَيُشِيرُ فِي كُلِّ حُجَّةٍ كُلِّيَّةٍ ، إِلٰى بَرَاهِينَ لَا حَدَّ لَهَا ؛ فَيُثْبِتُ وُجُودَ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، وَوَحْدَانِيَّتَهُ ، فِي ظُهُورِ الشَّمْسِ ، وَفِي بَدَاهَةِ النَّهَارِ ، بِكَلِمَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالنُّجُومِ أَوَّلاً ؛ وَبِكَلِمِ وَجُمَلِ الْأَرْضِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ ؛ وَبِكَلِمَاتِ حَقَائِقِ الْحُدُوثِ وَالْإِمْكَانِ وَالتَّغَيُّرِ ، مُتَصَاعِداً إِلٰى مَجْمُوعَةِ الْكَائِنَاتِ ، وَمُشْتَمَلَاتِهَا وَمَوْجُودَاتِهَا . .

فَلْيُرَاجِعِ «الْآيَةِ الْكُبْرٰى» ، الَّذِينَ يَطْلُبُونَ إِيمَاناً لَا يَتَزَلْزَلُ ؛ وَالَّذِينَ يَتَحَرَّوْنَ سَيْفاً لَا يَنْكَسِرُ ، ضِدَّ الْفَوْضَوِيَّةِ الْمُلْحِدَةِ . .

﴿اَلْكَلِمَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ ﴿وَحْدَهُ﴾ . إِنَّ إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً لِلْغَايَةِ ، إِلَى الْحُجَّةِ الَّتِي فِي هٰذِهِ ، هِيَ : أَنَّهُ يُشَاهَدُ فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، فِي كُلِّ جِهَةٍ ، اتِّحَادٌ وَوَحْدَةٌ مَا ؛ فَإِنَّ الْكَائِنَاتِ مَثَلاً ، تُظْهِرُ وَحْدَةً وَاتِّحَاداً ، بِوُجُودِهَا فِي حُكْمِ بَلَدٍ مُنْتَظِمٍ ، وَقَصْرٍ مُحْتَشِمٍ ، وَكِتَابٍ مُفِيدٍ مُجَسَّمٍ ، وَقُرْآنٍ جِسْمَانِيٍّ ، كُلُّ آيَةٍ مِنْهُ ، بَلْ كُلُّ حَرْفٍ وَكُلُّ نُقْطَةٍ مِنْهُ ، مُعْجِزَةٌ ؛ كَمَا أَنَّهَا تُثْبِتُ قَطْعاً أَنَّ صَاحِبَ وَحَاكِمَ وَكَاتِبَ وَمُصَنِّفَ ذٰلِكَ الْكِتَابِ ، وَذٰلِكَ الْقُرْآنِ الْكَبِيرِ الْجِسْمَانِيِّ ، وَذٰلِكَ الْقَصْرِ ، وَذٰلِكَ الْبَلَدِ ، مَوْجُودٌ وَوَاحِدٌ وَأَحَدٌ بِالْبَدَاهَةِ ، بِإِظْهَارِ وَحَدَاتٍ وَاتِّحَادَاتٍ إِلَى

الْآلَافِ ؛ فَإِنَّ سِرَاجَ ذٰلِكَ الْقَصْرِ وَاحِدٌ ؛ وَقِنْدِيلَهُ ذَا التَّقْوِيمِ وَاحِدٌ ؛ وَطَبَّاخَهُ ذَا النَّارِ وَاحِدٌ ؛ وَسَاقِيَهُ وَإِسْفِنْجَهُ السَّاقِي وَاحِدٌ . .

﴿اَلْكَلِمَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ ﴿لا شَرِيكَ لَهُ﴾ . إِنَّ إِشَارَةً قَصِيرَةً لِلْغَايَةِ ، إِلَى الْحُجَّةِ الَّتِي فِي هٰذِهِ ، هِيَ : آيَةُ ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلٰى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾ إِلٰى آخِرِهَا ، تِلْكَ الْآيَةُ الْعُظْمَى الْمُسَمَّاةُ بِالْآيَةِ الْكُبْرٰى ؛ وَالَّتِي هِيَ مَعْدِنُ وَأُسْتَاذُ وَأَسَاسُ شُعَاعِ «الْآيَةِ الْكُبْرٰى» ؛ تَعْنِي : لَوْ كَانَ لَهُ شَرِيكٌ ؛ وَخَالَطَتْ أَصَابِعُ أُخْرَى ، الْإِيجَادَ وَالرُّبُوبِيَّةَ ، لَفَسَدَ انْتِظَامُ الْكَائِنَاتِ ؛ وَالْحَالُ : أَنَّ وُجُودَ أَكْمَلِ انْتِظَامٍ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ ، جُزْئِيّاً وَكُلِّيّاً ، صَغِيراً وَكَبِيراً ، بَادِئاً مِنْ جَنَاحِ ذُبَيْبَةٍ صَغِيرَةٍ ؛ وَمِنْ حُجَيْرَةٍ فِي حَدَقَةِ الْعَيْنِ ، إِلٰى طُيُورٍ بِلَا حَدٍّ هِيَ طَائِرَاتٌ جَوِّيَّةٌ ، وَإِلَى الْمَنْظُومَةِ الشَّمْسِيَّةِ ، يَدُلُّ عَلَى اسْتِحَالَةِ وَانْعِدَامِ الشُّرَكَاءِ ، فِي صُورَةٍ قَاطِعَةٍ وَبِدُونِ شَكٍّ ؛ كَمَا يَشْهَدُ بِالْبَدَاهَةِ ، لِوُجُودِ وَوَحْدَةِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ . .

﴿اَلْكَلِمَةُ الرَّابِعَةُ :﴾ ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ . إِشَارَةٌ مُخْتَصَرَةٌ لِلْغَايَةِ ، إِلٰى مَا فِي هٰذِهِ مِنَ الْحُجَّةِ الطَّوِيلَةِ . نَعَمْ : نَرَى بِأَبْصَارِنَا ، أَنَّ مُتَصَرِّفاً صَاحِبَ عِلْمٍ وَقُدْرَةٍ بِلَا حَدٍّ ـ الَّذِي جَعَلَ وَجْهَ الْأَرْضِ مَزْرَعَةً ؛ فَيَزْرَعُ فِيهَا فِي كُلِّ رَبِيعٍ ، بُذُورَ مِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ مِنَ النَّبَاتَاتِ ، مُجْتَمِعَةً مُخْتَلِطَةً ، فِي تِلْكَ الْمَزْرَعَةِ الْوَاسِعَةِ جِدّاً ؛ وَالَّذِي يَحْصُدُ مَحَاصِيلَهَا بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ مُخْتَلِفَةً ، دُونَمَا اخْتِلَاطٍ وَالْتِبَاسٍ ؛ فَيُوَزِّعُ مِنْهَا عَلٰى مِئَتَيْ أَلْفِ نَوْعٍ مِنْ حَيَوَانَاتِهَا ، بِيَدِ الرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ ، أَرْزَاقَهَا وَوَجَبَاتِهَا ، حَسَبَ احْتِيَاجَاتِهَا ـ يُوجَدُ وَرَاءَ الْحِجَابِ ؛ فَيَفْعَلُ هٰذِهِ التَّصَرُّفَاتِ ، فِي مُلْكِهِ الْفَسِيحِ وَالْغَنِيِّ ، وَفِي مَزْرَعَةِ الْأَرْضِ خُصُوصاً ؛ فَالَّذِي لَا يَعْرِفُ هٰذَا الْمُتَصَرِّفَ الْحَكِيمَ ، وَالْمَالِكَ الرَّحِيمَ ، يُضْطَرُّ إِلٰى إِنْكَارِ هٰذِهِ الْأَرْضِ بِمَحَاصِيلِهَا ، مِثْلَ السُّوفِسْطَائِيِّينَ الْحَمْقَى . .

﴿اَلْكَلِمَةُ الْخَامِسَةُ :﴾ ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ . إِشَارَةٌ مُخْتَصَرَةٌ لِلْغَايَةِ ، إِلَى الْحُجَّةِ الْوَاسِعَةِ جِدّاً فِي هٰذِهِ . نَعَمْ : نَرَى بِأَبْصَارِنَا ؛ وَنَعْلَمُ بِالْبَدَاهَةِ بِعُقُولِنَا : أَنَّ رَزَّاقاً رَحِيماً ، وَمُحْسِناً كَرِيماً ، يَتَصَرَّفُ وَيَعْتَنِي وَيُرَبِّي فِي مَدِينَةِ الْكَائِنَاتِ ، وَفِي مَحَلَّةِ الْأَرْضِ ، وَفِي ثُكْنَةِ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانَاتِ هٰذِهِ ؛ فَجَعَلَ الْأَرْضَ سَفِينَةَ تِجَارَةٍ ، وَقِطَاراً آتِياً بِالْأَرْزَاقِ ؛ وَمَوْسِمَ الرَّبِيعِ الَّذِي عَلٰى وَجْهِهَا ،

فِي نَمَطِ حُمُولَةٍ ؛ فَيَمْلَؤُهَا بِمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ مِنَ الْأَطْعِمَةِ ، وَبِعُلَبِ الْمُعَلَّبَاتِ الْمُسَمَّاةِ بِالثُّدِيِّ ؛ فَيُوصِلُهَا إِلٰى ذَوَاتِ الْحَيَاةِ الْمُحْتَاجَةِ الَّتِي نَفِدَتْ أَرْزَاقُهَا فِي آخِرِ الشِّتَاءِ ، ذٰلِكَ لِتَأْدِيَةِ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ ، مُقَابِلَ نِعَمِهِ هُوَ ؛ فَالَّذِي لَهُ عَقْلٌ بِقَدَرِ الذَّرَّةِ ، يُصَدِّقُ أَنَّهَا شُؤُونُ رَزَّاقٍ رَحِيمٍ ؛ وَالَّذِي لا يُصَدِّقُ فَيَخُوضُ الْإِنْكَارَ ، يَصِيرُ حَيَوَاناً ضَارّاً أَحْمَقَ ، مُضْطَرّاً قَطْعاً ، إِلٰى إِنْكَارِ جَمِيعِ النِّعَمِ الْمُنْتَظِمَةِ ، وَالْأَرْزَاقِ الْمُعَيَّنَةِ الَّتِي هِيَ وَسِيلَةُ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ ، فِي وَجْهِ الْأَرْضِ . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ السَّادِسَةُ : ﴾ ﴿يُحْيِي﴾ . إِشَارَةٌ مُخْتَصَرَةٌ لِلْغَايَةِ إِلٰى حُجَّتِهَا . نَعَمْ : لَقَدْ أُثْبِتَ فِي «الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ» ، وَفِي أَجْزَاءِ النُّورِ ، بِبَرَاهِينِهَا : أَنَّ جَيْشاً سُبْحَانِيّاً لَهُ ثَلاثُمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ، وَأَفْرَادٌ بِلا حَدٍّ ، وَعَلٰى أَنْمَاطٍ مُتَنَوِّعَةٍ ، تُحْيَا عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، فِي كُلِّ رَبِيعٍ ؛ وَتُوهَبُ لَهَا الْحَيَاةُ وَاللَّوَازِمُ الْحَيَوِيَّةُ بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ ؛ فَالَّذِي يُظْهِرُ مِئَةَ أَلْفِ أَمْثِلَةٍ ، بَلْ أَمَارَاتِ الْحَشْرِ الْأَعْظَمِ ؛ فَيُحْيِي تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ غَيْرَ الْمَحْدُودَةِ ؛ وَيُوهِبُ لَهَا الْحَيَاةَ ، مُجْتَمِعَةً وَمُتَدَاخِلَةً ، بِدُونِ سَهْوٍ وَلا خَطَإٍ وَلا نُقْصَانٍ ، وَبِكَمَالِ الْمِيزَانِ وَالنِّظَامِ ، دُونَمَا الْتِبَاسٍ أَصْلاً ، وَدُونَ اخْتِلاطٍ أَصْلاً ، وَهِيَ مُخْتَلِطَةٌ ، وَدُونَمَا نِسْيَانٍ ؛ وَيُحْيِي مِئَاتِ آلافِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، أُولاَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ أَفْرَادٌ لا حَدَّ لَهَا ، وَالْمُخْتَلِفِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، صُورَةً وَصَنْعَةً وَمَعِيشَةً ، مِنْ قَطَرَاتِ الْمَاءِ الْمُتَمَاثِلَةِ الْمَدْعُوَّةِ بِالنُّطْفَةِ ، وَمِنْ بُذُورِ التُّرَابِ الْمُتَشَابِهَةِ ، وَمِنْ حُبَيْبَاتِهَا الْمُتَفَارِقَةِ قَلِيلاً ، وَمِنْ بُيَيْضَاتِ الذِّبَّانِ الَّتِي بَعْضُهَا عَيْنُ بَعْضٍ ، وَمِنْ نُطَفِ الطُّيُورِ الَّتِي بَعْضُهَا عَيْنُ بَعْضٍ ، وَمِنَ الْهَوَاءِ عَيْنِهِ ، وَمِنْ بَيْضَاتِهَا الْمُتَمَاثِلَةِ أَوِ الْقَلِيلَةِ الْفَرْقِ ؛ وَيَكْتُبُ مِئَةَ أَلْفِ كُتُبٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فِي صَحِيفَةِ الْأَرْضِ وَالرَّبِيعِ ، مُكَمَّلَةً بِدُونِ خَطَإٍ ، مُجْتَمِعَةً وَمُتَدَاخِلَةً ؛ وَيَعْمَلُ وَيَتَصَرَّفُ بِدِقَّةٍ لا حَدَّ لَهَا ، وَبِحِكْمَةٍ لا نِهَايَةَ لَهَا ؛ فَمَنْ لَمْ يَقْتَنِعْ أَنَّهُ ذَاتٌ حَيٌّ قَيُّومٌ ، وَخَلاَّقٌ مُحْيِي عَلِيمٌ ؛ فَإِنَّهُ مُضْطَرٌّ قَطْعاً ، إِلٰى صَيْرُورَتِهِ حَيَوَاناً أَحْمَقَ وَأَشْقٰى ، وَإِلٰى إِنْكَارِ نَفْسِهِ وَجَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ الْمَوْجُودِينَ فِي كُلِّ الْأَرْضِ ، وَفِي جَمِيعِ الرِّبَاعِ الْمَاضِيَةِ الْمُعَلَّقَةِ عَلٰى حَبْلِ الزَّمَانِ ، وَعَلٰى وُجُوهِ الْفَضَاءِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الْحَيَاةِ . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ السَّابِعَةُ : ﴾ ﴿وَيُمِيتُ﴾ . إِشَارَةٌ قَصِيرَةٌ لِلْغَايَةِ إِلٰى حُجَّةِ هٰذِهِ . نَعَمْ : نَرَى

أَنَّ ثَلاثَمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ، حِينَمَا تُسَرَّحُ فِي مَوْسِمِ الْخَرِيفِ ، تَسْرِيحاً مُسَمًّى بِالْمَمَاتِ ؛ تُودَعُ عُلَيْبَاتُ صَحَائِفِ أَعْمَالِ كُلِّ نَوْعٍ وَفَرْدٍ ؛ وَفَهَارِسُ أَعْمَالِهَا ؛ وَجَدَاوِلُ مَا سَتَعْمَلُهَا فِي الرَّبِيعِ الْآتِي ؛ وَبُذُورُهَا الَّتِي هِيَ نَوْعٌ مَّا مِنْ أَرْوَاحِهَا ، فِي جِهَةٍ مَّا ، تُودَعُ بَدَلاً عَنْهَا ، إِلَىٰ يَدِ حِكْمَةِ الْحَفِيظِ ذِي الْجَلَالِ ؛ وَأَنَّ خَلَّاقاً حَكِيماً ، وَحَيّاً لَا يَمُوتُ ، يَجْعَلُ تِلْكَ الْبُذُورَ الضَّئِيلَةَ الذَّرِّيَّةَ ، مِثْلَ بُذُورِ التِّينَةِ وَنَوَاهَا ، كَأَرْوَاحٍ بَاقِيَةٍ حَامِلَةٍ لِجَمِيعِ الْقَوَانِينِ الْحَيَوِيَّةِ لِشَجَرَةِ التِّينَةِ ؛ وَيَكْتُبُ فِيهَا بِقَلَمِ الْقَدَرِ ، تَرْجَمَةَ حَيَاةِ الشَّجَرَةِ ، مِثْلَ الْكِتَابَةِ فِي الْقُوَّةِ الْحَافِظَةِ بِقَدَرِ كِتَابٍ ؛ وَيَجْعَلُهَا فِي حُكْمِ كِتَابٍ كَبِيرٍ . فَالَّذِي لَا يَعْرِفُهُ ، لَا يَصِيرُ إِنْسَاناً أَحْمَقَ ، وَحَيَوَاناً مَجْنُوناً ؛ بَلْ يَصِيرُ مَحْكُوماً لِلْمَوْتِ الْأَبَدِيِّ قَطْعاً ، وَأَشْقَىٰ مِنْ شَيْطَانٍ طَائِشٍ يَخْلِطُ نَارَ جَهَنَّمَ . .

نَعَمْ : إِنَّ هٰذِهِ الْأَفْعَالَ الْحَكِيمَةَ الْمَذْكُورَةَ ، الْكُلِّيَّةَ وَالْمُحِيطَةَ وَالْخَارِقَةَ ، وَالْمُحْتَوِيَةَ عَلَىٰ خَوَارِقَ وَمُعْجِزَاتٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا ، الْمُشِيرَةَ إِلَىٰ حُجَجِ هٰذِهِ الْكَلِمَاتِ ؛ كَمَا أَنَّ كَوْنَهَا بِدُونِ الْفَاعِلِ ، مُحَالٌ وَبَاطِلٌ مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ فَإِنَّ إِسْنَادَهَا إِلَىٰ أَسْبَابٍ عَمْيَاءَ عَاجِزَةٍ بِدُونِ شُعُورٍ ، وَصَمَّاءَ جَامِدَةٍ مُخْتَلِطَةٍ بِغَيْرِ انْتِظَامٍ ، وَمُمْتَزِجَةٍ مُسْتَوْلِيَةٍ ، مُمْتَنِعٌ وَبِدُونِ أَسَاسٍ ، آلَافَ الدَّرَجَاتِ ؛ وَإِلَّا يَلْزَمُ وُجُودُ قُدْرَةٍ وَحِكْمَةٍ بِلَا حَدٍّ ، فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنَ التُّرَابِ ، وَصَنْعَةٍ كُلِّيَّةٍ وَخَارِقَةٍ جِدّاً ، حَوْلَ تَشْكِيلَاتِ جَمِيعِ النَّبَاتَاتِ وَالْأَزْهَارِ ؛ وَوُجُودُ قَابِلِيَّةٍ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنَ الْهَوَاءِ ، تَعْلَمُ جَمِيعَ التَّكَلُّمَاتِ ، وَكَلِمَاتِ الْهَوَاتِفِ وَالْإِذَاعَاتِ ؛ وَتُدَرِّسُهَا سَائِرَ الذَّرَّاتِ ؛ كَمَا ذَكَرَتْ نُكْتَةُ «هُوَ» الَّتِي فِي «الدَّلِيلِ» . . وَإِنَّ هٰذَا الْفِكْرَ الْعَجِيبَ ، لَا يَسْتَطِيعُ أَيُّ شَيْطَانٍ ، أَنْ يُجْبِرَ أَيَّ أَحَدٍ عَلَىٰ قَبُولِهِ . وَإِنَّ جَزَاءَ الْكُفْرِ وَالْإِنْكَارِ الْبَعِيدِ عَنِ الْعَقْلِ وَعَنِ الْحَقِيقَةِ بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ ، وَالَّذِي هُوَ احْتِقَارٌ وَاعْتِدَاءٌ ضِدَّ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ جَهَنَّمَ الرَّهِيبَةَ ؛ وَهِيَ عَيْنُ الْعَدَالَةِ . وَإِنَّ اللَّازِمَ أَنْ نَقُولَ : فَلْتَعِشْ جَهَنَّمُ لِمِثْلِ هٰذَا الْمُنْكِرِ . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ الثَّامِنَةُ : ﴾ ﴿وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ﴾ . إِنَّ إِشَارَةً قَصِيرَةً لِلْغَايَةِ ، إِلَى الْحُجَّةِ الَّتِي فِي هٰذِهِ ، هِيَ : مَثَلاً ، كَمَا أَنَّ فَوَاقِعَ فَوْقَ نَهْرٍ جَارٍ ، وَفِي وَجْهِ بَحْرٍ مُتَمَوِّجٍ فِي النَّهَارِ ، تُشِيرُ

إلَى الشَّمْسِ الَّتِي فِي السَّماءِ ؛ وَتَشْهَدُ عَلَيْهَا ، بِذَهَابِ الشُّمَيْسَاتِ الْمَشْهُودَةِ فِيهَا ، وَبِإِظْهَارِ الْفَوَاقِعِ الْجَدِيدَةِ الْوَارِدَةِ عَقِبَهَا ، شُمَيْسَاتٍ مِثْلَ الذَّاهِبَاتِ عَيْنِهَا ؛ وَتَدُلُّ بِزَوَالِهَا وَمَمَاتِهَا ، عَلٰى وُجُودِ وَبَقَاءِ شَمْسٍ دَائِمَةٍ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهَا فَإِنَّ الْمَخْلُوقَاتِ عَلٰى وَجْهِ بَحْرِ الْكَائِنَاتِ الْمُتَبَدِّلَةِ كُلَّ وَقْتٍ ، وَفِي فَضَائِهَا بِلَا حَدٍّ ، وَفِي مَزْرَعَةِ الذَّرَّاتِ الْمُتَجَدِّدَةِ ، وَفِي دَاخِلِ نَهْرِ الزَّمَانِ الْمُتَمَوِّجِ مَعَ جَمِيعِ الْحَادِثَاتِ وَالْمَوْجُودَاتِ الْفَانِيَةِ ، مُتَّخِذاً إِيَّاهَا فِي حِضْنِهِ ، تَذْهَبُ دَائِماً جَارِيَةً بِسُرْعَةٍ ؛ وَتَمُوتُ مَعَهَا أَسْبَابُهَا الظَّاهِرِيَّةُ ؛ وَيَمُوتُ كَوْنٌ ؛ وَيَأْتِي جَدِيدٌ مِنْهُ مَكَانَهُ ، كُلَّ سَنَةٍ وَكُلَّ يَوْمٍ ؛ وَتُؤْخَذُ مَحَاصِيلُ الدُّنَى السَّيَّارَةِ وَالْعَوَالِمِ السَّيَّالَةِ دَائِماً ، فِي مَزْرَعَةِ الذَّرَّاتِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يَشْهَدُ مَمَاتُ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ وَالْمَحْصُولَاتِ بِلَا حَدٍّ ؛ وَتَسْرِيحُهَا بِكَمَالِ الانْتِظَامِ ، مَعَ أَسْبَابِهَا الظَّاهِرِيَّةِ ؛ وَتَشْهَدُ جَمِيعُ الْمَوْجُودَاتِ مُخْتَلِفَةً وَمُجْتَمِعَةً ، عَلٰى أَنَّ وُجُودَ حَيٍّ لَا يَمُوتُ ، وَشَمْسٍ سَرْمَدِيٍّ ، وَخَلَّاقٍ بَاقٍ ، وَقَائِدٍ أَقْدَسَ ؛ وَوَحْدَتَهُ وَوُجُوبَ وُجُودِهِ ، أَظْهَرُ وَأَقْطَعُ أَلْفَ دَرَجَةٍ ، مِنْ وُجُودِ الْكَائِنَاتِ ، فِي قَطْعِيَّةٍ ظَاهِرَةٍ كَالشَّمْسِ ، وَبِدُونِ شَكٍّ مِثْلَ النَّهَارِ ؛ كَمَا أَنَّ الْفَوَاقِعَ وَالشُّمَيْسَاتِ ، تَدُلُّ قَطْعاً بِزَوَالِهَا ، عَلٰى شَمْسٍ دَائِمَةٍ .. **هٰذَا ، فَقَدْ فَهِمْتُمْ قَطْعاً ، أَنَّ مَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُصْغِي إِلٰى هٰؤُلَاءِ الْأَصْوَاتِ الرَّفِيعَةِ ، وَالشَّهَادَاتِ الْقَوِيَّةِ ، كَمْ دَرَجَةً يَكُونُ أَصَمَّ وَأَحْمَقَ وَجَانِياً ؟.**

﴿**اَلْكَلِمَةُ التَّاسِعَةُ :**﴾ ﴿**بِيَدِهِ الْخَيْرُ**﴾ . إِنَّ إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً لِلْغَايَةِ ، إِلَى الْحُجَّةِ الَّتِي فِي هٰذِهِ ، هِيَ : أَنَّنَا نَرَى أَنَّ فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، لِكُلِّ دَائِرَةٍ وَكُلِّ نَوْعٍ وَكُلِّ طَبَقَةٍ ، بَلْ وَكُلِّ فَرْدٍ وَكُلِّ عُضْوٍ ، بَلْ وَلِكُلِّ حُجَيْرَةٍ فِي كُلِّ بَدَنٍ ، مَخْزَناً وَمُسْتَوْدَعاً يَدَّخِرُ رِزْقَهُ الاِحْتِيَاطِيَّ ؛ وَمَزْرَعَةً وَخَزِينَةً تُنْتِجُ لِوَازِمَاتِهِ وَتُحَافِظُ عَلَيْهَا ؛ فَلِذٰلِكَ تُعْطَى لِيَدِ ذٰلِكَ الْمُحْتَاجِ ، مِنْ جَانِبِ يَدٍ غَيْبِيَّةٍ ، فِي خَارِجِ اقْتِدَارِهِ وَاخْتِيَارِهِ ، فِي وَقْتِهِ الْمُنَاسِبِ ، بِغَايَةِ الانْتِظَامِ وَالْمِيزَانِ ، وَبِالْحِكْمَةِ وَالْعِنَايَةِ بِلَا نِهَايَةٍ ؛ فَإِنَّ الْجِبَالَ مَثَلاً ، تَتَضَمَّنُ جَمِيعَ الْمَعَادِنِ وَالْأَدْوِيَةِ اللَّازِمَةِ لِذَوِي الْحَيَاةِ وَالْإِنْسَانِ ، وَالْأَشْيَاءَ اللَّازِمَةَ لِلْحَيَاةِ ؛ وَإِنَّهَا مُسْتَوْدَعٌ وَخَزِينَةٌ مُكَمَّلَةٌ لِلْغَايَةِ ، بِأَمْرِ أَحَدٍ وَبِتَدْبِيرِهِ ؛ كَمَا أَنَّ الْأَرْضَ أَيْضاً ، مَزْرَعَةٌ وَبَيْدَرٌ وَمَطْبَخٌ لِأَرْزَاقِ جَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ أُولٰئِكَ ، بِقُوَّةِ رَزَّاقٍ حَكِيمٍ ،

بِكَمَالِ الْمِيزَانِ وَالاِنْتِظَامِ ؛ حَتّٰى إِنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ ، وَلِكُلِّ عُضْوٍ فِي جِسْمِهِ ، مَخْزَناً وَمُسْتَوْدَعاً ؛ حَتّٰى إِنَّ لِكُلِّ خَلِيَّةٍ أَيْضاً ، مَخْزَناً صَغِيراً لِلاِحْتِيَاطِ ؛ وَهٰكَذَا مُتَصَاعِداً إِلٰى أَنَّ الدُّنْيَا مَخْزَنٌ لِدَارِ الْآخِرَةِ ؛ وَأَنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ ، وَعَالَمَ الْإِسْلَامِيَّةِ ، الَّتِي تُنْتِجُ الْمَحَاسِنَ وَالْحَسَنَاتِ وَالْأَنْوَارَ الَّتِي فِي هٰذَا الْعَالَمِ ، هِيَ مَزْرَعَةٌ وَمُسْتَوْدَعٌ لِلْجَنَّةِ ؛ وَأَمَّا إِحْدٰى مُسْتَوْدَعَاتِ جَهَنَّمَ ؛ فَهِيَ الْمَوَادُّ وَالطَّوَائِفُ الْخَبِيثَةُ الَّتِي تُنْتِجُ الشُّرُورَ وَالْقَبَائِحَ وَأَنْوَاعَ الْكُفْرِ ؛ وَتَرِدُ مِنَ الْعَدَمِ الَّذِي هُوَ الشَّرُّ ؛ وَتُلَوِّثُ عَوَالِمَ الْوُجُودِ الَّذِي هُوَ الْخَيْرُ ؛ وَإِنَّ مَخْزَنَ حَرَارَةِ النُّجُومِ ، هُوَ جَهَنَّمُ ؛ وَإِنَّ خَزِينَةَ الْأَنْوَارِ ، هِيَ جَنَّةٌ . . فَتُظْهِرُ كَلِمَةُ ﴿بِيَدِهِ الْخَيْرُ﴾ ، حُجَّةً نَاصِعَةً جِدّاً ، بِالْإِشَارَةِ إِلٰى جَمِيعِ أُولَائِكَ الْخَزَائِنِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا . .

نَعَمْ : إِنَّ هٰذِهِ الْكَلِمَةَ مَعَ جُمْلَةِ ﴿وَبِيَدِهِ مَقَالِيدُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ـ أَيْ أَنَّ بِيَدِهِ مِفْتَاحَ كُلِّ شَيْءٍ ـ تُرِي مَنْ لَمْ يَكُنْ أَعْمٰى كُلِّيّاً ، حُجَّةً لِلرُّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَةِ ، وَاسِعَةً بِلَا نِهَايَةٍ ، وَخَارِقَةً بِلَا حَدٍّ . فَمَثَلاً : أُنْظُرْ مِنْ تِلْكَ الْخَزَائِنِ وَالْمُسْتَوْدَعَاتِ بِلَا حَدٍّ ، إِلٰى هٰذَا فَقَطْ ؛ وَهُوَ : أَنَّ مُتَصَرِّفاً حَكِيماً بِيَدِهِ مَفَاتِحُ النَّوٰى وَالْبُذُورِ الَّتِي هِيَ مَخَازِنُ صَغِيرَةٌ ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، مُتَضَمِّنَةٌ لِأَجْهِزَةِ شَجَرَةٍ جَسِيمَةٍ ، أَوْ زَهْرَةٍ مُشْرِقَةٍ ، وَلِمَنْهَجِ مُقَدَّرَاتِهَا ، يَفْتَحُ قُشَيْرَةَ نَوَاةٍ ، بِتَمَامِ الْمِيزَانِ وَالنِّظَامِ ، بِمِفْتَاحِ الْإِرَادَةِ ، وَبِأَمْرِ «اِنْتَبِهْ» ؛ كَمَا أَنَّهُ يَفْتَحُ خَزِينَةَ الْأَرْضِ أَيْضاً ، بِمِفْتَاحِ الْمَطَرِ ؛ فَيَفْتَحُ مَعاً بِلَا خَطَأٍ ، مُخَيْزِنَاتٍ وَجَمِيعَ حَبَّاتٍ هِيَ نُطَفُ النَّبَاتَاتِ ، وَجَمِيعَ مُخَيْزِنَاتِ الْقَطَرَاتِ الَّتِي تَلَقَّتْ أَمْرَ الاِنْكِشَافِ ، الَّتِي هِيَ مَنَاشِئُ الْحَيَوَانَاتِ ، وَنُطَفُ الطُّيُورِ وَالذُّبَابَاتِ ، مِنَ الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ ؛ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَفْتَحُ فِيهِ جَمِيعَ الْخَزَائِنِ وَالْمُسْتَوْدَعَاتِ الْكُلِّيَّةِ وَالْجُزْئِيَّةِ ، الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ فِي الْكَائِنَاتِ ، بِيَدِ الْحِكْمَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَشِيئَةِ ، بِمِفْتَاحٍ مَخْصُوصٍ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا . فَإِنْ شِئْتَ مَعْرِفَةَ وَرُؤْيَةَ فَتْحِهَا ؛ فَانْظُرْ إِلٰى قَلْبِكَ وَدِمَاغِكَ وَجَسَدِكَ وَمَعِدَتِكَ وَرَوْضَتِكَ ، اللَّاتِي هُنَّ نَوْعٌ مَّا مِنْ مُخَيْزِنَاتِكَ ، وَإِلَى الرَّبِيعِ الَّذِي هُوَ زَهْرَةُ الْأَرْضِ ، وَإِلَى الْأَزْهَارِ وَالثَّمَرَاتِ الَّتِي فِيهِ ؛ فَإِنَّهُ يَفْتَحُهَا بِكَمَالِ النِّظَامِ وَالْمِيزَانِ وَالرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ ، مِنْ جَانِبِ يَدٍ غَيْبِيَّةٍ ، بِمَفَاتِيحَ مُخْتَلِفَةٍ وَارِدَةٍ مِنْ مَعْمَلِ أَمْرِ ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ؛ وَيُخْرِجُ بِكَمَالِ الاِنْتِظَامِ ، رَطْلاً مِنَ الْأَطْعِمَةِ ،

بَلْ مِئَةَ رَطْلٍ أَحْيَاناً ، مِنْ عُلَيْبَةٍ بِقَدرِ دِرْهَمٍ ؛ فَيُقَدِّمُ الضِّيَافَةَ لِذَوِي الْحَيَاةِ . . فيَا عَجَباً ! هَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَسْتَطِيعَ الْقُوَّةُ الْعَمْيَاءُ ، وَالطَّبِيعَةُ الصَّمَّاءُ ، وَالصُّدْفَةُ الطَّائِشَةُ ، وَالْأَسْبَابُ الْجَامِدَةُ الْجَاهِلَةُ الْعَاجِزَةُ ، أَنْ تَتَدَاخَلَ فِي فِعْلٍ عَلِيمٍ وَبَصِيرٍ وَمُنْتَظِمٍ بِلَا نِهَايَةٍ ، وَفِي صَنْعَةٍ حَكِيمَةٍ تَامَّةٍ بِلَا تَصَادُفٍ ، وَفِي تَصَرُّفٍ مَوْزُونٍ تَامٍّ بِلَا خَطَأٍ ، وَفِي رُبُوبِيَّةٍ عَادِلَةٍ تَامَّةٍ بِلَا ظُلْمٍ هٰكَذَا ؟ . وَأَنْ يَسْتَطِيعَ مَوْجُودٌ لَا يَرَى جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ دَفْعَةً ؛ فَلَا يَقْدِرَ عَلَىٰ إِدَارَتِهَا مُجْتَمِعَةً ؛ وَلَا تَكُونَ سَيَّارَاتُ النُّجُومِ مَعَ الذَّرَّاتِ فِي أَمْرِهِ ، أَنْ يُخَالِطَ هٰذَا التَّصَرُّفَ وَالْإِدَارَةَ الْحَكِيمَيْنِ الْمُعْجِزَيْنِ وَالْمَوْزُونَيْنِ بِكُلِّ جِهَةٍ ؟ . هٰذَا ، فَإِنَّ الَّذِي يَخُوضُ الْإِنْكَارَ ؛ وَلَا يَعْرِفُ مِثْلَ هٰذَا الْمُتَصَرِّفِ الرَّحِيمِ ، وَمِثْلَ هٰذَا الرَّبِّ الْحَكِيمِ الَّذِي بِيَدِهِ كُلُّ خَيْرٍ ؛ وَعِنْدَهُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَإِنَّ جَهَنَّمَ تَغِيظُ عَلَيْهِ ، وَتَتَغَيَّظُ لَهُ ؛ كَمَا تَقُولُ آيَةُ : ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ ؛ وَتَقُولُ بِلِسَانِ الْحَالِ : إِنَّهُ مُسْتَحِقٌّ بِعَذَابٍ بِلَا حَدٍّ ؛ وَلَيْسَ لَائِقاً بِالرَّحْمَةِ أَصْلاً . .

﴿اَلْكَلِمَةُ الْعَاشِرَةُ :﴾ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ . إِنَّ إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً لِلْغَايَةِ ، إِلَى الْحُجَّةِ الَّتِي فِي هٰذِهِ ، هِيَ : أَنَّ كُلَّ ذِي شُعُورٍ وَارِدٍ إِلَىٰ مَضِيفَةِ هٰذِهِ الدُّنْيَا ، كُلَّمَا فَتَحَ عَيْنَهُ يَرَى : أَنَّ قُدْرَةً أَمْسَكَتْ جَمِيعَ الْأَكْوَانِ فِي قَبْضَتِهَا ؛ وَأَنَّ فِي دَاخِلِ تِلْكَ الْقُدْرَةِ ، عِلْماً أَزَلِيّاً وَمُحِيطاً بِدُونِ نِهَايَةٍ لَا يُخْطِئُ أَصْلاً ؛ وَحِكْمَةً وَعِنَايَةً سَرْمَدِيَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ دِقَّةٍ لِلْغَايَةِ لَا تَتَحَرَّكَانِ أَصْلاً بِدُونِ مِيزَانٍ وَبِغَيْرِ فَائِدَةٍ ؛ فَكَمَا أَنَّهَا تُدَوِّرُ ذَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ جَيْشِ الذَّرَّاتِ ، مِثْلَ الْمَوْلَوِيِّ[١] الْمَجْذُوبِ ؛ فَتَسْتَخْدِمُهَا فِي وَظَائِفَ كَثِيرَةٍ ؛ فَإِنَّهَا تُدَوِّرُ كُرَةَ الْأَرْضِ مِثْلَ الْمَوْلَوِيِّ الْمَجْذُوبِ أَيْضاً ، فِي عَيْنِ الْآنِ ، بِعَيْنِ الْقَانُونِ ، فِي دَائِرَةٍ مَدَاهَا أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ سَنَةٍ ، فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ فَجَعَلَتِ الشَّمْسَ مَكُّوكاً وَبَكَرَةً ، فِي عَيْنِ الزَّمَانِ ، بِعَيْنِ الْقَانُونِ الَّذِي تَأْتِي بِهِ بِمَحَاصِيلِ الْمَوَاسِمِ إِلَى الْحَيْوَانَاتِ وَالنَّاسِ ؛ فَتُدَوِّرُهَا فِي مَرْكَزِهَا جَاذِبَةً وَمُجْتَذِبَةً ؛

---

(١) اَلْمَوْلَوِيُّ الْمَجْذُوبُ : الصُّوفِيُّ الدَّوَّارُ حَوْلَهُ وَفِي مَكَانِهِ ، وَالْمَنْسُوبُ إِلَىٰ طَرِيقَةِ مَوْلَانَا جَلَالِ الدِّينِ الرُّومِيِّ ، (قُدِّسَ سِرُّهُ) . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللهُ عَنْهُ) . .

فَتَسْتَخْدِمُ النُّجُومَ السَّيَّارَةَ الَّتِي هِيَ جَيْشُ الْمَنْظُومَةِ الشَّمْسِيَّةِ، فِي الْوَظَائِفِ، بِكَمَالِ الْمِيزَانِ وَالِانْتِظَامِ؛ وَتَكْتُبُ عَيْنُ الْقُدْرَةِ، فِي عَيْنِ الزَّمَانِ، بِعَيْنِ قَانُونِ الْحِكْمَةِ، فِي صَحِيفَةِ الْأَرْضِ، مِئَاتِ آلَافِ الْأَنْوَاعِ، فِي حُكْمِ مِئَاتِ آلَافِ الْكُتُبِ، مُجْتَمِعَةً وَمُتَدَاخِلَةً، بِدُونِ الْتِبَاسٍ وَبِغَيْرِ سَهْوٍ؛ فَتُظْهِرُ آلَافَ أَمْثِلَةِ الْحَشْرِ الْأَعْظَمِ؛ وَتُحَوِّلُ عَيْنُ الْقُدْرَةِ، فِي عَيْنِ الزَّمَانِ، صَحِيفَةَ الْهَوَاءِ، إِلَى لَوْحَةٍ تَكْتُبُ فَتَمْحُو؛ وَتَسْتَعْمِلُ جَمِيعَ ذَرَّاتِهَا، فِي وَظَائِفِهَا الَّتِي عَيَّنَهَا لَهَا الْأَمْرُ وَالْإِرَادَةُ، فِي حُكْمِ أَرْيَاشِ أَقْلَامٍ، وَنِقَاطِ ذٰلِكَ الْكِتَابِ؛ وَأَعْطَتْ جَمِيعَ تِلْكَ الذَّرَّاتِ، وَكُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا، قَابِلِيَّةً كَذٰلِكَ، تَنْقُلُ وَتَنْشُرُ جَمِيعَ الْأَقْوَالِ وَالْمُحَاوَرَاتِ؛ فَلَا تُخْطِئُ؛ كَأَنَّهَا تَعْلَمُهَا؛ فَتَسْتَخْدِمُهَا أَسْمَاعاً صَغِيرَةً، وَأَلْسِنَةً رَقِيقَةً؛ فَتُثْبِتُ أَنَّ عُنْصُرَ الْهَوَاءِ، عَرْشٌ لِلْأَمْرِ وَالْإِلٰهِيَّةِ..

هٰذَا، فَقِيَاساً عَلَى هٰذِهِ الْإِشَارَةِ الْمُخْتَصَرَةِ؛ فَإِنَّ رَحْمَاناً رَحِيماً هٰكَذَا، الَّذِي جَعَلَ هٰذِهِ الْأَكْوَانَ فِي حُكْمِ مَدِينَةٍ مُنْتَظِمَةٍ، وَبِنَايَةٍ وَمَضْيَفَةٍ مُكَمَّلَةٍ، وَكِتَابٍ وَقُرْآنٍ ذِي مُعْجِزَاتٍ؛ وَاتَّخَذَ إِلَى قَبْضَتِهِ، جَمِيعَ طَبَقَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَدَوَائِرِهَا وَطَوَائِفِهَا، مِنْ هَيْئَتِهَا الْمَجْمُوعَةِ، إِلَى ذَرَّةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَيَتَصَرَّفُ فِيهَا بِمِيزَانِ الْعِلْمِ وَنِظَامِ الْحِكْمَةِ؛ وَيُظْهِرُ رَحْمَتَهُ فِي دَاخِلِ قُدْرَتِهِ؛ وَيُعْلِنُ وُجُودَهُ وَوَحْدَانِيَّتَهُ فِي دَاخِلِ رُبُوبِيَّتِهِ الْمُطْلَقَةِ؛ فَيُعَرِّفُهُمَا مِثْلَ الشَّمْسِ وَالنَّهَارِ؛ وَيَطْلُبُ الْمَعْرِفَةَ بِالْإِيمَانِ، مُقَابِلَ إِعْلَامِهِ فَتَعْرِيفِهِ؛ وَالْمُقَابَلَةَ بِالْعُبُودِيَّةِ، مُقَابِلَ تَحَبُّبِهِ؛ وَأَدَاءَ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ، مُقَابِلَ إِحْسَانَاتِهِ؛ فَالشَّيَاطِينُ الَّذِينَ هُمْ فِي صُورَةِ الْإِنْسِ، الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَهُ؛ وَلَا يَسْعَوْنَ لِمَحَبَّتِهِ بِالْعُبُودِيَّةِ؛ بَلْ يَحْمِلُونَ نَوْعاً مِنَ الْعَدَاوَةِ لَهُ بِالْإِنْكَارِ؛ فَإِنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ عَذَاباً بِلَا نِهَايَةٍ، فِي حُكْمِ نَمَارِدَةٍ صِغَارٍ، وَفَرَاعِنَةٍ صِغَارٍ..

﴿اَلْكَلِمَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ:﴾ ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.. تَعْنِي: أَنَّهُ سَيُصَارُ إِلَى دَائِرَةِ حُضُورِهِ، وَإِلَى عَالَمِهِ الْبَاقِي، وَإِلَى آخِرَتِهِ وَدَارِ سَعَادَتِهِ السَّرْمَدِيَّةِ؛ كَمَا أَنَّهُ هُوَ مَرْجِعُ الْمَخْلُوقَاتِ فِي جَمِيعِ الْأَكْوَانِ؛ وَتَنْتَهِي إِلَيْهِ سِلْسِلَةُ جَمِيعِ الْأَسْبَابِ؛ وَتَسْتَنِدُ إِلَى قُدْرَتِهِ؛ وَأَنَّهَا حُجُبٌ عَلَى تَصَرُّفَاتِ تِلْكَ الْقُدْرَةِ؛ وَأَنَّ جَمِيعَ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرِيَّةِ، هِيَ أَغْطِيَةٌ

لِأَجْلِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى عِزَّةِ وَحِشْمَةِ تِلْكَ الْقُدْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ ؛ لَيْسَ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي الْإِيجَادِ أَصْلاً ؛ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْرُهُ وَإِرَادَتُهُ ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَيُّ شَيْءٍ ، بَلْ أَيَّةُ ذَرَّةٍ ، أَنْ تَتَحَرَّكَ ؛ هٰذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْهَا . فَنُشِيرُ مُخْتَصَراً لِلْغَايَةِ ، إِلَى الْحُجَّةِ الَّتِي فِي هٰذِهِ الْكَلِمَةِ . .

﴿أَوَّلاً :﴾ إِنَّ جِهَةَ الْإِثْبَاتِ وَالْإِجْبَارِ عَلَى الْإِيمَانِ التَّامِّ ، بِتَحَقُّقِ وَمَجِيءِ مَا تُفِيدُهُ هٰذِهِ الْكَلِمَةُ الْقُدُسِيَّةُ ، مِنْ حَقِيقَةِ الْحَشْرِ وَالْآخِرَةِ وَالْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ ، قَطْعاً وَبِدُونِ شُبْهَةٍ كَهٰذَا الرَّبِيعِ الْآتِي ، نُحِيلُهَا عَلَى «الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ» وَذُيُولِهَا ، وَعَلَى «الْمَقَالَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ» ، وَعَلَى الْمَسْأَلَةِ السَّابِعَةِ مِنَ «الثَّمَرَةِ» ، وَعَلَى شُعَاعِ «الْمُنَاجَاةِ» ، وَعَلَى «رَسَائِلِ النُّورِ الْإِيمَانِيَّةِ» ؛ اَلْحَقُّ : أَنَّهَا أَثْبَتَتْ هٰذَا الرُّكْنَ الْإِيمَانِيَّ ، بِحُجَجٍ لَا حَدَّ لَهَا ، عَلَى وَجْهٍ أَثْبَتَتْ تَحَقُّقَ الْآخِرَةِ ، فِي دَرَجَةِ وُجُودِ الدُّنْيَا ، عَلَى صُورَةٍ تُجْبِرُ أَشَدَّ الْمُنْكِرِينَ الْمُعَانِدِينَ أَيْضاً عَلَى التَّصْدِيقِ . .

﴿ثَانِياً :﴾ إِنَّ ثُلُثَ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، يَنْظُرُ إِلَى الْحَشْرِ وَالْآخِرَةِ ؛ وَيَبْنِي عَلَيْهِ كُلَّ دَعْوَى . فَإِذاً إِنَّ جَمِيعَ مُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِ ، وَحُجَجِهِ الْمُثْبِتَةِ لِحَقَّانِيَّتِهِ ، تَدُلُّ عَلَى وُجُودِ الْآخِرَةِ أَيْضاً ؛ كَمَا أَنَّ جَمِيعَ مُعْجِزَاتِ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، وَعُمُومَ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ ، وَجَمِيعَ حُجَجِ صِدْقِهِ ، تَشْهَدُ لِلْحَشْرِ وَالْآخِرَةِ أَيْضاً ؛ لِأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَعْوَى عَظِيمَةٌ دَائِمَةٌ لِذٰلِكَ الْمَوْلَى ، فِي جَمِيعِ حَيَاتِهِ ؛ كَمَا أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ الْمِئَةِ وَالْأَرْبَعَةِ وَالْعِشْرِينَ أَلْفاً أَيْضاً ، ادَّعَوُا الْحَيَاةَ الْبَاقِيَةَ وَالسَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ ؛ فَبَشَّرُوا بِهِمَا الْبَشَرَ ؛ فَأَثْبَتُوهُمَا بِمُعْجِزَاتٍ بِلَا حَدٍّ ، وَبِدَلَائِلَ قَاطِعَةٍ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ ، فَإِنَّ جَمِيعَ مُعْجِزَاتِهِمْ وَحُجَجِهِمُ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّتِهِمْ وَصِدْقِهِمْ ، تَشْهَدُ قَطْعاً عَلَى الْآخِرَةِ وَالْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ ، الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ وَأَدْوَمُ دَعَاوَاهُمْ . . فَقِيَاساً عَلَى هٰذَا ، فَإِنَّ جَمِيعَ الدَّلَائِلِ الْمُثْبِتَةِ لِسَائِرِ الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ ، تَشْهَدُ لِوُقُوعِ الْحَشْرِ ، وَلِفَتْحِ دَارِ السَّعَادَةِ أَيْضاً . .

﴿ثَالِثاً :﴾ إِنَّ صَانِعاً ذَا جَلَالٍ ، وَخَالِقاً ذَا جَمَالٍ ، وَإِلٰهاً ذَا كَمَالٍ ، الَّذِي خَلَقَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ بِجَمِيعِ ذَرَّاتِهَا وَسَيَّارَاتِهَا ، وَأَجْزَائِهَا وَطَبَقَاتِهَا ؛ فَيَسْتَخْدِمُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا دَائِماً ، بِوَظِيفَةٍ ، بَلْ بِوَظَائِفَ كَثِيرَةٍ ، بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ ، لِأَجْلِ إِظْهَارِ كَمَالَاتِهِ ، وَقُدْرَتِهِ ، وَرُبُوبِيَّتِهِ ؛

وَيُرْسِلُ طَوَائِفَ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَالْقَافِلَةَ وَرَاءَ الْقَافِلَةِ ، وَالدُّنْيَا وَرَاءَ الدُّنْيَا ، السَّيَّارَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ ، إِلٰى مَضْيَفَةِ هٰذَا الْعَالَمِ ، وَإِلٰى مَيْدَانِ امْتِحَانِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ؛ فَيَلْتَقِطُ صُوَرَهَا وَأَعْمَالَهَا وَأَوْضَاعَهَا ، بِسِينَمَاءَاتٍ أُخْرَوِيَّةٍ ، وَبِمُصَوِّرَاتٍ بَرْزَخِيَّةٍ ، مَنْصُوبَةٍ فِي عَالَمِ الْمِثَالِ ، لِإِظْهَارِ الْجَلَوَاتِ السَّرْمَدِيَّةِ وَغَيْرِ الْمَحْدُودَةِ ، لِأَسْمَائِهِ ؛ فَبَعْدَ تَسْرِيحِهَا يُرْسِلُ طَوَائِفَ وَقَوَافِلَ أُخْرٰى ، وَأَنْوَاعاً مِنْ دُنًى سَيَّالَةٍ وَسَيَّارَةٍ ، إِلٰى ذٰلِكَ الْمَيْدَانِ ، بِالْوَظَائِفِ ، لِتَكُونَ مَرَايَا لِجَلَوَاتِ أَسْمَائِهِ ؛ فَهَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ ، أَنْ لَا يُوجَدَ حَشْرٌ وَنَشْرٌ ، وَدَارُ مُكَافَأَةٍ وَمُعَاقَبَةٍ ، لِأَجْلِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، هٰذَا الَّذِي يُقَابِلُ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ ، بِالشُّعُورِ وَالْعَقْلِ ، تِجَاهَ جَمِيعِ مَقَاصِدِ ذٰلِكَ الْخَالِقِ ، وَالَّذِي يُحِبُّ ذٰلِكَ الْخَالِقَ فَيُحَبِّبُهُ ؛ وَيَعْرِفُهُ وَيُعَرِّفُهُ بِكُلِّ اسْتِعْدَادِهِ ؛ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ لِسَعَادَةِ بَقَاءِ الْآخِرَةِ بِأَدْعِيَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَيَطْلُبُ الْحَيَاةَ الْبَاقِيَةَ الَّتِي هِيَ عَيْنُ اللَّذَّةِ ، بِكُلِّ فِطْرَتِهِ وَرُوحِهِ وَاسْتِعْدَادِهِ ، مِنْ تَلَقِّيهِ آلاماً بِلَا نِهَايَةٍ ، بِسَبَبِ الْعَقْلِ ؟ . حَاشَا وَكَلَّا ، مِئَةَ أَلْفِ حَاشَا . .

هٰذَا ، فَإِنَّ إِيضَاحَاتِ هٰذِهِ الْإِشَارَةِ الْقُصَيْرَةِ ، وَتَفْصِيلَاتِهَا وَحُجَجَهَا ، تُوجَدُ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ، فِي صُورَةٍ نَاصِعَةٍ وَقَوِيَّةٍ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ نُحِيلُهَا عَلَيْهَا ؛ فَنَخْتَصِرُ هٰذِهِ الْقِصَّةَ الطَّوِيلَةَ جِدّاً . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ { جُمَادَى الْأُولٰى / ٣ / ١٤٠٦ هـ . .
كَانُونَ الثَّانِي / ١٣ / ١٩٨٦ م . .

مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلَازْكِرْدِيُّ ، وَفَّقَهُ اللّٰهُ لِنَشْرِ الْأَنْوَارِ الْقُرْآنِيَّةِ بِكَمَالِ الرَّوَاجِ ، آمِينَ . .
أَزْهَرَ لُبْنَانَ بِعَرَمُونَ ، وَقَاهُ اللّٰهُ مِنْ رَيْبِ الْمَنُونِ ، وَعَمَّرَهُ بِالْعُلُومِ وَالْفُنُونِ ، آمِينَ . .

خُلاصَةٌ مُخْتَصَرَةٌ ، لِلْفَاتِحَةِ الشَّرِيفَةِ :

﴿ اَلْقِسْمُ الثَّانِي : ﴾ لِدَرْسٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ، أُلْقِيَ فِي نَقْلِي مِنَ التَّجْرِيدِ إِلَى التَّمَاسِّ ، فِي زَمَنٍ مُؤَقَّتٍ وَيَسِيرٍ جِدّاً ، فِي الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ الثَّالِثَةِ ؛ وَمِثَالُ دَرْسٍ قَصِيرٍ ، لِتَلامِذَةِ النُّورِ ، فِي السِّجْنِ ؛ وَهُوَ هٰذَا :

إِنَّ الْفَاتِحَةَ الَّتِي فِي الصَّلاةِ ، أَمَرَتِ الْقَلْبَ بِتَبْيِينِ قَطْرَةٍ مَّا ، مِنْ بَحْرِ الْفَاتِحَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَلَمْعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْأَلْوَانِ السَّبْعَةِ الَّتِي فِي شَمْسِهَا ، أَعْنِي : مِنْ أَلْوَانِهَا السَّبْعَةِ الَّتِي فِي ضِيَائِهَا ؛ فَإِنَّنَا وَإِنْ كُنَّا كَتَبْنَا نِكَاتٍ لَطِيفَةً وَلَذِيذَةً جِدّاً ، لِهٰذِهِ الْخَزِينَةِ الْقُدُسِيَّةِ ، فِي أَحَدِ أَقْسَامِ «الْمَكْتُوبِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ» ، وَخُصُوصاً فِي السِّيَاحَةِ الْخَيَالِيَّةِ الَّتِي فِي نُونِ «نَعْبُدُ» ، وَفِي الرُّمُوزَاتِ الثَّمَانِيَةِ ، وَفِي تَفْسِيرِ «إِشَارَاتِ الْإِعْجَازِ» ، وَفِي سَائِرِ أَجْزَاءِ النُّورِ ؛ وَلٰكِنِ اضْطُرِرْتُ فِي جِهَةٍ مَّا ، إِلٰى كِتَابَتِي لِتَفَكُّرِيَ الَّذِي فِي صَلاتِي أَنَا ، مِثْلَ أُسْلُوبِ الْإِفَادَةِ الَّتِي فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ ، وَلِخُلاصَةٍ مُخْتَصَرَةٍ قَصِيرَةٍ لِلْغَايَةِ ، مِنْ تِلْكَ الْخُلاصَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الْحُلْوَةِ جِدّاً ، وَلِإِشَارَاتِهَا الدَّائِرَةِ حَوْلَ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ وَحُجَجِهِ فَقَطْ . .

أُحِيلُ كَلِمَةَ : ﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، عَلَى اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلاثٍ مِنْ «رَسَائِلِ النُّورِ» ؛ فَأَبْدَأُ مِنْ ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ﴾ . .

﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ۞ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ ﴾ إِلٰى آخِرِهَا . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ الْأُولٰى : ﴾ ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ﴾ . إِنَّ إِشَارَةً لَنَا مُخْتَصَرَةً لِلْغَايَةِ ، إِلَى الْحُجَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ فِي هٰذِهِ ، هِيَ : نَعَمْ : إِنَّ الْإِنْعَامَاتِ وَالنِّعَمَ الْقَصْدِيَّةَ ، خُصُوصاً إِرْسَالَ لَبَنٍ صَافٍ نَظِيفٍ مُغَذٍّ ، مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ، إِلٰى أَطْفَالٍ عَجَزَةٍ ؛ وَالْإِحْسَانَاتِ وَالْهَدَايَا الاخْتِيَارِيَّةَ ، وَالْإِكْرَامَاتِ وَالضِّيَافَاتِ الرَّحِيمَةَ ، الَّتِي هِيَ مَدَارُ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ فِي الْأَكْوَانِ ، قَدْ مَلَأَتْ وَجْهَ الْأَرْضِ ، بَلِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَإِنَّ ثَمَنَهَا : هُوَ ﴿ بِسْمِ اللّٰهِ ﴾ فِي الصَّدْرِ ؛ وَ ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ﴾

فِي الْآخِرِ ؛ وَإِحْسَاسُ الْإِنْعَامِ فِي النِّعْمَةِ ، وَمَعْرِفَةُ رَبِّهِ بِهِ ، فِي الْوَسَطِ . . فَانْظُرْ إِلٰى نَفْسِكَ وَمَعِدَتِكَ وَحَوَاسِّكَ ؛ فَأَبْصِرْ : كَمْ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَالنِّعَمِ ، هِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهَا ؛ وَكَمْ دَرَجَةً مِنَ الْأَرْزَاقِ وَاللَّذَائِذِ تَطْلُبُهَا بِثَمَنِ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ ؟ فَقِسْ عَلٰى نَفْسِكَ ، كُلَّ ذِي حَيَاةٍ . . هٰذَا ، فَإِنَّ الْمَحَامِدَ بِلَا حَدٍّ ، الَّتِي تُحْمَدُ بِأَلْسِنَةِ الْحَالِ وَالْقَالِ ، فِي مُقَابِلِ هٰذِهِ الْإِنْعَامَاتِ الْعُمُومِيَّةِ ، تَدُلُّ كَالشَّمْسِ ، عَلٰى وُجُودِ مَعْبُودٍ مَحْمُودٍ ، وَمُنْعِمٍ رَحِيمٍ ، وَعَلٰى رُبُوبِيَّتِهِ الْعُمُومِيَّةِ ، فِي صُورَةٍ قَاطِعَةٍ جِدّاً . .

﴿اَلْكَلِمَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . إِشَارَةٌ قَصِيرَةٌ لِلْغَايَةِ ، إِلَى الْحُجَّةِ فِي هٰذِهِ . نَعَمْ : نَرٰى بِبَصَرِنَا : أَنَّ الْآلَافَ ــ لَا ــ بَلِ الْمَلَايِينَ مِنَ الْعَوَالِمِ وَصِغَارِ الْأَكْوَانِ ، فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، أَكْثَرُهَا مُتَدَاخِلٌ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ؛ وَشَرَائِطُ إِدَارَةِ وَتَدْبِيرِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُخْتَلِفَةٌ ؛ مَعَ أَنَّهَا تُرَبّٰى وَتُدَبَّرُ وَتُدَارُ مُكَمَّلَةً كَذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ ، كَصَحِيفَةٍ فِي نَظَرِهِ كُلَّ آنٍ ؛ وَإِنَّ جَمِيعَ الْعَوَالِمِ ، كَسُطُورٍ تُكْتَبُ وَتُجَدَّدُ وَتُبَدَّلُ بِقَلَمِ قُدْرَتِهِ وَقَدَرِهِ ؛ فَتَرِدُ كُلَّ آنٍ وَزَمَانٍ ، شَهَادَاتٌ كُلِّيَّةٌ وَجُزْئِيَّةٌ ، وَشَهَادَاتٌ بِلَا حَدٍّ وَلَا نِهَايَةٍ ، عَدَدَ الذَّرَّاتِ وَالْمَوْجُودَاتِ الْمُرَكَّبَةِ مِنَ الذَّرَّاتِ ، عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِ رَبٍّ لِلْعَالَمِينَ ، وَعَلٰى وَحْدَتِهِ ، الَّذِي يُدِيرُ هٰؤُلَاءِ الْمَلَايِينَ مِنَ الْعَوَالِمِ وَالْأَكْوَانِ السَّيَّالَةِ ، بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ بِلَا نِهَايَةٍ ، وَبِرَحْمَةٍ وَدِقَّةٍ مُحِيطَةٍ بِلَا حَدٍّ ، بَيْنَ رُبُوبِيَّةٍ بِلَا نِهَايَةٍ . وَإِنَّ إِنْسَاناً لَا يُصَدِّقُ وَلَا يُحِسُّ وَلَا يَعْلَمُ وَلَا يُبْصِرُ رُبُوبِيَّةً تُدِيرُهَا وَتُرَبِّيهَا مَعاً ، بِعَيْنِ الْقَانُونِ ، وَبِعَيْنِ الرُّبُوبِيَّةِ وَعَيْنِ الْحِكْمَةِ ، مِنْ مَزْرَعَةِ الذَّرَّاتِ ، إِلَى الْمَنْظُومَةِ الشَّمْسِيَّةِ ، وَإِلٰى دَائِرَةِ الْمَجَرَّةِ الْمَدْعُوَّةِ بِدَرْبِ التَّبَّانَةِ ، وَمِنْ خَلِيَّةٍ مَّا لِلْبَدَنِ ، إِلٰى مَخْزَنِ الْأَرْضِ ، وَإِلَى الْهَيْئَةِ الْمَجْمُوعَةِ لِلْكَائِنَاتِ ؛ فَإِنَّهُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مُسْتَحِقّاً بِعَذَابٍ بِلَا حَدٍّ ؛ وَيَسْلُبُ لِيَاقَتَهُ بِالرَّحْمَةِ . .

﴿اَلْكَلِمَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ ﴿اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ . إِشَارَةٌ قَصِيرَةٌ لِلْغَايَةِ ، إِلَى الْحُجَّةِ فِي هٰذِهِ . نَعَمْ : يُشَاهَدُ وُجُودُ وَحَقِيقَةُ الرَّحْمَةِ بِلَا حَدٍّ فِي الْكَائِنَاتِ ، مِثْلَ ضِيَاءِ الشَّمْسِ عَيْنِهَا ؛ وَتَشْهَدُ هٰذِهِ الرَّحْمَةُ الْوَاسِعَةُ أَيْضاً ، عَلٰى رَحْمٰنٍ رَحِيمٍ وَرَاءَ الْحِجَابِ ، مِثْلَ شَهَادَةِ الضِّيَاءِ عَلَى الشَّمْسِ قَطْعاً . نَعَمْ : إِنَّ قِسْماً أَهَمَّ لِلرَّحْمَةِ ، هُوَ الرِّزْقُ ؛ فَيُؤَوَّلُ الرَّحْمٰنُ بِمَعْنَى الرَّزَّاقِ .

أَمَّا الرِّزْقُ ، فَيَدُلُّ عَلٰى رَزَّاقٍ رَحِيمٍ ، عَلٰى وَجْهٍ ظَاهِرٍ ، بِحَيْثُ يُضْطَرُّ إِلَى التَّصْدِيقِ ، مَنْ لَهُ الشُّعُورُ بِقَدَرِ الذَّرَّةِ ؛ فَإِنَّهُ يُوصِلُ أَرْزَاقَ جَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، خُصُوصاً الْعَجَزَةَ ، وَخَاصَّةً الْأَطْفَالَ ، مِنَ الْعَدَمِ وَمِنَ النَّوَى الْمُتَمَاثِلَةِ ، وَمِنْ قَطَرَاتِ الْمَاءِ ، وَمِنْ حُبَيْبَاتِ التُّرَابِ مَثَلاً ، فِي كُلِّ الْأَرْضِ وَفِي الْفَضَاءِ ، وَفِي خَارِجِ اخْتِيَارِهِمْ وَاقْتِدَارِهِمْ ، عَلٰى وَجْهٍ خَارِقٍ لِلْغَايَةِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يُسَيِّرُ وَالِدَاتِ الطُّوَيْرَاتِ الضَّعِيفَةِ بِلَا جَنَاحٍ ، فِي الْوَكْرِ الَّذِي عَلٰى رَأْسِ الشَّجَرَةِ ؛ فَيُجْبِرُهَا عَلٰى إِتْيَانِ أَرْزَاقِهَا إِلَيْهَا ، كَمُجَنَّدٍ مُطِيعٍ لِلْأَمْرِ ؛ وَيُسَخِّرُ أَسَداً جَائِعاً ، لِشِبْلِهِ ؛ فَلَا يَأْكُلُ مَا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ لَحْمٍ ؛ فَيُطْعِمُهُ شِبْلَهُ ؛ وَإِنَّهُ يُرْسِلُ إِلٰى أَطْفَالِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْإِنْسَانِ ، لِإِمْدَادِهِمْ ، مِنْ قَنَاةِ الثُّدِيِّ ، أَلْبَاناً بَيْضَاءَ خَالِصَةً صَافِيَةً مُغَذِّيَةً طَيِّبَةً كَمَاءِ الْكَوْثَرِ ، مِنْ بَيْنِ الدَّمِ الْأَحْمَرِ ، وَالْفَرْثِ الْمُلَوَّثِ ؛ وَيُعْطِيهَا شَفَقَاتِ وَالِدَاتِهَا عَوْناً لَهَا ؛ وَيَسُوقُ إِلٰى جَمِيعِ الْأَشْجَارِ الطَّالِبَةِ لِنَوْعٍ مَّا مِنَ الرِّزْقِ ، أَرْزَاقَهَا الْمُنَاسِبَةَ بِهَا ، عَلٰى وَجْهٍ خَارِقٍ جِدّاً ؛ كَمَا يُحْسِنُ إِلَى الْإِنْسَانِ الطَّالِبِ لِنَوْعٍ مَّا مِنَ الرِّزْقِ الْمَادِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ ، بِمَائِدَةِ أَرْزَاقٍ وَاسِعَةٍ جِدّاً ، لِحَوَاسِّهِ ، وَلِعَقْلِهِ وَقَلْبِهِ وَرُوحِهِ أَيْضاً ؛ فَكَأَنَّ الْأَكْوَانَ ، مِئَاتُ آلَافِ مَوَائِدَ مُخْتَلِفَةٍ وَمُتَنَوِّعَةٍ ، مَلْفُوفَةٍ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ، مِثْلَ أَوْرَاقِ زَهْرَةِ الْوَرْدَةِ ، وَأَقْمِصَةِ سُنْبُلَةِ الذُّرَةِ ؛ فَتَرَى مَنْ لَمْ يَكُنْ أَعْمَى كُلِّيّاً ، رَحْمَاناً رَزَّاقاً ، وَرَحِيماً كَرِيماً ، بِأَلْسِنَةٍ عَدَدَ تِلْكَ الْمَوَائِدِ ، وَمِقْدَارَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَطْعِمَةِ وَالنِّعَمِ ، وَبِأَلْسِنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ كُلِّيَّةٍ وَجُزْئِيَّةٍ . .

فَإِنْ قِيلَ : إِنَّ الْمَصَائِبَ وَالْقَبَائِحَ وَالشُّرُورَ ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ، مُنَافِيَةٌ لِتِلْكَ الرَّحْمَةِ الْمُحِيطَةِ ؛ وَتُكَدِّرُهَا . .

فَالْجَوَابُ : أَنَّهُ أُجِيبَ الْجَوَابُ التَّامُّ عَلٰى هٰذَا السُّؤَالِ الرَّهِيبِ ، فِي «رَسَائِلِ النُّورِ» ، مِثْلِ «رِسَالَةِ الْقَدَرِ» ؛ وَأَنَّ إِشَارَةً قَصِيرَةً إِلَيْهِ ، مُحِيلاً إِيَّاهُ عَلَيْهَا ، هِيَ : أَنَّ لِكُلِّ عُنْصُرٍ ، وَلِكُلِّ نَوْعٍ ، وَلِكُلِّ مَوْجُودٍ ، وَظَائِفَ مُتَعَدِّدَةً كُلِّيَّةً وَجُزْئِيَّةً ؛ وَلِكُلِّ وَظِيفَةٍ مِنْ تِلْكَ الْوَظَائِفِ ، نَتَائِجَ وَثَمَرَاتٍ كَثِيرَةً ؛ وَأَنَّ أَكْثَرِيَّتَهَا الْمُطْلَقَةَ ، هِيَ مَصَالِحُ وَحَسَنَاتٌ وَخَيْرَاتٌ وَرَحَمَاتٌ ؛ وَأَنَّ قِسْماً قَلِيلاً مِنْهَا ، إِمَّا يُصَادِفُ غَيْرَ الْقَابِلِينَ ، أَوِ الْمُبَاشِرِينَ خَطأً ، أَوِ الْمُسْتَحِقِّينَ بِالْجَزَاءِ

وَالتَّأْدِيبِ ، أَوِ الَّذِينَ هُمْ وَسَائِلُ لِتَسَنْبُلِ خَيْرَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ فَيَحْدُثُ شَرٌّ وَقُبْحٌ ظَاهِرِيٌّ وَجُزْئِيٌّ ؛ وَيُرَى غَيْرَ رَحْمَةٍ . فَإِنْ مُنِعَ ذٰلِكَ الْعُنْصُرُ ، وَذَاكَ الْمَوْجُودُ الْكُلِّيُّ ، عَنْ وَظِيفَتِهِ تِلْكَ ، مِنْ جَانِبِ الرَّحْمَةِ ؛ لِئَلَّا يَرِدَ ذٰلِكَ الشَّرُّ الْجُزْئِيُّ ، فَحِينَئِذٍ لَا تُوجَدُ سَائِرُ نَتَائِجِهِ الْخَيْرِيَّةِ وَالْجَمِيلَةِ كُلِّهَا ؛ فَتَحْصُلُ شُرُورٌ وَقَبَائِحُ عَدَدَ تِلْكَ النَّتَائِجِ ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ عَدَمَ خَيْرٍ مَّا ، شَرٌّ ؛ وَأَنَّ فَسَادَ حُسْنٍ مَّا ، يَكُونُ قُبْحاً . . إذاً فَتُرْتَكَبُ مِئَاتُ شُرُورٍ وَمَظَالِمَ ؛ لِئَلَّا يَرِدَ شَرٌّ وَاحِدٌ ؛ فَيَقَعُ ذٰلِكَ مُخَالِفاً لِلْحِكْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ ، وَلِمَا فِي الرُّبُوبِيَّةِ مِنَ الرَّحْمَةِ كُلِّيّاً . فَمَثَلاً : إِنَّ بَعْضَ الَّذِينَ لَا دِقَّةَ وَلَا احْتِيَاطَ لَهُمْ ، إِذَا جَعَلَ أَنْوَاعاً مِثْلَ الثَّلْجِ وَالْبَرْدِ وَالنَّارِ وَالْمَطَرِ ، شَرّاً فِي حَقِّهِ ، بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ ، بَيْنَ مِئَاتِ حِكَمِهَا وَمَصَالِحِهَا ؛ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي النَّارِ مَثَلاً ؛ وَقَالَ : لَا رَحْمَةَ فِي خِلْقَةِ النَّارِ ؛ فَإِنَّ فَوَائِدَهَا الْخَيْرِيَّةَ وَذَاتَ الْمَصْلَحَةِ وَالْمَرْحَمَةِ ، الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى ، تُكَذِّبُهُ فَتَضْرِبُ عَلَى فَمِهِ . . وَأَيْضاً أَنَّ هَوَسَاتِ الْإِنْسَانِ الْحَرِيصَةَ ، وَحِسِّيَّاتِهِ السُّفْلِيَّةَ الَّتِي لَا تَرَى الْعَاقِبَةَ ، لَنْ تَصِيرَ مِقْيَاساً وَمِحَكّاً وَمِيزَاناً ، لِقَوَانِينِ الرَّحْمَانِيَّةِ وَالْحَكِيمِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ الْجَارِيَةِ فِي الْكَائِنَاتِ ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَرَى حَسَبَ لَوْنِ مِرْآتِهِ ؛ فَإِنَّ قَلْباً أَسْوَدَ بِلَا رَحْمَةٍ ، يَرَى الْكَائِنَاتِ فِي صُورَةِ الْبَاكِيَةِ وَالْقَبِيحَةِ وَالْمُظْلِمَةِ وَالظُّلُمَاتِ ؛ وَلٰكِنْ إِذَا نَظَرَ بِبَصَرِ الْإِيمَانِ ، يُشَاهِدُهَا إِنْسَاناً أَكْبَرَ يَتَبَسَّمُ بِالرَّحْمَةِ ؛ وَيَضْحَكُ دَائِماً ، لَبِسَ سَبْعِينَ أَلْفَ لِبَاسٍ فَاخِرٍ ، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، خِيطَتْ مِنَ الرَّحَمَاتِ وَالْخَيْرَاتِ وَالْحِكَمِ ، مِثْلَ إِحْدَى حُورِ الْجَنَّةِ ، لَبِسَتْ سَبْعِينَ حُلَّةً فَاخِرَةً ؛ وَيُشَاهِدُ نَوْعَ الْإِنْسَانِ الَّذِي فِيهَا ، كَائِنَاتٍ صُغْرَى ؛ وَكُلَّ إِنْسَانٍ ، عَالَماً أَصْغَرَ ؛ فَيَقُولُ بِكُلِّ رُوحِهِ وَحَيَاتِهِ : ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۞﴾ . .

⊰ اَلْكَلِمَةُ الرَّابِعَةُ : ⊱ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ . إِشَارَةٌ مُخْتَصَرَةٌ لِلْغَايَةِ إِلَى حُجَّتِهَا . .

﴿أَوَّلاً :﴾ إِنَّ جَمِيعَ الدَّلَائِلِ الشَّاهِدَةِ عَلَى الْحَشْرِ وَالْآخِرَةِ ، وَعَلَى حُجَّةِ : ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ، فِي آخِرِ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ مِنْ هٰذَا الدَّرْسِ ، تَشْهَدُ عَلَى الْحَقِيقَةِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْوَاسِعَةِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَيْهَا : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بِعَيْنِهَا . .

﴿ثَانِياً :﴾ إنَّ رُبُوبِيَّةَ صَانِعِ هٰذِهِ الْأَكْوَانِ ، وَرَحْمَتَهُ وَحِكْمَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ ؛ وَجَمَالَهُ وَجَلاَلَهُ وَكَمَالَهُ الْأَزَلِيَّةَ وَالْأَبَدِيَّةَ ؛ وَصِفَاتِهِ بِلاَ نِهَايَةٍ ؛ وَمِئَاتِ أَسْمَائِهِ ، تَقْتَضِي الْآخِرَةَ فِي صُورَةٍ قَطْعِيَّةٍ ؛ كَمَا أَنَّ «الْقُرْآنَ» بِآلاَفِ آيَاتِهِ وَبَرَاهِينِهِ ؛ «وَمُحَمَّداً» (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ) ، بِمِئَاتِ مُعْجِزَاتِهِ وَحُجَجِهِ ؛ وَجَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ (عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ) ؛ وَالْكُتُبَ وَالصُّحُفَ السَّمَاوِيَّةَ ، بِدَلاَئِلِهَا الَّتِي لاَ حَدَّ لَهَا ، تَشْهَدُ عَلَى دَارِ الْآخِرَةِ ؛ كَمَا قِيلَ فِي آخِرِ «الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ» . فَإِنَّ إِنْسَاناً لاَ يُؤْمِنُ بِالْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ الَّتِي فِيهَا ، يُلْقِي بِنَفْسِهِ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا أَيْضاً ، إِلَى جَهَنَّمَ مَعْنَوِيَّةٍ نَاشِئَةٍ عَنِ الْكُفْرِ ؛ فَيُعَانِي الْعَذَابَ دَائِماً ؛ وَإِنَّ جَمِيعَ الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ ، وَالْمَخْلُوقَاتِ وَالْكَوَائِنِ ، تُمْطِرُ بِزَوَالِهَا وَفِرَاقِهَا ، آلاَماً بِلاَ حَدٍّ ، عَلَى رُوحِهِ وَقَلْبِهِ دَائِماً ؛ فَتُحَمِّلُهُ عَذَابَ جَهَنَّمَ ، قَبْلَ الذَّهَابِ إِلَى جَهَنَّمَ ؛ كَمَا أُوضِحَ فِي «الدَّلِيلِ» . .

﴿ثَالِثاً :﴾ إِنَّ ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ يُشِيرُ بِرَمْزِهِ ، إِلَى حُجَّةٍ حَشْرِيَّةٍ عَظِيمَةٍ وَقَوِيَّةٍ ؛ وَلٰكِنَّ حَالاً مَّا فِي هٰذَا الْمَقَامِ صَارَتْ فَجْأَةً ، سَبَباً لِتَأْخِيرِ تِلْكَ الْحُجَّةِ إِلَى زَمَانٍ آخَرَ ؛ وَلَعَلَّهَا لَمْ يَبْقَ الاِحْتِيَاجُ إِلَيْهَا بَعْدُ ؛ لِأَنَّ «رَسَائِلَ النُّورِ» ، أَثْبَتَتْ صَبَاحَ وَرَبِيعَ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ ، بِمِئَاتِ حُجَجٍ قَوِيَّةٍ ، فِي قَطْعِيَّةِ مَجِيءِ النَّهَارِ بَعْدَ اللَّيْلِ ، وَالرَّبِيعِ بَعْدَ الشِّتَاءِ . .

﴿اَلْكَلِمَةُ الْخَامِسَةُ :﴾ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . لَقَدْ وَرَدَ عَلَى الْقَلْبِ ، قَبْلَ الْإِشَارَةِ إِلَى الْحُجَّةِ فِي هٰذِهِ ، تَبْيِينُ سِيَاحَةٍ خَيَالِيَّةٍ ذَاتِ حَقِيقَةٍ ، بَيَاناً مُخْتَصَراً ، بِنَاءً عَلَى إِيضَاحِ «الْمَكْتُوبِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ» إِيَّاهَا . .

ذٰلِكَ : أَنِّي إِذْ كُنْتُ أَتَحَرَّى مُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِ ، مِثْلَ مَا فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ، وَفِي التَّفْسِيرِ النُّورِيِّ «إِشَارَاتِ الْإِعْجَازِ» ، وَفِي «الرُّمُوزِ الثَّمَانِيَةِ» مِنْ بَيَانَاتِهَا ؛ وَجَدْتُ فِي الْآيَةِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ الْفَتْحِ ، أَرْبَعَ أَوْ خَمْسَ مُعْجِزَاتٍ وَأَخْبَارٍ غَيْبِيَّةٍ ؛ بَلْ وَفِي جُمْلَةِ : ﴿اَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ ، مُعْجِزَةً تَارِيخِيَّةً ؛ بَلْ وَفِي كَلِمَاتِهِ الْكَثِيرَةِ ، لَمَعَاتِ إِعْجَازٍ مُتَعَدِّدَةً ؛ وَفِي بَعْضِ حُرُوفِهِ ، نِكَاتٍ مُعْجِزَةً ؛ فَعِنْدَمَا كُنْتُ أَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ فِي الصَّلاَةِ ، وَرَدَ سُؤَالٌ عَلَى قَلْبِي ، لِيُعْلِمَنِي مَا فِي ﴿نَعْبُدُ﴾ وَ ﴿نَسْتَعِينُ﴾ مِنْ نُونَيْهِمَا ، إِحْدَى مُعْجِزَاتِهِمَا ؛ بِأَنَّهُ لِمَاذَا لَمْ

يُقَلْ: ﴿أَعْبُدُ وَأَسْتَعِينُ﴾ : أَيْ أَنَا أَعْبُدُكَ وَأَسْتَعِينُكَ ؟ فَقِيلَ بِنُونِ الْمُتَكَلِّمِ مَعَ الْغَيْرِ : أَيْ نَحْنُ نَعْبُدُكَ وَنَسْتَعِينُكَ ؛ فَإِذَا بِمَيْدَانِ سِيَاحَةٍ خَيَالِيَّةٍ انْفَتَحَ بِبَابِ ذٰلِكَ النُّونِ ؛ فَرَأَيْتُ وَعَلِمْتُ فِي دَرَجَةِ الشُّهُودِ ، السِّرَّ الْعَظِيمَ وَالنَّفْعَ الْكَبِيرَ لِلْجَمَاعَةِ فِي الصَّلَاةِ ؛ وَأَنَّ هٰذَا الْحَرْفَ الْوَحِيدَ ، هُوَ مُعْجِزَةٌ . .

ذٰلِكَ : أَنِّي إِذْ كُنْتُ فِي إِسْطَنْبُولَ ، فِي جَامِعِ (بَايَزِيدَ) ذٰلِكَ الْوَقْتَ ، قُلْتُ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ؛ فَنَظَرْتُ أَنَّ الْجَمَاعَةَ فِي ذٰلِكَ الْجَامِعِ ، تَقُولُ مِثْلِي ؛ فَيَشْتَرِكُونَ تَمَاماً فِي دَعْوَايَ هٰذِهِ ، وَفِي دُعَائِي فِي : ﴿اِهْدِنَا﴾ ؛ فَيُصَدِّقُونَهُمَا . فَعِنْدَئِذٍ انْفَتَحَ حِجَابٌ آخَرُ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ جَمِيعَ مَسَاجِدِ إِسْطَنْبُولَ ، أَصْبَحَتْ فِي حُكْمِ جَامِعِ (بَايَزِيدَ) كَبِيرٍ ؛ فَيَقُولُونَ مِثْلِي بِعَيْنِهِ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ؛ وَيُوَقِّعُونَ عَلَى دَعَاوَايَ وَأَدْعِيَتِي ؛ فَيُؤَمِّنُونَ عَلَيْهَا ؛ وَاتَّخَذُوا صُورَةَ نَوْعٍ مَّا مِنَ الشُّفَعَاءِ لِي . . فَفِي ذٰلِكَ الْآنِ انْفَتَحَ لِخَيَالِي حِجَابٌ آخَرُ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ عَالَمَ الْإِسْلَامِ اتَّخَذَ صُورَةَ مَسْجِدٍ عَظِيمٍ ؛ فَصَارَتْ مَكَّةُ وَالْكَعْبَةُ فِي حُكْمِ الْمِحْرَابِ ؛ فَتَوَجَّهَتْ صُفُوفُ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ، عَلَى وَجْهٍ دَائِرِيٍّ ، إِلَى ذٰلِكَ الْمِحْرَابِ الْمُقَدَّسِ ؛ فَيَقُولُونَ مِثْلِي : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اِهْدِنَا﴾ ؛ فَيَدْعُو كُلُّ وَاحِدٍ ؛ وَيُصَدِّقُ بِاسْمِ الْجَمِيعِ ؛ وَيَجْعَلُونَهُمْ شُفَعَاءَ لِأَنْفُسِهِمْ ؛ وَكُنْتُ أَتَصَوَّرُ أَنَّ صِرَاطَ جَمَاعَةٍ عَظِيمَةٍ بِهٰذَا الْقَدَرِ ، وَدَعْوَاهُمْ ، لَنْ تَكُونَ خَاطِئَةً ؛ وَأَنَّ دَعَوَاتِهِمْ لَا تُرَدُّ ؛ وَأَنَّهَا تَطْرُدُ الْوَسَاوِسَ الشَّيْطَانِيَّةَ ؛ وَكُنْتُ أُصَدِّقُ بِالْمُشَاهَدَةِ ، الْمَنَافِعَ الْعَظِيمَةَ لِلْجَمَاعَةِ فِي الصَّلَاةِ ؛ فَانْفَتَحَ حِجَابٌ آخَرُ ؛ فَرَأَيْتُ كَأَنَّ الْأَكْوَانَ جَامِعٌ أَكْبَرُ ؛ وَأَنَّ جَمِيعَ طَوَائِفِ الْمَخْلُوقَاتِ ، فِي صَلَاةٍ كُبْرَى ؛ فَيُصَلُّونَ نَوْعاً مَّا مِنَ الصَّلَاةِ بِالْجَمَاعَةِ ؛ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، بِلِسَانِ حَالِهِ ، وَبِعِبَادَةٍ مَخْصُوصَةٍ بِهِ ؛ فَيُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ ، شَهَادَاتِ وَتَوْحِيدَاتِ الْجَمِيعِ ، لِأَجْلِ الْمُقَابَلَةِ بِعُبُودِيَّةٍ وَاسِعَةٍ جِدّاً ، تِجَاهَ رُبُوبِيَّةِ الْمَعْبُودِ ذِي الْجَلَالِ ، الْمُحِيطَةِ ؛ فَيَتَّخِذُونَ الْكَيْفِيَّةَ عَلَى وَجْهِ إِثْبَاتِ عَيْنِ النَّتِيجَةِ : هٰكَذَا كُنْتُ أُشَاهِدُ . فَإِذَا بِحِجَابٍ آخَرَ انْفَتَحَ ؛ فَرَأَيْتُ : كَمَا أَنَّ الْكَائِنَاتِ الَّتِي هِيَ إِنْسَانٌ أَكْبَرُ ، تَقُولُ بِلِسَانِ الْحَالِ ؛ وَأَنَّ أَجْزَاءَهَا الْكَثِيرَةَ ، تَقُولُ بِلِسَانِ الِاسْتِعْدَادِ وَالِاحْتِيَاجِ الْفِطْرِيِّ ؛ وَأَنَّ مَوْجُودَاتِهَا ذَوَاتِ

الشُّعورِ تَقُولُ بِلِسَانِ الْقَالِ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ؛ وَيُظْهِرُونَ عُبُودِيَّاتِهِمْ تِجَاهَ رُبُوبِيَّةِ خَالِقِهِمْ عَلَىٰ وَجْهِ الرَّحْمَةِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِه ، رَأَيْتُ أَنَّ حَوَاسِّيَ وَقُوَايَ وَذَرَّاتِي الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ كَوْنٍ صَغِيرٍ ، فِي جَسَدِي ، كَجَسَدِ كُلِّ رَفِيقٍ لِي ، فِي تِلْكَ الْجَمَاعَةِ الْعُظْمَىٰ ، هِيَ أَيْضاً تَقُولُ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، بِلِسَانِ حَالِ إِطَاعَتِهَا وَاحْتِيَاجِهَا ، تِجَاهَ رُبُوبِيَّةِ خَالِقِهَا ؛ فَتَتَحَرَّكُ حَسَبَ الْأَمْرِ وَالْإِرَادَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَتُظْهِرُ أَنَّهَا مُحْتَاجَةٌ إِلَىٰ عِنَايَةِ خَالِقِهَا ، وَإِلَىٰ رَحْمَتِهِ وَمَعُونَتِهِ ، فِي كُلِّ آنٍ . فَشَاهَدْتُ بِالْحَيْرَةِ ، السِّرَّ الْقُدْسِيَّ لِلْجَمَاعَةِ الَّتِي فِي الصَّلَاةِ ، وَالْمُعْجِزَةَ الْجَمِيلَةَ لِلنُّونِ ؛ وَخَرَجْتُ كَمَا دَخَلْتُ بِبَابِ النُّونِ ؛ وَقُلْتُ : ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ﴾ ؛ فَاجْتَهَدْتُ لِأَذْكُرَ جُمْلَةَ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، بِحِسَابِ تِلْكَ الْجَمَاعَاتِ الثَّلَاثِ ، وَأَصْحَابِي أُولٰئِكَ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ أَيْضاً . .

فَالْآنَ انْتَهَتِ الْمُقَدِّمَةُ ؛ فَنَرْجِعُ إِلَى الصَّدَدِ . .

إِشَارَةٌ قَصِيرَةٌ لِلْغَايَةِ ، إِلَى الْحُجَّةِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَيْهَا : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . .

﴿أَوَّلاً :﴾ نَرَى بِبَصَرِنَا ، فِي الْكَائِنَاتِ ، خُصُوصاً فِي وَجْهِ الْأَرْضِ ، بَيْنَ جَرَيَانِ فَعَّالِيَّةٍ وَخَلَّاقِيَّةٍ مُدْهِشَةٍ وَدَائِمَةٍ بِالِانْتِظَامِ ، رُبُوبِيَّةً مُطْلَقَةً رَحِيمَةً وَمُدَبِّرَةً ؛ وَبَيْنَ تَظَاهُرِ الْإِمْدَادِ لِاسْتِعَانَةِ ذَوِي الْحَيَاةِ بِلَا حَدٍّ ؛ وَلِاسْتِمْدَادِهِمْ وَدَعَوَاتِهِمْ فِعْلاً وَحَالاً وَقَالاً ؛ وَالْإِجَابَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِعْلاً ، بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ وَالْعِنَايَةِ ، تَجَلِّيَاتِ أُلُوهِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ وَمَعْبُودِيَّةٍ عَامَّةٍ ، يَرَى الْعَقْلُ السَّلِيمُ وَبَصَرُ الْإِيمَانِ ، مُقَابَلَتَهَا لِلْعِبَادَاتِ الْفِطْرِيَّةِ وَالِاخْتِيَارِيَّةِ ، عَلَىٰ آلَافِ نَمَطٍ ، لِعُمُومِ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ وَلِذَوِي الْحَيَاةِ خُصُوصاً ؛ وَلِطَوَائِفِ الْإِنْسَانِ خَاصَّةً ؛ كَمَا تُخْبِرُ عَنْهَا جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ . .

﴿ثَانِياً :﴾ إِنَّ اشْتِغَالَ جَمِيعِ الْجَمَاعَاتِ الثَّلَاثِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْمُقَدِّمَةِ ، وَاشْتِغَالَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَعاً ، بِعِبَادَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ فِطْرِيَّةٍ وَاخْتِيَارِيَّةٍ ، بِرَمْزِ نُونِ ﴿نَعْبُدُ﴾ ، هُوَ مُقَابَلَةٌ شَاكِرَةٌ لِمَعْبُودِيَّةٍ مَّا ، بِالْبَدَاهَةِ وَبِلَا شَكٍّ ؛ وَشَهَادَةٌ بِلَا حَدٍّ وَبِغَيْرِ شُبْهَةٍ ، عَلَىٰ وُجُودِ مَعْبُودٍ مُقَدَّسٍ ؛ وَإِنَّ لِكُلِّ طَائِفَةٍ وَكُلِّ فَرْدٍ مِنَ الْجَمَاعَاتِ الثَّلَاثِ الْمَذْكُورَةِ ــ أَعْنِي : مِنْ مَجْمُوعِ الْكَائِنَاتِ ،

إِلٰى جَمَاعَةِ الذَّرَّاتِ فِي جَسَدٍ مَّا ـ اسْتِعَانَاتٍ وَدَعَوَاتٍ فِعْلِيَّةً وَحَالِيَّةً ، بِرَمْزِ نُونِ ﴿نَسْتَعِينُ﴾ ؛ وَإِنَّهَا تَشْهَدُ بِدُونِ شُبْهَةٍ ، **عَلَى مُدَبِّرٍ ذِي شَفَقَةٍ** ، يُسَارِعُ إِلٰى مَعُونَتِهِمْ ؛ وَيُجِيبُ عَلَى دَعَوَاتِهِمْ بِالتَّقَبُّلِ ؛ وَإِنَّ قَبُولَ ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ مِنْ دَعَوَاتِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ فِي الْأَرْضِ ، قَبُولاً خَارِقاً جِدّاً ، وَفِي خَارِجِ الْحُسْبَانِ مَثَلاً ، يَشْهَدُ قَطْعاً ، عَلَى **رَبٍّ رَحِيمٍ وَمُجِيبٍ** ؛ كَمَا تَقُولُ **«الْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ»** . **نَعَمْ** : إِنَّهَا تَشْهَدُ ظَاهِراً ، عَلَى **خَالِقٍ كَرِيمٍ** يَقْبَلُ أَمَامَ بَصَرِنَا ، جَمِيعَ دَعَوَاتِ الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا ، الَّتِي تَدْعُوهَا بِلِسَانِ الِاحْتِيَاجِ الْفِطْرِيِّ ؛ فَتَطْلُبُ مِنْ وَاحِدٍ ، مَطَالِبَهَا اللَّازِمَةَ لِحَيَاتِهَا ، وَالْخَارِجَةَ عَنِ اقْتِدَارِهَا ؛ وَأَرْزَاقَهَا مِنْ أَمَاكِنَ لَا تَنَالُهَا أَيْدِيهَا ؛ وَيَسُوقُ بِالْحِكْمَةِ مَخْلُوقَاتٍ عَجِيبَةً وَبِلَا شُعُورٍ ، لِإِمْدَادِهَا ، فِي وَقْتِهَا الْمُنَاسِبِ ؛ كَمَا تَطْلُبُ الْبُذُورُ وَالنَّوَى ، مِنْ خَالِقِهَا ، بِلِسَانِ الِاسْتِعْدَادِ ، أَنْ تَكُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا شَجَرَةً وَسُنْبُلَةً ؛ وَتُقْبَلُ دَعَوَاتُهَا أَمَامَ أَعْيُنِنَا . . هٰذَا ، فَقِيَاساً عَلَى هٰذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ ، فَإِنَّ قَبُولَ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الدَّعَوَاتِ الْمَدْعُوَّةِ بِلِسَانِ الْحَالِ ، وَخُصُوصاً قَبُولَ دَعَوَاتِ الْأَنْبِيَاءِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، وَالْخَوَاصِّ ، فِي صُورَةٍ خَارِقَةٍ ، يَشْهَدُ عَلَى حُجَّةِ الْوَحْدَانِيَّةِ فِي : ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ السَّادِسَةُ : ﴾ ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ . إِنَّ إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً لِلْغَايَةِ ، إِلَى الْحُجَّةِ فِي هٰذِهِ ، هِيَ : **نَعَمْ** : فَكَمَا أَنَّ أَقْصَرَ سُبُلٍ سَالِكَةٍ مِنْ مَكَانٍ مَّا إِلٰى مَكَانٍ ، وَخُطُوطٍ مَخْطُوطَةٍ مِنْ نُقْطَةٍ مَّا إِلٰى نُقْطَةٍ بَعِيدَةٍ ، هُوَ أَقْوَمُهَا وَأَكْثَرُهَا اسْتِقَامَةً ؛ **كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ فَإِنَّ الْأَقْوَمَ وَالْأَعْدَلَ فِي الْمَعْنَوِيَّاتِ ، وَفِي الطُّرُقِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، وَفِي الْمَسَالِكِ الْقَلْبِيَّةِ ، هُوَ أَقْصَرُهَا وَأَيْسَرُهَا ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ جَمِيعَ الْمُوَازَنَاتِ وَمُقَايَسَاتِ طُرُقِ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ ، فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ، تَدُلُّ قَطْعاً عَلَى أَنَّ طَرِيقَ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ ، قَصِيرٌ وَقَوِيمٌ وَمُتَيَسِّرٌ وَمُسْتَقِيمٌ لِلْغَايَةِ ؛ وَأَنَّ سُبُلَ الْكُفْرِ وَالْإِنْكَارِ ، طَوِيلَةٌ وَمُشْكِلَةٌ وَخَطِرَةٌ . إِذاً فَلَنْ تَكُونَ حَقَائِقُ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ قَطْعاً ، فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ الْمُسْتَقِيمَةِ وَالْحَكِيمَةِ ، وَالْمَسُوقَةِ فِي الطَّرِيقِ الْأَقْصَرِ وَالْأَيْسَرِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَإِنَّ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ ، لَازِمَةٌ وَوَاجِبَةٌ لِلْكَائِنَاتِ كَالشَّمْسِ ؛ وَأَيْضاً إِنَّ الطَّرِيقَ الْأَقْصَرَ وَالْأَسْلَمَ وَالْأَزْيَدَ رَاحَةً ، وَالْأَكْثَرَ فَائِدَةً ، فِي الْأَخْلَاقِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، هُوَ فِي الِاسْتِقَامَةِ ، وَفِي**

الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ؛ فَإِنَّ الْقُوَّةَ الْعَقْلِيَّةَ مَثَلاً ، إِذَا فَقَدَتْ الاِسْتِقَامَةَ الْهَيِّنَةَ وَالْمُفِيدَةَ ، وَالْحِكْمَةَ الَّتِي هِيَ الْحَدُّ الْوَسَطُ ، تَسْقُطُ بِالْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ ، فِي مُغَالَطَةٍ ضَارَّةٍ ، وَفِي بَلَاهَةٍ ذَاتِ بَلَاءٍ ؛ فَيُقَاسِي فِي طُرُقِهِمَا الطَّوِيلَةِ مَهَالِكَ ؛ وَإِنَّ الْقُوَّةَ الْغَضَبِيَّةَ ، إِذَا لَمْ تُعَقِّبِ الشَّجَاعَةَ الَّتِي هِيَ حَدُّ الاِسْتِقَامَةِ ، تَسْقُطُ بِالْإِفْرَاطِ ، فِي التَّهَوُّرِ وَالتَّجَبُّرِ الظَّالِمِ وَالضَّارِّ كَثِيراً ؛ وَبِالتَّفْرِيطِ ، فِي الْجُبْنِ وَالْجَبَانَةِ الْأَلِيمَةِ وَالذَّلِيلَةِ جِدّاً ؛ وَيُعَانِي عَذَاباً وِجْدَانِيّاً دَائِماً ، جَزَاءً لِخَطَأِ فِقْدَانِهِ الاِسْتِقَامَةَ ؛ وَإِنَّ الْقُوَّةَ الشَّهَوِيَّةَ فِي الْإِنْسَانِ ، إِذَا أَضَاعَتِ الْعِفَّةَ وَالاِسْتِقَامَةَ السَّلِيمَةَ ، تَسْقُطُ بِالْإِفْرَاطِ ، فِي الْفُحْشِ وَالْفُجُورِ ذِي الرَّزَالَةِ وَالْمُصِيبَةِ ، وَبِالتَّفْرِيطِ فِي الْخُمُودِ ــ أَيْ فِي الْحِرْمَانِ عَنِ الْأَذْوَاقِ وَاللَّذَائِذِ فِي النِّعَمِ ــ ؛ وَيُعَانِي عَذَابَ ذٰلِكَ الْمَرَضِ الْمَعْنَوِيِّ . . هٰذَا ، فَقِيَاساً عَلٰى هٰؤُلَاءِ ، فَإِنَّ الاِسْتِقَامَةَ فِي جَمِيعِ طُرُقِ الْحَيَاةِ الشَّخْصِيَّةِ ، وَالْحَيَاةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ ، هِيَ أَيْسَرُ وَأَقْصَرُ ، وَأَكْثَرُ فَائِدَةً . وَإِنْ فُقِدَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الطُّرُقَ ، تَصِيرُ ضَارَّةً وَطَوِيلَةً وَذَاتَ بَلَاءٍ كَثِيرٍ . إِذاً فَإِنَّ : ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ، دُعَاءٌ وَعُبُودِيَّةٌ ، جَامِعَانِ وَوَاسِعَانِ كَثِيراً جِدّاً ؛ كَمَا أَنَّهَا تُشِيرُ إِلٰى حُجَّةِ تَوْحِيدٍ ، وَدَرْسِ حِكْمَةٍ ، وَتَعْلِيمِ أَخْلَاقٍ . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ السَّابِعَةُ : ﴾ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ . إِشَارَةٌ قَصِيرَةٌ لِلْغَايَةِ ، إِلَى الْحُجَّةِ فِي هٰذِهِ . .

(أَوَّلاً :) إِنَّ آيَةَ ﴿مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ ، تُبَيِّنُ مَنْ هُمُ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ ؛ فَتُشِيرُ بَيْنَ الْبَيَانِ لِهٰؤُلَاءِ الطَّوَائِفِ الْأَرْبَعِ ، الْمَظْهَرِ لِنِعْمَةِ الاِسْتِقَامَةِ فِي نَوْعِ الْبَشَرِ ، إِلٰى رُؤَسَاءِ أُولَائِكَ الطَّوَائِفِ ؛ فَإِلٰى «مُحَمَّدٍ» (عليه الصلاة والسلام) ، بِـ﴿النَّبِيِّنَ﴾ ؛ وَإِلٰى «أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ» (رضي الله عنه) ، بِـ﴿الصِّدِّيقِينَ﴾ ؛ وَإِلٰى «عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ» (رضي الله عنهم) ، بِـ﴿الشُّهَدَآءِ﴾ ؛ فَتُظْهِرُ لَمْعَةَ إِعْجَازٍ بِالْإِخْبَارِ الْغَيْبِيِّ ، بِأَنَّ الصِّدِّيقَ ، ثُمَّ الثَّلَاثَةَ «عُمَرَ ، وَعُثْمَانَ ، وَعَلِيّاً» ، سَيَصِيرُونَ شُهَدَاءَ وَخُلَفَاءَ بَعْدَ النَّبِيِّ (عليه الصلاة والسلام) . .

(وَثَانِياً :) إِنَّ حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ ــ الَّتِي يَدَّعِيهَا هٰؤُلَاءِ الطَّوَائِفُ الْأَرْبَعُ ، الَّذِينَ هُمْ أَعْلٰى وَأَقْوَمُ وَأَصْدَقُ نَوْعِ الْبَشَرِ ، بِكُلِّ قُوَّتِهِمْ ، بِحُجَجٍ وَمُعْجِزَاتٍ وَكَرَامَاتٍ ، وَدَلَائِلَ وَكَشْفِيَّاتٍ ؛

وَيُصَدِّقُهُمْ أَكْثَرُ الْبَشَرِ مُنْذُ زَمَنِ آدَمَ ـ هِيَ قَطْعِيَّةٌ كَالشَّمْسِ بَتَاتاً ؛ وَإِنَّ إِجْمَاعَ وَاتِّفَاقَ هٰؤُلَاءِ الْمَشَاهِيرِ الْإِنْسَانِيِّينَ بِلَا حَدٍّ ، فِي مَسَائِلَ مُثْبَتَةٍ ، مِثْلِ التَّوْحِيدِ ، وَوُجُوبِ الْوُجُودِ ، وَوَحْدَةِ الْخَالِقِ ، مُظْهِرِينَ صِدْقَهُمْ وَحَقَّانِيَّتَهُمْ ، بِمِئَاتِ آلَافِ الْمُعْجِزَاتِ ، وَبِمَا لَا حَدَّ لَهَا مِنَ الْحُجَجِ ، هِيَ حُجَّةٌ كَذٰلِكَ ، لَا تَتْرُكُ أَيَّةَ شُبْهَةٍ . .

فَيَا عَجَباً ! إِنَّ حَقِيقَةً آمَنَتْ بِهَا أُولٰئِكَ الطَّوَائِفُ الْأَرْبَعُ الْمَذْكُورَةُ ـ الَّذِينَ هُمْ أَقْوَمُ نَوْعِ الْبَشَرِ (الَّذِي هُوَ أَهَمُّ نَتِيجَةِ خِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ ، وَخَلِيفَةُ الْأَرْضِ ، وَأَجْمَعُ وَأَرْفَعُ ذَوِي الْحَيَاةِ اسْتِعْدَاداً) ، وَمُرْشِدُوهُمُ الْأَصْدَقُونَ وَالْمُصَدَّقُونَ ، وَرُؤَسَاؤُهُمْ فِي الْكَمَالَاتِ ـ وَأَخْبَرُوا عَنْهَا بِالْإِجْمَاعِ وَالِاتِّفَاقِ ؛ وَأَظْهَرُوا الْكَائِنَاتِ بِجَمِيعِ مَوْجُودَاتِهَا ، دَلَائِلَ عَلَيْهَا ؛ فَاعْتَقَدُوهَا حَقَّ الْيَقِينِ وَعَيْنَ الْيَقِينِ وَعِلْمَ الْيَقِينِ ؛ وَاقْتَنَعُوا بِهَا اقْتِنَاعاً لَا يَتَزَلْزَلُ ؛ فَالَّذِي لَا يَعْرِفُ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ وَيُنْكِرُهَا ؛ أَفَلَا يَكُونُ مُسْتَحِقّاً بِجِنَايَةٍ بِلَا حَدٍّ ، وَبِعَذَابٍ بِلَا نِهَايَةٍ ؟ .

﴿ اَلْكَلِمَةُ الثَّامِنَةُ : ﴾ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ . إِشَارَةٌ قَصِيرَةٌ إِلَى الْحُجَّةِ فِي هٰذِهِ . نَعَمْ : إِنَّ تَارِيخَ الْبَشَرِ ، وَالْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ ، تُخْبِرَانِ فِي صُورَةٍ صَرِيحَةٍ وَقَطْعِيَّةٍ بِالِاتِّفَاقِ ، اسْتِنَاداً إِلَى تَوَاتُرَاتٍ ، وَإِلَى أَحْدَاثٍ وَمَعْلُومَاتٍ كُلِّيَّةٍ وَقَطْعِيَّةٍ ، وَإِلَى مُشَاهَدَاتٍ بَشَرِيَّةٍ : بِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، أَتَاهُمُ الْإِمْدَادُ الْغَيْبِيُّ عَلَى وَجْهٍ خَارِقٍ ، لِاسْتِمْدَادِهِمْ فِي آلَافِ الْوَقَائِعِ ؛ وَأُعْطِيَتْ مَطَالِبُ أُولٰئِكَ الْأَنْبِيَاءِ بِعَيْنِهَا ؛ وَوَرَدَ الْغَضَبُ فِي عَيْنِ الزَّمَانِ ، فِي مِئَاتِ الْأَحْدَاثِ ، عَلَى الْمُنْكِرِينَ الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاؤُهُمْ ؛ وَنَزَلَتِ الْمُصِيبَةُ السَّمَاوِيَّةُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ؛ فَتَدُلُّ قَطْعاً وَدُونَ شَكٍّ ، عَلَى أَنَّ لِهٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، وَلِمَنْ فِيهَا مِنْ نَوْعِ الْبَشَرِ ، رَبّاً وَمُتَصَرِّفاً ، حَكِيماً وَعَادِلاً ، وَمُحْسِناً وَكَرِيماً ، وَعَزِيزاً وَقَهَّاراً ، أَعْطَى أَنْبِيَاءَ كَثِيرِينَ ، مِثْلَ «نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسٰى وَهُودٍ وَصَالِحٍ» (عليهم السلام) ، انْتِصَارَاتٍ وَإِنْقَاذَاتٍ ، بِأَحْدَاثٍ تَارِيخِيَّةٍ وَوَاسِعَةٍ ، فِي صُورَةٍ خَارِقَةٍ جِدّاً ؛ وَأَنْزَلَ عَلَى الظَّالِمِينَ وَالْمُنْكِرِينَ الْكَثِيرِينَ أَيْضاً ، مِثْلِ قَوْمِ ثَمُودَ وَعَادٍ وَفِرْعَوْنَ ، مَصَائِبَ سَمَاوِيَّةً رَهِيبَةً ، عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، جَزَاءً فِي الدُّنْيَا أَيْضاً ، مُقَابِلاً لِعِصْيَانِهِمْ لِأَنْبِيَائِهِمْ . .

نَعَمْ : إنَّ تيَّارَيْنِ عظيمَيْنِ أتيَا مُتصارِعَيْنِ في الْبَشريَّةِ مُنْذُ زَمَنِ آدَمَ . .

﴿ أَحدُهُمَا : ﴾ أَنَّ أَهْلَ النُّبوَّةِ وَالصَّلاحِ وَالْإِيمانِ ، الَّذِينَ هُمْ مَظاهِرُ لِلنِّعْمَةِ وَسَعادَةِ الدَّارَيْنِ ، بِتعْقِيبِ طَرِيقِ الاِسْتِقامَةِ ، تَحرَّكُوا في الاِسْتِقامَةِ ، مُطابِقِينَ لِمَا في الْكائِنَاتِ مِنْ جَمالِ الْكائِنَاتِ ، وَانْتِظامِهَا وَكَمالِهَا الْحَقِيقيِّ ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ صارُوا مَظْهَراً لِلُطْفِ صَاحِبِ الْكائِنَاتِ ، وَلِسَعادَةِ الدَّارَيْنِ ؛ فَأَصْبَحُوا وَسِيلَةً لِتَرْقِيَةِ الْبَشَرِ إلىٰ دَرجَةِ الْمَلائِكَةِ ، بَلْ فَوْقَهَا ؛ فَكَسَبُوا وَأَكْسَبُوا بِحَقائِقِ الْإِيمانِ ، جَنَّةً مَعْنَوِيَّةً في الدُّنْيَا ، وَسَعادَةً مَّا في الْآخِرَةِ . .

﴿ اَلتَّيَّارُ الثَّانِي : ﴾ أَنَّهُمْ تَرَكُوا الاِسْتِقَامَةَ ؛ فَحوَّلُوا الْعَقْلَ ، بِالْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ ، إلىٰ وَسِيلَةِ عَذَابٍ ، وَإلى آلَةٍ تَجْمَعُ الْآلامَ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ أَسْقَطُوا الْإِنْسَانِيَّةَ ، أَسْفَلَ مِنْ أَشْقىٰ حَيَوانِيَّةٍ ؛ فَذَاقُوا الْغَضَبَ الْإِلٰهِيَّ ، وَصَفَعَاتِ الْمَصَائِبِ ، مُقَابِلَ ظُلْمِهِمْ في الدُّنْيَا ؛ فَيَرَوْنَ الْكَائِنَاتِ قَبِيحَةً وَخَلِيطَةً لِلْغَايَةِ ، وَمَجْزَرَةً وَمَسْلَخَةً لِذَوِي الْحَيَاةِ ، مُتَدَحْرِجَةً في الزَّوالِ ، وَمَحْزَناً وَمَأْتَماً عُمُومِيّاً ، في جِهَةِ ضَلالَتِهِمْ ، بِعَلاقَةِ الْعَقْلِ ؛ فَتَكُونُ رُوحُهُ وَوِجْدَانُهُ في جَهَنَّمٍ مَعْنَوِيَّةٍ في الدُّنْيَا ؛ وَيَجْعَلُ نَفْسَهُ مُسْتَحِقَّةً بِمُعَانَاةِ عَذَابٍ دَائِمٍ في الْآخِرَةِ . .

هٰذَا ، فَإِنَّ آيَةَ : ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ، في آخِرِ الْفَاتِحَةِ الشَّرِيفَةِ ، تُدَرِّسُ هٰذَيْنِ التَّيَّارَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ ؛ وَإِنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ ، هِيَ مَنْبَعُ وَأَسَاسُ وَأُسْتَاذُ جَمِيعِ الْمُوَازَنَاتِ في «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَإِذَا كَانَتِ الْأَنْوَارُ ، فَسَّرَتْ هٰذِهِ الْآيَةَ ، بِمِئَاتِ الْمُوَازَنَاتِ ؛ فَنَحْنُ أَيْضاً نُحِيلُ إِيضَاحَهَا عَلَيْهَا ؛ فَنَكْتَفِي بِهٰذِهِ الْإِشَارَةِ الْمُخْتَصَرَةِ . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ التَّاسِعَةُ : ﴾ ﴿آمِينَ﴾ . إِشَارَةٌ قَصِيرَةٌ إِلىٰ هٰذِهِ . إِنَّ النُّونَ في ﴿نَعْبُدُ﴾ وَ ﴿نَسْتَعِينُ﴾ ، إِذَا كَانَتْ تُرِينَا الْجَمَاعَاتِ الثَّلاثَ الْعُظْمىٰ ؛ وَخَاصَّةً جَمَاعَةَ الْمُوَحِّدِينَ ، في جَامِعِ عَالَمِ الْإِسْلامِ ؛ وَخُصُوصاً مَلايِينَ الْجَمَاعَاتِ الْمَوْجُودَةِ في الصَّلاةِ ، في ذٰلِكَ الْوَقْتِ ؛ فَتَجْعَلُنَا بَيْنَهُمْ ؛ وَتَفْتَحُ الطَّرِيقَ لِصَيْرُورَتِنَا ذَوِي حِصَّةٍ لِدَعَوَاتِهِمْ وَلِتَصْدِيقِهِمْ ، وَلِنَوْعٍ مِنْ شَفَاعَتِهِمْ ، بِذِكْرِهِمْ عَيْنَ مَا نَذْكُرُهُ ؛ فَنَحْنُ أَيْضاً نُسَاعِدُ بِكَلِمَةِ ﴿آمِينَ﴾ ، دَعَوَاتِ جَمَاعَةِ الْمُوَحِّدِينَ وَالْمُصَلِّينَ تِلْكَ ؛ وَنُصَدِّقُ دَعَاوَاهُمْ ؛ وَنَرْجُو بِذٰلِكَ التَّأْمِينِ ، قَبُولَ شَفَاعَتِهِمْ

وَاسْتِعَانَتِهِمْ ؛ فَبِذٰلِكَ نُحَوِّلُ عُبُودِيَّتَنَا وَدُعَاءَنَا وَدَعْوَانَا الْجُزْئِيَّةَ ، إِلٰى عُبُودِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ وَوَاسِعَةٍ ؛ فَتَجْعَلُهَا تُقَابِلُ الرُّبُوبِيَّةَ الْكُلِّيَّةَ وَالْعُمُومِيَّةَ .. إِذاً فَإِنَّ ﴿آمِينَ﴾ فِي الْفَاتِحَةِ ، تَكْسِبُ الْكُلِّيَّةَ ، فَيُمْكِنُ أَنْ تَصِيرَ فِي حُكْمِ مَلَايِينِ ﴿آمِينَ﴾ ، بِوَاسِطَةِ إِذَاعَاتٍ مَعْنَوِيَّةٍ ، وَبِاعْتِبَارِ رَابِطَةِ وَحْدَةِ جَمَاعَةٍ لَهُ مَلَايِينُ الْأَفْرَادُ ، فِي مَسْجِدِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ، بِسِرِّ الْأُخُوَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ ، وَالْوَحْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ . .

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞﴾ . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ . .

اَلْقِسمُ الثَّالِثُ : لِلدَّرْسِ الْوَحِيدِ لِلْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ الثَّالِثَةِ :

[اَلْمُقَدِّمَةُ :]

فَكَمَا أَنَّ الْقِسْمَ الثَّانِيَ كُتِبَ بِالْأَمْرِ الْمَعْنَوِيِّ لِلْفَاتِحَةِ فِي الصَّلَاةِ ؛ وَبِفَيْضِ : ﴿أَشْهَدُ أَنْ لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ ؛ فَإِنِّي اضْطُرِرْتُ لِثَلَاثَةِ أَسْبَابٍ لَا إِذْنَ لِي بِبَيَانِهَا ، إِلٰى كِتَابَةِ قِسْمِهِ الثَّالِثِ ، بِالْإِخْطَارِ الْمَعْنَوِيِّ ، بِلِسَانِ جُمْلَةِ : ﴿وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّٰهِ﴾ ، فِي التَّشَهُّدِ فِي الصَّلَاةِ أَيْضاً ؛ وَبِنُورِ هٰذِهِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلٰى خَمْسِ مُعْجِزَاتٍ غَيْبِيَّةٍ ، فِي آخِرِ سُورَةِ الْفَتْحِ ؛ وَهِيَ : ﴿هُوَ الَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدٰى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفٰى بِاللّٰهِ شَهِيداً ۞ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ وَالَّذِينَ مَعَهُٓ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ إِلٰى آخِرِهَا . .

نُحيلُ تَفْصيلاتِهِ وَإيضاحاتِهِ وَحُججَهُ الْمُسْنَدَةَ ، عَلىٰ «ذِي الْفِقارِ ـ الْمُعْجِزاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ» ، حَوْلَ الرِّسالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ؛ وَإِلَى «الْحِزْبِ النُّورِيِّ الْعَرَبِيِّ» ؛ فَإِنَّما تُكْتَبُ ثَلاثُ إِشاراتٍ قَصيرَةٍ وَمُخْتَصَرَةٍ لِلْغايَةِ ، مَعَ ما يُكْتَبُ فِي الْإِشارَةِ الثّانِيَةِ وَالثّالِثَةِ(١) ، مِنْ نَوْعٍ مّا مِنْ تَرْجَمَةِ الْجُزْءِ الدّائِرِ حَوْلَ شَهادَةِ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ﴾ ، مِنَ الرِّسالَةِ الصَّغيرَةِ الْمُؤَلَّفَةِ هُنا ، تَفَكُّراً عَرَبِيّاً هُوَ وِرْدِي الدّائِمُ مَعَ كَلِمَةِ التَّوْحيدِ الَّتي أُكَرِّرُها فِي التَّسْبيحاتِ ؛ وَخُلاصَةٌ لِخُلاصَةِ «الْحِزْبِ النُّورِيِّ الْعَرَبِيِّ» . .

﴿اَلْإِشارَةُ الْأُولىٰ :﴾ أَنَّ «مُحَمَّداً» (عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ) ، الَّذي يُقابِلُ تَظاهُرَ رُبُوبِيَّةِ صاحِبِ هٰذِهِ الْكائِناتِ ، وَأُلُوهِيَّتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ ، وَإِحْساناتِهِ غَيْرَ الْمُتَناهِيَةِ ، بِالتَّعْريفِ وَبِعُبُودِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ ، هُوَ أَلْزَمُ مِثْلُ لُزُومِ الشَّمْسِ فِي هٰذِهِ الْكائِناتِ ؛ فَصارَ أُسْتاذَ نَوْعِ الْبَشَرِ ، الْأُسْتاذَ الْأَكْبَرَ ، وَنَبِيَّهُمُ الْعَظيمَ ذَا الشَّأْنِ ، وَفَخْرَ الْعالَمِ ، وَمَظْهَراً لِخِطابِ ﴿لَوْلاكَ لَوْلاكَ ، لَما خَلَقْتُ الْأَفْلاكَ﴾ ؛ وَصارَتْ حَقيقَتُهُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ، سَبَبَ خِلْقَةِ الْعالَمِ ، وَنَتيجَتَها وَأَكْمَلَ ثَمَرَتِها ؛ كَما أَنَّ حَقائِقَ مِثْلَ الْكَمالاتِ الْحَقيقِيَّةِ لِلْكائِناتِ ، وَكَوْنِها مَرايا باقِيَةً لِجَميلٍ سَرْمَدِيٍّ ذي جَلالٍ ، وَجِلْواتٍ لِصِفاتِهِ ، وَآثاراً مُوَظَّفَةً وَمَكْتُوباتٍ مُفيدَةً جِدّاً ، لِأَفْعالِهِ الْحَكيمَةِ ؛ وَتَضَمُّنِها لِعالَمٍ باقٍ ؛ وَإِنْتاجِها الْآخِرَةَ وَدارَ سَعادَةٍ يَشْتاقُ إِلَيْها جَميعُ ذَوِي الشُّعُورِ ، تَتَحَقَّقُ بِالْحَقيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَالرِّسالَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ ، كَما تَشْهَدُ هٰذِهِ الْكائِناتُ ، قَطْعاً وَقَوِيّاً لِلْغايَةِ ، عَلىٰ رِسالَتِهِ ؛ كَذٰلِكَ يَشْهَدُ عالَمُ الْإِسْلامِ أَوَّلاً ، وَكُلُّ الْبَشَرِ ، وَجَميعُ ذَوِي الشُّعُورِ ، عَلَى الْحَقيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَالرِّسالَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ الْمُبَشِّرَةِ قَطْعاً وَقَوِيّاً ، بِالْحَياةِ الْباقِيَةِ الَّتي يَطْلُبُونَها فِي كُلِّ زَمانٍ ، بِالْعِشْقِ وَالشَّوْقِ الدّائِمِ ، وَبِكُلِّ قُوَّةِ ماهِيّاتِهِمُ الْجامِعَةِ ، وَبِجَميعِ أَلْسِنَةِ اسْتِعْداداتِهِمْ ، وَبِأَلْسِنَةِ جَميعِ دَعَواتِهِمْ وَعِباداتِهِمْ وَرَجاياهُمْ ، لِأَجْلِ النَّجاةِ مِنَ الْعَدَمِ وَالِانْعِدامِ ، وَالْإِعْدامِ الْأَبَدِيِّ ، وَالْفَناءِ الْمُطْلَقِ ، الَّتي هِيَ أَدْهىٰ وَأَمَرُّ مِنْ جَهَنَّمَ ؛ فَيُوَقِّعُونَ عَلىٰ أَنَّهُ أَشْرَفُ الْمَخْلُوقاتِ ، وَمَدارُ

---

(١) لا تُوجَدُ الْإِشارَةُ الثّالِثَةُ نَفْسُها ، وَلا عُنْوانُها ، فِي هٰذِهِ الرِّسالَةِ . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (رَحِمَهُ اللهُ) . .

افْتِخَارِ نَوْعِ الْبَشَرِ ؛ كَمَا أَنَّ دُخُولَ مِثْلِ جَمِيعِ الْحَسَنَاتِ وَالْخَيْرَاتِ الَّتِي يَعْمَلُهَا كُلَّ يَوْمٍ ، ثَلاثِمِئَةِ مِلْيُونٍ وَخَمْسُونَ مِلْيُوناً مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، فِي دَفْتَرِ حَسَنَاتِ «مُحَمَّدٍ» (عليه الصلاة والسلام) ، فِي كُلِّ زَمَانٍ ؛ وَأَنَّ اكْتِسَابَ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الْفَرِيدَةِ ، مَقَاماً مَظْهَراً لِفُيُوضَاتٍ وَلِعُبُودِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ ، بِقَدْرِ مِئَاتِ الْمَلايِينِ ؛ بَلِ الْمِلْيَارَاتِ مِنْ عُبَّادٍ مُحْسِنِينَ ، يَشْهَدُ قَوِيّاً جِدّاً ؛ فَيُوَقِّعُ عَلَى رِسَالَةِ ذٰلِكَ الْمَوْلَى . .

﴿ اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ أَنَّ نَوْعاً مُخْتَصَراً مِنْ تَرْجَمَةِ وَمَآلِ فِقْرَةِ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ، صَادِقُ الْوَعْدِ الْأَمِينُ ، بِشَهَادَةِ ظُهُورِهِ دَفْعَةً مَعَ أُمِّيَّتِهِ ، بِأَكْمَلِ دِينٍ وَإِسْلامِيَّةٍ وَشَرِيعَةٍ ، وَبِأَقْوَى إِيمَانٍ وَاعْتِقَادٍ وَعِبَادَةٍ ، وَبِأَعْلَى دَعْوَةٍ وَمُنَاجَاةٍ وَدَعَوَاتٍ ، وَبِأَعَمِّ تَبْلِيغٍ وَأَتَمِّ مَتَانَةٍ ، خَارِقَاتٍ مُثْمِرَاتٍ لا مِثْلَ لَهَا﴾ إِلَى آخِرِهَا ، الَّتِي تُشِيرُ إِلَى شَهَادَاتٍ أَزْيَدَ مِنْ عِشْرِينَ شَهَادَةً ، أَنْظُرُ فِيهَا بِالتَّفَكُّرِ كُلَّ وَقْتٍ ، فِي وِرْدِي ، يَعْنِي : أَنَّ ﴿الشَّهَادَةَ الْأُولَى :﴾ الَّتِي تَشْهَدُ عَلَى رِسَالَةِ «مُحَمَّدٍ» (عليه الصلاة والسلام) ، هِيَ حُجَّةُ رِسَالَةٍ ، صَادِرَةٌ مِنْ حَالاتِهِ الْإِحْدَى عَشْرَةَ . .

نَعَمْ : إِنَّ بُرُوزَهُ إِلَى الْمَيْدَانِ فَجْأَةً ، بِدُونِ تَجْرِبَةٍ ، وَدَفْعِيّاً ، بِدِينٍ تَرَكَ عُقَلَاءَ الْعُصُورِ الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ ، وَفَلَاسِفَتَهَا ، فِي الْحَيْرَةِ ؛ وَفَازَ بِالْأَوْلَانِيَّةِ فِي الْأَدْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَتَعَلَّمِ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ ؛ وَكَانَ أُمِّيّاً ، هِيَ حَالَةٌ لا تَقْبَلُ الْأَمْثَالَ ؛ كَمَا أَنَّ تَدْرِيسَ الْإِسْلَامِيَّةِ الصَّادِرَةِ مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ ، تَدْرِيساً عَلَى وَجْهِ التَّرْبِيَةِ ، لِأَرْوَاحِ خَمْسِينَ مِلْيُوناً وَثَلَاثِمِئَةِ مِلْيُونٍ مِنَ النَّاسِ ، وَلِنُفُوسِهِمْ وَعُقُولِهِمْ ؛ وَأَنَّ سَوْقَهَا إِيَّاهُمْ إِلَى التَّرَقِّيَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ ، هِيَ حَالَةٌ بِدُونِ أَمْثَالٍ ؛ وَأَيْضاً إِنَّهُ أَتَى إِلَى الْمَيْدَانِ بِشَرِيعَةٍ كَذٰلِكَ ، كَانَتْ إِدَارَتُهَا لِخُمُسِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، بِقَوَانِينِهَا الْعَادِلَةِ ، فِي أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَصْراً ، بَيْنَ الرُّقِيِّ الْمَادِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ ، حَالَةً لا مِثْلَ لَهَا ؛ كَمَا أَنَّ ذٰلِكَ الْمَوْلَى ، بَرَزَ إِلَى الْمَيْدَانِ بِإِيمَانٍ وَاعْتِقَادٍ كَذٰلِكَ ، بِحَيْثُ إِنَّ تَصْدِيقَ جَمِيعِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ مُتَّفِقِينَ ، عَلَى أَنَّهُ فِي دَرَجَةٍ أَعْلَى وَأَقْوَى ، مَعَ اسْتِفَاضَتِهِمْ مِنْ مَرْتَبَةِ إِيمَانِهِ كُلَّ زَمَانٍ ؛ وَإِنَّ عَدَمَ إِيرَاثِ مُخَالَفَةِ مَنْ لا حَدَّ لَهُمْ مِنْ مُعَارِضِيهِ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، خَوْفاً وَوَسْوَسَةً وَشُبْهَةً لَهُ بِقَدْرِ الذَّرَّةِ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَمْثَالٌ فِي الْقُوَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ أَيْضاً ؛ وَأَنَّ إِيمَانَهُ الْكُلِّيَّ

وَالْعَالِيَ ذٰلِكَ ، لاَ مِثْلَ لَهُ ؛ وَأَيْضاً ، إِنَّهُ أَظْهَرَ عُبُودِيَّةً وَعِبَادَةً كَذٰلِكَ ؛ فَجَمَعَ بَيْنَ الاِبْتِدَاءِ وَالاِنْتِهَاءِ ؛ فَلَمْ يُقَلِّدْ أَحَداً أَصْلاً ؛ فَاكْتَشَفَ أَدَقَّ أَسْرَارِ الْعِبَادَةِ ؛ وَرَاعَاهَا ؛ وَأَدَّى الْعُبُودِيَّةَ تَامّاً كَامِلاً ، فِي أَشَدِّ الْأَزْمَانِ الْمُضْطَرِبَةِ أَيْضاً ؛ فَتِلْكَ حَالَةٌ بِدُونِ أَمْثَالٍ ؛ كَمَا أَنَّهُ فَعَلَ دَعَوَاتٍ وَمُنَاجِيَاتٍ وَرَجَايَا ، بِحَيْثُ لَمْ تُدْرِكْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةُ ، مَعَ تَلاَحُقِ الْأَفْكَارِ ، إِلىٰ هٰذَا الزَّمَانِ ؛ فَإِنَّهُ يَجْعَلُ الْأَسْمَاءَ الْإِلٰهِيَّةَ الْأَلْفَ وَالْوَاحِدَ ، فِي مُنَاجَاةِ «الْجَوْشَنِ الْكَبِيرِ» مَثَلاً ، شُفَعَاءَ ؛ فَيَصِفُ خَالِقَهُ وَيُعَرِّفُهُ بِهَا ، عَلىٰ وَجْهٍ لَيْسَ لَهُ أَمْثَالٌ ؛ وَإِنَّ عَدَمَ إِدْرَاكِ أَحَدٍ إِيَّاهُ ، فِي مَعْرِفَةِ اللهِ ، حَالَةٌ لاَ مِثْلَ لَهَا ؛ وَأَيْضاً إِنَّهُ دَعَا النَّاسَ إِلَى الدِّينِ بِمَتَانَةٍ ؛ وَبَلَّغَ رِسَالَتَهُ بِجُرْأَةٍ ، بِحَيْثُ إِنَّ تَحَدِّيَهُ لِلْجَمِيعِ ، وَإِيصَالَهُ إِلَى النِّهَايَةِ ، دُونَ تَخَوُّفٍ وَتَجَنُّبٍ مِقْدَارَ الذَّرَّةِ ؛ مَعَ أَنَّ عَمَّهُ وَقَوْمَهُ ، وَكِبَارَ دُوَلِ الْعَالَمِ ، وَأَتْبَاعَ الْأَدْيَانِ الْقَدِيمَةِ ، كَانُوا مُعَارِضِينَ وَأَعْدَاءً لَهُ ، هِيَ حَالَةٌ بِدُونِ أَمْثَالٍ . .

هٰذَا ، فَإِنَّ مَجْمُوعَ هٰذِهِ الْحَالاَتِ الثَّمَانِي الْخَارِقَةِ ، وَالَّتِي لاَ مِثْلَ لَهَا ، هِيَ شَهَادَةٌ قَوِيَّةٌ لِلْغَايَةِ عَلىٰ صِدْقِهِ وَنُبُوَّتِهِ ؛ وَإِنَّ هٰذِهِ الْحَالاَتِ تَدُلُّ عَلىٰ أَنَّ ذٰلِكَ الْمَوْلىٰ ، كَانَتْ لَهُ قَنَاعَةٌ قَاطِعَةٌ ، بِجِدِّيَّتِهِ وَاطْمِئْنَانِهِ ، وَبِكَمَالِ صِدْقِهِ وَحَقَّانِيَّتِهِ ، فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ . وَإِنَّ عَالَمَ الْإِسْلاَمِ يَقُولُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فِي كُلِّ تَشَهُّدٍ ، بِمَلاَيِينِ الْأَلْسِنَةِ : ﴿اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ﴾ ؛ وَيُظْهِرُ تَسْلِيمَهُ لِمَأْمُورِيَّتِهِ ، وَتَصْدِيقَهُ بِمَا أَتىٰ بِهِ مِنْ بِشَارَةِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ وَيُهَنِّئُهُ عَالَمُ الْإِسْلاَمِ بِاسْمِ ثَلاَثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ مِلْيُوناً ، بَلِ الْمِلْيَارَاتِ ؛ وَيَجْتَمِعُونَ بِهِ ، وَيَزُورُونَهُ زِيَارَةً مَعْنَوِيَّةً بِـ : ﴿اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ، عَلىٰ وَجْهِ الشُّكْرِ وَالاِمْتِنَانِ ، تِجَاهَ فَتْحِهِ طَرِيقاً سَلِيماً إِلَى الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ ، الَّتِي تَطْلُبُهَا الْبَشَرِيَّةُ بِعِشْقٍ عَمِيقٍ ، وَبِاشْتِيَاقٍ فِطْرِيٍّ وَاسْتِعْدَادِيٍّ وَقَوِيٍّ جِدّاً . .

﴿اَلشَّهَادَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ مِنَ الشَّهَادَاتِ الْكُلِّيَّةِ الْعِشْرِينَ ، وَالَّتِي تَحْتَوِي شَهَادَاتٍ كَثِيرَةً ، هِيَ فِقْرَةُ : ﴿وَبِشَهَادَةِ جَمِيعِ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ عَلىٰ تَصْدِيقِهِ﴾ . تَعْنِي : أَنَّ حَقَائِقَ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتَّةِ ، وَتَحَقُّقَهَا وَحَقَّانِيَّتَهَا ، تَشْهَدُ قَطْعاً ، عَلىٰ رِسَالَةِ وَحَقَّانِيَّةِ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ) ؛ لِأَنَّ الشَّخْصِيَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ لِحَيَاةِ رِسَالَتِهِ ، وَأَسَاسَ جَمِيعِ دَعَاوَاهُ ، وَمَاهِيَّةَ نُبُوَّتِهِ ، هِيَ تِلْكَ الْأَرْكَانُ

السِّتَّةُ . . إذاً فَإِنَّ جَمِيعَ دَلاٰئِلِ تِلْكَ الْأَرْكَانِ ، الدَّالَّةِ عَلٰى تَحَقُّقِهَا ، تَدُلُّ أَيْضاً ، عَلٰى صِدْقِ «مُحَمَّدٍ» (عليه الصلاة والسلام) ، وَعَلٰى أَنَّ رِسَالَتَهُ حَقٌّ . . وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ رِسَالَةَ الثَّمَرَةِ ، وَأَذْيَالَ الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ ، بَيَّنَتْ دَلاٰلَةَ سَائِرِ الْأَرْكَانِ ، عَلٰى تَحَقُّقِ الْآخِرَةِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ كُلَّ رُكْنٍ مَعَ حُجَجِهِ ، حُجَّةٌ لِرِسَالَتِهِ . .

﴿ اَلشَّهَادَةُ الثَّالِثَةُ الْكُلِّيَّةُ : ﴾ الَّتِي تَحْتَوِي آلاٰفَ الشَّهَادَاتِ ، هِيَ فِقْرَةُ : ﴿وَبِشَهَادَةِ ذَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاٰةُ وَالسَّلاٰمُ ، بِآلاٰفِ مُعْجِزَاتِهِ وَكَمَالاٰتِهِ وَعُلُوِّ أَخْلاٰقِهِ﴾ . تَعْنِي : أَنَّ ذٰلِكَ الذَّاتَ ، دَلِيلٌ بِنَفْسِهِ عَلٰى نَفْسِهِ ، كَالشَّمْسِ ؛ يَشْهَدُ قَوِيّاً جِدّاً عَلٰى رِسَالَتِهِ وَصِدْقِهِ ، بِآلاٰفِ كَمَالاٰتِهِ وَمُعْجِزَاتِهِ وَأَخْلاٰقِهِ الْحَمِيدَةِ الْعَالِيَةِ . نَعَمْ : لَقَدْ أُثْبِتَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ، مَا يَزِيدُ عَنْ ثَلاٰثِمِئَةِ مُعْجِزَةٍ ، فِي رِسَالَةِ «الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ» الْخَارِقَةِ ؛ كَمَا أَنَّ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ بِإِحْدٰى أَصَابِعِ كَفِّ ذٰلِكَ الْمَوْلٰى ؛ وَأَنَّ نَبَعَانَ خَمْسِ عُيُونٍ مِنَ الْمَاءِ ، مِنَ الْأَصَابِعِ الْخَمْسِ لِعَيْنِ الْيَدِ ؛ وَأَنَّ شُرْبَ جَمِيعِ جَيْشِهِ الظَّمْآنِ مِنْ ذٰلِكَ الْمَاءِ ؛ وَكَوْنَهُ شَاهِداً لِذٰلِكَ ؛ وَأَنَّ وُقُوعَ هٰذِهِ الْخَارِقَةِ الْعَجِيبَةِ مَرَّتَيْنِ ، فِي مَكَانٍ آخَرَ أَيْضاً ؛ وَأَنَّ رَمْيَهُ جُزْءاً مِنَ التُّرَابِ ، بِعَيْنِ الْكَفِّ ، إِلٰى جَيْشِ الْعَدُوِّ الْمُهَاجِمِ ؛ فَانْهِزَامَهُمْ وَهُمْ فِي الْهُجُومِ ، بِدُخُولِ حَفْنَةِ تُرَابٍ فِي عَيْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، بِصَرَاحَةِ آيَتَيْ : ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ وَ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ رَمٰى﴾ ؛ وَأَنَّ ذِكْرَ الْحَصَى الصَّغِيرَةِ فِي عَيْنِ الْكَفِّ ، لِقَوْلِ «سُبْحَانَ اللّٰهِ» ، مُسَبِّحَةً كَالنَّاسِ ؛ وَأَنَّ ظُهُورَ أَمْثَالِهَا مِقْدَارَ أَلْفِ مُعْجِزَةٍ فِي يَدِهِ ، عِنْدَ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ، وَمِئَاتِ الْمُعْجِزَاتِ الْوَاقِعَةِ قَطْعاً بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ، وَقِسْمٍ مِنْهَا بِالتَّوَاتُرِ ، فِي التَّوَارِيخِ ؛ وَأَنَّ وُجُودَ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ ، وَالْأَخْلاٰقِ الْحَسَنَةِ ، فِيهِ ، فِي أَعْلَى الدَّرَجَةِ(١) ، بِاتِّفَاقِ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَعْدَاءِ ؛ وَأَنَّ تَصْدِيقَ جَمِيعِ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ، بِالاٰتِّفَاقِ ، بِحَقِّ الْيَقِينِ ، النَّائِلِينَ إِلَى الْكَمَالاٰتِ ، وَالْوَاصِلِينَ بِعَيْنِ الْيَقِينِ إِلَى

---

(١) حَتّٰى إِنَّ «سَيِّدَنَا عَلِيّاً» بَطَلَ الشَّجَاعَةِ ، (رضي الله عنه) ، يَقُولُ : كُنَّا إِذَا خِفْنَا فِي الْحَرْبِ ، نَتَحَفَّظُ وَنَتَحَصَّنُ وَرَاءَ النَّبِيِّ (عليه الصلاة والسلام) . . وَإِنَّ التَّوَارِيخَ تَنْقُلُ ، أَنَّ أَعْدَاءَ ذٰلِكَ الْعَهْدِ ، كَانُوا يُصَدِّقُونَ أَيْضاً : أَنَّهُ كَانَ فَائِقاً فِي كُلِّ خَصْلَةٍ مِثْلَ الشَّجَاعَةِ . . الْمُؤَلِّفُ ، (رحمه الله) . .

الْحَقِيقَةِ بِالاتِّبَاعِ لَهُ، سَالِكِينَ وَرَاءَهُ: بِأَنَّ الْكَمَالاتِ الْمُحَمَّدِيَّةَ كَانَتْ فِي الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا؛ وَأَنَّ فُيُوضَاتِ عَالَمِ الإِسْلامِ، الْوَارِدَةَ مِنْ دِينِهِ؛ وَأَنَّ الْحَقَائِقَ الإِسْلامِيَّةَ الْعَظِيمَةَ، تَدُلُّ عَلَى كَمَالاتِهِ الْخَارِقَةِ. فَالْمُرَادُ: أَنَّ ذٰلِكَ الذَّاتَ، يَشْهَدُ بِالذَّاتِ عَلَى رِسَالَتِهِ، شَهَادَةً مُشْرِقَةً كُلِّيَّةً وَوَاسِعَةً لِلْغَايَةِ..

(اَلشَّهَادَةُ الرَّابِعَةُ:) الَّتِي تَحْتَوِي شَهَادَاتٍ قَوِيَّةً كَثِيرَةً جِدّاً، هِيَ فِقْرَةُ: ﴿وَبِشَهَادَةِ الْقُرْآنِ بِمَا لا يُحَدُّ مِنْ حَقَائِقِهِ﴾. تَعْنِي: أَنَّ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ، بِمَا لا حَدَّ لَهَا مِنْ حَقَائِقِهِ وَحُجَجِهِ، يَشْهَدُ عَلَى رِسَالَةِ وَصِدْقِ ذٰلِكَ الْمَوْلَى. نَعَمْ: إِنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ الشَّأْنِ – الَّذِي أُثْبِتَ كَوْنُهُ مُعْجِزَةً بِأَرْبَعِينَ وَجْهاً، فِي مَجْمُوعَةِ «ذِي الْفِقَارِ»؛ وَأَنَارَ بِنُورِهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَصْراً؛ وَأَدَارَ بِقَوَانِينِهِ الَّتِي لا تَتَبَدَّلُ، خُمُسَ نَوْعِ الْبَشَرِ؛ وَيَتَحَدَّى جَمِيعَ الْمُعَارِضِينَ مِنْ ذٰلِكَ الزَّمَانِ إِلَى الآنِ؛ وَلَمْ يَتَجَاسَرْ أَحَدٌ عَلَى الإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ، بَلِ الإِتْيَانِ بِمِثْلِ سُورَةٍ مِنْهُ؛ وَإِنَّ جِهَاتِهِ السِّتَّ نَيِّرَةٌ لا تَدْخُلُهَا الشُّبُهَاتُ؛ وَتُوَقِّعُ عَلَى حَقَّانِيَّتِهِ الْمَقَامَاتُ السِّتَّةُ الْكُبْرَى؛ وَيَسْتَنِدُ إِلَى الْحَقَائِقِ السِّتِّ الَّتِي لا تَتَزَلْزَلُ – كَمَا أُثْبِتَ فِي رِسَالَةِ «الآيَةِ الْكُبْرَى» – وَيُقْرَأُ بِالشَّوْقِ وَالاحْتِرَامِ، بِمِئَاتِ مَلايِينِ الأَلْسِنَةِ، فِي كُلِّ زَمَانٍ؛ وَيُكْتَبُ بِالْقُدْسِيَّةِ فِي قُلُوبِ مَلايِينِ الْحُفَّاظِ فِي كُلِّ دَقِيقَةٍ؛ وَيَتَرَشَّحُ مِنْ شَهَادَتِهِ جَمِيعُ شَهَادَاتِ وَإِيمَانِ عَالَمِ الإِسْلامِ؛ وَيَنْبُعُ مِنْ مَنْبَعِهِ جَمِيعُ الْعُلُومِ الإِيمَانِيَّةِ وَالإِسْلامِيَّةِ؛ وَإِنَّهُ يُصَدِّقُ جَمِيعَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ الْقَدِيمَةِ؛ كَمَا يَكُونُ مَظْهَراً لِلتَّصْدِيقِ الْمَعْنَوِيِّ، لِجَمِيعِ الْكُتُبِ وَالصُّحُفِ السَّمَاوِيَّةِ – يَشْهَدُ ذٰلِكَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الشَّأْنِ، بِجَمِيعِ حَقَائِقِهِ، وَبِجَمِيعِ حُجَجِهِ الْمُثْبِتَةِ لِحَقَّانِيَّتِهِ، عَلَى صِدْقِ وَرِسَالَةِ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ).. هٰذَا هُوَ الْمُرَادُ..

(اَلشَّهَادَاتُ الْكُلِّيَّاتُ الْخَامِسَةُ وَالسَّادِسَةُ وَالسَّابِعَةُ وَالثَّامِنَةُ:) هِيَ فِقْرَةُ: ﴿وَبِشَهَادَةِ «الْجَوْشَنِ» بِقُدْسِيَّةِ إِشَارَاتِهِ؛ وَ«رَسَائِلِ النُّورِ» بِقُوَّةِ دَلائِلِهَا؛ وَالْمَاضِي بِتَوَاتُرِ إِرْهَاصَاتِهِ؛ وَالاسْتِقْبَالِ بِتَصْدِيقِ آلافِ حَادِثَاتِهِ﴾. تَعْنِي: أَنَّ الْحَقَائِقَ وَالتَّوْصِيفَاتِ تِجَاهَ رَبِّهِ، تَامَّةٌ وَكَامِلَةٌ – الَّتِي هِيَ فِي مُنَاجَاةِ «الْجَوْشَنِ الْكَبِيرِ»، النَّاظِرِ صَرَاحَةً وَإِشَارَةً إِلَى الأَسْمَاءِ الإِلٰهِيَّةِ الأَلْفِ

وَالْوَاحِدِ ؛ وَالَّذِي هُوَ مُنَاجَاةٌ خَارِقَةٌ صَادِرَةٌ مِنَ «الْقُرْآنِ» فِي جِهَةٍ مَا ؛ وَهُوَ فَوْقَ مُنَاجَيَاتِ جَمِيعِ الْعَارِفِينَ الْمُتَرَقِّينَ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ ؛ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ وَحْياً فِي غَزْوَةٍ مَا ، قَائِلاً : «انْزِعِ الدِّرْعَ ؛ فَاقْرَأْ مَكَانَهُ هٰذَا الْجَوْشَنَ» ـ تَشْهَدُ تِلْكَ الْحَقَائِقُ وَالتَّوْصِيفَاتُ ، عَلٰى رِسَالَةِ وَحَقَّانِيَّةِ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ؛ كَمَا أَنَّ الرَّسَائِلَ النُّورِيَّةَ الَّتِي تَرَشَّحَتْ عَنِ الْقُرْآنِ ؛ وَتَوَلَّدَتْ وَتَفَيَّضَتْ مِنَ «الْجَوْشَنِ» فِي جِهَةٍ مَا ، هِيَ حُجَّةٌ وَاحِدَةٌ لِلرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، بِأَجْزَائِهَا الْمِئَةِ وَالثَّلَاثِينَ ؛ وَتَشْهَدُ فِي صُورَةٍ كُلِّيَّةٍ ، عَلٰى صِدْقِ وَرِسَالَةِ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، بِإِثْبَاتِهَا عَقْلاً وَمَنْطِقاً ، جَمِيعَ حَقَائِقِ رِسَالَتِهِ ؛ وَبِتَدْرِيسِهَا مَسَائِلَهَا الْبَعِيدَةَ جِدّاً عَنِ الْعَقْلِ ، حَتّٰى فِي نَظَرِ الْفَلْسَفَةِ ، عَلٰى وَجْهٍ مَعْقُولٍ وَمَيْسُورٍ لِلْغَايَةِ ، مِثْلَمَا أَمَامَ الْعَيْنِ . .

وَإِنَّ الزَّمَانَ الْمَاضِيَ أَيْضاً ، شَاهِدٌ كُلِّيٌّ عَلٰى رِسَالَتِهِ ؛ فَإِنَّ الْوَقَائِعَ الْكَثِيرَةَ جِدّاً ، الْمَنْقُولَةَ عَلٰى وَجْهِ التَّوَاتُرِ الْقَاطِعِ ، فِي التَّوَارِيخِ ، وَفِي كُتُبِ السِّيَرِ ، الْخَوَارِقَ الْمَعْدُودَةَ مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ الْآتِي ، وَالظَّاهِرَةَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ ، الْمُسَمَّاةَ بِالْإِرْهَاصَاتِ ، تَشْهَدُ عَلٰى رِسَالَتِهِ ، فِي صُورَةٍ سَلِيمَةٍ لِلْغَايَةِ ؛ وَلَهَا أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ ، سَيُبَيَّنُ قِسْمٌ مِنْهَا فِي الشَّهَادَاتِ الْآتِيَةِ ؛ وَقِسْمٌ مِنْهَا أَيْضاً ، نُقِلَ فِي صُورَةٍ صَحِيحَةٍ ، فِي كُتُبِ التَّارِيخِ ، وَفِي «ذِي الْفَقَارِ» . فَمَثَلاً : إِنَّ إِمْطَارَ الْأَحْجَارِ بِأَيْدِي طُيُورٍ أَبَابِيلَ ، عَلٰى رُؤُوسِ جُيُوشِ «أَبْرَهَةَ» ، الْآتِي لِتَخْرِيبِ الْكَعْبَةِ ، فِي وَقْتٍ قَرِيبٍ مِنَ الْوِلَادَةِ النَّبَوِيَّةِ ؛ وَإِنَّ انْتِكَاسَ الْأَصْنَامِ عَلٰى رُؤُوسِهَا ، فِي الْكَعْبَةِ فِي لَيْلَةِ الْوِلَادَةِ ؛ وَانْهِدَامَ إِيوَانِ «كِسْرٰى» فَارِسَ ؛ وَانْطِفَاءَ نَارِ الْمَجُوسِ عَبَدَةِ النَّارِ ، الَّتِي دَامَ اشْتِعَالُهَا مُنْذُ أَلْفِ عَامٍ ، فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ؛ وَإِظْلَالَ السَّحَابِ عَلٰى رَأْسِهِ ، بِالْأَخْبَارِ الْقَاطِعَةِ لِبَحِيرَا الرَّاهِبِ ، وَحَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ ؛ وَأَمْثَالَهَا مِنْ أَحْدَاثٍ كَثِيرَةٍ ، أَخْبَرَتْ عَنْ نُبُوَّتِهِ ، مِنْ قَبْلِ نُبُوَّتِهِ . .

وَأَيْضاً إِنَّ الْمُسْتَقْبَلَ : أَيِ الْأَحْدَاثَ الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا ، مِنْ بَعْدِ وَفَاتِهِ ، هِيَ كَثِيرَةٌ جِدّاً ؛ وَلَهَا أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ ، ﴿أَحَدُهَا :﴾ هُوَ إِخْبَارَاتُهُ الْغَيْبِيَّةُ الْعَائِدَةُ إِلٰى آلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَإِلَى الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ فَإِنَّ ظُهُورَ ثَمَانِينَ وَاقِعَةً ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهَا بِعَيْنِهَا ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ، فِي قِسْمِ الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ فِي «ذِي الْفَقَارِ» ، مِثْلِ اسْتِشْهَادِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) ، وَهُوَ

يَقْرَأُ الْمُصْحَفَ ؛ وَاسْتِشْهادِ سَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ (رضي الله عنه)، فِي «كَرْبَلاءَ»، وَفُتُوحِ الشَّامِ وَإِيرانَ وَإِسْطَنْبُولَ ؛ وَظُهُورِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ؛ وَتَغَلُّبِ «جَنْكِيزَ وَهُلاكُو» عَلَيْهَا، وَإِفْنائِهِمَا إِيَّاهَا ؛ كَمَا كَتَبَ ثَمانِينَ إِخْباراً غَيْبِيّاً مِنَ الْمُعْجِزَاتِ مِثْلَهَا، مُفَصَّلَةً، اسْتِنَاداً إِلَى التَّارِيخِ وَكُتُبِ السِّيَرِ، وَبِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ؛ فَإِنَّ زَمانَ الاسْتِقْبَالِ أَيْضاً، بِسائِرِ أَنْوَاعِ الْإِخْبَارِ الْغَيْبِيِّ، وَبِوَقَائِعَ اسْتِقْبَالِيَّةٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً، دَالَّةٍ عَلَى حَقَّانِيَّةِ «مُحَمَّدٍ» (عليه الصلاة والسلام)، يَشْهَدُ فِي صُورَةٍ قَوِيَّةٍ وَكُلِّيَّةٍ، عَلَى الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَعَلَى صِدْقِهِ.. هٰذَا هُوَ الْمُرَادُ..

﴿اَلشَّهَادَاتُ التَّاسِعَةُ وَالْعَاشِرَةُ وَالْحَادِيَةَ عَشْرَةَ وَالثَّانِيَةَ عَشْرَةَ :﴾ الَّتِي تُشِيرُ إِلَيْهَا فِقْرَةُ : ﴿وَبِشَهَادَةِ الْآلِ بِقُوَّةِ يَقِينِيَّاتِهِمْ فِي تَصْدِيقِهِ بِدَرَجَةِ حَقِّ الْيَقِينِ ؛ وَالْأَصْحَابِ بِكَمَالِ إِيمَانِهِمْ فِي تَصْدِيقِهِ بِدَرَجَةِ عَيْنِ الْيَقِينِ ؛ وَالْأَصْفِيَاءِ بِقُوَّةِ تَحْقِيقَاتِهِمْ فِي تَصْدِيقِهِ بِدَرَجَةِ عِلْمِ الْيَقِينِ ؛ وَالْأَقْطَابِ بِتَطَابُقِهِمْ عَلَى رِسَالَتِهِ بِالْكَشْفِ وَالْمُشَاهَدَاتِ بِالْيَقِينِ﴾. تَعْنِي : أَنَّ التَّاسِعَةَ مِنَ الشَّهَادَاتِ الْكُلِّيَّةِ، عَلَى صَادِقِيَّةِ وَحَقَّانِيَّةِ «مُحَمَّدٍ» (عليه الصلاة والسلام)، هِيَ : أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ الْعِظَامَ، وَعَلِيّاً وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَالْأَئِمَّةَ الاثْنَيْ عَشَرَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ، وَالْأَقْطَابَ وَالْأَئِمَّةَ مِثْلَ الْغَوْثِ الْأَعْظَمِ، وَأَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ، وَأَحْمَدَ الْبَدَوِيِّ، وَإِبْرَاهِيمَ الدُّسُوقِيِّ، وَأَبِي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ، الَّذِينَ هُمْ بَيْنَ آلِ «مُحَمَّدٍ» (عليه الصلاة والسلام)، الَّذِينَ هُمْ مَظَاهِرُ لِسِرِّ : ﴿عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وَمُعَادِلُونَ لِآلِ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام)، فِي الصَّلَوَاتِ، يُوَقِّعُونَ بِإِيمَانِهِمْ وَشَهَادَاتِهِمْ، عَلَى الرِّسَالَةِ وَالْحَقَّانِيَّةِ وَالصَّادِقِيَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، بِالاتِّفَاقِ وَبِاعْتِقَادٍ بِحَقِّ الْيَقِينِ، وَبِالْكَشْفِيَّاتِ وَالْمُشَاهَدَاتِ، وَبِمَا أَظْهَرُوهُ فِي الْأُمَّةِ مِنْ خَوَارِقِ الْإِرْشَادَاتِ وَالْكَرَامَاتِ..

﴿اَلْعَاشِرَةُ مِنْهَا :﴾ أَنَّ الْأَصْحَابَ الَّذِينَ هُمُ الطَّائِفَةُ الْعُلْيَا، وَالْأَلْيَقُ بِالاحْتِرَامِ، بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، وَالَّذِينَ أَدَارُوا عَلَى وَجْهِ الْعَدْلِ، مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ ؛ وَغَلَبُوا الدُّوَلَ الْفَاتِحَةَ ؛ فَجَعَلُوا ذٰلِكَ الْعَصْرَ، عَصْرَ سَعَادَةٍ، بِالنُّورِ الْمُحَمَّدِيِّ، فِي زَمَنٍ قَلِيلٍ ؛ وَهُمْ حُكَّامٌ عَادِلُونَ وَسِيَاسِيُّونَ، وَمُعَلِّمُونَ وَأَسَاتِذَةٌ لِشُعُوبٍ رَاقِيَةٍ صِنَاعِيَّةٍ، وَمُتَحَضِّرَةٍ سِيَاسِيَّةٍ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا بَدَوِيِّينَ ؛ تَرَكُوا عَدَاوَاتِهِمُ الْقَدِيمَةَ، وَمَسَالِكَ أَجْدَادِهِمْ ؛ وَتَرَكَ أَكْثَرُهُمْ، قَوْمَهُمْ وَقَبِيلَتَهُمْ

وَمُوَالاَةَ آبَائِهِمْ ، بِتَمَامِهَا ، مِثْلُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَعِكْرِمَةَ ابْنِ أَبِي جَهْلٍ ؛ فَدَخَلُوا الْإِسْلاَمَ ، بِكُلِّ أَرْوَاحِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، فِي صُورَةٍ فِدَائِيَّةٍ لِلْغَايَةِ ، بِقُوَّةِ مُعْجِزَاتٍ كَثِيرَةٍ شَاهَدُوهَا بِأَعْيُنِهِمْ ، بَعْدَمَا تَحَرَّوْا وَدَقَّقُوا كُلَّ أَحْوَالِ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ) ؛ فَإِنَّ إِيمَانَهُمْ بِصِدْقِ وَرِسَالَةِ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ) ، فِي دَرَجَةِ عَيْنِ الْيَقِينِ ، شَهَادَةٌ كُلِّيَّةٌ لا تَتَزَلْزَلُ . .

﴿اَلْحَادِيَةَ عَشْرَةَ :﴾ أَنَّ الْمُجْتَهِدِينَ ، وَالْأَئِمَّةَ وَالْمُتَبَحِّرِينَ ، الْمَدْعُوِّينَ بِالْأَصْفِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ ، وَآلافاً مِنْ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ، مِثْلِ دُهَاةِ الْفَلاسِفَةِ ، كَابْنِ سِينَا وَابْنِ رُشْدٍ ، إِنَّ إِيمَانَهُمْ بِرِسَالَةِ وَحَقَّانِيَّةِ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ) ، فِي دَرَجَةِ عِلْمِ الْيَقِينِ ، اسْتِنَاداً إِلَى مَا لا شُبْهَةَ فِيهَا مِنْ آلافِ الْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ ، عَلَى وَجْهٍ عَقْلِيٍّ وَمَنْطِقِيٍّ ؛ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي مَسْلَكٍ مُخْتَلِفٍ ، هِيَ شَهَادَةٌ كُلِّيَّةٌ ، بِحَيْثُ إِنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَكَاءٌ بِقَدَرِ جَمِيعِ أُولائِكَ ، لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَارِضَهُمْ . . هٰذَا ، وَإِنَّ وَاحِداً مِنْ أُولاَئِكَ الشُّهُودِ بِلا حَدٍّ ، هُوَ «رِسَالَةُ النُّورِ» فِي هٰذَا الزَّمَانِ ؛ فَإِنَّ الْمُنْكِرِينَ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَجِدُوا وَسِيلَةً ضِدَّهَا أَصْلاً ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ خَدَعُوا الشُّرْطَةَ وَالْعَدْلِيَّةَ ؛ فَيَسْعَوْنَ لِإِسْكَاتِهَا بِيَدِ الْمَحْكَمَةِ . .

﴿اَلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ :﴾ أَنَّ أَعْمَقَ أَهْلِ التَّحْقِيقِ وَالْحَقِيقَةِ ، الْمَدْعُوِّينَ بِالْأَقْطَابِ ، وَالْمُسْتَنِدِينَ إِلَى الْمُشَاهَدَاتِ وَالْكَشْفِيَّاتِ ، مَكَانَ الْحُجَجِ ؛ وَالَّذِينَ أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، إِلَى دَائِرَةِ دَرْسِهِ ، قِسْماً ذَا أَهَمِّيَّةٍ مِنَ الْأُمَّةِ فِي عَالَمِ الْإِسْلاَمِ ؛ فَرَقَّوْهُمْ مَعْنَوِيّاً بِإِرْشَادَاتٍ وَكَرَامَاتٍ خَارِقَةٍ ، شَاهَدُوا فِي رُقِيِّهِمُ الْمَعْنَوِيِّ ، كَشْفاً وَشُهُوداً ، رِسَالَةَ وَصَادِقِيَّةَ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ) ، وَكَوْنَهُ فِي أَعْلَى مَرْتَبَةِ الْحَقَّانِيَّةِ ؛ فَشَهَادَتُهُمْ عَلَى نُبُوَّتِهِ مُتَّفِقَةٌ وَمُتَطَابِقَةٌ ، تَوْقِعَةٌ كَذٰلِكَ ، لا يُمْكِنُ أَنْ يُفْسِدَ تِلْكَ التَّوَاقِيعَ ، مَنْ لَمْ يَفُزْ بِمَرْتَبَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الْكَمَالاتِ ، بِقَدَرِ جَمِيعِ أُولائِكَ . .

﴿اَلشَّهَادَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ :﴾ عِبَارَةٌ عَنْ أَرْبَعِ حُجَجٍ كُلِّيَّةٍ وَقَطْعِيَّةٍ ، وَاسِعَةٍ جِدّاً ؛ وَهِيَ فِقْرَةُ : «وَبِشَهَادَةِ الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ ، بِتَوَاتُرِ بِشَارَاتِ الْكَوَاهِنِ وَالْهَوَاتِفِ وَالْعُرَفَاءِ فِي الْأَدْوَارِ السَّالِفِينَ ؛ وَبِمُشَاهَدَةِ بِشَارَاتِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ ؛ وَبِشَهَادَتِهِمْ وَبِشَارَتِهِمْ بِرِسَالَةِ «مُحَمَّدٍ»

(عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ) ، ﴿فِي الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ﴾ . سَيُبَيِّنُ هُنَا ، مَآلٌ مُخْتَصَرٌ لِهٰذِهِ الْفِقْرَةِ ؛ وَتُوجَدُ إِيضَاحَاتُهَا وَسَنَدَاتُهَا مُكَمَّلَةً ، فِي آخِرِ قِسْمِ «الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ» مِنْ مَجْمُوعَةِ «ذِي الْفِقَارِ» .

تَعْنِي : أَنَّ الْعَارِفِينَ وَالْكَهَنَةَ وَالْهَوَاتِفَ ؛ وَفِي الْمُقَدِّمَةِ الْأَنْبِيَاءُ ، مِنْ مَشَاهِيرِ وَفُضَلَاءِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، فِي الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ ، أَخْبَرُوا صَرِيحاً وَمُكَرَّراً لِلْغَايَةِ ، عَنْ رِسَالَةِ وَمَجِيءِ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ) ، مُتَّفِقِينَ ، مِنْ قَبِيلِ الْإِرْهَاصَاتِ ؛ فَبِنَاءً عَلَى أَنَّهَا قُبِلَتْ وَقُيِّدَتْ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ وَالسِّيَرِ وَالْحَدِيثِ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ؛ وَقِسْمٌ مِنْهَا بِالتَّوَاتُرِ ، وَعَلَى بَيَانِ الْقِسْمِ الْأَقْوَى وَالْأَقْطَعِ مِنْ آلَافِ تِلْكَ الْإِخْبَارَاتِ ، تَفْصِيلاً فِي رِسَالَةِ «الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ» ، نُحِيلُهَا عَلَيْهَا ؛ فَنَقُولُ هُنَا بِإِشَارَةٍ مُخْتَصَرَةٍ لِلْغَايَةِ : لَقَدْ كُتِبَ فِي «الْمَكْتُوبِ التَّاسِعَ عَشَرَ» ، مِقْدَارُ عِشْرِينَ آيَةً مِنَ الْقِسْمِ الْقَرِيبِ إِلَى الصَّرَاحَةِ ، مِنْ مِئَاتِ آيَاتِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ ، حَوْلَ نُبُوَّةِ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ) ، الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا الْأَنْبِيَاءُ فِي الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ ؛ وَقَدْ كَتَبَ الْحُسَيْنُ الْجِسْرِيُّ فِي كِتَابِهِ ، مِئَةَ آيَةٍ تُخْبِرُ عَنِ النُّبُوَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ أَيْضاً ؛ مَعَ تَحْرِيفَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ جَانِبِ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ . أَمَّا الْكُهَّانُ ، فَإِنَّ الشِّقَّ وَسَطِيحَ الْمَشْهُورَيْنِ ، فِي الْمُقَدِّمَةِ ، وَالْمُخْبِرِينَ عَنِ الْغَيْبِ بِوَاسِطَةِ الرُّوحَانِيِّ وَالْجِنِّ ، وَالْمَدْعُوِّينَ الْآنَ بِـ«مَدِيُومَ» ، أَخْبَرُوا بِالتَّوَاتُرِ وَبِنَقْلٍ صَحِيحٍ ، عَنْ مَجِيءِ النَّبِيِّ ، وَعَنْ قَلْعِهِ لِدَوْلَةِ «فَارِسَ» ، فِي صُورَةٍ صَرِيحَةٍ ؛ وَذَكَرُوا مُكَرَّراً ظُهُورَ نَبِيٍّ فِي الْحِجَازِ عَنْ قَرِيبٍ ، عَلَى وَجْهٍ لَا يَحْمِلُ الشُّبْهَةَ ؛ كَمَا أَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْعَارِفِينَ بِاللهِ ، مِنْ أَوْلِيَاءِ ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، مِثْلِ «تُبَّعٍ وَسَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ» ، مِنْ مُلُوكِ الْحَبَشَةِ وَالْيَمَنِ ، «وَكَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ» مِنْ أَجْدَادِ النَّبِيِّ ، مِنَ الْقِسْمِ الْعَارِفِ بِاللهِ ، أَخْبَرُوا عَنْ رِسَالَةِ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ) ، فِي صُورَةٍ صَرِيحَةٍ جِدّاً ؛ فَأَعْلَنُوهَا بِالْأَشْعَارِ . وَقَدْ كُتِبَ قِسْمٌ أَهَمُّ وَقَاطِعٌ مِنْهَا ، فِي «الْمَكْتُوبِ التَّاسِعَ عَشَرَ» ؛ حَتَّى إِنَّ وَاحِداً مِنْ أُولٰئِكَ السَّلَاطِينِ قَالَ : إِنِّي أُرَجِّحُ كَوْنِي خَادِماً لِـ«مُحَمَّدٍ» (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، عَلَى هٰذِهِ السَّلْطَنَةِ ؛ وَقَالَ أَحَدُهُمْ أَيْضاً : لَيْتَنِي أَدْرَكْتُهُ فَأَكُونَ ابْنَ عَمِّهِ ؛ يَعْنِي : أَكُونُ وَزِيراً وَخَادِماً فِدَائِيّاً لَهُ ، مِثْلَ حَضْرَةِ «عَلِيٍّ» . . وَمَهْمَا كَانَ ؛ فَإِنَّ هٰؤُلَاءِ الْعَارِفِينَ يُوَقِّعُونَ عَلَى صَادِقِيَّتِهِ ، بِشَهَادَةٍ كُلِّيَّةٍ وَقَوِيَّةٍ عَلَى الرِّسَالَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، بِنَشْرِ كُتُبِ التَّارِيخِ

وَالسِّيَرِ ، هٰذِهِ الْأَخْبَارَ تَمَاماً . . وَأَيْضاً إِنَّ الرُّوحَانِيِّينَ الْمَدْعُوِّينَ بِالْهَوَاتِفِ ، الَّذِينَ تُسْمَعُ أَقْوَالُهُمْ ؛ وَلَا تُرَى أَشْخَاصُهُمْ ؛ وَأَخْبَرُوا غَيْبِيّاً عَنِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، مِثْلَ أُولَائِكَ الْعَارِفِينَ وَالْكُهَّانِ ، أَخْبَرُوا عَنْ نُبُوَّةِ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، فِي صُورَةٍ صَرِيحَةٍ جِدّاً ؛ كَمَا أَنَّ مُخْبِرِينَ كَثِيرِينَ ، حَتَّى الْأَصْنَامَ وَالضَّحَايَا الْمَذْبُوحَةَ لِلْأَصْنَامِ ، وَشَوَاهِدَ الْقُبُورِ ، وَقَّعُوا عَلَى رِسَالَتِهِ وَحَقَّانِيَّتِهِ ، بِإِخْبَارِهِمْ عَنْ نُبُوَّتِهِ ؛ فَشَهِدُوا بِلِسَانِ التَّارِيخِ . .

(اَلشَّهَادَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ :) هِيَ هٰذِهِ الْفِقْرَةُ الْعَرَبِيَّةُ ، الْمُشِيرَةُ إِلَى الشَّهَادَةِ الْقَوِيَّةِ لِلْكَائِنَاتِ : ﴿وَبِشَهَادَةِ الْكَائِنَاتِ بِغَايَاتِهَا وَبِالْمَقَاصِدِ الْإِلٰهِيَّةِ فِيهَا ، عَلَى الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الْجَامِعَةِ ، بِسَبَبِ تَوَقُّفِ حُصُولِ غَايَاتِ الْكَائِنَاتِ وَالْمَقَاصِدِ الْإِلٰهِيَّةِ مِنْهَا ، وَتَقَرُّرِ قِيمَتِهَا وَوَظَائِفِهَا ، وَتَبَارُزِ حُسْنِهَا وَكَمَالِهَا ، وَتَحَقُّقِ حِكَمِ حَقَائِقِهَا ، عَلَى الرِّسَالَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، لَاسِيَّمَا عَلَى الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، إِذْ هِيَ الْمَظْهَرُ وَالْمَدَارُ الْأَتَمُّ لَهَا ؛ وَلَوْلَاهَا لَصَارَتْ هٰذِهِ الْكَائِنَاتُ الْمُكَمَّلَةُ وَالْكِتَابُ الْكَبِيرُ ذُو الْمَعَانِي السَّرْمَدِيَّةِ ، هَبَاءً مَنْثُوراً ، مُتَطَايِرَةَ الْمَعَانِي ، مُتَسَاقِطَةَ الْكَمَالَاتِ ؛ وَهُوَ مُحَالٌ مِنْ وُجُوهٍ وَجِهَاتٍ﴾ . .

لَقَدْ قَالَتِ «الْآيَةُ الْكُبْرَى» ، حَوْلَ مَآلِ هٰذِهِ الْفِقْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ : إِنَّ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، كَمَا تَدُلُّ عَلَى صَانِعِهَا وَكَاتِبِهَا وَنَقَّاشِهَا ، الَّذِي أَوْجَدَهَا وَيُدِيرُهَا وَيُرَبِّيهَا ، وَيَتَصَرَّفُ فِيهَا بِالتَّصْوِيرِ وَالتَّقْدِيرِ وَالتَّدْبِيرِ ، مِثْلَ قَصْرٍ وَكِتَابٍ ، وَكَمَعْرِضٍ وَمَشْهَرٍ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ الْكَائِنَاتِ ــ بِجِهَةِ اسْتِدْعَائِهَا وَاقْتِضَائِهَا وَدَلَالَتِهَا فِي كُلِّ حَالٍ ، عَلَى وُجُودِ دَلَّالٍ عَالٍ ، وَكَشَّافٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَأُسْتَاذٍ مُحَقِّقٍ ، وَمُعَلِّمٍ صَادِقٍ ، يَعْلَمُ وَيُعْلِمُ مَا فِي خِلْقَتِهَا مِنَ الْمَقَاصِدِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَيُعَلِّمُ مَا فِي تَحَوُّلَاتِهَا مِنْ حِكَمِهَا الرَّبَّانِيَّةِ ؛ وَيُدَرِّسُ مَا فِي حَرَكَاتِهَا التَّوْظِيفِيَّةِ مِنَ النَّتَائِجِ ؛ وَيُعْلِنُ مَا فِي مَاهِيَّتِهَا مِنْ قِيمَتِهَا ، وَكَمَالَاتِ مَا فِي دَاخِلِهَا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَيُجِيبُ عَلَى الْأَسْئِلَةِ الرَّهِيبَةِ ، بِأَنَّهُمْ مِنْ أَيْنَ يَأْتُونَ ؟ وَإِلَى أَيْنَ سَيَذْهَبُونَ ؟ وَلِمَاذَا يَأْتُونَ إِلَى هُنَا ؛ وَلَا يَقِفُونَ كَثِيراً ؛ فَيَذْهَبُونَ ؟ وَيُفَسِّرُ مَعَانِيَ ذٰلِكَ الْكِتَابِ الْكَبِيرِ ، وَحِكَمَ آيَاتِهَا التَّكْوِينِيَّةِ ــ تَشْهَدُ شَهَادَةً قَوِيَّةً وَكُلِّيَّةً ، عَلَى حَقَّانِيَّةِ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، الَّذِي فَعَلَ هٰذِهِ الْوَظَائِفَ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ،

وَعلٰى أَنَّهُ أَصْدَقُ وَأَعْلٰى مَأْمُورٍ ، لِخَالِقِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَتَقُولُ قَطْعاً : ﴿أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّٰهِ﴾ . نَعَمْ : إِنَّ مَاهِيَّةَ الْكَائِنَاتِ وَقِيمَتَهَا وَكَمَالاتِهَا ، وَوَظَائِفَ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي فِيهَا ، وَنَتَائِجَهَا وَمَأْمُورِيَّتَهَا وَقِيمَتَهَا ، تُعْلَمُ وَتَتَحَقَّقُ بِالنُّورِ الَّذِي جَاءَ بِهِ «مُحَمَّدٌ» (عليه الصلاة والسلام) ؛ وَتَصِيرُ الْكَائِنَاتُ مِنْ أَوَّلِهَا إِلٰى آخِرِهَا ، مَكْتُوبَاتٍ إِلٰهِيَّةً مُفِيدَةً لِلْغَايَةِ ، وَقُرْآناً رَبَّانِيّاً مُجَسَّماً ، وَمَشْهَرَ آثَارٍ سُبْحَانِيَّةٍ مُحْتَشِماً ؛ وَإِلَّا تَسْقُطُ إِلٰى مَاهِيَّةِ خَرَابٍ رَهِيبٍ ، وَمَأْتَمٍ فَزِيعٍ مُرِيجٍ ، مُتَدَحْرِجٍ فِي ظُلُمَاتِ الْعَدَمِ وَالِانْعِدَامِ ، وَالزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ .. فَبِنَاءً عَلٰى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، تَقُولُ كَمَالاتُ الْكَائِنَاتِ ، وَتَحَوُّلاتُهَا الْحَكِيمَةُ ، وَمَعَانِيهَا السَّرْمَدِيَّةُ ، عَلٰى وَجْهٍ قَوِيٍّ : ﴿نَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّٰهِ﴾ ..

(اَلشَّهَادَةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ :) هِيَ هٰذِهِ الْفِقْرَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْآتِيَةُ ، الْمُشِيرَةُ إِلٰى شَهَادَةِ الذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ــ الَّذِي يَتَصَرَّفُ فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَتَكُونُ بِأَمْرِهِ وَإِرَادَتِهِ وَقُوَّتِهِ ، جَمِيعُ التَّصَرُّفَاتِ ، مِثْلُ الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ ، وَالْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ ، وَجَمِيعُ التَّحَوُّلاتِ ، مِنَ الذَّرَّاتِ إِلَى السَّيَّارَاتِ ــ تِلْكَ الشَّهَادَةِ الْمُقَدَّسَةِ ، عَلَى الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، فِي جِهَةِ إِجْرَاءَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ وَأَفْعَالِ رَحْمَانِيَّتِهِ ، وَالَّتِي تَحْتَوِي شَهَادَاتٍ قُدُسِيَّةً كَثِيرَةً جِدّاً ؛ وَهِيَ فِقْرَةُ : ﴿وَبِشَهَادَةِ صَاحِبِ الْكَائِنَاتِ وَخَلَّاقِهَا وَمُتَصَرِّفِهَا ، عَلَى الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، بِأَفْعَالِ رَحْمَانِيَّتِهِ وَبِإِجْرَاءَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ ؛ كَفِعْلِ الرَّحْمَانِيَّةِ بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ عَلَيْهِ ، وَبِإِظْهَارِ أَنْوَاعِ الْمُعْجِزَاتِ عَلٰى يَدَيْهِ ، وَبِتَوْفِيقِهِ وَحِمَايَتِهِ فِي كُلِّ حَالاتِهِ ، وَبِإِدَامَةِ دِينِهِ بِكُلِّ حَقَائِقِهِ ، وَبِإِعْلاءِ مَقَامِ حُرْمَتِهِ وَشَرَفِهِ وَإِكْرَامِهِ ، عَلٰى جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْعِيَانِ ؛ وَكَفِعْلِ رُبُوبِيَّتِهِ بِجَعْلِ رِسَالَتِهِ شَمْساً مَعْنَوِيَّةً لِكَائِنَاتِهِ ، وَبِجَعْلِ دِينِهِ فِهْرِسْتَةَ كَمَالاتِ عِبَادِهِ ، وَبِجَعْلِ حَقِيقَتِهِ مِرْآةً جَامِعَةً لِتَجَلِّيَاتِ أُلُوهِيَّتِهِ ، وَبِتَوْظِيفِهِ بِوَظَائِفَ ضَرُورِيَّةٍ لازِمَةٍ لِوُجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، كَلُزُومِ الرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالْعَدَالَةِ ، وَكَضَرُورَةِ لُزُومِ الْغِذَاءِ وَالْمَاءِ وَالْهَوَاءِ وَالضِّيَاءِ﴾ ..

نُحِيلُ عَلٰى «رِسَالَةِ النُّورِ» ، تَفْصِيلاتِ هٰذِهِ الشَّهَادَةِ الْقُدُسِيَّةِ الْقَاطِعَةِ جِدّاً ، وَالْوَاسِعَةِ كَثِيراً ؛ فَنَنْظُرُ إِلٰى مَآلِهَا الْإِجْمَالِيِّ ، بِإِشَارَةٍ مُخْتَصَرَةٍ لِلْغَايَةِ . نَعَمْ : إِنَّ إِحْدٰى سُنَنِهِ ، هِيَ مُضَاعَفَةُ

الْأَشْرَارِ وَالْكَذَبَةِ ، وَحِمَايَةُ الْأَبْرَارِ ، كُلَّ زَمَانٍ ، بِالْعَدَالَةِ وَالْحِكْمَةِ ، وَبِالرَّحْمَةِ وَالْعِنَايَةِ وَالْحِمَايَةِ ، بَيْنَ تَصَرُّفَاتِهِ الْمُنْتَظِمَةِ هٰذِهِ ، أَمَامَ أَبْصَارِنَا ، فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ ، فَإِنَّ مَنْحَهُ قُرْآناً مُعْجِزَ بَيَانٍ ، بِيَدِ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ؛ وَإِعْطَاءَهُ إِيَّاهُ أَنْوَاعاً كَثِيرَةً جِدّاً ، مِنْ مُعْجِزَاتٍ قَرِيبَةٍ إِلَى الْأَلْفِ ؛ وَاحْتِمَاءَهُ عَلَى وَجْهِ الشَّفَقَةِ ، فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِ وَفِي أَوْضَاعِهِ الْخَطِرَةِ ؛ حَتَّى حِفْظَهُ بِالْحَمَامَةِ وَالْعَنْكَبُوتِ ؛ وَتَوْفِيقَهُ إِيَّاهُ تَمَاماً فِي وَظَائِفِهِ الْعَظِيمَةِ ؛ وَإِدَامَتَهُ لِدِينِهِ بِجَمِيعِ حَقَائِقِهِ ؛ وَتَغْلِيقَهُ الْإِسْلَامَ عَلَى رَأْسِ الْأَرْضِ وَنَوْعِ الْبَشَرِ ؛ وَجَعْلَهُ خُمُسَ الْبَشَرِ أُمَّةً لَهُ ، بِإِعْطَائِهِ مَقَامَ شَرَفٍ فَوْقَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَرُتْبَةَ قَبُولٍ دَائِمٍ فَوْقَ الْمَشَاهِيرِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَشَخْصِيَّةً حَامِلَةً لِأَعْلَى السَّجَايَا ، بِاتِّفَاقِ الْأَعْدَاءِ وَالْأَصْدِقَاءِ ، بِمُقْتَضَى أَفْعَالِ الرَّحْمَانِيَّةِ ، يَشْهَدُ ذٰلِكَ عَلَى صِدْقِهِ وَرِسَالَتِهِ ، بِوَجْهٍ قَاطِعٍ لِلْغَايَةِ ؛ كَمَا نَرَى أَيْضاً فِي جِهَةِ أَفْعَالِ الرُّبُوبِيَّةِ : أَنَّ مُتَصَرِّفَ وَمُدَبِّرَ هٰذَا الْعَالَمِ ، جَعَلَ رِسَالَةَ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، شَمْساً مَعْنَوِيَّةً لِهٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَأَزَالَ بِهَا جَمِيعَ الظُّلُمَاتِ ؛ وَأَظْهَرَ حَقَائِقَهَا النَّيِّرَةَ ؛ وَفَرَّحَ جَمِيعَ ذَوِي الشُّعُورِ بَلِ الْكَائِنَاتِ ، بِبِشَارَةِ الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ ــ كَمَا أُثْبِتَ فِي «رَسَائِلِ النُّورِ» ــ ؛ كَمَا أَنَّهُ جَعَلَ دِينَهُ أَيْضاً ، فِهْرِسْتَةَ كَمَالَاتِ جَمِيعِ أَهْلِ الْعِبَادَةِ الْمَقْبُولِينَ ، وَمَنْهَجاً سَلِيماً لِأَعْمَالِ الْعُبُودِيَّةِ ؛ كَمَا جَعَلَ حَقِيقَةَ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، الَّتِي هِيَ شَخْصِيَّتُهُ الْمَعْنَوِيَّةُ ، مِرْآةً جَامِعَةً لِتَجَلِّيَاتِ أُلُوهِيَّتِهِ ، بِدَلَالَةِ «الْقُرْآنِ وَالْجَوْشَنِ» ؛ وَصَيَّرَهُ أَعْظَمَ رَئِيسٍ وَأُسْتَاذٍ لِنَوْعِ الْبَشَرِ ، بِدَلَالَةِ الْحَقَائِقِ الَّتِي أَشَرْنَا إِلَيْهَا سَابِقاً ؛ وَكَسْبَهُ مِثْلاً لِجَمِيعِ حَسَنَاتِ أُمَّتِهِ كُلَّ يَوْمٍ ؛ وَآثَارَهُ فِي الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ وَالْبَشَرِيَّةِ ، فِي أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَصْراً ؛ وَأَرْسَلَهُ لِإِمْدَادِ الْبَشَرِ بِوَظَائِفَ عَظِيمَةٍ وَقُدُسِيَّةٍ ؛ فَجَعَلَ النَّاسَ مُحْتَاجِينَ إِلَى دِينِهِ وَشَرِيعَتِهِ ، وَمَا فِي الْإِسْلَامِ مِنْ حَقَائِقِهِ (١) فِي دَرَجَةِ الرَّحْمَةِ

---

(١) لَقَدْ أَحْسَسْتُ أَثْنَاءَ شَيْبِي وَتَشَتُّتِي هٰذَا ، وَاحِداً مِنَ الْمِلْيُونِ ، مِنَ الْأَرْزَاقِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، الَّتِي جَاءَ بِهَا الْجَنَابُ الْمُحَمَّدِيُّ ؛ فَلَوْ تَأَتَّى مِنْ يَدِي ؛ لَحَيَّيْتُ الذَّاتَ الْمُحَمَّدِيَّةَ بِالصَّلَوَاتِ ، بِمَلَايِينِ الْأَلْسِنَةِ ؛ ذٰلِكَ : أَنِّي أَتَأَلَّمُ كَثِيراً مِنَ الْفِرَاقِ وَالزَّوَالِ ؛ مَعَ أَنَّ الدُّنْيَا وَالدُّنْيَوِيِّينَ الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ ، يَتْرُكُونَنِي بِالْمُفَارَقَةِ ؛ فَيَذْهَبُونَ ؛ وَأَنَا أَعْلَمُ ذَهَابِي ؛ فَأَنْجُو وَأَجِدُ التَّسَلِّيَ التَّامَّ ، بِالسَّمَاعِ مِنَ =

وَالْحِكْمَةِ وَالْعَدَالَةِ، وَالْغِذَاءِ وَالْهَوَاءِ وَالْمَاءِ وَالضِّيَاءِ؛ فَبِذٰلِكَ يَشْهَدُ شَهَادَةً قُدُسِيَّةً، عَلَى الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، بِاثْنَيْ عَشْرَةَ حُجَّةً كُلِّيَّةً وَقَاطِعَةً؛ وَمَعَ ذٰلِكَ؛ فَيَا عَجَباً! هَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ لَا تَكُونَ الرِّسَالَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ – الَّتِي هِيَ مَظْهَرٌ لِلشَّهَادَاتِ الْكُلِّيَّةِ الْوَاسِعَةِ بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ، لِصَاحِبِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ، الَّذِي لَا يَبْقَى غَافِلاً عَنْ تَنْظِيمِ زَهْرَةٍ وَجَنَاحِ بَعُوضَةٍ – أَنْ لَا تَكُونَ شَمْساً مَعْنَوِيَّةً لِلْكَائِنَاتِ؟.

هٰذَا، فَإِنَّ «الشَّهَادَاتِ الْكُلِّيَّةَ الْخَمْسَ عَشْرَةَ»، احْتَوَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا، شَهَادَاتٍ كَثِيرَةً جِدّاً؛ بَلِ الشَّهَادَةُ الثَّانِيَةُ، احْتَوَتْ أَلْفَ شَهَادَةٍ، بِلِسَانِ الْمُعْجِزَاتِ؛ فَأَثْبَتَتِ الدَّعْوَى الَّتِي هِيَ: ﴿أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ﴾؛ وَأَعْلَنَتْ تَحَقُّقَهَا وَقِيمَتَهَا وَأَهَمِّيَّتَهَا، بِقَطْعٍ وَقُوَّةٍ؛ فَيُعْلِنُ عَالَمُ الْإِسْلَامِ، لِلْكَائِنَاتِ، تِلْكَ الدَّعْوَى، فِي التَّشَهُّدِ، بِمِئَاتِ مَلَايِينِ الْأَلْسِنَةِ، كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ؛ كَمَا أَنَّ مِلْيَارَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، قَبِلُوا مُصَدِّقِينَ دُونَ تَرَدُّدٍ: أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ الَّتِي هِيَ أَسَاسُ تِلْكَ الدَّعْوَى، هِيَ النَّوَاةُ الْأَصْلِيَّةُ لِلْكَائِنَاتِ، وَسَبَبٌ لِخِلْقَتِهَا، وَأَكْمَلُ ثَمَرَتِهَا؛ وَأَنَّ صَاحِبَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ – (جَلَّ جَلَالُهُ) – جَعَلَ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ، دَلَّالاً سَامِياً لِسَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَكَشَّافاً صَادِقاً لِطِلْسِمِ الْكَائِنَاتِ وَلِمُعَمَّى الْخِلْقَةِ، وَمِثَالاً مُشْرِقاً لِلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلِسَاناً بَلِيغاً لِشَفَقَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَأَقْوَى مُبَشِّرٍ لِلْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، فِي الْعَالَمِ الْبَاقِي، وَرَسُولاً أَعْظَمَ، وَآخِرَ رُسُلِهِ. فَيَا عَجَباً! إِنَّ الَّذِي لَا يَقْتَنِعُ؛ أَوْ لَا يَهْتَمُّ بِحَقِيقَةٍ فِي هٰذِهِ الْمَاهِيَّةِ؛ فَلْيَقِسْ: كَمْ دَرَجَةً مِنَ الْخَسَارَةِ وَالْخَطَإِ وَالْبَلَاهَةِ وَالْجِنَايَةِ يَرْتَكِبُهَا؟.

= الْجَنَابِ الْأَحْمَدِيِّ، بُشْرَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ، فَجْأَةً، تِجَاهَ هٰذَا الْيَأْسِ الْأَلِيمِ الْحَرِيشِ جِدّاً؛ حَتَّى إِنَّ فِيمَا أَقُولُ فِي التَّشَهُّدِ: ﴿اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ﴾، فِيهِ بَيْعَةٌ لَهُ، وَتَسْلِيمٌ وَإِطَاعَةٌ لِمَأْمُورِيَّتِهِ، وَتَهْنِئَةٌ لِوَظِيفَتِهِ، وَنَوْعٌ مِنَ التَّحِيَّةِ لَهُ، وَمُقَابَلَةٌ لِبُشْرَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يُسَلِّمُ الْمُسْلِمُونَ هٰذَا السَّلَامَ كُلَّ يَوْمٍ، خَمْسَ مَرَّاتٍ.. اَلْمُؤَلِّفُ، (رضي الله عنه)..

هٰذَا ، فَإِنَّ الْفَاتِحَةَ فِي الصَّلاةِ ، كَمَا تُظْهِرُ حُجَجاً قَاطِعَةً ؛ وَتَخْتِمُ خَوَاتِمَ بِلا حَدٍّ ، عَلٰى دَعْوٰى حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ فِي : ﴿أَشْهَدُ أَنْ لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ ، فِي التَّشَهُّدِ ، بِإِشَارَاتِهَا فِي الْقِسْمِ الثَّانِي ؛ فَإِنَّهَا تَأْتِي بِشَوَاهِدَ قَوِيَّةٍ ؛ فَتَخْتِمُ خَوَاتِمَ تَصْدِيقٍ بِلا نِهَايَةٍ ، عَلٰى دَعْوٰى حَقِيقَةِ الرِّسَالَةِ فِي : ﴿أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ﴾ ، فِي التَّشَهُّدِ كَذٰلِكَ ، فِي هٰذَا الْقِسْمِ الثَّالِثِ أَيْضاً . .

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ! بِحُرْمَةِ هٰذَا الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ (عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ) ، اجْعَلْنَا مَظَاهِرَ لِشَفَاعَتِهِ ، وَمُوَفَّقِينَ لِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ ، وَجِيرَاناً لِآلِهِ وَصَحَابَتِهِ ، فِي دَارِ السَّعَادَةِ ؛ آمِينَ آمِينَ آمِينَ . .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، بِعَدَدِ حُرُوفِ الْقُرْآنِ الْمَقْرُوءَةِ وَالْمَكْتُوبَةِ ؛ آمِينَ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

اَلْمَقَامُ الثَّانِي لِلْحُجَّةِ الزَّهْرَاءِ :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ . .

إِنَّ آيَةَ : ﴿اَللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكٰوةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ ، إِلىٰ آخِرِهَا ؛ وَآيَةَ : ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشٰيهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ ، إِلىٰ آخِرِهَا ، الَّتِي هِيَ وَرَاءَهَا ، مِنْ «سُورَةِ النُّورِ» ، تُفِيدَانِ مَعاً حَقِيقَةً لِلْآيَةِ الَّتِي هِيَ مَنْبَعُ جَمِيعِ مُوَازَنَاتِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ وَالْمُشِيرَةِ إِلىٰ مُوَازَنَةِ أَهْلِ الْهِدَايَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ ، وَأَهْلِ الطُّغْيَانِ وَالضَّلَالَةِ ، فِي آخِرِ «الْفَاتِحَةِ» ؛ فَتُفِيدَانِ عَلىٰ وَجْهِ الْإِعْجَازِ ، تِلْكَ الْمُوَازَنَةَ ، بِوَجْهٍ عَجِيبٍ جِدّاً . .

﴿فَالْآيَةُ الْأُولىٰ :﴾ قَدْ أُثْبِتَ فِي «الشُّعَاعِ الْأَوَّلِ» : أَنَّهَا تَنْظُرُ إِلىٰ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، بِعَشْرِ إِشَارَاتٍ ؛ وَتُخْبِرُ غَيْبِيّاً عَلىٰ وَجْهِ الْإِعْجَازِ ، عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ذٰلِكَ ؛ وَأَنَّهَا السَّبَبُ الْأَوَّلُ لِتَسْمِيَةِ رِسَالَةِ النُّورِ ، بِاسْمِ النُّورِ ؛ فَبِنَاءً عَلىٰ بَيَانِ مُعْجِزَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ لِهٰذِهِ الْآيَةِ الْعَجِيبَةِ ، فِي كَلِمَةِ «النُّورِ» ، مِثْلَ مُعْجِزَةِ نُونِ «نَعْبُدُ» فِي تَمْثِيلِ سِيَاحَةٍ خَيَالِيَّةٍ فِي قِسْمٍ مِنَ «الْمَكْتُوبِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ» ؛ سَأَلَ سَيَّاحُ الدُّنْيَا ، جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ وَأَنْوَاعِ الْمَوْجُودَاتِ ، عَنْ خَالِقِهِ ، لِأَجْلِ طَلَبِهِ وَلِقَائِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ؛ وَعَلِمَ خَالِقَهُ عِلْمَ الْيَقِينِ وَعَيْنَ الْيَقِينِ ، بِبَرَاهِينَ قَاطِعَةٍ ، وَبِثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ طَرِيقاً ، فِي رِسَالَةِ «الْآيَةِ الْكُبْرىٰ» ؛ كَمَا أَنَّ ذٰلِكَ السَّيَّاحَ عَيْنَهُ ، السَّائِرَ بِعَقْلِهِ وَقَلْبِهِ وَخَيَالِهِ ، فِي الْعُصُورِ وَفِي طَبَقَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ؛ فَلَا يَتْعَبُ وَلَا يَشْبَعُ ، شَاهَدَ الدُّنْيَا كُلَّهَا كَمَدِينَةٍ ؛ فَفَتَّشَهَا ؛ فَحَمَلَ عَقْلَهُ عَلىٰ حِكْمَةِ الْقُرْآنِ أَحْيَاناً ، وَعَلىٰ حِكْمَةِ الْفَلْسَفَةِ أَحْيَاناً ؛

فَنَظَرَ إِلَى أَبْعَدِ الطَّبَقَاتِ، بِمِنْظَارِ الْخَيَالِ الْوَاسِعِ؛ فَرَأَى الْحَقَائِقَ كَمَا كَانَتْ فِي الْوَاقِعِ؛ فَأَخْبَرَنَا بِقِسْمٍ مِنْهَا فِي «الْآيَةِ الْكُبْرَى»..

هٰذَا، فَالْآنَ نُبَيِّنُ مُخْتَصَراً لِلْغَايَةِ، مِثَالاً وَاحِداً، فِي جِهَةِ الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ فَقَطْ، مِنَ الْمُوَازَنَةِ الَّتِي فِي آخِرِ «الْفَاتِحَةِ»؛ وَثَلَاثَ طَبَقَاتٍ فَقَطْ لِأَجْلِ الْمِثَالِ، مِنَ الطَّبَقَاتِ وَالْعَوَالِمِ الْكَثِيرَةِ جِدّاً، الَّتِي دَخَلَهَا بِسِيَاحَتِهِ الْخَيَالِيَّةِ تِلْكَ، الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْحَقِيقَةِ، وَفِي مَعْنًى تَمْثِيلٍ مَّا؛ وَنُحِيلُ سَائِرَ مَشْهُودَاتِهِ وَمُوَازَنَاتِهِ، عَلَى مُوَازَنَاتِ «رِسَالَةِ النُّورِ»..

﴿اَلْمِثَالُ الْأَوَّلُ:﴾ هُوَ: أَنَّ ذٰلِكَ السَّيَّاحَ الْوَارِدَ إِلَى الدُّنْيَا، لِمَحْضِ مَعْرِفَةِ خَالِقِهِ وَلِقَائِهِ، قَالَ لِعَقْلِهِ: إِنَّنَا سَأَلْنَا كُلَّ شَيْءٍ عَنْ خَالِقِنَا؛ فَتَلَقَّيْنَا الْجَوَابَ التَّامَّ وَالْحَسَنَ؛ وَالْآنَ نَحْنُ نَسِيحُ سِيَاحَةً أُخْرَى أَيْضاً، لِمَعْرِفَةِ وَلِقَاءِ خَالِقِنَا، بِجَلَوَاتِ أَسْمَائِهِ، وَبِمَشْهُودَاتِ آثَارِهِ، وَبِتَجَلِّيَاتِ صِفَاتِهِ الْقُدْسِيَّةِ، كَالْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ، مِثْلَ الْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ بِأَنَّ اللَّازِمَ: أَنْ تُسْأَلَ الشَّمْسُ عَنِ الشَّمْسِ؛ هٰكَذَا دَخَلَ الدُّنْيَا؛ وَرَكِبَ سَفِينَةَ كُرَةِ الْأَرْضِ بَغْتَةً، مِثْلَ أَهْلِ الضَّلَالَةِ الَّذِينَ هُمْ تَيَّارٌ ثَانٍ؛ فَتَلَبَّسَ بِنَظَّارَةِ الْفَنِّ وَالْفَلْسَفَةِ غَيْرِ التَّابِعَةِ لِلْحِكْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ؛ وَنَظَرَ بِمَنْهَجِ فَنِّ «الْجُغْرَافِيَا» غَيْرِ الْقَارِئِ لِلْقُرْآنِ؛ فَرَأَى أَنَّهَا تَسِيحُ بِحَرَكَةٍ أَسْرَعَ سَبْعِينَ دَفْعَةً مِنْ قَذِيفَةِ الْمِدْفَعِيَّةِ، فِي دَائِرَةٍ بِمَدَى خَمْسٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، فِي فَضَاءٍ بِلَا نِهَايَةٍ؛ وَاحْتَوَتْ مِئَاتِ الْآلَافِ الْأَنْوَاعِ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ الْعَجَزَةِ الْبَائِسِينَ؛ وَفَهِمَ أَنَّهَا إِنْ ضَلَّتْ طَرِيقَهَا دَقِيقَةً وَاحِدَةً؛ أَوِ اصْطَدَمَتْ بِنَجْمَةٍ طَائِشَةٍ، تَتَمَزَّقُ فَتَسْقُطُ فِي فَضَاءٍ بِلَا حَدٍّ؛ وَتُفْرِغُ وَتَصُبُّ جَمِيعَ هٰؤُلَاءِ الْبَائِسِينَ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ، فِي الْعَدَمِ وَالْفَنَاءِ؛ فَأَحَسَّ بِالْمُصِيبَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ الرَّهِيبَةِ لِتَيَّارِ: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّآلِّينَ﴾، وَبِالظُّلُمَاتِ الْخَانِقَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾؛ فَتَأَوَّهَ وَقَالَ: مَاذَا فَعَلْنَا؟ فَلِمَاذَا رَكِبْنَا هٰذِهِ السَّفِينَةَ الرَّهِيبَةَ؟ فَمَا هِيَ وَسِيلَةُ النَّجَاةِ مِنْ هٰذِهِ؟ فَكَسَرَ مِنْظَارَ تِلْكَ الْفَلْسَفَةِ الْعَوْرَاءِ؛ وَدَخَلَ تَيَّارَ: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؛ فَإِذَا الْحِكْمَةُ الْقُرْآنِيَّةُ أَتَتْ لِإِمْدَادِهِ؛ فَأَعْطَتْ عَقْلَهُ نَظَّارَةً مُظْهِرَةً لِلْحَقِيقَةِ تَمَاماً؛ فَقَالَتْ: فَالْآنَ انْظُرْ؛ فَنَظَرَ فَرَأَى: أَنَّ اسْمَ: ﴿رَبِّ السَّمٰوَاتِ

وَالْأَرْضِ﴾ طلعَ كَشَمْسٍ ، فِي بُرْجِ قَوْلِهِ تَعَالىٰ : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ ؛ فَجَعَلَ الْأَرْضَ سَفِينَةً سَلِيمَةً وَمُنْتَظِمَةً لِلْغَايَةِ ؛ وَمَلَأَ دَاخِلَهَا بِذَوِي الْحَيَاةِ مَعَ أَرْزَاقِهِمْ ؛ وَيُسَيِّرُهَا حَوْلَ الشَّمْسِ بِالسِّيَاحَةِ ، لِأَجْلِ حِكَمٍ وَمَنَافِعَ كَثِيرَةٍ ، فِي بَحْرِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَيَأْتِي بِمَحَاصِيلِ الْمَوَاسِمِ لِلطَّالِبِينَ الْأَرْزَاقَ ؛ وَجَعَلَ مَلَكَيْنِ بِاسْمِ «الثَّوْرِ وَالْحُوتِ» ، مَلَّاحَيْنِ لِتِلْكَ السَّفِينَةِ ؛ فَتَسَيَّرُ لِلتَّفْرِيجِ ، ضُيُوفَ وَمَخْلُوقَاتِ الْخَالِقِ ذِي الْجَلَالِ ، فِي الْمَمْلَكَةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْمُحْتَشِمَةِ وَالْجَمِيلَةِ لِلْغَايَةِ ؛ وَتُظْهِرُ بِذٰلِكَ ، حَقِيقَةَ قَوْلِهِ تَعَالىٰ : ﴿اَللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ؛ وَتُعَرِّفُ خَالِقَهَا بِجَلْوَةِ هٰذَا الاِسْمِ : هٰكَذَا فَهِمَ ؛ وَقَالَ بِكُلِّ رُوحِهِ وَحَيَاتِهِ : ﴿اَلْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ؛ وَدَخَلَ طَائِفَةَ ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّانِي :﴾ مِنَ الْأَمْثِلَةِ الَّتِي شَاهَدَهَا ذٰلِكَ السَّيَّاحُ ، فِي سِيَاحَتِهِ الَّتِي فِي الْعَوَالِمِ ، هُوَ : أَنَّ ذٰلِكَ السَّيَّاحَ ، خَرَجَ مِنْ سَفِينَةِ كُرَةِ الْأَرْضِ ؛ فَدَخَلَ عَالَمَ الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّاسِ ؛ فَنَظَرَ إِلىٰ ذٰلِكَ الْعَالَمِ ، بِمِنْظَارِ الْحِكْمَةِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي لَا تَتَلَقَّى الرُّوحَ مِنَ الدِّينِ ؛ فَرَأىٰ أَنَّ لِذَوِي الْحَيَاةِ ، أُولَائِكَ الَّذِينَ لَا حَدَّ لَهُمْ ، احْتِيَاجَاتٍ بِلَا حَدٍّ ؛ وَأَعْدَاءً ضَارَّةً بِلَا حَدٍّ ، تُؤْذِيهِمْ وَتَفْتِكُ بِهِمْ ، وَأَحْدَاثاً لَا رَحْمَةَ لَهَا ؛ بَيْنَمَا كَانَ رَأْسُ مَالِهَا تِجَاهَ تِلْكَ الاِحْتِيَاجَاتِ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ وَاحِداً مِنَ الْأَلْفِ ، بَلْ وَاحِداً مِنْ مِئَةِ أَلْفٍ ؛ وَإِنَّ اقْتِدَارَهَا مُقَابِلَ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الضَّارَّةِ ، إِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ مِنَ الْمِلْيُونِ ؛ فَتَأَلَّمَ لِحَالِهَا ؛ وَصَارَ مَحْزُوناً وَمَأْيُوساً تِلْكَ الدَّرَجَةَ ، بِعَلَاقَةِ الْعَقْلِ ، وَبِالرِّقَّةِ الْجِنْسِيَّةِ ، وَالشَّفَقَةِ النَّوْعِيَّةِ ، فِي هٰذَا الْوَضْعِ الرَّهِيبِ وَالْأَلِيمِ جِدّاً ؛ وَبَيْنَمَا كَانَ يَتَلَقَّى آلَاماً مِثْلَ عَذَابِ جَهَنَّمَ ؛ وَكَانَ يَنْدَمُ أَلْفَ نَدَامَةٍ ، مِنْ دُخُولِهِ فِي ذٰلِكَ الْعَالَمِ الذَّلِيلِ ، إِذَا بِالْحِكْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ أَدْرَكَتْ إِمْدَادَهُ ؛ فَأَعْطَتْهُ مِنْظَارَ قَوْلِهِ تَعَالىٰ : ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ؛ فَقَالَتْ : اُنْظُرْ ؛ فَنَظَرَ ؛ فَرَأىٰ : أَنَّ أَسْمَاءَ إِلٰهِيَّةً كَثِيرَةً مِثْلَ : ﴿الرَّحْمٰنِ وَالرَّحِيمِ ، وَالرَّزَّاقِ وَالْمُنْعِمِ ، وَالْكَرِيمِ وَالْحَفِيظِ﴾ ، طَلَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا كَشَمْسٍ ، بِتَجَلِّي آيَةِ : ﴿اَللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، فِي بُرُوجِ آيَاتٍ مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالىٰ : ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ وَ ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا

اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ وَ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيَ آدَمَ﴾ وَ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ؛ وَمَلَأَتْ دُنْيَا الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ ، بِالرَّحْمَةِ وَبِالْإِحْسَانِ ؛ فَحَوَّلَتْهَا إِلَى نَوْعٍ مِنْ جَنَّةٍ مُؤَقَّتَةٍ ؛ وَعَلِمَ أَنَّهَا تُعْلِنُ تَمَاماً الْمِضْيَافَ الْكَرِيمَ ، صَاحِبَ هٰذَا الْمَضِيفِ الْجَمِيلِ ذِي الْعِبَرِ ، وَالْجَدِيرِ بِالتَّفَرُّجِ ؛ فَقَالَ : ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَلْفَ مَرَّةٍ . .

﴿ اَلْمِثَالُ الثَّالِثُ : ﴾ مِنْ مِئَاتِ مُشَاهَدَاتِهِ الَّتِي فِي سِيَاحَتِهِ ، هُوَ : أَنَّ سَيَّاحَ الدُّنْيَا ، ذٰلِكَ الطَّالِبَ لِمَعْرِفَةِ خَالِقِهِ بِتَجَلِّيَاتِ وَجِلْوَاتِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ، قَالَ لِعَقْلِهِ وَخَيَالِهِ : تَعَالَيَا ؛ فَسَنَتْرُكُ نَحْنُ أَيْضاً جَسَدَنَا فِي الْأَرْضِ ؛ فَنَطْلَعُ إِلَى السَّمَاوَاتِ مِثْلَ الْأَرْوَاحِ وَالْمَلَائِكَةِ ؛ فَنَسْأَلُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ ، عَنْ خَالِقِنَا . فَرَكِبَتِ الرُّوحُ الْخَيَالَ ؛ وَالْعَقْلُ الْفِكْرَ ؛ فَطَلَعُوا إِلَى السَّمَاءِ ؛ وَاتَّخَذُوا فَنَّ «الْكُوسْمُوغْرَافِيَا» دَلِيلاً لَهُمْ ؛ فَنَظَرُوا إِلَى تَيَّارِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ ، نَظْرَةَ فَلْسَفَةٍ لَا تَسْتَمِعُ لِلدِّينِ ؛ فَرَأَوْا : أَنَّ آلَافاً مِنْ كُتَلٍ وَكَوَاكِبَ مُلْتَهِبَةٍ بِالنَّارِ ، بَيْنَ اللَّاتِي هُنَّ أَكْبَرُ أَلْفَ مَرَّةٍ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ ، وَأَسْرَعُ حَرَكَةً مِئَةَ مَرَّةٍ مِنْ قَذِيفَةِ الْمِدْفَعِيَّةِ ، تَسِيرُ سَرِيعَةً بِدُونِ الشُّعُورِ جَامِدَةً ، مُتَدَاخِلَةً بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ مِثْلَ الطَّائِشِ ؛ فَإِنْ ضَلَّتْ إِحْدَاهَا طَرِيقَهَا دَقِيقَةً وَاحِدَةً ، بِتَصَادُفٍ مَّا ، تَصِيرُ سَبَباً لِهَرْجٍ وَمَرْجٍ مِثْلَ الْقِيَامَةِ ، فِي صُورَةِ الاصْطِدَامِ بِكُرَةٍ بِلَا شُعُورٍ ، فِي ذٰلِكَ الْعَالَمِ الْفَارِغِ بِلَا حَدٍّ وَلَا حُدُودٍ وَلَا نِهَايَةٍ . فَإِلَى أَيِّ جَانِبٍ ، نَظَرَ ذٰلِكَ السَّيَّاحُ ، تَلَقَّى الدَّهْشَةَ وَالْوَحْشَةَ ، وَالْحَيْرَةَ وَالذُّعْرَ ؛ فَأَصْبَحَ نَادِماً أَلْفَ نَدَامَةٍ ، عَلَى عُرُوجِهِ إِلَى السَّمَاءِ ؛ فَاخْتَلَّ الْعَقْلُ وَالْخَيَالُ كُلِّيّاً ؛ فَبَيْنَمَا كَانَا يَقُولَانِ : كَانَتْ وَظِيفَتُنَا ، رُؤْيَةَ وَإِرَاءَةَ الْحَقَائِقِ الْجَمِيلَةِ ؛ فَنَسْتَقِيلُ مِنْ وَظِيفَةِ الْمَعْرِفَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ لِمِثْلِ هٰذِهِ الْمَعَانِي الْقَبِيحَةِ وَالْمُعَذِّبَةِ مِثْلَ جَهَنَّمَ ؛ وَلَا نُرِيدُهَا ؛ إِذَا بِأَسْمَاءٍ كَثِيرَةٍ مِثْلِ : ﴿خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ؛ وَمُسَخِّرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ؛ وَرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، طَلَعَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهَا كَشَمْسٍ ، بِتَجَلِّي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿اللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، فِي بُرُوجِ آيَاتٍ مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ وَ ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوآ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ وَ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَآءِ فَسَوّٰيهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ﴾ ؛ فَمَلَأَتْ جَمِيعَ السَّمَاوَاتِ ،

بِالْأَنْوَارِ وَبِالْمَلاَئِكَةِ؛ فَحَوَّلَتْهَا إِلَىٰ جَامِعٍ وَمَسْجِدٍ وَمُعَسْكَرٍ كَبِيرٍ؛ فَدَخَلَ ذٰلِكَ السَّيَّاحُ، تَيَّارَ ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؛ وَنَجَا مِنَ «الضَّالِّينَ» وَمِنَ الظُّلُمَاتِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾؛ فَإِذَا بِهِ شَاهَدَ مَمْلَكَةً مُحْتَشِمَةً جَمِيلَةً وَمُنْتَظِمَةً مِثْلَ الْجَنَّةِ؛ وَأَنَّهَا تُعْلِنُ الْخَالِقَ ذَا الْجَلاَلِ، فِي كُلِّ جَانِبٍ؛ فَبِسِرِّ مُشَاهَدَتِهِ وَضْعاً كَذٰلِكَ، ارْتَقَتْ وَظَائِفُ الْعَقْلِ وَالْخَيَالِ، وَقِيمَتُهَا، أَلْفَ دَرَجَةٍ..

هٰذَا، فَقِيَاساً عَلَىٰ هٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ الثَّلاثَةِ الْمَذْكُورَةِ، مِنْ مِئَاتِ الْأَمْثِلَةِ الَّتِي شَاهَدَهَا ذٰلِكَ السَّيَّاحُ، فِي سِيَاحَتِهِ فِي الْكَائِنَاتِ، نُحِيلُ عَلَىٰ «رِسَالَةِ النُّورِ»، سَائِرَ مُشَاهَدَاتِهِ، وَمَعْرِفَتَهُ بِالْوَاجِبِ الْوُجُودِ، بِجَلَوَاتِ أَسْمَائِهِ؛ فَاكْتِفَاءً بِهٰذِهِ الْإِشَارَةِ الْمُخْتَصَرَةِ جِدّاً، اخْتَصَرْنَا هٰذِهِ الْقِصَّةَ الطَّوِيلَةَ جِدّاً؛ فَسَنَجْتَهِدُ بِإِشَارَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ لِلْغَايَةِ، مِثْلَ سَيَّاحِ الدُّنْيَا ذٰلِكَ، لِمَعْرِفَةِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ، بِآثَارِ الصِّفَاتِ الثَّلاثِ الْمُهِمَّةِ، وَبِتَجَلِّيَاتِهَا وَبِحُجَجِ تَحَقُّقِهَا، مِثْلِ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ مِنْ صِفَاتِهِ السَّبْعِ وَمِنْ صِفَاتِهِ الْقُدُسِيَّةِ الَّتِي تُعْلِنُ خَالِقَنَا؛ فَنُحِيلُ تَفْصِيلاَتِهَا عَلَىٰ «رِسَالَةِ النُّورِ»..

هٰذَا، فَإِنَّ هٰذِهِ الْفِقْرَةَ الْعَرَبِيَّةَ الْآتِيَةَ، الَّتِي تُبَيِّنُ ثَلاثَ مَرَاتِبَ، مِنَ الْمَرَاتِبِ الثَّلاثِ وَالثَّلاثِينَ، لِجُمْلَةِ: «اللّٰهُ أَكْبَرُ»، وَهِيَ وِرْدٌ تَفَكُّرِيٌّ دَائِمٌ لِي، مِنْ «خُلاصَةِ الْخُلاصَةِ، لِلْحِزْبِ النُّورِيِّ الْعَرَبِيِّ»، تَفْتَحُ الطَّرِيقَ لِلتَّصْدِيقِ، مَعَ الْإِيمَانِ عَيْنَ الْيَقِينِ، بِالْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ، بِجَلَوَاتِهَا فِي الْكَائِنَاتِ، وَلِلْإِيمَانِ التَّامِّ، مَعَ التَّصْدِيقِ عِلْمَ الْيَقِينِ، بِوُجُودِ وَوَحْدَانِيَّةِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ، بِالْبَدَاهَةِ، بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي شَغَلَتْ كَثِيراً جِدّاً، عُلَمَاءَ الْعَقِيدَةِ وَعُلَمَاءَ عِلْمِ الْكَلاَمِ، ذٰلِكَ بِإِشَارَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ، بَيْنَ نَوْعٍ مَا مِنْ تَرْجَمَةِ هٰذِهِ الْفِقْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ؛ وَهِيَ:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً ۝﴾

﴿اَللّٰهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْماً ؛ إِذْ هُوَ الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، بِعِلْمٍ مُحِيطٍ لَازِمٍ ذَاتِيٍّ لِلذَّاتِ(١) يَلْزَمُ الْأَشْيَاءَ ؛ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْفَكَّ عَنْهُ شَيْءٌ ، بِسِرِّ الْحُضُورِ وَالشُّهُودِ وَالْإِحَاطَةِ النُّورَانِيَّةِ ؛ وَبِسِرِّ اسْتِلْزَامِ الْوُجُودِ لِلْمَعْلُومِيَّةِ ، وَإِحَاطَةِ نُورِ الْعِلْمِ بِعَالَمِ الْوُجُودِ . نَعَمْ : فَالِانْتِظَامَاتُ الْمَوْزُونَةُ ، وَالِاتِّزَانَاتُ الْمَنْظُومَةُ ، وَالْحِكَمُ الْقَصْدِيَّةُ الْعَامَّةُ ، وَالْعِنَايَاتُ الْمَخْصُوصَةُ الشَّامِلَةُ ، وَالْأَقْضِيَةُ الْمُنْتَظَمَةُ ، وَالْأَقْدَارُ الْمُثْمِرَةُ ، وَالْآجَالُ الْمُعَيَّنَةُ ، وَالْأَرْزَاقُ الْمُقَنَّنَةُ ، وَالِاتِّقَانَاتُ الْمُفَنَّنَةُ ، وَالِاهْتِمَامَاتُ الْمُزَيَّنَةُ ، وَغَايَةُ كَمَالِ الِانْتِظَامِ وَالِانْسِجَامِ وَالِاتِّسَاقِ وَالِاتِّقَانِ وَالِاتِّزَانِ وَالِامْتِيَازِ الْمُطْلَقَاتِ ، فِي كَمَالِ السُّهُولَةِ الْمُطْلَقَةِ ، دَالَّاتٌ عَلٰى إِحَاطَةِ عِلْمِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ بِكُلِّ شَيْءٍ ؛ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ .. فَنِسْبَةُ دَلَالَةِ حُسْنِ صَنْعَةِ الْإِنْسَانِ ، عَلٰى شُعُورِ الْإِنْسَانِ ، إِلٰى نِسْبَةِ دَلَالَةِ حُسْنِ خِلْقَةِ الْإِنْسَانِ ، عَلٰى عِلْمِ خَالِقِ الْإِنْسَانِ ، كَنِسْبَةِ لُمَيْعَةِ زُجَيْجَةِ الذُّبَيْبَةِ فِي اللَّيْلَةِ الدَّهْمَاءِ ، إِلٰى شَعْشَعَةِ الشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ﴾ ..

نُشِيرُ إِلَى الْعِلْمِ الْإِلٰهِيِّ ، وَإِلٰى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْإِيمَانِيَّةِ ذَاتِ الْأَهَمِّيَّةِ جِدّاً ، إِشَارَاتٍ قَصِيرَةً ، أَثْنَاءَ نَوْعٍ مَّا مِنْ تَرْجَمَتِهَا الْمُخْتَصَرَةِ لِلْغَايَةِ ؛ فَنُحِيلُ تَفْصِيلَاتِهَا عَلٰى «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَنَقُولُ(٢) : نَعَمْ : كَمَا أَنَّ الرَّحْمَةَ تُظْهِرُ نَفْسَهَا كَالشَّمْسِ ، بِعَجَائِبِ الرِّزْقِ ؛ فَتُثْبِتُ بِالْقَطْعِ ، رَحْمَاناً رَحِيماً فِي حِجَابِ الْغَيْبِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي اتَّخَذَ الْمَقَامَ فِي مِئَاتِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ وَالْأَوَّلُ فِي جِهَةٍ مَّا ، مِنَ الصِّفَاتِ السَّبْعِ الْقُدُسِيَّةِ ، يُظْهِرُ نَفْسَهُ أَيْضاً مِثْلَ الشَّمْسِ ، بِحِكَمِ وَثَمَرَاتِ النِّظَامِ وَالْمِيزَانِ ؛ كَمَا يُعْلِنُ بِالْقَطْعِ ، وُجُودَ عَلِيمٍ بِكُلِّ شَيْءٍ . نَعَمْ : إِنَّ مُوَازَنَةَ صَنْعَةٍ مَوْزُونَةٍ وَمُنْتَظِمَةٍ لِلْإِنْسَانِ ، دَالَّةٍ عَلٰى شُعُورِهِ وَعِلْمِهِ ، مَعَ حُسْنِ خِلْقَةِ الْإِنْسَانِ ، الدَّالِّ

---

(١) كَلُزُومِ الضِّيَاءِ الْمُحِيطِ ، لِلشَّمْسِ – وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلٰى – .. اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) ..

(٢) إِنَّ الْقِسْمَ الَّذِي بَعْدَ هٰذَا ، أُلِّفَ أَثْنَاءَ مَرَضٍ سَامٍّ وَهَائِلٍ مَا رَأَيْتُهُ فِي جَمِيعِ عُمُرِي ؛ فَلْيُنْظَرْ إِلٰى نَقَائِصِي نَظْرَةَ الْمُسَامَحَةِ .. فَلِـ«خُسْرَوْ» أَنْ يُعَدِّلَ وَيُبَدِّلَ وَيُصَلِّحَ الْقِسْمَ الَّذِي لَا يَرَاهُ مُنَاسِباً .. اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) ..

عَلٰى عِلْمٍ وَحِكْمَةِ خَالِقِ الْإِنْسَانِ ؛ هِيَ كَنِسْبَةِ شُعَاعِ الْحُبَاحِبِ وَلُمَيْعَتِهِ فِي اللَّيْلِ ، إِلَى الضِّيَاءِ الْمُحِيطَةِ ، لِلشَّمْسِ فِي النَّهَارِ بِعَيْنِهَا . .

وَالْآنَ قَبْلَ تَبْيِينِ دَلَائِلِ الْعِلْمِ الْإِلٰهِيِّ ، نُبَيِّنُ بِأَرْبَعِ إِشَارَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ لِلْغَايَةِ ، أَحَدَ مَعَانِي الْكَلِمَاتِ الْأَرْبَعِ الدَّالَّةِ وَالشَّاهِدَةِ عَلٰى إِظْهَارِ تِلْكَ الصِّفَةِ الْقُدُسِيَّةِ ، بِوَجْهٍ ظَاهِرٍ جِدّاً ، لِلذَّاتِ الْأَقْدَسِ ، بِتَجَلِّيَاتِهَا الَّتِي فِي أَنْوَاعِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَإِنَّهُ إِذْ صَارَ مَظْهَراً لِلْحُضُورِ وَالْخِطَابِ الْإِلٰهِيِّ ، فِي لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ الْمُحَمَّدِيِّ ، قَالَ بَغْتَةً : ﴿اَلتَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلّٰهِ﴾ ؛ فَإِنَّهُ مَبْعُوثٌ وَرَسُولٌ بِاسْمِ جَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ وَأَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يُقَدِّمُ هَدَايَا جَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، إِلٰى خَالِقِهِ ، بَدَلَ جَمِيعِ ذَوِي الشُّعُورِ ، فِي مَكَانِ السَّلَامِ ، عَلٰى وَجْهٍ تُعْلِنُ جَمِيعُ هٰؤُلَاءِ ، رَبَّهَا ، بِجَلَوَاتِ صِفَةِ الْعِلْمِ ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ يُظْهِرُ بِهٰذِهِ الْكَلِمَاتِ الْأَرْبَعِ : «اَلتَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ» ، تَحِيَّاتِ الطَّوَائِفِ الْأَرْبَعِ لِجَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، وَتَبْرِيكَاتِهَا وَعُبُودِيَّاتِهَا وَمَعَارِفَهَا الْجَمِيلَةَ ، تِجَاهَ عَلَّامِ الْغُيُوبِ ، بِجَلَوَاتِ الْعِلْمِ الْأَزَلِيِّ وَالْأَبَدِيِّ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ صَارَتْ قِرَاءَةُ هٰذِهِ الْمُكَالَمَةِ الْمِعْرَاجِيَّةِ الْقُدُسِيَّةِ ، فِي التَّشَهُّدِ ، بِمَعْنَاهَا الْوَاسِعِ ، وَظِيفَةً مَفْرُوضَةً عَلٰى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ؛ فَنُحِيلُ إِيضَاحَاتِ تِلْكَ الْمُكَالَمَةِ الْقُدُسِيَّةِ ، عَلٰى «رِسَالَةِ النُّورِ» . .

﴿اَلْأُولٰى :﴾ ﴿اَلتَّحِيَّاتُ لِلّٰهِ﴾ . مَآلُهَا الْقَصِيرُ ، هُوَ : كَمَا أَنَّ صَانِعاً ، إِذَا صَنَعَ جِهَازاً خَارِقاً جِدّاً ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى ذٰلِكَ الْجِهَازَ الْعَجِيبَ ، يُبَارِكُ عَلٰى ذٰلِكَ الصَّانِعِ ؛ فَيُصَفِّقُ لَهُ عَلٰى وَجْهِ التَّقْدِيرِ ؛ وَيُقَدِّمُ لَهُ الْهَدَايَا وَالتَّحِيَّاتِ الْمَادِّيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ ، بِالْمَدَائِحِ وَالْجَوَائِزِ عَلٰى وَجْهِ التَّحْسِينِ ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ الْجِهَازَ أَيْضاً ، يُصَفِّقُ لِصَانِعِهِ وَيُبَارِكُ عَلَيْهِ ، بِلِسَانِ الْحَالِ ؛ وَيُقَدِّمُ لَهُ التَّحِيَّاتِ وَالْهَدَايَا الْمَعْنَوِيَّةَ ، بِإِظْهَارِهِ مَطَالِبَ ذٰلِكَ الصَّانِعِ ، وَصَنْعَتَهُ الرَّقِيقَةَ الْخَارِقَةَ ، وَمَهَارَتَهُ الْعِلْمِيَّةَ ، مُكَمَّلَةً لِلْغَايَةِ بِتَمَامِهَا ، عَلٰى وَجْهٍ يُرِيدُهُ ذٰلِكَ الصَّانِعُ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ، فَإِنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ وَكُلَّ فَرْدٍ ، مِنْ طَوَائِفِ جَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، فِي الْكَائِنَاتِ ، هِيَ جِهَازٌ خَارِقٌ ، كُلُّ جَوَانِبِهِ ذَاتُ مُعْجِزَةٍ ؛ فَتُصَفِّقُ بِالتَّحِيَّاتِ ؛ وَتَقُولُ : ﴿اَلتَّحِيَّاتُ لِلّٰهِ﴾ ، بِالتَّهْنِئَاتِ ، بِأَلْسِنَةِ أَحْوَالِ حَيَاتِهَا ، كَأَلْسِنَةِ أَقْوَالِ ذَوِي الشُّعُورِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ ، لِصَانِعِهَا ذِي الْجَلَالِ ، الَّذِي يَرَى

مُناسَبَةَ كُلِّ شَيْءٍ بِكُلِّ شَيْءٍ ؛ وَيَرى جَميعَ الْأَشْياءِ اللاّزِمَةِ لِحَياةِ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَيُوصِلُها إِلَيْهِ في مَحَلِّها الْمُناسِبِ ؛ وَيُعَرِّفُ نَفْسَهُ بِالْجَلَواتِ الْعَميقَةِ وَالدَّقيقَةِ لِعِلْمِهِ الْمُحيطِ ؛ وَأَنَّها تُقَدِّمُ عَلَى وَجْهِ الْعُبُودِيَّةِ ، قيمَةَ حَياتِها ، إِلَى خالِقِها الْعَليمِ ، بِجَميعِ أَحْوالِ جَميعِ الْمَخْلُوقاتِ مُباشَرَةً ؛ فَقالَ «مُحَمَّدٌ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، في لَيْلَةِ الْمِعْراجِ ، بِاسْمِ جَميعِ ذَوِي الْحَياةِ : ﴿اَلتَّحِيَّاتُ لِلّٰهِ﴾ ، مَكانَ السَّلامِ ، في حُضُورِ الْواجِبِ الْوُجُودِ ؛ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَحِيّاتِ طَوائِفِ جَميعِ ذَوِي الْحَياةِ ، وَهَداياها وَتَسْليماتِها الْمَعْنَوِيَّةَ . . نَعَمْ : فَكَما أَنَّ جِهازاً مُنْتَظِماً عادِيّاً ، يَدُلُّ بِهَيْئَتِهِ ذاتِ الاِنْتِظامِ وَالْميزانِ ، عَلَى صانِعٍ دَقيقٍ وَماهِرٍ بِلا شَكٍّ ؛ فَإِنَّ الْأَجْهِزَةَ ذَواتِ الْحَياةِ بِلا حَدٍّ ، الْمالِئَةَ لِلْكائِناتِ أَيْضاً ، يَدُلُّ كُلُّ واحِدٍ مِنْها عَلَى واحِدَةٍ وَأَلْفِ مُعْجِزَةٍ عِلْمِيَّةٍ ؛ فَتَشْهَدُ ذَواتُ الْحَياةِ أُولائِكَ ، شَهادَةً مُشْرِقَةً جِدّاً ، عَلَى وُجُوبِ وُجُودِ صانِعِها الْبارِئِ وَالسَّرْمَدِيِّ ، وَعَلَى كَوْنِهِ مَعْبُوداً قَطْعاً ، بِجَلَواتِ الْعِلْمِ في دَرَجَةِ ضِياءِ الشَّمْسِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى شُعاعِ الْحُباحِبِ . .

﴿اَلْكَلِمَةُ الْمِعْراجِيَّةُ الْقُدُسِيَّةُ الثّانِيَةُ :﴾ هِيَ ﴿اَلْمُبارَكاتُ﴾ . إِذا كانَتِ الصَّلاةُ مِعْراجَ الْمُؤْمِنِ ، وَمَظْهَراً لِجَلْوَةِ الْمِعْراجِ الْأَكْبَرِ ، حَسَبَ الْحَديثِ ؛ وَكانَ سَيّاحُ الدُّنْيا وَجَدَ خالِقَهُ عَلّامَ الْغُيُوبِ ، في كُلِّ عالَمٍ ، بِصِفَةِ الْعِلْمِ ؛ فَنَحْنُ أَيْضاً نَدْخُلُ مَعَ ذٰلِكَ السَّيّاحِ ، عالَمَ الْمُبارَكينَ وَالْمُبارَكاتِ ، وَالَّذينَ يُنْطِقُونَ الْمُشاهِدينَ بِقَوْلِ : «بارَكَ اللّٰهُ» ، ذٰلِكَ الْعالَمَ الْواسِعَ ؛ فَسَنَجْتَهِدُ مِثْلَ ذٰلِكَ السَّيّاحِ ، لِمَعْرِفَةِ خالِقِنا بِعِلْمِ الْيَقينِ ، بِالْجَلَواتِ الرَّقيقَةِ الْمُعْجِزَةِ ، مِنْ جَلَواتِ صِفَةِ الْعِلْمِ الْقُدُسِيَّةِ ، وَبِالتَّفَرُّجِ وَالْمُطالَعَةِ لِعالَمِ أُولائِكَ الْمُبارَكاتِ ، وَلِلْأَطْفالِ الْمَعْصُومَةِ وَالْمُبارَكَةِ ، مِنْ أَطْفالِ جَميعِ ذَوِي الْأَرْواحِ ؛ وَفِي الْمُقَدِّمَةِ ، الْبُذُورُ وَالنَّوى ، الَّتي هِيَ عُلَيْباتُ مُقَدَّراتِ وَمَناهِجِ جَميعِ ذَواتِ الْحَياةِ . . نَعَمْ : نَرى بِأَبْصارِنا : أَنَّ جَميعَ أُولائِكَ الطُّفَيْلاتِ الْمَعْصُومَةِ ، وَتِلْكَ الْمُخَيْزِناتِ وَالصُّنَيْدِقاتِ الْمُبارَكَةِ ، تَتَّخِذُ جَميعُها وَكُلُّ فَرْدٍ مِنْها ، حَرَكَةً مّا ، بِعِلْمِ عَليمٍ حَكيمٍ ، لِأَجْلِ انْتِباهَةٍ مّا ، وَالْمَشْيِ إِلَى غايَةِ خِلْقَتِها دَفْعَةً ؛ فَتُنْطِقُ النّاظِرينَ بِنَظَرِ الْحَقيقَةِ ، بِقَوْلِهِمْ : «بارَكَ اللّٰهُ أَلْفَ مَرَّةٍ ؛ وَما شاءَ اللّٰهُ مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ» . . نَعَمْ : إِنَّ النُّطَفَ وَالْبُيَيْضاتِ وَالْبُذُورَ وَالنَّوى ، كُلَّ واحِدٍ مِنْها ، في نِظامٍ رَقيقٍ وارِدٍ مِنَ الْعِلْمِ دَفْعَةً ؛ وَإِنَّ ذٰلِكَ النِّظامَ في

مِيزانٍ تامٍّ ناشِئٍ عَنِ الْمَهارَةِ ؛ وَإِنَّ ذٰلِكَ الْمِيزانَ في تَنْظِيمٍ جَدِيدٍ ؛ وَإِنَّهُ في مِقْياسٍ وَتَوْزِينٍ جَدِيدٍ ؛ وَإِنَّهُ أَيْضاً في تَمْيِيزٍ وَتَزْيِينٍ وَعَلاماتٍ فارِقَةٍ قَصْدِيَّةٍ لَهُ عَنْ أَمْثالِهِ الْمُتَشابِهَةِ ؛ وَإِنَّهُ هُوَ في تَزْيِينٍ وَزَخْرَفَةٍ مُصَنَّعَةٍ ؛ وَإِنَّ هٰذا أَيْضاً ، في تَصْوِيرٍ وَجِهازاتٍ مُكَمَّلَةٍ لائِقَةٍ وَحَكِيمَةٍ ؛ وَأَمَّا هٰذا ، فَالْقِسْمُ الْمَأْكُولَةُ لُحُومُهُ ، مِنْ تِلْكَ الْمَخْلُوقاتِ وَالثَّمَراتِ ، في اخْتِلافٍ لِأَجْلِ إِرْضاءِ أَذْواقِ الطّالِبِينَ لِلرِّزْقِ عَلىٰ وَجْهِ الْكَرَمِ ؛ وَإِنَّ هٰذا في نُقُوشٍ وَزَخارِفَ مُخْتَلِفَةٍ عِلْمِيَّةٍ وَإِعْجازِيَّةٍ ؛ وَإِنَّ هٰذِهِ أَيْضاً في كَمالِ الانْتِظامِ ، بَيْنَ طُعُومٍ لَذِيذَةٍ وَرَوائِحَ طَيِّبَةٍ وَشَهِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ وَإِنَّها في كَثْرَةٍ وَسُرْعَةٍ وَسَعَةٍ مُطْلَقَةٍ ؛ وَهِيَ مُتَخالِفَةٌ وَمُتَمايِزَةٌ بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ ؛ وَإِنَّ جَمِيعَ أُولائِكَ ، في انْكِشافِ صُوَرِها بِلا سَهْوٍ وَلا خَطَإٍ ، وَدَوامِ تِلْكَ الْحالِ الْخارِقَةِ في كُلِّ مَوْسِمٍ ، تُرِي مَجْمُوعَةُ أُولائِكَ الْمُبارَكاتِ ، وَكُلُّ واحِدَةٍ مِنْها ، الْبَصَرَ ، مَهارَةَ صانِعِها الْخارِقَةَ ، وَعِلْمَهُ ذا الْمُعْجِزاتِ ، بِهٰذِهِ الْأَلْسِنَةِ الْخَمْسَةَ عَشَرَ الْمَذْكُورَةِ ؛ فَتُعْلِنُ كَالشَّمْسِ ، صانِعَها عَلّامَ الْغُيُوبِ وَواجِبَ الْوُجُودِ . .

هٰذا ، فَلِأَجْلِ شَهاداتِها وَمُبارَكاتِها عَلىٰ صانِعِها ، الْمُشْرِقَةِ هٰذِهِ ، وَالْواسِعَةِ جِدّاً ؛ فَإِنَّ «الْجَنابَ الْمُحَمَّدِيَّ» (عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ) ، النّاطِقَ بِحِسابِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقاتِ ، في لَيْلَةِ الْمِعْراجِ ، ذَكَرَ كَلِمَةَ «الْمُبارَكاتُ» ، في مَكانِ «السَّلامُ» . .

﴿اَلْكَلِمَةُ الثّالِثَةُ :﴾ ﴿اَلصَّلَواتُ﴾ . فَإِنَّ مِئاتِ الْمَلايِينِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمانِ ، يُقَدِّمُونَ تِلْكَ الْكَلِمَةَ الْقُدُسِيَّةَ إِلَى الْبابِ الْإِلٰهِيِّ ؛ فَيُعْلِنُونَها في الْكائِناتِ ، كُلَّ يَوْمٍ ، عَشْرَ مَرّاتٍ عَلَى الْأَقَلِّ ، في تَشَهُّدِ الصَّلاةِ ، الَّتِي هِيَ الْمِعْراجُ الْخُصُوصِيُّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ ، بِاتِّباعِ «النَّبِيِّ» (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، في الْمِعْراجِ الْأَكْبَرِ الْمُحَمَّدِيِّ الْعُمُومِيِّ . فَبِناءً عَلىٰ أَنَّ «الْمَقالَةَ الْحادِيَةَ وَالثَّلاثِينَ» ، أَثْبَتَتْ جَمِيعَ حَقائِقِ الْمِعْراجِ ، في صُورَةٍ قَوِيَّةٍ وَقَطْعِيَّةٍ لِلْغايَةِ ، ضِدَّ الْمُلْحِدِينَ وَالْمُنْكِرِينَ الْمُعانِدِينَ أَيْضاً ، الَّذِينَ اتَّخَذَتْهُمْ مُخاطَبِينَ ؛ نُحِيلُ تَفاصِيلَهُ وَحُجَجَهُ عَلَيْها ؛ فَسَنَنْظُرُ إِلىٰ عالَمِ طَوائِفِ ذَوِي الْأَرْواحِ وَذَوِي الشُّعُورِ ، ذٰلِكَ الْعالَمِ الْعَجِيبِ ، الدّالِّ عَلَى الْمَعْنَى الْواسِعِ لِهٰذِهِ الْكَلِمَةِ الْمِعْراجِيَّةِ الثّالِثَةِ ؛ فَنَسْعىٰ لِمَعْرِفَةِ رَحْمانِيَّةِ خالِقِنا وَرَحِيمِيَّتِهِ ، وَعَظَمَةِ قُدْرَتِهِ ، وَشُمُولِ إِرادَتِهِ ، في وُجُودِهِ وَوَحْدَتِهِ ،

بِجَلَوَاتِ الْعِلْمِ الْأَزَلِيِّ ، بِإِشَارَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ لِلْغَايَةِ . . نَعَمْ : نَرَى فِي هٰذَا الْعَالَمِ : أَنَّ ذَوِي الْأَرْوَاحِ هٰؤُلَاءِ يُحِسُّونَ فِطْرَةً وَحِسّاً – وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شُعُوراً وَعَقْلاً – : أَنَّ لِكُلٍّ مِنْهُمْ أَعْدَاءً وَمُؤْذِيَاتٍ بِلَا حَدٍّ ، فِي عَجْزٍ وَضَعْفٍ بِلَا حَدٍّ ؛ وَحَاجَاتٍ وَمَطَالِبَ بِلَا حَدٍّ ، فِي فَقْرٍ وَاحْتِيَاجٍ بِلَا حَدٍّ ؛ وَأَنَّ اقْتِدَارَهُمْ وَرَأْسَ مَالِهِمْ ، لَا يَكْفِي وَاحِداً مِنَ الْأَلْفِ ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ يَصْرُخُونَ وَيَبْكُونَ بِكُلِّ قُوَّتِهِمْ ؛ وَيَتَضَرَّعُونَ مَعْنًى وَفِطْرَةً ؛ وَيَلْتَجِئُونَ إِلَى بَابِ عَلِيمٍ قَدِيرٍ ، بِدَعَوَاتٍ وَابْتِهَالَاتٍ ، وَبِنَوْعٍ مَّا مِنْ أَدْعِيَةٍ وَصَلَوَاتٍ ، بِأَلْسِنَتِهِمْ وَأَصْوَاتِهِمُ الْمَخْصُوصَةِ بِهِمْ ؛ بَيْنَمَا نَرَى بَغْتَةً : أَنَّ عَلِيماً مُطْلَقاً ، وَقَدِيراً حَكِيماً ، الَّذِي يَعْلَمُ كُلَّ أُمُورٍ وَكُلَّ حَوَائِجِ أُولٰئِكَ الصَّارِخِينَ ؛ وَيَعْرِفُ كُلَّ مَطَالِبِهِمْ وَمَضَارِّهِمْ ؛ فَيَسْمَعُ رَجَايَاهُمْ وَدَعَوَاتِهِمُ الْفِطْرِيَّةَ ، يُدْرِكُهُمْ لِإِمْدَادِهِمْ ؛ وَيَقْضِي جَمِيعَ مَطَالِبِهِمْ ؛ فَيُحَوِّلُ بُكَاءَهُمْ إِلَى الضَّحِكِ ؛ وَصُرَاخَهُمْ إِلَى الشُّكْرِ . . فَهٰذِهِ الْمَعُونَةُ الْحَكِيمَةُ ، الْعَلِيمَةُ الرَّحِيمَةُ ، تُعْلِنُ مُجِيباً مُغِيثاً ، وَرَحِيماً كَرِيماً ، بِجَلَوَاتِ الْعِلْمِ وَالرَّحْمَةِ ، عَلَى وَجْهٍ مُشْرِقٍ جِدّاً ؛ فَتُخَصِّصُ وَتُقَدِّمُ إِلَيْهِ ، جَمِيعَ صَلَوَاتِ وَعُبُودِيَّاتِ عَالَمِ ذَوِي الْأَرْوَاحِ أُولٰئِكَ ؛ فَبِمَعْنَى ذٰلِكَ ، يَقُولُ «مُحَمَّدٌ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، فِي الْمِعْرَاجِ الْأَكْبَرِ ؛ وَأُمَّتُهُ فِي الصَّلَوَاتِ الَّتِي هِيَ الْمِعْرَاجُ الْأَصْغَرُ : ﴿اَلصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلّٰهِ﴾ . .

﴿اَلْكَلِمَةُ الْقُدُسِيَّةُ الرَّابِعَةُ :﴾ ﴿اَلطَّيِّبَاتُ﴾ . إِنِّي سِقْتُ بِدُونِ اخْتِيَارٍ عَادَةً ، إِلَى تَبْيِينِ حَقَائِقِ كَلِمَاتِ الْفَاتِحَةِ وَالتَّشَهُّدِ ، بِإِشَارَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ ، بِحِكْمَةِ أَنَّ كَثِيراً مِنْ حَقَائِقِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، أُخْطِرَتْ فِي تَسْبِيحَاتِ الصَّلَاةِ . . هٰذَا ، فَإِنَّ كَلِمَةَ «اَلطَّيِّبَاتُ» الْقُدُسِيَّةَ الْمَذْكُورَةَ فِي الْمِعْرَاجِ الْمُحَمَّدِيِّ ، بِمَعْنَى طَيِّبَاتِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ ، وَأَصْحَابُ الشُّعُورِ الْكُلِّيِّ ؛ الَّذِينَ يُزَيِّنُونَ الْكَائِنَاتِ بِطَيِّبَاتِهِمْ وَحَسَنَاتِهِمْ وَعُبُودِيَّاتِهِمُ الطَّيِّبَةِ ؛ وَيَنْظُرُونَ إِلَى عَالَمِ الطَّيِّبَاتِ ؛ وَيَعْلَمُونَ تَمَاماً ، مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ جَمَالِ وَمَحَاسِنِ الْجَمِيلِ الْمُطْلَقِ السَّرْمَدِيِّ ، وَالْمَحَاسِنَ الدَّائِمَةَ لِلْأَسْمَاءِ الْمُزَيِّنَةِ لِلْكَائِنَاتِ ؛ وَيُقَابِلُونَهَا بِعُبُودِيَّاتٍ كُلِّيَّةٍ ، بِالْعِشْقِ وَالشَّوْقِ ، وَبِالرَّوَائِحِ الطَّيِّبَةِ وَالشَّمَائِمِ اللَّذِيذَةِ ، لِلْإِيمَانِ الْمُشْرِقِ ، وَالْمَعَارِفِ وَالْمَدَائِحِ وَالْأَثْنِيَةِ الْوَاسِعَةِ ، تِجَاهَ خَالِقِهِمْ . فَتُكَرِّرُ جَمِيعُ الْأُمَّةِ فِي التَّشَهُّدِ ، تِلْكَ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ الْقُدُسِيَّةَ ،

كُلَّ يَوْمٍ ، دُونَ مَلَلٍ ، بِسِرِّ أَنَّهَا ذُكِرَتْ فِي الْمِعْرَاجِ بِمَعْنَى تِلْكَ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي لا حَدَّ لَهَا . نَعَمْ : إِنَّ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، هِيَ مَرَايَا وَجِلَوَاتُ حُسْنٍ وَجَمَالٍ سَرْمَدِيٍّ بِلا نِهَايَةٍ ؛ وَإِنَّ مَا فِي الْكَائِنَاتِ مِنْ هٰذِهِ الْجَمَالاتِ وَالْكَمَالاتِ وَالْمَحَاسِنِ ، تَرِدُ مِنْ ذٰلِكَ الْحُسْنِ السَّرْمَدِيِّ ؛ وَتَتَزَيَّنُ وَتَرْتَفِعُ قِيمَتُهَا بِالِانْتِسَابِ إِلَيْهِ ؛ وَإِلَّا تَصِيرُ مُحْزِناً وَخَرَاباً مَرِيجاً . وَأَمَّا الِانْتِسَابُ فَيُعْرَفُ بِمَعْرِفَةِ وَتَصْدِيقِ الْإِنْسِ وَالْمَلائِكَةِ وَالرُّوحَانِيِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ دَلَّالُونَ وَمُعْلِنُونَ لِسَلْطَنَةِ الْأُلُوهِيَّةِ ؛ حَتَّى إِنَّهُ سَنَحَ بِبَالِي ، أَنَّهُ يَحْتَمِلُ احْتِمَالاً قَوِيّاً : أَنَّ ذٰلِكَ الْوَضْعَ الْعَجِيبَ الْخَارِقَ جِدّاً ، أُعْطِيَهُ الْهَوَاءُ ، لِتُقَدِّمَ ذَرَّاتُ عُنْصُرِ الْهَوَاءِ ، تِلْكَ الْكَلِمَاتِ الطَّيِّبَةَ ، إِلَى الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ ، كَأَنْفَارٍ مُطِيعَةٍ ، وَآذَانٍ وَأَلْسِنَةٍ صَغِيرَةٍ ، لِتَسُوقَ كَلِمَاتِ أُولٰئِكَ الدَّلَّالِينَ ، وَمَدَائِحَهُمْ لِمَعْبُودِهِمْ ، وَأَثْنِيَتَهُمْ وَمَحَامِدَهُمُ الطَّيِّبَةَ وَالْحُلْوَةَ ، إِلَى كُلِّ الْجَوَانِبِ ، وَإِلَى جَانِبِ الْعَرْشِ الْأَعْظَمِ . . هٰذَا ، فَكَمَا أَنَّ الْإِنْسَ وَالْمَلائِكَةَ ، يُعْلِنُونَ الْمَعْبُودَ ذَا الْجَلالِ ، بِإِيمَانِهِمْ وَعُبُودِيَّتِهِمْ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ ذٰلِكَ الْحَكِيمَ ذَا الْجَلالِ أَيْضاً ، يُعْلِنُ نَفْسَهُ عَلَى وَجْهٍ مُشْرِقٍ جِدّاً ، بِجَعْلِهِ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أُولٰئِكَ الْمُعْلِنِينَ ، فِي حُكْمِ كَوْنٍ صَغِيرٍ ذِي عَلاقَةٍ بِجَمِيعِ الْأَكْوَانِ ، بِمَا أَعْطَاهُمْ مِنَ الِاسْتِعْدَادَاتِ الْجَامِعَةِ جِدّاً ، وَالْجِهَازَاتِ الْخَارِقَةِ جِدّاً ، وَدَقَائِقِهِمُ الْعِلْمِيَّةِ ؛ فَإِنَّهُ يُظْهِرُ نَفْسَهُ كَالشَّمْسِ ، بِجِلْوَةِ الْعِلْمِ الْأَزَلِيِّ ، بِخَلْقِهِ أَجْهِزَةً عَجِيبَةً مُتَعَدِّدَةً مِثْلَ : الْقُوَّةِ الْحَافِظَةِ وَالْقُوَّةِ الْخَيَالِيَّةِ وَالْقُوَّةِ الْمُفَكِّرَةِ ، فِي مَكَانٍ بِقَدَرِ جَوْزَةٍ ، فِي رَأْسِ الْإِنْسَانِ مَثَلاً ، الصَّغِيرِ جِدّاً ، وَبِجَعْلِهِ الْقُوَّةَ الْحَافِظَةَ ، فِي حُكْمِ مَكْتَبَةٍ عَظِيمَةٍ . . (١)

وَالْآنَ نُشِيرُ إِلَى نَوْعِ تَرْجَمَةٍ مَا ، وَإِلَى مَآلٍ مُخْتَصَرٍ لِلْغَايَةِ ، لِلْفِقْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْعِلْمِ الْمُحِيطِ ، بِخَمْسَةَ عَشَرَ دَلِيلاً ؛ وَالْمُحْتَوِيَةِ لِحُجَّةٍ وَاسِعَةٍ وَلِبَرَاهِينَ بِلا حَدٍّ ؛ وَالْمُشِيرَةِ إِلَى الْحُجَجِ الْكُلِّيَّةِ لِلْعِلْمِ الْمُحِيطِ ، وَالَّتِي ذُكِرَتْ سَابِقاً . .

﴿اَلدَّلِيلُ الْأَوَّلُ :﴾ مِنَ الدَّلائِلِ الْخَمْسَةَ عَشَرَ ، هُوَ قَوْلُهُ : ﴿فَالِانْتِظَامَاتُ الْمَوْزُونَةُ﴾ . يَعْنِي : أَنَّ مَا يُشَاهَدُ فِي جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، مِنَ الِاتِّقَانِ ذِي الْمِقْيَاسِ ، وَالِانْتِظَامِ ذِي الْمِيزَانِ ،

(١) لا يَسْمَحُ مَرَضِي الشَّدِيدُ جِدّاً ؛ وَإِنَّمَا هٰذَا مَرْجِعٌ وَعَوْنٌ لِوَظِيفَةِ تَرْجَمَةِ «خُسْرَوْ» . . الْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

يَشْهَدُ لِعِلْمٍ ذِي إِحَاطَةٍ. نَعَمْ: إِنَّ وُجُودَ الاِنْتِظَامِ التَّامِّ وَالاِتْقَانِ الْمَوْزُونِ، الَّذِي هُوَ أَثَرُ عِلْمٍ عَمِيقٍ مُحِيطٍ لاَ يُخْطِئُ، يَدُلُّ وَيَشْهَدُ عَلَى عِلْمٍ مُحِيطٍ، فِي صُورَةٍ قَطْعِيَّةٍ وَظَاهِرَةٍ لِلْغَايَةِ، بَادِئاً مِنَ الْكَائِنَاتِ الَّتِي هِيَ كَقَصْرٍ مُنْتَظِمٍ، وَمِنَ الْمَنْظُومَةِ الشَّمْسِيَّةِ، وَمِنْ صَحِيفَةِ الْهَوَاءِ الدَّالَّةِ ذَرَّاتُهُ عَلَى انْتِظَامٍ مَدَارٍ لِلْحَيْرَةِ، فِي نَشْرِ الْكَلِمَاتِ وَالْأَصْوَاتِ، وَمِنْ سَطْحِ الْأَرْضِ الْمُنْتِجِ لِثَلاَثِمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ، فِي كُلِّ رَبِيعٍ، بَيْنَ انْتِظَامٍ أَكْمَلَ، إِلَى مَا فِي جِسْمِ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ، مِنَ الْأَعْضَاءِ وَالْجِهَازَاتِ وَالْخَلاَيَا وَالذَّرَّاتِ.. هٰذَا هُوَ الْمُرَادُ..

﴿اَلدَّلِيلُ الثَّانِي:﴾ قَوْلُهُ: ﴿وَالاِتِّزَانَاتُ الْمَنْظُومَةُ﴾. يَعْنِي: أَنَّ وُجُودَ مِيزَانٍ مُنَاسِبٍ، وَمِقْيَاسٍ مُتَّزِنٍ لِلْغَايَةِ، فِي جَمِيعِ الْمَصْنُوعَاتِ الْجُزْئِيَّةِ وَالْكُلِّيَّةِ فِي الْكَائِنَاتِ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ السَّيَّارَاتِ إِلَى مَا فِي الدَّمِ، إِلَى الْكُرَيْوَاتِ الْحَمْرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ، يَدُلُّ وَيَشْهَدُ قَطْعاً، عَلَى عِلْمٍ مُحِيطٍ، بِالْبَدَاهَةِ. نَعَمْ: نُشَاهِدُ أَنَّ أَعْضَاءَ وَأَجْهِزَةَ ذُبَابٍ وَإِنْسَانٍ مَثَلاً، حَتَّى خَلاَيَا جَسَدِهِ، وَكُرَيْوَاتِهِ الْحَمْرَاءَ وَالْبَيْضَاءَ فِي دَمِهِ، مُكِّنَتْ بِمِيزَانٍ حَسَّاسٍ وَبِمِقْيَاسٍ دَقِيقٍ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ؛ وَأَنَّهَا مُتَنَاسِبَةٌ وَمُتَوَافِقَةٌ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ؛ وَأَنَّ فِي سَائِرِ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ، تَنَاسُباً مُنْتَظِماً كَذٰلِكَ، بِحَيْثُ إِنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَالِكاً لِعِلْمٍ بِلاَ نِهَايَةٍ، لَيْسَ لَهُ إِمْكَانٌ فِي أَيَّةِ جِهَةٍ، أَنْ يُعْطِيَهَا ذٰلِكَ الْوَضْعَ.. هٰذَا، فَإِنَّ حِكَمَ مُوَازَنَةٍ تَامَّةٍ كَذٰلِكَ، وَمِقْيَاسٍ مُتَّزِنٍ لاَ يُخْطِئُ بِقَدَرِ الذَّرَّةِ، مِنْ ذَرَّاتِ جَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ وَأَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ بِعَيْنِهَا، إِلَى مَا فِي الْمَنْظُومَةِ الشَّمْسِيَّةِ مِنَ السَّيَّارَاتِ، يَدُلُّ قَطْعاً؛ وَيَشْهَدُ مُشْرِقاً، عَلَى عِلْمٍ مُحِيطٍ. إِذاً فَإِنَّ كُلَّ دَلِيلٍ لِلْعِلْمِ، دَلِيلٌ أَيْضاً عَلَى وُجُودِ الذَّاتِ الْعَلِيمِ. فَجَمِيعُ الْحُجَجِ، هِيَ حُجَّةٌ كُبْرَى قَوِيَّةٌ وَقَطْعِيَّةٌ، عَلَى وُجُوبِ وُجُودِ الْعَلِيمِ الْأَزَلِيِّ؛ لِأَنَّ وُجُودَ الصِّفَةِ بِدُونِ الْمَوْصُوفِ، مُحَالٌ وَغَيْرُ مُمْكِنٍ..

﴿اَلدَّلِيلُ الثَّالِثُ:﴾ قَوْلُهُ: ﴿وَالْحِكَمُ الْقَصْدِيَّةُ الْعَامَّةُ﴾. يَعْنِي: أَنَّ فِي الْخَلاَّقِيَّةِ وَالْفَعَّالِيَّةِ، وَفِي التَّبَدُّلاَتِ وَالْإِحْيَاءِ، وَفِي التَّوْظِيفَاتِ وَالتَّسْرِيحَاتِ فِي كُلِّ الْكَائِنَاتِ، لِكُلِّ فَرْدٍ وَلِكُلِّ طَائِفَةٍ مِنْ كُلِّ الْمَصْنُوعَاتِ، حِكَماً وَفَوَائِدَ وَوَظَائِفَ، مَنُوطَةً بِهَا قَصْداً وَعَلَى عِلْمٍ، لَيْسَ لَهَا إِمْكَانُ التَّصَادُفِ؛ وَنَرَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ مُحِيطٌ، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْلِكَ وَاحِداً مِنْهَا

أَصْلاً فِي نُقْطَةِ الْإِيجَادِ ، فِي أَيَّةِ جِهَةٍ ؛ فَإِنَّ لِسَانَ إِنْسَانٍ مَثَلاً ، مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ بِلَا حَدٍّ ، الَّذِي هُوَ جِهَازٌ وَاحِدٌ مِنْ مِئَةِ جِهَازَاتِه ، كَانَ مُضْغَةَ لَحْمٍ ؛ فَيَصِيرُ آلَةً لِمِئَاتِ الْحِكَمِ وَالنَّتَائِجِ وَالثَّمَرَاتِ وَالْفَوَائِدِ ، بِوَظِيفَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ لَهُ ؛ فَوَظِيفَتُهُ فِي ذَوْقِ الْأَطْعِمَةِ ، هِيَ الْإِخْبَارُ لِلْجَسَدِ وَالْمَعِدَةِ عَلَى عِلْمٍ ، بِجَمِيعِ الطُّعُومِ الْمُخْتَلِفَةِ ؛ وَصَيْرُورَتُهُ مُفَتِّشاً دَقِيقاً لِمَطَابِخِ الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَصَيْرُورَتُهُ نَاقِلاً وَتَرْجُمَاناً كَامِلاً لِلْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالدِّمَاغِ ، فِي وَظِيفَةِ الْكَلِمَاتِ ؛ فَتَدُلُّ وَتَشْهَدُ قَطْعاً ، عَلَى عِلْمٍ مُحِيطٍ ، فِي صُورَةٍ مُشْرِقَةٍ وَقَاطِعَةٍ لِلْغَايَةِ . فَإِذَا دَلَّ هٰكَذَا لِسَانٌ وَاحِدٌ ، بِحِكَمِهِ وَثَمَرَاتِهِ ؛ فَإِنَّ الْأَلْسِنَةَ بِلَا حَدٍّ ، وَذَوِي الْحَيَاةِ بِلَا حَدٍّ ، وَالْمَصْنُوعَاتِ بِلَا نِهَايَةٍ ، تَدُلُّ وَتَشْهَدُ عَلَى عِلْمٍ بِلَا نِهَايَةٍ ، فِي ظُهُورِ الشَّمْسِ ، وَفِي قَطْعِيَّةِ النَّهَارِ ؛ وَتُعْلِنُ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ شَيْءٌ مَّا ، خَارِجٌ عَنْ دَائِرَةِ عِلْمِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ ، وَحِكْمَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ . .

﴿اَلدَّلِيلُ الرَّابِعُ :﴾ قَوْلُهُ : ﴿وَالْعِنَايَاتُ الْمَخْصُوصَةُ الشَّامِلَةُ﴾ . يَعْنِي : أَنَّ الْعِنَايَاتِ وَالشَّفَقَاتِ وَالْحِمَايَاتِ الْخَاصَّةَ بِكُلِّ نَوْعٍ وَكُلِّ فَرْدٍ ، وَالْمُنَاسِبَةَ بِهِ ، وَالشَّامِلَةَ لِلْعُمُومِ ، فِي عَالَمِ جَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ وَذَوِي الشُّعُورِ ، تَدُلُّ عَلَى عِلْمٍ مُحِيطٍ ، فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ ؛ وَتَشْهَدُ شَهَادَاتٍ بِلَا حَدٍّ ، عَلَى وُجُوبِ وُجُودِ عَلِيمٍ ذِي عِنَايَةٍ ، يَعْلَمُ الَّذِينَ هُمْ مَظَاهِرُ لِتِلْكَ الْعِنَايَاتِ ؛ وَيَعْلَمُ احْتِيَاجَاتِهِمْ . . هٰذَا هُوَ الْمُرَادُ . .

إِخْطَارٌ : إِنَّ إِيضَاحَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي فِي الْفِقْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ زُبْدَةُ خُلَاصَةِ الْخُلَاصَةِ لِرِسَالَةِ النُّورِ ، هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَقَائِقِ الَّتِي اسْتَفَادَتْهَا مِنْ لَمَعَاتِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ، رِسَالَةُ النُّورِ الْمُتَرَشِّحَةُ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَإِلَى الدَّلَائِلِ وَالْحُجَجِ الدَّائِرَةِ حَوْلَ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ خُصُوصاً ؛ فَتُفَسِّرُ بِالِاهْتِمَامِ ، تِلْكَ الدَّلَائِلُ الْعِلْمِيَّةُ الَّتِي تُشِيرُ إِلَيْهَا هٰذِهِ الْكَلِمَاتُ الْعَرَبِيَّةُ . إِذاً فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، تُبَيِّنُ إِشَارَاتِ وَنِكَاتِ آيَاتٍ كَثِيرَةٍ . وَإِلَّا فَلَيْسَتْ تَفْسِيرَ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَبَيَانَهَا وَتَرْجَمَتَهَا . . فَنَرْجِعُ إِلَى الصَّدَدِ . .

نَعَمْ : نَرَى بِأَبْصَارِنَا : أَنَّهُ يُوجَدُ عَلِيمٌ رَحِيمٌ يَعْلَمُ بِنَا وَبِجَمِيعِ ذَوِي الْأَرْوَاحِ ؛ وَيَحْمِي بِالشَّفَقَةِ وَعَلَى عِلْمٍ ؛ وَيَعْلَمُ احْتِيَاجَ كُلِّ أَحَدٍ ، وَكُلَّ مَطَالِبِهِ ؛ فَيُدْرِكُ لِإِمْدَادِهِ ، عَلَى عِلْمٍ وَبِعِنَايَتِهِ . فَمِنْ أَمْثِلَتِهِ بِلَا حَدٍّ : أَنَّ الْعِنَايَاتِ الْخُصُوصِيَّةَ وَالْعُمُومِيَّةَ الْوَارِدَةَ فِي جِهَةِ الرِّزْقِ

وَالْعِلاَجِ ، وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَعَادِنِ ، تَدُلُّ عَلَى عِلْمٍ مُحِيطٍ ، فِي صُورَةٍ ظَاهِرَةٍ جِدّاً ؛ وَتَشْهَدُ عَلَى رَحْمَنٍ رَحِيمٍ ، عَدَدَ الْأَرْزَاقِ وَالْعِلاَجِ وَالْمَعَادِنِ .. نَعَمْ : إِنَّ الْأُمُورَ الْحَكِيمَةَ ، مِثْلَ إِعَاشَةِ الْإِنْسَانِ ، وَخُصُوصاً الْعَجَزَةَ وَالْأَطْفَالَ ؛ وَخَاصَّةً إِيصَالَ الرِّزْقِ الْمُنَاسِبِ ، إِلَى أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الطَّالِبَةِ لِلرِّزْقِ ، حَتَّى خَلاَيَاهَا وَكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، مِنْ مَطْبَخِ الْمَعِدَةِ ؛ وَصَيْرُورَةِ الْجِبَالِ صَيْدَلَةً وَمَخْزَنَ جَمِيعِ الْمَعَادِنِ اللاَّزِمَةِ لِلْإِنْسَانِ ، إِنَّمَا تَكُونُ بِعِلْمٍ مُحِيطٍ لِلْغَايَةِ ؛ وَلاَ تَسْتَطِيعُ الصُّدْفَةُ الطَّائِشَةُ ، وَالْقُوَّةُ الْعَمْيَاءُ ، وَالطَّبِيعَةُ الصَّمَّاءُ ، وَالْأَسْبَابُ الْجَامِدَةُ بِلاَ شُعُورٍ ، وَالْعَنَاصِرُ الْبَسِيطَةُ وَالْمُسْتَوْلِيَةُ ، أَنْ تُخَالِطَ هٰذِهِ الْإِعَاشَةَ وَالْإِدَارَةَ وَالتَّدْبِيرَ وَالْحِمَايَةَ الْعَلِيمَةَ وَالْبَصِيرَةَ وَالْحَكِيمَةَ وَالرَّحِيمَةَ وَالْمُعْتَنِيَةَ ؛ وَإِنَّمَا يُوجَدُ اسْتِعْمَالُ وَاسْتِخْدَامُ تِلْكَ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرِيَّةِ ، بِأَمْرِ الْعَلِيمِ الْمُطْلَقِ وَبِإِذْنِهِ ، وَفِي دَائِرَةِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا غِطَاءَةٌ مَّا ، لِلْعِزَّةِ وَالْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ..

﴿اَلدَّلِيلُ الْخَامِسُ وَالسَّادِسُ :﴾ قَوْلُهُ : ﴿وَالْأَقْضِيَةُ الْمُنْتَظَمَةُ ، وَالْأَقْدَارُ الْمُثْمِرَةُ﴾ . يَعْنِي : أَنَّ أَشْكَالَ وَمَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ ، خُصُوصاً النَّبَاتَاتِ وَالْأَشْجَارَ وَالْحَيْوَانَاتِ وَالنَّاسَ ، قُصَّتْ مُصَنَّعَةً ؛ وَخِيطَتْ مُنَاسِبَةً تَامَّةً حَسَبَ قَامَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا ؛ وَأُلْبِسَتْ عَلَيْهَا مُكَمَّلَةً ؛ وَأُعْطِيَتْ أَشْكَالاً حَكِيمَةً مُنْتَظِمَةً لِلْغَايَةِ ، بِدَسَاتِيرِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، اللَّذَيْنِ هُمَا نَوْعَانِ مِنَ الْعِلْمِ الْأَزَلِيِّ . فَهٰؤُلاَءِ كُلُّ فَرْدٍ وَمَجْمُوعٍ مِنْهَا ، تَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ بِلاَ نِهَايَةٍ ؛ وَتَشْهَدُ بِأَعْدَادِهَا ، عَلَى صَانِعٍ عَلِيمٍ . هٰذَا هُوَ الْمُرَادُ .. نَعَمْ : نَنْظُرُ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ ، إِلَى شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَإِلَى إِنْسَانٍ فَرْدٍ مَثَلاً ، مِنْ أَمْثِلَتِهَا بِلاَ حَدٍّ ؛ فَنَرَى : أَنَّ هٰذِهِ الشَّجَرَةَ الْمُثْمِرَةَ ، وَهٰذَا الْإِنْسَانَ الْكَثِيرَ الْأَجْهِزَةِ ، خُطَّتْ حُدُودُهُمَا ؛ وَأُعْطِيَتَا صُورَةً مُنَاسِبَةً بِكُلِّ أَعْضَائِهِمَا ، بِالْاِنْتِظَامِ التَّامِّ ، بِمِقْيَاسٍ غَيْبِيٍّ ، وَبِقَلَمِ عِلْمٍ دَقِيقٍ ، ظَاهِراً وَبَاطِناً ، دَاخِلاً وَخَارِجاً ، فِي دَرَجَةٍ لاَ يُمْكِنُ لِأَيِّ رَسَّامٍ ، أَنْ يَصْنَعَ تَقْلِيدَهَا التَّامَّ ؛ ذٰلِكَ لِتَصِلاَ إِلَى ثَمَرَاتِهِمَا وَنَتَائِجِهِمَا وَوَظَائِفِهِمَا الْفِطْرِيَّةِ . فَهٰذِهِ الْحَالُ تَشْهَدُ ــ بِجِهَةِ إِمْكَانِ حُصُولِهَا بِعِلْمٍ بِلاَ نِهَايَةٍ ــ عَدَدَ النَّبَاتَاتِ وَالْحَيْوَانَاتِ ، عَلَى وُجُوبِ وُجُودِ صَانِعٍ مُصَوِّرٍ ، وَعَلِيمٍ مُقَدِّرٍ ، وَعَلَى عِلْمِهِ بِلاَ نِهَايَةٍ ، الَّذِي يَعْلَمُ مُنَاسَبَةَ كُلِّ شَيْءٍ بِكُلِّ شَيْءٍ ؛

وَيَتَّخِذُهَا لِلنَّظَرِ ؛ وَيَعْمَلُ عَلىٰ عِلْمٍ ، لِصُنْعِ جَمِيعِ أَمْثَالِ وَأَنْوَاعِ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ وَهٰذَا الإِنْسَانِ ، وَمَقَادِيرِهَا وَصُوَرِهَا الظَّاهِرِيَّةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ ، صُنْعاً حَكِيماً ، بِقَلَمِ وَمِقْيَاسِ قَضَاءِ وَقَدَرِ عِلْمِهِ الأَزَلِيِّ . . هٰذَا هُوَ الْمُرَادُ . .

﴿اَلدَّلِيلُ السَّابِعُ وَالثَّامِنُ :﴾ قَوْلُهُ : ﴿وَالآجَالُ الْمُعَيَّنَةُ ، وَالأَرْزَاقُ الْمُقَنَّنَةُ﴾ . يَعْنِي : أَنَّهُ تُوجَدُ دَلاَئِلُ بِلاَ حَدٍّ ، عَلىٰ أَنَّ أَجَلَ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ ، مُقَدَّرٌ وَمُعَيَّنٌ ، لاَ يَتَقَدَّمُ وَلاَ يَتَأَخَّرُ ، فِي صَحِيفَةِ الْمُقَدَّرَاتِ الْحَيَوِيَّةِ ، فِي دَفْتَرِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ الأَزَلِيِّ ؛ وَأَنَّ رِزْقَ كُلِّ ذِي رُوحٍ ، تُعَيَّنُ وَتُخَصَّصُ ؛ فَتُكْتَبُ فِي لَوْحَةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، تَحْتَ غِطَاءِ إِبْهَامِ الآجَالِ وَالأَرْزَاقِ الَّتِي تُتَوَهَّمُ مُبْهَمَةً وَغَيْرَ مُعَيَّنَةٍ ، فِي النَّظَرِ الظَّاهِرِ ، لِأَجْلِ حِكْمَةٍ ذَاتِ أَهَمِّيَّةٍ ؛ فَإِنَّ مَوْتَ شَجَرَةٍ جَسِيمَةٍ مَثَلاً ؛ وَتَرْكَهَا فِي مَكَانِهَا ، نَوَاتَهَا الَّتِي هِيَ نَوْعٌ مِنْ رُوحِهَا ، لِأَدَاءِ الْوَظِيفَةِ ، يَكُونُ بِقَانُونِ حَكِيمٍ لِعَلِيمٍ حَفِيظٍ ؛ وَإِنَّ نَبَعَانَ اللَّبَنِ الَّذِي هُوَ رِزْقُ طِفْلٍ ، مِنَ الثَّدْيِ ؛ وَسَيَلاَنَهُ إِلىٰ فَمِهِ ، خَارِجاً مِنْ بَيْنِ الْفَرْثِ وَالدَّمِ ، صَافِياً نَظِيفاً دُونَ تَلَوُّثٍ أَصْلاً ، يَرُدُّ فِي صُورَةٍ قَاطِعَةٍ ، احْتِمَالَ التَّصَادُفِ ؛ وَيَدُلُّ بِغَايَةِ الْقَطْعِ ، عَلىٰ أَنَّهُ يَكُونُ بِدُسْتُورٍ مُشْفِقٍ ، لِرَزَّاقٍ عَلِيمٍ وَرَحِيمٍ . . فَلْيُقَسْ عَلىٰ هٰذَيْنِ الْمِثَالَيْنِ الْجُزْئِيَّيْنِ ، جَمِيعُ ذَوِي الْحَيَاةِ وَذَوِي الأَرْوَاحِ . إِذاً فَإِنَّ الأَجَلَ مُعَيَّنٌ وَمُقَدَّرٌ فِي الْحَقِيقَةِ ؛ وَإِنَّ الرِّزْقَ قُيِّدَ فِي دَفْتَرِ الْمُقَدَّرَاتِ ، بَيْنَ تَعَيُّنٍ مَا ، حَسَبَ كُلِّ أَحَدٍ ؛ وَلٰكِنْ يُرَى الأَجَلُ وَالرِّزْقُ ، مُبْهَماً وَغَيْرَ مُعَيَّنٍ ، فِي حِجَابِ الْغَيْبِ ؛ كَأَنَّهُ مُرْتَبِطٌ بِالتَّصَادُفِ ظَاهِراً . فَلَوْ كَانَ الأَجَلُ مُعَيَّناً ، مِثْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ؛ لَضَاعَ نِصْفُ الْعُمُرِ فِي الْغَفْلَةِ الْمُطْلَقَةِ ، وَبِعَدَمِ السَّعْيِ لِلآخِرَةِ ؛ وَتَلَقِّي ذُعْراً رَهِيباً بَعْدَ نِصْفِ الْعُمُرِ ؛ كَأَنَّهُ يَخْطُو كُلَّ يَوْمٍ قَدَماً إِلىٰ جَانِبِ مِشْنَقِ الْمَوْتِ ؛ فَتَزْدَادُ الْمُصِيبَةُ الَّتِي فِي الأَجَلِ مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ فَبِسِرِّ ذٰلِكَ تُرِكَتِ الْمَصَائِبُ النَّازِلَةُ ، بَلْ وَالْقِيَامَةُ الَّتِي هِيَ أَجَلُ الدُّنْيَا ، فِي حِجَابِ الْغَيْبِ لِأَجْلِ الرَّحْمَةِ . أَمَّا الرِّزْقُ ، فَإِنَّهُ أَكْبَرُ خَزِينَةٍ لِلنِّعَمِ ، وَأَغْنىٰ مَنْبَعٍ لِلشُّكْرِ وَالْحَمْدِ ، وَأَجْمَعُ مَعْدِنٍ لِلْعُبُودِيَّةِ وَالدَّعَوَاتِ وَالرَّجَايَا ، بَعْدَ الْحَيَاةِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ أُظْهِرَ مُبْهَماً وَمِثْلَ الْمُعَلَّقِ بِالتَّصَادُفِ ، فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ ؛ لِئَلَّا يَنْسَدَّ بَابُ طَلَبِ الرِّزْقِ بِشَفَاعَةِ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ ، وَالالْتِجَاءِ وَالرَّجَاءِ وَالابْتِهَالِ

إِلٰى بَابِ الرَّزَّاقِ الْكَرِيمِ ، كُلَّ وَقْتٍ . وَإِلَّا ، فَلَوْ كَانَ مُعَيَّناً ؛ لَتَبَدَّلَتْ مَاهِيَّتُهُ كُلِّيّاً ؛ وَانْسَدَّتْ أَبْوَابُ الرَّجَايَا وَالدَّعَوَاتِ عَلٰى وَجْهِ الشُّكْرِ وَالِامْتِنَانِ ، بَلْ وَالْعُبُودِيَّةِ عَلٰى وَجْهِ التَّذَلُّلِ . .

﴿ اَلدَّلِيلُ التَّاسِعُ وَالْعَاشِرُ : ﴾ قَوْلُهُ : ﴿وَالِاتِّقَانَاتُ الْمُفَنَّنَةُ ، وَالِاهْتِمَامَاتُ الْمُزَيَّنَةُ﴾ .
يَعْنِي : أَنَّ فِي كُلِّ مَصْنُوعٍ ، وَخُصُوصاً فِي مَوْسِمِ الرَّبِيعِ ، وَفِي وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَفِي خِلْقَةِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ الْجَمِيلَةِ الدَّالَّةِ عَلٰى جَلَوَاتِ حُسْنٍ وَجَمَالٍ سَرْمَدِيٍّ ؛ مِنْ جُمْلَتِهَا الْأَزْهَارُ وَالْأَثْمَارُ ، وَالطُّوَيْرَاتُ وَالذِّبَّانُ ؛ وَخَاصَّةً فِي صُوَرٍ وَأَجْهِزَةِ الطُّوَيْرَاتِ الْمُذَهَّبَةِ وَالْمُتَوَقِّدَةِ ، مَهَارَةً وَدِقَّةً مُعْجِزَةً ، وَاتِّقَاناً وَتَكَمُّلاً وَصَنْعَةً خَارِقَةً ، وَأَشْكَالاً وَجُهَيْزَاتٍ فِي أَنْمَاطٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَمُخْتَلِفَةٍ دَالَّةٍ عَلٰى آثَارِ صَانِعِهَا ، ذَاتِ الْمُعْجِزَاتِ ، تَدُلُّ قَطْعاً عَلٰى عِلْمٍ ذِي إِحَاطَةٍ ، وَعَلٰى مَلَكَةٍ عِلْمِيَّةٍ ذَاتِ فُنُونٍ وَحَذَاقَةٍ لِلْغَايَةِ ــ لَا خَطَأً فِي التَّعْبِيرِ ــ ؛ وَتَشْهَدُ عَلٰى أَنَّهُ لَا إِمْكَانَ لِمُدَاخَلَةِ التَّصَادُفِ الطَّائِشِ ، وَالْأَسْبَابِ الْمُشَوَّشَةِ بِلَا شُعُورٍ ؛ كَمَا أَنَّ فِي تِلْكَ الْمَصْنُوعَاتِ الْجَمِيلَةِ ، تَزَيُّناً حُلْواً ، وَزِينَةً لَذِيذَةً ، وَجَمَالَ صَنْعَةٍ جَاذِباً ، بِإِفَادَةِ قَوْلِهِ : «وَالِاهْتِمَامَاتُ الْمُزَيَّنَةُ» ، بِحَيْثُ يُؤَدِّي الْعَمَلَ بِعِلْمٍ بِلَا نِهَايَةٍ ؛ وَيَعْلَمُ أَحْسَنَ نَمَطِ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَيُرِيدُ إِظْهَارَ جَمَالِ كَمَالِ الصَّنَاعَةِ ، وَكَمَالِ جَمَالِهَا ، لِذَوِي الشُّعُورِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُصَوِّرُ أَدْنٰى زَهْرَةٍ وَأَصْغَرَ ذُبَابَةٍ ؛ وَيُنْشِئُهَا بِالْأَهَمِّيَّةِ ، عَلٰى وَجْهِ الصَّنَاعَةِ وَالْمَهَارَةِ وَالِاهْتِمَامِ . فَهٰذَا التَّزْيِينُ وَالتَّحْسِينُ عَلٰى وَجْهِ الِاهْتِمَامِ ، يَدُلَّانِ عَلٰى عِلْمٍ مُحِيطٍ بِكُلِّ شَيْءٍ وَغَيْرِ مَحْدُودٍ بِالْبَدَاهَةِ ؛ وَيَشْهَدَانِ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِ صَانِعٍ عَلِيمٍ ذِي جَمَالٍ ، عَدَدَ أُولَائِكَ الْجَمِيلَاتِ . . هٰذَا هُوَ الْمُرَادُ . .

﴿ اَلدَّلِيلُ الْحَادِيَ عَشَرَ : ﴾ الْمُحْتَوِي عَلٰى خَمْسِ حُجَجٍ وَأَدِلَّةٍ كُلِّيَّةٍ ، هُوَ قَوْلُهُ : ﴿وَغَايَةُ كَمَالِ الِانْتِظَامِ وَالِاتِّزَانِ وَالِامْتِيَازِ الْمُطْلَقَاتِ ، فِي السُّهُولَةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ وَخَلْقُ الْأَشْيَاءِ فِي الْكَثْرَةِ الْمُطْلَقَةِ مَعَ الِاتِّقَانِ الْمُطْلَقِ ، وَفِي السُّرْعَةِ الْمُطْلَقَةِ مَعَ الِاتِّزَانِ الْمُطْلَقِ ، وَفِي الْوُسْعَةِ الْمُطْلَقَةِ مَعَ كَمَالِ حُسْنِ الصَّنْعَةِ ، وَفِي الْبُعْدَةِ الْمُطْلَقَةِ مَعَ الِاتِّفَاقِ الْمُطْلَقِ ، وَفِي الْخِلْطَةِ الْمُطْلَقَةِ مَعَ الِامْتِيَازِ الْمُطْلَقِ﴾ . .

إِنَّ هٰذَا الدَّلِيلَ ، نَمَطٌ أَحْسَنُ وَآخَرُ ، لِلدَّلِيلِ الْمَكْتُوبِ فِي آخِرِ الْفِقْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ

سَابِقاً ؛ وَبَيَانٌ لِمَا فِي هٰذَا ، مِنْ خَمْسَةِ أَوْ سِتَّةِ دَلَائِلَ وَاسِعَةٍ ، بِإِشَارَةٍ قَصِيرَةٍ لِلْغَايَةِ ، بِسَبَبِ الْمَرَضِ الشَّدِيدِ . .

﴿أَوَّلاً :﴾ نَرَى فِي كُلِّ الْأَرْضِ : أَنَّ أَجْهِزَةً عَجِيبَةً ذَاتَ حَيَاةٍ ، تُصْنَعُ بِغَايَةِ الْيُسْرِ وَالسُّهُولَةِ الْوَارِدَةِ مِنَ الْمَهَارَةِ وَالْمَعْرِفَةِ التَّامَّةِ ، يَدُلُّ صُنْعُهَا دَفْعَةً وَاحِدَةً ، وَقِسْمٍ مِنْهَا فِي دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ، ذَاتَ مِقْيَاسٍ مُنْتَظِمٍ ، وَذَاتَ فَوَارِقَ عَنْ أَمْثَالِهَا ، عَلٰى عِلْمٍ بِلَا نِهَايَةٍ ؛ وَيَشْهَدُ لِكَمَالِ ذٰلِكَ الْعِلْمِ ، فِي دَرَجَةِ الْيُسْرِ وَالسُّهُولَةِ الْوَارِدَةِ مِنَ الْمَهَارَةِ الْعِلْمِيَّةِ فِي الصَّنْعَةِ . .

﴿ثَانِياً :﴾ أَنَّ إِيجَادَهَا الْمُكَمَّلَ ذَا الصَّنْعَةِ فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ ، دُونَ خَطَإٍ ، فِي غَايَةِ الْكَثْرَةِ وَالْوَفْرَةِ ، يَدُلُّ عَلٰى عِلْمٍ بِلَا حَدٍّ ، فِي قُدْرَةٍ بِلَا نِهَايَةٍ ؛ وَيَشْهَدُ بِلَا حَدٍّ ، عَلَى الْعَلِيمِ الْمُطْلَقِ ، وَالْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ . .

﴿ثَالِثاً :﴾ أَنَّ إِيجَادَهَا ذَا الْمِيزَانِ وَالْمِقْيَاسِ فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ ، مَعَ الصُّنْعِ بِغَايَةِ الْعَجَلَةِ وَالسُّرْعَةِ الْمُطْلَقَةِ ، يَدُلُّ عَلٰى عِلْمٍ بِلَا حَدٍّ ؛ وَيَشْهَدُ بِأَعْدَادِهَا ، عَلٰى عَلِيمٍ مُطْلَقٍ ، وَقَدِيرٍ مُطْلَقٍ . .

﴿رَابِعاً :﴾ أَنَّ صُنْعَ ذَوِي الْحَيَاةِ بِلَا حَدٍّ ، فِي وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ الْوَاسِعَةِ ، بِكَمَالِ حُسْنِ الصَّنْعَةِ ، مُزَيَّنَةً بِغَايَةِ الصِّنَاعَةِ ، مَعَ الْوُسْعَةِ الْمُطْلَقَةِ ، يَدُلُّ عَلٰى عِلْمٍ مُحِيطٍ لَا يُخْطِئُ أَصْلاً ؛ وَيَرٰى كُلَّ شَيْءٍ مَعاً ؛ وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ مَانِعاً لِشَيْءٍ ؛ وَأَنَّهَا يَشْهَدُ مَجْمُوعُهَا ، وَكُلُّ فَرْدٍ مِنْهَا ، عَلٰى أَنَّهَا مَصْنُوعَاتُ عَالِمٍ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَقَدِيرٍ مُطْلَقٍ . .

﴿خَامِساً :﴾ أَنَّ مَجِيءَ أَفْرَادِ نَوْعٍ مُتَبَاعِدَةٍ لِلْغَايَةِ ، وَفِي بُعْدٍ مُطْلَقٍ ، إِلَى الْوُجُودِ ، فِي صُورَةٍ مُتَمَاثِلَةٍ وَمُمْتَازَةٍ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ حَسَبَ التَّشَخُّصِ ، فِي عَيْنِ الزَّمَانِ ، وَفِي عَيْنِ النَّمَطِ ، وَوَاحِدٌ فِي الشَّرْقِ ، وَوَاحِدٌ فِي الْغَرْبِ ، وَوَاحِدٌ فِي الشَّمَالِ ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنُوبِ ، يَدُلُّ عَلٰى عِلْمٍ مُحِيطٍ ؛ وَيَشْهَدُ بِلَا حَدٍّ ، عَلٰى عَلَّامٍ بِالْغُيُوبِ ، بِجِهَةِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِقُدْرَةٍ وَعِلْمِ عَلِيمٍ مُطْلَقٍ ، وَقَدِيرٍ مُطْلَقٍ ؛ قُدْرَتُهُ بِلَا حَدٍّ الَّتِي تُدِيرُ الْكَائِنَاتِ ؛ وَعِلْمُهُ بِلَا نِهَايَةٍ الَّذِي يُحِيطُ بِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ بِأَحْوَالِهَا . .

﴿سَادِساً :﴾ أَنَّ خَلْقَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا ، بِامْتِيَازَةٍ تَامَّةٍ وَعَلامَاتٍ فَارِقَةٍ ، دُونَ أَنْ يُخْطِئَ وَأَنْ يَخْلِطَ ، مَعَ الاِخْتِلاطِ الْمُطْلَقِ ، وَفِي صُورَةٍ ذَاتِ مُعْجِزَاتٍ ، دُونَ أَنْ يَتْرُكَ نَاقِصاً ، أَيَّ جِهَازٍ ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أُولٰئِكَ الْأَجْهِزَةِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ ، الْمُزْدَحِمَةِ كَثِيراً ، فِي أَوْضَاعٍ مُشَوَّشَةٍ ، مِثْلِ الْبُذُورِ تَحْتَ التُّرَابِ مَثَلاً ، وَفِي أَمَاكِنَ مُظْلِمَةٍ ، وَبَيْنَ أَمْثَالِهِ الْمُخْتَلِطَةِ أُولٰئِكَ ، يَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ الْأَزَلِيِّ كَالشَّمْسِ ؛ وَيَشْهَدُ عَلَى خَلَّاقِيَّةِ وَرُبُوبِيَّةِ الْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ ، وَالْعَلِيمِ الْمُطْلَقِ ، مِثْلَ النَّهَارِ . نُحِيلُ عَلَى التَّفْصِيلاتِ الَّتِي فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَنَخْتَصِرُ هٰذِهِ الْقِصَّةَ الطَّوِيلَةَ جِدّاً . .

وَالْآنَ نَبْدَأُ بِمَسْأَلَةِ الْإِرَادَةِ الَّتِي فِي خُلاصَةِ الْخُلاصَةِ . .

﴿اَللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْماً ؛ إِذْ هُوَ الْمُرِيدُ لِكُلِّ شَيْءٍ ؛ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ ؛ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ؛ إِذْ تَنْظِيمُ إِيجَادِ الْمَصْنُوعَاتِ ذَاتاً وَصِفَةً ، وَمَاهِيَّةً وَهُوِيَّةً ، مِنْ بَيْنِ الْإِمْكَانَاتِ الْغَيْرِ الْمَحْدُودَةِ ، وَالطُّرُقِ الْعَقِيمَةِ ، وَالاِحْتِمَالاتِ الْمُشَوِّشَةِ ، وَسُيُولِ الْعَنَاصِرِ الْمُتَشَاكِسَةِ ، وَالْأَمْثَالِ الْمُتَشَابِهَةِ ، بِهٰذَا النِّظَامِ الْأَدَقِّ الْأَرَقِّ ؛ وَتَوْزِينُهَا بِهٰذَا الْمِيزَانِ الْحَسَّاسِ الْجَسَّاسِ ؛ وَتَمْيِيزُهَا بِهٰذِهِ التَّعَيُّنَاتِ الْمُزَيَّنَةِ الْمُنْتَظَمَةِ ؛ وَخَلْقُ الْمُخْتَلِفَاتِ الْمُنْتَظَمَاتِ الْحَيَوِيَّةِ ، مِنَ الْبَسِيطِ الْجَامِدِ الْمَيِّتِ ، كَالْإِنْسَانِ بِجِهَازَاتِهِ مِنَ النُّطْفَةِ ؛ وَالطَّيْرِ بِجَوَارِحِهِ مِنَ الْبَيْضَةِ ؛ وَالشَّجَرَةِ بِأَعْضَائِهَا مِنَ النَّوَاةِ وَالْحَبَّةِ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِإِرَادَتِهِ تَعَالَى وَاخْتِيَارِهِ وَقَصْدِهِ وَمَشِيئَتِهِ سُبْحَانَهُ ؛ كَمَا أَنَّ تَوَافُقَ الْأَشْيَاءِ فِي أَسَاسَاتِ الْأَعْضَاءِ النَّوْعِيَّةِ وَالْجِنْسِيَّةِ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ صَانِعَ تِلْكَ الْأَفْرَادِ وَاحِدٌ أَحَدٌ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ تَمَايُزَهَا بِالتَّشَخُّصَاتِ الْمُتَمَايِزَاتِ ، وَالتَّعَيُّنَاتِ الْمُنْتَظَمَةِ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذٰلِكَ الصَّانِعَ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ ، فَاعِلٌ مُخْتَارٌ ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ؛ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ . .

إِنَّ هٰذِهِ الْفِقْرَةَ ، دَلِيلٌ وَاحِدٌ كُلِّيٌّ وَمُسْهَبٌ ، يَحْتَوِي حُجَجاً كُلِّيَّةً كَثِيرَةً جِدّاً ، مِنْ دَلائِلِ الْإِرَادَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ فَنُبَيِّنُ بَيْنَ تَرْجَمَةٍ مُخْتَصَرَةٍ لِمَآلِهَا ، دَلِيلاً يُثْبِتُ بِغَايَةِ الْقَطْعِ ، الْإِرَادَةَ وَالاِخْتِيَارَ وَالْمَشِيئَةَ الْإِلٰهِيَّةَ ؛ وَأَيْضاً إِنَّ جَمِيعَ دَلائِلِ الْعِلْمِ الْإِلٰهِيِّ الْمَذْكُورَةِ ، هِيَ دَلائِلُ الْإِرَادَةِ عَيْنُهَا أَيْضاً ؛ لِأَنَّ جَلَوَاتِ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَآثَارَهُمَا ، تُشَاهَدُ مَعاً فِي كُلِّ مَصْنُوعٍ . .

وَمَآلُ هٰذِهِ الْفِقْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ مُخْتَصَراً ، هُوَ : أَنَّهَا تَعْنِي : أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، يَحْدُثُ بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ ؛ وَأَنَّ مَا شَاءَ يَكُونُ ؛ وَأَنَّ مَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ؛ وَأَنَّهُ يَفْعَلُ كُلَّ مَا يُرِيدُ ؛ وَإِذَا لَمْ يُرِدْ ، لَا يَحْدُثُ شَيْءٌ أَصْلاً . . وَإِنَّ حُجَّةً ، هِيَ : أَنَّنَا نَرَى : أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هٰذِهِ الْمَصْنُوعَاتِ ، يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ ذَاتُهُ الْمُعَيَّنَةُ ، وَصِفَتُهُ الْمَخْصُوصَةُ ، وَمَاهِيَّتُهُ الْخُصُوصِيَّةُ الْمُخْتَلِفَةُ ، وَصُورَتُهُ الْمُمْتَازَةُ ذَاتُ الْفَوَارِقِ ، فِي إِمْكَانَاتٍ بِلَا حَدٍّ ، وَأَنْمَاطٍ أُخْرَى ؛ وَأَنَّ حَصْرَ كُلِّ مَصْنُوعٍ مِنْ أُولَائِكَ ، تَحْتَ نِظَامٍ دَقِيقٍ تَامٍّ مُتَّزِنٍ ؛ وَأَنَّ تَوْزِينَ وَتَعْلِيقَ كُلِّ عُضْوٍ وَكُلِّ جِهَازٍ مِنْهُ ، بِمِقْيَاسٍ وَمِيزَانٍ مُكَمَّلٍ حَسَّاسٍ وَجَسَّاسٍ ؛ وَأَنَّ إِعْطَاءَ تَشَخُّصٍ وَسِيمَا مُتَزَيِّنَةٍ وَمُنْتَظِمَةٍ لِوَجْهِهِ ؛ وَخَلْقَ أَعْضَائِهِ الْمُتَخَالِفَةِ ، مُصَنَّعَةً لِلْغَايَةِ وَذَاتَ حَيَاةٍ ، مِنْ مَادَّةٍ بَسِيطَةٍ جَامِدَةٍ مَيِّتَةٍ ، مِثْلَ إِيجَادِ الْإِنْسَانِ مِنْ قَطْرَةِ مَاءٍ ، بِمِئَةٍ مِنْ أَجْهِزَتِهِ الْمُخْتَلِفَةِ ؛ وَإِنْشَاءِ الطَّائِرِ بِجِهَازَاتِهِ الْمُخْتَلِفَةِ وَآلَاتِهِ الْكَثِيرَةِ جِدّاً ؛ فَإِلْبَاسِهِ صُورَةً ذَاتَ مُعْجِزَاتٍ ، مِنْ بَيْضَةٍ بَسِيطَةٍ ؛ وَإِخْرَاجِ الشَّجَرَةِ بِأَغْصَانِهَا وَفُرُوعِهَا ، وَبِأَعْضَائِهَا وَأَجْزَائِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ ، مِنْ نَوَاةٍ صَغِيرَةٍ مُرَكَّبَةٍ مِنَ «الْكَرْبُونِ وَالْأَزُوتِ وَمُوَلِّدِ الْمَاءِ وَمُوَلِّدِ الْحُمُوضَةِ» ، الْبَسِيطَةِ الْجَامِدَةِ ؛ وَإِلْبَاسِهَا شَكْلاً مُنْتَظِماً وَمُثْمِراً ، بَيْنَ احْتِمَالَاتٍ مُشَوَّشَةٍ ، فِي طُرُقٍ كَثِيرَةٍ بِلَا نَتِيجَةٍ ، وَبَيْنَ مُدَاخَلَاتِ عَنَاصِرَ مُتَضَادَّةٍ وَمُفْسِدَةٍ وَجَارِيَةٍ كَالسَّيْلِ ، وَبَيْنَ أَمْثَالِهَا الْمُتَشَابِهَةِ وَالْمُسَبِّبَةِ لِلسَّهْوِ وَالِالْتِبَاسِ ، أَمَامَ هٰذِهِ الْأَحْوَالِ الْمُخْتَلِطَةِ ، تُثْبِتُ بِالْبَدَاهَةِ ، بَتّاً وَبَتَاتاً ، وَبِالْقَطْعِ بِدُونِ الشُّبْهَةِ ، فِي دَرَجَةِ اللُّزُومِ وَالْوُجُوبِ وَالضَّرُورَةِ : أَنَّ كُلَّ مَصْنُوعٍ مِنْ أُولَائِكَ ، يُعْطَى بِجَمِيعِ ذَرَّاتِهِ وَأَجْزَائِهِ ، وَبِصُورَتِهِ وَمَاهِيَّتِهِ ، ذٰلِكَ الْوَضْعَ الْمَخْصُوصَ الْمُكَمَّلَ ، بِإِرَادَةِ قَدِيرٍ مُطْلَقٍ ، وَبِمَشِيئَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ وَقَصْدِهِ ؛ وَأَنَّهُ تَحْتَ حُكْمِ إِرَادَةٍ شَامِلَةٍ لِكُلِّ شَيْءٍ . وَإِنَّ دَلَالَةَ هٰذَا الْمَصْنُوعِ الْوَاحِدِ ، عَلَى الْإِرَادَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، بِهٰذَا الْوَجْهِ بِلَا شُبْهَةٍ ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ الْمَصْنُوعَاتِ ، شَهَادَاتٌ بِعَدَدِهَا ، عَلَى إِرَادَةٍ إِلٰهِيَّةٍ شَامِلَةٍ لِكُلِّ شَيْءٍ ؛ وَحُجَجٌ بِلَا حَدٍّ ، لِوُجُوبِ وُجُودِ قَدِيرٍ مُرِيدٍ ، فِي قَطْعِيَّةٍ بِلَا حَدٍّ وَبِغَيْرِ نِهَايَةٍ ، وَظَاهِرَةٍ كَالشَّمْسِ وَالنَّهَارِ ؛ وَأَيْضاً إِنَّ جَمِيعَ دَلَائِلِ الْعِلْمِ الْإِلٰهِيِّ ، الْمَذْكُورَةِ سَابِقاً ، هِيَ دَلَائِلُ الْإِرَادَةِ عَيْنُهَا أَيْضاً ؛ لِأَنَّهُمَا كِلَيْهِمَا يُؤَدِّيَانِ الْعَمَلَ ، مَعَ الْقُدْرَةِ ؛ فَلَا يَكُونُ أَحَدُهُمَا بِدُونِ

الْآخرِ . فكَمَا أَنَّ تَوَافُقَ أَفْرَادِ كُلِّ نَوْعٍ وَجِنْسٍ ، فِي الْأَعْضَاءِ النَّوْعِيَّةِ والْجِنْسِيَّةِ ، يَدُلُّ عَلىٰ أَنَّ صَانِعَهَا وَاحِدٌ أَحَدٌ فَرْدٌ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ اخْتِلاَفَ سِيمَا وُجُوهِهَا ، وَكَوْنَهَا ذَاتَ فَوَارِقَ عَنْ غَيْرِهَا ، فِي نَمَطٍ حَكِيمٍ ، يَدُلُّ قَطْعاً ، عَلىٰ أَنَّ ذٰلِكَ الصَّانِعَ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ ، فَاعِلٌ مُخْتَارٌ ، يَخْلُقُ كُلَّ شَيْءٍ بِالْإِرَادَةِ وَالِاخْتِيَارِ وَالْمَشِيئَةِ وَالْقَصْدِ . .

هٰذَا، فَقَدِ انْتَهَتْ تَرْجَمَةُ الْمَآلِ مُخْتَصَراً، لِلْفِقْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ الْمُبَيِّنَةِ لِدَلِيلٍ وَاحِدٍ وَكُلِّيٍّ دَائِرٍ حَوْلَ الْإِرَادَةِ. . وَقَدْ كُنْتُ نَوَيْتُ كِتَابَةَ نِكَاتٍ مُهِمَّةٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً دَائِرَةٍ حَوْلَ الْإِرَادَةِ، مِثْلِ مَسْأَلَةِ الْعِلْمِ؛ وَلٰكِنِ الْمَرَضُ السَّامُّ أَوْرَثَ دِمَاغِي، الْكَلَلَ التَّامَّ؛ فَلِذٰلِكَ أُخِّرَتْ إِلىٰ وَقْتٍ آخَرَ . .

اَلْفِقْرَةُ الْعَرَبِيَّةُ الدَّائِرَةُ حَوْلَ الْقُدْرَةِ : ﴿اَللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، قُدْرَةً وَعِلْماً ؛ إِذْ هُوَ الْقَدِيرُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ ، بِقُدْرَةٍ مُطْلَقَةٍ مُحِيطَةٍ ضَرُورِيَّةٍ نَاشِئَةٍ لاَزِمَةٍ ذَاتِيَّةٍ لِلذَّاتِ الْأَقْدَسِيَّةِ ؛ فَمُحَالٌ تَدَاخُلُ ضِدِّهَا ؛ فَلاَ مَرَاتِبَ فِيهَا ؛ فَتَتَسَاوىٰ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا ، الذَّرَّاتُ وَالنُّجُومُ ، وَالْجُزْءُ وَالْكُلُّ ، وَالْجُزْئِيُّ وَالْكُلِّيُّ ، وَالنَّوَاةُ وَالشَّجَرُ ، وَالْعَالَمُ وَالْإِنْسَانُ ، بِسِرِّ مُشَاهَدَةِ غَايَةِ كَمَالِ الِانْتِظَامِ وَالِاتِّزَانِ وَالِامْتِيَازِ وَالِاتِّقَانِ الْمُطْلَقَاتِ ، مَعَ السُّهُولَةِ فِي الْكَثْرَةِ وَالسُّرْعَةِ وَالْخِلْطَةِ الْمُطْلَقَاتِ ؛ وَبِسِرِّ النُّورَانِيَّةِ وَالشَّفَّافِيَّةِ وَالْمُقَابَلَةِ وَالْمُوَازَنَةِ وَالِانْتِظَامِ وَالِامْتِثَالِ ؛ وَبِسِرِّ إِمْدَادِ الْوَاحِدِيَّةِ ، وَيُسْرِ الْوَحْدَةِ ، وَتَجَلِّي الْأَحَدِيَّةِ ؛ وَبِسِرِّ الْوُجُوبِ وَالتَّجَرُّدِ وَمُبَايَنَةِ الْمَاهِيَّةِ ؛ وَبِسِرِّ عَدَمِ التَّقَيُّدِ ، وَعَدَمِ التَّحَيُّزِ ، وَعَدَمِ التَّجَزُّؤِ ؛ وَبِسِرِّ انْقِلاَبِ الْعَوَائِقِ وَالْمَوَانِعِ إِلىٰ حُكْمِ الْوَسَائِلِ الْمُسَهِّلاَتِ ؛ وَبِسِرِّ أَنَّ الذَّرَّةَ وَالْجُزْءَ وَالْجُزْئِيَّ وَالنَّوَاةَ وَالْإِنْسَانَ ، لَيْسَتْ بِأَقَلَّ صَنْعَةً وَجَزَالَةً ، مِنَ النَّجْمِ وَالْكُلِّ وَالْكُلِّيِّ وَالشَّجَرِ وَالْعَالَمِ ؛ فَخَالِقُهَا هُوَ خَالِقُ هٰذِهِ ، بِالْحَدْسِ الشُّهُودِيِّ ؛ وَبِسِرِّ أَنَّ الْمُحَاطَ وَالْجُزْئِيَّاتِ ، كَالْأَمْثِلَةِ الْمَكْتُوبَةِ الْمُصَغَّرَةِ ، أَوْ كَالنُّقَطِ الْمَحْلُوبَةِ الْمُعَصَّرَةِ ؛ فَلاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمُحِيطُ وَالْكُلِّيَّاتُ ، فِي قَبْضَةِ خَالِقِ الْمُحَاطِ وَالْجُزْئِيَّاتِ ؛ لِيُدْرِجَ مِثَالَهَا فِيهَا بِمَوَازِينِ عِلْمِهِ ؛ أَوْ يُعَصِّرَهَا مِنْهَا بِدَسَاتِيرِ حِكْمَتِهِ ؛ وَبِسِرِّ كَمَا أَنَّ قُرْآنَ الْعِزَّةِ الْمَكْتُوبَ عَلىٰ الذَّرَّةِ الْمُسَمَّاةِ بِالْجَوْهَرِ الْفَرْدِ ، بِذَرَّاتِ الْأَثِيرِ ، لَيْسَ بِأَقَلَّ جَزَالَةً وَخَارِقِيَّةَ صَنْعَةٍ ، مِنْ قُرْآنِ الْعَظَمَةِ الْمَكْتُوبِ عَلىٰ صَحِيفَةِ السَّمَاءِ ، بِمِدَادِ النُّجُومِ وَالشُّمُوسِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ وَرْدَ الزَّهْرَةِ

لَيْسَتْ بِأَقَلَّ جَزالَةً وَصَنْعَةً ، مِنْ دُرِّيِّ نَجْمِ الزُّهْرَةِ ؛ وَلَا النَّمْلَةَ مِنَ الْفِيلَةِ ؛ وَلَا الْمِكْرُوبَ مِنَ الْكَرْكَدَنِّ ؛ وَلَا النَّحْلَةَ مِنَ النَّخْلَةِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلىٰ قُدْرَةِ خالِقِ الْكائِناتِ . فَكَمَا أَنَّ غايَةَ كَمالِ السُّرْعَةِ وَالسُّهُولَةِ ، فِي إِيجادِ الْأَشْياءِ ، أَوْقَعَتْ أَهْلَ الضَّلالَةِ فِي الْتِباسِ التَّشْكِيلِ بِالتَّشَكُّلِ ، الْمُسْتَلْزِمِ لِمُحالاتٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ تَمُجُّهَا الْأَوْهامُ ؛ كَذٰلِكَ أَثْبَتَتْ لِأَهْلِ الْهِدايَةِ ، تَساوِيَ النُّجُومِ مَعَ الذَّرّاتِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلىٰ قُدْرَةِ خالِقِ الْكائِناتِ ؛ جَلَّ جَلالُهُ ؛ وَلا إِلٰهَ إِلّا هُوَ ؛ اللهُ أَكْبَرُ]»..

نُبَيِّنُ حَقِيقَةً أُخطِرَتْ لِلْقَلْبِ ، قَبْلَ نَوْعٍ مّا مِنْ تَرْجَمَةِ الْمَآلِ الْمُخْتَصَرِ لِلْفِقْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، الدّائِرَةِ حَوْلَ مَسْأَلَةِ الْقُدْرَةِ هٰذِهِ الْعَظِيمَةِ جِدّاً . . ذٰلِكَ : أَنَّ وُجُودَ الْقُدْرَةِ ، أَزْيَدُ قَطْعِيَّةً مِنْ وُجُودِ الْكائِناتِ ؛ بَلْ إِنَّ جَمِيعَ الْمَخْلُوقاتِ مَعاً ، وَكُلَّ واحِدٍ مِنْها ، كَلِماتٌ مُجَسَّمَةٌ لِتِلْكَ الْقُدْرَةِ ، تَدُلُّ عَلىٰ وُجُودِها عَيْنَ الْيَقِينِ ؛ وَتَشْهَدُ بِعَدَدِها لِلْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفُها ؛ فَلَا احْتِياجَ إِلىٰ إِثْباتِ تِلْكَ الْقُدْرَةِ بِحُجَجٍ أُخْرىٰ ؛ بَلْ إِنَّ اللّازِمَ ، هُوَ إِثْباتُ حَقِيقَةٍ رَهِيبَةٍ عائِدَةٍ إِلَى الْقُدْرَةِ ، هِيَ أَهَمُّ أَساسٍ فِي الْإِيمانِ ؛ وَأَقْوىٰ رُكْنٍ لِلْحَشْرِ وَالنَّشْرِ ؛ وَأَلْزَمُ مَدارٍ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمَسائِلِ الْإِيمانِيَّةِ ، وَالْحَقائِقِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ وَتَدَّعِيها آيَةُ : ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ﴾ ؛ وَبَقِيَتْ جَمِيعُ الْعُقُولِ فِي الْحَيْرَةِ وَالْعَجْزِ ؛ وَقِسْمٌ مِنْها فِي الْإِنْكارِ ، مِنْ عَدَمِ وُجُودِها الطَّرِيقَ إِلَيْها . .

هٰذا ، فَإِنَّ ذٰلِكَ الْأَساسَ ، وَذٰلِكَ الرُّكْنَ ، وَذاكَ الْمَدارَ ، وَتِلْكَ الدَّعْوىٰ ، وَتاكَ الْحَقِيقَةَ : هِيَ مَآلُ الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ ؛ تَعْنِي : «أَيُّهَا الْجِنُّ وَالْإِنْسُ ! إِنَّ خَلْقَكُمْ وَإِيجادَكُمْ جَمِيعاً ؛ وَإِحْياءَكُمْ وَبَعْثَكُمْ فِي الْحَشْرِ ، هَيِّنٌ عَلىٰ قُدْرَتِي ، كَإِيجادِ نَفْسٍ واحِدَةٍ» . فَيُنْشِئُ رَبِيعاً بِالسُّهُولَةِ مِثْلَ زَهْرَةٍ واحِدَةٍ ؛ وَلا فَرْقَ بِالنِّسْبَةِ لِتِلْكَ الْقُدْرَةِ ، بَيْنَ الْجُزْئِيِّ وَالْكُلِّيِّ ، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، وَالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ ؛ وَيُدِيرُ السَّيّاراتِ بِالْيُسْرِ كَالذَّرّاتِ . .

هٰذا ، فَالْفِقْرَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْمَذْكُورَةُ ، تُبَيِّنُ حُجَّةً قَوِيَّةً وَقَطْعِيَّةً لِلْغايَةِ ، بِتِسْعِ مَراقٍ ، لِهٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ الرَّهِيبَةِ فَقَطْ ؛ وَمَآلٌ مُخْتَصَرٌ لِلْغايَةِ لَها ، هُوَ : أَنَّ قَوْلَهُ : ﴿ إِذْ هُوَ الْقَدِيرُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ ، بِقُدْرَةٍ مُطْلَقَةٍ مُحِيطَةٍ ضَرُورِيَّةٍ ناشِئَةٍ لازِمَةٍ ذاتِيَّةٍ لِلذّاتِ الْأَقْدَسِ ؛ فَمُحالٌ تَداخُلُ ضِدِّها ؛

فَلَا مَرَاتِبَ فِيهَا ؛ فَتَتَسَاوَى بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا ، الذَّرَّاتُ وَالنُّجُومُ ، وَالْجُزْءُ وَالْكُلُّ ، وَالْجُزْئِيُّ وَالْكُلِّيُّ ، وَالنَّوَاةُ وَالشَّجَرُ ، وَالْعَالَمُ وَالْإِنْسَانُ﴾ ، الْمُشِيرَ إِلَى أَسَاسِ الْمِرْقَاةِ ، يَعْنِي : أَنَّهُ الْقَدِيرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ؛ لَهُ قُدْرَةٌ أَحَاطَتْ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ؛ وَهِيَ لَازِمَةٌ وَوَاجِبَةٌ بِالضَّرُورَةِ النَّاشِئَةِ – حَسَبَ تَعْبِيرِ فَنِّ الْمَنْطِقِ – وَبِاللُّزُومِ الذَّاتِيِّ ، لِذَاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ؛ وَأَنَّ انْفِكَاكَهَا مُحَالٌ ، لَا إِمْكَانَ لَهُ . فَإِذَا كَانَ مِثْلُ هٰذِهِ الْقُدْرَةِ ، بِمِثْلِ هٰذَا اللُّزُومِ ، فِي الذَّاتِ الْأَقْدَسِ ؛ فَلَا يُمْكِنُ قَطْعاً أَنْ يَدْخُلَ فِيهَا الْعَجْزُ الَّذِي هُوَ ضِدُّهَا ؛ وَلَا أَنْ يَعْرِضَ عَلَى الذَّاتِ الْقَدِيرِ ، بِأَيَّةِ جِهَةٍ . وَإِذَا كَانَ وُجُودُ الْمَرَاتِبِ فِي شَيْءٍ ، هُوَ بِدُخُولِ ضِدِّهِ فِيهِ ؛ فَإِنَّ دَرَجَاتِ الْحَرَارَةِ مَثَلاً وَمَرَاتِبَهَا ، هِيَ بِدُخُولِ الْبُرُودَةِ ؛ وَالَّتِي لِلْحُسْنِ ، تَكُونُ بِمُدَاخَلَةِ الْقُبْحِ ؛ وَكَانَ الْعَجْزُ الَّذِي هُوَ ضِدُّ هٰذِهِ الْقُدْرَةِ الذَّاتِيَّةِ ، لَيْسَ لِاقْتِرَابِهِ مِنْهَا إِمْكَانٌ فِي أَيِّ وَجْهٍ ؛ فَلَا تُوجَدُ الْمَرَاتِبُ فِي تِلْكَ الْقُدْرَةِ الْمُطْلَقَةِ قَطْعاً . فَإِذَا لَمْ تُوجَدِ الْمَرَاتِبُ فِيهَا ، فَإِنَّ النُّجُومَ وَالذَّرَّاتِ مُتَسَاوِيَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى تِلْكَ الْقُدْرَةِ ؛ وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْجُزْءِ وَالْكُلِّ ، وَالْفَرْدِ الْوَاحِدِ وَكُلِّ نَوْعِهِ ، تُجَاهَ تِلْكَ الْقُدْرَةِ ؛ وَإِنَّ النَّوَاةَ الْوَاحِدَةَ وَشَجَرَتَهَا الْجَسِيمَةَ ، وَالْكَائِنَاتِ وَالْإِنْسَانَ ، وَإِحْيَاءَ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ ، وَإِحْيَاءَ جَمِيعِ ذَوِي الْأَرْوَاحِ فِي الْحَشْرِ ، مُتَسَاوِيَةٌ ، لَا فَرْقَ بَيْنَ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ ، وَالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ ، بِالنِّسْبَةِ لِتِلْكَ الْقُدْرَةِ . وَالشَّاهِدُ الْقَاطِعُ لِهٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، هُوَ الْيُسْرُ التَّامُّ وَالسُّهُولَةُ الْمُطْلَقَةُ ، فِي كَمَالِ الصَّنْعَةِ ، وَالنِّظَامُ وَالْمِيزَانُ ، وَالتَّمْيِيزُ وَالْكَثْرَةُ وَالسُّرْعَةُ الْمُطْلَقَاتُ ، الَّتِي نُشَاهِدُهَا فِي خِلْقَةِ الْأَشْيَاءِ . .

﴿اَلْمِرْقَاةُ الْأُولَى :﴾ الَّتِي هِيَ قَوْلُهُ : ﴿بِسِرِّ مُشَاهَدَةِ غَايَةِ كَمَالِ الِانْتِظَامِ وَالِاتِّزَانِ ، وَالِامْتِيَازِ وَالِاتِّقَانِ الْمُطْلَقَاتِ ، مَعَ السُّهُولَةِ الْمُطْلَقَةِ فِي الْكَثْرَةِ وَالسُّرْعَةِ وَالْخِلْطَةِ﴾ ، مَآلُهَا ، هُوَ هٰذِهِ الْحَقِيقَةُ الْمَذْكُورَةُ . .

﴿اَلْمِرْقَاةُ الثَّانِيَةُ :﴾ هِيَ قَوْلُهُ : ﴿وَبِسِرِّ النُّورَانِيَّةِ ، وَالشَّفَّافِيَّةِ ، وَالْمُقَابَلَةِ ، وَالْمُوَازَنَةِ ، وَالِانْتِظَامِ ، وَالِامْتِثَالِ﴾ . نُحِيلُ إِيضَاحَ هٰذِهِ وَتَفَاصِيلَهَا ، عَلَى آخِرِ «الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ» ، وَعَلَى «الْمَقَالَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ» ، وَعَلَى «الْمَكْتُوبِ الْعِشْرِينَ» ؛ فَنُشِيرُ إِلَيْهَا إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً .

نَعَمْ : كَمَا أَنَّ دُخُولَ ضِيَاءِ وَعَكْسِ الشَّمْسِ ، فِي وَجْهِ الْبَحْرِ ، وَفِي جَمِيعِ فَوَاقِعِهِ ، بِالْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، هَيِّنٌ كَدُخُولِهِمَا فِي قِطْعَةِ زُجَاجَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَكِلاهُمَا مُتَسَاوِيَانِ بِجِهَةِ النُّورَانِيَّةِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ الْقُدْرَةَ النُّورَانِيَّةَ لِذَاتِ نُورِ الْأَنْوَارِ ، خَلْقُهَا وَإِدَارَتُهَا لِلسَّمَاوَاتِ وَالْكَوَاكِبِ ، هَيِّنٌ لَا يَثْقُلُ عَلَيْهَا ، مِثْلُ إِيجَادِ وَإِدَارَةِ الذِّبَّانِ وَالذَّرَّاتِ . .

وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ مِثَالَ وَصُورَةَ الشَّمْسِ ، تُوجَدُ فِي مُرَيَّةٍ وَاحِدَةٍ ، وَفِي حَدَقَةِ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ ، بِالْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَيُعْطِي عَكْسُهَا ذٰلِكَ ، وَضِيَاؤُهَا تِلْكَ ، بِالْأَمْرِ الْإِلٰهِيِّ ، لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ اللَّامِعَةِ ، وَالْقَطَرَاتِ وَالذُّرَيْرَاتِ الشَّفَّافَةِ ، وَلِوُجُوهِ الْبِحَارِ ، بِعَيْنِ السُّهُولَةِ ، بِخَاصَّةِ الشَّفَافَةِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ، فَإِنَّ وُجُوهَ مَلَكُوتِيَّةِ وَمَاهِيَّةِ الْمَصْنُوعَاتِ ، شَفَّافَةٌ وَلَمَّاعَةٌ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ تَخْلُقُ الْقُدْرَةُ الْمُطْلَقَةُ ، جَمِيعَ الْحَيَوَانَاتِ ، فِي دَرَجَةِ سُهُولَةِ وُجُودِ جِلْوَتِهَا وَتَأْثِيرِهَا ، فِي إِيجَادِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، لَا فَرْقَ بَيْنَ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ ، وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ . .

وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ مِيزَاناً حَسَّاساً تَامّاً ، وَعَظِيماً لِلْغَايَةِ ، إِذَا وُضِعَتْ فِيهِ جَوْزَتَانِ ؛ وَزِيدَتْ نَوَاةٌ صَغِيرَةٌ عَلَى جَوْزَةٍ ، تَرْتَفِعُ إِحْدَى كَفَّتَيِ الْمِيزَانِ إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ ؛ وَتَنْزِلُ إِحْدَاهُمَا أَيْضاً إِلَى الْوَادِي الْعَمِيقِ ؛ فَفِي دَرَجَةِ سُهُولَةِ ذٰلِكَ ، إِذَا وُضِعَ جَبَلَانِ مُتَسَاوِيَانِ ، عَلَى كَفَّتَيِ الْمِيزَانِ ، فِي مَكَانِ تَيْنِكَ الْجَوْزَتَيْنِ ؛ وَزِيدَتْ عَلَى أَحَدِهِمَا جَوْزَةٌ ، تَرْفَعُ أَحَدَ الْجَبَلَيْنِ إِلَى السَّمَاوَاتِ ؛ وَتَنْزِلُ بِأَحَدِهِمَا إِلَى الْوِدْيَانِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ، فَإِنَّ الْإِمْكَانَ ، مُسَاوِي الطَّرَفَيْنِ ، حَسَبَ تَعْبِيرِ عِلْمِ الْكَلَامِ ؛ يَعْنِي : أَنَّ وُجُودَ وَعَدَمَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَيْسَتْ وَاجِبَةً وَمُمْتَنِعَةً ؛ بَلْ كَانَتْ مُمْكِنَةً وَمُحْتَمَلَةً ، هُمَا مُتَسَاوِيَانِ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا ، إِذَا لَمْ يُوجَدْ سَبَبٌ مَّا ؛ فَالْقَلِيلُ وَالْكَثِيرُ ، وَالْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ مُتَسَاوِيَةٌ فِي هٰذَا الْإِمْكَانِ وَالْمُسَاوَاةِ . هٰذَا فَالْمَخْلُوقَاتُ مُمْكِنَاتٌ ؛ وَوُجُودُهَا وَعَدَمُهَا مُتَسَاوِيَانِ فِي دَائِرَةِ الْإِمْكَانِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يُفْسِدُ وُجُودُ جَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ ، مُوَازَنَةَ الْعَدَمِ ؛ فَتَلْبَسُ قُدْرَةُ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، الْأَزَلِيَّةُ بِلَا حَدٍّ ، عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وُجُوداً لَائِقاً بِهِ ، فِي سُهُولَةِ إِعْطَائِهَا الْوُجُودَ لِمُمْكِنٍ وَاحِدٍ ؛ أَمَّا إِذَا كَانَتْ وَظِيفَتُهُ مُنْتَهِيَةً ؛ فَتَخْلَعُ لِبَاسَ وُجُودِهِ الظَّاهِرِيِّ ؛ فَتُرْسِلُهُ إِلَى الْعَدَمِ الصُّورِيِّ ، بَلْ إِلَى الْوُجُودِ الْمَعْنَوِيِّ فِي دَائِرَةِ

الْعِلْمِ . إذاً فَإنَّ الْأَشْيَاءَ إذَا أُسْنِدَتْ إلَى الْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ ، يَسْهُلُ الرَّبِيعُ بِقَدَرِ زَهْرَةٍ ؛ وَإحْيَاءُ جَمِيعِ النَّاسِ فِي الْحَشْرِ ، بِقَدَرِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ . وَإنْ أُسْنِدَتْ إلَى الْأَسْبَابِ ، تُشْكِلُ زَهْرَةٌ بِقَدَرِ رَبِيعٍ ؛ وَذُبَابَةٌ بِقَدَرِ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ . .

وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ تَحْرِيكَ بَاخِرَةٍ أَوْ طَائِرَةٍ عَظِيمَةٍ ، بِمَسِّ إحْدَى أَصَابِعِهِ ، زِرَّهَا ، سَهْلٌ وَهَيِّنٌ بِسِرِّ الانْتِظَامِ ، فِي دَرَجَةِ مُبَاشَرَةِ سَاعَةٍ بِالْحَرَكَةِ ، بِمَسِّ الْإصْبَعِ نَابِضَهَا ، بِالْمِفْتَاحِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ، فَإنَّ كُلَّ شَيْءٍ كُلِّيّاً وَجُزْئِيّاً ، كَبِيراً وَصَغِيراً ، قَلِيلاً وَكَثِيراً ، أُعْطِيَ قَالَباً مَعْنَوِيّاً ، وَمِقْدَاراً خُصُوصِيّاً ، وَحَدّاً خَاصّاً ، بِدَسَاتِيرِ الْعِلْمِ الْأَزَلِيِّ ، وَبِقَوَانِينِ الْحِكْمَةِ السَّرْمَدِيَّةِ ، وَبِالْجَلَوَاتِ الْكُلِّيَّةِ ، وَالْأُصُولِ الْمُعَيَّنَةِ ، لِلْإرَادَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ فَإنَّهَا فِي دَاخِلِ قَانُونِ الْإرَادَةِ ، وَالانْتِظَامِ الْعِلْمِيِّ التَّامِّ ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّ تَدْوِيرَ الْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ لِلْمَنْظُومَةِ الشَّمْسِيَّةِ ، وَتَسْيِيرَهُ لِسَفِينَةِ الْأَرْضِ فِي مَدَارِهَا السَّنَوِيِّ ، بِقُدْرَتِهِ بِلَا حَدٍّ ، سَهْلٌ وَهَيِّنٌ فِي دَرَجَةِ تَدْوِيرِهِ الدَّمَ فِي جَسَدٍ ؛ وَمَا فِي الدَّمِ ، مِنْ كُرَيْوَاتٍ حَمْرَاءَ وَبَيْضَاءَ ؛ وَمَا فِي تِلْكَ الْكُرَيْوَاتِ ، مِنَ الذَّرَّاتِ ، تَدْوِيراً ذَا نِظَامٍ وَحِكْمَةٍ ؛ فَلِذٰلِكَ يَخْلُقُ إنْسَاناً فِي مِثَالِ عَالَمٍ ، بِأَجْهِزَتِهِ الْخَارِقَةِ ، مِنْ قَطْرَةِ مَاءٍ ، دَفْعَةً وَاحِدَةً ، بِدُونِ كُلْفَةٍ . إذاً فَإنَّهَا إذَا أُسْنِدَتْ إلَىٰ تِلْكَ الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ وَغَيْرِ الْمَحْدُودَةِ ، فَإنَّ إيجَادَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، يَسْهُلُ وَيَكْسِبُ السُّهُولَةَ ، بِقَدَرِ إيجَادِ إنْسَانٍ . وَإنْ لَمْ تُسْنَدْ إلَيْهَا ؛ فَإنَّ خَلْقَ إنْسَانٍ وَاحِدٍ ، بِأَجْهِزَتِهِ وَحَوَاسِّهِ الْعَجِيبَةِ ، يَصِيرُ ذَا مُشْكِلَاتٍ بِقَدَرِ الْكَائِنَاتِ . .

وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ قَائِداً يَسُوقُ فَرْداً إلَى الْهُجُومِ بِأَمْرٍ مَّا لِلتَّقَدُّمِ ، بِسِرِّ الْإطَاعَةِ وَالامْتِثَالِ وَالْإصْغَاءِ لِلْأَمْرِ ؛ كَمَا يُحَرِّكُ جَيْشاً مُطِيعاً عَظِيماً ، بِعَيْنِ الْأَمْرِ إلَى الْهُجُومِ بِالسُّهُولَةِ أَيْضاً ؛ كَذٰلِكَ فَإنَّ فَرْداً وَاحِداً مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ خُصُوصاً ، وَالْمَصْنُوعَاتِ الَّتِي هِيَ فِي كَمَالِ الْإطَاعَةِ لِقَوَانِينِ الْإرَادَةِ الْإلٰهِيَّةِ ؛ وَبَيْنَ الْمَيْلِ وَالشَّوْقِ الْفِطْرِيِّ مِثْلَ الْمُجَنَّدِ الْمُطِيعِ وَالْخَادِمِ الْمُسَخَّرِ ، إلَىٰ إشَارَةِ الْأَمْرِ الرَّبَّانِيِّ التَّكْوِينِيِّ ؛ وَفِي دَائِرَةِ دَسَاتِيرِ خَطِّ الْحَرَكَةِ الَّتِي عَيَّنَتْهَا الْحِكْمَةُ وَالْعِلْمُ الْأَزَلِيُّ ؛ وَفِي حُكْمِ الْخَادِمِ وَالْمُسَخَّرِ وَالْمُطِيعِ لِلْأَمْرِ ، أَزْيَدَ مِنْ أَفْرَادِ الْجَيْشِ أَلْفَ دَرَجَةٍ ،

تُلْبِسُ الْقُدْرَةُ عَلَيْهِ وُجُوداً مَخْصُوصاً بِهِ ؛ فَتُمْسِكُ بِيَدِهِ ؛ فَتُخْرِجُهُ إِلَى الْمَيْدَانِ ، فِي صُورَةٍ تُخَصِّصُهَا الْإِرَادَةُ ، وَفِي نَمَطٍ يُعَيِّنُهُ الْعِلْمُ ، وَبِالْأَمْرِ الرَّبَّانِيِّ الْقَائِلِ : «تَعَالَ فَاخْرُجْ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ ؛ وَبَاشِرْ بِالْوَظِيفَةِ» ؛ فَيُنْشِئُ بِعَيْنِ الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ ، جَيْشَ ذَوِي الْحَيَاةِ فِي الرَّبِيعِ ؛ وَيُعْطِيهِمُ الْوَظَائِفَ بِعَيْنِ السُّهُولَةِ . إِذاً فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ إِذَا أُسْنِدَ إِلَىٰ تِلْكَ الْقُدْرَةِ ، فَإِنَّ إِيجَادَ جَيْشِ جَمِيعِ الذَّرَّاتِ ، وَأَلْوِيَةِ النُّجُومِ ، يَهِينُ وَيَسْهُلُ بِقَدَرِ ذَرَّةٍ وَنَجْمَةٍ وَاحِدَةٍ . وَإِنْ أُسْنِدَ إِلَى الْأَسْبَابِ ، فَإِنَّ خَلْقَ ذِي حَيَاةٍ مَّا ، بِقَابِلِيَّةٍ تُؤَدِّي الْوَظَائِفَ الْعَجِيبَةَ لِلذَّرَّةِ الَّتِي فِي دِمَاغِهِ وَفِي حَدَقَةِ عَيْنِهِ ، يَكُونُ ذَا مَشَقَّةٍ وَذَا مُشْكِلَاتٍ بِقَدَرِ جَيْشِ الْحَيَوَانَاتِ . .

﴿اَلْمِرْقَاةُ الثَّالِثَةُ :﴾ قَوْلُهُ : ﴿وَبِسِرِّ إِمْدَادِ الْوَاحِدِيَّةِ ، وَيُسْرِ الْوَحْدَةِ ، وَتَجَلِّي الْأَحَدِيَّةِ﴾.

نَنْظُرُ إِلَى مَآلِهِ بِإِشَارَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ . يَعْنِي : كَمَا أَنَّ سُلْطَاناً وَقَائِداً أَعْظَمَ ، تَسْهُلُ إِدَارَتُهُ لِلْمَمْلَكَةِ الْكَبِيرَةِ وَالْأُمَّةِ الْعَظِيمَةِ ، بِقَدَرِ إِدَارَةِ أَهْلِ قَرْيَةٍ ، بِجِهَةِ وَاحِدِيَّةِ حَاكِمِيَّةِ ذٰلِكَ الْحَاكِمِ الْأَعْظَمِ ، وَبِجِهَةِ حَرَكَةِ جَمِيعِ رَعَايَاهُ حَسَبَ أَمْرِهِ فَقَطْ ؛ لِأَنَّ أَفْرَادَ الْأُمَّةِ تَصِيرُ وَسِيلَةً لِلتَّسْهِيلَاتِ ، مِثْلَ أَفْرَادِ الْعَسَاكِرِ عَيْنِهَا ؛ فَتُطَبَّقُ الْأَوَامِرُ وَالْقَوَانِينُ بِالسُّهُولَةِ ، بِاعْتِبَارِ الْوَاحِدِيَّةِ فِي الْحُكْمِ . وَإِنْ تُرِكَتْ لِحُكَّامٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ تُشْكِلُ إِدَارَةُ قَرْيَةٍ وَاحِدَةٍ ، بَلْ بَيْتٍ وَاحِدٍ ، بِقَدَرِ تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ ، مَعَ وُقُوعِهَا فِي التَّجَاذُبِ كَثِيراً . وَأَيْضاً إِنَّ كُلَّ فَرْدٍ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ الْمُطِيعَةِ ، يَسْتَطِيعُ بِحَيْثِيَّةِ ارْتِبَاطِهَا بِقَائِدٍ وَاحِدٍ ، أَنْ يَأْسِرَ مَلِكاً ؛ وَأَنْ يُؤَدِّيَ الْعَمَلَ أَكْثَرَ مِنْ قُوَّتِهِ الشَّخْصِيَّةِ ، أَلْفَ دَرَجَةٍ ، بِقُوَّةٍ مُسْتَنِدَةٍ إِلَى قُوَّةِ ذٰلِكَ الْقَائِدِ ، وَإِلَىٰ جَيْشِهِ وَمَخَازِنِ أَجْهِزَتِهِ ، مِثْلَ الْمُجَنَّدِ ؛ وَيَصِيرُ انْتِسَابُهُ إِلَىٰ ذٰلِكَ السُّلْطَانِ ، قُوَّةً وَاقْتِدَاراً لَهُ بِلَا حَدٍّ ؛ فَيَعْمَلُ أَعْمَالاً كَبِيرَةً جِدّاً . فَإِنِ انْقَطَعَ ذٰلِكَ الْانْتِسَابُ ؛ تَزُولُ تِلْكَ الْقُوَّةُ الْعَظِيمَةُ ؛ فَيَسْتَطِيعُ أَنْ يُؤَدِّيَ الْعَمَلَ بِقُوَّتِهِ الْجُزْئِيَّةِ فِي زَنْدِهِ ، وَبِمِقْدَارِ مُعَدَّاتِهِ وَبَنَادِقِهِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي عَلَىٰ ظَهْرِهِ . وَإِلَّا ، فَإِنْ طُلِبَ مِنْهُ جَمِيعُ الْأَعْمَالِ الَّتِي يُؤَدِّيهَا الْجُنْدِيُّ الْمَذْكُورُ الْمُسْتَنِدُ إِلَىٰ قُوَّةِ الْانْتِسَابِ ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ قُوَّةِ جَيْشٍ فِي زَنْدِهِ ، وَمَخْزَنِ مُعَدَّاتِ السُّلْطَانِ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ سُلْطَانَ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ ، وَالصَّانِعَ الْقَدِيرَ ، يَصْنَعُ بِجِهَةِ وَاحِدِيَّةِ السَّلْطَنَةِ ، وَالْحَاكِمِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ، الْكَائِنَاتِ ، فِي سُهُولَةٍ

مَدِينَةٍ ؛ وَرَبِيعاً ، فِي سُهُولَةِ حَدِيقَةٍ ؛ وَإِحْيَاءَ جَمِيعِ الْأَمْوَاتِ فِي الْحَشْرِ ، فِي سُهُولَةِ خَلْقِ أَوْرَاقِ أَشْجَارِ تِلْكَ الْحَدِيقَةِ ، وَأَزْهَارِهَا وَأَثْمَارِهَا فِي الرَّبِيعِ الْآتِي ؛ وَيَخْلُقُ ذُبَابَةً بِالسُّهُولَةِ ، فِي مِثَالِ طَائِرِ النَّسْرِ الْجَسِيمِ ؛ وَيَجْعَلُ إِنْسَاناً بِالسُّهُولَةِ ، فِي حُكْمِ عَالَمٍ صَغِيرٍ . فَإِنْ أُسْنِدَتْ إِلَى الْأَسْبَابِ ؛ تُشْكِلُ جُرْثُومَةٌ بِقَدَرِ أَلْفِ كَرْكَدَنَّةٍ ؛ وَثَمَرَةٌ بِقَدَرِ شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ ؛ بَلْ وَاللَّازِمُ إِعْطَاءُ عِلْمٍ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَبَصَرٍ يَرَى كُلَّ شَيْءٍ ، لِكُلِّ ذَرَّةٍ تُؤَدِّي وَظَائِفَ عَجِيبَةً فِي بَدَنِ ذِي الْحَيَاةِ ؛ لِتَسْتَطِيعَ أَنْ تَعْمَلَ تِلْكَ الْوَظِيفَةَ الْحَيَوِيَّةَ الرَّقِيقَةَ وَالْمُكَمَّلَةَ . .

وَأَيْضاً إِنَّ الْيُسْرَ وَالسُّهُولَةَ وَالْخِفَّةَ فِي الْوَحْدَةِ ، تَبْلُغُ إِلَى دَرَجَةٍ ، بِحَيْثُ كَمَا أَنَّ أَجْهِزَةَ جَيْشٍ ، تَسْهُلُ بِوُرُودِهَا مِنْ يَدٍ وَاحِدَةٍ وَمِنْ مَصْنَعٍ وَاحِدٍ ، مِثْلَ أَجْهِزَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ لِفَرْدٍ وَاحِدٍ ؛ فَإِنْ خَالَطَتْهَا أَيْدٍ مُخْتَلِفَةٌ ؛ وَاشْتُرِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَجْهِزَةِ الْمُخْتَلِفَةِ ، مِنْ مَصْنَعٍ آخَرَ ؛ فَحِينَئِذٍ يُمْكِنُ أَنْ تُتَدَارَكَ أَجْهِزَةُ مُجَنَّدٍ وَاحِدٍ ؛ بِأَلْفِ مُشْكِلَةٍ فِي نُقْطَةِ الْكَمِّيَّةِ ؛ وَتَكْسِبُ الصُّعُوبَةَ بِقَدَرِ أَلْفِ جُنْدِيٍّ ، بِجِهَةِ تَدَخُّلِ أُمَرَاءَ وَضُبَّاطٍ مُتَعَدِّدَةٍ ؛ وَأَيْضاً إِنْ أُسْنِدَتْ إِدَارَةُ أَلْفِ جُنْدِيٍّ وَقِيَادَتُهُ ، إِلَى ضَابِطٍ وَاحِدٍ ، تَسْهُلُ بِقَدَرِ نَفَرٍ وَاحِدٍ ، فِي جِهَةٍ مَا ؛ أَوْ تُرِكَتْ لِعَشَرَةِ ضُبَّاطٍ ، أَوْ لِلْأَفْرَادِ ، يَحْدُثُ الِاخْتِلَاطُ جِدّاً ؛ وَتَقَعُ مُشْكِلَةٌ كَثِيراً ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ إِذَا أُسْنِدَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ؛ يَسْهُلُ كَشَيْءٍ وَاحِدٍ . وَإِنْ أُسْنِدَ إِلَى الْأَسْبَابِ ؛ يُشْكِلُ ذُو حَيَاةٍ وَاحِدٍ ، بِقَدَرِ الْأَرْضِ ؛ بَلْ يَصِيرُ غَيْرَ مُمْكِنٍ . إِذاً فَإِنَّ الْيُسْرَ فِي الْوَحْدَةِ ، يَبْلُغُ إِلَى دَرَجَةِ الْوُجُوبِ وَاللُّزُومِ ؛ وَإِنَّ الصُّعُوبَةَ فِي تَدَخُّلِ الْأَيْدِي الْكَثِيرَةِ ، تَأْتِي إِلَى دَرَجَةِ عَدَمِ الْإِمْكَانِ ؛ كَمَا قِيلَ فِي مَكْتُوبَاتِ رِسَالَةِ النُّورِ : إِنَّ التَّبَدُّلَاتِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ؛ وَحَرَكَاتِ النُّجُومِ ؛ وَتَحَوُّلَاتِ الْمَوَاسِمِ مِثْلَ الرَّبِيعِ وَالصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ فِي السَّنَةِ ، إِذَا تُرِكَتْ لِآمِرٍ وَمُدَبِّرٍ وَاحِدٍ ؛ يَأْمُرُ ذٰلِكَ الْقَائِدُ الْأَعْظَمُ ، كُرَةَ الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ إِحْدَى جُنُودِهِ : «أَنْ قُومِي وَدُورِي وَسِيرِي» ، فَإِنَّهَا تَصِيرُ وَسِيلَةً سَهْلَةً لِلْغَايَةِ ، لِحَرَكَاتِ النُّجُومِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالْخَيَالِيَّةِ ، وَلِلتَّحَوُّلَاتِ الْيَوْمِيَّةِ وَالسَّنَوِيَّةِ ، بِحَرَكَتِهَا مِثْلَ الْمَوْلَوِيِّ الْمَجْذُوبِ ، مِنْ نَشْوَةِ وَسُرُورِ ذٰلِكَ الِالْتِفَاتِ وَالْأَمْرِ ؛ فَتُظْهِرُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مِنَ السُّهُولَةِ التَّامَّةِ وَغَايَةِ الْيُسْرِ . وَإِنْ تُرِكَتْ – لَا لِذٰلِكَ الْآمِرِ الْوَاحِدِ – بَلْ لِلْأَسْبَابِ وَأَهْوَاءِ

النُّجوم ؛ وَقِيلَ لِلأَرْضِ : فَفِي أَنْتِ ؛ وَلا تَسِيري ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الْوَضْعِيَّةَ الْأَرْضِيَّةَ وَالسَّماوِيَّةَ ، مِثْلَ الْمَواسِمِ وَالْأَيَّامِ وَاللَّيالِي ، إِنَّما يُمْكِنُ أَنْ تَحْصُلَ ، بِقَطْعِ وَسَيْرِ آلافِ النُّجومِ وَالشُّموسِ ، الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ مِنَ الْأَرْضِ آلافَ الدَّرَجاتِ ، مَسافاتِ مَلايِينَ وَمِلْيَاراتِ السِّنِينَ ، كُلَّ لَيْلَةٍ ، وَكُلَّ سَنَةٍ ، فِي تِلْكَ الْحالِ ؛ فَتَصِيرُ مُشْكِلَةً ؛ وَتَقَعُ صَعْبَةً فِي دَرَجَةِ الْمُحالِ وَعَدَمِ الْإِمْكانِ . .

وَإِنَّ كَلِمَةَ ﴿وَتَجَلِّي الْأَحَدِيَّةِ﴾ فِي الْمِرْقاةِ الثَّالِثَةِ ، تُشِيرُ إِلَىٰ حَقِيقَةٍ عَظِيمَةٍ جِدّاً ، وَدَقِيقَةٍ وَعَمِيقَةٍ كَثِيراً ، وَوَاسِعَةٍ لِلْغايَةِ . نُحِيلُ إِيضاحَها وَإِثْباتَها ، عَلَىٰ «رِسالَةِ النُّورِ» ؛ فَسَنُبَيِّنُ نُكْتَةً واحِدَةً مِنْها بِتَمْثِيلٍ مُخْتَصَرٍ لِلْغايَةِ . نَعَمْ : كَما أَنَّ الشَّمْسَ بِضِيائِها تُضِيءُ كُلَّ الْأَرْضِ ؛ فَتَصِيرُ مِثالاً لِلْواحِدِيَّةِ ؛ كَما تُوجَدُ بِتِمْثالِها وَعَكْسِها ، وَبِضِيائِها ذاتِ الْأَلْوانِ السَّبْعَةِ ، وَبِصُورَةِ ذاتِها ، فِي كُلِّ شَيْءٍ شَفَّافٍ فِي مُقابَلَتِها مِثْلِ الْمِرْآةِ ؛ فَتُشَكِّلُ مِثالاً لِلْأَحَدِيَّةِ أَيْضاً ؛ فَلَوْ وُجِدَ عِلْمُ الشَّمْسِ وَقُدْرَتُها وَاخْتِيارُها ؛ وَوُجِدَتْ قابِلِيَّةُ قِطَعِ الزُّجاجِ وَما تُشاهِدُ فِيها الشُّمَيْساتُ مِنَ الْقَطَراتِ وَالْفَواقِعِ ؛ لَوُجِدَتْ شَمْسٌ تامَّةٌ ، بِتِمْثالِها وَصِفاتِها ، فِي كُلِّ واحِدٍ مِنْها وَعِنْدَهُ ، بِقانُونِ الْإِرادَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ فَلَمْ يُورِثْ وُجُودُها فِي سائِرِ الْأَماكِنِ ، تَصَرُّفاتِها ، نُقْصاناً أَصْلاً ؛ فَتَصِيرُ سَبَباً لِهٰؤُلاءِ الظُّهُوراتِ الْعَظِيمَةِ جِدّاً ، بِحُكْمِ الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَبِتَأْثِيرِها وَأَمْرِها ؛ فَتُظْهِرُ ما فِي الْأَحَدِيَّةِ مِنَ الْيُسْرِ وَالسُّهُولَةِ فَوْقَ الْعادَةِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ الصَّانِعَ ذا الْجَلالِ ، يَنْظُرُ وَيَكُونُ حاضِراً وَناظِراً بِقُدْرَتِهِ وَإِرادَتِهِ وَعِلْمِهِ ، الْمُحِيطَةِ بِجَمِيعِ الْأَشْياءِ ، بِاعْتِبارِ الْواحِدِيَّةِ ؛ كَما يُوجَدُ بِأَسْمائِهِ وَصِفاتِهِ ، عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ ، خُصُوصاً ذَوِي الْحَياةِ ، بِجِهَةِ الْأَحَدِيَّةِ وَبِتَجَلِّيها ؛ فَيَخْلُقُ ذُبابَةً فِي مِثالِ الصَّقْرِ ؛ وَإِنْساناً فِي مِثالِ عالَمٍ صَغِيرٍ ، فِي آنٍ واحِدٍ بِالسُّهُولَةِ ؛ وَيَخْلُقُ ذَوِي الْحَياةِ فِي شَكْلِ ذِي مُعْجِزاتٍ ؛ فَلَئِنِ اجْتَمَعَتْ جَمِيعُ الْأَسْبابِ ، لا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْلُقَ بُلْبُلَةً وَذُبابَةً ؛ وَإِنَّ الَّذِي يَخْلُقُ بُلْبُلَةً ، هُوَ الَّذِي يَصْلُحُ أَنْ يَخْلُقَ جَمِيعَ الطُّيُورِ ؛ وَإِنَّ الَّذِي يَخْلُقُ إِنْساناً ، إِنَّما هُوَ الْمَوْلَى الَّذِي يُنْشِئُ الْكائِناتِ . .

﴿اَلْمِرْقاةُ الرَّابِعَةُ وَالْخامِسَةُ :﴾ قَوْلُهُ : ﴿وَبِسِرِّ الْوُجُوبِ وَالتَّجَرُّدِ وَمُبايَنَةِ الْماهِيَّةِ ، وَبِسِرِّ عَدَمِ التَّقَيُّدِ ، وَعَدَمِ التَّحَيُّزِ ، وَعَدَمِ التَّجَزُّؤِ﴾ . إِنَّ إِفادَةَ حَقِيقَةِ هاتَيْنِ الْمِرْقاتَيْنِ لِلْجَمِيعِ ،

مُشْكِلٌ جِدّاً ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يُبَيِّنُ مَآلُهَا الْمُخْتَصَرُ ، وَنُكْتَةٌ أَوْ نُكْتَتَانِ مِنْهَا مُخْتَصَرَتَانِ فَقَطْ . يَعْنِي : أَنَّ النُّجُومَ كَالذَّرَّاتِ ؛ وَأَنَّ الْحَشْرَ مِثْلُ رَبِيعٍ ؛ وَأَنَّ إِحْيَاءَ جَمِيعِ النَّاسِ فِي الْحَشْرِ ، سَهْلٌ فِي دَرَجَةِ إِحْيَاءِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ قَدِيرٍ مُطْلَقٍ ، حَامِلٍ لِمَاهِيَّةٍ مُقَدَّسَةٍ مُبَايِنَةٍ لِجَمِيعِ الْمَاهِيَّاتِ ، وَمُنَزَّهَةٍ وَمُجَرَّدَةٍ عَنِ الْمَادِّيَّاتِ ، وَصَاحِبَةِ وُجُودٍ فِي دَرَجَةِ الْوُجُودِ الْأَزَلِيِّ وَالْأَبَدِيِّ ، وَفِي مَرْتَبَةِ الْوُجُوبِ الَّذِي هُوَ أَقْوَى وَأَثْبَتُ مَرَاتِبِ الْوُجُودِ ؛ لِأَنَّ ظُفْرَةً مِنْ نَوْعٍ قَوِيٍّ مِنْ طَبَقَاتِ الْوُجُودِ ، تُمْسِكُ بِيَدِهَا جَبَلاً مِنْ طَبَقَةٍ خَفِيفَةٍ ؛ فَتُدِيرُهُ ؛ فَإِنَّ مِرْآةً وَقُوَّةً حَافِظَةً مَثَلاً ، مِنَ الْوُجُودِ الْخَارِجِيِّ الْقَوِيِّ ، تَحْتَوِيَانِ مِئَةَ جَبَلٍ وَأَلْفَ كِتَابٍ ، مِنَ الْوُجُودِ الْمِثَالِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ الضَّعِيفِ وَالْخَفِيفِ ؛ وَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تُدِيرَاهُمَا . . هٰذَا ، فَمَهْمَا كَانَ الْوُجُودُ الْمِثَالِيُّ أَدْنَى مِنَ الْوُجُودِ الْخَارِجِيِّ حَسَبَ الْقُوَّةِ ؛ فَإِنَّ الْوُجُودَاتِ الْحَادِثَةَ وَالْعَارِضِيَّةَ لِلْكَائِنَاتِ ، هِيَ أَيْضاً أَدْنَى وَأَخَفُّ آلَافَ الدَّرَجَاتِ ، مِنْ وُجُودٍ وَاجِبٍ أَزَلِيٍّ وَسَرْمَدِيٍّ ؛ فَيُدِيرُ ذٰلِكَ الْوُجُودُ الْمُقَدَّسُ ، بِذَرَّةٍ مِنْ تَجَلِّيهِ ، عَالَماً مِنَ الْمُمْكِنَاتِ . .

وَالْآنَ نُحِيلُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ وَنِكَاتَهَا الْمُسْهَبَةَ جِدّاً ، عَلَى رِسَالَةِ النُّورِ ، وَزَمَانٍ آخَرَ ، مَعَ التَّأَسُّفِ ، مِنْ عَدَمِ سَمَاحِ ثَلَاثَةِ أَسْبَابٍ ذَاتِ أَهَمِّيَّةٍ ، مِثْلِ الْمَرَضِ السَّامِّ . .

﴿ اَلْمِرْقَاةُ السَّادِسَةُ : ﴾ قَوْلُهُ : ﴿وَبِسِرِّ انْقِلَابِ الْعَوَائِقِ وَالْمَوَانِعِ ، إِلَى حُكْمِ الْوَسَائِلِ الْمُسَهِّلَاتِ﴾ . يَعْنِي : كَمَا أَنَّ أَغْصَاناً بِلَا شُعُورٍ ، وَفُرُوعاً صَلْبَةً ، لِشَجَرَةٍ جَسِيمَةٍ ، لَا تَصِيرُ عَوَائِقَ وَمَوَانِعَ وَسُدُوداً ، لِلْأَرْزَاقِ وَالْمَوَادِّ اللَّازِمَةِ الْوَارِدَةِ إِلَى أَثْمَارِهَا وَأَزْهَارِهَا وَأَوْرَاقِهَا ، مِنَ الْعُقْدَةِ الْحَيَوِيَّةِ الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ نَابِضِهَا وَمَعِدَتِهَا ؛ بَلْ تَصِيرُ وَسِيلَةً لِلتَّسْهِيلَاتِ ، بِقَانُونٍ لِجَلْوَةٍ مُسَمَّاةٍ بِاسْمِ تِلْكَ الْعُقْدَةِ الْحَيَوِيَّةِ ، حَسَبَ تَعْبِيرِ الْفَنِّ ، مِنَ الْإِرَادَةِ الْإِلٰهِيَّةِ وَالْأَمْرِ التَّكْوِينِيِّ ، وَبِتَوَجُّهِ ذٰلِكَ الْأَمْرِ وَالْإِرَادَةِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ الْمَوَانِعِ ، تَتْرُكُ الْمُمَانَعَةَ ؛ فَتَصِيرُ آلَةً لِلسُّهُولَةِ ، تِجَاهَ جَلْوَةٍ مِنَ الْإِرَادَةِ ، وَتَوَجُّهِ الْأَمْرِ التَّكْوِينِيِّ ، فِي إِيجَادِ الْكَائِنَاتِ وَجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ ، تَخْلُقُ الْقُدْرَةُ السَّرْمَدِيَّةُ ، الْكَائِنَاتِ ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، فِي سُهُولَةِ إِيجَادِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الْوَاحِدَةِ ؛ فَلَا يَثْقُلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ أَصْلاً . فَإِنْ

لَمْ تُسْنَدْ جَمِيعُ الْإِيجَادَاتِ، إِلَى تِلْكَ الْقُدْرَةِ، يَصِيرُ إِنْشَاءُ وَإِدَارَةُ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الْوَاحِدَةِ، مُشْكِلاً حِينَئِذٍ بِقَدَرِ جَمِيعِ الْأَشْجَارِ، بَلْ وَإِيجَادِ وَإِدَارَةِ الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَصِيرُ مَانِعاً وَسَدّاً فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ؛ فَإِنِ اجْتَمَعَتْ جَمِيعُ الْأَسْبَابِ فِي تِلْكَ الْحَالِ؛ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُرْسِلَ الْأَرْزَاقَ وَالْأَجْهِزَةَ اللَّازِمَةَ، لِلْأَثْمَارِ وَالْأَوْرَاقِ وَالْفُرُوعِ وَالْأَغْصَانِ، بِالِانْتِظَامِ، مِنْ نَابِضِ وَمَعِدَةِ الْعُقْدَةِ الْحَيَوِيَّةِ لِشَجَرَةٍ مَّا، الْوَارِدَةِ مِنَ الْأَمْرِ وَالْإِرَادَةِ، إِلَّا أَنْ يُعْطَى كُلُّ جُزْءٍ، بَلْ كُلُّ ذَرَّةٍ مِنَ الشَّجَرَةِ، بَصَراً، وَعِلْماً مُحِيطاً، وَقُدْرَةً خَارِقَةً، تَرَى وَتَعْلَمُ وَتُعِينُ أَجْزَاءَ وَذَرَّاتِ جَمِيعِ الشَّجَرَةِ.. هٰذَا، فَاطَّلِعْ مِنْ هٰؤُلَاءِ الْمَرَاقِي الْخَمْسِ؛ فَانْظُرْ: كَمْ دَرَجَةً مِنَ الْمُشْكِلَاتِ بَلِ الْمُحَالَاتِ، تُوجَدُ فِي الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ؟ وَكَمْ كَانَ مُمْتَنِعاً وَبَعِيداً عَنِ الْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ؟ وَكَمْ مِقْدَاراً مِنَ السُّهُولَةِ وَالْيُسْرِ فِي دَرَجَةِ الْوُجُوبِ، يُوجَدُ فِي طَرِيقِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ؟ وَكَمْ كَانَ مَعْقُولاً وَمَقْبُولاً؟ وَكَانَ فِيهِ حَقٌّ وَحَقِيقَةٌ قَاطِعَةٌ وَهَيِّنَةٌ فِي دَرَجَةِ اللُّزُومِ؟ فَأَبْصِرْهَا وَاعْلَمْهَا؛ وَقُلْ: ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ﴾..

إِنَّ الِانْزِعَاجَ وَالْمُضَايَقَاتِ، صَارَتْ سَبَباً لِتَأْخِيرِ الْقِسْمِ الْبَاقِي مِنْ هٰذِهِ الْمِرْقَاةِ ذَاتِ الْأَهَمِّيَّةِ..

﴿اَلْمِرْقَاةُ السَّابِعَةُ:﴾ قَوْلُهُ: (وَبِسِرِّ أَنَّ الذَّرَّةَ، وَالْجُزْءَ وَالْجُزْئِيَّ، وَالنَّوَاةَ وَالْإِنْسَانَ، لَيْسَتْ بِأَقَلَّ صَنْعَةً وَجَزَالَةً مِنَ النَّجْمِ، وَالْكُلِّ وَالْكُلِّيِّ، وَالشَّجَرِ وَالْعَالَمِ)..

إِخْطَارٌ: إِنَّ أَسَاسَ حَقَائِقِ هٰؤُلَاءِ الْمَرَاقِي التِّسْعِ، وَمَعْدِنَهَا وَشَمْسَهَا، هِيَ آيَتَا: ﴿قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ ۞ اَللّٰهُ الصَّمَدُ﴾ مِنْ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ؛ وَإِنَّهَا إِشَارَاتٌ مُخْتَصَرَةٌ، إِلَى اللَّمَعَاتِ الْوَارِدَةِ مِنْ جِلْوَةِ سِرِّ الْأَحَدِيَّةِ وَالصَّمَدِيَّةِ..

نَنْظُرُ مُخْتَصَراً لِلْغَايَةِ، بِنُكْتَةٍ أَوْ نُكْتَتَيْنِ، إِلَى مَآلِ هٰذِهِ الْمِرْقَاةِ السَّابِعَةِ؛ فَنُحِيلُ تَفْصِيلَهَا عَلَى «رِسَالَةِ النُّورِ».. تَعْنِي: أَنَّ ذَرَّةً تُؤَدِّي وَظَائِفَ عَجِيبَةً فِي الْبَصَرِ وَالدِّمَاغِ، لَيْسَتْ أَدْنَى مِنْ نَجْمَةٍ؛ وَلَا جُزْءٌ مَّا أَدْنَى مِنْ مَجْمُوعِ الْكُلِّ؛ فَإِنَّ الدِّمَاغَ وَالْبَصَرَ مَثَلاً، لَيْسَا أَدْنَى مِنْ مَجْمُوعِ الْإِنْسَانِ؛ وَلَا فَرْدٌ جُزْئِيٌّ أَسْفَلُ مِنْ عُمُومِ نَوْعٍ، حَسَبَ حُسْنِ الصَّنْعَةِ وَغَرَابَةِ الْخِلْقَةِ؛ وَلَا إِنْسَانٌ مَّا بِأَجْهِزَتِهِ الْعَجِيبَةِ، أَسْفَلُ مِنْ كُلِّيِّ جِنْسِ الْحَيَوَانَاتِ؛ وَلَا نَوَاةٌ هِيَ فِي حُكْمِ فِهْرِسَةِ

وتَعْرِفَةٍ وقُوَّةٍ حَافِظَةٍ ، أَسْفَلُ مِنْ شَجَرَتِهَا الْجِسِيمَةِ ، حَسَبَ كَوْنِهَا مَخْزَناً ومَصْنُوعاً مُكَمَّلاً ؛ وَأَنَّ إِنْسَاناً هُوَ عَالَمٌ صَغِيرٌ ، لَيْسَ كَمَالُ خِلْقَتِهِ وَمَخْلُوقِيَّتِهِ عَلَى وَجْهٍ تُؤَدِّي أَجْهِزَتُهُ الْجَامِعَةُ الْخَارِقَةُ ، آلَافَ وَظَائِفَ عَجِيبَةٍ ، أَدْنَى مِنَ الْأَكْوَانِ . إِذاً فَإِنَّ الْمُوجِدَ لِلذَّرَّةِ ، لَا يَبْقَى عَاجِزاً عَنْ إِيجَادِ النُّجُومِ ؛ وَإِنَّ الْخَالِقَ لِعُضْوٍ مِثْلِ اللِّسَانِ ، يَخْلُقُ الْإِنْسَانَ بِسُهُولَةٍ قَطْعاً ؛ وَإِنَّ الَّذِي يَخْلُقُ إِنْسَاناً وَاحِداً بِمِثْلِ هٰذَا الْخَلْقِ الْمُكَمَّلِ ، يَسْتَطِيعُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، أَنْ يَخْلُقَ جَمِيعَ الْحَيَوَانَاتِ بِكَمَالِ السُّهُولَةِ ؛ وَإِنَّهُ يَخْلُقُهَا أَمَامَ أَبْصَارِنَا ؛ وَإِنَّ مَنْ يَخْلُقُ النَّوَاةَ فِي مَاهِيَّةِ جَدْوَلَةٍ وَفِهْرِسَةٍ ، وَدَفْتَرِ قَوَانِينَ أَمْرِيَّةٍ ، وَعُقْدَةٍ حَيَوِيَّةٍ ؛ فَهُوَ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ خَالِقَ جَمِيعِ الْأَشْجَارِ قَطْعاً ؛ وَإِنَّ الْمَوْلَى الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ الَّذِي هُوَ نَوْعٌ مَّا مِنْ نَوَاةِ الْعَالَمِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، وَثَمَرَتُهُ الْجَامِعَةُ ؛ فَجَعَلَهُ خَلِيفَةَ الْأَرْضِ ، وَذَا عَلَاقَةٍ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ، وَمَظْهَراً وَمِرْآةً لِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، فَلَهُ قُدْرَةٌ كَذٰلِكَ قَطْعاً وَبَتَاتاً ؛ فَيَخْلُقُ الْكَائِنَاتِ الْعَظِيمَةَ ؛ فَيَنْظِمُهَا فِي دَرَجَةِ يُسْرٍ وَسُهُولَةِ إِيجَادِ الْإِنْسَانِ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ مَنْ كَانَ خَالِقَ وَصَانِعَ ذَرَّةٍ ، وَجُزْءٍ وَجُزْئِيٍّ ، وَنَوَاةٍ وَإِنْسَانٍ ، فَهُوَ عَيْنُهُ خَالِقُ وَصَانِعُ وَرَبُّ جَمِيعِ النُّجُومِ وَالْأَنْوَاعِ ، وَالْكُلُولِ وَالْكُلِّيَّاتِ ، وَالْأَشْجَارِ وَالْكَائِنَاتِ ؛ وَمُحَالٌ وَمُمْتَنِعٌ أَنْ يَكُونَ غَيْرُهُ ، قَطْعاً وَبِالْبَدَاهَةِ . .

﴿اَلْمِرْقَاةُ الثَّامِنَةُ :﴾ قَوْلُهُ : ﴿وَبِسِرِّ أَنَّ الْمُحَاطَ وَالْجُزْئِيَّاتِ ، كَالْأَمْثِلَةِ الْمَكْتُوبَةِ الْمُصَغَّرَةِ ، أَوْ كَالنُّقَطِ الْمَحْلُوبَةِ الْمُعْصَرَةِ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمُحِيطُ وَالْكُلِّيَّاتُ ، فِي قَبْضَةِ خَالِقِ الْمُحَاطِ وَالْجُزْئِيَّاتِ ؛ لِيُدْرِجَ مِثَالَهَا فِيهَا ، بِمَوَازِينِ عِلْمِهِ ؛ أَوْ يُعَصِّرَ مِنْهَا بِدَسَاتِيرِ حِكْمَتِهِ﴾ . يَعْنِي : أَنَّ الْجُزْئِيَّاتِ الْمُحَاطَةَ ، وَمَا يُوجَدُ فِي الْكُلِّ وَالْكُلِّيَّاتِ مِنَ الْأَفْرَادِ وَالْبُذُورِ وَالنَّوَى ، نِسْبَتُهَا إِلَى الْكُلِّيَّاتِ الْكَبِيرَةِ الْمُحِيطَةِ ، هِيَ : كَأَنَّهَا نَمَاذِجُ صَغِيرَةٌ جِدّاً ، وَأَمْثِلَةُ الْكُلِّ وَالْكُلِّيَّاتِ عَيْنِهَا ، كُتِبَتْ فِي رُقْعَةٍ صَغِيرَةٍ جِدّاً ، بِكِتَابَةٍ رَقِيقَةٍ لِلْغَايَةِ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ، فَاللَّازِمُ أَنْ تَكُونَ الْكُلِّيَّاتُ الْمُحِيطَةُ ، فِي قَبْضَةِ خَالِقِ أُولَائِكَ الْجُزْئِيَّاتِ ، وَفِي تَصَرُّفِهِ تَمَاماً ؛ لِيَسْتَطِيعَ أَنْ يُدْرِجَ كِتَابَ ذٰلِكَ الْمُحِيطِ الْكَبِيرِ ، فِي مِئَاتِ تِلْكَ الرِّقَاعِ وَالدَّفَاتِرِ الصَّغِيرَةِ جِدّاً ؛ وَأَيْضاً إِنَّ تَمْثِيلَ الْأَجْزَاءِ وَالْجُزْئِيَّاتِ الْمُحَاطَةِ ؛ وَنِسْبَتَهَا إِلَى الْمُحِيطِ ، هِيَ : كَأَنَّهَا قَطَرَاتٌ مَحْلُوبَةٌ مِثْلُ

اللَّبَنِ مِنَ الْمُحِيطِ ؛ أَوْ أَنَّ واحِداً عَصَّرَ ذٰلِكَ الْمُحِيطَ ؛ فَسَالَتْ مِنْهُ تِلْكَ النِّقَاطُ ؛ فَإِنَّ نَوَاةَ الْبِطِّيخِ مَثَلاً، قَطْرَةٌ حُلِبَتْ مِنْ جَمِيعِ جَوانِبِ الْبِطِّيخِ، أَوْ نُقْطَةٌ كُتِبَ فِيهَا ذٰلِكَ الْكِتَابُ كُلُّهُ ؛ فَتَتَضَمَّنُ فِهْرِسَهُ وَجَدْوَلَهُ وَمَنْهَجَهُ. فَإِذَا كَانَ هٰكَذَا، فَالْأَلْزَمُ أَنْ يُوجَدَ ذٰلِكَ الْكُلُّ وَالْكُلِّيَّاتُ الْمُحِيطَةُ، فِي يَدِ صَانِعِ تِلْكَ الْجُزْئِيَّاتِ، وَتَاكَ الْقَطَرَاتِ، وَأُولٰئِكَ النِّقَاطِ وَالْأَفْرَادِ قَطْعاً ؛ لِيَحْلُبَ مِنْهَا أُولٰئِكَ الْأَفْرَادَ وَالْقَطَرَاتِ وَالنِّقَاطَ، بِالدَّسَاتِيرِ الْحَسَّاسَةِ لِحِكْمَتِهِ. إِذاً فَإِنَّ الَّذِي يَخْلُقُ بِذْرَةً وَاحِدَةً، وَفَرْداً وَاحِداً، فَهُوَ أَيْضاً الَّذِي خَلَقَ قَطْعاً، ذٰلِكَ الْكُلَّ وَالْكُلِّيَّاتِ الْكَبِيرَةَ، وَسَائِرَ الْكُلِّيَّاتِ وَالْأَجْنَاسِ الْمُحِيطَةِ بِهَا، وَالَّتِي هِيَ أَكْبَرُ مِنْهَا كَثِيراً ؛ وَلَا يُمْكِنُ غَيْرُهُ. فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ، فَإِنَّ الَّذِي يَخْلُقُ نَفْساً وَاحِدَةً، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُقَ جَمِيعَ النَّاسِ ؛ وَإِنَّ الَّذِي يُحْيِي مَيِّتاً وَاحِداً، يَقْتَدِرُ أَنْ يُحْيِيَ أَمْوَاتَ جَمِيعِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ؛ وَسَيُحْيِيهَا فِي الْحَشْرِ.. هٰذَا، فَأَبْصِرْ أَنَّ حُكْمَ آيَةِ : ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ، وَدَعْوَاهَا، هِيَ حَقٌّ، وَعَيْنُ الْحَقِيقَةِ، فِي صُورَةٍ مُشْرِقَةٍ وَقَاطِعَةٍ لِلْغَايَةِ..

﴿ اَلْمِرْقَاةُ التَّاسِعَةُ : ﴾ قَوْلُهُ : ﴿وَبِسِرِّ كَمَا أَنَّ قُرْآنَ الْعِزَّةِ، الْمَكْتُوبَ عَلَى الذَّرَّةِ الْمُسَمَّاةِ بِالْجَوْهَرِ الْفَرْدِ، بِذَرَّاتِ الْأَثِيرِ، لَيْسَ بِأَقَلَّ جَزَالَةً وَخَارِقِيَّةَ صَنْعَةٍ، مِنْ قُرْآنِ الْعَظَمَةِ، الْمَكْتُوبِ عَلَى صَحِيفَةِ السَّمَاءِ، بِمِدَادِ النُّجُومِ وَالشُّمُوسِ ؛ كَذٰلِكَ لَيْسَ وَرْدُ الزَّهْرَةِ، بِأَقَلَّ جَزَالَةً وَصَنْعَةً مِنْ دُرِّيِّ نَجْمِ الزُّهْرَةِ ؛ وَلَا النَّمْلَةُ مِنَ الْفِيلَةِ ؛ وَلَا الْمِكْرُوبُ مِنَ الْكَرْكَدَنِّ ؛ وَلَا النَّحْلَةُ مِنَ النَّخْلَةِ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ. فَكَمَا أَنَّ غَايَةَ كَمَالِ السُّرْعَةِ وَالسُّهُولَةِ فِي إِيجَادِ الْأَشْيَاءِ، أَوْقَعَتْ أَهْلَ الضَّلَالَةِ، فِي الْتِبَاسِ التَّشْكِيلِ بِالتَّشَكُّلِ الْمُسْتَلْزِمِ لِمُحَالَاتٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ تَمُجُّهَا الْأَوْهَامُ ؛ كَذٰلِكَ أَثْبَتَتْ لِأَهْلِ الْهِدَايَةِ، تَسَاوِيَ النُّجُومِ مَعَ الذَّرَّاتِ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ. جَلَّ جَلَالُهُ ؛ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ؛ اَللهُ أَكْبَرُ﴾ ..

كُنْتُ أُرِيدُ ذِكْرَ مَآلِ هٰذِهِ الْمِرْقَاةِ الْأَخِيرَةِ، بِبَيَانٍ مُسْهَبٍ ؛ لٰكِنَّ الْمُضَايَقَاتِ الشَّدِيدَةَ الْوَارِدَةَ مِنْ تَحَكُّمَاتٍ وَتَضْيِيقَاتٍ هَوَسِيَّةٍ، وَالضَّعْفَ وَالْأَمْرَاضَ الْأَلِيمَةَ النَّاشِئَةَ مِنَ التَّسَمُّمِ، صَارَتْ مَانِعَةً مَعَ التَّأَسُّفِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ اضْطُرِرْتُ إِلَى الِاكْتِفَاءِ بِإِشَارَةٍ مُخْتَصَرَةٍ جِدّاً فَقَطْ،

إِلٰى مَآلِهَا . . تَعْنِي : كَمَا أَنَّ قُرْآناً عَظِيمَ شَأْنٍ ، إِذَا كُتِبَ بِالاِفْتِرَاضِ ، فِي ذَرَّةٍ لَا تَكُونُ قَابِلَةَ الاِنْقِسَامِ ؛ وَاتَّخَذَتِ اسْمَ الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَالْفَلْسَفَةِ ، بِذَرَّاتِ الْمَادَّةِ الْأَثِيرِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَصْغَرُ مِنْهَا جِدّاً ؛ وَكُتِبَ قُرْآنٌ كَبِيرٌ آخَرُ أَيْضاً بِالنُّجُومِ وَالشُّمُوسِ ، عَلٰى صَحَائِفِ السَّمَاوَاتِ ؛ وَوُوزِنَ بَيْنَهُمَا ؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْمُجْهِرِيَّ الْمَكْتُوبَ مِنْ ذَرَّةِ الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ ، لَيْسَ مُتَخَلِّفاً حَسَبَ الْعَجَائِبِ وَفِي إِعْجَازِ الصَّنْعَةِ ، عَنِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالْكَبِيرِ الْمُذَهَّبِ لِوُجُوهِ السَّمَاوَاتِ ؛ بَلْ يَكُونُ سَابِقاً فِي جِهَةٍ مَّا ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ وَرْدَ الزَّهْرَةِ ، لَيْسَ مُتَخَلِّفاً عَنْ نَجْمِ الزُّهْرَةِ ؛ وَإِنَّ النَّمْلَةَ لَا تَكُونُ أَدْنٰى مِنَ الْفِيلَةِ ؛ وَإِنَّ الْجُرْثُومَةَ أَعْجَبُ خِلْقَةً مِنَ الْكَرْكَدَنَّةِ ؛ وَإِنَّ الْفِطْرَةَ الْعَجِيبَةَ لِذُبَابَةِ النَّحْلِ ، أَسْبَقُ مِنْ شَجَرَةِ النَّخْلَةِ ، فِي نُقْطَةِ الْغَرَابَةِ وَالْجَزَالَةِ فِي كَوْنِهَا مَصْنُوعاً ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى قُدْرَةِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ . فَإِذاً إِنَّ الَّذِي يَخْلُقُ نَحْلَةً ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُقَ جَمِيعَ الْحَيَوَانَاتِ ؛ وَإِنَّ الَّذِي يُحْيِي نَفْساً وَاحِدَةً ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحْيِيَ جَمِيعَ النَّاسِ فِي الْحَشْرِ ؛ فَيَجْمَعُهُمْ بِمَيْدَانِ الْحَشْرِ ؛ وَسَيَجْمَعُهُمْ ؛ وَأَيْضاً ، إِنَّهُ لَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَصْلاً ؛ فَيَكْتُبُ أَمَامَ أَبْصَارِنَا ، مِئَةَ أَلْفِ مِثَالٍ لِلْحَشْرِ ، فِي كُلِّ رَبِيعٍ ، بِغَايَةِ الْيُسْرِ وَالسُّهُولَةِ . .

وَالْمَآلُ الْمُخْتَصَرُ لِلْغَايَةِ ، لِلْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَخِيرَةِ ، يَعْنِي : أَنَّ أَهْلَ الضَّلَالَةِ تَوَهَّمُوا التَّشْكِيلَ وَالْإِيجَادَ بِقُدْرَةِ صَانِعٍ لَا حَدَّ لَهَا ، تَشَكُّلاً وَتَوَاجُداً بِنَفْسِهَا ؛ فَفَتَحُوا لِأَنْفُسِهِمْ بَابَ خُرَافَاتٍ مُسْتَحِيلَةٍ وَغَيْرِ مُمْكِنَةٍ بِكُلِّ جِهَةٍ ؛ وَلَا يَقْبَلُهَا أَيُّ ذِهْنٍ ، بَلِ الْوَهْمُ أَيْضاً ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا حَقَائِقَ الْمَرَاقِي الْمَذْكُورَةِ ، تِلْكَ الْحَقَائِقَ الَّتِي لَا تَتَزَلْزَلُ ؛ وَمِنْ مَجِيءِ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَى الْوُجُودِ دَفْعَةً ، بِغَايَةِ السُّرْعَةِ وَغَايَةِ السُّهُولَةِ ؛ فَإِنَّهُ يَلْزَمُ فِي تِلْكَ الْحَالِ ، أَنْ تُعْطٰى كُلُّ ذَرَّةٍ ذِي حَيَاةٍ ، قُدْرَةً وَعِلْماً بِلَا حَدٍّ ؛ وَبَصَراً يَرٰى كُلَّ شَيْءٍ ؛ وَاقْتِدَاراً يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْنَعَ كُلَّ صَنْعَةٍ ؛ فَيَسْقُطُونَ مُسْتَحِقِّينَ بِالدُّخُولِ فِي أَسْفَلِ دَرَكَاتِ جَهَنَّمَ ، مُضْطَرِّينَ إِلَى الْقُبُولِ حَسَبَ مَذْهَبِهِمْ ، لِآلِهَةٍ عَدَدَ الذَّرَّاتِ ، بِعَدَمِ قَبُولِ إِلٰهٍ وَاحِدٍ . . أَمَّا أَهْلُ الْهِدَايَةِ ، فَإِنَّ الْحَقَائِقَ الْقَوِيَّةَ ، وَالْحُجَجَ غَيْرَ الْمُتَزَلْزِلَةِ ، فِي الْمَرَاقِي السَّابِقَةِ ، أَعْطَتْ قُلُوبَهُمُ السَّلِيمَةَ ،

وَعُقُولِهِمُ الْمُسْتَقِيمَةَ ، قَناعَةً قاطِعَةً ، وَإِيماناً قَوِيّاً لِلْغايَةِ ، وَتَصْدِيقاً عَيْنَ يَقِينٍ ؛ فَيَعْتَقِدُونَ بِاطْمِئْنانِ الْقَلْبِ ، بِدُونِ شُبْهَةٍ وَبِغَيْرِ وَسْوَسَةٍ : أَنَّهُ لا فَرْقَ بَيْنَ النُّجُومِ وَالذَّرّاتِ ، وَالصَّغِيرِ مَعَ الْكَبِيرِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْقُدْرَةِ الإِلٰهِيَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ تَحْدُثُ هٰؤُلاءِ الْعَجائِبُ أَمامَ أَبْصارِنا ؛ وَتُصَدِّقُ كُلُّ عَجِيبَةِ صَنْعَةٍ ، دَعْوى آيَةِ : ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ؛ وَتَشْهَدُ عَلىٰ أَنَّ حُكْمَها ، عَيْنُ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ ؛ وَتَقُولُ بِلِسانِ أَحْوالِها : ﴿اَللّٰهُ أَكْبَرُ﴾ .. وَنَحْنُ أَيْضاً نَقُولُ بِعَدَدِها : ﴿اَللّٰهُ أَكْبَرُ﴾ ؛ وَنُصَدِّقُ دَعْوى هٰذِهِ الآيَةِ ، بِكُلِّ قُوَّتِنا وَقَناعَتِنا ؛ وَنَشْهَدُ بِحُجَجٍ بِلا حَدٍّ ، عَلىٰ أَنَّ حُكْمَها ، عَيْنُ الْحَقِّ ، وَنَفْسُ الْحَقِيقَةِ ..(١)

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ..

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلىٰ مَنْ أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ ..

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ..

---

(١) إِنَّ عامِّيّاً إِذا اسْتَفادَ الْحِصَّةَ مِنْ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْقُدْسِيَّةِ ، بِقَدْرِ نَواةِ نَخْلَةٍ ؛ فَإِنَّ إِنْساناً كامِلاً تَرَقّىٰ رُوحاً ، يَأْخُذُ الْحِصَّةَ بِقَدْرِ نَخْلَةٍ ؛ وَلٰكِنَّ إِنْساناً لَمْ يَتَرَقَّ بَعْدُ ، عَلَيْهِ أَنْ لا يَتَذَكَّرَ هٰذِهِ الْمَعانِي قَصْداً (*) ، وَهُوَ يَقْرَأُ الْفاتِحَةَ ؛ لِئَلّا يَحْصُلَ الضَّرَرُ بِالْحُضُورِ ؛ وَإِنْ تَرَقّىٰ إِلىٰ ذٰلِكَ الْمَقامِ ، فَإِنَّ تِلْكَ الْمَعانِيَ بِذاتِها ، تُظْهِرُ أَنْفُسَها .. اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) ..

(*) لَقَدْ سَأَلْنا أُسْتاذَنا ، عَنْ إِيضاحِ كَلِمَةِ «قَصْداً» ، فِي هٰذِهِ الْحاشِيَةِ ؛ فَنَكْتُبُ عَيْنَ الْجَوابِ الَّذِي تَلَقَّيْناهُ .. (جَيْلانُ) ، بِاسْمِ تَلامِذَةِ رِسالَةِ النُّورِ فِي الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ الثّالِثَةِ ..

(إِنَّ الاشْتِغالَ بِالْمَعانِي الْواسِعَةِ وَالْعالِيَةِ لِكَلِماتِ التَّشَهُّدِ وَالْفاتِحَةِ ــ لا قَصْداً ، بَلْ بِالتَّبَعِ ؛ وَلا تَفْصِيلاتِها الْمُورِثَةَ لِلْحُضُورِ نَوْعَ غَفْلَةٍ ، بَلْ مَعانِيها الْمُجْمَلَةَ وَالْمُخْتَصَرَةَ ــ ، أَرىٰ أَنَّها تُفَرِّقُ الْغَفْلَةَ ؛ وَتُلَمِّعُ الْعُبُودِيَّةَ وَالْمُناجاةَ ؛ وَإِنَّها تُظْهِرُ تَماماً الْقِيَمَ الرَّفِيعَةَ جِدّاً لِلصَّلاةِ وَالْفاتِحَةِ وَالتَّشَهُّدِ ؛ أَمّا الْمُرادُ مِنْ عَدَمِ الاشْتِغالِ بِها قَصْداً فِي آخِرِ الْقِسْمِ الثّانِي ، فَهُوَ أَنَّ الاشْتِغالَ بِتَفاصِيلِ تِلْكَ الْمَعانِي بِالذّاتِ ، يُنْسِي الصَّلاةَ أَحْياناً ؛ بَلْ يَقْدَحُ فِي الْحُضُورِ . وَإِلّا فَأُحِسُّ فَوائِدَها الْكَبِيرَةَ ، عَلىٰ وَجْهٍ مُخْتَصَرٍ ، وَبِالتَّبَعِ) .. اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) ..

تَقْرِضَةٌ

مَا هِيَ رِسَالَةُ النُّورِ ؟ . وَفِي أَيَّةِ مَاهِيَّةٍ ، هِيَ وَتَرْجُمَانُهَا ، تِجَاهَ الْحَقَائِقِ ؟ .

إِنَّ عُلَاةَ خُدَّامِ الدِّينِ ، الْمُبَشَّرِ بِمَجِيئِهِمْ حَسَبَ الْحَدِيثِ ، فِي صَدْرِ كُلِّ عَصْرٍ ، لَيْسُوا مُبْتَدِعِينَ فِي أَمْرِ الدِّينِ ، بَلْ مُتَّبِعُونَ . يَعْنِي : أَنَّهُمْ لَا يُحْدِثُونَ شَيْئاً مِنْ جَدِيدٍ ؛ وَلَا يَأْتُونَ بِأَحْكَامٍ جَدِيدَةٍ ، مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ ؛ وَيُقِيمُونَ الدِّينَ وَيُحْكِمُونَهُ ؛ وَيُظْهِرُونَ حَقِيقَةَ الدِّينِ وَأَصَالَتَهُ ؛ وَيَرْفَعُونَ وَيُبْطِلُونَ أَبَاطِيلَ يُرَادُ خَلْطُهَا بِهِ ؛ وَيَدْفَعُونَ وَيَرُدُّونَ اعْتِدَاءَاتٍ وَاقِعَةً عَلَى الدِّينِ ؛ وَيُقِيمُونَ الْأَوَامِرَ الرَّبَّانِيَّةَ ؛ وَيُظْهِرُونَ وَيُعْلِنُونَ شَرَفَ وَعُلُوَّ الْأَحْكَامِ الْإِلٰهِيَّةِ ، بِطَرِيقِ الِاتِّبَاعِ الْحَرْفِيِّ لِلْأُسُسِ وَالْأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ ، وَالسُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ؛ وَإِنَّمَا يُؤَدُّونَ الْوَظِيفَةَ بِتَوْجِيهَاتٍ وَتَفْصِيلَاتٍ جَدِيدَةٍ ، وَبِأَسَالِيبَ إِقْنَاعِيَّةٍ جَدِيدَةٍ ، وَبِوُجُوهٍ إِيضَاحِيَّةٍ جَدِيدَةٍ ، مُوَافِقَةٍ لِفَهْمِ الزَّمَانِ ، دُونَمَا تَغْيِيرٍ لِلطَّوْرِ الْأَسَاسِيِّ ، وَدُونَ مِسَاسٍ بِالرُّوحِ الْأَصْلِيِّ . وَإِنَّ هٰؤُلَاءِ الْمَأْمُورِينَ الرَّبَّانِيِّينَ ، يَصِيرُونَ بِأَفْعَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ أَيْضاً ، مُصَدِّقِينَ لِكَوْنِهِمْ مَأْمُورِينَ ؛ وَيُوفُونَ بِالذَّاتِ انْعِكَاسَ إِخْلَاصِهِمْ وَصَلَابَتِهِمُ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ وَيُظْهِرُونَ فِعْلاً مَرْتَبَةَ إِيمَانِهِمْ ؛ وَيُثْبِتُونَ كَوْنَهُمْ عَامِلِينَ تَمَاماً بِالْأَخْلَاقِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَلَابِسِينَ حَقِيقِيّاً ، لِلْبُرْدَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، وَالْحِلْيَةِ النَّبَوِيَّةِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّهُمْ يَصِيرُونَ حُسْنَ مِثَالٍ تَامٍّ ؛ وَيُشَكِّلُونَ نَمُوذَجَ اقْتِدَاءٍ ، لِلْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، مِنْ جِهَةِ الِاتِّبَاعِ لِلسُّنَّةِ السَّنِيَّةِ . . وَإِنَّ الْآثَارَ الَّتِي يُؤَلِّفُهَا هٰؤُلَاءِ ، فِي صَدَدِ تَفْسِيرِ كِتَابِ اللهِ ، وَإِيضَاحِ الْأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ ، وَأُسْلُوبِ التَّوْجِيهِ لِفَهْمِ الزَّمَانِ وَحَسَبَ مَرْتَبَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ ، لَيْسَتْ مَحَاصِيلَ قَرَائِحِهِمُ الْعَالِيَةِ ، وَمِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ ؛ وَلَيْسَتْ نَتِيجَةَ ذَكَائِهِمْ وَعِرْفَانِهِمْ ؛ وَإِنَّ هٰؤُلَاءِ ، هِيَ تَلْقِينَاتٌ وَإِلْهَامَاتٌ مَعْنَوِيَّةٌ مُبَاشَرَةً ، لِلشَّخْصِيَّةِ ذَاتِ الرِّسَالَةِ الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي هِيَ

مَنْبَعُ الْوَحْيِ ؛ وَإِنَّ الْجَلْجَلُوتِيَّةَ ، وَالْمَثْنَوِيَّ الشَّرِيفَ ، وَفُتُوحَ الْغَيْبِ ، وَأَمْثَالَهَا مِنَ الْآثَارِ ، كُلُّهَا مِنْ هٰذَا النَّوْعِ . . وَإِنَّ أُولَائِكَ الْكِرَامَ الْعُلَاةَ الشَّأْنِ ، إِنَّمَا هُمْ فِي حُكْمِ التَّرْجُمَانِ لِهَؤُلَاءِ الْآثَارِ الْقُدُسِيَّةِ ؛ وَإِنَّ لِهَؤُلَاءِ الذَّوَاتِ الْمُقَدَّسَةِ ، حِصَّةً مَّا فِي تَنْظِيمِ أُولَائِكَ الْآثَارِ الْمُبَارَكَةِ ، وَفِي طَرْزِ بَيَانِهَا ؛ يَعْنِي : أَنَّ هٰؤُلَاءِ الذَّوَاتِ الْقُدُسِيَّةَ ، هُمْ فِي حُكْمِ الْمَظَاهِرِ وَالْمَرَايَا وَالْمَعَاكِسِ لِتِلْكَ الْمَعَانِي . .

أَمَّا إِذَا عُدْنَا إِلَى رِسَالَةِ النُّورِ وَتَرْجُمَانِهَا ، فَإِنَّ فَيْضاً عُلْوِيّاً ، وَكَمَالاً لَا مُتَنَاهِياً ، لَمْ تُصَادِفْ أَمْثَالُهُمَا إِلَى الْآنِ ، مَوْجُودَانَ فِي هٰذَا الْأَثَرِ الْعَالِي الشَّأْنِ ؛ وَإِنَّ كَوْنَهُ وَارِثاً لِفُيُوضَاتِ حَضْرَةِ الْقُرْآنِ ، الْمُشْعَلَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَشَمْسِ الْهِدَايَةِ ، وَنَيِّرِ السَّعَادَةِ ، مَشْهُودٌ فِي شَكْلٍ لَمْ يَنَلْهُ أَثَرٌ أَصْلاً ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ ، فَإِنَّ كَوْنَ أَسَاسِهِ ، نُورَ مَحْضِ الْقُرْآنِ ؛ وَكَوْنَهُ حَامِلاً لِفَيْضِ الْأَنْوَارِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، أَزْيَدَ مِنْ آثَارِ أَوْلِيَاءِ اللهِ ؛ وَكَوْنَ حِصَّةِ وَعَلَاقَةِ الشَّخْصِيَّةِ ذَاتِ الرِّسَالَةِ الْمُطَهَّرَةِ ، وَتَصَرُّفِهَا الْقُدُسِيِّ فِيهِ ، أَزْيَدَ مِنْ آثَارِ أَوْلِيَاءِ اللهِ ؛ وَإِنَّ كَوْنَ مَظْهَرِيَّةِ وَكَمَالَاتِ الشَّخْصِيَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ مَظْهَرُهُ وَتَرْجُمَانُهُ ، عَالِياً وَبِدُونِ مِثْلٍ فِي تِلْكَ النِّسْبَةِ ، حَقِيقَةٌ ظَاهِرَةٌ كَالشَّمْسِ . نَعَمْ : إِنَّ ذٰلِكَ الْكَرِيمَ ، جُعِلَ وَارِثاً لِعُلُومِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَلِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ ، وَأَسْرَارِ الْكَائِنَاتِ ، وَلِلْحِكْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَالْمَعَارِفِ اللَّدُنِّيَّةِ ، وَهُوَ فِي حَالِ الصِّبَا بَعْدُ ، وَفِي مُدَّةِ تَحْصِيلِ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ، عَلَى أَنْ يُنْقِذَ الظَّوَاهِرَ ، دُونَ عَمَلِ التَّحْصِيلِ أَصْلاً ؛ فَلَمْ يَنَلْ أَحَدٌ إِلَى مِثْلِ هٰذِهِ الْمَظْهَرِيَّةِ الْعُلْيَا ، حَتَّى الْآنِ ؛ وَلَيْسَ مِثْلُ هٰذِهِ الْخَارِقَةِ الْعِلْمِيَّةِ مَسْبُوقاً أَصْلاً ؛ فَلَا يُشْتَبَهُ فِي أَنَّ تَرْجُمَانَ النُّورِ ، بِحَالِهِ هٰذِهِ ، مُعْجِزَةُ فِطْرَةٍ ، وَعِنَايَةٌ مُتَجَسِّمَةٌ ، وَمَوْهِبَةٌ مُطْلَقَةٌ ، بِذَاتِهِ ، مَعَ مَتَانَتِهِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ ، وَالْمُشَكِّلَةِ لِلْعِفَّةِ الْمُجَسَّمَةِ ، وَالشَّجَاعَةِ الْخَارِقَةِ ، وَالِاسْتِغْنَاءِ الْمُطْلَقِ ، مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ الْكَرِيمَ ذَا الْخَوَارِقِ ، تَحَدّٰى جَمِيعَ دُنْيَا الْعِلْمِ ، وَهُوَ فِي حَالِ عَلَّامَةٍ بِغَيْرِ مَثِيلٍ ، دَوْنَ أَنْ يُدْرِكَ حَدَّ الْبُلُوغِ بَعْدُ ؛ فَأَلْزَمَ وَأَفْحَمَ أَرْبَابَ الْعُلُومِ ، الَّذِينَ نَاظَرُوهُ ؛ وَأَجَابَ فِي أَيِّ مَكَانٍ كَانَ ، عَلَى جَمِيعِ الْأَسْئِلَةِ الْمَوْجُودَةِ ، بِإِصَابَةٍ مُطْلَقَةٍ ، وَبِدُونِ تَرَدُّدٍ أَصْلاً ؛ وَحَمَلَ رُتْبَةَ التَّدْرِيسِ اعْتِبَاراً مِنْ سِنِّهِ الْأَرْبَعَ عَشَرَ ؛

وَنَثَرَ حَوْلَهُ فَيْضَ الْعِلْمِ ، وَنُورَ الْحِكْمَةِ دَائِماً ؛ وَإِنَّ الدِّقَّةَ وَالْإِمْعَانَ فِي إِيضَاحَاتِهِ ، وَالْعُلُوَّ وَالْمَتَانَةَ فِي بَيَانَاتِهِ ، وَالْفِرَاسَةَ وَالْبَصِيرَةَ الْعَمِيقَةَ وَنُورَ الْحِكْمَةِ فِي تَوْجِيهَاتِهِ ، حَيَّرَتْ أَرْبَابَ الْعِرْفَانِ ؛ وَأَهْدَتْ إِلَيْهِ بِحَقِّهِ عُنْوَانَهُ الْجَلِيلَ «بَدِيعِ الزَّمَانِ» ؛ وَإِنَّهُ ظَهَرَ فِي حَالِ كَمَالٍ تَامٍّ ، فِي إِثْبَاتِ وَنَشْرِ الدِّينِ الْمُحَمَّدِيِّ ، بِمَزَايَاهُ الْعَالِيَةِ ، وَبِفَضَائِلِهِ الْعِلْمِيَّةِ أَيْضاً ؛ فَمِثْلُ هٰذَا الْكَرِيمِ ، لَا رَيْبَ أَنَّهُ مَظْهَرٌ لِأَسْمَى الْتِفَاتِ حَضْرَةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَنَائِلٌ لِأَعْلَى حِمَايَتِهِ وَهِمَّتِهِ ؛ وَأَنَّهُ رَجُلٌ كَرِيمُ الصِّفَاتِ ، وَارِثٌ وَمَعْكَسٌ لِأَنْوَارِ وَحَقَائِقِ ذٰلِكَ النَّبِيِّ الْأَقْدَسِ (ﷺ) ؛ وَسَالِكٌ بِأَمْرِهِ وَمِيثَاقِهِ ؛ وَمُتَحَرِّكٌ بِتَصَرُّفِهِ بِدُونِ شُبْهَةٍ ؛ وَأَنَّ ذٰلِكَ الْكَرِيمَ ، لَا شُبْهَةَ أَنَّهُ مِرْآةٌ مُجَلَّاةٌ لِلرِّسَالَةِ ؛ وَثَمَرَةٌ مُنَوَّرَةٌ أَخِيرَةٌ لِشَجَرَةِ الرِّسَالَةِ ، فِي نُقْطَةِ الْخِدْمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ وَنَاطِقُ الْحَقِيقَةِ الْأَخِيرُ ، فِي نُقْطَةِ الْوِرَاثَةِ لِلِسَانِ الرِّسَالَةِ ؛ وَحَامِلٌ أَخِيرٌ ذُو سَعَادَةٍ ، لِلشَّمْعِ الْإِلٰهِيِّ ، فِي جِهَةِ الْخِدْمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ ، بِدَلَالَةِ تَلْمِيعِهِ لِلْأَنْوَارِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَالْمَعَارِفِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، وَلِفُيُوضَاتِ الشَّمْعَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، فِي أَلْمَعِ شَكْلٍ ؛ وَبِدَلَالَةِ انْتِهَاءِ الْإِشَارَاتِ الرِّيَاضِيَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْحَدِيثِيَّةِ فِي نَفْسِهِ هُوَ ؛ وَاجْتِمَاعِ الْبَيَانَاتِ الرِّيَاضِيَّةِ لِلْآيَاتِ الْجَلِيلَةِ الْمُفِيدَةِ لِلْخِطَابَاتِ النَّبَوِيَّةِ ، عَلَى نَفْسِهِ هُوَ . .

أَحْمَدُ فَيْضِيٌّ ، أَحْمَدُ نَظِيفٌ ، زُبَيْرٌ ، صَلَاحُ الدِّينِ ، جَيْلَانُ ، صُونْغُورْ ، طَبَانْجَه لِي ،

بِاسْمِ تَلَامِذَةِ النُّورِ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا لِدَرْسِ الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ الثَّالِثَةِ ، ذٰلِكَ الدَّرْسِ الْوَحِيدِ الَّذِي هُوَ الْحُجَّةُ الزَّهْرَاءُ وَزَهْرَةُ النُّورِ . .

إِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَجَاسَرَ عَلَى نَقْضِ أَقْدَارِ أَصْحَابِ هٰؤُلَاءِ التَّوَاقِيعِ ، مَعَ إِعْطَائِهِمْ حَظِّيَ أَكْثَرَ مِنْ حَدِّي مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ فَسَكَتُّ وَقَبِلْتُ ذٰلِكَ الْمَدْحَ ، بِاسْمِ الشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ لِتَلَامِذَةِ رِسَالَةِ النُّورِ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

دُعَاءُ الْإِمَامِ النُّورْسِيِّ ، (رضي الله تعالى عنه) :
لِلْخَادِمِينَ فِي شُؤُونِ مَجْمُوعَةِ الشُّعَاعَاتِ .. [١]

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

يَا اَللّٰهُ يَا رَحْمٰنُ يَا رَحِيمُ ، يَا فَرْدُ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ،
يَا حَكَمُ يَا عَدْلُ يَا قُدُّوسُ !.

بِحَقِّ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ ، وَبِحُرْمَةِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، وَلِشَرَفِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ، (عليه الصلاة والسلام) ، اجْعَلِ النَّاشِرِينَ وَالطَّابِعِينَ لِمَجْمُوعَةِ الشُّعَاعَاتِ هٰذِهِ ، وَأَعْوَانَهُمُ الْمُبَارَكِينَ ، وَطُلَّابَ رَسَائِلِ النُّورِ الصَّادِقِينَ ؛ اجْعَلْهُمْ مَظَاهِرَ لِلسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ ، آمِينَ ؛ وَوَفِّقْهُمْ دَائِماً فِي الْخِدْمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْقُرْآنِيَّةِ ، آمِينَ ؛ وَاكْتُبْ فِي دَفْتَرِ حَسَنَاتِهِمْ ، أَلْفَ حَسَنَةٍ ، مُقَابِلَ كُلِّ حَرْفٍ مِنْ مَجْمُوعَةِ الشُّعَاعَاتِ ، آمِينَ ؛ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ بِالثَّبَاتِ وَالدَّوَامِ وَالْإِخْلَاصِ ، فِي نَشْرِ الْأَنْوَارِ ، آمِينَ ..

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ! اجْعَلْ جَمِيعَ طُلَّابِ رَسَائِلِ النُّورِ ، مَسْعُودِينَ فِي الدَّارَيْنِ ، آمِينَ ؛ وَاحْفَظْهُمْ مِنْ شُرُورِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، آمِينَ ؛ وَاعْفُ سَيِّئَاتِ هٰذَا «السَّعِيدِ» الْعَاجِزِ الْبَائِسِ ، آمِينَ ..

بِاسْمِ جَمِيعِ طُلَّابِ النُّورِ ، سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) ..

---

(١) اَلْمُتَرْجِمُ ، (عفا الله عنه) .. [مَأْخُوذٌ أَصْلُ هٰذَا الدُّعَاءِ مِنْ مَجْمُوعَةِ الْمَكْتُوبَاتِ ..] (نَاشِرُونَ)

وَإِذِ انْتَهَيْتُ بِتَوْفِيقِ اللهِ تَعَالَىٰ ، مِنْ تَرْجَمَةِ هٰذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الْمُبَارَكَةِ ، الْمُسَمَّاةِ بِالشُّعَاعَاتِ ، قُلْتُ : «نَمَّقَهُ وَتَرْجَمَهُ الْعَبْدُ الْحَقِيرُ الْمُحْتَاجُ إِلَىٰ رَحْمَةِ رَبِّهِ الْقَدِيرِ ، مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ ، ابْنُ الْمُلَّا عَبْدِ اللهِ ، ابْنِ الْمُلَّا قَاسِمٍ الْمَلَازْكَرْدِيُّ ؛ تَغَمَّدَهُمُ اللهُ بِغُفْرَانِهِ ، وَوَالِدِيهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَحْبَابِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ ؛ آمِينَ . .

وَصَلَّى اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَعَلَىٰ جَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَعَلَىٰ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ ، مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ . .

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ . . وَآخِرُ دَعْوٰيهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . .

وَصَلَّى اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ؛ آمِينَ . .

وَقَدْ وَافَقَ خِتَامُهُ ، يَوْمَ الْخَمِيسِ الثَّالِثَ مِنْ صَفَرِ الْخَيْرِ ، عَامَ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ وَثَمَانِيَةٍ وَتِسْعِينَ ، الْمُوَافِقَ لِلثَّانِي عَشَرَ مِنْ كَانُونَ الثَّانِي ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَتِسْعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ . .

مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلَازْكَرْدِيُّ ، مِنْ قَضَاءِ (كُوپ) فِي وِلَايَةِ (مُوش) ، (عفا الله عنه) . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ . .

نَشِيدَةٌ نُورِيَّةٌ :

أَنْشَدَهَا الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلىٰ رَحْمَةِ رَبِّهِ الْغَنِيِّ الْقَدِيرِ ، الَّذِي أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ بِنِعَمٍ جَلِيلَةٍ ، وَإِحْسَانَاتٍ عَظِيمَةٍ، أَعْظَمُهَا الْإِيمَانُ وَالْإِسْلَامُ وَمَعْرِفَةُ عُلُومِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ ، وَالتَّوْفِيقُ الْعَظِيمُ فِي تَرْجَمَةِ وَتَبْيِيضِ وَتَصْحِيحِ كُلِّيَّاتِ رِسَالَةِ النُّورِ ، الَّتِي هِيَ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ وَمُعْجِزَاتُ الْقُرْآنِ ، تَرْجَمَهَا بِتَوْفِيقِهِ وَإِحْسَانِهِ تَعَالىٰ ، مِنَ اللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ؛ فَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، الْحَمْدُ وَالثَّنَاءُ ، وَالشُّكْرُ وَالْآلَاءُ . .

وَهِيَ أُنْشُودَةٌ جَامِعَةٌ لِأَهَمِّ النِّقَاطِ وَالْأَحْدَاثِ ، فِي حَيَاةِ الْإِمَامِ الْجَلِيلِ الْعَلّامَةِ الشَّهِيرِ ، نَادِرَةِ الْخِلْقَةِ وَخَارِقَةِ الْفِطْرَةِ ، مُؤَلِّفِ كُلِّيَّاتِ رَسَائِلِ النُّورِ ، مَوْلَانَا الْإِمَامِ بَدِيعِ الزَّمَانِ سَعِيدٍ النُّورْسِيِّ ، ذِي الْفَيْضِ وَالنُّورِ الْقُدْسِيِّ ؛ (رضي الله تعالى عنه) . .

وَهِيَ هٰذِهِ الْأَبْيَاتُ :

لِي نُورِسْتَانْ ، لِي نُورِسْتَانْ ! جَانِ مِنْ زِتَه رَاقُرْبَانْ

تُو مَرْكَزَا دِينْ وإِيمَانْ ؛ تُوِي نُورَا كَانَا قُرْآنْ

چِيَايِ تَه پِرْ بِلِنْدِنْ ؛ سَرِ وَانْ گِيهَا پَرْوِينَانْ

تِژِي أَلْوَاحِ تَوْحِيدِنْ ؛ تُوژِيرَا دَلِيلُ وبُرْهَانْ

نَوَالِينْ تَه پِرْ بِگُلْنْ ؛ تِژِي شَالُورُ وبِلْبِلِنْ
تِيدَا بِهَڤْرَا دْغُلْغُلْنْ ؛ ڤِيكْرَا دِدِنْ دَرْسَا إِيمَانْ
پِرْ عَنْدَلِيبْ تِيدَاهَنَه ؛ سَيْدَاءُ وپِيشْوَارِينْ مَنَه
يَكْ مَوْلَانَاي مَزِنَه ؛ سَيِّدْ طَاهَا ژِشَمْدِينَانْ
كُفْرَوِي عَالِيجَنَابْ ؛ حِضْرَتُ وسَيْدَا لَاوُ وبَابْ
دَانْ نُورسْتَانِي عِلْمُ وآبْ ؛ رَهْبَرِ وَانْ غَوْثِ هِيزَانْ
اِبْنِ الصَّلَاحْ إِمَامِ مَه ؛ رَابُو ژِشَهْرَزُورَامَه
دِگَلْ اِبْنِ الْحَاجِبِ مَه ؛ لَاوِينْ أَثِيرْ مِينَانِي ڤَانْ
سَيْدَايِ سِيرْتِي ، تُوبِزَانْ ، مَلَا خَلِيلَه ژِهِيزَانْ
خَالِدِ أُولَكِي وُسَانْ ؛ أَوْ عَنْدَلِيبِنْ لِچِيَانْ
مَلَا عَلِي حَرِيرِي ، دِگَلْ أَحْمَدِ جِزِيرِي
أَحْمَدِ خَانِي دِبِيرِي ؛ اَڤْ بِلْبِلِنْ لِسَرْ گُلَانْ
لِي بِلْبِلِي پِرْ زَارْ شِرِينْ ، آوَازِ وِي بِلِنْدْتِرِينْ
آهَنْگْ وِي پِرْ خُوَشْتِرِينْ ، نَاڤِ وِي (بَدِيعِ الزَّمَانْ)
سَيْدَاءِ نُورْسِي مَزِنْ ، بَدِيعِ كُرْدِي بِلِنْ
رَابُو ژِڤِي گَلِي بِبِنْ ؛ أَوْ إِمَامِ آخِرْ زَمَانْ
لِچِيَايِ تَه دْگَرِيَا ؛ دِخُوَنْدِي دَخْلُ ودَڤِيَا
كُلِيلْكُ وپِشْكُوڤْ وگِيَا ؛ دِبُومِينَا بَحْرَا عُمَانْ
هِشْ ودِلِ وِي پِيلْ دِدَا ؛ سَرْ بِآسِمَانْ هِلْدِدَا
أَزْمَانِ وِي شَپَالْ دِدَا ؛ زُهْنِي دِكِرْ وِي اَڤْ جِهَانْ
وِي چِيَايِ تَه پِرْ دِڤَا ؛ بِهُشْتُ وگَاڤْ وِي دِپِيڤَا
بِعَالَمَا إِسْلَامِي ڤَا ؛ دِيتْ دِخُوِيِي ژُهْرَ آلِيَانْ

لَوْرَا وِي خُوَاسْتْ چِيَايْ تَه بَالاَبِكَه وَكْ پَرْوِينَانْ
مَدْرَسَه يَا زَهْرَائِيَه آقَابِكَه لِشَهْرِ «وَانْ»
لِي جَنْگَا جِهَانَا بَرِينْ نَدَايَه وِي فَسَالاَهَانْ
سِه سَالْ هِيسِيرْ مَالْنَاقْ أُورُسْ بَرْكَنَارِ چِمِ قُولْغَانْ
پِشْتِي رِهَابُو هَاتْ وَلاَتْ ؛ دِيسَا دَسْتْ آقِيتَه خَبَاتْ
لِي فِتْنَا سُفْيَانْ سَرْ دَاهَاتْ ؛ نَدَاوِي فِرْصَتُ وأَمَانْ
هَمْ فِتْنَه يَا دَجَّالِ گِرْ ، جِهَانْ هَژَانْدْ تَقْ دَا آگِرْ
أُسْتَادِ نُورْ رَابُو بِگِرّْ ، دَاشُورِ إِعْجَازَا بَيَانْ
أَوْ بِيسْتُ وسِه سَالْ خَبِتِي ؛ بِشَقْ بِرُوژْ نَتَبِتِي
بَرْلَهِي نَشَمِتِي ، چِيكِرْ أَوِي سَدَّا قُرْآنْ
مَدْرَسَه يَا زَهْرَائِيَه ، شَخْصِ وِي مَعْنَوِيَه
تَجَلِّي دَاهَرْ ئَالِي يَه ، هَرْجِي ژِيرابُو نُورْگَقَانْ
فَسَالْ نَدِي وَرْ بَالْ تَه قَا ، حَيَا أَجَلْ هَاتْ ژْدَرْقَه قَا
گِهِيشْتَه بَالْ رُحَايْ قَا ؛ وَفَاتْ كِرِي دِنَاڤْ نُورَانْ
لِي مِزْگِينِيكِي دَايَه تَه ، نُورِينْ وَرِنْ إِمدَادَاتَه
آيَتَا ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ فَرْمَانْ دِدَهْ ژْبُونَا كُرْدَانْ
عَالِمْ وپِيشْوَارِتَه ، پَرِيشَانِنْ وَكْ حَالِ تَه
دِي دَرْسْ بِدَه بْزِمَانِ تَه ؛ اَڤْ رَمْزَه دَا آيَتَاهَانْ
أَيْ كِيلِكِي چِلْ وچَارَانْ ژِمِرِينْ گُنَهْكَارَانْ !
بِكَڤَه نَاڤْ تَوْبَه دَارَانْ ؛ خُوَه بِدَه بِنْ سِيبَا نُورَانْ

تَارِيخُ الإِنْشَادِ/ ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م ..

مَعَانِي الْأَبْيَاتِ :

قَالَ الْمُتَرْجِمُ الْمُفْتَقِرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ الْعَفُوِّ الْكَرِيمِ ، (عفا الله عنه) : لَمَّا وَفَّقَنِي اللهُ تَعَالَى ، بِمَحْضِ لُطْفِهِ وَإِحْسَانِهِ ، فِي إِتْمَامِ تَرْجَمَةِ كُلِّيَّاتِ رَسَائِلِ النُّورِ الْأَرْبَعِ ؛ وَهِيَ : (الْمَقَالَاتُ وَالْمَكْتُوبَاتُ وَاللَّمَعَاتُ وَالشُّعَاعَاتُ) ، فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الرَّابِعَ عَشَرَ الْهِجْرِيِّ ؛ أَلْهَمَنِي إِنْشَادَ هٰذِهِ الْأَبْيَاتِ تَحْدِيثاً بِالنِّعْمَةِ ، وَإِظْهَاراً لِشُكْرِ تِلْكَ النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ ؛ فَأَنْشَدْتُ مُخَاطِباً مَوْطِنَ النُّورِ :

لِي نُورِسْتَانْ ، لِي نُورِسْتَانْ ! جَانِ مِنْ زِتَه رَاقُرْبَانْ
تُو مَرْكَزَا دِينُ وإِيمَانْ ؛ تُوبِي كَانَا نُورَا قُرْآنْ

فَقُلْتُ : يَا مَوْطِنَ النُّورِ ، يَا مَوْطِنَ النُّورِ ! فَدَتْكَ نَفْسِي وَرُوحِي ؛ فَإِنَّكَ مَرْكَزُ الْإِيمَانِ وَدِينِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَنْتَ مَنْبَعُ نُورِ الْقُرْآنِ . .

چِيَاي تَه پِرْ بِلِنْدِنْ ؛ سَرِ وَانْ گِيهَا پِرْوِينَانْ
تِژِي أَلْوَاحِ تَوْحِيدِنْ ؛ تُوژِيرَا دَلِيلُ وبُرْهَانْ

يَا مَوْطِنَ النُّورِ ! إِنَّ جِبَالَكَ شَامِخَةٌ جِدّاً ؛ فَبَلَغَتْ رُؤُوسُهَا آفَاقَ نُجُومِ الثُّرَيَّا ؛ وَمَالِئَةٌ بِأَلْوَاحِ التَّوْحِيدِ الْإِلٰهِيِّ وَالْجَلَالِ الرَّبَّانِيِّ ؛ وَأَنْتَ دَلِيلٌ وَبُرْهَانٌ عَلَى ذٰلِكَ التَّوْحِيدِ وَالْجَلَالِ ، بِآيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ وَغَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْكَثِيرَةِ . .

نَوَالِينْ تَه پِرْ بِگُلْنْ ؛ تِژِي شَالُورُ وبِلْبِلِنْ
تِيدَا بِهَقْرَا دْغُلْغُلْنْ ؛ فِيكْرَا دِدِنْ دَرْسَا إِيمَانْ

وَإِنَّ وُدْيَانَكَ ، كَثِيرَةُ الْوُرُودِ وَالزُّهُورِ ، وَمَالِئَةٌ بِالشَّحَارِيرِ وَالْبَلَابِلِ ؛ فَيَغْرِدْنَ فِيهَا مَعاً ؛ وَيُلْقِينَ دَرْسَ الْإِيمَانِ جَمْعاً ، لِلْمُتَفَكِّرِينَ فِي آيَاتِ اللهِ تَعَالَى . .

پِرْ عَنْدَلِيبْ تِيدَاهَنَه ؛ سَيْدَاءُ وپِيشْوَارِينْ مَنَه
يَكْ مَوْلَانَايِ مَزِنَه ؛ سَيِّدْ طَاهَا زِشَمْدِينَانْ

فَكَمَا أَنَّ فِيهَا شَحَارِيرَ وَبَلَابِلَ فِطْرِيَّةً مِنْ نَوْعِ الطُّيُورِ وَالْعَصَافِيرِ ؛ كَذٰلِكَ فِيهَا عَنَادِلُ وَبَلَابِلُ بَشَرِيَّةٌ مِنْ أَصْنَافِ الْأَصْفِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ ، وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعَارِفِينَ ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ ، وَالْأُدَبَاءِ الْمُتَأَدِّبِينَ ؛ فَإِنَّ وَاحِداً مِنْ أُولَائِكَ الْبَلَابِلِ أُولِي الْأَلْبَابِ ، فِي تِلْكَ الْجِبَالِ وَالْوِدْيَانِ ، هُوَ مَوْلَانَا ضِيَاءُ الدِّينِ خَالِدٌ ذُو الْجَنَاحَيْنِ السُّلَيْمَانِيُّ ، مُجَدِّدُ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ الْهِجْرِيِّ ؛ (قُدِّسَ سِرُّهُ) ، وَالسَّيِّدُ طَاهَا الشَّمْدِينَانِيُّ الْهَكَّارِيُّ ، أَحَدُ خُلَفَاءِ حَضْرَةِ مَوْلَانَا ذِي الْجَنَاحَيْنِ ، (قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ أَجْمَعِينَ) . .

كُفْرَوِي عَالِيجَنَابْ ؛ حِضْرَتْ وسَيْدَا لَاوُ وبَابْ
دَانْ نُورِسْتَانِي عِلْمُ وآبْ ؛ رَهْبَرِ وَانْ غَوْثِ هِيزَانْ

وَمِنْ هٰؤُلَاءِ الْعَنَادِلِ أَيْضاً ، حَضْرَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْكُفْرَوِيِّ الْبَدْلِيسِيِّ ، خَلِيفَةِ السَّيِّدِ عُبَيْدِ اللهِ النِّيرِيِّ ، نَجْلِ السَّيِّدِ طَاهَا الشَّمْدِينَانِيِّ ؛ وَكَذٰلِكَ حَضْرَةُ ضِيَاءِ الدِّينِ النُّورْشِينِي الْبَدْلِيسِيِّ ، وَوَالِدُهُ الْمَلَّا عَبْدُ الرَّحْمٰنِ التَّاغِي الْهِيزَانِيُّ ، الْمُلَقَّبُ بِلَقَبِ «سَيْدَا» ، وَهُوَ خَلِيفَةُ السَّيِّدِ صِبْغَةِ اللهِ الْأَرْوَاسِيِّ الْوَانِيِّ ، الْمُشْتَهِرِ بِعُنْوَانِ «غَوْثِ هِيزَانْ» . . فَهٰؤُلَاءِ الْمُرْشِدُونَ الْكَامِلُونَ ، هُمْ سَادَاتُنَا وَهُدَاتُنَا ؛ فَسَقَوْا تُرْبَةَ مَوْطِنِ النُّورِ بِمَاءِ الْعِلْمِ ؛ وَأَنَارُوهَا بِضِيَاءِ الْوِلَايَةِ وَالتَّقْوٰى ؛ وَهٰؤُلَاءِ كَثِيرُونَ لَا يَدْخُلُونَ تَحْتَ الْإِحْصَاءِ ؛ (قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ جَمِيعاً) . .

اِبْنِ الصَّلَاحْ إِمَامِ مَه ؛ رَابُو زِشَهْرَزُورَامَه
دِگَلْ اِبْنِ الْحَاجِبِ مَهَ ؛ لَاوِينْ أَثِيرْ مِينَانِي ڤَانْ

وَمِنْ هٰؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ الْعِظَامِ وَالْعُلَمَاءِ الْكِرَامِ ، إِمَامُ الْمُحَدِّثِينَ مَوْلَانَا الْإِمَامُ ابْنُ الصَّلَاحِ الشَّهْرَزُورِيُّ ، شَيْخُ الْإِمَامِ النَّوَوِيِّ ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) ؛ وَكَذَا الْإِمَامُ الْمُشْتَهِرُ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْكَثِيرَةِ فِي الْعُلُومِ الْمُتَنَوِّعَةِ ، مَوْلَانَا الْإِمَامُ ابْنُ الْحَاجِبِ ؛ وَكَذٰلِكَ أَبْنَاءُ الْأَثِيرِ الْجَزَرِيُّونَ ، أُولَائِكَ الْعُلَمَاءُ الْمُتَبَحِّرُونَ ، وَأَمْثَالُهُمْ كَثِيرُونَ عَبْرَ الْعُصُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى الْآنَ ، (رَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ ؛ وَتَغَمَّدَهُمْ بِغُفْرَانِهِ ؛ آمِينَ) . .

سَيْدَايِ سِيرْتِي ، تُوبِرَانْ ، مَلا خَلِيلَه ژِهِيزَانْ
خَالِدِ أُولَكِي وُسَانْ ؛ أَوْ عَنْدَلِيبِنْ لِچِيَانْ

وَاعْلَمْ أَيْضاً أَنَّ مَوْلَانَا الْمَلَّا خَلِيلاً ، السِّعِرْدِيَّ مَسْكَناً ، وَالْهِيزَانِيَّ مَوْطِناً ، الَّذِي هُوَ أُسْتَاذُ الْكُلِّ وَعَلَّامَةُ كُرْدِسْتَانَ ، صَاحِبُ التَّآلِيفِ الْمُفِيدَةِ الْمُنِيفَةِ ؛ وَأَنَّ الْعَلَّامَةَ الْعَظِيمَ الْمَلَّا خَالِدَ الْأُولَكِيَّ الْهِيزَانِيَّ ، وَمُعَادِلَ الْعَلَّامَةِ التَّفْتَازَانِيِّ وَالسَّيِّدِ الشَّرِيفِ الْجُرْجَانِيِّ ؛ أُولَائِكَ هُمْ عَنَادِلُ عُلُومِ الْإِسْلَامِ ، فِي مَدَارِسِ تِلْكَ الْجِبَالِ ، (رَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ) ، آمِينَ . .

مَلا عَلِي حَرِيرِي ، دِگَلْ أَحْمَدِ جزِيرِي
أَحْمَدِ خَانِي دِبِيرِي ؛ اَڤْ بِلْبِلِنْ لِسَرْ گُلَانْ

كَمَا أَنَّ الْمَلَّا عَلِيّاً الْحَرِيرِيَّ صَاحِبَ الدِّيوَانِ الْكُرْدِيِّ الشَّهِيرِ ، وَالْمَلَّا أَحْمَدَ الْجَزِيرِيَّ ، نَاظِمَ الدِّيوَانِ الْبَدِيعِ فِي مَرْتَبَةِ دِيوَانِ الْحَافِظِ الشِّيرَازِيِّ فِي الْفَارِسِيَّةِ ، وَفِي دَرَجَةِ دِيوَانِ ابْنِ الْفَارِضِ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَالشَّيْخَ أَحْمَدَ الْخَانِيَّ الدَّاهِيَةَ الْعَظِيمَ صَاحِبَ التَّصَانِيفِ الشَّهِيرَةِ ، هٰؤُلَاءِ بَلَابِلُ نَاطِقَةٌ بِدَوَاوِينِ الْعِشْقِ ، عَلَى وُرُودِ الْجَمَالِ وَأَزْهَارِ الْحُسْنِ . (رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى جَمِيعاً) . .

لِي بِلْبِلِي پِرْ زَارْ شِرِينْ ، آوَازِ وِي بِلِنْدْتِرِينْ
آهَنْگِ وِي پِرْ خُوَشْتِرِينْ ، نَاڤِ وِي (بَدِيعِ الزَّمَانْ)

لَمَّا انْتَهَى الْمُنْشِدُ عَنْ ذِكْرِ بَعْضِ السَّادَاتِ الْعِظَامِ ، وَالْعُلَمَاءِ الْكِرَامِ ، مِنْ أَسْلَافِ الْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ «بَدِيعِ الزَّمَانِ سَعِيدِ النُّورْسِيِّ» ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ أَجْمَعِينَ) ، شَرَعَ فِي الْبَحْثِ عَنْ أَوْصَافِهِ الْكَرِيمَةِ ، وَتَآلِيفِهِ الْقَيِّمَةِ ، وَخِدَمَاتِهِ الْجَلِيلَةِ ؛ فَقَالَ مُسْتَدْرِكاً : وَلٰكِنَّ الْبُلْبُلَ الْأَحْلَى لَهْجَةً ، وَالْأَعْلَى سَجْعَةً ، وَالْأَطْيَبَ نَغْمَةً ، اسْمُهُ «بَدِيعُ الزَّمَانِ» ؛ فَذَكَرَ بَعْضَ أَوْصَافِهِ ، بِقَوْلِهِ :

سَيْدَايِ نُورْسِي مَزِنْ ، بَدِيعِ كُرْدِي بِلِنْ
رَابُو ژِڤِي گَلِي بِبِنْ ؛ أَوْ إِمَامِ آخِرْ زَمَانْ

إِنَّهُ حَضْرَةُ الْأُسْتَاذِ النُّورْسِيِّ الْعَظِيمِ ، الْمُلَقَّبِ بِبَدِيعِ الزَّمَانِ الْكُرْدِيِّ ؛ وَظَهَرَ مِنْ هٰذَا

الْقَوْمِ الْأَصِيلِ ؛ وَهُوَ إِمَامُ آخِرِ الزَّمَانِ ؛ بِإِشَارَاتِ آيَاتِ الْقُرْآنِ ، وَبِدَلاَلَةِ الْكَرَامَاتِ الْعَلَوِيَّةِ الْغَيْبِيَّةِ فِي قَصِيدَتَيْهِ «الْأُرْجُوزَةِ وَالْجَلْجَلُوتِيَّةِ» ، وَبِالْكَرَامَاتِ الْغَوْثِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ الْجِيلاَنِيَّةِ ؛ وَإِنَّهُ الْعَلاَّمَةُ الْمُتَكَلِّمُ ، الْمُبَشَّرُ بِهِ مِنْ طَرَفِ الْأَوْلِيَاءِ الْعِظَامِ ، الَّذِي يُثْبِتُ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ ، بِكَمَالِ الْوُضُوحِ ، بِأَنْوَاعِ الْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ ، وَمُؤَلِّفُ الْأَنْوَارِ الْقُرْآنِيَّةِ ، الْمُسَمَّاةِ : «بِكُلِّيَّاتِ رَسَائِلِ النُّورِ الْمِئَةِ وَالثَّلاَثِينَ» . .

لِچِيَاي تَه ذُكْرِيَا ؛ دِخُوَنْدِي دَحْلُ ودَقِيَا
كُلِيلْكْ وبِشْكُوفْ وكِيَا ؛ دِبُومِينَا بَحْرَا عُمَانْ

إِنَّهُ كَانَ يَسِيحُ بِجِبَالِكَ يَا مَوْطِنَ النُّورِ ! فَيَتْلُو مَا فِيهَا مِنَ الْآيَاتِ التَّكْوِينِيَّةِ مِثْلِ الْغَابِ وَالْأَيْكِ ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَزْهَارِ وَالْأَكْمَامِ وَالنَّبَاتِ ؛ فَيَمْتَلِئُ قَلْبُهُ وَعَقْلُهُ نُوراً وَمَعْرِفَةً ؛ فَيُصْبِحُ مِثْلَ بَحْرٍ عَمَّانٍ . .

هِشُ ودِلِ وِي پِيلْ دِدَا ؛ سَرْ بَآسِمَانْ هِلْدِدَا
أَزْمَانِ وِي شَمَالْ دِدَا ؛ رُونِي دِكِرْ وِي اَقْ جِهَانْ

وَكَانَ يَتَمَوَّجُ عَقْلُهُ وَقَلْبُهُ بِتِلْكَ الْأَنْوَارِ وَالْمَعَارِفِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ الْعَالِيَةِ ؛ فَيُكْمِلُ دُرُوسَهُ الْأَرْضِيَّةَ ، بِدُرُوسٍ نَيِّرَةٍ سَمَاوِيَّةٍ ، مِنْ كَلِمَاتِهَا النَّاطِقَةِ وَالْمُتَلأْلِئَةِ بِالشُّمُوسِ وَالنُّجُومِ وَالْأَقْمَارِ ؛ فَيُشْرِقُ لِسَانُهُ الْمُبَارَكُ بِأَنْوَارِ الْإِيمَانِ ؛ فَيُنِيرُ بِهَا هٰذَا الْعَالَمَ . .

وِي چِيَايِ تَه پِرْ دِقَا ؛ بُهُسْتُ وكَاڤْ وِي دِپِيقَا
بِعَالَمَا إِسْلاَمِي قَا ؛ دِيتْ دِخُوِيِي ژْهَرْ آلِيَانْ

إِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ جِبَالَكَ كَثِيراً لِاحْتِوَائِهَا عَلَى الْآيَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ فَيَقِيسُهَا شِبْراً وَخُطْوَةً ؛ فَشَاهَدَ أَنَّهَا تُشَاهِدُ لِعَالَمِ الْإِسْلاَمِ مِنْ كُلِّ الْجَوَانِبِ ؛ فَإِنَّ جَنُوبَهَا بِلاَدُ الْعَرَبِ ؛ وَشَمَالَهَا قَفْقَاسِيَا وَتُرْكِسْتَانُ ؛ وَشَرْقَهَا الْهِنْدُ وَإِيرَانُ ؛ وَغَرْبَهَا الْأَنَاضُولُ . .

لَوْرَا وِي خُوَاسْتْ چِيَايِ تَه بَالاَبِكَه وَكْ پَرْوِينَا
مَدْرَسَه يَا زَهْرَائِيَه آقَابِكَه لِشَهْرِ «وَانْ»

فَلِأَجْلِ أَنَّ تِلْكَ الْجِبَالَ النُّورِيَّةَ تُشَكِّلُ مَرْكَزاً جُغْرَافِيّاً لِعَالَمِ الْإِسْلَامِ ، أَرَادَ إِمَامُ النُّورِ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) ، أَنْ يُشَيِّدَهَا مِثْلَ الثُّرَيَّا مُتَلَأْلِئَةً بِأَنْوَارِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَنْ يَعْمُرَ فِيهَا «الْمَدْرَسَةَ الزَّهْرَاءَ» ، أُخْتَ «الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ» ؛ وَيَبْنِيَهَا بِمَدِينَةِ «وَانْ» الَّتِي هِيَ مَرْكَزُ بِلَادِ كُرْدِسْتَانَ . .

لِي جَنْگَا جِهَانَا بَرِينْ نَدَايَه وِي فَسَالاهَانْ

سِه سَالْ هِيسِيرْ مَالْنَاقْ أُورُسْ بَرْكَنَارِ جَمِ قُولْغَانْ

وَلٰكِنْ ـ يَا لَلْأَسَفِ ! ـ لَمْ تَسْمَحْ لَهُ الْحَرْبُ الْعَالَمِيَّةُ الْأُولَى ، بِهٰذِهِ الْفُرْصَةِ السَّانِحَةِ ؛ بَلْ شَارَكَ الْإِمَامُ الْمُجَاهِدُ ، وَتَلَامِذَتُهُ الْبَوَاسِلُ ، فِي الْجِهَادِ ضِدَّ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ ؛ فَاضْطُرَّتْ تِلْكَ الْفِرْقَةُ الْمُؤْمِنَةُ الْمُجَاهِدَةُ ، لِلْمُقَاوَمَةِ فِي وَجْهِ الْجُيُوشِ الْكَافِرَةِ الْغَادِرَةِ ، لِأَجْلِ الدِّفَاعِ عَنْ مَدِينَةِ «بِتْلِيسَ» الْمُسْلِمَةِ ، لِإِنْقَاذِ الْأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْكُهُولِ الْمُسْلِمِينَ الرَّاحِلِينَ ؛ فَاسْتُشْهِدَ جَمِيعُ مَنْ مَعَهُ مِنْ عُصْبَةِ مَلَائِكَةِ الْمَدَارِسِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِهُجُومِ جَيْشِ الْعَدُوِّ عَلَيْهِمْ ـ هَزَمَ اللهُ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ جَمِيعَهُمْ ـ فَأُسِرَ الْإِمَامُ الْمُجَاهِدُ ، وَهُوَ مَكْسُورُ الْقَدَمِ وَمَحْصُورٌ فِي الْمَاءِ ثَلَاثِينَ سَاعَةً ، مُصَاباً بِثَلَاثِ رَصَاصَاتٍ حَمَتْهُ الْعِنَايَةُ الْإِلٰهِيَّةُ عَنْهَا ؛ فَأُرْسِلَ أَسِيراً إِلَى (بَاكُو) أَوَّلاً ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى (قُوسْتُرْمَا) فِي (سِيبِيرْيَا) ؛ فَبَقِيَ فِي ذٰلِكَ الْأَسْرِ الْقَاسِي نَحْوَ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ ، حَتَّى أَنْجَاهُ اللهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ ، عَلَى وَجْهٍ خَارِقٍ ؛ فَعَادَ الْإِمَامُ إِلَى وَطَنِ الْإِسْلَامِ الْمُقَدَّسِ ، وَهُوَ مُحْتَلٌّ بَعْدُ مِنْ جَانِبِ الْأَعْدَاءِ ؛ فَجَاهَدَ ضِدَّهُمْ فِي «إِسْطَنْبُولَ» بِلِسَانِهِ وَقَلَمِهِ وَبِتَشْجِيعِهِ لِلْمُسْلِمِينَ ، عَلَى الْمُقَاوَمَةِ ضِدَّ أَعْدَاءِ الدِّينِ الْمُبِينِ ، حَتَّى أَتَاهُمُ اللهُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ وَالْفَتْحِ الْمُبِينِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ . .

پِشْتِي رِهَابُو هَاتْ وَلَاتْ ؛ دِيسَا دَسْتْ آفِيتَه خَبَاتْ

لِي فِتْنَا سُفْيَانْ سَرْ دَاهَاتْ ؛ نَدَاوِي فِرْصَتُ وأَمَانْ

وَبَعْدَمَا نَجَا مِنَ الْأَسْرِ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى ؛ وَعَادَ إِلَى وَطَنِ الْإِسْلَامِ ؛ شَرَعَ أَيْضاً فِي الْعَمَلِ لِتَأْسِيسِ «الْمَدْرَسَةِ الزَّهْرَاءِ» ، وَلِتَنْوِيرِ تِلْكَ الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ بِأَنْوَارِ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، لِتَصِيرَ مَرْكَزاً عِلْمِيّاً تَجْتَمِعُ فِيهَا أَبْنَاءُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ ؛ وَلٰكِنْ دَاهَمَتْ

فِتْنَةُ السُّفْيَانِيِّ ، بِلَادَ الْإِسْلَامِ عَامَّةً ، وَحُكُومَةَ الْخِلَافَةِ وَمَرْكَزَهَا خَاصَّةً ؛ فَلَمْ تَتْرُكِ الْفُرْصَةَ لِلْإِمَامِ الْجَلِيلِ ، فِي ذٰلِكَ الْعَمَلِ الِاجْتِمَاعِيِّ الْعَظِيمِ ؛ فَوَقَعَ عَالَمُ الْإِسْلَامِ ، فِي غَيَاهِبِ فِتَنِ آخِرِ الزَّمَانِ ؛ وَلَمْ يَنْجُ مِنْهَا بَعْدُ إِلَى الْآنِ . .

هَمْ فِتْنَه يَا دَجَّالِ گِرْ ، جِهَانْ هَزَانْدْ تَفْ دَا آگِرْ

أُسْتَادِ نُورْ رَابُو بِگَرٌّ ، دَاشُورِ إِعْجَازَا بَيَانْ

وَكَذٰلِكَ فِتْنَةُ الدَّجَّالِ الْكَبِيرِ ـ الَّذِي ظَهَرَ فِي عَالَمِ الْبَشَرِيَّةِ ؛ فَمَسَحَ الدِّيَانَةَ الْمَسِيحِيَّةَ وَالْحَضَارَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ ـ هَزَّتِ الْعَالَمَ وَأَوْقَدَتْهُ نَاراً ؛ فَعِنْدَئِذٍ تَرَكَ إِمَامُ آخِرِ الزَّمَانِ ، الْأَعْمَالَ الِاجْتِمَاعِيَّةَ وَالْحَيَاةَ السِّيَاسِيَّةَ ؛ فَانْتَصَبَ غَاضِباً ضِدَّ ذَيْنِكَ التَّيَّارَيْنِ الْمُلْحِدَيْنِ ؛ فَشَهَرَ سَيْفَ إِعْجَازِ الْبَيَانِ ، مِنْ مَصْنَعِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ وَبَاشَرَ الْجِهَادَ الْمَعْنَوِيَّ بِأَمْرِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ، (ﷺ) . .

أَوْ بِيسْتُ وسِه سَالْ خَبِتِي ؛ بِشَقْ بِرُوژْ نَتَبِتِي

بَرْلَهِي نَشَمِتِي ، چِيكِرْ أَوِي سَدَّا قُرْآنْ

فَاجْتَهَدَ الْإِمَامُ الْقَائِمُ ، ثَلَاثاً وَعِشْرِينَ عَاماً ، بِتَوْفِيقِ اللهِ تَعَالَىٰ ، فِي تَأْلِيفِ «كُلِّيَّاتِ رَسَالَةِ النُّورِ» ، ذٰلِكَ السَّيْفِ الْقُرْآنِيِّ الْمُعْجِزِ ، مِنْ سَنَةِ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ وَوَاحِدَةٍ وَأَرْبَعِينَ ، إِلَىٰ سَنَةِ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ وَثَلَاثٍ وَسِتِّينَ هِجْرِيَّةً ؛ وَانْتَهَى بِرَحْمَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ ، مِنْ تَأْلِيفِهَا وَنَشْرِهَا بَيْنَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ؛ وَبَنَى السَّدَّ الْقُرْآنِيَّ ضِدَّ ذٰلِكَ السَّيْلِ الْإِلْحَادِيِّ ؛ وَحَصَّنَ قَلْعَةَ الْإِسْلَامِ ، دُونَ أَنْ يَتَسَلَّقَ أَمَامَ ذٰلِكَ السَّيْلِ الْجَارِفِ . . وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . .

مَدْرَسَه يَا زَهْرَائِيَه ، شَخْصِ وِي مَعْنَوِيَه

تَجَلِّي دَالْهَرْ آلِيَه ، هَرْجِي ژِيرابُو نُورْگَفَانْ

فَلَمْ تَظْهَرِ الْمَدْرَسَةُ الزَّهْرَاءُ الْمَادِّيَّةُ ؛ وَلٰكِنْ تَجَلَّى شَخْصُهَا الْمَعْنَوِيُّ فِي كُلِّ جَانِبٍ ؛ فَصَارَ كُلُّ مَكَانٍ حَارِساً نُورِيّاً ، يَحْرُسُ قَلْعَةَ الْإِيمَانِ ، عَنْ نَارِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ الدَّهْمَاءِ ؛ فَأُطْفِئَ قِسْمٌ كَبِيرٌ مِنْ ذٰلِكَ الْحَرِيقِ ؛ وَحُصِرَ الْقِسْمُ الْبَاقِي مِنْهُ ، بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَعَوْنِهِ . .

فَسَالْ نَدِي وَرْ بَالْ ته ڤَا ، حَيَا أَجَلْ هَاتْ ژْدَرْڤه ڤَا

گِهيشْته بَالْ رُحَايِ ڤَا ؛ وَفَاتْ كِرِي دِنَاڨْ نُورَانْ

فَأَقَامَ الْمُجَاهِدُ الْأَعْظَمُ حَارِساً عَلَى الثُّغُورِ فِي بِلَادِ الْأَنَادُولِ ، مَعَ الْجَمَاعَةِ الْمُجَاهِدَةِ مِنْ تَلَامِذَةِ النُّورِ ؛ فَدَامَتِ الْمَعَارِكُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ ، فِي قَاعَاتِ الْمَحَاكِمِ ، وَفِي زِنْزَانَاتِ الْمَحَابِسِ ؛ وَكَانَتِ الْحَرْبُ سِجَالاً ؛ فَأَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ؛ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ؛ فَظَهَرَ الْحَقُّ ؛ وَجَاءَ الْفَتْحُ الْمُبِينُ وَالنَّصْرُ الْعَزِيزُ . . وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . . فَلِذٰلِكَ لَمْ يَسْتَطِعِ الْمُجَاهِدُ الْأَعْظَمُ ، أَنْ يَعُودَ إِلَى مَوْطِنِ النُّورِ ؛ وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً ، خِلَالَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً كَامِلَةً ؛ حَتَّى اقْتَرَبَ الْأَجَلُ الْمَوْعُودُ ؛ فَعَادَ إِلَى مَوْطِنِ النُّورِ ؛ وَهُوَ فِي أَوَاخِرِ أَنْفَاسِ حَيَاتِهِ الْمُبَارَكَةِ ؛ فَوَصَلَ إِلَى مَدِينَةِ «رُحَا» الْخَلِيلِيَّةِ ؛ فَتُوُفِّيَ بَيْنَ الْأَنْوَارِ ، لَيْلَةَ الْقَدْرِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ ، سَنَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ وَتِسْعٍ وَسَبْعِينَ ، (رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ رَحْمَةً وَاسِعَةً ؛ وَرَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ؛ وَجَزَاهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرَ الْجَزَاءِ) ؛ آمِينَ . .

لِي مِزْگِينِيكِي دَايَه ته ، نُورِينْ وَرِنْ إِمْدَادَاته

آيَتَا ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ فَرْمَانْ دِدَهْ ژْبُونَا كُرْدَانْ

وَلٰكِنَّ الْإِمَامَ الْمُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَالْمُرَابِطَ عَلَى ثُغُورِ الْإِسْلَامِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ عَاماً ؛ وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَتْرُكَ الثُّغُورَ ؛ فَيَرْجِعَ إِلَى مَوْطِنِ النُّورِ ، إِلَّا أَنَّهُ بَشَّرَهُ بِأَنَّ الْأَنْوَارَ الْقُرْآنِيَّةَ سَتُمِدُّ الْوِلَايَاتِ الشَّرْقِيَّةَ الَّتِي هِيَ مَوْطِنُ النُّورِ ؛ وَتُنْقِذُهُمْ عَنِ الظُّلْمِ وَالظُّلُمَاتِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ ، بِإِشَارَاتِ آيَةِ : ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ﴾ . .

عَالِمْ وِپِيشْوَارِته ، پَرِيشَانِنْ وَكْ حَالِ ته

دِي دَرْسْ بِدَه بْزِمَانِ ته ؛ اَڤْ رَمْزَه دَا آيَتَاهَانْ

فَإِنَّ عُلَمَاءَهُمْ وَهُدَاتَهُمْ ضَائِعُونَ وَمُتَشَتِّتُونَ تَشَتُّتَ أَحْوَالِ بِلَادِهِمْ ؛ كَمَا أَنَّهُمْ لَا يُحْسِنُونَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ وَالتُّرْكِيَّةَ ؛ فَتَرْمُزُ هٰذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ ، إِلَى أَنَّ الْأَنْوَارَ الْقُرْآنِيَّةَ سَتُدَرِّسُهُمْ بِلِسَانِهِمْ ؛ وَلٰكِنْ لَمْ يُؤْذَنْ لِإِمَامِ النُّورِ ، بِإِيضَاحِ هٰذَا الرَّمْزِ الْقُرْآنِيِّ ، لِأَسْبَابٍ مَانِعَةٍ عَنْهُ ؛ فَبَقِيَ ذٰلِكَ

الرَّمْزُ مُجْمَلاً كَمَا هُوَ ، مَعَ الْأَسَفِ(١) ؛ وَلٰكِنَّ فِي الْقِصَّةِ حِصَّةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ؛ وَاللهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ ؛ وَبِالْإِجَابَةِ حَقِيقٌ . .

أَيْ كِيلِكِي چِلُ وچَارَانْ ژِمرِيِنْ گُنَهْكَارَانْ !

بِكَفَه نَاقْ تَوْبَه دَارَانْ ؛ خُوَه بِدَه بِنْ سِيِيَا نُورَانْ

وَأَخِيراً يُخَاطِبُ الْمُنْشِدُ الْفَقِيرُ ، شَخْصَهُ الْحَقِيرَ ، مُنَادِياً لَهُ : أَيُّهَا الْحَجَرُ الشَّاهِدُ لِقَبْرِ الْأَرْبَعِ وَالْأَرْبَعِينَ مِنَ الْأَمْوَاتِ الْآثِمِينَ !(٢) اُدْخُلْ بَيْنَ التَّائِبِينَ مِنْ تَلَامِذَةِ النُّورِ الصَّادِقِينَ ، وَتَحْتَ ظِلِّ أَنْوَارِ الْقُرْآنِ الْمُبِينِ ؛ وَاسْتَظِلَّ بِظِلَالِهَا ؛ لِتَنْجُوَ بِبَرَكَتِهَا وَبَرَكَةِ أُولَائِكَ الصَّادِقِينَ الصَّالِحِينَ . .

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۞ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ . . وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ . . وَتَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۞﴾ ؛ آمِينَ آمِينَ . .

مُحَمَّدٌ زَاهِدُ الْمَلَازْكَرْدِيُّ ، (رحمه الله) . .

عَرَمُونَ ـ أَزْهَرَ لُبْنَانَ . .

---

(١) وَهٰذَا الرَّمْزُ الْقُرْآنِيُّ الْمُبَشِّرُ ، مَذْكُورٌ فِي آخِرِ بَيَانِ الْآيَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشُّعَاعِ الْأَوَّلِ ، الدَّائِرِ حَوْلَ إِشَارَاتِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ، إِلَى قِيمَةِ الرَّسَائِلِ النُّورِيَّةِ . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (رحمه الله) . .

(٢) لِأَنَّ كُلَّ سَنَةٍ يَمُوتُ فِيهَا شَخْصٌ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ ؛ فَيَزْدَادُ عَدَدُ الْأَمْوَاتِ بِعَدَدِ الْأَعْوَامِ ؛ وَكَانَ هٰذَا الْمُتَرْجِمُ الْفَقِيرُ حِينَئِذٍ ، عَلَى رَأْسِ الْغُصْنِ الرَّابِعِ وَالْأَرْبَعِينَ مِنْ شَجَرَةِ عُمْرِهِ ؛ فَيَكُونُ جِسْمُهُ الْقَائِمُ شَاهِدَ قَبْرِ الْأَمْوَاتِ الْأَرْبَعِ وَالْأَرْبَعِينَ ؛ وَهٰذَا الْمَعْنَى مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِ إِمَامِ النُّورِ ، فِي فِقْرَةِ «الدَّاعِي» الْمَشْهُورِ . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (رحمه الله) . .

كَلِمَةُ نِهَايَةٍ ، وَتَحْدِيثُ نِعْمَةٍ :

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ . .

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ . .

قَالَ الْمُتَرْجِمُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ الْغَنِيِّ الْقَدِيرِ ، فِي آخِرِ مَجْمُوعَةِ «الْمَكْتُوبَاتِ» ، إِذِ انْتَهَى مِنْ تَرْجَمَةِ وَتَسْوِيدِ كُلِّيَّاتِ رِسَالَةِ النُّورِ الْأَرْبَعِ ؛ وَهِيَ «الْمَقَالَاتُ وَالْمَكْتُوبَاتُ وَاللَّمَعَاتُ وَالشُّعَاعَاتُ» ؛ قَالَ شَاكِراً وَمُتَحَدِّثاً بِنِعَمِهِ تَعَالَى : (هٰذَا آخِرُ مَا وَفَّقَنِيَ اللّٰهُ تَعَالَى لِتَرْجَمَتِهِ ، مِنْ مَجْمُوعَةِ الْمَكْتُوبَاتِ مِنْ كُلِّيَّاتِ رِسَالَةِ النُّورِ ، مِنَ اللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ الْمُؤَلَّفَةِ هِيَ بِهَا ، إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، لِسَانِ الرِّسَالَةِ وَلُغَتِهَا ؛ وَكُنْتُ قَدْ شَرَعْتُ بِعَوْنِ اللّٰهِ تَعَالَى وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ سُبْحَانَهُ ، فِي تَرْجَمَةِ كُلِّيَّاتِ النُّورِ الْأَرْبَعِ ، بَادِئاً مِنْ يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ ، السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ الشَّرِيفِ ، مِنَ السَّنَةِ الْهِجْرِيَّةِ السَّادِسَةِ وَالتِّسْعِينَ وَالثَّلَاثِمِئَةِ وَالْأَلْفِ ، وَمِنَ الْيَوْمِ الْعِشْرِينَ مِنْ تِشْرِينَ الْأَوَّلِ ، مِنَ الْعَامِ الْمِيلَادِيِّ السَّادِسِ وَالسَّبْعِينَ وَالتِّسْعِمِئَةِ وَالْأَلْفِ ، وَمُنْتَهِياً مِنْهَا بِعِنَايَةِ اللّٰهِ تَعَالَى ، فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ، فِي السَّنَةِ الْهِجْرِيَّةِ الثَّامِنَةِ وَالتِّسْعِينَ وَالثَّلَاثِمِئَةِ وَالْأَلْفِ ، وَفِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ نَيْسَانَ الْمُبَارَكِ ، مِنَ الْعَامِ الْمِيلَادِيِّ الثَّامِنِ وَالسَّبْعِينَ وَالتِّسْعِمِئَةِ وَالْأَلْفِ ، فِي قَضَائِنَا الصَّغِيرَةِ الْمُسَمَّاةِ بِـ«كُوَپ» مِنْ وِلَايَةِ «مُوش» فِي بِلَادِ «كُرْدِسْتَانَ» حَرَسَهَا اللّٰهُ تَعَالَى ، مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ وَالظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ ؛ وَعَمَّرَهَا بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَأَنْوَارِ الْقُرْآنِ ، وَسَائِرَ بِلَادِ الْإِسْلَامِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ وَآخِرِ الزَّمَانِ ؛ آمِينَ أَلْفَ أَلْفِ آمِينَ ، بِحَقِّ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، وَبِجَاهِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . .

اَللّٰهُمَّ رَبَّنَا ! لَكَ الْحَمْدُ حَتّٰى تَرْضٰى عَنَّا بِفَضْلِكَ ؛ سُبْحَانَكَ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ؛ كَمَا أَثْنَيْتَ أَنْتَ عَلٰى نَفْسِكَ ؛ فَوَفِّقْنَا لِمَا أَحْبَبْتَ وَارْتَضَيْتَ ؛ كَمَا وَفَّقْتَنَا لِمَا أَرَدْتَ وَقَضَيْتَ ؛ وَوَفَّقْنَا اللّٰهُمَّ ! لِتَصْحِيحِ مَا تَرْجَمْنَاهُ مِنْ كُلِّيَّاتِ رِسَالَةِ النُّورِ ؛ كَمَا نَسْأَلُكَ أَنْ تُوَفِّقَنَا وَتُسَهِّلَ عَلَيْنَا طَبْعَهَا وَنَشْرَهَا بِكَمَالِ الرَّوَاجِ بَيْنَ عَالَمِ الْإِسْلَامِ(١) ؛ وَأَنْ تَجْعَلَ الْمُسْلِمِينَ كَافَّةً ، وَعُلَمَاءَ الْأُمَّةِ خَاصَّةً ، مُسْتَفِيدِينَ مِنْ هٰذِهِ الْأَنْوَارِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَسْرَارِ الْإِيمَانِيَّةِ ، الَّتِي أَحْسَنْتَ بِهَا عَلٰى قَلْبِ الْإِمَامِ الْفَاضِلِ وَالْمُرْشِدِ الْكَامِلِ ، وَالْمُجَاهِدِ الْعَظِيمِ وَالْمُجَدِّدِ الْكَرِيمِ ، الْإِمَامِ الْجَلِيلِ وَالْعَلَّامَةِ الشَّهِيرِ ، مَوْلَانَا «بَدِيعِ الزَّمَانِ سَعِيدِ النُّورْسِيِّ» ، (رضي الله تعالى عنه) ، الَّذِي جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، ثَمَانِينَ عَاماً مِنْ عُمُرِهِ الْمُبَارَكِ ؛ وَحَارَبَ الْإِلْحَادَ وَالْكُفْرَ الْمُطْلَقَ وَالزَّنْدَقَةَ ، بِبَرَاهِينَ نَاصِعَةٍ وَدَلَائِلَ قَاطِعَةٍ ؛ وَدَافَعَ عَنْ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ ، وَحَقَّانِيَّةِ دِينِ الْإِسْلَامِ ، بِرَدِّ الشُّبَهِ وَالْأَوْهَامِ الْوَارِدَةِ عَلَيْهَا مِنْ قِبَلِ الزَّنَادِقَةِ وَالْمُلْحِدِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ؛ وَأَظْهَرَ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ بِالْوُجُوهِ الْأَرْبَعِينَ ؛ وَأَثْبَتَ كَوْنَهُ كَلَامَ اللهِ الْحَقِّ إِزَاءَ الْمُنْكِرِينَ ؛ وَأَوْضَحَ أَدَقَّ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَأَوْسَعَهَا وَأَعْلَاهَا ، لِكُلِّ الطَّبَقَاتِ مِنْ أَدْنَى الْعَوَامِّ إِلٰى أَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ ، وَأَعْظَمِ الْأَوْلِيَاءِ الْكَامِلِينَ ، حَتَّى الْفَلَاسِفَةِ الضَّالِّينَ وَالْمُلْحِدِينَ . .

اَللّٰهُمَّ ! أَعْلِ عِنْدَكَ دَرَجَتَهُ ؛ وَأَتْمِمْ فِي النَّاسِ دَعْوَتَهُ ، وَوَفِّقْ لِلْخَيْرِ جَمَاعَتَهُ ؛ وَوَفِّقْهُمْ بِكَمَالِ الْإِخْلَاصِ وَالثَّبَاتِ وَالدَّوَامِ ، فِي نَشْرِ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ ، وَتَعْمِيمِ أَنْوَارِ الْقُرْآنِ ؛ وَفَرِّقْ بِهِمْ ظُلُمَاتِ آخِرِ الزَّمَانِ ؛ وَأَلِّفْ قُلُوبَ الْعَالَمِينَ جَمِيعَهَا عَلٰى رَسَائِلِ النُّورِ ؛ وَأَعْطِهَا الْقَبُولَ الْأَتَمَّ مَا دَامَ الْأَزْهَرَانِ ؛ آمِينَ أَلْفَ أَلْفِ آمِينَ ، بِحَقِّ اسْمِكَ الْأَعْظَمِ ، وَبِحُرْمَةِ فُرْقَانِكَ الْأَحْكَمِ ، وَبِجَاهِ رَسُولِكَ الْأَكْرَمِ ، عَلَيْهِ وَعَلٰى إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَعَلٰى آلِهِ الطَّيِّبِينَ وَأَصْحَابِهِ

---

(١) وَقَدْ تَقَبَّلَ اللهُ تَعَالٰى بِرَحْمَتِهِ وَعِنَايَتِهِ ، دُعَاءَ هٰذَا الْعَبْدِ الْفَقِيرِ الْعَاجِزِ ؛ فَوَفَّقَهُ بِإِحْسَانِهِ ، بَعْدَ سَبْعِ سَنَوَاتٍ ، لِتَصْحِيحِ وَتَبْيِيضِ هٰؤُلَاءِ الْكُلِّيَّاتِ الْأَرْبَعِ ، وَلِطَبْعِ وَنَشْرِ الثَّلَاثِ الْأُولٰى بِنَوْعٍ مِنَ الرَّوَاجِ ، بَيْنَ الْوَحْدَةِ وَالْغُرْبَةِ وَالْحُرُوبِ اللُّبْنَانِيَّةِ ؛ فَلَهُ الْحَمْدُ حَتّٰى يَرْضٰى ؛ وَنَرْجُو مِنْ بَابِ رَحْمَتِهِ ، زِيَادَةَ التَّوْفِيقِ وَدَوَامَهُ ، إِلٰى مَا شَاءَ اللهُ ؛ إِنَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ ، وَبِالْإِجَابَةِ حَقِيقٌ . . الْمُتَرْجِمُ الْفَقِيرُ ، (عفا الله عنه) . .

الطَّاهِرِينَ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ، صَلَوَاتُكَ وَتَسْلِيمَاتُكَ ، وَرَحْمَتُكَ وَبَرَكَاتُكَ ، أَبَدَ الْآبِدِينَ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . .

وَالْآنَ أَقُولُ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَىٰ ، إِذِ انْتَهَيْتُ بِتَوْفِيقِهِ وَلُطْفِهِ سُبْحَانَهُ ، مِنْ تَبْيِيضِ وَتَصْحِيحِ مَا وَفَّقَنِي اللهُ تَعَالَىٰ بِرَحْمَتِهِ ، لِتَرْجَمَتِهِ قَبْلَ سَبْعِ سَنَوَاتٍ ، مِنْ «كُلِّيَّاتِ رِسَالَةِ النُّورِ» الْأَرْبَعِ : (الْمَقَالَاتِ وَالْمَكْتُوبَاتِ وَاللَّمَعَاتِ وَالشُّعَاعَاتِ) ، أَقُولُ : لَمَّا وَفَّقَنِي اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، بِمَحْضِ لُطْفِهِ وَكَرَمِهِ ، لِإِتْمَامِ تَرْجَمَةِ وَتَسْوِيدِ تِلْكَ الْكُلِّيَّاتِ النُّورِيَّةِ الْأَرْبَعِ الْمَذْكُورَةِ ، فِي بِلَادِنَا «كُرْدِسْتَانَ» ، بِلَادِ الْفَقْرِ وَالْحِرْمَانِ ــ أَغْدَقَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ أَهْلِهَا ، بِسَوَابِغِ النِّعَمِ وَأَنْوَارِ الْقُرْآنِ ؛ وَصَانَهَا مِنَ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَالْإِلْحَادِ وَالطُّغْيَانِ ؛ آمِينَ ــ سَاقَنِي الْقَدَرُ الْإِلٰهِيُّ وَاللُّطْفُ الرَّبَّانِيُّ ، لِلسَّفَرِ إِلَى الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ ، لِتَصْحِيحِ وَطَبْعِ تِلْكَ الْأَنْوَارِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَلِنَشْرِ تِلْكَ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ، بَيْنَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ فَأَتَيْتُ إِلَىٰ قُطْرِ لُبْنَانَ الْمَحْرُومِ عَنِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ ، وَالْمُتَمَوِّجِ بِفِتَنِ آخِرِ الزَّمَانِ ــ أَعَادَ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهِ الِاسْتِقْرَارَ وَالِاطْمِئْنَانَ ، تَحْتَ ظِلِّ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْإِيمَانِ ؛ آمِينَ ــ فَآوَتْنِي مَدْرَسَةُ أَزْهَرِ لُبْنَانَ ، أَفَاضَ اللهُ عَلَيْهَا بَرَكَاتِ عُلُومِ الْإِسْلَامِ وَأَنْوَارِ الْقُرْآنِ ؛ آمِينَ ؛ وَذٰلِكَ بِرِعَايَةِ سَمَاحَةِ مُفْتِي دِيَارِ لُبْنَانَ ، الْعَالِمِ الْجَلِيلِ مَوْلَانَا «الشَّيْخِ حَسَنِ خَالِدٍ» ، أَمَدَّهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِعِنَايَتِهِ ؛ وَنَفَعَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ بِعُلُومِهِ وَطُولِ حَيَاتِهِ ؛ آمِينَ(١) ، وَمَعَ صَدَاقَةِ الْأَخِ الْكَرِيمِ وَالصَّدِيقِ الْحَمِيمِ ، فَضِيلَةِ الشَّيْخِ «خَلِيلِ الْمَيِّسِ» مُدِيرِ أَزْهَرِ لُبْنَانَ ، وَمُفْتِي الْبِقَاعِ الْآنَ ؛ وَفَّقَهُ الْمَوْلَىٰ عَزَّ وَجَلَّ ، لِخِدْمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَلِنَشْرِ عُلُومِ الْإِسْلَامِ(٢) ؛ وَوَفَّقَ أُسْرَةَ الْأَزْهَرِ مَعَ كُلِّيَّةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، أَسَاتِذَةً وَتَلَامِذَةً ، لِنَشْرِ الْعِلْمِ

---

(١) نَعَمْ : لَقَدْ شَرَّفَ الْأُسْتَاذُ الْكَبِيرُ ، الْعَلَّامَةُ الْمَلَّا مُحَمَّدُ زَاهِدُ الْمَلَازْكِرْدِيُّ ، أَزْهَرَ لُبْنَانَ ؛ وَنَزَلَ فِيهِ ؛ وَأَفَاضَ عَلَيْهِ مِنْ بَرَكَاتِ عِلْمِهِ وَفَضْلِهِ . وَقَدْ سُعِدْنَا بِلِقَائِهِ وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْ عِلْمِهِ ؛ وَكَانَ ذٰلِكَ فِي الْفَتْرَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا هُوَ ــ حَفِظَهُ اللهُ ؛ وَأَطَالَ عُمُرَهُ ؛ وَوَفَّقَهُ فِي نَشْرِ الْأَنْوَارِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَالْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ آمِينَ ــ . .(*) الشَّيْخُ حَسَنُ خَالِدُ مُفْتِي الْجُمْهُورِيَّةِ . أَمَدَّهُ اللهُ بِعِنَايَتِهِ . .

(٢) نَعَمْ : سَيَذْكُرُ أَزْهَرُ لُبْنَانَ ، فَضِيلَةَ الْعَلَّامَةِ الْمَلَّا مُحَمَّدٍ زَاهِدٍ الْمَلَازْكِرْدِيِّ ، حَيْثُ أَمْضَى سَنَوَاتٍ =

وَالدِّينِ وَالْفَضِيلَةِ بَيْنَ أَهْلِ الإِسْلاَمِ، آمِينَ بِجَاهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ..

وَإِنِّي، مُنْذُ أَوَائِلِ السَّنَةِ الْأُولَىٰ مِنَ الْقَرْنِ الْخَامِسَ عَشَرَ الْهِجْرِيِّ إِلَىٰ الْآنِ – أَيْ إِلَىٰ أَوَاسِطِ السَّنَةِ الْهِجْرِيَّةِ السَّادِسَةِ وَالْأَرْبَعِمِئَةِ وَالْأَلْفِ، وَإِلَىٰ أَوَائِلِ الْعَامِ الْمِيلَادِيِّ السَّادِسِ وَالثَّمَانِينَ وَالتِّسْعِمِئَةِ وَالْأَلْفِ – لَمْ أَزَلْ مُقِيماً بِمَبْنَىٰ أَزْهَرِ لُبْنَانَ عَلَىٰ طَرِيقِ عَرَمُونَ، وَمُعْتَكِفاً بِتَوْفِيقِهِ تَعَالَىٰ، عَلَىٰ تَصْحِيحِ وَتَبْيِيضِ أَنْوَارِ الْقُرْآنِ، الْمُسَمَّاةِ بِرَسَائِلِ النُّورِ، وَعَلَىٰ طَبْعِهَا وَنَشْرِهَا بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَىٰ.. وَكَمْ عَصَفَتْ بِنَا، وَبِأَهْلِ هٰذَا الْبَلَدِ الْفَقِيرِ الْبَائِسِ، عَبْرَ هٰذِهِ السَّنَوَاتِ السِّتِّ، حُرُوبٌ وَفِتَنٌ وَعَوَاصِفُ هِيَ مِنْ فِتَنِ آخِرِ الزَّمَانِ؛ وَلٰكِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ حَفِظَنَا وَالْأَنْوَارَ الْقُرْآنِيَّةَ، بِعِنَايَتِهِ السَّرْمَدِيَّةِ، وَرَحْمَتِهِ الصَّمَدَانِيَّةِ؛ وَوَفَّقَنَا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ، بَيْنَ تِلْكَ الْأَمْوَاجِ الْهَائِجَةِ، لِإِتْمَامِ تَصْحِيحِ وَتَبْيِيضِ تِلْكَ الْكُلِّيَّاتِ النُّورِيَّةِ، مَعَ طَبْعِ وَنَشْرِ الْمَجْمُوعَاتِ الثَّلَاثِ الْأُولَىٰ: (الْمَقَالَاتِ الْكُبْرَىٰ وَالْمَكْتُوبَاتِ وَاللَّمَعَاتِ)؛ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ إِنْعَامِهِ وَإِحْسَانِهِ..

= فِي رِحَابِهِ، مَعَ رَسَائِلِ النُّورِ: يُتَرْجِمُهَا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ تَبْيِيضاً وَتَصْحِيحاً؛ وَكَانَ جُزْءاً لَا يَتَجَزَّأُ مِنْهَا؛ يَتَمَثَّلُهَا فِي حَيَاتِهِ مُنْقَطِعاً عَنْ كُلِّ مَا حَوْلَهُ؛ لِيَفْرُغَ لَهَا؛ يَقُومُ اللَّيْلَ؛ وَيَصُومُ النَّهَارَ؛ لِتَكُونَ حُرُوفُهَا كَأَحْوَالِ «الْإِمَامِ بَدِيعِ الزَّمَانِ سَعِيدِ النُّورْسِيِّ» (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، حَيْثُ كَانَ يُؤَلِّفُ تِلْكَ الرَّسَائِلَ النُّورِيَّةَ؛ وَمَعَ كُلٍّ مِنْهَا حَالٌ تَخْتَلِفُ عَنِ الْأُخْرَىٰ؛ وَتَتَّحِدُ فِي دَوَامِ الْقُرْبِ وَالتَّقَرُّبِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ..(*)

وَاللهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.. اَلشَّيْخُ خَلِيلُ الْمَيْسُ مُفْتِي الْبِقَاعِ. حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِلُطْفِهِ..

(*) اِعْتِذَارٌ: إِنِّي بِاعْتِبَارِ شَخْصِيَ الْفَقِيرِ الْعَاجِزِ، لَسْتُ لَائِقاً قَطُّ بِهٰذِهِ الْأَوْصَافِ الْعَالِيَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا سَمَاحَةُ مُفْتِي الْجُمْهُورِيَّةِ، وَسَمَاحَةُ مُفْتِي الْبِقَاعِ؛ وَلَمْ أَسْتَطِعْ نَقْضَ خَاطِرَيْهِمَا الشَّرِيفَيْنِ؛ فَقَبِلْتُهَا لِلشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ لِرَسَائِلِ النُّورِ، الَّذِي هُوَ الْمُجَاهِدُ الْأَعْظَمُ، وَالْمُجَدِّدُ الْأَكْبَرُ، وَعَلَّامَةُ آخِرِ الزَّمَانِ، الْمُلَقَّبُ بِبَدِيعِ الزَّمَانِ، بِاتِّفَاقِ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ..

اَلْفَقِيرُ إِلَىٰ رَحْمَةِ رَبِّهِ الْغَنِيِّ: مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلَازْكِرْدِيُّ، (رَحِمَهُ اللهُ)..

وَنَرْجُو مِنْ رَحْمَتِهِ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا فِي أَقْرَبِ الزَّمَانِ ، لِطَبْعِ مَجْمُوعَةِ الشُّعَاعَاتِ النُّورِيَّةِ كَأَخَوَاتِهَا السَّابِقَةِ ، وَلِتَصْحِيحِ وَتَنْظِيمِ سَائِرِ الْمَجْمُوعَاتِ النُّورِيَّةِ الْكُبْرَى وَالصُّغْرَى ، وَلِطَبْعِهَا وَنَشْرِهَا بِكَمَالِ الرَّوَاجِ بَيْنَ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ وَعَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ هٰؤُلَاءِ الْأَنْوَارَ الْقُرْآنِيَّةَ ، وَسِيلَةً لِدَفْعِ الْبَلَاءِ وَالْغَلَاءِ ، عَنْ هٰذَا الْبَلَدِ الصَّغِيرِ الَّذِي صَارَ بِعِنَايَةِ اللهِ تَعَالَى ، مَرْكَزاً لِنَشْرِ أَنْوَارِ الْقُرْآنِ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَهَا وَسِيلَةً أَيْضاً ، لِرَفْعِ مَا تَرَاكَمَ عَلَى عَالَمِ الْإِسْلَامِ ، مِنَ الظُّلُمَاتِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ ؛ آمِينَ ؛ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ؛ وَبِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ . .

وَلَقَدْ وَفَّقَنِيَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، بِرَحْمَتِهِ وَعِنَايَتِهِ ، وَبِتَوْفِيقِهِ وَهِدَايَتِهِ ، لِإِكْمَالِ تَبْيِيضِ وَتَصْحِيحِ مَجْمُوعَةِ «الشُّعَاعَاتِ» هٰذِهِ ، الَّتِي هِيَ الْحِصْنُ الْحَصِينُ لِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ ، ضِدَّ الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ وَالزَّنْدَقَةِ وَالطُّغْيَانِ ؛ وَالَّتِي هِيَ خُلَاصَاتُ تَفَاصِيلِ حَقَائِقِ رِسَالَةِ النُّورِ ؛ كَمَا أَنَّ أَكْثَرَهَا ثَمَرَاتُ السُّجُونِ وَالزِّنْزَانَاتِ ، أَوِ الْمَنَافِي الْقَاصِيَاتِ ، أَوْ دِفَاعَاتُ بَطَلِ النُّورِ فِي قَاعَاتِ الْمَحَاكِمِ الْقَاسِيَاتِ ؛ حَتَّى فَتَحَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ ، وَالنَّصْرِ الْعَزِيزِ ؛ ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . .

وَقَدْ وَافَقَ خِتَامُ تَبْيِيضِهَا بِرَحْمَتِهِ تَعَالَى ، يَوْمَ السَّبْتِ ، الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ، مِنَ السَّنَةِ الْهِجْرِيَّةِ السَّادِسَةِ وَالْأَرْبَعِمِئَةِ وَالْأَلْفِ ، وَالْيَوْمَ الْأَوَّلَ مِنْ شَهْرِ شُبَاطَ ، مِنَ الْعَامِ الْمِيلَادِيِّ السَّادِسِ وَالثَّمَانِينَ وَالتِّسْعِمِئَةِ وَالْأَلْفِ ، عَلَى يَدَيْ هٰذَا الْعَبْدِ الضَّعِيفِ الْفَقِيرِ ، وَالْوَحِيدِ الْغَرِيبِ ، مُحَمَّدٍ زَاهِدٍ ، ابْنِ الْمَلَّا عَبْدِ اللهِ ، ابْنِ الْمَلَّا قَاسِمٍ الْمَلَازْكَرْدِيِّ ، تَغَمَّدَهُمُ اللهُ بِغُفْرَانِهِ ؛ وَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِرِضْوَانِهِ ؛ آمِينَ آمِينَ . .

وَكَانَ دَوَامُ الْعَمَلِ لِتَصْحِيحِهَا ، فِي مَبْنَى أَزْهَرِ لُبْنَانَ ، عَمَرَهُ اللهُ بِالْأَحْبَابِ وَالْخُلَّانِ ، عَلَى طَرِيقِ عَرَمُونَ ، أَنْقَذَهُ الْمَوْلَى مِنْ رَيْبِ الْمَنُونِ ؛ إِذْ كُنْتُ غَرِيباً وَحِيداً فِي نَفْسِ الْمَبْنَى مُنْذُ سَنَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ ؛ وَلَيْسَ مَعِي أَنِيسٌ سِوَى رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى ، وَالِاشْتِغَالِ بِتَصْحِيحِ أَنْوَارِ الْقُرْآنِ ؛ وَأَنَا فِي غُرْفَةٍ صَغِيرَةٍ مُنْخَفِضَةٍ سَمَّاهَا بِالْقَبْرِ ، صَدِيقِي الْكَرِيمُ ، فَضِيلَةُ الشَّيْخِ خَلِيلِ الْمَيِّسِ ، حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى ؛ فَلِذٰلِكَ أَنْشَدْتُ فِي حَقِّ وَحْدَتِي وَغُرْبَتِي وَغُرْفَتِي قَائِلاً :

﴿ أَبِي أَزْهَرُ لِبْنَانَ ؛ وَأُمِّي غُرْفَةُ الْقَبْرِ ۞
مُعِينِي رَحْمَةُ الْبَارِي ؛ أَنِيسِي نِعْمَةُ الصَّبْرِ ﴾

اَللّٰهُمَّ رَبَّنَا ! لَكَ الْحَمْدُ وَالثَّنَاءُ ، مِلْءَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ بَعْدِ الْفَضَاءِ ، حَمْداً يَكُونُ لَكَ رِضَاءً ؛ وَلِحَقِّ الْعُبُودِيَّةِ أَدَاءً ؛ سُبْحَانَكَ مَا حَمِدْنَاكَ حَقَّ حَمْدِكَ ؛ وَلَا شَكَرْنَاكَ حَقَّ شُكْرِكَ ؛ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْمَحْمُودُ وَالْمَشْكُورُ بِأَلْسِنَةِ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِكَ وَبَدَائِعِ صَنَائِعِكَ ، وَبِدَلَالَاتِ آثَارِكَ وَأَفْعَالِكَ ، وَبِتَجَلِّيَاتِ أَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ ، وَبِإِعْلَانَاتِ جَمِيعِ صُحُفِكَ وَكُتُبِكَ ، وَبِأَلْسِنَةِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِكَ وَأَوْلِيَائِكَ وَأَصْفِيَائِكَ ، وَلَاسِيَّمَا قُرْآنِكَ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، وَحَبِيبِكَ ذِي الشَّأْنِ ، عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللهِ وَبَرَكَاتُ الرَّحْمٰنِ ، مِلْءَ الْكَوْنِ وَدَارِ الْجِنَانِ . .

اَللّٰهُمَّ ! إِنَّنَا ضُعَفَاءُ وَمُسْتَضْعَفُونَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ؛ فَهَبْ لَنَا صَبْراً مِنْ عِنْدِكَ ؛ وَاجْعَلْ مِنَّا أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِكَ . .

رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . .

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ . . وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . .

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ . .

اَللّٰهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقّاً وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ ؛ وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلاً وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ . .

اَللّٰهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ ، وَالْمُعَافَاةَ الدَّائِمَةَ ، فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، لَنَا وَلِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَإِخْوَانِنَا وَأَخَوَاتِنَا ، وَلِتَلَامِذَةِ رِسَالَةِ النُّورِ الصَّادِقِينَ ، وَلِأَحْبَابِنَا الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ ، وَلِإِمَامِنَا وَمَوْلَانَا الْعَلَّامَةِ الْمُجْتَهِدِ ، وَالْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ ، «بَدِيعِ الزَّمَانِ سَعِيدٍ النُّورْسِيِّ» ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) ، وَلِآبَائِهِ وَأُمَّهَاتِهِ ، وَإِخْوَانِهِ وَأَخَوَاتِهِ ، وَلِأَسَاتِيذِنَا وَمَشَايِخِنَا كَافَّةً ، وَلِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ عَامَّةً ؛ وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ ؛ وَارْضَ عَنَّا وَعَنْهُمْ أَبَداً ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ؛ وَارْحَمْنَا وَإِيَّاهُمْ ، وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ،

الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ ؛ آمِينَ ؛ اسْتَجِبْ دُعَاءَنَا بِرَحْمَتِكَ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ ، وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ ! إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ ! .

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ ، عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، الصَّادِقِ الْوَعْدِ الْأَمِينِ ، وَعَلَى آلِهِ الْأَتْقِيَاءِ الطَّاهِرِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الْأَصْفِيَاءِ الْكَامِلِينَ ، وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَعَلَى مَلَائِكَةِ اللهِ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ ؛ آمِينَ آمِينَ . .

الْحَمْدُ رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَلَهُ الْكِبْرِيَآءُ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ . .

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ . .

لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ { جُمَادَى الْآخِرَةَ / ٣ / ١٤٠٦ هـ . .
شُبَاط / ١٢ / ١٩٨٦ م . .

مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمُلَازْكِرْدِيُّ ، (عفا الله تعالى عنه) . .

عَرَمُونَ ــ أَزْهَرَ لُبْنَانَ الشَّاغِرَ . .

اَلْكَاشِفُ الْوَاضِحُ

لِمَجْمُوعَةِ الشُّعَاعَاتِ

تَصْنِيفُ الْمُتَرْجِم ، (رَحِمَهُ اللهُ) . .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

٥ اَلشُّعَاعُ الْأَوَّلُ : تَفْسِيرٌ إِشَارِيٌّ وَرَمْزِيٌّ ، بِقَوَاعِدَ مُنْضَبِطَةٍ ، مِنْ قَوَاعِدِ الْحِسَابِ الْأَبْجَدِيِّ وَالتَّوَافُقِ الْجَفْرِيِّ ، فِي بَيَانِ أَسْرَارٍ غَيْبِيَّةٍ ، لِثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ آيَةً قُرْآنِيَّةً ، أُلْهِمَتْ عَلَى قَلْبِ مُؤَلِّفِ النُّورِ – (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) – لِلدَّلَالَةِ وَالشَّهَادَةِ عَلَى الْقِيمَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ «لِكُلِّيَّاتِ رِسَالَةِ النُّورِ» ، بِحِسَابِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ لِأَنَّهَا بَرَاهِينُ قَاطِعَةٌ ، وَحُجَجٌ سَاطِعَةٌ ، وَدَلَائِلُ نَاصِعَةٌ ، لِلْحَقَائِقِ الْقُرْآنِيَّةِ ، فِي هٰذَا الْعَصْرِ الرَّهِيبِ الْمُنْكِرِ لِتِلْكَ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ . .

وَلَمْ يُدْرَجْ هٰذَا الشُّعَاعُ الْأَوَّلُ فِي هٰذِهِ الْمَجْمُوعَةِ النُّورِيَّةِ ، لِأَنَّهُ سَيُدْرَجُ فِي مَجْمُوعَةِ «سِكَّةِ التَّصْدِيقِ الْغَيْبِيِّ» ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى . .

٦ اَلشُّعَاعُ الثَّانِي : هُوَ الثَّمَرَةُ الْأَخِيرَةُ لِسِجْنِ (أَسْكِيشَهِر) ؛ وَهِيَ رِسَالَةٌ قَوِيَّةٌ وَقَيِّمَةٌ جِدًّا فِي نُقْطَةِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ ؛ تُفْهَمُ قِيمَتُهَا ، بِمُطَالَعَتِهَا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ بِالتَّأَمُّلِ وَالتَّأَنِّي ؛ وَتُنْقِذُ إِيمَانَ قَارِئِهَا ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى . . وَهٰذَا الشُّعَاعُ الثَّانِي الَّذِي هُوَ النُّكْتَةُ السَّابِعَةُ لِلنِّكَاتِ السِّتِّ الْأَسْمَائِيَّةِ ، ثَلَاثَةُ مَقَامَاتٍ . . اَلْمَقَامُ الْأَوَّلُ : ثَلَاثُ ثَمَرَاتٍ إِيمَانِيَّةٍ . . وَالْمَقَامُ الثَّانِي : ثَلَاثَةُ مُقْتَضِيَاتٍ كُلِّيَّةٍ لِلتَّوْحِيدِ . . وَالْمَقَامُ الثَّالِثُ : ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ قَوِيَّةٍ لِلْحَقِيقَةِ التَّوْحِيدِيَّةِ . .

٨ اَلثَّمَرَةُ الْأُولَى مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ : تُثْبِتُ الْجَمَالَ الْإِلٰهِيَّ وَالْكَمَالَ الرَّبَّانِيَّ فِي الْوَحْدَةِ وَالتَّوْحِيدِ ، بِثَلَاثَةِ أَمْثِلَةٍ جُزْئِيَّةٍ ؛ وَهِيَ : إِمْدَادُ الطِّفْلِ بِلَبَنٍ خَالِصٍ سَائِغٍ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ؛ وَالشِّفَاءُ

لِمَرِيضٍ بِمَرَضٍ هَائِلٍ ؛ وَالْإِحْسَانُ بِالْإِيمَانِ لِإِنْسَانٍ مُتَأَلِّمٍ بِآلَامِ الضَّلَالِ . .

١٣ اَلثَّمَرَةُ الثَّانِيَةُ لِلتَّوْحِيدِ : تَنْظُرُ إِلَى الْكَائِنَاتِ بِسِرِّ التَّوْحِيدِ ؛ فَتَتَحَقَّقُ بِذٰلِكَ السِّرِّ كَمَالَاتُ الْكَائِنَاتِ ؛ وَتُفْهَمُ بِهِ وَظَائِفُ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَتَتَقَرَّرُ نَتِيجَةُ خِلْقَةِ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ وَتُعْلَمُ قِيمَةُ الْمَصْنُوعَاتِ ؛ وَيَتَحَقَّقُ بِهِ وُجُودُ الْمَقَاصِدِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَتَتَظَاهَرُ حِكْمَةُ خِلْقَةِ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ وَيُرٰى وَجْهُ الرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ ، وَرَاءَ سِيمَا الْعَوَاصِفِ الْقَهَّارَةِ ؛ وَتُثْبِتُ أَنْ لَا حَقِيقَةَ لِلشِّرْكِ ؛ وَأَنَّ طَرِيقَهُ مَسْدُودٌ ؛ وَحُكْمَهُ مُحَالٌ وَمُمْتَنِعٌ . .

١٧ اَلثَّمَرَةُ الثَّالِثَةُ : تَنْظُرُ إِلٰى ذَوِي الشُّعُورِ ، وَخَاصَّةً إِلَى الْإِنْسَانِ ؛ وَتُثْبِتُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَصْلُحُ بِسِرِّ التَّوْحِيدِ أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ الْكَمَالِ الْعَظِيمِ بَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَأَعْلٰى ثَمَرَاتِ الْكَائِنَاتِ ، وَأَلْطَفَ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَأَسْعَدَ ذَوِي الْحَيَاةِ ، وَمُخَاطَبَ خَالِقِ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَإِذَا لَمْ تَكُنْ وَحْدَةُ الصَّانِعِ ، يَصِيرُ الْإِنْسَانُ أَشْقَى الْمَخْلُوقَاتِ ، وَأَدْنَى الْمَوْجُودَاتِ ، وَأَذَلَّ الْحَيَوَانَاتِ . فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْجُوَ مِنَ الضَّلَالَةِ ؛ وَيُصْبِحَ إِنْسَاناً حَقِيقِيّاً ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقْرَأَ هٰؤُلَاءِ الثَّمَرَاتِ الْإِيمَانِيَّةَ الدَّقِيقَةَ ، بِتَأَمُّلٍ وَإِمْعَانٍ ؛ لِيَبْلُغَ مَرْتَبَةَ الْإِيمَانِ بِكَمَالِ الْإِذْعَانِ . .

٢٠ اَلْمَقَامُ الثَّانِي : يُشِيرُ إِلٰى ثَلَاثَةِ مُقْتَضِيَاتٍ تَسْتَلْزِمُ الْوَحْدَةَ وَالتَّوْحِيدَ ؛ وَتَرُدُّ الشِّرْكَ وَالْاِشْتِرَاكَ ، مِنْ بَيْنِ آلَافِ الْبَرَاهِينِ الْمُفَصَّلَةِ فِي رِسَالَةِ النُّورِ . .

٢١ اَلْمُقْتَضِي الْأَوَّلُ لِلتَّوْحِيدِ : هُوَ مَجْمُوعُ الْحَاكِمِيَّةِ وَالْآمِرِيَّةِ ، وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ ، وَالْكَمَالِ وَالْاِسْتِغْنَاءِ ، وَالْإِحَاطَةِ وَالْإِطْلَاقِ ، وَعَدَمِ التَّنَاهِي وَعَدَمِ التَّحَدُّدِ ، الْمُضَادَّةِ لِلشِّرْكِ ، وَالْمُسْتَلْزِمَةِ لِلْوَحْدَةِ ، وَالْمَشْهُودَةِ فِي الْأَفْعَالِ الْمُتَصَرِّفَةِ فِي الْآثَارِ الْمَشْهُودَةِ . .

٢٦ اَلْمُقْتَضِي الثَّانِي : هُوَ وُجُودُ الْيُسْرِ وَالسُّهُولَةِ فِي الْوَحْدَةِ فِي دَرَجَةِ الْوُجُوبِ ، وَوُجُودُ الْعُسْرِ وَالصُّعُوبَةِ فِي الشِّرْكِ فِي دَرَجَةِ الْاِمْتِنَاعِ ؛ وَقَدْ أُوضِحَتْ هٰذِهِ الْحَقِيقَةُ بِبَرَاهِينَ قَاطِعَةٍ ، فِي الْمَكْتُوبِ الْعِشْرِينَ مِنْ مَجْمُوعَةِ الْمَكْتُوبَاتِ ، وَفِي النُّكْتَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ اللَّمْعَةِ الثَّلَاثِينَ فِي مَجْمُوعَةِ اللَّمَعَاتِ . .

٣٠ اَلْمُقْتَضِي الثَّالِثُ : هُوَ انْعِكَاسُ صَنْعَةِ الْكُلِّيَّاتِ فِي الْجُزْئِيَّاتِ ، كَالنَّوَاةِ لِلثَّمَرَةِ ، وَالثَّمَرَةِ

لِلشَّجَرَةِ ، وَالشَّجَرِ لِلنَّوْعِ ، وَالنَّوْعِ لِلْعَالَمِ . فَمَنْ كَانَ خَالِقَ الْجُزْئِيَّاتِ ؛ فَهُوَ خَالِقُ جَمِيعِ الْكُلِّيَّاتِ . وَقَدْ أُوضِحَ هٰذَا الْمُقْتَضِي ، فِي رَسَائِلَ كَثِيرَةٍ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، وَلاسِيَّمَا فِي الْمَوْقِفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلاثِينَ ، فِي مَجْمُوعَةِ الْمَقَالاتِ الْكُبْرٰى . .

يَضِيقُ عَنْهُ الْعَقْلُ ؛ فَيُجِيبُ بِأَنَّ مِثَالَ اجْتِمَاعِ الْأَرْوَاحِ بِصُورِ إِسْرَافِيلَ ، هُوَ اجْتِمَاعُ أَفْرَادِ جَيْشٍ مُنْتَظِمٍ ، بِصَوْتِ نَاقُوسٍ ؛ وَأَنَّ مِثَالَ إِحْيَاءِ الْأَجْسَادِ فِي آنٍ وَاحِدٍ ، هُوَ تَوَقُّدُ مِئَاتِ آلَافِ السُّرُجِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ فِي آنٍ وَاحِدٍ مِنْ مَرْكَزٍ وَاحِدٍ ؛ وَأَنَّ مِثَالَ إِنْشَاءِ الْأَجْسَادِ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، هُوَ إِنْشَاءُ جَمِيعِ الْأَشْجَارِ بِجَمِيعِ أَوْرَاقِهَا وَأَزْهَارِهَا وَأَثْمَارِهَا ، وَانْكِشَافُ جَمِيعِ الْبُذُورِ وَالنَّوَى وَالْجُذُورِ ، وَإِحْيَاءُ أَفْرَادٍ لَا حَدَّ لَهَا مِنْ طَوَائِفِ الْحُوَيْنَاتِ الصَّغِيرَةِ ، فِي عِدَّةِ أَيَّامٍ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ ؛ وَهِيَ آلَافُ أَمْثِلَةٍ لِإِنْشَاءِ أَجْسَادِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . .

٤٢ أَمَّا مَوْتُ الدُّنْيَا : فَيُمْكِنُ حُصُولُهُ فِي دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ، بِاصْطِدَامِ كَوْكَبَةٍ سَيَّارَةٍ ، أَوْ نَجْمَةٍ مُذَنَّبَةٍ ، بِكُرَتِنَا هٰذِهِ ؛ فَتَقُومُ قِيَامَتُهَا . .

٤٤ مُنَاجَاةٌ تَوْحِيدِيَّةٌ : وَسَّعَهَا مُؤَلِّفُ النُّورِ ، مِنْ مُنَاجَاةِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ ، (رضي الله عنه) . .

٤٦ اَلشُّعَاعُ الثَّالِثُ : ﴿رِسَالَةُ الْمُنَاجَاةِ﴾ . . وَهِيَ الْحُجَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ الثَّامِنَةُ ، تَحْتَوِي ثَمَانِي مُقَدِّمَاتٍ قَوِيَّةٍ فِي صُورَةِ الْمُنَاجَاةِ ، تُثْبِتُ أَهَمَّ أُسُسٍ إِيمَانِيَّةٍ ، مِثْلِ وُجُوبِ الْوُجُودِ ، وَالْوَحْدَةِ ، وَحِشْمَةِ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَعَظَمَةِ الْقُدْرَةِ ، وَسِعَةِ الرَّحْمَةِ ، وَعُمُومِ الْحَاكِمِيَّةِ ، وَإِحَاطَةِ الْعِلْمِ ، وَشُمُولِ الْحِكْمَةِ ، وَلَاسِيَّمَا إِشَارَاتِهَا إِلَى الْحَشْرِ ؛ فَإِنَّهَا قَوِيَّةٌ جِدّاً . .

٤٧ اَلْمُقَدِّمَةُ الْأُولَى : تَبْدَأُ بِقَوْلِهِ : «يَا إِلٰهِي وَيَا رَبِّي !» ، مُنَاجِيَةً بِأَنَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالْأَجْرَامِ وَالنُّجُومِ وَالسَّيَّارَاتِ الِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ ، تَدُلُّ وَتُشِيرُ وَتَشْهَدُ عَلَى وُجُودِهِ تَعَالَى ، وَعَلَى رُبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَتِهِ وَسَلْطَنَةِ أُلُوهِيَّتِهِ . .

٤٩ اَلْمُقَدِّمَةُ الثَّانِيَةُ : تَبْدَأُ بِقَوْلِهِ : «أَيُّهَا الْقَادِرُ الْمُطْلَقُ !» ، مُنَاجِيَةً بِأَنَّ جَوَّ السَّمَاءِ يَشْهَدُ لِوُجُوبِ وُجُودِهِ تَعَالَى وَلِوَحْدَتِهِ ، بِسُحُبِهِ وَبُرُوقِهِ وَرُعُودِهِ ، فَرْداً فَرْداً ؛ كَمَا تُشِيرُ بِهَيْئَتِهَا الْمَجْمُوعَةِ ، إِلَى وَحْدَتِهِ وَأَحَدِيَّتِهِ تَعَالَى ، بِجِهَةِ الِاتِّحَادِ وَالتَّدَاخُلِ وَالتَّعَاوُنِ . .

٥٠ اَلْمُقَدِّمَةُ الثَّالِثَةُ : تَبْدَأُ بِقَوْلِهِ : «يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ذَا الْجَلَالِ !» ، مُنَاجِيَةً بِأَنَّ الْأَرْضَ بِجَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهَا وَأَحْوَالِهَا ، تَشْهَدُ وَتُشِيرُ إِلَى وُجُودِهِ وَوَحْدَتِهِ تَعَالَى ؛ كَمَا تَشْهَدُ بِعَدَدِ مَوْجُودَاتِهَا ، عَلَى وَحْدَتِهِ وَأَحَدِيَّتِهِ تَعَالَى ، بِالْبَدَاهَةِ . .

٥٢ اَلْمُقَدِّمَةُ الرَّابِعَةُ : تَبْدَأُ بِقَوْلِهِ : «يَا رَبَّ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ !» ، مُنَاجِيَةً بِأَنَّ الْبِحَارَ وَالْأَنْهَارَ وَالسَّوَاقِيَ ، تَشْهَدُ فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ ، عَلَى وُجُوبِ وُجُودِهِ تَعَالَىٰ ، وَعَلَىٰ وَحْدَتِهِ ؛ كَمَا تَشْهَدُ بِهَيْئَتِهَا الْمَجْمُوعَةِ ، عَلَىٰ وَحْدَتِهِ تَعَالَىٰ ، وَعَلَىٰ كَوْنِهِ وَاجِبَ الْوُجُودِ . .

٥٤ اَلْمُقَدِّمَةُ الْخَامِسَةُ : تَبْدَأُ بِقَوْلِهِ : «أَيُّهَا الْقَدِيرُ ذَا الْجَلَالِ !» ، مُنَاجِيَةً بِأَنَّ الْجِبَالَ أَيْضاً تَعْرِفُهُ وَتُعَرِّفُهُ تَعَالَىٰ ، بِحِكَمِهَا وَخَدَمَاتِهَا ؛ كَمَا تَشْهَدُ عَلَىٰ وَحْدَةِ الصَّانِعِ وَأَحَدِيَّتِهِ ، مِنْ نِقَاطِ وَحْدَةِ الْإِدَارَةِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَالِاتِّفَاقِ وَالِاتِّحَادِ ، وَالرُّخْصِ وَالْيُسْرِ . .

٥٥ اَلْمُقَدِّمَةُ السَّادِسَةُ : تَبْدَأُ بِقَوْلِهِ : «أَيُّهَا الْخَالِقُ الرَّحْمٰنُ ، وَأَيُّهَا الرَّبُّ الرَّحِيمُ !» ، مُنَاجِيَةً بِأَنَّ الْأَشْجَارَ وَالنَّبَاتَاتِ فِي الْأَرْضِ ، بِأَوْرَاقِهَا وَأَزْهَارِهَا وَأَثْمَارِهَا ، تُعَرِّفُهُ وَتَعْرِفُهُ تَعَالَىٰ ، فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ ؛ كَمَا تَشْهَدُ بِهَيْئَتِهَا الْمَجْمُوعَةِ ، عَلَىٰ وَحْدَةِ الصَّانِعِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، وَعَلَىٰ أَحَدِيَّتِهِ بِالْبَدَاهَةِ . .

٥٩ اَلْمُقَدِّمَةُ السَّابِعَةُ : تَبْدَأُ بِقَوْلِهِ : «أَيُّهَا الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ، يَا صَادِقَ الْوَعْدِ الْأَمِينَ ، وَيَا مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ !» ، مُنَاجِيَةً بِأَنَّ جَمِيعَ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ ، وَذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ ، وَذَوِي الشُّعُورِ ، سُخِّرَتْ لِأَمْرِ رُبُوبِيَّتِهِ تَعَالَىٰ ، إِلَىٰ آخِرِهَا . .

٦٠ اَلْمُقَدِّمَةُ الثَّامِنَةُ : تَبْدَأُ بِقَوْلِهِ : «يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، يَا إِلٰهَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، يَا رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ !» ، مُنَاجِيَةً بِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ وَالْأَصْفِيَاءَ ، يَشْهَدُونَ عَلَىٰ وُجُوبِ وُجُودِهِ تَعَالَىٰ ، وَعَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ وَأَحَدِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ ، إِلَىٰ آخِرِهَا . .

٦٥ اَلشُّعَاعُ الرَّابِعُ : هُوَ اللَّمْعَةُ الْخَامِسَةُ مَعْنًى وَرُتْبَةً ، وَالشُّعَاعُ الرَّابِعُ مَقَاماً وَصُورَةً ؛ وَهٰذِهِ الرِّسَالَةُ تَسْلُكُ غَامِضَةً فِي الْبِدَايَةِ ؛ فَتَنْكَشِفُ مُتَدَرِّجَةً ؛ كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي رَسَائِلِ النُّورِ ، بِخِلَافِ سَائِرِ الْكُتُبِ ؛ وَهِيَ تَفْسِيرٌ شُهُودِيٌّ وَذَوْقِيٌّ ، لِأَسْرَارِ آيَةِ : ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ بَيَّنَ مُؤَلِّفُ النُّورِ ، سِتَّ مَرَاتِبَ ، مِنْ مَرَاتِبِهَا التِّسْعِ الْمُنْكَشِفَةِ . .

٦٦ اَلْمَرْتَبَةُ الْأُولَىٰ : تُورِثُ أَذْوَاقاً إِيمَانِيَّةً مُتَسَلْسِلَةً ، بِاثْنَيْ عَشَرَ وَجْهاً مِنَ الشُّعُورِ الْإِيمَانِيِّ ، لَا يَشْعُرُ بِهَا كُلُّ أَحَدٍ ، إِلَّا مَنْ كَانَ قَرِيبَ الْمَذَاقِ مِنَ الْمُؤَلِّفِ ، (رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ) . .

٧٠ اَلْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ : أَذْوَاقٌ إِيمَانِيَّةٌ أَوْرَثَتِ الْمُؤَلِّفَ قُوَّةً مَعْنَوِيَّةً بِالِانْتِسَابِ الْإِيمَانِيِّ ، ضِدَّ تَهَاجُمِ أَهْلِ الدُّنْيَا عَلَيْهِ ؛ وَهُوَ فِي حَالِ الشَّيْبِ وَالْغُرْبَةِ وَالْوَحْدَةِ وَالتَّجْرِيدِ وَالْعَجْزِ . .

٧١ اَلْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ : أَوْرَثَتِ الْمُؤَلِّفَ ذَوْقاً إِيمَانِيّاً عَالِياً ، بِانْكِشَافِ سِرِّ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ مَعَ الْغَيْرِ فِي لَفْظِ «حَسْبُنَا» ؛ وَأَعْطَتْهُ شُهُوداً إِيمَانِيّاً ، بِأَنَّ لَهُ وَكِيلاً كَفِيلاً ؛ كَمَا كَانَ وَكِيلاً لِسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ . .

٧٤ اَلْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ : أَوْرَثَتِ الْمُؤَلِّفَ ذَوْقاً إِيمَانِيّاً شُهُودِيّاً أَيْضاً ، أَنْقَذَهُ مِنْ ظُلُمَاتِ الْأَوْهَامِ الْمُحْدِقَةِ بِهِ . .

٧٦ اَلْمَرْتَبَةُ الْخَامِسَةُ : أَوْرَثَتْهُ النَّظَرَ وَالتَّأَمُّلَ فِي سِرِّ الْحَيَاةِ بِأَرْبَعِ مَسَائِلَ . .

٧٧ اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولَىٰ : تَنْظُرُ إِلَىٰ مَاهِيَّةِ الْحَيَاةِ ، بِجِهَةِ النَّظَرِ إِلَى الْحَيِّ الْقَيُّومِ . .

٧٧ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : تَنْظُرُ إِلَى حُقُوقِ حَيَاةِ الْمُؤَلِّفِ ، كَكُلِّ إِنْسَانٍ . .

٧٨ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : تَنْظُرُ إِلَىٰ وَظَائِفِ حَيَاتِهِ الْفِطْرِيَّةِ ، بِثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ ؛ وَهِيَ : انْعِكَاسُ صِفَاتِهِ النَّاقِصَةِ ، لِصِفَاتِ اللهِ تَعَالَى الْكَامِلَةِ ؛ وَانْعِكَاسُ جُزْئِيَّاتِ صِفَاتِهِ ، لِكُلِّيَّاتِ صِفَاتِهِ تَعَالَىٰ ؛ وَانْعِكَاسُ نُقُوشِ حَيَاتِهِ ، لِجَلَوَاتِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ . .

٧٩ اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ : تَنْظُرُ إِلَىٰ لَذَّةِ وَسَعَادَةِ حَيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا . .

٧٩ اَلْمَرْتَبَةُ السَّادِسَةُ : تَشْرَحُ سِرَّ زَوَالِ الْمَصْنُوعَاتِ وَالْمَخْلُوقَاتِ ، وَسِرَّ تَعَاقُبِ بَعْضِهَا وَرَاءَ بَعْضٍ ، لِأَجْلِ انْعِكَاسِ الْجَمَالِ الْإِلٰهِيِّ ، وَمَحَاسِنِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ ؛ وَتُبَيِّنُ ثَلَاثَةَ بَرَاهِينَ عَلَىٰ ذٰلِكَ . .

٨٠ اَلْبُرْهَانُ الْأَوَّلُ : هُوَ شَهَادَةُ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ فِي الْمَصْنُوعَاتِ ، عَلَى الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ فِي أَفْعَالِ صَانِعِهَا ، وَهٰكَذَا مُتَصَاعِداً إِلَىٰ جَمَالِ الذَّاتِ وَحُسْنِهَا . .

٨٢ اَلْبُرْهَانُ الثَّانِي : خَمْسُ نِقَاطٍ . . اَلنُّقْطَةُ الْأُولَىٰ : هِيَ إِجْمَاعُ رُؤَسَاءِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ ، عَلَىٰ أَنَّ الْحُسْنَ وَالْجَمَالَ فِي كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ ، ظِلُّ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ الْمُقَدَّسِ فِي الْوَاجِبِ الْوُجُودِ سُبْحَانَهُ . .

٨٢ اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ : هِيَ دَلَالَةُ زَوَالِ الْمَخْلُوقَاتِ الْجَمِيلَةِ ، مَعَ دَوَامِ تَجَلِّي الْجَمَالِ ، عَلَى أَنَّ تِلْكَ الْمَحَاسِنَ لَيْسَتْ جَمَالَهَا ، بَلْ هِيَ شُعَاعَاتُ جَمَالٍ سَرْمَدِيٍّ . .

٨٢ اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ : هِيَ دَلَالَةُ تَوَارُدِ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ ، عَلَى وُرُودِهَا مِنَ الْحَسَنِ وَالْجَمِيلِ . .

٨٣ اَلنُّقْطَةُ الرَّابِعَةُ : هِيَ دَلَالَةُ مَحَاسِنِ الْمَوْجُودَاتِ ، عَلَى مَحَاسِنِ حَقَائِقِهَا ، وَعَلَى اسْتِفَاضَةِ حَقَائِقِهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ . .

٨٢ اَلنُّقْطَةُ الْخَامِسَةُ : هِيَ دَلَالَةُ مُشَاهَدَةِ مَحَاسِنِ قَصْرِ الْعَالَمِ ، عَلَى أَنَّ الْقَصْرَ مِرْآةٌ لِإِظْهَارِ كَمَالِ وَجَمَالِ الصَّانِعِ جَلَّ جَلَالُهُ . .

٨٦ اَلْبُرْهَانُ الثَّالِثُ : لَهُ ثَلَاثُ نِكَاتٍ . . اَلنُّكْتَةُ الْأُولَى : هِيَ حَقِيقَةٌ فَصَّلَهَا مُؤَلِّفُ النُّورِ – (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) – فِي الْمَوْقِفِ الثَّالِثِ مِنَ الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ فِي مَجْمُوعَةِ الْمَقَالَاتِ . .

٨٧ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : هِيَ وُجُودُ الْعِشْقِ اللَّاهُوتِيِّ ، وَالْحُبِّ الرَّبَّانِيِّ الْقَوِيِّ ، فِي نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، وَفِي طَبَقَتِهِ الْعَالِيَةِ خَاصَّةً ؛ يُشِيرُ بَلْ يَشْهَدُ لِجَمَالٍ بِلَا مِثَالٍ بِالْبَدَاهَةِ . .

٨٧ اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : هِيَ رُجُوعُ جَمِيعِ الْخَيْرَاتِ وَالْمَحَاسِنِ ، إِلَى الْوُجُودِ الَّذِي هُوَ النُّورُ وَالْخَيْرُ الْمَحْضُ ؛ وَعَوْدَةُ جَمِيعِ الشُّرُورِ وَالْقَبَائِحِ إِلَى الْعَدَمِ الَّذِي هُوَ الظُّلْمَةُ وَالشَّرُّ الْبَحْتُ . .

٨٩ اَلشُّعَاعُ الْخَامِسُ : عِبَارَةٌ عَنْ مُقَدِّمَةٍ وَثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ مَسْأَلَةً ، مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، بَيَّنَ إِمَامُ النُّورِ – (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) – تَأْوِيلَ بَعْضِهَا إِجَابَةً عَلَى أَسْئِلَةِ عُلَمَاءِ إِسْطَنْبُول ، إِذْ تَحَدَّى الْإِمَامُ الْمُلْهَمُ ، جَمِيعَ الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الْعُلُومِ الْكَوْنِيَّةِ ، قَبْلَ سَنَةٍ مِنْ إِعْلَانِ الْحُرِّيَّةِ الْعُثْمَانِيَّةِ ؛ وَذَكَرَ بَعْضَهَا فِي «الْمُحَاكَمَاتِ الْبَدِيعِيَّةِ» الْمُؤَلَّفَةِ قَبْلَ رَسَائِلِ النُّورِ بِأَمَدٍ بَعِيدٍ ؛ ثُمَّ أَظْهَرَ تَأْوِيلَاتِ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ بَعْدَ وُقُوعِهَا ، لِإِنْقَاذِ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ مِنَ الْإِنْكَارِ ، وَلِوِقَايَةِ عَقِيدَةِ عَوَامِّ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الشُّبُهَاتِ ، وَلِإِظْهَارِ مُعْجِزَاتِ الْمُخْبِرِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ ، (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) . .

٩٠ اَلْمُقَدِّمَةُ : خَمْسُ نِقَاطٍ . . اَلنُّقْطَةُ الْأُولَى : تُبَيِّنُ أَنَّ سِرَّ الْإِيمَانِ وَالتَّكْلِيفِ ، يَقْتَضِي عَدَمَ التَّصْرِيحِ بِالْمَسَائِلِ النَّظَرِيَّةِ وَالْأَحْدَاثِ الِاسْتِقْبَالِيَّةِ ، لِتَتَمَيَّزَ الْأَرْوَاحُ الْعَالِيَةُ ، عَنِ الْأَرْوَاحِ السَّافِلَةِ . .

٩٠ اَلنُّقطَةُ الثَّانِيةُ: أَنَّ الحَوَادِثَ الْكَوْنِيَّةَ وَالْوَقَائِعَ الْمُسْتَقْبَلِيَّةَ، الَّتِي لا تَدْخُلُ فِي عَقِيدَةِ الْإِيمَانِ، يُصَوِّرُهَا النَّبِيُّ (عليه الصلاة والسلام) أَحْيَاناً، بِوَجْهٍ مُوَافِقٍ لِحِكْمَةِ سِرِّ التَّكْلِيفِ..

٩١ اَلنُّقطَةُ الثَّالِثَةُ: نُكْتَتَانِ.. اَلنُّكْتَةُ الْأُولَى: أَنَّ بَعْضَ الْأَحَادِيثِ الْمُتَشَابِهَةِ، يَتَرَاءَى فِي نَظَرِ الْعَوَامِّ حَقِيقَةً بِمُرُورِ الزَّمَانِ؛ فَتَقَعُ عَيْنُ الْأَحْدَاثِ؛ فَلا تُرَى مُطَابَقَتُهَا لِلْوَاقِعِ..

٩١ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّ قِسْماً مِنْ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ الْمُتَشَابِهَةِ، وَارِدٌ فِي حَقِّ أَكْثَرِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ فِي حَقِّ الْحُكُومَةِ الْإِسْلامِيَّةِ، أَوْ مَرْكَزِ الْخِلافَةِ؛ فَظُنَّ شَامِلاً لِعُمُومِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِثْلَ قِرَاءَةِ الْأَذَانِ بِالتُّرْكِيَّةِ، وَسَدِّ دُورِ الذِّكْرِ فِي تِلْكَ الْبِلادِ..

٩١ اَلنُّقطَةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّ اخْتِفَاءَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ، مِثْلِ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَأَجَلِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ وَجِنْسِ الْحَيَوَانِ، إِنَّمَا هُوَ لِأَجْلِ حِكَمٍ وَمَصَالِحَ كَثِيرَةٍ..

٩٣ اَلنُّقطَةُ الْخَامِسَةُ: أَنَّ الْخَوَارِقَ الْعَائِدَةَ إِلَى عَصْرِ دَجَّالِ الْإِسْلامِ وَدَجَّالِ الْكُفَّارِ، مِثْلَ الطَّائِرَةِ وَالْقِطَارِ، وَالْبَرْقِ وَالْهَاتِفِ، رُوِيَتْ بِمُنَاسَبَةِ الدَّجَّالَيْنِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ؛ فَظُنَّتْ فِي شَخْصِهِمَا؛ فَصَارَتِ الرِّوَايَةُ مُتَشَابِهَةً؛ كَمَا أَنَّ الصِّفَاتِ الْعَظِيمَةَ وَالْحَرَكَاتِ الْكَبِيرَةَ لِلْجَمَاعَةِ وَالْجَمْعِيَّةِ، تُسْنَدُ إِلَى رُؤَسَائِهَا؛ فَيُظَنُّ أَنَّهُمْ أَعَاجِيبُ الْخِلْقَةِ فِي عَظَمَةِ أَجْسَامِهِمْ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الرِّوَايَاتِ الْمُطْلَقَةَ فِي حَقِّ الدَّجَّالَيْنِ، يَلْتَبِسُ فِيهَا أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ؛ كَمَا أَنَّ الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةَ فِي حَقِّ الْمَهْدِيِّينَ السَّابِقِينَ عَلَى الْمَهْدِيِّ الْكَبِيرِ، لا تُطَابِقُ أَوْصَافَ الْمَهْدِيِّ الْأَخِيرِ؛ فَتُصْبِحُ الرِّوَايَاتُ مُتَشَابِهَةً..

أَمَّا الْإِمَامُ عَلِيٌّ – (رضي الله عنه) – فَيَبْحَثُ عَنْ دَجَّالِ الْإِسْلامِ فَقَطْ، بِإِحْدَاثِهِ الْحُرُوفَ الْعَجَمِيَّةَ، وَإِجْبَارِهِ النَّاسَ عَلَى تَعَلُّمِهَا بِاللَّيْلِ أُمَرَاءَ وَفُقَرَاءَ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا يَخُصُّهُ فَقَطْ..

٩٤ مَسَائِلُ الشُّعَاعِ الْخَامِسِ: ثَلاثٌ وَعِشْرُونَ مَسْأَلَةً..

٩٤ اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: أَنَّ يَدَ السُّفْيَانِيِّ تَنْثَقِبُ حِينَمَا يَشْرَبُ مَاءً..

وَتَأْوِيلُهُ: – وَاللهُ أَعْلَمُ –: أَنَّهُ كِنَايَةٌ عَنْ إِسْرَافِهِ لِلْمَالِ فِي الْمَلَذَّاتِ، لاسِيَّمَا فِي شُرْبِ الْخَمْرِ..

وَقَدْ ظَهَرَتْ حَادِثَةٌ بَعْدَ كِتَابَةِ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ؛ فَأَظْهَرَتْ تَمَامَ تَأْوِيلِهَا ؛ وَهِيَ : أَنَّ جَبَّاراً فِي هٰذَا الْعَصْرِ ، جَمَعَ الْمَلَايِينَ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالظُّلْمِ وَالْمَكْرِ ، مِنْ قَوْمٍ فَقِيرٍ ؛ فَأَسْرَفَ بِهَا فِي لَذَائِذَ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ ، وَخَاصَّةً فِي شُرْبِ الْخَمْرِ ؛ فَمَرِضَ بِكَثْرَةِ شُرْبِهَا ؛ فَصَرَفَ مَا يُقَدَّرُ الْآنَ بِالْمِلْيَارَاتِ عَلَىٰ مُعَالَجَتِهِ ؛ وَأَسَالَ تِلْكَ الْأَمْوَالَ فِي حَنَاجِرِ الْأَطِبَّاءِ الْأَجَانِبِ ؛ وَمَاتَ بِذٰلِكَ الْمَرَضِ ؛ وَبَيَّنَ تَأْوِيلَ الْحَدِيثِ ، بِلِسَانِ حَيَاتِهِ ؛ فَارْتَحَلَ . .

٩٥ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ الدَّجَّالَ السُّفْيَانِيَّ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : «هٰذَا كَافِرٌ» . .

وَتَأْوِيلُهَا : ـ وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللّٰهِ ـ : أَنَّهُ يَلْبَسُ عَلَىٰ رَأْسِهِ قَلَنْسُوَةَ الْإِفْرَنْجِ ؛ وَيُجْبِرُ النَّاسَ عَلَىٰ لُبْسِهَا . .

٩٥ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ لِلدَّجَّالِ وَلِحُكَّامِ آخِرِ الزَّمَانِ ، جَنَّةً وَجَهَنَّماً كَاذِبَتَيْنِ . .

وَتَأْوِيلُهَا : أَنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَعَاهِدُ الْجَامِعَةُ بَيْنَ الْغِلْمَانِ وَالْفَتَيَاتِ ؛ وَأَنَّ جَهَنَّمَ هِيَ مَعَاقِلُ التَّعْذِيبِ وَالِاضْطِهَادَاتِ . .

٩٥ اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّهُ لَا يَبْقَىٰ فِي الْأَرْضِ ، مَنْ يَقُولُ : «اللّٰهُ اللّٰهُ» . .

وَتَأْوِيلُهَا الْأَوَّلُ : أَنَّهُ تُغْلَقُ أَبْوَابُ مَدَارِسِ الدِّينِ وَبُيُوتِ الذِّكْرِ ؛ وَيُتَرْجَمُ الْأَذَانُ وَغَيْرُهُ مِنَ الشَّعَائِرِ ، بِغَيْرِ لُغَةِ الدِّينِ . .

وَالتَّأْوِيلُ الثَّانِي : أَنَّ بَقَايَا الْمُؤْمِنِينَ يَمُوتُونَ قُبَيْلَ الْقِيَامَةِ ؛ فَتَنْفَجِرُ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْكُفَّارِ . .

٩٦ اَلْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ : أَنَّ الدَّجَّالَ وَأَمْثَالَهُ ، يَدَّعُونَ الْأُلُوهِيَّةَ ؛ وَيَسْتَعْبِدُونَ النَّاسَ . .

وَتَأْوِيلُهَا : أَنَّهُمْ يَكُونُونَ مَادِّيِّينَ وَطَبِيعِيِّينَ ؛ فَيَسْتَعْبِدُونَ شُعُوبَهُمْ . .

٩٦ اَلْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ : أَنَّ فِتْنَةَ آخِرِ الزَّمَانِ رَهِيبَةٌ ؛ فَلَا يَكُونُ الْمَرْءُ حَاكِماً لِنَفْسِهِ ؛ فَلِذٰلِكَ أُمِرَ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْهَا . .

وَتَأْوِيلُهَا : أَنَّ تِلْكَ الْفِتَنَ ، هِيَ لَهْوِيَّاتٌ وَمَلَذَّاتٌ جَذَّابَةٌ ، مِثْلُ اخْتِلَاطِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ عُرَاةً فِي الْحَمَّامَاتِ ؛ كَمَا فِي رُوسِيَا . .

٩٧ اَلْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ : أَنَّ السُّفْيَانِيَّ يَكُونُ عَالِماً ؛ وَيَقَعُ فِي الضَّلاَلَةِ بِسَبَبِ الْعِلْمِ ؛ وَيَتْبَعُهُ عُلَمَاءُ كَثِيرُونَ . .

وَتَأْوِيلُهَا : أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ وَسَائِلُ السَّلْطَنَةِ ؛ فَيَفُوزُ بِذٰلِكَ الْمَقَامِ بِدَهَائِهِ ، وَعِلْمِهِ السِّيَاسِيِّ ؛ وَيُسَخِّرُ عُقُولَ كَثِيرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ ؛ فَيُفْتُونَ لَهُ بِالْبِدَعِ ؛ وَيَتْبَعُهُ الْمُعَلِّمُونَ ؛ فَيُجْبِرُ النَّاسَ عَلَى تَعَلُّمِ عُلُومِ الدُّنْيَا فَقَطْ ؛ وَيَمْنَعُ عُلُومَ الدِّينِ . .

٩٧ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ : أَنَّ فِتْنَةَ الدَّجَّالِ تَكُونُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَلِذٰلِكَ اسْتَعَاذَتْ أُمَّةُ الْإِسْلاَمِ مِنْهَا مُنْذُ الْقَدِيمِ . .

وَتَأْوِيلُهَا : أَنَّ هٰذَا دَجَّالُ الْإِسْلاَمِ ؛ وَهُوَ غَيْرُ دَجَّالِ الْكُفَّارِ ؛ فَيَظْهَرُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَيَعْمَلُ بِالْخِدَاعِ وَالتَّسْوِيلِ . .

٩٧ اَلْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ : أَنَّ الْوَقَائِعَ السُّفْيَانِيَّةَ ، وَالْحَوَادِثَ الاِسْتِقْبَالِيَّةَ ، صُوِّرَتْ فِي الرِّوَايَاتِ ، بِوُقُوعِهَا حَوْلَ الشَّامِ وَفِي بِلاَدِ الْعَرَبِ . .

وَتَأْوِيلُهَا : أَنَّ ذٰلِكَ التَّصْوِيرَ ، هُوَ تَأْوِيلُ الرُّوَاةِ ؛ لِأَنَّ مَرْكَزَ الْخِلاَفَةِ كَانَ فِي عَهْدِهِمْ فِي الْمَدِينَةِ ، أَوِ الشَّامِ ، أَوِ الْعِرَاقِ . .

٩٨ اَلْمَسْأَلَةُ الْعَاشِرَةُ : أَنَّ فِي الرِّوَايَاتِ بَحْثاً عَنِ اقْتِدَارِ أَشْخَاصِ آخِرِ الزَّمَانِ فَوْقَ الْعَادَةِ . .

وَتَأْوِيلُهَا : أَنَّهَا كِنَايَةٌ عَنْ عَظَمَةِ الشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ الَّذِي تُمَثِّلُهُ أُولاَئِكَ الْأَشْخَاصُ ؛ وَأَنَّ اقْتِدَارَهُمُ الْخَارِقَ ، هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ إِجْرَاءِ التَّخْرِيبَاتِ وَالْمُشْتَهَيَاتِ السَّهْلَةِ . .

٩٨ اَلْمَسْأَلَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ رَجُلاً وَاحِداً ، يَرْعٰى أَرْبَعِينَ امْرَأَةً فِي آخِرِ الزَّمَانِ . .

وَلَهَا تَأْوِيلاَنِ : أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ يَنْدُرُ النِّكَاحُ الشَّرْعِيُّ ؛ أَوْ يَزُولُ كَمَا فِي رُوسِيَا . .

وَالثَّانِي : أَنَّ أَكْثَرَ الرِّجَالِ يَهْلِكُونَ فِي الْحُرُوبِ ؛ وَأَنَّ أَكْثَرَ الْأَوْلاَدِ تَكُونُ بَنَاتٍ ، بِنَاءً عَلَى حِكْمَةٍ إِلٰهِيَّةٍ ، بِسَبَبِ ثَوَرَانِ شَهْوَةِ الْأُنُوثَةِ ، بِتَغَلُّبِ حُرِّيَّةِ النِّسَاءِ . .

٩٩ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ الْيَوْمَ الْأَوَّلَ مِنْ أَيَّامِ الدَّجَّالِ يَكُونُ سَنَةً ؛ وَيَوْمَهُ الثَّانِي شَهْرٌ ؛ وَالثَّالِثَ أُسْبُوعٌ ؛ وَالرَّابِعَ يَوْمٌ وَاحِدٌ . .

وَأَحَدُ تَأْوِيلَيْهَا : أَنَّهَا إِخْبَارٌ مُعْجِزٌ بِأَنَّ الدَّجَّالَ سَيَظْهَرُ مِنَ الشَّمَالِ ؛ وَيَهْجُمُ عَلَىٰ هٰذَا الْجَانِبِ ؛ لِأَنَّ السَّنَةَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ فِي دَائِرَةِ الْقُطْبِ ؛ ثُمَّ يَتَدَرَّجُ الْيَوْمُ إِلَىٰ شَهْرٍ ؛ ثُمَّ إِلَىٰ أُسْبُوعٍ وَإِلَىٰ يَوْمٍ وَاحِدٍ . .

وَالثَّانِي : أَنَّ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْ دَجَّالِ الْكُفَّارِ وَدَجَّالِ الْإِسْلَامِ ، أَرْبَعَةَ أَدْوَارٍ لِاسْتِبْدَادِهِمْ ؛ فَإِنَّ إِجْرَاءَاتِهِمْ فِي الدَّوْرِ الْأَوَّلِ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، تَكُونُ بِقَدَرِ ثَلَاثِمِئَةِ سَنَةٍ ؛ وَفِي الدَّوْرِ الثَّانِي بِقَدَرِ ثَلَاثِينَ سَنَةً ؛ وَفِي الثَّالِثِ بِقَدَرِ عَشْرِ سَنَوَاتٍ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَفِي الدَّوْرِ الرَّابِعِ ، يَتَوَقَّفُ التَّقَدُّمُ فِي إِجْرَاءَاتِ كِلْتَا الْقِيَادَتَيْنِ ؛ فَيَعْمَلُونَ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَى الْوَضْعِ الْحَاضِرِ . .

٩٩ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : يُوجَدُ فِي الرِّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ الْقَطْعِيَّةِ : أَنَّ عِيسَىٰ (عليه السلام) ، يَقْتُلُ الدَّجَّالَ الْكَبِيرَ . .

وَلِتَأْوِيلِهَا وَجْهَانِ ؛ أَحَدُهُمَا : أَنَّ لِلدَّجَّالِ خَوَارِقَ سِحْرِيَّةً وَاسْتِدْرَاجِيَّةً مِثْلَ الْمَغْنَاطِيسِيَّةِ وَالْإِسْبِرْطِيسِيَّةِ ، يَحْتَفِظُ بِهَا نَفْسَهُ ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْتُلَهُ أَحَدٌ ، إِلَّا شَخْصٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ مِثْلُ عِيسَىٰ (عليه السلام) . .

وَالثَّانِي : أَنَّ جَمَاعَةَ الرُّوحَانِيِّينَ الْعِيسَوِيِّينَ ، يَمْزُجُونَ حَقِيقَةَ الدِّينِ الْعِيسَوِيِّ بِالْحَقِيقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ فَيَقْتُلُونَ شَخْصَهُ الْمَعْنَوِيَّ الَّذِي هُوَ تَيَّارُ الزَّنْدَقَةِ وَالضَّلَالَةِ الْمَادِّيَّةِ . .

١٠٠ اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ أَهَمَّ قُوَّةِ الدَّجَّالِ ، هِيَ الْيَهُودُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُ طَوْعاً . .

وَاللهُ أَعْلَمُ : أَنَّ جُزْءاً مِنْ تَأْوِيلِهَا ظَهَرَ فِي رُوسِيَّا ، فَإِنَّ الْيَهُودَ اتَّبَعُوا «تِرُوشْكِي» الْيَهُودِيَّ وَالرُّكْنَ الثَّانِيَ مِنْ أَرْكَانِ الْقِيَادَةِ الشُّيُوعِيَّةِ ، بَعْدَ «لِينِين» الَّذِي هُوَ مُرَبِّيهِ وَرَأْسُ الْقِيَادَةِ ؛ فَأَحْرَقُوا مَحَاصِيلَ أَلْفِ سَنَةٍ لِرُوسِيَّا ؛ وَنَفَّذُوا بَعْضَ إِجْرَاءَاتِ الدَّجَّالِ الْكَبِيرِ ؛ وَأَحْدَثُوا هَزَّاتٍ فِي سَائِرِ الدُّوَلِ . .

١٠٠ اَلْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ فِي الْقُرْآنِ إِجْمَالَ أَحْدَاثِ «يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ» ؛ كَمَا أَنَّ فِي الرِّوَايَاتِ بَعْضَ تَفَاصِيلَ مُتَشَابِهَةٍ تَحْتَاجُ إِلَى التَّأْوِيلِ ، بَلْ إِلَى التَّعْبِيرِ . .

وَتَأْوِيلُهَا : أَنَّهَا كِنَايَةٌ وَإِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ قَبَائِلَ «مَانْجُور وَمُوغُول» ، الْمُسَمَّاةَ بِـ «يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ» فِي لُغَةِ الْقُرْآنِ ، سَيُخَرِّبُونَ الدُّنْيَا فِي الْأَزْمِنَةِ الْقَادِمَةِ ؛ كَمَا دَمَّرُوا قَارَّتَيْ «آسِيَا وَأُورُوبَّا» عِدَّةَ مَرَّاتٍ فِي الْعُصُورِ الْغَابِرَةِ ؛ وَإِنَّ أَكْبَرَ الشَّخْصِ الْفَوْضَوِيِّ الْإِرْهَابِيِّ فِي الْعَالَمِ الشُّيُوعِيِّ هُوَ مِنْهُمُ الْآنَ ؛ وَأَنَّ الْقَبَائِلَ الْمُتَخَلِّفَةَ وَالْمُتَهَيِّئَةَ لِتِلْكَ الْفِكْرَةِ الْفَوْضَوِيَّةِ ، هُمْ قَبَائِلُ «مَانْجُور وَمُوغُول» ، وَقِسْمٌ مِنْ «قِرْغِزَ وَتَاتَار» . .

١٠١ اَلْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ : يُوجَدُ فِي الرِّوَايَاتِ ، أَنَّ الدَّجَّالَ يَكُونُ عَظِيمَ الْهَيْكَلِ ، وَأَعْلَى مِنَ الْمَأْذَنَةِ ؛ وَيَكُونُ عِيسَى (عليه السلام) ، صَغِيرَ الْقَامَةِ جِدّاً بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ . .

وَتَأْوِيلُهَا : أَنَّهَا كِنَايَةٌ وَإِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ كَمِّيَّةَ جَمَاعَةِ الرُّوحَانِيِّينَ الْمُجَاهِدِينَ الْعَارِفِينَ بِعِيسَى (عليه السلام) ، وَالتَّابِعِينَ لَهُ ، هُمْ ثُلَّةٌ قَلِيلَةٌ وَصَغِيرَةٌ جِدّاً ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى جُيُوشِ الدَّجَّالِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ . .

١٠١ اَلْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ كُلَّ الدُّنْيَا تَسْمَعُ بِالدَّجَّالِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يَخْرُجُ فِيهِ ؛ وَأَنَّهُ يَسِيحُ الدُّنْيَا فِي أَرْبَعِينَ يَوْماً ؛ وَلَهُ حِمَارٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ . .

وَتَأْوِيلُهَا : ـ إِذَا كَانَتْ كُلُّهَا صَحِيحَةً ـ هُوَ : أَنَّهَا إِخْبَارٌ مُعْجِزٌ ، عَنْ خَوَارِقِ عَصْرِ الدَّجَّالِ ، مِثْلِ «الْبَرْقِ وَالْهَاتِفِ وَالْإِذَاعَةِ ، وَالْقِطَارِ وَالطَّائِرَةِ» ؛ وَأَنَّ الدَّجَّالَ إِمْبَرَاطُورٌ مُسْتَبِدٌّ ، يَسِيحُ لِإِيقَاظِ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْعَالَمِ ؛ وَحِمَارُهُ إِمَّا الْقِطَارُ أَوِ الطَّائِرَةُ ، أَوْ غَيْرُهُمَا مِنْ وَسَائِطِ السِّيَاحَةِ . .

١٠٢ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ فِي الرِّوَايَةِ حَدِيثَ : «إِنِ اسْتَقَامَتْ أُمَّتِي فَلَهَا يَوْمٌ» ، أَيْ تَعِيشُ حَاكِمَةً أَلْفَ سَنَةٍ ، «وَإِلَّا فَنِصْفُ يَوْمٍ» ، أَيْ لَا تُحَافِظُ عَلَى سِيَادَتِهَا إِلَّا خَمْسَمِئَةِ سَنَةٍ . .

إِنَّ هٰذِهِ الرِّوَايَةَ لَيْسَتْ إِخْبَاراً عَنِ الْقِيَامَةِ ، بَلْ عَنْ غَلَبَةِ حُكْمِ الْإِسْلَامِ وَسَلْطَنَةِ الْخِلَافَةِ ؛ وَقَدْ ظَهَرَتْ كَذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ الْخِلَافَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ عَاشَتْ خَمْسَمِئَةِ سَنَةٍ ، مَا عَدَا فَتَرَاتِ الْفَسَادِ وَالضَّعْفِ ؛ كَمَا أَنَّ الْخِلَافَةَ الْعُثْمَانِيَّةَ أَيْضاً ، دَامَتْ خَمْسَمِئَةِ سَنَةٍ بِالِاسْتِقَامَةِ ، مَا خَلَا فَتَرَاتِ الِانْهِيَارِ وَالِاخْتِلَالِ ؛ فَعَاشَتْ مَجْمُوعَةُ الْأُمَّةِ يَوْماً كَامِلاً ، وَهُوَ أَلْفُ سَنَةٍ ؛

فَصَدَّقَتِ الْمُعْجِزَةَ النَّبَوِيَّةَ . .

١٠٣ اَلْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ فِي الرِّوَايَاتِ أَخْبَاراً مُخْتَلِفَةً عَنِ السَّيِّدِ الْمَهْدِيِّ الَّذِي هُوَ مِنْ آلِ الْبَيْتِ وَمِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ؛ وَحَكَمَ قِسْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْوَلَايَةِ بِظُهُورِهِ قَدِيماً . .

وَتَأْوِيلُهَا : أَنَّ لِلْمَهْدِيِّ الْكَبِيرِ وَظَائِفَ وَإِجْرَاءَاتٍ كَثِيرَةً ؛ كَمَا أَنَّ كُلَّ عَصْرٍ يَحْتَاجُ إِلَىٰ مَعْنَى الْمَهْدِيِّ ، أَوْ إِلَىٰ ظُهُورِهِ ؛ فَلِذٰلِكَ قَامَ فِي كُلِّ عَصْرٍ مَهْدِيٌّ مَّا مِنْ آلِ الْبَيْتِ ؛ لِحِفْظِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْيَا السُّنَّةَ ، مِثْلَ سَادَاتِ آلِ الْبَيْتِ السَّالِفِينَ ؛ فَهٰؤُلَاءِ أَيْضاً مُشَارٌ إِلَيْهِمْ فِي الرِّوَايَاتِ ؛ فَلِذٰلِكَ اخْتَلَفَتِ الْأَحَادِيثُ . .

أَمَّا ظُهُورُ الْمَهْدِيِّ الْكَبِيرِ الَّذِي هُوَ قَائِدُهُمُ الْأَعْظَمُ ، وَإِحْيَاؤُهُ لِشَعَائِرِ الْإِسْلَامِ ، فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَهُوَ أَمْرٌ مَعْقُولٌ وَضَرُورِيٌّ قَطْعاً ، وَمِنْ مُقْتَضَيَاتِ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ كَمَا أَنَّهُ مَوْعُودٌ بِهِ عَلَىٰ لِسَانِ الْمُخْبِرِ الصَّادِقِ الْوَعْدِ الْأَمِينِ ؛ (ﷺ) . .

١٠٤ اَلْمَسْأَلَةُ الْعِشْرُونَ : هِيَ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ ، وَظُهُورُ الدَّابَّةِ مِنَ الْأَرْضِ . .

فَأَمَّا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ : فَهُوَ عَلَامَةٌ بَدِيهِيَّةٌ ، وَحَادِثَةٌ سَمَاوِيَّةٌ مَشْهُودَةٌ بِالضَّرُورَةِ ؛ فَلَا تَحْتَاجُ إِلَى التَّأْوِيلِ ؛ وَإِنَّمَا سَبَبُهَا ـ وَاللهُ أَعْلَمُ ـ : هُوَ صَيْرُورَةُ كُرَةِ الْأَرْضِ مَجْنُونَةً بِخُرُوجِ الْقُرْآنِ عَنْ هَامَتِهَا ، الَّذِي هُوَ فِي حُكْمِ عَقْلِهَا ؛ فَاصْطِدَامُهَا بِكَوْكَبَةٍ سَيَّارَةٍ أُخْرَىٰ بِالْإِذْنِ الْإِلٰهِيِّ ؛ فَتَقُومُ الْقِيَامَةُ فِي نَتِيجَةِ الْمُصَادَمَةِ . .

وَأَمَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ : فَفِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ إِشَارَةٌ مُجْمَلَةٌ إِلَيْهَا ، وَإِفَادَةٌ مُخْتَصَرَةٌ مِنْ لِسَانِ حَالِهَا . .

أَمَّا تَفْصِيلُهَا : فَأَسْتَطِيعُ هٰذَا الْقَدَرَ ، وَهُوَ : أَنَّ تِلْكَ الدَّابَّةَ طَائِفَةٌ حَيَوَانِيَّةٌ رَهِيبَةٌ ، تَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ بِحِكْمَةٍ أَنْ تُعِيدَ بِعُقُولِ النَّاسِ إِلَىٰ رُؤُوسِهِمْ ، الَّذِينَ سَلَكُوا فِي الْعِصْيَانِ وَالطُّغْيَانِ ، بِفِتَنِ السُّفْيَانِيِّ وَدَجَّالِ آخِرِ الزَّمَانِ ؛ وَمَارَسُوا الْفَتْكَ وَالْفَسَادَ بِفَوْضَى «يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ» ؛ وَوَقَعُوا فِي الْكُفْرِ وَالْكُفْرَانِ ؛ فَتَسَلَّطُ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الدَّابَّةُ ؛ وَتُبِيدُهُمْ ، بِأَمْرِ السُّلْطَانِ الدَّيَّانِ ؛ أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيَنْجُونَ مِنْهَا بِبَرَكَةِ الْإِيمَانِ ، وَبِتَجَنُّبِهِمْ عَنِ السَّفَاهَاتِ

وَسُوءِ الِاسْتِعْمَالَاتِ . . وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ . .

١٠٥ ثَلَاثُ مَسَائِلَ صَغِيرَةٍ تَتِمَّةٌ لِلْمَسَائِلِ الْعِشْرِينَ السَّابِقَةِ . .

١٠٥ اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولٰى : مَا هِيَ حِكْمَةُ تَسْمِيَةِ عِيسٰى (عليه السلام) بِالْمَسِيحِ ؛ وَكَذٰلِكَ الدَّجَّالَانِ أَيْضاً ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ عِيسٰى (عليه السلام) ، مَسَحَ بِأَمْرِ اللّٰهِ ، قِسْماً ثَقِيلاً مِنَ التَّكَالِيفِ فِي الشَّرِيعَةِ الْمُوسَوِيَّةِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الدَّجَّالَ الْكَبِيرَ ، يَمْسَحُ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ الْعِيسَوِيَّةِ ؛ وَيُفْسِدُ رَوَابِطَ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ ؛ كَمَا أَنَّ السُّفْيَانِيَّ دَجَّالَ الْإِسْلَامِ ، يَسْعٰى لِمَسْحِ قِسْمٍ أَبَدِيٍّ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ؛ فَيُفْسِدُ الرَّوَابِطَ الْمَادِّيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ لِلْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ . .

١٠٦ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّهُ بُحِثَ عَنْ إِجْرَاءَاتِ كِلَا الدَّجَّالَيْنِ الْخَارِقَةِ ، وَعَنِ اقْتِدَارِهِمَا وَهَيْبَتِهِمَا الْفَائِقَةِ ، حَتّٰى إِنَّ بَعْضَ أَشْقِيَاءِ النَّاسِ يُسْنِدُونَ إِلَيْهِمَا الْأُلُوهِيَّةَ . .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ أَكْثَرَ إِجْرَاءَاتِهِمَا تَخْرِيبَاتٌ وَشَهَوِيَّاتٌ . .

وَأَمَّا تَظَاهُرُ اقْتِدَارِهِمَا ، فَلَهُ أَرْبَعُ جِهَاتٍ . .

١٠٦ اَلْأُولٰى : أَنَّ التَّرَقِّيَاتِ وَالْحَسَنَاتِ الْحَاصِلَةَ بِقُوَّةِ الْجُيُوشِ الْبَاسِلَةِ وَالْأُمَّةِ الْفَعَّالَةِ ، فِي حُكُومَتَيْهِمَا الْجَسِيمَتَيْنِ الْمُسْتَبِدَّتَيْنِ ، تُسْنَدُ إِلٰى شَخْصَيْهِمَا بِدُونِ حَقٍّ ؛ فَيَصِيرُ ذٰلِكَ سَبَباً لِتَوَهُّمِ اقْتِدَارِهِمَا بِقَدَرِ آلَافِ الرِّجَالِ . .

١٠٦ اَلْجِهَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ كِلَا الدَّجَّالَيْنِ يَعْمَلَانِ بِأَعْظَمِ اسْتِبْدَادٍ وَظُلْمٍ وَدَهْشَةٍ ؛ فَيُرٰى ذٰلِكَ أَعْظَمَ اقْتِدَارٍ . .

١٠٧ اَلْجِهَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ كِلَا الدَّجَّالَيْنِ يَفُوزَانِ بِمُسَاعَدَةِ جَمْعِيَّةِ الْيَهُودِ ضِدَّ الْإِسْلَامِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ ، وَبِمُعَاوَنَةِ جَمْعِيَّةِ حُرِّيَّةِ النِّسَاءِ ؛ وَيَخْدَعُ دَجَّالُ الْإِسْلَامِ ، الْجَمْعِيَّةَ الْمَاسُونِيَّةَ أَيْضاً ؛ وَيُسَخِّرُ صَدْراً أَعْظَمَ وَقَائِداً أَعْلٰى لَا يَطْلُبَانِ الْجَاهَ وَالِاشْتِهَارَ ؛ فَيَشِيعُ مِنْ جَانِبِ الْمُدَّاحِينَ : أَنَّهُ ذُو اقْتِدَارٍ عَجِيبٍ وَخَارِقٍ . .

١٠٧ اَلْجِهَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّ لِلدَّجَّالِ الْكَبِيرِ خَوَاصَّ مُسَخِّرَةً مِنْ نَوْعِ الْقُوَّةِ الْإِسْبِرْطِيسِيَّةِ ؛ وَأَنَّ فِي إِحْدٰى عَيْنَيْ دَجَّالِ الْإِسْلَامِ ، قُوَّةً مَغْنَاطِيسِيَّةً مُسَخِّرَةً . يَقُولُ مُؤَلِّفُ النُّورِ (رضي الله تعالى عنه) : رَأَيْتُ

دَجَّالَ الْإِسْلَامِ ، فِي عَالَمٍ مَعْنَوِيٍّ ؛ فَشَاهَدْتُ بِعَيْنَيَّ ، مَادَّةً مَغْنَاطِيسِيَّةً فِي إِحْدٰى عَيْنَيْهِ ؛ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ مُنْكِرٌ كُلِّيّاً . .

١٠٨ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ الصَّغِيرَةُ : ثَلَاثُ حَوَادِثَ ذَاتُ عِبْرَةٍ . .

١٠٨ اَلْأُولٰى : أَنَّ الدَّجَّالَ السُّفْيَانِيَّ كَثِيراً مَا كَانَ يَبْحَثُ بِالتَّقْدِيرِ عَنِ الْإِمَامِ عُمَرَ (رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ) ، الَّذِي كَادَ أَنْ يَقْتُلَ صَبِيّاً عَلٰى صُورَةِ هٰذَا الدَّجَّالِ ، حِينَمَا أَرَاهُ إِيَّاهُ النَّبِيُّ ، (صَلَّى اللّٰهُ تَعَالٰى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) . .

١٠٨ اَلثَّانِيَةُ : نَقَلَ الْكَثِيرُونَ أَنَّ ذٰلِكَ الدَّجَّالَ الْإِسْلَامِيَّ ، كَثِيراً مَا كَانَ يَسْأَلُ عَنْ مَعْنٰى سُورَةِ «التِّينِ» . وَالْغَرِيبُ : أَنَّ جُمْلَةَ : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغٰى﴾ ، فِي سُورَةِ «الْعَلَقِ» ، الْمُجَاوِرَةِ لَهَا ، تُشِيرُ بِالْجَفْرِ وَالْمَعْنٰى ، إِلٰى زَمَانِهِ وَشَخْصِهِ بِعَيْنِهِ ؛ كَمَا تَدُلُّ عَلَى اعْتِدَائِهِ وَطُغْيَانِهِ عَلَى الْمَسَاجِدِ وَالْمُصَلِّينَ . .

١٠٩ اَلثَّالِثَةُ : يُوجَدُ فِي إِحْدَى الرِّوَايَاتِ : أَنَّ دَجَّالَ الْإِسْلَامِ سَيَظْهَرُ مِنْ نَوَاحِي خُرَاسَانَ . .

وَتَأْوِيلُهَا : أَنَّ الشَّعْبَ التُّرْكِيَّ الْقَوِيَّ الْبَاسِلَ ، كَانَ فِي زَمَنِ تِلْكَ الرِّوَايَةِ ، فِي نَوَاحِي خُرَاسَانَ ، قَبْلَ تَوَطُّنِهِمْ فِي أَنَاضُولَ ؛ فَتُشِيرُ إِلٰى أَنَّ الدَّجَّالَ السُّفْيَانِيَّ يَظْهَرُ مِنْ بَيْنِهِمْ . .

وَالْغَرِيبُ الْغَرِيبُ : أَنَّ ذٰلِكَ السُّفْيَانِيَّ يَسْتَخْدِمُ ضِدَّ الْإِسْلَامِ ، الْقَوْمِيَّةَ التُّرْكِيَّةَ وَالشَّعْبَ التُّرْكِيَّ ، الَّذِي كَانَ سَيْفاً مُشْرِقاً بِيَدِ الْإِسْلَامِ مُنْذُ سَبْعِمِئَةِ سَنَةٍ ؛ وَلٰكِنَّهُ لَا يَنْجَحُ فَيَتَوَلّٰى ؛ وَيُنْقِذُ الْجَيْشُ الْبَاسِلُ زِمَامَهُ مِنْ يَدِهِ ؛ كَمَا يُفْهَمُ مِنَ الرِّوَايَاتِ . .

وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ ؛ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللّٰهُ . .

١١٠ اَلشُّعَاعُ السَّادِسُ : نُكْتَتَانِ فَقَطْ ، هُمَا جَوَابَانِ عَلٰى سُؤَالَيْنِ وَرَدَا عَلٰى كَلِمَاتِ التَّشَهُّدِ فِي الصَّلَاةِ . .

١١٠ اَلسُّؤَالُ الْأَوَّلُ : مَا هِيَ حِكْمَةُ قِرَاءَةِ التَّشَهُّدِ فِي الصَّلَاةِ ؛ مَعَ أَنَّ كَلِمَاتِهِ الْمُبَارَكَةَ ، مُكَالَمَةٌ بَيْنَ اللّٰهِ تَعَالٰى وَرَسُولِهِ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، فِي لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ ؟ .

١١٠ اَلْجَوَابُ : أَنَّ صَلَاةَ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، هِيَ فِي حُكْمِ نَوْعٍ مِنَ الْمِعْرَاجِ لَهُ ؛ فَالْأَنْسَبُ بِذٰلِكَ

الْحُضُورِ الْإِلٰهِيِّ ، مَا ذُكِرَ فِي الْمِعْرَاجِ الْأَكْبَرِ الْمُحَمَّدِيِّ ، مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمُبَارَكَةِ . .

١١٢ اَلسُّؤَالُ الثَّانِي : أَنَّ تَشْبِيهَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ وَعَلَىٰ آلِهِ ، بِالصَّلَاةِ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَآلِهِ ، مُخَالِفٌ لِقَاعِدَةِ التَّشْبِيهِ ؛ لِأَنَّ نَبِيَّنَا أَفْضَلُ مِنْهُ ؛ (عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) . فَمَا هُوَ سِرُّ هٰذَا التَّشْبِيهِ ؛ وَمَا هِيَ حِكْمَةُ تَخْصِيصِ هٰذَا الْوَجْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ بِالتَّشَهُّدِ ؛ وَمَا هِيَ حِكْمَةُ تَكْرَارِ الْأُمَّةِ لَهَا بِالْمَلَايِينِ ، مُنْذُ مِئَاتِ السِّنِينَ ؟ .

١١٢ اَلْجَوَابُ : أَنَّ فِي السُّؤَالِ ثَلَاثَ جِهَاتٍ . . اَلْأُولَىٰ : أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّداً (عليه الصلاة والسلام) ، وَإِنْ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) ، إِلَّا أَنَّ آلَ إِبْرَاهِيمَ أَنْبِيَاءُ ، وَآلَ نَبِيِّنَا أَوْلِيَاءُ . وَالْأَنْبِيَاءُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ . .

١١٣ اَلْجِهَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ حِكْمَةَ تَخْصِيصِ هٰذِهِ الصَّلَاةِ بِالتَّشَهُّدِ ، هِيَ التَّذَكُّرُ بِأَنَّ الْمُصَلِّيَ أَيْضاً ، يُرَافِقُ تِلْكَ الْقَافِلَةَ الْكُبْرَىٰ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ ، الَّذِينَ هُمْ أَنْوَرُ وَأَكْمَلُ مَشَاهِيرِ الْبَشَرِ ؛ وَيَلْتَحِقُ بِهِمْ فِي الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ؛ فَيَنْجُو عَنِ الشُّبُهَاتِ وَالْأَوْهَامِ بِالِالْتِحَاقِ بِتِلْكَ الْجَمَاعَةِ الْعُظْمَى الَّتِي هِيَ فِي قُوَّةِ مِئَاتِ الْإِجْمَاعِ وَالتَّوَاتُرِ . .

١١٤ اَلْجِهَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ حِكْمَةَ طَلَبِ الرَّحْمَةِ بِهٰذَا الْقَدَرِ مِنَ التَّكْرَارِ ، هِيَ لِكَوْنِ ذٰلِكَ الْمَطْلُوبِ مِثْلِ «الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ» مَثَلاً ، سِرَّ حَقِيقَةٍ عُظْمَىٰ تَحْتَوِي آلَافَ الْحَقَائِقِ الْمُهِمَّةِ وَالْعَظِيمَةِ ؛ فَطَلَبُ ذٰلِكَ السِّرِّ ، طَلَبٌ لِتِلْكَ الْحَقَائِقِ الْعُظْمَىٰ . .

١١٥ اَلشُّعَاعُ السَّابِعُ : ﴿رِسَالَةُ الْآيَةِ الْكُبْرَىٰ﴾ . . وَهٰذَا الشُّعَاعُ آخِرُ مَعْقِلٍ وَمَكْمَنٍ مَتِينٍ ، وَأَقْوَىٰ حِصْنٍ حَصِينٍ ، لِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ ، وَأَعْظَمُ سِلَاحٍ مُتَطَوِّرٍ فَتَّاكٍ لِتَدْمِيرِ جَمِيعِ قِلَاعِ جُنُودِ الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ وَالزَّنْدَقَةِ وَالضَّلَالَةِ ، إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، بِإِذْنِ اللّٰهِ تَعَالَىٰ وَقُوَّتِهِ ، وَمَظْهَرٌ لِتَصْدِيقِ الْأَوْلِيَاءِ بِإِشَارَاتِهِمُ الْغَيْبِيَّةِ ، وَلِتَوْقِيعِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ – (كرم الله وجهه) – عَلَىٰ قَبُولِهِ هٰذِهِ الرِّسَالَةَ ، بِقَوْلِهِ : ﴿وَبِالْآيَةِ الْكُبْرَىٰ أَمِنِّي مِنَ الْفَحَتِ﴾ ، فِي قَصِيدَتِهِ الْجَلْجَلُوتِيَّةِ ؛ وَهُوَ تَفْسِيرٌ حَقِيقِيٌّ لِلْآيَةِ الْكُبْرَىٰ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، سَمَّاهُ الْإِمَامُ عَلِيٌّ – (كرم الله وجهه) – بِـ : «عَصَا مُوسَىٰ» . . وَهٰذَا الشُّعَاعُ السَّابِعُ عِبَارَةٌ عَنْ مُقَدِّمَةٍ ، وَمَقَامَيْنِ عَظِيمَيْنِ . .

١١٨ اَلْمُقَدِّمَةُ : تُبَيِّنُ أَرْبَعَ مَسَائِلَ مُهِمَّةٍ ، طُوِيَتْ مِنْهَا الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ . .

١١٨ اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولَى : تُثْبِتُ أَنَّ النَّفْيَ لَا قِيمَةَ لَهُ ؛ وَأَنَّ قُوَّتَهُ قَلِيلَةٌ جِدّاً أَمَامَ الْإِثْبَاتِ ، فِي الْمَسَائِلِ الْعَامَّةِ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى نَفْسِ الْأَمْرِ ؛ حَتّٰى يُثْبِتَ نَفْيَهُ ؛ فَإِذَا ادَّعٰى فِيهَا النَّفْيَ ، يَقَعُ فِي خَطَإٍ وَكَذِبٍ بِلَا حَدٍّ . أَمَّا الْإِثْبَاتُ فَيَنْظُرُ إِلَى الْوَاقِعِ وَالْحَقِيقَةِ ؛ فَيُثْبِتُ بِسُهُولَةٍ ؛ فَإِذاً لَا قِيمَةَ لِكَثْرَةِ الْكُفَّارِ وَالْمُنْكِرِينَ لِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ الثُّبُوتِيَّةِ الْعَامَّةِ . .

١٢٠ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : تُبَيِّنُ أَنَّ مَنْ لَا يَكُونُ مُتَخَصِّصاً فِي عِلْمٍ أَوْ صَنْعَةٍ ، لَا يَصِيرُ كَلَامُهُ وَحُكْمُهُ حُجَّةً ، فِي حَلِّ مُنَاقَشَةٍ حَوْلَ مَسْأَلَةٍ مِنْ ذٰلِكَ الْعِلْمِ وَتِلْكَ الصَّنْعَةِ ؛ وَلَا يَدْخُلُ فِي إِجْمَاعِ عُلَمَاءِ ذٰلِكَ الْعِلْمِ ، وَلَاسِيَّمَا أَكْبَرِ فَيْلَسُوفٍ مُتَوَغِّلٍ فِي الْمَادِّيَّاتِ ، وَمُتَبَاعِدٍ عَنِ الْمَعْنَوِيَّاتِ ؛ فَتَعَمّٰى أَمَامَ النُّورِ ؛ وَهَبَطَ عَقْلُهُ إِلٰى عَيْنِهِ ؛ فَإِنَّ كَلَامَهُ الْمُنْكِرَ ، لَا قِيمَةَ لَهُ فِي الْمَعْنَوِيَّاتِ ؛ وَلَا يُسَاوِي دِرْهَماً فِي الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ الْقُدْسِيَّةِ ، تِجَاهَ إِثْبَاتِ مَلَايِينَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ وَأَصْحَابِ الدَّهَاءِ الْقُدْسِيِّ الَّذِينَ ارْتَقَوْا فِي الْمَعْنَوِيَّاتِ ؛ وَاكْتَشَفُوا تِلْكَ الْحَقَائِقَ فِي صُورَةِ عِلْمِ الْيَقِينِ وَعَيْنِ الْيَقِينِ ، بَلْ وَحَقِّ الْيَقِينِ . أَمَّا الْكُفْرُ الْمُضَادُّ لِتِلْكَ الْحَقَائِقِ ، فَمَاهِيَّتُهُ إِنْكَارٌ وَجَهْلٌ وَنَفْيٌ ؛ مَعَ أَنَّ الْإِيمَانَ عِلْمٌ وَوُجُودٌ وَحُكْمٌ وَإِثْبَاتٌ . .

١٢١ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ الْعُقُولَ الْمُتَضَيِّقَةَ بِالتَّوَغُّلِ فِي الْغَفْلَةِ أَوِ الْمَعْصِيَةِ ، أَوْ فِي الْمَادِّيَّاتِ ، لَا تُحِيطُ بِمَسَائِلَ إِيمَانِيَّةٍ عَظِيمَةٍ وَاسِعَةٍ ، عَمِيقَةٍ وَمُحِيطَةٍ ؛ فَيَزِيغُونَ إِلَى الْإِنْكَارِ بِغُرُورٍ عِلْمِيٍّ ؛ فَيَغْرَقُونَ فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ . فَلَوِ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَنْظُرُوا إِلٰى بَاطِنِ كُفْرِهِمْ ؛ لَوَجَدُوا فِيهِ مِئَةَ دَرَجَةٍ مِنَ الْمُحَالِ وَالْإِمْتِنَاعِ ، مُقَابِلَ الْعَظَمَةِ الْمَعْقُولَةِ اللَّازِمَةِ فِي الْإِيمَانِ . .

١٢٣ اَلْمَقَامُ الْأَوَّلُ الْعَرَبِيُّ مِنَ الْآيَةِ الْكُبْرٰى : هُوَ الْوِرْدُ الْأَعْظَمُ النُّورِيُّ الَّذِي أُلِّفَ بِالْعَرَبِيَّةِ ؛ فَنُشِرَ فِي «الْآيَةِ الْكُبْرٰى الْعَرَبِيَّةِ» لِأَوَّلِ مَرَّةٍ – وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ – كَمَا نُشِرَ فِي آخِرِ مَجْمُوعَةِ «ذِي الْفِقَارِ» النُّورِيِّ أَيْضاً . .

١٤١ اَلْمَقَامُ الثَّانِي مِنْهَا : مُشَاهَدَةُ سَيَّاحٍ يَسْأَلُ الْأَكْوَانَ عَنْ خَالِقِهِ ؛ وَهُوَ تَفْسِيرٌ بِلَا نَظِيرٍ ، لِحَقَائِقِ الْآيَةِ الْكُبْرٰى الْقُرْآنِيَّةِ ، وَتَبْيِينٌ مُبِينٌ لِبَرَاهِينِ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ الْعَرَبِيِّ الْمَطْوِيِّ مِنْ هُنَا ؛

وَهُوَ بَابَانِ . . اَلْبَابُ الْأَوَّلُ : فِي دَلائِلِ وُجُوبِ الْوُجُودِ الْإِلٰهِيِّ . وَالْبَابُ الثَّانِي : فِي بَرَاهِينِ الْوَحْدَانِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ . وَالْمَجْمُوعُ ثَلاثٌ وَثَلاثُونَ مِرْقَاةً وَمَرْتَبَةً إِيمَانِيَّةً . .

١٤١ اَلْمِرْقَاةُ الْأُولَى : هِيَ الْحَقِيقَةُ الْمُرَكَّبَةُ مِنَ التَّسْخِيرِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّدْوِيرِ ، وَمِنَ التَّنْظِيمِ وَالتَّنْظِيفِ وَالتَّوْظِيفِ ، تِلْكَ الْحَقِيقَةُ الْمَشْهُودَةُ بَيْنَ تَظَاهُرِ وَفَعَّالِيَّةٍ رُبُوبِيَّةٍ تُدِيرُ مِئَاتِ آلافِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ ، الَّتِي قِسْمٌ مِنْهَا أَكْبَرُ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ أَلْفَ مَرَّةٍ ، وَأَسْرَعُ مِنْ قَذِيفَةِ الْمِدْفَعِيَّةِ سَبْعِينَ دَرَجَةً . .

١٤٣ اَلْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ : هِيَ الْحَقِيقَةُ الْمُرَكَّبَةُ مِنْ تَسْخِيرِ السَّحَابِ ، وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ، وَتَنْزِيلِ الْمَطَرِ ، وَتَدْبِيرِ الْأَحْدَاثِ الْجَوِّيَّةِ . .

١٤٦ اَلْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ : هِيَ حَقِيقَةُ التَّسْخِيرِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّرْبِيَةِ ، وَفَتْحِ الصُّوَرِ وَنَشْرِ الْبُذُورِ ، وَالْمُحَافَظَةِ وَالْإِدَارَةِ وَالْإِعَاشَةِ ، لِجَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ فِي كُرَةِ الْأَرْضِ ، وَفِي صَحِيفَةِ فَصْلِ الرَّبِيعِ . .

١٤٨ اَلْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ : هِيَ حَقِيقَةُ التَّسْخِيرِ وَالْمُحَافَظَةِ وَالِادِّخَارِ وَالْإِدَارَةِ فِي جَمِيعِ الْبِحَارِ وَالْأَنْهَارِ . .

١٤٩ اَلْمَرْتَبَةُ الْخَامِسَةُ : هِيَ حَقِيقَةُ الِادِّخَارِ وَالْإِدَارَةِ وَنَشْرِ الْبُذُورِ ، وَالْمُحَافَظَةِ وَالتَّدْبِيرِ ، فِي جَمِيعِ الْجِبَالِ وَالصَّحَارَى . .

١٥٠ اَلْمَرْتَبَةُ السَّادِسَةُ : هِيَ حَقِيقَةُ الْإِنْعَامِ وَالْإِحْسَانِ بِقَصْدٍ وَرَحْمَةٍ ، وَالتَّمْيِيزِ وَالتَّزْيِينِ وَالتَّصْوِيرِ بِإِرَادَةٍ وَحِكْمَةٍ ، وَفَتْحِ الصُّوَرِ الْمَوْزُونَةِ وَالْمُزَيَّنَةِ فِي جَمِيعِ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ . .

١٥٢ اَلْمَرْتَبَةُ السَّابِعَةُ : هِيَ حَقِيقَةُ الْإِيجَادِ وَالصُّنْعِ وَالْإِبْدَاعِ بِالْإِرَادَةِ ، وَحَقِيقَةُ التَّمْيِيزِ وَالتَّزْيِينِ بِالْقَصْدِ ، وَحَقِيقَةُ التَّقْدِيرِ وَالتَّصْوِيرِ بِالْحِكْمَةِ ، وَفَتْحِ الصُّوَرِ الْمُنْتَظِمَةِ الْمُخْتَلِفَةِ ، فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ . .

١٥٣ اَلْمَرْتَبَةُ الثَّامِنَةُ : هِيَ إِجْمَاعُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ ، بِقُوَّةِ مُعْجِزَاتِهِمُ الْبَاهِرَةِ الْمُصَدِّقَةِ الْمُصَدَّقَةِ . .

١٥٥ اَلْمَرْتَبَةُ التَّاسِعَةُ : هِيَ اتِّفَاقُ جَمِيعِ الْأَصْفِيَاءِ ، بِقُوَّةِ بَرَاهِينِهِمُ الزَّاهِرَةِ الْمُحَقِّقَةِ الْمُتَّفِقَةِ . .

١٥٥ اَلْمَرْتَبَةُ الْعَاشِرَةُ : هِيَ إِجْمَاعُ الْأَوْلِيَاءِ ، بِكَشْفِيَّاتِهِمْ وَكَرَامَاتِهِمُ الظَّاهِرَةِ وَالْمُحَقِّقَةِ وَالْمُصَدَّقَةِ . .

١٥٦ اَلْمَرْتَبَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : هِيَ اتِّفَاقُ الْمَلائِكَةِ الْمُتَمَثِّلِينَ لِأَنْظَارِ النَّاسِ ، وَالْمُتَكَلِّمِينَ مَعَ خَوَاصِّ

الْبَشَرِ ، بِإِخْبَارَاتِهِمُ الْمُتَطَابِقَةِ الْمُتَوَافِقَةِ . .

١٥٧ اَلْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ ، وَالثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : هِيَ إِجْمَاعُ الْعُقُولِ الْمُسْتَقِيمَةِ الْمُتَنَوِّرَةِ ، بِاعْتِقَادَاتِهَا الْمُتَوَافِقَةِ ، وَبِقَنَاعَاتِهَا وَيَقِينَاتِهَا الْمُتَطَابِقَةِ ، مَعَ تَخَالُفِ الاسْتِعْدَادَاتِ وَالْمَشَارِبِ ؛ وَكَذَا اتِّفَاقُ الْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ النَّيِّرَةِ ، بِكَشْفِيَّاتِهَا الْمُتَطَابِقَةِ ، وَبِمُشَاهَدَاتِهَا الْمُتَوَافِقَةِ ، مَعَ تَبَايُنِ الْمَسَالِكِ وَالْمَشَارِبِ . .

١٥٩ اَلْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ ، وَالْخَامِسَةَ عَشْرَةَ : هِيَ إِجْمَاعُ جَمِيعِ الْوَحَيَاتِ ، الْمُتَضَمِّنَةِ لِلتَّنَزُّلِ وَالتَّكَلُّمِ وَالتَّعَرُّفِ وَالْمُقَابَلَةِ وَالْإِشْعَارَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ لِمَخْلُوقَاتِهِ ؛ وَكَذَا اتِّفَاقُ الْإِلْهَامَاتِ الصَّادِقَةِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِلتَّوَدُّدِ وَالْإِجَابَةِ وَالْإِمْدَادِ وَالِاسْتِغَاثَةِ وَالْإِحْسَاسَاتِ السُّبْحَانِيَّةِ لِمَصْنُوعَاتِهِ . .

١٦٣ اَلْمَرْتَبَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ : هِيَ دَلَالَةُ فَخْرِ الْعَالَمِ وَشَرَفِ نَوْعِ بَنِي آدَمَ ، بِعَظَمَةِ سَلْطَنَةِ قُرْآنِهِ ، وَحِشْمَةِ سَعَةِ دِينِهِ ، وَكَثْرَةِ كَمَالَاتِهِ وَعُلُوِّ أَخْلَاقِهِ ، وَبِقُوَّةِ مِئَاتِ مُعْجِزَاتِهِ الظَّاهِرَةِ الْمُصَدِّقَةِ ، وَبِقُوَّةِ آلَافِ حَقَائِقِ دِينِهِ السَّاطِعَةِ ، بِإِجْمَاعِ آلِهِ ، وَاتِّفَاقِ أَصْحَابِهِ ، وَبِتَوَافُقِ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أُمَّتِهِ . .

١٧٠ اَلْمَرْتَبَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ : هِيَ دَلَالَةُ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، الدَّائِمَةِ سَلْطَنَتُهُ الْقُدْسِيَّةُ عَلَى الْأَقْطَارِ وَالْأَعْصَارِ ، وَعَلَى خُمُسِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، وَنِصْفِ كُرَةِ الْأَرْضِ ، مُنْذُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَصْراً ، بِإِجْمَاعِ سُوَرِهِ الْقُدْسِيَّةِ ، وَاتِّفَاقِ آيَاتِهِ النُّورَانِيَّةِ ، وَتَوَافُقِ أَسْرَارِهِ وَأَنْوَارِهِ ، وَتَطَابُقِ حَقَائِقِهِ وَآثَارِهِ . .

١٧٧ اَلْمَرْتَبَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ : هِيَ دَلَالَةُ هٰذَا الْكَوْنِ ، ذٰلِكَ الْكِتَابِ الْكَبِيرِ ، وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَالْقَصْرِ الْمُزَيَّنِ ، وَالْبَلَدِ الْمُنْتَظِمِ ، بِإِجْمَاعِ سُوَرِهِ وَآيَاتِهِ ، وَحُرُوفِهِ وَكَلِمَاتِهِ ، وَبِاتِّفَاقِ أَرْكَانِهِ وَأَنْوَاعِهِ ، وَمَوَارِدِهِ وَمَصَارِفِهِ ، بِشَهَادَةِ حَقِيقَةِ الْحُدُوثِ وَالتَّغَيُّرِ وَالْإِمْكَانِ ، بِإِجْمَاعِ جَمِيعِ عُلَمَاءِ عِلْمِ الْكَلَامِ ، وَبِشَهَادَةِ حَقِيقَةِ التَّبْدِيلِ بِالْحِكْمَةِ وَالِانْتِظَامِ ، وَحَقِيقَةِ التَّجْدِيدِ بِالنِّظَامِ وَالْمِيزَانِ ، وَحَقِيقَةِ التَّعَاوُنِ وَالتَّجَاوُبِ ، وَالْمُوَازَنَةِ وَالْمُحَافَظَةِ فِي مَوْجُودَاتِهِ ، بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْعِيَانِ . .

١٨١ اَلْمَرْتَبَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ : هِيَ دَلاَلَةُ الذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ عَلٰى نَفْسِهِ ، بِإِجْمَاعِ جَمِيعِ صِفَاتِهِ الْقُدُسِيَّةِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنٰى ، وَبِاتِّفَاقِ جَمِيعِ شُؤُونِهِ وَأَفْعَالِهِ الْمُتَصَرِّفَةِ ، بِشَهَادَةِ حَقِيقَةِ تَبَارُزِ الْأُلُوهِيَّةِ فِي تَظَاهُرِ الرُّبُوبِيَّةِ فِي دَوَامِ الْفَعَّالِيَّةِ ، بِفِعْلِ الْإِيجَادِ وَالْإِبْدَاعِ بِإِرَادَةٍ وَقُدْرَةٍ ، وَبِفِعْلِ التَّقْدِيرِ وَالتَّصْوِيرِ بِاخْتِيَارٍ وَحِكْمَةٍ ، وَبِفِعْلِ التَّصْرِيفِ وَالتَّنْظِيمِ بِقَصْدٍ وَرَحْمَةٍ ، وَبِشَهَادَةِ أَسْرَارِ آيَةِ : ﴿شَهِدَ اللّٰهُ أَنَّهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلٰٓئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَآئِماً بِالْقِسْطِ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ . .

١٨٦ اَلْبَابُ الثَّانِي : فِي حَقِّ الْبَرَاهِينِ التَّوْحِيدِيَّةِ . وَهُوَ ثَلاَثَةُ مَنَازِلَ . .

١٨٦ اَلْمَنْزِلُ الْأَوَّلُ : فِيهِ أَرْبَعُ حَقَائِقَ قُدُسِيَّةٍ مُسْتَوْلِيَةٍ عَلَى الْكَائِنَاتِ ، تَقْتَضِي الْوَحْدَةَ فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ ؛ وَهِيَ حَقِيقَةُ الْأُلُوهِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ، وَالرُّبُوبِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ، وَحَقِيقَةُ الْكَمَالاَتِ الْمَشْهُودَةِ ، وَالْحَاكِمِيَّةِ الْمُسَيْطِرَةِ عَلٰى هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ . .

١٩٠ اَلْمَنْزِلُ الثَّانِي : فِيهِ خَمْسُ حَقَائِقَ مُحِيطَةٍ وَمُسْتَوْلِيَةٍ عَلَى الْكَائِنَاتِ ، تُثْبِتُ التَّوْحِيدَ بِالْبَدَاهَةِ ؛ وَهِيَ حَقِيقَةُ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ ، وَإِحَاطَةِ الْأَفْعَالِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَإِيجَادِ الْمَوْجُودَاتِ فِي السُّرْعَةِ الْمُطْلَقَةِ مَعَ الْكَثْرَةِ الْمُطْلَقَةِ ، وَإِعْلاَنِ الْمَوْجُودَاتِ لِلتَّوْحِيدِ فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ . .

٢٠٣ اَلْمَنْزِلُ الثَّالِثُ : فِيهِ أَرْبَعُ حَقَائِقَ عَظِيمَةٍ وَمُحِيطَةٍ تَدُلُّ عَلَى التَّوْحِيدِ كَالشَّمْسِ ؛ وَهِيَ حَقِيقَةُ الْفَتَّاحِيَّةِ ، وَحَقِيقَةُ الرَّحْمَانِيَّةِ ، وَحَقِيقَةُ التَّدْبِيرِ وَالْإِدَارَةِ ، وَحَقِيقَةُ الرَّحِيمِيَّةِ وَالرَّزَّاقِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ وَالثَّلاَثُونَ ، مِنَ الْمَرَاتِبِ الْإِيمَانِيَّةِ الثَّلاَثِ وَالثَّلاَثِينَ ، الَّتِي شَاهَدَهَا سَيَّاحُ الْعَالَمِ ، وَضَيْفُ خَالِقِ الْكَوْنِ ، صَاحِبُ الرُّوحِ السَّيَّالِ ، وَالْقَلْبِ الْجَوَّالِ ، وَالْعَقْلِ الْفَعَّالِ ، نَادِرَةُ الْفِطْرَةِ وَخَارِقَةُ الْخِلْقَةِ ، الْعَلاَّمَةُ «بَدِيعُ الزَّمَانِ» ، مُؤَلِّفُ أَنْوَارِ الْقُرْآنِ – (رضي الله تعالى عنه) – ، مَا دَامَ الْقَمَرَانِ ؛ وَوَفَّقَنَا لِنَشْرِ أَنْوَارِهِ بَيْنَ بَنِي الْإِنْسَانِ ، آمِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . .

٢١٥ اَلشُّعَاعُ الثَّامِنُ : كَرَامَةٌ عَلَوِيَّةٌ ثَالِثَةٌ فِي حَقِّ «رَسَائِلِ النُّورِ» . يَشْرَحُ هٰذَا الشُّعَاعُ الثَّامِنُ ، تِلْكَ الْكَرَامَةَ الْغَيْبِيَّةَ ، بِثَمَانِيَةِ رُمُوزٍ تُبَيِّنُ الْإِخْبَارَ الْعَلَوِيَّ عَنِ الرَّسَائِلِ الْمُنِيرَةِ الشَّهِيرَةِ ، مِنْ

كُلِّيَّاتِ «رَسَائِلِ النُّورِ» ، بِتَعْدَادِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى السُّرْيَانِيَّةِ ، وَأَسْمَاءِ السُّوَرِ الْقُرْآنِيَّةِ ، فِي قَصِيدَتِهِ الْجَلْجَلُوتِيَّةِ ؛ فَلَمْ يَأْتِ زَمَانُ نَشْرِهِ بَعْدُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ فَأُخِّرَ لِلْإِدْرَاجِ فِي مَجْمُوعَةِ «سِكَّةِ التَّصْدِيقِ الْغَيْبِيِّ» ، إِذَا تَهَيَّأَ الْوَقْتُ الْمُنَاسِبُ لِنَشْرِهَا ، إِنْ شَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . .

٢١٦ اَلشُّعَاعُ التَّاسِعُ : عِبَارَةٌ عَنْ مُقَدِّمَةٍ فِيهَا نُقْطَتَانِ فَقَطْ . . وَقَدْ أَرَادَ الْمُؤَلِّفُ – (رضي الله تعالى عنه) – ذِكْرَ تِسْعِ مَقَامَاتٍ عَالِيَةٍ ، فِي تَفْسِيرِ آيَاتِ الْحَشْرِ الْكَرِيمَةِ الْمَبْدُوءَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ ، إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ الْعَشْرِ . . وَمِنَ الْعِنَايَاتِ اللَّطِيفَةِ : أَنَّ الْإِمَامَ النُّورْسِيَّ فِي عَهْدِهِ الْقَدِيمِ ؛ لَمَّا وَصَلَ فِي تَأْلِيفِ كِتَابِهِ الْقَيِّمِ «الْمُحَاكَمَاتِ» ، إِلَى الْمَقْصَدِ الثَّانِي ، لِيَشْرَحَ هٰذِهِ الْآيَاتِ الْحَشْرِيَّةَ ، قَالَ بِالْكُرْدِيَّةِ : «نَحْوَه : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ» ، أَيْ : فَإِذاً نَبْدَأُ بِهَا ؛ فَوَقَفَ وَلَمْ يَكْتُبْ شَيْئاً أَصْلاً ؛ وَبَقِيَ الْكِتَابُ نَاقِصاً إِلَى الْآنِ . ثُمَّ أَنْعَمَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، فِي عَهْدِهِ الْجَدِيدِ ، بِهٰذَا الشُّعَاعِ التَّاسِعِ ، بَعْدَ ثَلَاثِينَ عَاماً مِنْ تَأْلِيفِ كِتَابِ «الْمُحَاكَمَاتِ» ؛ فَأَرَادَ أَنْ يُفَسِّرَ تِلْكَ الْآيَاتِ ، بِتِسْعِ مَقَامَاتٍ حَوْلَ الْحَشْرِ ؛ فَكَتَبَ الْمُقَدِّمَةَ ؛ وَتَوَقَّفَ قَلَمُهُ عَنْ تَأْلِيفِ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ ؛ وَلَمْ يُوَفَّقْ لِتَأْلِيفِهَا إِلَى آخِرِ عُمُرِهِ الْمُبَارَكِ ؛ فَبَقِيَ هٰذَا الشُّعَاعُ التَّاسِعُ نَاقِصاً مِثْلَ «الْمُحَاكَمَاتِ» أَيْضاً . . وَلِلّٰهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ شُؤُونٌ . .

٢١٨ اَلْمُقَدِّمَةُ : نُقْطَتَانِ عِبَارَتَانِ عَنْ نَتِيجَةٍ جَامِعَةٍ وَحُجَّةٍ كُلِّيَّةٍ لِعَقِيدَةِ الْحَشْرِ . .

٢١٨ اَلنُّقْطَةُ الْأُولَى : تُشِيرُ إِلَى أَرْبَعِ نَتَائِجَ وَدَلَائِلَ لِلْحَشْرِ ، نَاظِرَةٍ إِلَى حَيَاةِ أَرْبَعِ طَبَقَاتٍ مِنَ النَّاسِ ؛ وَهِيَ طَبَقَةُ الصِّبْيَانِ وَالشُّيُوخِ وَالشُّبَّانِ وَنَوْعِ الْبَشَرِ عَامَّةً . .

٢٢٠ اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ : تُبَيِّنُ بِاخْتِصَارٍ ، بُرْهَاناً وَاحِداً نَاشِئاً عَنْ خُلَاصَةِ شَهَادَاتِ سَائِرِ الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ الْخَمْسَةِ . . وَبَدَأَ بِالنُّقْطَةِ الثَّالِثَةِ ؛ فَوَقَفَ كَذٰلِكَ . .

٢٣٠ اَلشُّعَاعُ الْعَاشِرُ : فِهْرِسُ الرَّسَائِلِ الْمُؤَلَّفَةِ مِنْ بَعْدِ اللَّمْعَةِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ ، كُتِبَ مِنْ جَانِبِ خَوَاصِّ تَلَامِذَةِ رِسَالَةِ النُّورِ ، بِجِوَارِ وِلَايَةِ «إِسْپَارْطَةَ» ؛ وَهُوَ الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ رِسَالَةِ الْفِهْرِسِ الْمُنْتَشِرَةِ عَلَى حِدَتِهَا بِالتُّرْكِيَّةِ ؛ فَلَمْ يُدْرَجْ هُنَا . .

٢٣١ اَلشُّعَاعُ الْحَادِيَ عَشَرَ: هُوَ إِحْدٰى عَشْرَةَ مَسْأَلَةً ؛ أُلِّفَتِ الْمَسَائِلُ التِّسْعُ الْأُولٰى ، فِي سِجْنِ مَدِينَةِ «دَنِزْلِي» ؛ وَالْمَسْأَلَتَانِ الْأَخِيرَتَانِ أُلِّفَتَا فِي قَضَاءِ «أَمِرْ دَاغِي» بَعْدَ السِّجْنِ .. وَهٰذَا الشُّعَاعُ ثَمَرَةٌ لِسِجْنِ «دَنِزْلِي» ، وَدِفَاعٌ حَقِيقِيٌّ لِرِسَالَةِ النُّورِ وَتَلَامِذَتِهَا ، تِجَاهَ الْمَحْكَمَةِ ، وَضِدَّ الزَّنْدَقَةِ وَالْكُفْرِ الْمُطْلَقِ ..

٢٣٢ اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولٰى: هِيَ خُلَاصَةُ الْمَقَالَةِ الرَّابِعَةِ فِي حَقِّ الصَّلَاةِ ، تُثْبِتُ ضَرُورَةَ إِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ ، بِتَمْثِيلٍ مَنْطِقِيٍّ رَائِعٍ عَائِدٍ إِلَى السِّجْنِ ..

٢٣٣ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: خُلَاصَةٌ لِلْمَسْأَلَةِ الْعَائِدَةِ إِلَى قَضِيَّةِ الْمَوْتِ ، الْمُوضَحَةِ فِي رِسَالَةِ «دَلِيلِ الشَّبِيبَةِ» ، تُبَيِّنُ مَاهِيَّةَ الْمَوْتِ وَأَقْسَامَهُ ، بِتَمْثِيلٍ مَنْطِقِيٍّ بَدِيعٍ حَقّاً ، غَيْرِ مَسْبُوقٍ بِمِثْلِهِ فِي سَائِرِ الْكُتُبِ ..

٢٣٧ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: خُلَاصَةُ حَادِثَةٍ ذَاتِ عِبْرَةٍ ، إِيضَاحُهَا فِي رِسَالَةِ «دَلِيلِ الشَّبِيبَةِ» أَيْضاً ؛ وَهِيَ تَصْوِيرٌ رَائِعٌ جِدّاً لِمُسْتَقْبَلِ الْغَافِلِينَ الْمُنْهَمِكِينَ فِي الْأَهْوَاءِ ، يُعِيدُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ عَاقِلٍ إِلَى وَعْيِهِ ، بَعْدَ التَّفَكُّرِ فِي حَقِيقَتِهَا ..

٢٤١ اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: خُلَاصَةُ مَسْأَلَةٍ إِيضَاحُهَا فِي «دَلِيلِ الشَّبِيبَةِ» أَيْضاً ؛ وَهِيَ قَضِيَّةٌ فِي مُنْتَهَى الْأَهَمِّيَّةِ ، تُبَيِّنُ أَنَّ الْأَهَمَّ وَالْأَلْزَمَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ عَاقِلٍ ، أَنْ يَفُوزَ بِقَضِيَّةِ الْإِيمَانِ ، مُتَوَسِّلاً بِكُلِّ مَا لَدَيْهِ مِنَ الْإِمْكَانِ ؛ وَأَنَّ أَهَمَّ مُحَامٍ مُجَرَّبٍ فِي هٰذَا الْعَصْرِ ، لِلْفَوْزِ بِتِلْكَ الْقَضِيَّةِ ، هُوَ «رِسَالَةُ النُّورِ» ، الَّتِي أَنْقَذَتْ إِيمَانَ الْمَلَايِينِ إِلَى الْآنَ ..

٢٤٣ اَلْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: تُبَيِّنُ أَنَّ الشَّبِيبَةَ إِذَا اسْتُعْمِلَتْ بِالْعِفَّةِ ، وَفِي دَائِرَةِ الِاسْتِقَامَةِ ؛ فَسَتُورِثُ شَبِيبَةً أَبَدِيَّةً ؛ وَإِلَّا تُنْتِجُ شَقَاوَةً حَاضِرَةً وَدَائِمَةً ..

٢٤٤ اَلْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ: مَسْأَلَةٌ تَوْحِيدِيَّةٌ مُهِمَّةٌ جِدّاً ، لَاسِيَّمَا لِتَلَامِذَةِ الْعُلُومِ الْحَدِيثَةِ ، تُثْبِتُ وُجُودَ خَالِقِ الْكَوْنِ وَوَحْدَتَهُ ، بِأَلْسِنَةِ تِلْكَ الْعُلُومِ ؛ وَإِيضَاحُ تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ الْإِيمَانِيَّةِ ، بِالدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ بِكَمَالِ الْوُضُوحِ ، إِنَّمَا هُوَ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ..

٢٤٩ اَلْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ: مَحْصُولُ يَوْمِ جُمُعَةٍ فِي سِجْنِ «دَنِزْلِي» ، تُثْبِتُ الْإِيمَانَ بِالْآخِرَةِ ، بِمُقَدِّمَاتِ

فِي تَارِيخِ الْإِسْلامِ ، عَبْرَ الْقُرُونِ الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ الْمَاضِيَةِ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ حَفَّتْهُمُ الرَّحْمَةُ الْإِلٰهِيَّةُ ، وَالْعِنَايَةُ الرَّبَّانِيَّةُ ، بِحِمَايَاتٍ وَعِنَايَاتٍ وَأَلْطَافٍ خَاصَّةٍ ؛ حَتّٰى جَاءَهُمُ النَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ..

فَهٰذِهِ الدِّفَاعَاتُ الْمُحِقَّةُ الْمُحْتَجَّةُ ، هِيَ أَكْثَرُ مِنْ مِئَةِ صَفْحَةٍ ؛ وَلٰكِنَّ الْإِمَامَ النُّورْسِيَّ – (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) – عَدَّلَهَا بَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ ؛ فَجَعَلَهَا الشُّعَاعَ الثَّانِيَ عَشَرَ ؛ وَنَشَرَهَا فِي مَجْمُوعَةِ «سِرَاجِ النُّورِ» . وَالْمَوْجُودُ هُنَا فِي مَجْمُوعَةِ الشُّعَاعَاتِ ، قِسْمٌ مُخْتَصَرٌ مِنْ تِلْكَ الدِّفَاعَاتِ الْبَاسِلَةِ ؛ وَالْقِسْمُ الْبَاقِي ضَمَّنَهُ إِمَامُ النُّورِ ، فِي دِفَاعَاتِ مَحْكَمَةِ «أَفْيُونَ» ..

وَإِنَّا – إِنْ شَاءَ اللهُ – سَنَنْشُرُ هٰذَا الدِّفَاعَ كَامِلاً ، فِي مَجْمُوعَةِ «سِرَاجِ النُّورِ» ، وَمَجْمُوعَةِ «الدِّفَاعَاتِ النُّورِيَّةِ» ، بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى ، وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ سُبْحَانَهُ ؛ وَهُوَ الْمُوَفِّقُ وَالْهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ..

اَلْمُتَرْجِمُ الْفَقِيرُ إِلَى اللهِ الْغَنِيِّ ، مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلَازْكِرْدِيُّ ، (عَفَا اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) ..

٣٢٧ اَلشُّعَاعُ الثَّالِثَ عَشَرَ : مُرَاسَلاتٌ قَيِّمَةٌ نَيِّرَةٌ أَرْسَلَهَا الْإِمَامُ الْجَلِيلُ الْعَلَّامَةُ الشَّهِيرُ ، مَوْلَانَا «بَدِيعُ الزَّمَانِ سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ» – (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) – إِلَىٰ تَلامِذَةِ رِسَالَةِ النُّورِ الْقَيِّمِينَ الْمُخْلِصِينَ ؛ وَيُبَيِّنُ فِيهَا الْمُجَاهَدَاتِ الْمُشْرِقَةَ الْغَالِيَةَ ، مِنْ مُجَاهَدَاتِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، الَّتِي هِيَ بَطَلُ آخِرِ الزَّمَانِ ..

وَنَرْجُو مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى ، وَمِنْ أَلْطَافِهِ الْخَاصَّةِ ، أَنْ يُوَفِّقَنَا فِي أَقْرَبِ الزَّمَانِ ، لِتَرْجَمَةِ هٰؤُلَاءِ الْمُرَاسَلاتِ النُّورِيَّةِ وَبَقَايَا أَجْزَاءِ النُّورِ ، إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَأَنْ يُسَهِّلَ عَلَيْنَا بِرَحْمَتِهِ تَعَالَى ، طَبْعَ جَمِيعِ أَجْزَاءِ النُّورِ وَنَشْرَهَا ، بِكَمَالِ الرَّوَاجِ بَيْنَ عَالَمِ الْإِسْلامِ ؛ إِنَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ ؛ وَبِيَدِهِ مِفْتَاحُ التَّحْقِيقِ ..

اَلْمُتَرْجِمُ الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ الْغَنِيِّ ، مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلَازْكِرْدِيُّ ، (عَفَا اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) ..

٣٢٨ اَلشُّعَاعُ الرَّابِعَ عَشَرَ : الدِّفَاعَاتُ الْكُبْرَى الْأَفْيُونِيَّةُ .. هِيَ أَعْظَمُ دِفَاعَاتٍ مَتِينَةٍ رَادِعَةٍ لِهَجَمَاتِ الْكُفْرِ الْمُطْلَقِ وَالْإِلْحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ ، عَنْ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ ، وَأَرْكَانِ الْإِيمَانِ ، وَدِينِ

الْجِهَادِ الْعِلْمِيِّ وَالدِّينِيِّ ، الْمَادِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ ، وَالْمَالِئَةِ بِالْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ الَّتِي قَلَّمَا تُوجَدُ فِي تَرْجَمَةِ حَيَاةِ السَّادَاتِ الْعِظَامِ وَالْعُلَمَاءِ الْكِرَامِ ـ رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَىٰ وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ـ وَالْمُزْدَانَةِ بِتَآلِيفِ اللَّآلِي الثَّمِينَةِ وَالدُّرَرِ الْفَرِيدَةِ ، وَالْجَوَاهِرِ الْغَالِيَةِ وَالْيَوَاقِيتِ الْغَالِيَةِ ، الَّتِي هِيَ كُلِّيَّاتُ رَسَائِلِ النُّورِ السَّامِيَةُ ، الَّتِي هِيَ أَبْدَعُ بَدَائِعِ حَيَاتِهِ الْبَدِيعَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَالَّتِي تُعَدُّ بِحَقٍّ ، مُعْجِزَةً قُرْآنِيَّةً فِي آخِرِ الزَّمَانِ ؛ وَلَمْ يَتَيَسَّرْ تَأْلِيفُ مِثْلِهَا لِلْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ ، مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ ، وَالْمُحَقِّقِينَ وَالْمُتَبَحِّرِينَ ، عَبْرَ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ الْمَدِيدِ ، مِنَ الْقُرُونِ الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ الْهِجْرِيَّةِ ؛ وَالَّتِي هِيَ أَعْظَمُ تُرَاثٍ إِسْلَامِيٍّ حَقّاً ، وَخَاتِمَةٌ لِعُلُومِ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ ، فِي نُقْطَةِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَحَقَائِقِ الْإِيمَانِ ـ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ وَعَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ـ ؛ وَأَلْحَقَنَا بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الدِّينِ ، آمِينَ . .

وَصَلَّى اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّيِّبِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الطَّاهِرِينَ ، رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ؛ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ؛ وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . .

٤٩٣ كَلِمَةُ نِهَايَةٍ ، وَتَحْدِيثُ نِعْمَةٍ : يُبَيِّنُ فِيهَا هٰذَا الْعَبْدُ الْمَعْدُومُ ، وَالْفَقِيرُ الْمَحْظُوظُ مِنْ جَانِبِ الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ وَالْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، بِالتَّوْفِيقِ وَالنَّجَاحِ لِتَرْجَمَةِ وَتَبْيِيضِ كُلِّيَّاتِ النُّورِ الْأَرْبَعِ ، وَلِطَبْعِهَا وَنَشْرِهَا بَيْنَ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ـ وَالْحَمْدُ لِلهِ بِلَا حَدٍّ ، عَلَىٰ آلَائِهِ بِلَا عَدٍّ ـ وَيَتَحَدَّثُ فِيهَا عَنْ جَانِبٍ مِنَ النِّعَمِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَالْأَلْطَافِ السُّبْحَانِيَّةِ ، وَالْإِحْسَانَاتِ الصَّمَدَانِيَّةِ ، الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ ؛ وَمِنْ أَعْظَمِهَا التَّوْفِيقُ لِلْإِيمَانِ وَأَنْوَارِهِ ، وَلِدِينِ الْإِسْلَامِ وَعُلُومِهِ ، وَلَاسِيَّمَا التَّوْفِيقِ الْعَظِيمِ لِتَرْجَمَةِ وَتَبْيِيضِ وَتَصْحِيحِ الْكُلِّيَّاتِ النُّورِيَّةِ الْأَرْبَعِ : (الْمَقَالَاتِ الْكُبْرَىٰ وَالْمَكْتُوبَاتِ وَاللَّمَعَاتِ وَالشُّعَاعَاتِ) ، وَالنَّجَاحِ لِطَبْعِهَا وَنَشْرِهَا بَيْنَ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَبَدَ الْآبِدِينَ ، وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ . .

وَصَلَّى اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ، وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ، آمِينَ آمِينَ . .

٥٠٠ اَلْكَاشِفُ الْوَاضِحُ لِمَجْمُوعَةِ الشُّعَاعَاتِ : صَنَّفَهُ هٰذَا الْمُتَرْجِمُ الْبَائِسُ ـ (عَفَا اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) ـ

إِذْ كَانَ غَرِيباً وَحِيداً فِي مَبْنَى «أَزْهَرِ لُبْنَانَ» بِعَرَمُونَ، الشَّاغِرِ مِنَ الْأَسَاتِذَةِ الْأَجِلَّاءِ، وَالتَّلَامِذَةِ الْأَخِلَّاءِ، بِسَبَبِ انْتِقَالِ الْمَدْرَسَةِ وَالْكُلِّيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ بَيْرُوتَ الْمَأْسَوِيَّةِ، لِلضَّرُورَاتِ الْأَمْنِيَّةِ.. اَللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ الْأَمَانُ وَالسَّلَامُ..

اَللَّهُمَّ ارْزُقْنَا صَبْراً مِنْ عِنْدِكَ؛ وَاجْعَلْ مِنَّا أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِكَ، آمِينَ..

رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا؛ وَاغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞..

وَقَدْ وَقَعَ الْفَرَاغُ، بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى، وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ سُبْحَانَهُ، مِنْ تَصْنِيفِ وَتَسْوِيدِ هٰذَا الْفِهْرِسِ الْمُبَارَكِ، عَلَى يَدَيْ هٰذَا الْفَقِيرِ الْمُتَرْجِمِ وَالْمُصَحِّحِ – (عَفَا اللهُ عَنْهُ) – لَيْلَةَ السَّبْتِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، فِي السَّنَةِ الْهِجْرِيَّةِ السَّادِسَةِ وَالْأَرْبَعِمِئَةِ وَالْأَلْفِ، وَالْيَوْمَ الثَّانِيَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ شُبَاطَ، فِي الْعَامِ الْمِيلَادِيِّ السَّادِسِ وَالثَّمَانِينَ وَالتِّسْعِمِئَةِ وَالْأَلْفِ، فِي مَبْنَى «أَزْهَرِ لُبْنَانَ»، (عَمَرَهُ اللهُ بِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ)، عَلَى طَرِيقِ عَرَمُونَ، (أَنْقَذَهُ الْمَوْلَى مِنْ رَيْبِ الْمَنُونِ)، آمِينَ..

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا وَرَسُولِنَا وَشَفِيعِنَا، الْحَبِيبِ الْمُجْتَبَى، وَالرَّسُولِ الْمُصْطَفَى، سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَصَاحِبِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الْأَمِينِ، الْمُؤَيَّدِ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، وَالْمُصَدَّقِ بِالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، وَعَلَى آلِهِ الْأَتْقِيَاءِ، وَأَصْحَابِهِ الْأَصْفِيَاءِ، ذَوِي الْأَلْبَابِ وَالْبَصَائِرِ النَّيِّرَاتِ، وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، الَّذِينَ اصْطَفَاهُمُ اللهُ مِنْ بَيْنِ الْعَالَمِينَ، وَعَلَى مَلَائِكَةِ اللهِ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ، آمِينَ؛ وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوَّلاً وَآخِراً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ..

وَقَدِ انْتَهَى تَبْيِيضُ هٰذَا الْكَاشِفِ الْمُبَارَكِ، بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى، وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ سُبْحَانَهُ، ضُحَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ / ٢٦ / مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ / ١٤٠٦هـ.. آذَارَ / ٧ / ١٩٨٦م.. وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ..

اَلْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ الْغَنِيِّ، مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمُلَّازْ كَرْدِيُّ، (عَفَا اللهُ عَنْهُ)..

عَرَمُونَ - أَزْهَرَ لُبْنَانَ الشَّاغِرِ، عَمَرَهُ اللهُ بِخِيرَةِ الْأَكَابِرِ وَالْأَصَاغِرِ..

آمِينَ أَلْفَ آمِينَ..